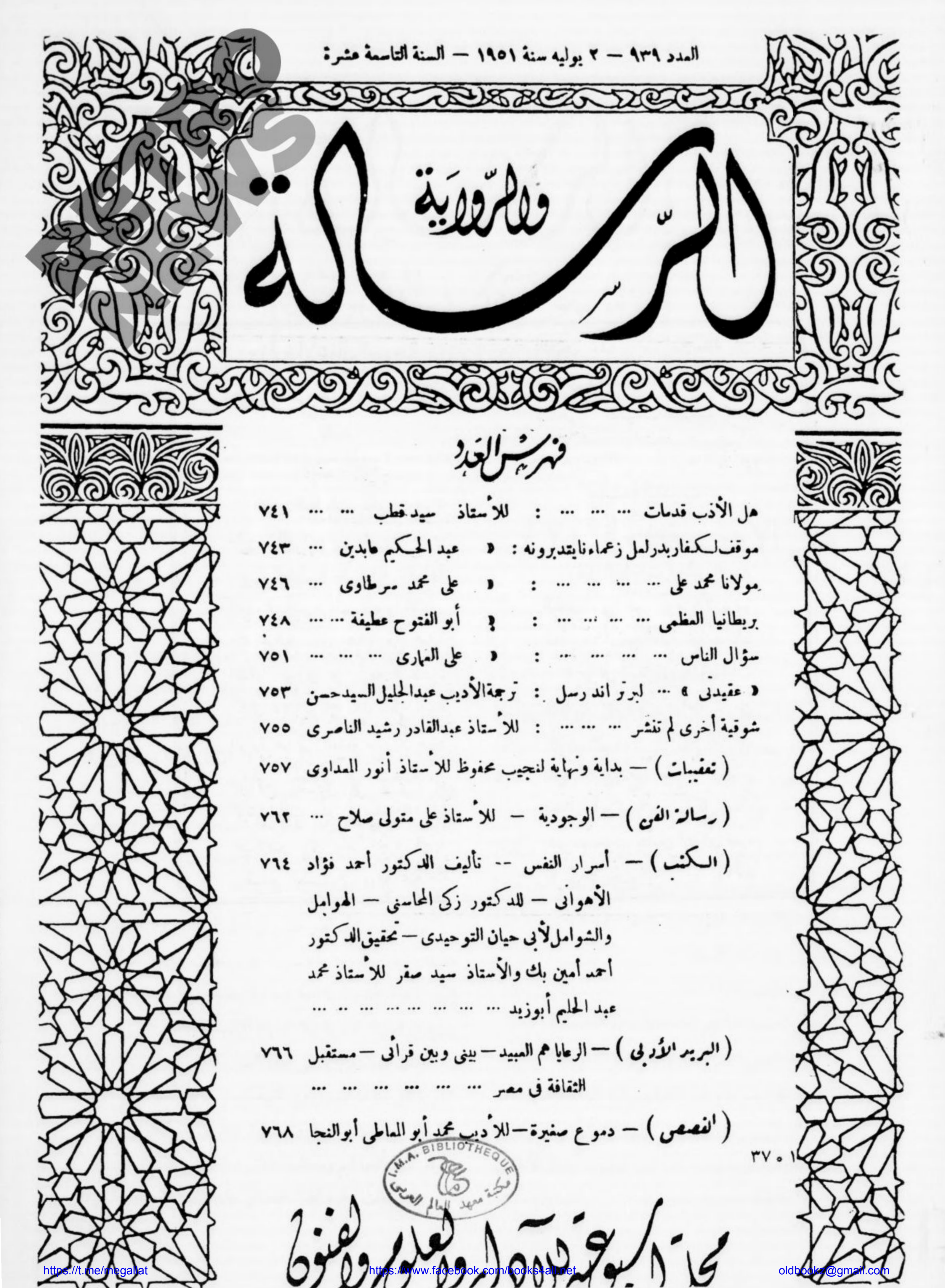


العدد ٩٣٩ — ٢ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



الرسالة والرواية

فهرس العدد



وزارة الأشغال العمومية

تفتيش مشروعات رى مصر العليا

باسنا

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مفتش مشروعات رى مصر العليا باسنا لغاية الساعة الثانيـة عشرة ظهر يوم الاثنين ٣٠ يوليه سنة ١٩٥١ عن عملية إنشاء كورى على ترعة الكسرة كيلو ٩٧٥ و ٣٩ تجاه سكن ناحية المزارة مركز المنشاة مديرية جرجا ويمكن الحصول على نسخـة من الاشتراطات نظير دفع مبلغ ١٥٠ مليما بخـلاف مائة مليم أجرة البريد ويقـدم الطلب على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما . مع ملاحظة أن التفتيش لايلتفت بتاتا للعطاءات الغير مصحوبة بتأمينات ابتدائية كاملة

٨٦٩٣

مصلحة البلديات

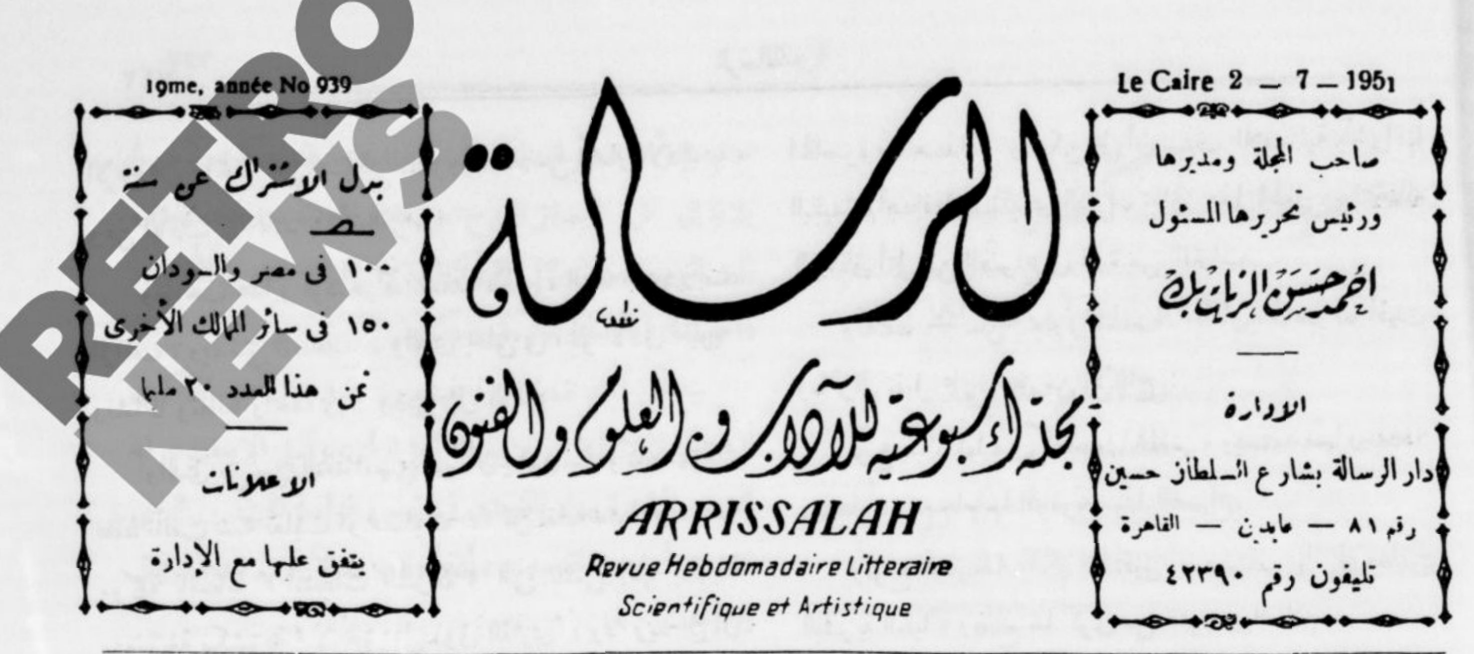
قلم ــ الحدائق

تقبل العطاءات بمجلس الفيوم البلدى حتى ظهر يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٥١ عن عملية توريد عدد ٢٠٠ حمل تبن أبيض لمؤونة الحيوانات وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ١٠٠ مليم خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ لا يلفت إليه

٨٧١١

19me, année No 939

Le Caire 2 — 7 — 1951



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٣٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ رمضان سنة ١٣٧٠ — ٢ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

هل الأدب قد مات ؟ !

— ١ —

للأستاذ سيد قطب

يقول لك الكثيرون : أن نعم ! ويمصمصون شفاههم أسفا وحسرة ، وهم يعدون لك شواهد الموت ، ويصفون لك أعراض الوفاة ، ويترحمون على الأيام القريبة التي كان للأدب فيها صولة وجولة ، يوم أن كان حياة في ذاته ، وكان مبعث حياة !

وما أريد أن أدفع عن الأدب تهمة الموت ، فقد تكون حقيقة ؛ ولكنني أريد أن أبحث عن القتلة ! القتلة الذين فعلوا هذه الفعلة ، والذين هم ماضون فيها للقضاء على الأنفاس الأخيرة التي تتردد في تلك الجثة المسجاة !

إنهم في نظري ثلاثة :

الأدباء أنفسهم بمعرفتهم الشخصية وعلى عهدتهم !

والمدرسة المصرية بمعرفة وزارة المعارف العمومية !

والدولة كلها بمعرفة وزارة المالية ووزارة المواصلات !

هؤلاء هم المتهمون الثلاثة الذين خنقوا ذلك الأدب المسكين ، حتى سقط جثة هامدة ، والذين لا يزالون يخنقونه ليلفظ الأنفاس الأخيرة التي ما تزال تتردد في خفوت !

فكيف كان ذلك ؟

* * *

فأما الأدباء فهم الذين انصرفوا كلهم أو معظمهم عن الإخلاص للأدب وللعمل الأدبي ؛ لأن هذا الإخلاص يكلف جهدا ومشقة ، ويكلف عزوفا عن شيء من الكسب المادي وعن فرقعة الشهرة الكاذبة . إنه يكلف صبرا على التجويد ، وجهدا في الإخراج ، ومعظم الأدباء — وبخاصة الذين كانوا يسمون الكبار — قد جرفتهم الحرب وما كان في إبانها من رواج في النشر ، فانهالوا على السوق بإنتاج سريع « مسلوق » لأن هذا الإنتاج السريع يحقق لهم أرباحا مادية عاجلة ، ويعفيهم من جهد البحث وأمانة العمل ، ويضخم في الوقت ذاته قائمة مطبوعاتهم في نظر الجماهير

وقد أقبلت الجماهير عليهم في أول الأمر . ولكنهم شيئا فشيئا جعلوا يكررون أنفسهم ، بل يهبطون عن مستواهم .. أنهم راحوا يجترون ما اختزنوه ولا يضيفون إليه شيئا ، ولا يضيفون للحياة الأدبية ولا للحياة الإنسانية جديدا

وكان الكثيرون من أدباء الصف الثاني قد أخذوا ببريق الشهرة التي ينالها المشهورون المكثرون ، فركضوا كذلك في الطريق ؛ وباتت المطبعة وأصبحت فإذا هي تساقط على رءوس القراء كتبا أقلها قيم ومعظمها هراء ...

واستيقظت فطرة القراء القلائل بحاسيتهم في العربية ، فإذا

الإعراض والجفاء عن هـذا المكرور المعاد من أعمال الأدباء ، وعن الأدب كله عند كثرة القراء !

وصاحب هذا ركود حركة النقد الأدبي ، النقد الذي يزيف الزائف ، ويستبقي الصحيح . والذي يخلق في الجو الأدبي حيوية ونشاطا وتطلعا وأخذا وردا ودفعة إلى الأمام

والذي بقي من النقد انتهى إلى أن يكون أضحوكة ومهزلة ، فلقد تألفت شبه نقابات أو عصابات ، كل نقابة منها أو عصابة موكلة بالدعاية « لمنتجات الشركة » التي تنتمي إليها بطريقة مفضوحة مكشوفة ، لا تخفى على ذوق القارئ ، ولا تزيد على أن تقتل الثقة في نفسه بما يكتب وما يقال !

وامتدت هذه النقابات إلى دور الصحف والمجلات ، فعسكرت كل منها في مجلة أو صحيفة ، وأصبح محرما على أي كتاب لا ينتمي صاحبه إلى « شلة » معينة أن يجد له من صفحات تلك المجلات والصحف نصيبا . . وبهذا أطبق البلاء على النقد وعلى الأدب سواء

وأعجب العجب ما سمعته أخيرا من أن بعض المساهمين في مجلات أو صحف من المؤلفين والناشرين ، يرون أن هذه المجلات والصحف لا يجوز أن تنشر عن مؤلفاتهم إلا الحمد والثناء ، وقد ذهب أحدهم غاضبا محتجا لأن مجلة يساهم هو فيها ماليا قد نشرت نقدا لعمل مهلهل من أعماله !

وبذلك تحولت الصحف الأدبية — في هـذا المجال — إلى مكاتب إعلان ودعاية لأصحابهـا والمساهمين فيها . ولم يكن بد للقراء أن يدركوا هذا فينفروا من المجلات الأدبية ومن الأدب والأدباء !

* * *

وأخيرا فقد تخلى معظم الأدباء عن هـذه الأمة في كفاحها للحياة والبقاء ، بل خانوها خيانة علنية واضحة

إنني لا أؤمن بتجنيد الأدب والأدباء لخدمة الأغراض القريبة ، والصراع الاجتماعي ، في فترة محدودة ؛ ولـكني أؤمن بأن الأديب الذي لا يحس آلام أمته القريبة أو البعيدة هو أديب ميت لا يتجاوب معه الأحياء

فإذا لم يستطع الأدب أو لم يرد أن يشارك في المعركة الحاضرة فله هـذا ، ولـكن على أن يهتف للانسانية بأشواقها البعيدة وأهدافها الـكبرى التي قد تجاوز هذا الجيل ، وتتخطاه إلى آفاق أعلى من الصراع في فترة من الفترات

وأعتقد — من تجاربي الخاصة — أن الجماهير قد أقبلت وما تزال تقبل على نوعين من الإنتاج :

نوع يشاركها ، في كفاحها الحاضر ، ويستمد منها ويمدها ، ويتجاوب مع حاجاتها الموقوتة بهذا الصراع

ونوع يحدو لها بآمال المستقبل ، ويهتف بها إلى مدارج البشرية العليا ، ويفتح لها كوى من النور في الظلام

وإني لأعتقد أن هذا الإقبال دلالة على سلامة وعي هـذه الأمة وفطرتها — على قلة القراء فيها وندرتهم — وأنها محقة في إهمال ذلك الركام المكرور التافه الذي تخرجه لهـا كثرة الـكتاب والمؤلفين . وبخاصة أولئك الذين كانوا يوما ما يلقبون بكبار الأدباء !

ولست غافلا عن إقبال الجماهير في الجانب الآخر على غثاء القصص والروايات والأفلام والصحافة ؛ فذلك اللون يغذي الجانب الهابط في النفس البشرية . وللانسانية جانباها ؛ وجذبها بخيط الصعود ممكن كجذبها بخيط الهبوط

وحين لا تجد الأمم من أدبائها الجادين من يلبي حاجة روحها ، أو حاجة عصرها ، فهي معذورة حين تنكب على المخدرات التي تقدمها تلك القصص والروايات والأفلام !

* * *

ونسيت الشعر المسكين ، وما رزأتنا به المطبعة في هذه السنوات الأخيرة من ركام يتفاخر أصحابه بضخامة الحجم وكثافة الوزن ، ويستعينون بصداقاتهم وبوسائلهم الخفية على الخروج به على الناس في غير ما خجل ولا حياء !

لقد نظر أحد أصدقائنا إلى ديوان من هذه الدواوين ، وقد اكتنز شحما ولحما ، وهزل معنى وروحا ، ثم قلبه في يديه وقال : قديما كان يقال : حمار شغل . فها نحن أولاء قد عشنا لنرى : حمار شعر !

وفي هذا الجو تختنق روح الشعر ، أو الأنفاس المترددة في

جوه الكظيم . ويكره الناس الشعر والشعراء ، وينفرون من مجرد رؤية الدواوين ، فضلا عما تحتويه من نظيم !

* * *

وما من شك أن قلة من البحوث وقلة من الروايات والقصص ، وقلة من الدواوين والقصائد ، قد أخرجت للناس فى هذه الفترة وهى تستحق البقاء ، وتستحق الاستجابة ، وتستحق الانتباه

ولقد لقى معظمها ما يستحقه فى نفوس الناس من تقدير وإقبال . والذى خانه الحظ فلم يعرف طريقه إلى الناس، إنما جنت عليه غفلة النقد فى هذا البلد ، ومؤامرات النقابات والعصابات ، وسوء ظن القارئ بالمطبعة والمجلة والنقد فى هذه الأيام

ولو نهض المخلصون من النقاد ، ووجدوا من الصحافة الأدبية مشجعا لتطهير الجو من هذه الميكروبات السالبة فيه ، لاستطاعوا أن يستعيدوا ثقة القارئ بالنقد الأدبى ، تلك الثقة التى قضت عليها العصابات والأوكار !

وإنى لأعتقد أن صفحات « الرسالة » لن تضيق بالنقد الحر المخلص ، إذا أقبل به أهله فى جرأة وفى إخلاص

* * *

ذلك نصيب الأدباء فى جريمة قتل الأدب . فأما نصيب المدرسة ووزارة المعارف ، ونصيب الدولة كلها ممثلة فى وزارة المالية ووزارة المواصلات ، فموعدى بها قريب إن شاء الله

سيد قطب

موقف لكفار بدر

ليت زعماءنا يتدبرونه !

للأستاذ عبد الحكيم عابدين

لا تكاد تنتصف أيام الصيام حتى تظلنا من رمضان أحفل ذكرياته بمواكب المجد ، وأغنى أيامه بمواقف البطولة ، وأوفر مجاليه إشراقا بصور الفداء والتضحية . وحسبك بذكرى (بدر) بلاغا إلى كل ما يصقل الروح من معانى العبرة ، وما تستشرف إليه النفس من جلال الفكرة . « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »

بيد أنى آخذ نفسى اليوم بنهج فى تحليل جانب من الذكرى أرجو ألا يثير الانفراد به حفيظة أهل الرأى، وآمل ألا يعقب غرابة السبق إليه ازورار المتزمتين فى تصور قداسة الدين . فحسبى — متى أخلصت القصد — أن أبوء بثانى الأجرين ، وما توفيقى إلا بالله

إنى إذن مهيب بك أيها القارئ الأثير أن تشاطرنى جولة فى ربوع مكة وقد استنفرت صناديد قريش لقتال محمد صلوات الله عليه ، ثم تنفذ معى السير إلى رحاب القليب حيث تراءى الجمعان والتقى العسكران، وإنك لسابقى حينئذ إلى استخراج منازل الفضل التى ندعو إليها زعماء اليوم — لا من معسكر الصحابة فذلك ما لا خلاف فى روعته وجلاله ، بل من معسكر الكفر على ما عرف من بغيه وضلاله !

إى وربى لأتمنى زعماء العصر أن يقتدوا بما سجل التاريخ من رجولة كفار بدر ، ولهم إن فعلوا ثناء الناس وحمد التاريخ ، وأنا بهما زعيم . هذه قريش فى البيض واليلب، قد هبت لثأر أبى سفيان حين استصرخها لنجدته ضمضم بن عمرو « يامعشر قريش اللطيمة ! اللطيمة ! إن أموالكم مع أبى سفيان قد أحاط بها محمد وأصحابه ، لا أظن أن تدركوها » ولكن قريشا لا تكاد تستكمل أهبتها للمسير حتى يوافيها أبو سفيان قد استطاع أن يفلت بمحاذاة الشاطئ فسلم من حصار محمد وسلمت لقريش التجارة والعروض ، وانقضت بذلك حاجة مكة إلى قتال المدينة .

وهنا لا يقنع صناديد مكة المغاوير وفتيان قريش الصيد بالاستجابة لداعى السلام ، بل « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » وعلى لهم شياطين الكفر علوا واستكبارا ، فيأبون أن يضعوا اللامات ، أو ينزعوا العصابات ، حتى يبلغوا من القتال كما توهموا الإجهاز على محمد ودعوته ، ويفضوا من الحرب إلى إعلان مجد

قريش وعزتها « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم »

وتتداعى حماسة الثائرين إلى لواء زعيم الصلف والفظاظة أبى جهل فيصوغ مشاعرهم صرخات موحشة « والله لا نرجع حتى نأتى بدرا فنقيم عليها ثلاثا ، نشرب الخمور ، وننحر الجزور ، وتعزف علينا القناء ، وتسمع بنا وبمسيرنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر »

بيد أن صوت العقل لا يضل طريقه وسط هذا الضجيج ، وكلمة القصد والحكمة لا يحجبها عن الآذان صليل هذه البيض ، بل تنطلق قوية رزينة مسببة مفحمة على لسان صنديد قريش الأول وزعيمها المطاع عتبة بن ربيعة « يا قوم ما حاجتكم أن تلقوا محمداً غدا وقد سلمت لكم أموالكم ورد الله عليكم رجالكم ، إنكم إن لقيتموه فأصاب منكم وأصبتم منه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قد قتل أباه أو ابن عمه أو ابن أخيه . يا قوم ما يضركم أن تدعوا محمدا والناس ، فإن أصيب بيد غيركم كان ذلك الذى أحببتم ، وإن كانت الأخرى لقيتموه غدا ولم تعدموا منه ما تريدون »

ويسترسل عتبة ، ومن ورائه جهابذة قريش وجلة أبطالها وحكمائها ؛ كحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو ، فى استدراج قريش إلى وضع السلاح ، وإقناعهم بحقن الدماء ، فى منطق تتساوق أدلته إلى الأفهام ، وأسلوب توشك حججه أن تؤثر فى الصم الصلاب ، حتى يفضى إلى التعرض لحمل التبعة جميعا وينتهى استجابة لداعى العقل والحكمة — إلى التضحية بذكره فى مجال الشجاعة وهو فارسها المجلى ، والنزول عن حظ نفسه من الثناء والشهرة ، وهى خير ما يحرص عليه صنديد عربى ، فيقول فى ختام هذه الدعوة « يا قوم . اعصبوها اليوم برأسى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم »

لقد كانت هذه الكلمات من سيد شجعان مكة وألمع أبطال قريش جديرة أن ترد السهام إلى كنائنها ، وتوسد السيوف بطون أغمادها ، وتلجم الضوامر الثائرة بشكائمها ، فتنساب فى مكة هدأة الأمن ، وتغشاها من جديد طمأنينة السلام . ولكن العروبة قرينة العنف فى حقها وباطلها ، وتربية الصحراء أليفة الثورة فى إيمانها وكفرها

« لا يسألون أخاهم حين يندبهم   فى النائبات على ما قال برهانا »

وهكذا غلب ضجيج الحماقة على صوت الحكمة ، وفتكت شرة الحرب بدعوة السلم فخرجت قريش بخيلها ورجلها تحاد الله وتكذب رسوله وتبغى فى الأرض الفساد . وكذلك ساخ فى ركام النزق والغرور رأى عتبة على نضجه واستقامته ، وانجرف فى غمرة التيار عتبة بن ربيعة على شرفه فى القوم وزعامته ، ولم يدر إلا وقد فصلت الفيالق تجاه بدر ، وتيممت كتائب قريش القليب ! !

ترى ما عسى أن يصير إليه موقف عتبة وقد صدق عشيرته النصح فلم تنتصح ، ونخل لقومه مخزون الرأى فلم يرشدوا

هنا هنا موطن العبرة للساسة ، بل منزل القدوة للزعماء والقادة

هذا عتبة وقد أهمل رأيه على وساطته فى قومه ، ووضوح السداد فى دعوته ، لا يشغب على الجماعة ، ولا يأتى عملا أو قولا يضعف هيبتها أمام الأعداء

وهذا عتبة وقد انعقد إصرار الأمة على القتال ، لا يجد لرأيه حقا على نفسه حتى فى أن يأوى إلى الصمت والاعتزال

وهذا عتبة ينكر ذاته ، ويفنى وجوده فى أمته ، فيأخذ أهبته لمسيرة النضال

وهذا عتبة وقد اعتصب للحرب ، لا يدع ظلا من شبهة فى أنه استكره على الخروج أو أحرج فى اللقاء

بل هذا عتبة وقد جد الجد ، وشمرت عن ساقها الحرب ، يحتل مكان الصدارة بين المقاتلين ، وقد كان بالأمس عدو القتال ، فيضرب المثل الرائع فى إيثار الوحدة ، وفناء الفرد فى الجماعة ، وإذابة الرأى الواحد وإن استقام وصفا ، فى مشيئة الأمة متى تيممت وجهة أخرى

إى والله .. هذا عتبة يرى فى طليعة الصفوف ، وبتوج هامته بعصابة الحرب ، ويجعل عن يمينه — فى رأس الجيش كذلك — أخاه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، يوقدهما شرارة الحرب الأولى ، ويعجل بنفسه وبهما غبار النقع فى غزو بدر الكبرى

اسمعوا إليه أيها السادة الزعماء وهو يلقى القفاز فى وجه

عصبة الحق ، ويتحدى كتائب الإيمان ، فيطالب الرسول صلوات الله عليه أن يجملها مبارزة رجل برجل !! بل اسمعوا إليه وقد ابتدر فتيان الأنصار هذا التحدى، وخفوا لالتقاط القفاز، كيف يعرض عن قتالهم ويغلو فى الاعتداد بشرف قومه — وهم الذين أهملوا رأيه ونصحه — فيقول للرسول العظيم « بل أخرج إلينا أكفاءنا من بنى عمومتنا من قريش »

وأطلوا على الموقف أيها الزعماء الأجلاء ، وقد استعلنت عزة الحق بلسان النبي ، وصرخت كرامة الإيمان فى ندائه الأبى ، « أخرج إليهم يا على بن أبى طالب فمليك بالوليد ، وياحمزة بن عبد المطلب فمليك بعتبة ، وياحارث بن عبد المطلب فمليك بشيبة »

لحظات من الفتوة العربية فى إيمانها وكفرها ، إن ملأت النفوس هيبة من جلال الحق وخشوعا لسلطان العقيدة فى معسكر المؤمنين ، فمن الإنصاف أن نشيد بما تصبه فى مسمع الدهر من تخليد لرجولة هؤلاء العصبة المشركين

ولا يطول ريث الفريقين حتى تخلص لهم عاقبة هذا الصراع : لقد انتصرت السماء لجندها المؤمنين ، فما هى إلا لحظات حتى كانت دماء عتبة وأخيه شيبة وابنه الوليد تتدافع من صدورهم وجنوبهم تارة دفاقة فى لجاج الثرى توشك — لو أذن لها بالإفصاح — أن تقول لتاريخ الإنسانية « أنا الثمن الطبيعى للحفاظ على وحدة الجماعة ، والفدية المتقبلة للابقاء على استمساك كلمة الأمة ، لا بأس أن يهلك أبناء ربيعة وتحيا كلمة قريش أبية كريمة »

وا أسفاه يا عتبة أنك خرجت من الدنيا كافرا لا يحل الترحم عليك « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى » ولكن القدر الواضح فى خلقك من الرجولة ، والضوء الغالب على عملك من تقديس وحدة العشيرة ، والمثل السارى فى تاريخك من إصغار رأى الفرد فى سبيل الجماعة ، والأدب المتألق من سبقك — وإن أهدرت مشيئتك — إلى افتداء شرف الأمة . كل ذلك يا عتبة بل بعض ذلك ورب الكعبة مواطن للقدوة تندب إليها أئمة الزمان المحتربين ونتمنى بجدع الأنف لو وجدت لها صدى فى نفوس زعماء القرن العشرين ، الذين أشقوا بتنا كرهم البلاد ، وأطمعوا شرة خلافاتهم مصاير المحكومين

ألا فروا رأيكم ، يا زعماء مصر ، أين تقفون من بطولة هذا الزعيم من كفار بدر ، ولا روع عليكم أن تتخذوه قدوة ، وإن اتسمتم من دونه بسمة الإيمان ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها — قيل : لا يبالى من أى وعاء خرجت والفضل فضل وإن اختلفت الأيدى على تناوله ، والمثل الرفيع كذلك وإن خفت همم أهل الكفر إلى تداوله ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله »

عبد الحكيم عابدين

مولانا محمـــــد على

للأستاذ على محمد سرطاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

صدر العدد الأول من مجلة (ريفيو أف رليلجن) فى كانون الثانى ١٩٠٢ ، وقد جاء فى تحديد أهداف المجلة ما يأتى : (إننا نرمى من وراء إصدار هذه المجلة إلى غايتين واضحتين : الأولى ، أن نقود البشر إلى الصراط المستقيم حين نلهمهم المثل العليا ونحبب إليهم الصدق والإيمان ، وحين ننشر بينهم المعرفة الحقة ، وأخيراً أن تصدر أعمالهم فى الحياة عن المبادئ السامية التى أنزلها الله على نبيه فى الإسلام . والثانية : أن نجذبهم بمغناطيسية قوية من روعة الدين تجعلهم يسيرون مسحورين ، فى طريق الهدى ، وتوقظ فى نفوسهم القوة التى تدفعهم تحت تأثيرها للعمل بأوامر الدين واجتناب نواهيه)

ثم يمضى فى شرح الرسالة السامية وينتهى عند قوله : (وستقوم هذه المجلة بالدفاع عن قضية الدين الحنيف ، وتقاوم كل المعتقدات الفاسدة الممعنة فى الضلال المبين ، تلك المعتقدات التى ليست فى حد ذاتها غير تجاوز على ما يجب نحو الخالق أو على ما يجب نحو المخلوق)

وكانت المقالة الأولى التى ترجمها مولانا محمد على فى هذه المجلة هى تلك التى كتبها مؤسس الحركة الأحمدية لهذه المناسبة ، وكان عنوانها : (كيف نتخلص من الذنوب)

وأخذت المجلة تركز أبحاثها على ما كان يضطرم فى عقول الناس فى تلك الفترة الزمنية ، من القلق ، والشك ، والحيرة ، ولم يمض على ذلك العمل غير سنوات ثلاث ، حتى كانت المجلة قد أخذت طريقها إلى أرقى الأوساط فى إنجلترا وأمريكا . وكان من أبرز السمات التى امتازت بها ، تركيزها المحكم الدقيق فى عرض مبادئ الإسلام عرضاً موفقاً بديعاً ، على الرغم من استهدافها لحملات عنيفة قاسية ، قام بها رجال الدين من الإكليروس النصرانى ، ولكنها صمدت لهم وهزمتهم فى عقر دورهم وأخرست الباطل فى ألسنتهم

وكانت فى نفس مؤسس الأحمدية رغبة قوية فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية ، وقد صرح بذلك فى كتابه المسمى (إبتالا أو هام) غير أن المنية لم تمهله ليرى ذلك الحلم الجميل حقيقة ناصعة ، فسار إلى لقاء ربه فى السادس والعشرين من أيار ١٩٠٨ ، تاركا رئاسة الحركة التى أسسها إلى المرحوم مولانا نور الدين الذى اشتهر بين الناس بعلمه ودينه

ودعى مولانا محمد على عام ١٩٠٩ ليقوم بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، وراح فى صمت المؤمن ، وصبر المجاهد ، يواصل العمل طيلة سنوات ثمان . ولم يكن هذا العمل بالشئ اليسير ، وإنما كان شائكا معقدا وعر المسالك ، تغلب عليه بهمة أقوى من راسيات الجبال ، إذ كان التعليق على الآيات وتفسيرها ونقل معانيها ، يتطلب دراسة أمهات كتب الأحاديث ومراجعة جميع المعروف من المعاجم العربية لأمانة نقل المعنى الذى ينطوى عليه اللفظ العربى ، إلى الإنجليزية نقلا صادقا دقيقا ، وكان يعمل فى كل يوم من تلك السنوات الثمان اثنتى عشرة ساعة عملا متواصلا ، حتى إذا ما أتعبه الجلوس ، انتصب قائما واستعان على عمله بمنضدة مرتفعة يعمل عليها وهو واقف فى يسر وسهولة

وتمت الترجمة بشكل ما أضيف إليها من حواش وتماليق وشروح ومقدمات وأضيف إليها النص العربى ، فبلغت الآلاف من الصفحات عام ١٩١٧

وفى هذا الوقت بدأت الخلافات فى الحركة الأحمدية وانشقت على نفسها ، وهو أمر يستوجب الأسف والحزن ، ولكنه أمر لم يكن منه بد ، ذلك أن أصدقاء مؤسسى الأحمدية وأعداءه على السواء قد نالوا منه وشوهوا أهدافه وافتروا الضلال المبين عليه ، لأن فئة قليلة من أتباعه ، دفعتهم العاطفة ، وحملهم الوهم على اعتباره نبيا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، واعتقدوا أن جميع الذين لا ينظرون إليه على هذا الشكل إنما هم كفرة خارجون عن حظيرة الدين الإسلامى

وبعد وفاة مولانا نور الدين عام ١٩١٤ ، ترك مولانا محمد على

قاديان فى شهر نيسان من تلك السنة ، مبتعداً بنفسه عن تلك الفتنة التى أثارت هذا النزاع فى قاديان ، واستقر فى لاهور ، وأسس الجمعية الأحمدية لإشاعة الإسلام فيها، وانتخب لرئاستها، وانقطعت صلته بالجماعة الأحمدية فى قاديان منذ ذلك التاريخ . ولكن على الرغم من الواجبات العملية الشاقة التى تتطلبها رئاسته لتلك الجمعية الإسلامية ، فإن أعماله الأدبية ونشاطه الفكرى لا يزالان على روعتهما وقوتهما وعمقهما وشمولهما

وأتم ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الأوردية بعد ظهور الطبعة الإنجليزية بسبع سنوات

وهو كاتب من الطراز الأول ، غزير الإنتاج ، ألف عددا كبيرا من الكتب عن التاريخ والدين الإسلامى باللغة الإنجليزية . ولقد كتب ما يقرب من عشرة آلاف صفحة باللغة الإنجليزية ، وعشرة آلاف صفحة أخرى باللغة الأردية عن المواضيع الإسلامية

قال المستر ماردوك باكتال وهو من الإنجليز الذين هداهم الله إلى الدين الإسلامى ؛ من الذين تصدوا لترجمة معانى القرآن إلى الإنجليزية ، عن كتاب مولانا محمد على (دين الإسلام) الذى ألفه فى اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٦ ما يأتى : (لم يستطع إنسان من المعاصرين أن يخدم الإسلام ، بأوسع ما فى الخدمة من معنى ، كما استطاع مولانا محمد على)

ويعتبر مولانا محمد على من القلائل من بين بنى الإنسان الذين يطيقون العمل المجهد المضنى ويصبرون السنوات على احتماله بجلد عظيم . وليس ذلك كل ما يمتاز به ، إنما يضاف إليه الترتيب فى العمل ، والاستفادة من الوقت على أحسن الوجوه بصورة لا يقدر أن يجاريه أى أوربي فى مضمار من هذا النوع . وهو فى عاداته شديد الاتزان شأنه فى ذلك شأن دقته فى الحكم على الأشياء والناس والمشاكل فى عظائم الأمور . وعلى الرغم من عدم احترافه المحاماة ، فإن دراسته العميقة للقانون جعلت أحكامه مبنية على الحقائق لا على العواطف المتغيرة . ولقد تركزت هذه الصفات الرائعة فى الحركة الأحمدية التى رأسها فى لاهور ، وابتعد بذلك عن أتباع الحركة نفسها من المتطرفين فى قاديان

ومنذ موت مؤسس الأحمدية ، تعرضت الحركة التى أسسها إلى عوامل مختلفة ، داخلية وخارجية عنيفة ، غير أن مولانا محمد على وقف كالصخرة الراسية أمام هذه العواصف خشية أن تعصف بالناحية الروحية المثالية الرائعة التى هى رسالة هذه الحركة فى توجيه مبادئ الإسلام لخدمة الإنسانية

لقد بلغ مولانا محمد على من النجاح شأوا بعيدا قلما بلغه إنسان مثله ، بسبب إيمانه العميق بالله ، ذلك الإيمان الذى لم تكن لتقوى أعاصير الحياة على زعزعته ، والذى كان يزيد فى رسوخه ومتانته إدمانه قراءة القرآن ، والأحاديث المأثورة عن الرسول ، والذكريات القوية العميقة الجذور فى عواطفه عن مؤسس الحركة الأحمدية ، وخشوعه فى صلواته التى لا تنقطع لله تعالى . وهو حين يصلى ، كثيرا ما ينفصل عما يحيط به من عالم مادى ، وينطلق بروحه إلى آفاق الغيب البعيدة عن حدود الدنيا ، فتمر الدقائق وهو لا يشعر بما يدور حوله من حركة وما ينبعث عن الحياة من ضوضاء وتشويش

ومن عادة مولانا محمد على أن يستيقظ فى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ، ولقد مرت عليه سبعون سنة وهو يستيقظ فى هذا الموعد ليغتسل فى مثل هذه الساعة المبكرة التى هى أحلى ساعات النوم عند الذين يعيشون بلا أهداف إنسانية عظيمة فى الحياة ، وما اضطربت هذه المواعيد مرة فى هذه السنين الطويلة ، حتى إذا ما انتهى من الاستحمام ، انهمك فى صلاة التهجد حتى يطلع الفجر ، ويؤذن لصلاة الصبح . ومن عادته أن يأخذ بعد ذلك قسطا من الرياضة البدنية بعد صلاة الصبح مباشرة ، فيسير على قدميه مسافة تتراوح بين ثلاثة أميال وخمسة أميال . ولم يقطع فريضة واحدة من الصلوات الخمس منذ أن كان طالبا فى المدرسة وعمره لا يزيد على عشر سنين ، ولم ينقطع عن صلاة التهجد الذى كان يشارك فيها أستاذه ميرزا غلام أحمد منذ أن كان فى الخامسة والعشرين من عمره السعيد

ولعل بساطته، التى تصل إلى حد بعيد، إلى بساطة الأطفال، ترجع إلى عمق اتصاله بالأبد وعالم الروح وهو على الأرض ، وعلى الرغم من أن مولانا محمد على يعيش فى عالم يضطرب بالخداع والنفاق والغدر والنميمة والأذى ، فإنه فى أخلاقه كالكتاب المفتوح، يستطيع كل إنسان أن يقرأ فيه من النظر إلى قسمات وجهه

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

(تابع)

حديث :

فى يونية ١٩٤٥ كنت قادما من بور سعيد إلى القاهرة، وكان يرافقنى أحد الزملاء الكرام ورجل إنجليزى كان يرتدى الثياب المدنية ومعه حقيبة مكتوب عليها بيروت، وكانت بيروت ودمشق تثيران اهتمام العرب كافة، والمصريين خاصة، وتشغلان القلوب بما كان يجرى فيها من حوادث مروعة إذ ذاك .

ذلك أن فرنسا لم تكد تتحرر من الاحتلال الألمانى حتى جاءت بجحافلها إلى الشرق تحاول أن تسترد نفوذها فى سوريا ولبنان وأن تقضى على استقلالهما، وانطلقت طائرتها تضرب الآمنين من سكان بيروت ودمشق فى غير إنسانية ولا رحمة، الأمر الذى أثار ثائرة الرأى العام الشرقى عامة والمصريين خاصة . وسط هذه الحوادث والفواجع كان التقائى بالرجل الإنجليزى

ولم نلبث أن تجاذبنا أطراف الحديث فقلت له « أيرضيك ما تفعله فرنسا فى بيروت ودمشق ؟ إن فرنسا كانت تبكى على حريتها منذ حين، فما بالها تقتل الحرية فى غير بلادها، وتروع الآمنين فى ديارهم ؟ إن الشرقيين لم يقفوا من قضية الديمقراطية موقفا عدائيا طوال الحرب، بل قدموا للحلفاء ما استطاعوا من مساعدات ! فهل يكون هذا جزاؤهم ؟ »

ولكن الرجل لم يجب وانتقل إلى موضوع آخر « أكنتم تقفون حقا فى صف الديمقراطية ؟ » قلت « بلى » قال « فلم قتل رئيس وزرائكم ؟ (المغفور له أحمد ماهر باشا) قلت « إن هذه جريمة فردية ولا تؤخذ أمة بجريمة فرد، والدليل على صدق ما أقول أنه لم يوجد للقاتل شركاء »

وانتقل الرجل إلى حديث آخر قال « أعندكم نظام برلمانى سليم ؟ أتجرى انتخاباتكم كما يجب أن تجرى الانتخابات ؟ »

كل ما يجيش فى عواطفه من شعور السخط أو الغبطة ؛ وهو كالمرآة الصافية الأديم، يرى الناظر فيها كل ما فى تلك النفس العظيمة من استحسان أو استنكار، تلك النفس التى لا تعرف الخداع والتضليل والأباطيل

والذين يعرفون مولانا محمد على معرفة دقيقة من طول عهد الصحبة فى مواكب الحياة، لا يذكرون مرة أنه مدح نفسه، أو أشار إلى ذلك من بعيد أو قريب، مهما حملت تلك الإشارة فى طياتها

وإنما يذكرون أنه دائما، يحصى على نفسه ذنوبها وهفواتها ويحاسبها حسابا عسيرا

* * *

وبعد فهذه شخصية إسلامية جليلة القدر، بعيدة الأثر فى خدمة الدين، تعمل أعمال الجبابرة وراء صمت التواضع ليكون العمل خالصا لوجه الله العظيم

وسيمر الزمن وتتلقت الأجيال المقبلة من أبناء المسلمين إلى التراث الخالد الذى صنعه مولانا محمد على لنشر الدين فتعطيه ما يستحقه من تقدير، وتنصفه من الحياة التى لا تسدد النظر فى مواكبها إلا إلى الدجالين والمشعوذين، فيخلد مع الخالدين

والآن وبعد مرور نصف قرن من جهاد مولانا محمد على، ذلك الجهاد الذى فتح الآفاق الموصدة فى وجه رسالة الإسلام الخالدة، يقف فوق الحياة بعد أن أشاع فى ظلامها النور الإلهى الذى يبعث الرحمة إلى القلوب المعذبة فيها

والعبيد المعذبون فى أمريكا، والمنبوذون المضطهدون فى الهند، والشعوب التى تئن تحت المبادئ المزيفة التى صنعها الإنسان، ينتظرون الفجر الذى يبدد الظلام الذى يعيشون فيه، من عدالة الإسلام ومبادئه الإنسانية الخالدة

أمد الله فى عمر مولانا محمد على، ونفع به، وأعز به الإسلام، وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين

بغداد

على محمد سرطاوى

قلت له «مهلا. إن كان فى نظامنا البرلمانى بعض الهنات فإنها ستصلح سريعا وسنتغلب عليها إن شاء الله» ثم استأنفت حديثى قائلا : «إن نظامكم البرلمانى الذى تفخرون به كان نظاما فاسدا فى القرن التاسع عشر، وقد أصلح، فلم لا يصلح نظامنا البرلمانى كما أصلح نظامكم ؟ »

عيوب :

كان النظام البرلمانى الإنجليزى فى القرن الثامن عشر موضع إعجاب المفكرين الفرنسيين أمثال مونتسكيو، ولكن الإصلاحات التى جاءت بها الثورة الفرنسية جملته يظهر بعيداً كل البعد عن تحقيق الديمقراطية، فقد كان أعضاؤه من كبار الملاك والأشراف الذين وصلوا إلى مقاعد النيابة بنفوذهم وبالرشوة، ولم يكونوا يمثلون الشعب البريطانى بحال من الأحوال . وقد صبر الشعب على مساوئ النظام البرلمانى أثناء الكفاح بين إنجلترا وفرنسا فى عصر الثورة ونابليون، ولكن بعد سقوط نابليون تطلع الشعب إلى إصلاح النظام البرلمانى وهنا أحب أن أذكر أن الإصلاح قد تم تدريجا ودون حدوث ثورات خطيرة أو انقلابات عنيفة كما حدث فى فرنسا . وقد كانت أهم عيوب النظام البرلمانى فى أوائل القرن التاسع عشر ما يلى :

أولا : سوء توزيع الدوائر الانتخابية : فقد بقى على ما كان عليه فى عصر شارل الثانى ١٦٦٠ رغم التطورات التى حدثت فى حياة إنجلترا وفى توزيع سكانها، وقد كان من نتائج ذلك أن حرمت مدن كبيرة - نشأت نتيجة للانقلاب الصناعى مثل مانشستر وليدز وبرمنجهام - من التمثيل النيابى، بينما كانت «دنونش» التى غمرتها مياه بحر الشمال ترسل نوابها إلى البرلمان، وكذلك «سارم القديمة» كانت عبارة عن تل من الخرائب ومع هذا كان لها نواب فى البرلمان !

ثانيا : لم يكن التوزيع عادلا من ناحية أخرى : فقد كانت إرلندا تنتخب مائة نائب عن ستة ملايين من السكان، وكانت إسكتلندا تنتخب ٤٥ نائبا عن مليونين، وكانت إنجلترا تنتخب ٥١٣ نائبا عن ١٢ مليونا من السكان. وكذلك كان يمثل الأقاليم ١٨٦ عضوا ويمثل المدن ٤٦٧ عضوا

ثالثا : تقييد حق الانتخاب : فقد كان قاصرا على طبقات معينة؛ هم كبار الملاك فى الأقاليم وأعضاء البلديات فى المدن، وقد كان عدد الناخبين فى دائرة جاتن سبعة فقط

رابعا : كان كثير من الدوائر يقع فى أملاك اللوردات؛ وكان لهؤلاء تأثير كبير على الناخبين، ونتيجة لذلك اختار دوق نورفوك أحد عشر نائبا فى البرلمان، ولوردلونسدول تسعة، ولورددارلنجتون سبعة، بل إن بعض اللوردات كان يبيع دوائره لمن يدفع أعلى ثمن

خامسا : كان حق الانتخاب مباحا لمن يدفع ضرائب سنوية قدرها أربعون شلنا، ولكن اختفاء الملكيات الصغيرة قلل عدد الناخبين لدرجة أنه كان فى دائرة «بوت» واحد، وفى أحد الانتخابات حضر هذا الناخب وحضر معه العمدة وضابط يشرف على الانتخاب، وأجريت عملية الانتخاب، وانتخب الناخب نفسه، وأصبح نائبا

سادسا : كانت قلة عدد الناخبين مدعاة لانتشار الرشوة، فكان الصوت يباع بجنيهين وربما وصل إلى عشرة جنيهات

سابعا : عدم سرية الانتخابات

وهكذا نرى أن مجلس العموم كان فى الواقع لا يمثل الشعب البريطانى، وقد لمس كبار رجال بريطانيا الحاجة إلى الإصلاح، واقتنع به بت الأكبر ثم بت الأصغر ، ولكن حوادث الثورة الفرنسية والصراع بين إنجلترا وفرنسا أوقف حركة الإصلاح . ولما انتهت الثورة قام كثير من المفكرين يدعون إلى الإصلاح وزاد الحركة قوة بؤس الطبقات العاملة وسوء حالها وانتشار الغلاء بسبب قانون الغلال الذى صدر ١٨١٥ لحماية كبار الملاك . ورأى هؤلاء المفكرون أن الإصلاح لن يكون إلا إذا تم الإصلاح النيابى، وزج بكثيرين منهم أمثال وليم كوبت فى السجون

وأخيرا فى ١٨١٩ قامت مظاهرات فى مانشستر للمطالبة بالإصلاح، ولكن الحكومة استخدمت الشدة فى قمعها، فقتل وجرح كثيرون، وقد سميت هذه المعركة بمعركة «بيترلو» تهكما . وأصدرت الحكومة قوانين قيدت بها حرية الصحافة وحرية الخطابة وحرية الاجتماع . ورغم هذا ظلت حركة الإصلاح سائرة،

وتبناها كثير من أغنياء التجار والصناع

ولما قامت ثورة ١٨٣٠ فى فرنسا سقطت وزارة المحافظين فى إنجلترا، وقامت وزارة من الأحرار بزعامة لورد جراى، وقدم اللورد جون رسل مشروعا بالإصلاح إلى مجلس العموم، ولكن المشروع لقى معارضة، فحل المجلس وأجريت انتخابات، وجاءت النتيجة فى جانب الأحرار فوافق المجلس على قانون ١٨٣٢، ولكن مجلس اللوردات عارض فاستقال جراى. وقد عجز الملك عن تأليف وزارة أخرى، فاضطر إلى استدعاء جراى ثانية، وصرح له برفع بعض الأحرار إلى مرتبة اللوردية حتى تكون له أغلبية، وإزاء هذا التهديد قبل اللوردات المشروع

وبمقتضى قانون ١٨٣٢ ألغيت مقاعد المدن البالية، ووزعت الدوائر الانتخابية توزيعا عادلا بحيث تمثل المدن الجديدة فى البرلمان، وأنقص النصاب المالى للناخب فزاد عدد الناخبين إلى ٦٥٦ ألف بعد أن كان ٥٣٥ ألف

ولكن القانون لم يحقق الديمقراطية كما كان ينشدها أفراد الشعب البريطانى، وقد انتفع به أفراد الطبقة الوسطى، أما العمال فقد بقوا بدون تمثيل، ولذلك فبرغم صدور قانون فى ١٨٣٣ بحدد ساعات العمل، نراهم ينهضون بزعامة روبرت أون ويطالبون بالإصلاح، وقد ضمنوا مطالبهم وثيقة سميت « وثيقة الشعب » وأهمها:

١ : الاقتراع العام ٢ : سرية الانتخاب

٣ : تجديد مجلس العموم سنويا

٤ : صرف مكافآت للنواب تشجيعا للفقراء الأكفاء

٥ : عدم تقييد النواب بمؤهلات مالية

٦ : تقسيم البلاد إلى دوائر انتخابية متساوية

على أن هذه الحركة لم تنجح وذلك لتحسن حالة العمال بعد إلغاء قانون الغلال سنة ١٨٤٦، ولكن ظل العمال يطالبون بحقوقهم السياسية، وفى ١٨٦٧ تبنى حركة الإصلاح غلادستون زعيم الأحرار ودزرائيلى زعيم المحافظين؛ كل يحاول أن يجعل نفسه محبوبا لدى الشعب بالاستجابة إلى رغباته، ونتيجة لذلك صدر قانون ١٨٦٧ وبه عدل توزيع الدوائر الانتخابية توزيعا عادلا، وقلل النصاب المالى للناخب فزاد عدد الناخبين وأصبح لبعض العمال حق الانتخاب، ولكن ظلت الأغلبية محرومة.

وفى ١٨٧٠ تقررت مجانية التعليم الأولى وجعل إجباريا

وفى ١٨٧٢ تقررت سرية الانتخابات

وفى ١٨٨٤ صدر قانون آخر يبيح للزراع حق الانتخاب، وأعيد توزيع الدوائر بحيث أصبح لكل ٥٠ ألفا من السكان نائب فى مجلس العموم

وفى ١٩١٨ تقرر حق الانتخاب للبالغين من الرجال والنساء على السواء، وبذلك أصبح مجلس العموم يمثل الشعب البريطانى تمثيلا كاملا

وأحب أن أذكر أيضا أن مجلس العموم عمد إلى تركيز السلطة فى يده وسحبها من يد اللوردات، فتقرر سنة ١٩١١ أن الميزانية تصبح نافذة إذا أقرها مجلس العموم ولو لم يقرها مجلس اللوردات، وكذلك تقرر أن القوانين التى يوافق عليها مجلس العموم (النواب) ثلاث مرات تصبح نافذة ولو لم يوافق عليها مجلس اللوردات. وهكذا أصبح مجلس العموم الذى ينتخبه الشعب البريطانى صاحب الكلمة العليا فى بريطانيا، والوزراء ليسوا إلا منفذين لتوجيهاته وإرشاداته

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

بمناسبة رمضان (شهر الإحسان)

سؤال الناس

للأستاذ على العمارى

للشاعر الإسلامى جرول بن أوس الملقب بالحطيئة وصية غريبة مشهورة عنه ، ذلك أنه حين حضرته الوفاة قيل له : أوص يا أبا مليكة . فقال : مالى للذكور من ولدى دون الإناث ، قالوا : فإن الله لم يأمر بذلك ، قال : فإنى آمر به . قيل له : ألا توصى بشئ للمساكين ؟ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا ، فإنها تجارة لن تبور . قيل له : فلان اليتيم ، ما توصى له بشئ ؟ قال : أوصيكم أن تأكلوا ماله !

ومع غرابة هذه الوصية ، ومع أننا نظن أنها وضعت لقصد الفكاهة ، مع ذلك فإن الناس يعملون بها أكثر مما يعملون بأى وصية أخرى فى هذه الشؤون . ويعنينا من وصيته . ماوصى به المساكين ، فإنهم اتخذوا السؤال مادة للكسب ، وتجارة تدر عليهم الربح الوفير ، والمال الكثير . ومع أن السؤال أردأ مهنة يحترفها الرجل ، ومع أن المال الذى يجئ عن طريقه أرذل كسب يكسبه ، نجد العاجز والقادر ، الشيخ والشاب ، الرجل والمرأة ، نجد من كل أولئك من يحترف السؤال ويعيش عليه ، بل ويجمع الثروة الطائلة عن طريقه

وليس أضر على المجتمع الناهض ، وعلى الأمة التى تريد أن تبنى مجدها ، من أن يكون فيها جماعة يعيشون على كسب الغير وهم قادرون على العمل ، فليس رقى الأمم هبة تمطى ، وإنما هو عمل أبنائها ، وجهاد فى سبيل عظمتها ومجدها ، وأول سلم فى هذا الجهاد أن يؤدى كل إنسان واجبه ، وأن يعمل كل فرد ما يستطيع من العمل . أما الكسل ، وأما الاعتماد على الآخرين ، فذلك ينافى طبيعة العمران ، ويحط من شأن الأمة ، ويعطل آلة النجاح والتقدم فيها

ومن عجب أن أكثر هؤلاء السؤال يتمسحون بالإسلام ، ويستدرون عطف الناس باسم الدين ، والإسلام ليس فيه لهؤلاء حجة ، فقد أزرى على السؤال ، وبغض فيه ، وحث على العمل ، وأوجبه على القادر ، ولو كان عملا دنيئا حقيرا ، فهو — على كل حال — خير من مسألة الناس ، وبعض أصحاب النفوس العالية يفهم ذلك تمام الفهم ، فقد حدثنى صديق أنه رأى رجلا يعمل عملا يستقذره الناس ، فلما فرغ من مسح يديه بالتراب ، وجلس يأكل ، قال صديقى فرأيته يتحدث ويقول : اسكتى ، تأدبى . والله إن لم ترضى لأهيننك . فقلت له : يارجل ، رأيتك تتحدث وليس معك أحد ، فمن تخاطب ؟ قال : أخاطب نفسى ، فإنها لما رأتنى جلست آكل تقززت منى . فقلت له : سمعتك تقول لها تأدبى وإلا أهينك ؛ فأى عمل أشد إهانة لها من عملك هذا ؟ فالتفت الرجل مستغربا ، وقال لى : يامسكين ، إن فى الأعمال ماهو أخس من عملى وأقذر ، ذلك مسألة الناس شيئا

والإسلام لم يبح السؤال إلا للعاجز عن الكسب عجزا تاما ، ومع ذلك دعا إلى التعفف ، والإجمال فى المسألة ، وعدم الإلحاف فيها ، حتى استحسن العلماء أن يكون الرجل عييا فى المسألة ، وعند وصف الفاقة ، فذلك أدل على كرم الطبع والأنفة من حال المسألة ، والتصون من ذكر الفاقة ، وقد مدح الله قوما بمثل هذا فقال : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافا)

لكن المحترفين للسؤال يطاردونك مطاردة من له عليك دين ، وربما تطاولوا عليك وسبوك . روى أن سائلا وقف على باب قوم يسألهم فقالوا : يفتح الله عليك ، فقال : كسرة . قالوا : ما نقدر عليها . قال : فقليل من بر أو فول أوشعير ، قالوا : لا نقدر عليه ، قال : فقطعة دهن أو قليل من زيت أو لبن ، قالوا : لا نجده ، قال : فشربة ماء ، قالوا : وليس عندنا ماء ، قال : فما جلوسكم ههنا ؟ قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال !

ولا شك عندى أن هؤلاء — إذا كانوا صادقين — أحق بالسؤال من هذا السائل الوقح ، ولكنهم قوم كرماء النفوس يصونون ماء وجوههم ، ويعتزون بأنفسهم ؛ ويخفون ما بهم من ضر وحاجة . وقد قرأت فى تاريخ السودان أن الرجل كان إذا احتاج أغلق عليه باب داره ، ومكث فيها حتى يموت ،

وقديما قال الشاعر الجاهلي (الشنفرى)

أطيل مطال الجوع حتى أميته
وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
على من الطول امرؤ متطول

وقديما سأل رجل أبا دلف العجلي، فقال أبودلف: أتسأل وجدك الذي يقول:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه
ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فخرج الرجل، وجرد سيفه، وعاش عليه

وهناك جماعة يعيشون على كسب غيرهم، وهم - في نظري - لا يختلفون عن هؤلاء السؤل في شيء، فقد تعجبك هيئة الرجل ووجاهته، فإذا سألت من أين يعيش؟ قيل لك إن له أخا أو أبا أو قريبا غنيا فهو ينفق عليه ويعطيه، أو إن له أصدقاء وتلاميذ يعودون عليه بالخير، ويغمرونه بالهدايا والألطاف، فنها يعيش. ويحضرني دائما عند ذكر هؤلاء قصة الرجل الذي قيل للنبي صلى الله عليه وسلم فيه إنه صوام قوام متبتل؟ فسألهم فن يصلح له أمره، ويكفيه مايهمه؟ فقالوا كلنا يارسول الله، فقال: كلكم خير منه. كما يحضرني الحديث الشريف: أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ. وقول خليفة المسلمين يزيد بن عبد الملك: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا لئلا أتعود العجز

فمن أراد أن يتفرغ لعبادة ربه، فليكتف من أمر الدنيا بالقليل، وليعمل عملا يدر عليه هذا القليل. وأعجب مافي أمر هؤلاء أنهم يبررون أخذهم لهذه الأموال بأنهم ينفقونها في سبل الخير، وما علموا أنها أموال لا وجه لعمل فيها، ولقد حدث العالم الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلى، وكان يضارع أبا حنيفة في الفقه قال: إني لأساير رجلا من وجوه أهل الشام: إذ مر بحمال معه رمان، فتناول منه رمانة، فعجبت من ذلك، فمر به سائل فناوله إياها، فقلت له: رأيتك قد فعلت عجبا، قال: وما هو؟ قلت أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلا، قال: وأنك ممن يقول هذا القول؟ أما علمت أني أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات، فقلت: أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئة، وأعطيتها فلم تقبل منك

قلت: ومنطق هؤلاء لا يختلف في شيء عن منطق ذاك الرجل

(وبعد) فكيف نعالج هذا الداء الشين، لعلي لا أبعد كثيرا إذا قلت إن العلاج الوحيد هو أن نفهم الناس دينهم على حقيقته، وأن يتأكدوا أن هذه المظاهر مما تشين الوطن، وتحط من قدر الأمة، والنفوس بطبيعتها شحيحة فلا يمكن أن ندعوها إلى أن تزيد في شحها، ولكن ندعوها إلى أن تتلمس ذوى الحاجة من الأقرباء والجيران والمعارف فتندفع إليهم ما تجود به، وأن تمتنع امتناعا تاما عن إعطاء هؤلاء الذين يتجرون بالسؤال. وليس صحيحا مايفهمه الناس من إعطاء السائل ولو جاء على فرس، فإن ذلك إذا لم يجد المعطى من هو أحوج من الفارس، وإذا لم يكن صاحب الفرس قد اشتراه من أموال الناس التي سألهم إياها!

وأن يعلم هؤلاء الذين يعيشون على أرزاق غيرهم من الناس أن الموت أهون من ذل السؤال، وأن الإنسان لا يجد عوضا عن ماء وجهه الذي يبذله، وصدق الشاعر

ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضا، ولو نال الغنى بسؤال

علي العماري

عقيـــدتى

للفيلسوف الإنكليزى المعاصر برتراند رسل

للأديب عبد الجليل السيد حسن

الفصل الرابع

الخلاص الفردى والاجتماعى

إن إحدى نقائص الدين التقليدى هى فرديته. وهذه النقيصة ترجع أيضاً إلى الأخلاق المقترنة به، وكانت الحياة الدينية دائماً بالتقليد حواراً بين الروح والله، فإن تطع إرادة الله، فذلك هو الصلاح. وكان ذلك فى إمكان الفرد الذى يهمل حالة المجتمع تماماً، وقد نشرت الفرق البروتستانتية فكرة «وجود المخلِّص» ولكنها كانت دائماً موجودة فى التعاليم المسيحية، وهذه الفردية فى الروح المفارق كان لها قيمتها فى مراحل معينة من التاريخ، ولكننا فى العالم الحديث فى حاجة إلى تصور اجتماعى للخير أكثر من التصور الفردى. وأود أن نرى — فى هذا الفصل — كيف يؤثر هذا فى تصورنا للحياة السعيدة

ظهرت المسيحية فى الإمبراطورية الرومانية بين شعوب مجردة من القوى السياسية، قد تحطمت حكوماتها القومية وارتبطت بكتلة ضخمة فاقدة الشخصية، وفى أثناء القرون الثلاثة الأولى من العصر المسيحى، كان الأفراد الذين اعتنقوا المسيحية لا يستطيعون أن يغيروا النظم الاجتماعية والسياسية التى كانوا يعيشون فى ظلالها على رغم أنهم كانوا مقتنعين تماماً بفسادها. وأثناء هذه الظروف كان من الطبيعى أن يؤمنوا بالاعتقاد بأن الفرد من الممكن أن يكون كاملاً فى عالم غير كامل، وأن الحياة السعيدة ليس لها شأن بهذا العالم. وقد يتضح ما أعنيه أكثر بالمقارنة بجمهورية أفلاطون؛ فحينما أراد أفلاطون أن يصف الحياة السعيدة، وصف المجتمع ككل لا كأفراد، وقد فعل ذلك ليحدد العدالة التى هى معنى اجتماعى جوهرى، فقد كانت حقوق «الجمهورية» مألوفة لديه، وكانت المسئولية السياسية عنده قضية مسلمة، وحينما فقد اليونان حريتهم إلى دور ظهور الرواقية، التى هى — كالمسيحية وليست كأفلاطون — فى تصورها الفردى للحياة السعيدة

ونحن الذين ننتمى إلى ديمقراطيات عظيمة، سنجد عند الأثينيين الأحرار أخلاقاً أكثر ملاءمة مما نجد لدى الإمبراطورية الرومانية صاحبة السلطان المطلق. وفى الهند حيث الأحوال السياسية مشابهة تماماً لما كان فى أرض الماد (Judea) (١) فى زمن المسيح، نجد غاندى يحث على أخلاق مشابهة جداً لأخلاق المسيح، ويعاقبه من أجلها خلفاء بلاطس Pontius Plate (٢) المسيحيون، ولكن الوطنيين الهنديين المتطرفين، ليسوا راضين عن الخلاص الفردى، فهم يريدون خلاصاً قومياً، وهم فى هذا قد أخذوا بنظرة الديمقراطيات الغربية الحرة، وأريد أن أذكر بعض الجوانب التى جعلت هذه النظرة — بسبب المسيحية — إلى الآن خالية من القوة والوعى والكفاية، بل ما زال الاعتقاد فى الخلاص الفردى يقيدها

والحياة السعيدة كما نتصورها تحتاج إلى عدد عظيم من الشروط الاجتماعية التى لا يمكن أن تتحقق بدونها. والحياة السعيدة كما قلنا هى الحياة التى يلهمها الحب وترشدها المعرفة. والمعرفة المتطلبة لا توجد إلا حيث تقف الحكومات وأصحاب الملايين أنفسهم على اكتشافها ونشرها؛ فمثلاً انتشار السرطان شئ مخيف، وماذا يجب علينا أن نعمل بإزائه؟ فى الحالة الراهنة لا يستطيع أحد أن يجيب عن هذا السؤال، لنقص المعرفة. والمعرفة ليس من المحتمل أن تظهر وتكتشف إلا بالبحث الموقوف عليها. ومرة أخرى معرفة العلم والتاريخ والأدب والفن، يجب أن يحصل عليها كل من يرغب فيها، وهذا يقتضى استعداداً متعدد النواحى من جانب السلطات العامة، ولا يبلغ إلى ذلك عن طريق التحول الدينى. وحينئذ فهاهنا تجارة خارجية بدونها يموت جوعاً نصف سكان بريطانيا العظمى. وإذا متنا جوعاً، فإن قليلاً منا سوف يحيون الحياة السعيدة. ولا داعى لأن نكثر من الأمثلة، ولكن النقطة المهمة هى أنه من بين كل ما يفرق بين الحياة

---

(١) Judea أرض الماد هى الجزء الجنوبى من أرض فلسطين

(٢) الوالى الرومانى الذى أسلم المسيح عليه السلام لليهود لصلبه

السعيدة والحياة السيئة ، هو أن العالم وحدة ، وأن الإنسان الذى يدعى أنه يعيش مستقلا طفيلى ، سواء شعر بذلك أم لم يشعر

وفكرة الخلاص التى كان المسيحيون الأولون يعللون بها أنفسهم لخضوعهم السياسى تصبح مستحيلة بمجرد أن نتخلى عن التصور الضيق للحياة السعيدة ، ففى تصور المسيحية السليمة Oothrdox أن الحياة السعيدة هى حياة الفضيلة والصلاح ، والفضيلة فى إطاعة إرادة الله ، وإرادة الله تتضح لكل إنسان خلال صوت الضمير ، وهذا تصور أناس خاضعين لسلطة مطلقة أجنبية مستبدة ، والحياة السعيدة تشمل كثيرا ، بجانب الفضيلة — الذكاء مثلا . وكثيرا ما يكون الضمير مرشدا مضللا ، لأنه يتضمن ذكريات غامضة لمدركات منذ الطفولة ، ولذلك فهو ليس أحكم من صاحبته المربية أو الأم . ولكى يحيا المرء الحياة السعيدة بأتم معانيها ، يجب أن ينال قسطا وافرا من التربية ، وأن يكون والأصدقاء والحب والأطفال — إذا أرادهم — ودخل كاف ليحفظه من العوز والقلق ، وصحة جيدة ، وعمل ليس بالممل . وكل هذه الأشياء بدرجات متفاوتة ، وتعتمد على المجتمع ؛ وتساعدها أو تعوقها الأحداث السياسية . والحياة السعيدة لا تكون أبدا إلا فى مجتمع سعيد ، وليست بممكنة فى عالم ليس كذلك

وهذا نقص أساسى فى المثل الأرستقراطى الأعلى ، فبعض الأشياء الصالحة مثل الفن والعلم والصداقة ، يمكن أن تزدهر أيما ازدهار فى مجتمع أرستقراطى ، فقد وجدت فى اليونان على أساس الرق ، وتوجد بيننا على أساس الاستغلال والتسخير ؛ ولكن الحب فى صورة المشاركة الوجدانية وحب الخير لا يمكن أن يوجد وحده طليقا فى مجتمع أرستقراطى . فالأرستقراطى يقنع نفسه بأن الرقيق أو الأجير أو الرجل الملون من طينة أدنى فإيذاؤهم لا يهم وإن الرجل الإنجليزى المثقف فى الوقت الحاضر ليضرب الإفريقيين بشدة ، حتى أنهم يموتون بعد ساعات من الألم الفظيع . وأنا لا أستطيع أن أقول إن هؤلاء المهذبين — حتى ولو كانوا متعلمين جيدا وفنانين ومحدثين لطافا — يحيون حياة سعيدة ؛ فإن الطبيعة البشرية لتضع بعض الحدود للمشاركة الوجدانية ، ولكن ليس بدرجة مثل هذه . وفى المجتمع ذى الوعى الديمقراطى لا يسلك هذا المسلك إلا المهووس (Maniac) وتحديد المشاركة الوجدانية التى يشتمل عليها المثال الأعلى الأرستقراطى هو ـها . والخلاص مثال أرستقراطى لأنه فردى ، ولهذا أيضا لا تصلح فكرة الخلاص الشخصى — مهما أولت ووسعت — لتعريف الحياة السعيدة

وطابع آخر من مميزات « الخلاص » وهو أن ينجم عن تغيير محنى (نتيجة محنة) كتحول القديس بولس (Saint paul). وأشعار « شلى » تقدم صورة لهذا المعنى تنطبق على المجتمعات ، فاللحظة تحين حين يتغير كل إنسان « وتطير الفوضى واختلال الحكم » « ويبدأ عمر العالم العظيم من جديد » ولكن: قد يقال إن الشاعر ليس بذى أهمية ، وأفكاره لا نتيجة لها ؛ ولكنى أقول: إن جزءا كبيرا من القواد الثوريين كان لديهم أفكار مثل ما لدى شلى إلى حد بعيد ، فقد فكروا فى أن البؤس والقسوة والانحطاط ترجع كلها إلى الظلمة ، أو القسس أو الرأسماليين ، أو الألمانيين . ولو طرحت منابع الشر هذه لحدث تحول عام فى القلوب ، ولعشنا جميعا سعداء أبدا . ولاعتقادهم فى مثل هذه الاعتقادات فقد أريد منهم أن يستمروا فى « الحرب حتى تنتهى الحرب » وبالمقارنة نجد أن المحظوظين هم هؤلاء الذين عانوا الهزيمة والموت ، وهؤلاء الذين حالفهم سوء الحظ ، فظهروا كمنتصرين ، كانوا فى حاجة إلى شىء من احتقار اللذات أو الكلبية Cynicism المسيحية ، وكانوا بائسين بتحطيم كل آمالهم البراقة ، والمنبع النهائى لهذه الآمال كان العقيدة المسيحية فى التحول المحنى كطريق للخلاص

وأنا لا أريد أن أقول إن الثورات ليست بضرورية مطلقا ؛ بل أريد أن أقول إنها ليست أقرب الطرق إلى عودة المسيح[3] « milennium » وليس هناك من طريق مختصر إلى الحياة السعيدة سواء أكانت فردية أم اجتماعية ، ولكن لكى نشيد حياة سعيدة علينا أن نشيد الذكاء ، وضبط النفس والمشاركة الوجدانية ، وهذا أمر كمى ؛ أمر إصلاح تدريجى وتدريب مبكر وخبرة تربوية. والذى يجعل مكانا للاعتقاد فى الإصلاح الفاجئ هو عدم الصبر فقط ، والإصلاح التدريجى الممكن ، والطرق التى يبلغ إليه بها ، أمور قد تكفل بها علم المستقبل ، ولكن فى مقدورنا أن نقول شيئا الآن ، وطرفا مما يمكن قوله . وسأحاول معالجته فى فصل ختامى

عبد الجليل السيد حسن

---

(٣) يعتقد المسيحيون أن المسيح سيعود إلى الأرض ويحكمها مدة ألف عام ويعلوها عدلا بعد أن ملئت جورا وتدعى هذه الفترة milennium

شوقية أخرى لم تنشر

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

قد يعجب قراء الرسالة الكرام فى كافة الأقطار الناطقة بالضاد من حبى وإعجابى بشعر خالد الذكر أمير الشعراء شوقى بك . والسبب فى ذلك بسيط جدا ، وهو أننى أعد شوقى القمة الشامخة فى الأدب العربى ، تلك القمة التى لا يدانيها أحد قط منذ أن جدد بشار حتى الآن إلا حبيب بن أوس الطائى الملقب بأبى تمام، أستاذ الشعراء فى عصره، والذى أعده أثقف شعراء زمانه ، فحبيب عندى من الشعراء القلائل الذين قلما تجود العربية بهم . وهو يختلف عن ابن الرومى وأحمد بن الحسين بسمة أفقه وخصب خياله وعمق ثقافته . ومن تصفح ديوانه وقرأ شعره قراءة دراسة واستقصاء علم ما أذهب إليه . ولا أريد فى هذه العجالة أن أحلل شعره ، أو أشير إلى مواطن الإبداع فى قصائده ، أو أختار له من نفائسه شيئا ، وإنما هى عجالة الجانى إليها كلمة جاءت عرضا ، لذلك لم أشأ أن أمر على شعر أبى تمام دون أن أشير إلى آياته التى أبدع فيها ، وخصوصا بائيته الخالدة ومطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

ورائيتـه :

الحق أبلج والسيوف عوار ... فحذار من أسد العرين حذار

ونونيته التى تمد فى مصاف الرائية :

بذ الجلاد البذ فهو دفين ... ما إن به إلا الوحوش قطين

ومنها هذا البيت الخالد :

قد كان عذرة مغرب فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الأفشين

ومنها هذه الأبيات :

فأعادها تعوى الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالأمس وهى عرين

جادت عليها من جماجم أهلها ... ديم أمارتها طلى وشؤون

كانت من الدم قبل ذاك مفاوزاً ... غيرا فأمست منه وهى معين

وغيرها من القصائد التى يحفل بها الديوان . هذه كلمة مناسبة قلتها وأود أن أتوسع فيها فى وقت آخر؛ وخاصة عند تعرضى للدراسة الدكتور محمد مهدى البصير عن هذا الشاعر ؛ تلك الدراسة التى اشترتها منه وزارة معارف العراق العمومية بـ (٧٠٠) دينار وهى لا تستحق حتى المطالعة . فإذا ما قلت فى المقدمة إن خالد الذكر المرحوم شوقى بك قمة شامخة فى الأدب العربى فأنا لا أتعدى الواقع . وقبل أسابيع نشرت قصيدة له لم تنشر فى ديوانه، واليوم أزف لعشاق شعره قصيدة أخرى عثرت عليها عند صديقى الأستاذ الشاعر خضر الطائى وهو محقق ديوان المرجى . وقد كان هذا الأستاذ قد حصل عليها منذ سنة ١٩٣٠ ميلادية وبقيت فى أوراقه حتى هذه الأيام . وقد نظمها أمير الشعراء شوقى بك فى تكريم الأستاذ سامى شوا عازف الكمان الشهور بعد عودته من أمريكا . وها أنذا أزفها إلى تلك الطبقة المثقفة فى البلاد العربية كما زففت من قبلها قصيدته « جهاد مصر الوطنى » . وقبل أن أدرج لهم القصيدة نفسها التى دعاها شوقى بـ « صاحب الفن » أود أن أهمس فى أذن صديقى الأستاذ على شوقى بك وزير مصر المفوض فى باريس أن لوالده رواية « الست هدى » و « البخيلة » ولا زالتا مخطوطتين ! فهل من الواجب الأدبى والوطنى أن تبقى مخطوطات سيد شعراء العربيـة فى دهاليز النسيان ؟ ! هذا ما أردت أن أعاتب به صديقى على بك النجل الأكبر لأمير الشعراء ، وعسى أن تكون هـذه الكلمة منبهة له أو لأخيه الأستاذ حسين صاحب كتاب « أبى شوقى » ...

لاشك أن القارئ الكريم مل من هذه المقدمة وهو يرغب فى الشوقية التى لم تنشر إلا سنة ١٩٣٠ فى جريدة مصرية عثر عليها صديقنا الأستاذ خضر الطائى الشاعر العراقى المعروف، وها هى :

صاحب الفن

يا صاحب الفن هل أوتيته هبة ... وهل خلقت له طبعا ووجدانا
وهل وجدت له فى النفس عاطفة ... وهل حملت له فى القلب إيمانا
وهل لقيت جمالا فى دقائقه ... غير الجمال الذى تلقاه أحيانا
وهل هديت لكنه من حقائقه ... يرد أعمى النهى والقلب حيرانا
الفن روض يمر القاطفون به ... والسارقون جماعات ووحدانا
أولى الرجال به فى الدهر مخترع ... قد زاده جدولا أو زاد ريحانا
العبقرية فيه «غير»(1) مالكة ... إذا مشى غيره لصا وجنانا
لا تسأل الله فنا كل آونة ... واسأله فى فترات الدهر فنانا

* * *

ياواحد الفن فى أشجى معازفه ... هذا أوان الثناء العدل قد آنا
يارب ليل سمرنا الراح فاختلفت ... على بنانك للسمار ألحانا
تلك اللعيبة من عود ومن وتر ... لولا بنانك لم نحمل لها شانا
قد آنست رحمة فى الصدر فاتكأت ... بجانب الأذن تستوحيك شيطانا
كأنها عش طير هاج آهله ... من كل ناحية ينساب أشجانا
ضممتها وتواصت راحتاك بها ... ضم الوليدة إشفاقا وإحسانا
على عليها الذى توحى إليك به ... كأن «داود» و «المزمار» مابانا
حركتها فأتاها الروح فاندفعت ... تبكى وتضحك أوتاراً وعيدانا
ياطيبها حين تحدوها بحنجرة ... كخرطم النحل أرواحاً وألوانا
مصرية النبر وهابية(3) عذبت ... شدواً ونوحاً وترجيعاً وتحنانا
ذكرت خلقا وراء البحر مغترباً ... مآلفاً وصبابات وأوطانا
غنيتهم بأغانى المهد فالتمسوا ... فى ملتقى القوس والأوتار لبنانا
ولو هتفت « بيتهوفن » ما انصرفت
لك القلوب وإن صادفت آذانا
سقيتهم من سلاف طالما دخلت ... عليهم المهد أعناباً وألبانا
فن تعطل منه الشرق آونة ... وكان شغل بنى العباس أزمانا

بهذا يختم شوقى هذه الرائعة التى قالها فى تكريم أمير الكمان الأستاذ سامى شوا عند عودته من أمريكا. ولا أريد أن أعلق عليها بمثل ما علقت على قصيدته السالفة، لأن فى العراق أقواما يسوؤهم أن يكون شوقى أعظم شعراء العربية بعد أبى تمام، فهم يريدون أن تقول – وتجازف بالقول – إن الرصافى أعظم منه. وأنا لا أريد أن أجارى هؤلاء ومنهم الدكتور مهدى البصير وبعض أساتذة الأدب العربى فى العراق، لأننى أفهم منهم لمعانى الشعر ودقائقه، ولكن على رغم ذلك أقول إن شوقى هو الشاعر المملاق، وغيره من شعراء العراق كالرصافى والزهاوى ماهما إلا أقزام صغار؛ فهلا يعتبر الجاهلون

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

(1) كلمة غير أظنها محرفة
(2) اللعيبة — تصغير لعبة وهى الدمية
(3) أى موهوبة *

* (الرسالة) الأقرب إلى الصواب أن تكون وهابية منسوبة إلى عبد الوهاب المغنى المعروف وقد كان شوقى شديد الاعجاب به

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

« بداية ونهاية » لنجيب محفوظ :

« بداية ونهاية » دليل مادى لا ينكر ، على أن الجهد والمثابرة جديران بخلق عمل فنى كامل . لقد أتى على وقت ظننت فيه أن نجيب محفوظ قد بلغ غايته فى « زقاق المدق » ، وأنه لن يخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام . أقول غايته هو لا غاية الفن ، لأن « زقاق المدق » كانت تمثل فى رأى الظنون أقصى الخطوات الفنية بالنسبة إلى « إمكانياته » القصصية . ولهذا ، خيل إلى أن مواهب نجيب قد « تبلورت » هنا وأخذت طابعها النهائى وتوقفت عند شوطها الأخير . ومما أيد هذا الظن أن « السراب » وقد جاءت بعد « زقاق المدق » كانت خطوة « واقفة » فى حدود مجاله المألوف ، ولم تكن الخطوة الزاحفة إلى الأمام !

كان ذلك بالأمس . أما اليوم ، فلا أجد بدا من القول بأن « بداية ونهاية » قد غيرت رأيى فى « إمكانيات » نجيب ، وجعلتنى أعتقد أنه قد بلغ الغاية التى كنت أرجوها له ، غايته هو وغاية الفن حين كانت الغايتان مطلبا عسير المنال !

إننى أصف هذا الأثر القصصى الجديد لهذا القصاص الشاب ، بأنه عمل فنى كامل . هذا الوصف ، أو هذا الحكم ، مرده إلى أن أعماله الفنية السابقة كانت تفتقر إلى أشياء ؛ تفتقر إليها على الرغم من المزايا المختلفة التى تحتشد فيها وتحدد مكان صاحبها فى الطليعة من كتاب الرواية !

ماذا كان ينقص نجيب قبل « بداية ونهاية » ؟ ماذا كان ينقصه فى « خان الخليلى » و « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » و « السراب » ، لقد كان نجيب فى هذه الروايات الأربع ، يملك من الخطوط الفنية ما يتيح له أن يخرج « التصميم العام » للقصة وهو سليم فى جملته . ومع ذلك فقد كان ينقصه عنصر الالتزام الدقيق لحدود « الواقعية الأولى » فى عرض حوادث القصة وتوجيه حركات الشخوص . وأقول « الواقعية الأولى » لأن « الواقعية الثانية » كانت هى الساحة الكبرى التى دأب نجيب على أن يعرض فيها أكثر نماذجه البشرية !

إن الفرق بين هذين اللونين من الواقعية هو أن اللون الأول نقل « مباشر » لصور الحياة وطبائع الأحياء ، كما هى فى الواقع المحس الذى تلمسه العين وتألفه النفس . أعنى أن تكون الحادثة القصصية أو النموذج البشرى مما يقع كل يوم فى محيط اللقطة البصرية والنفسية ؛ أعنى مرة أخرى أن يكون تمثلنا للحوادث والشخصيات تمثيلا شعوريا لا ذهنيا عندما نقارن بين حقيقتها على الورق وبين حقيقتها فى الحياة . هـذا هو اللون الأول وهذه هى مظاهره ، أما اللون الثانى من الواقعية وهو ما نعبر عنه با « لواقعية الثانية » ، فهو التصوير « التقليدى » لا « الطبيعى » للحوادث اليومية والنزعات الإنسانية . أو هو تلك النسخة من الحياة التى يمكن أن نقول عنها إنها « قريبة » من الأصل ، ولا يمكننا القول بأنها « طبق » الأصل ، ونسخة كهذه مها اقتربت من الواقع فهى نسخة « مقلدة » على كل حال . . وقد يكون الفن فى جوهره تقليدا للحياة ، ولكن رسالة الفنان هى أن يشعرنا بأن المشهد الذى يصوره أصيل لا أثر فيه للمحاكاة . وإلا يترك لنا فرصة للشك فى أن هنـاك اختلافا بين الصورة الحقيقية والصورة المنقولة ، أو أن هناك حلقة اتصال مفقودة بين الواقع والمثال !

نجيب محفوظ فى أعماله الفنية السابقة هو ذلك القصاص الذى يمثل « الواقعية الثانية » فى الكثير الغالب من الأحيان . ولست أنكر أن « للواقعية الأولى » مجالا فى فنه ، ولكنه المجال « المحدود » تبعا لطريقته الفنية التى تغلب عليه فى كتابة القصة . هذه الطريقة الفنية أساسها أن نجيب مولع بأن يضع كثيرا من نماذجه البشرية تحت مجهر التحليل النفسى ، ليتخذ من سلوكها الإنسانى مادته الرئيسية فى تحليل ما يقع تحت المجهر من « حالات مرضية » ! قل إذا شئت إنه يطبق بعض الأصول من « علم النفس المرضى » على كثير من أبطال قصصه

« المنحرفين » ، وأنه تبعاً لهذا التطبيق يفرض على فنه أن يسير فى خط اتجاه نفسى محدد تدور فيه الشخصية « المريضة » من البداية إلى النهاية ؛ تدور فيه بقوة الدفع « المرضية » التى تبرر سلوكها فى محيط « الواقعية الثانية » . . من هنا يخرج نجيب بعض الشئ على منطق « الواقعية الأولى » ، لأنه يجبر حوادث القصة وحركات الشخوص على أن تسير نحو غاية معينة ، تحقيقاً لمنهجه الفنى الذى يلتمس عند النتائج المادية تفسيراً للظاهرة النفسية أو تشخيصاً « للحالة المرضية » . وتشعر أن التشخيص النفسى لهؤلاء « المرضى » غير سليم فى بعض الأحيان، ومرجع هذا الشعور إلى أن سلوكهم مفروض عليهم فرضاً ولا علاكون فيه حرية الاختيار !

هنا مفرق الطريق بين واقعيتين : « الواقعية الأولى » و « الواقعية الثانية » .. هذه صورة « تقليدية » للحياة كما قلت ، وتلك صورة « طبيعية » . وموقف الفن بينهما واضح عندما نضع أنفسنا أمام هذه الحقيقة ، وهى أن النموذج البشرى فى حدود الواقعية الأولى موجود فى الحياة « بالفعل » ، وأنه فى حدود الواقعية الثانية موجود فى الحياة « بالإمكان » . . أى أننا إذا رجعنا إلى بعض الشخصيات التى رسمها الأستاذ محفوظ فى أعماله الفنية السابقة ، وسألنا أنفسنا هل هى موجودة بيننا حقاً تروح وتجىء ، وتقع عليها العين وتدركها الحواس ، ونشعر نحوها بشئ من الألفة التى تخلق بيننا وبينها نوعاً من المشاركة الوجدانية ؟ إذا سألنا أنفسنا هذا السؤال فإننا ننتهى إلى هذا الجواب : وهو أنها غير موجودة « فعلا » ولكنها « ممكنة » الوجود ؛ أى أن وجودها غير متعذر لأن منطق الحياة يهضمه إذا « وجد » وكذلك طبيعة الأحياء . ومن هنا نلمس الفارق الدقيق بين كلمتين : (موجود) .. و (ممكن أن يوجد) ، وبالطبع لا يضيق الفن بالكلمة الأخيرة وإن كان يفضل الكلمة الأولى بلا مراء !!

هذا عنصر من العناصر الفنية كان ينقص نجيب محفوظ . وثمة عنصر آخر كان ينقصه ، وأعنى به « التذوق الشعورى » الكامل للحياة . . هناك قصاص فهم الحياة حق الفهم وخبرها كل الخبرة ، ومع ذلك فهو يتذوقها بقدر معلوم لا يتناسب وخبرته العميقة وفهمه الأصيل ؛ فما هو الفارق بين طبيعة « الفهم » وطبيعة « التذوق » فى حياة القصاصين ؟ لتوضيح هذا الفارق الفنى نقول : إنك تفهم الشئ بعقلك ولكنك تتذوقه بشعورك ، أعنى أن الفهم أداته الذهن الفاحص، وأن التذوق أداته الإحساس الرهيف . . إنهما طاقتان : طاقة عقلية وطاقة شعورية ، والذين قويت عندهم الطاقة الأولى وضعفت الثانية هم الذين تتوقد فى نفوسهم شعلة الفهم ، وتخبو شعلة التذوق ، بالنسبة إلى كل قيمة من قيم الأشياء وكل معنى من معانى الحياة. إن هناك مثلا من « يفهم » قصيدة من الشعر ؛ يفهم فيها اللفظ والمعنى ، ويفهم فيها الوزن والقافية ، ويفهمهما شرحاً إن طلبت إليه الشرح والتفسير . ومع هذا كله فهو لا يستطيع أن « يتذوق » فيها الوحدة الفنية ، ولا الظلال النفسية ، ولا التجربة الكبرى وهى مصبوبة فى بوتقة الشعور .. وقل مثل ذلك عن الذى يفهم « النوتة الموسيقية » للحن من الألحان ، ثم لا يتذوق جمال اللحن ، ولا يهتز فيه لروعة الإيقاع ، ولا يستجيب لأنغامه التصويرية !

إن فهم الحياة هو أن نفتح لمشاهدها أبواب العقل ، وأما تذوق الحياة فهو أن نفتح لتجاربها أبواب القلب .. إننا « نراها » هناك تحت إشعاع الومضة الفكرية ، و « نتلقاها » هنا تحت تأثير الدفقة الوجدانية ! وعلى مدار هذه الكلمات تستطيع أن تنظر إلى نجيب محفوظ فى أعماله الفنية السابقة .. إنك لا تستطيع أن تجرده من التذوق الشعورى للحياة ، ولكنه التذوق العابر الذى لا يتناسب وخبرته العميقة بها وفهمه الأصيل !

ويبقى بعد ذلك عنصر فنى ثالث كان ينقص هذا القصاص الموهوب .. أتدرى ما هو ؟ هو تلوين الأسلوب القصصى تلويناً خاصاً يتلاءم وجو المشهد المصور ، أو طبيعة النموذج البشرى المرسوم . . فى القصة مثلا موقف إنسانى يتطلب عند تصويره أسلوباً معيناً تتوفر فيه لمسات الشاعرية ، وموقف آخر لا تحتاج فيه إلى مثل هذا الأسلوب الشاعرى ، عندما نتناول الملامح المادية لمشهد من المشاهد أو لشخصية من الشخصيات ، بأسلوب السرد الفنى المألوف الذى تحتشد له القدرة على التقاط الجزئيات ، وهناك موقف ثالث يفرض علينا أن نعالجه بأسلوب آخر هو

أسلوب التجريد والتحليل ، حين تعترض طريقنا تلك اللحظات الزاخرة بألوان من الحركة الذهنية أو النفسية !

نجيب محفوظ في أعماله الفنية السابقة يكاد يستخدم أسلوبا واحدا في تصوير شتى المواقف والسمات ، وأعني به أسلوب الرد الفني المألوف .. مثل هذا الأسلوب إذا ارتضيناه في تلك المواقف المهيأة لتجسيد الملامح المادية المشاهد والشخوص ، وتجاوزنا عنه في تلك المواقف الأخرى المخصصة لتسجيل الحركة الجائشة في الذهن أو المختلجة في الشعور ، فإننا لا يمكن أن نسيغه بالنسبة إلى المواقف الإنسانية؛ لأنه يفقدها طابع الجو الشعري الذي يجب أن تعيش فيه ، هـذا الجو الذي إذا فقدته تعرضت للهمود واعتراها الفتور !

كل من هذه العناصر الفنية الثلاثة التي كانت تنقصه بالأمس: عنصر الالتزام الدقيق لحدود « الواقعية الأولى » ، وعنصر « التذوق الشعوري » الكامل للحياة ، وعنصر « التلوين الخاص » للأسلوب القصصي ؛ كل منها قد احتشد له اليوم في صورته القوية الرائعة في « بداية ونهاية » ، وإذا هـذه الرواية القصصية تعد في رأي النقد عملا فنيا كاملا لا مثيل له في تاريخ القصة المصرية . باستثناء « عودة الروح » لتوفيق الحكيم !!

« بداية ونهاية » قصة مصرية تمثل حيـاة أسرة . . أسرة تذوقت طعم الفقر وتجرعت ذل الفاقة ، بعد أن فرقت بينها وبين عائلها تلك اليد التي تفرق بين الأحياء . والفقر وحده هو المسئول عن البناء الذي تصدع والشمل الذي تبدد ، شمل الأسرة الـكادحة التي كان للتضحية عند كل فرد من أفرادها طعم ومذاق ... الأم، وحسين ، وحسن ، وحسنين ، ونفيسة ؛ كل نموذج من هذه النماذج البشرية التي كونت الهيكل الإنساني العـام للقصة ، قد فهم التضحية فهما خاصا وكانت له فيها وجهة نظر خاصة ؛ وجهة نظر حددت الطريق وقررت المصير .. كانوا فلاسفة حيـاة ؛ فلاسفة أخضعوا الفلسفة لمنطق الشعور المحترق بلهب الحرمان ، حتى خرج بعضهم من هذه الفلسفة وهو منحرف العقل مريض النفس ، والفقر وحده هو المحور الرئيسي الذي دار حوله السلوك الإنساني لهؤلاء المرضى المنحرفين !

هـذه الأم العظيمة كان عليها أن تكافح بعد موت الزوج لتخلق من هؤلاء الصغار رجالا يواجهون الحياة ، وهؤلاء الأبناء الأربعة لم يكن لهم مورد في الحياة غير تلك الجنيهات الخمسة التي كانت تأتيهم من معاش الوالد الراحل ؛ كامل افندي علي الذي أنفق في خدمة الحـكومة زهرة العمر وعصـارة الشباب! وماذا تفعل الجنيهات الخمسة لأسرة تواجه مطالب الحياة من مأكل ومسكن وملبس ومحافظة على المظهر القديم أمام الناس ؟! هنـا يبرز دور الأم . الأم الصابرة العاقلة الحـازمة المـكافحة في سبيل البقاء . لقد باعت أثاث البيت قطعة بعد قطعة لتسكت البطون الصارخة من وطأة الجوع ، وهجرت « الشقة » التي كان يدخلها النور والهواء ولجأت إلى أخرى عشش فيها البؤس والظلام توفيرا لقروش معدودات ، وقضى حسنين وحسين أيام الدراسة الثانوية بلا « مصروف » يومي يشعرهما بأن للحياة فرحة يستشعرها الصغار من الأحياء ، ومضت نفيسة تطرق الأبواب لتحصل لهم على الأجر الضئيل الذي كان يأتيها من حياكة الثياب بين حين وحين ، وهام حسن الذي دلله أبوه حتى طردته المدرسة ونبذته الحيـاة ، هام على وجهه في الطرقات بحثا عن لقمة العيش من كل طريق غير شريف !

ودارت عجلة الزمن والأم العظيمة الصابرة ما زالت تكافح..

كانت الطريق طويلة ، رهيبة ، قد انتثرت على جانبيها الصخور. ومع ذلك فقد مضت في طريقها لا تلوي على شيء : يد تجفف العرق المتصبب من حرارة الـكفاح ، ويد تدفع إلى الأمام بالقافلة المـكدودة التي أنهكها طول المسير ! لقد كان هناك أمل .. أمل يتراءى على جنبات الأفق البعيد فينسيهم أنهم مشردون وإن ضمهم مسكن ، عراة وإن سترهم ثوب ، جياع وإن حصلوا على الرغيف . أمل يتمثل في الغد القريب الذي سيفتح عيني الأم الصابرة المـكافحة على منظر فريد ، تسعد فيه برؤية الصغيرين وقد أصبحا رجلين ، يشغل كل منهما بعد الفراغ من التعليم مكانه المنتظر في دنيا الناس !

وجاء الغد المرتقب يحمل إليهم أول بشرى .. لقد ظفر

حسين بالبكالوريا والتحق بإحدى الوظائف فى مدينة طنطا . قبل الوظيفة الصغيرة ليستطيع أن يمد يد العون إلى أسرته . أخوه حسنين ، أمه ، أخته نفيسة ، كان من الظلم ألا يختصر طريقه فى الحياة ليخفف عنهم جزءاً من أعباء الحياة . ترى أكان بمكنهم أن يصبروا على شظف العيش حتى ينتهى من دراسته العالية ؟ محال ! وحين اطمأنت نفسه إلى هذه الحقيقة أقدم على التضحية وهو سعيد مرتاح البال

لقد ضحى حسين بآماله العراض . . إن المصير الذى ينتظره لن يفترق عن مصير أبيه ، وهو مصير الألوف من الموظفين الصغار ! مستقبل محدود مظلم ولكنها فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية فى كثير من الأحيان !

ونفيسة . . لقد ضحت هى الأخرى وكانت التضحية فادحة ، ضحت بالشرف الغالى والعرض المصون . . كانت فقيرة ، ودميمة ، وأين هو الزوج المأمول وقد حرمت إلى الأبد عزة المال ونعمة الجمال ؟ رجل واحد يستطيع أن يقبلها زوجة وتعيش معه تحت سقف واحد ، رجل مضيع فى الحياة مثلها فقير دميم ! ولقد وجدت يوماً هذا الرجل . . هذا الحيوان الذى استجابت له مرغمة تحت تأثير الحلم الجميل ، حلم كل عذراء قبيحة الوجه وجدت بعد طول انتظار من يقول لها إنك جميلة ، يا زوجة الغد القريب !

وسقطت نفيسة . . وفر الحيوان الذى سلبها الشرف وتركها وحيدة تواجه الخاتمة فى معركة المصير . وقالت لنفسها يوماً : ماذا بقى لك يا بائسة ؟ لا مال ، ولا جمال ، ولا شرف . . هل بقى شىء تحرصين عليه ؟ هل هناك ذرة من أمل فى زوج جديد ؟ وحين قهقه فى أعماقها الجواب . . انطلقت تلبى رغبات الجسد عند كل عابر سبيل ! وأمها ، وإخوتها ، لا أحد يعلم بما انتهت إليه من ضياع . انحدار إلى الهوة السحيقة الرهيبة ولكنها فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية فى كثير من الأحيان !

وحسن ، ذلك الشريد الهائم فى الطرقات . . ماذا فعلت به المقادير ؟ لقد جاع . . جاع لأنه لا يصلح لأى عمل « نظيف » ، لقد فقد القدرة على أن يحيا حياة نظيفة ، مرتبة ، هادئة ، فيها أمن وفيها استقرار ! هناك فى الحياة خط سير يستطيع أمثاله أن يسلكوه . . خط سير يعج بالدروب والمنحنيات التى تختفى فيها الكرامة ، والشرف ، والفضيلة ، والإنسانية . . قيم ستختفى إلى الأبد ، ومثل ستذهب إلى غير معاد . . ولكن ستظهر بعدها اللقمة الدسمة التى تشبع كل معدة خاوية ، وسيقبل فى إثرها الثوب الجديد الذى ينعش كل جسد مهان ، وستخطر البسمة المشرقة التى تسعد كل شعور ملتاع ، وهذا هو خط السير الذى سلكه الفتى الشريد . . يتجر بالمخدرات ، ويعيش مع العاهرات ، ويالها من حياة . حياة ينكرها عليه الشرفاء من أسرته وفى طليعتهم أخوه حسنين ، ذلك الفتى الطموح الذى تخرج فى الكلية الحربية وأصبح ضابطاً فى سلاح الفرسان !

من فيض هذه الحياة الآثمة الهابطة استطاع حسن أن يخلق من العدم حياة أخوين . . ساعد الأخ الموظف حتى استقر فى وظيفته ، ساعده بتلك الأساور الذهبية التى سطا عليها من بيت عشيقته ذات صباح ، ولولا التضحيات الهائلة التى قدمها لأخيه الضابط لما استطاع أن يسدد أقساط الكلية الحربية ، وأن يرتدى الحلة الأنيقة ذات النجمة الصفراء . . ومع ذلك يعيره الضابط الشريف بحياته الشائنة ، ويحاول جاهداً أن ينتشله من وهدة الإثم والهوان ! لقد انحرف حسن وحاد عن الطريق ، ولكنها فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية فى كثير من الأحيان !

أما حسنين ، الملازم حسنين كامل على فقد كانت تضحيته من ذلك النوع النادر فى حياة البشر . . كان فتى طموحاً منذ نشأته الأولى فى « عطفة نصر الله » بحى شبرا ، تلك العطفة الحقيرة التى لم تحد من طموحه يوم أن كان تلميذاً صغيراً بالمدرسة التوفيقية ! كان طموحاً رغم فقره ، ورغم حاجته ، ورغم البيئة التى نشأ فيها ولم تكن توحى لأحد من أبنائها بأمل أو طموح . . إنه يقارن منذ أن صار ضابطاً بين يومه وأمسه ، فيشعر بهول

الفارق بين حاضره وماضيه ! هذه العطفة الحقيرة التي شهدت أيام بؤسه وبؤس أسرته يجب أن تغادرها الأسرة إلى مكان بعيد ؛ مكان يسدل على الماضي البغيض ستارا من النسيان . . حسبه أن تلك العطفة القذرة قد شهدت أثاث بيتهم وهو يباع قطعة بعد قطعة ليعيشوا على الكفاف . وحسبه مرة أخرى أن تلك العطفة القذرة قد شهدت أخته نفيسة وهي تسعى إلى كسب عيشهم بعد أن كلت قدماها من السير وتعبت يداها من طرق الأبواب . وحسبه مرة ثالثة أن تلك العطفة القذرة قد شهدت رجال البوليس وهم يقتحمون المسكن الذليل بحثا عن أخيه المجرم الطريد . . كل شيء قد فسد يستطيع حسنين أن يصلحه إلا شيئا واحدا يتعذر معه الإصلاح ، وهو أن يهتدي حسن إلى الطريق القويم ! لقد استطاع الفتى الطموح أن ينتقل بأسرته إلى مصر الجديدة ، وأن يرد إلى نفيسة كرامتها وكرامة الأسرة حين حال بينها وبين الهوان !

وهناك ، في ذلك المكان الجديد الآمن تنفس حسنين الصعداء . . لقد بدأت الحياة تبتسم بعد طول التجهم والعبوس ، حين انقطعت أخبار حسن الذي كان يهدد طموحه وسمعته ونظرته إلى المستقبل كلما فكر فيه ! و « بهية » ، تلك الفتاة التي أحبها في عطفة نصر الله وخطبها إلى أبويها وهو تلميذ صغير ؛ تلك الفتاة « البلدي » الفقيرة الساذجة لم تعد تصلح لأن تكون زوجة لضابط عظيم . . إن زوجة المستقبل وشريكة الحياة هناك في ذلك القصر الأنيق الذي ذهب إليه « خاطبا » منذ أيام . إنه يريد أن يقطع كل علاقة كانت تربطه بعطفة نصر الله ، ولو كان له في تلك العطفة حب قديم ، حب قضى بين أحضانه أجمل أيام العمر وأسعد لحظات الشباب !

لقد اختفى حسن ، واستقرت نفيسة ، وذهبت بهية ، وبقي أن يفتح القلب على مصراعيه ليستروح أنسام السعادة التي كان يحلم بها منذ بعيد . . ولكن القدر لا يريد للأسرة البائسة المسكينة أن تستريح ، ولا يريد للفتى الطموح الآمل أن يسعد بأحلامه وأمانيه ! لقد هوى بضرباته السريعة المتلاحقة على أحلام العمر فبعثرها مع الريح في كل طريق . . لقد حيل بينه وبين حبه الجديد ، حين رفضت الأسرة العريقة المترفعة أن تصاهر ضابطا يتهامس الناس حول أخته ويتحدثون عن أخيه . وحين أفاق الملازم حسنين من الصدمة الأولى زلزلت كيانه الصدمة الثانية ، حين جيء إلى بيته بأخيه حسن محمولا تنزف منه الدماء ، وعليه أن ينتظر اللحظة الرهيبة المقبلة في أعقاب الشقيق المجرم طريد القانون . . وأقبلت اللحظة الرهيبة المنتظرة ، حين طرق الباب رجل من رجال الشرطة ليستدعيه إلى قسم البوليس . حسن ! بالطبع ليس هناك غير حسن ، تلك السحابة السوداء في أفق يتذر بالغيوم . . وحوله ، حوله وحده ينتظره هناك سؤال وجواب !

وفي قسم البوليس وجد أخته الساقطة بدلا من أن يجد استجوابا عن أخيه الطريد .. لقد ضبطت نفيسة في بيت يدار للفساد !! وأظلمت الدنيا في عينيه وضاق الفضاء .. لقد فقد كل شيء : فقد حبه ، وفقد أمله ، وفقد سمعته ، وفقد في الحياة القصيرة التي ملأها بالأحلام كل حلم جميل ! وأخذ أخته وخرج إلى أين ؟ لا يدري فكره ولا تدري قدماه .. إن في أمواج النيل الحانية مثوى لكل بائس شريد منبوذ من الحياة ، هكذا قالت له نفيسة حين سألها أن تحدد لنفسها الطريق ! ومضت أمامه ومضى خلفها إلى هناك . . إلى حيث يتاح للبائسين أن يعرفوا طعم الراحة بعد طول العناء ! وقال الملازم حسنين لنفسه : لقد حكمت عليها بالإعدام فقبلت الحكم وهي راضية صابرة مستسلمة للقضاء . . وما كان أشجعها وهي تستقبل الموت وكأنها تستقبل الزوج الحبيب الذي قضت العمر تفتش عنه في دروب الأمل . . امرأة ضحت بأيام الحياة فرارا من قسوة الحياة ، وأنت ؟ أنت يا رجل ، ماذا تنتظر ؟!

ترى هل كان الملازم حسنين شجاعا حين لحق بنفيسة ، أم كان جبانا حين فر من لقاء الناس ؟ مهما يكن من شيء فقد كانت تضحيته فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية في كثير من الأحيان !

أنور المعداوي



في عالم النقد :

الوجـــودية

« مهداة الى الدكتور محمد النصاص »

للاستاذ علي متولي صلاح

يكتب الكثيرون عن الفلسفة الوجودية ، وعن المذهب الأدبي الوجودي ، فيتهمون المذهب بالشذوذ والانحراف عما يقضي به العقل السليم ، ويرمونه بأنه انتكاس للطبيعة الإنسانية ، ورجوع بها إلى حال الهمجية والبدائية الأولى ، وهم في ذلك لم يبلغوا من فهم هذا المذهب شيئا ، ولم يدرسوه دراسة تبيح لهم أن ينالوه بهذه المطاعن ، والناس — بعد — أعداء ما جهلوا ، وهم أسرع إلى الاتهام ، وأشد نهضة إلى كلمة السوء !

وكان آخر ما كتب في هذا الصدد تلك الكلمة الفجة المبتسرة التي كتبها الأستاذ أحمد الصاوي محمد في « الأهرام » منذ أيام ، فلم يبسط فيها رأيا ، ولم يتكلم فيها بشيء عن قواعد المذهب الوجودي ومقوماته ، ولكنه ابتدر أصحابه بالإساءة رأسا حيث كتب يقول :—

« هل المخلوق ليس إلا عدماً ! ؟ من ذا الذي يقول ذلك غير زعيم « الوجوديين » جان بول سارتر زعيم ذلك الخليط العجيب من الناس الذين اجتمعت كلمتهم على تقبيل بعضهم بعضا في المقاهي دون أن يعرف بعضهم بعضا ؟ . لقد شهدت باريس أمس روايته التمثيلية الجديدة « الشيطان والله سبحانه » ! ولم يجتمع لرؤيتها أولئك « الحرافيش » الذين ينتسبون إلى أستاذهم ؛ وهم في ثياب مهلهلة مفتوحة ، بل اجتمعت طائفة من أشهر نجوم السينما . »

والعجيب في أمر هذا المذهب أنه — ولو أن زاعمه لم تتفتح بعد — قد تعرض لأذى كثير ، وسخرية كبيرة من الناس ، ونقم عليه الشيوعيون والبورجوازيون وأصحاب المذاهب المتطرفة كما نقم عليه الوطنيون والاستعماريون المحافظون ، ولعنه الكاثوليكيون والراديكاليون الفرنسيون ، وأولئك يعادون الكاثوليكيين أشد معاداة ! واتخذه الناس رمزاً للقبح والسفه ، حتى ليروى جان بول سارتر أن سيدة فرنسية تعتذر عما يصدر منها من عبارات غير كريمة في ساعات غضبها بقولها « يبدو أني قد أصبحت وجودية » !

ولكن أصحابه صامدون لهذا الأذى الذي يتناولهم الناس به ، مؤمنون بأنهم يقومون للإنسانية بأجل خدمة ، إذ ينشرون مبدأ « الحرية » والعزة والكرامة الإنسانية ، ويبشرون بأن الإنسان هو أثمن شيء في الوجود ، وبأنه يجب أن يحيا كريما عظيما حرا

والوجودية لا تذهب هذا المذهب الذي ألصقه بها الأستاذ أحمد الصاوي في زعمه أنها لا ترى في المخلوق إلا عدما !

إن المذهب الوجودي لا يرى هذا الرأي ، وإنما يرى نقيضه تماما ، إنه يرى الإنسان هو كل شيء في هذه الحياة ، ويراه محور كل هذه الدنيا التي نعيش فيها ، إليه يرجع كل عمل ، ومنه يصدر كل تغيير أو تبديل لأوضاع الحياة ، ومن أجله تقوم التشريعات والتقاليد والنظم ، فكيف يراه عدما وهو في رأيه جماع ذلك كله ؟

تقوم الوجودية على فلسفة ومذهب في الأدب ينقض كل ما سبقه من مذاهب أدبية كالسوريالية والواقعية والرومانتية وما إلى ذلك من المذاهب الصغيرة كالدادية والتكعيبية وسواهما من مختلف المذاهب

أما الفلسفة الوجودية فتقوم على أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي له كامل الحرية في تكوين ماهيته على الوجه الذي يراه ، وعلى الصورة التي يبغيها ، وهو يقوم بذلك قويا قادرا غير خاضع للبيئة والظروف كما تنادي بذلك نظرية « تين » ، ولا خاضع للاطار العام للدولة كما ينادي بذلك « كارل ماركس » الذي يجعل من الإنسان آلة أو أداة في يد الدولة لا أكثر ولا أقل ! لا يدور إلا في فلكها ، ولا يتعدى تفكيره تفكيرها

وفى هذه الفلسفة السرترية ما يأباه علينا إيماننا ، وليس من بأس أن نتركه ولا نستمسك بأهدابه ، ولا على المذهب الأدبى السرترى بعد ذلك من بأس إذا هجرنا الفلسفة السرترية واستمسكنا به ، ونبذناها واتبعناه ، وإن كان فى حقيقته وجوهره منبنيا عليها ومتفرعا عنها

وأما المذهب الأدبى الوجودى الذى ينادى به جان بول سارتر : فإنه يقوم على ما يسمى « التزام الآداب » ومعناه أن يكون للأدب هدف ، وأن يكون الأدب فى الحياة عملا إنشائيا إيجابيا فى خلق الحياة الفاضلة ، وتغيير الحياة السيئة وتطويرها ، فالكاتب الذى التزم الكتابة قد حمل نفسه مسئولية عظمى فى هذه الحياة ، أو على الأصح حمل نفسه أعظم مسئوليات الحياة جيما ، فهو يكتب لا لتزجية فراغ ، ولا لإظهار البراعة اللفظية والمقدرة اللغوية ، ولا ليقيم مهرجانات ومواكب من المباراة الوسيقية الخلابة . ولكنه يكتب ليكشف الحياة لنفسه وللناس ، ثم ليدعو الناس إلى عمل ما بإزاء هذه الحياة ، يدعوهم إلى حبها إن كانت تستحق الحب ، وإلى تغييرها إن رآها تستوجب التغيير ، وإلى هدمها واقتلاعها من جذورها إن وجدها جديرة بذلك . . فالكتابة — عند المذهب الوجودى — عمل من الأعمال أو قل إنها أهم عمل من أعمال الحياة ، وعلى الكتاب تقع مسئولية ما فى الحياة من عوج وشذوذ وفساد أول ما تقع ، والكلمات عند سارتر إنما هى أسلحة نارية ، ومن تكلم أو كتب فقد أطلق هذه السهام ، والكاتب مسئول عن الحياة اليومية الواقعية للناس وللوجود ، ومن هنا كان اشتقاق اسم هذا المذهب الذى يشارك فى الوجود وفى الحياة مشاركة فعالة ، منتجة مغيرة ، هدامة فى بعض الحالات ، والكتاب مشتركون ، أو هم قادة للجهاد السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الحياة التى يعيشونها ، وعليهم أن يعرفوا ذلك تماما ، وأن يفترضوا لما يكتبون أوسع انتشار وأعظم دوى وأبعد صدى

والوجودية — فى تحميلها الكاتب كل هذه المسئوليات — إنما تلتمسها من الحرية العريضة التى تفترضها فيه ، إنها تفترض فيه حرية شاملة كاملة لا يحد منها شئ ، حرية لا تفشاها مثل ومبادئ سابقة ، ولا تقهرها ظروف أو بيئة ، فالكاتب الحر قدير على أن يهزم هذه الظروف ويرتفع على تلك البيئة ، ولا تحدها وطنية ضيقة ، فالكاتب الوجودى لا يقف عند حدود وطنه ، بل يتعداه إلى دفع الظلم أيا كان موطنه ، ومحاربة الفساد فى أى مكان يراه ، فسارتر مثلا دافع عن الزنوج وانتصر لهم على الأمريكان فى روايته المسماة « العجبة الخفية » التى قام بترجمتها الكاتب الوجودى المصرى « الدكتور محمد القصاص » والتى نرجو أن ينشرها على الناس حتى يتعرفوا بحق بعض المبادئ الإنسانية العالية التى ينطوى عليها المذهب الوجودى

والوجودية تطلب إلى الكاتب ألا يهرف فى الهواء ، ويرثى الحريات المضيمة ، ويبكى الظلم فى الحياة ، ويذرف الدمع سخينا على خلو الحياة من العدالة وما إلى ذلك . إن الوجودية لا تعرف هذا النواح فى الهواء الطلق ، ولا البكاء فى الخلاء المريض ، ولكنها تطلب إلى الكاتب أن يحارب ظلما بعينه واقعامن ظالمين بأعينهم ، على مظلومين بأعينهم ! إنها تطلب إلى الكاتب أن ينظر حواليه ، فإن وجد ظالما أخذ بتلابيبه وحاربه حربا لا هوادة فيها ولا رحمة ، فإن سكت الكاتب عن ظلم يراه ويشهده فقد خان الأمانة وخرج — بسكوته عن محاربة هذا الظلم — على قواعد المذهب الوجودى الصحيح

والوجودية تطلب أن يكون الناس متفقين مع أنفسهم ، صادقين معها فى السر والعلن ، يحملون مسئولية ما يفعلون ، ولا يتنصلون من عمل يعملونه ، وألا يكونوا أوغادا منافقين يصنعون ما يطلبه إليهم ذلك الشاعر الذى يقول : —

فالبس لحال جديدا والبس لآخر رثا !

تلك هى الخطوط الرئيسية جدا ، للمذهب الوجودى ، قصدنا بها إيضاح حقيقة هذا المذهب وإن كان إيضاحا يسيرا قصيرا . وما أحرانا نحن المصريين أن نستمسك بأهداب هذا المذهب ، فالفساد عندنا مستشر ، والنفاق عندنا عام مشترك ، والحريات عندنا مضيمة مهدرة . وما أحرانا — قبل ذلك كله — ألا نخوض فى حديث لم نسبر غوره ، ونتعرف — بعد — وجه الرأى فيه ، كما يفعل أولئك الذين يعيبون المذهب الوجودى . وأغلب الظن أنهم لا يعرفون منه إلا اسمه !

على متولى صلاح



أسرار النفس

تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

للدكتور زكي المحاسني

أحب أن أعرب عن خواطري في تأليف الفلسفة الحديثة . فإن كثيرا من كتبها التي صدرت في السنوات الأخيرة كان مترجما إلى العربية من اللغات الغربية ، أو مقتبسا أو مصنوعا للطلاب يتدارسونه في معاهدهم . ولم أجد سوى القليل من كتب الفلسفة بمعناها الصحيح الذي يكون دراسة للفكر والشعور ، وفيضا للتأمل ، أو حكما على المجتمع ، وتجربة ذاتية للمؤلف

من هذا القليل المنشور كتاب « أسرار النفس » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني . ولقد شعرت وأنا أقرأ هذا الكتاب أني أعيش في عالم فلسفي مع الفلاسفة ، فرحت أجول في صفحاته وآرائه بنظري وعقلي . وكانت نفسي تنجلي كلما مضيت شوطا في القراءة والتأمل . فما أجمل أن نقرأ صور العقول مرسومة على الصفحات يخاطبنا أصحابها بسديد من آرائهم ، ويزجون لنا بمناظر من نفوسهم

كتب الدكتور الأهواني كتابه هذا بروح فلسفية مجربة . فليس هذا الأثر مدرسيا صنعه من أجل طلابه وتلاميذه ، وإنما جعله مرآة يستطيع كل مفكر أن يرى فيها نفسه ، وأن يتلمس عندها حسه . إنه تجاريب بسيكولوجية ، وتأملات فلسفية صافية في الكون والفساد ، والحياة والمشاعر ، وفي وصف الأحاسيس ، والتشريح الروحي

مضيت فيه شوطا أستكشف معاني لمسي وشمي ، وأسبر أعماق ذوقي وسمعي ، لأجد عوالم لا تنتهي . ومن حظنا — مع فنائنا على الأرض — أن نمرح قليلا في تفهم كوننا الذاتي ، ومعرفة أنفسنا ؛ لنعلو على طبقة الحيوان الأعجم . وجميل بالفيلسوف البصير أن يدلنا على نفوسنا دلالة محكمة ، ويمضي بنا وهو حامل مصباحه الوقاد ليبدد لنا في ظلمات نفوسنا أغوارها الدامسة

ما أقدر الدكتور الأهواني على ربطه للذوق بالشم ، وما أجود فلسفته التي ركبها على محور نصبه بين الأذن والعين . العين هذا الإبداع الإلهي الذي تجلس من حواليه كل عدسات المناظير وهي حيرى في تكوينه ، حسرى عاجزة عن مجاراته . كذلك كان المؤلف الحكيم يربط بين خلجات الأنفس ومشاعر الوجود ، داخلة إلى دنيانا الروحية من مسالك السمع وشقوق النظر . وحين تبحر في تفصيل الذوق ذكرني بقولة قالها فولتير وهي : « أستاذك ذوقك » وقد تناول في هذا الفصل ذوق اللسان وأذواق الأرواح

ومن ههنا تتجه فلسفة هذا المفكر الأديب اتجاها اجتماعيا ينساب إلى أذواق الأقوام في طعامهم ومعايشهم . وهل كان أجدى على الناس من البحوث التي تتناول روح الجماعات في ذوقها وحسها . وحين فرغ من بابه الذي سماه : « على الدرب » استطعت أن أعرف منهجه في التأليف . فهو يطرح الموضوع طرحا ، ثم يطرقه من أطراف شتى ليستنتج منه حقائق في البشر والوجود ، يصوغ منها عظات بالغات ، ثم يطبق آخر الأمر أحكامه على بلده وقومه فينقد ويوجه أو يفند . فهو بذلك مفلسف أو مصلح

وأراني أنظر في فصول بكتابه لها لون آخر ، ولاسيما الفصل الذي فيه انتقال الفكر من إنسان إلى آخر . وهذا هاجس يعجبني ، فقد جربت أن أنقل ما يدور برأسي إلى أناس معي ، فكنت أصيب قليلا وأنعثر في الخطأ كثيرا . وقفت مرة على جزار في دمشق فرأيت المنوم الدكتور سلمون يشتري لحما . وكان مبلا من مرض ، وأعصابه مكدودة . فلم أشأ أن أمازحه بشيء من التأثير الفكري فما كدت أقف قريبا منه دون أن يراني حتى التفت إلي وقال :

— لا تشفق علي فإني أستعيد قدرتي على قراءة الأفكار . وقد عرفتك الساعة تفكر في انهدام نال أعصابي فتزهد في مزاحك

وخرج الدكتور الأهواني من انتقال الأفكار إلى السحر الذي يعرفه العامة في مصر ، فساق شواهد من سحر الأقدمين مسحوبة إلى عصر المحدثين ، ثم أجال الطرف في شجون الروح وشؤونها ، وانتقالها وتعبيرها ، حتى أوشك أن يحطنا حول مائدة

خشبية تنقر الروح عليها نقرات هي رموزها الغيبية . ثم ألزم بحثه هذا مبضع نقده فشق به شعوذة المشعوذين ، وكذب الدجالين . وجره هذا البحث الأسطوري إلى بحث آخر هو أعلق بالحياة وأحلى ؛ هو الاتصال الروحي وقديماً قيل : « بين الروح والروح سبيل »

قلت في مستهل الكلام إن الدكتور الأهواني فيلسوف مجرب . ففي كتابه كثير من الشواهد التجريبية . وكان خير المتفلسفة أهل التجاريب . . . وفي كل إنسان مقدرة على هذا الاتصال الروحي تبدو فيه قوية أو ضعيفة . ويموزها الصفاء ، فكلما صفت خواطرنا ، ورقت نفوسنا ؛ اتصلنا بأرواحنا ، وهفا بعضنا إلى بعض ولو كان بيننا ضيق السدود . ولقد سمعت بعض الصوفيين يعزي في الحب نفسه ويقول :

— إني لأعشقها من غير أن تعلم بي

ثم سدد بطرفه شطر الأفق وقال :

— لا أطمع بوصال ، حتى الزوال

كنت عصاري يوم في القاهرة منذ ثلاث سنين ، مزمعاً من الغداة عودة إلى دمشق ، وبي شوق ولهفة إلى رؤية صديق . فقلت لا بد من ذلك قبل السفر . وانطلقت لأبحث عنه في الدروب وإذا بي ألقاه في غير مشقة بناصية « عماد الدين » فابتدرني بقوله .

— والله خشيت سفرك دون أن أراك ، فأنا الساعة أبحث عنك

ويأبى على فيلسوفنا المؤلف طبعه فلا يفوت على قرائه ولا على نفسه بحثاً هو اليوم من أطرف بحوث الفلسفة النفسية المعاصرة ؛ ذلك كلامه على الأحلام . وكنت أوثر أن يتفرغ هذا الصديق إلى كتاب يصنفه في قضية الأحلام عند المسلمين والمفسرين كابن سيرين وأضرابه . وكيف تطورت الأحلام في الفلسفة الحديثة حتى صارت من أروع البحوث في التحليل النفسي عند الفلاسفة الفرويديين

ومنذا الذي خلا ليله من حلم . إننا لنرقد جميعاً مثل الأطفال ، وحين يسيطر علينا السكرى بسحره الأزلي ويطرحنا في المضاجع هناك ترف على جفوننا رؤى لا حد لها . رؤى زاهية التلوين ، أسطورية التكوين ، منسوجة من خيوط جنية . ونستفيق بغتة فلا نعلم لها سبباً . تفر من أيدينا بمباهجها ونعيمها وجمالها الإلهي الذي لا مثيل له في الوجود . فإذا حلمنا بخير وددنا لو كان حقاً ، وإذا رأينا في المنام شروراً فزعنا إلى اليقظة فحمدناها أن لم تكن الشرور جائعة في الحقيقة

تلك أسرار نفوسنا . فمن يدلنا عليها ؟ . لقد صنع جميلاً المؤلف الأهواني في أن يعرفنا بأنفسنا ، ويغوص بنا على أسرارها الرهيفة ، فكان كتابه أحد ذخائر العصر في علم النفس الحديث . سأقول له حين ألقاه :

— لقد أدخلتنا إلى بيوت أنفسنا . وفي نفوسنا مجال لمنظر لا ينتهي التطلع إليه مدى الحياة ...

فإذا بدأت كلامي على إيثاري لفلسفة التجريب أعجبت لخواتيم المؤلف في كتابه حين ورد كلامه على المداوة والمودة فلم يقع في نقص القادرين على التمام ؛ وأعان ببراعته على ردنا إلى نفوسنا — وقد تركناها — وكان له أسلوب المحدث المتبسط ، وقلم الكاتب المترسل . وحين انتهيت من قراءة كتابه ذكرت من أجله معجزة القرآن الكريم في آيته النفيسة التي يقول فيها : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

القاهرة — زكي المحاسني

الهوامل والشوامل

لأبي حيان التوحيدي

تحقيق الدكتور أحمد أمين بك والأستاذ السيد صقر

من الشخصيات التي أضافت إلى تراثنا الأدبي والفكري ثروة يعتز بها تاريخنا الأدبي ؛ والفكري ـ أبو حيان التوحيدي ـ فقد رزقت هذه الشخصية من القدرة على الأداء الفني الجميل . والتحليل النفسي العميق وإبداع ، آيات فنية لا تزال ترف نضارة على تتابع العصور . لقد وثب فن الأسلوب على يدي التوحيدي — وثبة لم يستطعها غيره من كتاب النثر الفني القديم ، وبلغ أسلوبه من الصفاء والعمق ما مكن له من أن يحتل الذروة بين أصحاب الأساليب . .

ولكن هذه العبقرية قد قست عليها الأقدار فاستهدف صاحبها في حياته لألوان قاسية من البلاء الذي أصابه في رزقه



الرعايا هم العبيد :

أصدر الأستاذ خالد محمد خالد كتيبه الثاني (مواطنون لا رعايا) والكتيب — كما يتضح من عنوانه — إحدى صرخات الأستاذ في سبيل تصحيح الأوضاع الاجتماعية في هذا البلد

وكان طبيعياً أن يستقر هذا الكتيب في كل يد ، وأن تلتهم سطوره كل عين ، وكان طبيعياً أيضاً أن تلقفه أيدي الأفاضل من علماء الأزهر ، ولا عجب ، فالأمر أمس بهم وأدنى إليهم ، فالمؤلف عالم آثر الانطلاق والتجديد ، على التقييد والتقليد ، وأباح لعقله وفكره أن ينطلقا من إسار المتون والشروح ، والهوامش والحواشي ، إلى فضاء المجتمع المريض ، فعينه تقع على كل دقيقة فيه ، يرى بعض الناس كل الناس ، ومن بقى هملا ، قطعانا تسعى إلى ساقط العيش ، وترقل إلى دنى الرزق ، وما هي بمالئة منه بطناً ، ولا قريرة به عيناً ، بل ساغبة لاغبة ، واجفة خائفة ، لا ترى فيما حولها هدوءاً ولا أمناً ، فأنى لها أن تحسن الظن ؟ أنى ؟ !

وتعرض الأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي في العدد رقم (٩٣٦) من الرسالة الغراء للكتيب — أو بعبارة أدق لعنوانه — بالنقد : وكان كل ما أخذه على الكاتب أنه لم يكن موفقاً في اختيار كلمة (رعايا) لأن المعنى الذي سيقت إليه في الكتيب هو الذلة والعبودية ، وهذا يخالف معناها في كتب اللغة والحديث ! والذي وقع فيه حضرة الناقد ، عين ما أراد المؤلف نفسه على أن تتخلص منه ، وتنفر عنه ... !

لم يبحث الأستاذ الناقد عن معنى الكلمة في قاموس المجتمع الذي يلفظ أنفاسه ، تحت لذعات السياط ، وركلات الأقدام ، ولا في هذه الأزقة تشدها إلى بعضها مسكنة تستسلم صريعة لعوامل الفناء ، فوق أجساد عجاف !

ولا بين هذه الأكوام الآدمية التي تحظى دائماً بامتهاد الفرش الوثيرة على جوانب الشوارع ، حشوها (الزلط والأسمنت والقار) وتسعد دائماً بالتحاف الطبقات الرقيقة الرفيقة من نسائم الليل ، تداعب أوصالاً تتداعى في إلحاف إلى الانحلال والفرقة !

لم يبحث الأستاذ الفاضل عن معنى تلك الكلمة بين ذلك

وفي مكانته ، ولاحق تراثه بعد أن خلا وجه الحياة منه فأحال بينه وبين الحياة . وظل هذا التراث يعاني مرارة الإهمال ؛ وظلم التشويه هذا الأمد الطويل ؛ فإذا ما رزق — أبو حيان — من ينقذ آثاره ؛ ويخلصها من بطش الظلم ؛ وبراثن الموت ؛ وينفض عنها غبار القبر ؛ فقد رد للحياة الجانب الخالد من شخصية الرجل العبقري . وكانت يد للدكتور — أحمد أمين بك — في نهوضه بنشر آثاره ، والعناية بإصلاح ما أفسده الدهر من كيانها ، وشوه من معالمها ، حتى شق على النظر إدراكها . وما أشقها من مهمة لا يدرك ما فيها من صعوبة ، وما تتطلبه من جهد لا يقوى على تحمل أعبائه إلا من كان ذا عزيمة لا تهي ؛ وثقافة أدبية ؛ ولغوية واسعة عميقة . وليس هذا مما يتأتى للكثير . وكتاب — الهوامل والشوامل — أثر من آثار — التوحيدي — الناضجة الحية . وهو يدور على كثير من الأفكار التي كانت سدى ولحمة النسيج الفكري والأدبي ، في بيئة — التوحيدي — وعصره . وقد أخذ — التوحيدي — يعرض هذه المشاكل الأدبية والفكرية ويجيب عليها — مسكويه — فالكتاب من هذه الناحية مرآة تعكس أمام أنظارنا التيارات التي كانت تسود هذه البيئة . والكتاب بعد وثيقة تاريخية إذ هو يصور لنا مرحلة من مراحل تفكيرنا الأدبي والعلمي . وهو آية من آيات النثر الفني من حيث الأداء والتصوير . وللأستاذ — أحمد أمين بك — حسنة لا تجحد بتهيئة الميدان للأستاذ — السيد صقر — وإفساح الطريق أمامه ليتمكن من أن يستغل مواهبه وثقافته في هذا الميدان الذي شب وترعرع مولعاً به ؛ ممتزاً بالسير فيه . فكنت تراه وهو لا يزال في مطالع بواكير حياته الأدبية يعكف في — دار الكتب — الساعات الطوال بين المخطوطات القديمة يقرأ : وينقل ؛ ويستوعب ؛ وكانت الثمرة الأولى لهذا المجهود — تحقيق — ديوان علقمة الفحل — والأمل وطيد في انتظار الآثار التي يقدمها هذا الجندي في ميدان يشفق الكثيرون من اقتحامه ، وهو ميدان نشر تراثنا نشراً علمياً دقيقاً

محمد عبد الحليم أبو زيد

دبلوم في التربية وعلم النفس

كله ، ولكنه آثر أن يبحث عنه فى (القاموس) و (النهاية) و (المصباح المنير) . ! وهكذا ظن حضرته أنه قد أمسك بخناق المؤلف ، وورطه وأحرجه أيما توريط وإحراج ! وهو بعد ذلك وقبل ذلك ينحى على الكاتب باللائمة أن صرف وجهه عن هذا المنى القاموسى ، فهو لذلك مخطئ ، وخطؤه غير مغتفر ، لأنه عالم باللغة ، عالم بالدين . ولا شك أن الأستاذ الصعيدى لم يدفعه إلى لومه هذا إلا حبه للأزهر وحرصه على سمته وسمعة علمائه ، خشية أن يتمسك الناس بأخطائهم وهم الذين تفترض فيهم الإمامة

ومع ذلك فالمؤلف غير مخطئ ، وعنوان كتيبه ، عنوان الصواب . هو لم يشأ أن ينطلق إلى كتب اللغة يستوحيها معنى كلمته ، لأنه يعلم أن هذا هو مدخل البلاء على الأزهر ..! فعلماؤه ينفصلون تماما عن الحياة حولهم وما يعتورها من تطور وتغير ، ويؤثرون أن يعيشوا فى جوانبهم الخاصة

ولكنه طفق يبحث عن معناها بين الشفاه التى قددها الجوع ، والحلاقيم التى جففها الظمأ ، والضلوع التى أيبسها وطوحت بها أعاصير الداء ، لا مقادير القضاء . . !

طفق يبحث عن معناها بين هذه المواكب الحافلة بالبؤس والمذلة والشقاء ، والتى أطلق عليها سلفا وجهلا أنها رعية ترعى وشعب يساس

أليس فى أن الأولين يختصون بنصيب من حسن التدبير وحسن الإشراف ، وجميل العناية ، وأن الآخرين أقل من أن يقبل عليهم برعاية ، وأدنى من أن ينظر إليهم بإمعان . . ؟

فأين هذا التدبير الحسن ، وتلك العناية الجميلة . . ؟

أهما فى أن تجوع وتعرى أجساد وأكباد ، وأن تلهو وترتع أفراد وآحاد ؟

أهما فى أن تقتات الملايين شر القوت ، وتسام جدب المرعى ، وأن تكتظ معد العشرات بدمائهم وعروقهم ودموعهم . . ؟

أهما فى تلك الجحافل الساعية ليل نهار تسأل وتستجدى ..؟

أين يا سيدى اللقمة السائغة للمنكوب والمنكود . . ؟

أين الكسوة السابغة للمعروق والمكدود . . ؟

أين الجرعة الصافية للمتعوس والمطرود . . ؟

إن الرعايا فى مصر هم العبيد ، والعبيد فى مصر هم الرعايا ، وأنف كل قاموس راغم . .! **أحمد قاسم أحمد**

بينى وبين قرائى

تفضل الزميل الصديق الأستاذ عباس خضر فأشار فى كشكوله منذ قريب ، إلى أن بعض القراء قد سأله عن كاتب هذه السطور وسر انقطاعه عن الكتابة .. ولقد أفصح الزميل الصديق عن سر هذا الانقطاع بما لم يعد الحق والواقع

إننى أكتب هذه الكلمة لأؤكد لحضرات السائلين عنى ممن كتبوا إلى الأستاذ عباس وإلى ، أن ما وقع فى ظنهم حول صلتى بالأستاذ الجليل صاحب الرسالة ، كان أبعد من أن يطيقه منطق الصلات الروحية والودية بين الخلص من الأصدقاء !

لقد انقطعت عن الكتابة لأدفع إلى المطبعة بكتابين ، شغل أولهما وقتى بين تقديم الفصول ومراجعة الأصول ، وشغل الآخر قلمى بين التفكير والتحرير .. وبعد أيام سيكون الكتاب الأول بين أيدى القراء ، أولئك الذين طالما كتبوا إلى راغبين فى إصداره . أما الكتاب الثانى فسيكون بين أيديهم أيضا فى الغد القريب

ولا يسعنى بعد أن عدت بقلمى إلى هذا المكان الحبيب ، إلا أن أبعث بشكرى خالصا إلى كل من كتب إلى من مصر والبلاد العربية ، معبرا عن صادق الود وخالص الوفاء

أنور المعداوى

مستقبل الثقافة فى مصر

قرأت فى العدد ٩٣٦ من « الرسالة » الغراء أنه تألفت فى مصر شعبة قومية برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية لدراسة المسائل المهمة فى ميادين الثقافة والتربية والعلوم ، ودراسة أحوال البلاد فى هذه الميادين وتقديمها إلى الجهات المختصة لتنفيذها أو الاستفادة منها . وإن مجرد التفكير فى مثل هذا الأمر فى الوقت الحاضر ليدل دلالة واضحة على أن معالى الوزير الجليل رأى بفكره الثاقب أن يمهد لمستقبل الثقافة فى مصر طريق الازدهار بتأليف هذه الشعبة للتخلص من أنانية الحياة العقلية فى مصر وجمودها

ولا شك أن هذا رأى سديد ينطوى على إحساس صاحبه العميق بخطورة المجاعة العقلية التى يرزح الشعب تحت أعبائها

وراجة وإخلاص ، لأن البحث عن أثر هذه البيئات طوال الثلاثين عاما الأخيرة فى حياة الشعب الاجتماعية يثبت أن الجهود الذى بذلته فى ذلك السبيل أفضى إلى نتائج خطيرة مفزعة : إلى الفقر والجهل والمرض ، إلى الضعف والخلف والتخلف ، إلى اللهو واللعب والتحلل ، إلى غير ذلك مما نشكو منه ونتوجع

البغيضة فى النصف الثانى من القرن العشرين . وإنا لنأمل أن توفق الشعبة القومية فى تحقيق الأغراض النبيلة التى تألفت من أجلها . وفى الواقع أن الحياة العقلية فى مصر الآن تعانى مشكلة من أ كبر المشا كل ، وهى أنها حياة الخاصة وليس للعامة حياة عقلية بالمعنى الحقيقى . ونحن إذا أردنا النهوض بالشعب المصرى وجب أن يصل نور العلم والمعرفة إلى عقول الفلاحين والعمال قبل أن يصل نور الكهرباء والماء النظيف إلى أ كواخهم ومنسا كنهم . وإذا أردنا أن يصل نور العلم والمعرفة إلى ملايين العقول المظلمة ، وجب أن نبدأ أولا بإصلاح البيئات العلمية والمناطق التعليمية إصلاحا شاملا يتناول الأشخاص والأدوات والمناهج والأساليب لتؤدى رسالتها على الوجه الأ كمل فى قوة وصراحة وإخلاص ، لأن البحث عن أثر هذه البيئات طوال الثلاثين عاما الأخيرة فى حياة الشعب الاجتماعية يثبت أن الجهود الذى بذلته فى ذلك السبيل أفضى إلى نتائج خطيرة مفزعة : إلى الفقر والجهل والمرض ، إلى الضعف والخلف والتخلف ، إلى اللهو واللعب والتحلل ، إلى غير ذلك مما نشكو منه ونتوجع

(سرابيوم) محمد يوسف الغزالى



دموع صغيرة

للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان « رأفت بك » يغادر المحطة واضعا يديه فى جيب معطفه الصوف الثمين وقد رفع ياقته حتى تلتف حول عنقه ، فقد كان الجو شديد البرودة والريح سريعة الهبوب ... وكان بين آن وآخر يلتفت خلفه ليستعجل الحمال الذى يحمل حقيبته بكلمات مقتضبة. وكان الحمال أو بعبارة أدق الصبى الذى يحمل الحقيبة فى الثامنة من عمره ؛ وكان يعدو خلفه بخطوات سريعة وهو يشعر بنشوة تدفئ جسمه وتسعد خواطره . . فهو يأمل خيرا فى ذلك الأفندى الأنيق . . . سيعطيه ثلاثة قروش من غير شك ؛ فمظاهر الثراء التى تلوح عليه تحمل « حسونة » على أن لا يتنازل عن هذا المبلغ ، وهو مبلغ لا بأس به . سيستطيع أن يشترى « سندوتش » بقرش ويذهب بالباقى إلى السينما . وهكذا يكون مثل محروس الذى لا يفتأ يفخر عليه بأنه يذهب إلى السينما ، ويشاهد (الشجيع) وهو فى إمكانه أن يجمع نقودا كثيرة ويذهب بها إلى السينما كل مساء مثل محروس ، لولا أن بقية الحمالين يسبقونه إلى أمتعة الركاب فهم أقدر منه على السير وسط الزحام ، وهم أبرع منه فى ركوب القطار أثناء سيره فيقومون بتنزيل أمتعة المسافرين ، وبذلك يكون لهم وحدهم حق المساومة فيها . وهكذا يبقى هو تحت رحمة الظروف . وقد أوشك اليوم أن يمضى دون أن يحمل شيئا لأحد من الركاب لولا أن ساقت إليه الأقدار ذلك الأفندى الأنيق الذى ينزل من القطار دون أن يساعده أحد فى إنزال حقيبته . هو الآن سعيد من غير شك ؛ ففى إمكانه شراء « السندوتش » وما دام الوقت عصراً فيمكنه أن يكتفى به عن العشاء ، وفى إمكانه أيضا أن يذهب إلى السينما فيرى « الشجيع » ويتعلم منه كيف يقفز إلى القطار أثناء سيره ، وكيف يشق طريقه وسط الزحام ببراعة وقوة ، بل كيف يتغلب على محروس نفسه حين يساومه على حقيبة أحد المسافرين . أليست هى تلك الأشياء التى تعلمها « محروس » من الشجيع ، والتى يفخر بها دائما على « حسونة » ؟ . .

وكفت طيور أحلامه عن التحليق حين وقف « رأفت بك » أمام محل يبيع لعب الأطفال : فقد نسى لكثرة مشاغله أن يشترى شيئا منها لأبنائه من القاهرة ، وهو لا يستطيع أن يدخل عليهم بدون أن يحمل لعبهم المفضلة ... ووقف « حسونة » يتأمل اللعب فى سذاجة الأطفال ، ويبدو أنها قد أعجبته إلى حد كبير فقد نسى أن يضع الحقيبة عن كتفه أثناء شراء اللعب !

وسار « رأفت بك » من جديد يتبعه « حسونة » ... ولكن خواطره فى هذه المرة كانت تختلف تماما عن ذى قبل ... إن الطفل الراقد فى أعماقه ... الطفل المستتر خلف هذه الثياب الخلقة

التى مزقتها أنواء الحياة ... الطفل الذى قست عليه ظروف المجتمع فحرمته لعبه حين حرمته أبويه ... هذا الطفل قد تنبه فجأة ليهتف بحق ضائع، حتى ضاع فى غمار ذلك المجتمع الذى تضيع فيه حقوق اليتامى والمشردين ... وهتف فى صمت : ما أجمل اللعب وما أجمل ...وما أجمل أن تكون له إحداها !

واستقرت نظراته على حصان من المطاط جميل يحمله « رأفت بك » فيما يحمل من لعب . ما أروع أن يكون هذا الحصان له؛ إذن لواصل النفخ فى ذيله المثقوب حتى يكبر ويستوى حصانا كاملا ؛ ثم يضمه أمامه ويتأمله بعين فرحة هى عين طفل !

ليت ذلك الأفندى يعطيه إياه بدلا من أجرته؟ وهم بأن يسأله ذلك لولا أن تذكر فجأة أن ثمنه أكثر من أجرته ...

واستولت عليه الدهشة حين أعطاه « رأفت بك » جميع اللعب ليحملهـا بدلا عنه ... لم يخطر بباله مطلقـا أنه فعل ذلك ليتسنى له وضع يده فى جيب معطفه ، وإنما تساءل فى حيرة أتراه أدرك رغبته فى التفرج على تلك اللعب ؟

أتراه فهم تلك الرغبة من نظراته القلقة التى كانت تتردد بين اللعب والطريق منذ غادر المحل ؟ مهما يكن من شئ فهو سعيد مادامت تلك اللعب ملء حضنه الصغير، وما دام ذلك الحصان قد وجد فى يده يتحسس جلده الناعم فى شغف كبير !

كانت تلك هى المرة الأولى التى تمنى فيها « حسونة » أن يطول الطريق ! وكانت تلك هى المرة الأولى أيضا التى مضى فيها الطريق بسرعة !

وكان حسونة يشعر بضيق نفسى غامر حين ضغط « رأفت بك » « زر » الجرس الكهربائى فى شقته . . . وانفرج الباب عن وجوه صغـيرة فضـة كانت تستبق إلى رأفت بك ، فهذا الصغير يطوق عنقه فى لهفة ، وذاك يثب على كتفيه فى مرح، وذلك يهتف فى غبطة : ماذا أحضرت لنا يابابا ؟

وهنا التفت رأفت بك إلى الحمال الصغير ليأخذ منه اللعب ، وهنا أيضا كان « حسونة » هدفا لمشاعر مختلطة مبهمة بدت حيرة فى عينيه واستحالت وجوما على شفتيه، مشاعر لم يتضح منها فى خاطره غير تلك الرغبة الملحة فى أن يـكون له لعبة كهؤلاء الأطفال، أليس هو مثلهم ؟ بل إن فيهم من يكبره !

وانحسرت موجة الشاعر المختلطة عن عواطفه حين أعطاه « رأفت بك » قطعة فضية من فئة الخمسة قروش حدق فيها ببلاهة ثم قال له ليس معى « فكة » يا بك . . . . ولـكن البك الذى تأثر بوجومه وانقباضه قال له فى عطف وهو يربت على كتفيه

ـ كلها لك ياشاطر . . . !

وضم حسونة يديه معا على القطعة الفضية وجعل يتأمل وجه الأفندى الأنيق بذهول ثم تمتم بعبارات متقطعة ...

— ربنا يخليك يابك ...

وسار فى الطريق من جديد. كان شئ واحد هو الذى يتمثل فى خاطره ، الحصان الجميل . . . وكان سؤال واحد هو الذى يلح عليه

— ماذا يمنعه الآن من شراء الحصان ... ؟

ومضت لحظات قصيرة . . . كان بعدها يمسك بحصـان المطاط ويضم ذيله المثقوب فى فمه الصغير وينفخ فيه بملء رغبته .. حتى إذا استوى حصانا كبيرا جعل يتأمله فى مرح طافر . ثم طاف بذهنه خاطر جميل : لماذا لايذهب إلى المحطة ليتفرج عليه صاحباه « عطوة » و « أمين » ؟ ولمـاذا لا يريه لمحروس ؟ ويزهى عليه به !

وجعل يعدو تجاه المحطة وكله فرح وسعادة . وبعد حين من العدو تقاربت خطواته وبدأ يتمهل فى سيره ...

كان يشعر بأنفاسه تتلاحق، وبأعصابه توشك أن تتفكك ، وبعينيه يكاد أن يختنق فيهما النور ...

كان هناك إحساس آخر بدأ يشعر به ؛ إحساس لم يراوده منذ حين ... منذ مر مع الأفندى الأنيق ببائع اللعب ... إحساس بالجوع ... !!

ونظر حسونة إلى الحصان فى ضيق هائل وانهال عليه بأسنانه يمزقه ثم ألقى به بعيداً فى غيظ

وتابع خطواته المتخاذلة تجاه المحطة وهو يذرف فى صمت حزين دموعا صغيرة !

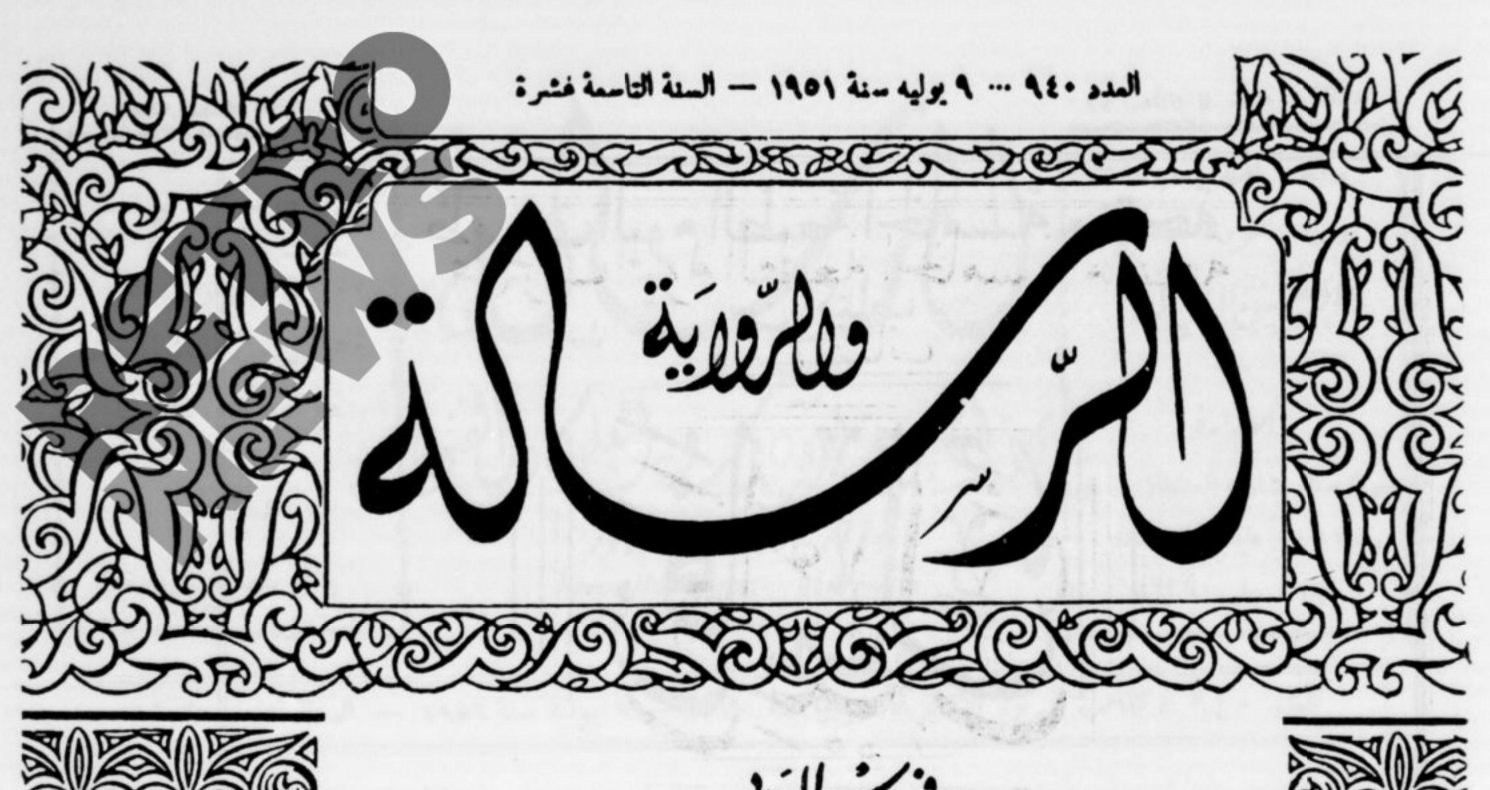
محمد أبو المعاطى ابو النجا



مطبعة الرسالة



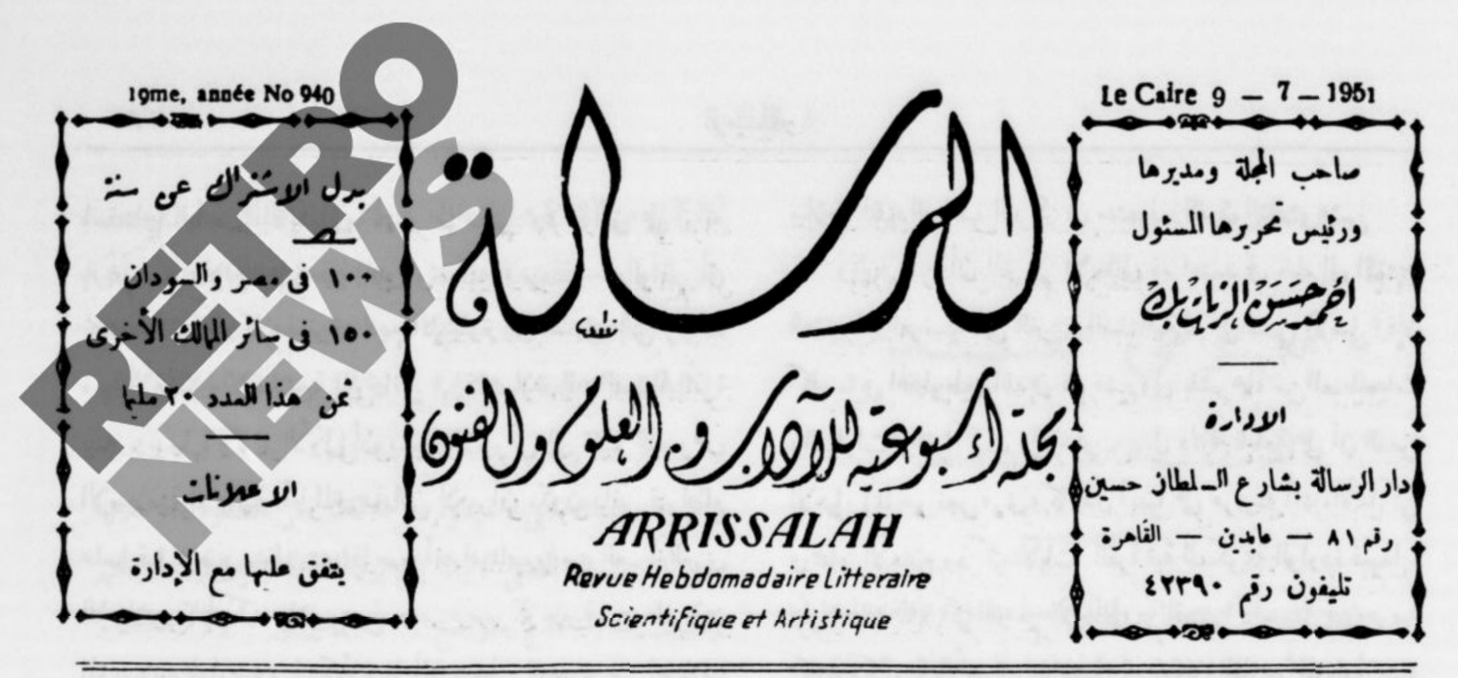
العدد ٩٤٠ ... ٩ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٠٣

مجلات الموقع العلوم والفنون



العدد ٩٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ شوال سنة ١٣٧٠ — ٩ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

كشف أدبى مهم :

ترجمتان لقصة « المعراج »

إحداهما لاتينية والأخرى فرنسية

للمستشرق الايطالى أمبرتو ريزيتانو

الأستاذ بجامعة فؤاد الأول

من المعروف أن دانتى الجيبرى شاعر إيطاليا العظيم الذى عاش فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر — قد وضع ملحمة فذة هى « الكوميديا الإلهية » التى تعتبر أنضج ثمار الآداب الإيطالية ، ولعلها أسمى تحفة فنية ظهرت حتى الآن. وقد ترجمت الكوميديا الإلهية إلى جميع لغات العالم ، كما نقلت نثرا إلى اللغة العربية ، أو بالأحرى لخصت فى هذه الترجمة العربية رحلة دانتى إلى الجحيم والأعراف والجنة

وكثيرا ما نقب العلماء والباحثون أثناء القرن الماضى عن المصادر التى استقى منها دانتى فكرته فى وضع الكوميديا. وطالما تساءل المهتمون بالدراسات الخاصة بالشاعر الإيطالى ومعاصريه من الكتاب عما إذا كانت فكرة دانتى فى ملحمته مبتكرة أو مقتبسة . ولقد مضت على ذلك سنوات دون أن يتقدم هذا البحث تقدما مرضيا ، ودون أن يتعدى الأمر مرحلة الترجيح . وذلك لأن الباحثين لم يكن فى استطاعتهم أن يحصلوا على البراهين القاطعة فى هذا الموضوع . أما فى أوائل القرن العشرين فقد تطورت الأبحاث الخاصة بالمصادر التى استقى منها دانتى فكرته ، وتمت بفضل مجهودات المستشرق الأسبانى آسين بلاثيوس الذى أخرج إلى الناس فى سنة ١٩١٩ بحثا قيما عنوانه :

La escatologia musulmana en la Divina Comedia

أى « العقيدة الإسلامية فى الكوميديا الإلهية » فلما ظهر هذا البحث كان له وقع عظيم فى نفوس المهتمين بالدراسات الدانتية ، ولا سيما أولئك الذين لا يشكون فى أصالة فكرة الشاعر الإيطالى .

ولقد امتاز بلاثيوس فى هذا المؤلف بدقة التحليل والتعليل على عادته فى كل ما بحثه وكتبه أثناء حياته من البحوث العلمية الخاصة بالاستشراق . وكان بلاثيوس يعتمد فى بحثه هذا على تبحره فى دراسة الفلسفة العربية والعقيدة الإسلامية ، وبصفة خاصة على إلمامه الوافى بكل ما يخص النشاط العلمى والثقافى فى بلاد الأندلس فى الوقت الذى التقى فيه الشرق الإسلامى والغرب المسيحى التقاء أدى إلى ازدهار رائع فى الآداب والفنون والعلوم

هذا وقد أشار بلاثيوس فى مؤلفه إلى ما بين الكوميديا الإلهية والعقيدة الإسلامية الخاصة بالبعث والقيامة وخلود النفس من تشابه وتقارب، كما أشار إلى كل ما فى الكوميديا الإلهية من صلة بالحديث المعروف عن قصة « المعراج »

أشار بلاثيوس إلى هذا كله إشارة وافية. ومن فرط افتتانه بالموضوع الذى استهواه وملكه نسب إلهام دانتى فى وضع منظومته الخالدة إلى المفكر الصوفى ابن عربى الأندلسى الذى عاش فى القرن الثالث عشر . وسرعان ما استفاض الحديث عن هذا البحث واتجهت إليه أنظار المهتمين بالموضوع الذين انقسموا كما هى العادة فى مثل هذه الظروف إلى فريقين : فريق أيد نظرية بلاثيوس وفريق عارضها ، وظل الفريق المعارض غير مقتنع

باستنتاج الباحث الأسبانى القدير على دقتها ولا موافق على آرائه بالرغم من دلالتها على علمه المتين وثقافته الرصينة . والواقع أن بحث بلاثيوس كان يضعفه عدم الإشارة إلى السبل التى وصلت منها الأفكار الإسلامية إلى دانتى ، وذلك لانقطاع الصلة المباشرة بينه وبينها ، وكان الأولى أن يشير بلاثيوس إلى تلك النصوص الإسلامية الأصلية أو المترجمة التى لابد أن يكون دانتى قد اطلع عليها قبل وضع منظومته إذا صح أنه استلهمها من العالم العربى الإسلامى كما أكد بلاثيوس . وبعد معركة حامية بين الفريقين المؤيدين والمعارضين لكثرة ما أثاره هذا البحث من اختلاف الآراء وافتراق الأهواء ؛ خيم السكون على هذا الموضوع مدة من الزمن دون أن يصل الفريقان إلى تسوية ما بينهما من اختلاف، ودون أن يقتنع فريق برأى الفريق الآخر

ظلت الأمور على هذه الحال حتى نشر المستشرق الإيطالى مونيرى دى فيبار فى عام ١٩٤٤ مؤلفا هاما عن دراسة الإسلام فى أوروبا أثناء القرنين الثانى عشر والثالث عشر، ولفت واضعه أنظار الباحثين إلى مخطوطين : أولهما مكتوب باللغة الفرنسية ومودع بمكتبة أكسفورد؛ والآخر مكتوب باللغة اللاتينية علىك المكتبة الأهلية بباريس، وكلاهما يشتمل على ترجمتين غربيتين لقصة المعراج كما رواها أهل الحديث. وافترض المستشرق الإيطالى إذ ذاك أن الترجمتين أصلهما واحد وجاء من بعده المستشرق الإيطالى تشيرولى ودرس المخطوطين وسرعان ما أثبت بطريقة لا تحتمل الشك صدق نظرية « مونيرى » وقد نشر أخيرا هذين المخطوطين وأضاف إليهما كل ما استطاع إضافته من المقدمات والحواشى والتفسيرات لتوضح المسألة التى كانت موضع الخلاف

أما المخطوط المشتمل على الترجمة اللاتينية فعنوانه

liber scalae Machometi

وأما المخطوط الفرنسى فعنوانه livre de l'Eschiele Mahomet

ومعناهما « كتاب معراج محمد » وهو مؤلف غفل لم يعرف واضعه للآن، ترجم أولا من اللغة العربية إلى اللغة القشتالية (نسبة إلى قشتالة) من لغات أسبانيا ، وكان الذى قام بترجمته هو « إبراهيم الفقيه اليهودى » الذى كان طبيبا ببلاط الملك الصالح الأسبانى ، كما نقله فيما بعد من هذه اللغة إلى اللغتين المذكورتين آنفا الكاتب الإيطالى. بونافنتورا داسيينا الذى كان سكرتيرا ببلاط الملك السالف الذكر فى منتصف القرن الثالث عشر

وبالرغم من أن المترجم الإيطالى قد اعتمد فى نقله إلى اللغتين اللاتينية والفرنسية على الترجمة القشتالية لا على النص الأصلى ؛ فإن كل ما فى المخطوطين اللذين قام تشيرولى بنشرهما، من المصطلحات والعبارات والتراكيب والأسلوب يدل دلالة قاطعة على أن النص الأصلى إنما هو نص عربى، كما يدل أيضا على عروبته أسماء الأماكن وأسماء الأعلام وذكر الآيات القرآنية الكريمة الواردة فيهما . ولولا ذلك لما ذكر المترجم الإيطالى بونافنتورا داسيينا جملا عربية كاملة مكتوبة بالأحرف اللاتينية؛ فى إمكان القارئ الملم بلغة الضاد أن يعيدها إلى أصلها العربى بكل سهولة مهما طرأ عليها من التحريف. ولكن ماذا يا ترى يكون ذلك النص العربى المجهول ؟ ومتى ألف ؟ وأين ؟ ومن عساه أن يكون مؤلفه ؟

يمكننا بالرغم من عدم استطاعتنا الإجابة عن هذه الأسئلة كلها — أن نثبت على الأقل أن المصدر العربى الذى استقيت منه الترجمات الثلاث لابد أن يكون كتابا عربيا يشتمل على قصة المعراج كما كانت تروى فى بلاد الأندلس فى القرن الثالث عشر . وبمجرد أن ترامى إلى سمع الملك ألفونس المذكور وجود قصة طريفة من هذا النوع أمر بترجمتها حتى يستطيع علماء الغرب أن يطلعوا عليها

هذا وقد يتساءل الباحث عما إذا كانت ترجمة من هذه التراجم الثلاث كانت معروفة فى إيطاليا أثناء القرون الوسطى ؟ والإجابة فى هذه المرة لابد أن تكون بالإيجاب ؛ إذ ورد ذكر هذا الكتاب الخاص بقصة المعراج فى مؤلفين من مؤلفات كاتبين إيطاليين ، عاش أحدهما فى منتصف القرن الرابع عشر وعاش الآخر فى أواخر القرن الخامس عشر، وليس هذا إلا دليلا على انتشار المعلومات عن العقائد الإسلامية وفلسفة العرب فى بلاد أوروبا ولا سيما فى إيطاليا فى القرون الوسطى . هذا ولم يقتصر المستشرق تشيرولى على نشر الترجمتين الفرنسية واللاتينية ؛ وعلى ملخص الترجمة القشتالية فحسب، بل أضاف إلى ذلك قسما آخر يبرهن على هذا الذيوع ، كما أضاف قسما ثالثا جمع فيه كل الشواهد التى تثبت هذا الانتشار ، وعلى رأسها حوار جرى بين النبى محمد (ص) وعبد الله بن سلام اليهودى، ترجمه إلى اللاتينية أرمانو الدلماطى سنة ١١٤١ — نقلا عن الكتاب المعروف باسم « رد الكلام فى مسائل عبدالله بن سلام »

البقية على صفحة ٧٩٧

في دنيا الشعراء

من وحي العيـــد

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

من الناس فئة وهبها الله خيالا خصبا وقادا، وعاطفة مشبوبة، وحسا مرهفا دقيقا، وشعورا فياضا رقيقا، هؤلاء هم الشعراء المطبوعون الذين مازهم الله عن غيرهم بالقدرة على رسم الصور وتصوير ما يجول بخاطرهم وما يعتمل في قرارة نفوسهم من مشاعر وأحاسيس، بخلاف الإنسان العادي الذي يحس الألم ويجد الحزن، ويشعر بالسرور ويتذوق اللذة، ولكنه يعجز عن التعبير عن شيء من ذلك

بل إن الشاعر المطبوع يمتاز بالقدرة على النفاذ إلى أغوار النفس البشرية، وإلى قرارة ما في الكون من حقائق لا يستطيع إدراك أسرارها غيره ممن لم يوهبوا موهبته

لذلك تراهم لا تمر بهم حادثة أو مناسبة إلا سجلوها في شعر يعبرون فيه عما لهذه أو تلك من أثر في نفوسهم، بل وفي نفوس الشعوب التي ينتسبون إليها

ولما كان عيد الفطر من المناسبات الهامة، فقد اهتم به الشعراء منذ فجر الإسلام، فاتخذوه وسيلة لإزجاء مدائحهم للخلفاء والأمراء وغيرهم ممن بيدهم السلطان، ولكنهم لم يهتموا بتصوير ما يعتلج في نفوسهم من خواطر، وما يجيش به عواطف شعوبهم وما يعتمل فيها من أحاسيس، بل كان همهم الأول التقرب من الممدوح للوصول إلى ما يريدون من إجزال العطاء وحلول المنزلة الأولى لديه

فها هو ذا موكب الخليفة المتوكل قد انتظم في يوم عيد الفطر للخروج لصلاة العيد، فتأخذ البحتري الشاعر روعة المنظر وعظم المناسبة، فيقول مادحا المتوكل، واصفا الموكب في قصيدة عامرة بليغة تعد من غرر الشعر أو من عرائسه التي يفخر بها. فيقول:

بالبر صمت وأنت أفضل صائم ... وبسنة الله الرضيـــة تفطر
فانعم بيوم الفطر عيدا إنه ... يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عددا يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل، والفوارس تدعي ... والبيض تلمع، والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر

* * *

ذكروا بطلعتك النبي، فهللوا ... لما طلعت من الصفوف، وكبروا
حتى انتهيت إلى المصلى لابسا ... نور الهدى، يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى، ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى إليك المنبر

وهذا هو ابن هانيء الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي ويهنئه بشهر الصيام والعيد، وهو كعهدنا به قوة أسلوب ومبالغة في المدح تصل إلى حد الإسراف الممقوت الذي يخرج عن حدود الاعتدال، فيقول:

جود كأن اليم فيه نفاثة ... وكأنما الدنيـــا عليه غثاء
ملك إذا نطقت علاه بمدحه ... خرس الوفود وأفحم الخطباء
هو علة الدنيا ومن خلقت له ... ولعـــلة ما كانت الأشياء
ليست سمـــاء الله ما ترونها ... لكن أرضا تحتويه سماء
نزلت ملائكة السماء بنصره ... وأطاعه الإصباح والإمساء

أرأيت كيف يسمو الشاعر بالخليفة إلى مرتبة الألوهية وهو الذي يقول في غير هذا المكان:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار

ولا أظنك قائلا إنه يشير إلى نظرية الفلسفة الإسلامية التي تعرف الله سبحانه وتعالى واجب الوجود بعلة العلل. ثم كيف يشبهه بالنبي في وقعة بدر إذ نصره الله بالملائكة في قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)

ثم يتابع الشاعر المدح فيقول:

يفديك شهر صيامنا وقيامنا ... ثم الشهـور له بذاك فداء
فيـه تنزل كل وحي منزل ... فلأهل بيت الوحي فيه ثناء

فتطول فيه أكف آل محمد ... وتغل فيه عن الندى الطلقاء
ما زلت تقضي فرضه وأمامه ... ووراءه لك نائل وحباء
حسبي بمدحك فيه ذخرا أنه ... للنسك عند الناسكين كفاء

وهذا مهيار الديلمي يكتب إلى أبي الحسين أحمد بن عبد الله الكاتب مستوحشا لبعده متشوقا للقائه ، مهنئا بالصوم والعيد ، من قصيدة طويلة بالغ فيها الشاعر في مدح صاحبها ولكنها على رغم ذلك فيها فن جميل وخيال بديع والتفاتات بارعة لطيفة فيقول:

فلله أنت ابن نفس سمت ... لغاياتها قبل أن تولدا
إذا خير اختار إحدى اثنتين ... إما العلاء وإما الردى
كأنى أراك وقد زاحموا ... بك الشمس إذ عزلوا الفرقدا
وخاطوا النجوم قميصا عليك ... ولاثوا السحاب مكان الردا

* * *

فما أمكن اسمع أزدك ... قوافي بادئة عودا
لو اسطاع سامع أبياتها ... إذا قام راويها منشدا
يصير أبياتها سبحة ... ومثل قرطاسها مسجدا
مهنئة أبدا من علاك ... بما استأنف الحظ أو جددا
وبالصوم والعيد حتى تكون ... آخر من صام أو عيدا

إنها قصيدة جيدة بديعة ولكن الشاعر يهتم فيها بممدوحه فيخصه بها كلها ولا يذكر العيد إلا ذكرا عابرا . وغير هؤلاء كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم ، ممن اتخذوا هذه المناسبة وسيلة لأغراضهم يرجون فيها مدائحهم للأمراء والخلفاء.

* * *

فإذا تركنا القدامى إلى المحدثين وجدنا الأمر يختلف اختلافا بينا، فقد تبدل الحال غير الحال، وسمت الأغراض ، وقل مدح الشعراء للملوك والأمراء واستجداء عطاياهم ، فقد أصبحوا يتأثرون بما تحسه شعوبهم من آلام وآمال ، ويعبرون عما يجول في نفوسهم ، مشاركين في كل حركة، مصورين ما يعتلج في قرارة نفوسهم من عواطف وأحاسيس . فاعتبر شعرهم بحق سجلا لأيامهم وما يقع فيها من أحداث ...

فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي نراه عندما يستقبل عيد الفطر يستقبله بنفس يملأها الحزن والأسى ، وتفيض بالحسرة والألم ، لما يرى في مجتمعه من نفاق وغدر ، ولانحلال الأخلاق وتفكك الروابط والصلات، فيتألم أشد الألم بعد ما يحتفل بالعيد الذي خلصه من القيود الثقيلة ليطلق نفسه على سجيتها، ويدعو كأسه ليعانقها فيقول :

رمضان ولى هاتها يا ساق ... مشتاقة تسعى إلى مشتاق
ما كان أكثره على ألافها ... وأقله في طاعة الخلاق
الله غفار الذنوب جميعها ... إن كان ثم من الذنوب بواق
بالأمس قد كنا سجيني طاعة ... واليوم من العيد بالإطلاق

* * *

لا تسقني إلا دهاقا إنني ... أسقى بكأس في الهموم دهاق
فلعل سلطان المدامة مخرجي ... من عالم لم يحو غير نفاق
وطني أسفت عليك في عيد الملا ... وبكيت من وجد ومن إشفاق
لا عيد لي حتى أراك بأمة ... شماء راوية من الأخلاق
ذهب الكرام الجامعون لأمرهم ... وبقيت في خلف بغير خلاق
أيظل بعضهم لبعض خاذلا ... ويقال شعب في الحضارة راق
وإذا أراد الله إشقاء القرى ... جعل الهداة بها دعاة شقاق

الحق أننا ظلمنا الشاعر حين قلنا يطلب كأسه يعانقها ، فهو لم يفعل هذا حبا في الكأس ، ولكنه يريد أن يتخلص بها من همومه وأشجانه، وحتى لا يرى ما يرى من فساد في الأخلاق كمن يقول (وداوني بالتي كانت هي الداء)

وأما الشاعر المعاصر (محمود أبو الوفا) فيلتفت إلى المجتمع المصري فيروع نفسه ما فيه من فروق ومتناقضات ومن سوء توزيع للثروة، فثراء فاحش بجانبه فقر مدقع ، ويرى كيف يأكل الأغنياء حقوق الفقراء ؛ فيزفر زفرات حرى تخرج كأنها اللهب المحرق يلفح الوجوه فيشويها إذ يقول :

أرأيت مصر اليوم كيف ازينت ... أرأيت وجه العيد في أبنائها
الفقر في أقوامها غطى على ... آمالها وطغى على سرائها
كبراؤها والأغنياء بأرضها ... غفلوا حقوق الله في فقرائها

ويقول من قصيدة أخرى في نفس المناسبة :

عهد الصراحة ما بال الصريح به ... لا يملك النطق إلا بالكتابات
أحب أضحك الدنيا فيمنعني ... أن عاقبتني على بعض ابتسامات

٩ – فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

الإسرائيليات فى الحديث :

لما قويت شوكة الدعوة المحمدية واشتد ساعدها ، وتحطمت أمامها كل قوة تنازعها ، لم ير من كانوا يقفون أمامها ، ويصدون عن سبيلها ، إلا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والاختداع ، بعد أن عجزوا عن النيل منها بوسائل القوة والنزاع

ولما كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، لأنهم بزعمهم شعب الله المختار ، فلا يعترفون لأحد من غيرهم بفضل ، ولا يقرون لنبى بعد موسى برسالة ، فإن دهاتهم وأحبارهم لم يجدوا بدا بعد أن غلبوا على أمرهم وأخرجوا من ديارهم من أن يستعينوا بالمكر ويتوسلوا بالدهاء لكى يصلوا إلى ما يبتغون . فسول لهم المكر اليهودى بأن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم على دينهم ، حتى يخفى كيدهم ويجوز على الناس مكرهم . وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء ومكرا كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سبأ فاستغلوا بإسلامهم ، واندسوا بين المسلمين مظهرين عبادتهم وورعهم

ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت وأن المسلمين قد اغتروا بهم وسكنوا إليهم ، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين فى صميم دينهم ؛ وذلك بأن يدسوا إلى أصوله التى قام عليها ، ما يريدون من أساطير وخرافات ، وأوهام وترهات ، لكى تهى هذه الأصول وتضعف . ولما عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم لأنه قد حفظ بالكتابة والتدوين ، واستظهره الكثير من المسلمين ، وأنه قد أصبح بذلك فى منعة من أن يزاد فيه كلمة أو يتدسس إليه حرف – اتجهوا إلى السنة القولية فافتروا على النبى أحاديث لم تصدر عنه ، وأعانهم على ذلك أن ما تحدث به النبى فى حياته لم يكن محدود المعالم ولا محفوظ الأصول ، وأن فى استطاعة كل ذى هوى أو دخلة سيئة أن يتدسس إليه بالافتراء ، ويسطو عليه بالكذب ؛ ذلك بأنه لم يدون فى عهد النبى كما دون القرآن ، ولا كتبه أصحابه من بعده ، وقد يسر لهم كيدهم أن وجدوا الصحابة يرجعون إليهم فى معرفة ما يجهلون من أمور العالم الماضية والمستقبلة – واليهود بما لهم من كتاب وبما فيهم من علماء وأحبار يعتبرون أساتذة العرب الأميين فيما يجهلون

قال الحكيم ابن خلدون (١) فى مقدمته عندما تكلم عن التفسير النقلى ، وأنه يشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود : والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهود ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم . . وتساهل المفسرون فى مثل ذلك

(١) ص ٤١٥ من المقدمة

هاج الجواد فمضته شكيمته شلت أنامل صناع الشكيمات

إنها أنفاس محترقة ، وعصارة نفس حساسة ، تزخر بالشعور النبيل ، وتجيش بالعواطف السامية

والشاعر الحجازى (أحمد العربى) ينظر فيرى الفقير فى يوم العيد ذليلا حائرا لا يملك ما يشارك به القوم ليفرح كما يفرحون ، فيتألم أشد الألم فيتمنى أن يصبح العيد وسيلة لعطف الأغنياء على الفقراء ليشيع السرور فى الجميع فيقول :

ليت شعرى متى يكون لنا عيـ ـد حقيق برمزه المكنون
فيشع الهناء فى كل نفس ويواسى فؤاد كل حزين
قد ، لعمرى ، أنى لنا أن نرى العيـ ـد مشاعا وقرة للعيون

هذه بعض نفثات قطفتها لك من شعر شعرائنا لتعرف كيف يحتفلون به كما يحتفل الأجانب بأعيادهم القومية ، أعاد الله أمثال هذا العيد على الأمة الإسلامية بالخير وإقبال السعود

أسيوط عبد الموجود عبد الحافظ

وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات .. وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة

وقال ابن كثير فى تفسيره (٢) « لما أسلم كعب فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه فربما استمع له عمر فترخص الناس فى استماع ما عنده ونقلوا ما عنده من غث وسمين »

ومن أجل ذلك كله أخذ أولئك الأحبار يبثون فى الدين الإسلامى أكاذيب يزعمون مرة أنها فى كتابهم ، ويدعون أخرى أنها من مكنون علمهم ، وما ذلك كله إلا من مفترياتهم . وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق والكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التى هى لغة كتبهم ، ومن جهة أخرى فإنهم أقل منهم دهاء وأضعف مكرا ، وراجت بذلك هذه الأكاذيب وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يبثه هؤلاء الدهاة بغير بحث ولا نقد ، معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه

وقبل أن نعرض لبيان هذه الإسرائليات التى امتلأت بها كتب الحديث والتفسير والتاريخ نأتى بفذلكة صغيرة من تاريخ هؤلاء الأحبار الذين بثوا هذه الإسرائيليات ليكون القارئ على بينة منهم

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميرى من آل رعين — وقيل من ذى الكلاع من اليمن، كان من أحبار اليهود وعرف بكعب الأحبار، أسلم فى عهد عمر وسكن المدينة فى خلافة عمر ثم تحول إلى الشام فى زمن عثمان ومات بحمص سنة ٣٢ أو سنة ٣٤ هـ

وقد استصفاه معاوية وجعله من مستشاريه لكثرة علمه كما يقولون (٣) وأمره أن يقضى . . وقال عنه الذهبى فى تذكرة الحفاظ . . قدم من اليمن فى دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم — وروى عنه جماعة من التابعين مرسلا

سبب إسلامه :

وضع كعب الأحبار لإسلامه سببا عجيبا ليتسلل به إلى عقول المسلمين، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح عن سعيد بن المسيب قال: قال العباس لكعب : ما منعك أن تسلم فى عهد النبى وأبى بكر؟ فقال إن أبى كتب لى كتابا من التوراة فقال اعمل به، وختم على سائر كتبه ، وأخذ على بحق الوالد على الولد أن لا أفض الختم عنها، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبى غيب عنى علما ففتحتها فإذا صفة محمد ! وأمته ! فجئت الآن مسلما !

وروى عن عبد الله بن عمر أن رجلا من أهل اليمن جاء إلى كعب فقال له : إن فلانا الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة . . فقال كعب هاتها ! فقال الرجل : إنه يقول لك ، ألم تكن سيدا شريفا مطاعا ؟ فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة محمد؟ فقال له كعب : أتراك راجعا إليه ؟ قال نعم : قال إن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا ينفر منك ! وقل له يقول لك : أسألك بالذى فلق البحر لموسى وأسألك بالله الذى ألقى الألواح إلى موسى ابن عمران فيها علم كل شئ (٤) ألست تجد فى كلمات الله تعالى أن أمة محمد ثلاث أثلاث ، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ! وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ! وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد ! فإنه سيقول لك نعم ! فقل له يقول لك كعب : اجعلنى فى أى الأثلاث شئت ! (٥)

وهب بن منبه :

قال المؤرخ جورجى زيدان فى تاريخ التمدن الإسلامى (٦) هو فارسى الأصل جاء جده إلى اليمن فى جملة من بعثهم كسرى لنجدة اليمن على الحبشة، فأقاموا هناك وتناسلوا، وصاروا يعرفون بين العرب (بالأبناء) — أى أبناء الفرس ومنهم طاووس بن كيسان التابعى الشهير

وكان آباء وهب على دين الفرس (المجوسية أو الزردشتية) فلما أقاموا بين اليهود أخذوا عنهم بآداب اليهود وتقاليدهم فتعلموا شيئا من النصرانية . وكان يعرف اليونانية «وعنده من علم أهل

(٢) ص ١٧ ج ٤

(٣) وكيف لا يوصف بكثرة العلم وقد قال لقيس بن خرشة ما من الأرض شبر إلا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة (رواه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل)

(٤) إذا كانت ألواح موسى فيها علم كل شىء فترى ماذا بقى من العلم لنبى أو رسول أو عالم يأتى بعده !

(٥) ص ٢٦٦ ج ١ حياة الحيوان

(٦) ص ٦٢ ج ٣

الـكتاب شيء لشير » . وقد أدرك عدة من الصحابة وروى عنهم . ومن أقواله : إني قرأت من كتب الله ٧٢ كتابا ! ومن أجل ذلك كان المسلمين ثقة كبرى به

وقال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ . ولد سنة ٣٤ هـ روى عن أبي هريرة وعن عبد الله بن عمر وابن عباس وتوفي بصنعاء سنة ١١٠ هـ وقيل غير ذلك

كيف استحوذوا على عقول المسلمين

اتبع هؤلاء الأحبار بدهائهم العجيب طرقا غريبة لكي يستحوذوا بها على عقول المسلمين ويكونوا بذلك محل ثقتهم وموضع احترامهم . وإليك طرفا من هذه الأساليب الغريبة التي كانوا يتخذونها ليستولوا بها على عقول الصحابة فيركنوا إليهم ويثقوا بهم ويأخذوا عنهم

أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام وهو من كبار أحبار اليهود الذين أظهروا الإسلام . أنه مكتوب في التوراة في السطر الأول : محمد رسول الله عبده المختار مولده مكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام (٧) وهذا الذي أخرجه الترمذي عن ابن سلام قد أحكمه الداهية كعب ! فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أن الدارمي روى عن كعب في صفة النبي في التوراة قال : في السطر الأول محمد رسول الله عبده المختار مولده مكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام . وقد بحثنا عن السطر الثاني من هذه الأسطورة أو الخرافة حتى وجدناه في سنن الدارمي كذلك ، ومصدره الداهية الأكبر كعب ، ووجدنا للسطر الأول تكملة لم يأت بها عبدالله بن سلام ، فقد روى ذكوان عن كعب قال في السطر الأول : محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام . وفي السطر الثاني : محمد رسول الله ، أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزل ، ويكبرون على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ، ويأتزرون على أوساطهم ويوضئون أطرافهم ، وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل

وهذا الكلام قد أورده ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس في جواب لكعب ، وذكره كذلك من عند نفسه أحد تلاميذ كعب : عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه البخاري عند ما سئل عن صفة النبي في التوراة

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام قال : مكتوب في التوراة صفة النبي وعيسى ابن مريم يدفن معه !

وروى الجواليقي في المعرب (٨) أن ابن الأعرابي ذكر عن كعب أنه قال : أسماء النبي في الكتب السالفة محمد وأحمد وحمياط أي حامي الحرم ! وروى القاضي عياض في الشفاء (٩) أن وهب ابن منبه قال :

قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها : أن النبي أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا - وفي رواية أخرى - فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جانب عقله (ص) إلا كحبة رمل بين رمال الدنيا !

والذي أغرى كعب الأحبار بالرواية والاتساع فيها أن عمر كان في أول الأمر يستمع إليه (١٠) ثم توسع الناس في الأخذ عنه ، وبالغ هو - كما قال الحافظ بن كثير « في نقل ما نقل من الأشياء إلى كثير منها ما يساوي مداده » ولما تبين لعمر أنه كذاب منع الأخذ عنه ، ونهاه عن الرواية عن النبي ، وأنذره إذا هو روى أن يعيده إلى بلده

المنصورة للكلام صلة **محمود أبو رية**

---

(٧) تخصيص الشام بالملك في كلام هؤلاء الأحبار إنما كان لأمر سياسي خطير سيأتيك نبأه بعد ، ولم يقف ذكر الشام وفضله على لسان دهاة اليهود فحسب ؛ بل (وضع) فيه كذلك رجال من المسلمين أحاديث كثيرة ورفعوها إلى النبي وألفوا في ذلك كتباً ، ومما وضعوه أن الأبدال ستظهر في الشام ...

(٨) ص ١٢٢ (٩) ص ٥٥ ج ١

(١٠) لما زعم كعب : أنه ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة ، كان الصحابة يسألونه عن كل شيء حتى عن الشعر الذي هو ديوان العرب ، فقد حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الأحبار قال له عمر بن الخطاب - وقد ذكر الشعر - يا كعب : هل تجد للشعر ذكراً في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب ! (ص ٨ العمدة - لابن رشيق)

الشعر المطعم

للأستاذ كامل السيد شاهين

نريد بالشعر المطعم ذلك الشعر المعرب الذى اختلطت فيه العامية بالعربية ، ونهض مع ذلك شعراً سويا ، يصور الحياة فى كل ناحية ، فتجده فى السياسة ، كما تجده فى الأخلاق ، وتجده فى الغزل ، كما تجده فى الحكم ، وهو أبداً خفيف الروح ، حلو عذب ، يطربك بهذا الأسلوب اللذيذ ، الذى تجتمع فيه المفارقات الحلوة . فبينما تأخذ سمعك الكلمة العربية الجزلة ، تفجؤك بعدها الكلمة العامية المأنوسة ، فتجد لها ما تجد للنكتة الحارة من وقع ، إذ كانت الكلمة العامية بالغة سمعك وهو متهيئ للكلمة العربية ، فتجد النفس من ذلك ما تجد لرؤية الطويل المفرط مع القصير الدحداح ، أو كما تجد لرؤية المرأة متربعة فى كرسى القاضى الشرعى ، من حيث الفجاءة وعدم التوقع

وتمام الحلاوة فى أنك لا تجد بين العربى والعامى فى البيت الواحد خللا أو اضطراباً ، ذلك بأن الكلمة العامية تجئ مصقولة صقلا عربيا ، معربة إعراباً صحيحاً ، كأنما تحدرت إليك من أعرابى سليق

وميزة الشعر المطعم عن الشعر العام أنه عصرى متواضع ، يمس الاجتماع الراقى كما يمس الاجتماع الشعبى ، وبذلك يصور لنا ناحية يترفع عنها الشعر العام — ونحن نجنى فى كثير من الأحيان على التاريخ ، عندما نعتمد على الشعر العام فى تصور حياة المجتمع ، لأنه فى برج عال رفيع لا ينحط إلى المستوى الشعبى . فكما كانت الأمثال فى القديم أصدق تصويراً للاجتماع العربى من الشعر ، كذلك الشعر المطعم اليوم أصدق تصويرا للاجتماع الحاضر من الشعر العام . ولذا يكون من الخطر إهدار هذا النوع من الشعر المطعم لأنه أمس بالحياة العامة . فهو يصور المجتمع وينقده نقدا لاذعا فى خفة وفكاهة

فنحن — مثلا — نجد الفضول والتطفل داء قديماً ، ولكن الشعر العام إذا تناوله لم يبلغ فيه من الصدق وتصوير الواقع ما يبلغ الشعر المطعم . فهذا شاعر يقول فى وصف ثقيل : —

بارد لو يخش فى النار تاتى الـ ... ـناس فى النار كلها بردانه
كلما شاف صاحبين يقولا ... ن كلاماً دغرى يجد ودانه
ويطيل الحديث آه يانا ياغلـ ... ـبى ويا وعدى من لته آه يانه
وتراه قدامنا مادحا فيـ ... ـنا وياما يذمنا من ورانه
يدعى أنه ابن ناس ذوات ... أورثوه فى زعمه أطيانه
وهو والله يا عزيزى أبوه ... عربجى وأمه بلانه !

ثم اسمع هذا الختام المحكم القوى :

أيها الناس بعضكم عسل صا ... ف لذيذ ، وبعضكم دبانه !

فكم من الأدباء عرض لوصف الثقلاء ، ولكنهم لم يصوروا هذا التصوير البديع الصادق الذى يستمد قوته من صدقه وإبرازه الوقائع كما هى

والناس يصرخون اليوم من أجرة الأطباء ، ولكن الشعراء لا يتناولون هذه الناحية من اجتماع الأمة ، ويتناولها الشعر المطعم فيقول الشاعر معارضا قصيدة أبى فراس : —

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهى عليك ولا أمر
نعم أنا بردان ، وعندى كحة ... ولكن مثلى لا يطيب له صدر
فهل علم الدكتور أنى بكحتى ... أمزق أحشائى الفداة ولا نخر
وقال التمرجى هل معاك فزيتة ... تخش بها ، أوما معاكشى فتنجر
وقال أصيحابى الدخول أو الردى ... فقلت هما أمران : أحلاهما مر
ألم تعلموا أنى فقير وأنه ... إذا شافنى خمسون قرشا له أجر
بنصف جنيه نظرة فابتسامة ... فقصقوصة من دفتر فوقها حبر !

ولكن إذا حم القضاء على امرئ
فليس له بر يقيه ولا بحر

فاضطرار المريض ، وغلظة المرض ، وجشع الطبيب ، مصورة ههنا أروع التصوير وأبرعه

وكثير من الأغنياء لا يسهم في المنافع العامة للشعب ، ولذا نجد المجالس الشعبية تلذعهم بقارص نقدها ، ويسجل ذلك الشعر المطعم :

نعم لك مال ، غير أنك جلدة
فلست بمودود ولا متودد
إذا لم تكن - يا باشا - صاحب نخوة
تخمسون طظا فيك م اليوم للغد

ونجد المجالس الشعبية تتناول عباد المظاهر هازئة ساخرة محقرة ، ونرى هذا في الشعر المطعم :

وكم من فتى تلقاه تحسب أنه أمير لتزويق به وتبغدد
مرتبه في الشهر ليس يزيد عن
جنيهين ، وابن الكلب عامل أفندي

ولا يقف الشعر المطعم عند تصوير حياة الشعب واجتماعه الخاص ، بل يدس أنفه في السياسة العامة ، ولكن بروحه الشعبية الجمهورية العاطفية . فيهيب بالأغنياء لإمداد فلسطين قبل طغيان اليهود فيقول :

ومن يعلم بما هم فيه يصعق بخضته ، ومنه يطق عرق
فأين الراجحون، ألم تشوفوا ألسم تسمعون وذاك زعق
أنا كل كستليتاه بصلصا وتكر ثم بعد السكر عشق
وبيت الجار مهدوم عليه وممدته بها للجوع حرق
أغيثوهم وإلا قيل عنا مجانين رءوسهم تاق
متبقوشي كدا ، عيب عليكم
إذا ما كنتموش غجرا حتبقوا !

كما يدس أنفه في أمر التعليم ، فالمذهب الشعبي في التربية يوجب التأديب بالعصا ، وقد علمنا أن بعض المعاهد في إنجلترا تحبذ الضرب في التعليم ، وإن كان المربون لا يزالون ينفرون منه . ولما كان الشعر المطعم تعبيرا عن رأي الشعب ، فقد جاء منتصرا محبذا للضرب

وأنا امرؤ قد جئت مصر ولم أكن إلا غلاما حافيا فلاحا
فدخلت مدرسة وكنت مفرطا متنطاطا متشعبطا قراحا
متشابطا متلابطا متخانقا متصارعا متشاغبا رداحا
وإذا اهتديت رأيتني متمألتا متمسخرا ، متفلحسا مزاحا

ولا شك أن هذه (الحيثيات) لابد أن تسوق إليه العصا سوقا ، ولذا يقول : —

لكن خوجاتي على توزوزوا وعلى نفوخي وهات حتى راحا
فعلمت أن اللعب ليس وراءه إلا دي ، تحت المصاية ساحا
فجعلت أقضي الوقت بين قراءة وكتابة متأملا وحواحا
ونجحت ثم صبحت فيكم راجلا ذا شغلة ، لا عاطلا مشكاحا
إخص على زمن يحرم أهله ضرب الصبي ويشربون الراحا
والله لولا الضرب في التعليم ما نفع البليد ولا أصاب نجاحا

وليس من شك أن المجالس الشعبية كثيرا ما تدور حول لذائذ الأطعمة وطيباتها ، والشعر المطعم يتكلم بلسان هذه المجالس فيقول :

إرحل عن الدار التي أصحابها لا يطعمونك من لذيذ المأ كل
بئس الطعام الفول وهو مدمس مهما تحاول بلعه لا ينزل !
زرنا نجد في بيتنا ما تشتهي من كل مطبوخ وكل مخلل
عملت لنا بالأمس عبلة كفتة طباخ باشا مثلها لم يعمل
وكباب عبلة ، لا نقل حاتي ولا ماتي ، وكل منه ثلاثة أرطل
إن الكنافة لو عثل شخصها بين الصنوف تشتها في الأول
وإذا سلاطين الخشاف تجهزت فاشمر لها الأكام واشرب وانجل

والشاعر لاينسى نفسه في زحمة الكباب والكنافة والخشاف ، ولكن يذكر أنه لابد من العزة والكرامة حتى يطيب الطعام فيقول :

لا تسقني مرق الفراخ بذلة بل فاسقني بالعز ماء الفلفل
مرق الفراخ بذلة لا أشتهي والطرشي في عز أراه يلذ لي !

ولكن . كيف يتناول الشعر المطعم فن الغزل ، والحب يهز قلوب العامة والدهماء على السواء ؟ إذا بحثنا نجد الغزل في

هذا الشعر غزلا يناسب الطبقة الدنيا ، ويمثلها أروع التمثيل ، فلكل طبقة أسلوبها في طريق المغازلة ، عملية وكلامية . وفي الطبقة الشعبية نجد من النساء من تحب من زوجها أن يضربها منذ الليالي الأولى ، وإلا لم يكن شهما ، فهى تشتم زوجها وتمرد عليه ، لتستثيره ، وتخبر مبلغ رجولته

بكرت تبستفني وتلعن لي أبي فأجبتها حالا بضرب الشبشب

مهبولة وتريد مني طبلة ياموت خذها من أمامي،والنبي

يابنت بنت الكلب،مادخلي أنا البيت عندك عمري أو خربي

وبينما نجد هذا النوع من النساء في الطبقة الدنيا ، نجد نوعا آخر يحب الدلال ، ويحب المحاسنة ، ولكن مادلال العامة وكيف يكون . هذا شاعر يصور ضربا منه فيقول :

قلت – يامنية الفؤاد اركبيني وامسكي شال عمتي كالمنان !!

ونجد أسلوب الشعر العامي في الغزل مأخوذا من الحى الشعبي لا يتطفل على الأحياء الراقية ، فهذا شاعر يشبه قلبه بالقبقاب ، يوما في رجل هذه ، ويوما في رجل تلك :

ياقلب كالقبقاب حيره الجما ل ، فتارة تدنى،وأخرى تزجر

صبحا برجل فهيمة وعشية في رجل سلمى،والزمان مجرجر

وهذا آخر يسمى محبوبته بأسماء بلدية مثل ستيتة ، وهنومة وكمب الخير فيقول :

ستيتة لاتسكن بجوالك عذلى فإن بمهجتي حللا بتغلى

وبين أضالعي وابور جاز وإبرته جفاك لمشعل

حرام أن أعيش بلا وبور وفي جنبي (بريمس) منه أصلى

ثم يذكر الشاعر دلال محبوبته فيزعم أنها لجهلها بالغزل والدل ، لا تميل كما يميل البان ، ولكن تميل كما تميل الحائط ، ولا ترنو كما يرنو الغزال ، ولكن ترنو كما يرنو الأعمى ، ولا تتلفت تلفت الظبي ، ولكن تجفل إجفال البغل – وأن غزلها أن تصفعه على قفاه بكف كالرحا . كما تشد شعره الذى يشبه (جزة الخروف) ثم عضى في تقليبه ، واستخراج هوامه ، فيقول : —

فالت حائطا ، ورنت كأعمى إلى ، وأجفلت إجفال بغل

وصافح كفها الرحوى قفايا وشدت جزتي ومضت تفلى

فلا والله ما حرب البسوس بأهول من تصيدها لقملى

ولو تتبعنا ذلك لعيينا ، ولأعيينا القراء ، وفي ذلك لمن شاء بلاغ

وبعد : فإننا إذا كنا نبكي اليوم لضياع الأزجال الأندلسية الذى فوت علينا معرفة عامية الأندلس ، ولو كشفت الآن لكانت أثرا تاريخيا جليلا – إذا كنا نبكي لضياع هذا التراث ، فإننا أجدر بالبكاء إذا ما ضيعت هذه الثروة التي لم يعن بجمعها أحد ، ولم يسرع لتقعيد قواعدها أحد ، إلا شيئا يسيرا ذكره المرحوم حسين شفيق المصرى لا يشفى ظمأ . ولم يعن أحد باستخراج ما تحويه من أساليب وكنايات تمد من أبرع وأروع ما تحوى بلاغات الأمم مما يصلح أن يكون رسالة شائقة فريدة ، وحسبنا أننا فتحنا الباب لمن شاء أن يسلك أو يدرس

كامل السيد شاهين

مبعوث الأزهر للسودان

عقيدتى

للفيلسوف الانكليزى المعاصر برتراند رسل

للأديب عبد الجليل السيد حسن

الفصل الخامس

العلم والسعادة

غرض الأخلاق أن يصلح سلوك الناس، وهذا طموح حميد، لأن سلوكهم إلى حد بعيد يستحق الرثاء، ولكنى لا أستطيع أن أمدح الأخلاق على ما ينشده من إصلاحات خاصة أو على ما يصطفى من طرق لبلوغها، فطريقته الواضحة، هى النصح الخلقى، ومنهجه الحقيقى هو نظام الجزاء والعقاب الاقتصادى، والطريقة الأولى تأثيرها غير دائم أو هام، فتأثير الإحيائيين منذ « سافونا رولا (١) » فنازلا كان دائما وقتيا. والثانيـة – أى الجزاء والعقاب – لها تأثير قوى، فقد جعلت المرء مثلا يفضل عاهرة عارضة على سيدة شبه دائمة، لأنه من الضرورى أن تتبع الطريقة الأسهل تخفيا، وهم من أجـل ذلك يبقون على عدد من المهن الخطيرة ليحموا بها انتشار داء الزهرى، ومع ذلك، فليست هذه هى الموضوعات التى ينشدها الأخلاقى، ولكنه ليس علميا حتى يلاحظ أنها هى الموضوعات الا حصل عليها حقيقة

ولنر الآن .. هل هناك من شئ أحسن من هذا يمكن أن يكون عوضا عن هـذا الخلط غير العلمى من الوعظ والرشوة . ؟ أحسب أن هناك شيئا مثل ذلك

أعمال الناس مضرة سواء عن جهلهم أو عن رغباتهم السيئة، وحينما نتكلم من وجهة النظر الاجتماعيـة قد نعرف « الرغبات السيئة » بأنها تلك التى تتجه إلى اعتراض رغبات الآخرين أو بالأحرى هـذه التى تعترض من الرغبات أكثر مما تمضد، وليس من الضرورى أن نقف طويلا عند الضرر الذى ينبعث عن الجهل، فكل ما يحتاج إليه حينئذ هو معرفة أكثر، ولهذا يكمن طريق الإصلاح فى بحث أكثر وتربية أعظم، ولكن الضرر الذى ينبعث عن الرغبات السيئة أمر أكثر صعوبة

وهناك مقدار من الحقد الفعال عند الرجل والمرأة العاديين، ولدى كل منهما ضغن خاص يوجه نحو أعداء معينين، وسرور عام مبهم لمصائب الناس، وعادة يوشى كل ذلك بكلمات معسولة، وإن ما يقرب من نصف الأخلاق المألوفة، لهو عبارة عن عباءة ورداء لها، ولكن يجب أن يواجه الأمر بصراحة، إذا أراد الأخلاقيون أن يبلغوا هدفهم فى إصلاح الأعمال . وقد بدا ذلك بآلاف الطرق، صغيرة وكبيرة : فى الغبطة التى يكرر الناس بها الفضيحة، ويعتقدون فى صحتها؛ وفى معاملة المجرمين القاسية رغما عن البراهين الجلية فى أن المعاملة الحسنة أثرها أكبر فى إصلاحهم؛ وفى هـذه الوحشية العجيبة، التى يعـامل بهـا جميع الأجناس البيض الزنوج؛ وفى الانشراح الذى تبديه السيدات العجائز والقسس نحو واجب الخدمة الحربية على الشباب أثناء الحرب؛ وحتى الأطفال قد يكونون موضوعات للقسوة الرعناء، فدافيد كوبرفيلد، والفرتوست (٢) ليست كلها خيالية . وهذا الحقد الفعال أسوأ سمة فى طبيعة الإنسان؛ ومن الضرورى تغييره إذا كان للعالم أن يسعد . ومن المحتمل أن هذا السبب وحده له دخل كبير فى الحرب أكثر من الأسباب الاقتصادية والسياسية مجتمعة

فكيف نعمل للقضاء على مشكلة الحقد ؟

أولا دعنا نحاول أن نفهم عللها، وها هى ذى كما أحسبها؛ بعضها اجتماعى وبعضها فسيولوجى . فالعالم الآن وكما كان فى أى زمن سالف، مؤسس على النزاع بين الموت والحياة، وكان السؤال فى النشرة أثناء الحرب هو : هل ألمانيا أو أطفال الحلفاء يجب أن يموتوا من الحاجة والمسغبة . ؟ (وبصرف النظر عن الحقد عند كلا الطرفين فلم يكن هناك من الأسباب ما يمنع أن يعيش كلاهما ؟) ومعظم الناس يتمثلون فى أغوار

(١) Savonacola مصلح دينى إيطالى كانت نهايته الإعدام وهو من الذين ساهموا فى حركة الإحياء الأوربية (عصر النهضة) ١٤٥٢–١٤٩٨

(٢) هما روايتان من أشهر ما كتب شالز دكنز مصوراً فيها الطفولة المعذبة والحياة القاسية التى يلاقيها الأطفال

عقولهم خوفا ملازما من الدمار . وهـذا على الأخص صحيح عند ذوى الأطفال . أما الأغنياء فيخشون أن يصادر البلاشفة أموالهم . والفقراء كذلك يخشون فقد وظائفهم أو صحتهم ، وكل منهم منهمك فى مطاردة « السلام » الجنونية ، ويتخيلون أنهم يبلغون إلى ذلك بإبقاء أعدائهم الأشـداء خاضعين ، وفى لحظات الذعر العام تنتشر القسوة على نطاق واسع وجد فظيع ، والرجعيون فى كل مكان يلجأون إلى الخوف ، ففى إنجلترا الخوف من البلشفية ، وفى فرنسا الخوف من ألمانيا ، وفى ألمـانيا الخوف من فرنسا . والنتيجة الوحيـدة لما يلجأون إليه هو زيادة الخطر ضد ما يرغبون النجاة منه

ومن ثم يجب أن يكون أول مايهم الأخـلاق ذى النزعة العلمية ، أن يقاتل الخوف ، وذلك يكون بطريقين : زيادة الأمن وبغرس الشجاعة . وأنا أتحدث عن الخوف كانفعال غير معقول للمصائب المحتملة الوقوع ، فحينما تشتعل النـار فى مسرح يدرك الرجل العاقل الـكارثة تماما كالرجل الذى مسه الذعر ، ولـكنه يتخذ طرقا من المحتمل أن تخفف من الـكارثة ، بينما الرجل الذى مسه الذعر يزيدها أوارا . وأوروبا منـذ سنة ١٩١٤ كالشاهد الذى مسه الذعر فى المسرح المشتعل ، وما يحتاج إليه هو الهدوء ، وإرشادات السلطات عن كيفية الهرب دون أن يسحق بعضهم بعضا أثناء هذه العملية . والعصر الفكتورى رغما عن سيئاته كان فترة تقدم سريع ، لأن الناس كان يغلب عليهم الأمل أكثر من الخوف . ولو أردنا التقدم ثانية يجب أن يسودنا الأمل

وكل شئ يزيد فى الأمن العـام ، من المحتمل أن يقلل من القسوة . وينطبق هـذا على منع الحرب سواء عن طريق عصبة الأمم ، أو بمنع الفاقة ، والعمـــل لبلوغ صحة أحسن بالنهوض بالطب والصحة الوقائية . أو بطرق أخرى تخفف من وطأة المخـاوف التى تتوارى فى أغوار عقول النـاس وتلوح كالـكوابيس حين ينامون . ولـكن لن يتم شئ بمحاولة جعل جزء من الجنس البشرى يسعد على حساب جزء آخر . الفرنسيون على حساب الألمـان ، والرأسماليون على حساب العمال ، والبيض على حساب الصفر .. وهكذا دواليك ، فإن مثل هـذه الطرق تزيد الرعب بين الجمهور الـسائد مخافة أن يقود الاستياء المظلومين إلى الثورة . والعدالة هى التى تنشر « الأمن » وأعنى بالعدالة ، معرفة الحقوق المتساوية لـكل الـكائنات البشرية

وهناك علاوة على التغيرات الاجتماعية المقصود بها أن تأتى بالأمن ، وسائل أخرى فعالة لإنقاص الخوف ، أعنى بذلك نظاما مقننا يقصد به زيادة الشجاعة . ولأهمية الشجاعة فى المعارك قد اكتشف الأولون وسائل لزيادتها بالتربية والطعام ـ فكان من المعتقد مثلا أن أكل لحوم البشر مفيد . ولـكن الشجاعة الحربية كانت تعتبر امتيازا للطبقة الحاكمة ، فكان الإسبرطيون يجب عليهم أن ينالوا حظا من الشجاعة أوفر من الرقيق ، والضباط البريطانيون أكثر من العسكر الهنود ، والرجال أكثر من النساء ، وهكذا دواليك . وكان من المفروض منذ قرون أن يكون ذلك امتيازا للأرستقراطية ، وكل زيادة فى الشجاعة لدى الطبقة الحاكمة كانت تستعمل فى زيادة الأوقار على المظلومين ، ومن ثم تزداد بواعث الخوف عند المستبدين ، ولذلك يتركون أسباب الخوف ولا يقللونها . والشجاعة يجب أن تعقرط(٣) قبل أن يجعل الناس إنسانيين

وقد عقرطت الشجاعة إلى مدى بعيد بالحوادث الراهنـة ؛ فإن النسوة المطالبات بحقوق الانتخاب أبدين أن لديهن من الشجاعة ماعند أشجع الرجال ، وهذا البرهان الواضح كان ضروريا لـكسبهن حق التصويت . ويحتاج الجندى العادى فى الحرب إلى مثل شجاعة الـكابتن أو الضابط وأكثر من الجنرال . والبلاشفة الذين يدعون أنفسهم أبطال « البروليتاريا » لا تنقصهم الشجاعة مهما قيل عنهم ، وقد ثبت هذا باستشهادهم فى حقبة ما قبل الثورة ، وفى اليابان حيث كان الـ Samurai سابقا ، محتكرين الأعمال الحربية دعا التجنيد الإجبارى إلى الحاجة إلى الشجاعة بين الذكور من السكان . وهكذا من بين كل « القوى العظمى » قد بذل الـكثير فى نصف القرن السالف لجعل الشجاعة أقل من ذلك وقفا على الأرستقراطيين : ولو لم تـكن هذه الحالة ، فإن الخطر على الديمقراطية أعظم مما هو كائن

---

(٣) مقرط الشئ جعله ديمقراطيا ، قياسا على هوده أو عربه جعله يهوديا أو عربيا

ولكن الشجاعة فى الحرب ليست الصورة الوحيدة ، بل لعلها ليست أهم الصور ، فهناك الشجاعة فى مواجهة الفقر ، والشجاعة فى مواجهة الاستهزاء ، والشجاعة فى مواجهة عشيرة المرء ، وفى كل ذلك غالبا ما يكون أشجع الجنود عاجزا إلى حد محزن . وهناك فوق كل ذلك شجاعة التفكير بهدوء وعقل فى مواجهة الخطر ، وفى كبح جماح نزوات الخوف المنيف والغضب الشديد ، وهذه بالتأكيد أشياء تساعد التربية على نيلها . وتعليم كل صور الشجاعة يتم بسهولة بالصحة الجيدة والبنية القوية والغذاء الكافى وإخلاء الطريق للدوافع الحيوية الأساسية ، وربما اكتشفت المصادر الفسيولوجية للشجاعة بمقارنة دم قطة بدم أرنب . وليس هناك من حد لما قد يستطيع العلم أن يفعله فى زيادة الشجاعة ، فمثلا التدريب على الخطر ، والعيشة الرياضية ، والطعام الملائم : كل هذه الأشياء يتمتع بها أبناء الطبقة الدنيا عندنا إلى مدى بعيد ، ولكن ما زالت إلى الآن من امتياز الأغنياء . والشجاعة التى تشجع كثيرا بين الطبقات الفقيرة من المجتمع ، هى شجاعة تحت الأوامر ، وليست من النوع الذى يشمل الابتكار والقيادة ، وحينما تصبح الصفات التى تؤهل لقيادة عامة ، فلن يكون هناك قادة ومقودون . وستتحقق الديمقراطية أخيرا

ولكن ليس الخوف هو المصدر الوحيد للحقد . فالحسد واليأس لهما دخل فى ذلك ؛ فالأمثال مستفيضة بذكر حسد العرج والحدب كمصدر من مصادر العداء ، ولكن عاهات ومصائب أكثر من مصائبهما تنتج نتائج مشابهة ، فالرجل أو المرأة الذى عجز جنسيا يصلح لأن يفعم بالحسد ، ويظهر هذا عامة فى صورة اللعن على من هم أكثر حظا منها . وأكثر القوى الدافعة إلى الحركات الثورية ترجع إلى حسد الفقراء للأغنياء والغيرة بالطبع شكل خاص من الحسد ، « حسد الحب » وغالبا ما يحسد الشيوخ الشباب ، وهم حين يفعلون ذلك يميلون إلى معاملتهم بقسوة

وليس هناك من طريق للتغلب على الحسد كما أعلم ، إلا بأن نجعل حياة الحاسدين أسعد وأحفل ؛ وأن نشجع فى الشباب فكرة المشروعات الجماعية أكثر من المنافسة . وأسوأ أشكال الحسد هو ما عند الذين لم تكن حياتهم كاملة فى سبيل الزواج أو الأطفال أو العمل . ومثل هذه المصائب يستطاع تفاديها فى أغلب الحالات بإنشاء منشآت اجتماعية أحسن من القائمة ومع ذلك فان من المحتمل أن يمكث شئ من بقايا الحسد . ويروى لنا التاريخ أمثلة عدة عن قواد كان كل واحد منهم يغار من الآخر ، حتى أنهما كانا يفضلان الهزيمة للازراء بشهرة الآخر ، وعن سياسيين من حزب واحد أو فنانين من مدرسة واحدة ، كان يغار أحدهما من الآخر . وفى مثل هذه الحالات يبدو أن ليس هناك من شئ يعمل إلا أن نجعل — على قدر الإمكان — كل منافس غير قادر على ضر الآخر ، وأن نعلمه أنه يستطيع أن ينتصر بكفاءته الفائقة فقط . وغيرة الفنان من منافسه قليلة الضرر ، لأن السبيل الوحيد الفعال ، لإرضاء رغبته هو أن يرسم صورا أحسن من صور منافسه ، لأنه ليس من المصرح له أن يحطم صور منافسه . وحينما يكون الحسد أمرا لا يتفادى ، يجب أن يتخذ كمحرض لمجهودات المرء الخاصة ، لا لتعطيل مجهودات المنافسين

وقد رأت العلم فى سبيل زيادة السعادة ليست مقصورة على إنقاص هذه الجوانب من الطبيعة البشرية التى تدأب على تحقيق الهزيمة المتبادلة ، والتى نسميها لذلك ، الشر ، ومن المحتمل أن لا يكون هناك حدود لما يستطيع العلم أن يعمله فى سبيل زيادة الخير الإيجابى ، فقد تحسنت الصحة كثيراً بالرغم من عويل هؤلاء الذين يقدسون الماضى ، فنحن نعمر أكثر ، ولدينا أمراض أقل من أى طبقة أو أمة فى القرن الثامن عشر ، وسنكون قريباً أصح مما نحن عليه الآن باستخدام المعرفة التى حصلنا عليها ، ومن المحتمل أن تجعل اكتشافات المستقبل هذه العملية على أوسع نطاق

والعلم الطبيعى أشد الأثر إلى حد بعيد فى حياتنا ، ولكن من المحتمل أن يكون فى المستقبل للفسيولوجيا وعلم النفس الأثر الأكبر حينما نكشف الغطاء عن كيفية اعتماد الشخصية على الشروط الفسيولوجية ، سنكون قادرين ، إذا شئنا ، على أن ننتج كثيرا من أنماط الكائنات البشرية التى نستجيدها . والذكاء والقدرة الفنية وحب الخير — كل ذلك يزداد بلا شك بالعلم . ونادرا ما يبدو هنا أية حدود لما سوف يأتى به استعمال الناس للعلم بحكمة فى سبيل إحداث عالم سعيد . وقد عبرت عن مخاوف فى مكان آخر ، من أن الناس قد لا يستعملون للقوة التى استخرجوها من العلم استعمالا

حكيما (٤) وأنا مهتم فى الحالة الراهنة بالخير الذى يستطيع الناس عمله إذا اختاروا ، وليس بالسؤال : هل سيختارون ما يسىء إليهم أكثر مما ينفعهم ؟

وهناك بعض مواقف بصدد استعمال العلم فى الحياة الإنسانية أعطف عليها ، على رغم أنى لا أتفق معها فى التحليل الأخير . ومن هذا موقف الذين يخشون « ما ليس بطبيعى » ولقد كان الرائد العظيم لوجهة النظر هذه فى أوربا هو « روسو » وفى آسيا الحكيم الصينى « لاوتز » (٥) الذى قال بذلك منذ ٢٤٠٠ سنة وكان أشد إقناعا ، وإنى لأحسب أن هناك خلطا بين الحق والباطل فى مسألة الإعجاب بالطبيعة الذى هو أمر جوهرى فى حل الإشكال . ولكى تبدأ فى حل هذا الإشكال نتساءل : ما هو الشىء الطبيعى ؟ وهو - بدون لف أو دوران - كل ما كان المتكلم متعودا عليه منذ الطفولة ، فلاوتز كان يعارض وجود الطرق والعربات ، والقوارب ربما لم تكن معروفة فى القرية التى نشأ فيها ، ولكن روسو كان معتادا على مثل هذه الأشياء ، فلم ينظر إليها على أنها شىء ضد الطبيعة ، ولكنه كان يرغى ويزبد ضد السكك الحديدية لو أنه عاش حتى يراها ، ونحن نعلم أن الملابس والطبخ موجودان منذ القدم ، بحيث لا نستطيع أن نقول إنهما أبلغا إلى الناس عن طريق أنبياء الطبيعة ، ومع ذلك فهم يعترضون على الطرز الجديدة فى كليهما ، وأيضا يظن الذين يسمحون بالعزوبة أن تحديد النسل شر ؛ لأن الأول (تحديد النسل) انتهاك جديد لحرمة الطبيعة ، والثانى (العزوبة) شىء قديم . ومن كل ذلك نرى أن هؤلاء الذين يحبذون فكرة الرجوع إلى كل ما هو طبيعى متناقضون ، والإنسان مدفوع إلى اعتبارهم محافظين

ومع ذلك فهناك شىء يقال فى صالحهم ، مثال ذلك وجود الفيتامينات التى أحدث اكتشافها انقلابا فى خدمة الأطعمة الطبيعية ، ولكن يبدو (ذلك واقع الآن) أنه يستطاع استخلاص الفيتامينات من زيت كبد الحوت والأشعة الكهربائية ، ومن المؤكد أن هذين ليسا جزءا من طعام الانسان الطبيعى . وهذه الحالة تصور ما قد يحدث من ضرر غير متوقع حين فقدان المعرفة لانتقال جديد فى الطبيعة . ولكن حينما يفهم الضرر فهو يعالج عادة ببعض أشياء صناعية جديدة ، وأنا أحسب فيما يختص ببيئتنا الطبيعية ووسائلنا الطبيعية لإرضاء رغباتنا : أن عقيدة « الرجوع إلى الطبيعة » تبرر أى شىء بعد اتخاذ الاحتياطات التجريبية ، حين اختيار شىء ملائم . مثلا : الملابس - على العكس من الطبيعة - تحتاج إلى أن يضاف إليها عمل آخر غير طبيعى ؛ أعنى الغسيل ، وذلك إذا أريد منها ألا تأتى بالمرض ؛ والعملان مما يجعلان الإنسان أصح من الحيوان الذى يجتنبها

وهناك كلام أكثر من ذلك يقال بصدد « الطبيعة » فى ناحية الرغبات البشرية ، وأنه لشىء قاس وخطر أن ترغم الرجل أو المرأة أو الطفل على حياة تتنافى مع أقوى دوافعهم ، وبهذا المعنى تمدح الحياة المطابقة لمقتضى « الطبيعة » . وليس هناك من شىء صناعى أعظم من إنشاء سكة حديد كهربائية تحت الأرض ، ولكن ، على أن لا يؤخذ أى طفل قسرا ليسافر فى إحداها ، وعلى العكس يجد معظم الأطفال فى هذا الفعل شيئا من السرور . والأشياء الصناعية وما يماثلها من الأعمال التى تشبع رغبات الكائن البشرى العادى ، تعد خيرا ولكن لا يقال مثل ذلك عن وسائل الحياة الصناعية التى تفرضها السلطة أو الحاجة الاقتصادية ، فمثل وسائل الحياة هذه هى من دون شك ضرورية إلى مدى بعيد فى الوقت الحاضر : فالسفر عبر المحيطات يصبح شاقا جدا إذا لم يكن هناك وقادون يتعبون فى السفن البخارية ، ولكن الضرورات من هذا النوع ، هى مما يؤسف له ، وعلينا أن نبحث عن طريق لتجنبها

وفى الحقيقة ليس قدر معين من العمل بالشىء الذى يتألم منه ، ففى تسع حالات من كل عشرة يجعل هذا الإنسان أسعد من الكسل التام ، ولكن مقدار ونوع العمل الذى على معظم الناس أن يعملوه فى الوقت الحاضر ، هو الشر المستطير ، وخاصة ما أبأس تلك الحياة الطويلة التى تجعل من الإنسان عبدا لنظام مطرد . والحياة لا ينبغى أن تكون بمثل هذا النظام الرتيب ، أو هذه المنهج الدقيق ، بل ينبغى أن نفسح المجال لدوافعنا ، حينما لا تكون هذه الدوافع مهلكة وضارة بالآخرين . ومن الواجب احترام الطبيعة البشرية لأن دوافعنا ورغباتنا هى المجموع الذى

---

(٤) أنظر « إيكاروس أو مستقبل العلم »

(٥) Lao — Tze

تتألف منه سعادتنا ، وليس بشيء ذي بال ، أن نمنح الناس شيئا مجردا يدعى « الخير » بل علينا أن نمنحهم شيئا يرغبون فيه ويحتاجون إليه ، إذا كنا نريد أن نزيد من سعادتهم ، وقد يصل العلم في بعض الأوقات إلى أن يشكل رغباتنا حتى لا تتصارع مع رغبات الآخرين كما تتصارع الآن ، وعندئذ سنكون قادرين على إرضاء قسم أعظم من رغباتنا أكثر مما هو حادث في الوقت الحاضر ، وبذلك المعنى ، وبذلك المعنى فقط ، ستصبح رغباتنا حينئذ «أحسن» . والرغبة وحدها ليست خيرا أو شرا من رغبة أخرى حينما نعتبرها وحدها ، ولكن مجموعة من الرغبات خير من مجموعة أخرى إذا كانت كل المجموعة الأولى يستطاع إشباعها كلها في آن واحد ، بينما المجموعة الثانية ، بعضها يتناقض مع البعض الآخر ، وهذا هو السبب في أن الحب خير من الكراهية

إن توقير العالم الطبيعي (٦) ، لا معنى له ، لأنه يجب أن يدرس بقصد جعله خادما للغايات الإنسانية بقدر المستطاع ، ولكنه يبقى من الوجهة الأخلاقية ، ليس خيرا أو شرا . وحينما يتفاعل العالم الطبيعي والطبيعة البشرية كما في مسألة السكان ، فليس هناك من حاجة لأن نبسط أيدينا ساجدين ، ونتقبل الحرب والوباء والمجاعة على أنها الوسائل الممكنة فقط لإنقاص الزيادة المفرطة في السكان ، والإلهيون يقولون : إن من الشر أن نطبق في هذا المجال العلم على الجانب الطبيعي من المشكلة ؛ بل يجب علينا (هكذا يقولون) أن نطبق الأخلاق على الجانب الإنساني ، ونسير بشيء من الزهد . وهم في ذلك بعيدون عن حقيقة أن كل فرد - بما في ذلك الإلهيون أنفسهم - يعلم أن نصائحهم لن تتقبل ، فلماذا يكون من الشر أن نحل مشكلة السكان باستخدام الوسائل الطبيعية لمنع الحمل ؟! وليس هناك أية إجابة يحتمل ظهورها . ما عدا واحدة مبنية على عقائد عتيقة ، فمن الواضح أن دفاع الإلهيين عن القسوة على الطبيعة ومخالفتها ، هو على الأقل عظيم مثل الدفاع عن الرأي القائل بتحديد النسل . ويفضل الإلهيون القسوة على الطبيعة البشرية ومخالفتها ، وهذا الأمر — حينما يأخذ مجاله من التطبيق — يشمل الشقاء والحسد والميل إلى الاضطهاد ، وغالبا الجنون . أما أنا ، فأفضل « القسوة » على الطبيعة البشرية ، ولكنها قسوة من نوع آخر ، تشبه تلك القسوة التي يشملها العمل في آلة بخارية ، وهذا المثل يبين إلى أي حد كيف أن العمل بالمبدأ القائل : إننا يجب أن نتبع الطبيعة غامض ومهوش

إن العالم الطبيعي ، وحتى الطبيعة البشرية ، سيتوقف أكثر فأكثر ، على كونه حقيقة مطلقة ، وأكثر فأكثر سيصبح على نحو ما تشكله المهارة العلمية . والعلم يستطيع إذا شاء أن يساعد أحفادنا على أن يعيشوا الحياة السعيدة بمنحهم المعرفة وضبط النفس والصفات المؤدية إلى الانسجام أكثر من الشحناء . أما في الوقت الحاضر ، فهو يعلم أطفالنا قتل بعضهم بعضا ، لأن كثيرا من رجال العلم يريدون أن يضحوا بمستقبل الجنس البشري من أجل سعادتهم الوقتية ، ولكن هذا الأمر سيزول حينما يحرز الناس على انفعالاتهم نفس السيطرة التي أحرزوها على قوى العالم الخارجي الطبيعية .. وأخيرا سنكون قد كسبنا حريتنا

« تم الكتاب » عبد الجليل السيد حسن

(٦) Physical nature

مخطوطات نادرة :

وجيز الكلام في ذيل دول الاسلام

للسخاوى

للأستاذ حمد الجاسر

عنى الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى المولود فى القاهرة سنة ٨٣١ والمتوفى فى المدينة سنة ٩٠٢ من الهجرة — بالتاريخ عناية برز أثرها فيا كتبه من المؤلفات العظيمة التى أشار إلى بعضها فى ترجمته لنفسه فى كتابه (الضوء اللامع) وسلم لنا منها من عيث الزمان وعبثه خير كثير ، مثل : —

١ — الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع فى ستة مجلدات ضخام — وقد طبع بمطبعة السعادة فى مصر سنة ١٣٥٣؟ — ١٣٥٥ حـذا فيه حـذو شيخه الحافظ ابن حجر فى كتاب (الدرر الكامنة فى أعيـان المائة الثامنـة) وسار على منواله آخرون ، أتوا بعده

٢ — التبر المسبوك — ذيل به على كتاب (السلوك) للمقريزى من سنة ٨٠٥ إلى ما بعد سنة ٨٩٩ — بقليل — ألفه كما قال (إجابة لمعظم وقته الدوادار الكبير فى الأيام الأشرفية قايتباى يشبك بن مهدى الظاهرى) وقال : إنه يقع فى أربعة أسفار — ولعل الجزء المطبوع بهذا الاسم فى مطبعة بولاق سنة ١٨٩٦ قسم من هذا الكتاب

٣ — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ — وهو كتاب فى التعريف بالتاريخ وبأشهر المؤرخين ومؤلفاتهم وهو مطبوع

٤ — الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر — لا يزال مخطوطا

٥ — القول المنبى فى ترجمة ابن عربى — وهو مخطوط أيضا — وفى هـذا الكتاب أورد السخـاوى أقوال العلمـاء المحققين فى شطحات ابن عربى وزلاته

٦ — وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام — قال عنه مؤلفه فى (الضوء) — : إنه نافع جدا ، وقال صاحب كشف الظنون (ص ٧٦٢ الطبعة التركية الحديثة) فى أثناء الكلام على (دول الإسلام) — : ثم ذيله السخاوى من سنة ٧٤١ إلى سنة ٩٠١ ذيلا مختصرا كأصله ، وسماه الذيل التام بدول الإسلام — ثم أعاد صاحب الكشف اسم الكتاب مرة أخرى فى حرف الذال . وسماه جرجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٣ ص ١٦٩) وجيز الكلام فى ذيل تاريخ دول الإسلام وقال إنه من سنة ٧٤٥ إلى سنة ٨٩٨ ومنه نسخ فى برلين وفينا وأكسفورد والمتحف البريطانى وكوبرلى

وقد اطلعت على جزء من هذا الكتاب لدى أحد علماء نجد فى (الرياض) فرأيت خير تحية أقدمها لحضرات الأساتذة الأجلاء موظفى (القسم الأدبى فى دار الكتب المصرية) وصف هذا الجزء — فقد لا يعدمون منه عونا فى تصحيح الأجزاء الباقية من كتاب (النجوم الزاهرة) ، وقد يجدون فيه مرجعا نافعا فى تاريخ مصر — بل البلاد العربية فى ذلك العهد

يؤرخ هذا الجزء — وهو الأول من الكتاب — الزمن الواقع بين سنتى ٧٤٨ و ٨٩٠ — أى ثلاثا وأربعين ومائة سنة — من منتصف القرن الثامن إلى نهاية العقد التاسع من القرن التاسع — فيذكر الحوادث ثم يتبعها بوفيات الأعيان من علماء وملوك وأمراء ومشاهير ، وهو يوجز فى ذلك أحيانا ويفصل حينا — فسنة حوادثها ووفياتها لا تتجاوز ثلاث صفحات ، وأخرى تستغرق ورقات

مثال من إيجازه (سنة تسع وعشرين وثمانى مائة . فى رجب برز العسكر المصرى وغيره فى الحراقة وقبرس (كذا) حين طرق الخبر أن صاحبها استنصر بملوك الفرنج على المسلمين ، لما جرى على بلاده ، ما أشير إليه فى التى قبلها . وأنهم أمـدوه ليـأخذ إسكندرية — زعم — تأسيا بوالده ، حين طرقها فى المحرم سنة سبع وستين ، أيام الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون — صبق — فـكان التقاء الفريقين فى رمضان ، فخذل حزب اللعين وأمسك صاحب قبرس فقيد ، وقتل من عسكره فى يوم

واحد ستة آلاف فيما قيل — منهم أخوه وكذا قيد ابنه وابن أخى صاحب الـكيتلان وأخذت الأفقنسية (١) كرسى المملكة وأقيمت الجمعة بقصره الذى وجد فيه من الأمتعة مالا يحصى، وأذن على صوامع الـكنائس، وعادوا بعد أن قتلوا وحازوا من الغنائم مالا يحصى كثرة، وأسروا نحو أربعة آلاف نفس حتى طلعوا القلعة فى يوم الاثنين، ثامن شوال، فـكان أمرا مهولا لم يعهد فى هذه الأزمان مثله وخرج الخلق لرؤيته حتى البكر من خدرها؛ وحضر ذلك أمير مكة ورسل كل من ابن عثمان وملك تونس وأمير التركمان وابن نمير (٢) وكثير من قصاد أمراء الشام، وقرر عليه من المال بسبب افتدائه ما يفوق الوصف، مما يقوم بنصفه الآن، وبالباقى إذا رجع، سوى ما التزم به فى كل سنة من المال، والصوف الملون، وأن يطلق من بقى عندهم من أسرى المسلمين. وقال لما دخل إسكندرية ورأى كثرة من بها من الجند: والله إن كل من فى بلاد الفرنج لا يقاوم هؤلاء وحدهم، وفرح المسلمون بنصر الله تعالى، وطار خبر هذه الغزوة إلى الآفاق، وعظم بها قدر سلطان مصر، وقال الشعراء الشعر فى ذلك فأ كثروا، بل قيل إن الملك قال بلسانه قبل خلاصه مما عرب: —

يا ملـكا ملك الورى بحسامه   انظر إلى برحـمة وتعطف
وارحم عزيزاً ذل وامنن بالذى   أعطاك هذا الملك والنصر الوفى
إن لم تؤمنى وترحم غربتى   فبمن ألوذ ومن سوا كم لى بقى

ومات فى جمادى الآخرة عن دون الثمانين بدمشق العلامة الزاهد الورع الربانى التقى أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصنى ثم الدمشقى الشافعى شارح التنبيه والمنهاج والغاية وأربعين النووى والأسماء الحسنى وصحيح مسلم وغير ذلك؛ كتلخيص المبهمات وقمع النفوس. مع القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر، وانجماعه التام، وتقشفه، وعدم محاباته، وانحرافه عن التقى ابن تيمية، ومبالغته فى الحط عليه بحيث ثارت بسبب ذلك فتن كثيرة مما كان الوقت فى غنية عنه. وفى ذى الحجة وقد زاد على الستين

ببيت المقدس قاضى الشـافعية بالديار المصرية وصاحب ثلاث الحوادث التى لا تخلو من التعصب عليه، الشمس محمد بن عطاء الله الرازى الهروى ممن ولى صلاحية القدس فى أول أمره وآخره، والقضاء بينهما مرة بعد أخرى، وكتابة السر. وحدث ودرس وأفتى، وصنف شرح مسلم وغيره، وكان إماما عالما غواصا على المعانى، حافظا لـكثير من المتون والتواريخ، رئيسا مهابا، ضخما، حسن الشكالة، لين الجانب، أثنى عليه غير واحد على ما فيه من طبع الأعاجم وقوادح. وبنى بالقدس مدرسة. وفى ذى الحجة بالقرب من المدينة النبوية وهو راجع من الحج والزيارة العلاء أبو الحسن على بن عبد الله بن محمد الدمشقى الشافعى ابن سلام بالتشديد وقد زاد على السبعين وحمل إلى المدينة فدفن بالبقيع وكان حافظا لـكثير (الرافعى) مع إشكالات عليه، وأسئلة حسنة، محانا يقرئ الفقه وأصوله حسنا، مع يد فى الأدب، ونظم ونثر واقتصاد فى ملبسه وغيره، وحسن محاضرة، وشرف نفس، ولكنه يتكلم فى كبار، ويرى بالمناضلة عن ابن عربى. وقد درس فى الظاهرية البرانية والمذراوية وغيرها. وفى ربيع الآخر العلامة شيخ الشيخونية. وأوحد الحنفية، السراج عمر بن على بن فارس القاهرى ويعرف بقارئ الهداية، تصدى للاقراء والإفتاء، وكثرت تلامذته، وصار المعول عليه، مع الاقتصار فى أموره كلها، وإعراضه عن بنى الدنيا، وعظمته فى الأنفس ومحاسنه غزيرة. وفى جمادى الآخرة عن نحو التسعين قاضى المالـكية بالديار المصرية الجمال أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نعيم الطائى البساطى، مصروفا، وكان فيما قاله العينى: عارفا بصنعة القضاء غير مشكور فيه، ولا متقدم فى مذهبه وغيره. وفى المحرم فجأة الشيخ المعتقد خليفة المغربى ثم الأزهرى، وفى جمادى الآخرة الشريف أمير مكة حسن بن عجلان بن رميثة الحسنى. وفى رمضان الأتابك قجق الشعبانى الظاهرى، ونزل السلطان فصلى عليه، وكان متواضعا حليما لينا، خائفا على دينه، قاله العينى. واستقر بعده يشبك الساق الأعرج. وعلباى بن خليل ابن الغادر قتلا على يد نائب حلب جارقطلو)

(١) كـذا شكلت هذه الـكلمة (الأفقنسية)
(٢) ابن نعير بن مهنا أمير آل فضل

ومثال آخر لتفصيله فى التراجم — قال فى الكلام على حوادث سنة ٧٤٨ — فى سياق وفياتها (والكمال (٣) أبو الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوى الشافعى مصنف الإقناع فى أحكام السماع والطالع السعيد فى تاريخ الصعيد والبدر السافر فى تحفة المسافر وجلة . والماهر فى فنون ، مع فقه ونظم ونثر — فى صفر بالقاهرة عن نيف وستين سنة بعد رجوعه من الحج . أثنى عليه الأسنوى وغيره وهو القائل :

إن الدروس بعصرنا فى عصرنا ... طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهى لنهاية ... جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدى مباحث كلها ... نشأت عن التخليط والأخلاط
ومحدث قد صار غاية علمه ... أجزاء يرويها عن الدمياطى
وفلانة تروى حديثا عاليا ... وفلان يروى ذاك عن أسباط
والفرق بين عزيزهم وعزيزهم ... وافصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير فيهم دأبه ... قول أرسطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله عادت جهرة ... هذا زمان فيه طى بساطى
ولى زمانى وانقضت أوقاته ... بذهابه من جملة الأشراط

ودفن بمقبرة الصوفية)

وقد يستعمل المؤلف السجع فى بعض الأحيان كقوله فى حوادث سنة ٨٢١ (فى شوال — لؤلؤ الطوانى ، كاشف الوجه القبلى — وكان من الحمق المغفلين ، والظلمة الفاتكين ، فى صورة الناسكين .) وقوله فى حوادث سنة ٨٧١ (وفى جمادى الأولى على بن رمضان ، الأسلمى أبوه ، القاهرى ، مكاس جدة — ممن ظلم وعسف ، وفسق فما كف . وله دار بحارة برجوان كانت مجمعا لمحنته ، وأخذ مسجدا كان بجانبها فأذهب هيئته وعمله مدرسة)

والمؤلف ينقل عن ابن كثير والمقريزى وابن حجر وابن دقماق والعينى وغيرهم — ولكن نقله عن هؤلاء وتعويله عليهم لا يعفيهم من النقد والتجريح — وقد يتحامل على بعضهم تحاملا ظاهرا فلا تمر به مناسبة إلا ابتدرها ، ولا هفوة إلا

(٣) خطأ مصحح الجزء العاشر من (النجوم الزاهرة) طابع كتاب (الحظ السعيد) لما ذكر وفاة مؤلفه فى سنة ٧٤٨ ، وهى تخطئة خاطئة فالسخاوى ذكر وفاته فى هذه السنة

ذكرها ، كما فعل مع برهان الدين إبراهيم البقاعى المتوفى سنة (٨٨٥ هـ) (٤) . ويكتفى بالغمز الخفى وبالتلميح بعبارة مجملة إن لم يجد موقعا مناسبا — فصارم الدين إبراهيم بن محمد بن دقماق الذى استفاد من كتابه (الجوهر الثمين فى الخلفاء والملوك والسلاطين) كما صرح بذلك فى الكلام على سنة (٨٠٥) التى انتهى الكتاب بانتهائها ، لا يجد المؤلف غضاضة فى أن يصفه لما تكلم على وفاته سنة (٨٠٩) بأنه مؤرخ الديار المصرية ولكنه يتبع ذلك بقوله (وعليه معول كثيرين فى التاريخ مع كونه عامى العبارة) . وتقى الدين المقريزى الذى لم يكتف بنقل كثير من عباراته بنصها بدون إشارة إلى ذلك — بل عمد إلى تذييل كتبه وتكميلها يقول عنه (وصنف فيه — يعنى التاريخ — وطار اسمه به مع تميزه فى غيره) وهذه العبارة المبهمة المجملة يوضحها ما ذكره السخاوى فى ترجمة المقريزى فى (الضوء) من أنه عثر على مسودات الكتابه (الخطط) لأحد العلماء المتقدمين — وهو قول يرده ما عرف من تحامل السخاوى على مؤرخى عصره . والتحاسد بين المتعاصرين المشتركين فى عمل أمر معروف . ويقول السخاوى حينما ساق ترجمة ابن تغرى بردى سنة ٨٧٤ (المؤرخ الفريد فى أبناء جنسه . وما عسى أن يصل إليه تركى مما كان مشتملا عليه يستكثر من مثله) . أما موقفه مع السيوطى فما لا يحتاج إلى بيان . حتى شيخه الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢) والذى أفرد ترجمته بمؤلف خاص — و لغ فى الثناء عليه مبالغة جاوزت الحد ، حدثنى الأستاذ الشيخ سليمان بن حمدان أحد علماء نجد أن السخاوى هذا ألف فى حقه كتابا سماه (المعجر والبجر من أحوال ابن حجر)

أوصاف النسخ :

يقع هذا الجزء فى ٥٩٢ صفحة — مقياس الصفحة ١٦ فى ١٢ سنتيمترا — والمكتوب فيه منها ١٣ فى ٩ سنتيمترا — تحتوى كل صفحة على ١٩ سطرا — تتراوح كلمات السطور بين ١٢ و ١٥ كلمة ، ونوع الكتابة الخط الفارسى الدقيق المهمل

(٤) أنظر ترجمته فى (الضوء) . وقد ذكر فى (وجيز الكلام) أشياء كثيرة عنه لا يتسع المقام لذكرها

من الإعجام والشكل والخالى من كتابة الهمزات — إلا نادرا ومداد الكتابة أسود سوى أسماء السنين فبالمداد الأحمر — ولا ذكر للكاتب ولا لتاريخ الكتابة . ولا يبعد أن تكون هذه النسخة من مخطوطات القرن العاشر الهجرى، ويؤيد هذا ماجاء فى آخرها بخط مغاير لخط الأصل مما نصه (آخر الجزء الأول من وجيز الكلام فى الذيل لدول الإسلام للذهبى — لشيخنا العلامة الحجة خاتمة الحفاظ والمتقدمين(كذا) أبى الخير محمد بن .. عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر السخاوى القاهرى ...) ومكان النقط كلمات غير واضحة — وكلمة شيخنا تدل على أن كاتب هذا من تلاميذ السخاوى — وكتابة النسخة أقدم من هذه الكتابة .

وقد سقط من أول هذا الجزء كراسة — فى عشر ورقات — لأن كراسات جميع النسخة مرقمة من (١) إلى (٣١) وكل كراسة عشر ورقات سوى الكراسة الأخيرة فورقتان . وقد يسهو الكاتب فينقص ورق بعض الكراسات ولكنه يستدرك ذلك فى الكراسة التى بعدها — فيجعلها زائدة بمقدار مانقص من التى قبلها كما فى الكراستين (١٥ — ١٦)

ويبتدئ الكتاب من جملة (استكثر على دمشق فليولنى أى البلاد شاء ولأدخل مصر. ثم خرج من الغد ومعه أهله وعياله ودوابه وحواصله إلى خارج البلد عند قبته المعروفة به) ثم بعد هذا كلام يقع فى ثلاث صفحات عن قتل (يلبغا) فى آخر جمادى الأولى سنة ٧٤٨ وعن إقامة حسن بن الناصر محمد بن قلاون سلطانا فى يوم الثلاثاء رابع عشر رمضان ، ثم بعده سياق خبر وفيات (الذهبى) وابن منصور المقدسى والأدفوى وغيرهم، ثم فى آخر الصفحة الأولى من الورقة الثالثة (سنة تسع وأربعين . استهلت والسلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (كذا) ونائبه بمصر بيبغاروس (بدون نقط) الناصرى)

ثم يسترسل المؤلف فى سرد حوادث السنين إلى نهاية سنة ٨٩٠ — على طريقة المقريزى فى (السلوك) بإيجاز

ومن أمثلة الإشارات اللطيفة الطريفة التى أوردها قوله فى حوادث سنة ٨٨٠ (فى شعبان اجتهد الدوادار الكبير فى تحصيل كتب الزيدية حين بلغه جحد بعضهم استعارة تفسير الفخر الرازى فى مجلد وإرساله لابن عثمان، ورسم على الخازن وشهره حتى استرجع غالبها وعجز عن التفسير بعد إهانة ابن الشحنة الصغير بسببه . وفى رمضان احتال جماعة من تجار كيتلان الفرنج فى أسر جماعة من أعيان التجار المسلمين من ساحل الثغر السكندرى ثم باعوهم لبعض الروادسة إلى أن افتكوا من أيديهم بعد أخذ القدر المتفق عليه فى شعبان سنة اثنتين وثمانين)

هذا وصف مجمل لهذا الجزء . رجاء أن يتبعه أحد قراء هذه الصحيفة بوصف أتم وأكمل للكتاب كله

الرياض **حمد الجاسر**

قانصوه الغورى

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الرابع

أقوال وأحاديث

بعد تولية السلطان الغورى ببضع سنوات ، جلس الشيخ « ولى الدين القوصى » الفقيه ، فى إحدى مسائيات شهر رمضان تجاه مسجد الغورى ، الذى أنشأه حديثا فى حى الشرابشيين ، فى حانوت صديق له يمتهن حرفة الحياكة ، ويتعاطى صناعة الأدب ... ويدعى « علم الدين الخياط »

خرج « علم الدين » من غمار عاميته بعض الخروج ، وأصبح ربع مثقف . ولقد كان رجلا سمح الوجه ، رطب الحديث ، حسن اللقاء ، يحب الأدباء والفقهاء . وقد تلقف من مجالسهم ، ومن أفواههم ، خليطا من النكات البارعة ، والمحاضرات اللطيفة ، والقولات النافعة . ودس نفسه فى مجالاتهم ، وعاونه عمله على أن يكون له من بينهم عدة من الأصدقاء

أقبل الناس على « علم الدين » وكثرت زبائنه ، فاتسع حانوته وازدان وتجمل . واستطاع أن يحتجز ركنا من أركان هذا الحانوت ، ليكون مكانا مطمئنا ، وملتقى هادئا ، يتداعى إليه أصدقاؤه

وكان أجمل ما يكون اللقاء بينهم فى تلك الليالى الرمضانية الجميلة التى يحلو فيها السهر والسمر والحديث

ولقد أعد « علم الدين » بهذا الركن عدة من مصاطب واطئة كساها بالحصير الملون . وربما تجد ببعض جوانبها وسائد وحشيات تلطف الجلسة وتهون أمرها وتسهل إطالتها ، بل ربما تغرى بها وتدعو الأصدقاء إليها

وانتشر فى نواحى الحانوت ، القناديل الزيتية النظيفة الوضيئة فأضفت عليه ثوبا جذابا من النور

وكان « ولى الدين » الفقيه ، ممن يفد إلى « علم الدين » ويتردد عليه من آن لآن ، ويجالسه فى حانوته ويقيم معه فى ركنه المعد لضيفانه ، زمنا ليس بالقليل . بل ربما كان « ولى الدين » من خاصة خلصانه الذين أدمنوا القبوع فى ركن حانوته الوثير

وفى الليلة المذكورة وفدا إليه ، وفاء لموعد اتفقا عليه ، ليجتمع إلى سمرهما طائفة من الأصدقاء ، يطالع بعضهم بعضا بالجديد من أخباره ، واللذيذ الممتع من قصصه ، والخفى من مدخرات علمه

وكان علم الدين ، وولى الدين ، ومن يجلس إليهما ، قد اعتادوا أن يتناولوا فى مجالسهم أخلاطا من مسائل شتى قد لا تجمعها جامعة ، إلا مناسبات استطرادية تافهة ، وهى ما بين روايات أدبية ، وطرف فكاهية ، وأحاديث سياسية ، ونقدات اجتماعية ، ومساءلات فقهية ، وعظات تاريخية ، ونحو ذلك

وقد يحمى بينهم وطيس الجدل والنقاش . وقد يسفل بهم الحديث وخفته ولجاجه ، إلى مجانة ممجوجة ، ودعابة مكشوفة ، وقد يرتفع بهم الحديث ، فيسمون إلى أعلى المقامات ... فينقدون النقد المر اللاذع حقا كان أم باطلا .. صوابا كان أم خطأ ... حتى إذا ما انفض سامرهم ، وانقضى مجلسهم ، انفض كل شئ من حديثهم فيه ، وانقضى . ولم يبق فى ذهنهم ولا لسانهم من أثره شىء ، وإن علقت أشياء منه بنفوسهم ولونت عواطفهم

غير أن خطر هذا الحديث — إن كان ثمة خطر — لا يتعدى دائرة هذا الحانوت ... وما كان لخطره أن يتعداها ... لأن هؤلاء المتحدثين أشباه مثقفين ، ثم ليس لهم صلة وثيقة بالعامة تجمعهم معها على رأى : وليسوا بواجدين من يصيخ لهم إذا أهابوا ، أو يجيب إذا دعوا . ثم إن العامة غافلة لاهية ، وحولها هذا النطاق الحديدى المضروب من السلطان وأمرائه ورجال دولته

ثم ما لهؤلاء والجهاد والكفاح وهم لم يجتمعوا قط إلا لتسلية وقطع وقت فراغ ؟

* * *

هبت أنسام الليل وانية لطيفة، فأيقظت من الأذهان راقدها، وأنعشت من النفوس كاسدها، وكان الجمع قد التأم شمله: وانتظم عقده، ومن بينه أديب يتعاطى الشعر يدعى «شهاب الدين» ومتعمم من مستوفى الدولة يسمى «زكى الدين»، وتاجر من جيران علم الدين، ولقبه «غرس الدين»، وآخرون على غرارهم.

قال الشيخ ولى الدين: ما أجمل هذه الأنسام، وما ألطفها، وما أرق فؤادها، وما آسى يدها، إنها لتسرى إلى النفس فتبعث فيها نشوة غريبة، وتهزها هزة الفرح والسرور والابتهاج، كأنما تعطف بها على أهل الأرض سكان الجنة..

أما الأمس فقد شقت الهاجرة علينا عصا الطاعة — على غير عادتها فى مثل هذا الوقت — وافحتنا بصفعات حامية من يديها متوالية. وقد عاونتها علينا تلك الرمال السافية اليقظى التى كانت ناعسة الجفون فى حضن الجبل، فحركتها الرياح من سباتها، وأقلقتها من مضجعها، وشهرتها سلاحا تؤذى به من يعترض سبيلها...

فقال التاجر غرس الدين: وأين كنت يا مولانا الشيخ فى ذلك الوقت القائظ؟ إن المرء حين ذلك لتجتمع عليه عدة عوامل تدفعه دفعا إلى منزله، لينال قسطا من النوم أو الراحة. فالحر الشديد، والرياح الشاردة، والرمال الهابية، وانفضاض السوق من التجار والمارة، وآلام الصوم، وما تعانيه البطون من الطوى، كل أولئك يغرى المرء بالتماس الدعة والجنوح إلى السكون فى عقر داره..

فقال الشيخ ولى الدين: حقا! كل ذلك يغرى بطلب الراحة والاستجمام. ولكن لى صديقا مريضا، احتجب عن عينى منذ أمد، فوددت أن أزوره وفاء للصداقة وطلبا للأجر..! وكنت أخشى أن يضيق وقت الليل عن زيارته. ولقد اضطررت مرارا أن أسير غامض العينين فى الطريق حتى لا يؤذينى الغبار. ولا أكاد أفتحهما حتى تقتحمهما ذراته، فتقطر عبراتهما..

ثم أتدرى ماذا أصابنى؟ صادفت حفرة لم أحتط لها، فترديت فيها عاثرا فى فضل ردائى، وأصبحت بذلك عبرة للمارة من الصبية وأشباه الصبية. ألا لحى الله الهرم وضعفه.

فقال التاجر غرس الدين: هنيئا لك مريئا يا مولانا...! «ضحك»

فرد الشيخ ولى الدين قائلا: هناك الله يابنى، وأحسن إليك بأمثالها..

فقال الشاعر شهاب الدين: جاء فى الحديث الشريف ما معناه: «إنما الأعمال بالنيات». وقال بعض الشارحين إن هناك مضافا محذوفا، تقديره «جزاء الأعمال».. «ضحك»

فقال الشيخ ولى الدين: صه! متى عرفت الفقه والحديث أيها الشعرور..؟ لا تلغ فيما لا تعرف.. ولا تهرف وكيف.. حسبك أبيات هزيلة تقيم أودها، وقواف نحيلة ترم جسدها.. ثم تدفع بها بين أسماعنا المصطكة، وتطن بها كأبطن الذباب..

ألا قاتل الله حمقى زماننا من أمثالك الذين يحسبون أنفسهم فى الشعراء وهم لا يحسنون قراءة الشعر وتقويم بيت من أبياته.. ألم تسمع ما قاله من قبلنا مجد الدين الخياط.. لقد قال:

وفى متشاعرى عصرى أناس   أقل صفات شعرهم الجنون
يظنون القريض قيام وزن   وقافية وما شاءت تكون...

فقال شهاب الدين: هكذا أنتم يامعشر الفقهاء، تتأولون..! تدعون الفقه لتحرفوا به الكلم عن مواضعه.. ومن أدراك أيها الشيخ أننى قصدت أن الله عجل لك الجزاء فى الدنيا... لعله يدخره لك فى الآخرة!

أما نحن فإننا نعرف أن بعضا من أمثالك الشيوخ يزلقون عن عمد فى الطريق تمهيداً لنابة، وسبيلا إلى مأرب... وقد قال أحد الشعراء:

إذا ما الشيخ ردى فى طريق   وفاه الناس من جزع إليه
فذاك لكى يرى غرا صباحا   يحن لفرط نجدتها عليه..

أما فقهك وحديثك فكما قال كمال الدين الإدفوى:

إن الدروس بعصرنا فى عصرنا   طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهى لنهاية   جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدى مباحث كلها   نشأت عن التخليط والإخلاط
ومحدث قد كان غاية علمه   أجزاء يرويها عن الدمياطى
وفلانة تروى حديثا عاليا   وفلان يروى ذاك عن أسباط

والفرق بين عزمهم وغزوهم ... وافصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير نيهم دأبه ... أقوال رسطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله نادت جهرة ... هذا زمان فيه طى بساطى

فقال الشيخ ولى الدين : اتق الله أيها الشويعر ، ولا تظن بالناس الظنون ، ونحن فى رمضان ...

فقال شهاب الدين : إذا لمنتظر حتى يودع رمضان . وبعد ذلك تسن لنا الظنون ... ؟ « ضحك »

فقال الشيخ ولى الدين : لا ! أعنى أن رمضان فترة زمنية طاهرة مباركة ، يتجمل المرء فيها بالسليم من الأخلاق والكامل من الأحاديث ، ليكون صيامه خاليا من كل شائبة . وامل النفس تصفو خلاله ، فيستمر لها من بعده صفاؤها ..

فقال التاجر غرس الدين : لقد صمت يامولانا أكثر من أربعين عاما ، وصمت أنا أكثر من ثلاثين . فهل صفت نفسك؟ أو لا تزال فى حاجة إلى تجارب أخرى جديدة ...

فقال الشيخ : قال الله تعالى « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » . والصوم عبادة مشروعة وتهذيب للنفوس

فقال المستوفى زكى الدين : يبدو أن مولانا قد أثرت فيه أنسام هذه الليلة ، فانسجم فى حديثه . أفلا تخبرنى أين تصلى الفجر القادم ؟ ليكون لى حظ الجماعة من خلفك ... ؟ «ضحك»

فقال الشيخ : حتى أنت تورى يازكى الدين ... ؟

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

يامعشر القاهريين ! أنتم لا تفوتكم النكتة ، ولا تفلتكم التورية،ولو كانت على أنفسكم،حتى أصبحتم فيها مضرب الأمثال

وما دمت يازكى الدين تريد المزاح ، فان لك متسعا فى مسجد الشرابشيين ... « ضحك »

فقال علم الدين : ألاقل لنا يامولانا الشيخ ! ما حكم الشرع فى الصلاة فى هذا المسجد؟

فقال الشيخ : حكم الصلاة ؟ الصلاة مباحة فى كافة المساجد ، وفى الأماكن الطاهرة ، لاحرمة فيها على المصلى . أما الجمعة وخطبتها ، فقد أجاز الحنفية تعددها فى المدينة الواحدة . وقد أفتى قاضى الحنفية الشيخ عبد البر بن الشحنة ، لمولانا السلطان الغورى بجوازهما فى مسجده هذا ، وأذن السلطان بها

فقال علم الدين : أنا لا أسأل عن حكم الصلاة من هذه الناحية . وإنما قيل إن السلطان بناه بأموال جمعها ظلما وجورا وعدوانا . فهل تصح صلاة فى مسجد لم يؤسس على التقوى ؟

الشيخ : أما الجور فوزره على من يجور . وأما الصلاة فليس هناك ما يبطلها فى مثل هذا المسجد . فالصلاة صحيحة ، وإن لزم المصلى حرمة . .

ثم إن الله تعالى عليم بذات الصدور ، وهو يزن الأعمال صالحها وطالحها ، ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

علم الدين : أعلمت يا مولانا الشيخ كيف بنى السلطان مسجده هذا ؟

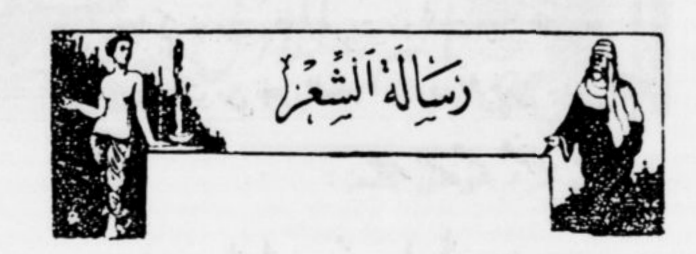
الشيخ : لقد تهاوى إلى سمعى منذ أمد ما اجترحه السلطان حين تصدى لبناء هذا المسجد وتشييده وتجميله . ولكنى دائما لا أسرع إلى الظن بالناس ، فإن بعض الظن إثم .. ثم إنى أكره الغيبة والنميمة ، وأعرف أن أهل مصر لا تطاق ألسنتهم . وويل لامرئ تقع عيونهم منه على مذمة ، أو تسمع آذانهم عنه منقصة ، فإنهم لا يغفرون له ذنبا ، ولا يسترون له عيبا . وقد يبالغون فى لومه والحملة عليه بما لا يستحقه . .

ثم إن هذا المسجد قد افتتحه السلطان ومعه قضاة القضاة . لحضورهم معه فى افتتاحه والصلاة فيه فتوى ضمنية للعامة بجواز إقامتها فيه . فإن يكن هناك إثم أو حرمة ، فهى لاصقة بهم . .

ولكن كيف جمع السلطان هذه الأموال ظلما وجورا ؟

فقال المستوفى زكى الدين : الحق أن السلطان قد اشتط فى فرض الغرامات على المتهمين ، وجاوز فى ذلك حد العدالة . وأصبحت أقرب عقوبة يؤدبهم بها ، الغرم المالى . فامتلأت بذلك الخزائن الشريفة . .

ربما كان له عذر عند أول عهده بالسلطنة ، لأنه وجد خزائنها



أول موعد ...

طال انتظارى يا حبيبة ههنا ... منـذ الغروب
والليل قد بسط الجناح على العالم والدروب
ما جئت أنت ، ولا بدا للعين موكبك الرغيب
أما أنا . . فأنا هنا . . من قبل موعدنا الحبيب

* * *

قد حان وقت لقائنـــا ، ومضى ، ولما تقبلى
أنت التى بضياء عينيــك الشهى حلفت لى
ماذا ترى ألهاك عن عدة اللقـــاء الأول ؟
ما تفعلين إذن بحبى فى الزمان المقبـل ؟!

* * *

واعدتنى اللقيا ، فكدت أطير من فرحى بها
وطفقت أنتهب المدى ـ شغفا ـ إلى محرابها
أستلهم الأنسام عطرك عالقا بثيابهـا
وصبابتى فى أوجها ، فى عنفوان شبابها

* * *

ما رف حولى فى شعاب الليل طيف أو هفا
إلا أطرت وراءه بصرا وسمعـــا مرهفا
حتى مضى الزمن المجول ، كنشوتى متلهفا ؛
يستطلع الفجر الوليد ... ولم أزل مستشرفا

* * *

ويفيض بى يأسى الممض فأنثنى بمدامعى
صفر اليدين من اللقاء . . سوى لقاء مواجعى

خاوية على عروشها ، بعد أن عانت ما عانت إبان عهد الملك العادل وفتنته . . أما الآن وقد امتلأت بالدنانير ، وغصت بالأموال ، فلا معنى لكل هذه الغرامات والمصادرات

إن مدرسته المنشأة فى هذا الحى ، قد أنفق على بنائها من أموال المصادرات ووجوه الظلم . وبمثر على تزيينها ما فرضه من الغرامات على الممتلكات وأراضى الأوقاف ، حتى أوقاف البيمارستان المنصورى قد فرض عليها مالا

ولم يقف عند هذا الحد ، بل غلا فى البناء ، وبالغ فى الزخرف ، وجلب إلى المدرسة الرخام النفيس النادر وقد ابتاعه من مالكيه بأبخس الأثمان . وخرب قاعة شموال اليهودى الصيرفى ، ونقل منها رخامها وأبوابها قسرا ، وهكذا . . حتى سماها بعض الظرفاء : « المسجد الحرام » . ! « ضحك »

فقال الشاعر : وقال فيها أيضا بعض الشعراء :

بنى الأشرف الغورى للناس جامعا ... فضاع ثواب الله فيه لطالبه
كمثل حمام جمت فى شبا كها ... متى تلق عنها طار كل لصاحبه

فقال المستوفى : أجل ! ثم إنه احتفى بافتتاحها ، وأقام الولائم الحافلة للأمراء والقضاة وأعيان الدولة ؛ فأمر الناس فأقاموا على دورهم وحوانيتهم معالم الزينة ، وعلقوا القناديل الموقودة

وقد عقد بهذه المدرسة تلك القبة العظيمة التى غلفها بالقاشانى الأزرق، وخلع على عدد كبير ممن اشترك فى بنائها من المهندسين والبنائين والنجارين والمرخمين وغيرهم من الصناع خلعا ثمينة ، وأنعم عليهم بالإنعامات النفيسة ، وأعطى كل « فاعل » ألف درهم

« للكلام بقية »

محمود رزق سليم

لاشيء في كفي سوى أشلاء حلم رائع
لا شيء غير حطامة الأمل الرضيع الجائع

* * *

هي خطوة ، أو خطوتان ، كلهجة المتلعثم
لبيت بعدهما نداء الوهم يهتف في دمي !
بعزارك الهاني ، وعـدت لموضعي المتوسم
كيما أراك ، فلا أرى حتى سراب توهمي

* * *

أفنيت أيامي التي سبقت ، أهدهد لهفتي
مترقبا صبح المنى يبدو بأجمل ليلة
أزجي خطاي لكل بستان ، وكل حديقة
حتى جمعت من الشذى المنضور أحلى باقة

* * *

من أبيض يحكي جبينك ، أو وفاء محبتي
أو أحمر يحكي خدودك ، أو جواي وحرقتي
لو كنت أدري ما انتزعت الشوك منه براحتي
لتركته رمزاً لغدرك قبل أول فرحة

* * *

واها لأزهاري التي قطفتهن لتفرحي !!
وفصلت بين عروشهن وبينهن لتمرحي
واها لأزهاري أصابتهن خيبة مطمحي !!
فذوين بعد نضارة ، وذبلن بعد تفتح

* * *

واها لأشواقي ، ولي من حرها المتوقد !!
يخبطن في قفص الضلوع كثائر متمرد
يسألنني سببا إليك كأن قلبك في يدي
وكأنني . . لا أنت . . من نسي الوفاء بموعدي

* * *

الذنب ذنبي لا تخافي ثورة الشوق المريد
وأنا الملوم ، فواعدي ثم اغدري ، هل من مزيد ؟
يا كم خدعت ، فما ارعويت ، وكنت ذياك الشهيد
ولدغت من نفس المكان ، وسوف ألدغ من جديد

عبد الرحيم عثمان صارو

بابل في الجيزة

« مهداة إلى الشاعر الشاب الأستاذ كمال نشأت
بمناسبة إصداره ديوان شعر (رياح وشموع) »

للأستاذ عبد اللطيف النشار

ما سـحر بابل يا كمال أحقيقـة هو أم خيـال ؟
ما السحـر ؟ هـل هـو ما يفيض به على النفس الجمال
ما السحـر ؟ هـل هو أن يدين لمن يحاوله المحـال ؟
ما السحـر ؟ هل هو أن تقول فيبلغ النفس المقال ؟
ما السحـر ؟ هل هو أن تجول بحيث يستعصي المجال ؟
ما بابل تلك التي نالت مكانا لا ينـال ؟
هل لاختلاف لغـاتها فازت بألوية الجـلال ؟
أم للمـلاكين اللذين يروضان على الضـلال
أم للصروح العاليـات كأنها بعض الجبال
أم للحدائق فوق أبنية مبـاركة الظلال
ماذا ترى في بابـل ؟ هل سحرها الموصوف زال ؟
اذهب إلى الأهـرام وانظر بابلا فوق الرمال
استأسـدت وتحجرت والسـحر باق لا يزال
وانظر إلى ثالوث أبنية بجـانبها طوال
فيهن شيء ليس يدرك كنهه إلا الخيـال
في حيث لامرئي يشهد ناظر أقصى قتال
وترى القرون الأربعين وقد وضعن بها الرحال
جيش من الأجداد يهبط من ذرى فيهـا عوال
جيش من الأجداد يبلغ كثرة عدد الرمال



حول تحريم الأغاني الخليعة :

قد قررت أخيراً إدارة المطبوعات تحريم عشرين أغنية سواء في الإذاعة أو الصالات أو الحفلات العامة أو الخاصة — وتلك همة مشكورة نحمد عليها — ولكن أين الأغاني الباقية المتبذلة وهي تستحق أن يسرى عليها هذا التحريم !

ويعلم الله أن قد آلمنا — ونحن أمة شعارها الإسلام — أن تركنا — إلى الآن — هذه الأغاني الماجنة التي سرت وانتشرت هذا الانتشار في المدن والقرى حتى طغت على كل شيء في حياتنا وألبستها غير لباسها الذي كان يمثل الطهر والعفاف والقداسة !

ومالي أذهب بعيداً؟ فها هي في ذاكرتنا بقايا أغاني الماضي التي كانت تمثل الحياء بصورة فاتنة أخاذة تبين مزاياه وتشير من طرف خفي إلى ما يدور في خلد الفتيان والفتيات من آمال وآلام !

أما أغانينا المستحدثة الهزيلة فإني لا أتصورها إلا حرباً على الأخلاق والعادات، بل إني لأستحي أن أشير إلى طرف منها لما فيها من جارح القول وفاحش اللفظ . وأكبر الظن أن هذا النوع من الغناء هو العامل الأكبر في تنحي القليل من فتياتنا عن جادة الصواب وتخبطهن في مهاوي الرذيلة

ولا يخفى على الجميع أن الغناء الفاحش هو أشد على الأخلاق من التهتك المكشوف، إذ أنه وسيلة عملية للإباحة لكثرة ترديده على ألسن الشبان والشابات من آن لآخر

فإلى أن تظهر تلك الأغاني التي نريدها وهي التي تمثل الحياة المصرية في مدنها وقراها بأسلوب سهل محبوب ، يهدي إلى الأخلاق العالية، ويمجد الوطن والعروبة، وينشر بأريجه حياة الطهر والعفاف، ويحض على المثل العليا في الحياة، ويمثل في ثناياه أمراضنا الاجتماعية بصورة مزرية حقيرة ينفر منها الطبع السليم والخلق الكامل والتربية الصالحة

أقول ثانياً إلى أن تظهر تلك الأغاني ، نريد تحريماً باتاً لكل الأغاني التي يشم منها رائحة الخلاعة والمجون ، لنحمي أنفسنا وذرياتنا من هذا العبث المهين

شطانوف — محمد منصور خضر

سلطان السليط :

السلاطة « هبة » يباهي بها طوال الألسنة، في زمن معوج لطم الباطل وجه الحق غير متهيب ولا خزيان !

والسليط مسف مستخف ، لا يبالي سوى نوعه ، ولكل شيء آفة من جنسه، فهو فاتك لهج على الوادعين المسالمين ، ومنزو منطو أمام السلطين المؤذين، وهكذا لا يعرف قدر اللئيم غير اللئيم !

والسليط يملق بلسانه الإسفاف، ويلمق الهذر في نهم الذئب !

ومن العجب أن المجتمع يغريه على استدامة سلاطته بالمقاربة والمداراة والتخوف ! فيكبر وهمه في رأسه حتى يغالي في نزواته وغلوائه !

وإن هذا السلطان الذي صنعه بخشونة طبعه ، وخسة حسه، وانضاع نفسه ، وضآلة شخصه، يجب أن يحطم على رأسه

وإن المسالمة في جانب المخاشنة ضعف ، والموادعة مع الوضيع غفلة !

يجب أن نحرر شعورنا ونطلقه من محبس الاستحياء ، مادام الزمن لا يعرف سوى العنف في منطق المؤاخذة

أشهدت معركة القديم مع الجديد ولم تبال
وبل لجيلك يا كمال أن يفوزوا في النضال
أرأيت (بنتاؤور) يدعو بعض جيلك للنزال ؟
من فيكمو ند له إن صال بينكمو وجال ؟
رأس على كتفيك يوشك أن تحطمه النصال
إن لم تكن عوضاً لجدك في المقال وفي الفعال
أكمال ما أدعوك إذ أدعوك إلا للكمال
والسحر عندك يا كمال والسحر يطمع في المحال
وتريد شيئاً دونها والجد في طوق الرجال

عبد اللطيف النشار

والحياة سجل يحفل بتلك الصور القاتمة التي تظلم جوانبها المضيئة، فتدعونا إلى السأم، والضجر، والمضايقة، ونحن الذين نجلب إلى أنفسنا هذه المعاني بعدم مطاردة الجبناء!

حدثني رجل فاضل قال: كنت أجالس جلة الجالسين؛ فيغشى مجلسنا معتوه أعمى الجنان، مستطيل اللسان، أغراه تسممي إليه، وترفقي به، إلى تزييف كل قول في جرأة وقحة، والجلساء يخشون سلاطته، ويحاولون مجاراته. ولما برم شعوري به اعتزمت أمرا، وحملت على يميني العصا التي تطوى لسان هذا الرعديد. ولقد عاود حمقه سخفه فزجرته حتى انكمش وتكور ونظر إلى عصاي نظرة الترفق؛ ثم طواه أفق الخزي ولم يعد إلى المضايقة! قلت: إن سلطان السليط مصنوع من الطيبة المرادفة للغفلة!

بور سعيد: أحمد عبد اللطيف بدر

حول رسالة الأزهر:

كنت أطالع ما كتبه الأستاذان — سيد قطب — وشاهين — عن الأزهر وكأنه صرخة فزعة تنطلق من كياننا الثقافي والروحي لإيقاظ الأزهر وإشاعة الأضواء حول موقفه الغامض ومستقبله المريب. ولكن كيف يتسنى للأزهر — ما دام يحبس نفسه داخل جدران العصور الوسطى ولا يسمح لنور العصر الحديث أن يملأ آفاقه — أن تكون له رسالة إنشائية إبداعية في الميدان الديني وهو في عزلة عن تلك الدراسات التي تحوم حول رسالة الدين الاجتماعية، والتي تبلورت في علم الاجتماع الديني وعلم مقارنة الأديان. وقد أخذت دراسة الظواهر الدينية في عصرنا تحتل مكانا هاما جدا بين مجموعة العلوم الاجتماعية. ولا شك أن الأزهر في أشد الحاجة إلى هذا النوع من البحوث، إذ ليس من الممكن أن تزدهر الدراسات الإسلامية ودراسات التوحيد بصفة خاصة دون هذا العلم. والأزهر يحرص على دراسة اللغة والأدب وشيد لهذه الغاية كلية، فهل حرص الأزهر على كيانها فطعمها بالدراسات الأدبية واللغوية التي تنهض بها الكليات التي تعنى بدراسة اللغة والأدب والتي تقع على بضع خطوات منها — هي لا تعرف قيمة لدراسة اللغة إلا للجانب الذي يتعلق بالإعراب؛ ولهذا كان — الأشموني وحاشية الصبان — يتمتعان بقسط وافر من العناية والجهد. ولكن هل عرفت — الكلية — أن هناك أبحاثا تدور حول اللغة ليست ناحية الإعراب أخصب منها ولا أجدى؛ منها الجانب الاجتماعي والجانب المنطقي والجانب النفسي والتطور اللغوي. الخ. فهل استحقت هذه الدراسات نظرة ولو خاطفة من واضع المنهج لكلية تدرس اللغة؟ وتدرس الكلية ما يقال له الدراسات الأدبية، فهل عرف الأزهر أن الدراسات الأدبية تطورت تطورا عظيما وأن هناك ما يقال له — علم النفس الأدبي — الذي أصبح ضرورة في فهم الأدباء وتأريخهم. فالأديب حينما يحس ويتأثر فيجد الحاجة إلى التعبير، والناقد أو القارئ الأديب حينما يتفهم هذا التعبير والإحساس ويتذوقه ليقدره لا يستطيع أحدهما أن يقيم عمله إلا على أساس ثابت من معرفة النفس الإنسانية وحياتها الفنية، وذلك هو ميدان علم النفس الأدبي — فيجب أن نقيم دراستنا الأدبية على الفهم النفسي لكل نص أدبي، وإلا فإنا بدون هذا الفهم النفسي لن ندرك الأدب إدراكا حقيقيا ولن نتذوقه، وسيكون حكمنا عليه قاصرا خاطئا ...

وتدرس الكلية البلاغة في كتب أبعد ما تكون عن تكوين الذوق البلاغي. فهل تعرف كيف تدرس البلاغة في الكليات التي تدرس البلاغة؟ الدراسة المثمرة هي أن تسبق أولا بمقدمة نفسية تنتظم دراسة القوى الإنسانية عامة وصلتها بالحياة الفنية والنشاط الوجداني، ثم العناية بدرس الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الأخرى في عمله الفني ودرس الخيال والذاكرة والإحساس والذوق ومعرفة أمهات الخوالج النفسية من حب وبغض وحزن وفرح وغضب وغيرة وانتقام وما إلى ذلك مما هو منبع المعاني الأدبية الكبرى في الآداب الإنسانية على اختلافها.. وعلى صاحب



أعاصير

للأستاذ أحمد عبد القادر الصاوى

خرجت إلى الطريق وفى رأسى معركة ومشيت ومشيت، ولكننى كنت أمشى داخل نفسى، وطالت الطريق. ترامت أمامى وامتدت. ترامت كما يترامى الزمن ويمتد، وصعدت فيها وهبطت. وحين تطلعت بعينى لأرى ما بقى، رأيت أنه على مسافات. ومشيت ومشيت

وكان يخيل إلى أحيانا أننى لا أمشى، بل أسبح

وصلت، وقدماى تتخاذلان. وتواريت فى حجرتى. وتهالكت إلى سرير نبت على جوانبه الشوك. وتلفت نحو نفسى المنهوكة أسألها العون. وقادتنى إلى مستقبل عبوس. قطعة من ظلام دامس خضتها حائراً

وطاف بى أمسى نقلنى إلى فترة باردة. وانسكب وجدانى فى أودية من الذهول.. عميقة مظلمة

ودققت فى أمرى. واكتشفت أننى مريض رضاى. وفرحت جدا.. سأتخلص من الداء. بيد أننى فشلت تماما واستلقيت فى أحضان أوهامى، ومر بما شملت كل أفكارى وأغمضت العينين. وإذا بى أتهادى وسط مواكب ومشاهد، الذكريات مواكب، والأحداث مشاهد. وتتابعت سلسلة من الصور طويلة جدا. وما برح الذهن يجذبها إليه، فتطوى فيه طيا. وراح – وهو يستعرضها – ينمقها.. يشيد هذا الماضى الوارف. إن للماضى رونقا

واستيقظ على صوت يناديه إلى الطعام. قام مرتبكا. وألقى جسده على أقرب كرسى. ومد يدا فاترة. وسألوه:

– مالك! – وأجاب – لاشئ

واستجمع همته ليسترد نشاطه المسلوب، فتضاحك: – تمجلم

– بل تأخرنا كثيراً

وعلته دهشة، لأنه غالبا ماكان يحتج على تأخر الغداء. وقيل له: – هل نمزمك؟

وأكل أتفل طعام. وأوهم من حوله أنه امتلأ. تنهدت والدته وتعجبت أخته

وأقبل الأصيل. وهبت الريح شديدة عاتية. وسمع لها عواء رهيبا. وتمضى فترة ثم تتكشف نسيما رقيقا. وتنفست بسمات خفيفة على كبدى. أفرجت عنها قليلا أن دفعات ناعسة أهدت إليها أريج البنفسج. وتذوب فيه

وتفتحت نافذة أمام روحى. وأطلت منها على عالم جديد وتنبهت.. وعت وأرهفت لتستمتع بنظرة أو بضحكة أو بكلمة. وأنى لها على البعد والنوى!

وعادت العاصفة

وتتابعت أفكار كثيرة مزعجة. وجرفته بين طياتها أمواج عالية. ورسب واختنق

وكانت وساوسه كزوبعة تهب فلا تبقى

وأظلته سحابة داكنة. ولا يملك فؤاده، فتمتصه مجاهل ملتوية.. أشجانه وآماله

وظل يرقب نفسه حزينا وهى تتحلل وتتساقط. ورثى لها!

الفن منتجا وناقدا أن يعرف آخر ما وصل إليه البحث النفسى. وقد أصبح التقسيم التقليدى للبلاغة إلى معانى. وبيان. وبديع. غير ذات موضوع فى البحث البلاغى.. وصارت البلاغة تدرس على أنها وحدة متصلة تبدأ من البسيط إلى ما يليه. تبدأ من الكلمة المفردة فالجملة والفقرة فالقطعة الأدبية وهكذا يقوم المنهج الفنى البلاغى على أصول وأسس نفسية قبل كل شئ –

أين الأزهر – يا صديقى – من هذه الأبحاث التى تملأ شعاب المعاهد والكليات التى تشعر أن لها رسالة انشائية ابداعيــة..

فهل تنفذ هذه الصيحات إلى حيث نأمل؟ هذا ما نرجو أن يكون

محمد عبد الحليم أبو زيد

أشعة ساخنة تدفق فى جوانحه . تشيع فى أنفاسه اللهب ما أحبه إليه لأنه يحيط قلبه بالدفء

وصورة أمام عينيه لا تنحرف عنهما . ما أكرمها عليه ، برغم حجابها الرؤية والمرئيات

أصبحت لا أرى .. ارى فقط جمالها وأنوثتها وفتنتها

أصبحت عجولا .. أود أن أثب من فوق الحوادث .. أسبقها ولا أطيق مكثا ...

وأقود نفسى إلى منزلها وأشواق تحثنى . وأدعو قلبى إلى الصبر ، فلا يستجيب

وتشابكت السحب ، وراحت تزرف . وأحار تحت الدموع الغزيرة . وحولت خطاى إلى مسكنى

وفجأة صفت السماء . وانثنيت مرة أخرى إليها . وتألقت النجمة فى نافذتها كالماسة الكريمة . ونظرت ذاهلا ونظرت هى حزينة وخفق قلبى خفقة أحسست بعدها أنه يتصدع ويتداعى رباه ، أيلقى بعض الناس ما ألقى ؟!

وانتزعت رجلى نحو العودة . انتزعتها نزعا

وتجمع الظلام على الدنيا . وتراكم على قلبى جبل حالك من الترهات

لو تستتر المرئيات . وتظهر صورتها لمخيلتى . وأشعر أن مخدرا يسرى فى جسدى . . أخيلة وخيمة تنثال إلى رأسى كأخيلة رجل تناول قدرا كبيرا من المخدر ... وتضيق أنفاسى

وفتحت النوافذ والأبواب . ولكنها تنعقد فى صدرى واستقبلت السماء

ورأى القمر وحيداً حزيناً .. تراءى كفجوة تخترق حائط الظلام الهائل . وجذبت نفسا طويلا . . لو استطعت كان أطول من الليل . ودخل الهواء الأسود رئتى

وبقيت فى النافذة ، والليل أمواج ساكنة ...

وسمعت صوت أقدام ثقيلة وقورة . كان رجل الدولة يتولى حراستها ، ومر حوذى . خاطب خيله مدللا إياها رعا أفاد كثيرا ذلك السماء . وأدار عربته ليأوى

ويمر أحد السكارى . . يطلق مزعجاته . . أغان مخنوقة مبتورة وفاجأه الجندى . كف ا ومشى مستخذيا

أولئك جماعة مابعد الساعة الواحدة بعد نصف الليل . كلهم مرح .. كلهم سعيد

والليل يزحف فوق صدرى كغمامة سوداء ، ليس لها نواح تدر كها العين . وتحولت إلى البدر كالغريق . . . ب غريق لجة قاعة ويلاه ! اختنق ، وترك الدنيا . كانت متعلقة بأشعته ، فلما قبضها هوت فى بحر من الظلام

وأنظر من قاعه ، فيشاهد خيالى قمرا آخر . إنه يشرق من قلبى فيضىء حناياه . ويهتز الظلام .. يرتجف ويولى

وأشاهد نفسى طافيا فى بحيرة من الضوء . وأشاهد فتاة تسبح فى ذهنى ، وكلها مفاتن

... وجه كالزهرة الناضرة ، وقوام كالرمح المشوق ، وأنوثة تتألق وتزهو . وصوت كأصوات الملائكة .. رتيل ونغم

تلك فتاة جمعت فى نفسها حشدا من الحسن . . ستركع أمنع القلاع أمامه .. ستخر . ويل قلب غزاه . . سيتزلزل .. سيهوى ويل عين رأت . لن تغفى . ستسهد

وأفتك مافى الوجه عينان نقيتان على قلبى . . تصبان عليه الوهج ناعما رقيقا . ما أبهجه !

وينصهر القلب تحت النظرات .. يترقرق ويسيل فى مسارب ضيقة معقدة . وبحثت عنه فأخفقت . . تشربته المسارب الضيقة . غرق فى أحزانه ! ويلى . ويله !

أيتها العينان ، مابال ذبولكما يسرى إلى قلبى ؟ حسبت العين المريضة لا تمرض الأعين

أيتها العينان ، إذا تأملتكما أشرفت على قلب من النور

أيتها العينان ، أى صفاء بعثتماه فى روحى ؟

أية مرآة أنتما أية صورة تعكسانها . أية صورة ترعرعت فيكما ياروحها ، أنت أنضر صورة وأجلها وفيها ؟!

إذا ما ارتسم فى ذهنى ، تخيلته يطبع عليه قبلة ، أشعر بعدها ببرودة رافية . وتقدمت بفمى أقتطفها . لم أصل !

إننى أفيد الخيال بالواقع ، فأنشىء قبلا ، لا تلبث فتنها — يا طالما تعلقت فى حبال من الخيال . ويا طالما تراخت الحبال ، وما أسرع أن تتراخى !

فما وردة متوهجة . إذا تكلمت تفتحت . كثيرا ماتفتحت الوردة فعطرت الحياة حواليها

وأتصورها الآن تتفتح ، فأسمع تغريدة ترددها الوردة .. أسمع نبرات كلها موسيقى . كلمات موشاة منمقة مختصرة كخفقة الضوء ، ولكنها بليغة فى أوج البلاغة وذروتها

لو سمعتها وحدها حياتى كلها ، لعمر الله ، ماقنعت ولامللت !
والجبين الوضاح . والشعر اللين . والقوام المعتدل ؟
أسنة مشرعة نحو صدرى
والليل متمدد على الدنيا كوحش خرافى لا يقف البصر على زواياه .. والسكون لا صور له .. موحش رهيب ..
وماتت الضوضاء
وتجمعت الحركات الساخنة فى رأسى . وتحولت فى تيار ساحق.
وازدحمت فيه بضعة أسباب مائعة للغز الذى أقاسى من أجل حله
ويشب الجوى ، فيثير فى قلبى أحزانا . ويتحامل على ، فيجرد لى فيلقا من الشجن
وينتقل اليأس فى نواحى الروح ، فيهوى بها إلى قرارة الجسد، وتغيب فى ظلمات وأعاصير
ويتداعى الأمل . هل من بعث بعيد ما هلك فى الأركان المعتمة ؟ أحاوله . ألمس ثغرة يتنفس منها ، فأمشى نحوها . أو خيطا من نور يؤدى إليه ، فأتعلق به ! وعجزت جد العجز ..
وبقى فى قلبى الضيق . واستقر فى بدنى الملل . رحماك !
وتفتحت آذان السماء ، فرفرفت على عينى سنة قصيرة ، وانتبهت بعدها
تقضى الليل ، وآذن الفجر أن يولد . واستهل صراخ الوليد عن ضجيج الناس وحركتهم
واستيقظت الدنيا . واتسع الأفق وأضاء . وطلى الضوء كل شئ . . صبغه بلون الحياة والرضى والأمل . اللون البهيج
وآن لقلبى أن يتنهد بعد امتداد بكائه
وأتى إلى صباحا خطاب . وفضضته وتسلسلت أمام عينى كتابتها . واتسعت حدقتهما والتهمتا الكلمات حرفا حرفا
كل جملة تكون معنى قائما
كل كلمة تبرز تعبيرات شتى . . تمثل ضميرها ثم تطبعه على الورق ، فيكاد المداد الأسود يغشى
كل لفظ يستشف منه ضراوة البعد وصرامة الشوق ، واستبداد الألم
ويزدحم صدرى بالمعانى الواردة ويصيغ مادة من التأويل المفكك والكتاب ، أوله حتى آخره صورة خلجات نفس هالعة ، والهلع موزع فى معانيه كلمة كلمة ، مرتسم عليها جملة جملة . وأول نظرة ألقيتها عليه أكدت أنه عمل روح جازع
ليس به تاريخ . ليس به عنوان . ليس به إشارة إلى لقاء فأستقند وأضع لهذه البلبلة حدا
وزاد الغموض ، أن بعض الكلمات أزيلت. لم يكتب شئ مكانها ، فارتبك بناء الجمل والمعانى . وتكبدت فى حل تلك الرموز البالية العناء
قالت : سأحضر ، انتظرنى !
وانتظرت حتى أودى الصبر. وانسلخت أربعة أسابيع وأيام.. هل برت ؟ !
وأصحب قلبى بعد طول المهلة إلى نافذتها . وأظل تحتها ساعة أو ما يعادلها ، فلا أرى الطلعة السمحة
ضللت معها وأبعدت
أقدمت أسير فى صحراء قفراء . . أقطع الفيافى والمسافات ، فإذا تذكرتها ، وحللت من ذكراها فى واحة ناربة
أقدمت على النار ، وأنا أعلم أنها ليست النور ولا الدفء وأقدمت ! !

أحمد عبد القادر الصاوى

ترجمتان لقصة المعراج

بقية المنشور على صفحة ٧٧٠

وقد يتساءل الإنسان كذلك عن قيمة البحث الذى قام به المستشرق تشيرولى والإجابة عن ذلك أنه نجح كل النجاح فى إيضاح المسألة التى أثارها بلاثيوس ، كما أنه نجح فى وضع هذه المسألة على أساس أمتن من الأساس الذى وضعها عليه المستشرق الإسبانى
كذلك يمكن التساؤل عن موقف تشيرولى فى هذا الموضوع . لقد كان المستشرق الإيطالى شديد الحذر عند الإشارة إلى تأثير هذه المعلومات الإسلامية على فكرة دانتى ؛ ولذلك اجتهد فى أن يثبت آراءه بأكثر مما يلزم من الأدلة وذكر أن من المحتمل كثيرا أن يكون دانتى قد تأثر بقصة المعراج بصفة عامة عندما خطرت بباله فكرة رحلته إلى الأقاليم الثلاثة؛ ولكنه لم يصل إلى الجزم بأن الملحمة مأخوذة بتفاصيلها عن قصة المعراج كما فعل بلاثيوس !

أمين نور بزيتانو



مطبعة الرسالة



العدد ٩٤١ — ١٦ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٠٥

مجلة أبو عبد الله للعلوم والفنون

ظهرت اليوم الطبعة الخامسة منقحة

من كتاب

روفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعري تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب ... وهي « كآلام فرتر » في دقة الترجمة وقوة الأسلوب

ظهرت حديثاً

الطبعة الثامنة منقحة

من كتـــاب



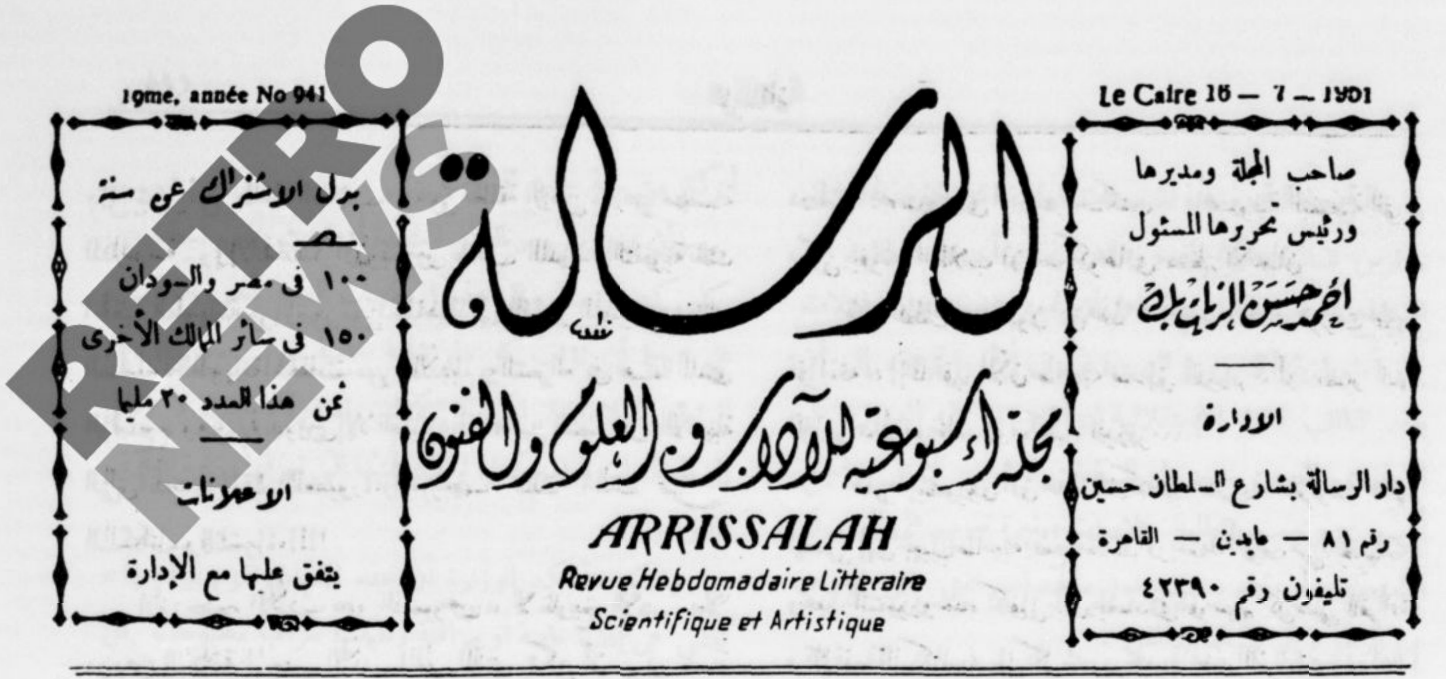
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

وهي القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف

« جوته » الألمـــــــاني

صور فيها: عواطف الشاب في وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة ... وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) « كل امرىء يأتي عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة »

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها في قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهي مثال للترجمة الأمينة التي تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...



19me. année No 941

Le Caire 16 — 7 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٣٧٠ — ١٦ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

هل الأدب قد مات؟

وزارة المعارف تقتل الأدب!

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

منذ عشرات السنين ووزارة المعارف دائبة — عن طريق المدرسة — فى قتل الأدب والروح الأدبية فى نفوس الطلاب! إنها جادة فى هذه العملية كما لو كانت هدفها الأول. فالمدرسة المصرية لا تجيد شيئاً كما تجيد هذا الواجب، ولا تفلح فى شئ كما تفلح فى أدائه!

كل ما فى المدرسة يمشى على هذه الغاية ويؤدى إليها: طريقة وضع المنهج، اختيار المقررات، تأليف الكتب المدرسية، طرق التدريس، استخدام المكتبة ... كل شئ. كل شئ يؤدى إلى هذا الهدف الأول الذى تمتز به المدرسة المصرية فى ماضيها وحاضرها!

هذا المنهج المفكك الذى لا يعقد صلة بين حاجات الحياة وواقع الحياة، وبين الموضوعات التى تدرسها المدرسة وبخاصة فى اللغة العربية؛ والذى ينتهى إلى تقرير عقيدة خاطئة فى نفوس الطلاب، هى أنهم لا يدرسون ما يدرسون فى المدرسة لأنه ذوصلة حية بحياتهم وتفكيرهم وبحاجات جيلهم واتجاه مجتمعهم: إنما يدرسونه لأنه ضريبة مفروضة عليهم، ضريبة كريهة يؤدونها للنجاح، ولتسلم الورقة التى تفتح لهم مصاريع الدواوين، وغير الدواوين

ومن هنا تنشأ فى نفوسهم عداوة القراءة، والاستهانة بها. والحياة عادة؛ فإذا لم تكن القراءة عادة محبوبة فى سنوات الدراسة، فقلما تكون فى المستقبل، اللهم إلا للتسلية الفارغة التى تلبيها أرخص الأقلام!

وهذه المقررات الجافة الفارغة السخيفة، وبخاصة فى تاريخ الأدب، وفيما يسمونه « البلاغة ». أى شئ يمكن أن يثير الكراهية والسأم والنفور من القراءة ومن الأدب أكثر من هذه البلاغة؟! أى سخف وأية فتانة أكثر من إجراء الاستعارات، وفرز التشبيهات، وتصنيف المجازات؟ وما غناء هذا كله فى تكوين الذوق الأدبى، أو تكوين الشعور بجدية الأدب؟

إن هذه « البلاغة » كانت قواعد للنقد الأدبى. وقد وضعت فى عصور انحطاط الذوق الأدبى، وعصور انحطاط النقد الفنى، فهى قواعد كاذبة وخاطئة وبدائية، لا تؤدى إلى تكوين ذوق، ولا ملكة نقد، ولا يجوز أن تدرس إلا فى المجال التاريخى للمحاولات الأولية للنقد فى الأدب العربى، وموعد هذه الدراسة التاريخية ليس هو المدرسة الثانوية، إنما هو دراسات التخصص الجامعية

وأما تاريخ الأدب فشأنه هو الآخر عجيب. ومقرراته فى المدرسة الثانوية تشهد بما لا شهادة بعده على جهالة وزارة المعارف

بكل شيء عن طاقة الطلاب ، وعن طاقة الزمن ، وعن مهمة المدرسة .. وإلا فما غناء أن يدرس طالب المدرسة الثانوية تلك الحقبة الطويلة من الزمن من الجاهلية إلى العصر الحديث ، وتلك السلسلة الطويلة الحلقات من الأدباء والشعراء في هذا المدى الواسع ، وهو لم يدرس إلا القليل التافه من النصوص الأدبية التي أنتجتها تلك العصور ، وأخرجها ذلك الحشد من الكتاب والشعراء ! !

إن جسم الأدب هو النصوص ، لا تاريخ الأدب ولا دروس البلاغة ! جسم الأدب الحي الذي يمكن أن يربي حاسة التذوق الفني هو تلك القصائد والمقطوعات والقطع الأدبية ، والأقصوصة والرواية والبحث .. إلى آخر الفنون الأدبية المختلفة .. وهذا ما يجب أن ينفق فيه الطلاب ذلك الوقت وذلك الجهد اللذين ينفقان في دروس البلاغة وفي دروس تاريخ الأدب المملة

وإنه لخير للطالب الثانوي أن يقرأ في كل عام كتابين : يحتوي أحدهما مختارات منوعة من جيد النصوص الأدبية الحية ، يشرف على اختيارها أدباء في ذوقهم حياة ، وفي حسهم تفتح ، وهم غير موظفي وزارة المعارف بكل تأكيد ! . . . وأما الثاني فيتناول موضوعاً قائماً بذاته ، قصة أو بحثاً أدبياً أو اجتماعياً ..

خير للطلاب أن يدرسوا كتابين على هذا النحو في العام ، يجدون فيهما غذاء فكرياً وغذاء روحياً ، ويحسون أن للقراءة المتصلة قيمة في فهمهم للحياة وإدراكهم للأشياء .. من تمضية الوقت في إجراء تلك الاستمارات الفارغة الهازلة ، وفي المرور سراعاً على خط سير الأدب الطويل ، وترديد الألفاظ والعبارات كالببغاوات

وبهذا وحده يمكن أن نعقد صلة مبكرة بين الكتاب والطلاب . فلا يعود الكتاب في نظارهم عدواً كريهاً ، أو نسخة زرية . ولا نقتل في نفوسهم بذرة الأدب وهم بعد في سن الطراوة والشباب !

ولقد عمدت وزارة المعارف في السنوات الأخيرة إلى تخصيص كتب للقراءة . ولكنها لم تذهب بتلك البلاغة الملونة ولم تقتصد في تاريخ الأدب الممل ... ثم — في الغالب — لم تكن موفقة في اختيار كتب القراءة المناسبة لكل سن وطاقة .. لقد دخلت المحسوبية في اختيار الكتب . المحسوبية البغيضة التي لم يكن يفوت الطلاب أن يدركوها في معظم الأحيان

كان الطلاب يعرفون أن هذا الكتاب الذي قررت عليهم قراءته ، إنما قرر لأن صاحبه صديق للوزير ، أو نصير لعهد الوزير ، أو موظف في مكتب الوزير ... !

كانوا يشعرون أن هذا الكتاب ضريبة مفروضة عليهم ليصل إلى جيب صاحبه بضع مئات أو بضعة ألوف من الجنيهات ، وهذا الشعور وحده كفيل بأن يفسد في نفوسهم كل معنى للقراءة ، وكل قيمة الكتاب ، بل كل شعور بجدية هذه القراءة وجدواها ! وبأن يحمل منهم أعداء للقراءة التي تحمل هذا الظلم الحقير !

فلما شاءت الوزارة أن تبدو نزيهة حذفت هذه الكتب حذفاً باتاً ؛ فكانت نزاهتها أشد إيذاء من محسوبيتها . وباء الأدب بالخسارة في الحالين !

فأما الكتب المدرسية فطريقة تأليفها وحدها كفيلة بتنفير أي راغب في الكتاب .. إنني ما أمسكت بكتاب مدرسي حتى وأنا في هذه السن إلا أجفلت وخشيت أن تكتب على الردة إلى عهد التلمذة ، فيحكم علي بقراءة هذه الكتب والعياذ بالله !

التفكك ، والغثاثة ، وفساد الذوق ، وسطحية التصور ، وجفاف التعبير .. تلك خصائص الكتاب المقرر في وزارة المعارف ، وبخاصة في مقررات اللغة العربية المنكوبة باللجان الرسمية ، واحتكار التأليف !

ولو ترك الأمر لكل مدرسة أن تقرر الكتب التي تراها كفيلة بخدمة المنهج المقرر والوفاء به ، لا نفسح المجال للتجديد والتنويع . ولكن احتكار تقرير الكتب لوزارة المعارف حيث لا تقرر إلا كتب معينة ، يعرف أصحابها أقصر الطرق للتفاهم مع المسؤولين ! هذا الاحتكار هو الأداة التي تقتل الوزارة بها الأدب في ماضي الطلاب ومستقبلهم ، وتوقع بينهم وبين القراءة عداوة الأبد وكراهة العمر !

وأما طرق التدريس فهي آفة الآفات . . إنها هي التلبية الطبيعية لطريقة الامتحانات في المدرسة المصرية ، تلك الطريقة التي لا تتطلب إلا تعاطي العلم في صورة « برشامة » مركزة ، تفرغ في ورقة الإجابة ، فيتم المراد

ومن هنا تنتشر تلك الملخصات العجيبة التي لا نظير لها في مدارس العالم . فالمفروض في الدراسة أن تدرب الطالب على الانتفاع بالمصادر والمراجع ، وعلى أن يحصل لنفسه من المطولات

أما طريقة التدريس المصرية فتهدف أول ما تهدف إلى أن يفقد الطالب قدرته الاستقلالية ! وأن يعتمد على المدرس كل الاعتماد ، والمدرس يعتمد على الكتاب المقرر — لا على مراجع أوسع — ويجمع للطلبة خلاصات صغيرة تعينهم على المرور في الامتحان ، أو يقوم بعضهم بعمل ملخصات تغني حتى المدرس عن الرجوع إلى الكتاب المقرر !

لماذا ؟ لأن الامتحان هو الامتحان !

ولما قيل لوزارة المعارف : إن طريقة امتحاناتك تؤدي إلى هذه الكارثة . قالت : وهو كذلك . وإذن فسنلغي الامتحان !

إن العيب ليس في الامتحان ذاته يا وزارة المعارف ، إنما هو في طريقة الامتحان . وما من شك أن أيسر الطرق هو الإلغاء الكامل ؛ ولكن هذا الإلغاء ليس هو العلاج الفني الذي يدل على أن الأمر يتولاه من لهم إلمام بهذه الأمور !

إن العلاج هو أن يوجه الامتحان إلى اختبار مجموعة قوى الطالب ودراساته ، وأن يوجه الطالب إلى الاعتماد على المراجع المطولة في المادة لا على الكتاب المقرر ولا على الملخصات .

وإلغاء الكتاب المقرر ، وترك الدراسة حرة في عدة كتب مختارة في كل مادة هو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه

وأخيراً يجيء دور المكتبة ، وهو الدور الذي ليس له وجود! إن مكتبة المدرسة مخزن مغلق ، تبعث إليه وزارة المعارف بين الحين والحين بطائفة من الكتب التي يعرف أصحابها أقصى الطرق لمن يقررون كتب المكتبات في وزارة المعارف في جو غريب مريب في أكثر الأحيان !

وهناك تبقى مغلقة لا علاقة لها بنظام الدراسة ، ولا بالطلبة، ولا بالمدرسين بوجه عام !

لقد اقترحت مرة على وزارة المعارف أن تزيل الغبار عن سمعتها في أسواق الوراقين . وهي سمعة لا يسر الوزارة أن تعرفها، ورائحة لا يرجحها أن تشمها !

لقد اقترحت عليها أن تنشئ ألف مكتبة فرعية صغيرة في المدن الصغيرة والقرى الكبيرة ، لا يكلف إنشاء الواحدة منها أكثر من مائة جنيه للأثاث

وأن تتفق مع دور النشر المعتمدة أن تبعث بألف نسخة من كل كتاب تصدره إلى هذه المكتبات العامة بمجرد صدوره . على شرط أن تؤلف كل دار لجنة خاصة بها من بعض الأدباء الموثوق باطلاعهم لتراجع كل كتاب تصدره ، بحيث لا ترسل إلى المكتبات العامة كتاباً لم تقره لجنتها التي تعرفها وزارة المعارف وتثق بها

ولكي تتأكد الوزارة أن هذه اللجان تقوم بواجبها ، تنشئ هي إدارة خاصة أو مراقبة وظيفتها مراقبة مطبوعات كل دار . فإذا اتضح لها في نهاية العام أن هذه الدار أسفت في إنتاجها أو بالغت في أسعارها ، حذفت اسمها من القائمة لعام أو أكثر حسب مقتضيات الأحوال

وقلت : إن هذا الاقتراح كفيل بأن يضمن للكتاب الجيد الوجود والرواج، لأن ضمانة الناشر لألف نسخة في اليوم الأول لصدور الكتاب تشجعه على النشر ، وطلب الكتاب الجيد والكاتب المجود . وكفيل كذلك بانتشار حركة القراءة في أوساط جديدة كثيراً ما يتعذر عليها شراء الكتاب أو استعارته، وكفيل في الوقت ذاته بالإعلان عن الكتاب الجيد لمن يريد اقتناءه في هذه الأوساط

ولكن هذا الاقتراح لم يؤخذ به ، لأنه يحرم بعض دور النشر المحظوظة من الاستيلاء على أكبر مبلغ من ميزانية الكتب في وزارة المعارف . أو يحرم بعض ذوي النفوذ من الاتجار بنفوذهم في سوق الوراقين ! ويحرم بعض ذوي الشفاعات من المؤلفين أن يستمتعوا بالربح الحرام !

وما تزال وزارة المعارف دائبة في عملية قتل الأدب بمعرفتها الخاصة، وبمعرفة المدرسة ومناهجها ومقرراتها، وكتبها ومكتباتها، وطرق التدريس فيها وطرق الامتحان

وعلى رأس وزارة المعارف أديب . وقل أن تظفر الوزارة بأديب ! فإذا لم يتم اليوم انتصار الأدب في وزارة المعارف فلست أدري متى يتم الانتصار . وإذا لم يتم إنقاذ الأدب على يدي طه حسين فلست أدري على يدي من يكون الإنقاذ !

سيد قطب

بيننا وبين الانجليز

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إن المسألة الرئيسية بالنسبة لنا (الإنجليز) هي كيف يمكن أن تغادر قواتنا القاهرة في الحال »

من اللورد نورثبروك وزير البحرية إلى ماجور بارنج (كرومر) في سبتمبر سنة ١٨٨٣

« إن إنجلترا حريصة على أن يظل باب للمفاوضات مع مصر مفتوحا » . يونية سنة ١٩٥١

وشر البلية ما يضحك

قل يا أهل ... تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

في سنة ١٨٨٢ احتلت إنجلترا ديارنا وقضت على الثورة العرابية وقبضت على زعمائها وحوكموا وحكم عليهم بالإعدام ثم استبدل بهذا الحكم النفي المؤبد ونفي الزعماء المصريون إلى جزيرة سرنديب

وهنا يجدر بنا أن نتساءل : لم تدخلت بريطانيا في شؤوننا واعتدت على استقلالنا ؟ إن الثورة العرابية كانت ثورة دستورية ونزاعا بين الخديو ووزرائه ، وكانت مطالب العرابيين الرئيسية تنحصر في توسيع اختصاصات مجلس شورى النواب الدستورية حتى تصبح الوزارة مسئولة أمام المجلس حتى يكون المجلس حق مناقشة الميزانية، وهو حق طبيعي للمجالس النيابية في جميع البلاد الدستورية . ومنعا لتدخل الدول استبعد المجلس حق مناقشة الجزء الخاص بالدين وبالتصفية المالية من الميزانية

ومع هذا فقد تطوعت بريطانيا بتقديم مساعداتها للخديو وعرضت عليه حمايته ضد شعبه ووزرائه الذين لم يكونوا خارجين عليه ، وقتلت أعرق أمة دستورية (إنجلترا) الروح الدستورية في مصر ، واحتلت أراضيها دون أن تعتدي مصر عليها فكان هذا العدوان أول جريمة ترتكبها في الشرق الأدنى

سياسة تقليدية :

إن بريطانيا لا تسير في سياستها الخارجية وفق خطط ارتجالية، وإنما تسير وفق سياسة تقليدية يتبعها وزراء خارجيتها مهما كان لونهم السياسي ومهما اختلفت أحزابهم . وقد كانت سياسة بريطانيا التقليدية منذ قدوم نابليون في حملته سنة ١٧٩٨ منع قيام دولة قوية في مصر، ومنع مصر من الوقوع في يد دولة أجنبية معادية . وطبقا لهذه السياسة وقفت موقفا عدائيا ضد محمد علي سنة ١٨٣٩ — ١٨٤١ وألزمته أن يقبع في داخل « قوقعته » مصر على حد تعبير وزير خارجيتها بالمرستون

وقد قامت المنافسة بين فرنسا وبريطانيا حول الاستئثار بالنفوذ في مصر ، وجعلت فرنسا تعمل دائما على حفر قناة السويس لتصل الشرق بالغرب مما يجعلها أقرب إلى الشرق ، أما بريطانيا فقد عملت على إنشاء خط حديدي بين الإسكندرية والسويس

وقد نجحت إنجلترا في تحقيق غايتها في عصر عباس باشا الأول ؛ إذ بدئ بتنفيذ مشروعها فأنشئ الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية ، ثم أنشئ بعد ذلك الخط الحديدي بين القاهرة والسويس

أما فرنسا فلم تيأس بعد ، وبرغم أن محمد علي رفض مشروع القناة قائلا « إنني لا أريد أن أجعل من قنال السويس بسفورا آخر » استطاعت فرنسا أن تقنع سعيد باشا بفوائد المشروع ، وحصلت منه على امتياز بحفره، وبدأ العمل ١٨٥٨ . قلقت إنجلترا على مصالحها في الهند، وصرح رئيس وزرائها بالمرستون ١٨٦٠ قائلا: « أخشى أن يؤدي حفر قناة السويس إلى احتلال إنجلترا لمصر » ومات بالمرستون ولكن إنجلترا ظلت تعمل دائبة على تحقيق فكرته . وفي ١٨٨٢ دون أي اعتداء من ناحية مصر احتلت إنجلترا الأراضي المصرية ثم أعلن وزراؤها منذ الساعة الأولى عزمهم على الجلاء عن مصر فورا ، ومع ذلك فحتى هذه الساعة لم تبر إنجلترا بوعدها ، وما تزال تماطل في الجلاء بل وتدعي صداقتها لمصر !!

ولم يقبل المصريون هذا الاحتلال وقاوموه منذ الساعة الأولى ، وكان أول أبطال مصر الذين حملوا علم الجهاد مصطفى كامل باشا . ثم في ١٩١٩ هبت مصر ثائرة تطالب بحريتها واستقلالها، ووقف المصريون صفا واحدا يبذلون دماءهم في سبيل

استقلالهم، وتزعم الحركة سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمي باشا وعلي شعراوي باشا

ولكن مصر على رغم إيمانها العميق بعدالة قضيتها لم تستطع حتى الآن تحقيق أهدافها، وهي الجلاء ووحدة وادي النيل التي أقامها محمد علي منذ ١٨٢٠. ويرجع ذلك إلى دهاء ساسة بريطانيا بما مكن لهم من إيقاع الفرقة في صفوف زعماء مصر ونجاح بريطانيا في تحقيق سياسة «فرق تسد»

وعندي أن مصر تستطيع أن تحقق أهدافها في أقصر وقت إذا استطاع زعماؤها أن يوحدوا صفوفهم وخططهم، وأن يقبلوا صفا واحدا رافعين لواء الجهاد وخلفهم أمة مؤمنة على أتم استعداد لبذل دمائها وأموالها في سبيل حريتها واستقلالها

وإني أضرب للقارئ الكريم مثلا يمكن به تحقيق أهدافنا بالطرق السلمية. ماذا يكون مصير القوات البريطانية في قنال السويس إذا تكتل المصريون حكومة وشعبا، ورفضوا إمداد هذه القوات بالغذاء والماء والعمال، ثم امتنع المصريون عن شراء البضائع الإنجليزية، وكذلك رفضوا بيع قطنهم وحاصلاتهم لبريطانيا؟ إنني أؤمن أن بريطانيا لن تستطيع مقاومتهم وستستجيب حتما إلى طلباتهم. وقد اتبع غاندي هذه الخطة في الهند، وبواسطتها حصلت الهند على استقلالها

إنني أنظر إلى الماضي البعيد فأرى مصر في تاريخها القديم دولة قوية، ولها إمبراطورية واسعة في وقت لم تكن فيه بريطانيا شيئا مذكورا. وفي العصور الوسطى كانت الإمبراطورية الإسلامية أقوى دول الأرض جميعا وكان اسم المسلمين يثير الرعب والفزع في قلوب أهل الغرب كافة. فماذا دها الشرق حتى استأسد عليه الغرب

قلب النظر أيها القارئ الكريم في أحوال الشرق تر عجبا؛ فبريطانيا تحتل قنال السويس في مصر، وتحتل السودان باسم مصر، وبينها وبين العراق وشرق الأردن معاهدة صداقة!! وهي تحتل عدن وليبيا أيضا. وأما فرنسا فتحتل تونس والجزائر ومراكش وتعتدي على حريات ملوكها وحكامها؛ فما سر ذلك؟

نحن قوم بلا مبادئ وبلا زعماء. إننا نريد زعماء يؤمنون حق الإيمان بعدالة قضايانا، وإن اتحاد صفوفنا وإيماننا بحقوقنا هما

الطريق إلى استقلالنا

إن أمم الغرب أعلنت أكثر من مرة بأن لكل قوم الحق في تقرير مصيرهم. وفي ميثاق الأطلنطي ١٩٤١ أعلنت أمريكا وبريطانيا أنهما تحترمان الحريات السياسية والقومية والفكرية والدينية، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت الدولتان تفعلان ذلك تخديرا للشعوب، وضما لها إلى جانبها، فلما انتهت الحرب تبخرت الوعود والمواثيق وذابت المبادئ

أيها البريطانيون:

إن كنتم تريدون صداقة العرب حقا فليس أمامكم إلا أمر واحد؛ هو الاعتراف باستقلال الأمم العربية استقلالا تاما، ورد عرب فلسطين إلى أوطانهم، وبدون ذلك لن تكون هناك صداقة بيننا وبينكم، وما عدا ذلك فهراء لا يغني ولا ينفع

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

الصلات الشخصية بالعباقرة

للأستاذ محمد خليفة التونسى

إن العملة التى يتعامل الناس بها فى حيواتهم هى الأشخاص وأعمالهم المنظورة ، لا المبادئ والأفكار المجردة . ومن هنا تظهر خطورة « الصحبة » التى نتأثر فيها شخصية بشخصية ، ويظهر لنا فشل المبادئ والأفكار المجردة عن التأثير فى الناس مالم تعززها الأعمال المعبرة عنها من أشخاص يؤمنون بها حق الإيمان

ومن أعظم ما يشرف الحياة ويجملها ويرفعها فى قلوبنا وعيوننا ، ويجعل مزاولتها عملا سائغا شائقا ، بل رحلة رياضية جميلة حقيقة بالتقدير والإعجاب والغبطة — أن تقدر لنا فى بعض مراحل عمرنا على هذا الكوكب الحائر الخامل فى ملك الله ، معاصرة أحد العباقرة أصحاب الرسالات الإصلاحية الكبرى ، وأن تتوشج صلاتنا به ، لنستروح إلى جانبه من نفحات السماء مالا تجود به إلا على قليل من أبناء الفناء فى فترات متباعدة

هذه « الصحبة » نعمة كبرى فى طيها نعم مختلفات متجددات ، فإن صاحب العبقرية بما يفيضه على نفوسنا خلال صحبتنا إياه من إعجاب به ، وتعاطف معه ، ووعى له — يمكننا من أن نستقل جناحيه ونرتفع معه إلى الآفاق العليا ، ونقبس معه ومثله من مصادر الإلهام الرفيعة ما يضئ سرائرنا ، ويجلى عقولنا ، ويصفى حياتنا ، فنزداد ثقة إلى ثقة بأنفسنا ، ونعلو أمامها على هدى وبصيرة ، ومن ثم ترتفع أمامنا الإنسانية بكل ملكاتها ، والحياة بكل مضامينها ، والوجود بكل آباده وآزاله ، إذ لا ثقة بصفة إلا بموصوف ممثل لها

على جناحى هذه العبقرية الصالحة الملهمة نطير إلى تلك الآفاق العليا ، وبغير جناحيها لا نطير

بل نظل ملتصقين بتراب هذه الغبراء : نهيم على تربها كا تهيم سوائمها ، أو نمشى على بطوننا كما تمشى زواحفها ، أو ندب كما تدب حشراتها ، وقد نتورط فى حمأتها فنظل نسوخ فى أوحالها دركا فدركا ، منسلخين عن مزايانا واحدة فواحدة ، كلما أمعنا فى الهبوط ، فنعيش كما يعيش دود الأرض فى أطباقها الحالكة : كل عمله أن يجذب الطين فى جوفه من طرف إلى طرف ، ثم يموت فيستحيل كبعض هذا الطين فى خسته وقذارته

فى غمرة إعجابنا بالعبقرية الصالحة خلال صلاتنا الشخصية بها يفيض على نفوسنا ، أو يتفجر فى سرائرنا ، الإحساس بالحياة الواسعة ، وبواجباتنا وحقوقنا نحوها ونحو الوجود بكل آزاله وآباده ، وتتأجج فى صدورنا الغيرة الصادقة على أداء هذه الواجبات وطلب هذه الحقوق،فينطلق كل من تمسه تلك النفحة من أنانيته الضيقة التى لا مصدر لها إلا عدم الإحساس بالحياة وواجباتها وحقوقها ، والتى تجعله يشعر بأنه خليع من المجتمع مبتور من بنيته ، بعيد عنه فيما يصيبه من خير وشر ،لا هم له منه إلا ذاته الفردة الجافة ، ويشعر من أجل ذلك بتفاهة نفسه ، وتفاهة مجتمعه ، وتفاهة الحياة كلها ، كما أنه يشعر بالحرمان والانقباض والقلق والخوف من كل ما حوله وكل من حوله ، ويسئ الظن بكل شئ يتعامل معه أو لا يتعامل ، بسبب ودون ما سبب ، ولا يرى فيما يحيط به ، ومن يحيطون به ، إلا عدوا مبينا يكيد له ، ويتربص به الشر ، فأيان أنس منه غرة أعجله بالأذى ، ومن ثم لا يكون له من نشاط فى الحياة إلا ما يحمى به نفسه ، ويحتجن كل قوة تحميه ، ولو جنى فى سبيل ذلك أعظم الشرور

وما من دافع له إلى ذلك إلا إحساسه بأنه ملمون من الثقة بنفسه وبمن حوله وما حوله ، فهو يتمثل المنة أيان ولى وجهه ، ويتوقى لذلك كل شئ ويهرب من كل شئ ، مع أنه لا مكان للمنة التى يتوهمها إلا فى سريرته

هذه الأنانية الضيقة التى لا أصل لها إلا البلادة — هى أقوى سد يحول بين الإنسان والإحساس بالواجب ورؤيته ، فضلا عن التماسه والكدح فى البحث عنه ولو كان عند طرف أنفه ، ويحول بينه وبين التفكير فى أدائه وتهيئة الوسائل المؤدية إليه ، فضلا عن أدائه فعلا ولو كان أداؤه من أيسر الميسورات

وما من قوة تصهر هذا السد العائق وتبخره كما تفعل صحبة

العبقرى الصالح الزعيم بشخصيته المحبوبة وأعماله الطيبة، وبخاصة إذا كان نبيا أو على شاكلة النبى فى شخصيته وسيرته الأمينة، ولا تستثنى من ذلك قوة على الأرض لها مثل هذا الأثر السحرى فى سريرة الإنسان إلا قوة « الحب ».. والولاء للعبقرى الزعيم نوع من « الحب »

من أجل ذلك استأثر العباقرة الزعماء ولا سيما الأنبياء بالهداية والتقويم، واستأثروا بما هو أعمق وأقوى من ذلك وهو انبعاث الإحساس بالحياة والواجب فى النفوس المهيأة له كى تطلب الهداية والتقويم

وما من مبدإ من المبادئ، ولا معتقد من المعتقدات، ولا فكرة من الفكر، له هذا الأثر أو ما هو دونه قوة إلا أن يكون متمثلا متجسما فى شخص عبقرى زعيم. وأيان لا يكن هذا الشخص الذى يتأسى به الناس فكل المبادئ والعقائد والفكر كلمات عقيمة بتراء

يقول الناس كثيرا ما يقوله الشاعر

اعمل بقولى ولا تنظر إلى عملى
ينفعك قولى ولا يضررك تقصيرى

وليت هذا كان فى الإمكان! إذن لكانت الفضيلة والمعرفة والجمال أعز شأنا، وأكثر جندا، بل لما كان على ظهر هذه الغبراء شرير ولا جاهل ولا قبيح، إذ ما أيسر النصيحة وأيسر فهمها على الناس ولو كانوا أغبى المخلوقات

ولكن الآفة كل الآفة بلادة السريرة التى ينشأ منها عدم الإحساس بالحياة والواجب

والناموس الذى لا فكاك لنا منه أن العملة التى نتعامل بها هى الأعمال لا الأقوال، والأشخاص لا المبادئ

« اعمل بقولى ولا تنظر إلى عملى ... » كلام عقيم أبتر، وعملة زائفة لا يثق بها الناس، وإن تظاهروا بقبولها نفاقا، والنفاق هو البضاعة الزائفة التى يبيعها الناس لمن يدفع لهم الأقوال دون الأعمال؛ ولا غبن فى الصفقة على البائع ولا المشترى ما دامت البضاعة زائفة وأثمانها زائفة، فكل منهما خادع ومخدوع

وقديما قرر النبى محمد عليه السلام أن « الدين المعاملة » وقال « إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » فالنية والعمل هما العملة الصحيحة عند الله وعند الناس أيضا

ومن هنا يظهر لنا الخطأ والخطر الذى يقع فيه عن عمد أو غير عمد رجال المبادئ الدينية والسياسية ومن على شاكلتهم حين ينصحون الناس برأى ويعملون هم بغيره، فلا تكون سيرهم مصداق مبادئهم، ثم يعجبون بعد ذلك كيف لا يثق الناس بهم ولا يدينون بمبادئهم، ولا يعملون بها ولو كانوا بها مؤمنين

ولو كان رجال المبادئ هؤلاء جادين فى عجبهم لكانوا أشد عجبا من أن يلقاهم الناس بغير الإهمال والمعصية، فلا آفة أخطر على منزلة المبادئ ودعاتها فى قلوب الناس كأن يروا هؤلاء الدعاة يقولون ما لا يفعلون. وقد وضح القرآن هذه الحقيقة المرة فقال: « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وقال: « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »

إن الطعن فى الديانات ونحوها من المبادئ ومحاولة التشكيك فيها لا ينال منها معشار ما ينال منها نفاق المبشرين بها. إن الطعن فى المبادىء قد يوتّر إيمان المؤمنين بها ويزيدهم إيمانا، ولكن نفاق الدعاة هو الذى يحل عقدة الإيمان بها فى قلوب معتنقيها ويفسدها إفسادا، ونغرى النفوس بمداواتها والكفر بها والتمرد عليها تحديا لنفاق دعاتها الذين يأمرون الناس بها وينسون أنفسهم وهذا هو البلاء العظيم

إن شر مايسلط على مبدإ من عوامل الهدم هو أن يشتد تبشير حماته به بين الناس، بينما هؤلاء الحماة لا يسيرون عليه فى نظر الناس. ولعل هذا يفتح عيون المنافقين من دعاة المبادئ والمثل العليا بيننا، فهم بمخالفتهم فى سيرهم أقوالهم يشككون الناس فيها وينفرونهم أن يكفروا بها بشر مما ينال منها أعداؤها الذين هم بها كافرون، وعلى حربها قائمون

إن منافقا واحدا من رجال الدين أضر على دينه من ألف ملحد جبار. وإنه ليزعزع من مكانة الدين فى ضمائرهم بنفاقه مالا تزعزع ألوف البراهين العقلية على بطلان الدين

وإن خيانة واحدة من زعيم سياسي أو وطني أو حاكم ممن يمثلون مبدأ أو نظاما في المجتمع ليشكك الناس في مبدئه أو نظامه ويزلزل من ثقة الناس به ما لا تشكك وتزلزل منه ألوف الخيانات من غيرهم ، ولا ألوف الأدلة العقلية ضد هذا المبدإ أو هذا النظام

لا بل تساهل واحد – فضلا عن خيانة واحدة – من جانب أحد القوامين على القانون – وهم ممثلوه في نظر الناس – يحمل الناس على الاستخفاف به والتمرد عليه وتحديه أكثر مما تحملهم عليه ألوف الجرائم وتكرها من ليسوا من حماة هذا القانون وممثليه ، وأكثر مما تحملهم عليه ألوف نقط الضعف فيه وجرائر الظلم في تطبيقه ، لأن البراهين العقلية أضعف وسائل الإقناع وأضيعها عند البشر

وإن زلة واحدة من أب أو أم أو أخ أكبر ، أو راع ما في رعيته – لتغرى هذه الرعية بالزلل ما لا تغريها ألوف الزلات ممن ليسوا آباءهم ولا أمهاتهم ولا رعاتهم بأي صورة من صور الرعاية ، وتجعل كل النصائح والإرشادات والبيانات والقوانين ومكارم الأخلاق ضروبا من العبث الفارغ جديرة بالسخرية والتحدي لا بالطاعة والتوقير

يقول كارليل : « إن العقيدة – مهما محصت وقويت – شيء عديم القيمة إذا لم تصبح جزءا من السلوك والخلق ، بل هي في الواقع لا وجود لها قبل ذلك ، لأن الآراء والنظريات لا تزال بطبيعتها شيئا عديم النهاية ، عديم الصورة ، كالدوامة بين الدوامات – حتى يتهيأ لها من اليقين المؤسس على الخبرة الحسية محور تدور حوله . عندئذ تصير إلى نظام معين . ولقد صدق من قال : لا يزول الشك مهما كان إلا بالعمل »

والعقيدة في نظرنا وفي الواقع لا يمكن أن تكون قانعة ولا صحيحة ولا قوية حتى تصير جزءا من السلوك والخلق ، وهي بغير ذلك قيد مثبط لا باعث محرك هي قيد يلزم الإنسان بالسكون إلى حالة واحدة والجمود عليها والجبن عن التحول عنها والنظر ولو مجردا إلى غيرها ، والقناعة بالبقاء فيها والرضا بها ، والنفور من بذل أي جهد نظري أو عملي حتى في مناقشتها وتجربتها ، وتحرمه كل رغبة في الحركة والعمل . أو هي – إجمالا – تحجر الإنسان حينئذ ، وتقتل فيه بواعث الجهاد بالفكر أو بالعمل ، وتبدو حينئذ تعصبا أو بلادة أو موتا

والمعتقد في هذه الحال يحرص أشد الحرص على شكليات العقيدة ، ويهمل روحها أشد الإهمال ؛ لأن العقيدة في سريرته ميتة محنطة كالمومياء . فهو يغالط نفسه في حرصه على الشكليات عن وعي وغير وعي كي يخدر نفسه ويعميها التناقض الفاضح بين مقتضيات روح العقيدة وسلوكه المناقض لها ، وفي ذلك وضع للثقة الزائفة موضع الثقة الصحيحة ، أو العزاء الزائف موضع العزاء الصحيح

إن الحرص على شكليات العقيدة بعد موت روحها في السريرة الإنسانية ليؤدي وظيفتين أو يسد حاجتين من حاجات السريرة لا مناص منهما :

إحداهما : أنه يمنح السريرة الثقة بشيء ويملؤها به ولو كان وهما باطلا

والسريرة كالمعدة ؛ فالمعدة بطبيعتها محتاجة إلى الطعام ولا غنى لها عنه ، وهي إذا لم تجد الطعام الصالح لم يكن لها مفر من ازدراد طعام أي طعام ، ولو كان متعفنا أو ساما يؤذيها أو يفسدها أو يقتلها ، أو يؤذي الجسد كله أو يفسده أو يقتله ، فالمعول عليه أن تمتلئ ولا تبقى فارغة ولو كانت تلتقط ما يدخلها فور ازدراده ، وهي لا تكاد تلفظه حتى تطلب ما يملؤها ثانية ولو كان مما لفظته ، لأن آلام الفراغ دونها آلام الموت

وكذلك السريرة الإنسانية : لا بد لها من الإيمان بشيء لأنها في طبيعتها محتاجة إلى الاستقرار على شيء أيا كان ما تستقر عليه ، لأن شعورها بنفسها وبما حولها لا يتهيأ إلا باستقرار على شيء ، ولا يتحقق إلا به . وكل السرائر تؤمن لأن الإيمان وظيفتها ، ولا توجد بل لا تتوهم سريرة تقوى على الحيرة والشك إلى ما لا نهاية وإن انتابتها فترات الحيرة أو الشك أحيانا قصيرة ، كما أنه لا توجد بل لا تتوهم معدة تقوى على الجوع إلى ما لا نهاية وإن أمكن كل معدة الصوم مدة قصيرة أو طويلة حسب طاقتها دون أن تفسد أو تموت ، ودون أن يفسد الجسم كله أو يموت

هذا – وما أكثر السرائر التي تفر إلى التسليم خوفا من عذاب الشك ، وأقل السرائر التي تفر إلى الأفكار خوفا من عذاب الشك أيضا – أما السرائر التي تشك ثم تصر على الشك

إلى ما لا نهاية فشىء وراء الواقع ووراء الوهم

إن السريرة إذا عجزت عن الإيمان الصحيح لجأت إلى الإيمان الزائف . والفرق بينهما أن الإيمان الزائف يقتنع بالشكليات ويكتفي بها عن الحقائق ، وفى ذلك عزاء كاذب للنفوس الضعيفة، وسكينة كاذبة إلى مكانها من الوجود، ومخادعة منها لها بأنها شريكة لأصحاب العقائد فى كل مفاخرهم ومفاءمهم فى انتمائهم إليها

وثانية الوظيفتين أو الحاجتين أن السريرة الضعيفة عاجزة عن احتمال مشقات الجهاد التى يستلزمها الإيمان بروح العقيدة وحقائقها . وهى بحكم ضعفها ضعيفة الضوابط منزوفة الصبر أمام أهوائها وشهواتها الحيوانية المنحطة . وما من عقيدة من العقائد إلا كانت مستلزمة ضبط النفس عن كثير مما تشتهى ، محملة إياها ضروبا من جهاد أهوائها . والحرص على شكليات العقيدة — وهو لا يكلف النفس عسيرا من الجهاد — كفيل بأن يبرز الإنسان أمام نفسه وأمام الناس على أنه من أصحابها ، ويبيح له الحق فى مفاخرها ومفاءمها بلا غبن أو غبن زائف أو ثمن تافه ، ولا حاجة مع ذلك كله إلى تكبد مشقات التجارب القاسية التى يستلزمها الإيمان الصحيح بروح العقيدة وحقائقها . فالحرص على الشكليات يعفي من كل عناء ، ويضمن كل ربح ، ولا يحرم النفس من الانطلاق فى كل وجهة كما تملى عليها شهواتها الدنيئة . فما أربحها صفقة فى عين صاحبها ، وإن كانت فى الواقع أخسر الصفقات ، لأنها خسران للحياة كلها لقاء وهم زائف

كان المسلم مثلا على عهد محمد(ص) لا يحس بأنه حقيق بالإسلام حتى يضع حياته وأسرته وكل قواه وممتلكاته موضع الفداء لتعاليم دينه . ووجب الإسلام على المسلم أن يكون الله ورسوله والجهاد فى سبيله أحب إليه من نفسه وأسرته وأمواله . والمهم فى ذلك هو أن الإسلام لم يلزم المسلم بكل هذه الفروض إلا ليقينه اقتدار المسلم يومئذ عليها ، وقد كان ذلك . وأحيانا كان يضطر المسلم إسلامه يومئذ إلى تمزيق كثير من الروابط العزيزة التى تربطه بأسرته أو إخوانه أو قبيلته أو عرضه ، وهى تنزل من بنية نفسه منزلة أعضائه من جسمه ، فتمزيقها تمزيق لبنية نفسه كأنه نوع من الانتحار ، وكان مع ذلك يقدم على تمزيقها وفى نفسه من الألم لذلك ما لا طاقة للحم والدم به . وكل ذلك فى سبيل واجب أعظم، هو تحقيق عقيدته وبسط سلطانها على كل سلطان . فإن من أبر الأبناء بالآباء يستل سيفه لقتال أبيه ، وقتله نفسه أهون عليه من ذلك ، ولكنه يخرج لقتاله حتى يعفيه غيره من هذا الموقف الرهيب الذى يسحق التفكير فيه العقل سحقا . وابن يهم باستلال سيفه لقتل أبيه وهو يحب أباه أشد الحب لأنه يحس أن النبي قد ضاق بكيده ونفاقه ، فيتطوع هو بقتل أبيه إرضاء للنبي وغيرة على أبيه من أن يقتله مسلم غيره فيقتل قاتله المسلم به ، ولكن النبي يعفيه من أداء هذه المهمة التى ينوء بحملها قلب بشرى . ومسلم يخرج عن ماله الكثير الذى لم يجمعه إلا درهما درهما بشق النفس فى عدة سنين . ومسلمون رضوا بضروب من شظف العيش يضيق بها المتسولون وفى أيديهم من السلطان والأموال ما لم يجتمع لكثير من القياصرة والأكاسرة والفراعنة حتى يوم كانوا يعبدون

وجرى على هذه السنة عشرات الألوف من معتنق العقائد الدينية والمذهبية والوطنية فى أوائل ظهورها

ومع ذلك نجد أن هذا الإسلام القوى الذى صنع الأعاجيب الخارقة فى أولئك العرب على عهد محمد(ص) - قد عجز فى ملايين الحالات اليوم وقبل اليوم عن الوقوف أمام أضعف الشهوات الطارئة ، واكتفى الملايين فى تحقيقه بالاسم يسمون به وبركعات وسجدات وتمتمات ، وجوع ساعات ، وإرسال لحى وإعفاء شوارب ، مع استنباط الحيل واستنفادها للزيغ من تكاليفه ، بل بلغ من ضعف سلطان هذا الدين فى ملايين النفوس أن اتخذ ستارا لارتكاب ملايين الجرائم التى تتورع عن ارتكابها السباع الضارية ، واتخذ فى ملايين الحالات مخدرا يتجرعه الشرير ليسكت ضميره الفطرى الضعيف عن تأنيبه على جرائمه ، وقد يتخذه مسوغا يسوغ له جرائمه إرضاء لما طبع عليه من شر وضراوة

يتبع

محمد خليفة التونسي

٤ - عهـــد

للأستاذ محمد محمود جلال بك

في مستهل عام ١٩١٦ تلقيت من الصديق الراحل المرحوم أحمد توفيق البرطباطي كتاباً من أربع صفحات، كله شعر! قصيدة من جيد النظم، بلغت ثمانين بيتاً، همزية القافية، تؤيد ما ذهبت إليه من طول نفسه بقدر ما تؤيد اصطفاءه لوزن وقافية. ولو اقتصرت قصيدته على ما وصفنا لعدت من عيون الشعر

ولكن الشاعر - تولاه الله برحمته - ألهم فيها التعبير عن شتى النواحي من مذهبه في الحياة، حتى لأعدها ديوانا مستقلا، وإنها لتحفة رائعة. وقد نشرت في الصفحة ٣٧ من ديوانه دون تاريخ، وحرص على أن يكون عنوانها « أرسلتها لصديق محمد محمود جلال » وهاك مفتتحها : —

ضاع الرجاء فكن بحيث رجائي واحمل على حسن الوفاء وفائي

إن خان خل أو تغير صاحب فأنا الحرى بحفظ عهد إخائي

أرسلت قلبي فهو عندك حاضر وبعدت حتى ما أبين لرائي

خوفا على من العيون بواقظا من أن تخدش عفتي وولائي

وإذا رآني الدهر وهو مناوئي ومناصبي الأيام طول عدائي

ما بين أولاد له وبناته أغرى البنات وصاح في الأبناء

فبعدت عن أبنائه متحاميا أخواتهن مجانب الإيذاء

والمرء فيما بينه نسب وما بين اخته من جامع الآباء

أخفيت وجهي عنه لاعن فتية فضلاء مثلك غاية الفضلاء

يسرى فيفعل فضلهم بحبيبهم ما يفعل المصباح في الظلماء

فهجرت هذا الناس لاعن رغبة في المهجر لكن كي أصون حياتي

أنا في الحقيقة من بقية معشر قاسوا الأمور بحكمة ودهاء

قست الأمور وسستها ببصر اهدى نظرت به عيني إلى نظرائي

وطرحت أهواء الزمان وريبه كيلا أسب بخلة الأهواء

إلاهوى في نفس كل أخي حجا تدلى حبائله ذرا العلياء

* * *

لقد أحب العزلة وعزف عن ضوضاء المجتمع. أو أن حسه المرهف بكر إليه بالحنائن كأنه ينمو نحو من سبقه هاتفا :

بعدي عن الناس بعد عن سقامهم وقربهم للحجا والدين أدواء

كان نحيلا كثير الصمت دائم التأمل ولم تكن صحته بعيدة عن العلل، فهذه الحال في جثمانه وتلك في سلوكه وتفكيره وثيقتا الصلة، وكل منهما تدفع بالأخرى في تيارها

فكرة التأمل وطول الصمت توسمان مجال الخيال وإدمان الفكر، فينتجان ا كتئابا للحياة، وهذا التبرم بالعيش تؤثر بدوره في جسم صاحبه وصحته. كما أن ضعف الصحة يضعف الاحتمال ويرهف الحس عن طريق ضعف الأعصاب

عرضنا مرة في الحديث لحال الريف وأهله وما تقوى به الأواصر من تراحم بين الكبير والصغير وماقي التعاون من دفع للبؤس والفقر . . . وإذا به يقص على في تأثر بالغ أنه شهد أخاه الأكبر يوما ينهال بالضرب على قروي من أهل بلدته لسرقة بعض من أمطار الأذرة، والغريب أن الحادث كانت مضت عليه سنوات، ولكنه حين يرويه تكاد تخنقه العبرات، فهو لايكاد يسيغه ولا ينساه، وكأنه ابن الأمس القريب !

على أنه في عزلته لا يصل إلى الحد الأقصى من مذهب الشاعر الذي ذكرت فهو لا يعيش

كالبيت أفرد لا إيطاء يدركه ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

بل لعله في مذهبه من هذه الناحية أقرب إلى المذهب القائل « الحمية من الناس كالحمية من الطعام شفاء من كل داء » فهو يصون حياءه ويصطفي قليلا من الصحاب يتحامى به جديدا من التجارب

وهو في نظرته للحياة وفي سلوكه بين تياراتها ثابت الوداد أليف الوفاء . . يتغنى به طربا حين تبسم له الحياة، ويزفر بذكره رائيا حين يسفر له الماء عن سراب

ها هو ذا يجمل من حفاظه طابع نفسه أو موضع اعتزازه وفخاره

إن خان خل أو تغير صاحب — فأنا الحرى بحفظ عهد إخائى

ويعود للمؤثرات وما يخشى منها على نفسه وعلى هذا الخلق الذى يعتز به فيقول :

وطرحت أهواء الزمان وريبه — كيلا أسب بخلة الأهواء

وهل من عابث أشد فتكا بالمرء من أهواء الزمان وريبه ؟ إن البعد عنهما يجعل من المرء موضع ثقة حتى من عدوه ! . . وإنك لتجد الرجل يحسن حكما عن أخيه وتسمع أسلوبه تطمئن به إلى الخير ؛ فإذا جاءت الظروف بذكر رفيق آخر قرع سمعك العجب وفجعك التناقض، ذلك أن الريبة والهوى تختلطان بحكمه الثانى كما كانت له عونا فى حكمه الأول ، وإنما جهلك بصلة له بالأول مهد لفجيعتك بما مد لك من خيوط الأمل . فى حلبة الإنصاف

أما أولئك الذين يطرحون الريب والهوى فقد حصنت أخلاقهم ووقاهم الله أعدى أعدائهم من نفوسهم ، وهم على قلتهم حصن الفضائل وشملتها المتوارثة على مر الدهور

ولعل أروع ما يعبر عن وحشته فى هذه الدنيا وما أنتج له سقم صحته وإرهاف حسه من توجه إلى شبهة يأس قوله :

غاض الوفاء فلست ألقى صاحبا — إلا بغير فضيلة ووفاء

ومن كانت هذه حاله كان قليل الخلطاء وأقل عددا من أصدقاء . وما عرفت له أكثر من صديقين كلاهما أكبر منه سنا . وتلك ظاهرة تستوقف النظر ، وتميط اللثام عن عقل أرجح من المعتاد ، وعن فكر يسبق السن . ولقد كان بعيدا عن اللهو مع حاجته إليه ، عازفا عن العبث ، قليل متع الحياة ، وهما من أسباب العلاج

أما أحدهما فذو نشأة مدرسية تجمل فيما بينهما بعض المشاركة ! أما بعد هذه المشاركة فلا وشيجة تربطهما من حيث اصطلاح العشرة ونوع الحياة ومذاهب الأخلاق ! ولكن الشاعر لا يكاد يهبط القاهرة حتى يتلازما : كل منهما ظل لأخيه

أما الشاعر فمدته وفاؤه، وأما الصديق فرابطته إكباره لخلقه ومكانته ، وتقديره لشعره ، وله عون من ذوقه للأدب ، وكذلك شاء الله أن يكون فى كفتى الدوافع لدى كل منهما قرب إلى المنتصف حتى يتلاقيا

وأما ثانيهما فذو نشأة قروية، قريب الدار، وجيه فى قومه ، له شهرة واسعة من خلق كريم

والشاعر الراحل شديد الحنين إلى خليله حينما يكون، ولا يفترق عن أحدهما أو كليهما ما جمعهما المكان، وشعره ترجمان لصداقته وحنينه، ولكل منهما نصيب منه

ولعل أبلغ ما يعبر عن فضيلة الإخاء ذلك الزفر المستمر، وتلك اللوعة الدافقة التى خلفتها لخيمة فى إحداهما « المرحوم الشيخ أحمد السيد »

ولقد قال بعض علماء الأدب إن الشاعر فى شبابه قلما يجيد الرثاء إلا إذا كان المرثى من ذوى قرباه ؛ ولكن ما هى القربى ؟ أليست قربى الأرواح وتقارب الأذواق والنظرات ؟ أليست العبرة بما يكمن فى النفس من حب وتقدير دون نظر إلى نوع القربى أو تخصيص برابطة الدم ؟ أو ليس المرء من بين أهله أعداء ومن بين الأباعد أقرب الأقرباء ؟ حتى قيل «رب أخ لك لم تلده أمك»

لقد رثاه بقصيدة طيبة شارفت على الأربعين بيتا ، كل بيت فيها آية حب ووفاء . ثم تكررت مناجاته له فى أكثر من موضع مع أن الديوان طبع قبل وفاته بسنوات، ولم يشمل إلا ما كان يحتفظ به حين تطوع أحد عارفى فضله بجمع شتاته وطبعه ، وها هو يهتف باسمه ص ٩٢ من الديوان :

قم خليلى واسمع نداء خليل — لا يمل البكاء حتى يجيبا

قم أحدثك هل مللت حديثى ؟ — إن أمرا دهاك عنى غريبا

أتشاغلت عن أخيك بشئ — ما بهذا يلقى المحب حبيبا

ثم يصف صديقه وصفا يفصح لك عن الخلق الذى أحبه الشاعر وهام به طول حياته وجعله مقياسا لما يكبر فيه الناس

وترى لى حقا لتعرف حقى — وتراه حتما عليك وجوبا

وتذهب نفسه حسرات على من فارق ، فيخاطب الثرى الذى ضم رفاته :

إيه يا قبر إنما دفنوا فيك الأمانى وأودعوك الطيبا

محمد محمود جلال

موازنة وتحليل :

شاعران سجينان ..!

للأستاذ محمد رجب البيومي

نحن الآن أمام شاعرين قذف بهما إلى غياهب السجن ، ورسفا فى القيود والأصفاد قدرا من الزمان ، فلجأ كلاهما إلى القريض يبثه وجده ، ويطارحه أساه !

والسجن رهيب موحش ، ترتعد له الفرائص ، وتقشعر منه الأبدان ، وكما يفزع الأسد المكبل فى قفصه الحديدى ، فكذلك يفزع الشجاع الصنديد حين يهاجمه الظلام فى بقعة لا يراوحها الهواء ، وأفزع منه الشاعر المرهف ، ذو العاطفة المشبوبة ، والوجدان المضطرم ، فهو من إحساسه فى عذاب أى عذاب ! وانظر إلى الطائر الغريد يختطف من أيكته الملتفة ، ويحبس فى الأسلاك المتشابكة ، مقصوص الجناح ، ثم ابعث عليه الحسرات !

ولن نفكر اليوم فى سجوننا المستحدثة بالقرن العشرين ، فمهما بولغ فى إيحاشها وتضييقها ، فهى نظيفة محترمة تدرج فيها الشمس ، ويمر بها النسيم ، وليست كالسجون العباسية التى حبس بها الشاعران اللهيفان ، إذ كانت نقمة من نقم الله ، فهى لا تحتوى على منافذ أو مقاعد ، ولكنها فى الغالب سراديب متوغلة ممتدة فى أعماق الأرض ، يوضع فيها الأحياء كما يدفن الموتى فى اللحود ، وهى على ظلامها الدامس ، حافلة بما يخيف من الأفاعى والهوام ، وقد لا يجد السجين من المكان غير ما يسمح له بالجلوس وحده ! والويل له إن وقف أو سار ! بل قد يمكث السجين طيلة نهاره فلا يجيئه السجان غير دقيقة واحدة ، يقذف له بفتات الطعام وآسن الشراب ، وهو مع ذلك يتلهف على لقائه ، إذ هو رسول الأحياء إلى الأموات !

وقد قدر لعلى بن الجهم أن يكون نزيل السجون مدة طويلة فانقلب إلى الظلام الموحش ، بعد أن نادم المتوكل فى قصر الخلافة أمدا طويلا ، ونهل من النعيم والمسرة مالا يقدر بثمن ، وجلس على بساط السمر يحتسى الكؤوس ويداعب القيان ، وتلك حياة أشبه بالأحلام !

لقد كان بن الجهم خبيث اللسان ، فاحش الهجاء ، وقد تعددت وشايته إلى الخليفة بأصحابه حتى تيقن افتراءه ودسه فعاقبه بالسجن ليرتدع ، ونزعه من أفواه البهجة ومطارف النعيم ، ونظر الشاعر فإذا ألسنة السوء تلوك حديثه فى كل مكان ، فتزيد عليه ما يكابد من الغصص والأشجان . وقد استعطف المتوكل بقصائد باكية ، فما نالت من قلبه المرض أى منال ، حتى توهم أن السجن قد أصبح مقره الدائم ، أبد الحياة . هذا وأقوال الشامتين الساخرين تصل إليه فى معتقله فتمزق نياط قلبه وتخرق مسامعه فماذا يصنع لإسكات هؤلاء وقد صد عنه الخليفة أعنف صدود وأقساه ؟ موقف محزن حقا ! وحالة تبعث الرحمة والإشفاق ! وقد رأى ابن الجهم أن يظهر ارتياحه لحبسه ، وقبوله إياه ، فى شعر يبعث به إلى الشامتين ليقصروا ألسنتهم عنه ، فنظم هذه القصيدة التى نعرض لها الآن ، ذرا للرماد فى الآماق ، وتجلدا على نوائب الأيام !

ومضت الأيام وخرج الشاعر من السجن ، وبقيت قصيدته عزاء يندى على المرزوئين بالسجون بعد ذلك ، فكانت الأنشودة التى يترنم بها هؤلاء المعذبون فى ظلماتهم القاتمة .. ثم رمى الدهر بعاصم بن محمد الكاتب العباسى إلى السجن فرأى من أهواله ما أقض المضجع ، وأضرم الشجون . وقد كان يحفظ قصيدة ابن الجهم فرددها فى نفسه ، مرات ومرات ، وأيقن أنها لا يمكن أن تعبر عن عواطف السجناء بحال ، فهى وإن حفلت بأساليب العزاء والاستسلام ، تجافى الواقع الصريح أعنف مجافاة ، فاندفع ينقضها بقصيدة تضع الحق فى نصابه أمام الناس . وها نحن أولاء نوازن بين القصيدتين ! لنرى أى الشاعرين أصاب حظا من التوفيق والإبداع

لقد كان ابن الجهم يعتقد أنه مقبل على أكاذيب فاضحة ، فهو يدافع عن قضية خاسرة لا تجد الناصر المعين ، ومن ذا يحبذ السجون من العقلاء ؟ لذلك نجده يقمع عواطفه فلا يسمح لها بالظهور فى مطالع قصيدته ، ويستهدى بعقله الناصح فيهديه إلى غرائب التشبيه ! وفى التشبيه مجال فسيح للتلفيق والتنميق ، حيث

ينسى القارئ عادة ما بين المشبه والمشبه به من فروق ، ويلهيه وجه الشبه الواضح عما هناك من أبعاد ، وإذ ذاك يجد الشاعر الفرصة مواتية لما يريد أن يقنع به الناس

إن الخيال الزاخر بالتشبيه ليحلق بابن الجهم فى أجوائه البديعة فيرى السيف الصارم يغمد فى جرابه بعد التجريد ، ويلمح الليث الواثب يربض فى غيله الأشب فلا يتردد فى الآفاق كما تتردد صغار الوحوش ، ويشاهد البدر المتألق يحتجب وراء الظلام فترة محدودة ثم يضيء واضح القسمات ! كما يعلم أن النار المضطرمة تكمن فى الحجر حتى يقدحها الزناد ، والرمح القاتل تتناوله الأكف بالتثقيف وتلهبه النار حتى يستقيم ، فإذا ما حجبه السجن بعد ذلك عن العيون ، فله فى السيف والليث والبدر والرمح والنار عزاء أى عزاء وأى عيب على الرجل إذا كان كالليث الصائل ، والنار المضطرمة ، والسيف البتار !

هذا منطق عجيب ، وأعجب منه أن يقنع الشاعر بوجاهته وسلامته فأخذ بتلابيبه ليقول :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه الظلام فتنجلى أيامه وكأنهــا تتجدد
والنـــار فى أحجارها مخبوءة لا تصطلى إن لم تثرها الأزند
والزاعبية لا يقيم كعوبها إلا الثقاف وجذوة تتوقد

فهل رأيتم ما فعل التشبيه ؟ لقد كاد أن يجعل السجن أملا باسما تحلم به العيون فى غفلات الرقاد ، ولكنه لن يمحو الواقع الأليم ، فالسجن جحيم لا يطاق !

إن عاصما الكاتب ليقرأ الأبيات ثم يقرنها بما يكابده فى السجن من ويلات . فيرى أن كلام ابن الجهم يحتاج إلى تصحيح صريح ، ولن يكون هذا إلا من شاعر قادر يدحض الحجة ويقيم الدليل ؟ فمن يكون ذاك ؟

لقد اعتمد ابن الجهم على التشبيه ، فليأته عاصم منه ، لينازله بسلاحه فى حلبة البيان ، وهنا يظهر الحق للعيان

وسيقف القارئ على المناحة الصاخبة التى تولول فى أعماق عاصم حين يجده يصرخ فى مطلع القصيدة بقوله :

قالوا حبست فقلت خطب أنكد أنحى علىّ به الزمان المرصد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن وقت الكريهة والشدائد يغمد
لو كنت كالليث المصور لمارعت فى القنائب وجذوتى تتوقد
غضى الليالى لا أذوق لرقدة طعما وكيف يذوق من لا يرقد
فى طابق ، فيه النهار مشاكل لليل والظلمات فيه سرمد
فإلى متى هذا الشقاء مؤكد وإلى متى هذا البلاء مجدد

ولك أن تقرأ هذه الأبيات مرة ثانية ، فستجدها تخاطب الشعور وتتجه إلى الإحساس ، فتلتاع لها العاطفة ، وسر ذلك ما تزخر به من الصدق والإخلاص

لقد كان الخيال الذى حلق به ابن الجهم ضعيف المنة ، قصير الجناح ، فالأسير الحبيس ليس كالسيف أو الليث فى شيء ، وإلا فكيف يغمد السيف لدى الكريهة النائبة ، وما خلق إلا ليمزق الأشلاء ، ويسفح الدماء ؟ وكيف يغضى الليث عما ينوشه من الثعالب والقنائب ، وهى التى ترهب سلطانه الجبار ؟ هذا ما فطن إليه عاصم ، فاندفع ينقض أبيات صاحبه ، ومعه الحق فى دعواه ولكن لم لم يستطرد الشاعر فينقض التشبيه بالبدر والنار ، كما نقض التشبيه بالسيف والليث ؟ وذلك حتم أكيد عليه ، لأن الشاعر الناقض غير الشاعر المعارض ، فإذا قنعنا من المعارض بالتصوير الكلى ، فلن نرضى من الناقض بغير الاستقصاء والثبات ، ومثل من يعارض فى شعر تقوله كمن يبنى قصرا جوار قصرك ، فهو لا يتقيد بأسلوبك ونظامك فى البناء ، وما عليه إلا أن يحدث بناء تشرئب إليه الأعناق ، أما الشاعر الناقض فلا يبنى بيتا جوار بيت ، ولكنه يهدم فى صرح مشيد ، فعليه ألا يترك به من المقاصر شاخصة للأبصار !

ولقد صور عاصم ظلام السجن أو تشابه ليله بنهاره ، وتأفف من غياهبه السرمدية ، وشقائه المؤكد ، وهو كلام لن تجد نظيره عند صاحبه ، لأن الأول ثائر ناقم يذيع الفضائح والهنات ، والثانى قانع راض يلتمس المحامد فى كل مجال

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لقد لجأ ابن الجهم إلى الأسلوب الخطابى فى تدليله ، ولا عليه ، فهو شاعر يستحث العاطفة ويخاطب الشعور ، وقد وجد السجين يلزم حبسه كما يلزم الكريم بيته ، ويزوره الناس فى غياهبه دون أن يزور أحدا فى رحابه ، شأن العظماء المترفعين ،

فلم لا تحمد السجون على هـذا التكريم المجيب ! ! ذلك رأى يعلنه ابن الجهم إذ يقول :

والحبس ما لم تغشه دنية   شنعاء ، نعم المنزل المتردد
بيت يجدد للـكريم كرامة   ويزار فيه ولا يزور ، ويحمد

وهذا كلام مردود لا يقره عاصم ، وقد شهد فى محبسه كل مذلة وهوان ، ومتى استراح السجين لزواره ، وهم ما بين شامت يبدى التوجع ، ويضمر السرور ، وصديق يذرى الدموع ، ويرسل الزفرات ، وهذا كذاك ، يوقد الشجى فى الضلوع ، بزورته ! وقد عرف عاصم ذلك فاندفع يقول :

ما الحبس إلا بيت كل مهانة   ومذلة ومكاره لا تنفد
إن زارنى فيه العدو فشامت   يبدى التوجع تارة ويفند
أو زارنى فيـه المحب فوجع   يذرى الدموع بزفرة تتردد

وواضح أن ابن الجهم يعترف بهذه الأبيات فى أطواء نفسه ، ولـكنه يلفق الأدلة الوهمية كبتا للشامتين ، ونحن نرفع شاعريته حين نعلم أنه يتصيد المحامد للقفر الوحش ، وذلك مسلك وعر تتعثر فيـه القرائح الجياد ، أما صاحبه فيعصف ما يرى فى القفر الجديب من قسوة وجفاف ، فهو يسير مع التيار ، ولا يقف فى وجهه متحديا العقبات والصعاب !

وقد تعجب لعلى حين ينسى موقفه الدفاعى ، وتطغى عاطفته على عقله ، فيرجو الفرج القريب ، ويأمل الرخاء بعد الشدة :

فلسكل حال معقب ولربما   أجلى لك المكروه عما تحمد

قد تعجب لذلك منه وتأباه ، إذ أن المستريح فى محبسه لا يجب أن يفوه بمـا يشير إلى الضجر والسخط ، ولـكن الحق ظافر غالب ، وقد عجز الشاعر أن يتنكر لعواطفه إلى آخر الشوط ، فعمد إلى إرضائها والترويح عنها ، وهو بذلك يلتقى مع صاحبه عاصم فى مأساة واحدة ، وخطب مشترك ، فلا مجال للمناقضة بعد ذلك ، وقد ذهبا معا يتوسلان ويعتذران ، عسى أن يصيبهما حظ من الصفح والغفران

ولقد كان ابن الجهم بليغا فى اعتذاره ، متفوقا على صاحبه ، فهو يدعو إلى النصفة والسداد ، ويود لو اجتمع فى مجلس واحد مع خصومه أمام الخليفة ليدحض الحق الباطل ، إذ ليس من العدالة أن يتحكم الشاهد فى الغائب فيوغر عليه الصدور ، ويبهشه ما استطاع ، اسمعه يقول

أبلغ أمير المؤمنين ودونه   خوف العدا ومهامه لا تنفد
إن الذين رموا إليك بباطل   أعداء نعمتك التى لا تجحد
شهدوا ، وغبنا عنهمو فتحكموا   فينا ، وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس   يوما ، لبان لك الطريق الأرشد
والشمس لولا أنها محجوبة   عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والبيت الأخير ممتاز رائع ، وهو فوق إقناعه السديد يدل على ما يعتقده الشـاعر فى نفسه من سمـو وسموق ، ونحن نستطرف قوله :

شهدوا ، وغبنا عنهمو فتحكموا   فينا ، وليس كغائب من يشهد

إذ ينبئ عن الظلم الفادح الذى لحق الشاعر بابتعاده عن مقارعة الوشاة ، وقد ذيل البيت بحكمة صادقة تضمن له البقاء

أما عاصم فقد نهج نهجه فى الزلفى ، وراح يتحدث لسيده معتذرا معاتبا ، ويحوم على أفكار صاحبه إذ يقول عن وليه

غذيت حشاشة مهجتى بنوافل   من سيبه وصنائع لا تجحد
عشرون حولا عشت تحت جناحه   عيش الملوك وحاجتى تتزيد
نخلا العدو بموضعى فى قلبه   فحشاه جمرا ناره تتوقد
فاغفر لعبدك ذنبه متطاولا   فالحقد منك سجية لا تعهد

وهذه أبيات لا تقرن بالأبيات الأولى فهى خالية من القوة والتأثير ، وإن رافقتها فى بعض المعانى فضلا عن الغرض العـام . ولست أستطيب كلمة الحقد فى البيت الأخير ، فهى أبعد ما تكون عن المقام ، إذ لا يليق أن يوصف بها إنسان يعتذر إليه ويتزلف عنده ، هذا إلى القوافى المستكرهة التى ألصقت إلصاقا بالأبيات !

ولن نختم الحـديث عن المقطوعتين قبل أن نجمل الموازنة بينهما فى أسطر محدودة . فنقرر أن أسلوبهما سلس رقيق ، وأن عليا رغم وعورة مسلكه ، وتحديه لشعوره وعواطفه ، قد هدى عاصما إلى ما نظمه من المعانى ، وفتح عليه بما لم يكن يخطر له على بال ، كما ارتفع عنه حين سارا معا فى الاعتذار والعتاب فجاء بما لم يتطاول إليه عاصم ، وإن كنا نأخذ على الشاعرين معا ضيق الأفق ، وقصر النفس ، وسذاجة التفكير ، رغم اتساع المجال ، وفى ذلك بلاغ

محمد رجب البيومى

حول مستقبل الأزهر :

الاستقرار أولا

للأستاذ كامل السيد شاهين

إنا وما نكتم من أمرنا كالثور إذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها عذراء بكرا ، وهى فى التاسع !
كنا نرفيها ، فقد خرقت واتسع الخرق على الراقع !

إذا كانت الهزات الاجتماعية ، والحروب الكاسحة ، معوقة للتقدم العلمى ، حائلة بين ركب الحضارة وبين الخطو للأمام ، فإن الزلازل التى بلى بها الأزهر منذ ست عشرة سنة ، جديرة أن تهزه هزا عنيفا يكاد يفقده سمته العلمية ، ويشكك الناس فى رسالته ، حتى ليوشك أن يبقى اسما فارغا تحته واقع من الفوضى العمياء ، والتهويش المخرب ، والجهل العميق ، والجعجعة الكذوب !

وإذا كان الأزهر فى فتائه وإخلاصه للعلم ، واستفراغ جهود أبنائه فى الدرس ، وتوفرهم على البحث — لم يستطع أن يساير الركب إلا لاهثا منهوكا ، فأحر به وقد انصرف بنوه رؤساء وأساتذة وطلابا إلى الشغب والإضطراب ، وتنور الحركات السياسية المشئومة ، والجرى معها كما تهوى الأغراض والمنافع ، وإرسال الخطب تغريرا بصغار الطلاب ومغفليهم ، أحر به وقد انصرف بنوه إلى ذلك كله أن يكبوا كبوا لا يسرع معه إلى النهض ، وأن يكون بعيدة من ركب أخيه النشط الجاد ، لا يدركه إلا بالمعجزة تخرق العادة ، وتأتى بما وراء الظنون !

* * *

امتازت السنوات التى قضاها الشيخ الأحمدى شيخا للأزهر (بين سنة ٢٩ وسنة ٣٤) بأنها كانت مخلصة للعلم والدرس والنظام ، ولقد أفاد الطلاب والأساتذة على السواء من هذه النهضة المباركة ، ولا يزال من أصابوا حظهم من الدراسة فى هذه الفترة ، على قدر من الثقافة الأزهرية المؤصلة التى لا تحوج إلا إلى قدر يسير من المعاودة والمراجعة ، ليستوى صاحبها عالما ملما متهيئا للإفادة

ولئن كان الشيخ الأحمدى قد أثم أكبر الإثم بما جارى من السياسة المشئوم باشا فى تلك الفترة ، فأرهب الطلاب والأساتذة ، واتخذ بعض العلماء عيونا على بعض ، وعاقب بالظنة ، وبطش البطشة الكبرى بمن تحوم حولهم شبهة ، وكان غليظ القلب فى مصادرة الأرزاق ، وتشريد الأسر ، حتى أصبح الأزهر كله فرقا يموج بالدس والنفاق ، وصار أساتذته فى ذلة وانضاع من قلة الرواتب وسوء الحال . لئن أثم الشيخ الأحمدى هذا الإثم كله لقد ازدهرت الناحية التعليمية فى عهده كل مزدهر ، وآتى الاستقرار ثمارا لا تزال حلاوتها ملء الأفواه إلى يوم الناس هذا

وأقبل عهد الشيخ المراغى فكان فيه الخير والشر . كان خيره على الجيوب والبطون ، وكان خيره على الكرامة الأزهرية والسمعة الخارجية الداوية ، وشره كان على العلم والاستقرار ، وكان على الإنتاج والتحصيل والإعداد

حينما ثار العلماء والطلاب بالشيخ الأحمدى ، وهتفوا بالشيخ المراغى ، كانت دعوامهم الإصلاح والنهوض . فإن كان الإصلاح الذى يريدون إصلاح الرواتب ، وإصلاح الجو الأزهرى ، وإصلاح سمعة الأزهر ، فقد تحقق لهم من ذلك بالشيخ المراغى كثير مما يبغون . وإن كان الإصلاح الذى يرجون إصلاحا علميا ، ونهضة واثبة لتحقيق رسالة الأزهر ، فقد ساروا فى ذلك خطوات فسيحات ، ولكن . . إلى الوراء !

جاء الشيخ المراغى وفى صدره حب طاغ للأزهريين بعامة ، وللطلاب بخاصة . وانتثرت الثمرة الأولى فى عامه الأول ، فلم تتم المقررات ، ليس فى الكليات وحدها ، بل فى المعاهد كذلك ، ونادى منادون أن تريث المشيخة بالامتحان حتى يتم الطلاب دروسهم شرحا . وكان حل لهذا المشكل ، ولكن على حساب العلم ؛ فأوحى إلى وضاع الامتحان أن يكون فى المقروء لا فى المقرر ، فكان هذا بدء الانثلام

وبعد هذا بدأت إضرابات واضطرابات كان يعالجها الشيخ بكثير من الرفق ، وفق هوى الطلاب . فاستشعر الطلاب أنهم

جانب ذو بال فى تسيير دفة الأمور ، فعزلوا وولوا ، وكان ممن عزل بالهتاف والوقيعة ، وممالأة الطلبة ، الشيخ الضرغامى شيخ معهد أسيوط ، والشيخ الشرقى شيخ معهد طنطا ، وأمر أمر الطلاب إلى حد كبير حتى كانت المشـــيخة تتنور اتجاهاتهم ورغباتهم لتسير كما يطوع هواهم

وفى الحق أن الشيخ المراغى كسب قلوب الطـلاب ، واستطاع أن يكيد بهم لخصومه كيدا بليغا . ولقد تحلق الطلاب يوما فى كلية الشريعة حول شيخ كبير وأهانوه إهانة مستقذرة وكادوا يفتكون به لولا أن ذادهم أخو الشيخ المراغى وابنه عنه . ولقد كان هرج الطلاب وسفالتهم درعا حصينة وقت الشيخ تلك النقدات اللواذع التى وجهها إليه بعض كبار الشيوخ فى إحدى الكليات ، حتى لقد تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، وانفتحت للاعتذار آنذاك أبواب وأبواب . ولقد كتبت « الرسالة » عامئذ تصور هـذه الحال تصويرا لا يزال — على بعد العهـد — يشيع فى النفس أبلغ معانى الحسرة والسخرية

ومهما يكن من أمر هذه الحركات والإضرابات ، فقد كان الطلاب فيما بينهم وبين أنفسهم يعدون ذلك شذوذا وخروجا عن الحد . وكانوا يتلاومون فيما بينهم ، ويتساررون أن هذا أمر خطير غير مشروع ، ويرجون أن يثوبوا إلى النظام بعد حين

وقد كان حملهم على الطريق يسيرا ، لو أن أولى الأمر نكروهم ، وجبهوا لهم ، وتعهدوهم بالنصح وضبط الامتحانات وعدم الترخص فى شىء من أمرها . . ولـكن الأحداث جرت بغير هـذا ، بل مدت للطلاب مدا ، وساقتهم إلى الاعتقاد بأن الإضراب والتهريج ، واختلاق أسباب الشغب ، كلها حقوق مشروعة تباركها المشيخة ، وتدفع إليها

ذلك بأن حكومة الوفد سقطت عام ١٩٣٨ ، فنفخ فى الصور ، وأوذن الأزهريون أن يهبوا لمحاربة مرشحى الوفد ، وتأييد خصومه ، وباركت المشيخة هذه الحركة الدنيئة ، ونشطت فيها نشاطا غير كريم ، وأرسلت السماسرة يوزعون المال لشراء الذمم ، وأوقفت الدراسة أكثر من أربعين يوما حتى قامت الحـكومة الجديدة ببرلمانها الجديد

لقد اســـتغل فى الأزهريين حبهم لأستاذهم الأكبر الذى لا يناصر الوفد ، واستغل فيهم فقرهم وحاجتهم إلى المال ، ولـكن نسيت المشيخة أن هذه حركات سياسية دنسة ، واشتراك الطلاب فيها على هذا النحو إزراء بالأزهر ، وإسقاط له كجامعة تخدم الجميع ، ولها حق الاحترام على الجميع ، ولا ينبغى أن تتخذ لونا سياسيا مهما زها وخلب بريقه

نسيت المشيخة أن الطلاب لهم قلوب وآراء واتجاهات ، وأن شراء ذممهم بالمال تربية سافلة ، وسنة قذرة يجب أن تتوقاها مشيخة كريمة جهد التوقى

نسيت المشيخة أنها بذلك تعلم رجال الأحزاب احتقار الأزهر وآله الذين يسخرون بالدراهم ، ويسيرون بالرشا . . ولقد ذهب الطلاب إلى الدكتور ماهر ذات يوم يطلبون إليه أمرا من أمور الأزهر ، ويذكرونه فضلهم فى خدمة الحـكومة القائمة . فأجابهم : أما ما تذكرون من الفضل . . فلا . . فقد قبضتم الثمن !

هذا العمل كان جديرا أن يصدر من شيـخ غير المراغى العظيم ، ولـكن الشيخ غفر الله له — باع الأزهر فى سبيل الـكيد والمغايظة ، ولم يعبأ بانتقاء السلاح الذى ينبغى له استعماله

إن من الإجرام أن يسير الأزهر فى ركاب حزب من الأحزاب . وإن من الإجرام أن يحاول حزب من الأحزاب أن يلون الأزهر بلونه . يجب أن تتوقى الأحزاب جرجرة الأزهر واستغلاله فى مهاتراتها ومناوراتها ومـكايدها . وإذا كان لا بد للأزهر أن يتحزب ، فليتحزب تحزبا إسلاميا يتفق مع دراسته ورسالته

لقد كان من الآثار الباقية لهذه الحركة المشئومة إن آمن الطلاب والأساتذة من يومئذ بأن الاضطراب أمر مشروع تسنه المشيخة وتباركه وتـكافىء عليه وتدعو له ، وأن الامتحان مأمون الخطر ما دام فى القروء ، وما دام الأساتذة فى أيدى التلاميذ ، يقرءون ما أراد الطلبة لهم أن يقرءوا ، وينتهون إلى حيثما يريد الطلبة بهم أن ينتهوا . . ويخرج على هذا الوضع متخرجون هم فى الجهالة ما هم !

وانتهى عهد الشيخ المراغى وقد خلف للأزهر فسادا شاملا وسننا من أسوإ ما ضرب للمتعلمين فى أى معهد من معاهد التعليم فإذا كان للشيخ مناح محمودة مشهودة من خلقه ووفائه ،

ومن عزته وإبائه ، ومن علمه وجلالته ، ومن حفاظه وكرامته . فليس هذا عليه بمنكور ، ولكنا لسنا بصدد التحدث عن ذلك؛ وإنما نحن بصدد الحديث في أمر الفوضى والاستقرار ، فليطرد فيه الكلام حسب

* * *

من بعده تولى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد جاء وصدره تتزاحم فيه الآمال . وأنهى إلى الأزهريين أنه راغب أن يدفعهم إلى الأمام بكلتا يديه . . ولكن مثقلة من انحلال خلق ، وتكتل إقليمي ، ونزوع للفوضى ، مما يحتاج في علاجه إلى صلابة وجه ، وشدة جسم .. أمر بتكاءد رجلا موفور الحياء ، جم التواضع ، بالغ الرقة ، كالشيخ مصطفى أن ينجح في علاجه وتصفيته . إذن فقد مضت الأمور آخذة أخذها القديم ، ولم يتأذن الله للشيخ مصطفى أن يغير من أمر الأزهر شيئا ، بل يكن الشيخ بطبيعته رجل هذا التغيير .. لقد مات الشيخ مصطفى مغيظا حزينا متأثرا بنداءات خشنة مجانبة للذوق والأدب ، صكت سمعه في حرم الأزهر . . لقد قتل الشيخ مصطفى مظلوما . . ظلمه النقراشي باشا إذ ولاه — على رغمه — مشيخة الأزهر !

* * *

وما كاد الشيخ مأمون يقتعد كرسي المشيخة ، حتى قرب وباعد ، وسر وساء ، ولكن في مدى معقول غير متطرف ، وسار في الأزهر سيرة تمد مزيجا من (الدودشة) والدهاء . والحق أنه عزم ليردن الطلاب إلى الدرس والنظام وليقيمنهم على الطريق ، وحاول ذلك جاهدا ، وأذن في المفتشين ليرابطن كل مفتش في معهد لا يريمه شهرا ، ثم ينتقل إلى آخر ويخافه مفتش آخر ، وكانت سيرة محمودة لو كتب لها النجاح .. ولكن ثقل النظام على الطلاب ، وبرم الأساتذة بالدرس المستقر ، فتلمسوا الفرص — وما أكثرها — ورجعوا لما اعتادوه من الفوضى والشغب . وحاول الشيخ أن يعالج هذا الاضطراب بضبط الامتحان ؛ ولكن الطلاب قد دخل في روعهم — من قبل — أن النجاح حق لهم ، وأن الغش حل ، بل يدافعون عنه بالهراوى والمدى والمدارات . . وفعلها الطلاب ، ودخلوا بالكتب ، وزادوا عن حقهم ما أطاقوا ، وكانت حوادث ، وظهر من شيوخ المعاهد من يحمى الغش ويدافع عنه ويواطئ الطلاب عليه ، وظهر من الأساتذة الراقبين من يدير ظهره ليراقب المشرفين حتى إذا بدا منهم أحد اتجه إلى الطلاب يزجوهم إخفاء ما استعان . غير أن بعض المشرفين آثر الأمانة في معهد قنا ، وصدق المشيخة ما هنالك ، فألغت الامتحان ، وكانت هذه خطوة جريئة مشكورة

ولكن الشيخ أدركه الهرم ، واضطربت أعصابه ، وبقى مع ذلك يصرف شؤون الأزهر ، ويقوم عليها مصبحا ممسيا ، فخرجت الأمور ممتلة مختلة ، ولم تجن المشيخة ثمار الحزم ، وعاد الطلاب إلى الفوضى والاضطراب على أشنع وجه وأبشع صورة

ومما زاد النقمة على الشيخ أنه شايع السياسة ، واضطهد الإخوان المسلمين حين كانت السياسة تضطهدهم ، وكان جديرا بمشيخة الأزهر أن ترفع يدها فلا تحارب قوما يؤدون رسالة هي لباب رسالة الأزهر ومخها . وأياما كان فقد أسف الشيخ شر إسفاف بجريه في تيار السياسة التي يجب أن يباعد بين الأزهر وبين رذائلها جهد المباعدة

وما كاد الشيخ عبد المجيد سليم يتولى المشيخة حتى أعلن أن له خططا منهجية يريد الأخذ بها ، ولكنه فوجئ بمطالب ، ونوهض بمصاعب ، ردته عما كان يولى وجهه شطره من إصلاح . ثم أدركه الضعف فدخل مجلس الأزهر عنصر سياسي يتكلم باسم الحكومة ، ويقدم طلبات الشايعين لها ، ويتعصب لهم ويحمل المجلس على احتظائهم ؛ لأن في رفض طلبه إهانة للحكومة واستخفافا بها ، والنار والدمار للمجلس وللأزهر كله ، إذا لم تسمع كلمة الحكومة ، ولم يستجب لندائها

وقرب على هذا الأساس ناس ، وبوعد ناس . وعاد شيخ الأزهر بعد مرضته لياقى باليدين وبالجران لهؤلاء الذين يتكلمون باسم الحكومة ، بلا مخالفة ولا اعتراض ، لأن في المخالفة الشر كله

ولقد ضخم الوهم من أمر العنصر الطارئ ما ضخم حتى

صارت إشارته حكما ، والاستجابة له فنما ، وحتى أصبح المجلس بوقا ينفخ فيه واحد فتخرج منه أصوات كثيرة عدد أعضاء المجلس الموقر ، كلها منسجمة مؤتلفة، لاشذوذ فيها - بحمد الله - ولا نشوز

وإذا كنا نستنكر من الشيخ المراغى أن يجيش الأزهر عام ١٩٣٨ لمحاربة الوفد ، فإننا نستنكر على هذا المعهد أن يطامن رأسه كذلك للرغبات الحزبية أيا كان مصدرها

وإذا كنا نعز الأزهر عن أن يسير فى ركاب محمد محمود والنقراشي وعبد الهادى ، فإننا نعز الأزهر كذلك عن أن يسير فى ركاب مصطفى النحاس

وإذا كان الهتافة فى عهد السعديين مسلطين على رقاب الأزهريين ، وكان الهتافة فى عهد الوفديين مسلطين على رقاب الأزهريين ، فإن ذوى الكفاءات جديرون أن يمنعوا أنفسهم من الجهد والعمل والجد ، وأن يتربصوا بالزعماء فى دورهم وفى أفواه الطرق وأعراض السرادقات هاتفين مصفقين ، أولا ، فليتخذوا غير الأزهر مكانا يحترم العلم ، ولا يضعف أمام الحزبية كما فعل الدكتور محمد يوسف موسى

على أن الحكومة ما تفتأ تنادى بتلطيف حدة الحزبية ، فيعلن وزير فيها أنه وزير للعلم لا للسياسة ، ويصرح آخر بأنه يربأ بنفسه أن يكون عضوا فى حكومة لا تحترم الكفاءات . . فهل سمع الأزهر . . وهل وعى ؟

يجب أن نعالج الأزهر أولا بالاستقرار ، ودعم الاستقرار لا يكون إلا بالقضاء على الجرثومة الخبيثة ، جرثومة الحزبية ، ثم يطالب منه أن يؤدى رسالته . فأما وهو على هذا النحو ، فأمر من يبغون منه الخير ، أمر من يطلب من مريض المفاصل أن يسير وثبا ، وهو فى كل لحظة يكب لوجهه كبا !

هذا ما رأينا من حال الأزهر ، صورناه كما علمناه غير متجنين على أحد ، ولا محابين أحدا . ونحن نعلم أن ذلك ستترم له أنوف ، وتوغر منه صدور ، ولكنا آثرنا أن نضع الأمور فى نصابها ، ليعلم امرؤ أن التاريخ غير راحم ، وليرى أين يضع نفسه

كامل السيد شاهين
المدرس بمعهد القاهرة

الشر الطريف

للأستاذ ثروت أباظة

هى الصكة التى إن أخذت لم تذر ، وإن مت لم تدع لصاحب العقل عقلا ، أو لصاحب الفؤاد فؤادا ، وهى لا تدع لذى الحياة حيا أو تنحط أول ما تنحط فيفقد الإنسان قوامه وتطير نفسه بددا ، حتى إذا تراجعت اليد التى أنزلتها رجع الإنسان إلى بعض الرشد منه فيبين له أن الله قد أقام الرجل رجلا حتى يملك زمام أموره ، يسيرها فتسير ، ويصرفها فتنصرف ، فإذا استقام هذا التفكير وجرى فى سننه أصبح الرشد الآئب أكبر من الرشد الهارب ، واتكأ المصدوع على سنة الله فى عباده فيرتئب الصدع أو يكاد ، وتستقيم النفس بعد التواء . وبعد ففى كل شر خير ، وخير معرفة الصاحب خلاص الصحبة ، من العدو ومضمر البغض ، خير قديم يلازم كل شر ولا جديد فيه . وقديم كذلك أن أقرب الناس إليك قد يكون أشدهم بغضا لك . فهو يخفى بغضه حتى تصيب الصكة وينزل البلاء على صاحبه ، فيزاحم ببغضه هذا البلاء ويستبق إلى إنزال الشر كأنه جزء منه ، ينزله فلا يملك المبتلى إلا أن يصرخ « حتى أنت؟ » فإذا الصرخة فى نفس العدو فرحة ؛ فهو موغل فى شره . حتى إذا تبين له أن كيده مردود ، وأن الله قد أقام الرجل رجلا حتى يملك زمام أموره ، يسيرها فتسير ، ويصرفها فتنصرف .. يبين ذلك فإذا صاحب الشر مسترجع شره ، يضعه فى نفسه نارا تحترق ولا تحرق غيره ! فياله من مسكين ! هذا هو طريف الشر إذن . . آدمى ذو عقل وصاحب قلب يختزن فى نفسه النار وتحرق قلبه وهو قلبه ، ويملك عقله ، ولا يملك عقله أن يهمد عنه النار ، ويمحه لما يجديه !! ترى أى سبيل يسلك حين تنفرج الأزمة وتنفك العقدة ، أهو راجع إلى ما كان يحاول إظهاره من ود ؟ أم هو مستقيم مع الشر الذى زاحم فيه وبه ؟ أما صاحب البلاء . أما هو فما مصيره مع هذه الشرور التى كان يظنها خيرا ؟ أهو مصدق نفاقهم الذى

عظة لوزراء اليوم

الشعراء عند عمر بن عبد العزيز

للأستاذ علي محمد حسن العماري

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ثامن خلفاء الدولة الأموية، وجده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولا شك أنه ورث عن جده هذا كثيراً من صفاته، فكان عادلاً زاهداً متقشفاً حتى عده المؤرخون في سياسته وعدله خامس الخلفاء الراشدين. وقد ظل الناس خصوصاً أهل البيت نحواً من ستين سنة يعانون أنواعاً من الشدة والاضطهاد في دولة بني أمية؛ حتى جاء عمر ابن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة، فملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا

ولقد تولى عمر الخلافة وهو كاره. وكان يوده قبل أن تصير إليه أن يبعدها الله عنه، وأن يثني عزم الخليفة سليمان بن عبد الملك عن العهد إليه ولكنه لم يجد سبيلا، فلما وقع الأمر وصارت إليه الخلافة كانت أول كلمة قالها « إنا لله وإنا إليه راجعون » كأنما وقع في شر عظيم. ولا عجب فقد كان يقول: «أنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة إلا ما عافى الله ورحم »

كان ورعا زاهدا تقيا فرفع يده عن بيت المال فلم يأخذ منه شيئا، وكف يده عن الفيء فلم ينل منه كثيراً ولا قليلا. وقد حبب إليه أصحابه أن يأخذ من بيت المال مقدار نفقته وقالوا إن جدك عمر بن الخطاب كان يأخذ درهمين كل يوم، فردهم قائلا: إن ابن الخطاب لم يكن له مال فحق له أن يأخذ، وأنا مالي يكفيني

ونذهب نفتش عن مورد رزق أمير المؤمنين الذي تمتد دولته من الصين شرقا إلى بلاد المغرب غربا، فنجد له عبدا يسمى (درهما) يحتطب له — ونجد درهما يضيق بعيشه، ويتبرم بحياته مع هذا الخليفة الزاهد المتقشف، فما هو إلا أن يسأله الخليفة ـ ماذا يقول الناس يادرهم؟ وهنا ينفث الغلام عن ذات صدره ويجيب الخليفة ـ وما يقولون؟ الناس كلهم بخير، وأنا وأنت بشر! إني عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب طيب الطعام، فلما وليت ورجوت أن أستريح وأتخلص، زاد عملي شدة وصرت أنت في بلاء، فيقول له الخليفة: اذهب وأنت حر، ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجا

ويحرم عمر أولاده المال ويباعد بينهم وبين ترف أولاد الخلفاء، حتى يموت وليس عند أولاده شيء. ولقد أحضرهم قبل موته وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد النظر فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال: «بنفسي فتية تركتهم! يابني إني مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيرا من دخول أبيكم يوما واحد في النار. قال الرواة ـ فما احتاج واحد من ولد عمر ولا افتقر

أما الشعراء فكانوا في ذلك العصر الصعاليك السادة، يسيطرون على الحياة الأدبية في الدولة، ويعيشون عيشة الترف والنعيم، يأخذون من عطايا الخلفاء وجوائزهم، فما هو إلا أن ينبغ الشاعر حتى يقصد الوالي فيمدحه، ثم تسمو همته فيرحل إلى الخليفة ويمدحه فيرجع بالمال الوفير والخير الكثير ولم يكن الشاعر من هؤلاء. يعنيه أن يقول الحق أو الباطل، بل كثيرا ما كان يقول غير ما يعتقد، ويعتقد غير ما يفعل. وكان الخلفاء يبذلون للشعراء بسخاء ويعطونهم من بيت مال المسلمين ما نعده نحن إسرافا وفوق الإسراف، بل وما كان يعده معاصروهم من المتورعين ظلما للمسلمين واعتداء على حقوقهم. ولكن الخلفاء كانوا مستريحين إلى هذه الحال، لأن الشعراء في ذلك الوقت أشبه بالصحف الحزبية في وقتنا الحاضر ينشرون فضائل الأصدقاء، ويذيعون مساوئ الأعداء، وكان

كان يظنه حبا؟ أم هو مستبد بعقله مانع شر الشرير باللفظ الخشن والوجه الملتوي! يا هادي السبيل؟ ما السبيل؟ أهو التفاني الدال على الذكاء يرافقه الخبث المبين عن التجربة؟ أم هو الصدق الدال على الاستبانة تمازجه الصراحة الواضحة عن النقاء؟ ياهادي السبيل! أكاد أسمعك تقول وهل الدنيا إلا اصطناع غباء وتجربة؟ هو السبيل الأول .. هو السبيل

ثروت أباظة

الأمويون بخاصة يريدون أن يشغلوا الناس حتى لا يتحدثوا فى السياسة العليا ووجدوا فى الشعراء شاغلا لهم أى شاغل . وقل من الشعراء من كان بريئاً بنفسه أن يكون مطية لخليفة أو وال أو أمير . وقف عمران بن حطان الخارجى على الفرزدق وهو ينشد شعره فقال عمران :

أيها المادح العباد ليعطى   إن لله ما بأيدى العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم   وارج فضل القسم العواد
لا تقل للجواد ما ليس فيه   وتسم البخيل باسم الجواد

ولكن هيهات أن يستجيب الفرزدق أو أحد أصحابه الشعراء لهذا النبل . وقد كان من عادة الشعراء أن يفدوا على الخليفة الجديد يهنئونه وينالون منه يسره وخيره فلما تولى عمر بن عبد العزيز وفدوا إليه — كعادتهم — مؤملين طامعين واجتمعوا ببابه منتظرين الإذن، ولكنه لم يأذن لهم . وكان على الشعراء أن يدركوا، فإن الخليفة حرم نفسه وحرم أهل بيته ؟ فقد اجتمع الأمويون ببابه يوم تولى الخلافة وأعلمه الحاجب بمكانهم، فقال له: ما يريدون ؟ قال الحاجب : ما عودتهم الخلفاء قبلك . وكان معه ابن فى سن الرابعة عشرة فقال: يا أبى دعنى أجبهم عنك ، فأذن له فخرج وقال: -- أبى يقرئكم السلام ويقول لكم — إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم — كان على الشعراء أن يتنبهوا ولكن الطمع أعمى أبصارهم فتوسلوا إليه ببعض جلسائه، فقال يا أمير المؤمنين : الشعراء ببابك وأقوالهم باقية وسهامهم مسمومة — قال عمر مالى وللشعراء ؟ — قال صاحبه: يا أمير المؤمنين إن النبى صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى وفيه أسوة لكل مسلم. قال: صدقت فمن بالباب منهم ؟ قال ابن عمك عمر بن أبى ربيعة ، قال: لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه، أليس هو القائل :

وياليت سلمى فى القبور ضجيعتى   هنالك أو فى جنة أو جهنم

والله لادخل على أبدا . فمن بالباب غيره؟ قال: جميل بن معمر العذرى — قال عمر هو الذى يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت   يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب   إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها ويلتقى   مع الليل روحى فى المنام وروحها

أغرب به، فوالله لا دخل على أبدا — فمن غير من ذكرت ؟ قال: كثير عزة ، قال هو الذى يقول :

رهبان مدين والذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعزة ركعا وسجودا

فمن بالباب سواه ؟ قال الأحوص الأنصارى — قال أبعده الله، ثم من ؟ قال: همام بن غالب الفرزدق، قال لادخل على أبدا ، وذكر لكل منهما شعرا يفسقه به ثم قال فمن غير من ذكرت ؟ قال: الأخطل التغلبى قال: أليس هو القائل :

فلست بصائم رمضان عمرى   ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عنسا بكورا   إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو   قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا   وأسجد عند منبلج الصباح

فوالله لا وطئ لى بساطا أبدا ، وهو كافر . فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: جرير بن عطية قال: فإن كان لابد فهذا ـ فلما مثل بين يديه قال اتق الله ياجرير ولا تقل إلا حقا، فأنشد قصيدة من رائع الشعر يشكو فيها ما أصاب قومه، ويذكر ما يرجونه من جود الخليفة وعطفه، ويمدح عمر مدحا مريا وفيها يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة   ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده   كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به   خبلا من الجن أو مسا من البشر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة أو كانت له قدرا   كما أتى ربه موسى على قدر

فقال ياجرير والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله (يريد ولده) ومائة أخذتها أم عبدالله. ياغلام أعطه المائة الباقية، فخرج جرير يقول — إنها لأحب مال كسبته إلى . ويسأله الشعراء : ما وراءك ؟ فيقول: ما يسوءكم. خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء .. وإنى لراض عنه

على محمد حسن العمارى

قانصوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الرابع

أقوال وأحاديث

قال التاجر: يبدو أن السلطان مولع كل الولوع بإقامة المباني الجميلة والمنازه الرائعة الممتازة

المستوفى زكي الدين: نعم! إنه لكذلك. ولعلك تشير إلى ما أسسه في الميدان تحت القلعة، ذلك الميدان الذي كان فناء موحشا، وفضاء خاليا. لقد صيره قطعة من الجنة، وأصبح بما بناه فيه من القصور، وما أنشأه من البساتين وما غرسه من الأشجار، متنزها ممتازا من منازه مصر. وقد أنفق في سبيل ذلك نحوا من ثمانين ألف دينار ... لقد بدأ بتعلية حيطان سوره ودك أرضه وتسويتها. ثم بنى في وجهته الغربية مقعدا وقصرا فخما وحجرة خاصة وبركة جميلة كبرى يبلغ اتساعها نحوا من أربعين ذراعا، وبنى غير ذلك فيه من الأبنية

وقد جلب إلى بساتينه أشجار الفاكهة من مختلف الألوان وأعواد الأزهار والرياحين، وأجرى إليها المياه من النيل، ترفعها السواقي في مجار خاصة

وأنشأ كذلك قصرا على باب الميدان، مطلا على الرميلة، ومهد الطريق بين القلعة والميدان بممشى جميل يتصل بالقصر بوساطة سلالم لطيفة. وأقام للميدان بابين أحدهما كبير ضخم، هذا فضلا عما بناه من سبيل وما جدده من أبنية. فقد جدد من قاعات القلعة الشهيرة، قاعة العواميد، والقاعة البيسرية. ولقد علمنا أنه أغلظ على القاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش هو وإخوته بأن ينزعوا الرخام النفيس من «نصف الدنيا» وهي قاعة والدهم المشهورة، ورخامها نادر المثال، أنفق أبوهم في سبيل اقتنائه مالا جزيلا، وجهدا وفيرا. وكانوا يعتبرون هذا الرخام أثرا عزيزا من آثار أبيهم. فانتزعه منهم السلطان قوة وقهرا، ليجمل به هاتين القاعتين وغيرهما. فأصبحت كل منهما زينة للناظرين، وفتنة للعيون. وبعد تجميلهما انتقلت خوند زوجة السلطان إلى القلعة، بعد أن ظلت زمنا طويلا مقيمة ببيت الأمير ماماي بين القصرين. وكان يوم انتقالها حافلا ... لقد بسطت على رأسها القبة والطير، ونثرت عليها خفائف الذهب والفضة، وفرشت لها الشقق الحريرية من باب الستارة إلى قاعة العواميد

ولقد وردت إلى السلطان منذ أمد قريب هدايا من الشام حافلة، في عدادها عدة صناديق خشبية فيها أشجار صالحة للغرس لا يزال الطين عالقا بجذورها، وهي ما بين أشجار تفاح وكمثرى وسفرجل وقراصية وأعناب مختلفة. وما بين ورد أبيض وسوسن وزنبق. ومن بينها شجرة من أشجار جوز الهند.. فغرس كل ذلك في بستانه بالميدان. وزود البستان بالمقاعد الكثيرة والمناظر الوثيرة، حتى صار روضة كاملة وجنة حافلة، اعتاد السلطان أن ينفق أوقاته مرتاضا بين أحواضها وثمراتها، وأن يقيم مواكبه فيها واستقبالاته، وأن يمد موائده على مقربة منها؛ وأصبحت هذه الروضة تضارع في جمالها وتنسيقها وطرافة ما فيها، ما يرويه التاريخ عن بساتين خمارويه ...

وليس على السلطان من بأس في كل ما أنشأه، سوى هذه المصادرات والغرامات الفادحة، وسلب مقتنيات الناس بأبخس الأثمان ...

قال الشاعر شهاب الدين: ألم تسمعوا قول الشاعر:

يا من بنيتم لخلق الله مدرسة ... أسستموها بعدل أم بطغيان
إذا بنيتم فلا تبنوا على سفه ... ولا تجوروا بسلب أو بحرمان
فكل شيء بناه الجور منهدم ... وليس يبقى سوى عقباه للباني

فقال علم الدين الخياط: صدقت.. ولو أن السلطان نقل الرخام من «نصف الدنيا» إلى مسجده لقلنا سيئة أتبعها حسنة؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام ما معناه «وأتبع السيئة الحسنة تمحها». ولكنه نقلها إلى القاعة البيسرية وسواها، ظهورا وزينة ومتعة، فهي سيئة أتبعها سيئة ...

التاجر غرس الدين : ليت السلطان يكتفي بعقوبة الأعيان والرؤساء ، ومصادرة أموالهم ونفائسهم ولكنه يعاقبنا كذلك معشر التجار من آن لآخر ، بفرض الضرائب ، الباهظة ، وبغيرها ، كالأمر بتعلية الأرصفة أو تخفيضها ... إن علينا نفقاتها ، فوق ما نعانيه من دالة الفعلاء ، وحاملي الأتربة . إذ يرفعون حينذاك الأجور ، ويماطلون في العمل ، فضلا عن عطلنا عن البيع والشراء ، طالما ضاقت صدورنا وامتلأت بالحرج والحنق ، ولكنها الأوامر السلطانية الشريفة ياسيدي ..! ويبدو أنها ترادف الجورق ممناه في أيامنا . . زد عليها ضريبة المشاهرة التي أبطلها السلطان حين تفشت الأوبئة في البلاد ، كأنما كان يتقرب إلى الله بإبطالها . ثم سرعان ما عاد ففرضها علينا وزاد عليها . والأمر لله من قبل ومن بعد

المستوفي : إن ما يصيب التجار — يا صديقي — قليل من كثير مما يصيب أعيان الموظفين . وويل لكل موظف في الدولة من السلطان . . لقد تعودنا أن نشتري الوظيفة بالمال ، من السلطان أو من وسطائه — وهي مع أنها سلعة غالية ، قليلة النفع سريعة النفاق . فمتى ساء ظن السلطان في أحد الموظفين لأقل شبهة أو نميمة ، قبض عليه وصادره ، وأحاط بماله ، وفرض عليه غرما ماليا فادحا ، وعاقبه عقابا شديدا بالضرب بالمقارع ، أو التشهير في الأسواق ، أو عصر الأيدي والأرجل بالمعصارات . أو إحراق الأصابع بالقصب ، أو لي الأصداغ بحبال القنب ، وغير ذلك . وقبل هذا كله تطير الوظيفة من يديه ..

الخياط : مسكين — والله — الشيخ بدر الدين بن مزهر . كان من خيرة زبائننا . وكان معدودا من الرؤساء والعلماء . لقد ولي عدة وظائف سنية من بينها كتابة السر وقد أخبرني أحد أقاربه أن السلطان قبض عليه وسجنه . ثم وكل أمره إلى الحاج بركات ابن موسى الذي صار محتسبا للقاهرة . وإلى معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال ، وغيرهما ، فعصروا أكعابه . وركبه . وأحاطوا أصابعه بالقصب وأوقدوا النار فيه ، حتى تساقطت سلامياته . واختطفوا أثداءه بكماشات الحديد المحمي ، ثم وضعوها في فمه .. ولووا أصداغه بحبال من قنب حتى نفرت عيناه ... ثم مات ... وقانا الله وإياكم شر العذاب

المستوفي : ولم يكتف السلطان بذلك ، بل سطا بعد حين على قاعات أبيه فاقتلع رخامها وزين به الدهيشة ..

الشيخ ولي الدين : يقال — والله أعلم — إن أبا بكر ابن مزهر يستحق هذا العذاب ، فإنه كان نكبة على الناس وآذى كثيرا منهم إيذاء شديدا . . . هذا إلى أنه كان يأمر بالسلطنة ، ويغري الأتابكي قيت بالوثوب عليها . . ووضع أمواله تحت تصرف قيت وعصابته . .

ونحن — وإن كنا لا ندري بواطن الأمور — نستسيغ كل خبر إلا الرشوة التي تقدم للسلطان ووسطائه في سبيل المناصب ثمنا لها . ولا أدري كيف يشتري الموظفون وظائفهم من السلطان؟ ومن المؤلم أنهم درجوا على ذلك زمنا طويلا ، حتى كاد شراء الوظائف يكون في عداد التقاليد . وإذا استسيغ شراء بعض الوظائف فليس بمستساغ أن يشتري قضاة القضاة مناصبهم . . . وهم القوامون على الشريعة ، المهيمنون على العدالة ، فكيف يؤتمنون بعد ذلك على رعايتها ؟ ألا رحم الله السلف الصالح . . ! كان كثير منهم يعف عن ولاية القضاء جملة ، ولو ضرب في سبيل ذلك أو سجن . وقد عزل بعضهم نفسه من هذه الولاية ، وكلما ولوه عزل نفسه . ومنهم من أنف أن ينال من وراء ولايته درهما واحدا . .

المستوفي : بلغني أن قاضي القضاة محيي الدين بن النقيب سعى إلى قضاء الشافعية بنحو سبعة آلاف دينار ، دفع منها للسلطان خمسة آلاف ، وللوسطاء نحو ألفين ، ومن هؤلاء الوسطاء الأمير أزدمر الدوادار . . ومع ذلك عزل هذا القاضي بعد مدة يسيرة لم يستطع خلالها — فيما أظن — أن يستعيض عن دنانيره

الشاعر : لقد أصبح ابن النقيب هذا ، والقاضي جمال الدين القلقشندي ، وأضرابهما من قضاتنا الأماثل ، مثلة للناس وأضحوكة لتكالبهم على مناصبهم ، وأصبحوا مثاراً للقيل والقال محلا للهزء والسخرية . وقد داعب أحد أصدقائنا قاضينا ابن النقيب ، فقال فيه :

قاض إذا انفصل الخصمان ردهما ... إلى جدال بحكم غير منفصل

يبدي الزهادة في الدنيا وزخرفها ... جهراً ويقبل سرا بعرة الجمل

الخياط : أما القاضي عبد البر بن الشحنة فقد هجاه صاحبنا جمال الدين السلموني بقصيدة مرة ، ولكني نسيتها . . . وأصابه بسببها مكروه شديد

الشاعر : أما حادثة السلموني فقد بدأت عندما هجا هذا الشاعر ، القاضي معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال ، هجاء فاحشا . ومعين الدين – كما تعرفون – كثير الشر والأذى . وكان في عداد ما هجاه به هذا البيت

وحرفته فاقت على كل حرفة   يركب ياقوتا على فص خاتمه ..

وفي هذا البيت ما فيه من التورية والإقذاع . فشكاه إلى السلطان . فقال له السلطان : إن وجب عليه شيء شرعا ، فأدبه.. فاتخذ ذلك وسيلة إلى القبض على السلموني ، ووضعه في القيد ، وسوقه إلى بيت القاضي عبد البر ، ورافعه أمامه ، وادعى عليه.. فضربه القاضي ووبخه ، وأمر بإشهاره على حمار ، وهو مكشوف الرأس ...

بلغ هذا الحكم مسامع السلطان ، فحنق على معين الدين ، لأنه ادعى زورا أن السلطان أمره بإشهار السلموني ، فقبض على معين الدين ، وسجنه ، وكاد يقطع لسانه ، لولا أنه أرضى السلطان ببعض المال فعفا عنه ..

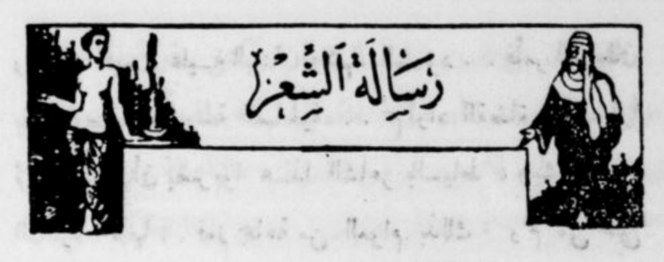
أما السلموني فقد سخط أشد السخط على القاضي عبد البر ، بسبب ما ألحقه به من الأذى ، وهجاه بقصيدة طويلة هجاء فاحشا ، نسب إليه فيه كل كبيرة وصغيرة . وقد شاعت هذه القصيدة وذاعت ، وحفظها كثير من الناس ، من محبي السلموني وغيرهم . وأخذوا يرددونها في مجالسهم تفكها بابن الشحنة ... ومنها هذه الأبيات :

فشا الزور في مصر وفي جنباتها   ولم لا وعبد البر قاضي قضاتها
أينكر في الأحكام زور وباطل   وأحكامه فيها بمختلفاتها
إذا جاءه الدينار من وجه رشوة   يرى أنه حل على شبهاتها
فإسلام عبد البر ليس يرى سوى   بعمته والكفر في سمناتها .الخ

فشكاه عبد البر إلى السلطان . فأحضر السلطان الشيخ جمال الدين السلموني ووبخه ، فأنكر أنه نظم هذه القصيدة كلها ولكن أقيمت عليه البينة ، وشهد الشهود . . فأمر السلطان بقيده وسجنه بالمدرسة الصالحية . . . ثم أراد القضاة – انتصارا لزميلهم – أن يضربوا هذا الشاعر بالسياط ، ويشهروه في القاهرة ، ثانيا . . فعلم جماعة من العوام بذلك ، وهم من محبي السلموني . فتعرضوا للقضاة وهددوهم بالأذى . وجمعوا الحجارة في أكمامهم ، وهموا برجم القاضي عبد البر ، وهو في طريقه .. فاضطر إلى العفو عن الشاعر دون أن يعزره أو يشهره ، ولكنه تركه في سجنه زمنا . ولهج العامة بأن السلطان على هذا الشاعر ويعني بأمره ...

فقال الشيخ ولي الدين : ويحكم ! أليس لكم الليلة حديث إلا الغيبة ؟ إنكم لكالغربان لا تسقط إلا على الجيف

للكلام بقية   **محمود رزق سليم**



ذكرى غرام

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ذكرى غرام كان فى غابر الأزمان
طارت به الأيام فى عالم الأوهام
الشاعر الحائر

ولما أن تلاقينا تعانقنا بروحينا
وضم الحب قلبينا وغنى لحن لقيانا

* * *

فغنى القلب أشعارى على أنغام قيثارى
وباح لها بأسرارى وذاب هوى وتحنانا

* * *

ورفرف حولها نشوان بخمر الحب والألحان
وغازل حسنها الفتان فرف الحسن ألوانا

* * *

وناجته وناجاها وفتنته وغناها
فأشرق فى محياها سنا الحب الذى بانا

* * *

شفاك الحسن يا قلبى من الحرمان والجدب
فمشت بجنة الحب خفوق الظل نشوانا

* * *

وكنت مضيع الأحلام وكنت مشرد الأنغام
وكنت محير الأيام وكنت تذوب حرمانا

* * *

وكنت تسامر الأحزان وأنت مع الدجى سهران
وتشرب من يد الحرمان بكأس الوجد نيرانا

* * *

وكنت تسير فى دنياك على نار من الأشواك
وكأس الحب فى يمناك تفيض أسى وأشجانا

* * *

وكنت تقلب الأوهام عساك ترى ظلال غرام
فلا تلقى سوى الآلام تحيل صباك بركانا

* * *

وكنت نديم ألحانى وفيها سر أشجانى
ليملم قلبها الحانى بما ضمته شكوانا

* * *

وها قد عادت الأيام ترف بزهرها البسام
وعادت ربة الإلهام بماضينا كما كانا

* * *

سلام الحب يا ليلاى ونجوى القلب يا دنياى
وأزهارى وعطر صباى ترف إليك قربانا

* * *

هواك بمهجتى أفراح وعطرك نشوة الأرواح
وهجرك فى حشاى جراح أطوف بهن حيرانا

* * *

وحبك جنة الأشواق وواحة قلبى المشتاق
وأنت بعالمى إشراق لفجر رف مزدانا

* * *

وأنت ربيع أزهارى وأنت خيال أطيارى
وأنت الجدول الجارى فكيف أعيش ظمآنا ؟

* * *

وأنت الجنة الفيحاء تطل على الربا الخضراء

محـرمة الجنى عذراء وجنى ثمـارها حانا

* * *

وأنت كما يحب هواى وأنت كما تريد مناى
وكم حنت إليـك يداى فلاقت منـك هجرانا

* * *

تعالى ننفض الأسرار ونهتك هـــذه الأستار
فيلفحنا لهيب النـار ويسرى فى حنـايانا

* * *

تعالى فالحيـاة ظلال تحركها رياح شمـال
بضفة جدول سلسال لعوب المـاء هيمانا

* * *

تعالى فالحيـاة زهور يرف بها الندى والنور
فتسبح فى الجواء عطور تحيل الـكون بستانا

* * *

ويأتى لجأة إعصار يمزق هـذه الأزهار
فتنسجها يد الأقدار لوادى الموت أكفانا

* * *

تعالى فالفؤاد ينوح على ذكرى غرام الروح
ويرسل آهة المجروح على المـاضى الذى بانا

* * *

إلى المـاضى أعيدينى وفى المـاضى أذيبينى
فإن الحب يحيينى أحاسيسا ووجدانا

* * *

تعـالى قبلما نمضى بروحينا عن الأرض
فنفقد لذة تفضى إلى أسرار محيـــانا

* * *

تعـالى قبلما نفنى وتذهب نارنا عنـا
ونرجع مثلما كنا هناك . . . وراء دنيانا

ابراهيم محمد نجا

مخلوقة للظلمات

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

وهبت قلبى للحرمان والألم فما تريدين ممن عاش للقمم !
يا زهرة السفح هذا السفح مقبرة سكرى برائحة الأجياف والرمم
جوسى بعينيك فالظلماء راعشة
الأشباح . . والغاب وجه للحياة عمى
تسمى لصرير الجندب انبعثت أصواته فى نشيد غير منسجم
ميلى بجذعك تلق كل عوسجة
أو ارقصى بالصخور السود ترتطمى
فارضى بحظك من هذا التراب فما خلقت كى تبصرى الأضواء من أمم
لا تنسجى من خيوط الشمس واهمة
بردا تعريك منه راحة الظلم
فلن تكونى هوى قلبى وإن تقفى
يوماً كما تقف الذرات من قدمى
أنى هنا فى سماواتى وأخيلتى فى موكب من جلال الفن والنغم
أبنى العوالم فى فكرى وأهدمها وأحشر الناس والأيام فى حلمى
وأوقف الفلك الجارى بأنملة
وأخلق الخلق من « لاشىء » والعدم
كم ليلة غرقت أضواء أنجمها فى زاخر من محيط السحب والسدم
تركت إعصارها الجبار مصطخبا ونوءها قاذفا بالثلج والرجم
ورحت أغرس فى فردوس صومعتى زهر الربيع وأرعى طفلة النسم
وأستحم بضوء الشمس مبتسما إلى الشتاء الذى غشى على الأمم
وغادة أنا باريها وخالقها كأنها حلم الآزال والقدم
عذراء لو جسدت كفى أنوثتها لقدست بين أهل الأرض كالصنم
ظلت ليلى تشقينى وتسعدنى كأننى فى يديها مزهر الألم
حتى إذا ما عطى الفجر وانتشرت على الدروب رعاة الإبل والغنم
سكبت فى أذن الأوراق قصتها وبت أحرق فى ذاك الخيال دمى
فارضى بحظك من هذا التراب فما خلقت لى يا ابنة الأوحال والظلم

محمد مفتاح الفيتورى



السكوميدية الإلهية وقصة المعراج :

في السنة الرابعة من سني الرسالة نشر الأستاذ دريني خشبة ست مقالات تحت عنوان (دانتي الجيبري والكوميدية الإلهية ، وأبو العلاء المعري ورسالة الغفران) أثبت فيهما أن دانتي لم يتأثر برسالة الغفران ولا بقصة المعراج ؛ وإنما تأثر بالقرآن الكريم ، وبالإينييد لفرجيل وبرؤيا يوحنا اللاهوتي. ثم نشرنا بحثاً في ثلاثين مقالة لأحد علماء الأزهر الشريف من المطلعين على الأدب الحديث أثبت فيها التشابه القوي بين دانتي وأبي العلاء، وأيد رأيه بآراء المستشرقين في هذا الموضوع . وظلت المسألة معلقة بين النفي والإثبات حتى كان فصل الخطاب ذلك الكشف الذي تحدث عنه في عدد الرسالة الماضي الدكتور أمبرتو ريزيتانو الأستاذ بجامعة فؤاد الأول، وهو ترجمتان لقصة المعراج لاتينية وفرنسية، واطلاع دانتي على إحداهما . فلم يبق إذن شك في أن دانتي استوحى قصة المعراج ملحمته كما استوحاها أبو العلاء رسالته

ثروة من ثروات الأزهر تنتقل إلى جامعة فؤاد

قرر مجلس جامعة فؤاد الأول بجلسة ٣٠ يونيو تعيين الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أحد علماء الأزهر وخريج جامعة باريس أستاذاً مساعداً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق وقد كان الأزهر أولى بهذه الثمرات الناضجة التي تفتحت في جوه ، وعاشت بروحه ، وتعمقت في ثقافته ، ثم أخذت بنصيب موفور من العلم الحديث بلغته وفي موطنه؛ فاكتملت لها الأداة لتجديد البالي، وإصلاح الفاسد، وتقويم المعوج، مما كثرت الشكوى منه وطال الجدل فيه من أنظمة الأزهر ومناهجه وكتبه . ولكن الأزهر لأمر يعلمه الله لا يريد أن يغير ما بنفسه ، ولا يحب أن يعترف بالفضل لأهله . والكفاة إذا لم يجدوا الإنصاف في بيئتهم ومن عشيرتهم تحولوا إلى النظام المنصف . والعلماء إذا لم يجدوا الحقل مهيأ للغراس تركوه إلى المكان الطيب

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

كتب المطالعة الإضافية للمدارس الثانوية :

قررت لجنة النظر في اختيار كتب المطالعة الإضافية للمدارس الثانوية برياسة صاحب السعادة المستشار الفني لوزارة المعارف وعضوية أصحاب العزة الأساتذة إبراهيم مصطفى بك، وأحمد حسن الزيات بك، وأحمد علي عباس بك ، تقرير الجزء الثاني من كتاب (قطوف) للبشري ، ورواية في سبيل التاج للمنفلوطي ومجموعة (كل عام وأنتم بخير) لمحمود تيمور بك للسنين الأولى والثانية والثالثة من المدارس الثانوية بنين وبنات

غلام أحمد وأتباعه ليسوا مسلمين :

هذا عنوان كلمة جامعة لأستاذنا الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو « جماعة كبار العلماء بالأزهر » ، وبقية السلف الصالح علماً وتحقيقاً وتواضعاً ودعوة للدين بالتي هي أحسن (١) . وقد رأينا أن نقبس منه كلمات ومعلومات لا ريب فيها ، لنرد على كلمة للأستاذ علي محمد سرطاوي (٢) أشاد فيها « بمحمد علي » تلميذ غلام أحمد الذي ظهر بالهند أوائل هذا القرن

قال الأستاذ الخضر فيما قال

١ — يزعم غلام أحمد أنه يوحى إليه ، فقال في كتاب « الاستفتاء » ص ٢٥ : فأوحى إلي ربي وقال إني اخترتك وآثرتك . وزعم أنه نبي ، فقال ص ١٩ من الكتاب نفسه : ثم مع ذلك دعاني الله نبياً تحت فيض النبوة المحمدية وأوحى إلي ما أوحى . وزعم أنه رسول من الله ، فقال في الكتاب نفسه ص ٣١ : وما أرسلني ربي إلا ليكف عنكم أيدي الكفار . وقال في كتاب « أنجام النهم » ص ٧٩ : فكلمني وناداني وقال إني مرسلك إلى قوم مفسدين

٢ — وله مع هذا كلمات آثمة يمدح بها نفسه ، ومنها ما يزعم أنه وحي من الله جل وتعالى . إنه يزعم في كتاب «الاستفتاء»

---

(١) نشرت هذه الكلمة بمجلة الهداية عدد ديسمبر سنة ١٩٣٩

(٢) عدد ٩٣٨ بتاريخ ٢٥ يونية سنة ١٩٥١

المذكور ص٨٥ أن مما خاطبه به الله هذه الكلمات: لولاك ماخلقت الأفلاك؛ كما يقول ص ٨٧ عن الله تعالى: وآتاني ما لم يؤت أحدا من العالمين. وقال في كتابه «حمامة البشرى» ص ٢٨ زاعما أن الله خاطبه به: إنا جعلناك عيسى ابن مريم، وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق، وأنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، وإنك اليوم لدينا مكين أمين

٣ – بل إن هذا الضال الخارج عن الإسلام هو وأتباعه جميعاً، يفضل نفسه على عيسى عليه السلام، إذ يقول في كتاب «أحمد رسول العالم الموعود»: «فالواقع أن الله القدير قد أبلغني أن مسيح السلالة الإسلامية (يعني نفسه) أعظم من مسيح السلالة الموسوية». كما يقول في كتابه «دافع البلاء» ص١٣: «قد بعث الله تعالى في هذه الأمة مسيحا أفضل وأرفع في جميع الكمالات عن المسيح السابق، وسماه غلام أحمد»!

هذه العبارات إلى كثير من أمثالها، مما نجده في تضاعيف مؤلفاته بالعربية أو الأوربية أو الفارسية، لا يمكن أن تصدر إلا عن خارج عن الإسلام ضال مضل يسخر من أتباعه ويحاول أن يموه عليهم بدعواه الإسلام والعمل على نشره

وأتباع غلام أحمد – على ما يذكر الأستاذ الشيخ الخضر أيضا – فرقتان: فرقة قاديان ورئيسها اليوم (٣) محمود بن بشير بن غلام أحمد، وفرقة لاهور ويرأسها محمد علي مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية، إلا أنه ترجمه على ماشاء ليشهد لعقائدهم الضالة على ما هو معروف لدى أهل العلم

فكيف بعد ذلك يعجب الأستاذ علي محمد سرطاوي بمولاه محمد علي ويدعو المسلمين جميعا لتكريم رجل يتزعم فرقة ثبت خروجها عن الإسلام بما لا يقبل بدلا؟

محمد يوسف موسى

(٣) يلاحظ أن مقال الأستاذ الشيخ الخضر كتب سنة ١٩٣٩

ملاحظة على مقال:

قل لي بربك: ماذا يحدث لك لو أنك رأيت خطيب مسجد في قرية يدعو إلى ضرورة ائتلاف الأحزاب حتى نكسب قضيتنا الكبرى. ويقيم البراهين والأدلة على دعواه. كل هذا بين قوم أميين لا يعرفون ما هي هذه القضية فضلا عن أن يفهموا أدلة هذا الشيخ الوقور. قل لي بربك ماذا يحدث لك؟ ثم ضع هذه الصورة بجانب مقال الأستاذ علي العماري المنشور بالعدد ٩٣٩ من الرسالة بمناسبة شهر الإحسان «سؤال الناس» والذي أخذ يوجه فيه نصائحه الغالية إلى المتسولين المحترفين، وأن هذا لا يليق «لأنه يضر بالمجتمع الناهض والأمة التي تريد أن تبني مجدها»

نعم والله. إنه لمجتمع ناهض هذا الذي يقرأ متسولوه مجلة الرسالة الغراء ويستفزهم ذكر الوطن والرق والأمة إلى غير ذلك من الخرافات التي لا نظن أن كثيرا من المثقفين يراعون قداستها فضلا عن المتسولين. أيها الأستاذ الفاضل. من للمتسولين يفهمهم أبيات الشنفرى

وأبي داف العجلي؟ اللهم إلا إن كنت تكتب لقراء الرسالة، وقراء الرسالة والحمد لله ليس فيهم من يصح أن تقصده بكتابتك. وأخيرا يدعو إلى العلاج الناجح وهو تفهيم الناس دينهم على حقيقته «وأن يتأكدوا أن هذه المظاهر مما يشين الأمة ويحط من قدر الوطن» إن هذا التسول أيها الأستاذ قد شان نفسه قبل أن يشين الأمة، وحط من قدرها قبل أن يحط من قدر الوطن. وهو يعرف ذلك فعبثا تقول له «الوطن»، «الأمة» إن المعد الخاوية لا تفهم إلا منطق الطعام. فأمسك عليك نصائحك.. واعلم أن هذا موضوع لا يعالج بمثل هذه السهولة

الصافية **عبد الفتاح الجزار**

إلى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

قد وعدتمونا أيها الأستاذ الكبير بدرس شعراء العصر في العراق تحليلا ونقدا وقد طال انتظارنا لهذا الوعد، فإن حققتم هذا العمل الأدبي يكن له صدى جميل وأثر طيب في نفوس الأدباء وهواة الأدب، إنا لذلك لمرتقبون

علوده **عفيف الحسيني**



الدكتور فيكل

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

بقلم الأديب أزاد نورى محمود

خرجت (واندا) الحسناء من المستشفى وهى فقيرة معدمة .. ماذا تفعل ! وكل ما عندها من حطام الدنيا خاتم ذهبى ذو ماسة براقة ، وقد اضطرت لشدة احتياجها للمال أن تبيعه بروبل واحد . . ولكن روبلا واحدا لا يكفيها لشراء ما تهفو إليه نفسها

إنها تحتاج إلى ملابس جديدة لتبدو فيها أجمل مما هى الآن ، وقبعة بيضاء تزهو بها بين الفتيات ، وهذه الأحذية البالية التى أكل عليها الدهر وشرب تبعث الاشمئزاز إلى نفسها . . ولكن ماذا تفعل ؟

وكانت تشعر بخجل واضطراب كلما رأت العيون تحدق فيها وفى ملابسها الرثة وسحنتها الزرية . والغريب أنهـا تتوهم أن الحيوانات إذا ما رأتها تتقزز من منظرها وتدمدم غاضبة . وكثيرا ما انفردت بنفسها تناجيها :

— آه . أين ذلك الذى ينتشلنى من هذه الوهدة ، وينقذنى من شقائى . . أخشى ألا أجد أحدا

ثم فكرت فى الذهاب إلى (تيفولى) . . وهناك كانت تأمل أن تلتقى بضالتها المنشودة . ولكن، أبهذه الملابس القذرة المهلهلة تذهب إلى تيفولى ؟ هل تقدم على ذلك ؟

وأطلقت لأفكارها العنان : إلى أين أستطيع الالتجاء ؟ ولا وزر لى فى تيفولى . ألى (ميشيل) ؟ لا ، لقد تزوج منذ أيام ، أم إلى ذلك الهرم الساذج (أوسيب) ، وأخشى أن يكون منهمكا فى أعماله

ثم هبت بغتة عندما جال بخاطرها اسم (فيكل) طبيب الأسنان فى تيفولى ، وتذكرت أنها زارته قبل بضعة أشهر عندما وهبها بعض الأساور الجميلة. وداعبها فى تلك الليلة حتى أغاظها فلم تمالك أن أفرغت قدحا من الشراب على رأسه . إنه طيب القلب مرح . فلا بد أن يعطيها شيئا إذا زارته اليوم

وهكذا جدت (واندا) السير فى طريقها إلى منزل فيكل وقد سرت فيهـا انتعاشة فياضة وانبعث منها حمية ونشاط . . وكانت تتمتم بخفوت :

— إذا كان فى المنزل ولم يعطنى شيئا فسأجدع أنفه ! ! وسأحاول إغراءه بشتى الوسائل علنى أحصل منه على ٢٠ روبلا

لكنها أنكرت هذه الفكرة وحاولت إبعادها من رأسها ؛ وانتابتها قشعريرة وأخذت تترنح فى سيرها وشعرت بارتباك وخوف . .

وعندما اقتربت من منزل الطبيب ترددت فى طرق بابه . . وتسمرت فى مكانها لحظات واجمة تفكر :

— ربما يكون قد نسينى . ثم هذه الملابس الرثة . . هذا المنظر الزرى . . رباه !

وواتتها شجاعة حينما تقدمت غير هيابة وطرقت البـاب بقوة . . وصاحت : — هل الطبيب هنا ؟

وبرزت الخادمة .. وخطت نحوها ثم قادتها إلى غرفة الانتظار دون أن تنبس .. وغاصت واندا فوق المقعد الوثير سارحة الفكر شاردة اللب.. وأبصرت نفسها فى مرآة مقابلة..لقد كانت صورة واضحة للبؤس والشقاء والتشرد

ثم خاطبتها الخادمة بعد هنيهة :

— تفضلى بالجلوس هنا . . سيحضر الطبيب بعد دقائق

وكانت واندا تفكر فلم تفقه من كلام الخادمة شيئا . . وساءلت نفسها :

— لم هذا التهيب ؟ سأصارحه بالقول وأقترض ما أطلب من مال . . ولا عيب فى ذلك ! وسيتذكرنى حالما يرانى . . ولكن هذه الخادمة السمجة ، مالها جمدت فى مكانها لا تبرحه؟ لن أصعد إلى غرفته إن بقيت فى مكانها

وفجأة دخل (الدكتور فيكل) بقامته الفارعة ووجهه المتجهم وعينيه اللتين ينبعث منها وميض الاعتزاز والكبرياء ، تدل سحنته العابسة على أنه متشبث برأيه يصعب إقناعه .
ودهشت واندا لتجهمه وعبوسه وقد عهدت فيه المرح والانشراح. وفى تلك الليلة التى زارته فى منزله داعبها وهو طلق الأسارير ضحوك . ما باله تغير هكذا ؟ وكأنه ببروده وتكلفه الابتسام موظف رسمى فى ديوانه ...

واقترب من واندا وقبل أن يتفرس فيها جيداً سألها بهدوء :

— ماذا بوسعى أن أفعله لك ؟

ووجف قلبها عندما خاطبها الطبيب بلهجة من لا يعلم عنها شيئا . . وأخذت تحدق فى تلك الخادمة الامينة بنظرات تتلظى وغضب مكتوم ، واصطبغت وجنتاها بحمرة خفيفة عندما خاطبها ثانية : — هل أستطيع أن أقوم بشىء ؟

وأجابته على الفور بصوت متهدج واهن وهى تصر على تواجدها :

— أسنانى . . أسنانى تؤلمنى قليلا يا دكتور . .

— ها . . صحيح ؟ وتذكرت واندا سنا لها كانت تؤلمها أحيانا :

— فى الفك الأسفل ، نحو اليمين . ... حسنا افتحى فاك جيدا ...

وزوى فيكل ما بين حاجبيه وبدت عليه صرامة قاسية وتنهد تنهدة عميقة ، ثم شمر عن ساعديه وأمر أصابعه على أسنان الفتاة بهدوء ، ثم أدخل فى فمها آلة قاطعة :

— هل هذه السن تؤلمك ؟ نعم .

واستسلمت بين يديه بهمود وتراخ وشرعت تفكر

— إذا عرفته بنفسى .. فلابد أنه يتذكرنى جيدا ، ولكن هذه الشيطانة لا تزال جامدة هناك كالصنم

وشعرت بألم حاد حينما اقتلع سنها بقوة ، وندت عنها صرخة مكتومة وحاولت أن تمسك بيديه . . وصاح فيها : — ماذا تفعلين ؟ إن سنك قد فسدت ولا تصلح لك ألبتة . . وعليك ألا تهملى شأن أسنانك منذ اليوم يا صغيرتى . .

قال هذا واستوى واقفاً على قيد خطوات منها وكأنه ينتظر خروجها . . بعد أن أنهى عمله.. وهبت الفتاة ناهضة وتوجهت نحو الباب بخطى مضطربة والتفتت نحو الطبيب وقالت وقد افتر ثغرها عن ابتسامة متكلفة :

— إلى اللقاء يادكتور . .

ولمست فيكل زمام ضحكة كانت على وشك الانطلاق ثم أجابها بتهكم مرير :

— إلى أين ؟ لقد نسيت الأجر !

واصفر وجه (واندا) ثم اكتسى بحمرة الخجل ، لكنها عالكت نفسها :

— أوه .. المعذرة ، لقد نسيت ذلك ؛ عفواً .

وازداد ارتباكها وهى تتلقى نظراته النفاذة ، وسرعان ما أخرجت الروبل الوحيد الذى تملكه وألقته بين يدى الدكتور فيكل وهى ترتعش . .

ومرقت من الغرفة ماضية نحو الشارع عجلى وهى تشعر بخجل لم تشعر بمثله فى حياتها . وطفقت تطرق الشوارع القفراء بحذاءيها الباليين وهى ساهمة شاردة ، ولعلها كانت تحلم بالملابس الجديدة والقبعة البيضاء ذات الشرائط الوردية وآمالها الموءودة.. من يدرى ؟ . .

أزاد نورى محمود

سكك حديد الحكومة المصريه

قطار اكسبريس (رأس البر) بين مصر ودمياط

إنه ابتداء من ٣ يوليو سنة ١٩٥١ ولحين صدور إعلان آخر سيسير قطار (بولمان ودرجة أولى وثانية وثالثة) بين مصر ودمياط ثلاث مرات فى الأسبوع . يغادر مصر فى الساعة ١٠ ٨ ويصل إلى دمياط فى الساعة ١٥ ١٢ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ١٠ ١٧ ويصل إلى مصر فى الساعة ١٥ ٢١ أيام الأربعاء والجمعة والأحد وذلك وفقا للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبريس درجة ١و٢و٣	
مصر	قيام	١٠	٨
بنها	قيام	٤٩	٨
الزقازيق	وصول	١٩	٩
	قيام	٢٣	٩
هيا	قيام	٣٩	٩
أبو كبير	قيام	٥١	٩
كفر صقر	قيام	٠٦	١٠
السنبلاوين	قيام	٢٩	١٠
المنصورة	وصول	٥٢	١٠
	قيام	٠٠	١١
شربين	قيام	٣١	١١
دمياط	وصول	١٥	١٢

المحطات		٩٤٠ اكسبريس درجة ١و٢و٣	
دمياط	قيام	١٠	١٧
شربين	قيام	٥٤	١٧
المنصورة	وصول	٢١	١٨
	قيام	٢٨	١٨
السنبلاوين	قيام	٥٢	١٨
كفر صقر	قيام	١٨	١٩
أبو كبير	قيام	٣١	١٩
هيا	قيام	٤٤	١٩
الزقازيق	وصول	٥٩	١٩
	قيام	٠٥	٢٠
بنها	قيام	٤٠	٢٠
مصر	وصول	١٥	٢١

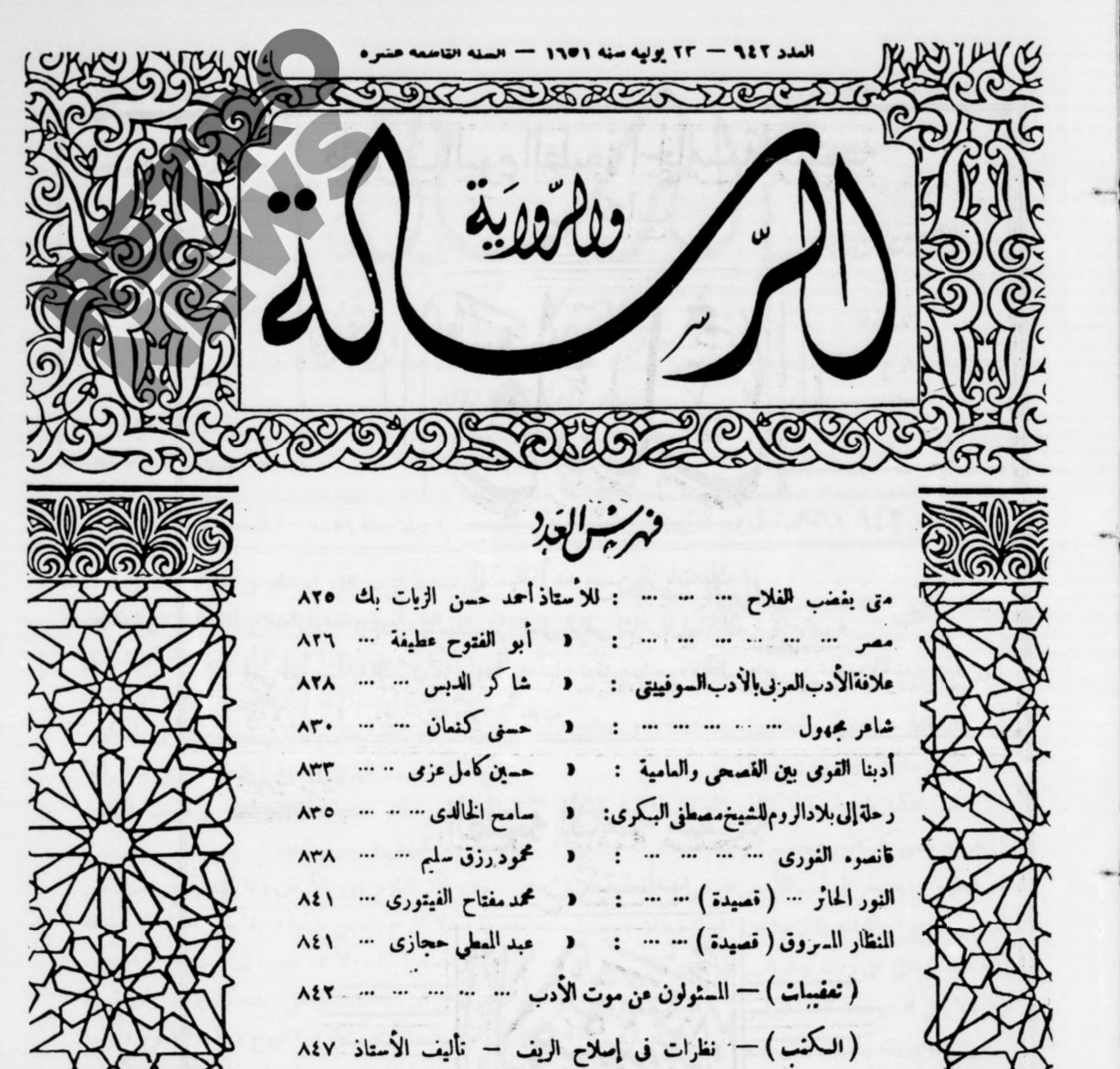
المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة



العدد ٩٤٢ — ٢٣ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٥٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ظهرت اليوم الطبعة الخامسة منقحة

من كتاب

رفائيل

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . . . وهى « كآلام فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب

ظهرت حديثا

الطبعة الثامنة منقحة

من كتـــاب



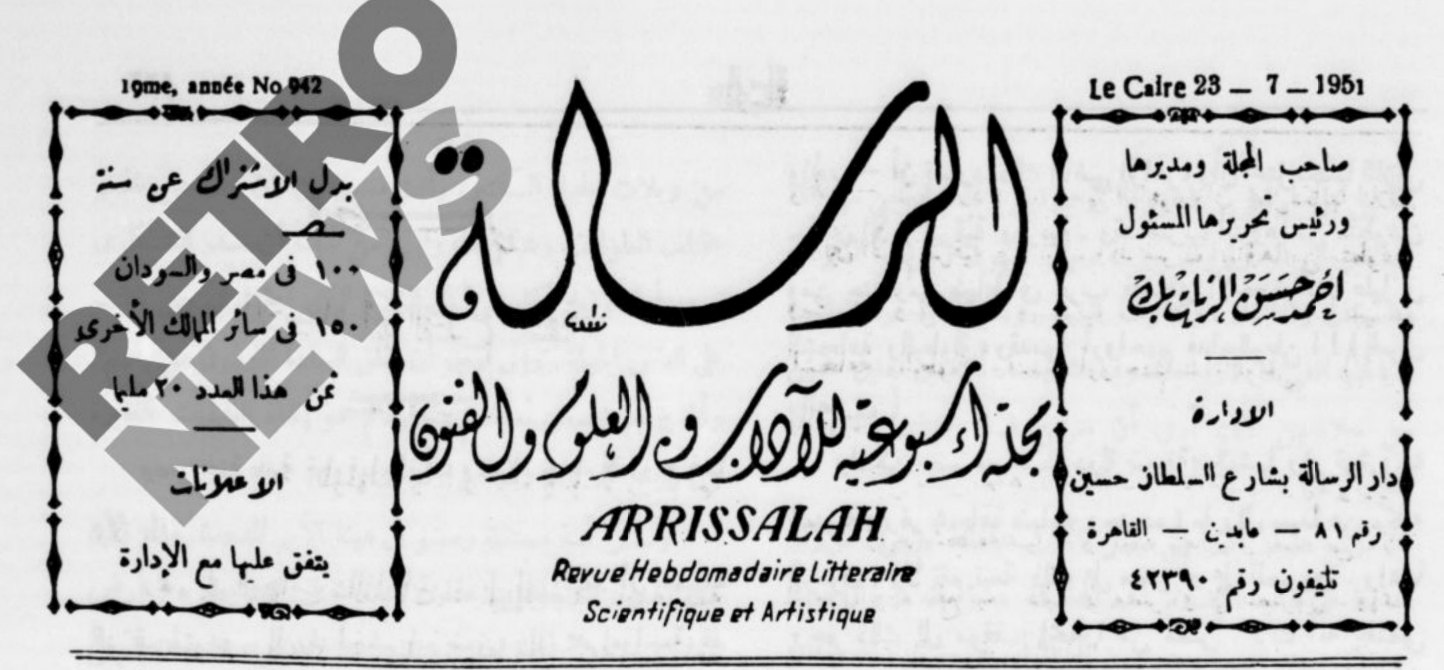
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

وهى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف

« جوته » الألمـــــانى

صور فيها : عواطف الشاب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة . . . وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) « كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة »

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...



العدد ٩٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ شوال سنة ١٣٧٠ — ٢٣ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

متى يغضب الفلاح ؟

الرضا والقناعة والصبر هى الصفات المميزة للفلاح المصرى . تأصلت فيه بالطبع والوراثة والبيئة والعقيدة ، فأثرت فى حياته ، وهيمنت على سلوكه ، وتصرفت بهواه !

يستبد بحكمه طاغية كالحاكم بأمر الله فيستكين ؛ ويثب على عرشه خصى ككافور فيخضع ، وتملك عليه امرأة كشجرة الدر فيطيع ؛ ويسيطر على أمره الأجنبى فيرضى ؛ ويستأثر بخيره المستعمر فيقنع ؛ ويخطمه بالذل صاحب الحكم فينقاد ؛ ويسمع بالأحداث تتدفق على وطنه وتتواثب على قومه فلا ينبض فيه عرق ولا يغلى له جوف ! كأنما كل امرئ فى الريف أمة وحده : شأنه يغنيه ، ورزقه يكفيه ، وكوخه يؤويه ، وكل ما خرج عن غيطه وبيته لا يعنيه !

تقرع سمعه الأحاديث النكر عن وزير من الوزراء نشأ على تلال القرية كما نشأ ، وذاق بؤس الحياة كما ذاق ؛ ثم رفعته الظروف العجيبة والصروف المجيبة إلى كرسى الحكم ، فتاه وتكبر ، ثم طغى وتجبر ، ثم سرق وغصب ، ثم جامل وحابى ، ثم تاجر ورابى ، ثم أمكن عشيرته من دماء الشعب وأموال الأمة ومرافق الدولة ، فاستحلوا ما حرم الله ، واستباحوا ما حظر القانون ، واستجازوا ما منع الخلق ، فيسمع كل ذلك بأذن من طين ، وأخرى من عجين ، كما يسمع الصوفى المعتكف أنباء الرياضة أو أخبار البرصة !

لا يغضب لمضرة عامة ، ولا يرضى لمنفعة بعيدة ؛ إنما يغضب أو يرضى تبعا لما يلقى من الشر أو الخير فى أهله أو حقله أو بهيمته. يرضى عن الحكومة ويصفها بالصلاح إذا أعفته من تكاليف الخفر ، أو كافأته على حراسة النيل ، أو خفضت له أجرة السفر على السكة الحديد ، أو وزعت عليه بعض الفدادين ، أو ارتفعت فى عهدها بالمصادفة أسعار المحاصيل . ويسخط على الحكومة ويرميها بالفساد إذا ظهرت الدودة فى حقول القطن ، أو فشا الطاعون فى حظائر الماشية ، أو نقص الماء فى قنوات الرى ، أو هبط سعر البيض فى سوق البندر !

ذلك لأن الفلاح ابن الأرض ، لا يكاد ينزع جسده من حضنها ، ولا يخرج يده من طينها ، ولا يفهم الحياة إلا مضافة إليها أو مقدرة بها ، ولا يمد بصره إلى أبعد من حدودها . والقائمون على أمره ، القابضون على زمامه ، لا يريدون أن ينبهوه إلى أن فوق هذه الأرض سماء فيها الروح ، وفيها الطموح ، وفيها الكرامة ، وفيها الأمل ، وفيها الرفعة ؛ وأن اللاصق بالأرض حيوان ، والعالق بالسماء ملك ، والإنسان خلق دون هذا وفوق ذاك

فما دام الفلاح وهو سواد الشعب ممدوداً فى دود الأرض يزرع ليأكل ، ويحفر لينام ، ولا يهمه أن ظلم حكامه أو عدلوا ، وجد زعماؤه أو هزلوا ؛ وسواء عليه أخرج المحتلون أم بقوا ، وسعد مواطنوه أم شقوا ، فهيهات أن يكون لنا رأى عام وحكم صالح ودستور صحيح ووطن مستقل ! ومتى استنار ما أظلم من نفسه ، واستيقظ ما غفا من حسه ، أدرك أنه مصدر السلطة ومورد الثروة وعماد الأمة ، فلا يقبل أن يهمله حاكم ، أو يستغله ظالم ، أو يتغفله زعيم . ولكن ليت شعرى بأى طبل يسمع ؛ وبأى بوق يفيق ؟ !

احمد حسن الزيات

مصـــــر

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مصر جنة عالية قطوفها دانية ، وصحراء جدباء لا زرع فيها ولا ماء

وهى بلد العجائب والمفارقات : بل إنى أعتقد أن الطبيعة التى قسمت مصر إلى واد أخضر يانع ضيق، وإلى صحراء واسعة، قد قسمت مصر بنفس النسبة إلى عجائب ومتناقضات

فمصر دولة غنية فقيرة ، قوية ضعيفة ، متعلمة جاهلة ، مؤمنة متحررة ، ناهضة متأخرة ، راضية ساخطة ، مستقلة محتلة ، حرة مستعبدة، وهى دولة شرقية توشك أن تصبح دولة غربية !

نعم يا أخى! مصر دولة غنية: فيها الثراء الفاحش والغنى البالغ والترف الزائد . فيها قوم ينعمون بالضياع الكبيرة والعمارات الشاهقه وأسهم الشركات الرابحة والسيارات الفخمة . يسكنون القصور والدور الواسعة. لهم الخدم والحشم والأتباع والأنصار . يقضون شتاءهم فى القاهرة وإن قضوا جانبا منه فى مشاتى الأقصر وأسوان ، ويقضون صيفهم فى الإسكندرية. وربما دفع الكثيرين منهم الترف إلى السفر إلى أوربا لقضاء الجانب الأكبر من أشهر الصيف القائظ . وهؤلاء القوم مسرفون فى ترفهم . ولقد بلغت قيمة ما أهدى إلى أحدهم — بمناسبة زفافه — من ورود سبعة آلاف جنيه !

وفى مصر فقر مدقع : فيها أقوام يعيشون على الكفاف ، أجور مبخوسة وأرباح ضئيلة ، حياتهم بؤس ومنازلهم أكواخ . بل إن بعضهم لا يجد المأوى فيقضى ليله فى العراء يتخذ من الأرض مضجعا ومن السماء والهواء غطاء ولا يجد ماء ولا غذاء ولا كساء ! ومن العجيب أن نسبة المترفين من الأغنياء إلى الفقراء تشبه إلى حد كبير النسبة بين الوادى وبين الصحراء ! قلة مترفة وأغلبية بائسة

ومصر دولة قوية: يؤمن أبناؤها جميعا بأن من حقها — وقد كانت فيما مضى مرموقة المكانة مرفوعة الرأس شامخة العز والجد — أن تسترد ذلك الماضى الزاهر، وأن تحتل مكانها اللائق بها بين الأمم شرقية وغربية . وقد ضرب أبناؤها من متطوعين ومن جند ومن ضباط فى حرب فلسطين الأخيرة أمثلة عليا فى الشجاعة والبطولة ، وقدموا أرواحهم فداء للوطن ! ! (العربى والمصرى)

ولكن مصر مع هـذا دولة ضعيفة، فجيشها برغم قوة روحه المعنوية وبرغم شجاعة ضباطه وجنوده ؛ ما يزال بعيدا عن مكانه المرموق . ولا تقع تبعة ذلك على مصر أو على المصريين . وإنما يرجع ذلك إلى موقف إنجلترا من مصر . ذلك أنه بمقتضى معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وإنجلترا سنة ١٩٣٦ تعهدت إنجلترا بإمداد مصر بما تحتاج إليه من أسلحة وذخائر. ولكن إنجلترا — رغبة منها فى بقاء مصر ضعيفة — ما تزال حتى الآن تماطل فى إمداد مصر بما تحتاج إليـه من أسلحة وذخائر . وربما كانت مصر الصديقة القوية خيراً لإنجلترا من مصر الضعيفة، ولكن « الثعبان » البريطانى لا يؤمن بذلك

ومصر دولة متعلمة : فيها جامعات أربع ومعاهد متعددة ومئات من المدارس الثانوية وآلاف من المدارس الابتدائية والأولية . فيها تعليم مدنى وفيها تعليم دينى يشرف عليه الأزهر الشريف ، ومع هذا فما تزال الكثرة فى مصر جاهلة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن الحياة العلمية فى مصر ما تزال دونها فى أوربا وأمريكا. ولقـد حلق أدباؤنا فى آفاق الأدب وبلغ بعضهم مكانة يتنافس بها أعظم الأدباء العالميين . أما علماؤنا فما يزالون فى حاجة إلى أن ينهضوا وإلى أن ينشطوا حتى يلحقوا بزملائهم من علماء الغرب

ومصر دولة مؤمنة : فيها أقوام يؤمنون بربهم أشد الإيمان وزادهم ربهم هدى . يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . ويخلصون لله فيما بينهم وبين أنفسهم ، ويعملون الصالحات ويخشون ربهم ويسعون لمرضاته

ومع هـذا فإننا نرى قوما قد تخلوا عن آداب دينهم وعن تقاليد مواطنيهم وعاداتهم ، فإذا أقبل الصيف هرع القوم إلى موانئ البحر : الإسكندرية ، وبورسعيد ، ودمياط ورأس البر والسويس . وهناك ينزل النساء إلى البحر كاسيات عاريات

كأنهن على شواطئ كليفورنيا أو دوفيل ، فإذا خرجن من الماء استلقين على الرمال وقد برزت منهن النهود وتعرت السواعد والسيقان والأفخاذ ، وتناثرت الشعور ونسوا تماما قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما »

ومع هذا أيضا ففي مصر عائلات محافظة وبيوت ما تزال تحافظ على تقاليد الإسلام أشد المحافظة . بل إنه ما يزال هناك قوم في صعيد مصر لا يسمحون للمرأة أن تخرج بتاتا ، وتغادر البنت دار أبيها يوم زفافها ولا تعود إليها إلا في الضرورة القصوى، وإذا خرجت فإنما يكون ذلك إذا انتصف الليل وخلت الطرقات، وتؤدي الزيارة وتعود بنفس الحال. وأما ملابسها فتغطي كافة الجسم من أعلى الرأس إلى إخمص القدم

وهكذا ترى في مصر ورعا وتقوى ، وتبرجا وخلاعة ، ورجعية وتعصبا !

ومصر أمة ناهضة : تحاول جاهدة أن ترقى بجميع مرافقها ومواردها زراعية وتجارية وصناعية ، ومع هذا لم تستطع مصر أن تبلغ غايتها من التقدم

ومصر أمة زراعية: وما تزال الطرق البدائية هي الطرق المتبعة في الزراعة، ولم تستخدم الآلات الزراعية الحديثة إلا لدى كبار الملاك والزراع والشركات . على أن أرض مصر خصبة وتربتها جيدة وفلاحها صابر مثابر . كل أولئك ضمن لمصر محصولا وافراً وخيراً عميما

أما الصناعة المصرية فقد خطت خطوات كبيرة نحو التقدم، واستطاعت مصانع الغزل والنسج أن تمد مصر بما تحتاج إليه من أقمشة . ونحن نرجو للصناعة في مصر مستقبلا زاهراً ؛ فهي الأمل الوحيد لحل مشكلات مصر وخاصة الناتجة عن تزايد عدد السكان المستمر

وهناك مرافق مصرية تفيض بالذهب على الشركات الأجنبية، أهمها قنال السويس وموارد البترول على شواطئ البحر الأحمر . فهل تؤممها مصر ؟

وأهل مصر فريقان : قلة مترفة لاهية، وكثرة ساخطة تعاني من ويلات الحياة الكثير. وأنت تسمع بين آن وآن عن تذمر مختلف الطوائف وشكواها، وليس من شك أن مصدر الشكوى يرجع أولا وقبل كل شيء إلى الغلاء الذي استشرى حتى شقت على الناس الحياة . وإني أرجو أن يقلل السادة المترفون من ترفهم، وأن يوجهوا بعض أموالهم وجهودهم نحو إنقاذ الطبقات الفقيرة فإن ذلك خير لهم وللوطن وأجدى

ومصر أمة مستقلة وعضو في هيئة الأمم المتحدة: ومع ذلك فإن الجنود البريطانيين يحتلون منطقة قنال السويس من أرض مصر ، ومصر وأبناؤها لن يرتضوا هذا الوضع، ولابد أن ينتهي الاحتلال إن عاجلا أو آجلا. سواء رضيت إنجلترا أو لم ترض

أما بعد :

فهذه مصر. وأنا أرجو أن يحدثنا أدباء الأقطار الشقيقة كل عن قطره حتى يتم بيننا التعارف وإني لهم من الشاكرين

أبو الفتوح عطيفة

المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

علاقة الأدب العربي بالأدب السوفييتى فى القوقاز

للأستاذ شاكر الدبس

منذ سنتين ونيف تقريباً قامت فى الاتحاد السوفييتى حملة أدبية الغاية منها العود إلى المنشأ الصحيح للأدب والفن اللذين عتاز بها شعوب هذا الاتحاد. وهذا بحسب رأيهم لا يعنى أنهم يرفضون قبول أى أدب صحيح يأتيهم من الخارج، وإنما يريدون أن يثبتوا للملأ أن ما ينسبونه فى أدبهم إلى أدب أمم أخرى هو فى الواقع غير صحيح. وعلى هذا الأساس نشرت المجلة الأدبية السوفياتية (ليترانورنايا جازيتا) فى عددها الصادر فى ١٣ يناير لسنة ١٩٤٩ مقالا مطولا باللغة الروسية للأستاذ كليموفتش فى موضوع « المهمة الأدبية اليومية الضاغطة » عالج فيه هذا الموضوع معالجة دقيقة تخلص منها إلى نفى القول بأن الأدب فى الجمهوريات السوفيانية فى القوقاز يرجع إلى الأدب العربى. وقد آثرت نقل خلاصة عن هذا المقال لخطورته، لماله من العلاقة المباشرة بنا

بعدما يتكلم كليموفتش عن مكانة الأدب فى حياة الشعوب السوفييتية، وعن الاهتمام بجمله يتفق مع « التاريخ الأدبى الخطير الذى امتازت به روسيا »، يعود فيلقى تبعة كبرى على الأدباء فى ضرورة تحرى الحقائق فى تاريخ الأدب فى الشرق السوفياتى. ومن ثم يبدأ بحث هذا الأدب وعلاقته بالأدب العربى فيقول بأنه يعتقد بوجود علاقة بين الأدب فى هذه الجمهوريات وبينه فى تركيا وإيران والعالم العربى؛ ولكنه فى نفس الوقت ينكر كل الإنكار ما يذهب إليه بعض الأدباء بأن منشأ الأدب فى هذه الجمهوريات السوفياتية هو الأدب التركى والإيرانى (الفارسى) والعربى. ولكى يضع النقط على الحروف ويفهم شعوب الجمهوريات السوفياتية الشرقية ما هى علاقة أدبهم بالأدب العربى يقول:

« إن العرب عندما تخطوا حدود جزيرتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، وتغلبوا على بلدان أخرى، ألفوا منها إمبراطوريتهم الأقطاعية التى عرفت باسم الخلافة، وهدوا شعوبها إلى الإسلام، عملوا على نشر لغتهم كلغة رسمية، على أساس أن القرآن قد أنزل بها، وأنها لغة الله نفسه، وأن ترجمة القرآن إلى لغات هذه الأمم كان فى نظرهم تجديفا. أما من ناحية مستوى العرب الثقافى فقد كانوا أقل حضارة وثقافة من الكثير من الشعوب التى تغلبوا عليها. ولكى يحافظ العرب على سيادتهم عملوا على التخلص من تراث الأمم الأخرى الأدبى والفنى. فبإمكاننا أن نقول إن هذه الطريقة التى استخدمها العرب لترسيخ قدم أدبهم وثقافتهم فى البلدان التى تغلبوا عليها قد كانت السبب الرئيسى المباشر فى فقد هذه البلدان تراثها الأدبى الذى كان لها قبل الفتح العربى. وعلى الرغم من نضال هذه الأمم للإبقاء على أدبها وثقافتها فقد اضطرت إلى استعمال اللغة العربية، هذه اللغة التى فرض العرب استعمالها فرضا فى إمبراطوريتهم المترامية الأطراف، التى امتدت من الصين والهند شرقا إلى مراكش والأندلس غربا. وما يسمى بالأدب العربى والعلوم العربية والثقافة العربية فقد أنشأها على الغالب غير العرب، أى الأمم التى تغلب عليها العرب وحكموها »

وقد استشهد كليموفتش فى مقاله هذا بالأستاذ روزين، أستاذ اللغات الشرقية فى بطرسبرج (لينينغراد) فى سنة ١٨٧٢ الذى قال: « إن العرب مدينون فى أدبهم وعلومهم إلى الفرس والسريان. غير أنه لما كان هذا الأدب وهذه العلوم قد دونت باللغة العربية فقد عزى الفخر فى هذا الجهد العلمى والأدبى والثقافى إلى العرب يوم كانت أوربا غارقة فى ديجور حالك من الجهل »

واستشهد أيضا بما قاله كراتشوفسكى فى سنة ١٩١٩، إذ قال: « إن القول بأن الأدب العربى هو من صنع الأمة العربية إنما هو خطأ فادح، ذلك لأن الفضل فى وجود هذا الأدب يرجع إلى غير العرب (الأعاجم) الذين دونوا أدبهم باللغة العربية، وحتى إلى اليهود والسريان والأسبان والأتراك والأقباط والبربر الذين اشتركوا فى إيجاده » (راجع كتاب الأدب فى الشرق لمؤلفه كراتشكوفسكى ١٩١٩)

ثم يعود فيقول : « ومن المعروف الآن أن العرب — بما حصلوا عليه من فخار نسب إليهم فى حقلى الأدب والعلم — مدينون إلى الكثيرين من مواطنينا؛ كالأدباء الذائعى الصيت فى أذربيجان وآسيا الوسطى ، ومنهم الفارابى وابن سينا والخوارزمى والبيرونى وسواهم . ومما هو جدير بالذكر أنه قد ثبت لمجمعى العلوم فى أذربيجان وأوزباكيان أثناء تحريهما العلمى عن منشأ الأدب فى بلاديهما ، أنه ليس من أصل عربى بل من أصل أذربيجانى وأوزباكيانى كان قائما فى البلدين قبل الفتح العربى . وقد بحث المجمع العلمى فى جمهورية يوزك السوفيانية منشأ العلم والفلسفة العربيين فتوصل بنتيجة ذلك إلى الحقيقة التالية وهى : « أن الاصطلاح المعروف « بالفلسفة العربية » ليس صحيحاً ، ذلك لأنه قد اشترك فى إيجاد هذه الفلسفة مدارس فلسفية متعددة ضمت أعضاء ليس من العرب فحسب ؛ بل أيضا من شعوب الشرق الإسلامى . ومع هذا فإن عددا من العلماء قد تجاهلوا هذه الحقيقة وعزوا هذه الفلسفة إلى أصل عربى »

ويستأنف الأستاذ كليموفتش مقاله بقوله : « إن وحدة اللغة فى بلد ما لا تعنى وحدة الأدب فيها » . واستشهد على صحة نظريته هذه بأن أعطى مثلا على ذلك وحدة اللغة بين إنكلترا والولايات المتحدة الأميركية فى حين أن لكل من هذين البلدين أدبه الخاص به . وأعطى مثلا آخر على ذلك بلدان غربى أوربا التى كتبت فى العصور الوسطى باللغة اللاتينية ،وفى نفس الوقت لم يكن منشأ الأدب فيها لاتينيا . ثم استشهد بكتابات أدبية أخرى تعرف باليوتوبية (الخيالية) كتبها الكاتب الإنكليزى (توماس مور) باللغة اللاتينية ، ومع هذا لم تخرج عن كونها أدبا إنكليزيا صرفا

وعلى هذا الأساس قال كليموفتش : « إذا ما عثرنا على قطعة أدبية أو فنية أو فلسفية وأردنا أن نعرف ما إذا كان منشؤها عربيا أو فارسيا أو من أى أصل آخر فيجب علينا والحالة هذه أن نتحقق أولا عن كاتب هذه القطعة ، وأين كتبها ، وما هى مضامينها الفكرية ، وما هى صبغتها الوطنية . مثال ذلك إذا أردنا تحليل قطعة أدبية كتبت باللغة العربية لنعرف منشأها نجد أن قسما غير قليل منها — على الرغم من كتابته باللغة العربية — يتضمن ميولا معادية للعرب من قبل الشعوب التى تغلب عليها العرب . ونجد فى غالب الأحيان أن كاتبى هذه القطع الأدبية يعبرون بوضوح عن افتخارهم بكونهم ليسوا من أصل عربى . ومن هؤلاء الكتاب شاعر أذربيجان إسماعيل بن يسار الذى تنازع مع الخليفة هشام ونفى على أثر ذلك إلى الحجاز فى بلاد العرب » إلى أن يقول أيضا : « وهنالك أيضا أدباء غير عرب استولى العرب على بلدانهم ترجموا أدبهم الخاص إلى اللغة العربية ، ليس بقصد اغناء الأدب العربى ، وإنما بقصد إعطاء العرب فكرة صحيحة عن أدبهم ، وفى نفس الوقت لينافسوا به الأدب العربى . ومن هؤلاء عبد الله بن المقفع الذى ترجم كتاب كليلة ودمنة إلى اللغة العربية ، وقد قتله الخليفة فى بغداد لدعايته المعادية للعرب »

ومن ثم يتخلص صاحب المقال إلى النتيجة التالية ، وهى قوله : « إن ما كتبه الفارابى وابن سينا والخوارزمى والبيرونى وسواهم لا يمكن اعتباره أدبا عربيا صرفا . أما إذا أردنا أن نقول عنه إنه أدب عربى فيكون تحليلنا له والحالة هذه تحليلا ذا جانب واحد . وأكثر خطأ من هذا أن نقول إن ما كتبه السوفييت الشرقيون باللغة العربية هو أدب عربى لمجرد أنهم كتبوه باللغة العربية — هذه اللغة الغريبة عنهم — لأنهم لم تكن لديهم لغة مكتوبة خاصة بهم . ومن هؤلاء شعوب شمالى القوقاز الذين دونوا أدبهم باللغة العربية منذ القرن السابع عشر حتى ثورة اكتوبر الكبرى فى سنة ١٩١٧ . غير أن هذا لا يعنى مطلقا أنه أدب عربى ، لأنهم منذ أن فسح المجال أمامهم ، برعاية الحكومة السوفيانية ، لتصبح لديهم لغة مكتوبة بعد الثورة ، رفضوا أن يكتبوا شيئا باللغة العربية . ومن جهة ثانية لم يكن بإمكان شعوب شمالى القوقاز اعتبار القاهرة ودمشق وبغداد وسواها من عواصم الأدب العربى عواصم حقيقية لهذا الأدب ، لأن هذه الأماكن كانت قبلا ولايات فى السلطنة العثمانية ، ومن ثم مستعمرات (هكذا) إنكليزية وفرنسية . وفضلا عن هذا فإن شمالى القوقاز كان قسما من روسيا وقد دخلت شعوبه فى نطاق الثقافة التقدمية وتأثيرها النافع ، هذه الثقافة التى ينعم بها الشعب الروسى العظيم »

شاعر مجهول

للأستاذ حسنى كنعان

لقينى بالأمس القريب صديق فاضل من أسرة الجندى الدمشقية فقال لى فيما قال :

— لقد أنكرت فضل الرجل وما عرفت له حقه . قلت :

— أى رجل تعنى . . ؟ قال :

— أعنى عميد أسرتنا وشاعر سورية المجلى « الشيخ أمين الجندى » .. إن جميع ما ذكرته من موشحات وقدود وأشعار فى فصل إسق العطاش الذى نشرته فى الرسالة الغراء منذ أمد هى من نظمه ، فقطعة يا غزالى كيف عنى أبعدوك ، وتيمتنى هيمتنى عن سواها شغلتنى ، واسق العطاش تكرماً .. هى من نظمه ..

فلماذا لا تطلعنى على مقالاتك قبل نشره فى الرسالة ليكون بحثك كاملا من كل جهاته . . ؟ قلت :

— كيف أستطيع أن أتأكد من ذلك . . ؟ قال :

— أنا أطلعك على ديوان له مطبوع قد حوى فى طياته هذه اللطائف والرقائق . . وكنت أسمع عن هذا الشاعر الشئ الكثير ولكنى مع الأسف الشديد لم أقع على ديوانه . فألفيتها فرصة سانحة أن يعرض على أحدهم هذا المرض الذى وافق هوى فى نفسى التواقة إليه ، وذلك أملا فى أن أنصف الرجل .. مضت مدة من الزمن دون أن يفى هذا الصديق بوعده ، فذكرت ذلك لصديق آخر من أفراد هذه الأسرة وهو المحامى السيد « تاج الدين » الجندى نجل العلامة الشيخ سليم الجندى أستاذ الطنطاوى ، والأفغانى ، والجيرودى ، والعطار ، وصاحب محاضرة المعرى التى أعجبت الأستاذين الجليلين معالى طه حسين باشا وصاحب العزة أحمد أمين بك فى المهرجان الألفى للشاعر المعرى . .

فأخذنى نجل علامتنا إلى مكتبه ، ودفع إلى الديوان للاطلاع عليه ... فعكفت على دراسته عكوف الهائم الولهان . فوجدت فيه من الدرر واللآلئ ما يصلح أن أحلى جيد هذه الصحيفة به . فالديوان يحوى قدودا وموشحات وأشعارا غزلية وصوفية كنا هائمين بها ومعجبين بقائلها قبل أن نعرف مصادرها ومواطنها .. وبقدر اطلاعنا على هذا الديوان الفذ ازددنا عجباً وإكباراً لهذا الشاعر . وها أنا ذا إظهارا للحقائق وتمشيا مع السنة التى درجت عليها من إحياء ذكرى الأعلام فى ربوعنا فى هذه الصحيفة التى فتحت صدرها لمثل هذه البحوث ، وعودتنا على طرق بابها ، دون أن توصده فى وجه من يبغى نشر فضائل بنى قومه من الأعلام المجهولين .. جئت مقدما شاعرنا المجهول المغموط الحق بهذه المقدمة الوجيزة ..

— الشيخ أمين الجندى شاعر مطبوع . ولد بمدينة حمص سنة ١١٨٠ ولقد جاء فى مقدمة ديوانه ما ننقله بالحرف الواحد بلغة أهل ذلك العصر . .

هو عالم زمانه وشاعر عصره ، الحسيب النسيب ، مداح المختار الحبيب ، الشيخ أمين بن خالد أغا الجندى العباسى . وبعد أن تلقى علومه فى حمص على خيرة علمائها توجه إلى دمشق وقرأ على علمائها

« فالبلاشفة يعتبرون نفوسهم حراسا لمصالح الشعوب وحريتها الوطنية واستقلالها وثقافتها المادية (الاقتصادية) والروحية (العقلية) ، ويجاهدون ضد الإنقاص من قدر حرمة هذه الشعوب الوطنية وفنونها » . وقد استشهد على هذا بقول ستالين بأن الشعوب السوفياتية تعتقد بأن لكل أمة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، مميزاتها الخاصة والتى لا توجد فى أية أمة أخرى ، وأن هذه المميزات التى تتمتع بها كل أمة تزيد فى تراث الثقافة العالمية العام وتغنيه . ولهذا فإن جميع الأمم تتساوى من هذا القبيل بعضها ببعض . فكل محاولة والحالة هذه للحط من الكرامة الوطنية لأى شعب من الشعوب ، أو لاستثمار حقوق هذه الشعوب التاريخية ، بما فى ذلك ثقافة هذه الشعوب ، يجب شجبه شجبا حاسما كما هو الحال فى الاتحاد السوفييتى . ثم يختم كلامه بقوله : « إن لقضايا الميراث الأدبى أهمية حيوية ، فيجب إذن أن لا يفسح المجال لأى سوء تفاهم من هذا القبيل . كما أنه من الضرورى أن يفهم أن الرجعيين يستخدمون قضايا كهذه فى جميع المناسبات والأمور »

شاكر الدبس

الأعلام وأخـذ الأوزان الشعرية من الشيخ عمر اليافى ، ولما رأى فيه هذا الذكاء النادر قال له :

إذهب فأنت أشعر أهل الغرام. فصار الشعر فيه سجية والبلاغة له عطية ، يرسم القصائد الفريدة والموشحات المفيدة والمواليات العديدة، بحيث لم يـكن يمضى عليه يوم يخلو فيه من نظم ونثر اه إلى آخر ما هنا لك من أقوال كثيرة وردت فى المقدمة نمسك عن الاسترسال بسردها لئـلا يمل القارئ وكلها على هذا النمط من مدح وثناء . والشئ المهم فى هذا الديوان أن الشاعر كان معاصراً للقائد الـكبير إبراهيم باشا قائد الحـلة المصرية ، وفاتح سورية ولبنان وغيرهما من البلاد العربيـة . ولقد عثرت فى الديوان على مقطوعة مدح بها هذا الفاتح العظيم بقوله له :

توق ابتسام الليث فى موقف الخطر … وخف باسمه إن غاب يوما أو حضر
و كن بطلا شهما شجاعا ولا تـكن … جبانا جزوعا قاصر الباع والنظر
فإن الجبان الوغد ما بين قومه … يعيش ذليلا مى ء الحـال محتقر
ولسنا إذن فى دولة قيصرية … ولا أهل ملك كسروى كما اشتهر
ومن مصر مذ سرنا بأمر عزيزها … كشفنا ظلام الجور والبغى والضرر
«وبارودنا» كالبرق والرعد لم نزل … صواعقه ترمى وتحرق بالشرر
وكم حافر بئرا ليوقعنا به … نخاب وأمسى واقعا بالذى حفر
ومسعر نار للعناد وعندنا … بحار لها تطفى وتغرق من سعر
ولـكننا فى عز دين مؤيد … وشرع بوحى جاء من سيد البشر
وإنا بحمد الله فى خير دولة … لوا عزها فى الخافقين قد انتشر
ومنا سيوف للمنايا تجردت … على عنق الأعداء بل أسهم القدر
وليس كإبراهيم فى موقف الوغا … هز برأى الأعداء حلما إذا اقتدر
همام تهاب الأسد سطوة بأسه … وترجف منه الراسيات إذا زأر
له همة فى الحرب أضحت علية … وعزم بقد الصلد والصارم الذكر
به ملة الإسلام عزت فأصبحت … متوجة بالعدل والأمن والظفر
وأذكى صلاة الله ثم سلامه … على خير مبعوث إلى الخلق من مضر
فلا زلت فى عز العزيز الذى غدا … لأهل الملا شمسا وأنت لهم قمر
مدى الدهر ما «الجندى» أنشد قائلا … توق ابتسام الليث فى موقف الخطر

فنالت هذه القصيدة حظوة فى عين القائد المصرى المتيد وقرب صاحبها إليه وجعله فى بطانته ، ولقد أفسحت هذه الحظوة المجال أمام الجندى الشاعر ، وغدا كبيرا فى أعين الدماشقة بين قومه ، وصار يقصده علية القوم وسراتهم لقضاء حاجاتهم عند الباشا الفاتح ، وأوقف شعره فى هـذه المرحلة على مديح الباشا متكسبا على غرار ما كان يفعله أبو الطيب المتنبى مع سيف الدولة. وقد غدا أتبع إليه من ظله ، يصحبه معه للدعاية فى كل قطر حل به فطمعه هذا العطف الأريحى به ، وجعل شعره فى هذه الرحلات مقتصرا على مديحه والدعاية له ، فوجد الفاتح فى هذا الداعية المطبوع على الشعـــر خير نصير له فى إظهار عظمته ، فزاد فى إكرامه وإعزازه ، وصار يصحبه فى روحاته وجيئاته ، وكان كلما قدم إلى دمشق أو رحل عنها متنقلا فى أفياء دولته المترامية الأطراف، التى أقام دعائمها على الأسلات والشفرات، رأى الجندى فى ذلك الفرص السانحة لإسماعه فيه ما يرغب ، وما يرهب به الخصوم ، ويفت فى سواعدهم من الظهور أمامهم بهذه الأماديح الخالدة بظهور الفاتح المرضى عنه التى يعبده شعبه وتفتديه رعاياه وتفديه بأرواحها ، ومما قاله فيه بعد وصوله إلى دمشق قادما من قونية وهو معه سنة ١٢٤٨ هـ وكان قد فتح عكا، ودك حصونها وقلاعها دكا : قال فى ذلك

نحن الأسود الـكاسره … نحن الســيوف الباتره
من أرض مصر القـاهره … سرنا وقد نلنا المنى

* * *

بارودنا شـــراره … تشـوى الوجوه. ناره
وعـزمنـا بتـاره … من المدا أمكننا

* * *

نحن بنو الحرب فلا … نخشى غبارا إن علا
ولم نضق عن البـلا … صدرا إذا الموت دنا

* * *

عاداتنا أخـــذ الرجال … بالبيض والسـمر العوالى
ونارنا بالاشـــتعال … لهيبها يبدى السنـــا

* * *

جهـــادنا لا ينـكر … فى كل قطـــر يذكر

وسيفنا إذ يشهر للنصر يبدى معدننا

* * *

« أبو خليل » فى الحروب لا زال كشاف الكروب
وحين يدعى للركوب بالبيض يغزو والقنا

* * *

لما غزونا عكا « بالطوب »(1) دكت دكا
وللأعادى أبكى هجومنا وأخذنا

* * *

صبحا علونا سورها وقد هدمنا دورها
أما ترى قصورها قد حلها هدم البنا

* * *

وبوم حمص لو ترى على العداة ما جرى
وقد علا فوق الثرى صرعى يقاسون الفنا

* * *

هناك أضحوا هالكين وفى دمائهم غارقين
وانحل عقد الظالمين وحل بالباغى العنا

* * *

وحماة مع حلب سرنا وجد بنا الطلب
ولم نجد ممن هرب إلا طريحا فى ضنى

* * *

وقد أطلنا قهرهم لما أسرنا صدرهم
ومن ولينا أمرهم بالذل مالوا نحونا

* * *

هذا وهذا كله عزيز مصر أصله
وليس يخفى فضله دوما على أهل الثنا

* * *

فنسأل الله المعين بحرمة الهادى الأمين
بدعه للمسلمين مولى مغيثا محسنا

أما القصيدة الأولى فلقد نقلتها من الديوان منتخبا منها هذه الأبيات المنشورة آنفا ومطلعها : توق ابتسام الليث إلى آخر الأبيات . وأما القصيدة الثانية : نحن الأسود الكاسره

(1) الطوب : المدفع بالتركية

فلقد أتحفنى بها العلامة الشيخ جميل الشطى مفتى الحنابلة بدمشق منذ علم أنى أعد فصلا للرسالة عن هذا الشاعر المجهول .. والقصيدة مدونة عنده منذ القديم ومنشورة فى كتاب له.. ولقد جاء فى نهاية هذه الحادثة أن الشاعر كوفىء عليها من الباشا بـ ١٠٠ ليرة عثمانية ذهبا ، وكان لها وقع عظيم لدى الباشا الممدوح. وفى الديوان قصائد كثيرة منها قصيدة يمدح بها محمد على باشا الكبير مؤسس الأسرة العلوية وباعث نهضة مصر الحديثة. نرجىء نشرها فى عدد قادم يأتى ، لأن ديوانا يحوى على ٤٥٠ صفحة لا يمكن أخذ فكرة عن صاحبه فى مقال واحد . . فالى اللقاء يا عزيزى القارىء فى العدد القادم

دمشق حسنى كنعان

أدبنا القومي

بين الفصحى والعامية

للأستاذ حسين كامل عزمي

كان من أثر احتكاك مصر بالغرب الحديث أن تغيرت قيم طائفة من مثقفيها في مناحي الحياة العلمية والعملية ، فإذا نظرنا من وجهة نظر أدبية ، رأينا أن هذا الأثر – الاحتكاك بالغرب – قد أثر كثيراً في الأدب الحديث . .

في الربع الأول من هذا القرن ، نشب ما يشبه المعركة بين طائفتين ، أو مدرستين ، من الأدباء . . طائفة تمثل مطامح المصريين إلى حياة أدبية قومية ، عناصرها الروح المصرية المتطورة بالاحتكاك بالغرب ، النافضة آثار الروح العربية التي مرت فيها قروناً . . وطائفة لا تزال مستمسكة بعناصر الروح العربية : لغة ، ومعنى ، وثقافة ، ومذهباً . .

وكانت الطائفة الداعية إلى التجديد يعتمل فيها ما يشبه الثورة على الأدب العربي ، وما يشبه الانتصار للآداب الغربية .

فإذا عرفنا أن أصحاب الدعوة إلى التجديد في الأدب كانوا ينتصرون لاستعمال العامية ، إذا لزم الأمر ، محافظة على روح التعبير وواقعيته ، عرفنا إلى أي حد لم يتحقق أملهم ، حتى اليوم في إيجاد وتكوين الأدب القومي المنشود الذي ينسجم مع هذه الدعوة . . اللهم إلا فيما ندر اتفاقه لأديب مصري ممتاز ، كتوفيق الحكيم مثلاً ، الذي تلمس المصرية الحقة القحة واضحة جلية تكاد تصيح في حيوية أسلوبه الرشيق ، وتشبيهاته البيئية الصحيحة ، التي نورد منها الآتي : « هذه الفتاة قلبها مثل دغل البوص . » تشبيه مصري

« ووقع العمدة بخطه الذي يشبه نبش الدجاج . » تشبيه منزلي مصري

زد على ذلك غزارة التشبيه عند الحكيم ، ممثلاً بهذا التعبير المصري ، فالمصريون يكثرون من استعمال حرف « زي » الذي يسبق التشبيه . . كما ترى في أدب الحكيم إقبالاً على استعمال الألفاظ العامية ، خاصة في حواره . .

ومن المسلم به أن لكل فنان جمهوره ، وكلما كان جمهور الفنان عديداً كلما كان لرسالته في الحياة قيمة عملية فعالة . . والفنان الحق مطالب بفهم عميق لدقائق النفس الإنسانية : خوالجها ، ومنازعها ، ونزواتها . . وهو مطالب بعد ذلك بصدق التعبير وواقعية الأداء ، بحيث يتمشى مع روح عصره . . فيخاطب الناس على قدر عقولهم وفهومهم ، وعلى قدر استعدادهم اللغوي الذي يمكنهم من استيعابه وتدبره . ثم الانتفاع بنتاجه . . واللغة أولاً وأخيراً ، آلة جمهورية تستعملها الأمة كلها فيما وضعت لأجله ، ويتفاهم بها الشعب قاطبة فيما يريد ، فجمهرة كلماتها وغمرتها تتداولها ألسن الكافة ، ولا سيما الأفعال والحروف . . وكل شيء يتناوله الجمهور ويغير فيه ويبدل ، حتى يوافق ذوق المجموع ، واللغة جزء من مزاج الشعب ، فهي تختمر رويداً رويداً ، وقليلاً قليلاً ، كما يختمر العجين ، ولذلك كانت محاولة تعليم الناس جميعاً لغة عامة (الإسبرانتو) عملاً صبيانياً ؛ كما يقول صديقنا الفاضل الأستاذ عبد الفتاح بدوي . .

وليس التطعيم – الذي حدثنا عنه الأستاذ كامل السيد شاهين بالعدد ٩٤٠ من الرسالة الغراء – مما يشوه اللغة أو يحط من شأنها وقدرها ، بل كثيراً ما يزيدها رقة وعذوبة . . فبمثل هذا التطعيم المعقول المقبول يتم لنا تقريب الشقة بين الأدب والأمة ، فتختفي الهوة التي تفصل المتعلمين عن العوام شيئاً فشيئاً . وعلى مر الأيام تصير اللغتان اللتان نستعملهما لغة واحدة . . فإن الاختلاف اللغوي بين طبقتين في الأمة لمما يضعف القومية . .

والشعر مرآة عصر قائليه ، و « ميزة الشعر المطعم عن الشعر العام أنه عصري متواضع ، يمس الاجتماع الراقي كما يمس الاجتماع

الشعبي ، وبذلك يصور لنا ناحية يترفع عنها الشعر العام — ونحن نجنى فى كثير من الأحيان على التاريخ ، عندما نعتمد على الشعر العام فى تصوير حياة المجتمع ، لأنه فى برج عال رفيع لا ينحط إلى المستوى الشعبي .. » كما يقول الأستاذ شاهين ..

وبمناسبة مقال الأستاذ شاهين عن الشعر العام ، أذكر أن أحد أصدقائى من الأدباء البائسين ، أتانى ليلة عيد الأضحى ، منذ سنوات مضت ، يشكو لى ضيق ذات يده ، وحرمانه من تذوق لحوم الأضاحى .. ثم تركنى ومضى .. فقلت :

— على لسانه — واصفاً شتى أحاسيسه :

تثير دوما شجونى رؤيا بدت لعيونى
رأيت فى الحلم كبشاً معذبا ذا أنين
يصيح فى القوم : ماءا قبيل عصف المنون
فقلت للكبش : صبراً كل يزول ودينى !
قد جف ريقك لما رأيت هول اليقين !
ولن يجودوا بماء بل يذبحوا بسكون
وبعد جز الرءوس يزول نطح القرون !! »

* * *

ثم التفت لنفسى بذلة المستكين
فما أكابد دوما كمثل هذا الحزين
يسر قوما شقائى فيطربوا لأنينى
لمحض كونى أديبا فى خسة جدونى
ولو رأونى خروفا فى قصعة .. أكلونى !
ولو رأونى سمينا بنشوة .. يذبحونى !!
وبعد فكر عميق ، وقد كوانى حنينى ،
مثلت لخيالى فنون أرسن لوبين
... جذبت حبل خروف والقوم لا يبصرونى
وعند صخر بكوخى ربطته .. كالأمين !

* * *

لكن خلق إلهى بسرعة لحقونى
وصاح جارى صياحا سمعته كالطنين :
« أيا شويش .. الحرامى ربيب شتى السجون !
خطف خروفى العزيز فياله من لعين !
أذقه طعم الخيزرانى بفكه والجبين
وأنت شهم مغيث فلا تخيب ظنونى ! »

* * *

صحوت فورا ! . أصوغ قصيدة من عيونى . . ؟!

وقد سر الصديق بهذه القصيدة سرورا عظيما ، إذ وجد فيها — على حد تعبيره — شيئا من التنفيس عما ينهش بقلبه المسكين . . ! فتركتها بين يديه ، بعد أن لمحت بريق الشكر فى عينيه . . !

السويس حسين كامل عزمي

١ – رحلة الى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للاستاذ سامح الخالدى

كانت رحلة الشيخ البكرى هـذه إلى بلاد الروم هى الثانية فقد رحل قبلا إلى الآستانة سنة (١١٣٥ هـ) وأسماها «تفريق الهموم وتغريق الغموم فى الرحلة إلى بلاد الروم» ولـكننا لم نعثر على هذه الرحلة ضمن مجموعة رحلات الشيخ المخطوطة والمحفوظة فى خزانة الـكتب الخالدية، والتى علق عليها الشيخ البكرى نفسه، الحواشى عليها

وفى رأينا أن هـذه الرحلة من ألطف وأشيق رحلات البكرى، فقد قطع فيها الشيخ مسافات شاسعة برا وبحرا، إذ توجه إلى الآستانة عن طريق طوروس وقونية، وعاد فى مركب إلى الإسكندرية مارا بسواحل الأناضول وجزيرة رودس

ويلاحظ أن الشيخ البكرى لم يكن يترك الفرصة تمر لنشر طريقته الخلوتية، حيث كان، ولهذا لم يكن يحجم عن إدخال جهور المريدين فى طريقته سواء فى المدن أو القرى، وسواء أكان مقيما أم مسافرا، بل ما قولك أنه لم يتردد فى إدخال المريدين إلى طريقته وهو فى المركب فى ميناء الآستانة؟

ولقد كان الشيخ البكرى، ذا نفوذ عظيم، وقد كثرت أشياعه وأتباعه، فقـد كان له أتباع فى أكثر القرى والمدن الفلسطينية، كما كان له مريدون فى طرابلس الشام، وحمص، وحماه وحلب، وبغداد والبصرة، ومصر، والإسكندرية، ودمياط ورشيد

ولم يوفق الشيخ فى دعوته فى أواسط الأناضول فقد حاول أن يستميل إليـه البعض فى مدينة (أركلة) الأناضولية التركية ولـكنه لم ينجح، ذلك لأنهم كانوا أتباع الطريقة (الزادلية) وهى طائفة تنتسب إلى قاضى زاده أجل علماء الروم ممن كانوا يقولون بهدم قبور الأولياء ومقاومة التصوف، وقد جرب الشيخ إفحامهم ففشل ويئس منهم وقال إنه ليس ثمة من فائدة لمباحثة أمثال أولئك

ولقد كان الشيخ حريصا على أن يسير فى موكب حافل حيث ذهب وحيث حل، ولذا نراه فى هذه الرحلة بدلا من أن يسلك الطريق السلطانى من القدس إلى الشام عن طريق نابلس، فجنين، فخان التجار فجسر بنـات يعقوب فالقنيطرة فدمشق، يسلك طريقا فى داخلية البلاد، فينضم إليه الحاج حسن بن مقلد الجيوسى شيـخ بنى صعب والشيخ أحمد الباقانى والحاج سلامة الداميني، والحاج حسن الجاعيلى والحاج محمد الـكفرعينى من شيوخ جبلى نابلس والقدس

ويصف الشيخ لنا الطريق، ويعجب من عمران منطقة النصيرية وكثرة زيتونها، وخراب سور أنطاكية، ويذكر وعورة الطريق من أنطاكية إلى أدنه فقونية، وشدة برد الأناضول فى الصيف

وينزل الشيخ فى مدرسة شمسى باشا فى الآستانة، ولشمسى باشا هذا الذى كان حاكما للشام، مدرسة باسمه فى دمشق، ويتقبل دعوة ابن عمه السيد محمد خليل البـكرى وكان شيخاً (أى رئيساً) لمدرسة حسن باشا المقتول فى الآستانة (قتل ١٠٠٦ هـ)

ومن العجب حقا أن يـكون الشيخ فى سفرته هذه وفى غيرها دائم الاتصال بإخوانه ومريديه، فتراه يحرر لهم الـكتب ويرسل لهم القصائد من كل مـكان، كما يتلقى منهم الأجوبة على كتبه وكلها تصف شوقهم إلى لقاء الشيخ والاجتماع به

فمن ذلك أن سليمان باشا العظم والى الشام عتب على الشيخ عدم مـكاتبته له من الآستانة، فيبعث الشيخ يعتذر لجناب الوالى ويذكره أنه أرسل له سلاما خاصا عن طريق كتاب بعث به إلى صديقه الحاج حسن جلبى بن مـكى الغزى، وقد كان فى معية

(١) مخطوط فى المـكتبة الخالدية فى القدس. ولد الشيخ البكرى سنة (١٠٩٩ هـ – ١٦٨٧ م) وتوفى سنة (١١٦٢ هـ – ١٧٤٨ م)

الباشا ، ثم يقول له إن المانـع من مكاتبته هو مراعاة مقام الباشا الخطـير !

ومما يلفت النظر أن الحاج خليل بن كشيش شيخ مقاطعة الرجيل فى العراق ، وقد كان آنذاك فى الآستانة اندرج فى سلك المتصوفين وأصبح من أعوان الشيخ ، وكان الحاج خليل هذا قد اجتمع بالشيخ البـكرى يوم زار العراق

وكان من عادة الشيـخ أن لا يتحرك فى سفر ، قبل أن يستخير الله ، فإذا ماظهرت الإشارة منبئة بالسفر فعل ذلك ، على اعتبار أن إرادة الإنسان الضعيف فى الرحـلة والسفر ، مرتبطة بإرادة الله ، وأن ذوى الـكشف الربانى ينتظرون ظهور مثل تلك الإشارة قبل التحرك من مكانهم

ومع أن الطريق البرى استغرق من ٢ ربيـع الأول إلى حوالى منتصف جمادى الأولى الوصـول من دمشق إلى الآستانة فإن الرحلة البحرية فى المركب لم تستنفد أكثر من أربعة عشر يوما إذ ترك ميناء (بشك طاش) فى الآستانة فى السابـع من رجب ووصل الإسكندرية فى ٢١ منه

وعجيب حقا ما كان يبديه الشيخ من النشاط فى بث دعوته ، فهو كالحركة الدائمة لا يهدأ فى نشرها بين كبار الحـكام ، وشيوخ الأقطاع ، وطبقة التجار ، بل وطلاب الأزهر المجاورين من صغار الشبان !

ويصف لنا الشيخ سوء معاملة رجال المـكس فى الإسكندرية ويشـكو مر الشـكوى منهم ؟ ومن الغريب أن ينطبق هذا على ما وصفه لنا ابن جبير فى رحلته عن (جمرك) الإسكندرية فى القرن السادس الهجرى !

ولم يهدأ الشيخ فى نشر دعوته فى الإسكندرية ورشيد والقاهرة ، وهو يصف لنا أشهر مشاهد هـذه المدن المصرية ، ويذكر لنا من اجتمع إليهم من كبار مشايخ عصره ، وقد أخذ البعض منهم عنه الطريق كالشيخ الحفناوى

ويلاحظ أن الشيخ انتهز عودة الوزير المشير عثمان باشا فانضم إلى القافلة العائدة من مصر إلى فلسطين

ويذكر الشيخ بألم ظاهر ضعف الحـكام ، وعدم حزمهم للضرب على أيدى قطاع الطرق فى هذا الطريق المالى ، ويعجب من ضعفهم ، ومما لا ريب فيه أن القوافل كانت تتعرض لتعدى العربان وأذاهم ، وقد كان الشيخ يفقد بعض كتبه فى هذه الغارات مما كان يؤلمه ويحز فى نفسـه

ويصف لنا الشيخ حسن استقباله فى غزة ، ويذكر خراب جامع هذه المدينة ، كما ينزل ضيفاً على آل الخيرى ، ومنهم مفتى الرملة ، وقد كان من مريدى الشيخ وأتباع طريقته

ولا ريب أن الشيخ البـكرى ، القطب المتصوف ، إنما كان يرحل هذه الرحلات لنشر طريقته وإكثار مريديه ، وإذا كان أسلوبه ، وتفـكيره وجل همـه موجها إلى هذه الناحية ، فإنه لا مراء قد ترك لنا ثروة ذاخرة بالمعلومات والآثار مما يلقى ضوءا على حالة البلاد ومشاهدها ، ورجالها وحـكامها ، والأمن العـام فيها فى القرن الثانى عشر الهجرى

وقد يقال إنه لم يصف لنـا وصفا موضوعيا ما شاهده من المدن والقرى والمعاهد ، ولم يفصل حيث أوجز ، ولـكن لو لم يكن الشيخ متصوفا لمـا قام بهذه الرحلات ، ولـكننا حرمنا من هذه المعلومات القيمة ، ولـكانت معرفتنا لهذا القرن المتأخر ضئيلة زهيدة

ولنترك الشيخ البكرى الآن يصف لنا رحلته الرومية الثانية :

مقدمة الرحلة :

يقول الشيخ : « وبعد قد أيقظ الحق جل وعلا وتبارك وتعالى ، لحظ فؤاد ملاحظ فى حبه يتغالى ، وكان جال فى ميدان الغفلة مجالا يسرح فى أكنافه ويحوم ، فحرك منـه الساكن والجزء الراكن ، لهذه الأماكن ، ودعاه قلباه إلى ديار الروم (أى الترك) وهناك اشتد محاول العزم ، وامتد قصير الحزم ، واعتقد القلب بعدة الجزم ، لما آن للقصد أن يقوم ، وذلك فى أوائل عام (١١٤٨ هـ) – (١٧٣٥ م) ، ما كرف عبير عنبر خيشوم »

وكان الشيخ قد رحل إليهـا سنة (١١٣٥ هـ – ١٧٢٢ م) ودون ذلك فى كتاب موسوم « بتفريق الهموم وتغريق الغموم. فى الرحلة إلى بلاد الروم [٢] وأنشأ فى هذه الخطرة رسالة سماها

---

(٢) لم نعثر على هذه الرحلة بين مجموعة رحلات البكرى

(العرائس القدسية . المفصحة عن الدسائس النفسية) وكان الواسطة فى كتابتها العلم المفرد السيد محمد التافلاتى (مفتى الديار القدسية)

ولما فارق بلاد الروم توجه إلى جهة العراق ودون رحلته إليها فى ما سماه (كشط الصدا وغسل ألوان . فى زيارة العراق وما والاها من البلدان) ووصل البصرة وعاد فأقام فى حلب نصف عام ، وتوجه منها إلى دمشق وأقام فيها بعض أيام ، ثم قصد زيارة القدس عن طريق جبل لبنان وكتب رحلته (أردان حلة الإحسان . فى الرحلة إلى جبل لبنان)

وفى سنة (١١٤٥ هـ) توجه إلى الحج وكتب رحلته (الحلة الرضوانية الإجازية الدانية . فى الرحلة الإحسانية الحجازية الثانية) وأما رحلته الأولى للحجاز فأسماها (الحلة الحقيقية لا المجازية . فى الرحلة الحجازية)

ولما عزم على التوجه إلى البلاد الرومية ، كتب كتابا إلى السيد محمد نجل السيد أحمد ، وقصد فى هذه الأثناء فى عشر المحرم التوجه إلى الزيارة العليلية كعادته ومنها إلى نابلس فدمشق فديار الروم ، وقد أسمى هذه الرحلة (النحلة الفانية بها رسوم الهموم والغموم. فى الرحلة الثانية القدوم لديار الروم)

قال الشيخ : « لما كان يوم الاثنين الرابع عشر من محرم الحرام عام (١١٤٨ هـ) توجه كبير الآثام كبير الإجرام بعد ما ودعنا أولاداً أكباداً وخلاناً ، وكان هم فرقة الأولاد عم جوانب الفؤاد ، وخرج للوداع جم غفير من إخوان وأحباب ، وودعناهم عند سعد وسعيد [3] وكان منهم البنية السعيدة والولد السعيد ، (علما ومحمد كمال الدين) وقصدت تسلية أحزان بزيارة (نبى الله شمويل) . ورافقنا إلى زيارته الأخ الشيخ أحمد الميقاتى [4] وغيره من الأصحاب ، وأقمنا معهم فى (بتيونيا) إلى أن صلينا الظهر جماعة وودعناه ومن معه من رفاق ، وسرنا والدموع لها وقع على الخدود اللامعة ، وثبنا فى قرية (عابود) ودعانا فى الصباح الأخ على بن بدير إلى (دير غسان) فلم نجبه إلى المقصود لنفرة قلب من أهلها ، فقال نجمل الدعوة إلى (شوفا) فأجبته ولم نبت إلا لدى الأخ الشيخ رضوان الزاوى وأقمنا الليلة الثانية لديه ، وطرنا إلى (صنير) ومنها إلى (الخربة) بقصد أبى الحسن والإقبال عليه ، ثم قرأنا له وللجيران الربعة وأهديناها إليه ، ومنها أتينا المائين وثبنا (جاعين) ، ولما أشرفت على علم الهدى ، قبل الوصول إليها التمست منه الندا ، وكتبت على ظهر الدابة ما أمليه من أبيات :

علم الهدى أهدى لنا الأرواحا   فأراح أشباحا بحلى أرواحا

وتوجهت ثانى يوم إلى نابلس المحروسة ، التى عيانها ورياضها عروسة ، وأقمنا بها ثلاثة أيام ، وأخذ بها المعهود جمع أحبة ، ثم بتنا فى (كفر قدوم) بانشراح ينفى الهموم ، وثبنا أول النهار بحظ « وبسط ومرور » ورافقنا الأخ الحاج حسن بن مقلد (الجيوسى) ، إلى قرية (كفر زيباد) وبتنا بها وأتينا (كفر جمال) ، وبتنا (الطيبة) بأنس وجمال ، وتغدينا فى قرية (ارتاح) وودعنا الحاج زين محب بترك الحظ ارتاح ، وبتنا فى (شويكة) وتغدينا فى (عثيل) وبتنا فى (زثيا) وأخذ بها العهد الأصيل جماعة ، وممن صحبنا إلى الشام الأخ القديم العهد ، الشيخ أحمد الباقانى (نسبة إلى قرية باقا)

وقد ارتاح الأصحاب فى الراح وزمارين [5] وبتنا فى (صرفند) [6] واصطحبنا فى عتليت وهى قلعة عجيبة البنا ، اعتنى فيها بانيها كل الاعتنا ، وزرت مقام الخضر عليه السلام ، وصليت الظهر فى قرية غب الإكرام ، وبتنا فى (المغار) لدى أولاد الشيخ سهل رفيع المنار ، وبعد صلاة العصر توجهنا إلى (كفوزرتا) ومضينا إلى (البروة) وأضافنا بها الشيخ على بن الكيال ، وصلينا العصر فى قرية (عمقا) عند محب له حسن لقاء ، وجاءنا محمد سعيد نجل المرحوم الأخ السيد محمد السافيتى ، وتوجهنا منها إلى موطن الشيخ حسين وبتنا لديه فى (جدين) وكنا فى السير مجدين ، وصلينا العصر فى (ترشيحا) المربحة من الأتعاب والمليحة الفيحا ، وأقمنا فيها إلى ظهر اليوم الثانى بعد ما دعانا المحب الفانى الشيخ أحمد نجل الشيخ حسين وقد بذل الطاقة فى الإكرام ، وبتنا عند (قلمة) محمد نافع ، وحين أتيت فى الصباح (القاسى) جاءنا من أولاد مراد ، حسن وخالد ، وصحبتهم الأخ الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ عبد الهادى الصفدى

للكلام بقية

سامح الخالدى

---

(٣) اسم حى من أحياء القدس ، يقع إلى شمال المدينة

(٤) أو الموقت . عائلة مقدسية كان عليها أن تحسب ميقات الصلاة فى المسجد الأقصى

(٥) هى مستعمرة زكرون يعقوب الآن

(٦) جنوب عتليت وهى غير صرفند قرب الرملة

قانصوه الغورى

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الرابع

أقوال وأحاديث

الشاعر : يا مولانا الشيخ ! ليس فى هذا الحديث غيبة ، وإنما هو نقد مباح ومبادلة رأى . وإذا أصررت على أن فيه غيبة ، فلا حيلة لنا فى إصرارك ! وكيف يستطيع قوم يرون الأحداث من حولهم تترى ، وتمتلئ صدورهم بالحنق عليها، وتفيض أذهانهم بضروب الرأى فيها ، ثم لا يتكامون ؟ وفى جلسة متوارية متواضعة كجلستنا ؟ اللهم إن هذه هى الغفلة الكاملة ، فإذا ارتضيتها لنفسك ، فنرجو الله أن يعافينا منها

ولى الدين : أيها الشويعر المتعالم ! هل النقد لا يتناول إلا العيوب فينشرها ، والنقائص فيذكرها، أوليس للناس حسنات تستحق منكم الثناء والاقتداء ؟

الشاعر : أنى لنا ذكر الحسنات ، وقد طغت عليها السيئات؟ إن هؤلاء الجراكسة قد ملأوا فجاج هذا الوادى فسادا ، وأصبحوا كالخمر ضررها أكبر من نفعها

انظروا . لقد بلغنى منذ أمد قريب أن أحد رعاع المماليك الجلبان نزل إلى سوق الرقيق لبعض شأنه ، فاختلف مع الدلال لأمر من الأمور ، فاستعر بينهما الجدال ، وعلا الضجيج ، فما كان من المملوك إلا أن هوى على رأس التاجر بقبقاب ... فوقع على الأرض مترديا ، وحمل إلى بيته لا حراك به ، ثم مات بعد زمن قريب ... فماذا جرى لهذا المملوك ؟ لم تنتطح فى حادثته شاتان !

ثم ... أتعرفون الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين . . ؟ لقد ضرب أحد النوتية ضربا مبرحا حتى مات بين يديه . . ثم : ! علم السلطان بحادثته ، فتغافل عنه ، مراعاة للأمير أرزمك ، وقيل إنه أوعز إليه بأن يرضى أبناء قتيله بشئ من المال .

التاجر : لقد سلط الله بعض هذه الطائفة على بعض،ليأخذهم بظلمهم ، وفداحة ضرائبهم على الرعية ، وسرفهم فى الأموال ، وسفههم

المستوفى : لعلكم تعرفون أن الأتابكى قيت ، كان يأتمر بالسلطنة ، ويتطلع إلى منصبها . فكان يراسل الأمراء الطامعين لينضموا إلى صفوفه أمثال سيباى نائب حلب ، ودولات باى نائب طرابلس ، ذلك الذى فر مرة إلى ملك العثمانيين ، ليحرضه على سلطنة مصر وممتلكاتها . . وبذلك أفسد الأتابكى قيت عددا غير قليل من الأمراء . وكادت مؤامراته تنجح ، لولا أن عيون الغورى يقظى ... فدهمه وعاجله بالقبض عليه ، وواجهه بأدلة قاطعة ، على إدانته ، فلم يستطع دحضها .. وهكذا أدى به مطاف أطماعه إلى سجن الإسكندرية ينتظر فى ظلماته مصيره المحتوم . . ثم أقام السلطان مكانه فى الأتابكية عدوه اللدود الأمير قرقماس

الشيخ ولى الدين : كفى كفى . ! ألم يعد يحلو لكم ، ولا يلذ لألسنتكم ، ولا تتناقلون فى سمركم إلا أخبار الغدر وذكريات الائتمار . . ولا تتلمسون للناس حسنة تذكرونهم بها ، ولا يدا تشكرونهم عليها ؟ ألا كم لسلطاننا الغورى من حسنات . . وكم له من أيادى بيضاء

الشاعر : « فاغرأفاه » : ألا يتفضل مولانا الشيخ يذكر حسنة من حسناته أو يدا من أياديه ؟

الشيخ ولى الدين : ألم يأمر بجميع فقراء القاهرة فى يوم عاشوراء ؟ فاجتمعوا عند سلم المدرج ، ثم نزل إليهم بنفسه ، وهو يمتطى فرسه ، وفرق عليهم الدنانير بيده ؟ لقد قيل إنه أعطى كل فقير منهم دينارا أشرفيا من الذهب

الشاعر : نعم ! نذكر ذلك ولا ننساه . . كما نذكر أيضا أن ثلاثة من هؤلاء المساكين قد قتلوا فى أثناء ذلك !

الشيخ : اتق الله ياشهاب الدين ، ولا تلبس الحق ثوب الباطل . فقد قتلهم الزحام ، ولم يقتلهم السلطان

الشاعر : ولهذا ، صمم السلطان على عدم النزول إلى الفقراء مرة أخرى ... حتى يئسوا من بره . . وحتى قال قائلهم :

سل الله ربك من فضله ... إذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك فى حاجة ... فأعينهم أعين ضيقه ...

الشيخ : إن السلطان لكثير البر ، وهو لا يفتأ يحسن إلى الفقراء ، وقد أمر فى أول رمضان أن تحمل إلى القلعة رءوس الضأن وأوعية الدقيق والخبز والسكر ، وأن تعرض فى ميدان القلعة على أنظاره ، كما جرت العادة بذلك ، بعد أن تزف فى شوارع القاهرة على رءوس الأشهاد وإعلاناً للناس بها ، وحولها المحتسب ووكيل بيت المال . . ثم وزعت على الفقراء وأهدى منها إلى الأصدقاء

الشاعر : ألا قاتل الله حب الظهور ! فهو يكلف المرء ما لا يطيق ، وإذا كانت للسلطان نفس برة ويد رحيمة محسنة ، فلماذا قطع منذ أمد « جوامك » (رواتب) كثير من الأيتام والنساء والصبية المستحقين ، الذين تعودوا أن يستعينوا بها ، ورتبها لهم الملوك السابقون . ؟

الشيخ : يالك من خبيث ماكر ، لا تنفق عنده يد ، ولا تصلح لديه معذرة ! لقد كانت خزائن السلطان أول أمره خاوية ، وكان فى حاجة قصوى إلى المال . فكان لابد له من الاقتصاد فى الإنفاق . فلما امتلأت يده وأخصبت خزائنه أعاد سيرة المحسنين من الملوك ، وعهد البررة من السلاطين

ومع ذلك ! ألم يأمر بإبطال النادبات النائحات فى المآتم ، والذين يدقون الدفوف خلف الموتى ... ألا تذكر حينما تفشى الوباء فى القاهرة ، وفتك بالناس فتكه الذريع ، كيف قام القاهريون يندبون موتاهم ، وامتلأت حارات المدينة وأزقتها نواحاً وعويلا كأنما اشتعلت النيران فى ربوعها

ألم يأمر السلطان بتحريم شرب الخمر وكسر جرارها ومصادرتها فى بيوتها وضبط بائعيها والضرب على يد تجارها ، وأمر بكبس بيوت الحشيشة وإحراقها ، وإقفال دور « البوزة » وإراقتها

ماذا تريد يا شهاب الدين أن يفعل السلاطين ؟ لعل فى إراقة الخمر وكبس الحشيشة ما يؤلمك ويضنيك ؟ ولهذا فأنت ساخط

الشاعر : إنه لا يؤلمنى ذلك ولا يضنينى إلا بمقدار ما آلم وأضنى سلفنا الزجال الشاعر الأديب إبراهيم المعمار ... فقد قيل إن سلطان عصره الملك الأشرف شعبان بن حسين ، حفيد قلاوون ، حرم الخمر والحشيشة وأهدر كرامتهما . . فقال المعمار فى ذلك هذه المواليا الفكاهية :

يا من على الخمر أنكر غاية النكران
لا تمنع القس يملا الدن والمطران
وأمر ببلع الحشيشة تكتسب أجران
وتغتنم دعوة المصطول والسكران

الشيخ : قاتله الله ! وقبحه من شاعر زجال . . ! هكذا أنتم يا معشر المتشاعرين . . ! لا يلذ لكم مقام إلا بين بؤرة وبيئة ، وكأس مليئة . ومن شاء منكم الشهرة ، فليس أمامه من سبيل إليها إلا أن يمجن كما يشاء ، أو يهجو أحد العظماء

قل لى يا خليفة المعمار . ! لماذا رسم السلطان للأمراء بإلغاء نقبائهم الذين كان أرباب المظالم يفدون عليهم للفصل فى مظالمهم ؟ ورسم أن أحدا لا يشكو ، ولا يرفع قصة — قضية — إلا عن طريق قضاة الشرع ؟ أليس فى ذلك حماية للناس ورعاية لهم من جشع الأمراء والنقباء ، وجورهم . . أو ليس فى ذلك دعوة إلى أن تسود العدالة ، وترعى أحكام الشرع الشريف

الشاعر : هذا حسن ! وقد رسم السلطان بذلك كله ، حينما راعه أن الوباء استحر فى الناس ، وأعمل فيهم سيف فتكه وسفكه . فرأى أن يتقرب إلى الله بتلك القربى ، لعل الله يخفف بها الكرب عن المكروبين . . . ولكن لولا الوباء لما اتجهت فطنة السلطان إلى هذه المكرمة .. وعما قريب سترى أن الأمر عاد إلى ما كان عليه

فقال علم الدين الخياط : إننى أود من الأعماق أن يفئ الناس إلى أحكام الدين ، ويرعوا العدالة ، ويوكل أمر القضاء إلى قضاة الشرع دون سواهم . وأعجب كيف دخل حاجب الحجاب ، وغيره من الأمراء ، إلى باب القضاء ، وأصبحوا من الحاكمين بين الناس فى مظالمهم وخصوماتهم . إنهم كثيرا ما يجنحون إلى الهوى ، ويحكمون الغرض ، ويتذرعون بمناصبهم لابتزاز أموال الناس بالباطل ... فإذا وقف السلطان حاجزا حصينا دون غاياتهم الجائرة وعبثهم الظالم ، فوقفته تلك ، يد بيضاء مشكورة . . .

الشيخ : أجل ! أيها الأصدقاء ! تلك يد بيضاء مشكورة ، وكم للسلطان من أيادى ، وكم أحيا من عادات وتقاليد شعبية ، عفاها الزمان ودرست معالمها منذ أمد طويل .

إليكم مثلا دوران المحمل فى رجب ، ولعب الرماحة فى حفلة دورانه .. تلك عادة جميلة دارسة . وتقليد بائد محبوب لم تنعم به عيون القاهريين منذ سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة هجرية ، أيام حكم الملك الظاهر خشقدم . لقد كان لهم فى تلك العادة متعة وترويح ، وللقاهرة عندها زينة وتبرج

وها نحن أولاء نرى سلطاننا الغورى يأمر بتدريب الرماحة من جديد ، وبدوران المحمل فى رجب . ورجعت هذه العادة بذلك تقليدا جديدا من تقاليد بلادنا ...

أنسيتم فى سنة تسع وتسعمائة هجرية ، ليلة أن بات الغورى بالقصر ، وأحرقت إحراقة النفط بالرملة ... وفى الصباح .. جلس السلطان فى شرف مطل على الرملة ، وتقدم إليه الرماحة فى ثيابهم الحريرية الحمراء ، ومعهم رماحهم مشروعة فى أيمانهم ... لقد قاموا بألعابهم البهلوانية الجميلة الخلابة ، ثم طيف بالكسوة الشريفة والمحمل مرة فى بكرة النهار ، ومرة بعد الظهر . واجتمع الناس للتفرج به ، من كل حدب وصوب ، وافدين من القاهرة والخانكاة وبلبيس ومن نواحى شتى . حينذاك كنتم ترون الفرح يمشى بأمواجه المتدافقة جموع الناس . تلك الجموع المتراصة الضاحكة . وقد ألقى كل امرئ منهم همه جانبا ، وأراح كاهله من عبء أتراحه ، ونسى كل أثقال الحياة إلا هذه الفرصة الماثلة .. والناس ما بين حدث يافع ، وغلامة ناهد مخدرة ، ونصف عوان مختمرة ، وعجوزفانية مودعة . وبين شاب شارخ لدن ، وشيخ هم متداعى الأوصال ، وبين سيد قوم ، وشجاع همام صنديد ، وجبان نكس رعديد ...

لقد سرت حينذاك بين الجميع نشوة واحدة ، وانتظمتهم سكرة فرح مشتركة ، حتى أخذوا يرقصون وينشدون قائلين :

بيع اللحاف والطراحه حتى أرى دى الرماحه
بيع لى لحافى ذى المخمل حتى أرى شكل المحمل

الشاعر : لله درك ياولى الدين ! لقد أذكيت فى نفسى عوامل الشعر ، وأوقدت الشاعرية ، وأشملت فى خاطرى جذوة القريض بهذه الأوصاف والمواقف العاطفية ... وهكذا نحن معشر الشعراء .. ! نراع بكل مظهر من مظاهر العاطفية ، فردية كانت أم جماعية .. ويطوح بنا الخيال حينذاك فى ميادينه الواهمة وسنانه الحالمة .. فنعيش لحظات كالمحمومين ...

أما أنت وأمثالك يامعشر الفقهاء .. ! فلكم من هذه المظاهر ما فيها من طعام وشراب ، مما لذ وطاب . . . ولله در الفاطميين الذين ابتدعوا لنا ولأسلافنا أمثال هذه المواسم ، ليشغلوا أذهاننا وبطوننا عن سياستهم الخرقاء ، وعن تقصيها ونقدها ... وليبهروا أنظار العامة منا ببهارج لا طائل تحتها ، ولا غنية فيها . . ولله كذلك السلطان الملك الظاهر بيبرس، أول من أمر بخروج المحمل.. !

يامولانا الشيخ ! أنا لا أهتم بهذه الخزعبلات والترهات ، ولا أنظر إليها نظرة المحلل أو المحرم ، ولكنى أهتم كل الاهتمام بمن حول بلادنا من الأعداء ، وما بين جدرانها من الجبناء . .

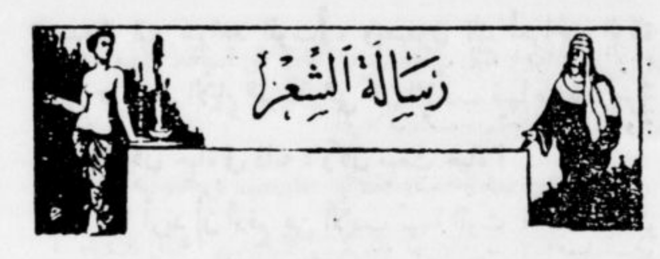
أتستطيع أن تذكر لى ماذا صنع الغورى لحماية الممتلكات المصرية ؟

المستوفى : الذى أعلمه أن السلطان حريص كل الحرص على هذه الممتلكات جاد فى الضرب على أيدى العابثين بها . حذر على بقاء نفوذه فى الأصقاع النائية

لقد أشخص إلى الأقطار الحجازية تجريدة لتأديب العرب الخارجين عليه فيها . كما بعث حملة قوية إلى شواطئ بلاد الهند للقضاء على عبث الفرنجة هناك بسواحل الممتلكات المصرية ، وعلى سلبهم أموال التجار . . وربما كان لسفر تغرى بردى الترجمان إلى بلاد الفرنجة للقاء بطركهم ، صلة بذلك . ولعل السلطان يهدد هذا البطرك بالقضاء على النصارى ببلادنا ، إن لم يدفع كيد أتباعه عن سواحلنا ومتاجرنا ..

الشاعر : هناك دولة بنى عثمان . دولة بنى عثمان . . . ! لقد كان بينها وبين سلاطين مصر السابقين مناوشات وتحارب . وقد قوى اليوم أمرها ، واشتدت مرتها ، وفتل ساعدها . ولا أدرى ماذا تخبئه الأقدار فى جعبتها لبلادنا المعزوزة ، على يد هذه الدولة الماكرة الخبيثة . . .

الشيخ ولى الدين : مهما يكن من شئ ، فهم مسلمون ، والجراكسة مسلمون .. والله يولى من المسلمين علينا من يصلح ..



النور الحائر

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

في ليلة من ليالى التى احترقت فيها الحياة .. وغام الناى بالنغم
مددت كفي نحو الله مبتهلا والنارمل دمى.. واليأس مل فمى:
يارب .. يارب هذا الكون أجمعه الخير والشر .. والأنوار والظلم
يا أيها الأزل المحجوب بالقدم يا أيها الأبد المستور بالعدم ..
يا أيها القدر العالى الذى صمدت به الطغاة .. وشالت كفة القيم
إنى شقى بأحلامى .. بفلسفتى بفطرتى .. بخيالى الجامح النهم
إنى غريب .. غريب عن عوالمهم وغربة الروح تنسى قربة الرحم
إنى على الأرض عيسى فى تعاسته ضحية الكافرين : الحقد والصمم
فامدد يد القوة العلياء ترفعنى إلى سمواتك القدسية العصم
حتى يراجع هذا النور منبعه إنى ابن شمسك لا ابن الطين والعدم
فأشرقت فوق وجهى صفحة كتبت بأحرف النور روحانية الكلم
لثمتها لثمة الإيمان مرتعشا ورحت أقرأ فيها حكمة الحكم
« إن السموات لا تعطى حقائقها إلا لكل نبى غير متهم ..! »

محمد مفتاح الفيتورى

الشاعر : هذه يامولانا الشيخ ! نغمة الذلة ووحى الضعف والاستسلام . ألا تحفظ قول الله سبحانه وتعالى : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » صدق الله العظيم

* * *

إلى هنا سمع صوت المسحر ، وأخذ يدق طبله ويردد أناشيده وقد أوقدت المصابيح إشعارا بدخول وقت السحور . وارتفع أذان المؤذن ينادى للسحور ، ويقول : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا »

فأفاق القوم من جدلهم وتنحنح الشيخ ولى الدين ، وحوقل .. ثم قال باسما : « أتحبون أن ننفض ؟ . أو نتناول بلغة هنا . . . ؟ والتفصيل على صاحبنا علم الدين . . ؟

فقال علم الدين الخياط ضاحكا : لقد نزلت على رأيك يا مولانا قبل أن تفصح به ، وأعددت لك المدة لنتناول جميعاً سحورنا هنا ، ثم نصلى الفجر بإمامتك فى مسجد السلطان

فأخذ القوم يلهجون بالثناء الطيب عليه

(للقصة بقية) محمود رزق سليم

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

المنظار المسروق

للأستاذ عبد المعطى حجازى

تنكر فى غدره واستتر وراح ورائى يقفو الأثر
وفى زحمة العيد مال الغبى على وظل يطيل النظر
وأحسن بى الظن من جهله فخال بأنى كنز العمر
لقد سرق النذل نظارتى وعاد قريرا بهذا الظفر
ولو علم الخائب العبقرى حقيقة مغنمه لانتحر
فليس بها من نفيس يباع إذا ما رجا طامع وانتظر
وفى السوق لا تشترى بالفلوس ، ولو جن بائعها أو كفر

* * *

ولكنها لى شمس النهار وعطر الزهور ونور القمر
غذائى إما أضر الطوى وربى إما اللهيب استعر
ومؤنستى إذ يعز الأنيس وراويتى حين يحلو السمر
ومشكاة ليلى إذا مادجا ومرمى أمانى وقت الخطر
أجوز بها كل عات عصى واغزو بها كل صعب عسر
وأمشى بها فى ظلام السطور فيسعفنى نورها المدخر
وأعلو إلى وكنات النسور وأهوى إلى مستقر الدرر

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

المسئولون عن موت الأدب :

هل الأدب قد مات ؟ سؤال جمله صديقنا الأستاذ سيد قطب عنوانا لمقاله الذى ظهر فى العدد (٩٣٩) من الرسالة ، أما الجواب الذى يحمل وجهة نظره فقد بدأه بهذه الكلمات : « يقول لك الكثيرون : أن نعم ! ويمصمصون شفاههم أسفا وحسرة ، وهم يمدون لك شواهد الموت ، ويصفون لك أعراض الوفاة ، ويترحمون على الأيام القريبة التى كان للأدب فيها صولة وجولة ، يوم أن كان حياة فى ذاته ، وكان مبعث حياة !

وما أريد أن أدفع عن الأدب تهمة الموت ، فقد تكون حقيقة ؛ ولكنى أريد أن أبحث عن القتلة ! القتلة الذين فعلوا هذه الفعلة ، والذين هم ماضون فيها للقضاء على الأنفاس الأخيرة التى تتردد فى تلك الجثة المسجاة ! إنهم فى نظرى ثلاثة :

الأدباء أنفسهم بمعرفتهم الشخصية وعلى عهدتهم !

والمدرسة المصرية بمعرفة وزارة المعارف العمومية !

والدولة كلها بمعرفة وزارة المالية ووزارة المواصلات !

هؤلاء هم المتهمون الثلاثة الذين خنقوا ذلك الأدب المسكين ، حتى سقط جثة هامدة ، والذين لا يزالون يخنقونه ليلفظ الأنفاس الأخيرة التى ما تزال تتردد فى خفوت ! فكيف كان ذلك ؟

فأما الأدباء فهم الذين انصرفوا كلهم أو معظمهم عن الإخلاص للأدب وللعمل الأدبى ؛ لأن هذا الإخلاص يكلف جهدا ومشقة ، ويكلف عزوفا عن شئ من الكسب المادى وعن فرقعة الشهرة الكاذبة . . إنه يكلف صبرا على التجويد ، وجهدا فى الإخراج ، ومعظم الأدباء — وبخاصة الذين كانوا يسمون الكبار — قد جرفتهم الحرب وما كان فى إبانها من رواج فى النشر ، فانهالوا على السوق بإنتاج سريع « مسلوق » لأن هذا الإنتاج السريع يحقق لهم أرباحا عادية عاجلة ، ويعفيهم من جهد البحث وأمانة العمل ، ويضخم فى الوقت ذاته قائمة مطبوعاتهم فى نظر الجماهير !

وقد أقبلت الجماهير عليهم فى أول الأمر . . ولكنهم شيئا فشيئا جعلوا يكررون أنفسهم ، بل يهبطون عن مستواهم . إنهم راحوا يجترون ما اختزنوه ، ولا يضيفون إليه شيئا ، ولا يضيفون للحياة الأدبية ولا للحياة الإنسانية جديدا

وكان الكثيرون من أدباء الصف الثانى قد أخذوا ببريق الشهرة التى ينالها المشهورون المكثرون ، فركضوا كذلك فى

وأعبر فى مجاريها الزمان   وأطوى على كاهليها العصر
وأنظر فى معجزات الوجود   وأقرأ فى صفحات القدر
وفى كل فن ، ومن كل روض   أطوف وأجنى شهى الثمر

* * *

نجمت بها فطوانى الظلام   وران على الدجى واعتكر
وأصبحت ألمح ظل السطور   كأطلال بيت هوى واندثر
ورقص فى عينى الكلمات   كما رقص الغصن وقت السحر
وأعثر فى هضبات الحروف   كأعرج يظلع فوق الحجر
وكنت رفيق المنى والكتاب   فصرت رفيق الأسى والضجر
وما لذة العيش فى روضة   إذا أنت لم تر حسن الزهر

* * *

ففى ذمة الله نظارتى   ذهبت شهيدة غدر البشر
وغفلة لص قليل الحياء   رخيص الذكاء قصير النظر
ويا أيها اللص ما من أديب   ثوى القرش فى جيبه واستقر
ولكنه كخيالاته   يجيء ويمضى كلمح البصر
تجل وأسرق الناس حتى الحفاة   وخذ إن لقيت الأديب الحذر
ففى جيبه ليس غير الهواء   وإن كان فى الرأس أغلى الدرر

القاهرة   عبد المعطى حجازى

الطريق ، وباتت المطبعة وأصبحت فإذا هي تساقط على رءوس القراء كتبا أقلها قيم ومعظمها هراء ...

واستيقظت فطرة القراء القلائل بطبيعتهم في العربية ، فإذا الإعراض والجفاء عن هـذا المكرور المعاد من أعمال الأدباء ، وعن الأدب كله عند كثرة القراء . . وصاحب هذا ركود حركة النقد الأدبي ، النقد الذي يزيف الزائف ، ويستبقي الصحيح ، والذي يخلق في الجو الأدبي حيوية ونشاطا وتطلعا وأخذا وردا ودفعة إلى الأمام

والذي بقي من النقد الأدبي انتهى إلى أن يكون أضحوكة ومهزلة ، فلقد تألفت شبه نقابات أو عصابات ، كل نقابة منها أو عصابة ،وكالة بالدعاية « لمنتجات الشركة » التي تنتمي إليها بطريقة مفضوحة مكشوفة ، لا تخفى على ذوق القارئ ، ولا تزيد على أن تقتل الثقة في نفسه بما يكتب وما يقال !

وامتدت هذه النقابات إلى دور الصحف والمجلات ، فعسكرت كل منها في مجلة أو صحيفة ، وأصبح محرما على أي كتاب لا ينتمي صاحبه إلى « شلة » معينة أن يجد له من صفحات تلك المجلات والصحف نصيبا . . وبهذا أطبق البلاء على النقد وعلى الأدب سواء ! »

* * *

هذه فقرات ممـا كتبه الأستاذ الصديق في عدد مضى من الرسالة . فقرات فيها الحق ، وفيها الصدق ، وفيها العرض الوفق لجانب من جوانب المشكلة التي نضعها اليوم على بساط البحث والمناقشة . نقول اليوم ونعني بقولنا الوقت الذي أثيرت فيه ودفعنا إلى شئ من التعقيب ، ونعود إلى الأمس القريب الذي عرضنا فيه للمشكلة قبل أن يعرض لها الأستاذ قطب ، هناك حيث قلنا في مقدمة كتابنا الذي سيكون بين أيدي القراء بعد أيام :

« في حياتنا الأدبية ظواهر تستوقف النظر ، وتغري بالبحث ، وتدعو إلى التأمل والمراجعة . وتستطيع أن تسمي كل ظاهرة من هذه الظواهر مشكلة ؛ مشكلة تتعدد فيها الجوانب ، وتتشعب الزوايا ، وتبقى بعد ذلك في انتظار العلاج . ولك أن تضع مشكلة النقد الأدبي في مقدمة المشكلات التي تعانيها الحياة الأدبية في هذه الأيام !

أول زاوية يمـكن أن ننظر منها إلى المشكلة ، هي أن أكثر الذين يتولون صناعة النقد لا يصلحون لها على التحقيق ؛ فبعضهم تنقصه الثقافة الرفيعة فهو من أنصاف المثقفين ، وبعضهم تنقصه التجربة الـكاملة فهـو من المبتدئين ، وبعضهم ينقصه الذوق المرهف فهو من ضعاف الملـكة وقاصري الأداة ! هذه الأركان الثلاثة من أركان النقد الأدبي نضعها مجتمعة في كفة ، لنضع في الـكفة الأخرى ذلك الركن الخطير الرابع ونعني به الضمير الأدبي وهو وحده مشـكلة المشـكلات ... وماذا تجدي الثقافة ، وماذا تجدي التجربة ، وماذا يجدي الذوق ، إذا كان الضـمير الأدبي لا وجود له ؟ لا شئ يجدي على الإطلاق ! لأن الضمير يوجه الثقافة فلا تجور ، ويهدي التجربة فلا تضل ، ويرشد الذوق فلا ينحرف . . وماذا نفعل وكتاب النقد الأدبي في مصر هم فئة من ذوي الأهواء والأغراض ، يسيرون في ركاب هذا وذاك ، يصفقون وليس هناك مايدعو إلى التصفيق ، ويهتفون وليس هناك ما يبعث على الهتاف ! ؟ الضمير الأدبي عندنا هو مشكلة المشكلات ، وأعجب العجب أن الذين يتولون صناعة النقد في هذه الأيام لا يشعرون بأنهم معرضون لميزان غيرهم من النقاد ، وأنهم حين يظفرون بثناء بعض الناس يفقدون من الـكثرة الغالبة كل احترام وتوقير ، لا يشعرون بشئ من هذا لأنهم أغمار ، ولأنهم أصحاب أهواء وأغراض !

النقد الأدبي في مصر تنقصه هذه الدعائم الأربع مجتمعة : الثقافة ، والذوق ، والتجربة ، والضمير . . . ونقول مجتمعة لأن هنـاك المثقف المحروم من الذوق ؛ ذلك الذي يوفق حين يقدم إليك نظرية في النقد ويخفق إذا ما وصل إلى مرحلة التمثيل والتطبيق . وهناك المثقف الذي لم يمد ثقافته بروافد من التجربة الـكاملة ؛ ونعني بها معالجة الـكتابة في النقد الأدبي على هدى الإحاطة التامة بأصوله ومناهجه . وهناك المثقف الذي تجتمع له

الثقافة والذوق والتجربة ولكنه يتخلى عن الضمير ؛ حين يدفعه الهوى إلى أن يهاجم الخصم ويجامل الصديق !

هذه هي بعض الزوايا التي ننظر منها إلى من يتولون صناعة النقد في هذه الأيام . . وتبقى بعد ذلك زاوية لا تقل عن سوابقها خطورة ؛ وهي أن هؤلاء الناس تنقصهم صنعة التخصص : فبعضهم يتحدث عن القصة وهو لا يعرف شيئاً عن الخطوط الفنية التي تكون الهيكل العام للقصة ، وعن المسرحية وهو لا يدرك على أي الدعائم يقوم البناء الفني للمسرحية ، وعن أدب التراجم وهو لا يستطيع أن يفرق بينه وبين غيره من ألوان الدراسة الأدبية ، وعن الشعر وهو محروم من نعمة الشعور . ومما يبعث على الأسف أن الذين أجادوا التحليق يوما في أفق النقد قد هجروه إلى غيره من الآفاق ، دون أن يقدروا مدى الفراغ الذي تحسه المكتبة العربية في هذا المجال !

نظرت إلى النقد الأدبي في مصر فوجدته على تلك الحال : يغلب عليه طابع الغفلة والبلادة والجهل والمجاملة ... ونظرت إلى أدبنا في محيط الدراسة الفنية فوجدته في أكثر حالاته أدب المحاكاة الناقلة لا أدب الأصالة الخالقة ؛ أدب الترديد والتقليد لا أدب الإبداع والتجديد : ليس له طابع خاص وليست له شخصية مستقلة ، وإنما ضاع طابعه واختفت شخصيته في زحمة الجلوس إلى موائد الغير بغية الاقتباس من شتى الطعوم والألوان . . لماذا لا تكون لنا آراؤنا الذاتية ونظراتنا الخاصة وأذواقنا المتميزة ؟ لماذا لا نحاول أن نقف على أقدامنا دون أن يساعدنا أحد على الوقوف ، وأن نسير دون أن يدفعنا أحد إلى السير أو يحدد لنا معالم الطريق ؟ لماذا نجبن في أكثر الأحيان عن القيام بمثل هذه المحاولة ؟ أهو ضعف في الشخصية الأدبية يحول بيننا وبين الكرامة العقلية ، أم هو نقص في الوسائل وقصور في الأدوات ؟ ! أغلب الظن أن للناحيتين أثرهما البعيد في صبغ الأدب المصري بصبغة الجمود والركود ، وفي الوقوف به عند تلك المرحلة التي وصفناها بأنها مرحلة المحاكاة الناقلة لا الأصالة الخالقة إنني أتحدث هنا عن أدبنا المصري في نطاق الدراسة

الأدبية والنقدية . . . الدراسة التي تضع تحت المجهر نظرية في الأدب أو مشكلة في الفن ، أو شخصية كان لها في محيط الفكر الإنساني مكان ملحوظ . إننا إذا تحدثنا مثلا عن نظرية أدبية ظهرت في أفق غير هذا الأفق الذي نعيش بأفكارنا فيه ، كان كل صنيعنا أن ننقلها كما وعيناها فإن زدنا عليها شيئا فهو من أقوال غيرنا بلا مراء . . . وقل مثل ذلك إذا عرضنا في ميدان الفن لمشكلة من المشكلات أو لشخصية من الشخصيات ، سواء أكانت المشكلة تتصل بكياننا الأدبي أم كانت الشخصية من تراث الغرب أو من تراثنا العربي القديم . لا نحاول مخلصين أن يكون لنا رأي مبتكر يضارع هذا الذي قرأناه ، أو مذهب مبتدع ينافس هذا الذي نقلناه ، أو تعقيب جديد يمترض في جرأة وشعور بالشخصية على وجهة نظر خرج بها كاتب غربي على جمهرة القراء . . . ومن هنا مات أدبنا وانصرف عنه الذين أقبلوا عليه في يوم من الأيام !! »

قلنا هذا في مقدمة الكتاب الذي يتطلع إلى النور في الغد القريب ، ونخرج من هذا الذي قلناه بأننا متفقون مع الأستاذ قطب في هذا الجانب الأول من جوانب المشكلة ، ونعني به نصيب الأدباء في جريمة قتل الأدب كما عبر هو وأصاب في التعبير . ولعلك تلاحظ أن الاتفاق هنا قد تم في ميدانين هما ميدان الأدب وميدان النقد ، بالنسبة إلى ما يتصف به كلاهما من أسباب النقص وعوامل القصور ... وإذا كان هناك اختلاف فهو في طريقة العرض واتجاه خط السير الذي لم يحل مع ذلك بيننا وبين اللقاء في نهاية الطريق !

ومرة أخرى نتفق مع الأستاذ قطب في نظرته إلى الشعر حيث يقول : « ونسيت الشعر المسكين ، وما رزأتنا به المطبعة في هذه السنوات الأخيرة من ركام يتفاخر أصحابه بضخامة الحجم وكثافة الوزن ، ويستعينون بصداقاتهم وبوسائلهم الخفية على الخروج به على الناس في غير ما خجل ولا حياء !

لقد نظر أحد أصدقائنا إلى ديوان من هذه الدواوين ، وقد اكتنز شحما ولحما ، وهزل معنى وروحا ، ثم قلبه في يديه وقال:

قديما كان يقال : حمار شغل . فها نحن أولاء قد عشنا لنرى : حمار شعر !

وفي هذا الجو تختنق روح الشعر ، أو الأنفاس المترددة في جوه الكظيم . ويكره الناس الشعر والشعراء ، وينفرون من مجرد رؤية الدواوين ، فضلا عما تحتويه من نظيم ! »

كانت هذه كلمات الأستاذ الصديق وهو يشير إلى ديوان كبير الحجم أخرجته المطبعة منذ شهور ، ولا أظن أن ذلك الديوان بعد هذه الإشارة قد خفي على فطنة القراء . . . ولقد قلنا مثلها ونحن نتحدث عن الشعر المصري في الأعوام الأخيرة عارضين ومعترضين هناك في الصفحة الحادية عشرة بعد المائتين من كتابنا الذي يتطلع إلى النور في الغد القريب : « حياتنا الأدبية تعاني تخمة في الشعر وأزمة في الشعور . . . إن نظرة واحدة إلى ما تخرجه المطبعة من دواوين الشعر في هذه الأيام ، تنتهي بك إلى الإيمان بهذا الحكم ؛ الإيمان به كحقيقة ملموسة . ونظرة فيها التذوق والتمعن تسلمك إلى حقيقة أخرى لا تقل عن الأولى صدقا وأصالة وهي أنك لو رحت تبحث وسط هذه التخمة الشعرية عن آثار فنية ترضي الذوق حين تحفل بصدق الشعور ، لما وجدت غير بضعة دواوين لقلة من الشعراء المطبوعين . ونظرة ثالثة فيها التأمل والنفاذ تقنعك بأن أزمة الشعور عند الكثرة الغالبة من شعرائنا مرجعها إلى أن التجربة النفسية قد تمر بهم فكأنما تمر بفراغ موحش ، لا تلقى فيه إلا مجموعة حواس معطلة لا تستجيب لأحداث النفس والحياة » !

نحن هنا أيضا متفقون مع الأستاذ الصديق ، فإذا اختلفنا فهو الاختلاف الذي يتمثل في طريقة العرض واتجاه خط السير الذي لا يحول بيننا وبين اللقاء في نهاية الطريق !

هذا الأدب المصري الذي شهدت موته على يد الأدباء المصريين ، هو الذي أحال القلم يوما في يدي إلى معول ثائر ، معول تنصب ثورته على بعض القيم والأوضاع . . ومن هنا قيل عني أو قيل لي : إنك عامل هدم في الحياة الأدبية ولست عامل بناء ! ولم أضق بهذا الاتهام السافر الذي وجه إلي على صفحات « الرسالة » ، لأنني قد طبعت على ألا أضيق بأي اتهام ما دمت قادرا على الدفاع !

قالت وثيقة الاتهام بعد كلام طويل : « إننا نفخر بك ككاتب له رسالة ، وهدف يحاول أن يحققه عن طريق النقد والتوجيه . . . غير أن آراءك ونقدك تتسم غالبا بطابع العنف والقسوة ، ولذلك فأنت في نظرنا عامل هدم ولست عامل بناء . وفرق كبير بين كاتب يحاول أن يضيء شمعة وسط الظلام ، وآخر يسعى إلى ذبالة النور التي يتلمسها كل حائر ليطفئها ! أنت كاتب طويل اللسان من أول يوم خطوته في طريق المجد ؛ المجد الأدبي الذي يهيب بك أن تبقي على الشموع التي تضيء لنا الطريق » !

وقالت وثيقة الدفاع في مجال التفسير والتبرير : « يتهمونني بأنني كاتب طويل اللسان ؟ هذا حق لا أجادل فيه ! وأزيد عليه أنني واحد من الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على الشجاعة ، حتى لتدفعهم صراحتهم وشجاعتهم إلى أن يقولوا عن أنفسهم ما قد يشفق منه غيرهم من الناس . ولولا هذا الذي فطرت عليه وجبلت ، لما وافقت متهمي على أنني كاتب طويل اللسان أوافقهم على هذه المقدمة وأختلف معهم حول ما انتهوا إليه من نتيجة ، محورها أنني عامل هدم في الحياة الأدبية ولست عامل بناء . . . هنا شيء من الظلم للحقيقة والمجافاة للواقع ، لأنني ما استخدمت طول لساني في هدم قيمة من القيم إلا إذا كانت بالية ، ومتداعية وينبغي أن تزول . أعني أنني لا أهدم إلا ونصب عيني هدف واحد هو أن أقيم البناء الموطد الأركان على ركام الأنقاض !

أقول هذا ولا أريد أن أذكر أسماء من هاجمت من الأدباء . حسبي أنني آمنت وما زلت أومن ، بأن الحياة الأدبية في مصر محتاجة إلى حركة تطهير يقوم بها لسان طويل ! ذلك لأن الأدب هنا ، في هذا البلد ، أشبه برجل كريم النفس سمح الخلق مضياف : يفتح بابه لكل طارق ، ويهيئ مائدته لكل عابر ، ولو اندس بين جموع الطارقين والعابرين من هم خلاصة الأدعياء والمتطفلين ! هذا الرجل ، الذي هو الأدب ، في حاجة إلى صديق طويل اللسان ينهر تلك الجموع المتطفلة ، الدخيلة ، التي استغفلت سماحة رب البيت ونبل محتده وكرم ضيافته ، فاندفعت من أبوابه وجلست إلى موائده ، في غير ما خجل ولا حياء . . . هذا الصديق الطويل اللسان هو كاتب هذه السطور ، ولا ضير عليه أبدا إذا ما أنقذ الرجل الكريم الضياف من هؤلاء الضيوف الثقلاء ، وألهب

ظهورهم بالسياط !

وليصدقنى أصحاب الاتهام أننى أضيق بأضواء الشموع ؛ هذه الأضواء الضئيلة، الهزيلة ، التى لا تستطيع أن ترد عادية الظلام . وإذا كنت قد دأبت على إطفائها فلأننى أوثر أن أحدق فى أضواء المصابيح الضخمة ، المتوهجة ، التى يغمر شعاعها كل حنية وكل ركن وكل تعريجة فى منعطف الطريق . ولتبق هذه ولتذهب تلك ما دمنا نريد للنور أن يقوى على مواجهة العواصف والأعاصير ؛ هدم للقيم البالية المتداعية يعقبه بناء على ركام الأنقاض ، وإخماد للأضواء الضئيلة الهزيلة يشع على أثره كل نور وهاج .. أهذا هو ما ألام عليه وتوجه إلى من أجله فنون الاتهام ؟ إن الصورة التى تستمد أضواءها وظلالها من هذه الكلمات لجديرة بتأمل العائبين » !

فقرات أخرى أثبتناها فى مقدمة الكتاب الذى يتطلع إلى النور فى الغد القريب.. من هم الذين عنيناهم بتلك الفقرات ونحن فى موقف التفسير والتبرير ؟ هم أولئك الأدباء المجترون الذين عناهم الأستاذ قطب بكلماته وهو يتحدث عن نصيبهم فى جريمة قتل الأدب و « تطفيش » القراء ؛ وهم أيضا أولئك المتطفلون على موائد الأدب فى غير ما خجل ولا حياء ؛ وهم مرة ثالثة أولئك الذين يمثلون العصابات فى دور الصحف والمجلات !

هذه العصابات الأدبية قد هاجمت بعضها يوما على صفحات « الرسالة » هجوما لا هوادة فيه . . . من هذا البعض عصابة كان يمثلها ثلاثة : أولهم ينسب جهلا إلى الفلسفة، والثانى ينسب غفلة إلى الشعر ، والثالث ينسب ظلما إلى الأدب ! وهم بعد هذا كله متطفلون على موائد النقد .. لا يكاد يظهر لأحدهم كتاب حتى يبادر الآخران إلى الكتابة عنه فى أكثر من صحيفة، مشيدين بما تزخر به صفحاته من علم ، مشيرين إلى ما يتمتع به صاحبه من نبوغ ! وتقرأ الكتاب فتضحك ، وتقرأ النقد فتسخر

يريد صديقنا الأستاذ قطب أن يحمل الأدباء ووزارة المعارف ووزارتى المالية والمواصلات مسئولية قتل الأدب . . كلا أيها الصديق ؛ إن الأدباء وحدهم هم المسئولون ! هل وزارة المعارف أو وزارة المالية أو وزارة المواصلات هى التى « طفشت » القراء ؟ إن هؤلاء القراء لم يزهدهم فى القراءة ولم يصرفهم عنها غير هذا الأدب الجامد الذى لا حياة فيه ؛ الأدب الذى ينتجه فريق من المجترين وفريق من الأدعياء والمتطفلين ! ترى هل تستطيع تلك الوزارات الثلاث مهما أوتيت من القدرة على إخلاء الطريق أمام أدبنا من العقبات ، ترى هل تستطيع أن تقنع القراء بالعودة إلى هذا الأدب من جديد ؟ لا أظن .. لأن هذا الأدب بوضعه الذى تحدثنا عنه وتحدث عنه الأستاذ الصديق ، لا يمكن أن يحبب القراءة إلى الجمهور القارئ بعد أن خبره مرة ومرات ! لا يمكن أن يحببها إليه ولو رفعت وزارة المالية قيود التصدير ويسرت وزارة المواصلات وسائل النقل وضحت وزارة المعارف فطبعت هذا الأدب على نفقتها ووزعته على الناس بالمجان !

إن المشكلة مشكلة هذا الأدب الجامد الذى لا حياة فيه ، ولن تحل هذه المشكلة إلا إذا بعثنا هذا الأدب من مرقده ونفضنا عنه التراب ، ولن يتم هذا البعث إلا إذا وجد لدينا عدد من الأدباء المجددين ، أولئك الذين يحملون نصب أعينهم أن ينقلوا الأدب من مرحلة المحاكاة الناقلة إلى مرحلة الأصالة الخالقة ... عندئذ يمكننا أن نجبر القراء على القراءة بعد أن نعيد إليهم الثقة المفقودة والإيمان المسلوب ، وعندئذ يمكننا أن نقضى على البقية الباقية من المجترين والمتطفلين ، أولئك الذين يتحملون وحدهم تبعة قتل الأدب فى وضح النهار ... مع سبق الترصد والإصرار ! **أنور المعداوى**



نظرات فى اصلاح الريف

تأليف الأستاذ عبد الرازق الهرلى

للأستاذ على محمد سرطاوى

(١٤٣ صفحة ، مطابع دار الكشاف ببيروت — الطبعة الثانية)

هذا كتاب الموسم فى العراق ؛ تلقته النفوس المؤمنة بالإصلاح الاجتماعى ، باللهفة والغبطة ، والشوق ، كما يتلقى الثرى المكدود ، الجاف ، قطرات الغيث ، تهطل من جفون الغيوم ، فأعيد طبعه ، ولما تمض على الطبعة الأولى . غير بضعة شهور ، فكان ذلك تقديرا ، بليغا ، صامتا لرسالة الكتاب العظيمة

ومؤلف هذا السفر النفيس ، شاب فى طليعة شباب العراق طموحا ، وثقافة ، وتفانيا فى خدمة الهدف المجيد ؛ طوف فى الشرق والغرب ، فأفاد من ذلك تجارب ، لها قيمتها ، وخطرها ، وأثرها فى صقل مواهبه وتجاربه وتوجيههما التوجيه الذى ربط روحه بأرواح الملايين المعذبة من أبناء جنسه ، فى سبل الحياة ، فانعكست منهم على نفسه تلك المانى التى تقشعر من هولها الأبدان ، مجسمة لأولئك البائسين ، فى مظاهر الجوع والمرض والجهل ، فكان هذا الكتاب تعبيرا صادقا عن هذه المانى

درس الآداب متخصصا فى دراسته الجامعية ، وضرب بسهم وافر فيه ، وصال وجال فى ميادينه مؤلفا ، وكاتبا ، ثم مد بصره إلى آفاق القانون فحلق إلى أعاليها كالنسر الجرئ ، ثم راح يتدرج فى الخدمة المدنية من التدريس إلى التوجيه فى وزارة المعارف ثم إلى إدارة نقابات العمال فى مديرية العمل والضمان الاجتماعى ، وأخيرا استقر فى البلاط الملكي العامر ، مساعدا لرئيس التشريفات فى بغداد

والمعذبون فى ريف العراق ، هم أولئك الفلاحون الذين يؤلفون سبعين فى المائة من مجموع السكان ؛ يتضورون جوعا على مدار السنة ، ويتحركون عراة ، حفاة ، مرضى . على الأرض التى يسخرون على زرعها بالإكراه ، كما تتحرك الأنعام ، التى لا تملك من أمر نفسها شيئا ، وإنما يملك أمرها صاحب الأرض الظالم ، ذلك الراعى ، الذى يذبحها إذا شاء ، ويجيعها إذا أراد ، ويبيعها متى أحب

ومن دواعى الاغتباط العميق ، والأمل الباسم ، أن يبعث الله إلى الظلام الحالك فوق دنيا هؤلاء المعذبين ، إقباسا من رحمته تشرق من قلوب طبقة من الشباب المتزن ، المؤمن بربه ، وعظمة أمته ، لا تعيش على هامش الحياة فى تلك الأبراج العاجية السخيفة التى يلجأ إليها ، عادة ، المهزومون من الحياة ، والذين لا يصلحون لها ، ولا تشعر بوجودهم فيها ، وإنما يضطرمون فى صميمها ، ويجاهدون أحداثها ، ويمدون أيديهم لإنقاذ الملايين من نفوس مواطنيهم ، التى يدفعها الجوع والمرض والجهل إلى تصديق كل ما تزيفه لها الحضارة الغربية من أوهام وأباطيل ؛ ويحولون بين أولئك المواطنين ، وبين الجرى وراء سراب الشيوعية الخادع ، ذلك السراب الذى يتراءى لأعينهم فى بيداء ظلم الحياة وعذابها ، ماء ، وما هو بالماء ... وإنما هو لعاب الشيطان تمكسه زبانية الجحيم على أجنحتها فى الفضاء ، تغريرا بالمغفلين

* * *

وأصدرت المطابع الغربية كتبا كثيرة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، تحدثت فيها عن قصة الجوع فى الشرق الأوسط ، وعن الظلم الاجتماعى ، وما قد يجر وراءه هذا اللون من الاضطهاد والإرهاق للجماهير ، ومن كوارث يخشى منها على هدم هذا المجتمع التعس ، وحذرت المسؤولين وأنذرتهم باقتراب العاصفة ، وأوصيت بالقيام بإصلاح شامل سريع

ومن بين هذه الكتب المتعددة ، كتاب بالإنجليزية ألفته المس وارنر ، وقام بنشره معهد العلاقات الدولية فى بلاد الإنجليز تحت عنوان (الفقر والجوع فى الشرق الأوسط)

Food and poverty In The Middle East

والكتاب دراسة مركزة لمشاكل الفلاحين فى مصر وفلسطين وشرق الأردن ، ولبنان وسوريا والعراق ؛ قالت فيه

من مصر ، إن العلاقات التى تربط الإنسان بالحيوان ، عن طريق الرحمة الإنسانية ، والشفقة المطلقة ، لا وجود لهما بين مالك الأرض والفلاح هناك ، وحذرت من انفجار اجتماعى مفاجئ قد يعصف بالحياة عصفا عنيفا لا رحمة ولا هوادة فيه ، وأوصلتها دراساتها إلى وجود مليونين من الجائمين فى مصر يجب نقلهم إلى العراق للعمل فى الزراعة ، بحكم التشابه بين مناخ البلدين ، وبحكم الصلات المتينة من الدم واللغة والدين والجوار بين الشعبين ، ولكنها لم تحبذ ذلك العمل الآن ، لعلمها أن الفلاح العراق يئن من ظلم أشد هولا ، وأرجأ ذلك العمل إلى ما بعد الإصلاح الاجتماعى الشامل الذى يجب أن يتم سريعا فى العراق . .

ومضت تدافع فى كتابها عن سياسة أبناء جنسها فى مصر وفلسطين وشرق الأردن والعراق ، وعن أصدقائهم الفرنسيين فى سوريا ، حينما عجزوا عن تقديم أية مساعدة لتلك الطبقات المعذبة فى تلك البلدان التى حكموها حكما مباشرا ، أو غير مباشر ، مدة ثلث قرن من الزمن أو يزيد ، فزعمت فى معرض دفاعها ، أن الطبقات الأرستقراطية التى ورثت النفوذ من الماضى ، كانت تحرض ، تلك الجماهير عليها ، عن طريق الوطنية الرخيصة ، الرعناء ، غير الواعية ، وتدفعها إلى الثورة ، فكانت والحالة هذه ، مضطرة إلى مهادنة تلك الطبقات ، وإطلاق يدها ، وإفساح المجال لها تعبث بهذه الجماهير ، وتظلمها وتسومها الخسف كما تشاء وتريد ، حبا فى استتباب الأمن

ونحن لا نريد أن نصدق هذا القول ، لا لأنه بعيد الاحتمال ، بل لأن التجارب علمتنا أن نكون حذرين فى كل ما نسمعه عنا من أقلام الغربيين ، ونشك فيه ، ونعتبره دفاعا باطلا عن الظلم الذى أصاب هذه الطبقات من أبناء جنسها ، وأصدقائهم الفرنسيين ونرى أن الفرص التى تتيح إشاعة العدالة ، والإصلاح الاجتماعى لم تكن فى استطاعة الطبقات العربية التى أشارت إليها ، بحكم سوء التوجيه الخفى ، الذى لا تكاد تجهله المس وارنر ، وتعرفه الدنيا . .

وشىء آخر يراه القارئ المتأمل فى ذلك الكتاب ؛ تلك هى الصورة التى رسمتها لشقاء الفلاحين ، فلقد كانت مشوشة ، غامضة ، بعيدة عن الواقع ، بعدا كبيرا ، إذا ما قارناها بتلك الصورة الرائعة التى رسمها الأستاذ الهلالى لأولئك المعذبين بألوان زاهية من دم قلبه ، وعواطفه وحبه العميق

وكلما قارنت هذه الصورة بتلك التى رسمها قلم المس وارنر ، وغيرها من كتاب الغرب لحياتنا الاجتماعية ، كلما ازددت إيمانا بأن صاحب البيت أدرى بالذى فيه ، وكلما بدالى الضلال المبين الذى نسج فى غمرة عقول لا تزال تؤمن بالغرب حتى فى الحديث عن أنفسنا ، وعاب أحد أصحاب هذه العقول على المؤلف عدم رجوعه إلى المصادر الأجنبية فى وصف حياة الفلاحين فى العراق فكانت لفتة غير موفقة ، وزلة كشفت عمله فى أعماق النفس ، تستحق السخرية العميقة من المتزنين

ونحن فى سبيل الحديث عن الفلاح العراق . إنما نتحدث عن الفلاح فى كل جزء من وطن العروبة ، فلقد وحد الألم المشترك والعذاب الذى لا يحتمل ، والظلم الاجتماعى الذى لا يطاق ، بين قلوب أولئك المعذبين ، على بعد الدار ، ونأى المزار ، فكان الحديث عن أية طبقة منهم فى أى مكان من الوطن الشامل ، إنما هو الحديث عنهم جميعا

* * *

العراق بلد زراعى ، ومساحته (٤٣٥) ألف كيلو متر مربع ، وعدد السكان فيه يقرب من خمسة ملايين ، وكان هذا العدد زمن العباسيين يزيد على أربعين مليونا . والأرض الصالحة للزراعة فى الوقت الحاضر تبلغ مساحتها (٩٢) ألف كيلومتر مربع ، لا يزرع منها غير خمسها

وتقسم الأرض الزراعية إلى منطقتين : شمالية ، وهى الأرض التى تعتمد الزراعة فيها على مياه الأمطار ومساحتها (٤١) ألف كيلو متر مربع ؛ وجنوبية وهى التى تعتمد الزراعة فيها على مياه الأنهار ومساحتها (٥١) ألف كيلو متر مربع

ويتألف سكان العراق ، من البدو الرحل ونسبتهم العددية لمجموع السكان ثمانية فى المائة ، وسكان المدن ، ونسبتهم العددية ، اثنتان وعشرون فى المائة ، وسكان الأرياف ، وتبلغ نسبتهم سبعون فى المائة

وتؤلف القرية فى منطقة الأمطار الشمالية ، الوحدة الاجتماعية ، وكان فيها الفلاح على وجه العموم ، يتمتع بملكية



هل مات الأدب:

كتب الأستاذ سيد قطب مقالا بمجلة الرسالة عنوانه (هل الأدب قد مات) . وهـذا التركيب ليس صحيحا ، أو على الأقل ليس فصيحا ، ذلك أن النحاة مجمعون على أن (هل) لها مزيد اختصاص بالفعل ، وأنه إذا كان الفعل فى جملتها اقترنت به ، ولا تقترن بالاسم ، فلا يقال عندهم فى الـكلام الفصيح هل الأدب قد مات ، وإنما يقال هل مات الأدب

نعم تدخل (هل) على الجملة الاسمية الخالصة نحو قوله تعـالى (فهل أنتم منتهون)؟ وقول الشاعر (هل الأعصر اللائى مضين رواجع) والشواهد على ذلك كثيرة

ولسعد الدين التفتازانى عبارة مستملحة فى التفرقة بين دخولها على الاسم إذا كان خبره اسما ، وعدم دخولها عليه إذا كان خبره فعلا يقول : «وقلت الفرق أنها — يريدهل — إذارأت الفعل فى حيزها تذكرت عهودا بالحمى ، وحنت إلى الإلف المألوف وعانقته، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما ، بخلاف ما إذا لم تره فى حيزها فإنها تسلت عنه ذاهلة »

ويقول فى موضع آخر : وما ذكره صاحب المفصل من أن نحو هل زيد خرج على تقدير الفعل فتصحيح للوجه القبيح البعيد ، لا لأنه شائع حسن

وحتى على ما يرى الزمخشرى لا تستقيم عبارة الأستاذ قطب ، فإن الـكلام عليه يقدر هكذا ، هل قد مات الأدب ، لأن دخول (هل) على (قد) ليس بشئ

على العمارى

كلمة حول رسالة الأزهر :

لاجرم أن الذين يكتبون عن الأزهر فى هذه الأيام منصفون مخلصون ، يدفعهم إعانهم بمكانته ، وفهمهم لحقيقة رسالته ،

صغيرة ، وشبه استقلال ، ولـكن مرور الزمن ، جعل (المختار) أو (الأغا) مستبدا ، فاعتدى على الفلاحين ، واستولى على أراضيهم ، وسكتت السلطات ، وغضت الطرف عن هذا الظلم ، حتى غدا الفلاح عاملا مأجورا (اللأغوات)

أما فى الجنوب ، فتتألف الوحدة الاجتماعية ، من القبيـلة ، تمتعت منذ زمن موغل فى القدم بحق المعيشة فى أراض واسعة ، يطلق عليها اسم (الديرة) ، وزعت الأراضى منها على الرؤساء ، والمشايخ ، وغدا أفراد القبيلة مزارعين عند هؤلاء ، لا يملـكون شيئا . . .

وهذا النوع من الملـكية فى المنطقتين المذكورتين ، ليس إلا لونا من ألوان الإقطاع البغيض ، يجعل لفريق من أبناء الأمة سلطانا على أرض الوطن وأبنائه ، مرتـكزا على حق الوراثة ، أو حق الغزو ، أو حق العصيان ، وسلطان من هـذا النوع ، لايستمد قوته من إرادة الأمة ، ولا يوافق مصالحها ، ويجب القضاء عليه

وظيفة الفلاحين لا تتناول ما يكفيها من الأغذية المـكونة للطاقة الحرارية ، أو المـكسبة المناعة ، فهم فى شبه جوع دائم، ويمكن القول أن ثمانين فى المائة من السكان لا تتوفر فى أغذيتهم المواد التى يحتاج إليها الجسم

وسوء التغذية يجعل الجسم عرضة للأمراض الفتاكة التى يشكومنها الفلاح العراقى ، كالملاريا ، والبلهارسيا ، والإنكلستوما، والزحار ، والسل الرئوى ، والزهرى ، والتراخوما

وعدد الأطباء فى العراق (٨٢٦) طبيبا ، ويتركز منهم فى بغداد ولوائها (٥٢٧) طبيبا ، ويبقى لألوية العراق الأخرى البالغ عـددها ثلاثة عشر لواء (٢٩٩) طبيبا ، ومن تحصيل الحاصل أن يزعم إنسان أن فى مقدور هذا العدد الضئيل ، مكافحة تلك الأمراض الفتاكة

(البقية فى العدد القادم)

على محمد سرطاوى

ومعرفتهم بكنه منزلته ، وما يجب أن يكون عليه أهله - يدفعهم ذلك إلى الصراحة فى القول ، والجرأة فى تصوير الداء ، وتشخيص العلة ، وتجسيم المرض ، ثم إلى وصف الدواء أخيرا .. والصراحة لا تتقبلها النفوس بارتياح فى هـذه الأيام ، ولا ترى فيها محض النصح ، ولا خالص الإرشاد ، بل على العكس من ذلك ، وقد ترى فيها سوء النية ، وفساد الطوية ، والرمى إلى التجريح ، والسعي إلى التشهير والتقبيح ، سواء بالإفصاح أو التلميح . !

ولذا ، فإن هذه الصراحة تؤذى بعض رجال الأزهر ، ممن يعتزون بأزهريتهم ، ويحرصون على كرامتهم ، ويرون فى تجسيم الداء ، وتـكبير العلة ، وتضخيم المرض ، تجنيا على الأزهر والأزهريين ، ويذهبون إلى أبعد من ذلك ، فيعتقدون أن هناك نية مبيتة ، تهدف إلى النيل منهم ، والطعن فيهم ، وتهوين عملهم ، وبخاصة فى هـذه الأيام بالذات ، حيث يرون عملهم عظيما ، وجهدهم كريما ، ولهـذا يعملون جاهدين لإنصافهم ، ويسعون جادين لنيل حقهم المهتضم ، والذود عن حوضهم المهتدم ، والدفاع عن حماهم المستباح ...

ومما لا شك فيـه أن المنصف يرى فيما نشر عن رسالة الأزهر ، تجنيا إلى حد ما ، ففيه تغافل عن جهود الأزهر فى مختلف نواحى الحياة ، حتى جهوده التى تعتبر عماد حياته ، وجماع كيانه ، وأساس وجوده . .

فالثقافة الإسلامية الحية المطبقة على واقع الحياة والتى يريدها الـكاتب ، تدرس فى كليات الأزهر الثلاث ، كلية اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، دراسة مستفيضة ، لا توجد فى أى معهد يماثلها ، فى مصر كلها ، بل فى الشرق العربى ، أو العالم الإسلامى .. تتناولها كل كلية من زاوية خاصة ، وتلونها بلونها ، وتطبعها بطابعها .. دراسة عامة شاملة بادئ ذى بدء ، ثم تعطى اهتماما خاصا بما يتصل بها ، بالقدر الذى تسمح به مناهجها ، ويعطيك فى الوقت نفسـه فـكرة إسلامية ناضجة فى هذه النواحى الثلاث ، من حيث اللغة والأدب ، والعقيدة الخالصة ، والفلسفة الفاحصة ، والشريعة ومسائلها ، وفروعها وأحكامها . .

هـذا ما يجدر بالمنصف أن ينكره ، أو يسقطه من حسابه عنـد الحديث عن الأزهر ورسـالته ، أو يتغافل عنه ويتناساه ، كما لا يجوز له أن ينكر ما يقوم به بعض أساتذة الـكليات الأزهرية ، وكبار العلماء ، والمتخرجين فى الأزهر وكلياته ، بل وبعض الطلاب فيه .. لا يجوز أن ينكر ما يقومون به من جهد واضح ، وسعى دائب ، فى توضيح المذاهب الإسلامية المختلفة ، والآراء الفقهية المتباينة ، وإلقاء الأضواء على جوانب الحيـاة الإنسانية ، كما يراها الإنسان ، فى المناسبات المختلفة ، سواء بالخطب والمحاضرات ، فى الأنديه والمجتمعات ، أو بالأحاديث الدينية والاجتماعية والأدبية فى المذياع ، فى الصباح والمساء ، أو بالمقالات والرسائل فى الصحف والمجلات ، إلى غير ذلك مما يؤمن الآن ويلمسه كل إنسان . .

ولست أدعى أن هذا كل رسالة الأزهر ولا شئ غير ذلك ، وإنما هو بلا شك من رسـالته . وإننا لنتطلب من رجاله دائما المزيد من هـذا الجهد المشكور ، حتى يصل صوتهم إلى كل فج من فجاج الدنيا ، وكل رجا من أرجاء الوجود ، وحينئذ نقول بحق إن الأزهر قد أدى رسالته . .

وإذا كنا نغتفر للعامة والسوقة من الناس بعض التطاول على تراثنا الجليل ، ومخلدات مصر الإسـلامية ، التى ينظر إليها العالم الآن نظره إلى شئ مقدس ، له احترامه ومكانته ، ومنزلته فى النفوس ، فإننا لا نغتفر ذلك المثقفين المتعلمين ، الذين نعتبرهم خاصة هذه الأمة الـكريمة ، وقلبها النابض ، وفؤادها الخافق ، وعقلها المفكر ، ولسانها الناطق باسمها فى كل مكان ..!!

إننى لأعجب بالغ العجب لعقلية حديثة تنظر إلى الأزهر الآن نظرة عامية عتيقة . وكأنها لا تسمع له صوتا ، ولا ترى له جهدا ، ولا تعترف بما فيه من مواد مختلفة ، ونظم قد تكون حقيقة فى حاجة إلى التعديل والتهذيب والتنسيق ، ولـكنها ليست فى حاجة إلى الهدم المطلق ، والنقـد بلا معيار أو حدود . . وإذا نوقشت فيما تقول ، ووجهت فيما تدعى ، يظهر لك بجلاء جهلها المطلق بنظم الأزهر ، ومواده المختلفة ، وطرق الدراسة فيه . .

إن الأزهر الآن يقوم بالتدريس فيه أساتذة مشهور شأنهم معروف أمرهم ، من ذوى الـكفايات الممتازة ، والدراية الواسعة ،

قد تخصص كل منهم فى المادة التى يدرسها ، متفرغ تفرغا تاما لخدمة هذه المادة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وتدريسها على خير ما يرجو المخلصون والمصلحون ..

ولا ننكر أن هناك بعض العوامل والموانع التى تعوق هؤلاء الأساتذة عن تنفيذ كل ما يرجون من إصلاح ، ويرون من حذف أو إضافة فى بعض المواد ، أو تغيير فى طرق التدريس ، أو الكتب المقررة ، إلى غير ذلك مما يدعو إليه التطور العلمى ، ولكن هذا لا يمنع من أهمية ما يدرس الآن ، وأن ننظر إلى الأزهر دائما نظرتنا إلى حصن العروبة الحصين ، ومعقل الإسلام المنيع ، وأن نتناوله بالإصلاح الشامل فى رفق وتؤدة وهوادة ، ولا نهاجمه فى عنف وشدة ، لنجعل ذلك طريقا إلى الشهرة ، وسبيلا إلى ذيوع الصيت ، وطيران الذكر ، موحين إلى الناس إيحاء سيئا أن الأزهر ورجاله رمز الرجعية وعنوان الجمود..

إنى أربأ بكاتب مصرى أن يفعل ذلك . أو يحاوله ، لئلا يوجد الفرصة لأعداء الأزهر ، وأعداء الدين على السواء ، من للتجنى عليه ، والنيل منه بغير حق ، لأن الأزهر مهما حاول المحاولون ؛ هو عنوان الدراسات العربية ، والبحوث العقلية والشرعية فى مصر والعالم العربى والإسلامى فيما مضى ، وفى هذا الزمان . .

عبد الحفيظ أبو السعود



أشجار السنديان

للكاتب الروسى الكبير ايفان بونين

للأديب حسن فتحى خليل

كنت حينئذ فى الثامنة والعشرين من عمرى ، ولقد حدث هذا منذ زمن بعيد ، أيام القيصر نيقولا الأول ، وكنت قد عينت ضابطاً فى الحرس القيصرى

وفى تلك السنة التى لن أنساها منحت إجازة أسبوعين لزيارة عائلتى فى أملاكنا القريبة من ريازان حيث تقيم والدتى بمفردها بعد وفاة والدى

وما أن وصلت البلدة حتى وقعت فى شباك الحب فلقد ذهبت لتفقد أملاك جدى بالقرب من قرية بتروفسكوى التى لا تبعد عن ضيعتنا كثيراً ، ومنذ ذلك اليوم وأنا أحاول أن أجد عذرا لمعاودة الذهاب إلى هناك دائما ، فالريف الروسى ريف مقفر وخاصة فى فصل الشتاء ، ولكن قرية بتروفسكوى قد أحسنت الطبيعة وضعها ، يقوم على أطرافها متنزه صغير يطلقون عليه « أشجار السنديان » فهو يتاخم مجموعة من أشجار السنديان الضخمة المتيقة — يقبع تحتها كوخ قديم فى محاذاة الحديقة المغطاة آنئذ بالثلوج ، ويتناثر بقربه حطام مالك المقاطعة القديم المتداعى هناك .. وفى هذا الكوخ القابع تحت أشجار السنديان كنت أذهب يوميا لأبادل لامز محضر المحكمة الذى يقطن هناك أحاديث تافهة لامعنى لها ، محاولاً أن أكسب صداقته ، وأنا أبعث نظرات دافئة إلى زوجه الصامتة أنفيسا التى تبدو وكأنها امرأة أسبانية أكثر منها فلاحة روسية ساذجة . كانت فى نصف عمر لافر ، ذلك الفلاح القاسى بوجهه الأحمر ولحيته النحاسية كأنه زعيم عصابة من اللصوص

كنت أقرأ فى الصباح أى شئ يقع تحت يدى ثم أقوم إلى البيان فأعزف وأنشد أغنية « أيتها النفس .. هل تلتمسين الحب أو الفناء ؟ » وبعد تناول الغذاء أستعد لقضاء الغروب فى « أشجار السنديان » بالرغم من الرياح والعواصف

وهكذا انقضت عطلة عيد الميلاد وقرب ميعاد عودتى إلى عملى ، وقد أخبرت لافر وأنفيسا يوما فى عدم مبالاة بقرب سفرى فقال لافر ، إن خدمة الإمبراطور طبعا مقدمة على كل شئ . ثم استدار خارجا من الكوخ ليحضر شيئا ما ، وكانت أنفيسا تجلس وعلى ركبتها ثوب تخيطه ، فتابعت زوجها بعينيها الأسبانيتين . وفى اللحظة التى أغلق فيها الباب خلفه رفعت إلى عينيها الدافئتين وقالت فى همس :

« يا سيدى . . إنه سيقضى ليلته غدا فى القرية ، فتعال هنا لنقضى أمسية الوداع ، لقد كنت أخفى ذلك فى قلبى . ولكنى الآن أصرح لك بكل شئ . . فإن أشد ما يؤلمنى هو أن أفترق عنك »

ولقد غمرنى هذا التصريح بالغبطة طبعا ولكنى حاولت أن

أهز رأسى موافقا إذ داف لافر بعدها إلى الـكوخ

وعـكنك تخيل اللهفة التى كنت أشعر بها وأنا أنتظر ذلك الوعد . لم أدر ماذا أفعل لأقطع الوقت حتى غروب اليوم التالى . وكنت أفـكر فى شئ واحد فحسب ، سأترك كل شئ وسأستقيل من فرقتى وأقضى بقية عمرى فى الريف وأربط حياتى بها حين يموت لافر . . وهـكذا كنت أحدث نفسى « أنه رجل عجوز . . ويجب أن يموت وشيـكا » بارغم من أنى لم أمنع فى اعتبارى أنه ما زال فى الخمسين من عمره فقط

وأخيرا انقضى الليل ، فجلست أدخن فى غليونى وتناولت بعض الشراب وأثملتنى تخيلاتى الحارة حتى انقضى النهار الشتوى القصير ، وابتدأ الظلام يهبط ، وقامت عاصفة هوجاء فى الخارج . وتساءلت كيف أغادر المنزل وأى عذر أنتحله لوالدتى ؟ فلم أحر جوابا حتى خطرت لى فـكرة مفاجئة . سأتسلل سرا . . وهذا كل مافى الأمر

وتظاهرت بأنى متعب فلم أتناول العشاء وأويت إلى فراشى . وما أن انتهت والدتى من تناول عشائها ودلفت إلى حجرتها حتى أسرعت بارتداء ملابسى فى خفة وأسرعت إلى الاسطبل وطلبت من الخادم أن يجهز لى المركبة الخفيفة

كان الجو فى الخارج قاتما حتى أنه يتعسر عليك أن ترى ما هو أمام أنفك بالرغم من الثلوج المتساقطة العاصفة . ولـكن الحصان كان يعرف الطريق جيدا ، وما أن مرت نصف الساعة حتى ظهرت أشجار السنديان حول الـكوخ ، ولمع الضوء الخافت فى النافذة ، فربطت الحصان وألقيت عليه غطاء ثم ركضت نحو الـكوخ وهناك وجدتها فى أكل زينتها ووهج شعلة الخشب يلقى على وجهها ظلالا جميلة وقد جلست على مقعد بجوار المائدة . كانت تنتظرنى بـكل ما فى عينيها من حرارة . كانت الظلال المرتعشة تغطى جوانب الحجرة بالنسبة لذلك الضوء الخافت ، إلا أن عينيها كانتا أكثر لمانا من كل شئ . . عيناها الواسعتان العميقتان . وكانت على الموائد أطباق بها جوز وبسكويت وإناء مملوء بالخمر المعتقة وكوبان صغيران ، بينما جلست هى وقد أولت ظهرها إلى النافذة الصغيرة المغطاة بالثلوج وقد ارتدت فستانا حريريا بأكمام واسعة وحول رقبتها عقد من المرجان وتركت شعرها الناعم يموج على كتفيها بينما يتدلى من أذنيها قرطان من الفضة ، وما أن رأتنى حتى هبت واقفة وأسرعت تخلع قبعتى المغطاة بالثلج ومعطفى وسترتى ودفعتنى إلى المقعد ، وفى نشوة حارة ، لم أكن أعتقد أنها قادرة عليها ، وكنت أظنها من قبل امرأة مترفعة صعبة المنال ألقت بنفسها على واحتضنتنى وهى تمسح وجهى بخديها الناعمتين

فقلت « كيف أخفيت كل ذلك حتى الوقت الذى حان فيه فراقنا ؟ »

فأجابتنى فى عاطفة دافقة « آه ... ماذا أفعل ؟ لقد استوليت على قلبى منذ مجيئك إلى هنا لأول مرة وكنت أشعر بآلامك ، ولـكنى شريفة ولم يسبق لى أن زللت ، أضف إلى ذلك أنه لم تـكن هناك أية فرصة تسمح لى بأن أطلعك فيها على مكنون قلبى ، فلقد كان هو دائما بيننا ، ولم أتمكن حتى من مجرد مبادلتك نظراتك ، فهـو حاد البصر كأنه النسر ، ولو لاحظ شيئا لقتلنى للتـو »

وعادت تحتضننى وهى تضغط يدى بين ركبتيها ، وأحسست بحرارة جسدها على فخذى فـكدت أفقد توازنى ، وإذا بها تقفز فجأة وتنظر إلى فى اضطراب وهى تقول : « أتسمع ؟ فأرهفت أذنى ولـكنى لم أسمع شيئا سوى زئير العاصفة . ولـكنها همست قائلة : « لقد وصل . . »

وأسرعت تجلس إلى المائدة وهى تحاول ضبط أنفاسها المتلاحقة ، ثم قالت فى صوت طبيعى مرتفع وهى تفرغ الإناء بيدها المرتعشة « لتشرب قليلا من خمرنا المعتقة ياسيدى ولتأ كل فإنك ترتعش »

ودخل هو فى هذه اللحظة وثيابه وقبعته مغطاة بالثلوج ، ونظر حوله ثم قال فى صوت خفيض « مساء الخير ياسيدى » وخلع ملابسه ثم نفض عنها الثلج وعاد يقول « حسنا » يا له من جو ، لقد وصلت حتى بولش دتورى ثم وجدت أنه لا فائدة ترجى إذ سأفقد طريقى لامحالة ، فذهبت إلى الخان وتناولت بعض الطعام ووجدت أنه من الأوفق أن أعود أدراجى ، فما قيمة العمل فى مثل هذا الجو الثائر المجنون »

بقينا صامتين ونحن نجلس مذهولين مضطربين فقد لاحظنا أنه أدرك كل شئ من أول نظرة ، فلم ترفع عينيها إليه ، أما أنا فقد كنت أنظر نحوه من وقت إلى آخر ، ويجب أن أعترف أنه كان مهيبا وهو واقف بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وحزامه الأخضر حول وسطه وحذائه العالى ووجهه الأحمر من لسع الريح

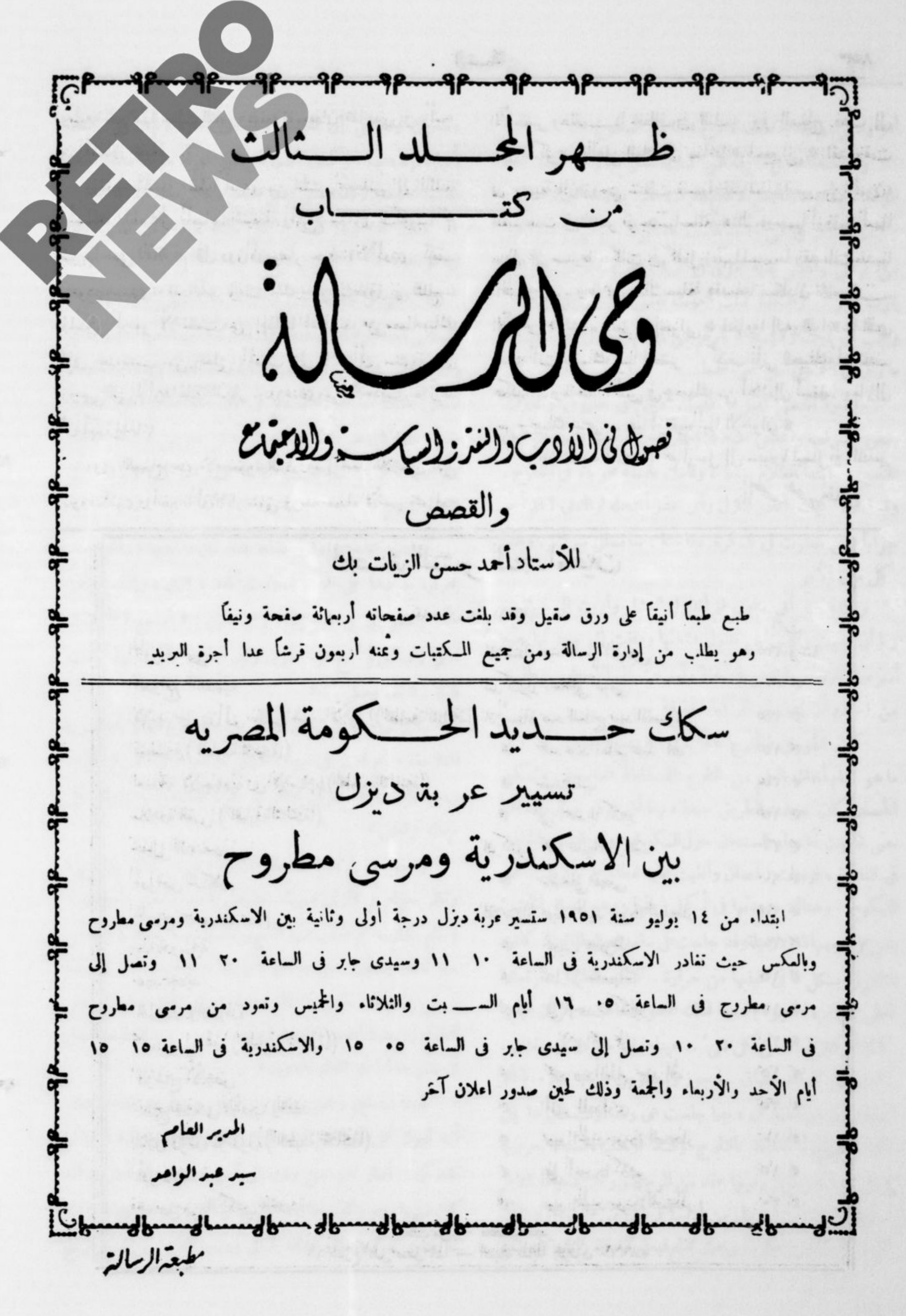
ولحيته تلمع فيها حبات الثلج وعينيه تفصحان عما يدور فى رأسه من أفكار مخيفة

. وتقدم فأشعل قطعة أخرى من الخشب ثم جلس إلى المائدة وأمسك بإناء الخمر بأصابعه الغليظة وأفرغ منها فى الكوب ثم شربها حتى الثمالة ثم قال دون أن ينظر حوله « لا أدرى كيف ستعود ياسيدى ، لقد تأخر الوقت بك وجوادك غارق فى الثلج ، ولكن أرجو ألا تغضب منى إذا ما اعتذرت عن مصاحبتك فإنى جد متعب من رحلتى ، أضف إلى ذلك أنى مشوق إلى زوجى التى لم أرها طيلة النهار . . وعندى من الأحاديث ما أريد أن أبثها إياها »

وفى الصباح حين لاح ضوء النهار وصل أحد الفلاحين من بتروفسكوى وأخبرنا أن لافار شنق زوجه مساء الأمس بحزامه الأخضر وعلقهـــا بخطاف فى الباب . وفى الصباح ذهب إلى بتروفسكوى وأعلن الفلاحين صائحا « يا جيرانى » لقد وقعت بى مصيبة فإن زوجتى شنقت نفسها، لقد أصابها مس من الجنون، فلقد عدت فى الفجر فوجدتها معلقة هناك ،وجهها أزرق ورأسها مدلى على صدرها ، كانت فى كامل زينتها لسبب ما وقد طلت خديها الحراوين . . وها هى هناك معلقة وقدماها تكادان تلامسان الأرض « اشهدوا معى يا إخوانى » فنظروا إليه وقالوا « ما الذى فعلته أنت بنفسك أيها المحضر . كيف تأتى للحيتك أن تنتف هكذا . . وما هذا الخمش فى وجهك من أعلاه إلى أسفله. وما زال جرح عينك بدمى . . هيا أوثقوه أيها الإخوان »

وكان نصيبه الجلد . . ثم أرسل إلى سيبيريا ليعمل فى المناجم

أحمد فتحى خليل



ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصريه

تسيير عربة ديزل

بين الاسكندرية ومرسى مطروح

ابتداء من ١٤ يوليو سنة ١٩٥١ ستسير عربة ديزل درجة أولى وثانية بين الاسكندرية ومرسى مطروح وبالعكس حيث تغادر الاسكندرية في الساعة ١٠ ١١ وسيدى جابر في الساعة ٢٠ ١١ وتصل إلى مرسى مطروح في الساعة ٠٥ ١٦ أيام السبت والثلاثاء والخميس وتعود من مرسى مطروح في الساعة ٢٠ ١٠ وتصل إلى سيدى جابر في الساعة ٠٥ ١٥ والاسكندرية في الساعة ١٥ ١٥ أيام الأحد والأربعاء والجمعة وذلك لحين صدور اعلان آخر

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة



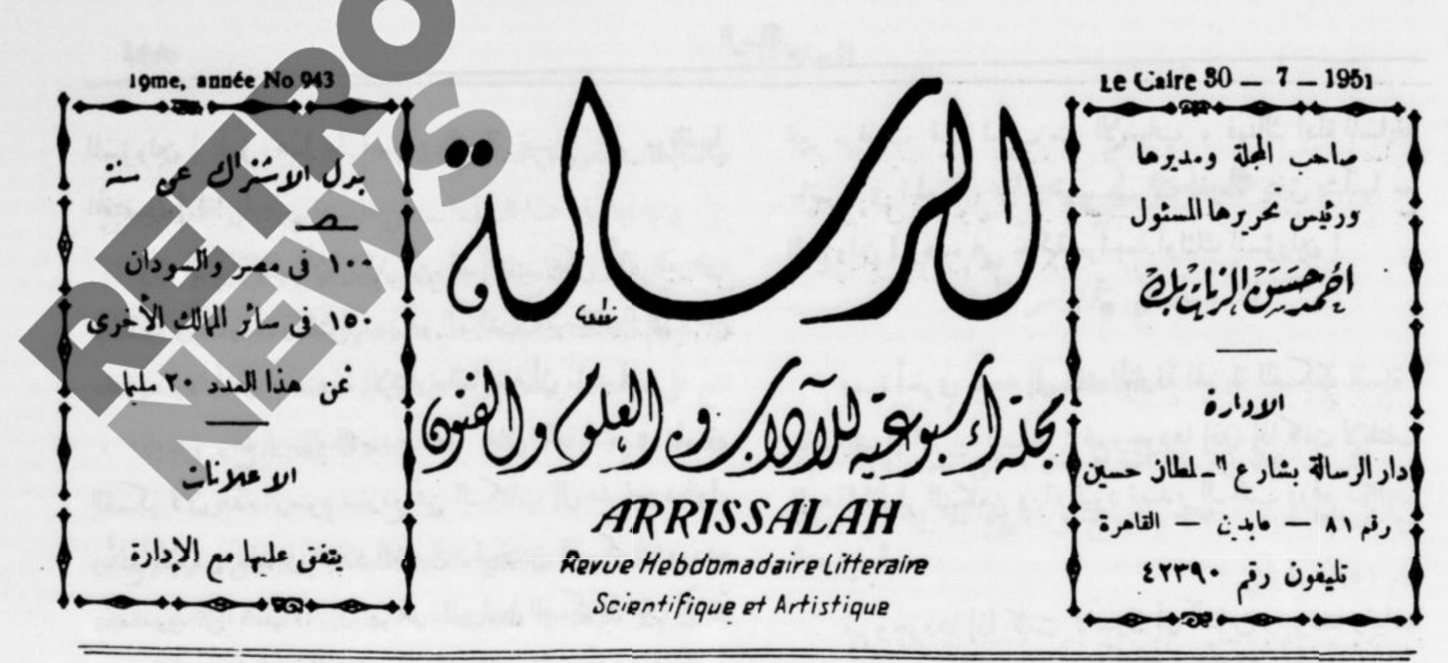
العدد ٩٤٣ — ٣٠ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٠٥٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٩٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٧٠ — ٣٠ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

هل الأدب قد مات؟

الدولة تخنق الأدب!

— ٣ —

للأستاذ سيد قطب

قبل أن تولد تلك المخلوقة الهزيلة المفككة المسماة : جامعة الدول العربية . . كانت هنالك جامعة ضخمة قوية راسخة للأمة العربية خلقتها الأقلام : أقلام الأدباء والشعراء والكتاب والمفكرين والعلماء

. . كانت هنالك صلة وثيقة بين كل قلب وقلب وكل روح وروح وكل فكر وفكر فى شتى أقطار العربية ، يحملها الكتاب ، وتحملها الصحيفة ، وتحملها الجريدة ؛ ويلتقى عليها المثقفون والقراء فى شتى هذه الأقطار

وظلت جامعة الدول العربية تتسكع وتتلكع ، وظلت تجتمع لتنفض ، وتنفض لتجتمع ؛ والأمة العربية تسمع جعجعة ولا ترى طحنا ؛ وترى المؤتمرات والموائد ولا تجد وراءها عملا ، بينما جامعة الفكر والقلم تؤدى دورها ، وتقوم بواجبها ، وتنشر الوعى العربى والإسلامى فى أقطار العرب جميعها . .

ولكن الدولة فى مصر يجب أن يكون لها عمل . وما يكون عملها إذا هى لم تخنق الفكر ، وتضع فى يديه ورجليه الأغلال ، وتفصم هذه العرى المقدسة التى كونتها الأجيال

ما عملها إذا لم يكن هو تقييد تصدير الكتب من مصر إلى البلاد العربية — ومصر هى التى تقوم فى الطور الحاضر بدور القيادة — والبلاد العربية هى السوق الأولى لما تنشره مصر من كتب ومن أفكار وتوجيهات ؟

لقد فعلتها على عين جامعة الدول العربية وسمعها ! فعلتها بمعرفة وزارة المالية التى أصدرت قراراً بمنع تصدير الكتب من مصر . فلما نبهناها إلى الخطر الكامن فى هذا الإجراء « الروتينى » الذى اتخذته بجرة قلم ، وهو أخطر مايصيب الروابط العربية بقاصمة الظهر ! . . لما أن نبهناها إلى هذا عادت فقالت : إلا بترخيص خاص يتفق عليه مع المسؤولين !

وفى ذات الوقت رفعت رسوم البريد على تصدير الكتب من أربعة قروش للكيلو إلى اثنى عشر قرشاً . ثلاثة أضعاف كاملة فوق عقبات التصدير

فما معنى هذا الإجراء وذاك فى عالم التصدير ؟

معنى تقييد تصدير الكتب إلا بترخيص خاص لكل صفقة . . معناه العملى الصريح الذى يجب أن نكشفه للدولة الذاهلة . . هو إفساح المجال للمساومة والارتزاق بين المصدرين وبين

المسؤولين! فهل هذا ما قصدته الدولة تيسيراً على موظفيها المختصين؟!

ومعناه كذلك أن نوعا من الكتب يمكن أن يتعرض للضغط والمطاردة والقتل... هو الكتب الإسلامية على وجه خاص. ولا أحب بعد هذه الإشارة العارضة أن أزيد!

ومعنى رفع رسوم التصدير هو خلق العقبات فى طريق الفكر لأن هذه الرسوم سترفع ثمن الكتاب إلى حد غير معقول وتمنع الإقبال عليه فى البلاد العربية، فيختنق الفكر فى مورده ومصدره على السواء. وتتعرض الروابط الفكرية بين الأمة العربية للتفكك والانحلال.. وكل ذلك على مرأى من جامعة الدول العربية ومسمع، كما أسلفت الحديث!

* * *

إن الدولة لا تتخذ هذا الإجراء مع الصحف؛ إنما تتخذه مع الكتاب وحده. فلماذا؟

إن الصحف المصرية — إلا النادر القليل — مؤسسات دولية لا مصرية ولا عربية! مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والأمريكية والفرنسية، والمصرية والعربية أخيرا! مؤسسات تحرر صفحات كاملة منها بمعرفة أقلام المخابرات هذه لتروج دعايتها فى أوساط الجماهير. مؤسسات تخدم الرأسمالية المالية أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية. وتخدم الاستعمار الخارجى والجهات الحاكمة قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة

وهذا هو السر فى أن الدولة لا تفرض عليها القيود التى تفرضها على الكتب. لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية المالية، وهى كفيلة بأن تسندها، وتذلل لها العقبات وتفسح لها الطريق لنشر دعايتها المستورة فى أطراف البلاد العربية جميعاً. فإذا كان من بينها صحف قليلة من صحافة الرأى والكفاح الفقيرة التى لا تستند إلى هذه القوى الدولية والمحلية.. فهى تنتفع بتسهيلات التصدير ضمنا ومن غير قصد، لأنه لا يمكن استثناؤها. وحسبها وسائل المضايقة الأخرى وهى كثير!

أما الكتب فقلما تخدم هذه الأغراض التى تخدمها الصحافة، ومن ثم فالدولة تطاردها على هذا النحو. وكلما كانت موضوعاتها غير مرغوب فيها لسبب من الأسباب، فهناك أداة المضايقة حاضرة فى الحصول على ترخيصات مفردة يتفق بشأنها مع المسؤولين! وهذه هى حكمة مراجعة أولئك المسؤولين!

* * *

ومرة أخرى نتجه إلى تلك المخلوقة الهزيلة المفككة المسماة: جامعة الدول العربية لنسألها: فيم وجودها إذن إذا كانت لا تلتفت إلى هذا الخطر الكامن وراء قيود تصدير الكتب ورفع تكاليف التصدير؟

فيم وجودها إذا كانت لا تدرك أن أساس وجودها وقيامها كلها مهددة بالانهيار، حين تنتهى تلك القيود إلى تقطيع أواصر الفكر والروح بين هذا العالم المترامى الأطراف، المقفل الحدود، الذى لا تجمعه رابطة أقوى من روابط الفكر والروح!

لقد كان الاستعمار وما يزال حريصا على تقطيع هذه الأواصر. وهذه هى فرنسا فى الشمال الإفريقى كله، تعد الكتب المصرية بين المحرمات الممنوعة، لأنها تعرف أنها رابطة قوية خطرة على الستار الحديدى الذى تريد أن تضربه بين عرب المغرب وعرب الشرق، وتثغرا فى تلك الأسلاك الشائكة التى تقيمها على الحدود!

فهل هذا ما تريده الدولة فى مصر، وما تريده تلك المؤسسة الهزيلة المفككة؟ أم كيف تسير الأمور؟

إن حجة توفير الورق للتموين فى مصر حجة لا تنهض فى هذا المجال؛ وإلا انهضت فى مجال الصحافة كذلك. فالصحف هى التى تستغرق الجانب الضخم من كميات الورق وليست الكتب المحدودة الأعداد والمقادير

فإذا كانت أقلام المخابرات الخارجية والداخلية ومصالح المؤسسات الرأسمالية وما إليها تشفع للصحف الضخمة.. أفلا يشفع للكتاب أنه الرابطة الأساسية من روابط الفكر والروح بين الجميع؟

إن القراء فى البلاد العربية هم القراء الحقيقيون للكتاب المصرى الجاد. فشبابنا فى مصر مشغولون بصحافة الأفخاذ والنهود، وبأفلام السينما الداعرة، وبأغانى المخنثين المترهلين...

هندوكي سفيه

للأستاذ علي محمد سرطاوي

نشرت مجلة (رسالة الباكستان) التي تصدر في القاهرة في عددها المرقم ٣٧٠ والمؤرخ في اليوم الأول من يونية عام ١٩٥١ ما يأتي:

كاتب هندي يطعن في النبي محمد:

وضع الأستاذ سريفاسترا المدرس بجامعة أكرا كتاباً في التاريخ حاول فيه الطعن بنبي المسلمين الأكرم سيدنا محمد، والكتاب مقرر في مدارس الهند

ومما جاء في هذا الكتاب عن الرسول: «أن محمداً لم يكن عظيماً كما يرا جراستيار (هندوسي) وهو لم يكن يؤمن بالسلام ولا بعدم العنف، ولذلك كانت مسؤولية إراقة دماء كثيرة في العالم تقع على عاتقه. وقد تزوج في أواخر حياته، وكان متعجرفاً، مخدوعاً، جشعاً، كما كان عاطفياً يتوق إلى إرضاء شهواته، وخائناً»

والكتاب بما فيه من ملاحظات قذرة، وطعن في رسول الله الذي لم تر الإنسانية مثله جمعاء، مقرر على الأولاد المسلمين الذين دوخ آباؤهم منذ قرون البلاد وهزوا الإمبراطوريات في سبيل الدعوة إلى الإسلام والسلام. ويتساءل المسلمون اليوم: هل ترضى الدولة الدنيوية التي قام فيها هذا الكاتب بأن يطعن شخص في دين مجموعة كمجموعة المسلمين؟)

* * *

يطيب للكلاب، لسبب مجهول، أن تنبح البدر المنير في كبد السماء، وهو يغمر بنوره الفضي جوانب الأرض، ويشيع في أعماق الأنفس حب الحياة، وجمال الوجود. ولكم شاهدتها العيون، من أزمان موغلة في القدم، مقعية على أذنابها، ومتجهة إلى السماء بوجوهها في مثل هذا الوقت من الأشهر القمرية، تعكر صفو السكون العميق الذي يضفيه نور البدر على الغبراء وهو يغسل ظلام الأرض وما عليها من رجس، بتيار قوي من الرحمة الإلهية تنبعث من نوره إلى آفاق الأرض وآفاق السماء.

ولكن البدرُ المنير لا يحس وجود هذه الكلاب، وإنما يستمر في أفقه البعيد وفي عليائه، متهاديا بين النجوم التي تحف به، يثير الحب في القلوب، والخيال الجميل المجنح في الشعر، والأفراح في جنبات الأرض وأرجاء السماء

ولقد مرت قرون طويلة أوشكت أن تبلغ الأربعة عشر من عمر الدنيا على الرسالة الإسلامية السماوية التي أنزلها الله على محمد لتكون للحياة الإنسانية جمعاء، في مشارق الأرض ومغاربها، كالنواميس الطبيعية الثابتة الخالدة، التي لا يأتيها الباطل، ولا يلم بها التبديل، صالحة لكل زمان ومكان، ولكل ما خلقه الله على صور الإنسان. وهكذا كانت، فحملت في جوانحها كل

إنه لا وقت لديهم لقراءة الكتب. فجراح القلوب. والقلوب التي في البريد. والكتب الشهرية التافهة على أكثر تقدير، هي زادهم اليومي الذي عودتهم عليه الأقلام المترهلة والكتاب الداعرون...

وإنه لابد للكتاب الجيد أن يجتاز الحدود المصرية ليؤدي رسالته للأمة العربية؛ ثم ليعيش

وما لم يكن هدف الدولة في مصر هو خنق الفكر. فإن كل قيود التصدير يجب أن تلغى، وخزانة الدولة يجب أن تبحث لها عن مصدر آخر غير الزيادة في أجور شحن الكتب بالبريد

* * *

ومرة أخرى لابد أن نتوجه إلى وزير المعارف المصري الأديب

إنه طه حسين. طه حسين الذي يعرفه الناس أديبا قبل أن يعرفوه باشا أو وزيرا.. فأين هو والدولة تخنق الأدب خنقا بيد من حديد؟

إنه في فرنسا!

نرجو له سلامة العودة. ونرجو منه تحطيم هذه القيود

سيد قطب

ما تزخر به الطبيعة من نور، وجمال، وعطر، وربيع، وثمر، وورود، ورياحين، ولم تستطع الحياة فى هذا الزمن الطويل أن تجد فيها عنتا أو ضيقا أو عثرة فى المسير، وإنما كانت تصقل الجوانب الخشنة من الحياة نفسها، وتشيع النور الإلهى فى ظلامها كما يفعل القمر فى الليل والشمس فى النهار

ويعرض علينا التاريخ فى مسيره الطويل، منذ أن رأى رسالة الإسلام الخالدة، سجلا طويلا فى غير أتباع الإسلام، ممن أنصفوا الحقيقة من أنفسهم، وأقوامهم، وزمانهم، ونوعا آخر من ذلك الطراز الذى عميت قلوبه، والذى زعم أنه لا يستسيغ مذاق الماء العذب، لا لأن الماء العذب مر المذاق، وإنما بحكم مافى تلك النفوس من مرض، ومافى تلك الطبائع من اعوجاج، وما فى تلك القلوب من غل موروث من البيئات المنحطة الحاقدة، التى فتحوا عيونهم على ما فيها من ظلام دامس حجب عنهم النور — ومع كل ذلك فقد بقى الإسلام هو الإسلام سائراً فى الطريق المستقيم الذى لا ينحرف، كما تسير الفصول الأربعة، وكما تشرق الشمس، وتطلع النجوم، دون أن يتأثر بالإنصاف أو التجريح، لأنه أقوى من الحياة ومن الطبيعة نفسها

لقد أنصف كارليل، وغستاف لوبون، وإمام المؤرخين وسيدهم العظيم إدوارد جبون، وغيرهم من أحرار الفكر فى بلاد الغرب، النبى العربى، انصافا انبعث من طبيعة كان الحق فيها أقوى من البيئة الموروثة التى يعشش فيها الباطل، وتسيطر عليها قوى الظلام. وتجنت على النبى نفسه طائفة أخرى من طراز المبشرين الذين اتخذوا الدين وسيلة للعيش، بعد أن أدبروا عن الحياة التى لا يصلحون لها، ومن طراز آخر يجيد افتراء البهتان على علم، وعلى سوء نية، ولؤم تدبير، وقبح غاية، كصاحب (تاريخ العالم) ولز، ومن طراز هابط حقير، يجيد التقليد، إجادة القرود محاكاة الإنسان، على جهل، كسريفا ستترا الهندوسى السفيه، الدرس فى جامعة أكرا، الذى تطاول على الرسول الكريم فى كتابه المقرر فى مدارس الهند، التى ترغم أولاد المسلمين هناك، على تعلم ما فيه من المثالب بسيد المرسلين، وأكمل البشر؛ وأنف مولانا أبى الكلام أزاد، وزير معارف الهند المسلم، راغم، وألف راغم

ونحن المسلمين، فى الوقت الذى نستغرب فيه، أن تقرر الحكومة التى يرأس وزراءها جواهر لال نهرو العظيم، وارث إنسانية المهاتما غاندى الخالد، كتابا فيه مثل هذه المفتريات والمطاعن، على النبى الذى يقدسه ثلثمائة مليون من الشعوب الإسلامية التى تربطها بالهند الناشئة، صلات قوية من الجوار والتاريخ، نحتج أشد الاحتجاج على تقرير هذا الكتاب، وعلى إجبار أبناء المسلمين على تعلم المطاعن فى النبى الذى يدينون بدينه الحنيف، والتى وردت فيه

ونحن المسلمين أيضا، لانستطيع أن نعلم سريفا ستترا. وبنى قومه الذوق والآداب الإنسانية التى تعارف عليها البشر، فى الابتعاد عن كل ما يؤذى شعور الآخرين، ذلك لأن الذوق شئ لا يتعلمه الإنسان من الكتب، ولا يجده فى الجامعات، وإنما هو شئ ثمين تضعه العناية الإلهية فى الجوهر الخالد فى بعض الأرواح، حين تأخذ طريقها من عالم الغيب إلى عالم الوجود. ومن المحقق أن نصيبه من ذلك الذوق كان ضئيلا أو معدوما

ونريد أن نسأل سريفاستترا عن دماء الأطفال والنساء والشيوخ من المسلمين التى أراقها أبناء جلدته فى أفظع صور الوحشية، وأبشع ألوان البربرية والهمجية، تلك الأعمال التى كانت تقود الناس إلى اقترافها الشرطة التى بوكل إلى شرفها حماية أرواح المواطنين بلا تمييز، والتى كانت تتقرب باقترافها، تلك الجماهير الحاقدة، إلى أوثانها التى تعبدها من دون الله. نريد أن نسأله عن الغاية الإنسانية السامية التى كانت تهدف إليها جماعة الأرياسماج، والبراهموسماج فى تحريض الناس على ذبح المسلمين؟ (١)

والشئ الذى يطيب لنا أن نقوله فى هذه المناسبة لجماعة الأريا سماج وجماعة براهمو سماج، الجماعتين الحاقدتين على المسلمين وعلى دينهم، واللتين ترميان إلى استئصال الدين الإسلامى من الهند، وإجبار المسلمين على ترك ذلك الدين، ومحاولة إرغام الباكستان،

(١) جميتان معنى الأولى الجمعية الاربة، ومعنى الثانية الجمعية البرهمية، والأولى ترمى الى تطهير الدم الهندى من دماء المسلمين التى امتزجت به عن طريق ذبح المسلمين، والثانية جمعية إلحادية لا تؤمن بالله، وغايتها القضاء على دين المسلمين فى الهند

الدولة الإسلامية الفتية الجبارة ، على الرضوخ لإرهابهما ، والعودة بها إلى ظلام الوثنية والقضاء على استقلالها ؛ نريد أن نؤكد لهما أن الإسلام فى إشراقه وخلوده كالشمس ، فإذا كان فى مقدور البشر القضاء على الشمس وإطفاء نورها ، كان فى إمكان هاتين الجماعتين القضاء على الإسلام فى الهند

ولقد صمد الإسلام فى الحروب الصليبية للدول النصرانية التى هاجمته من أوربا فى أوائل القرن الحادى عشر لميلاد المسيح ، ونازلها فى حروب دامية ، استمرت قرنين طويلين ، كان النصر فى نهايتها للاسلام ، فانهزمت تلك الدول الواحدة بعد الأخرى ، تشيعها اللعنات من التاريخ الذى سودت وجهه بما اقترفته من آثام ومخاز ومحرمات ، والذى ذكر بأحرف من نور سماحة الإسلام ممثلة فى إنسانية صلاح الدين الأيوبى ، وعفوه ، وكرمه وبطولته

إن الجماهير التى قتل الجهل والمرض والفقر جميع النوازع الإنسانية العليا فى أنفسها والتى تؤلف الكثرة المطلقة فى الهند ، والتى لم يسلم غاندى الخالد نفسه من همجيتها ، وهو يحاول قيادتها إلى طريق الفضيلة والخير ، أحوج ما تكون إلى جيل قوى مؤمن بالإنسانية المطلقة ، من أساتذة الجامعات ، يحاربون عن طريق التسامح ، النوازع الهابطة فى الحيوانية فى تلك النفوس ، ويستمرون فى أداء رسالة المهاتما غاندى ، للخروج بالهند من ظلام العصور الحجرية التى تعيش فيها الآن من الناحية الإنسانية ، إلى نور حضارة القرن العشرين

لقد كفلت حقوق الإنسان التى أقرتها الأمم المتحدة لجميع البشر حرية العبادة ، وحرية الرأى ، والتحرر من الخوف ، ولكن يبدو أن حكومة الهند لا تقيم وزنا لهذه الحقوق التى تكفل بها ذلك النظام للأقلية الإسلامية من رعاياها ، وهى من أبرز الأعضاء فى منظمة الأمم المتحدة

وخرجت الهند على المسلمين فى التمثيل السياسى بمسرحية بارعة قابلها المسلمون فى جميع أقطارهم بما تستحقه من سخرية ؛ ذلك أن المكر المبيت قد هداها إلى إرسال نفر من رعاياها المسلمين ليمثلوها فى البلدان الإسلامية ، لذر الرماد فى العيون ، والخدع المسلمين عما تدبره جماعة الأرياسماج ومن على شاكلتها لإخوانهم فى الدين من مذابح واضطهاد ، ومستقبل مظلم رهيب ، يهدد حياتهم ومعتقداتهم ، وينذرهم بشر مستطير ، وفناء محتوم ، وبعض هؤلاء المسلمين لم يوصلهم إلى شرف هذا التمثيل غير زواجهم من الهندوكيات غير الكتابيات اللاتى لا تجيز مبادئ الإسلام للمسلمين التزوج بهن لأنهن مشركات

ونحن نقترح على حكومة الهند ، بعد أن أدرك المسلمون إدراكا صحيحاً غايتها من إرسال هؤلاء المسلمين الدبلوماتيين إلى بلادهم ، أن ترسل هؤلاء المسلمين إلى أقطار غير إسلامية ، وأن تستبدل بهم جماعات من الهنادك المتعصبين المتعطشين إلى سفك دماء المسلمين من جماعات أرياسماج ، ومن طراز سربفاسترا ، لنعلمهم معنى التسامح الإسلامى ، ولنزيل ما فى نفوسهم من انحراف واعوجاج ، وهى إذا فعلت ذلك أشاعت جوا من روح الود الخالص والتسامح الصحيح بيننا وبينها ، وقدمت البرهان العملى على إخلاص نيتها وأنها تسير فى الطريق المستقيم

إن الظلام الذى يعيش فيه سربفاسترا ومن على شاكلته من الهنادك المتعصبين ، ستمحوه الأجيال المقبلة من أبناء المسلمين الذين سيحسنون لغتهم السنسكريتية ، ويقبلون عليهم وقد حملوا إليهم نور الإسلام ، فيتم الله نعمته عليهم ويزول ظلام الشرك والوثنية عن الهند ، وتتحرر فيها الجماهير الجاهلة ، ويصبح سكانها أمة واحدة لا حقود ولا نجس ولا حقير فيها ، ولا يتفاوت الناس هناك إلا بما يقوله تعالى وهو أصدق القائلين (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والمسلمون فى أقطارهم المتباعدة يرقبون بعين العطف الشديد والجزع المصير الذى سينتهى إليه إخوانهم فى الدين ؛ أولئك الذين رماهم سوء الطالع تحت رحمة تلك الوحوش المفترسة من الأرياسماج. ومن يدرى؟ فلعل استمرار هذه الجماعات المتعصبة فى تحديها للمسلمين سيدفع البلدان الإسلامية إن آجلا أو عاجلا ، إلى منازلة أولئك الهنادكة فى حروب صليبية جديدة داخل الهند وخارجها ، بالطريقة التى ترضاها الأرياسماج والتى لن يجبن المسلمون عن تقبلها

لقد أفاق العالم الإسلامى من سبات القرون الطويلة ، وأخذ المسلمون يشعرون بأنهم كالجسد الواحد ، إذا أصاب الألم عضوا من أعضائه ، أحست بصدى ذلك الألم سائر الأعضاء

الأخرى . والمسلمون الذين يحكمهم الهنادك ليسوا منفردين فى معركة الدين ، وإنما يحيطهم بالعطف والرعاية قلوب الملايين من إخوانهم فى الدين ، ولن نتخلى عنهم ، وإنا سنجاهد إلى جانبهم حتى نكفل لهم الحرية المطلقة فى الدين والرأى ، ونحررهم من الخوف

وإذا كان الأدباء فى الأمم كالرواد ، يمهدون الطريق الوعر الشائك للسائرين عليه وراءهم من أبناء جنسهم ، وكان رجال الدين فى الأمم كالمصابيح تبدد الظلام الذى قد يكتنف ذلك الطريق . ورجال الأزهر فى مصر ، باعتبارهم المؤسسة الإسلامية الخالدة التى تسهر على الإسلام والمسلمين فى ديارهم المتباعدة ، ورجال الدين الإسلامى فى الأقطار الإسلامية الأخرى ، مسؤولون عن وقف هذا الهندوكى السفيه عند حدود الذوق ، وعن منع استعمال كتابه القذر فى المدارس التى يتعلم فيها أبناء المسلمين وغير المسلمين ، بحكم مافيه من طعن لايليق أن يقال عن سيد المرسلين وخاتم النبيين ، بالوسائل التى تكفل ذلك ، دون اللجوء إلى أضعف الإيمان فى مقاومة هذا المنكر ، شأن العاجز الذى لايعرف المبادرة إلى العمل السريع . وإننا لمنتظرون

بغداد علي محمد سرطاوي

رسالة المربى

« ظهور المدرسة ، الطريقة النفسية والمنطقية ، التقاليد »

للاستاذ كمال السيد درويش

إذا كانت رسالة المربى فى الحياة كما نراها هى المحافظة على سلامة الاتجاه الطبيعى نحو التعليم ، فإن ذلك الكلام يحتاج إلى المزيد من التوضيح . والواقع أن هذه الرسالة على بساطتها الظاهرة تستدعى مسئوليات جمة ، وتتطلب مجهودات كبيرة ، ولكنها إلى جانب ذلك جديرة بأن تحتل أسمى مكان وبأن تصبح المثل الأعلى للجميع

إن بساطة تلك الرسالة وسهولة إدراكها تدعو إلى التساؤل عما إذا كان الإنسان قد سار عليها من قبل أم لا؟ وإذا كان لم يعمل بها فما هى الأسباب التى حالت بينه وبين ذلك ؟ وإذا أردنا العمل بها فما هى الأسس العلمية التى يستدعيها التطبيق ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها تتطلب منا أن نسير مع عملية التربية منذ بدأت لنرى كيف سارت خلال العصور الماضية حتى وصلت إلى تلك الحالة التى وصلنا إليها اليوم؛ والتى لايحسن السكوت عليها بأى حال

بدأ الإنسان يتعلم - كما ذكرنا - منذ أن ظهر على سطح الأرض مدفوعاً إلى ذلك بغرائزه المتعددة . فالانسان - مثلا - حينما كان يقطن الغابة - كان إذا ماشعر بالجوع اندفع يبحث عن طعامه داخل الغابة ، حتى إذاما رآه فى أعلى شجرة ممثلا فى ثمارها اضطر إلى التفكير فى كيفية الحصول عليه ، وفى تسلق الشجرة مثلا . وقد يفشل أو ينجح ، فاذا مانجح تناول الثمرة ووجد فيها الغذاء الشهى أخذ يتعمد تسلق الأشجار جرياً وراء الثمار وإشباعاً لغريزة البحث عن الطعام

كانت حياة الانسان الأول فى الغابة إذن هى المدرسة التى يتعلم فيها . تعلم فيها كيف يتسلق الأشجار وكيف يقى نفسه شر الحيوانات الكاسرة ، كان يتعلم فيها بتلك الطريقة العملية ، طريقة التفاعل مع البيئة التى يعيش فيها .

وقد ظلت طريقة التعلم بالتفاعل مع البيئة قائمة حتى توالت الأجيال وتغيرت الأحوال وأصبحت لاتفى بالغرض المنشودحين بدأ الانسان يلمس فشلها فبدأ يتخلى عنها إلى غيرها ، إلى طريقة أخرى تلائم الوضع الجديد : ذلك أن المعلومات أخذت تزداد وتنمو بمضى السنين . وأصبح عمر الأبناء عليلا لايتسع لممارسة خبرة الآباء والأجداد بطريقتهم العملية . ووجد الآباء أنفسهم مضطرين إلى تزويد أبنائهم بخبرات ومعلومات هى خلاصة مئات السنين والآلاف على أن يتم ذلك خلال سنوات الطفولة . عند ذلك أحسوا بالمشكلة ، مشكلة إعداد الأبناء الناشئين حتى يستطيعوا الانسجام مع هذا المجتمع الذى سيعيشون فيه ، لأنها - وهم لايعلمون أى شىء عن أسلوب حياته أوطرق المعيشة فيه - طرق وأساليب قد تبلورت خلال مئات الآلاف من السنين ، فهل تكفى سنوات الطفولة بل سنوات العمر كله لهضم وتمثيل

مالم يهضم إلا خلال القرون والأجيال ؟!

ظهرت المشكلة واعترضت الانسان فأيقن منذ ذلك أن إعداد الطفل الناشىء أمر خطير . وازدادت المشكلة تعقيداً بنمو الانسانية على مدى العصور حتى أصبحت فى القرن العشرين تحمل فى طياتها أعباء ما انقضى من القرون

وبدلا من أن يحاول الانسان حلها حين اصطدم بها نفض يديه منها وأحالها على غيره . أو لعله وجد حلا للمشكلة فى أن يتركها ويتخلص منها بإحالتها على من يتخصص للنظر فيها ، على هؤلاء الذين عرفوا بين الناس من ذلك الحين بالمربين . وجاء المربى فوجد أمامه ثروة ضخمة هائلة من المعلومات المتراكمة ، ووقتا ضئيلا لا يكاد يصلح لممارسة شىء من تلك المعلومات فى عقول الناشئين وهل هناك طريقة أسرع وأضمن من طريقة الكلام؟ طريقة التلقين ؟ عند ذلك استخدمها وفرح بها وتكالب مع غيره من المربين على اتباعها .

وهكذا انتقلت التربية من وسيلة العمل والتفاعل مع البيئة إلى وسيلة الكلام والاستماع ؛ ومن ميدان الغابة أو ميدان الحياة إلى ميدان المدرسة بجدرانها الأربعة المحدودة . ولقد كان ظهور المدرسة أمرا حتميا للتخصص فى عملية التربية ، إذ استطاعت منذ ظهورها فرض سيطرتها على التربية والتعليم حتى اليوم . فهل نجحت المدرسة ؟ هل أدت رسالتها أو حققت الغرض منها ؟

يدرك معظمنا شبح المدرسة ويلمس آثاره . يرهبها الصغير ويهرب منها الكبير ويتحمل مرارتها الصبور والمضطر ، ويكفى أن نذكر أن فقدان الميل الطبيعى نحو التعلم هو من بين ضحايا شبح المدرسة الجاثم فوق صدور الناشئين حتى نعلم إلى أى حد نجحت المدرسة أو فشلت فى تحقيق رسالتها

قامت المدرسة ولا تزال تقوم حتى الآن بالدور الرئيسى فى عملية التربية ، ولذلك تقع عليها معظم المسئولية ، مسئولية ابتعاد التربية عن هدفها ورسالتها كما يجب أن تكون . ولكى نتبين ذلك بوضوح سنقارن بين الطريقة النفسية فى التربية والطريقة المنطقية

ذكرنا أن الإنسان تعلم أول ما تعلم فى ميدان الحياة . شعر بالجوع فقام يبحث عن غذائه . سار فى الغابة فشاهد حيوانا . أراد صيد الحيوان لطعامه فبدأ يهاجمه فرد عليه الحيوان بالمثل وعاد إلى كوخه جريحا جائعا . نظر إلى جرحه فأيقن فشل طريقته الأولى وبدأ يفكر فى طريقة جديدة تجنبه الأخطار . وبدأ يجرب . أمسك فرعا من فروع الأشجار ليستعد به فى الدفاع عن نفسه أثناء الصيد هذه المرة . وكسر الفرع ففكر فى اتخاذ آلاته من مادة أصلب كالأحجار والصخور ساعدته فى التغلب على عدوه والعودة بصيده فى سعادة وهناء . لقد عاد بالصيد ولكن . . . بعد أن تعلم الشىء الكثير . لقد تعلم عدم المخاطرة بنفسه ضد الحيوان الكاسر ، وضرورة الاقتراب منه بحذر وهدوء؛ وعدم صلاحية فروع الأشجار؛ والاطمئنان إلى صلابة الأحجار ولاسيما أحجار الصوان بعد صقلها وتهذيبها

هكذا كان يتعلم الإنسان الأول نتيجة لدوافع غريزية وبطريقة عملية حصل خلالها على تلك المعلومات التى اندمجت فى خبرته الحسية لعل بعضها ذلك الجرح الذى لم يندمل أوذلك الصيد الذى لم ينته من التهامه بعد

هذه الطريقة التى تعلم بها الإنسان الأول والتى تتمشى مع الغرائز الإنسانية هى الطريقة الطبيعية التى اصطلح العلماء على تسميتها بالطريقة النفسية

الطريقة النفسية إذن طريقة بسيطة عادية تتمشى مع ميول الإنسان الغريزية . ولذلك كان سلوكه نحو التعلم فيها تلقائيا أو فلنقل سلوكا غريزيا ؛ له ما للسلوك الغريزى من كل مظاهر التلقائية والتغير والرغبة فى تحقيق الهدف المنشود . وتتضح هذه المظاهر فعلا فى المثال السابق . فالإنسان الأول حين قام ليصطاد من الغابة قام من تلقاء نفسه ولم يأمره بذلك أحد ، ولم يكن سلوكه أثناء الصيد جامدا ثابتا بل كان متغيرا متحولا . لقد استعمل يديه أولا فجرح ، واستعمل فرع الشجرة فقصف ، فلجأ إلى الأحجار يصقلها ويشحذها حتى نجح . وكان ذلك التغير فى سلوكه مرتبطا بتحقيق هدفه المقصود ألا وهو الصيد المنشود . وكان لسلوكه هدف واضح منذ البداية هو الحصول على ذلك الحيوان . ولقد انتهى السلوك بالحصول على الغاية المنشودة

وهو لم ينته تماما لأن الخبرة التى حصل عليها من جراء ذلك

السلوك هى خبرة حسية دائمة. لن ينسى قط تلك الطريقة الناجحة فى الصيد. لقد جربها بنفسه فكيف ينسى؟! ألم ينقطع سلوكه تماما ما دامت هذه الخبرة الحسية موجودة وقائمة، إذ أن سلوكه سيظهر من جديد محاولات أخرى للصيد تستخدم فيها تلك الطريقة أى تستخدم فيها الخبرة الماضية ويستفاد منها فى الحصول على صيد أكثر بطريقة أضمن وأسهل وأسرع

تلك هى مميزات الطريقة النفسية التى تعلم بها الإنسان الأول هذه الطريقة التى نعم التعليم على يديها بخير كثير حتى نمت الإنسانية خلال القرون والأجيال وازدادت معارف الإنسان. اكتشفت المعادن فحلت الحربة النحاسية محل أختها الصوانية الحجرية، ثم ظهرت الطلقة النارية فحلت محل الحربة النحاسية. وظهر المعلم فى المدرسة ووكل إليه أمر تعليم الناشئين هؤلاء الذين لا يعلمون من أمر دنياهم ولا من سبقهم فيها شيئاً. ولم يتردد المعلم فى التعليم. ولكن كيف لجأ إلى نفس الطريقة التى لجأ إليها الأب حين سأله ابنه وهما خارجان للصيد معاً:

كيف أصطاد؟ ففكر الأب وقال فى نفسه: «أأترك ولدى ليقع فى الخطأ الذى وقعت فيه من قبل فيجرحه الحيوان وقد يقتله أم أزوده بخبرتى حتى ينتصر بطريقتى؟ لا؛ سأنصحه وسأسدد خطاه. عند ذلك التفت إلى ولده قائلا: خذ هذا الحجر واضرب به من بعيد؛ أو خذ هذه الطمنة واطمن بها، فهكذا أوصانا الآباء عن الأجداد

هذه هى الطريقة وما أسهلها. يعطيه خلاصة الجهود الذى بذله فى سنوات، والذى بذله الآباء والأجداد فى آلاف السنين، يعطيه إياه خلال كلمة أو كلمتين. ألا يكون بهذا قد وفر عليه ضياع جهوده فى تجارب فاشلة قد وقع هو فيها من قبل؟

تلك هى الطريقة المنطقية، أو هكذا اصطلح العلماء على تسميتها، هى طريقة إعطاء الخلاصة والنتائج مباشرة للناشئين. ولو نظرنا إلى موقف الابن بعد أن تسلم الحربة وبعد أن طلب إليه أن لا يصطاد إلا بها لوجدنا أنه فى حاجة إلى توضيح. لقد طلب إليه ألا يصطاد إلا بها وبوده لو ترك لحربته فيصطاد بيديه ويهجم بجسمه هو ليشعر فى قرارة نفسه أنه قد قيد بطريقة لا يفهمها ولا يدرى السر فى إصرار والده على ضرورة التمسك بها. وهو مضطر للعمل بها إرضاء للسلطة العليا الممثلة فى شخص أبيه؛ فكأنه لم يقبل العمل بهذه الطريقة إلا لإرضاء السلطة العليا؛ ولذلك يظل عمله بها قائما وباقيا ما دامت هذه السلطة موجودة لتمد عليه حركاته وسكناته وتراقب كل تصرفاته، ولذلك تراه يتخفف من العمل بما أمر به حين يخلو إلى نفسه وحين يبتعد عن سلطة الرقباء، يخالف ما تمله فى الحال ويبدأ فى الصيد بطريقة أخرى تنسجم مع ميوله وأهوائه. . سيجرب الوسيلة التى كان آباؤه قد جربوها من قبل، وسيصيبه مثل ما أصابهم من ضر، وعند ذلك يبدأ فى إدراك الحكمة فيما علمه إياه أبوه، ويفهم السر فى تمسكه وإصراره، والحكمة فى إرشاده وتعاليمه

وهكذا يمكن أن نجمل موقف المتعلم بالطريقة المنطقية بذكر المظاهر الآتية: —

١ — إزوراره عن التعلم أو انعدام الرغبة لديه

٢ — تقيده التام بما يراد له أن يتعلمه

٣ — عدم قبوله للتعلم إلا مضطرا وتحت ضغط عوامل خارجية

٤ — العجز عن الفهم أو عن إدراك الحكمة فيما يتعلمه

٥ — إن التعليم غير ثابت ويزول بزوال المؤثرات الخارجية المرتبطة به

٦ عدم ثبوت ذلك التعليم إلا إذا حدثت خبرة حسية يمر فيها المتعلم مصادفة فتؤدى إلى إعطاء المعلومات الشكلية السابقة قيمتها الحقيقية

ويلاحظ أن الخبرة العملية هى عودة إلى الطريقة النفسية، وأن مرور المتعلم خلالها وممارسته لها قد غيرت من سلوكه السابق نحو عملية التعليم وحولته من الإدبار إلى الإقبال، كما حولت عملية التعلم ذاتها من الفشل إلى النجاح

حقا إن الطريقة النفسية بعد أن قارنا بينها وبين الطريقة المنطقية تبدو وثيقة الصلة بالرسالة التى يجب على المربى القيام بها

البقية فى العدد القادم **كمال السيد درويش**

ليسانسيه الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية

ألمانيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أمة من الفرسان تحالف ضدها الإنسان والزمان ، ودولة يحتل الأعداء أراضيها وقد كانت تحتل من معظم القارة الأوروبية كل مكان ، وشعب ينهزم ولكنه لا يلبث أن يقف ناهضاً ، ودولة مهزومة ولكن إن تعجب لشئ فاعجب لأن غالبيها يرهبونها أشد الرهبة ، ويرعبهم ذكر اسمها أشد الرعب ، وإن كنت غير مصدق فسل فرنسا والفرنسيين ، وأنت كفيل بأن تصل حتما إلى الحقيقة واليقين

وإن أنس لا أنس سيدة فرنسية كانت تقيم في المنزل الذي كنت أقيم به في ١٩٣٩ أي عند قيام الحرب العالمية الثانية وكان قومها يسكنون على حدود فرنسا الشرقية أي المجاورة لألمانيا، فلما أعلنت الحرب جاءتني فزعة مضطربة ومعها جريدة فرنسية تحمل النبأ ، فحاولت أن أهدئ من روعها وأن أطمئنها فقلت لها : « يا سيدتي إن الجنود الفرنسيين البواسل سيصمدون أمام الألمان المعتدين ولن يصيب قومك سوء . » فكان جوابها : « يا سيدي أنت لا تعرف الألمان ؟ سلني عنهم أجبك : إنهم قوة قاهرة غلابة لاقبل لنا بها، وقوم متوحشون لاتعرف الرأفة إلى قلوبهم سبيلا»

في ١٩٤٣ زارني صديق كان يقيم بمدينة ليون بفرنسا في الفترة من ١٩٣٨ — ١٩٤٢ وكان من الطبيعي أن أطلب إليه أن يصف حالة فرنسا والفرنسيين عند قيام الحرب وعن مدى الفزع الذي استولى على الفرنسيين إذ ذاك ، فأجابني بما يأتي. قال : كان لي صديق من الفرنسيين فلما قامت الحرب جند ، فذهبت لأودعه وأبديت أسفي لفراقه وخوفي عليه وإشفاقي من طول غيابه ، ولكنه أجابني قائلا « لا يا سيدي لن يطول غيابي فإنني عن قريب عائد » . ولا عجب فإن الفرنسيين كانوا لا يثقون بأنفسهم ويؤمنون بأنهم لن يستطيعوا الوقوف في وجه الألمان . وفعلا عندما التقى الفرنسيون — وكانت قلوبهم هواء — بالفرسان الألمان لم يلبثوا إلا عشية وضحاها ثم ولوا مدبرين !

ويتجلى مدى خوف فرنسا من ألمانيا فيما تقدم به كليمنصو رئيس وزراء فرنسا غداة انتصار الحلفاء ١٩١٨ من وجوب تقسيم ألمانيا إلى دولتين حتى تضعف ويزول الخطر عن فرنسا . وقد كان كليمنصو على حق فيما ذهب إليه : لقد احتلت جنود ألمانيا باريس عاصمة فرنسا عدة مرات في خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين : احتلتها ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨٧٠ ، وكانت تهددها ١٩١٥ ثم احتلتها للمرة الأخيرة ١٩٤٠ — ١٩٤٥ وقد نزل الدمار بشمال شرق فرنسا وبشرقها وبعاصمتها في كل غارة من هذه الغارات

ولكن الحلفاء لم يأخذوا بوجهة نظر فرنسا ، فإنجلترا رفضت لأنها كانت ومازالت ترى ضرورة قيام ألمانيا كدولة قوية في وسط أوربا حفظا للتوازن الدولي ، ففي شرق القارة توجد روسيا وفي غربها توجد فرنسا ومن ثم يجب أن تكون هناك دولة قوية في وسط القارة لتمنع طغيان إحدى هاتين الدولتين (وخاصة روسيا حاليا) على القارة الأوربية . ولعلنا نلمس ذلك بوضوح في السنوات الأخيرة ، فقد كان من نتائج هزيمة ألمانيا سنة ١٩٤٥ أن تقدمت القوات الروسية من الشرق واحتلت شرق ألمانيا وتقدم قوات الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) من الغرب واحتلت كل دولة جزءاً ثم بان الخطر الروسي فحاول الحلفاء جاهدين توحيد ألمانيا (رغم معارضة فرنسا) ولكن روسيا وقفت في وجههم وبات أعداء ألمانيا بالأمس على أحر من الجمر يحاولون إعادة ماهدموه وما أنفقوا الملايين من الأرواح في سبيل هدمه، ولاريب أن كل هذا التطور نشأ عن ظهور الخطر الروسي مما دعا إلى ضرورة إيجاد دولة قوية تقف في وجهه، وقد فطنت روسيا إلى أهداف الحلفاء فعارضت في الجلاء عن الأراضي الألمانية التي تحتلها وفي وحدة ألمانيا حاليا

وقد عارضت أمريكا (الولايات المتحدة) طلب فرنسا سنة ١٩١٨ لأن رئيس جمهوريتها ولسن كان قد أعلن مبادئه الأربعة عشر ، وأهم مبدإ فيها أن لكل قوم الحق في تقرير مصيرهم ، فرأى ولسن أنه لا يستطيع أن يعلن عن مبادئ ثم يتنكر لها في نفس الوقت او بعبارة أخرى أن يؤمن بمبادئ ويكفر بها

فى نفس الوقت ، ولذلك رفض فكرة تقسيم ألمانيا . ومضت السنون، وفى عشرين سنة أعادت ألمانيا قوتها وقواتها. وفى ١٩٣٩ اشتعلت نيران الحرب الثانية وتحققت مخاوف الفرنسيين وداست ألمانيا على حرياتهم واحتلت عاصمتهم وديارهم ١٩٤٠ وأقامت إلى أن تعاون الحلفاء وأعدوا قواتهم فنزلوا بأرض فرنسا ثم أجلوا الألمان عنها وتقدموا داخل ألمانيا حتى سقطت فى يدهم برلين ١٩٤٥

وتحتل قوات روسيا وإنجلترا وفرنسا وأمريكا أراضى ألمانيا الآن، ويتمنى الإنجليز على رغم معارضة فرنسا عودة ألمانيا القوية لحفظ التوازن الدولى الأوربى ولكن

ما كل يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا يشتهى السفن

غارة :

فى أواخر القرن الرابع الميلادى وفى خلال القرن الخامس تعرضت أوربا لغارة عنيفة جاءت عليها من الشرق ، ذلك أن قبائل « الهون » وهى قبائل مغولية كانت تسكن وسط آسيا بدأت تتحرك غربا وتدفع أمامها غربا الشعوب والقبائل التى تصادفها ، وقد صادفت فى طريقها القبائل التيوتونية أو الجرمانية فدفعتهم أمامها حتى استقروا فى المنطقة بين نهرى الرين والفستيولا من وسط أوربا . ومنذ ذلك التاريخ استقر الألمان فى تلك المنطقة

كان الجرمان يعيشون قبائل مستقلة ، وكان نظام حكمهم ديمقراطيا فكان أحرار كل قرية يشتركون فى إدارة شؤونها ، وكانوا يمتازون بفروسيتهم وشجاعتهم ويعيشون على الرعى والزراعة والصيد

وامتاز الجرمان أيضا بضخامة أجسامهم وبقوة بنيتهم وبولعهم بالحرب والخمر والميسر حتى بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يقامرون بنسائهم وأولادهم

وقد ظل الألمان على وثنيتهم فترة طويلة من الزمان ثم دخلوا فى المسيحية فى بدء العصور المتوسطة .

ولست أحب أن أتعرض بالتفصيل لتاريخ ألمانيا ولكنى أحب أن أذكر فقط أن من يدرس تاريخ الألمان يشاهد ظاهرتين بارزتين :

أولا : تأخر قيام دولة موحدة فى ألمانيا، إذتم ذلك فى سنة ١٨٧٠ أى منذ ثمانين عاما تقريبا ، ويرجع السر فى ذلك إلى أن القبائل الإلمانية كونت ولايات مستقلة وظلت هذه الولايات تعمل على المحافظة على استقلالها . صحيح أنه فى فترات مختلفة من التاريخ قامت دول وإمبراطوريات تضم جميع ألمانيا بل وكثيراً من الدول الأوربية ، ولكن الدولة الألمانية الموحدة توحيداً كاملا لم تقم إلا سنة ١٨٧٠

ثانيا : امتاز تاريخ ألمانيا بظهور أبطال عظام تقمصت دولتهم فى شخصيتهم ، وتقمصوا هم فى شخصية دولتهم، أمثال فردريك الأكبر ، بسمارك ، غليوم ، هتلر

وإننا ما نزال نذكر أن الناس حين كانوا يتحدثون عن هتلر كانوا يقصدون ألمانيا فكان اسم هتلر مرادفا لاسم ألمانيا . ولكن أهم من ذلك أن الألمان كانوا ينزلون لهؤلاء الأبطال عن كثير من حرياتهم ويمنحونهم سلطة مطلقة فيصبح هؤلاء حكاما بأمرهم . ومع هذا لم يطغوا بل استخدموا هذه السلطة فى خدمة الوطن ، وكانوا أول خادم للوطن والشعب حتى بلغوا مرتبة التقديس عند شعوبهم

للكلام صلة

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

بين المتنبي وكافور

دراسة بائية المتنبي في مدح كافور

للأديب نور الدين شمسي

ليس يعنينا فى دراستنا لقصيدة المتنبى أن نقف على كل شاردة وواردة فيها ، نشرحها ونعللها ونبين ما تنطوى عليه من معنى وما تحتويه من ألوان القبح أو الجمال ، لأن هذا يخرج بنا عن نطاق الدراسة العاجلة التى نريد بها اليوم أن نقف على قصيدة المتنبى جملة فنقرر ما إذا كنا نستطيع أن نرفع من شأنها لنضمها فى عداد فرائده وروائع قصائده . . أو أن نضع من شأنها فنلحق بها بين قصائده التى ابتعد فيها عن عبقريته وانحط من عليائه . . أو أن نلتمس لها مكانة بين المكانتين لا نرفعها ولا نضعها .. وإنما ننظر إليها على أنها قصيدة استوى فيها عمود الشعر وأخذت من جماله بنصيب

الحق أن المتنبى ليس كغيره من الشعراء ، وإذا أردنا أن ندرس قصيدته فما ينبغى لنا أن ندرسها كما ندرس أية قصيدة أخرى لأى شاعر آخر . . وإنما يجب أن نراعى خلال ذلك اعتبارات لن نستطيع مطلقا أن نفهم القصيدة ما لم نقف عندها مليا ونتأملها طويلا .

فالمتنبى شاعر طموح كبير النفس ، لازمه طموحه منذ أن كان صبيا حتى وافاه أجله وانتهى إلى نهايته . . وطموحه هذا هو الذى جعله فى كثير من الأحيان يخرج عن المألوف فيفخر بنفسه فخرا لا يدانيه فخر ، ويعجب بقوته عجبا لا يماثله عجب ، وينظر إلى نفسه على أنها من نفوس الملوك والأمراء وإن وضعتها المقادير غمطا وإجحافا فى مصاف الشعراء الذين لا حول لهم ولا قوة :

همّتى همة الملوك وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء

إذا فهمنا هذه الناحية من حياة أبى الطيب فقد وجدنا أنفسنا وجها لوجه أمام أعذار جمة نستطيع معها أن نقبل من المتنبى إسرافه فى مدح كافور فى بائيته

ذلك أن نفس أبى الطيب كانت تتململ بين جنبيه وتأبى أن تظل هكذا بعيدة عن العظمة التى خلقت لها بينما يتمتع بها أناس ليسوا بأحسن منه حالا ولا بأطول باعا ولا بأرسخ فى العلم قدما . ولقد نراه يطلبها جادا وبأى ثمن فيمدح العبد ويقدم بين يديه الشعر الرفيع والقصيدة الخالدة؛ وكأنى بنفسه تكبر ذلك وتأباه، وكأنى به ينكر ويكذب ما يقول ولكنه يرضاه مرغما ليشبع فى نفسه نهما إلى الملك والعظمة وكبار الأمور . ولو لم تكن بين جنبى أبى الطيب تلك النفس الكبيرة لرضى بصغائر الأمور وحقائرها ولقنع بما قنع به غيره من عطاء الملوك ونوال الأمراء

لم تكن قصيدة المتنبى فى مدح كافور ضربا من المدح المعتدل، وإنما كان فيها إغراق فى التعظيم وإسراف فى الثناء.. وما للمتنبى من غرض يبتغيه إلا أن تبلغ القصيدة قلب الممدوح وتصل إلى وجدانه .. وما كان له من غاية ، بعد ذلك ، إلا أن يستجيب له ذلك القلب وهذا الوجدان فيبلغه القصد ويدنيه من الأمل

ولذلك نستطيع أن نسيغ تلك المبالغة التى نثرها فى قصيدته بغير حساب . . ثم لا نكتفى بذلك بل لا نملك أنفسنا من أن نردد بكثير من الطرب والإعجاب قوله :

كتائب ما انفكت تجوس عمائرا من الأرض قد جاست إليها فيافيا
غزوت بها دور الملوك فباشرت سنابكها هاماتهم . . . والمغانيا
وأنت الذى تغشى الأسنة أولا وتأنف أن تغشى الأسنة ثانيا

إنها مبالغة لا شك . . ولكنها على جانب كبير من الروعة والجمال ، ومن ذا الذى يمنع الشاعر أن يملأ ماضغيه بمثل ذلك . وما ميدانه إلا الشعر . . وما قوامه إلا الخيال الواسع البعيد ؟

لننتقل الآن إلى العاطفة ، ولنفتش عنها بين أبيات هذه القصيدة فهل نرى لها أثرا .. وما حظها من القوة ونصيبها من الصدق ؟

لا نستطيع أن نحكم بأن المتنبى كان صادقا فى مدحه لكافور لأنه إنما كان يمدحه حبا فى الوصول إلى غرض معين . . ولكن كيف استطاع المتنبى أن يكسب قصيدته هذا اللون من القوة والتأثير ، وكيف استطاع أن يرضى كافورا — وإن لم يصل به رضاه إلى حد الاقتناع فالاستجابة — ؟

الواقع أن المتنبى لم يكن يضمر لكافور شيئاً من الحب كما أنه لم يكن يضمر له شيئاً من البغض .. وكل ما هنا لك أنه كان يطمع فى أن يصل إلى شئ عن يده وبواسطته .. إذاً فما له لا يستعمل براعته فى أن يجعل من قصيدته هذه قصيدة صالحة لأن تقدم إلى ملك بنية التأثير عليه وأملا فى تحريك قلبه ووجدانه، وما هى حينئذ آلته إلى ذلك ؟

يقول أميل فاكيه فى عبقرية شاتو بريان « إن العاطفة والجمال هما قوام الشاعر . ولكن يكفى أحد هذين العنصرين إذا كان ممتازا أو قويا ، وإن كان اجتماعهما عند شاعر ينتج أروع الآثار »

إذاً فلم لا يلجأ المتنبى إلى خياله الخصب ما دام أحس برودة عاطفته وجمود إحساسه وله فى الخيال كعب عال وسبق وتبريز ؟ وما لنا ألا نفتش عن سبب جمال القصيدة فى ميدان الخيال بعد أن بحثنا عبثا فى ميدان العاطفة ؟

ألا ترى إلى هاتيك الجرد الخفاف كيف صورهن خياله على أبرع شكل وبأروع صورة . وكيف وضع أمام ناظريك صورة ذلك القطيع من الجياد : يدب آناء الليل وأطراف النهار ليبلغ كافوراً ولو بعد المسير إليه :

وجرداً مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافا يتبعن العواليا
وتنظر من سود صوادق فى الدجى يرين بعيدات الشخوص كما هيا
وتنصب للجرس الخفى سوامعا يخلن مناجاة الضمير تناديا
بعزم يسير الجسم فى السرج راكبا به ويسير القلب فى الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

أولا ترى أن الخيال وحده هو الذى ملأك دهشة وإعجابا

وانظر إلى هذا البيت الذى اعتمد على العاطفة وحدها ألا تحس ببرودته وتشعر بجموده :

أبا المسك ذا الوجه الذى كنت تائقا إليه وذا الوجه الذى كنت راجيا

إن الخيال مرة ، والمبالغة العادلة مرة ثانية ، وهذه الموسيق العذبة التى تراها شائعة فى كل أنحاء القصيدة ، وهذا البحر الطويل الملائم الذى اختاره لقصيدته . وذلك الأسلوب الرصين والديباجة المشرقة التى لا تستطيع أن تدل عليها ببنانك وإنما تشعر بها بجنانك . هذا كله وشئ من الصناعة الطريفة التى جاءت من غير كد ولا تكلف ، ساهم فى إعطاء القصيدة درجة ممتازة ومكانة رفيعة بين سائر شعره وقصيده

* * *

على أنه لا ينبغى لنا أن ننظر إلى القصيدة بعين واحدة فحسب هى عين الرضا والارتياح وإنما يجب أن ننظر إليها بالعين الأخرى لنرى ما إذا كان هنالك بعض ما يؤخذ عليها من عيوب :

لئن كنا أعجبنا كثيرا ببعض ضروب المبالغة التى جاءت فى قصيدة المتنبى اليائية، إلا أن ذلك لا يمنعنا أن ننكر بعضها الآخر ونستقبحه ونستنكر عليه . ولئن سوغنا له أن يتحدث عن شجاعة كافور وبسالته بالمقدار الذى أراد، إلا أننا لا نسوغ له مطلقا أن يحمل الجنس السامى كله وما يملك من نفس ومال فداء له مبالغة فى الثناء وإسرافا فى الامتداح :

ومن قول سام لو رآك لنسله فدى ابن أخى نسلى ونفسى ومالي

كما أننا ننكر أن يقول المتنبى مثل هذا القول :

فتى ما سرينا فى ظهور جدودنا إلى عصره إلا نرجى التلاقيا

لأننا ما عهدنا المتنبى يقول ذلك وهو الذى قال صغيرا :

أى محل أرتقى أى عظيم أتقى
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرق

وهو الذى قال كبيرا :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدم

كما قال :

وكيف لا يحسد امرؤ علم له فوق كل هامة قدم

ومما يحملنا نشتط فى إنكارنا هذه المبالغة فى هذه الأبيات التى مرت بنا ، أنه ينشدها فى أول زيارة لكافور حين كان هذا يعلم تمام العلم أن المتنبى لم يحبه بعد ولم يعرف عن سجاياه ما يجعله فى عينه يستحق مثل هذا الإطراء ، الأمر الذى أدخل الشك إلى نفس كافور وعرفه بأن هذه المبالغة إنما هى مبالغة فى التملق والرياء لا فى المدح والثناء

ولو اقتصر المتنبى على الإغراق فى المدح لهان الأمر . . ولكننا نراه منذ أول قصيدة أنشدها فى كافور يلوح له بما فى نفسه ويطلب منه الإمارة والولاية فيدرك كافور الغرض من

بجيشه ويعرف سر هذه المغالاة فى مدحه وتعظيمه

ولو اقتصر الأمر أيضاً على الإغراق فى المدح والمطالبة بالولاية لالتمسنا له بعض العذر – مكابرين – ولكنه أرادها جائزة تليق بعظمته ، بدون ستر أو إخفاء :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا لسائلك الفرد الذى جاء عافيا
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

مما جعل كافور يخاف من نوايا المتنبي ويقول كلمته المعروفة « ياقوم إن من ادعى النبوة بعد محمد (ص) ألا يدعى الملك بعد كافور ؟ فحسبكم »

وشئ آخر لا نريد أن نمر بالقصيدة دون أن نقف عنده بعض الشئ ، وهو خلوها من فخره بنفسه على غير عادته فى مدحه للآخرين .. وإن كان المدح الأمثل يتطلب ذوبان شخصية المادح فى شخصية الممدوح ، إلا أننا نذكر هنا خروجه هذا من عادته لندل أيضا على ما فى هذه القصيدة من مبالغة فى الرياء ، فقد أراد أن يجعلها خالصة لوجه كافور ولو شئنا لقلنا خالصة لوجه الجيش والعراقين !

لقد سمعناه يمدح سيف الدولة فما كان ينسى نفسه ولا كان يغادر القصيدة إلا وقد بث فيها كثيرا من فخره بنفسه .. ويحدثنا التاريخ أنه كان محبا لسيف الدولة فكانت عاطفته نحوه صادقة أمينة فلم يجد عندئذ من الغضاضة أن يفخر بنفسه ويمدحها فى مدحه لسيف الدولة .. وميزة أخرى جرى فيها مع عادته وطبعه وهى أنه نثر بعض الحكم في قصيدته كما اعتاد أن يفعل فى كثير من قصائده فنراه يقول :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تتقى حتى تكون ضواريا

كما يقول :

وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

* * *

وخلاصة القول أن قصيدة المتنبي هذه من القصائد الرائعة التى كتبت له الخلود ، وإن كان فيها بعض ما نأخذه عليه ، فإن ثبات المستوى ليس شرطاً فى الشاعرية وقد يجمع البحر الماسة الكريمة البيضاء إلى جانب الفحمة القذرة السوداء

نور الدين شمسى باشا
كلية الآداب – جامعة فؤاد الأول

٢ - رحلة الى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

ولما وصلنا ، ألقينا لديهم عصا التسيار ، وفى ثانى يوم الإقامة عندهم ، حال توالى رؤيتنا برهم ورفدهم ، قصدت زيارة سيدى سبلان . وممن مشى فى الركاب جمع من الأحباب منهم محمد سعيد السلفيتى ، وتوجهنا بصحبتهم إلى (سمسع) وبعد الغدا سرنا إلى (صفد) وزرنا ابن حبيب والمغارة ، وختمنا الربعة الشريفة ، وتغدينا عند قاضيها إسماعيل افندى ، ذى الرتبة المنيفة ، ودعانا واليها للعشا ، وسرنا منها قبيل العشا ، وقطعنا (الخيط) صحبة أولاد مراد ، وودعناهم عند (عين الذهب) الفائقة عين العسل ، وسرنا إلى خان (حاصبية) ومنه أتينا (أكام) وسرنا إلى قرية (راس العين) فرأيناها منتزها يسر الخاطر والقلب والعين ، وبتنا عند رجلها الشيخ محمد ، واجتمعنا فيها برجل مصرى يسمى بالشيخ على ، له فضيلة فى العلم بها ملى ، وفى الصباح بعد وداع رب المنزل والضيف ، سرنا كأنا نسير فى وادى عوف . وعندما وصلنا (المزة) نزلنا بساحة حلوة ، ووردت علينا أحباب أعزة ، منهم الصهر النبيل الشيخ إسماعيل ، وابن العم ذو الوفا المنلا مصطفى ، والصديق صاحب الأحوال السمان الشيخ عبد الرحمن السمان ، وغيرهم من أعيان ، ونزلت لدى الصهر المحترم من أجل الأخت وأولادها الحرم ، وبقية الجماعة فى دار قريبة منا ، وورد كثير أحباب للسلام ، حتى حبست فى البيت عدة أيام ، وبعد أن أقام الحاج حسن أياما ، وأخذ ما يحتاج إليه من الهدية تماما ، وزار الصالحية ورجالها ، وقصد أعيانها وأبطالها ، طلب الإذن بالعود الأحمد ، وتوجه ، فحرك السوا كن يوم وداعه ، وتوجه بصحبته الشيخ أحمد الباقانى والأخ الحاج سلامة الراميني [1] والأخ الراعى للمهد الحاج حسن الجاعيلى والحاج محمد الكفرعيني وبعد توجههم إلى البلاد ، بهدية للبيت والأولاد ، اجتمعت بالوزير الشهير جناب سليمان باشا [2] ، ذو القدر الخطير ، وكنت سمعت الخاص والعام يثنون عليه بحسن الالتئام مع أهل الشام ، فأكرم بما لا مزيد عليه من إكرام. حباه الله مزيد الإنعام

« وممن اجتمع بنا المحب الأمجد الذكى محمد جلبى بن مكى ، وأنشقنا مع حسن أدبه عرفه الزكى ، ومشى أمامنا يوم وداع الدستور الأكرم المسكى ، وقام فى خدمتنا وهو المشار إليه أتم قيام ، بلغنا كل مراد ومرام

« وفى اليوم الثانى من شهر ربيع الأول ، توجهنا بعد وداع أهل وأحباب إلى (حرستى) مع الصهر المحترم وجمع من الأحبة ، ثم رجع الصهر وسرنا إلى (دومة) القرية الملومة، و بتنا فى دار واسعة الأكناف مع إخواننا الكرام الأشراف، وفى الساعة السادسة ودعنا ابن العم المنلا مصطفى ، والأخ الأمجد الشيخ محمد السفاريني [3] والصديق الأوحد الشيخ أحمد نجل الشيخ محمد بن شيخنا الشيخ عبد الجليل نجل شيخنا الشيخ أحمد أبى المواهب الحنبلى وغيرهم سائرين إلى (القطيفة) ثم سرنا منها إلى (النبك) ذات الحبك والسبك، وأنشدت بعد ما ذكرت الشيخ على النبكى :

ولما أن أتيت لأرض نبك ... غدت عينى من الإبعاد تبكى

ومنها أتينا خان (حسية) العامر الآهل بعمره ذى الرأى الثامر ، ومنها سرنا إلى مدينة حمص وزرت رجالها من الخارج ، كالمدتين السابقتين ، وقرأت الفاتحة لسيدى خالد بن الوليد ، وورد على تاجر يسمى بالسيد عبد الرحيم ، وطلب الاندراج فى سلك أهل الرحيم ، وآخر يقال له الحاج باكير وكان أرسل لى كتابا أودع فيه أساطير ، وطلب الإجازة والانتماء للفقير ، فأجبته ، وأنا راج لى وله التعمير ، وسرنا منها إلى حمى (حماة) ولما رأيت سورها القول فى قلب لفظه المأنوس ، سور حماة بها

---

(١) نسبة إلى قرية من أعمال قضاء طولكرم ، خرج منها كثير من علماء الحنابلة والقضاة فى القرون الثامنة والتاسعة والعاشرة جاء ذكرهم فى شذرات الذهب ، وقد نزحوا إلى دمشق ونصروا للمذهب الحنبلى هناك

(٢) كان واليا للشام سنة (١١٤٥-١١٤٧هـ)-١٧٣٢-١٧٣٤م وقد ترجمه المرادى ٤ - ١٩٤

(٣) سفارين قرية من أعمال طولكرم ، ترجم له ولوالده المرادى . وقد أثنى المرادى عليه وكان حنبليا وله تآليف كثيرة منها شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، ومعارج الأنوار فى سيرة المختار فى مجلدين الخ . توفى سنة (١١٨٨ هـ) راجع المرادى ج ٤ - ٣١

عروس ، شهدت من بعيد أحبابا لهم ود أكيد عرفت منهم صهر الصهر السيد عبد الرحيم العقيلي ، ذى الشراب السلسبيلي وغيره من أصحاب ، أعرفهم من دار الصهر المهاب ، ثم تتابع استقبال أخيار، من أعيان تلك الديار، وأنزلنا المشار إليه فى داره والرفاق، وأغدق الإكرام أى إغداق، وممن حضرنا فاضل على، وفاصل ملى، يدعى بالشيخ على ، وطلب تحصيل النسبة، مع جماعة لهم فى الفضل رتبة ، فأجبناهم لذلك ، راجين لنـا ولهم سلوك أحسن المسالك ، وكتبوا الأوراد والقصائد الابتهالية ، وأخذ بهـا ما يقارب العشرين من الأنفس الذكية ، وخرج لوداعنا إخواننا الكرام ، منحهم الله وافر سافر المرام ، وسرنا إلى (قلعة المضيق) وهان على من بعد قطع كل مضيق ؛ ومنها أتينا (الشنغر) الذى امتلأ بالناس وما شغر ، ولصدر نازله بالأمن شرح فـا وغر ، ثم سرنا إلى (الزنبق) وفى الأثناء ذكرت من فى الديار بقى ، وتذكرت قول المصونة علما ، قرة العين ، قبل توجهى عنها بيومين ، متى يا أبى تذهب ؟ فقلت بعد غد والقلب يتلهب ، فأسندت رأسها إلى الحائط القبلى ، وأجرت دموعا تضنى المحب وتبلى ، فمنيتها بقرب الرجوع ، فلم يفدها غير سكب الدموع ، بل قالت مرادك تخليني وتروح، وأنت أنة مستهام مجروح، وذكرت أخاها، عندما رقيته حناها ، وشقيقتها النفيسة نفيسة ، وبكاها يوم الوداع بأشواق رسيسة ، وأنواق كبيسة ، فأبدى التذكار ، سحاب دمع حار ،

على العاصى فى بلاد النصيرية :

« ونصبت لنا خيمة على كنف نهر العاصى ، فانحظينا ببسط دان غير قاصى ، وسرحت طرفى فى زيتون تلك القرايا ، التى أهلها على المذهب النصيرى ، وقبل أن جمعنا المشائين على مذهب الإمام ابن إدريس ، تحركت الرفاق إلى انطاكية بوجد رسيس

فى أنطاكية :

« ثم أنا جمعنا وسرنا، والبها على أجنحة الخيل طرنا ، ورأينا غب الوصول سورها الخراب ، المحير للألباب، ولكنه كاد يساوى التراب . وبعد أن استقر بنا المقام على جانب العاصى ، رأيت ناعورة تبكى بصوت حزين ، دائرة على قلبها تجرى عليه الدمع الحزين ، فأشجانى وأبكانى بكاها . وزرت من البعد سيدى حبيب النجار ، وكتبت للأخ الأمجد الحلبى ، الشيخ محمد بن أحمد المكتبي، كتابا مختصرا على الإخبار بوصول أنطاكية . وصورته « بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على حبيب أسيافه للأعداء نا كية، وبعد غنصم الأخ الكريم غب السلام والتكريم، أنا وصلنا بالسلامة أنطاكية ، نهار الثلاثاء الثالث عشر من شهر المولد الذى طيب عرفه الأطياب حاكية ، فأحببنا إعلامكم بذلك كيما يتوجه بالدعا كل خدن محبة لقيس لبنى محاكية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

ودخلنا بها الحمام الجندى ، واشتريت فرسا حمرا ، لكى أطوي من متعب السرجى جمرا ، ورحلنا لنحو (بيلان) التى عقبتها أم غيلان ، وحصل يومها لطف محبته سلامة لولاه، لأهلنا التراب على رفيقنا الحاج سلامة فقلت :

ثم سرنا منها إلى (باياس) بعد ضيق يلتقى ببحر الاياس
وسبقنا لها بجمع من الركب وفى خانهـا شربت بطاسى
ثم منها سرنا (لقرط قلاق) فأصاب الفؤاد حد احتباس
(ولمسيس) قد توجه وجه الجسم بحمى كما بنل شرب كاسى
ولنسق من نهر جيحون كوبا مذهبا مذهبا هنام رامى
واصطحبنا يوم الدخول إليهـا بمحب فى العلم والفضل آمى
أحمد الاسم أحمد الوصف قد حط لدى أحمد الأنام المراسى
آخذ عن أعلام شام كرام حافظ للحواس والأنفـاس
خص قربا ممن يحب وشربا وكذاك الأحباب قومى وناسى

فى أدنة والأناضول فى طريق الحج الى استنبول (الآستانة) دار السعادة

« ثم دخلنا فى الصباح (أدنة) ولم نخف منع حماة سدنة ، لأن ركب الحاج ، أمنوا من أعوان الحجاج ، وطرقنا بهـا يوما، فاسترحنا إقامة ونوما ، ثم قطعنا الشاقط الساقط ، بعد جهد بالأسانايا قط ، وأتينا (اليايلا) أى النجعة بوزن الدقمة ، طلب الكلأ فى موضعه ، تقول منه انتجع فلان فلانا أى يطلب معروفه ، والمنتجع بفتح الجيم المنزل فى طلب الكلأ ، ويقال أربعوا أى أقاموا فى المربع، وأربع إبله فى مكان كذا أى رعاها فى الربيع ، فوجدنا من النصب الشديد، ما ليس عليه مزيد ، وقطعنا من العقاب ، ما جمع كل عقاب ، وسرنا منها إلى

(خانين) تقابلا بعد قطع مخاضات أربعين ، لا تكاد تقطع لفرط شقة وعنا ، لولا أن المعين يمين ، وصعدنا منها جبلا لا ينتهي صعودا إلى الجوزا من غير سلم ، وعقبه هبطات مزعجة جدا تهبط حبل نازلها ولكن الله سلم ، إلى أن وصلنا (أولى قشلة) فانتشلنا بالنزول لديها أى نشلة ، ثم منها توجهنا بلا مهلة ، إلى مدينة (أركلة) ونزلنا لدى ماء خرار ، فتذكرنا الشام الكثيرة الأنهار ، وأقمنا بها للراحة ، إذ للمكارين بها عادة استراحة ، ولولا اعتناؤهم بهذه الإقامات ، ما بلغت دوابهم دور السلامات ، وليس فى هذا الطريق راضة كطريق الحاج ، وبه وعد كثير بدهدك الأبراج. وفى يوم الأحد ورد من أهل البلد، من لهم على الجدل جلد، برد جلدهم عليه وحسنه الخلد ، ظننا أنه بدنى دار الخلد من لأرضه أخلد ، ينتمون إلى الزادلية (٤) ، ويعظمون النكير على الصوفية ، بسند عليه لا يعتمد ، فأظهر أحدهم ميلا ما بهعند، فتكلمنا معه بما ألهم الأحد ، ورأيت الكلام مع أهل الخصام كالكلام ينكى القلب والجسد ، ومع أهل الاستسلام فكالقند الأملد ، ثم سرنا إلى (قره بنار) أى النبع الأسود ، ومنها إلى (أصمل) بجد دون قرار ، ومنها إلى (قونية) بلدة المنلاخنكار، وزرناه وجلسنا فى المقابلة ، لحظينا بإمدادات مسبلة للسابلين ، وإنعامات مختصة بكل قابل وقابلة، وسرنا إلى (اللادق) فأصابنا ريح بارد صادق ، ونبه أن هذا الطريق فى الصيف برده ينكى ، فنى الشتاء عن وصفه أيها المعبر لا تحكى ، مرشدا لى إياك والسير فى أكنافى ، إلا إن كان فى الصيف الصافى . وسرنا إلى (النن ذات القبلوجة) (٥) ومنها أتينا (آق شهر) (٦) على خيول مسروجة ، ومنها أممنا (بلاوضون) ومررنا على جسرها الطويل الذى يهون ، وقبيل غيبوبة قر ، سرنا إلى بياض بليل أظلم بعد ما أخد ، ومنها إلى (خان الوزير) ومنه إلى (السيد غازى) ذى القر الخطير ، ومنه إلى (اسكى شهر) من أهلها لهم فى الصدقة مهارة أمرها شهر ، وكتبت منها كتابا للصهر ، وكذلك كتابا للولد محمد كمال الدين ، ومنها لم نزل نسير الأرض فى طولها والعرض، ونقطع طول القفار ، إلى أن وصلنا (اسكدار) فتلقانا بها أحباب أخيار

فى مدرسة شمى باشا :

وأنزلونا مدرسة شمى باشا (٧) ، وانتعش القلب بالراحة من الأفكار انتعاشا ، واجتمعت بجناب المحب الأوحد ، الفرد السيد محمد الأمجد ، وكتبت منها للصهر كتابا ، وآخر للولد ، وكتابا للأخ الحاج حسن بن مقلد (الجيوسى) وآخر لمحمد جلبى مكى زادة ، صدرته بـ :

سلام من ديار الروم يهدى لخدن حبه أهدى وأهدى

فى دعوة ابن عم الشيخ :

« ولما وصلنا (اسكدار) أقمنا من يوم الأحد إلى الخميس ، وكان دعانا ابن العم الرئيس ، إلى داره للتأنيس ، فسرنا إليها ذلك اليوم النفيس ، وبعد أن أقمنا عنده أيام الضيافة ، وشربنا فى حانته صرف السلافة ، أتينا باشارته مدرسته ، وكان أراد أن يدخلنا حوزته ، فلم نجبه لحب فى العزلة المحمودة ، ورعاية الأحباب يردون على منزلتنا المقصودة ، والمدرسة منسوبة لحسن باشا المقتول (٨) ، المبنية فوق سبيله المقبول ، ونحن إلى الآن فيها نرتجى حصول الوصول إلى حومل القبول والدخول ، ثم يطلب الشيخ من محمد جلبى مكى زاده فى ختام كتابه « أن يسدى أجزل تحية لسدة قدوة عمدة عمدة الوزراء الفخام (أى سليمان باشا العظم والى الشام، من تثنى عليه ألسنة قلوب ملئت من لطافه بالغرام ، حميد الذكر والشيم الكرام ، عند الخاص والعام ، من أرباب السؤدد والاحترام ، الوحيد الهمام ، والفريد المقدام ، من نرجو له دوام خدمة بيت الله الحرام ، ليحيى الدارس فى تلك الطلول والآكام، وينشئ ما يحوز به الإكرام من السلام فى دار السلام ، ويجدد ما يحتاج إليه الحاج فينال الأجر التام ، ويحوط أراضى الشام ، ويسعى فى عمارها ورفع جور الحكام ، لهم على الظلم إقدام

للكلام بقية

سامح الخالدى

(٤) الزادلية هم طائفة تنتسب إلى شيخ زادة المشهور بقاضي زادة وقد ترجم فى الشقائق النعمانية . وهم ينكرون رفع الصوت عند الرسول ويقولون بهدم قبور الأولياء ويعتبرون من أخصام الصوفية

(٥) أى المياه الحارة الساخنة التى تنبع من الأرض

(٦) أى البلدة البيضاء

(٧) فى دمشق مدرسة بهذا الاسم (المرادى ٣ – ٢١

رسالة الشعر

سألتنى . . .

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

سألتنى وهى نشوى من رحيق القبلات
فى خميل رائق الزهر ندى النسمات
مخضل العشب مطلول بعطر الزهرات
والدرارى غائمات فى خضم الظلمات
من ترى توحى إليك الشعر عذب النفحات ؟
فتحيل الليل قيثارا شجى النغمات ؟
قلت يا أغرودة الروح ويا سر حياتى
من ترى غيرك توحى لى نشيد الصبوات
أنا لولاك لما سلسلت فى الناس شكاتى
ولما ساجلت بالشدو هزار الربوات

* * *

ثم قالت : وهى تدنى ثغرها الظامى لثغرى
أصحيح أنت لن تعشق يا شاعر غيرى ؟
هل أنا الأولى التى ألهمتك الشعر بسحرى ؟
إن أكن علمتك الحب فلم أفشيت سرى ؟
قلت يا بهجة أيامى ويا فرحة عمرى
بالذى أفرغ فى مبسمك الفينان خمرى
والذى أودع فى صدرك أثمارى وزهرى
أنت من كان هواها مالكا قلبى وفكرى
وإليها كان بثى ، ونجاواى وشعرى
فدموعى ملء عينى وحنينى ملء صدرى

* * *

ثم ألقت صدرها الناهد للقلب العميد
ومضت تسأل : هل تعشق غيرى من جديد ؟
قلت ، والنسمة تهفو فوق أفنان الورود :
يا هنائى ، يا هواى البكر ، يا لحن قصيدى
أنت من كانت نشيدا قبل لقياها بعودى
أنت من كانت خيالا طاف بالفكر الشرود
ومثالا يتراءى لعيونى من بعيد
فلم التسآل عن حبك يا سر وجودى ؟
أنت من هيج قيثار غنائى للنشيد
فترنمت مع الحب بألحان الخلود

مهاجر وفلسطين

إليهم تحت كل خيمة ، وخلف كل جدار ، وداخل كل كهف

أخى فى الكفاح أخى فى العذاب ... أتسمع مثلى عواء الذئاب ؟
تفزع أطفالنا النائمين ... وتنذر أحلامهم بالخراب
ويفتح أعينهم فى الظلام ... دوى الرصاص ولمع الحراب
فقم وادع مثلى ليوم الخلاص ... وميلاد تلك الأمانى العذاب
وإن قيدوك ، وإن عذبوك ... وإن هددوك بشر العقاب
فلا تستكن يا ابن هذا التراب ... أمام وحوش الحياة الغضاب
أخى يا ابن هذا التراب الحزين ... أتسمع مثلى أنين التراب ؟
وقد ملأته جموع العراة ... أسارى الرغيف سكارى العذاب
طريقهم ملأته القبور ... ورنت بها نعبات الغراب
ومسكنهم هاويات الخيام ... وملبسهم باليات الثياب
ولكن خلف دجاها الكئيب ... تبدو منازلهم والقباب
وهم يرمقون إليها العيون ... ولا يملكون إليها الذهاب
وهم ، والليالى تنسى الغريب ... وتلقى على الذكريات الحجاب
مضوا يحفرون بدمع العيون ... ودمع القلوب طريق الإياب

معين توفيق

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

رمزية فى الشعر :

أود فى هذه الرسالة أن أقف منك موقف السائل ، كما أحب أن تقف منى موقف المجيب . وأتمنى أن تكون ممى فى هذين الموقفين صريحا وجريئا شأنك فى كل المواقف التى عرفتك فيها من قبل

أنا لا أنكر عليك الجرأة والصراحة ، ولكنى أخاف أن تحول صداقتك بينك وبين ما أنا عارضه عليك . . وأخشى مرة أخرى أن تتغلب عليك النزعة الإقليمية التى تتغلب على الكثير من كتاب مصر — وحاشاك من هذا الظن الخاطئ — عندما يسألون عن كتاب أو كاتب وقيمته فى ميزان النقد الأدبى فيلفون ويراوغون ، ويجيبون على قدر ما تقتضيه حقوق الزمالة وصلة الجوار ، خصوصا إذا كان الكاتب مصريا والسائل من بلاد أخرى ، متخذين من الألفة عينا تغض النظر عن العيوب ما دام صاحب الأثر الفنى الكسيح صديقا يجب ألا ينال منه معول النقد النزيه أو من أثره المتصدع الأركان !

والسؤال الذى أعرضه عليك يتعلق بالشعر ، هذا الفن الجميل الذى أصبح الآن ملهاة بيد أناس لا يحسنون حتى أداءه ! أما هذا الشعر فهو يتعلق بقصيدة وسمها ناظمها باسم « إلى فتاة » ، وأما صاحبها فهو صديقك — كما قيل لى — بشر فارس الحائز على شهادة الدكتوراه من السربون ، وقد نشرت هذه القصيدة أو هذا الهذر المنظوم فى العدد الثامن عشر من المجلد الخامس من مجلة « الكاتب المصرى » التى كان يرأس تحريرها معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف المصرية ، ولم يتسن لى الاطلاع عليها فى حينها لانشغالى بقراءات أخرى متعددة

لقد عرض على هذه القصيدة قبل أيام صديق من شباب الأدباء ، وطلب إلى أن أبدى رأيى فيها . ولقد قرأتها عدة مرات وفى كل مرة كنت أخرج منها بعدم الفهم أو بلا شئ ! وخفت أن أظلم الدكتور بشر فارس ، أو أتهم نفسى بالمغالاة والأنانية ، فجئت أعرض قصيدته عليك لتقف حكما بين فهمى وذوقى وبين شعر الدكتور الشاعر ، ناظم هذه المعجزة التى حيرت عقول البشر من شعراء ونقاد . . إن قراء « الرسالة » فى الشرق والغرب ليتطلعون إلى حكمك النزيه الذى أعتقد أن روابط الصداقة لن تحول بينك وبين إصداره ، أو بينك وبين صراحتك المعهودة وجرأتك النادرة المثال ! وهذه هى القصيدة :

فيض أهواء العيون   تنشد المرمى اللطيف
خاف جسات الجفون   تحصر الوهم الرهيف
فر هفاف الجنون   نحو أبراج الطريف
يجتلى ما قد يكون   بعد منظور كثيف
عاد من قطب الظنون   من سنا أوج عفيف
مثل زهو فى الغصون   لم يروضه الخريف

* * *

بصرينى يا «وضوح»   ثروة القطب الخطير
أنا فى وهج الفتوح   يقظ لكن حسير
خف بى كشف طموح   وكبا فهم كسير
فسرت فوحات روح   فى غيابات الضمير
لهات قد تبوح   بخفيات الأثير
وبه جودى بالشروح   يسرى أنس الغرير !

وختاما لك منى أصدق المودة وأخلص التحية . . . واسلم للأدب وللقراء ولأخيك :

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى

مشكلة النزعة الإقليمية التى ورد ذكرها فى رسالة الأستاذ الناصرى ، تفرض على أن أعود به وبالقراء إلى الأمس القريب ؛ إلى ذلك اليوم الذى ظهر فيه العدد (٩١٥) من الرسالة حاملا إلى هذه المشكلات من قارئ أديب :

« قبل أن تطالع علينا بهذا المذهب النقدى الجليل — مذهب الأداء النفسى — كنت أتوق وأتمنى لو أن فى أدبنا العربى مثل هذا المنهج فى دراسة الأدب ونقد الشعر وعندما قرأت مقالك الأول ، وأخذت فى قراءة الثانى أمسكت عن القراءة وعزمت على أمر .. عزمت على أن أنتظرك حتى تتم هـــذه المقالات أو هذا المنهج فى فصولك النفيسة ، فتضع بذلك حجر الزاوية فى بناء النقد العربى الحديث ، لأنى أردتها قراءة مترابطة آخذا بعضها بعرى بعض .

إلى هنا ياسيدى وأنا أوافقك على كل ما ترى ، وأذهب معك إلى أن « الأداء النفسى » هو المنظار الأفضل الذى يجب أن ننظر منه إلى نتاج القرائح وفيض العقول . . ولكن يظهر — واسمح لى بهذه — أنى أخالفك فيمن طبق عليه هذا المذهب ذلك التطبيق الواسع ، أو فيمن يجوز أن نجده فى شعره بصورة واضحة ، ومن يقرأ تعقيباتك وردودك ، ودمعة الذكرى على الشاعر الراحل يعرف أنك تقصر هـــذا المذهب على نابغة المنصورة ، وإن اضطررت — لسبب ما — ألا تغفل بعض من يسكنون الشام . وأستطيع أن أخرج من هذا بأن العصبية الإقليمية ما زال لهـــا مكان مرموق وصوت مسموع ، حتى عند أئمة النقد وحاملى لوائه » !

بالأمس اتهمنى هـــذا القارئ الفاضل — وهو من الأدباء السوريين — بالعصبية الإقليمية ، يوم أن تحدثت فى بحث متصل الفصول عن شعر على محمود طه . . واليوم أسمع هذه الكلمة نفسها من صديقنا الأستاذ الناصرى — وهو من الشعراء العراقيين حين يشفق على من أثرها وأنا فى معرض الحكم على شعر الدكتور بشر فارس ! إن ردى على هذا الإشفاق هو ردى على ذلك الاتهام حين قلت معقبا عليه منذ شهور :

« الشىء الوحيد الذى لم أكن أنتظره أو أفكر فيه ، هو أن يتهمنى قارئ فاضل بالعصبية الإقليمية ، أنا الذى حاربت هذه العصبية بكل ما أملك من جهـــد على صفحات « الرسالة » ، كلما أطلت برأسها من قلم كاتب أو من لسان أديب . . ومع ذلك فقد فوجئت بالقارئ الذى اتهمنى على غير ترقب وانتظار !

لقد طبقت مذهب « الأداء النفسى » على شعر على محمود طه ، وإن تلك النماذج الفنية التى استشهدت بها من شعره ، هى الحكم الفاصل بينى وبين كل معترض على أمانة النقد وسلامة التطبيق . ولن أضيق أبدا بأى قارئ يجادلنى فيما كتبت ، ما دام نقده قائما على أسس واعية من الفهم والذوق والمراجعة !

إن إيليا أبا ماضى الذى أضمه فى الطبقة الأولى من الشعراء ليس شاعرا مصريا ، ولعل القراء يذكرون أن أول تطبيق لمذهب الأداء النفسى على صفحات « الرسالة » كان منصبا على شعر هذا الشاعر ، حتى لقد دفعته الدهشة من أن يحتفل ناقد « مصرى » بشعره ، إلى أن يبعث إلينا بتحيته الصادقة وشكره الخالص ، على لسان صديقنا وصديقه الأستاذ محمـــد على الحومانى . . ماذا أقول بعد هذه اللفتة التى أذكرها لأول مرة ، حين دعت إليهـــا المناسبة واقتضاها المقام » ؟ !

هذه الكلمات التى تصور موقفنا من العصبية الإقليمية هى التى فرضت علينا أن نعود بالأستاذ الناصرى وبالقراء إلى الماضى القريب ؛ الماضى الذى لا يختلف عن الحاضر فى شىء من أهدافه ومراميه . . وإذن فليس هناك ما يدعو الأستاذ الصديق إلى أن يشفق علينا من هذه العصبية البغيضة التى ما زلنا نحاربها بالقلم واللسان ، فى كل مناسبة وكل زمان !

وإذا كان الأستاذ الناصرى يريد أن يعرف رأينا فى هذه القصيدة الرمزية ، فلا بأس من مطالعته بهذا الرأى الذى يستطيع على ضوئه أن يزن شعر الدكتور بشر فارس ، وهو رأى نقتطفه من كتابنا الثانى الذى يتطلع بعد الأول إلى النور فى الغد القريب . . إنه دراسة فنية عامة للرمزية النفسية والرمزية اللفظية أو الرمزية المطبوعة والرمزية المصنوعة ، أو الرمزية المستحسنة والرمزية المستهجنة ، ومن خلال تلك السطور التى وضعنا تحتها الخطوط ، يتضح رأينا فى رمزية « صديقنا » الدكتور بشر وكل رمزية أخرى تماثلها فى الصورة وتشاركها فى الإطار :

« ما دمنا نقسم الأداء فى الشعر إلى قسمين : أداء لفظى وأداء نفسى ، ونقسم الموسيقى فى الشعر إلى نوعين : موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ، فإننا نفرق أيضا بين لونين من الرمزية : هما الرمزية اللفظيـــة والرمزية النفسية . . وما دمنا ننكر القسم

الأول من الأداء ، ولا نقيم كبير وزن للنوع الأول من الموسيقى فإننا نستهجن أيضا ذلك اللون الأول من الرمزية ! إن الفارق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية هو الفارق بين الرمزية المصنوعة والرمزية المطبوعة . إننا ننشد الوضوح فى الفن لأنه ركن من أركان الجمال فيه ، وطريق من طرق الإحساس بهذا الجمال ، والشعر فن من الفنون الجميلة لامراء ، فإذا أخفينا هذا العنصر الفعال الذى يسلكه فى عداد تلك الفنون ؛ إذا أخفيناه وراء ستار من التعقيد والغموض والتعمية والإبهام فقد تلاشى أول بريق أخاذ يمكن أن تتملاه النفس فى هذا الفن ، ونعنى به الجمال ! نريد فى شعر الأداء النفسى تلك الرمزية النفسية المطبوعة ؛ الرمزية التى تلف الفكرة العامة أو الموضوع العام بوشاحها الرقيق الذى لا يحجب الضوء ولا تضيع من ورائه المعالم . . وكل رمزية فى واقع الأمر نقاب يلقى على الوجه الجميل ، ولكن هناك وجها يحول النقاب الكثيف بين جماله وبين العيون ، ووجها آخر يكسبه النقاب الشفيف فوق جماله ألوانا من الفتون . . وهكذا نجد الفارق الدقيق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية !

إن الرمزية فى جوهرها ما هى إلا وسيلة من وسائل التعبير تستحيل معها المدركات الحسية إلى مدركات نفسية .. إنها الجسر الذى تعبره الألفاظ والأخيلة والمعانى لتلتقى فى بقعة فكرية بعينها تنطمس فيها الماديات لتحل محلها المعنويات . وهى فى الشعر بعد ذلك ألوان . رمزية جزئية تصب فى قالب اللفظ وحده ولا تتعداه ، ورمزية مماثلة تقع من الصورة الوصفية موقع الإطار ، ورمزية كلية تشمل الهيكل العام أو الوضع العام للقصيدة . . أما رمزية اللفظ فهى رمزية الشطحات التعبيرية ، وأما رمزية الصورة فهى رمزية الشطحات التخيلية ، وكلتاهما تمثل ذلك النقاب الكثيف الذى يلقى ظلاله المبهمة الداكنة على وجه الفن ، ويحيل الومضة النفسية ظلاما تتخبط فيه الأذواق وتضطرب المقاييس فى تحديد مداه ! . . هناك لفظ يدفعك إلى أن تبذل فى استجلاء مراميه كثيراً من العناء لأنه يمتح من نبع شفوى معقد يتدفق من وجود داخلى معقد ؛ وهناك صورة تجهد فكرك إذا حاولت أن توفق بين خطوطها المتنافرة ، لأنها مرسومة بريشة الحركة اللاواعية ، أو لأنها من صنع المخيلة المحلقة فى آفاق ذهنية لا تمكس منها غير مظاهر الضباب ؛ وهكذا نجد الرمزية المصنوعة حين نردها إلى شطحات التعبير والتحليل فى نطاق الصور والألفاظ . ولا كذلك الرمزية المطبوعة لأنها حركة استبطان نفسى قبل كل شئ ؛ استبطان تبدأ مرحلته الأولى بجمع المادة الأولية لكل ظاهرة حسية فى مجالها المادى ، وتبدأ مرحلته الثانية بفحص هذه المادة الأولية فحصا يرجعها إلى مصادرها من النفس والحياة ، وتبدأ مرحلته الثالثة بعملية المقابلة والموازنة بين الطابع الحسى للظاهرة المادية وبين الطابع النفسى للفكرة الفنية . وفى هذه المرحلة الأخيرة يتم التوافق الدقيق الكامل بين عالمى الماديات والمعنويات ! .

هذه الرمزية المطبوعة التى نعنيها بهذه الكلمات ، هى الرمزية التى يرفل فيها اللفظ فى أثوابه النفسية البسيطة التى لا تختلف وكل ما يماثلها فى الشعر من أثواب ، والتى تخطر فيها الصورة الوصفية فى مواكبها البيانية وهى مغمورة بأضواء الحركة الواعية التى تعمل فى وضح النهار ، وهى الرمزية التى يبقى فيها الرمز بعد ذلك مقصورا على الفكرة العامة للقصيدة أو منصبا على الموضوع العام . عندئذ تكون الرمزية فى الشعر عملا فنيا جديرا بالنظر فيه والاطمئنان إليه ، وكذلك كل عمل فنى يخلو من الشعوذة اللفظية والشعوذة الفكرية !

ونخطو إلى أبعد من ذلك خطوة أخرى حين نطالب بأن تكون تلك الرمزية الموضوعية أشبه بالخريطة الجغرافية فيها مواقع المرتفعات والمنخفضات ، عن طريق « الإيحاء » إلى هذه وتلك بما يتعارف عليه من ألوان . . هنا فى مثل هذه الخريطة « ألوان مادية » تومئ أو ترمز للجبال والوديان والأنهار ، وهناك فى مثل تلك الرمزية « ألوان نفسية » تومئ هى الأخرى أو ترمز للظواهر والخواطر والمدركات » !

ترى هل يحتاج الأستاذ الناصرى بعد هذه الدراسة الفنية إلى إبداء رأينا فى هذه القصيدة الرمزية ؟ مهما يكن من شئ فإن الذنب ليس ذنب « صديقنا الدكتور بشر فارس» ولكنه ذنب الصحافة الأدبية التى تنشر له مثل هذا السخف وتشجعه على مثل هذا الهراء .. ومعذرة للصداقة التى تربطنا بالدكتور الصديق ، لأننا قد تعودنا فى النقد الأدبى ألا نجامل الأصدقاء !!

أنور المعداوى



في عالم النقد :

الوجـــودية

« ٢ »

« مهداة إلى الدكتور محمد القصاص »

للأستاذ علي متولي صلاح

في الـكلمة الموجزة التي قدمت عن « الوجودية » ما يكشف عن الخطوط الرئيسية لهذا المذهب ، ويوضح معالمه الـكبرى ، وإن يـكن الحديث عن « الوجودية » يتطلب كلمات وكلمات ، حتى يمـكن أن تستقر في أذهان الناس مبادئ هذا المذهب الذي أعتقد أننا — نحن الشرقيين على وجه العموم — أشد ما نكون حاجة إلى إقراره في نفوسنا ، لنتحلل من الميوعة والوخادة والانحلال السارى بها

وقد أوضحت في كلمتي السابقة أن « الوجودية » تطلب إلى الناس أن يكونوا شجعانا في حمل المسئوليات التي تلقيها الحياة عليهم ، أشداء أقوياء فيما يأتون من أعمال ، وأن يهدفوا بأفعالهم وأقوالهم — فإن القول عند المذهب الوجودي إنما هو عمل إيجابي بل الصمت ذاته نوع من العمل وإن يكن سلبيا — أن يهدفوا إلى تغيير أو تعديل أو هدم لوضعية من وضعيات الحياة ، لا أن يهرفوا في الهواء بـكلام مثالي ولـكن لا غناء فيه ولا أثر له !

ولـكي أقرب إلى أذهان القراء المذهب أريد أن أعقد في كلمتي هذه مقارنة بين أسطورة تناولها اليونان الأقدمون على طريقتهم التقليدية الـكلاسيكية المعروفة ، وتناولها « جان بول سارتر » على طريقته الوجودية المستحدثة ، توضح فرق ما بين خصائص المذهب الوجودي وما عداه من المذاهب ، وتـكشف في جلاء عن القواعد الصحيحة التي يقوم عليها هذا المذهب الذي يناله الجاهلون بالقدم والإساءة ، ويقصدونه بالتشهير والتعيير ، ليزجوا النـكتة إلى القارئ ، ويقدموا إليه التسلية والتلهية ، ويكونوا عنده من الظرفاء المحببين ! !

فنحن نعرف الأسطورة اليونانية الشهيرة التي نظمها أول الشعراء الممثلين النابهين من اليونان إسكيلوس في القرن الخامس قبل الميلاد ، ونظمها من بعده الشاعر اليوناني الخطير سوفوكليس في مسرحيتين ما زالتا تنبضان بالحرارة والحياة ، وما زالتا معينا خصبا للشعراء والـكتاب على مختلف العصور ، وأعني بها أسطورة « أجاممنون » ، التي نلخصها في إيجاز شديد وفي اقتضاب لا يمـكن أن يجزئ عن قراءتها كاملة — بما يأتي :

هب « أجاممنون » مع الذاهبين إلى حرب « طروادة » تلك الحرب الضروس التي عقد عليها « هوميروس » الإلياذة وعلى العودة منها « الأوديسة » ، وغاب « أجاممنون » عشر سنوات عن زوجه التي لم تـكن تعلم عنه خلال هذه السنين شيئا ولا تدرى من أنبائه قليلا أو كثيرا ، فاتخذت لها من دونه عشيقا « إيجست » أخاه ، وظلت تقاسمه الفراش طوال هذا الزمن ، وبيتت معه أمرا إن آذنت الأقدار بعودة « أجاممنون » !

وكتب الله النصر لليونانيين على الطرواديين ، وعاد « أجاممنون » فيمن عاد من الظافرين المنتصرين ، فاستقبلته زوجه استقبالا رائعا وأبت أن تمس قدماه الأرض فمدت له البسط الأرجوانية وأقامت له معالم الفرح والسرور . وما هو إلا أن يدخل إلى الحمام حتى تشده في لباس يحتويه كالشبكة إذ تحتوى السمكة ، ثم تهوى على عنقه فتصميه !

وكان له منها ابنة اسمها « الـكترا » وابن اسمه « أورست » ، أما الابن فقد استطاعت أخته إخفاءه وتهريبه مع مربيه الذي لازمه وما فتئ يلقنه كيف يأخذ بثأر أبيه ، وأما الابنة فقد ظلت في قصر أبيها القتيل أشبه ما تـكون بالخادم أو الأمة تشهد عشيق أمها يقاسمها فراش أبيها البطل « أجاممنون » وتنتظر أخاها الغائب — وقد شب عن الطوق وصار رجلا يستطيع أن ينهض

بما ينهض به الرجال — تنتظره ليأخذ بثأر أبيه ويخلصها مما تعاني ، وقد أوحى إليها أنه لا محالة عائد فعاشت على هذا الأمل المرجو

ثم يجيء « أورست » بوحي من الإله « أبولون » فيقتل أمه ويقتل عشيقها « إيجست » تنفيذاً للوحي ، ثم يهرب إلى معبد هذا الإله محتميا به طالبا إليه ألا يتركه وألا يتخلى عنه ، ثم يحاكم « أورست » أمام مجلس من أهل أثينا ترأسه الإلهة « أثينا » نفسها فيدفع « أورست » عن نفسه بأنه لم يقترف جريمة القتل إلا استجابة لما أوحى إليه به الإله « أبولون » ، ويعترف الإله « أبولون » بذلك وبأنه هو الآخر قد أوحى إلى « أورست » بما أوحى استجابة لما أمره به كبير الآلهة « ذوس » ! ويدافع عنه دفاعا مجيدا حتى تنتهي المحاكمة بتبرئته !.

هذا هو ملخص مضغوط جدا لأسطورة « أجا ممنون » كما ذكرتها الأساطير اليونانية . والذي يهمنا من هذه الأسطورة جميعها إنما هي شخصية « أورست » وعليه سنعقد المقارنة ، فماذا كان « أورست » هذا في الأسطورة اليونانية ؟ ثم كيف صار عند زعيم المذهب الوجودي ؟

لم يكن « أورست » في الأسطورة اليونانية غير آلة في يد الأقدار اتخذته لتنفيذ إرادتها ، فلم يكن له هدف خاص في جريمته ولم تكن لديه « فكرة » عنها ، ولم تكن لجريمته هذه علاقة بالحياة ... بحياته هو أو بحياة الناس الذين يعايشهم ، ولم يكن يبغي بها تغييرا أو تبديلا لشيء في الحياة ، وهو قد تنصل منها بعد أن أتاها وضعف واستخذى وخارت قواه ، وفر إلى الإله « أبولون » ثم إلى الإلهة « أثينا » يستجير بهما من ربات الانتقام اللائي يلاحقنه يبغين قتله جزاء على فعلته ، فكانت جريمته جريمة بلهاء صماء لا معنى لها ولا أثر وراءها ولا هدف تهدف إليه

وكيف كان « أورست » هذا عند زعيم الوجودية « جان بول سارتر » ؟

إنه أخرج هذه الأسطورة على طريقته في روايته الشهيرة المسماة « الذباب أو الندم » التي قام بترجمتها الكاتب الكبير المبشر بالوجودية في مصر « الدكتور محمد القصاص » والتي أدعو القراء وبخاصة هؤلاء الذين يتهكمون على الوجودية أن يقرءوها في إخلاص وتجرد من الهوى .. وأنا زعيم لهم بأن ينقلبوا لهذا المذهب أنصارا ومحبين

جعل سارتر من « أورست » رجلا آخر يغاير تمام المغايرة ما كان عليه عند اليونان ، جعله الرجل « الوجودي » المنشود !

يقترف الجريمة وهو يعني ما يفعل ، ويقترفها حرا كريما مسئولا عنها وحده دون وحي سابق أو معونة خارجية ، ويقترفها وهو يهدف باقترافها إلى احتمال آثام الناس التي يترددون فيها ، والانفراد بالندم الذي يلاحقهم ويملأ عليهم حياتهم ، وتلاحقه ربات الانتقام وتلازمه ليضعف أو يندم أو يهن فلا يكون ذلك منه أبدا .. ويقول في قوة وعنف « لقد فعلت ما فعلت ولن أندم عليه . » ويخاطب أخته « ألكترا » في أمر شعبه البائس النادم الغارق في الإثم فيقول لها : — « أصغي إلي : هؤلاء الناس الذين يرتعدون فرقا في غرفاتهم المظلمة تحيط بهم فقداؤهم الأعزاء . ماترين لو أخذت على كاهلي جميع خطاياهم ؟ لو أردت أن ألقب عن جدارة « بسارق الندم » ! وأن أفسح في نفسي مكانا لجميع توباتهم »

ثم يخاطب شعبه المجتمع بين يديه فيقول لهم « ... إن جريمة لا يقوى صاحبها على الاضطلاع بحملها ليست جريمة إنسان بل هي أقرب إلى الحادث العارض ... وأنا أصر أمام وجه الشمس على نسبتها إلي وهي كنه حياتي ومعدن كبريائي ، ولم أرتكب جريمة القتل إلا من أجلكم . . من أجلكم أنتم ... ألقوا على بخطاياكم وبندمكم وبالضيق الذي يقبض لياليكم وبجريمة « إيجست » وليضطلع بجميعها كاهلي »

هذا هو « أورست » الوجودي ، أو على الأصح هذه هي « الوجودية » ممثلة في أورست ، فماذا تكون الوجودية إذن ؟

إنها الرجولة والحرية والشجاعة واحتمال المسئولية والصراحة والجرأة ، والاتفاق مع النفس في السر والعلن ، وبذل الجهد لإصلاح الحياة الراهنة وتطويرها ...

فقل للذين يعيبونها دون فهم ، ويزدرونها دون علم ، ماضر لو صبرتم حتى تدركوا ما تكتبون ، وتفهموا ما تقولون ؟

انتهى

علي متولي صلاح



نظرات فى اصلاح الريف

تأليف الأستاذ عبد الرزاق الهلالى

للأستاذ على محمد سرطاوى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

(١٤٣ صفحة ، مطابع دار الكشاف بيروت — الطبعة الثانية)

والمياه النقية ، لا تزال بعيدة عن (٨٨) قصبة وقرية ، يتراوح عدد السكان فى كل منها من ألف إلى ألفين

وأما التعليم فى الريف فلا يزال فى مراحله الأولى ، إذ تبلغ نسبة الأميين فى العراق اثنتين وتسعين فى المائة ، وأكثرهم يعيشون فى الريف

والجهود التى بذلت لنشر التعليم هناك تتضاءل إذا ما قورنت بما يبذل فى سبيل التعليم فى المدن ، ومراكز الأقضية ، ومرد ذلك إلى عدم وجود سياسة تعليمية خاصة بنشر التعليم بين أبناء الريف ، وموقف بعض الشيوخ ، ورؤساء العشائر ، ومقاومتهم رسالة المدرسة والمعلم ، لرغبتها الشديدة فى بقاء القديم على قدمه ، وترك الناس فى الريف كالأنعام ، فى ضلالهم يعمهون

يقول بول منرو فى تقريره عن إصلاح المعارف فى العراق ، (والمشكلة التى تستوجب اهتمامنا هى مشكلة القرية الزراعية . إن منهج المدارس المعمول به فى الوقت الحاضر ، منهج مدنى ، يتضمن ، على الأكثر ، درس اللغات بصورة مشددة ، وهو مالا تحتاج إليه الحياة الريفية ، وليس منهج المدرسة محشوا بإفراط فحسب ، بل إنه لم يؤسس على أسس رشـــيدة ، إذ لا يتلاءم والاحتياجات الريفية ...)

ويعانى معلم القرية فى مشاكل العيش ، مالا يجده أمثاله فى غير الأرياف ؛ فوسائل الراحة مفقودة ، ذلك إلى جانب ما يجده من مقاومة الشيوخ والرؤساء الأقطاعيين ، كتهديد حياته ، ونهب أمواله ، وسرقة أمتعته

والذى يحول بين الفلاح وبين تعليم أبنائه ، اضطراره إلى النقل من مكان إلى آخر ، جريا وراء الرغيف ، غير مستقر فى مكان ، لأنه لا يملك أرضا يستقر عليها

هنالك فى أرياف العراق (٤٤٩) مدرسة للبنين ، عدد طلابها (٨٢١٢٨) ، وعدد معلميها (١٤٨٩) ، وفى ذلك الريف أيضا مدارس للبنات عددها (٢٤) مدرسة ، وعدد طالباتها (١٤٠٨) ومعلماتها (٧٩) معلمة

وفى المدن العراقية مدارس للبنين والبنات يبلغ عدد طالباتها وطلابها (٧٨١١٨) ، وعدد المعلمات والمعلمين (٣٠٣٠)

ونحن إذا ألقينا نظرة دقيقة على هذه الأرقام ، وجدنا أن مدارس القرى تزيد فى عددها على مدارس المدن بمقدار (٨٢) مدرسة ، ووجدنا طلاب المدن وطالباتها يزيدون على القرى بمقدار (٣٤٤٨٣) ، وأن زيادة عدد المعلمات والمعلمين تبلغ (١٥١٧) أيضا

ونخلص من هذه المقارنة بنتيجة تهز مشاعرنا هزا عنيفا شديدا ، ذلك أننا نجد سبعين فى المائة من سكان يملأون ريف العراق لا يقام لهم وزن ، ولا يحسب لهم حساب فى توزيع عدالة التعليم بين أبناء الشعب ؛ وإنما على النقيض من ذلك يعطى الاهتمام لمن يعيشون فى المدن وعددهم اثنتان وعشرون فى المائة من السكان ، وذلك يستدعى من المسئولين تبديل نظرتهم إلى التعليم الريفى ، وإعطاءه ما يستحق من الاهتمام ، لأن الفلاحين يؤلفون هيكل الأمة العظمى ، ولا حياة لجسد هيكله العظمى غير سليم

والمساكن فى الريف تتألف من بيوت حقيرة صغيرة مبنية من القصب ، أو اللبن أو الطين ، بغير ترتيب ، فهى ضيقة لا يدخلها النور والهواء ، يعيش فيها الإنسان جنبا إلى جنب مع الحيوان ، طرقها معوجة تكثر فيها الحفر وأكوام الأوساخ ، والبرك التى تنتشر منها الروائح الكريهة ، وعلى الرغم من سعة الأراضى فى العراق ، فإنها متلاصقة ، دون نظام ، وخالية من

المرافق العامة

وحالة العمال الذين يعيشون فى المدن وضواحيها لا يقل فى سوئها عن الريف . فإن الزائر الذى يزور بغداد ، ويعرج على محلة (الشيخ عمر) ، و (باب الشيخ) و (العاصمة) ، ووراء سدة (ناظم باشا) ، وغيرها من الجهات ، يؤسفه أشد الأسف أن يرى هذه الألوف العديدة من أبناء البلاد ، فى هذا الوضع السيئ على الرغم من أنهم يعيشون ضمن حدود أمانة العاصمة وما يصدق على بغداد يصدق على جميع مدن العراق

وحاول المسؤولون تشييد قرى حديثة تتوفر فيها الوسائل الصحية فى بيوتها ، فصدر عام ١٩٢٦ القانون رقم (٧٠) ولـكنه بقى حبرا على ورق ، ولو نفذ فى حينه ، لـكان لسكان الأرياف فى العراق الآن ؛ قرى صحية نموذجية ، تليق بكرامة الإنسان ، وتلا ذلك محاولتان فاشلتان فى السـنتين ١٩٤١ و ١٩٤٩

وهجرة الفلاحين من الأرياف إلى المدن ، ظاهرة اجتماعية شديدة الخطر على قطر زراعي كالعراق ، وسببها انحطاط مستوى المعيشة ، وسوء العلاقة بين الفلاحين والشيوخ ، وما يثقل كاهلهم من تبعات وإعمال ، ثم ما يشعر به شبانهم من غبن ، بعد عودتهم من خدمة العلم ، حيث لا يجدون وجها للمقارنة بين حياتهم فى القرى وبين حياة الناس فى المدن

ولقد ملأ هؤلاء المهاجرون مدينة بغـداد ، والبصرة ، والناصرية ، والعمارة ، وارتضوا لأنفسهم الحياة فى الأكواخ الحقيرة ، التى نراها منتشرة فى جهات متعددة من بغداد ، وفى الفجوات بين قصورها ، فتعقدت بهجرتهم مشكلة الفقر فى المدن ، وازدادت المتاعب الصحية والإدارية ، والأمن ، لأن الفقر كثيراً ما يدفعهم إلى السرقة ، وارتـكاب الجرائم ؛ ذلك إلى جانب الارتباك الاجتماعى الذى يحـــدثه وجود جماعات لا يشعرون برابطة نحو أحد ، وأثر ذلك المباشر على كثير من التراخى فى الضبط الاجتماعى ، وظهور المشـاكل الإدارية ، والأخلاقية والنفسـية ؛ ويزيد فى المشكلة ، الفيضان السنوى الذى يدمر فى العـادة ، أكواخ هؤلاء التعساء ، ويصيرهم بلا مأوى ، هائمين على وجوههم ، فيولدون ارتباكا لسلطات الأمن . وقد فشلت الحلول التى تقضى بإعادتهم إلى الأرياف التى هاجروا منها

* * *

هذه لمحات عابرة ، صور قلم المؤلف حقائقها تصويرا رائعا استمده من قلب ينبض بحب الخير المطلق ، وهو فى هذا التصوير الدقيق ، لا يهدف إلى التجريح والإيلام ولـكن إلى تشخيص الداء العضال ، ليتيح الفرص للمخلصين ، فيتقدمون بالعلاج الناجع . وهو فى هذا العمل ، أشبه ما يكون بالطبيب الحاذق الرحيم ، يمد أدواته الجراحية إلى جسم المريض وهى تحمل فى أطرافها الحادة ، المعانى التى تخفف الألم ، وتزيل الأوجاع

والجرأة على تصوير الحقائق المريرة ، التى ينفر الناس من النظر إليها ، ولا يقوون على مواجهتها ، التى هى بطولة لا يتقدم إلى ميدانها الأصيل ؛ إلا كل مغامر جرىء ، لا يخشى الباطل ويقاوم المنـكر بأقوى الإيمان

والرياء الاجتماعى ، والنفاق الرخيص الخسيس ، والشعور بالحقارة ، إنما هى العار الذى قد التصق بجيل العبيد الحاضر ، فراح الناس فى غمرتها يسمون الأسماء بغير مسمياتها ، ويسيرون فى ركاب الباطل ، ولـكن بعض النفوس الأبية فى بعض شباب هذا الجيل قد تمردت على هذا الهوان ، ولم تسر وراء القطيع فى طريق الاستعباد

والمعجزة التى تنتظر حدوثها الأرواح الخاملة ، لترفع مجتمعنا من الهوان الذى تردى فيه ، لن تحدث أبدا ؛ ذلك لأن زمن المعجزات قد سار فى ركاب الأنبياء . وتوارى فى ظلام الزمن البعيد . والمعجزة إنما يجب أن ينبثق نورها من إيماننا العميق بالإصلاح الاجتماعى العاجل ، ذلك الإصلاح الذى يملأ المعد الجائعة بالخبز ، والأدمغة الفارغة بالعلم الصحيح ، والنفوس المستغربة (١) الحقيرة الخاملة بالرجولة ، وبمعانى الـكرامة القومية

(١) التى تحب الغرب

والعزة الإسلامية ، فتبادر إلى العمل المنتج ، وتشيح بوجوهها عن التبجح الرخيص بعظام الأبطال من البائدين ، ونحن فى حقارة القرود بين الأمم المتمدنة

إن الوطنية المدركة ، تتطلب من أفراد الأمة أن يجدوا الحلول العملية السليمة لهذه المشاكل ، وكل تقاعس عن ذلك ، يدفعنا موثقين بها ، فى تيارات دولية عنيفة ، تتربص بنا ، وتضمر لنا الشر والحقد الدفين

يجب أن تنتقل ملكية الأرض إلى الفلاحين ، وأن تقام لهم المساكن التى تليق بكرامة الإنسان ، وأن تكون العناية بصحتهم ، وغذائهم ، وتعليمهم ، شغل القلوب المخلصة الشاغل التى تستطيع — حتى يتساوى الجميع فى عدالة اجتماعية — أن تكفل الطمأنينة لكل مواطن فى حدود التبعات والواجبات

والأمة حين تفكر جديا ، فى حل هذه المشاكل ، لا تبصر غير مصلحة الوطن العليا

ولقد اقترح مؤلف الكتاب حلولا سليمة لكثير من المشاكل التى أثارها ، لو أخذ بها لجعلت الريف جنة وارفة ، وجعلته مصدر قوة رهيبة يحسب لها الأجنبى حسابا يحطم أعصابه ويبتعد عنها إلى حيث ذهبت أم قشعم

ومشروع (الدجيلة) العظيم الذى أتاح الاستقرار لآلاف من الفلاحين فى العراق على أرض يملكونها ، وبرهن الفلاحون باستتباب الأمن بينهم ، وخلودهم إلى الاستقرار فى بيوت صحية على طمأنينة ووعى عميقين ، إنما هو تباشير الفجر الذى سيعقبه إشراق شمس العدالة ، فلا يبقى سيد وعبد ، وظالم ومظلوم فى مواطن العروبة

وقصة الحاج رويس — التى قصها على المؤلف معالى الشيخ على الشرقى — ذلك المرابى الذى سلف أحد الزارعين مائتى روبية على أساس أن يدفع له الفلاح وزنة من الشعير عن كل روبية. وبمرور الزمن أصبح هذا المبلغ ستين ألف روبية دفع الفلاح المسكين نصفها فى حياته وبقى ورثته مدينين بنصفها الباقى ، إنما هى المثال الصارخ على ظلم الفلاحين واستعبادهم

يجب أن ترتبط أجزاء الوطن العربى الكبير ، بنظام اقتصادى ، عميق الجذور ، قوى الأركان ، يستمد كل جزء من أجزائه ، حاجته من أيد عاملة ، أو رؤوس أموال ، أو خبراء ، من الجزء الذى يتوفر فيه ذلك ، فتصان الثروة للشعوب العربية . وينبغى أن يسبق ذلك أو يتبعه ، تغيير جارف فى مناهج التعليم ، لتصبح عملية ، تواجه مطالب الحياة الحديثة بإعداد جيل قوى من المهندسين ، والكيميائيين ، والإخصائيين ، وعلماء الطبيعة والرياضيين والمخترعين. ولقد آن للشبان فى هذا الجيل أن يشيحوا بوجوههم عن دراسة اللغات والآداب والتاريخ ، وأن ينصرفوا بشعور وطنى عميق إلى التخصص فى الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتعدين ، والهندسة والزراعة ، بكل أنواعها ودقائقها وفروعها ، فإننا فى حاجة ملحة إليها الآن

* * *

وبعد فإن الأستاذ عبد الرازق الهلالى ، مؤلف هذا الكتاب ، يستحق الشكر الجزيل ، والتقدير العميق ، على هذا الاتجاه الرشيد فى معالجة مشاكلنا الاجتماعية ، ونحن نرجو أن يكون فاتحة خير للشباب ، يخرجهم من عزلتهم ، فيظهرون شجاعة أدبية فى التوفر على دراسة المشاكل التى يواجهها الجيل الحاضر ، تلك المشاكل التى تتعذب فى جوها أرواح هى أجزاء من أرواحنا ، ونفوس هى نفوسنا ، وما أبشع ذنب الذى يقف على طرف الماء فيرى غريقا ولا يمد يد المساعدة إليه

وأسلوب المؤلف فى الكتاب يغلب عليه تكرار الحقائق ، وكأنه يريد أن يبالغ فى إظهارها ، ولكنه أسلوب متين ، سلس ، تطل من وراء كلماته حرارة الروح ، ووجيب القلب ، وأنسام العواطف الرفيقة الرحيمة

ورسائل الإعجاب التى ألحقها بالكتاب من بعض أصدقائه ، إنما هى أمور شخصية لا شأن للقراء بها ، وهى كالقذى فى العين الجميلة التى تبعث الفتنة إلى القلوب

بغداد دار المعلمات الابتدائية **على محمد سرطاوى**



جوائز نوبل :

أصدرت اليونيسكو بياناً عن سيرة ألفرد نوبل وجوائزه جاء فيها :

نوبل العالم والمخترع قضى معظم حياته فى إنتاج أنواع المتفجرات . فى عام ١٨٥٤ أخرج أول نوع من الألغام والمتفجرات ، وفى ٨٦٢ ابتدأ بصنع النيتروغليسرين والديناميت ، وبعد مدة قصيرة اخترع البارود بلا دخان

ولما بلغ نوبل الثالثة والأربعين اتخذ فتاة نمسوية اسمها برث كينسكى كاتبة سر له ولم يلبث أن علق بها وطلبها للزواج ولكنها اعتذرت بكونها خطيبة لمواطن لها يدعى أرثر فون سوتنر وكان من دعاة السلام العالمى

وفى عام ١٨٦٩ أوصى نوبل بريع ثروته التى كانت تقدر بنحو أربعين مليون كرونا أسوجية ليوزع سنويا على الذين يخدمون الإنسانية بعلومهم وأفكارهم . والوصية تحدد الجوائز بخمس : فالجائزة الأولى للكيمياء ، والثانية للطبيعيات ، والثالثة للطب والرابعة للآداب والخامسة للإخاء البشرى والسلام العالمى

ووزعت الجوائز الأول مرة فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٠١ ، وبعد أربع سنوات منحت جائزة السلام أتلك الفتاة التى كانت أمينة سر نوبل وغدت تلقب بعدئذ بارونة فون سوتنر لأعمالها السلمية و كتاباتها الداعية إلى الإخاء الإنسانى

والجوائز المالية تختلف قيمتها باختلاف دخل مؤسسة نوبل ، ففى السنوات الأخيرة كان المعدل نحو مليون و ١٢٠ ألف فرنك لكل جائزة

أما ترشيح الأشخاص فتتولاه المؤسسات الرسمية والجامعات والمجامع العلمية ويعرض على هيئة تحكيمية . فجائزة الآداب تحكم بها الأكاديمية الأسوجية ، وجوائز الكيمياء والطبيعيات تمنحها الأكاديمية العلمية الأسوجية ، وجائزة الطب تمنحها معهد كارولينا فى استوكهولم ، وجائزة السلام تمنحها لجنة تنتخب من مجلس النواب النروجى . ولا يخفى أن أسوج ونروج كانتا مملكة واحدة عندما توفى نوبل

وفى عام ١٩٣٥ حظر هتلر على الألمان قبول جوائز نوبل بعد أن منحت جائزة السلام لكارل فون أوسياتزكى الذى اعتقله النازيون . وعلى رغم ذلك فقد منح ريشار كوهن جائزة الكيمياء لعام ١٩٣٨ لأبحاثه فى خصائص الفيتامين . وفى العام التالى منح أدولف فردريك جوهن بوتسينندت الجائزة نفسها لمباحثه فى الهرمونات

وفى خلال الحرب الأخيرة حبست جائزة السلام لعدم التئام المجلس النيابى النروجى بسبب الاحتلال الألمانى . وكثيرا ما تختلف الآراء فى اللجان التحكيمية فيحول الاختلاف دون منح الجائزة كما جرى فى العام الماضى فلم تمنح لأحد الجائزة الأدبية

أما الذين فازوا بجائزة نوبل الأدبية منذ إنشائها حتى اليوم فهم :

١٩٠١ سيلى برودم (فرنسا) ١٩٠٢ تيودور مومسن (ألمانيا) ، ١٩٠٣ بجورنستجرن بجورنسون (نروج) ١٩٠٤ فردريك مسترال (فرنسا) وخوسه اتشاغارى (اسبانيا) ١٩٠٥ هنريك سينكويز (بولونيا) ١٩٠٦ غيوسوه كردوشى (إيطاليا) ١٩٠٧ رديارد كبيلنغ (إنكلترا) ١٩٠٨ رودلف أوكن (ألمانيا) ١٩١٠ بول فون هيس (ألمانيا) ١٩١١ موريس مترلنك (بلجيكا) ١٩١٢ مرهرت هوتمن (ألمانيا) ١٩١٣ رابندرانات طاغور (الهند) ١٩١٥ رومان رولان (فرنسا) ، ١٩١٦ فرنر فون هيدنستام (أسوج) ١٩١٧ كارل غلروب (الدانيمرك) وهنريك بونتوبيدان (الدانيمرك) ١٩١٩ كارل سبيتلر (سويسرا) ١٩٢٠ كنوت همسون (نروج) ١٩٢١ أناطول فرانس (فرنسا) ١٩٢٢ خاسينتو بنافنتى (أسبانيا) ١٩٢٣ وليم يتس (إيرلندا) ١٩٢٤ برنارد شو (إنكلترا) ١٩٢٦ غرازيا ديلادا (إيطاليا) ١٩٢٧ هنرى برغسون (فرنسا) ١٩٢٨ سيغريد أوندست (أسوج) ١٩٢٩ توماس مان (ألمانيا) ١٩٣٠ سانكلير لاوس (الولايات المتحدة) ١٩٣١ أريك كارفلدت (أسوج) ١٩٣٢ دجون غلاسورثى (إنكلترا) ١٩٣٣ إيفان بونين (روسيا) ١٩٣٤ لويجى بيراندللو (إيطاليا) ١٩٣٦ أوجين أونيل (الولايات المتحدة) ١٩٣٧ روجه مرتين دى غارد (فرنسا) ١٩٣٨ بيرك بوك (الولايات المتحدة) ١٩٣٩ فرانز أميل سيلامبا (فنلنديا) ١٩٤٤ جوهانس جنسن (الدانيمرك) ١٩٤٥ غبريالا ميسترال (شيلى) ١٩٤٦ هرمن هس (سويسرا) ١٩٤٧ أندره جيد (فرنسا) ١٩٤٨ ت . اليوت (إنكلترا)



قصة واقعية:

من الأعمـــاق

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إلى الأستاذ المداوى، وكل من فى حياته قصة وفى أعماقه حب قديم وفى قلبه أشجان، أهدى قصتى . ع . ع

صديق . . .

إنك أعرف الناس بمقدار حرصى على الإبقاء لهذه الذكرى طى الكتمان فى أعماق القلب الذى حملها سنوات؛ وما تثيره هذه الذكرى فى نفسى من آلام وأشجان تذهب بهناءتى أياما بل شهورا لأنها تذكرنى بجريمة ارتكبتها جنيت فيها على قلب كبير، وتصور لى نفسى مذنبة آثمة، فيهب ضميرى من رقاده فلا يزال وخزه كالحراب حتى يقيض الله لى من ينسينى هذه الذكرى بعض الوقت

ألست أنت الذى حاول مرارا أن ينتزع منى هذا السر الذى احتفظت به لنفسى وضننت به على أقرب الناس إلى وإليها، فهل تظن أن البعد الذى بيننا يحل عقدة لسانى فأقص عليك قصتى التى من أجلها هجرت بلدى إلى غير رجعة، وأفضى إليك بذات نفسى فأطلعك على جرح قلبى الدامى الذى تحمله الذكرى بنز كأول عهده؟

إن هذا الجرح هو الذى حال بينى وبين مشاركة الناس التمتع بهذا الجمال الذى وهبه الله عبـــاده . إننى لا آمن هذه الصحائف لأخط عليهـــا ما عجز عن انتزاعه الآخرون ولـكن ... لا ! محال أن أبوح لك . لقد كثر إلحافك بعد أن افترقنا وأنا أريد أن أسكت هذا اللسان الذى يطاردنى فى حضوره وغيبته مهما بعدت بينى وبينه المسافات، وكأنك تتعمد إيلامى لأفضى لك بسرى . وماذا على لو أخبرتك خبرها؟ وأنا اليـوم لا أخاف قالة السوء ولا أخشى أن يزاحمنى عليها أحد

كان ذلك منذ أعوام سبعة يوم كنت معى والتقينا بصديقنا (م) بعد عودته من الغيبة التى طال أجلها بيننا، ثم التقيت به مرات ولم تـكن أنت معنا . ودعانى يوما لزيارته فلبيت دعوته ولا أدرى لم دعانى وقد مضت سنوات على صداقتنا ولم يدع أحدنا الآخر إلى مـنزله؟ ولا لماذا خرجت أنا عن مألوف عادتى فلبيت دعوته؟ ذهبت فراعنى منزلهم الجميل ورياشه الفاخر وتلك الحديقة الزاهرة التى تحيط به

ولما استقر بى المقام جاءت شقيقته (ن) وهى إذ ذاك فى الثالثة عشرة من سنى حياتها، وهى طالبـة فى المدرسة وقدمنى اليها قائلا: (أستاذك الذى سيقوم بإعطائك درس اللغة العربية) وأخذت بهذه المفاجأة إذ كنت أتحاشى دائما هذا النوع من الدروس مهما كانت سن الفتاة . بيد أن الموقف ألجم لسانى وصداقتنا حالت بينى وبين الاعـتراض، كل ذلك كان سهلا بجانب نظرتها إلى، نظرة فيها كل أنواع البراءة والدلال؛ فوجدتنى أؤمن على قوله بغير شعور منى

ومدت يدها الصغيرة تصافحنى وعلى ثغرها ابتسامة جميلة خلت من أنواع المخاتلة والرياء؛ لأنها بسمة تـكسوها براءة الطفولة؛ إذ كانت إلى هذه السن لا تزال طفلة فى كل أعمالها . فإذا قدرت سنى حياتها عند رؤيتها ما زدتها على عشر سنوات لضمور جسمها ووداعة خلقها وتعثر كلماتها فى النطق

وحددنا موعد الدرس، وفى اليوم التالى ذهبت إلى مـنزل صديقى، أو بالأحرى تلميذتى، فوجدتها فى حجرتها الخاصة تنتظرنى فقضينا بعض الساعة فى ترتيب وتنظيم، واتفقنا على الخطة التى تناسبها

صرت بعد ذلك أذهب إليها فى الموعد المحـدد . وعلى مر الأيام زال ما بها من تلعثم، وكنت أرى منها غبطة وسرورا كلما رأتنى قادما، فقد كانت تنتظرنى فى نافذة حجرتها المطلة على الحديقة فإذا رأتنى هبت تتلقانى بباب حجرتها . وبدأت ألحظ عليها أنها تبذل جهداً كبيراً لتعوقنى عن الخروج وتحتال لذلك الحيل، وأكثرها توجيه أسئلة كنت أجدنى مضطرا للاجابة عنها لأنى كنت أخشى أن تظن بى العجز . وكم من مرة أضاعت على فرصا كنت أنتظرها

بفارغ صبر . مر العام على خير وجوهه . وكانت أولى المتقدمات من زميلاتها وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة أخرى

وظننت أن مهمتى قد انتهت؛ فانقطعت عنها ، وماذا بقى على؟ لقد أديت واجبى وقمت بما تقتضيه الصداقة

وبعد أيام من انقطاعى وكنت جالسا فى حجرتى غارقا بين أوراقى ، إذ طرق الباب طارق ، فلما أذنت له بالدخول وكنت أحسبه خادمى فلم أهتم بالأمر . ولما رفعت وجهى لأسأله مايريد ؟ رأيت أمامى صديقى (م) وتلميذتى فأخذت بهـذه المفاجأة ؛ ومددت يدى مسلما معتذرا. فلما تقدمت أسلم عليها مدت يدها وهى تتصنع الغضب ولكنها لم تستطع أن تخفى تلك الابتسامة الحلوة التى عودتنى إياها كلما لقيتها

جلسنا فى غرفتى، وكلما نظرت إليها ازدادت شفتاها انفراجاً، ولكنها سرعان ما كانت تستردها لتظهر بمظهر الغاضبة . ثم انفرجت شفتاها لا عن ابتسامة ولكن عن عتاب جميل لتقصيرى عن زيارتهم بعد انتهاء العام الدراسى . ولقد كانت فى إلقاء الأسئلة وتضييق الحلقة ماهرة كأنها نائب يحقق فى حادثة يريد أن يصل إلى الجانى، وكلما هربت من طريق جاءتنى من آخر. وقدمت لها من المعاذير مالا يحصى ولكنها لم تقبل منها واحدا وكانت كلما ألقيت إليها عذرا رأيتها تهز ذلك الرأس الصغير علامة عدم الارتياح، ولم تتركنى حتى قطعت على نفسى عهدا باستئناف زيارتهم مرة أخرى وسيكون ذلك بعد غد . ذهبت إلى منزلها فإذا بى أفاجأ باستعداد لحفل . وتلقتنى باسمة الثغر طلقة المحيا عليها سيماء من يجاوزن سنها ، وكان حفلا تزينه زهرات لم تتفتح مثلها وما زالت قلوبهن فى الأكمام وتم عقد المدعوين ووقفت تقول كلمة صغيرة كما قالت فإذا هى تبدع وتجيد ، وفى نهاية كلمتها قدمتنى للمدعوين على أن أتكلم كلمة فلم أسر لاقتراحها قدر ما سرتنى كلمتها التى أشادت فيها بما بذلت معها من مجهود أهلها لهذا التقدم ؛ فكدت أعتذر لولا نظرتها إلى وما رأيته من عيون متجهة إلى شخصى

وقدمت لنا بعض زميلاتها أغنيات ورقصات أضفت على الحفل عنصر البهجة والسرور

وكانت جلستى بجانب فتاة وسيمة الوجه طلقة المحيا ذات شعر فاحم وقوام أهيف . وعلى غير قصد منى لمست يدى ذراعها العارى فسرت رعشة غريبة فى يدى فاضطربت ولحظت فتاتى ذلك إذ كانت نظراتها لا تفارقنى ؛ فأسرعت تقدمها إلى ، فإذا هى ابنة عمها قد أتمت دراستها الجامعية هذا العام ، وحادثتنى حديثاً شهيا خلب لبى واستولى على مشاعرى ولم ينته الحفل حتى كنا على موعد للقاء فى اليوم التالى. وتكرر لقاؤنا فازددت بها شغفا وهمت بها حبا ، وترامت الأخبار إلى تلميذتى بملاقتى بابنة عمها ، فكنت كلما زرتها شاهدت على وجهها مسحة من الهم والألم ، وكانت تتعمد ذكر ابنة عمها أمامى وتنظر إلى أثناء ذلك نظرات لم أعرف مغزاها إلا بعد فوات الأوان

وصحبتها يوماً إلى السينما وكنت على موعد مع ابنة عمها فاختارت المقعد الأوسط لتجلس بيننا فنفذت رغبتها ولكن فعلها آلم ابنة عمها ؛ فعتبت على مصاحبتى لهذه الصغيرة وإذعانى لرغبتها ، فقد كانت كل منهما تتربص بالأخرى ولكنها تتحاشى لقاءها ، عرفت حبيبتى أن ابنة عمها تحبنى ولكنها لم تذكر لى شيئا عن ذلك

وهالنى ما طرأ على تلميذتى من تغير ملحوظ فأصبحت تؤثر الوحدة وتتحاشى الناس . وتجلس معى صامتة واجمة ، وبدأت عيناها تذبلان ونظراتها تتكسر ؛ فحاولت أن أعرف سر ذلك منها فلم أفلح . وكانت كلما خرجت معى بمفردها — لأنها كانت ترفض دعوتى إذا علمت أن ابنة عمها سترافقنا — تسر لذلك ويذهب عنها بعض حزنها ، وصارت لاتذكر فرعتها أمامى كما كانت تفعل قبل اليوم

وذهبت لأطلب يد ابنة عمها ! فلما تم كل شىء بعثت من يعلن الخبر فى بيتهما وكانت ترمى من وراء ذلك إلى غرض فى نفسها . ولما ذهبت فى اليوم التالى إلى صديقى اذ كنا على اتفاق لنذهب الى إحدى الحفلات ، لم أجد تلميذتى تنتظرنى كما هو مألوف . وهنأنى الجميع ولكنها لم تحضر ، فسألت عنها فعجب الجميع لغيابها ، وبحثوا عنها حتى وجدوها ، فلما جاءت رأيتها قد انكمشت فى نفسها .

وسألتها عن عدم استعدادها للذهاب معنا فاعتذرت بتعب تحسه . وحاولت كثيراً فلم توافق . وفى اليوم التالى علمت بأنها مريضة فزرتها وواظبت على زيارتها كل يوم ، غير أن حالها كان يسير من سىء الى أسوأ . وكانت تسرع خطواتها الى العالم الآخر فأضفت على البيت الحزن والكآبة . وفى أحد الأيام ذهبت لعيادتها فانتهزت فرصة خلو حجرتها من الآخرين وسلمتنى

غلافا. فلما هممت بفضه أشارت الى إشارة فهمت منها أنها لا ترغب فى ذلك. ولما صرت خارج الدار فضضت الغلاف فوجدت صورتها بين أوراقه وتصفحت كتابها فإذا فيه ...

(حبيبى لقد أحببتك وأنت لاتدرى، وان كنت قد بادلتنى هذا الحب ، غير أنك كنت تستخف به لأنه فى نظرك حب طفلة ومادريت أن لهذه الطفلة قلبا . .

(وكم ندمت على أنى كنت سبباً فى تعرفك بتلك التى سلبتك منى واستولت عليك من دونى ، وكثيراً ما حدثتنى نفسى أن أسحقها كما سحقت قلبى وأحطم حياتها كما حطمت حياتى . ولكنى كنت أخشى أن يكدر فعلى هذا صفو حياتك ويسبب لك الشقاء والآلام .

(لقد كان أسعد يوم فى حياتك هو أشقى أيام حياتى ، فبينما أنت تنعم بقرب حبيبتك وقد فاضت منك كأس السعادة . كنت أنا أقاسى آلاما تهد الجبال وأتجرع كأس الخيبة والحرمان غارقة فى حمى الحب الذى حطم أعصابى . بينما أنت تضحك ملء فك ، كنت أنا أبكى مصير حبى وأندب ذكرياتى الجميلة وأشيع آمالى الواسعة ، فى حجرتى المظلمة التى تذكرنى كل قطعة فيها بحبى ، وبأنك كنت فى يوم من الأيام لى وحدى ، فكم نعمت فيها بالجلوس إليك لايشاركنى فيك أحد . فى هذه الحجرة رحت أشكو منك وكنت قبل اليوم أشكو لك . فى هذه الحجرة سعدت بأحلامى الجميلة واليوم أذرف فيها الدمع على أطلال سعادتى الذاهبة .

(لقد هممت كثيراً بأن أكتب اليك بما ألاقى ، ولكن كان الوقت قد مضى والفرصة ضاعت . وهل كنت تصغى لكلماتى وأنا فى نظرك لا أعدو طفلتك الصغيرة ؟

(أتذكر يوم لقيتنى فى حجرتى منفردة أضع رأسى بين يدى وعلامات الألم تبدو على وجهى فقلت لى: لقد كبرت وغدوت تفكرين كما يفكر الكبار . ثم جلست تربت على كتفى وتمسح بيدك شعرى ، وأنت تسألنى عن سبب همى ، فكدت أجثو على ركبتى وأفتح قلبى بين يديك وأريق أمامك كل ما كنت أكظمه من الحنان وما يكربنى من الحب ، ويملأ قلبى من العواطف .

(لقد أصبح كل شىء فى هذا الوجود مصدره عذابى فكرهت كل شىء وأحسست بالبغض لهذا العالم ومن فيه فلم أعد أطيق رؤية أحد .

(لقد كان حبى لك كبيرا وكانت خيبته أكبر . فلم أقدر على تحمل ثقلهما. فاذا طوانى الموت فابك ياحبيبى على حبى لك لأنه سيبلى ولأنه قد توسد الثرى وكان يحلم بتوسد ذراعك ولأنه ضمه القبر وكان الواجب أن تضمه فى أحضانك ، ولفه الكفن وكان حقيقا أن يلفه وإياك فراش واحد ، واحتوته صحراء مقفرة وكانت أمنيته أن يحتويه عش تكون أنت سيده .

(إن تعلق بالحياة لا لأن نفسى عزيزة على ولكن للحب الذى تكنه لك. فاذا مت فلا تبك على لأن بكاءك يؤلمنى..ولا تحزن فان حزنك يشقينى.. ولكن اذكرنى كلما خلوت إلى نفسك) .

فى هذا الأسلوب الذى لاغموض فيه ولا تكلف فيه كتبت إلى خطابها وهو خطاب طويل ، فما انتهيت من قراءته حتى أحسست الدمع يتساقط من عينى ، وأن الأرض تدور بى ، ولم أعرف أين أنا سائر ، وكدت أعود لأضمها بين ذراعى وأغمر وجهها بالقبل لأخفف عنها وطأة آلامها ولكنى لم أستطع إذ كانت قواى قد خارت ونفسى قد تضعضعت فجلست على أقرب مقهى وجدته ، وما شعرت إلا والنادل ينبهنى إلى موعد الانتهاء من سهرته. فقمت أهيم على وجهى طيلة الليل وأنا حائر ماذا أفعل وقد قطعت مع عمها وعدا بالزواج من ابنته . لو كان الحب فقط الذى أكنه لابنة عمها لكتمت أنفاسه وتخلصت منه.. لكن كيف أتخلص من وعدى وبماذا لأعود إلى تلك التى أحبتنى فى صمت وتعذبت فى سبيلى كل هذا العذاب وأنا سادر عنها غافل عن أشجانها وآلامها ، فذبلت كما تذبل الزهرة قبل تفتحها لأنها حرمت الساقى الذى يتعهدها

وفى اليوم التالى بكرت فى الصباح وقد بيت فى نفسى أمرا . وقبل أن أصل إلى الدار صكت أذنى أصوات النساء يندبنها. فلما ولجت الباب رأيت خادمها حزينا . فلما سألته أخبرنى أن شريانا قد انفجر منها إثر صدمة نفسية لم تستطع لها احتمالاً . هكذا قال الطبيب . يا رحمتاه لها

فعلمت أنى قد قتلتها وأنا عنها غافل

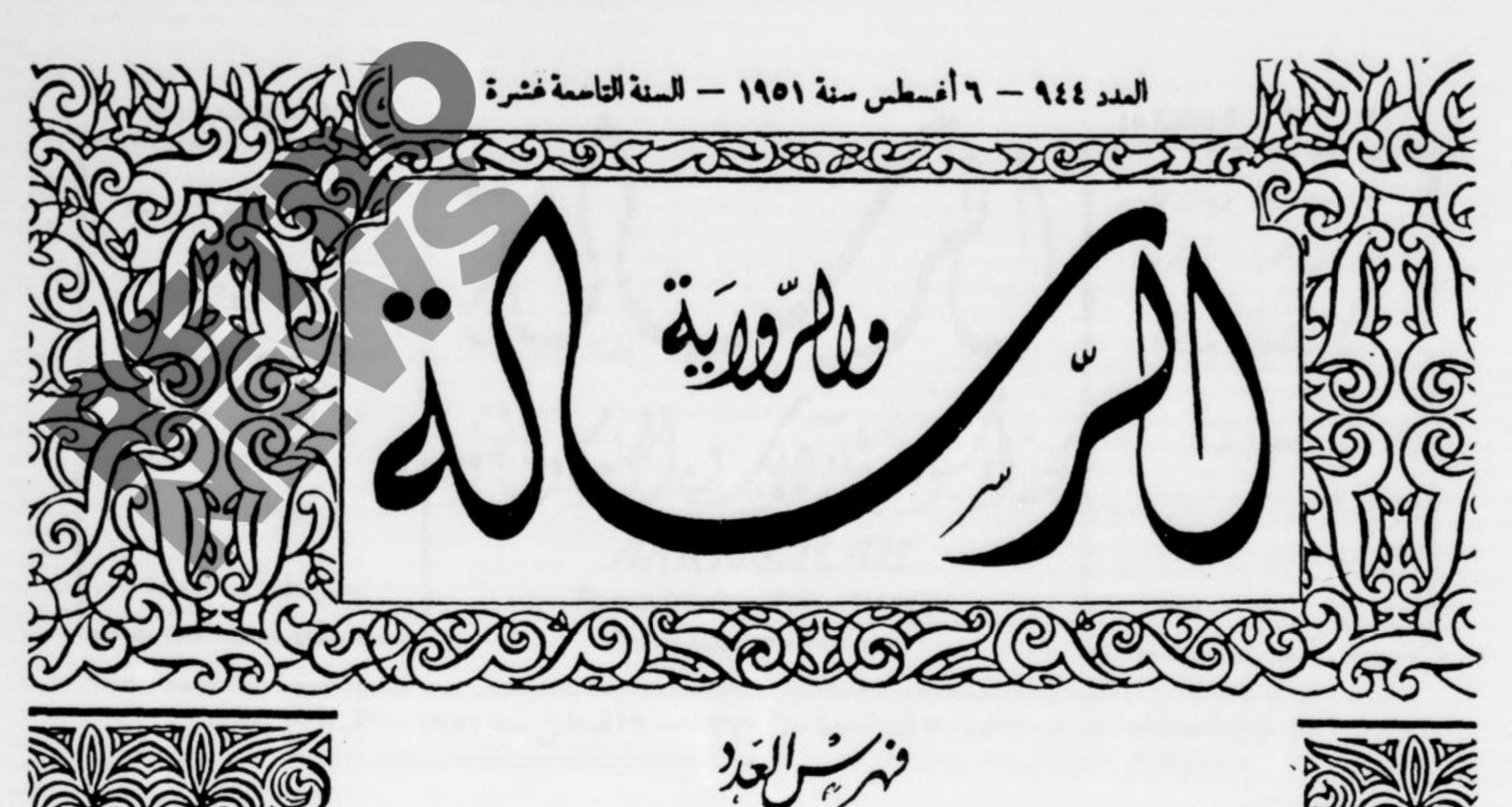
وبعد أسبوع كنت أستقل القطار مبتعدا عن معهد ذكرياتى المؤلمة ؛ ولكنها ما زالت تطاردنى كلما وقعت عينى على صورتها التى لا تفارقنى

عبد الموجود عبد الحافظ

مطبعة الرسالة



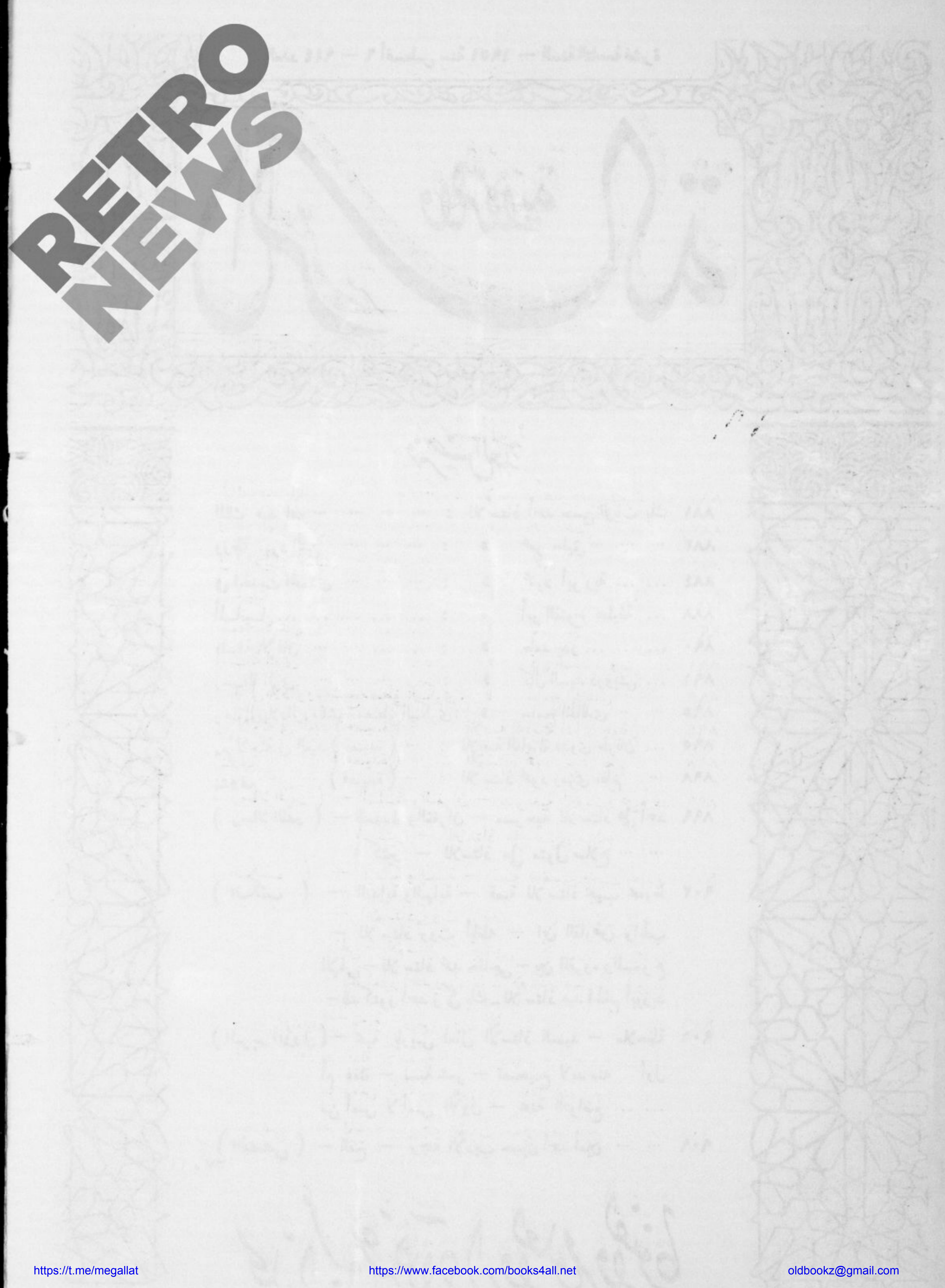
العدد ٩٤٤ — ٦ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

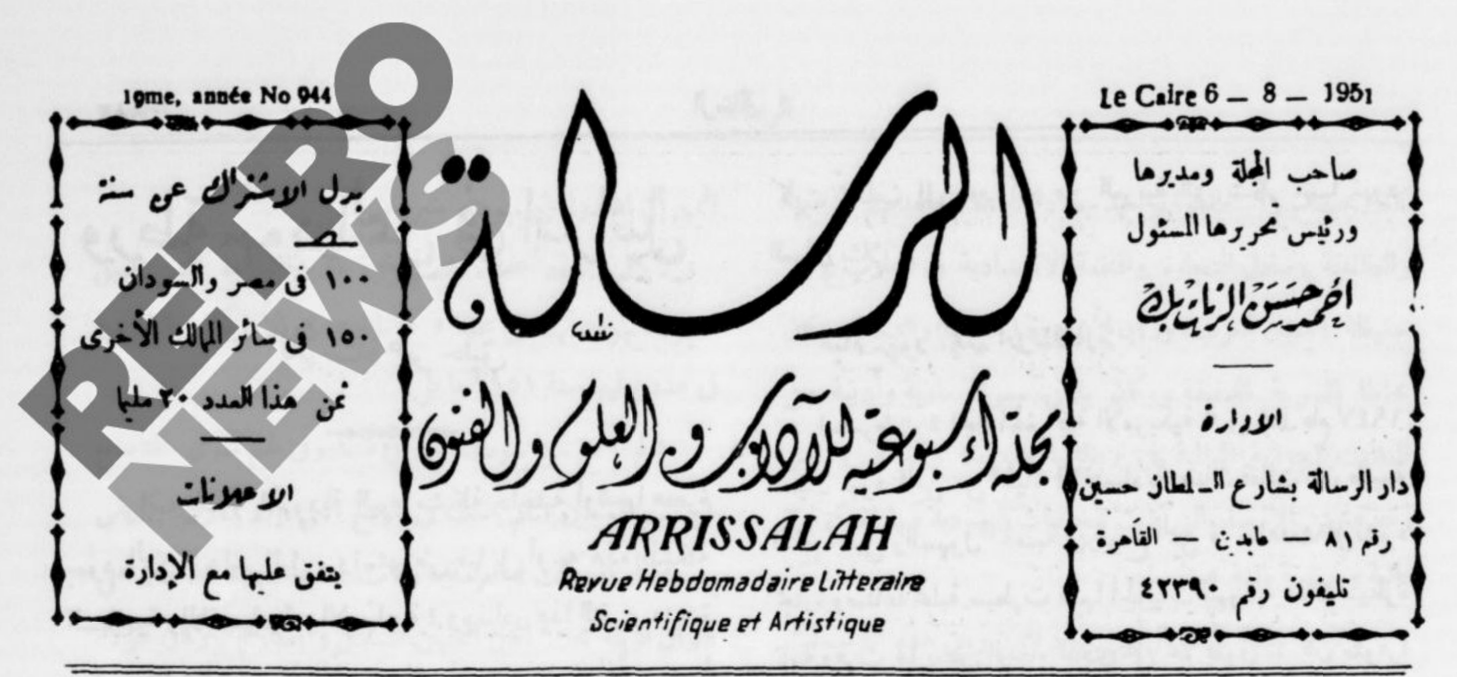


فهرس العدد

١١٠٥٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



العدد ٩٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذى القعدة سنة ١٣٧٠ — ٦ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الملك عبد الله

على عتبة المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله خر الملك عبدالله صريعا ليديه ، فصرعت بصرعه الأليم سياسة ، وتزعزع نظام ، وتراجع أمل ، وتضعضع حلف ، وتغير تاريخ !

ذلك لأن الملك عبد الله كان قوة مؤثرة فى سياسة الشرق والغرب . اكتسب هذه القوة بفعل الحوادث وحكم الظروف وموقفه المعبر الدال على اتجاه الإنجليز فى شؤون العرب . ولم يكن من الميسور أن يكتسبها لو لم يكن قوى الشخصية بعيد الهمة واسع المطامع ، لا يقنع بالتمنى ، ولا يكتفى باليسير ، ولا يدخل فى حسابه آراء غيره ولا آراب قومه

دخل الأمير عبد الله بن الحسين التاريخ من الثغرة التى ثغرها الإنجليز بين الترك والعرب فى الحرب العالمية الأولى . وكان المغفور له والده الكريم قد فهم من لغة الإنجليز فى الوعد الذى واعدوه غير ما أرادوه ! فهم أن غنيمته من محاربته الأتراك معهم ستكون للأمة العربية الاستقلال والوحدة ، وكانوا هم يريدون بهذين اللفظين الانتداب والتجزئة ! فلما تقاسم بنو الحسين الميامين تيجان العرب فى الأقطار التى انبسط عليها النفوذ البريطانى من تراث الخلافة الصريعة كان ما أصاب الأمير عبد الله رقعة من أجادب الأرض فى شرق الأردن ، لم تتسع لهمته ولم تستجب لطموحه . وظل فيها كما يظل الأسد فى القفص متململا من الحصر ، متبرما بالضيق ، يتطلع من خلال القضبان إلى سواحل فلسطين ؛ ثم تمتد عينه الرغيبة إلى سهول سورية ؛ ثم يشرق بفكره وقلبه إلى أرياف العراق ؛ ثم يرتد بذكرياته وحسراته إلى أباطح الحجاز ؛ ثم ينطوى على نفسه فى قصر رغدان ويصوغ ما تشهاه وما تمناه وما تذكره خططا سياسية يسميها : « فلسطين الموحدة » أو « سورية الكبرى » أو « الهلال الخصيب » ، ويستعين على تنفيذ هذه الخطط وتحقيق هذه الأمانى بصفحات من جيش (جلوب) ، وصفحات من كتاب (الأمير) ؛ ولكن الملك كان يفكر ، والقدر كان يدبر ، (فحال الجريض دون القريض) ، وانهار ما شاده الثائر الطموح من الأمل العريض !

عرفت أصحاب التيجان الهاشمية من بنى الحسين معرفة خبرة وصداقة . عرفت الملوك عليا وفيصلا وغازيا فى بغداد ، فرثيتهم رثاء الخبير ، وبكيتهم بكاء الصديق ! إلا الملك عبد الله فقد لقيته مرة واحدة فى القاهرة وهو أمير . لقيته أنا والأستاذ السراج فى أحد القصور من جاردن سيتى ، فلم يكد يفرغ من تكاليف اللقاء الجميل حتى أخذ يتلو عن ظهر قلب قول الله تعالى : « وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم . . . » إلى آخر الربع من سورة (فصلت) ، ثم انتهت الزيارة بانتهاء القراءة ، فلم أعرف عنه إلا أنه يحفظ القرآن !

من أجل ذلك لا أستطيع أن أتحدث عنه ولا أن أحكم عليه إلا من وراء ما يُرى ويُسمع . والناس إنما يرون ويسمعون بعين المخلوق وأذنه . ولعل فيما أبصروا من أفعاله ، وسمعوا من أقواله ، مبررا من طيب سريرته وصدق عقيدته . والتاريخ يحاسب المرء على عمله ، ولكن الله يحاسبه على نيته !

المنصورة — احمد حسن الزيات

ورطة يهود اليمن في اسرائيل

للأستاذ عمر حليق

تواجه الدولة اليهودية اليوم مشكلة داخلية أولدتها هجرة يهود اليمن إلى إسرائيل . ونتعرض فيما يلي أوجه هذه المشكلة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ ومصادر هذا التقرير عديدة توفرت لنا هنا من هيئة الأمم في نشرات وبحوث مختلفة ، بعضها يهودي والبعض الآخر من تحريات المراسلين الأجانب

توطئة :

قامت دائرة الأبحاث الشرقية في الجامعة العبرية بالقدس بدراسة تاريخ اليهود في اليمن وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية إلى ما قبيل عملية الترحيل التي قامت بها القيادة الصهيونية العالمية — هذه العملية التي سميت « بساط الريح » نظرا للسرعة الفائقة التي تمكن بها أعوان الصهيونية في محمية عدن من نقل عشرات الألوف من يهود اليمن على متن القلاع الجوية الطائرة في مدة لا تتجاوز بضعة أسابيع

ونحن ننقل في هذه التوطئة ملخص هذه الدراسة على علاتها . تقول هذه الدراسة إن يهود اليمن كانوا يستوطنون بقعات مختلفة من البلاد اليمنية بلغ عدد جالياتهم فيها حوالى ٨٠٠ بين صغيرة وكبيرة ومتوسطة العدد

وكان جزء من يهود اليمن قد استقر هناك منذ الأجيال التاريخية القديمة، وكان الجزء الآخر — وهو الأقل عددا — قد هاجر من الشواطئ الإفريقية المجاورة أو نزح من أعالي بلاد الشام والعراق بقصد المتاجرة مع اليهود الأصليين في اليمن السعيد

ويعرف يهود اليمن بتعلقهم بمذهبهم على الطريقة التقليدية ، وقد خالط يهوديتهم بعض الدخائل الوثنية ولكنهم مع ذلك بقوا من أشد الجاليات اليهودية تعلقا بالعادات والتقاليد القديمة

وكان يهود اليمن يتكلمون العربية طبعا ، ولكن عربيتهم كانت تختلف إلى حد كبير عن العربية التي يتكلم بها يهود العراق مثلا

حياة يهود اليمن الاقتصادية :

استعرضت « المجلة الجغرافية الأمريكية » في مجلد عام ١٩٤٧ نصيب يهود اليمن من الحياة الاقتصادية هناك فقالت إن طبيعة المناخ الجبلي والسهول الخصبة في ربوع اليمن قد ساعدت على نشوء تجارة وصناعة محلية سيطرت عليها الجاليات اليهودية هناك سيطرة تامة وفرت لها بعض الرخاء المادي على نحو يفوق ما كان متوفرا لأكثرية اليمنيين العرب . وقد شرح كاتب يهودي — كانت الجمعية الصهيونية العالمية قد أرسلته إلى اليمن قبل مأساة فلسطين بسنتين — الوضعية الاقتصادية ليهود اليمن في كتاب أسماه « ابن سفير » فقال — « لا تخلو منطقة من المناطق اليمنية التجارية والزراعية من جالية يهودية تتحكم في الوضع الاقتصادي للمنطقة . فقد كانت معظم حوانيت البيع في يديهم . وفي يدهم تركزت صناعة الجواهر والسلع التجارية المحلية والخارجية . وكان يهود اليمن على اتصال مستمر مع يهود العالم الخارجي عن طريق محمية عدن مما وفر لهم توسيع نشاطهم التجاري بحيث شمل الداخل والخارج . ولم يقتصر تركز يهود اليمن الاقتصادي على التجارة والصناعة وأعمال المصارف (القروض والربا والرهن) وإنما شمل احتلال الأراضي الزراعية والسيطرة على مصادر المياه والتحكم في توزيعها على صغار المزارعين اليمنيين العرب في القرى والدساكر . ومع ذلك لم تنشأ في اليمن أزمة يهودية كما نشأت في بلدان أوربا مثلا . وسبب ذلك سماحة الإسلام وما طبع عليه المسلمون من إكرام للغرباء والصبر على المكاره . ولم يكن ملاك لليهود في اليمن قائمين على الزراعة بأنفسهم، وإنما كانوا يؤجرون الأرض للمزارع اليمني وينالون من أتعابه نصيبا كبيرا مما ساعد على تركز جزء كبير من الثروة الزراعية والنفوذ الاقتصادي في أيديهم »

وفي عام ١٩٤٦ زار اليمن مبعوث أرسلته لجنة التوزيع اليهودية الأمريكية المشتركة « وبعث بتقرير إلى مرءوسيه في نيويورك قال فيه » : إن يهود اليمن بالرغم من العزلة الجغرافية التي

كانت تحيط بهم استطاعوا توحيد جهودهم وتنظيم وحدتهم المذهبية والطائفية وتبادل التجارة والمنفعة الاقتصادية فى أسلوب لم يثر حفيظة اليمنيين العرب، وذلك لأن هـذا التنظيم والتكاتف كان محاطا بالسرية الدقيقة، وكان يلاقى معونة مادية وأدبية من المنظمات اليهودية العالمية فى بريطانيا وأمريكا والعراق ومصر وغيرها من الأمصار التى كانت للجاليات اليهودية فيها نفوذ وقوة مالية وسياسة بالغة »

وكانت حلقة الاتصال بين يهود اليمن وبين هذه المؤسسات اليهودية الخارجية وكر يهودى اتخذ مدينة عدن مركزا . وكان هـذا الوكر ممروفا للحاكم البريطانى فى عدن الذى كان يرعاه ويحنو عليه لا بدافع العطف فحسب؛ بل بدافع المنفعة المادية التى كان هـذا الوكر يفرقها بسخاء على الموظفين البريطانيين فى جنوبى شبه جزيرة العرب

ولقد كان هذا الرخاء الاقتصادى وهذا التنظيم الداخلى، وهذه المعونة الخارجية (اليهودية والبريطانية) التى توفرت ليهود اليمن — كان هذا كله من أهم العوامل التى حفظت ليهود اليمن كيانهم سالما لم يتأثر مطلقا فى ناحيته السياسية أو المالية أو الدينية . ولذلك حرص اليهود على السكنى متجاورين معاملة بعضهم مع بعض وستر اجتماعاتهم وإخفاء تدابيرهم عن أعين اليمنيين المسلمين. وهذا هو السر الذى حقق لليهودية العالمية سرعة نقل يهود اليمن إلى فلسطين فى دقة فائقة؛ إذ أن هذه السرعة كانت مسبوقة باستعداد داخلى وتنظيم دقيق مستتر عن طريق الوكر اليهودى المنظم فى محمية عدن

وقد كان من ألوان هذه المخادعة التى ستر بها يهود اليمن خططهم للرحيل إلى فلسطين تفاديهم الظهور بمظهر الباذخ الثرى، فقد كان أغنياؤهم حريصين على أبسط الثياب والسكنى فى بيوت ظاهرها لا تأخذه العين وإنما تتجمع فى داخلها ثروات من المال والجواهر والسلع الغالية الثمن . ولم يكن فى اليمن ما يدفع اليهود إلى هذا اللون من الخداع إلى ما كانوا يضمرونه من خطط للمستقبل، فلم تكن الحكومة اليمنية متعسفة فى معاملتهم ولم يسبق لمسلمى اليمن أن اعتدوا على يهودى بغير حق

كتب أحد عملاء الصهيونية الذين زاروا اليمن قبيل هجرة اليهود منها فى مجلة « كومانترى » الأمريكية اليهودية فى عدد يوليو سنة ١٩٥١ ما يلى :

« لم أسمع من يهودى اليمن فى مساورتى لهم سوى المديح لجيرانهم المسلمين . فلم يحدث فى تاريخ اليمن أن أحرق كنيس يهودى أو انتهكت له حرمة . وكانت معابد اليهود تضاء وتحلى بألوان الزينة تحت أعين اليمنيين المسلمين وأبصارهم . وكان هؤلاء المسلمون يقدرون عنصر التوحيد فى الديانة اليهودية حق تقديره، ولم تنشأ فى حاضر اليمن أو قديمها أى حركة توخت الحد من الحرية الدينية والاجتماعية للجاليات اليهودية هناك. وكان حاخاميو اليمن يلقون بعض العون المادى من حكومة جلالة الإمام اليمانى . ومن الأدلة على سماحة المسلمين فى هذه الأيام أن الجاليات اليهودية هناك كانت تحتفظ بنسخ من التوراة يرجع عهدها إلى مئات السنين فى حين أن مثل هذا الإرث الدينى قد أعدم مراراً فى أوروبا الشرقية والغربية خلال القرون الوسطى وفى التاريخ المعاصر »

« وكتب يهودى آخر فى مجلة « كومنترى » نفسها قال :

« إن خلو حياة يهودى اليمن من الاضطهاد المحلى لم يمنعهم من الانقسام إلى « طوائف » متخاصمة . فقد كانت بعض الجاليات اليهودية لا ترضى بزعامة بعض الحاخاميين من الجاليات الأخرى؛ وهذا الأمر كثيرا ما أولد بينهم الشقاق ولطالما لجأت هذه الجاليات اليهودية إلى الحكومة اليمنية أو إلى الأئمة المسلمين فى اليمن بغية التوسط فى وضع حد لمثل هذه الخلافات الطائفية بين اليهود أنفسهم .. ومع ذلك لم يكن هذا الشقاق ليحول دون تكاتفهم (يهود اليمن) على الخطط التى وضعتها لهم القيادة الصهيونية العالمية للرحيل عن اليمن السعيد والامتثال لتعليمات مبعوثى تلك القيادة الذين كانوا يتخذون وكر الصهيونية فى محمية عدن مركزا لهذه الخدعة الكبرى »

* * *

والآن وقد أنتجت هذه الخدعة الكبرى ثمارها وتم رحيل

١٠ - فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

كعب الأحبار وعمر :

لما قدم كعب الأحبار إلى المدينة فى عهد عمر بن الخطاب مظهراً إسلامه أخذ يعمل فى دهاء ومكر لما أسلم من أجله، وكان مما وجه إليه همه أن يفترى الكذب على النبي صلوات الله عليه ولكن عمر فطن لكيده فنهاه عن الرواية عن النبي وتوعده أن يلحقه بأرض القردة

وعلى أن عمر قد ظل يرقب هذا الداهية بحزمه وحكمته وينفذ إلى أغراضه الخبيثة بنور بصيرته كما ستری فی قصة الصخرة فإن شدة دهاء هذا الرجل اليهودى قد تغلبت على فطنة عمر ويقظته فظل يعمل بكيده فى السر والعلن إلى أن قتل عمر، ومن ثم انفجر بركانه بالخرافات والأساطير التى لم يسلم منها كتاب فى التفسير والحديث والتاريخ

قصة الصخرة

لما افتتحت إيلياء وأرضها فى عهد عمر فى سنة ١٦ هـ ودخل عمر بيت المقدس وجد على الصخرة زبالة عظيمة كان النصارى من الروم قد ألقتها عليها معاندة لليهود الذين يعظمون الصخرة ويصلون إليها، فأخذ عمر ومن معه فى تنظيفها، وبينما هم فى عملهم إذ سمع عمر تكبيراً من خلفه فقال ما هذا ؟ فقالوا : كبر كعب وكبر الناس بتكبيره ! فقال على به. فأتى به ،فقال يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبى منذ خمسمئة سنة !! قال وكيف ؟ قال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ... إلى أن وليت — فبعث الله نبيا على الكناسة فقال أبشرى أو يرى شلم عليك الفاروق ينقيك مما فيك (١)

ولما فرغوا من تنظيف الصخرة قال عمر لكعب : أين ترى أن أبنى مصلى المسلمين ؟ فقال : ابنه خلف الصخرة — أى أن تكون الصخرة قبلة — فقال له عمر: ضاهيت والله اليهودية يا كعب. وفى رواية أخرى ، خالطتك يهودية يا ابن اليهودية وقد رأيتك وخلعك نعليك !! أبنيه فى صدر المسجد . فبناه فى قبلى المسجد — وهو الذى يسميه كثير من العامة اليوم الأقصى ، والأقصى اسم للمسجد كله

وظلت الصخرة مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان وعلى ثم كذلك فى إمارة معاوية وابنه وحفيده . فلما كان زمن عبد الملك ابن مروان بنيت القبة على الصخرة . وقد تم بناؤها وعمارة المسجد الأقصى فى سنة ٧٣ هجرية وكان السبب فى ذلك على ما رواه صاحب (مرآة الزمان) : أن عبدالله بن الزبير كان قد استولى على مكة وكان يخطب فى أيام عرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بنى مروان ويقول : إن النبي لعن الحكم وما نسل منه وأنه طريد رسول الله ولعينه.. وكان يدعو الناس إلى نفسه وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم .. وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم

(١) ارجع إلى الجزء الرابع من تاريخ الطبرى لتعجب من خرافات كعب الأحبار وأساطيره

يهود اليمن عن هذا البلد الإسلامى إلى إسرائيل فلنلتفت إلى وضعية يهود اليمن فى إسرائيل وما خلقوه لأنفسهم وللدولة اليهودية من متاعب أصبحت تؤلف مشكلة داخلية من النوع العويص . ولا ريب أن هذه التدابير البعيدة المدى التى اتخذتها القيادة الصهيونية العليا لنقل يهود اليمن إلى إسرائيل تتوخى أهدافا سياسية واقتصادية معينة سنحاول أن نتعرف على دخائلها من صميم المصادر اليهودية والأجنبية المتوفرة لدينا

نيويورك — للكلام صلة — عمر حليق

وذكر ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم غير ذلك ، أن عبد الملك بن مروان قد جعل عليها من الكسوة فى الشتاء والصيف ليكثر قصد الناس للبيت المقدس فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير — والناس على دين الملوك — وظهر من ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس مالم يكن المسلمون يعرفونه، وصار بعض الناس ينقل الإسرائيليات فى تعظيمها حتى روى بعضهم أن كعب الأحبار قال : إن الله قال للصخرة أنت عرشى الأدنى . وقد صنف طائفة من الناس مصنفات فى فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التى بالشام وذكروا فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب وعمن أخذ عنهم مالا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم .. وأمثل من ينقل عنه تلك الإسرائيليات كعب الأحبار. وكان الشاميون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليات

ومما قاله كعب فى الصخرة كذلك : أن الله قد نظر إلى الأرض فقال : إنى واطئ على بعضك فاستبقت له الجبال وتضعضعت الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه

قتل عمر ويد كعب فيه :

مما لا ريب فيه أن قتل عمر كان بمؤامرة اشترك فيها هذا الدهى وجماعة معه منهم الهرمزان ملك الخورستان وكان قد جئ به إلى المدينة أسيرا فى عهد عمر

ذكر المسور بن مخرمة (٢) أن عمر لما انصرف إلى منزله بعد أن أوعده أبو لؤلؤة جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين (إعهد) فإنك ميت فى ثلاث ليال (رواية الطبرى فى ثلاثة أيام) قال ، وما يدريك ؟ قال : أجده فى كتاب التوراة ! قال عمر : أتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ! قال اللهم لا ولكن أجد حليتك وصفتك وإنك قد فنى أجلك ! قال ذلك وعمر لا يحس وجعا . فلما كان الغد جاءه كعب فقال : بقى يومان ! فلما كان الغد جاءه كعب فقال : مضى يومان وبقى يوم (ورواية الطبرى — وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبحيتها ، فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وبيده خنجر فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته

وأتى كعب عمر بعد أن ضرب فقال له : ألم أقل لك إنك لا تموت إلا شهيدا وإنك تقول متى أين وأنا فى جزيرة العرب ؟ وفى رواية أنه قال له قبل هذه العبارة . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

وعن شداد بن أوس عن كعب (٣) قال : كان فى بنى إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبى يوحى إليه فأوحى الله إلى النبى أن يقول له أعهد عهدك واكتب إلى وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام . فأخبره النبى بذلك، فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ثم جاء إلى ربه فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أعدل فى الحكم وكنت وكنت فزد فى عمرى حتى يكبر طفلى وتربو أمتى، فأوحى الله إلى النبى : قد زدته فى عمره خمس عشرة سنة، فلما طعن عمر قال كعب : لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله. فأخبر بذلك عمر فقال : اللهم اقبضنى إليك غير عاجز ولا ملوم اه ملخصا

ولم يكن قتل عمر على يدى أبى لؤلؤة إلا تنفيذا لتلك المؤامرة التى دبرها الهرمزان لما كان يكنه من الحقد والموجدة للعرب بعد أن نالوا عرش الفرس ومزقوا دولتهم وأعانه عليها كعب لأن عمر هو الذى أجلى اليهود عن جزيرة العرب . ومما يقتلع عرق الشك من أن كعبا كان له يد فى مقتل عمر والتآمر به ما أخرجه الخطيب عن مالك أن عمر دخل على أم كلثوم بنت على (وهى زوجته) فوجدها تبكى فقال ما يبكيك ؟ قالت هذا اليهودى — أى كعب يقول إنك باب من أبواب جهنم.. فقال عمر ما شاء الله ! ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فقال ياأمير المؤمنين والذى نفسى بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ، فقال ما هذا !؟ مرة فى الجنة ومرة فى النار! قال: إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها فإذا مت اقتحموا !

(٢) ص ٢٤ ج ٣ تاريخ ابن الأثير

(٣) ص ٩٨ تاريخ الخلفاء

وقد بوت بيمينه لعنه الله فقد قتل عمر فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ

هل تجوز رواية الاسرائيليات :

جاءت الشريعة الإسلامية فنسخت ما قبلها من الشرائع ، وبين القرآن أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد بدلوا من كتاب الله وكتبوا بأيديهم كتبا زعموا أنها من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا ، ومن أجل ذلك نهى رسول الله صلوات الله عليه عن أن يأخذ المسلمون عن أهل الكتاب شيئا ، وكان يغضب أشد الغضب إذا رأى أحدا نقل عنهم أو استمع إليهم ، فروى أحمد عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب أتى النبى بكتاب أصابه عن بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى فغضب وقال : أمهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى

ولقد كان صلوات الله عليه يقول لأصحابه « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » إذ قد يكون فى قولهم الكذب مما بدلوه فتصديقه بضر .. وقد يكون فى قولهم الصحيح الذى لم يبدلوه فتكذيبه بضر كذلك . وهذا قول حكيم . ونحن نورد هنا بعض ما روى عن النبى (ص) فى ذلك : روى البخارى عن أبى هريرة « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وروى أحمد عن أبى نملة الأنصارى عن أبيه قال إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم — وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل الله على رسوله أحدث الكتب تقرأونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؛ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ! لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل إليكم »

هذا بعض ما روى عن النبى (ص) فى النهى عن رواية الإسرائيليات وهو الحق الذى يتفق مع مبادئ الإسلام الصحيحة وتفكير العقول السليمة ، ولكن ما لبث الأمر بعد أن اغتر المسلمون بمن أسلم من أحبار اليهود خدعة إلا أن ظهرت أحاديث رفعت إلى النبى تناقض نهيه الأول وتبيح الرواية عن بنى إسرائيل إباحة مطلقة

فقد روى أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال : حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج .. ومعلوم أن أبا هريرة وعبد الله بن عمرو كانا من الذين تلقوا عن كعب ، وأن ابن عمرو هذا كان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات قال فيهما الحافظ ابن كثير : منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود . وسنحدث إن شاء الله عن ابن عمرو وزاملتيه وقيمتهما

رواية بعض الصحابة عن احبار اليهود :

ولقد كان من أثر ذلك أن بعض الصحابة روى عن أحبار اليهود وقد نص رجال الحديث فى كتبهم فى باب رواية الأكابر من الأصاغر أو رواية الصحابة عن التابعين : أن العبادلة وأبا هريرة ومعاوية وأنس وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار وأخذوا عنه — وكان أبو هريرة أكثر الصحابة وثوقا بهم وأخذا عنهم وانقيادا لهم كما يتبين لك من تاريخه الذى سيقابلك إن شاء الله . وقد استطاع هذا اليهودى كما دعته السيدة الجليلة أم كلثوم بوسائله الشيطانية أن يدس من الخرافات والأوهام والأساطير فى الدين ما امتلأت به الكتب وكانت شبها على الإسلام يحتج بها عليه أعداؤه ، ويضيق بها ذرعا أولياؤه

ومما يدلك على أن الصحابة كانوا يرجعون إليه فيما لا يعرفون ما رواه عبد الرازق وابن المنذر عن ابن عباس قال : أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هى حتى سألت عنها كعب الأحبار وذكر منها آية (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وكان جواب كعب عن ذلك : أن الشيطان أخذ خاتم سليمان الذى فيه ملكه فقذف به فى البحر فوقع فى بطن سمكة ثم وقعت هذه

السمكة فى يد سليمان فاشتواها وأكلها فإذا فيها خاتمه فرجع إليه ملكه !

وفى تفسير الطبرى أن ابن عباس سأل كعبا عن سدرة المنتهى فقال إنها على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهى علم الخلائق ثم ليس لأحد وراءها علم ولذلك سميت سدرة المنتهى لانتهاء العلم إليها

وفى حديث أبى هريرة - هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن وأنهار من خمر وأنهار من عسل وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها تغطى الأمة كلها . ولا نستكثر من الأمثال فهى لا تعد

على أن كثرة رواياته الباطلة قد أوحيت أن يشك فى روايته بعض الصحابة حتى قال فيه معاوية وهو أحد تلاميذه « إنه من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب» رواه البخارى وغيره

اليد اليهودية فى تفضيل الشام :

ذكرنا لك من قبل أن إشارة كهان اليهود إلى أن ملك النبى سيكون فى الشام إنما هو لأمر خبئ فى أنفسهم..ونبين هنا أن الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره والثناء عليه إلا لقيام دولة بنى أمية فيه ، تلك الدولة التى قلبت نظام الخلافة إلى ملك عضوض ، وتحت كنفها نشأت الفرق الإسلامية التى فتت فى عضد الدولة ومزقتها تمزيقا . . افكان جديرا بكهنة اليهود أن ينفخوا فى نار الفتنة ويهيئوا لها وقودها . وكان من هذا الوقود أن يبالغوا فى مدح الشام وأهله . وأن الخير كله فيه والشر فى غيره

لم يكتف هؤلاء الكهان بما قالوه فى الشام وفى أهله وما صنفوه من كتب فى فضائل بلاده ، وأن الأبدال سيظهرون به ، بل زادوا على ذلك أن جعلوا الطائفة الظاهرة على الحق إنما تكون بالشام كذلك .. وحتى نزول عيسى سيكون به .. فقد روى الشيخان : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك - وفى البخارى - هم بالشام ! وعن مسلم عن أبى هريرة أن النبى قال لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة - قال أحمد وغيره هم أهل الشام ! وفى كشف الخفاء أن كعب الأحبار قال : أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم من العصاة . ولعل العصاة هم الذين جاءوا من المدينة والكوفة وغيرهما بقيادة أمير العصاة على !!

ومن أحاديث الجامع الصغير للسيوطى التى أشرنا عليها بالصحة : الشام صفوة الله من بلاده إليها يجتبى صفوته من عباده ، فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ، ومن دخلها فبرحمته . طوبى للشام إن الرحمن لباسط رحمته عليه . ليبعثن الله من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفا يوم القيامة لا حساب عليهم ولا عذاب ، مبعثهم فيما بين الزيتونة والحائط

ومدينة حمص هذه يجب أن يكون لها هذا الشأن العظيم حتى فى الآخرة لأن سيدنا كعب الأحبار قد اتخذها مقاما له . ثم مات فيها ، ولا نطيل بإيراد كل ما قيل فى فضل الشام وأهله لأنه يملأ مصنفات

المنصورة (للكلام صلة) محمود أبو رية

٢ - ألمانيـــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

امتاز تاريخ ألمانيا بظهور عبقريات فذة وأبطال عظام استأثروا بالسلطة فى الدولة وكانوا أول خدامها، وكان أعظم هؤلاء الأبطال أربعة: فردريك الأكبر وبسمارك وولم الثانى (غليوم) وهتلر. وإنى هنا أحدث القراء الكرام عن البطل الأول وهو فردريك الأكبر

ولكنى قبل أن أبدأ حديثى أحب أن أذكر أننا إذا رجعنا القهقرى إلى العصور الوسطى وجدنا العالم الألمانى مقسما إلى عدة ولايات ولم تكن هناك دولة موحدة فى ألمانيا. وكانت النواة الأولى لقيام الدولة الألمانية دوقية برندنبرج، وقد استطاع حكامها وهم من أسرة الهوهنزلرن ضم بقع متناثرة من شرق ألمانيا وغربها ووسطها وكونوا منها دولة موحدة هى مملكة بروسيا، وكان أول ملك لها فردريك الأول ١٦٨٨ — ١٧١٣

وقد خلفه على العرش فردريك وليم الأول ١٧١٣ — ١٧٤٠ الذى استطاع أن يصلح حال روسيا اقتصاديا وكون لها جيشا قويا ونظم إدارتها وشؤونها حتى إن كثيرين من المؤرخين يعدونه من أقوى وأحسن ملوك بروسيا

فردريك الأكبر ١٧٤٠ — ١٧٧٢ :

فى ١٧٤٠ لفظ فردريك وليم الأول آخر أنفاسه وترك لابنه فردريك دولة قوية اقتصاديا وحربيا، ولعله قد مات ونفسه تتقطع حسرات على ملكه ودولته، ذلك أن وارثه فردريك الثانى لم يثبت فى شبابه أنه سينهض بأعباء الملكة بعد وفاة؛ والده بل إنه على العكس أثار استياء والده بشغفه بقراءة الكتب الفرنسية وبحبه للشعر والموسيق، وقد حاول الهرب من التعليم العسكرى وهو فى الثامنة عشرة من عمره ولكن اكتشف أمره وأحضر أمام والده الذى بلغ به الغضب أن كان على وشك أن يقتله بسيفه

تولى فردريك الثانى فى ربيع ١٧٤٠ ولم يلبث إلا قليلا حتى أثبت عبقريته وعظمته وانتزع لنفسه لقب فردريك الأكبر Firedriek the Great

وكان أول أعماله عمله على توسيع رقعة أملاكه، واصطدم فى هذا بالنمسا وكانت صاحبة السيادة على العالم الألمانى وتحكم إمبراطورية واسعة تشمل النمسا والمجر وبوهيميا وغيرها. لم ترهب النمسا رغم اتساع أملاكها وسرعان ما قامت الحرب بينه وبينها

ضمان وراثى :

كان شارل السادس إمبراطورا للنمسا وكانت ابنته ماريا تريزا هى الوارثة للملك، واحتياطا للمستقبل طلب شارل إلى ملوك الدول (بروسيا وروسيا وإنجلترا وفرنسا وإسبانيا) أن يقرروا قبولهم اعتلاء مارى للعرش دون نزاع، وقد وافق الملوك على ذلك وتعرف هذه الوثيقة فى التاريخ بوثيقة الضمان الوراثى

ومات شارل السادس فى خريف ١٧٤٠ ومضى حين من الدهر اعتلت فيه ماريا العرش ولم تجد منازعا فانصرفت بقوتها وشبابها إذ كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها إلى العناية بشؤون إمبراطوريتها الشاسعة الأطراف المتعددة الشعوب والأجناس وإصلاح أحوالها والنهوض بها

حرب الوراثة النمساوية : ١٧٤٠ — ١٧٤٨

لكن حلم ماريا بالسلام لم يدم طويلا، ذلك أن فردريك — رغم أن والده كان من الموقعين على الضمان الوراثى — لم يعبأ بهذا الضمان وعرض على ماريا أن تنزل عن سيلزيا فرفضت وقالت إنها مستعدة للدفاع عن رعاياها ولن تبيعهم. حينذاك تقدم فردريك إلى سيلزيا واحتلها واستولى على برزلاو أشهر مدنها ولم يعلن، الحرب وكانت حجته أن سيلزيا كانت ملكا لأحد أجداده

جمعت ماريا قواتها وتقدمت للقاء فردريك ولكنه انتصر عليها انتصارا رائعا فى معركة مولتز فى ابريل ١٧٤١ .. انتهزت فرنسا وإسبانيا وبافاريا وسردينيا الفرصة وحاولت انتزاع أملاك ماريا. تقدمت جيوش فرنسا وبافاريا ودخلت بوهيميا واحتلت براج فى نوفبر ١٧٤١ واختير دوق بافاريا إمبراطورا بدلا من

ماريا ولقب « شارل السابع »

توغل الأعداء داخل أملاك ماريا ومع هذا لم تفقد شجاعتها ولجأت إلى رعاياها المجريين وأقنعتهم بالاشتراك معها فقبلوا

وفى فبراير ١٧٤٢ وفى يوم تتويج شارل السابع إمبراطورا دخلت جيوش ماريا ميونخ عاصمة دوق بافاريا ؛ وانتصرت فرق أخرى نمساوية على جيوش فرنسا . ولتتفرغ ماريا لأعدائها تصالحت مع فردريك وتنازلت له عن سيلزيا . قبل فردريك الصلح وترك فرنسا وحيدة وقال عبارته المعروفة « ما أسعد أولئك الذين يستطيعون تحقيق آمالهم ثم ينظرون فى هدوء وابتسام إلى أولئك الذين أوقعوا أنفسهم بين شق الرحى »

وقد دامت الحرب أكثر من سبع سنين ، وفى ١٧٤٨ انتهت بصلح إكس لاشابل وبه أعيدت الحالة إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، وأخذ فردريك سيلزيا واعترف هو والدول بماري إمبراطورة وبزوجها فرنسيس إمبراطورا للنمسا

حرب السنين السبع ١٧٥٦ — ١٧٦٣ :

كان صلح إكس لاشابل هدنة بين فردريك ومارى . ذكر مبعوث إنجليزى أن مارى كانت إذا رأت أحد رعاياها السيليزيين نسيت أنها ملكة وأجهشت بالبكاء ، ولهذا عملت جاهدة على استرداد سيلزيا . لكنها قبل أن تبدأ الحرب عمدت إلى اتخاذ وسائل النصر فتحالفت مع فرنسا رغم الخصومات السابقة بينهما والروسيا والسويد وسكسونيا وكلهم طامع فى تقسيم أملاك فردريك ، وأعدت جيشها . ولم يجد فردريك حليفا أمامه سوى إنجلترا

انقسمت أوربا إلى معسكرين : الأول البروتستانتية وهى إنجلترا وبروسيا فى ناحية ، والدول الكاثوليكية فى ناحية أخرى

ووقعت الحرب ١٧٥٦ وتقدم أعداء فردريك من نمساويين وفرنسيين وروسيين وغيرهم يهاجمون أملاكه ، واحتلت ماريا سيلزيا وأعلنت أن حقوقها قد ردت إليها ، وأصبح موقف فردريك حرجا للغاية

لكنه مع هذا لم يتزعزع وتذرع بالثبات والحزم وعمد إلى مباغتة أعدائه فهزم الفرنسيين هزيمة منكرة فى موقعة روسباخ ١٧٥٧ ثم هزم النمساويين فذعرت السويد وذهلت سكسونيا وتوقف الروس بعد أن أوقع بهم فردريك الهزيمة

وأما إنجلترا فكان هناك مايشغلها ، فقد قامت تحارب فرنسا فيما وراء البحار وتستولى على مستعمراتها فى أمريكا والهند ، واقتصرت مساعدتها لفردريك على استخدام فرقة مرتزقة من الألمان شغلت الفرنسيين عن التمكن من مساعدة أعدائه . وفى ١٧٦١ نصحته بقبول الصلح ولكنه رفض وظل يكره إنجلترا مدى حياته

وقد ساعد الحظ فردريك فماتت قيصرة روسيا ١٧٦٢ وخلفها بطرس الثالث وكان من المعجبين بفردريك ؛ فعقد معه صلحا . عندئذ تفرغ فردريك للنمسا فطردها من سيلزيا واضطر مارى إلى عقد الصلح

وفى عام ١٧٦٣ عقد صلح باريس وبه أخذت إنجلترا من فرنسا مستعمراتها فى أمريكا والهند ، وصلح هيوبرتسبرج وبه أخذ فردريك سيلزيا من النمسا مقابل اعترافه بأن يكون ابن ماريا تريزا إمبراطورا بعد أبيه ، أو بعبارة أخرى وارثا للعرش الإمبراطورى

مصلح :

لكن فردريك لم يكن قائدا حربيا فحسب ، ولكنه كان مصلحا كبيرا : ففى فترات السلم كان شديد العناية بالإصلاح . فعنى بالزراعة والتجارة والصناعة عناية كبيرة ، وكان قصره مجمع العلماء ، ومنتدى الفلاسفة والشعراء ، وكان فلتير من الأدباء الذين أقاموا حينا فى بلاطه ؛ كما كان فردريك نفسه شغوفا بالقراءة والكتابة وخاصة ما يتعلق بالتاريخ والسياسة ، وقد كتب ٢٤ مجلدا فى هذه المسائل وكلها باللغة الفرنسية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

فلسفة الإيمان

للأستاذ حامد بدر

بعض الناس يأتي الإثم فتنهاه تارة ، وتزجره أخرى ، فلا يزداد إلا مواظبة على ما هو فيه ؛ كأن المعاصي هي الدماء التي تبث في كيانه الحياة !

وهذا لا يعترف بالخطب والمواعظ والمحاضرات التي تدعو إلى الفضيلة ، وتحض على التقوى ، ولا يؤثر حالا على تلك الحال

قال الواعظ المتعبد للعاصي المسرف في الذنوب :

— أنت اليوم في الدنيا ، فمالك لا تعمل فيها من الصالحات ما ينفعك بعد الممات ؟

فأجاب العاصي :

— إن اللذة الحاضرة لا تتاح كل يوم ، والغد المجهول ليس في يدك ولا في يدي . فدعني أفعل ما يطيب لي ، وآخذ من حاضري ما أتيح اليوم ، وبعد اليوم قد لا يتاح

قال الواعظ :

— ليس من الصواب أن تضيع الباقي من أجل الفاني . .

قال العاصي :

— بل من الخطأ أن تضيع ما في يدك ، وتنتظر ما لا تملك

قال الواعظ :

— كيف تيأس من الغد ، وقد وعد الله المؤمنين خيرا ، وأعد للكافرين عذابا !

قال العاصي :

— ومن أين عرفت المؤمنين وغير المؤمنين ، وحكمت بأن من أباح لنفسه متاع الدنيا ليس بمؤمن ؟

قال الواعظ :

— عرفت هؤلاء وهؤلاء بأعمالهم ؛ وحكمت بأن من تشغله الدنيا لا يعمل للآخرة ، ولا يستحق نعيمها

قال العاصي :

— كلا يا صاح . إن الإيمان والكفران من الأسرار التي استقرت في أعماق القلوب ، والعمل الظاهر ليس وحده كفيلا بالثواب أو العقاب

قال الواعظ :

— إن لنا أن نأخذ بالظاهر ، وليس علينا أن نتنبأ بما خفي

قال العاصي :

— إن كنت تأخذ بالظاهر ، فكم للظواهر الكاذبة من ضحايا ، وإن الخفي على الناس لا يخفى على الله ، فما لنا لا نترك الأمر كله لله ؟

قال الواعظ :

— علينا أن نطيع ما أمر الله به ، ونجتنب ما نهى عنه

قال العاصي :

— إن المذنب الذي لا يستكثر ذنوبه على رحمة الله خير من العابد الذي يظن أنه بعبادته استحق جنة الله ، واستأثر برحمته سبحانه . وإن الذي يطمع في رحمة الله برغم كثرة ذنوبه لأكثر إيمانا ممن يزعم أنه دفع ثمن الجنة عملا صالحا !

قال الواعظ :

— إن لم يكن العمل الحسن هو الطريق المؤدي إلى الجنة ، فهل نصل إليها من طريق السيئات ؟

وهنا رأيتني مدفوعا إلى الكلام ، فقاطعت الواعظ مستأذنا وقبل أن أدخل في موضوع الحديث قال الواعظ :

— ألا توافقني ؟

قلت :

— ليس في كل ما تقول

قال :

— إن كان لك اعتراض فهاته

قلت :

— لي رأي وسط ، فإن رضيتماني حكما غير متحيز لأحدكما كان ذلك ما أردت ...

قال :

— هات رأيك

رسالة المربى

« ظهور المدرسة ، الطريقة النفسية والمنطقية ، التقاليد »

للأستاذ كمال السيد درويش

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

لقد عرف الإنسان الطريقة النفسية أولا وعمل بها ثم انتقل إلى العمل بالطريقة المنطقية . والواقع أنه منذ أن نشأت المدرسة كمهد علمى متخصص فى تربية النشء ، بدأ سلطان الطريقة المنطقية وأخذ يزداد حتى أصبحت فى النهاية شبحاً مخيفاً جاثماً على صدور الأطفال الأبرياء . وقد استطاعت هذه الطريقة فرض ديكتاتوريتها على التعليم ولا تزال حتى اليوم . لذلك يمكن القول أن العلة الأساسية فى فساد نظم التربية حاليا فى جميع ميادينها المختلفة ، سواء فى المدرسة أو الأسرة أو المجتمع نفسه ؛ إن هى إلا فى العمل بتلك الطريقة المنطقية . وإذا كان الأمر كذلك فما الذى يدعو إلى التمسك بها والخضوع لغيرها ؟ الواقع أن السبب الحقيقى الذى دعا إلى الاعتماد عليها هو ما تمتاز به من سرعة وسهولة . لقد جرب المربى فى حياته واستخلص واستنتج ثم رتب خلاصـــة تجاربه خلال حياته فى شكل نتائج وقوانين ونصائح وأخلاق وحكم وأمثال . فما أسهل تلقين ذلك كله للناشئين وحثهم على العمل بها ؛ سواء أرادوا أم لم يريدوا ، قبلوا أم رفضوا ؛ فهموا أم لم يفهموا . إنما المهم أن يحفظوا بعقولهم الناشئة هذه الحكم القيمة والمعلومات النادرة والأمثال السائرة . وكيف لا تكون قيمة نادرة وقد بذلنا كل مرتخص وغال فى سبيل الحصول عليها ؟ لذلك يجب على هؤلاء الناشئين أن ينصاعوا صاغرين وإلا فهم شياطين خاسرة لم تكتب لهم الهداية ولم يقـــدر لهم التوفيق. وإذا ضرب أحدهم بتقاليدنا ونصائحنا عرض الحائط . إذا نأى عنها وأعرض بجانبه سلقناه بألسنة حداد واعتبرناه خارجاً على التقاليد، تقاليد الآباء والأجداد. ومارقا كافراً ملحدا يستحق اللعنة ومختلف ألوان العذاب

تلك هى أول مساوئ الطريقة المنطقية . هى أنها تخلق تقاليد معينة لها حرمتها وقدسيتها ولا يمكن المساس بها . وهنا يحق لنا أن نتساءل ، وما هو الضرر فى تقديس التقاليد ؟ وفى الخضوع لها ؟ ولم لا يكون فى التقديس والطاعة ما يرغب فيه ؟! يجرنا ذلك إلى سؤال آخر : ولـكن ما هى التقاليد ؟ ! نحن نعنى بالتقاليد تلك التعاليم التى كانت لدى الإنسان الأول، والتى لازمت المجتمعات الإنسانية منذ أن ظهرت على سطح الأرض ، والتى

قلت :

— لا شك فى أن الإيمان سر من الأسرار المستقرة فى القلوب ، ولـكن أثره الطيب يظهر فى الخارج ظهوراً جليا ؛ فإن العمل بمقتضى الإيمان غير العمل بمقتضى الـكفران ، والسير فى طريق الطاعة غير السير فى طريق العصيان...

ومن الذنوب ما يغفر ومنها ما لا يغفر ، وأقربها من المغفرة أبعدها عن الإصرار . والصالحات الظاهرية المشوبة بالرياء لا تنفع عند الله ولا عند الناس ، بل لا يصح أن يسمى صالحا ما ليس خالصا ، فإن الرياء إذا اختلط بعمل حبط ، وذهبت الحـكمة التى من أجلها شرع ، ولنضرب لذلك مثل الذى يعطى فقيراً ثوبا مكتوبا عليه تلك العبارة : « صدقة من فلان إلى فلان ! »

فإذا كان المقصود من الثوب هو الستر ، فـكيف يجمع ذلك الذى زعم أنه محسن بين الستر والفضيحة ، فيكسو العارى بثوب ، ويجرده فى الوقت ذاته بمنه وأذاه ؟!

الإيمان فى القلب ، ومن السهل استشفافه من آثاره الطيبة الدالة عليه فمن آمن عمل بمقتضى إيمانه ، وسبقت نيته الطيبة عمله الطيب ، فأتى بالخير لأنه خير وكفى ؛ لا ابتغاء الظهور بمظهر الورع والصلاح

وليس اجتناب المعاصى دليلا على اليأس من رحمة الله ، كما أن رحمته سبحانه ليست وقفا على الطائعين وحدهم ، وإنما تشمل العصاة التوابين الذين يرجعون إلى ربهم وإلى أنفسهم نادمين ، ولم يؤيدوا العصيان بالإصرار

حامد بدر

لا تزال تحيا وتعيش حتى اليوم سواء فى المجتمع البدائى أو المجتمع الذى وصل إلى أرقى درجات الحضارة والتقدم . . هى تعاليم يفرضها المجتمع فرضا على أفراده الناشئين وعلى هؤلاء تقبلها فى خضوع واستسلام دون مناقشة أو كلام، لا لشئ إلا لأنها تقاليد واجبة التقديس . إطاعة الكبير وتوقيره وإطعام الغريب وإيواؤه من بين الأمثلة العديدة على التقاليد السائدة فى مجتمعنا الإنسانى بوجه عام . ولقد اتسع سلطان التقاليد فأصبحت ولها فى كل ميدان سلطان . . وأى سلطان ؟! هى فى القرية غيرها فى المدينة وهى فى مدينة غيرها فى الأخرى، وتجدها تظهر فى الملبس وفى العادات وفى الأخلاق بين جميع الأمم تجدها، وفى مختلف الطبقات تشاهدها . لذلك لا نعجب إذا وجدناها داخل جدران المدرسة بطبيعة الحال . بل يمكن القول أن عملية التربية بعد أن سارت على الطريقة المنطقية قد أصبحت هى نفسها تقليداً متبعا . وهنا يحق لنا أن نتساءل . وما السر فى وجود التقاليد ؟! الواقع أن أى تقليد لم ينشأ إلا نتيجة لخبرة عملية مارسها الإنسان على الطريقة النفسية الطبيعية . شاهد الإنسان غيره وقد أصبح كبيرا مسنا فى حاجة إلى احترام الناس ومعونتهم وتصور حاله لو أصبح مثله ! عند ذلك أيقن أن احترام الكبير فيه احترام للجميع ووقاية من التحقير على يد الصغير . لذلك تمسك الإنسان بهذه الفكرة ، فكرة احترام الصغير الكبير وجعلها تقليدا أحاطه — وهو يلقنها للصغار الذين لا يعلمون عن سر حكمتها شيئا — بهالة من التقديس وذلك حتى يضمن بقاءها والعمل بها . وهكذا غدت تقليدا يحافظ عليه أفراد المجتمع . ولذلك يمكن القول أن من الممكن أن نرد كل تقليد ظهر فى أى مجتمع من المجتمعات إلى ظروف خاصة دعت أولا إلى وجوده وأدت ثانيا إلى بقائه كان تكون له أهمية حيوية بالنسبة لحياة المجتمع الذى نشأ فيه . إن الكرم عند البدوى فى البيداء هو تقليد حيوى ضرورى تمليه البيئة الصحراوية . ولقد نمت التقاليد وتنوعت بنمو المجتمع الإنسانى وتحضره

ولكن لم نوافق على أن تصبح التقاليد نفسها أهدافا تربوية ما دامت التقاليد فى حد ذاتها خلاصة الخبرة السابقة للمجتمع الإنسانى مصوغة فى قالب التقاليد لتسهيل المحافظة عليها وفرض الطاعة لها ؟ !

الواقع أن التقاليد إذا كانت تحتوى على خير كثير فإنها تحمل فى طواياها من الشر أضعاف ما تحمله من الخير . ولكن من أين جاء ذلك الشر الذى ترمى به التقاليد ؟! الواقع أن الضرر الناجم عن التقاليد يرجع إلى طريقة تعليمها . . إلى فرضها على الناس مجردة عن الخبرة الحية التى توضح السر فى قيامها والغرض من وجودها والظروف التى نشأت فيها ؛ إلى فرضها منطقيا على الأفراد الجدد فى المجتمع ، هؤلاء الذين لا يدركون من أمرهم ولا من أمر مجتمعهم شيئا . كن كريما . هذا صوت المجتمع يأمره فعليه أن يطيع . هو تقليد جرى عليه العرف والناس . ولكنه فى هذا الشهر قليل الدخل مختل الميزانية فهل يخرج على التقاليد ؟ كلا . . ليتكرم . . وإذا لم يجد المال فليستدن نفقات الكرم وليتورط إلى أعماق أذنيه فى الديون .. ولن يهمه شئ ... لن يهمه إفلاس يهدده ولا إملاق يدمره ما دام قد أرضى صوت التقاليد . وهكذا يصبح الإنسان عبدا ذليلا خاضعا لسلطان التقاليد

إن ضرر التقاليد يأتى من التقيد التام بحذافيرها . . . من تقديسها والتمسك بها والخضوع التام لها . ولكن أى ضرر فى ذلك ؟ ولم لا نتمسك بها ونخضع لها ما دامت كما ذكرنا « الخلاصة النهائية لمجهود الأجداد » ؟ ولابد من وجود سبب رئيسى يؤدى إلى هذا الخضوع وذلك الاستمساك . إن هذا صحيح ولكن التقاليد تحتوى إلى جانب ذلك الخير على شر كثير ؛ ولكن كيف جاءها ذلك الشر ؟ إن تفسير ذلك من البساطة بمكان . لقد جبل الإنسان على المباهاة بعلمه ومداراة جهله ونظر فى الحياة فما استطاع معرفة أسبابه من غوامض شؤونها ومظاهرها، بادر إلى ذكره فى الحال ، وما لم يستطع عز عليه أن يكشف عمله جهله ، وتظاهر كعادته بالعلم والمعرفة وأخذ يخترع له من الأسباب والعلل ما يوهم الغير بأنه بكل شئ عليم . كان المرض

ظاهرة غامضة بالنسبة للانسان الأول . ولا تزال ظاهرة المرض غامضة لدى الكثير من المجتمعات البدائية . هم يجهلون أسبابه كما كان الإنسان الأول . ليعللوه إذن بمختلف العلل والأسباب بدلا من الاعتراف الصريح بالجهل التام . هو لعنة من الله ونقمة

فإذا كان المريض صالحا طيبا لا يستحق اللعنة كان المرض في هذه الحالة امتحانا واختبارا . وهكذا تسير التقاليد على هذا المنوال . وفي هذا يكمن الخطر . ذلك أن التقاليد — بتفسيرها الخاطئ لكل ما هو مجهول غامض — تقفل باب التفكير أمام المفكرين ، بل تحول بينهم وبين العمل لمعرفة العلل الحقيقية والأسباب المجهولة للظواهر الغامضة . إن حقيقة المرض بطبيعة الحال ليست في كونه نقمة أو نعمة؛ بل في تلك الجراثيم الحية التي اكتشف العلم الحديث بعض أحوالها ولا يزال يجاهد في سبيل اكتشاف ما خفي عليه من أمورها . ألم يكن هذا التفكير العلمي أول خطوات التقدم العملي في سبيل التخلص من شبح الكثير من الأمراض ؟

حقا إن التقاليد بقدسيتها وديكتاتوريتها وجمودها وادعائها سلاح قتال بل سم زعاف لو تناولته لتربيه لأوردها موارد الهلاك . قد تنفع التقاليد في مبدإ ظهورها ؛ ولكن مضي الزمن وتغير الظروف والأحوال سرعان ما يظهر عيوبها وخطرها . إن التقاليد دائما أبدا تأبى إلا أن تقف حجر عثرة في سبيل كل تفكير حر منتج مبتكر . التقاليد هي الحاجز المنيع أمام رقي المجتمع وتقدمه . هي العقبة الكؤود . هي السلاسل والأغلال .. هي القيود الحديدية ... كم من عقول حجبتها التقاليد فتحجرت ، وآمنت بالتقاليد فما فكرت . إن المجتمع الخامد الهادئ . . النائم ليل نهار ؛ الساكن سكون العدم والراقد رقود الموت ، هو المجتمع الذي يخضع خضوع العبد الذليل لتقاليده . حقا كلما ازدادت قوة التقاليد انحط الشعب وضعف ، وكلما ضعف سلطانها أو زال تقريبا ازداد تقدم الشعب ورقيه . إن نظرة واحدة إلى الصين تقابلها نظرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد هذه الحقيقة أعظم تأييد

لقد قيدت التقاليد التربية حين قيدت الحرية، حرية العقل الإنساني في التفكير الحر المستقل . . حين قدمت تفسيراتها الخاطئة الخيالية التي لا تتمشى مع العقل ثم طالبت الإنسان باعتناقها والإيمان بها والدفاع عنها — وأغفل العقل إذا اعترض والتفكير إذا قاوم — أليست تقاليد الآباء والأجداد ؟ !

حقا لقد لعبت التقاليد دورها التربوي الخطير خلال التاريخ ؛ فهي التي سيطرت داخل المدرسة عن طريق الطريقة المنطقية ؛ تلك الطريقة التي وطدت نفوذها وسلطانها حتى أصبح من المعتاد مثلا أن يطالب التلميذ بحفظ هذا وترك ذاك دون أن يعلم السر في ضرورة حفظ هذا أو ترك ذاك

لم يقبل العقل الإنساني الخضوع لديكتاتورية التقاليد ، فكان أن ثار وتذمر واندفع يحطم تلك المبادة . ألا يتجلى ذلك في مختلف الحركات الكبرى والثورات الفكرية التي قام بها كبار الفلاسفة والمفكرين خلال العصور ؟ ! نعم يتضح ذلك جليا في كثير من المواقف . في موقف أخناتون خلال التاريخ القديم ، وفي قيام الكثيرين من كبار المصلحين في الدين المسيحي وفي الإسلام . . في مارتن لوثر وفي جمال الدين. ولكن بالرغم من قيام الكثير من هذه الحركات لهدم أصنام التقاليد أنها غدت بدورها وقد حلت محل التقاليد . ويتجلى ذلك في التعاليم الدينية بوجه خاص ؛ ولا سيما حين قام المتأخرون من رجال الدين وأخذوا خلاصة التعاليم والحكم وقاموا بترتيبها وتنسيقها ؛ تاركين الظروف التي دعت إليها؛ أو بعبارة أصح قاموا يدرسون الدين ويعلمونه على الطريقة المنطقية تاركين الطريقة النفسية الطبيعية في تعليمه ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبحت تعاليم الدين مسيحية كانت أو إسلامية ، وقد اندمجت في التقاليد بل واختلطت بها اختلاطا تاما ولم يتورع رجال الدين عن التمسك بحرفيتها ، ووقفوا حراسا على قدسيتها . وعن طريق هذا السياج المقدس من التقاليد الدينية ، استطاعوا إقامة تلك الديكتاتورية الدينية التي كانت أشد وأقسى من ديكتاتورية

التقاليد الاجتماعية المادية . وقد امتازت العصور الوسطى بتلك الديكتاتورية الدينية المتحكمة . وبقدر شدة الضغط الذى عاناه المجتمع ذلك الحين ، بقدر ما تولد الانفجار قويا شديدا . ذلك الانفجار الذى يتمثل فى انطلاق التفكير الحر الذى اتجه أول ما اتجه إلى نسف تلك الأغلال والقيود . قام مارتن لوثر يحتج ، وانفصل أنصاره عن الكنيسة الكاثوليكية فتلاه اليسوعيون بحركة إصلاح ولذلك كانوا أقرب إلى رضاء المجتمع . حدث هذا فى المجتمع المسيحى بينما اشتدت ظاهرة التصوف فى المجتمع الإسلامى ، وكانت حركة التصوف كحركة مارتن لوثر ترمى إلى التحرر من سيطرة التقاليد الدينية بنبذها وعدم التقيد بها ، كذلك وجدت فى المجتمع الإسلامى وكان إصلاحية لم تلجأ إلى نبذ التقاليد الدينية دفعة واحدة بل إلى تنقيتها وتثبيت الصالح منها، وقد قامت هذه الحركات على يد كبار المصلحين من السنيين كابن تيمية وغيره الذين قاموا بدور شبيه إلى حد كبير بذلك الدور الذى قام به اليسوعيون . لقد كانت هذه الحركات فى كل من المجتمعين المسيحى والإسلامى ، ترمى إلى التحرر من سيطرة التقاليد العمياء ، لا عن طريق نبذها واحتقارها وإنكارها ، بل عن طريق فهمها وبث الروح فيها، أو بعبارة أصح عن طريق تعلمها وتعليمها بفهم الظروف أو الدواعى التى أدت إليها ، أى بالسير وفق الطريقة الطبيعية النفسية . وهكذا ظل المجتمع الإنسانى خاضعا لسلطان التقاليد ، يتخلص من احتلالها البغيض حينا ليقع فى أحابيلها ثانيا ، سواء باسم الدين أو باسم السياسة . ويوضح ذلك التخبط بجلاء تاريخ الجزء الأخير من العصور الوسطى حتى مطلع العصور الحديثة ، ذلك الجزء الذى يمثل بحق تأرجح المجتمع بين ديكتاتورية التقاليد وبين رد الفعل الذى يحدث عادة متى تحرر المجتمع من كل شئ ونبذ كل قيد . . . متى تذوق الحرية المطلقة

حقا إن النهضة الأوربية ثم جهود جاك روسو ثم جهود أعلام التربية فى العصر الحديث ما هى إلا بعض مراحل الكفاح ضد التقاليد ، ما هى إلا حركات ترمى إلى التخلص من قيودها وإحلال الحرية وتوطيد دعائمها محلها

ويتضح من ذلك العهد السريع أن رسالة المربى يجب أن تتجه إلى العمل بالطريقة النفسية ونبذ الطريقة المنطقية، أو بعبارة أصح فى القضاء على ديكتاتورية التقاليد وإقامة قوائم الحرية

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن معنى الحرية . . . تلك التى يجب على المربى أن يجمل من المحافظة عليها بعض أهداف رسالته الكبرى فى الحياة ؟ !

ذلك هو موضوع المقال القادم بإذن الله

كمال السيد درويش

ليسانسيه الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية

---

٣ - رحلة إلى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

شرح ترجمان الأشواق لمؤلفه المحيوى :

« وجاءنى المحب المفرد جناب السيد محمد ، وتذاكرنا معه فى (شرح ترجمان الأشواق) لمؤلفه المحيوى ، فقال المذكور إن الحظ فيه من قصيدتين : الأولى (بأبى الغصون المائسات عواطفا) والثانية (مرضى من مريضة الأجفان) ولا أظن أن أحدا يمكنه أن يحذو على نسقهما للطف مبانى وظرف معانى . فحرك جمادى بذكرى هذه المعانى

« وفى صبحية يوم الحادي والعشرين من جمادى الأولى ، فتح الأحد ، بقصيدة اقتفيت فيها أثر العارف الأوحد ، سيدى محيى الدين بن العربى المفرد ، التى ذكرتها فى ترجمان أشواقها الذى يتوقد ، ومطلعها :

بأبى الغصون المائسات عواطفا العاطفات على الخدود سوالفا

وهى قصيدة خارقة المعانى ، خارقة المبانى ، صحيحة الألفاظ ، مريضة الألحاظ ، تقتل العاشق وتحيى الناشق ، تخطف الألباب رشاقتها ، وتسكر الحجاب لطافتها ، معارضها به عارض ، ولو بلغ رقة ابن الفارض ، هذا والقصد التشرف بالاقتفا ، والتعرف باتباع أهل الوفا. وإنى لمعترف بالقصور ، عن ارتقاء هذه القصور ، مغترف من بحر البحور ، ودر فرائد النحور ، مقر أن قصيدته الثريا وقصيدتى الثرا ، متبرك بنفسه الذى فى عالم الأنوار سرى ، ومطلعها :

قال الشيخ لا فض فوه :

بأبى وأمى من جلين متالفا وجلين كأسا قد أعان التالفا

وفى عشية ليلة الثالثة والعشرين من جمادى الثانى ؛ جاد الحق على عبده الحانى ، بقصيدة اقتفيت بها أثر العالم الربانى ، سيدى محيى الدين محمد بن على العربى الدانى ، فى قصيدته التى أودعها ترجمانه الحاوى ، ومطلعها :

مرضى من مريضة الأجفان عللانى بذكرها عللانى

ومطلع قصيدتى التى لقصيدته لا تدانى ، هو :

ألقيانى يا صاحباى القيانى جب حب فى الكاعبات القيان
وأركانى فى خلوة حلوة النيل كنيل إذ فاض أو سيحان

وكتبت كتابا فى سادس الشهر المرقوم إلى صديقنا فخر التجار حسن آغا بن مير صدرته :

تحايا كالفرائد والعقود تفوق شذا على نشر الورود

« ونعلم المحب الحسن الودود لأهل الودود ، أنا اجتمعنا بالأخ المحمود السمات والولد المسعود ، لدى الوزير المشير المعمود ، وكان حدثنا جنابه عن بعض إشراف أشواف لكم يسود ، ويعود على من قام به بنفحات الجود ، وذكرنا لجناب الأخ الوفى الوعود ، إسماعيل أغا وولدكم عبد الله جلبى الموفقين للوقوف مع الحدود من جهة الورد المورود ، فوعد الولد والأخ الممدود ، فى عداد جناب المشهود لأهل الشهود ، وبإرسال نسخة منه لضياع نسختنا عن يد حسود لا يسود ، فالرجو المساعدة فى إرسالها دون إهمال ولكم الثواب فى اليوم المورود بحول المعبود . والسلام عليكم وعلى من لديكم ما لاح من الصباح عمود » ، وقد طلب ولده الحاج عبد الله الإجازة فى السند فكتبت له ذلك

نشر الشيخ للطريقة الخلوتية فى الآستانة :

« وكان ممن اصطحب معنا ونحن فى اسكدار ذات الشروق ، المحب الفالح الشيخ أحمد الملقب بذروق ، الجزائرى بن الشيخ عبد اللطيف منح رعاية الحقوق ، ثم نم به فرط الحب الزائد البروق ، حتى اتصل بالطريق المسلوك المطروق

وأخبرت أن ليلة أخذه حال البايعة التى مددها يحوق ، أخذ جماعة من الروحانيين أهل اللحوق ، وكان تقدم لجماعة منهم أخذ يفوق ، فى نابلس المحروسة وغيرها من الأماكن المقدسة التى للقرب تسوق ، وعدهم ينوف على الألوف ما بهم عقوق ، وفيهم من طائفة (الحنانينية) سرب مسوق ، وكبارهم أربعة سباق ما بهم مسبوق ، أحدهم أحمد الزطام ، وابن باها ، وعلى الدرارى ،

وقدابو ، وغيرهم تحت حكمهم مسبوق ، فلما سمع هذه القصيدة الأخ المذكور المأسورَ المطلوق، قال إنها ليست فى طوق البشر المخلوق ، وإنما هذه كرامة أكرمت بها لسريانها فى القلوب مسرى الدم فى العروق ، وكذلك المحب الصدوق ، السيد محمد العاشق المشوق، مدح وقال يدرك أنها من الفتح اللدنى كل من يشمّ الروائح وللمطاعم يذوق

سليمان باشا العظم يعتب على الشيخ البكرى فيعتذر الشيخ له :

« وفى يوم ثمانية وعشرين من جمادى المذكور ، ورد على كتاب من الصهر المشكور، ذكر فيه أن جناب الوزير الكبير الوقور، (سليمان باشا العظم والى دمشق والشام) عتب على الفقير من عدم كتابة سطور ، فى رق حب منشور، فكتبت لجنابه كتابا يفور، بحب كأسه يدور، وصورته :

ما زلت أستخدم النسائم تسعى لإغلاء أعلى الدعائم تكريمات لا تحملها أجمال الطروس ، وتسليمات لانماد لها أحمال عطر عروس، يمطر السكون رياها، ويشرق من لامع محياها، كنت أرسلت للصديق الأمجد الذكى ، جناب الحاج محمد جلبى بن مكى ، كتابا، ووكلته بإبلاغ سلام عام تام جمع لبابا، ثم ورد على من جناب الصهر المحترم ، العالم العامل الأفخم ، كتاب له وطاب، وأنبأ عن عتاب من الجناب، والحال أن الإحجام، مراعاة للمقام ، الخطير العطير الطير ، بغزير ماء المجد العمير ، ولما تحقق الفقير أن الجناب الكبير يقبل مكاتبة الحقير، بادرت لها مشمراً أى تشمير ، فالمرجو من الأخلاق الكريمة المسامحة فيما وقع من تقصير »

« وأرسلت للأخ الحسن الحاج حسن بن مقلد كتابا، فى هذا التاريخ جوابا عن كتاب فى الحب يشهد، كما كتبت للولد الصلبى ثمرة قلبى، كتابا جوابا عن كتاب نفى كربى»

« وممن محبنى محب مريش ، الأخ الحاج مصطفى بن الحاج خليل الشهير بابن كشيش، ومعناه بالعربية القسيس وكان يقول لولاه ، نسبنا إلى الخسيس ، البغدادى وطنا ومسكنا ، وكنت اجتمعت به فى الرحلة العراقية وبيده مقاطعة الدجيل ، وهى مواصلة لمن كان ذا قوة فى المال والخيل والحيل ، ولما رآنى وعرفنى لازمنى إلى أن اندرج فى سمط أهل الطريق ، يوم الوداع الذى أذاع كامن الحريق، والمذكور له فرط سخا، لأنه ابن رخا، واعتقاد وانقياد، فى أهل الله الأمجاد

« وممن صحبنى لديه ، لإقباله عليه ونظره إليه ، الشيخ صالح الحافظ وولده ، ولما توجه ولد المذكور، الشيخ عبدالقادر لدار السلام بمعونة الغفور ، كتبت كتابا بما تقدم من سطور ، للأخ الأمجد، السيد أحمد القادرى المفرد

الشيخ يستخير الله فى السفر :

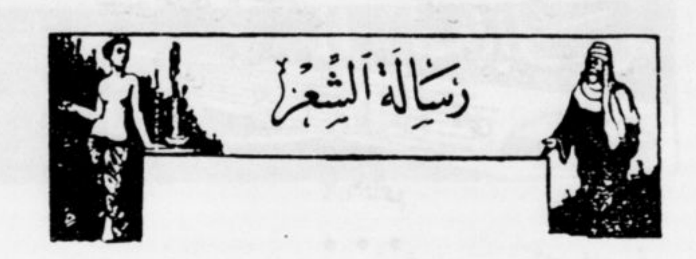
« وكان الخاطر تحرك إلى السير فى الركب المصرى فاستخرت الله فى السير لتلك الممالك فوقعت الإشارة فى قرب الإذن بهذه الزيارة ثم رأيت أول شهر رجب أن رجلا تسمى بهذا الاسم المرجب، اعتنقته ونمت معه على فراش، والقلب من السرور فى خفة الفراش ، فأخبرنى المحب الأمجد، السيد محمد الأوحد، أنه رأى فيما يراه النائم أن الحقير ، قد حوط بيديه على عمود من نور كبير، فأخبرته بما رأيت وقلت له أظن أن هذا المحاط، حقيقة شهر رجب الرفيع الاغتباط ، فقال نعم رأيتك حوطت عليه الإبمقدار أربعة أصابع صغار ، فقلت إن كثيرا من حقائق الأشهر المباركة، يقع لى معهم هذه الوصلة والمشاركة ، وقال لى، أبشرك أنك الآن مطلق، فأين ما أردت توجه فإنك موفق

السيد محمد خليل البكرى يعارضه فى سفر الشيخ فى الشتاء :

« وفى ليلة الخميس، الثانى من رجب الأنيس، توجهت إلى دار ابن العم، محمد خليل افندى الأكرم، وبت لديه، وعرضت أمر السفر عليه ، فلم يطب له التوجه فى الشتا ، ولكن لا يرد الأمر إذا الله أتى

للكلام بقية

سامح الخالدى



مع لاجئة فى العيد

للآنسة الفاضلة فدوى طوقان

(مهداة إلى الأستاذ المعداوى)

أختاه ، هذا العيد رف سناه فى روح الوجود
وأشاع فى قلب الحياة بشاشة الفجر السعيد

وأراك ما بين الخيام قبعت تمثالا شقيا
متهالكا ، يطوى وراء همودة ألما عتيا

يرنو إلى اللاشىء . منسرحا مع الأفق البعيد

* * *

أختاه ، مالك إن نظرت إلى جموع العابرين
ولمحت أسراب الصبايا من بنات المترفين . .

من كل راقصة الخطى كادت بنشوتها تطير
العيد يضحك فى محياها ، ويلتمع السرور

أطرقت واجمة كأنك صورة الألم الدفين

* * *

أختاه ، أى الذكريات طغت عليك بفيضها
وتدفقت صوراً تثيرك فى تلاحق نبضها

حتى طفا منها سحاب مظلم فى مقلتيك
يهمى دموعا أومضت وترجرجت فى وجنتيك

يا للدموع البيض ! ماذا خلف رعشة ومضها ؟

* * *

أترى ذكرت مباهج الأعياد فى (يافا) الجميله !
أهفت بقلبك ذكريات العيد أيام الطفوله !

إذ أنت كالحسون تنطلقين فى زهو غرير
والعقدة الحمراء قد رفت على الرأس الصغير

والشعر منسدل على الكتفين محلول الجديله !

إذ أنت تنطلقين بين ملاعب البلد الحبيب
تترا كضين مع اللدات بموكب فرح طروب

طوراً إلى أرجوحة نصبت هناك ، على الرمال
طوراً إلى ظل المغارس ، فى كنوز البرتقال . .

والعيد يملأ جوكن بروحه المرح اللعوب

* * *

واليوم ؟ ماذا اليوم غير الذكريات ونارها
واليوم ، ماذا غير قصة بؤسكن وعارها

لا الدار دار ، لا ولا كالأمس ! هذا العيد عيد
هل يعرف الأعياد أو أفراحها روح طريد

عان تقلبه الحياة على جحيم قفارها

* * *

أختاه ، هذا العيد عيد المترفين الهانئين
عيد الألى بقصورهم وبروحهم متنعمين !

عيد الألى ، لا العار حركهم ، ولا ذل المصير
فكأنهم جثث هناك .. بلا حياة أو شعور

أختاه لا تبكى ، فهذا العيد عيد الميتين ! !

فدوى طوقان

صوفية

« نشـــوي ! »

للأستاذ محمود رمزي نظيم

نشـوتي حين أراك لا تقـــدر ياحبيبي
سكر روحي في هواك ليس بالشيء العجيب
أنت يا مســـعد قلبي
يا حبيبي

* * *

أنت يا شغلة فكري أنت يا روح وجودي
أنت يا مالك أمري بين سري وشهودي
أنت يا حبــــة قلبي
يا حبيبي

لحظة منك حياتي ودوائي وشـــفائي
أصبحت ذاتك ذاتي وانتفى وهم شـقائي
واســـتراح اليوم قلبي
يا حبيبي

* * *

برهة للصـفو حانت ورأت عيناي حبي
رؤية المحبوب كانت رحمة من عند ربي
هـكذا يشـــعر قلبي
يا حبيبي

* * *

غاب من أقصاك عني فليمت لا عاد حيـا
أنا لا أطلب من دنيـــاي إلا أنت شـيا
تلك أنشـــودة قلبي
يا حبيبي

* * *

لست أدري يا حبيبي قبل هذا أين كنا !
كل ظني أننا في غـــير دنيانا التقينـا
ربمـــا يذكر قلبي
يا حبيبي

* * *

إن في الروح صفاء عكر الجسم صــفاه
إن في الناس وفاء طمع الناس طواه
عالم يوجـــع قلبي
يا حبيبي

* * *

نحن لولا طمع الدنيـا لـكنا سـعداء ..
إنما الأجسـام للأرواح سجن وبلاء
جسـدي مزق قلبي
يا حبيبي

* * *

ها أنا من شرفة الرو ح أرى مصرع جسمي
ها أنا يمحى مع الأشباح في العالم رسمي
لم يعـد يخفق قلبي
يا حبيبي

محمود رمزي نظيم



في عالم النقد

السلسلة والغفران

مسرحية جديدة للأستاذ علي أحمد با كثير

في عنق النقد للأستاذ علي أحمد با كثير دين كبير ، فقد أنفق الأستاذ شبابه وهو لا يفتأ يضيف إلى المكتبة العربية ثروة هي أشد ما تكون افتقاراً إليها بقصصه ومسرحياته التي يخرجها تباعاً والنقد لا يكاد يتابعها ! ولقد قاربت مؤلفاته — فيما أعلم — العشرين ، وما أحسب النقد أولاها عشرين كلمة منه !

إن النقد مقصر جدا في ذات الأستاذ علي أحمد با كثير ، وفي ذات الفن الذي ينهض به صابراً جلدا محتملا أشد صنوف التضحية والجهد والحرمان ، وإني لمحاول أن أسد قليلا من هذه الثغرة السحيقة ، بتناول مسرحيته الجديدة التي ظفرت بجائزة وزارة المعارف — وإن كان ذلك ليس مما يسمو بها — والتي سماها « السلسلة والغفران »

وإذا أردنا أن نلخص هذه المسرحية في كلمات فإنه يمكن أن نقول : —

إن « عبد التواب بن صالح القدادي » اعتدى على « غيداء » زوجة صديقه الحميم « قاسم المغربي » في أثناء غيابه عنها ، فلما حملت منه وأراد إخراج ثمرة الإثم من أحشائها ، ماتت عند إجهاضها ، وعاش « عبد التواب » خيانته بعد ذلك نادما ، وصار كاسفا حزينا ، وركبه هم مقيم مقعد لما أتى من منكر شديد

وسارت الأيام ، وتزوج « عبد التواب » من الفتاة الصغيرة « كوثر » ابنة « إسماعيل المرزوق » ، ثم حدث أن اضطر إلى الغياب عنها في تجارة له بالشام مع صديقه وشريكه « قاسم المغربي » وتركها في بيته وليس بها أثر من حمل ، ثم عاد فلم يجدها في بيته وإنما وجدها في بيت أبيها مريضة ملازمة فراشها ، ثم عرف أنها ليست مريضة وإنما هي حبلى ! . وعرف أن الذي أحبلها إنما هو « مستور » شقيق « غيداء » ضحيته من قبل !

ولكن « عبد التواب » يتستر على زوجته « كوثر » ويعود بها إلى منزله ، ثم تضع « كوثر » حملها ، وتأتي بغلام سموه « أسامة » يصطنعه « عبد التواب » على عينه ، وينشئه في ظله وبيته ، ويتخذه قرة عين له !

وتسير الأيام ويتزوج هذا المعتدي الجديد « مستور » من « فوز » شقيقة « قاسم المغربي » وتضطره الحياة هو الآخر إلى الغياب عنها حيث يستدعى إلى ميدان القتال في حلب ، فيمضي إليه مخلفا عروسه الشابة ولما يمض على زواجهما غير أسبوعين ثم يعود هو الآخر كذلك فيجدها حبلى ! فما هو إلا أن يمسك بالسكين ويهوى بها على عنقها فيذبحها ذبح الشاة !

تقع هذه الحوادث تباعا يلاحق بعضها بعضا ، وفي صور متماثلة ، وعبد التواب هناك غارق في ندمه واستغفاره وضراعته إلى الله أن يعفو عما جنى ، حتى كلت قواه ، وضعفت منته ، وأحس قرب نهايته ، فدعا إليه بأم « غيداء » واعترف لها بجريمته ، ثم دعا إليه كذلك بزوجها « قاسم المغربي » واعترف له كما اعترف لها ، وطلب منهما العفو والمغفرة ، وألح عليهما في ذلك كثيرا حتى غفرا له وسامحاه ، فغفر الله له وسامحه ، وانقطعت السلسلة التي كانت متصلة الحلقات بقدرة أحكم الحاكمين ، ولولا ذلك لظلت السلسلة متصلة تتناول واحدا من الناس بعد واحد إلى نهاية لا يعلمها إلا علام الغيوب !

... هذا ملخص المسرحية ولبابها ، وهو — كما ترى — بسيط سهل قريب المأخذ ، يوشك أن يكون حكاية كتلك الحكايات التي نسمعها في بيوتنا من الآباء والأجداد . والعقدة في هذه المسرحية ذات غور ضحل تكاد أن تلمسه بيدك ، أو قل إنه لا عقدة فيها على الإطلاق ... ولكن الأستاذ علي أحمد با كثير — وهو المؤلف المقتدر والمسرحي البارع —

استطاع أن ينفخ الحياة فى هذه الحوادث البسيطة ، وأن ينفث فيها الحرارة ؛ لحواره ولا شك قوى نابض ، وأشخاصه أحياء يتكلمون ، وليسوا كلاما يجرى على أفواه أشخاص هم أقرب إلى التماثيل المنصوبة كما يفعل الكثير من مؤلفينا الأفاضل ،وبهذا استطاع الأستاذ أن يجعل من الحبة — كما يقولون قبة !

وقد بنى الأستاذ مسرحيته على نظرية « كما تدين تدان » ونص على ذلك صراحة ، فجعل الجانى فى كل مرة مجنيا عليه فى المرة التالية ، وهكذا حتى انكسرت السلسلة بفضل استغفار « عبد التواب » !

ووجه الرأى عندى أن نظرية « كما تدين تدان » ليست من واقع الحياة فى شئ ، فليس كل معتد اليوم معتدى عليه غدا ، فقد يسلم المعتدى من كل سوء ، وقد يقضى حياته فى جرائم متصلة دون أن يناله أذى أو قصاص ! ولكنها نوع من المثالية التى يبغى الأستاذ المؤلف أن تكون قوام الحياة وهيهات أن تكون !

على أن الناس لو آمنوا بنظرية « كما تدين تدان » وأشربتها نفوسهم حقا وصدقا ، لكان قعودهم عن إتيان الجرائم إنما هو عن يقين منهم بأنها ستحيق بهم وستدور عليهم ، لا عن إيمان بأن الجريمة فى ذاتها شر يجب على الإنسان ذى الخلق القويم أن ينأى عنه بجانبه ، ويكف عن ارتكابه ، سواء أدى إلى الإضرار بصاحبه أو انتهى إلى إسعاده ، فإن السعادة الناجمة عن ارتكاب الجريمة — فى نظر ذى الخلق القويم — إنما هى سعادة وحشية ينبغى الترفع عنها واحتقارها . والأستاذ المؤلف يعلم أن الكثير من الجرائم يؤدى إلى سعادة مرتكبيها ، وهو يعلم أيضا أن مصائب قوم عند قوم فوائد ! .

... هذا شئ : وهناك شئ آخر كنت أود أن أقف به طويلا مع الأستاذ على أحمد باكثير ومع المؤلفين عامة ، ولكن هذه الكلمة لا تتسع له ولا تفى به ، وسأتناوله فيما أكتب من فصول فى النقد ، ولكنى أشير إليه هنا إشارة عاجلة . .

ذلك أن المؤلف الذى يخلق فى مسرحية من مسرحياته مثلا ، شخصية رجل مجرم ، يرتكب فى المسرحية جريمة تضطرب لها النفوس وتغضب وتثور ، ثم ينزل المؤلف بهذا المجرم ما يستحق من قصاص فى نفس المسرحية فإنه بذلك لا يكون قد فعل شيئا ! ! إن المؤلف الذى يفعل ذلك يكون قد قام بدور المؤلف والقارئ معا ، ولعله يجهل أن للقارئ دورا هاما فى مؤلفه ! ! أى أثر يستبقيه المؤلف الذى يفعل ذلك فى نفس القارئ وقد أرضاه بهذا القصاص الذى أنزله بالمجرم فهدأ به ثورته ومحا به غضبه ؟ وجعله يخرج من مشاهدة المسرحية أو من قراءتها سعيدا مسرورا مستريح البال ناسيا كل ما كان ؟

يجب أن يفهم المؤلف أن القارئ ليس طرفا فى الموضوع فحسب ، بل إنه الطرف الأهم الأعم ، إن القارئ هو « الحياة » ومن واجب الكاتب أن يجعل الحياة — أى القراء — تحارب الجريمة وتضطهدها وتماقتها وتمحقها رويدا رويدا ، وبهذا وحده تتطهر الحياة من الشرور والآثام ، وبهذا وحده تتطور الحياة وتتقدم ، أما أن يجمع الكاتب بين وظيفة الكاتب والقارئ معا ، فلا يترك القارئ إلا بعد أن يجرده من كل عاطفة ومن كل انفعال ، فلا سخط ولا إعجاب ولا ثورة ولا غضب ولا شئ من أمثال هذه العواطف ، . . . فإن هذا الكاتب لم يزد على أنه كان يزجى فراغ القارئ كما يلعب معه « الطاولة » أو « الكوتشينة » ! .

... لا أريد من الكاتب أن يشفى القارئ مما تتركه القراءة بنفسه من غيظ وثورة وموجدة على الجناة والآثمين ، فلا يحل القضايا التى يعرض لها حلا تهدأ له نفس القارئ وتنسى ما قرأت أو ما شاهدت ، بل أريده على أن يحفر فى نفسه أثرا عميقا ، وأن يهيج فيه جرحا لا يندمل إلا أن تتطهر الحياة وتسلم من الأدران والموبقات ...

فلو أن الأستاذ على أحمد باكثير — مثلا — جعل « عبد التواب » معتديا على عرض « غيداء » أوجعل « مستور » معتديا على عرض « كوثر » ثم لم يجعل من كل منهما معتدى عليه بعد ذلك ، بل أبرز أثر اعتدائه على المجتمع وعلى أشخاص المعتدى عليهم — وهم كثيرون غير غيداء وكوثر كالأزواج والآباء والأمهات — والتمس الوسائل الكثيرة لتهييج الناس عليهم ، وإثارة حفيظتهم نحوهم ، ومطاردتهم أينما وجدوا ، ثم تركهم على هذا النحو ؛ لكان أدعى إلى أن تمتلئ قلوب الناس

حقدا وكراهية لكل ممتد على الأعراض، وتظل ذا كرتهم تختزن ما فعل «عبد التواب» و«مستور»، أما أن يحاول المؤلف أن يؤكد للقارئ أن المقادير ستفعل بالجاني مثل ما فعل، وستتولى هي أن تجمل المعتدى معتدى عليه لا مناص له من ذلك ولا منجاة، فقد أراح القارئ وسره وأفرحه، وأخلاه من كل مسئولية عن مفاسد هذه الحياة!!

وأريد — بعد هذا — أن أقف مع الصديق المؤلف وقفات قصيرة أناقش معه فيها بعض الأمور: —

١ — فكيف استطاع «عبد التواب» — وهو إنسان من لحم ودم وبه غرائز الناس لا سمو الملائكة الأبرار — أقول: كيف استطاع «عبد التواب» هذا أن يسمو هذا السمو كله؟ ويتجرد هذا التجرد كله من غرائز البشر؟ فيتستر — أولا — على زوجته التي حملت من غيره، ويأخذها في رفق وهوادة، أو على الأصح في جمود وبلادة، إلى منزله لتضع فيها حملها. ثم — ثانيا — يتخذ من وليدها ابناً له، ويقيمه معه في منزله، وما إن يدخل المنزل كل مرة حتى يحمله بين ذراعيه، ويقبله من وجنتيه، ويقول له «أنت خير من هؤلاء جميعهم» أى من أهل البيت جميعا وفيهم ابنته من صلبه!! مما جعل «أم مستور» لا تملك تفسيرا لهذا إلا بقولها «لعل أهلها سحروه.. لعلهم عملوا له سحرا فارتضى هذه الدياثة وسكت عليها»!!. ثم — ثالثا — يجعل من هذا الولد وريثا شرعيا له مستجيبا في ذلك لتلك الفتوى الفجة المبتسرة التي أفتاه بها القاضي «بكار»؟!.

قد يفسر الأستاذ المؤلف موقف «عبد التواب» هذا بأنه يكفر عن سيئته التي ارتكب، وبأنه يشعر في قرارة نفسه بأنه سبب هذه الجنايات جميعها التي تمخضت عنها جنايته الأولى، وأنا لا أنكر على الأستاذ المؤلف أن لهذا بعض الأثر في موقف «عبد التواب» ولكني أنكر أن يكون الأثر نشازاً بعيداً كهذا عن الطبيعة الإنسانية التي من أشد غرائزها وأقواها الغيرة على العرض، والحقد على ثمرة زلة المرأة والنفور الشديد منه، وإذا كان الإنسان — الإنسان أيا كان — يضيق بولد المرأة من زوجها السابق وهو حلال، فكيف به مع ولدها من فجورها وهو حرام؟

الحق أن الأستاذ على أحمد با كثير قد وضع «عبد التواب» في موضع لا يتفق لإنسان كائنا من كان هذا الإنسان أن يقفه، وجعله في درجة لا تكون إلا للملائكة الأبرار، ومسرحية الأستاذ المؤلف لا تعالج أمور الملائكة وإنما تعالج أمور البشر من أمثالنا الذين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق!

٢ — ومن الظواهر التي يلمسها القارئ في الرواية ظاهرة أحب أن يتجنبها الأستاذ الصديق ما وسعه جهده، وهي ظاهرة «الترشيح».. فهو يرشح لكل حادثة من الحوادث المقبلة بما ينبئ عنها ويكشف عن سيرها قبل أن تقع! فالقارئ يحس منذ الفصل الأول بأن السلسلة قد ابتدأت! ويشعر بأنها ستدور على واحد إثر واحد! فأم مستور في الفصل الأول تدعو الله فتقول «اللهم يا شديد الانتقام انتقم لي منهم فرداً فرداً، اللهم لا تمت أحدهم حتى تنكبه في زوجته بمثل ما نكب ابنتي غيداء!» وتقول بعد ذلك لعبد التواب «... انتظر! الله هو الذي سينتقم منك وسيكون انتقامه عظيما» وهذا في الحقيقة تصريح لا ترشيح! ومثله أن تقول أم مستور عن ولدها «مستور» — وهي تعلم أنه المعتدى على عفاف «كوثر» — «إنه سيفترق عن عروسه ولم يمض على زواجهما غير أسبوعين! كأن الله أراد أن ينتقم لكوثر منه!» فمن أين لها العلم بما ستجرى به الأقدار فيما بعد؟ ولست أحصى هذه الظاهرة عدا في هذه المسرحية فهي كثيرة منتشرة في أرجائها، وإنك لتجدها في الأمور الصغيرة والحوادث البسيطة، وفي رأيي أنه يجب على المؤلف المسرحي أن ينأى عن الترشيح تماما فلا يكون بمسرحيته أثر منه فإنه يضعف وقع الحوادث في نفس القارئ أو المشاهد، ويقلل من أثرها عنده، ويجعلها كالمادة المكررة، ويخليها من الجدة التي تخلب لب المشاهد أو القارئ وتجذب انتباهه

٣ — وفي المسرحية بعض أخطاء لغوية قد لا يؤاخذ عليها المؤلفون المسرحيون، ولكن من كان مثل الأستاذ با كثير حفيا بلغته، قادرا على سلامتها، فإنه يكون منا موضع المؤاخذة! ولست كذلك محصيها عدا ولكني مشير إلى بعضها، فلا يقول — مثلا — (ص ٦١) «لشد ما كانتا تتلهفان على أنبائك وتترقبان يوم قدومك» واستعمال الفعل «تلهف» بهذا المعنى



البـــداية والنهاية

قصة للأستاذ نجيب محفوظ

للأستاذ ثروت أباظه

هى الوثبة الأخيرة التى وصل إليها قلم القصاص الكبير الأستاذ نجيب محفوظ صورة صادقة حية جياشة بالحياة عن الفترة التى تمر بها مصر اليوم.. أخذ نجيب فيها أشخاصه من الطبقة المتوسطة فهى عائلة كان عائلها موظفا يعيش بالنسبة إلى الحى الذى يقطن به عيشة رضية لا يقلقها المال كل القلق

وتقوم الرواية بعد موت هذا العائل فأسرته بعده فى حيرة كبيرة لا يدرون كيف يواجهون الحياة ولا مال لديهم ولا سند لهم وأفرادهم كثر والحال ضنك . كبير العائلة «حسن» شاب لم ينل من التعليم إلا حظ المقل الذى لا يغنى ، وأخواه الصغيران طالبان مازالا فى تعليمهما الثانوى، وأختهما بنية ليس لها فى الدنيا عن قبحهـا إلا قول أبيهـا — رحمـه الله — إنها خفيفة الظل . . ولا يبقى بعد ذلك إلا الأم وهى كل شئ ... سيدة حازمة قوية أدركت الموقف وواجهته فلم تنظر إلى ابنهـا الأكبر إلا نظرة الإشفاق عليه والخزى من نفسها أنها لم تستطع أن تقوم على تربيته قياما صالحا ، ولكنها لا تفوت هذه النظرة المشفقة الآسفة دون أن تفيد منها عبرة صالحة تنفعها وهى تخطو بولديها الآخرين إلى طريق الحيـاة ، وهكذا نجد الأم لا تترك شيئا دون أن تفيد منه . فابنتها تجيد الحياكة وكانت تقوم بها ترويحا عن النفس فلتقم بها حرفة تكسب منها المال ، وولداها يأنفان أن يملآ بطونهما من طعام الغداء فى المدرسة فهى تحتم عليهما أن يكتفظا من طعام المدرسة فالعشاء قد ألغى من البيت . وهكذا أخذت تدبر الأمور فى تصميم قاطع واثقة أن جلدها لن يتخلى عنها

وسار الأولاد كل فى طريقه الملتوى أو السوى . . فحسن لا يريد أن يحصل على عمل إلا إذا كان موافقا لمزاجه .. ومزاجه أرعن عربيد فهو يطوف بالأعمال الهزيلة الواحد بعد الآخر ، وتتطوف به البطالة الطويلة فيلذها حتى ينتهى به المطاف إلى حامى مقهى « بدرب طياب » فى أقذر مباءات القاهرة، ولايكتفى بهذا الكسب بل هو يعمل فى تجارة مخدرات ضيقة الحدود

وأكبر الولدين يحصل على التوجيهية فتجتمع العائلة لتنظر فى أمره ولكنه كان شبيها بأمه وقتيا فى نظرته فهو يخبرهم أنه انتوى التوظف ليوفر لهم بعض العيش

خطأ مشهور وصواب استعماله للحزن والتحسر ، تقول « لهف على الشئ وتلهف عليه » أى حزن وتحسر . وهو يقول (ص ٩٠) على لسان « آسية » حيث تقبل على صياح « أسامة » فتسأله « مالك تبكى يا حبيبى ؟ هل أحد ضربك ؟ » والأولى أن تقول « هل ضربك أحد ؟ » فإن الاستفهام هنا عن سبب البكاء أى عن الفعل . ويقول (ص ٩٦) على « آسية » مخاطبة « كوثر » عندما استنكرت مجئ « ميمونة » فى وقت الطعام « . . هل نسيت أن أهلك لا يؤخرون الغداء مثلنا إلى قرب العصر » واستعمال كلمة « الغداء » فى معنى طعام الظهر خطأ مشهور كذلك فإن « الغداء » طعام الغدوة التى تكون فى الصباح ، وعلى هذا المعنى جرى قول الله عز وجل « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ، وهناك بعض الهنات الهينات الأخرى نتجاوز عنها لأننا لم نبغ الحصر وإنما ابتغينا المثال !

وبعد : فلا يذهبن أحد إلى أن هـذه المآخذ اليسيرة التى أخذناها على صديقنا تغض منه ، أو تنال من مكانته ، أو تزحزحه عن مركزه فى الصف الأول بين مؤلفينا

فلا والله ما هو عندنا إلا فى الصابرين المجاهدين من المؤلفين ، وما هو فى رأينا إلا من أولى العزم الذين نرقب منهم الخير الكثير

وما كلامنا هـذا إلا تحية لجهوده الكثيرة المشكورة ، وتنويه بأثر من آثاره الضخمة التى ما نحسبها تحتاج إلى تنويه

على متولى صلاح

وأما الولد الآخر وكان يصغره بعام فقد أحب جارته . وقد أخرجها الأستاذ نجيب صورة رائعة لفتاة عفيفة من الطبقة المتوسطة، متمسكة كل التمسك بما تسمعه أمها لها من حكم ومواعظ وأمثال، حتى أن حبيبها لم يستطع أن يصل معها إلا على وعد بالزواج .. ولكنه كان يخشى أمه فهو يخاطب أباها وهو صديق المرحوم أبيه الصدوق . يخاطبه لا ليخطب إليه ابنته ولكن ليرجوه هو أن يخطبه من أمه .. وتتم الخطوبة وأنف الأم راغم فهي لا تريد أن تخسر صديق المرحوم الذي لا زال منذ مات العائل يواصل الأولاد ويرعى مصالحهم ...

يخطب الأصغر الفتاة ويسير في تعليمه قدما حتى يدخل الكلية الحربية

وأما الأخت خفيفة الظل فهي ما تزال تخيط الملابس حتى يأتي يوم يغازلها فيه ابن البقال ويعدها بالزواج ثم ينجز الوعد فعلا قبل أن يسمح بذلك المأذون ـ ويتركها ليتزوج من أخرى ادعى أن أباه أرغمه على الزواج بها فتثور في وجهه، ولكن ماذا يفيد .. وتذهب إلى العروس لتخيط لها ملابس الفرح ولكن الغيظ يمنع عنها هذا الرزق فهي تثور بالعروس أيضا وترى خطيبها أمامها بكل ما تكره خطيبة أن تسمع عن خطيبها ولكنها أبدا لا تبوح بما كان .. وتمر فترة وهي هادئة أن أحدا لم يكتشف ما أصبح ينقصها فهو لا يكتشف إلا بالزواج وقد يئست منه .. يئست من زيجة مشروعة واحدة فعدلت عنها إلى زيجات متعددة غير مشروعة لا يمنعها فيها إلا أن يكون زوجها رجلا فحسب .. ويمنيها أيضا ألا يعلم عن هذه الزيجات إلا أطرافها الآخرون دون غيرهم .. ولا بأس بها إن هي قبلت بعض المال ما دامت ستقوم بالأمر وما دامت أصبحت وهي لا تستطيع عن هذا بعدا

والولد الأكبر تاجر مخدرات فهو يستطيع أن يبر عائلته من حين إلى حين ولا يهم الأم أن تعلم من ابنها شيئا عن عمله أو هي في الحق تخشى أن تعلم عن عمله شيئا . والأستاذ نجيب كما سبق أن قلت يحب أن يرسم شخصياته كما خلقهم الله.. فالشرير مهما بلغ به الشر فيه للخير نصيب مهما قل . وهكذا كان حسن شريرا ولكنه كان بارا بأهله حتى أنه ليعطي أكبر الصغيرين من المال ما يستطيع به أن يسافر إلى مقر عمله وينفق حتى يصرف له مرتبه ، وهو يمد أخاه الأصغر بالقسط الأول من نفقات الكلية الحربية . وحين يصبح أخوه ضابطا يأتي إليه ليسأله أن يسير في طريق أكثر استقامة ويبتعد عن الشر الذي يرزح تحته .. ولكنه يفهمه أن هذا الشر هو الذي صيره ضابطا، وأن ما يعتقده الضابط شرا يعتقده هو خيرا ، ولا فرق بين الاعتقادين وإنما الفارق بين البيئتين ، فهو حيث هو محترم موقر ، وهو لن يذهب إلى أخيه ولن يحتاجه ، وهكذا ينصرف الضابط بعد أن يئس من إصلاح أخيه

وصاحب التوجيهية موظف بطنطا يهم بأن يتزوج من ابنة رئيسه ولكن الأم تدركه فيعدل دون أن تواجهه بالكلمة الصريحة.. فقد كان يحسبه أن تشير لكي يفهم وينفذ

والضابط بعد أن يتخرج ينظر هو إليه فيروعه ما يحيط به من وسط وبيئة ويحقد في نفسه وتثور النار.. فهو ساخط على أخيه ساخط على ماضيه ساخط على حاضره ساخط حتى على عروسه بعد أن تبين له أنه لم يكن يحبها هي ، وإنما كان يحب أن يقبلها وقد اغتصب منها القبلة فهو لا يريدها ، وهو طامح إلى التغيير فهو ينتقل إلى مصر الجديدة ، وهو يتخلص من خطيبته بعد خطبة دامت ثلاث سنوات ، وهو يتقدم إلى ابنة موظف كبير كان يعطف على أبيه وعليهم من بعده ، ولكن طلبه يرفض فيزداد سخطه

وكم كان نجيب رائعا حين لمس ذلك الحب الذي يكنه أكبر الصغيرين لخطيبة أخيه . حب يترقرق دون أن يتبلور . . يهم بأن يصل من القلب إلى العقل ، ولكن عقل الفتى قوي جبار يحبس هذه الهمسة ويكتمها حتى يفسخ أخوه الخطبة فيتقدم هو لخطبة الفتاة ، وهو أمام عائلته يصلح خطأ أخيه ، وهو يحاول أن يقنع نفسه بذلك أيضا ولكن الهمسة قد أصبحت صرخة وليكن ما يكون

أما الأخت فإنها تظل تنتقل من رجل إلى رجل حتى يضبطها بوليس الآداب وتحتمي بأخيها الضابط فتكون الطامة . لقد كان ثائرا على ماضيها أن كانت تعمل خياطة ، ولقد أضاع ماضيها هذا ابنة الموظف الكبير من يده . أفلا يكفيها هذا الأمد أيضا أن تكون هكذا . . يحاول أن ينتقم ، ولكن أخته كانت

مطمئنة لمصيرها هادئة إلى نهايتها.. إنها لم تسكانه أن ينتقم..إنها ستنتحر .. إنها انتحرت

وكأنما أراد نجيب أن يقول لهذا الضابط المتعجرف وأن يقول لأمثاله الذين أكثرت من وجودهم الأجواء العاصفة بنا فى هذه الأيام أراد أن يقول « إن كنت لا تصدق أن هناك شرا من ماضيك وحاضرك فانظر . . هذا بعض ما خفى عنك فبعض الإيمان أيها البادئ الصغير »

هذه هى القصة فى جملتها محبوكة الأطراف ذات شخصيات رائعة الرسم بريشة فنانة جريئة هي ريشة نجيب . وليس فى القصة من ناحية قوة الشخصيات وروعة الحوار وصدقه .. ليس فى كل هذا جديد بالنسبة لما عودنا نجيب

فالحوار الذى يدور بين حسن ورفيقته، وبين الفتاة وأزواجها الذين عرضهم علينا نجيب، والحوار بين حسن وصديقه الغنى وفى غير هذا من المواقف . حوار من صميم الحياة بحيث أتساءل كيف تسنى لنجيب أن يبلغ هذا الصدق . . أتساءل وأحب أن يجيب الأستاذ نجيب من هذا التساؤل

ليس فى القصة من هذه النواحى جديد لأن نجيبا فى قصصه السابقة كان قد بلغ القمة التى لا يمكن أن يبلغ إلى أكثر منها .. ولكن الرائع الجديد أن نجيبا قد تعمق إلى النفس ومزق عنها الأستار فى جرأة لم يسبق نفسه إليها، فهذه الخواطر المتناثرة الثائرة بنفوس شخصياته شىء جديد فى القصة المصرية . وهذا الكره الثائر بنفس العانس لكل عروس وغير هذا من التحليل العميق، كل ذلك جديد

نجيب.. لقد كتبت عن قصصك السابقة معجبا بها، وأكتب عن قصتك هذه معجبا بها ، ولن أغلف هذا المدح أو أدور به بل سـأظل أقوله صريحا قويا لا أخففه بمحاولة انتقاد.. وإنى لأكبر أمام نفسى حين أعجب بهذه القصص وقد قلت يوما إنك ستصبح فى القمة الشاهقة التى يعتليها كبار كتاب القصة المصرية.. واليوم أقول إنك قد اعتليتها.. أقولها مرتاحا لما أقول.. مهنئك بما ارتقيت، مهنئا القصة المصرية بل . راجيا أن يديم الله عليك التوفيق ويديم على قصصك إشراقة الإيمان

ثروت أباظة

بين المسموع والمقروء

للدكتور أحمد زكى بك

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

هذا الكتاب القيم مرآة تعكس كثيرا من الظواهر الاجتماعية والخلقية والنفسية لبيئتنا الراهنة . وما يتراءى فى مجالنا الاجتماعى والنفسى بقلم الأديب ذى السليقة الفنية ، ومنطق العالم صاحب النزعة العلمية ؛ نشعر بالروح العلمية فى ذلك الحرص على استخلاص النتائج الاجتماعية والخلقية والنفسية التى تتضمنها الصور . فالفن الذى تضفيه الذاتية الوجدانية لا يستأثر بالجمال بل تساهم فيه روح الموضوعية العلمية فى استخلاص الأهداف والكشف عن الدلالات الفلسفية والعلمية . تستطيع أن تستجلى هذه الألوان فى كل ما عالجه هذا الكتاب من جوانب، ففى عرضه لظاهرة كظاهرة الانتحار فى موضوع — ليته درى — يكشف لك عن المشاكل الاجتماعية والنفسية التى يعرض لها المنتحر أسرته، والعقد النفسية التى تهد كيانهم الروحى ، وتحطم وجودهم الاجتماعى . فأى مرارة صبها ذلك الرجل المنتحر فى كأس حياة زوجته وأولاده ؛ ليته درى ؟ أنه ورث أولاده فيما ورث الكفر بالحياة والريبة فى أمر أنفسهم . وجنى على زوجته فضاعف أساها وسلبها حتى برد عزاء المعزين . وحال بينها وبين السلوان — فالمرأة المرزوءة فى زوجها على الطبيعة ، تلقى من الناس فلا تخشى شيئا . والناس لا يخشون أن يطيلوا لها فى الرثاء ويسهبوا ؛ أما المرزوءة فى زوجها انتحارا فتلقى الناس فتخشاهم وتخشى سؤالهم والإكثار، وهم من جانبهم يخشون الحرج فتكون تعزيتهم اقتضابا وكثيرا ما يكون كلامهم صمتا ... وجلست المرزوءة تستعيد ذلك الشريط الذى يحمل ألوان ماضيهم . فلا تجد بعد الذى حدث صفاء ؛ ولا تجد لها طعما . وتلك النكات ، وتلك الضحكات ، ومظاهر الحب والعطف والفرح فى العيش مما لما سر، والحزن مما لماساه ، كلها ربعات بين

الزوج والزوجة روابط لم يعبأ بها الزوج عندما أراد أن يقطعها ... وتسأل الله فى أحلامها : لو انصلت الخيوط والتحمت الشرايين! فيقول الله : ليس على هذه الأرض وصل بعد فصل ، ولا التحام بعد قطع . . ويوقع أولاده فى أزمات نفسية عنيفة مستعصية . فإذا تحدث صديقات البنت عن آبائهن فتسكت فلا تطارح الصديقات المتدفقات حديثا بحديث . ويتحدث أصدقاء الولد عن آبائهم فيسمع الولد ولا ينطق . تتسمع أذنه للألم . وينعقد لسانه عن إفصاح . وفى الإفصاح التنفس من ضيق . وفى الحديث استشفاء من ألم .. ثم يأخذ فى تحليل العوامل النفسية التى قذفت بالمنتحر إلى هوة الانتحار فيقول : قد نشأ هذا الزوج على الفقر . وكان فقرا مدقعا . فقر فى البيت ، وعلى المائدة ، وعند النوم . وظل يمضغ مضغة الحياة المرة سنوات لأنه لم يجد مايتبلغ به سواها – ثم لانت الحياة وهادنته صروفها فاستعادهدوءه فلما تجهم له وجهها وثارت أعاصيرها وعاد إلى الزوج خوفه القديم . خوف الفقر وخوف الحياة . لم يلبث أن انهارت أعصابه واختل توازنه وخر صريعا ..

ويترك زوجته تجتر هذه الخواطر السود !! كيف ساغ عنده أن فى وفاء حاجة الجسم غناء عن حاجة النفس .. وهو لو عاش لكافحنا سويا وكان لنا فى الكفاح على الإخلاص لذة . فلمن تقول هذا واأسفاه!! والأذن التى تريد أن تسمعها ملؤها التراب. إنه الألم الدائم واليأس الذى لا رجاء فيه . . .

ارأيت أن هناك جانبا من الجوانب لم يطرق فى هذه الظاهرة ؟ ورأى يمكن أن يستخلص وأغفل؟ أوفلسفة اجتماعية أو أخلاقية أتيحت لها الفرصة ولم تقرر؟ بل لقد صور بنضرة بيانه، وحيوية أسلوبه، وغزارة علمه هذه الظاهرة. وعلى هذا الأسلوب الفنى العلمى تقوم صور ماقصه الدكتور علينا فى هذا الكتاب ، فهى نماذج ممتعة للذوق بفنها ، وللعقل بسلامة منطقها. وموقظة للوعى الاجتماعى بما تتناوله من مشاكلنا الاجتماعية ، فهو كتاب يرشحه لمصاف الأدب الحى أكثر من سبب

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم فى التربية وعلم النفس
ومدرس اللغة العربية بالمدارس الأميرية

ابن الفارض والحب الالهى

للأستاذ محمد خفاجى

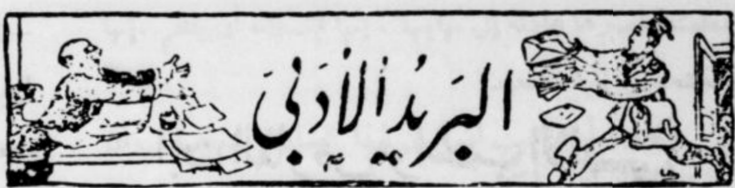
رسالة جامعية علمية ، ألفها الدكتور محمد مصطفى حلمى ، ونال بها درجة الدكتوراه فى الفلسفة من كلية الآداب عام ١٩٤٠ ، ونشرتها لجنة التأليف فى ٣٢٦ صفحة . . وقد أعجبت البيئات الفلسفية والعلمية بهذا البحث القيم ، ولقى تقديرا خاصا فى الأوساط الجامعية وبين المستشرقين . وهو يعد بمثابة فتح جديد فى ميدان بحوث الفلسفة الإسلامية والتصوف

والمؤلف رجل جامعى كرس حياته للبحث والدراسة ، ويشغل الآن منصب أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد

والرسالة حديث عميق عن ابن الفارض الشاعر الصوفى المصرى (٥٧٦ – ٦٣٢ هـ)، وسيرته ، وحياته الصوفية ، وآثاره وحبه الإلهى ، والمنازع الفلسفية لهذا الحب ، ومامر به من أطوار، إلى غير ذلك من شتى البحوث العلمية الدقيقة عن إمام شعراء الصوفيين، وسلطان العاشقين فى الله؛ وتصحيح ممارفناعنه، والرد على المستشرقين فيما أثاروه من شبه حول صوفيته وحياته

والكتاب فوق روحه العلمى القوى مكتوب بذوق المؤمن وأدب المتصوف . ويلمس فيه القارئ نفحات روحية صادقة بأسلوب بارع ، استمدها المؤلف من روحية شاعرنا الصوفى

محمد خفاجى



تحية باريس لمعالي الأستاذ العميد :

إلى العميد وارث (العميد) أزجى تحياتى مع النشيد
هواتف فى الشدو والتغريد وإن لبسن حلة القصيد
حرائر من صنعة التقليد كأنهن من بنات البيد
لم تنتظم من زهر نضيد ولم تصغ من لؤلؤ فريد
وإنما من قلبى الودود ومن دم يجرى مع الوريد
النعمة الخضراء طوق جيدى لقد ملكتم بعدها وجودى

٭

إلى العميد وارث العميد أزجى تحياتى مع النشيد
باريس حيث فيك يوم العيد واستقبلت فى الشرق صنو(جيد)
المرسل البيان فى الوجود أجمل من موشية البرود
من تالد فى رقة الجديد وطارف فى روعة التليد
والباعث الفصحى على التجديد كشأنها فى زمن (الرشيد)
فخورة بعهدها المجيد عزيزة بملكها المتيد
مرهوبة كدولة الحديد مقصودة كالمنهل المورود
وللبيان دولة فى الجود تزحم فى السلطان ملك الصيد
أقلامها خوافق البنود وكتبها بواسل الجنود
أنعم بها رسالة العميد وإنها رسالة الخلود
من «طارق» تجرى إلى «بيرود» ومن ربا «الفسطاط» للنجود

باريس **علي شرف الدين**
دكتور من جامعة باريس

ملاحظة أم غفلة :

قرأت فى العدد (٩٤١) من الرسالة ، كلمة بعنوان (ملاحظة على مقال) خلاصتها أنى أخطأت الطريق حين نشرت مقالى (سؤال الناس) فى الرسالة ؛ لأنى وجهت (نصائحى الغالية !) إلى المتسولين المحترفين ، وهؤلاء — بالطبع — لا يقرأون الرسالة ، ولا يسمعون إلا نداء معداتهم

وكنت أحب للكاتب الفاضل أن يتعمق فى فهم المقال ، وأن يقرأه متبصراً ، وأن يوسع أفق نظرته فى الناس ، ولو فعل ذلك لأدرك أن هذا مقال لم يوجه إلى المتسولين المحترفين . وإنما وجه إلى أصناف من الناس ، كلهم ممن يحتمل أن يقرأوا الرسالة وغير الرسالة

فجمهور المسلمين الذين يعطفون على هؤلاء المتسولين ، من المخاطبين بهذا المقال ، وذلك فى الفقرات التى غفل عنها الكاتب فظن أنها موجهة إلى السؤال ، فعندما أقول (إن العلاج الوحيد هو أن يفهم الناس دينهم على حقيقته) ثم أردفه بالحديث عن الإعطاء ، وأن المعطى يجب أن يتلمس صاحب الحاجة ، لم أكن أقصد الآخذين ، وإنما كنت أقصد المعطين ، وأظن أنه لا يحق لنا أن نجرد قراء الرسالة من فضيلة الإعطاء !

وعندما قلت (وهناك جماعة يعيشون على كسب غيرهم ، وهم — فى نظرى — لا يختلفون عن هؤلاء السؤال فى شيء) كنت أقصد إلى أصناف من الناس ، منهم (مشايخ الطرق) وفى هؤلاء المثقفون ، بل والعلماء ، بل والمدرسون فى الأزهر الشريف ، ولعل الكاتب لا يخالفنى فى أن بعض هؤلاء يجوز أن يقرأ — ولو مصادفة — مجلة كالرسالة

ولو كان الكاتب الآن بجانبى لهمست فى أذنه بحقائق مرة ، وذكرت له كيف يعيش بعض المثقفين ، ولكننى أكتفى — دائما ... فى هذه الأمور الشائكة بالتلميح

وإنى لأعرف أشخاصا بأعيانهم يقرأون مجلة الرسالة باستمرار ، وهم ممن يعتمدون على غيرهم — وهم قادرون — فى تحصيل القوت

ثم ليعلم الكاتب أن مثل هذه المقالات الاجتماعية لا توجه — فقط — إلى المعنى بها ، وإنما توجه إلى رجال الحكم ورجال الإصلاح الاجتماعى . وليس بضرورى فيما أظن — أن تكتب عبارة الإهداء فى أول المقال ، إلى وزير الشؤون الاجتماعية ، حين نقصد أن نوجهه إليه

أما قول صاحب الملاحظة (إن المعد الخاوية لا تفهم إلا منطق الطعام) فدليل واضح على أنه غفل الغفلة الكبرى عن روح المقال ، فأنا لم أقصد الحديث عن أصحاب المعدات الخاوية ،

وإنما قصدت إلى أولئك الذين يسألون وهم تجار لا سؤال

وأخيراً أوجه نصيحة غالية أيضاً إلى الكاتب عبد الفتاح الجزار صاحب اللاحظة، أن يفهم أولاً ثم ينقد ثانياً، ولعلها تنفعه فلا يدعونا إلى أن نمسك نصائحنا

علي العماري

١ — نسبة شعر

جاء في الصفحة (٤٢) من كتاب «الشعر العربي في بلاطات الملوك» في صدد البحث عن شعر النابغة أن الأستاذ نسيم نصر مؤلف الكتاب نسب الأبيات التالية إلى النابغة وهي:

المرء يأمل يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد طول العيش مره
وتخونه الأيام حتى لايرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

وكذلك نسبتها للذبياني صاحب كتاب «الشعراء الجاهليون» الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي اعتماداً على بعض كتب الأدب. والأصوب نسبتها إلى لبيد بن ربيعة العامري حيث نشرها جامع ديوانه مع شعره، وقد طبع هذا الديوان سنة ١٩٠٥ في أوربا، كما أن البيت الأول كما ذكره صاحب كتاب (الشعر العربي في بلاطات الملوك) ناقص الوزن وصوابه:

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره

وهي بشعر لبيد أنسب من شعر النابغة. لأن لبيداً من المعمرين الذين سئموا طول الحياة. كما يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

٢ — تصحيح لابد منه:

في العدد ٩٣٧ من مجلة الرسالة الغراء قصيدة لصديقنا الأستاذ الشاعر محمود فتحي المحروق بعنوان «في لجة الصمت» وجدت فيها بعض الهنات وأحببت أن أشير إليها مع العلم بأن قصيدة الشاعر المحروق تستحق الإعجاب. وها أنا أدرج تلك الأخطاء

قال الشاعر:

أنا — ياصمت — لو علمت فؤاداً سادراً في اللجاج ضيع لحنا

وصوابه: أنا فؤاد سادر، لأن «فؤاد» خبر أنا و «سادر» صفة لفؤاد وقال:

ليس لي في الحياة أي امال.. فواخيبة المنى والرغاب

وفي هذا البيت خطأ أولهما في الوزن وأقصد صدر البيت

ليس لي في الحياة أي آما

وثانيهما في فقه اللغة وأقصد كلمة «الرغاب» فقد أوردها الشاعر مرادفة لكلمة منى وهي جمع وهذا الجمع خطأ محض فقد جاء في لسان العرب ما يلي:

إن رغبة بمعنى الأمنية والمطلوب جمعها رغائب ورغبات، أما رغاب فجمع للفظة رغيب ورغيب بمعنى واسع، ومنه حوض رغيب ومال رغيب. قال الرصافي وهو حجة في فقه اللغة وضبط المفردات بالرغم من أنه لا يصل إلى أفق المرحوم شوقي بك في الإبداع الفني:

ألا إن بطنا واحداً أنتج الورى كثيرون في أفعالهم لرغيب

ووزن هذا البيت هو الخفيف والشاعر الشاب محروق معذور إن جعله زاحفاً فقد كان المرحوم جميل صدقي الزهاوي كثير الوقوع في هذا الزحاف الشائن

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصري

أول من أمس «لا أمس الأول»

«حلف الأستاذ عبد الحميد بك علي عطية... أمس الأول اليمين القانونية الخ»

هذه عبارة وردت بجريدة الأهرام بتاريخ ١١ / ٧ / ٥١

وقلما تخلو من مثلها صحيفة يومية أو أسبوعية . وهى مع شيوعها وانتشارها تخالف ما نقل عن العرب وورد فى كلامهم ؛ فقد جاء فى « فصيح ثعلب » باب حروف منفردة : « وتقول ما رأيته منذ أول من أمس . فإن أردت يومين قبل ذلك قلت ما رأيته منذ أول من أول من أمس »

وجاء فى « اللسان » مادة « وأل » . « وتقول ما رأيته منذ أمس فإن لم تره يوما قبل أمس قلت ما رأيته منذ أول من أمس الخ »

فيكون الصواب إذن أن يقال « حلف الأستاذ . . . أول من أمس اليمين القانونية »

أحمد مختار عمر

محنة التواضع :

أرأيت كيف تحال الفضائل فى الزمن المعوج إلى محن تكاد أن تقارب الرذائل !

أرأيت المجتمع الذى أشكلت عليه الأمور ، فجمل بين الأضداد مشاكلة !

أرأيت التنافق بين الصفات جعل المرء محيراً بين أصالة الخلق وتكلف التخلق !

هذا هو منطق الحياة الأخرس ، لكن الناس استنطقوه فكان ذا « نشاز » وشذوذ !

إن التواضع طريق المحبة ، ومنهج الألفة ، ومشرق الأنس . لكن الناس فهموه فهماً ملتوياً ، فألحقوه بالسذاجة ، والمطاولة وعدم الاعتبار وضياع الشخصية ، والمساواة فى الأقدار !

نرى الرجل الفاضل يتبسط فى الحديث مع الجاهل السوق ، فيلوى الناقص رقبة ذليلة جلس فوقها رأس خفيض فارغ !

ونرى ذا القدر المحاط بالمهابة قد أزال الفوارق لينزل إلى المجتمع ، فيجد من كان يهيبه قد توعده ، ومن يباعده داناه وطلب المساواة !

ونرى الكبير يأنس إلى الصغير بدعة طبعه ،وصفاء سريرته ولطف معاملته ، فتجد الشيطان قد أفرخ فى روع غرور القمىء أنه معه على تساو ، وتدفعه وقاحة الجرأة إلى مساجلته ومطاولته !

فليس عجيبا — بعد هذا التصوير — أن نسمى التواضع محنة ؛ لأنه يجلب إلى صاحبه عنت القحة ، وحطة السليقة ، ورداءة التربية !

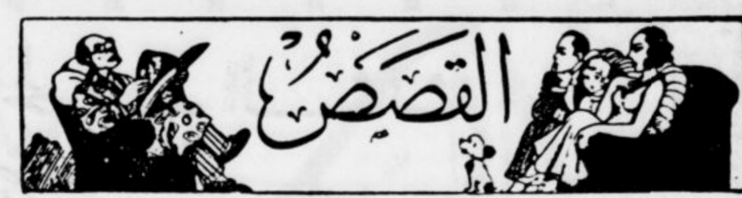
يجب ألا يكون الحصيف « على نيانه » حتى لا يطمع فيه الذليل ، ويبيح حرمه الرذل القدم !

الحياة سهلة ، لكن ذوى الطبائع المعقدة جعلوها ذات تعقيد !

والتواضع بين النظراء تسامح ، لكنه مع الأخساء خسة !

نرى أن نحيا فى نور المثالية ... لكنها اليوم ليس لها مثال !

بورسعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**



الفخ . .

لوليام سارويان

ترجمة الأديب حسين أحمد أمين

نصب الفخ على النحو التالى :

فى قطعة الأرض الممتدة من شارع « م » إلى شارع « ل » المجاورة لمنزل كازا كيان حفر الصبية حفرة كبيرة طولها ست أقدام وعرضها ثلاث وعمقها ثلاث . وذلك بعد أن أوى الجيران جميعهم إلى منازلهم للنوم .. لكى يقع فيها أبكار بوبكورن وهو أول من يقطع هذه القطعة من الأرض فى الصباح الباكر ، ولكى لا يشك ذلك الرجل فى الأمر غطوا الحفرة بالورق والأقذار حتى بدت لاتبعث شكا ولاريبة

وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح اليوم التالى اجتمع الصبية خلف منزل كازا كيان ليشاهدوا أبكار بوبكورن وهو يقع فى الفخ

هؤلاء الصبية هم أرسن وآرداش وكيشميشن وباريكوميان وهيج وجورج وأولاد ميلسكونيان وولدا شيمشاميان ويدعيان فامى وجاز .

وفامى وجاز هما مدبرا المؤامرة .. فقد طارت دجاجتان من منزلهما إلى منزل أبكار بوبكورن فأخذهما أبكار وأنكر رؤيتهما .. لذلك صمما على الانتقام منه

ولم تكن بقية الصبية تعلم شيئا عن مسألة الدجاجتين ولكنها مع ذلك رحبت بفكرة نصب الفخ لأبكار بوبكورن لكى تشاهده واقعاً فيه

وفى الساعة السادسة إلا الثلث ظهرت امرأة ضئيلة الجسم متجهة فى سرعة نحو الحفرة فى الأرض الفضاء . . وكان هذا على خلاف ما قدره الصبية ؛ لذلك علا وجوههم الوجوم وعقل الذهول ألسنتهم

وأخيرا تكلم كيشميشن موجها الكلام إلى فامى شيمشاميان : « أحسب أنها والدتك »

أجاب فامى : « لا . . إن والدتى بالبيت تصنع الخبز »

قال كيشميشن لجازأخى فامى : «أليست هذه أمك ياجاز؟»

أجاب جاز : « بلى . . إنها أمى . . ماذا تصنع هنا فى مثل هذه الساعة ؟ »

وعم بقية الصبية بعضهم لبعض : « إنها أم فامى وجاز »

وهمس هيج : « ألن يمنعها أحد كى لا تسقط فى الحفرة ؟ »

قال فامى : «لاأستطيع .. إنها ستقتلنى إنعلمت ماصنعته»

وقال جورج : « بل يجب أن نمنعها . . يجب أن يمنعها واحد منكم . . أتسقط أمامكما فى الحفرة وأنتما تنظران إليها ؟ . لقد حفرناها لأبكار بوبكورن لا لأمكما »

وقال باريكوميان : «جاز .. يجب أن تسرع فتمنع والدتك من السقوط » أجاب فامى : « لقد فات الوقت »

وحبس الصبية أنفاسهم كى يلاحظوا مسز شيمشاميان وهى تقع فى الحفرة التى أعدوها لأبكار بوبكورن .. ورأوا قدمها اليسرى وهى تخطو على الطين والورق ثم رأوها وهى تميل بجسمها كله ثم تسقط فى الحفرة

وسمعوا صرخة .

لقد كان الفخ محكما لايبعث شكا ولاريبة . .

وجرى الصبية بأقصى سرعتهم دون توقف . جروا دون وجهة حتى عجزت أرجلهم عن التقدم فوقفوا يفكرون فيما حدث

واتفق الجميع على إخفاء الأمر وأقسموا ألا يتحدث واحد منهم فى أمر الحفرة إلى أحد

وهكذا انتهى الأمر

وكانت إصابة مسز شيمشاميان غير خطيرة غير أنها رقدت أسبوعا فى فراشها

وبقيت الحفرة كما هى عدة سنوات دون أن يفكر أحد فى ردمها .. وأخيرا ملأها مستر كازا كيان من طمى حديقته . .

وأما أبكار بوبكورن فكان يمر عليها كل صباح فى طريقه إلى عمله فكان يقفز من فوقها ثم يتابع السير . .

حسين أحمد أمين



ظهر المجلد الثالث
من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصريه

جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء ٩٥١ - ١٩٥٢

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الشتاء المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير.

وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فان المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجرا زهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

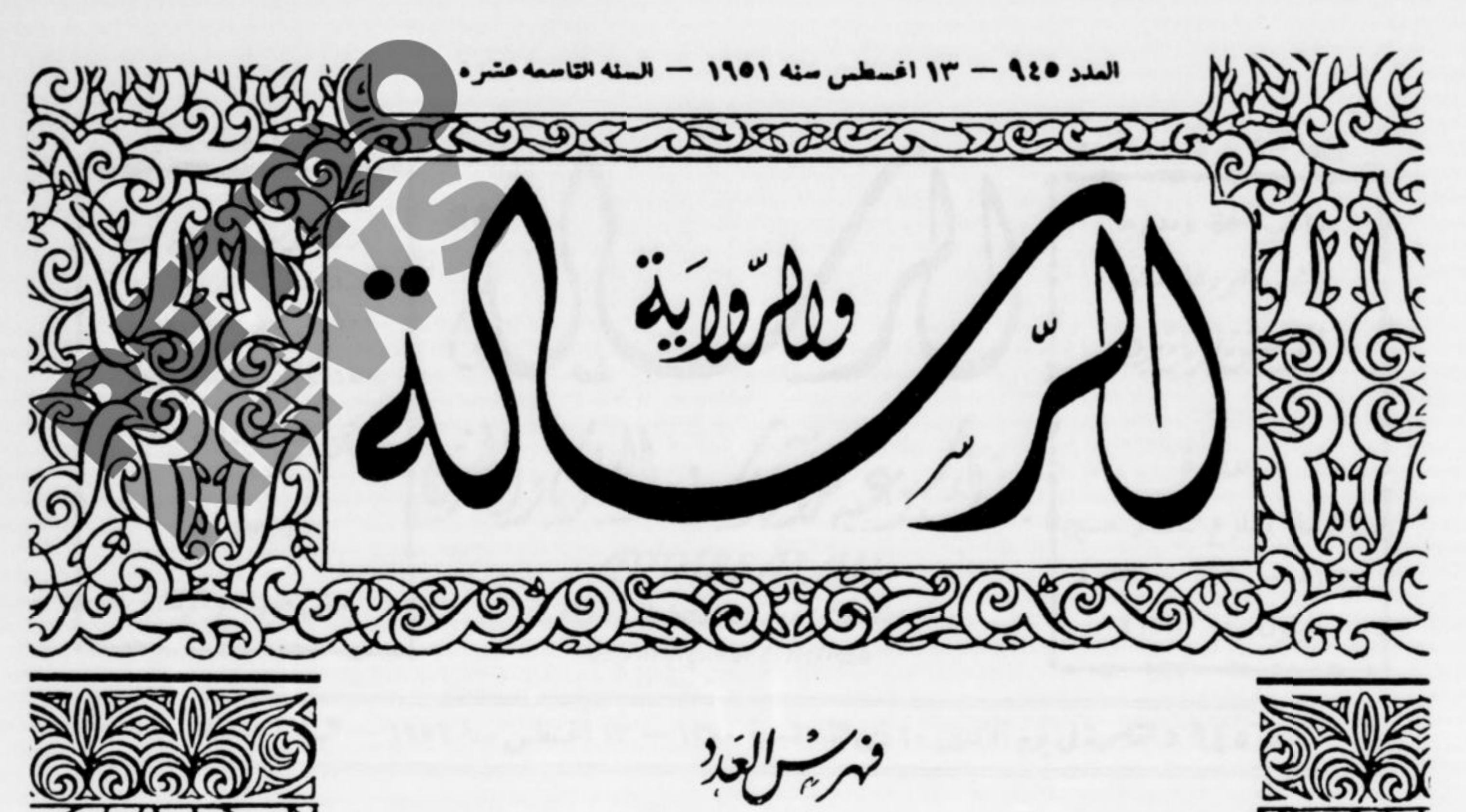
فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا إلى الاقبال على الاعلان فيها شديد ... ولزيادة الاستعلام اتصلوا ...

بقلم النشر والاعلان ... بالادارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

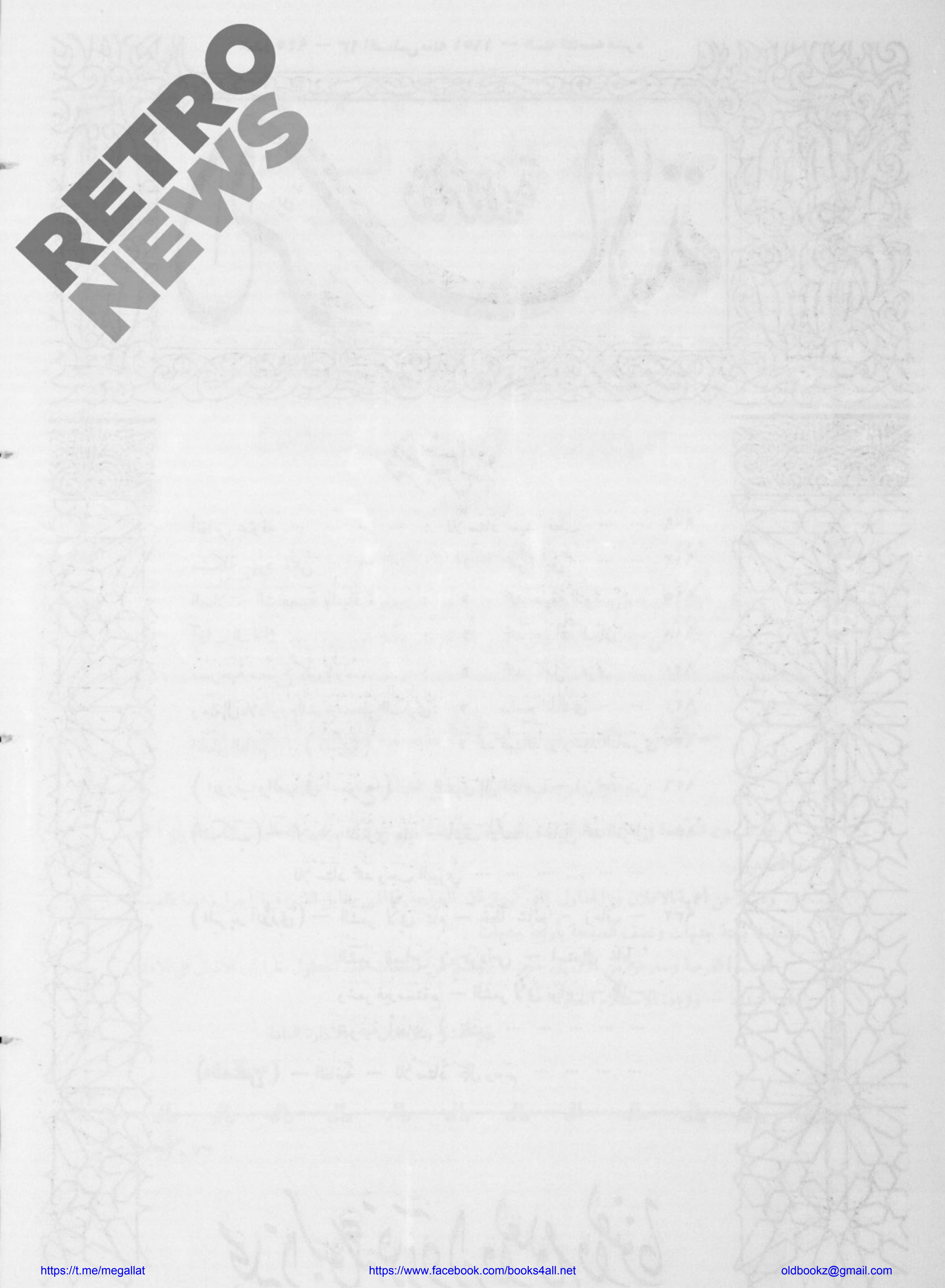


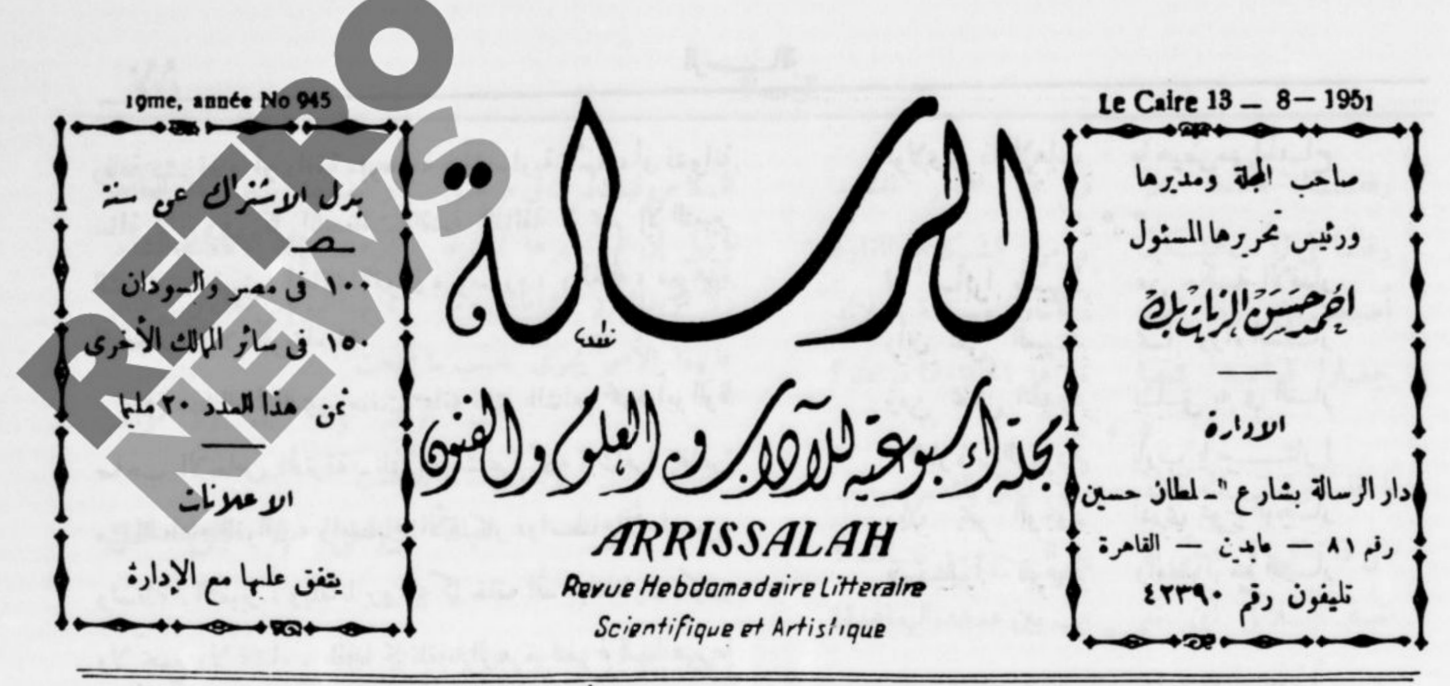


فهرس العدد

١٣ • ٣٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون





19me, année No 945

Le Caire 13 — 8 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٧٠ — ١٣ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

١ — فى دنيا الشعر :

أنفـــاس محترقة

للأستاذ سيد قطب

فى الجو رائحة تفوح ، رائحة شعر ، إنها « أنفاس محترقة » للشاعر محمود أبو الوفا ؛ ذلك الشاعر الذى لم نعرفه فى حينه ، لأننا كنا فى غفلة عن إدراك حقيقة الشعر فى ذلك الحين !

كنا نتلمس الشعر مخنوقا فى ركام « الفكرة » المعقدة الجامدة ، أو متقززاً فى اللفتة الذهنية البراقة !

وكنا نتلمسه فى قالب الملحمة أو فى قالب الرواية ، لأن ببغاوات كثيرة قالت لنا : إن الشعر العظيم لا يكون إلا فى هذا القالب . نقلا عن الإغريق والرومان والمحدثين فى أوربا !

وكنا نتلمسه فى وسوسة العبارة ، وفى اصطناع الصورة ، وفى فرنجة المشاهد ، وفى صقل الإيقاعات كما لو كانت ملفوفة فى أوراق (السلوفان !)

ودع عنك شعر « الصالونات » وشعر الحفلات ، وشعر المناسبات . وشعر الغناء الذى يفرغه بعضهم على الناس ...

فهذه ألوان ليست فى حساب النقد ، ولا اعتبار لها فى هذا المجال !

فأما الشعر ، الشعر كما هو مجرداً من القوالب والأشكال ، طليقاً من ثقلة الفكر ولمعة الذهن ، واصطناع المشاهد والموضوعات .. الشعر كما هو طليقا رفافا طلاقة العطر والشذى فهو مالم نحفل به كثيراً

ولقد كتبت قبل سنوات أربع تحت عنوان : « آن للشعر أن يكون غناء » فى فصل من فصول كتاب : « النقد الأدبى : أصوله ومناهجه » أصور حقيقة الشعر وطبيعته فى هذه الفقرات :

« ... إنه الغناء ، الغناء المطلق عما فى النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية ، وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهج والإشراق ، أو الرقرقة والانسياب على نحو من الأنحاء

« ولسائل أن يسأل : أو تنفى الفكر من عالم الشعر أيضا ؟ ولست أتردد فى الإجابة . إن هذا الفكر لا يجوز أن يدخل هذا العالم إلا مقنعا غير سافر ، ملفعا بالمشاعر والتصورات والظلال ، ذائبا فى وهج الحس والانفعال ، أو موشى بالسبحات والسرحات ! . . ليس له أن يلج هذا العالم سافرا كما كان باردا مجردا !

« ولحسن الحظ أن الإنسانية لا تزال تحمل هذه الشعلة المقدسة ، ولا يزال ضميرها يزخر بالمشاعر والخواطر ، ولا تزال تهتدى بالغريزة والإلهام بجانب الذهن البارد الجاف . وهناك لحظات تنفض عنها ذلك السكون البارد والوعى المتقيد ؛ وتنطلق

رقافة مشرقة ، أو دافقة متوهجة ، أو سارية تائهة ، أو نشوانة حالمة . . وفى كل اللحظات الفنية الفائقة لا نجد إلا التعبير الشعرى ، يتسق بإيقاعه القوى ، وصوره ، وظلاله ، مع هذه اللحظات الملاء الوضاء »

فى هذا العالم الذى وصفت سماته نلتقى بالشاعر محمود أبو الوفا صاحب الأنفاس المحترقة . نلتقى به شاعرا كله ! شاعرا يخلص من اصطناع القوالب، واصطناع الأفكار ، واصطناع الأحاسيس، واصطناع التعبير ، ويلقانا بروحه كما خلقه الله . يلقانا بلا تكلف ولا تجمع ولا غشاء . يلقانا كما تلقانا الزهرة لتفرغ لدينا عبيرها وعطرها وتمضى !

ويحدثنا أبو الوفا عن نفسه وحبه وآلامه ونجواه . . . أو يحدثنا عن الإنسانية والوطن والشعب .. فإذا هو هو أبو الوفا الشاعر الفنانى المرفرف ، عذب الروح حتى وهو يتجرع صاب الحياة ، سمح الخليقة حتى وهو يحرق الأنفاس

استمع إليه يغنى « فى انتظار الصباح »

جدد لى الأقداح يا ساق الراح
على أرى فى الراح أطياف أفراحى

* * *

فى مزهرى ألحان أخشى أغنيها
أخشى على الأوتار من هول ما فيها

* * *

يا مزهر الأقدار غن بها غنى
واشرح على الأطيار ما غاب من فنى

* * *

لكل يوم شراب لابد من كاسه
وكل معنى العذاب فى لون إحساسه
من ذا يرد الصواب للدهر فى ناسه

* * *

للغاب يا ابن الغاب اهرب فداك الألواح
تبا لضعف التراب أغرى عليه الرياح

لولاى فى ذا الإهاب ما هيض منى الجناح

* * *

لا تسألوا بالشهود عن حكمة الأقدار
وأين نحن العبيد مما وراء الستار
ومن تخطى الحدود يلقى به فى النار
« النار ذات الوقود » يارب يا ستار !
ربان بحر الوجود أدرى بموج البحار
فاستسلموا للوعود وامضوا مع التيار

* * *

هات اسقنى يا صاح كأس الهوى الفضاح
سكران لكن فؤادى مما يعانيه صاح
يا ليل هل من مداو يا ليل، يشفى جراحى؟
لم يجد فيك اصطبارى وليس يجدى نواحى
يا هل ترى لى صباح أم ليس لى من صباح

إنه مطلق غناء . لا تربط بينه قافية واحدة ، ولا تربط بينه فكرة جامدة . إنما تربط بينه تلك النغمة المنسابة . نغمة الروح الحزين . العابث . المتطلع . الأليف . الوديع . روح الفراشة البيضاء والعصفور الراقص المزقزق الصداح !

ومن هذا اللون والجو قصيدته : من الأعماق :

يا ليل هل ترى لواجد ؟ يا ليل أنت على شاهد
أشكو الوسائد للمرا قد ، والمراقد للوسائد
وجد أقض مضاجعى هيهات ينجو منه واجد
بينى وبين هواى أبـ ماد نضل بها الراصد

* * *

« عيسى » أخوك « محمد » وكلاكما : بان وشائد
ما للنصارى فى كنـا ئس والحنائف فى مساجد !
ما للرواشد مالهم لا يصهرون مع الرواشد !
أو ليس آدم واحدا أو ليس دين الله واحد
لم لا يكون الحب وهـ و الأصل رائد كل رائد
من فك بين عرى القلو ب وشد من عقد العقائد ؟
ومن الذى خلى القوا رح لعبة بيد الولائد ؟

رفقـــا بأفئدة تحر ق فى المجامر للمعابد
رفقـا على الأنف الشـكيـ م من الشـكائم والمقاود
أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد
جعلوا قواعد للحيا ة . هل الحياة لها قواعد ؟

* * *

يا قلب ويحـــك فاتئد بكفى الذى بك من مواجد
من ذا تنافى فى دجى الا يل البهيم ومن تنشاشد ؟
لغة البلابل أين تذ هب بين هدهدة الهداهد ؟!
... الخ

* * *

فهنا كذلك تفوح رائحة الأسى والعتاب مضمخة بشذى الود والحب . . الحب الذى يلقى به الشاعر الحياة ، وهى تفزعه وتروعه ، فيغدو فيها كالطائر الحذر المفزع ، لا يتم نهلة من رى ، ولا يأمن لروح من ظل ، إلا وهو يتلفت ذات اليمين وذات الشمال

أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد

وهى لمسة فنية بارعة فى رسم صورة حية متحركة لحالة نفسية فريدة فى بضع كلمات

ويبلغ الشاعر قمته فى هذا المنى أو قريب منه ، وهو يرسم فى قصيدة « ضحايا » تلك الصورة العجيبة ، النادرة فى شعر الإنسانية كلها ، وهو يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى
هاج الجواد فعضته شكيمته شلت أنامل صناع الشكيمات

ويبلغ الفن ذروته هنا فى توافق الحركة الشعورية للشاعر والحركة الحسية المتخيلة للجواد . وتأخذ الحركة الشعورية فى البروز والتجسم بتوا كب الحركة الحسية ونبضها ، حتى تنتهى بذلك الدعاء الكظيم : « شلت أنامل صناع الشكيمات » فتبلغ ذروتها النفسية والفنية جميعا ، وتترك فى النفس إيقاعها الشاجى وصداها الحزين

* * *

والآن فلنصحب الشاعر فى جولة أخرى . « على شاطئ النيل » :

الـكأس قبلك مرت فى فم نجس وكيف تشرب منها بالفم الطاهر
يا نيل إن لم تطهرها فمعذرة إن عف فوهما، والاعافك الشاعر
ولا أزيدك لم الشاطئين وما عليهما اليوم من خاف ومن ظاهر
عليهما الأمر يجرى حسب ما سمحت
به الرياح ولا ناه ولا زاجر
أقسمت يا نيل - لو تدرى - لما التطمت
فيك الشواطئ إلا بالدم الفائر

* * *

يا ليت شعرى لمن تلك الكروم على الش
طين تسبى وتصبى القلب والناظر
فى سندس من حقول الروض أبسطة
بالدر قد فصلت واللؤلؤ الماطر
كأنها لوحة من عبقر رفعت فى باب عبقر يستهدى بها الزائر

* * *

ما أجمل الأفق يبدو فى شروقهما وفى غروبهما غب السما الماطر
سرادق الظل فى أفواف ظلهما كأنه أفق فجر غائم سافر
كأنه سحب من فوج مجمرة قد بات يشملها فى كهفه ساحر

* * *

قل لى : ألشعب منها غير منظرها وسقيها أو يد الحصاد والباذر ؟
إن لم تدر بين أيدينا معاصرها فلا أدرت ولا دارت رحى عاصر
قم حطم الكأس أو فاملك مواردها أو فانس حقك . إن الحق للقادر !

هنا نلتقى مواجع الشاعر بمواجع الشعب المحروم ، وتلتقى آلامه بآلام الجماهير الكادحة ؛ فترتفع نغمة الألم ، وتشتد حرارة النفثة ، وتتحول شواظا وضراما . ولكن الشاعر يظل يلقاك بروحه الشاعرة ، وفنه الأصيل . سواء كان ذلك فى تصوراته الشعرية ورؤاه ، أم فى الزاوية التى يطل منها على المشاهد والرائى . فلا يسف ولا يجف ، ولا يتحول فنـه إلى خطابة جوفاء ، وليس فيها سوى الجمجمة والضجيج !

وهكذا يثبت أبو الوفا أن الفنان الأصيل يملك أن يغمس ريشته فى جراح الإنسانية ، ومواجع الكادحين والمحرومين ؛ ثم يبقى مع ذلك فنانا يحس بطريقته الخاصة ، ويرسم بيده لا بيد

٢ - مشكلة يهود اليمن
النازحين إلى اسرائيل

للأستاذ عمر حليق

تقول النشرة الرسمية للمؤتمر اليهودى العالمى (ومركزه نيويورك) إن الدافع الرئيسى لهجرة يهود اليمن إلى فلسطين هو الاضطهاد الذى لحق بهم بعد حرب فلسطين ، والمجاعة التى لحقت باليمن عامة ويهودها خاصة . أضف إلى ذلك النزعة الدينية القومية التى حفظها اليهود على مر الأجيال وهى « إن نسيتك يا أوروشليم فلتشل يداى » . هذا نوع من التضليل والدعاية المغرضة التى تشوب تصريحات أولى الأمر فى اليهودية العالمية

فقد استعرضنا فى مستهل هذا البحث ما سجلته دائرة الأبحاث الشرقية فى جامعة اليهود العبرية بالقدس وآراء مبعوثى الهيئات اليهودية إلى اليمن من حسن المعاملة التى لقيتها الطائفة اليهودية فى اليمن قديما وحديثا . واضطهاد اليهود بدعة تتقنن القيادة اليهودية العالمية فى ترويجها لطمس الأهداف الرئيسية التى من أجلها شنت حملة غزو الأراضى المقدسة فى فلسطين

والقول بأن فى اليمن مجاعة ينفيه أن ما يعرف عن البلاد اليمنية من انتشار الرخاء فيها، فالبلاد اليمنية مزيج من الجبال الشماء والسهول الخصبة تتوفر فيها المياه وتنتشر فيها الزراعة من أقدم العصور . وليس فى سجل المعلومات عن اليمن أنها أصيبت بمجاعات

أما النزعة الدينية التى دفعت يهود اليمن إلى النزوح لإسرائيل فهى حقيقة لا تنكر . ولكن الذى أذكى نار الحماس اليهودى لغزو فلسطين هو ما أثارته الحركة الصهيونية العالمية فى نفوس الجاليات اليهودية فى الشرق والغرب من نار القومية اليهودية المنيفة

وليس أدل على لون الخداع والغش الذى يشوب أعمال الحركة الصهيونية من أن هجرة يهود اليمن إلى فلسطين لم تتحقق على هذا النحو من السرعة والإتقان إلا لأنها كانت وليدة تدابير يرجع عهدها إلى سنين مضت قبل أن تدخل الدول العربية فى حرب مع اليهود وقبل أن تولد الدولة اليهودية

وتشجيع الحركة الصهيونية ليهود اليمن على الهجرة إلى إسرائيل هو جزء من الخطوة التى ترمى إلى حشد أكبر عدد ممكن من يهود العالم فى « أرض الميعاد » ليزدادوا قوة وعددا ويحققوا برامج بنى إسرائيل فى إقامة دولتهم فى الحدود التى دونتها التوراة : « من ضفاف النيل إلى ضفاف دجلة والفرات . ومن طرسوس إلى صحراء الجزيرة العربية »

والمهم حين نستعرض هذه الناحية فى قضية يهود اليمن أن نسجل أن عملية نقلهم قد تمت بنجاح . فقد نقل اليهود الجزء الأكبر من أموالهم « مما خف حمله وغلا ثمنه » ويقول كاتب يهودى زار عدن أثناء تجمع اليهود فيها لركوب الطائرات التى

العوام والأميين

وهى ظاهرة أحب أن أبرزها هنا ، لأن هنالك خلطا فى هذه الأيام بين وظيفة الفنان ووظيفة خطيب الجماهير ! فى الإحساس بالآلام العامة : وفى طريقة التعبير عن هذه الآلام ، تختنق فى غمرتها روح التقدير الفنى الصحيح

* * *

وبعد فليست « أنفاس محترقة » كلها من هذا الطراز الفنى بطبيعة الحال، ففيها الأنفاس المشتعلة والأنفاس الخابية ؛ وفيها المقطوعات التى يصيبها الإعياء سواء فى النبض أو فى التعبير ؛ وفيها المقطوعات التى يصعب أن تمدها من الشعر أصلا؛ ولكننى أحب أن أقرر بعد هذا كله أن شعر أبو الوفا « ظاهرة فنية » لها مظاهر قوتها الخاصة ، ومظاهر ضعفها الخاصة . ظاهرة فنية مستقلة تستحق الدراسة فى تاريخ الشعر العربى كله . ظاهرة فنية لم تدرس بعد حق دراستها لأن النقد الفنى لم يكن من اليقظة بحيث يلتفت إلى الظواهر الفنية التى تولد بين الحين والحين

سيد قطب

نقلهم إلى إسرائيل — يقول هذا الكاتب (فى مجلة كومنترى عدد يوليو ١٩٥١) إن القوافل اليهودية التى اجتازت حدود اليمن إلى عدن لم تلق أذى أو صعوبة . فلا الحكومة اليمنية وضعت فى وجه هذه القوافل العراقيل ، ولا قبائل البادية عارضوها ، وكل ما فعله المشرفون على هذه القبائل اليهودية أن رشوا بعض المشاغبين مع رؤساء القبائل على حدود اليمن — عدن، فسهل هؤلاء لهم المرور. أضف إلى ذلك المساعدة الأدبية التى وفرها حاكم عدن البريطانى وأعوانه لحماية هذه القوافل اليهودية فى ظل ما له هناك من سلطة ونفوذ

وكانت حين تصل قافلة من هذه القوافل إلى حدود عدن يتلقاها جماعة من يهود أمريكا وبريطانيا كان حاكم عدن البريطانى قد سمح لهم بتنظيم عمليات المونة والإسعاف والراحة من عناء السفر . ولم تكن هذه القوافل لتنتظر كثيرا قبل أن تجلس فى مقاعد وثيرة فى طائرات ضخمة حديثة من نوع القلاع الطائرة التى وفرتها السلطات الأمريكية الرسمية « للجنة التوزيع الأمريكية اليهودية المشتركة » التى قامت بنقل يهود اليمن إلى « أرض الميعاد » . والمشرفون على هذه اللجنة يهود أمريكانيون كان في استطاعتهم التنقل فى عدن والسودان والصومال وأريتريا لأنهم من رعايا أمريكا ومن حاملى جوازات سفرها . وقد كلفت عملية نقل يهود اليمن حوالى (٦٥) مليون دولار وهى جزء من التبرعات التى يقدمها يهود أمريكا للحركة الصهيونية — تبرعات مخصومة من ضريبة الدخل الحكومية المفروضة على الرعايا الأمريكان

وفى مثل هذه الظروف المواتية نزح يهود اليمن إلى إسرائيل ودفعوا إلى مراكز التجمع لليهود القادمين حديثا إلى إسرائيل وتكاثر عددهم حتى بلغ عشرات الألوف ، ومن هنا نشأت المشكلة « اليمنية » فى إسرائيل

أسباب المشكلة :

رأينا من مقدمة هذا البحث أن يهود اليمن كانوا قبل رحيلهم عنها فى بحبوحة من العيش والرخاء الاقتصادى ؛ وأنهم كانوا ملاكا للأراضى الزراعية وتجارا وصناعا وصيارفة .

وبالرغم من أنهم نقلوا معظم أموالهم « الخفيفة الحمل الغالية الثمن » معهم إلى إسرائيل لم تسمح لهم الحكومة اليهودية بالتعامل التجارى أو بامتلاك الأراضى والاشتغال بالزراعة أو التجارة على نحو ما كانوا يقومون به فى اليمن

والواقع أن الحركة الصهيونية لم تخدع العالم فقط بل خدعت اليهود أنفسهم .. ومشكلة يهود اليمن مثال لذلك

فقد كانت الدعاية الصهيونية فى الجاليات اليهودية فى اليمن تزين لهم « أرض الميعاد التى تدر لبنا وعسلا » والتى تقام فيها شعائر المذهب اليهودى بدقة تامة . ولقد رأينا أن إذكاء الحماس الدينى بين يهود اليمن كان من أهم الدوافع التى مكنت للحركة الصهيونية وأعوانها فى محمية عدن من تشجيع يهود اليمن على الرحيل إلى إسرائيل . وعندما استقرت هذه الألوف من اليهود اليمنيين فى « أرض الميعاد » تبخرت أموالهم حين كشفت لهم القيادة الصهيونية عن رغبتها الحقيقية فى نقلهم إلى إسرائيل — وهذه الرغبة تتوخى جعل يهود اليمن مصدرا للعمل الرخيص فى المصانع والمزارع اليهودية فى إسرائل ، إذ أن العامل اليهودى المهاجر من أوروبا يصر على أن ينال أجرا مرتفعا ، الأمر الذى لا يشجع سياسة التصنيع والإنتاج التى تبتغى الدولة اليهودية جعلها أساسا لحياتها الاقتصادية وسياستها التوسعية فى الشرق العربى

وغضب يهود اليمن حين اكتشفوا ذلك وسقط فى أيديهم لأن أولى الأمر فى الدولة اليهودية أصروا على التقييد من حريتهم فى التجارة والزراعة والصناعة . ولم تكتف بذلك بل أصرت حكومة تل أبيب — وهى حكومة إلحادية النزعة — على أن يطلق يهود اليمن عاداتهم الدينية ؛ ومنعوا من تربية أولادهم تربية دينية وأرغموا على البقاء فى معسكرات اللاجئين وحيل بينهم وبين الدخول فى ميدان المنافسة التجارية والزراعية

ثم جاء دور السياسة الحزبية فزاد المشكلة تعقدا . فليس يهود اليمن وحدهم هم الذين غررت بهم الحركة الصهيونية على هذا النحو؛ بل إنهم ويهود العراق وشمالى إفريقيا وإيران سواء فى هذه الخدعة التى تحاول أن تقيد حريتهم فى مزاولة التجارة والحرف

الناجحة — التى أنفقوها على حساب عرب اليمن والعراق وشمالى إفريقيا — لتجمل منهم ذخيرة من الأيدى العاملة الرخيصة النفقات لتسد حاجة المصانع والمزارع التى تدرها الحكومة اليهودية أو الشركات الكبرى التى تمولها رءوس أموال يهود أمريكا وبريطانيا ومصر وجنوبى أفريقيا . أو ليست الحركة الصهيونية مغامرة اقتصادية سترت بلون من « الروحانية » والقومية اليهودية المتيدة لتحقيق السيطرة على صميم الشرق الأوسط فى ملتقى القارات الثلاث ؟

قلنا إن السياسة الحزبية فى إسرائيل تدخلت فى مشكلة يهود اليمن ويهود العراق وشمالى إفريقيا فزادتها نقدا . فلقد كان لأفراد هذه الجاليات ضلع كبير فى أعمال الإرهاب والتجسس الذى ساد فلسطين قبيل المأساة . وكان من السهل على يهود البلدان العربية المقيمين فى فلسطين أن يتسربوا إلى صميم القطاعات العربية لأعمال الإرهاب والغدر . وقد سهل لهم ذلك تمكنهم من العربية ولون بشرتهم وملامحهم الشرقية ، والمكر والمواربة التى اشتهر بها يهود الشرق بصورة خاصة . وقد ساءهم أن تعاملهم الحكومة اليهودية الحالية هذه المعاملة بعد أن أبلوا فى سبيل الصهيونية بلاء حسنا . فأخذوا فى تنظيم جموعهم والسعى لإزالة هذه القيود التى فرضتها عليهم الحكومة اليهودية واشتدت غطرستهم، وقوى نفوذهم بعد التكتل، وأخذت الأحزاب فى سعيها لاستمالة أصواتهم فى الانتخابات تشعل الضغينة والحقد فيهم ضد الحكومة القائمة

ويستفاد من الأنباء التى تسربت من نطاق الصهيونية الحديدى فى إسرائيل أن يهود اليمن والعراق وشمالى إفريقيا قد ثاروا مرتين خلال هذا العام . . . وفى كل مرة كانوا يحتلون المنازل ودور الحكومة وأماكن الاستراحة الشعبية إعرابا عن استيائهم . وفى إحدى هذه الثورات رجموا البوليس وأصيبوا بعدة قتلى وجرحى . ولم يكتفوا بذلك بل إنهم حملوا شكاياتهم إلى معاقل الصهيونية فى أمريكا وبريطانيا ، ولكن سعيهم ذهب سدى . فصهيونيو أمريكا وبريطانيا من أشد اليهود تفهما لحقيقة أهداف إسرائيل لأن لهم فى كيانها منفعة اقتصادية كبرى.. ولن يسمى صهاينة أمريكا وبريطانيا فى عرقلة برامج التوسع الاقتصادى اليهودى رأفة بيهود اليمن ، والعراق ، وإيران ، وشمالى إفريقيا ، أو ليسوا هؤلاء أقرب عناصر الصهيونية إلى العرب لونا وتكوينا ؟ وحكماء صهيون الذين خدعوا العالم طوال هذه الأجيال أمكر من أن يتركوا يهود اليمن يفلتون من قبضتهم

ترى هل يذكر هؤلاء اليهود الذين وقعوا فى أحضان العرب وأصبحوا فى بحبوحة العيش وحسن الجوار ما قاله المثل العربى « على نفسها جنت براقش . »

نيويورك — لـكلام صلة — عمر حليق

٣- الصلات الشخصية بالعباقرة

للأستاذ محمد خليفة التونسى

ومهما يكن من شئ فإنه يحق لنا بعد ما قدمنا (الرسالة العدد ٩٤١) أن نعتبر العقائد سواء أكانت دينية أم سياسية أم فنية أم غير ذلك قيما وخصائص فردية وإن تكن ظواهر اجتماعية ، فالدين مثلا — ووظيفته الهداية والإصلاح — قد يعجز عن إصلاح المفسد وإرشاد الغوى ، بل قد يزيدهما فسادا وغواية لأن الدين — ومثله كل عقيدة أيا كان نوعها — ليس من الإنسان إلا صورة نفسه من حيث طبيعتها وأخلاقها وتربيتها ونشاطها فى البيئة التى حولها ، أو أنه جانب من صورة هذه النفس ؛ فإسلام النبى محمد صورة نفسه وإسلام عمر صورة نفسه وكذلك إسلام أبى بكر وعثمان وعلى وخالد ومعاوية ويزيد وأبى ذر والحجاج، وكذلك إسلام كل منتسب إلى الإسلام سواء أكان صالحا أم طالحا ، كريما أم بخيلا ، شجاعا أم جبانا ، على اختلاف النفوس فى الطبائع والأخلاق والأمزجة والمسالك فى مختلف البيئات

فالإسلام مثلا دين واحد من حيث هو نظام معقول ، أى من حيث يراه العقل ، ولكن صورته التى يمثلها لنا محمد عليه السلام تختلف قليلا أو كثيرا عن الصورة التى يمثلها لنا كل واحد من أصحابه وأتباعه والمنتسبين إليه إلى اليوم ، وإن كانوا جميعا مسلمين يسلمون بالمبادئ العامة التى جاء بها الإسلام ، وما اختلفت صور إسلام هؤلاء جميعا كل عن الأخريات كما تبدو لكل متأمل إلا لاختلاف طبائعهم وأخلاقهم وأذواقهم وسائر ملكاتهم الخلقية والشعورية والفكرية

كل عقيدة من العقائد ، وكل دين من الأديان طبعا — إنما هو نظام واحد من ناحية تعقله ليس غير ، ولكنه من ناحية الإحساس والعمل به صور مختلفة متعددة بعقدار المنتمين إليه ، وما من سبب لهذا الاختلاف والتعدد إلا اختلاف كل إنسان قليلا أو كثيرا عن الآخرين من حيث الطبائع والأخلاق والأذواق وما إليها أكثر من اختلافهم فى الفهوم ، وإن كان لاختلافها حظ فى اختلاف الصور العقيدية ، غير أنه حظ ضئيل وقد يكون غير واقع ، بل قد تكون العقول متأثرة لا مؤثرة ومسوقة لا سائقة خضوعا للأمزجة والطبائع ، فلا ترى العقول إلا ما تريها هذه ، ولا تعقل إلا كما تشاء لها مما تقدر عليه وتريده

ونؤخر ضرب الأمثلة الكثيرة لذلك ، وحسبنا هنا مثلا النظر إلى عقيدة القدر

لم يكن أحد يؤمن بهذه العقيدة ويتوكل على الله بكل ما فى طاقته من توكل أشد من إيمان النبى محمد عليه السلام ، ولكننا لا نجد أمرا من الأمور صغيرها وكبيرها عزم عليه قبل البعثة وبعدها إلا دبره لحزم تدبيره وأحكمه وهيأ له وسائله الدنيوية المألوفة كأشد المفكرين للقدر ، وما ترك فجوة فى خطة إلا حاول سدها بما بين يديه ومن بين يديه كأن ليس لهذه الفجوة سداد إلا عمله وعمل من حوله . وما انتوى أمرا إلا أخطر لبصيرته كل احتمالاته ، واستعد له بكل أهبة فى طاقته من الأهب المادية والمعنوية أشد وأكثر مما يستعد لمثلها من لا يؤمنون بقوة غيبية

بينما الإيمان بهذه العقيدة عند الضعفاء الفارغين يدفعهم ويسوغ لهم أن يحملوا القدر أو المجتمع أو نحو ذلك كل مسئولياتهم وسخافاتهم ورذائلهم ، كأنما حاولوا وبذلوا كل ما وسعهم من حول وحيلة فى سبيل أهدافهم، فحال القدر أو المجتمع أو نحو ذلك بينهم وبين ما إليه يهدفون

ولا يقتصر الأمر فى ذلك على العقائد ، بل هو عام فى كل ما يخضع للارادة والعواطف والأمزجة كالفنون

فالناس جميعا يؤمنون كل الإيمان بأن الموت غاية كل إنسان مهما جل أو هان : وكذلك كان المتنبى وأبو العلاء المعرى يعرفان ، ويريان الناس وهم يتنازعون أعراض الدنيا ويقتتلون عليها . لا اختلاف على الشاعرين الحكيمين فيما يريان ويعقلان، ولكن هذا ينتهى مما يرى إلى نتيجة تناقض كل المناقضة النتيجة التى ينتهى إليها صاحبه

أبو العلاء المعرى يرى ذلك فيزهد وييأس ويدعو الناس إلى الزهد واليأس . يقول :

« تجربة الدنيا وأفعالها   حثت أخا الزهد على زهده »

ولم ؟ يجيب :

« لو عرف الإنسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
أمس الذى مر على قربه يعجز أهل الأرض عن رده
أضحى الذى أجل فى سنه مثل الذى عوجل فى مهده
ولا يبالى الميت فى قبره بذمه شيع أم حمده
والواحد المفرد فى حتفه كالحاشد المكثر من حشده
وحالة الباكى لآبائه كحالة الباكى على ولده »

ونحو ذلك ، مما يبين أن أسباب الزهد فى الحياة عنده بل السخرية والتهكم بها يعود إلى أن الفناء مصير كل خير وشر ، وحسن وقبيح

« زحل أشرف الكواكب طرا من لقاء الردى على ميعاد
ولنار المريخ من حدثان الدهر مطف وإن علت فى اتقاد
واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد
وكذلك

« سيسأل قوم من قريش ومكة كما قال قوم من جديس ومن طسم »

فكل عمل يقوم به الإنسان جهد ضائع يتلوه جهد ضائع لا يستحق الأسف

« تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد
أسف غير نافع واجتهاد لا يؤدى إلى غناء واجتهاد »

إلى مئات الأبيات فى هذا المعنى ونحوه والأسباب واحدة والنتيجة واحدة

والمتنبى يرى ما يرى المعرى ، ومن الأسباب التى يستنتج منها المعرى وجوب الزهد ويستنتج هو وجوب الإقبال على الحياة والانغماس فى معاركها على قدر الطاقة . فيقول :

« إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم »

ولماذا ؟

« فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم »

ويقول :

« صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منه ، وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه ، ولكن تكدر الإحسانا »

وليس الإنسان ضحية شرور القدر وحده ؛ بل ضحية شرور أخيه الإنسان أيضاً ، واتخاذه من كل وسيلة للخير وسيلة للشر

« وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا »

وهل المغنم الذى يجتنيه الإنسان من وراء كل ذلك يستحقه هذا العناء ؟ لا ، والمتنبى يؤكد لنا ذلك

« ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى »

وإذن أفنزهد فى هذا الصغار أيها الحكيم ؟ ذلك ما ينكره المتنبى أشد الإنكار ، ويحرمه كل التحريم ، ويعتده كفرا :

« غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى لعددنا أضلنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا »

وماذا من العذابات التى نلقاها من مخاوف الموت ووقعه ؟ لا داعى للتردد حيالها فهذه أوهام :

« كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفس ، سهل فيها إذا هو كانا »

أو كما قال فى موضع آخر :

« فما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا »

أو كقوله فى غيره :

« والأسى قبل فرقة الروح عجز والأسى لا يكون بعد الفراق »

ويكرر المتنبى ذكر الأسباب نفسها فى عشرات المواضع من ديوانه ، وينتهى إلى هذه النتيجة نفسها كقوله :

« لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله موتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه
وغاية المفرط فى سلمه كغاية المفرط فى حربه »

وما نتيجة ذلك أيها المتنبى ؟

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه .

وإذاً فليست الفيرة فى الحياة بما نرى وما نريد أو لا نريد ، ولكن الفيرة بالدوافع والأمزجة فهى التى تحدد المذهب والإحساس والنظر ، والمعرى والمتنبى كلاهما صادقان فيما يحسان وما يقولان ، وكل منهما فى كل ما يقول وفىّ لمزاجه ، وفى لمذهبه ودوافعه فى الحياة ، فلا تناقض بينهما فى منطق العواطف ، وإن تناقضا فى النظر العقلى المجرد ؛ وإذا كان المنطق العقلى المجرد لا يحتمل أكثر من نتيجة واحدة ومذهب واحد إذا اتحدت الأسباب ؛ فإن

منطق العواطف يتسع للايين الملايين من النتائج والمذاهب المتناقضة بقدر عدد النفوس العاطفة، ومنطق العواطف أصدق مع كل هذا التناقض من كل منطق عقلي مجرد ولو كان عقل أحكم الحكماء.

والناس جميعاً في ذلك على نحو المعري والمتنبي كما يظهر من دراسة أحوالهم في كل زمان ومكان.

فيقول طرفة بن العبد على نحو قريب من نحو المتنبي لمن لامه في المغامرة بنفسه في الحرب والإسراف في اللذات

«ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
إذا كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي»

كما يقول أبو العتاهية على نحو قريب من نحو المعري:

«لدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكمو يصير إلى ذهاب»

أو قوله:

«أيلهو ويلعب من نفسه ... تموت ومنزله يخرب»

أو قوله:

«بين عيني كل حي ... علم الموت يلوح
كلنا في غفلة والـ ... موت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسـ ... ـكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمـ ... ـرت ما عمر نوح»

أو قوله:

«ألم تر ريب الدهر في كل ساعة ... له عارض فيه المنية تلمع
أيا باني الدنيا لغيرك تبتني ... ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثاباً على كل فرصة ... وللموت يوماً - لا محالة مصرع»

وحب النفس مثل آخر لما يتصل بالطبائع والأخلاق والعواطف، فهل يتأدى بنا جميعاً إلى مذهب واحد؟

لا، بل يذهب بالناس مذهبين كل منهما يناقض الآخر كل المناقضة، والأمر فيه كالأمر في القدر، وموقف الإنسان من الحياة، ويلخص لنا المتنبي هذين المذهبين من وراء حب النفس تلخيصاً حكيماً، ويمهد له، ويعقب عليه، فيقول:

«أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورده البقا ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان، والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا»

وأذكر أني قرأت قصة لقصصي أوربي لا يحضرني الآن اسمه ولا اسم قصته.. تدور حول قسيس رأى امرأة زل أحياناً، ففكر أن يهديها، وارتحل إلى إيطاليا في أمر وفكر في هدية يهديها إليها بعد عودته، فلم يجد إلا جمجمة امرأة ميتة، ففرح بها إيماناً منه بأن رؤيتها الجمجمة تذكرها بالموت فترتدع عن فيها، ولكن ما إن سلم إليها الهدية الثمينة حتى رآها تغرق في الفساد وتزداد ضلالا وغواية، وعجب من ذلك إذ رأى من مسلكها عكس ما كان يرجو، فلما سألها عن ذلك أعلنته أن رؤيتها الهدية هي التي شجعتها على الانغماس في الرذيلة بعد أن كانت قبلها تقارفها دون أن تنغمس فيها.. ذلك أنها فكرت فانتهت إلى أنه ما دام مصيرها كمصير هذه الجمجمة فأحر بها ألا تحرم نفسها إرضاء شهوة من الشهوات، وهذه دون شك نتيجة لا تزيد غرابة عن النتيجة التي كان ينتظرها القسيس الأريب وهي تعففها عن الشهوات. نتيجتان ليست إحداهما بأرجح من الأخرى.. ولا أدنى إلى العاطفة والعقل، لأن العبرة في أعمال الإنسان بدوافع حياته وطبيعته ومزاجه وحاجاته وشهواته، لا بعقله ولا بمذهبه الديني والسياسي ولا بما يسره أو يسوءه، فما دينه ولا وطنيته ولا عواطفه ولا أقواله وأعماله وآراؤه إلا صورة نفسه، وكلها معلولات وكلها حتى دينه إنما منزلتها بمنزلة الإناء الصافي من الشراب لا يتلون إلا بلونه، ولا ينضح إلا به

محمد خليفة التونسي

خواطر فى كتاب الله

آداب السلوك

للأستاذ محمد عبد الله السمان

إن للمجتمع تقاليده، وللسلوك آدابه، ولهذه التقاليد والآداب احترامها وإجلالها، ولا يحاول الشذوذ عنها إلا أولئك الذين نكبوا بقصور فى عقولهم، وسقم فى ألبابهم، وعتو فى تفكيرهم

وتربية القرآن النفس على مراعاة تقاليد المجتمع وآداب السلوك فيه تقدير وإكبار له — ولا جدال فى أن العجب لآخذ منك مأخذه حين ترى القرآن يلم بهذه الآداب دون أن يغادر منها صغيرة ولا كبيرة؛ محاولا صقل النفس بالذوق السليم وطبعها بالطابع المحمود

فالجالسون يجب عليهم أن يتفسحوا فى المجالس ليجلس القادمون، وينهضوا وقوفا إذا لم يكن هناك أماكن لجلوسهم، لأن الذوق السليم والمروءة تقتضيان هذا وتحتمانه عليهم:

«يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ...»

والزائرون يجب عليهم الاستئذان قبل الدخول، والتسليم إذا أذن لهم — كما يجب عليهم المبادرة بالرجوع من حيث أتوا إذا لم يجدوا أحدا، أو وجدوا ولكن لم يؤذن لهم، وذلك أصون لكرامتهم وشعورهم، وأكرم لشرفهم ومروءتهم:

«يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون — فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا، هو أزكى لكم، والله بما تعملون عليم»

والخدم والأطفال يجب أن يكون لاختلاطهم بالنساء والفتيات حد داخل البيوت، وإن كانت المصلحة تقتضيه، فأوقات النهوض من الفراش، والإيواء إليه أوقات دقيقة قد تكون كل من المرأة والفتاة فيها بحالة لا يحسن رؤيتها عليها:

«يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات: من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم»

ويعيب القرآن سلوك الذين يتهاونون فى مروءتهم، ويتحايلون فى أن يدعوا إلى الموائد، فتراهم يتربصون بالأطعمة، فإذا ما تم نضجها تملقوا بالزيارة وغيرها، وأسهموا فى تناولها. وليتهم يقفون عند هذا الحد؛ ولكنهم يأبون إلا أن يقاسموا أهل البيت أوقاتهم مستبدين بها، غير مبالين بأن فى هذا إيذاء لهم وإهانة لأنفسهم:

«يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه؛ ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث. إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم، والله لا يستحى من الحق ..»

وليس من أدب السلوك ولا من حسن التصرف أن يأتى الإنسان البيت من ظهره، فإن فى هذا قلباً للأوضاع ولا أن ينادى أهل النزل من وراء الحجرات، فإن فيه إحراجا لشعورهم واستخفافاً بأقدارهم: «وأتوا البيوت من أبوابها — إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم.»

ومن الفظاظة التى يمجها الذوق السليم أن لا يحترم المرء من يكبره مقاماً أو سنا أو علما، فيرفع صوته فوق صوته، ويناديه مناداة فيها كثير من التهاون، كما ينادى إنسانا عاديا:

«ياأيها الذين لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم

(١) مواصلة البحث التى نشر تباعا على صفحات الرسالة الغراء إلى نهاية العدد ٥٠٩ من السنة الثانية عشرة

لاتشعرون ، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ؛ لهم مغفرة وأجر عظيم — لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . . »

ومن الفوضى أن يتهاون الإنسان فى آداب الاجتماعات ، ومن أهم آداب الاجتماعات الاستئذان من الرئيس ، والشذوذ عن الإجماع ، وانتهاز غفلة الرئيس للهرب من القاعة متسللا ، ولاسيما فى الاجتماعات المهمة التى تتعلق بشؤون الأمة وحياتها :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم — قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »

وللحديث آداب يجب أن تقدر ، والاستهانة بها مما يجعل المستهين مهيناً فى نظر الناس . وليس من آدابه فى شئ أن يأخذ بعض الجالسين جانبا من المجلس ، فيتحدثوا سرا بما شاءوا أن يتحدثوا ، فتدب الفوضى فى الحديث ، كما يدب القلق فى نفوس الكثير :

« إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

وما أهون أولئك الذين لايؤمنون بآداب السلوك فى الشارع ، فإذا سار أحدهم أمال خده تكبراً ؛ وإذا مشى اختال فى خطواته عجبا ، ولم يقصد فى مشيه ولم يغضض من صوته :

« إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا — ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا ، إن الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »

وما أعجب أولئك الذين لم يحفلوا بآداب الأخوة الإنسانية وخيل إليهم أنهم فوق الناس وأسمى منهم ، وهان عليهم أن يسخروا من البعض . ويعيبوه ويستخفوا به حتى فى مناداته ، فتراهم ينادونه بالألقاب التى تسيء إلى نفسه وإنسانيته :

« يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . . »

والأخوة الإنسانية تفرض على الإنسان تحية أخيه عند لقائه كما تفرض على الآخر رد التحية بخير منها ، أو على الأقل بمثلها . . وذلك ضمان لبقاء الرابطة متينة قوية :

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، إن الله كان على كل شئ حسيبا »

القاهرة (للحديث صلة) محمد عبد الله السمان

مع شوقي الخالد :

مسرحية مصرع كليوباترا

للأستاذ حسين كامل عزمى

مقدمة :

المشهور أن المسرحية فن غريب على الأدب العربى (١) والنقد الأدبى الحديث منوط به البحث عن سبب هذه الظاهرة؛ وبخاصة إذا عرفنا أن الأدب المسرحى أصيل فى الآداب العالمية؛ فنى أدب اليونان القدماء نجد المسرحية مكتملة العناصر إلى حد كبير حتى إن أسس المسرحية التى وضعها أرسطو فى بحثه فى الفن، كانت — ولا تزال — من عمد الفن المسرحى ...

وتاريخ الفن المسرحى الحديث فى مصر لايزال فى حاجة إلى تاريخ مدون .. ولعل أقرب تاريخ لهذه الحركة الحديثة هو مقدمة مسرحية « أوديب » لتوفيق الحكيم .. ومنها نعلم أن المسرحية الحديثة قد بدأت معتمدة كل الاعتماد على الآثار الفنية للمسرحين: الفرنسى والإنجليزى ... وخاصة آثار القطبين : موليير وشكسبير ...

وإن كان المصريون قد شاركوا فيها متأخرين، فإن مشاركتهم تلك كانت تأثرية لا فنية، كما اعترف الأستاذ الحكيم فى مقدمته السالفة الذكر

بيد أننا نستطيع أن نلمح حركة تسعى نحو التقدم بفضل جهود ركنى المسرح المصرى الحديث من الفنانين الأدباء؛ ونعنى بهما شوقى فى مسرحياته الشعرية، وتوفيق الحكيم فى مسرحياته النثرية . . ملاحظين أن فن الحكيم فى المسرحية أثبت قدما، فمواطن الإجادة عنده نراها متميزة جلية، فى حيوية الشخصيات وفاعلية الحوادث، ونبض الجو بالحياة، والقوة التأثيرية الكامنة فى الحوار ..

كذلك نلاحظ أنه — أى الحكيم — لا يعتمد اعتمادا كليا على التراث التاريخى فى مسرحياته، كما فعل شوقى ...

١ — طبيعة الحوادث :

الفصل الأول — المنظر الأول : يبدأ بنشيد شعبى، المقصود منه شيئان : أولهما التمهيد للحديث عن الحركة الوطنية « بين حابى وديون وزينون »، وثانيهما التلميح إلى وفاء شرميون للملكة ... وإذن فقد وفق فى الإفادة من هذه الحادثة، وبعد ذلك تظهر هيلانة . فيمهد شوقى فى كلمة لامحة من حابى، لعاطفة الحب التى استغلها فى توضيح جانب عاطفى من الملكة، وجانب الوفاء من هيلانة للملكة . . ثم همس زينون لنفسه وتجاذبه أطراف الحديث مع حابى، والتمهيد من هذا للايحاء القوى، الذى أراد شوقى أن يسلطه على الجمهور؛ فهو كالشعرى يحاول أن يضع فى شخصية الملكة شيئا يشبه المغناطيسية الجنسية، أبرز تملق زينون — وهو شيخ — بها ... ثم افتتان حبرا الساحر بفتنتها، حين تغنى بجمالها وتغزل .. بدلا من أن يرجم لها بالغيب ... ناهيك عما صوره من وله أنطونيو بها . . مما لا مزيد عليه؛ ثم عطف أنوبيس بعد ما أبدى بغضه، وشدة إخلاص وصيفاتها، وشاعرها، ومضحكها .. حتى لقد كاد شوقى أن يخلق لنا دراما أخرى فى طيات الدراما الأصلية ليحقق هذا الغرض — غرض وصف إخلاص خدمها لها — ونقصد بها، أى بالدراما الأخرى، انتحار هيلانة، رغم وجود عاطفة بينها وبين حابى .. ولكنه استدرك استدراكا — ليته ما استدركه — فلقد تخبط فيه بعد أن حله بمعجزة . . ! « معجزة حقة هى النجاة التى أعطاها أنوبيس لحابى حتى تنجو هيلانة بعد ذلك .. »

ويكفى هذا المنظر (٢) لنعلم إلى أى حد كان شوقى حريصا

---

(١) يرى الأستاذ توفيق الحكيم أن الجاحظ نوعا من الحوار التمثيلى، يقول : « كنت أقرأ الجاحظ منذ عامين، فألفيت عنده كلاما كالحوار التمثيلى »
من مقال له بعنوان (من أدب الجاحظ) بمجلة الرسالة — السنة الأولى

(٢) آثرنا أن نوجز فى الاستشهاد على طبيعة الحوادث، مقتصرين فى ذلك على المنظر الأول، لما فى حوادث المسرحية من اطراد فى أسلوب السبك، والتوفيق بينها، أى بين الحوادث

على أن تـكون الحادثة التى يوردها مؤدية إلى أهدافه التى يرى إليها ؛ فطبيعة الحوادث كانت منتقاة انتقاء خاصا ، فى شئ كثير من الاصطناع والتمحل ، الأمر الذى يبعد المسرحية عن الجو الواقعى الطبيعى إلى حد كبير . .

زد على هذا الخطأ الذى ارتـكبه فى اعتماده على المعجزة كما قدمنا

ب — طبيعة الحوار :

يتميز الحوار فى مسرحية كليوباترا بقوة فى واقعيته وطبيعة تـكوينه حينا ، وبضعف فى واقعيته وطبيعته حينا آخر . . ومرد هذه الذبذبة بين القوة والضعف شئ واحد ، هو تمكن شوق من ناصية النظم . . .

إذ أنه عنـدما يستهويه معنى من المعانى يخرج عن طبيعة الحوار ، إذ يغريه ذلك بالاسترسال ، فيطيل إطالة غريبة شاذة عن الواقعية فى فاعلية الحوار ، وحركته الجدليـة الطبيعية ، وتجاوبه المألوف . . خذ مثلا حوار أوروس وأنطونيوس ابتداء من ص ٥٨ ، فإن مشاركة أوروس فى الحوار لاتتعدى خمسة أبيات على حين أربت أبيات أنطونيوس على السبـع صفحات . . . لا لشئ إلا لأن شوق يريد أن يفرغ جعبته من الألفاظ الحربية المستمدة من الثقافة العربيـة الصرفة ، غير مبال بخرقه لقواعد المنطق السليم فيما يـكون بين المتحاورين . . على حين أنه — كما قدمنا — كان يمتلك ناصية الحوار حتى ليصل به إلى قوته الواقعية بنفس المـلـكة — ملـكة النظم . . .

فتراه مثلا يدير دفة الحوار فى سرعة ، وتجاوب ، وتفاعل . . فلا تزيد العبارة عن لفظة ، ويكتمل المعنى فى كل ذلك ، ومثلنا على ذلك الشواهد التالية :

يا ابنتى ودى هلمـا زينـــانى للمنيـتـه
فسلانى طيبــــانى بالأفاويه الزكيـه
ألبسانى حلة تعجـــب أنطونيوسنيه
من ثياب كنت فيهـا أتلقـاه صـــبيه
ناولانى التاج تاج الشـمس فى ملك البريه
وانثرا بين يدى عرشى . . الرياحين البهيه

... إنما نرى أن شوق قد ركز شاعريته على الفصل الرابع فهو قد كان يعلم — وهو الشاعر المقتدر الأريب — مبلغ تأثير خواتيم الأحاسيس فى النفوس

لقد كان يعلم أنه — لابريق اللفظ ، ولا رنين الجرس ، ولا تصوير عظمة الملك . . بأدوات كافية لإثارة العطف على البطلة ... وإنما يحدث هذا التأثير تصوير جوانب الضعف الإنسانى

م — لمحات نفسية :

ج — الفنان الذى يقدم للمسرح إنتاجه مطالب من الوجهة النفسية بشيئين :

أولهما : الفهم العميق للحركات النفسية لأبطال مسرحيته ، وثانيهما التنبه لمواد التأثير فى نفوس النظارة ، الذين يتلقون هذه المسرحية بما يتفق والغرض الذى يرى إليه من إثارة نفوسهم ... وبمعنى آخر ، فيما يتصل بموضوعنا . نريد أن نقول إن شوق مطالب — إلى جانب فهمه لشخصيات أبطاله — بأن يوجه أدوات التعبير وجهة تأثيرية قوية ، على من يطمع فى رضائهم عن أبطاله ، بما يحقق هدفه ... وهدف شوقى فى هذه المسرحية ، فيما يبدو ، هو تبرئة ساحة كليوباترا ... فكيف تأتى له ذلك . . ؟

لقد اهتم اهتماما واضحا جليا بمس الجوانب الإنسانية من شخصية البطلة ... جعل لها بريقا . . ثم أطفأه . . وإن « المصائب المنزلية ، والحوادث الاجتماعية لا تدهشنا حقيقة كما تدهشنـا مصائب الملوك ، ومخاطر الأبطال ، وحوادث القصور . . ولـكنها تؤثر فينا كل التأثير ، لاتصالها بنا ، واقترابها منا . . » كما يقول أستاذنا المتمكن الزيات بك فى بحثه الفريد عن الرواية المسرحية فى التاريخ والفن

لقد بث شوق فى تضاعيف شخصية البطلة كل ما يمكن بثه من خصائص الأنثى الجذابة المحبوبة العاطفية ، ثم بالغ فى لمس حياتها الحزينة ، التى تستثير العطف والرثاء . . فقد بدأ الفصل الرابع ، واستلهم أسلوب المفاجأة العاطفى (الرومانس) وأجرى على لسان كليوباترا صرخة المرأة التى سلبت حبيبها ، وتفردت بالألم . . ثم أجرى حديثا بينها وبين وصيفتها ، ليس فيه شئ

٤ - رحلة إلى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

الشيخ يستكرى محلا فى المركب، وشروعه فى السفر إلى مصر بحرا:

« وبت ليلة الجمعة في (قاسم باشا) لدى صديقنا الحاج محمد اليالقجى ، لدعوة سابقة لأجل حضور زواج ابنته ، ثم بت ليلة السبت لديه أيضا لخلوص فى مودته، واستكرينا محلا فى المركب المسافر لديه ، وكانت هاتان الليلتان باجتماعنا بالوالد السيد محمد عقود اللبثين ، وأخبر فى الليلة الأولى أن بعض الناس دخل فى بغاز الأندلس لمدائن لا تحصى ، وعاين فيها غرائب لا تستقصى ، وحدث عما لم يسمع، وفى الكتب لم يودع، وأن رسالة العرائس، وشرح الصلوات البشيشة المسمى بأزوضات المريشة نقلت منها الطائفة الحنابنية نسخا كثيرة ، وكذلك الابتهالية التى مطلعها (يارب بالذات العلية)

« وفى الليلة الثانية كانت المذاكرة فى الكنز الطلسم والاسم الأعظم ، وكنت أسمعته الكتابة التى كتبتها فى الجزء الثانى ، من (شرح الورد السحرى) الربانى على الاسم الكريم فقال لم يبق فى هذه الأسطر القليلة، مايحتاج لذكره إلا ذكرته بعبارة قصيرة غير طويلة ؛ وأسمعته فى ذلك المجلس النبوية المسماة (بجريدة المآرب ، وخريدة كل شارب) فقال لم أر فيما رأيت صلوات أجمع منها فإنك ذكرت فيها الآل والأصحاب، والخلفا الأنجاب ، والمجتهدين الأقطاب، والختم وأعوانه الأنساب

وبت عنده قبل هذه الجمعة ليلتين ، طيبتين ، وحدث فيهما من أخبار الخليفتين ، المهد والمهدى الأنورين والأفخرين . وفى ليلة الاثنين دعانا الحاج مصطفى بن كشيش للعشا عنده صحبة الوالد ، ثم ودعنا الداعى بعد المبايعة »

« وسرنا معه (أى الداعى الحاج مصطفى بن كشيش) وبعض المحبين إلى البحر وبتنا فى المركب بعد الوداع بليلة متسمة، وجاءنا فى الصباح الأخ الفتاح الشيخ ذروق ، والحاج مصطفى الشوق ، والأخ الشيخ عبد الوهاب التميمى الخليلى ، وغيرهم من أحباب ؛ وجاءنى تابع ابن العم المنلا محمد بالقامة الشامية والمغربية السامية ، وطلب الاندراج فى سلك أهل المعراج، فأجبته لطلبته، وأسعفته برغبته»

الشروع فى السفرة البحرية — من الآستانة الى الاسكندرية:

« وسرنا قبيل الظهر من (بشك طاش) إلى (قوم لى)

مما يكون بين السيد والمسود ، فتركها إنسانة مجردة من كل شئ إلا من إنسانيتها ... ثم صور أمى العظيم المهزوم حين تسمع كليوباترا دبيب حارس الأعداء فتقول إنه : (معربد الخطو من نشوة النصر لا تسع الأرض رجليه من كبر)

حتى إذا حادثها الحارس صانعته فى غير كبر الملك ، ثم تلتفت إلى وصيفتيها قائلة :

ياشرميون تملى الدنيا ويا هيلانة اختبرى الزمان القاسى
إن التى حرست بأبطال الوغى باتت تصانع سفلة الحراس

حتى إذا ما جاء حابى صالحته مصالحة الإنسان للانسان ، لا مصالحة الملك لفرد من الرعية ، تقول له :

وفيت لى حابى ولم تكن نقى

ثم تتلطف مع خدمها فتقول للوصيفتين:

يا خادمى ، بل ابنتى ، تلطفا فى البحث حتى تأتيا بإياس

وتقول :

ياويح صحبى بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكون

وتقول:

أنشو .. يعز على أنك ساهم يبدو عليك الهم والتفكير

البقية فى العدد القادم السويس حسين كامل عزمي

والعقل من الفراق طاش، وبتنا في أكنافه وقدحفنا الله بألطافه ، ووجهنا دفة الانكسار إلى ناحية (بغاز حصار) وأقمنا الثلاثاء والأربعا ، وفي الإقامة نرجو السلامة لما الفؤاد وها ، ورحلنا عند يوم الخميس متوجهين إلى مسامتة جزيرة (ساقز) ولم نقف عندها حتى أتينا (أستن كوى) وقاربنا حدها وأقمنا لدى (قره باغ)(١) ثلاثة أيام، وسرنا في اليوم الرابع من خلف (رودس) بسلام ، ودخلنا الإباحة ونحن في بسط وراحة ، وتدارك المولى بالعناية ومن بفضله بالرعاية ، فطوى شقة المشقة الطويلة وجاد بإمداد مآثر جيلة . وكان صديقنا الأمجد السعيد الشيخ خليل أفندي أبوسعيد، مفتي الديار المقدسة حالا، أصلح الله منا ومنه مآلا وحالا، ممن نزل في المركب المذكور، طالبا المنزل المعمور، وصحبته الشاب النجيب الحيم السيد إبراهيم نجل المرحوم الشيخ موسى الفتياني (٢) منح التدانى»

« وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر رجب وصلنا الإسكندرية المحروسة ذات الوهب ، ولما وصلناها وحللنا فناها جاءنا أرباب المكس (الجرك) والنكس، الذين قرب زوالهم دون لبث ومكث، لأنهم أهل حل وعقد ونكث ، وفتشوا الأثواب ورموا البعض على التراب، فتغير الفؤاد، من فعل هؤلاء الأوغاد معنا ومع جملة العباد ، ورجونا الولي الجواد بدفع هذه الأنكاد، عن أمة الهدى والرشاد، وتقريب زمن الإسعاد ، بظهور نور مهد البلاد والأغوار والأنجاد ، بجاه سيدنا محمد سند الأفراد وآله وصحبه الأجواد »

وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير (لجمرك الإسكندرية) قبل الشيخ البكري بخمسة وسبعين سنة !

لعل من الطريف أن نأتي هنا على ذكر ما قاله ابن جبير الرحالة الأندلسي ، عن جرك الإسكندرية ، فنرى أن الحال لم تتغير كثيرا في معاملة الوافدين على ثغر الإسكندرية ، مع اختلاف العهدين :

قال ابن جبير في رحلته طبعة ١٣٢٦ . ص — ٧

«شهر ذي الحجة من السنة المذكورة (٥٧٨ هـ ١١٨٢ م) أوله يوم الأحد ثاني يوم نزولنا بالإسكندرية ، فمن أول ما شاهدنا فيها يوم نزولنا أن طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها ، لتقييد جميع ما جلب فيه ، فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحدا واحدا وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو ناض ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو لم يحل ، وكان أكثرهم متشخصين لأداء الفريضة لم يستصحبوا سوى زاد لطريقهم فلزموا أداء زكاة ذلك دون أن يسأل هل حال عليه حول أم لا ، واستنزل أحمد بن حسان منا ، ليسأل عن أنباء المغرب وسلع المركب ، فطيف به مرقبا على السلطان أولا ثم على القاضي ثم على أهل الديوان ، ثم على جماعة من حاشية السلطان ، وفي كل ، يستفهم ثم يقيد قوله ، فخلى سبيله ، وأمر المسلمون بتنزيل أسبابهم وما فضل من أزودتهم . وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم وبحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان فاستدعوا واحدا واحدا وأحضر ما لكل واحد من الأسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الأسباب ما دق منها وما جل ، واختلط بعضهم ببعض وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثا عما عسى أن يكون فيها ثم استحلفوا بعد ذلك ، هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا ؟ وفي أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الأيدي وتكاثر الزحام، ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزي عظيم ، نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك ، وهذه لا محالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير المعروف بصلاح الدين ، ولو علم بذلك على ما يؤثر عنه من العدل وإيثار الرفق لأزال ذلك ، وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة واستردوا الزكاة على أجمل الوجوه ، وما لقينا ببلاد هذا الرجل ، ما يلم به قبيح لبعض الذكر سوى هذه الأحدوثة التي هي من نتائج عمال الدواوين » . انتهى ابن جبير

(١) ومعناها الكرم الأسود (٢) عائلة مقدسية معروفة

الشيخ البكرى يزور الإسكندرية

ولنرجع الآن إلى الشيخ البكرى فإنه بعد أن قاسى على أيدى أرباب المكس فى الإسكندرية ماقاسى يقول :

« واجتمعنا بالصالح الفالح الذى على الفضائل حاوى، الشيخ مصطفى الشمراوى ، خطيب سيدى عبد الله المغاورى فأنزلنا داراً قريبة من داره ، فقر بها قرارى، وكان رفيقنا السيد إبراهيم الفتيانى هو المعرف والدليل للمنزل الثانى »

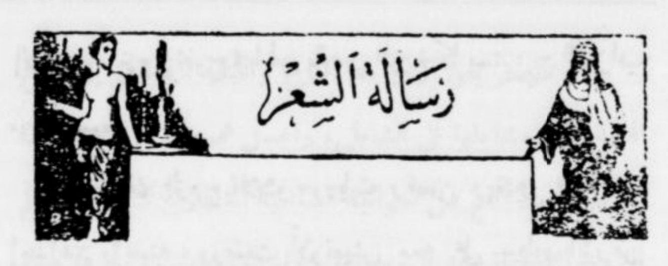
« وفى يوم الثلاثاء ضحوة النهار توجهت إلى زيارة رجالها الأخيار ، فأول من زرته منهم رضى الله تعالى عنهم، جناب سيدى عبد الله المغاورى ، ثم زرت الموازينى ونزلت لدى سيدى محمد شرف الدين الأبوصيرى وصليت لديه ركعتين، وزرت بعده جناب سيدى الإمام أبا العباس أحمد بن عمر الأنصارى ، خليفة الأستاذ الملاذ الولى ، سيدى أبى الحسن على الشاذلى، وزرت ضريحا لصيق ضريحه الطيب المهاب، يقال إن فيه من له إليه انتساب، ثم توجهت على الأقدام لزيارة سيدى ياقوت العرشى ، ثم زرت سيدى مكين الدين الأسمر الأزهر ، الأنور الأبدر الأقمر ، وغيرهم من سادات أعيان

«وفى ضحوة يوم الأربعاء توجهت لزيارة رجال العتيقة فرأيت آثار سورها مهدمة ، كادت أن تكون منعدمة، وترجو لها العمار وتشعشع الأنوار فى تلك الديار ، فإن آية ليل محاسنها محيت بها والدمار ، حتى كأنها لم تسكن فى سالف الأعصار ، وذهبنا إلى جامع العطارين ، وزرنا المصحف العثمانى، وزرنا الشيخ عبدالرزاق الوفائى ، والشيخ على البدوى والشيخ مفرح وأبو غزالة ، والشيخ جابر والشيخ يعقوب والشيخ صفوان والشيخ العجمى ، والصورى والفتيانى ؟ وجامع العطارين الثانى ، وغيرهم من أرباب تدانى وأصحاب تهانى»

فى مدينة رشيد :

« وفى يوم الخميس توجهنا صحبة أصحابنا من كل رئيس نحو (رشيد) التى سما كنها رشيد ، وصلينا الظهر لدى الجبانة، وزرنا الشاطبى رفيع المكانة ، وقطعنا المدية ليلا بعد العتيا والتى ، وسلمنا على تلك المعاهد وبتنا مع مفتينا السابق، الذى للمحامد يسابق ؛ فى الوكالة . وبعد صلاة الصبح توجهنا نحو (رشيد) مستمدين من أهلها السادة أهل المكانة والجلالة ، فى (وكالة الباشا) فى الطبقة العالية مع رفاقنا أهل المراتب الغالية ، وحصل بعض مطر ، منع من زيارة ساداتها أرباب المقام الأعظم ، ثم إنا فى ظهر يوم الاثنين المبارك توجهنا بصحبتهم فى معاش فى السير نتشارك ، ونزلنا إلى زيارة الشيخ محمد أبى العباس البانى مرتبة التدانى على أساس ، وصليت لديه الظهر جامعاً للعصر مقلداً للامام ابن أدريس رفيع القدر منيع النصر ، ثم أهديت بقية رجالها الفواتح كالحلاوى وأبو الريش والعرابى وسكان كوم الأفراح. ولما سامتنا الشيخ أبا منصور قرأنا له الفاتحة ، وما زلنا إلى الساعة الرابعة من الليل باللبان نسير ، إلى أن وصلنا بمعونة الكبير إلى مساواة (محلة الأمير) ولم نم إلا اليسير ، خوفا من طروق سراق ، لهم باع فيه الغير فاق ، وأخبرنا أنهم ربما هجموا على المائش جماعة، لكل شر وضر جماعة ، فتعوذنا بالله من شرورهم ، والتجأنا إليه فى رد كيدهم فى نحورهم ، ووجدنا فى الصباح أقاح برد حادق، برد الفرزان من الغلمان إلى مرتبة البوادق، وكنت وضعت فى البحر المالح ورداً يناسب استعماله فيه وللحلو صالح ، ووسمته (بالجوهرة الثمينة.. فيما يقوله راكب السفينة)

« ومررنا ضحوة النهار على سيدى محمد الهلابى ودفينه والشيخ يوسف المغربى ، وسيدى على الخزرجى ، وسيدى عبد الوهاب أبى مخلوف والشيخ عامر والهيتمى ، فقرأنا لكل منهم الفاتحة وهاج عند الظهر ريح فى وجهنا شديد ، فربطنا لما لم نستطع المشى لدى ملقة نسمها للقر مفيد ، وعند الغروب مررنا لما سكن ذاك الهوا المهبوب ، وما زالوا يجرون اللبان ، إلى أن عمود نصف الليل بان، وربطنا عند صليبة، ورجال لنا بالبر مجيبة ، وبعد بزوغ الشمس ، وكان الهم أبعد منه أمس ، قرأنا الفاتحة لفرد هذه النواحى ، القطب الذى الأمداد بناحى، سيدى إبراهيم الدسوقى ، ورجينا منه الشفاعة بحل قيودى ووثوق ونشر قلوعى ، ووقد شموعى ، وما زلنا بالقلوع نسير، والحق يهون كل عسير ، إلى أن



من ذكريات باريس:

الخطو الناعم..

« حسناء إسبانية التقى بها الشاعر فى باريس فكانت وحى هذا اللحن »

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

حينما تخطرين ينداح ظل عبقرى الرؤى ويشرق فجر
وإذا أنت والطريق ابتهال قدسى وخطوك الحلو شعر

تتندى الظلال أنى تمرين وتخضل فى الربى الفيح زهر
وإذا بالطريق عقد والنو ر على جانبيه عرس وبشر

* * *

خطوك الحلو يا عروس قصيدى هينات الفراش فوق الورود
أو خفوق النسيم فى الأفق الخضل بالنور فى الربيع الوليد
أو رفيف الجناح رف على الروض يحيى بزوغ فجر جديد
حينما تخطرين ينطلق اللحن رخيم الإيقاع حلو النشيد

* * *

خطوك الناعم الرشيق انثيال الطيب من برعم تفتق عطرا
حيثما سرت فالدروب ارتماشات غناء يموج فى الأفق سحرا
خطوات كأنها خطرات الحلم إن راود النواظر فجرا
يرقص الصخر تحتها ويذوب الصمت فيها، وتنطوى الأرض طرا

* *

لا حدود، ولا دقائق إن سرت وليس الوجود إلا صدانا
عدم مطلق متى لفنا الحب نسخنا من الحياة الزمانا
ما الوجود الجميل لولا هوانا غير نار تنفست عن أسانا
أنذوق الهوى ونبقى ظماء ونعب الهوى ونخشى فنانا

* * *

أتمدين بالثوانى لقاء من حياة تعد بالساعات
اتركى المشيب تلك الضلالات ولا تحسبى حسابا لآت
أبدع العقل ما ترين لينجو من لهيب الفراغ والأوقات
ملأ الحب كوننا فنسينا كل شئ سوى جمال الحياة

* * *

نحن فى فجر عمرنا كنسيم الفجر غضا وكالسنا إشراقا
كلحون الربيع غنى بها الطير وكالعطر فى الفضاء انطلاقا
فتعالى نبث فى الأفق الساجى أغاريد حبنا أشواقا
حسبنا فى الوجود أنا عشقنا وأخذنا من الهوى ميثاقا

* * *

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

وصلنا بلدة الشيخ حسن الولى، الحسن، فهاج ريح، وماج البحر الفسيح، ولم يمكنا الذهاب لتراكم السحاب، وطبق الجو بزائد النو، وسحت الأمطار مصحوبة بألطاف الستار، ولما أذن مؤذن الصباح بحيعل حيعل الفلاح، سرنا إلى أن سامتنا (دسوق) ذات اللامع والبروق، والطلوع والشروق، ثم لما مررنا على (مرفض) التى يحق لها أن ترقص طرباً بحلول أبى الجد فيها قدس الله سره، فقرأنا له الفاتحة، وعندما جئنا محلة أبى على زرنا على البعد كل من حل بها من ولى، وهى على ما قيل ثلث الطريق، فقلنا عسى أن يسعف الولى بالربح المريح من التعويق، وقرأنا بالخصوص الفاتحة لابن الشرنى، وما زلنا نسير بمعونة السميع البصير، وكنا جزنا على قبة علم كبير، قرأنا له الفاتحة، وجونا كامل البشير، فقلت:

ألا يا ظاهرين بقطر مصر أغيثونى وزيحوا غم حصرى

« ثم إنا ربطنا لدى الشط، ووارد الأكدار شط، وسرنا غب الغروب، ليلا مع معاشات كثيرة لها للسير هبوب، إلى أن وصلنا قرية «شابور» وبتنا بها فى سرور، ورأينا فيها هلال شعبان المبارك

للكلام بقية سامح الخالدى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الشوق إلى المتاعب :

ما زلت أذكر مسرحية « حورية من المريخ » التي قدمتها من نحو شهرين فرقة المسرح المصري الحديث ، تلك المسرحية التي تقوم فكرتها على أن الإنسان يضيق بما يجرى حوله على هذه الأرض وما يحدث له من متاعب في حياته ويود لو خلص منها ، فإذا أتيح له الخلاص مما يقلقه ويشقيه ، إلى حياة ناعمة صافية لا يجد فيها من يشغب عليه ويدا كسه ، ضاق بها وشقى بهذه « السعادة » التي تحرمه ما جبل عليه من حب الشغب والميل إلى خلط الصفو بالكدر

شاهدنا في المسرحية الزوج الذي يتبرم بزوجه لما تأتيه من تصرفات حمقاء وما يعانيه من شقاق بينهما الدائم ، ثم يرى فيما يرى النائم حوريات من المريخ . . ولا بد أن تعجب من منافسة المريخ للجنة ! ولا أحب أن أدعك في هذا العجب فأفسر لك السبب قبل أن أمضي في الحديث :

عرضت المسرحية — وكان اسمها « حورية من الجنة » — على الرقيب بوزارة الداخلية ليجيز تمثيلها ، فاستأني حتى طالت لحيته . . ولبس عمامة كبيرة . . ثم أفتى — نجانا الله من فقهه . آمين — بأن الحورية لا يجوز أن تهبط من الجنة إلى المسرح ولا حرج أن تهبط من المريخ ، وإن لم توجد في المريخ حوريات فيجوز أن تنتقل من الجنة أولا إلى المريخ ، ثم تسافر منه إلى مسرح حديقة الأزبكية الصيفي . . فلم يسع الأستاذ زكي طليمات إلا أن يرضخ و « يخرج » الحورية من المريخ كما يستخرج الشراب من الفسيخ . .

رأى ذلك الزوج ثلاث حوريات يرقصن ويغنين ، فأحب إحداهن وأحبته ، ورضيت أن تعيش معه على سطح الأرض زوجة وفية مخلصة ، وجرت الأمور بينهما كما تجرى في . . . المريخ ! فلا مخالفة ولا شقاق ، بل طاعة عمياء وصفو خالص ، ولكن يظهر أن في الإنسان غريزة لم يكشفها علماء النفس بعد ، هي غريزة المشاغبة التي تدفعه إلى الهرب من الاستقرار والراحة والدعة ليطلب المتاعب و (المناكفات) فاشتاق الرجل إلى زوجته الأولى وإلى مشاغباتها اللذيذة الممتعة ، حتى قيض له ما أراد ، واستيقظ من النوم ليجد زوجته الأرضية عائدة من السينما . . .

ذكرت تلك المسرحية الممتعة وحوادثها الشائقة ، وأنا في هذا المصيف الهادئ النائي الذي يكاد يشبه المريخ في الخلو من الحوريات . . والذي لجأت إليه من نحو شهر هربا من متاعب القاهرة وحرها وزحامها وخلوها من البطيخ (الشلين بلاك) وقد أخذت هذا المصيف القطري لأكون بعيدا عن زحمة المدن ومثيرات الأعصاب فيها ، وآثرت أن أخلد إلى السكون والراحة التامة ، ورجوت صديقي الشاعر ، وهو يصطاف قريبا مني أن يجنبني سماع ما يقرض .

وتم لي ذلك وشملني السكون وتلقاني البحر ، يدعوني إليه أحيانا فيبل ما جف من أعصابي ، ثم لا يلبث أن يضجر مني فيقذفني إلى رمال الشاطئ فأرتمي عليها وأشكو إليها ضيق وجراح نفسي . . .

ثم وجدتني أهرع إلى صديقي الشاعر لأسمع منه ، وآخذ مع الرفاق في حديث الأدب والفن ؛ بل أجرهم إليه وأحملهم عليه

وأنظر حولي فلا أبصر إلا الماء والرمل والسماء ، واشوقا إلى القاهرة وإلى الاضطراب في أنحائها والاختلاف إلى ما جريت على الاختلاف إليه فيها ، بل إلى صخبها وضجيجها وزحامها

كان البحر يقول لى: هنا الروح والدعة، فتعالى إلى ودع الدنيا وألق مشاغلها على الشاطىء واغسل همومك بين أحضانى ثم صوت أسمع من أمواجه الصاخبة المتحاربة دائما: أن هلم إلى معترك الحياة وعد إلى معامعها، فالسكون موت والحركة حياة وما أزال مصغيا إليه، أستمع ولا أقتنع، انتظاراً للعاقبة التى أقتدر بها على تمام الاقتناع.

ابن حمديس

تلقيت من الصديق الكريم الذى لم أتشرف بلقائه بعد، الأستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصرى، رسالة مطولة ناقش فيها رأيا للاستاذ عباس محمود العقاد فى «ابن حمديس» الشاعر الصقلى، والرسالة هى كما يلى بعد شىء من الاختصار وحذف التحيات التى يستحق الأخ أحسن منها:

أنا لا أنكر أن الأستاذ العقاد ذهن جبار متوقد، بل هو أكثر أدباء الشرق ثقافة، فهو أديب وشاعر وخطيب وسياسى وناقد ومترجم، وإن كان شعره لايبلغ منزلة نثره، ولكنى قرأت له قبل أيام رأيا استغربت أن يصدر من رجل مثله له مكانته فى عالم النقد، وهذا الرأى منشور فى الصفحة (٩٣) من كتابه «خلاصة اليومية» ولم أكن قد اطلعت عليه قبل الآن، يقول عن ابن حمديس: شاعر صدت عنه الشهرة بعد أن أقبلت عليه، وطواه الخمول بعد أن طبق ذكره الآفاق، ولكن هذا الشاعر المجهول قد زاد بديوانه على ثروة اللغة العربية ذخيرة أضاعها التفريط؛ وأودع من المعانى مالم يضمنها إياها شاعر عربى آخر. ولقد كان ينبغى أن لا نذكر المتنبى وابن أبى حفصة وابن هانئ وغير هؤلاء من محترفى الشعر – كان ينبغى أن لا نذكرهم مرة إلا ذكرنا ابن حمديس مرارا؛ هذا الذى لا يذكره قراء العربية إلا كما يذكرون شعراء الغرب والصين، ولولا (ابن) قبل حمديس لما درى أكثرنا إن كان اسم رجل أو اسم مكان؛ ثم يسترسل العقاد حتى يقول:

وما ألطف قوله

تطيب أفواههن الحديث ... بحمر الشفاه وبيض الثغور
كما مر بالورد والأقحوان ... نسيم مشوب بريا العبير

ألا يترشف من بيتيه هذين رضاب الحسان، وتتنسم ريح الورد والأقحوان؟

وما أغزر دموع هذين البيتين:

ويا ريح إما مربت الحيا ... ورويت منه الربوع الظماء
فسوقى إلى جهام السحاب ... لأملأهن من الدمع ماء

وهل قال «شلى» فى قصيدته «القنبرة» أحدث من هذا

أصبا هبت بريحان الصبا ... أو شمال أسكرتنى بالشمول
حيث غنتنى شوادى روضة ... مطربات بخفيف وثقيل
فى أعاريض قصار خفيت ... دقة فى الوزن عن فهم الخليل
ولحون حار فيها معبد ... وله علم بموسيقى الهديل
والدجى يرنو إلى صاحبه ... بعيون من نجوم الجو حول

وأين بيتا صبرى وشوقى فى تنزيه صاحبتيهما عن هذا البيت:

لا تنكرى أنك حورية ... روائح الجنة نمت عليك

وإلى هنا يختتم الأستاذ العقاد كلمته عن هذا الشاعر، ونراه يوازن بين ابن حمديس وباقى الشعراء فيجعله فى مصاف المتنبى والبحترى وابن هانئ! فى أى ميزان من موازين النقد يوضع ابن حمديس مع المتنبى والبحترى؟ ويقول العقاد إن ابن حمديس أودع اللغة العربية من المعانى ما لم يضمنها إياها شاعر آخر! إذن أين مكان ابن الرومى وأبى تمام وأبى نواس وبشار بن برد وابن المعتز؟ وما هى الثروة التى أضافها ابن حمديس وشعره لا يتعدى التقليد لشعراء بنى العباس وبنى أمية؟ وكيف يتهم الأستاذ العقاد أدباء العربية بجهل ابن حمديس؟!

أما قوله عن بيتى ابن حمديس «تطيب أفواههن ... الخ» فأحيله إلى الأستاذ العقاد وأقول له إننى لم أترشف منه رضاب الحسان، ولا أتنسم ريح الورد، وعندى أن أبيات بشار فى

وصف أحاديث الحسان خير بكثير من هذين البيتين ، وكذلك أبيات ابن الرومي وبعض ما قال عمر بن أبي ربيعة ، ولا شك أن الأستاذ العقاد مطلع أكثر من غيره على كل ما ذكرت

والعقاد بعد هذا أكثر أدباء العرب فهما للأدب الإنجليزي فكيف يقول إن أبيات ابن حمديس اللامية خير من قصيدة « شلي » في وصف القبرة ؟ وهذه القصيدة لا تعد فذة في الأدب الإنجليزي فقط بل في الأدب العالمي الغنائي ، ومن شاء فليرجع إلى نصها الإنجليزي أو ليقرأها مترجمة إلى العربية ، وخير ترجمة لها ترجمة المرحوم علي محمود طه وهي منشورة بكاملها في كتابه « أرواح شاردة » فهل توافقني أيها الصديق على أن قصيدة ابن حمديس التي ذكرها العقاد لا تقاس بقبرة شلي إلا كما يقاس الصدف بالدر ؟

ويقارن الأستاذ العقاد بيت ابن حمديس :

لا تنكري أنك حورية روائح الجنة نمت عليك

ببيتي صبري وشوقي ، ويقصد بيت صبري (إسماعيل صبري باشا) :

أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماء

وبيت شوقي :

صوني جمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني

أما أنا فأقول إن بيت شوقي أحسن الأبيات وأحفلها وأقواها ديباجة وأملؤها للنفس . ولولا « روائح الجنة » التي اقتبسها من أبي العتاهية لما بقي للبيت أي جمال . وأترك لك يا صاحب الأدب والفن في أسبوع المقارنة بين الأبيات الثلاثة

فهذا الشاعر الذي أعجب به العقاد لو درسه الأدباء دراسة استقصاء وبحث لعلموا أن الأستاذ العقاد لم ينصف المتنبي وابن هانئ عند ما قرنه بهما . هذا هو رأيي. وأقول أكثر من ذلك إنه لولا بعض القطع التي تحفل بالصور الشعرية في شعر ابن حمديس لما استحق الذكر ، فهل أقرأ رأيك في هذا الذي ذكره الأستاذ العقاد قريبا ؟ ودم لأخيك :

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

أجل يا صديق . سأدلي برأيي ، لا فيما قال به أديبنا الكبير فحسب ، بل كذلك فيما ارتأيته أنت ، وسأخالفك في بعضه ، وقد خالفتك من قبل في بيت للدكتور إبراهيم ناجي ، وأكبر الظن أنك أوسعت صدرك لتلك المخالفة ، وأكبر الظن أيضا — كما يعبر عميدنا الدكتور طه حسين باشا — أنك موسع صدرك للمرة الثانية في هذه المخالفة الجديدة

أصدر العقاد كتاب « خلاصة اليومية » من نحو ثلاثين سنة ، ولعله أول كتاب ظهر له . وقد درس بعد ذلك ابن الرومي وابن أبي ربيعة وابن برد وغيرهم من شعراء العربية دراسة دقيقة مستقصية ، ولابد أن قد تبين له من تلك الدراسات أن ما أودعه ابن حمديس اللغة العربية من المعاني لا يعد شيئا بجانب ما ضمنه إياها شاعر كابن الرومي مثلا

وقد كان ابن حمديس مجهولا حقا في ذلك الوقت ، وقد التفت إليه الأدباء بعد ذلك ، وإن كانت هذه التفاتات يسيرة ، وأذكر أننا سمعنا محاضرة قيمة عن هذا الشاعر الرقيق من الأستاذ السباعي بيومي بك ، ألقاها سنة ١٩٤٣ في ناد بالخرطوم ، وكنت هناك في ذلك الوقت

وديوان ابن حمديس غير متداول في مصر ، ولم أر له غير نسخة واحدة بدار الكتب المصرية ، طبعها ونشرها أحد المستشرقين . ولابن حمديس بيت سائر معجب هو :

أراه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وهذا يدل على أن الشاعر أصبح معروفا ، وإن لم ينل بعد حقه من التعريف به ودراسته ونشر شعره

وأنا أوافقك يا صديق على أن ابن حمديس لا يبلغ شأو من ذكرت من الشعراء ، عدا ابن هانئ الأندلسي على رغم ما يقولونه من أنه « متنبي الغرب » ولا أتحرج من المصارحة بأني لا أجد مصداق كل ما يقولون في شعراء الغرب العربي وفي أشعارهم . ولا أرى العربية ظفرت في عصورها المختلفة بأمتع وأبدع من شعر شعراء بغداد في عهد بني العباس ، وليقل من

يشاء فى جمال الطبيعة وتأثير البيئة الطبيعية ما يقول

ولكنى مع ذلك لا أرى ابن حمديس فى المكان الذى نزلت به إليه ، وأراك قد حملت على أبياته حملة غير منصفة . وقد قرأت وصف بشار وابن الرومى لأحاديث الحسان فى أبيات جميلة لست أذكر نصها ، وليس لدى من الكتب فى مصيفى النائى ما أرجع إليه من أجلها ، ولكن هذا لا يغض من جمال بيتى ابن حمديس . أما ابن أبى ربيعة فلست أعلم عنه إلا حكايته لأحاديث النساء ، وهى شئ آخر غير وصف أحاديثهن . ويشبه معنى ابن حمديس بيت للمرحوم مصطفى صادق الرافعى هو :

إذا سألوها لجلجت فكأنما
عرا اللفظ — لما مر من فمها — سكر

وتصوير الرافعى للفظ المترنح بديع

ولست أدرى يا أخى لماذا لا يعجبك قول ابن حمديس :

لا تنكرى أنك حورية روائح الجنة عت عليك

وكيف تفضل عليه بيت شوقى ؟ حقاً إن بيت أمير الشعراء أقوى ديباجة ، ولكن انظر إليه وهو يأمرها أن تبتعد عنه وهو أمر لا يستساغ مهما كانت الأسباب . وخاطر شوقى ذهنى جاف لا يندبه ماء الشعور . أما « روائح الجنة » فهى تدل على ماوراءها من حس مرهف . وإنك نتظلم الشاعر إذ تسلبه فضل هذا التعبير لأن أبا العتاهية سبقه إلى الكلمة فى قوله :

إن الشباب حجة التصابى
روائح الجنة فى الشباب

فإن استعمال كل منهما « روائح الجنة » غير استعمال الآخر وليس هناك أية صلة بين المعنيين .

والحمد لله على أن أهملت بيت صبرى فى المقارنة بين الأبيات الثلاثة .. وإنى لعلى يقين أن التى يصفها لم تدع أن حسنها من ماء وطين .. حتى يقف منها موقف المفند لدعواها !

وقد استحسن مؤلف « خلاصة اليومية » مخاطبة ابن حمديس الريح لتسوق إليه السحب الخالية من المطر ليملأها من دممه لأنها تدل على غزارة دممه . وهى مبالغة ليس وراءها شئ إلا إذا كانت العبرة بالكمية !

أما المقارنة بين أبيات ابن حمديس اللامية وبين قصيدة شلى فى القبرة فليس لدى الآن فى المصيف ما أرجع إليه من أجل هذه القصيدة ، وقد أجد فى أمرها مايدعو إلى تناولها بعد العودة إلى القاهرة إن شاء الله .

مصيف بلطيم **عباس خضر**



الاسلام المفترى عليه

تأليف الأستاذ محمد الغزالي

للأستاذ محمد رجب البيومي

الإسلام فى حاجة ماسة إلى الدفاع عنه ، فقد نسجت حوله المفتريات من أعدائه ، وأظهره المغرضون فى صورة لا تتفق مع إنصافه ورحمته ، بينما نشط أصحاب المذاهب الإلحادية فى ترويجها وإظهارها فى معرض براق أخاذ ، فاتجهت إليها الأنظار ، ووقف الإسلام صامتا لا يجد من يفصح عن مبادئه ومثله ، حتى قيض الله له أقلاما تنصره ، وتعلن كلمته ، وفى طليعتها قلم الأستاذ محمد الغزالى الذى يحارب به جوار الأستاذ سيد قطب فى معركة الحق والإصلاح !

وكتاب « الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين » حلقة من تلك السلسلة التى يوالى الأستاذ الغزالى إصدارها منذ سنوات دفاعا عن دينه وعقيدته ، ولكل كتاب ناجح فكرة تدور عليها صفحاته ، وتنطق بها أبوابه ، وقد جاءت فكرة هذا الكتاب واضحة صريحة تعلن عن نفسها فى كل سطر من سطوره ، فالمؤلف ينظر إلى المذاهب الاقتصادية المعاصرة نظرة دارسة ، ثم يقرنها بالمذهب الإسلامى الذى نطق به القرآن وطبقه الرسول وصحابته ، وقد انتهى من ذلك إلى أن الإسلام ينظر إلى الرأسمالية والشيوعية معا نظرة عداء واحتقار ، فهو لا يعترف بقوانينها المتداولة ، بل يقيم مذهبه العادل على أساس من الإخاء والمساواة

وقد ناقش الأستاذ الغزالى الرأسمالية مناقشة منصفة تستمد عناصرها من الواقع الملموس ، كما اقتحم على الشيوعية معاقلها معقلا معقلا ، وقد أسهب فى مناقشة الأولى إسهابا يتطلبه الوضع الحاضر للمجتمع الإسلامى ، ويعلل ذلك بأنها تقيم بين ظهرانينا داخل الحدود فهى أولى بالمحاربة من الشيوعية التى لم تقتحم بعد علينا السبيل ، وذلك لم يحل دون منازلتها هى الثانية والتجهيز عليها بسيف الإسلام

ومحاربة الرأسمالية الحاضرة تتطلب إيمانا صادقا ، وعقلا راجحا ، والمؤلف بحمد الله منهما على أتم نصيب ، وقد سلك فى نزاله الطريق المنطقى الذى يستعصم بالحجة والبرهان ، ويمهد للنتائج بمقدمات صحيحة مقبولة ، فهو أولا يفصح عن معنى الرأسمالية ويبين جنايتها على الشرق الإسلامى فى شتى حواضره ، وقد أحال إليها ما يفشو لدى السواد الأعظم من تأخر وانحطاط ، وما يقع على الكواهل الكادحة من عنت وإرهاق ، وكانت فى نظره المنبع الأول الذى تفجرت منه روافد الجهل والفقر والمرض ، ولم يفته بعد أن أوضح اعتداءها المادى الصارخ ، أن يلفت النظر إلى أضرارها المعنوية العريقة ، وقد اختار لها أبوابا بارزة فى كتابه فتحدث عن الشلل العقلى الذى يطمس أفهام الموزين فيدورون وراء سادتهم كالآلة فى الصنع ، لا يناقشونهم الرأى أو يقاسمونهم الربح ، كما يهبط بنفوسهم إلى مستوى العبيد ، فهم كما قال المؤلف يهدأون ويتحركون مرضاة لأشخاص يعملون لهم ويعيشون فى دائرتهم ، وتكون أصواتهم النيابية لهم فى النهاية دون كفاءة واستحقاق

وقد عجب الأستاذ الغزالى لبقاء هذا الوضع الظالم قرونا متوالية وتساءل عن أسلحة الرأسمالية التى مهدت لها البقاء فى هذا الجو النهم الفاجع ، وكم كان أليما أن يكون الدين المستغل المشوه أفتك أسلحتها فى هذا المضمار ، فالدعوة إلى الزهد الصوفى ، وتحوير النصوص الصريحة ، وذم الدنيا فى بعض الأحاديث النبوية ، كل أولئك كان مادة وافرة للمحترفين من رجال الدين ، فطفقوا يخدمون الرأسمالية عن قصد وغير قصد بما شوه محاسن الإسلام وجلب عليه النوائب من كل باب !! وهو فى هذه المعركة برئ شهيد

وقد أردف المؤلف تشخيصه الصادق لعلاج ناجع يستمد أصوله من الدين الحنيف ، وقد عرض نماذج مختلفة من نصوص القرآن ، وأحاديث الرسول ، ومواقف الصحابة والخلفاء

الراشدين ، لتكون دعامة ثابتة فى إقامة مجتمع نظيف يدين بالإخاء والمساواة ، وكانت أعمال محمد وعلى وأبى بكر وعمر وأبى ذر عمادا يرتكز عليه الإصلاح المنشود ، هذا إلى القواعد الأصولية المقررة فى الفقه الإسلامى ، كسد الذرائع ، ورفع الضرر ومنع الحرج وتقييد المباحات ، وكان موفقا كل التوفيق فى قوله « واستنباط حكم ما من أحكام الإسلام ، ليس سبيله أن نعثر على نص من النصوص ، فنطير به ونبنى عليه القصور ، كلا ! فلابد أن نرجع إلى جميع النصوص الواردة فى موضوعه ، وأن نفهم روح الإسلام العامة التى يصدر عنها قوانينه ، ثم لنا بعدئذ أن نقارن وأن نرجح عند تعارض الأدلة ما ينقدح فى آذاننا ترجيحه » وهو بذلك يسد السبيل على من يعثرون على نص غير متواتر ، أو أثر منسوخ ثم يبنون عليه من الفتاوى الزائفة ما يشوه محاسن الإسلام ويهوى به من القمة إلى الحضيض

وقد دار فى ذهن المؤلف ما ستقابل به آراؤه الصريحة لدى المغرضين من افتيات وإجحاف ، وأيقن أنها ستنسب إلى الشيوعية الحمراء كما جرت العادة فى الشرق المستضعف ، فكر على الشيوعية الإلحادية ، ونازلها بسلاح المنطق والدين ، وهو فى كتابه يندد بتعصب الشيوعية لآرائها تعصبا لا يستمع معه إلى الحجة الصادقة ، والدفاع البرئ ، كما ينقم منها هجومها الآثم على ما قدسه الدين من مثل وأفكار ، بل هجومها على الدين نفسه وما يشيع فى مباحاته من روحانية وإيمان. وقد فضح الرأسماليين فضيحة قاصمة حين أعلن أنهم يفرون من الشيوعية فرارا سريعا لا لإلحادها المنيف — كما يفر المؤمنون الصادقون — بل خشية منها على أموالهم المحتكرة ، وأوضاعهم المغلة « ولو كانت الشيوعية هدما للآداب والأعراض فقط لتقبلها هؤلاء ، بل لوجدوا فيها متنفسهم العميق ، أما وهى هدم لما يملك ويقتنى ، فيجب أن تحارب باسم الدين ! ! فإن حدث أن ناقشهم الدين الحساب ، وسألهم كيف ملكتم ؟ وأين حق الله وحق الناس فيما أخذتم ؟ فالويل كذلك للدين والعاملين عليه ! إنهم إذن شر من الشيوعيين مكانا وأسوأ قيلا »

وفى الكتاب — فوق هذا — آراء صريحة لأعلام الشريعة الإسلامية كابن حزم وأبى حامد الغزالى ومحيى الدين النووى وغيرهم من أئمة السلف تبين رأى الشريعة فى الاشتراكية الإسلامية ، والإرث الشرعى ، ومدى الملكية الفردية ، وللقارئ أن يوازنها بما تورط فيه الشيخ محمد حسنين مخلوف من آراء يقابلها المخلصون بالحسرة والإشفاق ! ! وقد أماط الأستاذ الغزالى عنها اللثام ، كما قطع السبيل على كل محاولة يراد بها تخدير الشعوب باسم الدين ، وتسخيرها لمطامع الاستعباد ! !

لقد فهم الأستاذ محمد الغزالى الفقه الإسلامى ، وأدرك أصوله ومنازعه إدراكا عده الذكاء الناقد والنقد البصير ، كما ألم بمشكلات عصره ، وعلل مجتمعه ، وأخذ يستلهم السماء فى إصلاح الأرض ، ويضمد بالوحى الإلهى والهدى النبوى جراح الأمة الناغرة ، فكثر قراؤه ، وتشعب إنتاجه ، وتعددت طبعات مؤلفاته ، كما ترجم بعضها إلى لغة يهتم قراؤها بالإسلام والمسلمين ، وفى هذا دليل على أن الحق لن يعدم أنصاره فى كل مكان ؛ بل يزحف إلى غايته النبيلة ساخراً بما يعترضه من الحواجز والسدود

الكفر الجديد **محمد رجب البيومي**



١ – الشعر لأبي تمام :

جاء في الصفحة الثالثة من ديوان البحتري المطبوع في مصر سنة ١٩١١ م بتصحيح عبد الرحمن البرقوقي أن البيتين التاليين

يخفي الزجاجة لونها فكأنها ... في الكف قائمة بغير إناء

ولها نسيم كالرياض تنفست ... في أوجه الأرواح والأنداء

إنهما للبحتري من قصيدته التي يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف التي مطلعها

زعم الغراب منبئ الأنباء ... أن الأحبة آذنوا بتناء

والذي أجزم على صحته أن البيتين الآنفي الذكر لأبي تمام وهما من قصيدته الخمرية ذات المطلع الرائع

قدك اتئب أربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتمو سجرائي

التي يتخلص منها إلى مدح يحيى بن ثابت كما هو المعروف في كتب الأدب وفي جميع طبعات ديوانه ، وأنها أقرب إلى نفس أبي تمام من البحتري

٢ – خطأ شائع :

أصدرت سلسلة اقرأ كتابها الأخير وهو ملامح من المجتمع العربي للأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن ، وهو كتاب جدير بالإعجاب والاقتناء لما حوى من طرائف وأخبار لا يتاح جمعها إلا لبحاثة مطلع ، إلا أنني وجدت الأستاذ المؤلف استعمل كلمة « الشحاذة » بمعنى « الاستجداء » في أكثر من موضع كما جاء في الصفحة (١٢) « ما عرف مجتمعنا العربي على مختلف العصور صورة الشحاذة وحرف الاستجداء والسؤال » و « كان للشحاذين منذ القرن الأول الإسلامي وسائلهم في اجتلاب شفقة المحسنين » اه .. وهكذا في أكثر من موضع عند صدد الكلام عن « المجتمع العربي وطبقاته وأغنياء وفقراء » من ص ١٢ إلى ١٧ – والذي أعلمه أن هذه اللفظة غير عربية ولا تعطي هذا المعنى الذي يريده الكاتب البارع ، ولو استعمل بدلا عنها لفظة استجدى أو سأل، أو استعطى أو غيرها لكان أبلغ في مقاله ، فقد جاء في لسان العرب ص ٢٧ الجزء الخامس مادة « شحذ » ما يلي : الشحذ : التحديد، وشحذ السكين والسيف ونحوهما يشحذ شحذا أحده بالمسن وغيره مما يخرج حده فهو شحيذ ومشحوذ كقولهم : « يشحذ لحيته بناب أعصل » والمشحذ المسن . وفي الحديث . « هلمي المدية واشحذيها » ورجل شحوذ حديد نزق ، وشحذ الجوع معدته : ضرمها وقواها على الطعام وأحدها ، وشحذه بعينيه أحدها إليه ورماه بها . وكذلك ذرقته وحدجته وشحذته أي سقته سوقا . قال أبو نخيلة :

قلت لإبليس وهامان خذا ... سوقا بني الجمراء سوقا مشحذا

واكنفاهم من كذا ومن كذا ... تكنف الريح الجهام الرذذا

ومر يشحذهم أي يطردهم وفلان مشحوذ عليه أي مغضوب عليه ، ورجل شحذان سواق قال الأخطل:

خيال لأروى والرباب ومن يكن ... له عند أروى والرباب تبول

يبت وهو مشحوذ عليه ولا يرى ... إلى بيضتي وكر الأنوف سبيل

أي مغضوب عليه ، وقال ابن شميل الشحاذ الأرض المستوية فيها حصى . وقال غيره الأكمة القزواء التي ليست بضرسة الحجارة . وقال أبو زيد شحذت السماء تشحذ شحذا ، وحليت حليا وهي فوق البغشة »

٣ – زحاف :

في قصيدة الأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو « أول موعد » المنشورة في العدد « ٩٤٠ » من الرسالة الزاهرة بيت زاحف

واها لأزهاري التي ... قطفتهن لتفرحي

والقصيدة ذات القوافي العديدة وهي من مجزوء الكامل إلا البيت المذكور لا يستقيم وزن عجزه « قطفتهن لتفرحي » إلا بزيادة حرف كالواو أو الفاء .

٤ – الشعر لعباس بن مرداس :

نسب الأستاذ الجليل محمد عطية الإبراشي في الصفحة ١١٧

من كتابه (القيم الشخصية) الطبعة الخامسة الأبيات التالية إلى كثير عزة فى صدد الكلام عن « التواضع وعدم التصنع »

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد هصور
بغاث الطير أطولها رقابا ولم تطل البزاة ولا الصقور

الخ والصواب أنها لعباس بن مرداس

٥ - استعمال خاطئ، وشعر غير مستقيم :

« فى العدد ٩٩١ » من جريدة الهاتف البغدادية قصيدة للأديب مصطفى جمال الدين بعنوان « فى ضفاف الفرات » جاء منها

وسـق الجداول من عبير شرابه
كأسا - يطوف بها الحباب - شمولا

ولا تأتى الشمول صفة للكأس ؛ لأن الشمول اسم من أسماء الخمر .. ولا يقال كأس شمول بل كأس دهاق وروية وغيرها من الصفات

وفى العدد نفسه قصيدة أخرى للأديب بشير حسن القطان بعنوان « أوهام » منها الأبيات التالية وهى موشحة مختلفة الأوزان

وعلى الحفيف ، وعويل أعصار الخريف

ولا يستقيم وزن هذا البيت إلا برفع واو العطف على هذه الصورة

وعلى الحفيف ، عويل أعصار الخريف

وهذا البيت :

فأجابنى صوت بعيد أن المطامع لن تعود

ولا يستقيم وزنه إلا بتسكين كلة « بعيد » وتسكين تعود بعد لن خطأ نحوى فظيع . ولست أدرى كيف غربت هذه الأخطاء عن بال الأستاذ جعفر الخليلى صاحب الهاتف الأغر ؟!

٦ - الشعر لأبى نواس :

فى الصفحة ٩٩ إلى ١٠٣ من كتاب سحر البلاغة للمرحوم السيد محمد توفيق البكرى الذى جمعه السيد عثمان شاكر من كتبه ، صهاريج اللؤلؤ وفحول البلاغة ، وأراجيز العرب .. أن جميع المختارات فى تلك الصفحات هى من شعر ابن هانئ الأندلسى وأ كثرها خمرية والأصوب أنها للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس ؛ وخصوصا وجميع هذه المختارات فى الخمر كقصائده المنشورة فى هذا الكتاب

أيها اللائمان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما

أو قوله :

كأن بقايا ما عفا من حبابها تفاريق شيب فى سواد عذار

الخ . ولا إخال هذه النسبة إلى ابن هانئ الأندلسى إلا من تصرف الجامع لا المرحوم البكرى نفسه

بغداد - أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصرى

شوقية أخرى لم تفسر :

قرأت فى العدد ٩٣٩ من الرسالة مقالا تحت هذا العنوان للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى . جاء فيه ، فى قصيدة شوقى رحمه الله :

العبقرية غـير مالكه إذا مشى غيره لصا وجنانا

وقد علق على كلة (غير) بقوله : أظنها محرفة

وعندى أن كلتى : غير مالكه ، محرفتان معا . عن : عين مالكة . أى ذات رسالة إلهية . . أو : خير مالكة .. أى خير رسالة إلهية .. أى فى هذا الفن .. وذلك لأن المألكة : الرسالة . وأراد بها هنا الرسالة الإلهية . . وبؤيد فهمى هذا معنى الشطر الأخير . . فالمعنى أنه مطبوع على الفن لم يقلد غيره ، ولم يسط على فن سواه .. ولذلك قال مؤيد هذا المعنى :

لا تسأل الله فنا كل آونة واسأله فى فترات الدهر فنانا

القاهرة محمد أحمد رضوان

كلما :

. . (كلما كان جمهور الفنان عديدا كلما كان لرسالته فى الحياة قيمة) . . هذه العبارة وردت فى مقال (أدبنا القومى)



الفانية !.

للأستاذ كمال رستم

« مهداة إلى سعادة الأستاذ محمد كامل البهنساوى بك صاحب الأقاصيص المأثورة »

.. يحيط الطبيب فى حياته العملية أكثر من أى إنسان آخر بالطبيعة البشرية ، فهو يلم بأحاسيس مرضه وانفعالاته.. ويراه وهو يتجرد من الثياب فى حالة أشبه بحالة الرجل البدائى .. لا زيف فى الشعور .. ولا ادعاء .. ولا دهاء . وهو يلاحظ مرضاه وكيف يتصرفون عند الشدائد وعند استهدافهم للموت .. ويرقب سلوكهم إبان المرض . وفى أعقاب الشفاء . وهو فى ذلك كله يقابله الكثير من القصص المثيرة .. ولا جرم أن أشد ما يحز فى نفسه أن يقف عاجزاً مكتوف اليدين من إنقاذ روح بها أو مطامنة ألم . وليس من يدرك مشاعر الطبيب فى مثل هذه الظروف القاسية إلا المشتغلون بهذه المهنة . ولعل من أكبر المشاهد التى أثرت فى نفسى فى الأيام الأخيرة ، مشهد الدموع التى رأيتها تلتمع فى عينى إحدى مريضاتى وهى تقول لى :

— إذن !

هـذه الدموع التى طفرت من عينيها وتحدرت فى خطين دقيقين على وجنتيها ، لا زلت أجتليها مثلما اجتليتها لحظة هطولها ! ولا زلت أذكر كيف غيضت بمنديل يدها الصغير هذه الدموع .. وكيف تحاملت على نفسها واقفة أمامى . كأنما ذكرت فجأة أنه لا يجدر بها أن تتخلى عن شجاعتها وأن تتهم بالخور والجبن !

إسمها نادية .. عذراء فى التاسعة عشرة . فتانة بما يعنى مدلول اللفظ . ومع أنها وقت أن جاءتنى كانت مريضة .. لا .. بل كانت ماضية إلى الموت ذاته .. لم تتخل عن وجهها سمات الفتنة الآسرة !

وكانت قصتها قد بدأت قبل أن تحضر إلى بوقت طويل ! . كانت مريضة بالسرطان ! والسرطان حتى أفلت زمامه من أيدينا فإن أية قوة .. وأية حكمة لا تفيد فى دفعه أو كبح جماحه . والحد العلمى لهذا المرض الخطير أنه مجموعة من الخلايا تنمو فى الجسم على حساب التركيبات المحيطة .. وخارجة عن تحكم الجسم .. فالجسم الإنسانى يتكون من مجموعات من الخلايا تنجم عن انقسام خلية ثم انقسام أجزائها .. ثم انقسام هذه الأجزاء .. وهكذا إلى أن يتم نمو الإنسان . فإذا تصورنا أنه ليس من قوة تحكم هـذا النمو .. فإننا نحصل فى النهاية على مجموعة من الخلايا لا شكل لها . وإذا افترضنا أن إحدى الخلايا ابتعدت لسبب ما عن اتصالها العصبى وهى لا تزال حية وفى موضع يمكنها

للأستاذ حسين عزمى بالعدد (٩٤٢) ، ولا أرى فيها محلا لتكرير كلما ، وإليك ما كتبه العلامة ابن هشام فى (مغنى اللبيب) متصلا بهذه الملاحظة :

« كل فى نحو .. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا .. منصوبة على الظرفية باتفاق ، وناصبها الفعل الذى هو جواب فى المعنى مثل « قالوا » فى الآية ، وجاءتها الظرفية من جهة « ما » فإنها محتملة لوجهين ، أحدهما أن تكون حرفا مصدريا والجملة بعده صلة له فلا محل لها ، والأصل كل (رزق) .. والثانى أن تكون اسما نكرة بمعنى وقت .. ثم أورد قوله تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) ، (كلما أضاء لهم مشوا فيه) ، (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) ، (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم)

.. وعلى ضوء هذا كله يتعين أن يكون الصواب فى عبارة الأستاذ الكبير : (كلما كان جمهور الفنان عديدا كان لرسالته فى الحياة قيمة) بحذف (كلما) الثانية ، وتحياتى إليه

محمد محمد الابشيهى

أن تحصل فيه على غذائها من السائل الدموى ، فالذى يحدث هو أنها تأخذ فى النمو والانقسام وتكبر فى الحجم وتغير على جاراتها من الخلايا العادية . وهـذا ما نسميه « بالتضخم البغيض » أو « التضخم القاتل » . . هـذا هو السرطان الذى يحطم الخلايا العادية المجاورة وينتشر خلال الأوعية اللمفاوية وينطلق فى مسرى الدم إلى سائر الجسم !

يدرك الطبيب أن دملا صغيرا هو تضخم بغيض بسبب أعراض معينة فيقول لنفسه :

فلأبتره قبل أن يشق على أن أعالجه . . وقبل أن يبتدئ فى مكان لا يمكننى فيه أن أبتره خوفا من إتلاف عضو حيوى . . أبتره سريعا قبل أن يغدو حرا وينتشر فى سائر الجسم . . إلى الرئتين . . أو إلى العمود الفقرى . . أوعظام الساق . . أو الصدر . . أو الكبد أو أى مكان آخر حيث لا يمكننى أن أزيله تماما دون أن أقتل المريض ! هذا هو السبب الذى من أجله ننصح الناس دائما بأن يستشيروا طبيبهم حالما يرون دملا غريب الشكل ! . وهـذا هو السبب الذى من أجله نتألم عند ما تقول لنا سيدة إن لديها تضخما منذ ستة أشهر ولـكنها لم تشأ أن تخبر بأمره أحدا . . ستة أشهر أضاعت خلالها على نفسها فرصة العلاج السريع لأنها أبت أن تكاشف أحدا بمرضها ! .

كانت هذه هى الحالة التى جاءتنى عليها نادية

وكانت مخطوبة إلى ابن خالتها . . وراحت تنتظر معه اليوم الذى يربطهما فيه الرباط المقدس . ولـكن هـذا اليوم السعيد الذى تتحقق فيه المنى لم يحدث أن أقبل أبدا !

العاطفة المشبوبة . . واللهفة والحنان . . كل أولئك لم أعرفه فى غير هذين الخطيبين ! كان يحب أحدهما الآخر حبا يتضاءل أمامه كل حب رأيته أو سمعت به . وكان الوفاء الذى يستخف بالتضحية . . ويهون عليه الصعاب هو ذلك الوفاء الذى كان يعشش فى صدرى هذين العاشقين الصغيرين ! . رأيت ذلك عن قرب ولمسته فى الوقت القصير الذى قضياه فى عيادتى ! . أبدا لم أسمع فى حياتى أرق من ذلك الصوت الذى كان يخاطب به الخطيب خطيبته . . ولا تلك اللهفة التى كانت تبين فى صوته وهو يقول لى :

— أريد أن أطمئن يا سيدى

كانت قولته هـذه التى انبجس منها الشعور الحلو دافقا جياشا . . هى كل ما قاله لى . . وزايل الغرفة وتلبث خارجها ينتظر الـكلمة التى تنفرج عنها شفتاى . تلبث ينتظر حكمى بالحياة أو الموت على فتاته

. . وكان فى الغرفة أن قصت على قصتها

عندما ظهر التضخم فى صدرها حسبته بادئ الأمر دملا . . ولم يجد العـلاج الذى استطبت به . . وراح ما حدسته دملا يكبر . . ويكبر . وغاضت الابتسامة من وجهها . وبدأ التفكير العميق يستغرقها والهواجس تستبد بها . ! لاحظ الفتى أن فتاته غدت موزعة النفس مشتركة الذهن ! وآخته حيرة مضنية وراح يلحف فى سؤالها عن السر فى سهومها المطرق . وكان جوابها عن كل الأسئلة التى ألقاها عليها هو قولها :

— ليس بى شئ ! أية صدمة أصابته . . وأى حزن كاد يطيح بصوابه عندما أطلعته آخر الأمر على ما استسر طويلا فى صدرها من الوساوس !

وبدا له أن يعرضها على طبيب . . وأشار الطبيب بأن يجرى لها سريعا جراحة استئصال التضخم وأجريت الجراحة : . واختفى المرض . . وتوارت آثاره البغيضة

وكان من الممكن أن تعود الابتسامة إلى مكانها من شفتى الخطيبين وأن يمضيا فى مشروع زواجهما الذى عطله المرض ! ولـكنهما كانا فى خوف متصل من أوبته ! كانت تمر بهما الساعات الطوال وهما مستغرقان فى إطراقة الصمت وينتبهان إلى نفسيهما فيجد كل منهما أنه أمام صاحبه . . وتجرى على شفاههما ابتسامة حزينة . . كانا يدركان أن ماردا جبارا يهدد سعادتهما ! .

. . ودرجت الأيام . . ولم يظهر أثر ما لعودة المرض وقال الحبيب لحبيبته وفى قلبه ابتسامة كبيرة :

— سنتزوج !

أجابته وهى لا تتمالك نفسها من السعادة قائلة :

— نعم سنتزوج . !

وطافا بصالات الأثاث . . واقتنيا أثاث غرفات أربع . وحددا يوم الزفاف . . وجرى كل شئ على ما يشتهيان . عندما

أحست الفتاة فجأة بتغييرات فى مساحة الجراحة ، بدأت تظهر فيها بثور شائهة راحت تكبر على الأيام .. كل يوم كانت تطالعها بوجه أكثر بشاعة ودمامة من اليوم السابق ! لقد آب المرض الكريه .. ولكنها لم تستطع أن تنبئ فتاها بأوبته .. إنه كان قد غدا مرة أخرى سعيدا مجدودا . . وزايلت وجهه سمات الحيرة والقلق ! ولأنها كانت أجمعت أمرها على أن تنفرد دونه بالألم فقد أطبقت على السر الرهيب صدرها ! وراحت تتحامل على نفسها لتحتفظ بمرحها وروحها المذبة . وكتمت السر طويلا حتى ضمر جسدها ، وبانت عليها نهكة المرض . ولكن الفتى لم يكن بحاجة لمن ينبئه بالحقيقة السافرة .. وقال لها :

— ينبغى أن تعرضى نفسك على الطبيب مرة أخرى

وتهالكت على المقعد فى إعياء وهى تمسك براحتها صدرها قائلة :

— لم تعرض فتاة معافية نفسها على طبيب ؟

قال لها :

— ولكنك لست معافية يا حبيبتى !

ومضى بها إلى الطبيب

ورأى الطبيب بنظرة واحدة أن المرض قد عاد . ففى خلال أسابيع التستر والتكتم الطويلة تقدم تقدما حثيثا وأصبح لاغناء فى أية جراحة ولا جداء فى أى علاج !

أينبئها بالحقيقة ؟ ما الخير فى ذلك ؟ .. ليس من شئ يمكن أن يوقف تقدم المرض . إن إنباءها بالحقيقة معناه أن يغرقها وفتاها فى ظلمات اليأس القاتل .! لقد كانت أيامها معدودة .. فلم لا يجمل حياتها فيما يستطيع خالية من الشقاء والتعاسة ..؟

وفى حال من التأثر بهذه الروح الإنسانية الغالية قال لها وهو يربت على كتفها فى جذل مصطنع :

— لا محل إطلاقا لأوهامك وهواجسك فأنت معافاة سليمة .

كثيراً ما يقسو الناس فى أحكامهم على الطبيب إذا جاءت النتائج على عكس ما قال لهم . البعض يتهمه بالغفلة .. والبعض الآخر بالشره .. وليس فيهم من يدرك الموقف الدقيق الذى تفرضه عليه بعض أمراضهم !. ولا من يدرك أنه بشر مثلهم .. وإن أقسى ما يشعر به هو أن يعجز عن أن يعيد الابتسامة إلى مكانها من شفاه مرضاه التعساء .!

وحدثت المريضة نفسها قائلة بعد أن غادرت عيادة الطبيب :

— لشد ما خدعت نفسى .. وخدعتنى أوهامى .. ولشد ما أنا آسفة على القلق الذى استسلمت له وتركته يأخذ بخناق ! .

ولا شك أن الفتى قال لنفسه بعد أيام من زيارتهما للطبيب :

— لقد أكد لى الطبيب أن صحتها على ما يرام وأكدت لى نفسها أنها فى عافية .. ففيم إذن ضعف فتاتى وسقامها ؟ .

ومرة أخرى أقلقه الشك فأجمع أمره على أن يستشير طبيباً آخر .. وكنت أنا الطبيب الأخير الذى استشاره !..

كانت النظرة التى ألقيتها على المريضة كافية لأن أعلم أن برءها محال . وأشكلت على وجوه الرأى ولم أدر هل أصارحها بالحقيقة أم أكتمها عنها وأطمئنها كما طمأنها طبيبها من قبلى ، وأدع الأقدار وحدها تقول لها كلمتها وهى فصل الخطاب !.. ولكننى كنت استمعت منها إلى قصتها . وعرفت ظروف حياتها وكنت إلى ذلك أعرف أن فتاها ينتظر فى صبر أرعن الكلمة التى ستنفرج من بين شفتى .. فأية قسوة أن أقول أمامه لفتاته :

— لا أمل فى شفائك يا ابنتى

من يتصور أن أصدم فتاة فى حياتها . . وفتى فى أمله فى الحياة ؟ ورأيتنى أميل إلى أن أكتم عنها الحقيقة فقد رأيت من الرحمة والبر ألا أطفئ جذوة الأمل الأخيرة فى حياة هذين العاشقين .! وما كدت أنتهى إلى هذا القرار حتى انساب إلى صوتها الواهن وهو يقول :

— أرجو أن تنبئنى بالحقيقة يا سيدى — إننى أعلم دقة مركزك . . ولكن يجب أن أعلم الحقيقة مهما كانت قاسية .. !

وشئت أن أتكلم .. ولكن الكلمات ماتت على شفتى . وأطرقت أفكر بينما تابعت هى حديثها قائلة :

— يريد خطيبى أن يعلم الحقيقة .. ولكن ينبغى ألا تخبره بها إن كانت قاسية فهى حرية بأن تطيح برشاده وتشقيه .. ولكننى استحلفك بشرف المهنة أن تنبئنى بها !.

وهـكذا رأيتنى فى موقف يتحتم على فيـه أن أتـكلم !.

وصمدت إليها بصرى لأول مرة منذ تـكلمت فرأيت العزم والتصميم باديين فى وجهها فقلت :

— ما دامت تلك هى إرادتك..فانه يحزننى أن أقول لك أن الزمام قد أفلت من أيدينا

ومع أن وجهها كان قاسيا إلا أن الدموع طفرت فجأة وتحدرت على وجنتيها فى خطين دقيقين ! . أدركت فى لحظة واحدة أنها امرأة فانية .. وأنها بعد وقت طويل أو قصير سترحل عن الدنيا وعن فتاها وعن ذويها .. وعن كل ما هو عزيز لديهـا وحبيب ..! قالت فى صوت يزخر بالانفعال :

— أما يوجد علاج ... أى علاج ؟

— يؤسفنى أن أقول لا !

— أما ينتظر أن أعيش ستة أشهر أخرى ؟

— يؤسفنى أن أقول ... لا ... أيضا . !

قلتها وفى قلبى كآبة كبيرة ... ورأيتها تخرج منديلا من حقيبة يدها وراحت تكفكف به الدمع المنحدر من عينيها!.وفى لحظة واحدة تبدلت الفتاة الفانيـة التى كانت أمامى واستحالت إلى فتاة جديدة .. فى عينيها توكيد وعزم وقالت :

— ينبغى ألا يعرف !

وتقدمتنى إلى الباب وفتحته فى هدوء وقد جرت على شفتيها ابتسامة كنت وحدى أدرك كنهها وما تنطوى عليه من اليأس القاتل ... وانتفض الفتى واقفا عندما فتح الباب ..

الابتسامة الوضيئة ! الابتسامة المريرة .. الابتسامة الشجاعة كانت هى كلمة الأمان التى قالتها له فتاته وإن لم تتكلم .!

ولـكنه تقدم منى ملهوفا كأنه يتهم عينيه وقال :

— أهى بعافية ياسيدى ؟

وابتسمت له ونياط قلبى تتقطع وقلت :

— أنت ترى بعينيك يا ولدى أنها بعافية ... وعلى مايرام !

وشد على يدى فى حرارة وقوة وقال فى شغف :

— شكراً لك يا سيدى ... شكراً لك .!

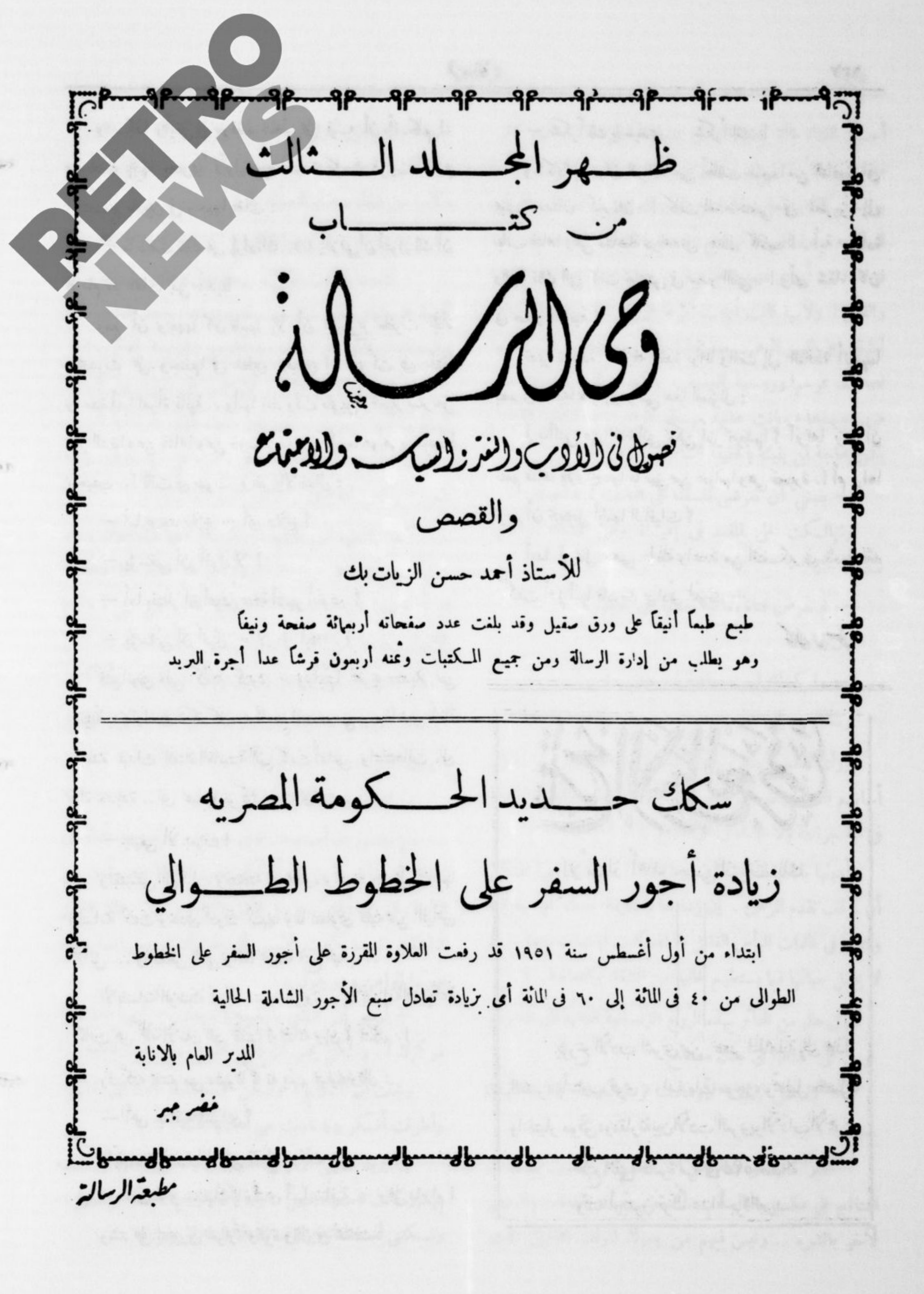
وما كادا يغادران العيادة حتى أطللت عليهما من النافذة وفى عينى دمعتان كبيرتان ! كانت الفتاة تمضى فى الطريق إلى جانب فتاها وهى متأبطة ذراعه فى جذل كاذب ! . أية سعادة وهمية تلك التى كانت تمشش فى صدر الفتى . ! وأى شقاء كان فى صدر الفانية ؟

تدبرت هذه المفارقة الفذة وأنا واقف إلى النافذة أتبعهما بصرى عندما قفز إلى رأسى هذا السؤال :

لم سألتنى عن المدة التى يمكن أن تعيشها ؟ أتراها تزعم أن تنعم فتاها بالزواج بها ما تبقى من حياتها وهى قصيرة .! أم تراها تريد أن تتعجل أيامها الباقيات ؟ .

أبدا لم يخل ذهنى لحظة واحدة من التفـكير فى نادية فقد كنت أعلم أنها غادرت عيادتى لتموت ...

كمال رستم



مطبعة الرسالة



العدد ٩٤٦ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٠١٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلس مديرية الشرقية

يعلن عن خلو وظائف المعلمين الآتية للعمل بمؤسستى تربية البنين والبنات بالزقازيق وبلبيس

عدد

١ – معلم علوم من الحاصلين على كفاءة التعليم الأولى أو شهادة ثانوية الأزهر

١ – معلم كليم وسجاد من الحاصلين على دبلوم المدارس الصناعية قسم السجاد

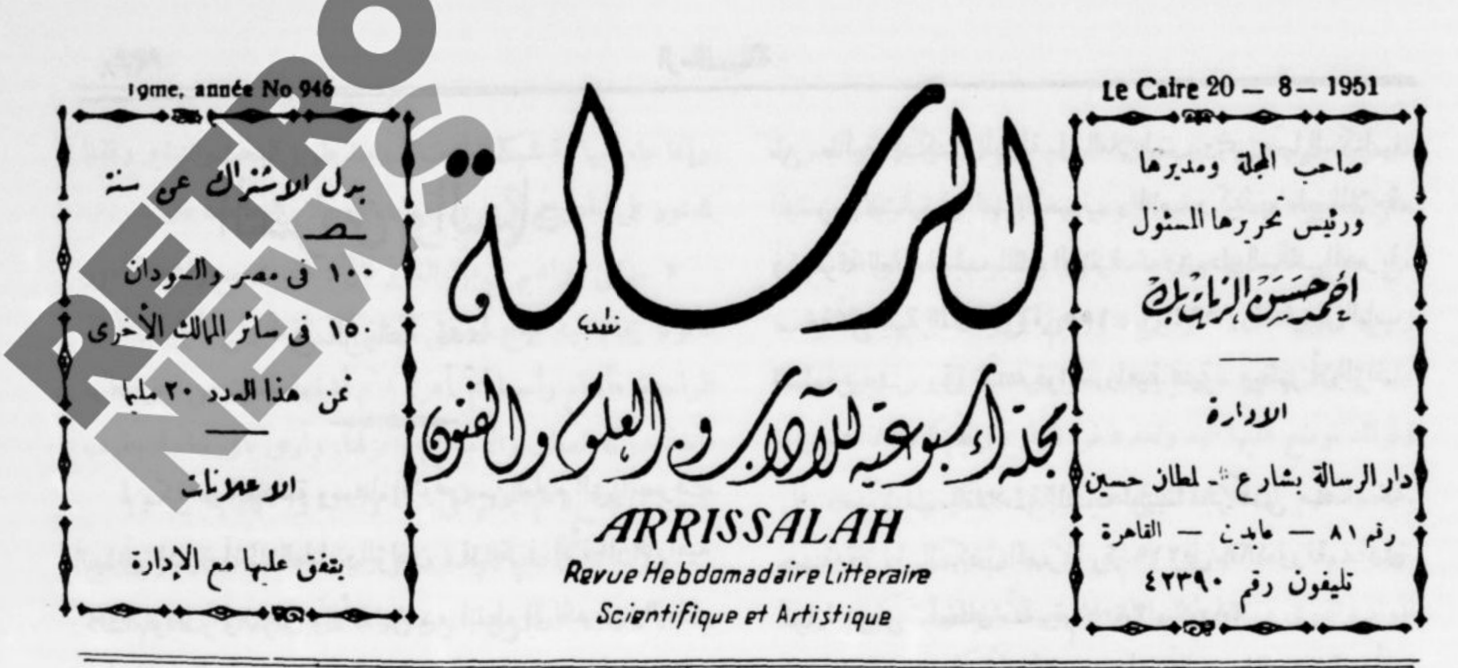
١ – معلمة علوم من الحاصلات على كفاءة التعليم الأولى

١ – معلمة أشغال من الحاصلات على شهادة الفنون الطرزية ابتدائى أو ثانوى

١ – معلمة تدبير من الحاصلات على شهادة الثقافة النسوية

وتقدم الطلبات للمجلس على الاستمارة ١٦٧ ع ح فى ميعاد لا يتجاوز ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥١ مصحوبة بشهادة الميلاد والمؤهلات الدراسية وثلاث صور شمسية مقاس ٦ فى ٩ سم

٩٠٥١



19me, année No 946

Le Caire 20 — 8 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد الواحد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٧٠ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

تغيير . . .

أخذت مصر في عهدها الأخير تغير ما بنفسها ليغير الله ما بها كما قال عز قوله في كتابه الخالد . وأصدق الأدلة على هذا التغيير ما نراه من القلق على كل وجه ، وما نسمعه من السخط على كل لسان ، وما نقرأه من المعارضة في كل صحيفة

وليس ما نراه ونسمعه ونقرأه من كل أولئك صادراً عن تقليد كما كان يصدر ، ولا وارداً عن تحريض كما كان يرد . إنما هو أنفة المستذل حين يحس ، وغضبة المستغل حين يعي . والقطيع من البقر أو من الغنم إنما يظل قطيعاً ما دام لا يعرف إلا العشب يخضمه والماء يجرعه والراعي يطيعه . فإذا ما أدرك يوماً أن راعيه يأكل لحمه ويشرب لبنه ويستغل جهده ، وليس له من فضل عليه إلا أن برأسه حيلة أضيق من قواه ، وفي يده هراوة أضعف من قرونه ، لم يعد قطيعاً وإنما يصبح أمة

يعلن الناس اليوم ما كانوا يتأثمون أن يسروه ؛ ويفعلون اليوم ما كانوا يحذرون أن يقولوه ؛ ويدركون اليوم أنهم أصحاب الثروة وأرباب البلد ومصدر السلطان ، فما في خزائن الدولة من الأموال ملك لهم ، ومن في دواوين الحكومة من الرجال أجراء عندهم ؛ وأن الكبراء الذين يهلكون ولا ينتجون ، ويأخذون ولا يعطون ، ويقولون ولا يفعلون ، ويحكمون ولا يعدلون ، إنما هم الكبائر التي توجب العقوبة ، والدلائل التي تعلن الكارثة ، تصديقاً لقول الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

لو كانت الصحافة وحدها هي التي تنتقد وتعارض وتشتكي وتحتج لقلنا : جماعة من المثقفين المرهفين رأوا المنكر فنددوا به ، وأبصروا الخطر فنبهوا إليه ، ولكن الواقع أن قراء الصحف وسامعيها من كل طبقة ومن كل حزب قد رأوا فيما تنشر من اعتراض أو امتعاض تعبيراً دقيقاً عما يضطرب في رءوسهم من فكر ؛ وتصويراً صادقاً لما يعصف في نفوسهم من ثورة . فلما أراد من أراد أن يخفت من صوت الصحافة بالكمائم ، ويضيق من خطوها باللجم انفجر في وجهه الرأي العام من ذات نفسه ومن جميع نواحيه ، يدافع عن المنبر الحر الذي تتنزل عليه كلمته وتتجلى فيه ارادته

ولو كان الذين انفجروا في طريق (التشريعات الصحفية) من المعارضين للحكم القائم ، لقلنا نزوة من نزوات المعارضة ، وشهوة من شهوات المنافسة ؛ ولكن الأمر الذي تعجب له وتُعجب به أن الذين خاضوا وقادوا معركة الرأي الحر في محنة الصحافة كانوا من شباب الوفد وكهوله ! وذلك يؤيد ويؤكد ما قلنا من أن مصر بأسرها تغير ما بنفسها ، وسيغير الله ولا ريب ما بها فتساس سياسة وطن لا سياسة إقطاع ، وتقاد قيادة أمة لا قيادة قطيع !

المنصورة

احمد حسن الزيات

السرقين والسماد

في الزراعة قديما

لم يكن علم الفلاحة ومعاناة الأرض من العلوم التي انصرفت إليها في الشرق أنظار العلماء والمؤلفين، فلم يقم في الأقطار الزراعية كالشام ومصر والعراق والأندلس من انقطع إلى الدرس والبحث في علم الفلاحة وعنى بإذاعة تجاربه وأسراره إلا فيما ندر وقل. ومن راجع كتابي الفهرست وكشف الظنون — وهما كل ماوصل إلينا من أسماء الكتب والفنون — لا يكاد يجد فيهما إلا بضعة مؤلفات تدل على قلة عناية القوم بتدوين تجارب الزراعة. ومن أشهر المصنفات فيها:

— كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية. وفي دار الكتب المصرية الجزء الأول منه رقم ٣٩ في ٣٥ ورقة، كتب في ٢٢ رجب سنة ٩٩٥

— كتاب الفلاحة اليونانية لقسطا أو قسطوس بن لوقا الرومي، طبع في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ للهجرة

— كتاب الفلاحة للروم لعلي بن محمد بن سعد، ذكره ابن النديم

— كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي. طبع في مجريط (مدريد) سنة ١٨٠٢ وفي مصر

— كتاب الدر الملتقط، من علم فلاحتي الروم والنبط، تأليف محمد بن أبي بكر بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ حطين رقم ٢١ في مكتبة الدار المصرية، فيه لغاية الباب التاسع والعشرين ٦٤ ورقة

— كتاب بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين تصنيف السلطان الملك الأفضل العباس ابن الملك المجاهد علي ابن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول. ناقص من آخره قليلا. ذكر أنه نقله واستخرجه من مطالعة الكتب المدونة في الفلاحات، وسمى منها الكتاب الموسوم بالإشارة في العمارة تصنيف والده، وكتاب ملح الملاحة في معرفة الفلاحة لجده الملك الأشرف. وفي دار الكتب المصرية نسخة من بغية الفلاحين رقم ١٥٥، في ١٦٤ ورقة فيه إلى الباب السادس عشر. وفي خاتمته فوائد زراعية يمنية. ويظهر أن المؤلف توفي سنة ٧٧٨ للهجرة

— كتاب الفلاحة المنتجة لطيبغا الجركمشي منه نسخة حسنة في دار الكتب المصرية رقم ٢١٩ في ١١٨ ورقة، وفي خزانة باريس نسختان منه رقم ٢٨٠٧ و ٢٨٠٨

— كتاب الفلاحة لأبي عبد الله محمد بن الحسين رقم ٤٧٤٦ في خزانة باريس

— كتاب مفتاح الراحة في علم الفلاحة رقم ٢٣٧ في مكتبة الدار المصرية وأوراقه ١٨٩، وأكثره منقول من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية

— كتاب جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة لرضي الدين الغزي رقم ١٣٤ في دار الكتب المصرية، ١١٧ ورقة وفيه فوائد كثيرة

— الفن الرابع في النبات والزراعة والفلاحة في تسعة أبواب من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الوراق المعروف بالوطواط. ومنه ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية، إحداها مصورة في ثلاث مجلدات رقم ٣٥٩. وهو ينقل عن ابن بصال في كتاب الفلاحة الرومية، وعن كتاب النبات لأبي الخير الأندلسي؛ قال: وهو غريب جدا لم أجد من رآه. وينقل أحيانا عن كتاب ابن الوحشية وكتاب الفلاحة المصرية

— علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي، طبع في مطبعة نهج الصواب بدمشق سنة ١٢٩٩، اختصره من كتاب الغزي المتوفى سنة ٩٣٥ السابق الذكر

— عمدة الصناعة في علم الزراعة لعبد القادر الخلاصي من القرن الثاني عشر

وقد طالعنا كل ما وجدناه من هذه المؤلفات في دار الكتب

للصربة فوجدنا كتاب ابن العوام أجودها وأعمها وأجدرها بالمراجعة والاعتبار . وقد استوفى فيه كل ما كان مألوفا فى زمانه من علاج الأرضين وزراعة البقول والحبوب وغراس الأشجار وتربية الحيوانات والدواجن ، وروى كل مايتعلق بهذه الأبواب علما وعملا ؛ فهو خير ما يعتمد عليه فى هذا الدرس وفيه فوائد وفرائد توضع عليها اليد وتعد ذخرا للزارع والأكار

ومعلوم أن الأسمدة التى هدت إليها الكيمياء ونبهت على خصائصها وفضائلها فى إنعاش الأتربة وتعويض ما تفقده من المواد والقوى فى تغذية النباتات وتثمير الأشجار لم تكن معروفة فى أوربة قبل القرنين الأخيرين، فكان الأكرة ورجال الفلاحة لا يعرفون إلا السرقين لإصلاح الأرضين وإزكاء الزروع ولذلك قال الخارکی

لا أغرس الغرس إلا فى مسرقنة والغرس أجود ما يأتى بسرقين (١)

وقد فرقت كتب اللغة بين السرقين والسماد ؛ فالسرقين هو الزبل والروث وحده. وأما السماد فهو السرقين مخلوطا برمل وتراب. وجاء الدمال بمعناه وبمعنى السرقين: يقال دمل الأرض إذا أصلحها أو سرقنها . ومن مزاعمهم فى التقاليد المروية عن محمد بن على بن عبد الله أن « أول من دمل الأرض أى ألقى فيها السماد داود عم » (٢) . وحكى الأصبهانى أن أول من جمع السماد بالبصرة وباعه هو عيسى بن سليمان بن على العباسى من بيت الخلافة حينما كان أمير البصرة « وكانت له محابس يحبس فيها البياح ويبيعه فقال فيه أبو الشمقمق :

إذا رزق العباد فإن عيسى له رزق من « اعجاز » العباد

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمرو بن حفص قال محمد بن عيينة فى ذلك :

أفاطم قد زوجت عيسى فأبشرى لديه بذل عاجل غير آجل
فإنك قد زوجت من غير خبرة فتى من بنى العباس ليس بعاقل
فإن قلت من رهط النبى فإنه وإن كان حر الأصل عبد الشمائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه إلى بيع بياحاته والمباقل (٢)

ولم ترد لفظة البياح فى المعجمات ولا فى تكملة دوزى .

(١) معجم البلدان ٢ : ٣٨٨
(٢) الأعلاق النفيسة لابن رسته ١٩٨

وإنما جاء البياحة شبكة الحوت ، وبعد طويل البحث والتنقير وفقنا للعثور على الحديث الآتى فى كتاب البخلاء للجاحظ قال :

« حدثنى إبراهيم بن عبد العزيز قال : تغديت مع راشد الأعور فأتونا بجام فيه بياح سبخى الذى يقال له الدراج ، فجعلت آخذ الواحدة فأقطع رأسها ثم أعزله ، ثم أشقها باثنين من قبل بطنها فآخذ شوكة الصلب والأضلاع فأعزلها، وأرمى باقى بطنها وبطرف الذنب والجناح، ثم أجمعها فى لقمة واحدة وآكلها » (٣)

ولاشك أن هذا الوصف هو وصف سمك كان بالبصرة تجمع رذالته ونفايته ومايرمى به من شوكه وأضلاعه وأطرافه وتحفظ فى محابس لها حتى يغلب عليها العفن ، فتباع على البساتين كالسماد. ومن ثم تكون البياحات فى حكاية الأصبهانى المواقع التى يحبس فيها البياح والسماد . وهذا أقرب ما يبدو لنا فى تفسير هذه الكلمة الغريبة

وقد فاتنا لا محالة كثير من اختبارات الأكرة وأرباب الضياع والبساتين وفنون علاجهم للأرض وتنميتهم للبقول والأزهار والأثمار . وتكفى مطالعة كتاب ابن العوام الآنف الذكر لمعرفة ما كان لبعض مصطلحاتهم وطرائقهم من الشأن والقيمة . ومن بعض الأدلة عليها تنبههم إلى مالى الدماء والأبوال من القوة والدواء لإصلاح الأرض لما فيهما كما هو معلوم اليوم من الأزوت والنترات ، فأشاروا بهما لطب النباتات والمغروسات. قال ابن العوام : « وقد يعالج بعض أدواء النبات بدماء وأبوال لأن للدماء قوى عجيبة فى إنعاش بعض الشجر والنبات » .(٤)

ولكن فاته أن ينبه على وجوب تجفيف الدم قبل استعماله

وقد راجعنا مقالاتهم فى أنواع السرقين والمفاضلة بين ذرق الحمام وأرواث الخيل والبغال والحمير ، وأخثاء البقر والجواميس وأبعار الغنم والضأن والماعز ، فإذا أفضل الأزبال عندهم ذرق الحمام ، واختلفوا فى ما يتلوه فى الجودة فقدم بعضهم زبل الحمير على روث الخيل ثم زبل الغنم ثم زبل البقر . ونقلوا عن قسطوس أحد علماء الفلاحة ، وهو قسطا بن لوقا ، أنه قال : « أحسن زبل الطير ذرق الحمام فبحرارته يميت الأعشاب؛ ثم زبل الحمير ثم زبل

(٣) كتاب البخلاء ١٦٤
(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ، طبعة مدريد ، ١٠٦ .

الغنم ثم زبل البقر ، وأنفع الأزبال المســامة للنبات زبل الخيل والبراذين » .(٥) وهذا الرأى هو الشائع اليوم فى تفضيل روث الخيل للمزروعات عامة .

وهنالك سرقين آخر أشادوا بجودته ، وأجمعوا على إيثاره والمغالاة فيه وهو ما نستميح القارئ أجمل العذر فى التعريض به ، وقد سبق الإيماء إليه فى بيت الشمقمق ويسمونه الروث الآدمى وزبل الناس . ومن غريب ماعرف به أيضـــاً ولم نره إلا مرة واحدة اسم « قوسان » نقله ابن الأخوة فى كلامه على حسبة الفاخرانيين والقصــارين فقال : « يشرط عليهم ألا يقدوا على الكوز بقوســان وهو روث الآدمى ولا بشىء من الأزبال فإنه نجس؛ بل بالحلفاء والقيشة وهى قشر الأرز وما أشبه»(٦).

ومن أشهر أسمائه أيضاً الغائط والنجو والعذرة . وإنما الغائط المكان المطمئن. وكانوا إذا أرادوا الخلاء انحدروا إلى الغيطان أى بطون الأرض تستراً وانتباذاً . وكثر ورود الغائط فى كلامهم فانتقل اسمه إلى الحدث نفسه واشتقوا منه الفعل تغوط ، كما انتقل اسم الحش وهو فى الأصل البستان إلى بيت الخلاء لأنهم اعتادوا أن يتبرزوا فى البساتين (٧) . وأما النجو فهو الارتفاع من الأرض وكان الرجل إذا خرج لقضاء الحاجة يتستر بنجوة فقالوا من ذلك ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط إذا ذهب إلى الغــائط لذلك الأمر (٨) . وأما العذرة فهى فناء الدار وكانوا إذا قضوا حاجتهم ألقوها فى الأفنية فأطلق اسم المحل على الحال

وفى أخبارهم عن هذا السماد الآدمى من النكات والمضحكات وهجين العادات والحكايات الغريبة مايدخل فى أوصاف الحضارة وتاريخ الفلاحة، ولذلك لم نتوقف عن رواية بعضها بعد اطراح مالا يجمل ذكره واستبدال ما يقبح التصريح به من ألفاظه المبتذلة الفاحشة

وقد عده ابن العوام بعد ذرق الحمام فى الجودة والامتحان للأرض والمنابت كلها (٩) . ووصف أيضاً كيف يعمل به قبل الاستعمال له فقال : « ينبغى أن يجفف من رطوبته الأولى الأولى حتى يكمل جفافه ويسود ثم يحمل فى الحفائر ويرش عليه الماء العذب ثانية ويحرك تحريكاً كثيراً ويخلط حتى يختلط ويجفف حتى يجف جفافاً جيداً ثم يخلط به رماد » (١٠)

وكان لأصحاب البساتين طلب عليه شديد وتنازع متواصل « فلا يعافون تسميد بقولهم قبل نجومها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها، حتى ربما ذروا عليها السماد ذراً ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب موضع اللب قوى العذرة . بل من لهم بالعذرة وعلى أنهم ما يصيبونها إلا مغشوشة مفسدة ، وكذلك صنيعهم فى الريحان ، فأما النخل فلو استطاعوا أن يطلوا بها الأجذاع طلياً لفعلوا . »(١١)

ومما يدل على الاعتقاد الشـائع فى أثر هذا السماد البشرى نكتة رواها البـلاذرى عن معاوية بن مروان وكان محمقاً قال : «مر بحقل وقد سمع أهل الشام يقولون لا يفلح حقل لا يرى «عجز» صاحبه فنزل وأحدث . »(١٢) ومن أهزل الأبيات التى قيلت فى هذا المعنى ما رواه أبو الفرج الأصبهانى قال :

« اجتمع جميفران الموسوس ومحمد بن بشير فى بستان فنظر إلى محمـد بن بشير وقد انفرد ناحية ثم قام عن شىء عظيم خرج منه فقال جميفران :

قد قلت لابن بشير لما رمى من مجانه
فى الأرض تل سماد عـــلا على كثبانه
طوبى لصاحب أرض « خلوت » فى بستانه(١٣)

وكانت البصرة فيما قيل أشهر أسواق السرقين، وأميرها كما سبق كان ممن يتجر به « وللحشوش فيها أثمان وافرة ولهـا فيما زعموا تجار يجمعونها . فإذا كثرت جمع عليها أصحاب البساتين ووقفهم تحت الريح لتحمل نتنها إليهم فإنه كلما كانت أنتن كان ثمنها أكثر، ثم ينادى عليها فيتزايد الناس فيها. وقد قص هـذه القصة صريع الدلاء المصرى ... ولذلك ذم الشعراء البصرة

٥) كتاب الفلاحة لابن العوام ، طبعة مدريد ١٠٠
٦) معالم القربة فى أحكام الحسبة ، طبعة كمبريدج ، ٣٣٣
٧) النهاية فى التعريض والكناية للثعالبى ٣٤ — ٣٥
٨) كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ١٣٢٣ ، ج١ ، ١٦٢–١٦٣
٩) كتاب الفلاحة لابن العوام ١٠٠
١٠) كتاب الفلاحة لابن العوام ١٠٥
١١) كتاب الحيوان ، ١ : ١١٦
١٢) أنساب الأشراف : ٥ : ١٦٤ — ١٦٥
١٣) الأغانى ١٢ : ١٤٠ — ١٤١

وأهلها فقال محمد بن حازم الباهلي (فى هجاء البصرى) :

يمتق « نجوه » كيما يغالى   به عند البايعة التجار (١٤)

ومن النوادر المروية عن البصرة « دخل فتى من أهل مدينة البصرة فلما انصرف قال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس . أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناة فلا ينفق فى شهر إلا درهمين . وأما الغريب فيتزوج بشق درهم . وأما المحتاج فلا عليه غائلة مابقيت له عجزه ، « يحدث ويبيع » (١٥)

واشبهت أصبهان البصرة فى نفاق الحشوش فيها « فإن قيمتها عندهم وافرة » قال ياقوت : حدثنى بعض التجار قال : رأيت بأصبهان رجلا من القناء يطعم قوما ويشرط عليهم أن يتبرزوا فى خربة له قال : ولقد اجتزت به مرة وهو يخاصم رجلا وهو يقول : كيف تستجيز أن تأكل طعامى وتفعل كذا عند غيرى — ولا يكنى — ولبعض الشعراء فى ذم أصبهان وأهلها أبيات قال فيها أن ليس للناظر فى أرجاء أصبهان من نزهة تحيي القلوب غير أوقار المذرة (١٦) ومن أقبح ما وصف به أيضا أهل أصبهان قول أبى القاسم البغدادى :

« يحملون « نجومهم » على رؤوسهم وعلى ظهور دوابهم إلى بساتينهم فينجسون به الأنهار ويربون به الثمار ويأكلونها . أى لعمرى هو « نجومهم » منهم بدا وإليهم يعود وهم أحق به . بلدة حشوشها فى المسابل وطرقها كالمزابل . لايوجد بهاذو كرم ولا نائل » (١٧)

وعيبت مدينة توزر فى إفريقية « بأن أهلها يبيعون مايتحصل فى مراحيضهم من رجيع النـاس يفخلون به بقولهم وبساتينهم ولـكنهم لا يرغبون فيه إلا إذا كان جافا فيحملهم ذلك على عدم الاستنجاء فى مراحيضهم، ويخرج أحدهم من بيتهحتى يأتى القناة فيستنجى من مائها وربمـا اتخذ أحدهم المراحيض على قارعة الطريق للواردين عليها ليأخذ مايتحصل من ذلك ويبيعه .» (١٨)

ولذلك قال الجاحظ : « من أكرم سمادهم الأبعار كلها والأخثاء . إذا جفت ، وما بين الشلط جافا والخثاء وبين المذرة جافة ويابسة فرق » (١٩)

وأقبح ما هنالك ما كان يجرى فى قابس « فإن أكثر دورهم لا مذاهب فيها وإنما يتبرزون فى الأفنية فلا يكاد أحدهم يفرغ من قضاء حاجته إلا وقد وقف عليه من يبتدر أخذ ماخرج منه لطعمة البساتين، وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحون فيه فيخص به من أراد منهم، وكذلك نساؤهم لا يرين فى ذلك حرجا عليهن إذا سترت إحداهن وجهها ولم يعلم من هى » (٢٠)

وأشد ما كان الطلب على السماد فى بغداد حتى بعث الطمع بعض أصحاب الرباع على احتكار ما كان يلقى على الكساحة والمزابل ، قال بعضهم : نزلنا دارا بالكراء للسكندى فكان فى شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار العلوفة » (٢١)

ولابن السميسر فى بلنسية Valence وهى من أهم مغارس النارنج والبرتقال فى إسبانية تطيف بها منهما حدائق وبساتين ملء البصر :

بلنسيـة بلدة جنـة   وفيها عيوب متى تختبر
فخارجها زهر كله   وداخلها برك من قذر (٢٢)

ومن الغريب جدا أن يتنازع الناس إلى هذا الحد القبيح أوقار الأقذار! فهل كان مرقين الحيوانات دون الكفاية ؟ ولعل أقرب ما يعلل به هذا الطلب الشديد أن الأبعار والأخثاء كانت تجفف وتدخر للوقود ولا سيما فى البلاد التى قلت فيها الأحراج والغياض وتعددت الحمامات كما أشار إليه صاحب كتاب البخلاء حيث قال : « أما الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب » (٢٣) ولا شك أن مثل هذه العادة كانت فى الشرق معروفة شائعة منذ القدم؛ ولا تزال متبعة فى القرى والجبال إلى اليوم، وقد ألمح إليها الشعراء ، قال الهذلى :

١٤) معجم البلدان ١ : ٦٤٧
١٥) معجم البلدان ١ : ٦٤٧
١٦) معجم البلدان ١ : ٢٩٤ — ٢٩٥
١٧) حكاية أبى القاسم البغدادى ٢٢
١٨) صبح الأعشى ٥ : ١٠٦
١٩) كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١١٦
٢٠) معجم البلدان ٤ : ٤
٢١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ : ٢٥٩
٢٢) معجم البلدان ١ : ٧٣٣
٢٣) كتاب البخلاء ٧٨

وليلة يصطلى بالفرث جازرها
يختص بالنقرى المثرين داعيها ٢٤)

وللأخطل فى إحدى نقائضه

صفر اللحى من وقود الأدخنات إذا
رد الرفاد وكف الحالب القرر

يقول هم صفر اللحى من الدخان، والأدخنات السرقين، والرفاد قدح ضخم، والقرر جمع قرة وهى البرد ٢٥)

وفيما عدا الوقود للاصطلاء كان السرقين تحمى به الحمامات وأتانين الملال صانع خبز الملة وتنانير الخبز ٢٦) . ومن مآثر طاهر بن الحسين أنه رأى يوما فى قصره ببغداد « دخانا مرتفعا كريه الرائحة فتأذى به فسأل عنه فقيل له إن الجيران يخبزون بالبعر والسرجين فقال : إن من اللؤم أن نقيم بمكان يتكلف الجيران شراء الخبز ومماناته .. اقصدوا الدور واكسروا التنانير واحصوا جميع من بها من رجل وامرأة وصبي وأجروا على كل واحد منهم خبزه وجميع ما يحتاج إليه .. فسميت أيامه « الكفاية » ٢٧)

وعزم أحد الخلفاء العباسيين على الشرب يوما واستنكف من رؤية الرجيع واستنشاقه بين أزهار البستان؛ فزينت له أنفته أن يستعيض عنه بمالا يخطر إلا فى أذهان الملوك وهو ما رواه التنوخى قال :

« أراد المقتدر الشرب على نرجس فى بستان فى صحن دار من صغار صحونه فقال بعض من يلى أمر البستان : سبيل هذا النرجس أن يسمد قبل شرب الخليفة عليه بأيام فيحسن ويقوى، فقال هو : ويلك يستعمل « الرجيع » فى شئ بحضرتى وأريد أن أشمه . قال : بهذا جرت العادة فى كل ما يراد تقويته من الزروع ، فقال : وما العلة ؟ قال : لأن السماد يحميه ويعينه على النبات والخروج ، قال : فنحن نحميه بغير السماد، وتقدم فسحق من المسك بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به وجلس يشرب عليه يومه وليلته واصطبح من غده عليه، فلما قام أمر بنهبه فانتهب البستانيون والخدم ذلك المسك كله من أصول النرجس واقتلعوه مع طينه حتى خلصوا المسك فصار البستان قاعا صفصفا ، وخرج من المال شئ عظيم كثير فى ثمن ذلك المسك » ٢٨)

باريس السوربون شاكر محمود

٢٤) كتاب الحيوان ٦ : ١٩٦
٢٥) النقائض ، طبعة بيروت ، ١٦٥
٢٦) كتاب الحيوان ١ : ١١٦
٢٧) معجم البلدان ٢ : ٢٥٦
٢٨) نشوار المحاضرة ١ : ١٤٤

رســـــالة المربى

الحرية ... المعنى الحقيقى لها ... صلتها بالتربية ... تحديد رسالة المربى

للأستاذ كمال السيد درويش

(تابع)

لقد اختلف الناس حول تفسير الحرية منذ القدم وسوف يظلون على اختلافهم هذا . وهل ينعم المجتمع الإنسانى حتى الآن بالحرية كما يجب أن تكون ؟

إن أول معنى للحرية هو هذا الذى فهمه الإنسان الأول حين كان يسعى فى الغابات : حرية مطلقة غير مقيدة اللهم إلا بقيود البيئة التى يعيش فيها

ثم تطور معنى الحرية بنمو المجتمع الإنسانى وظهور التقاليد تلك التى استبدت بحرية الإنسان وأخذت تسلبه إياها رويدا رويدا حتى شعر فى النهاية بسلطانها الديكتاتورى فقام يثور ضد عبودية التقاليد ... قام يستعيد حريته الأولى ... حريته المطلقة

عرف الإنسان الحرية بمعناها المطلق وما كاد يبتعد عنها حتى عاد إليها . وهذه هى الحرية التى نادى بها جان جاك روسو : «لقد ولد الإنسان حرا .. »

ولكن الحرية المطلقة كانت نكبة على الإنسان فنفر منها وهجرها . وكيف لا يفر منها وقد وجدها تقتل نفسها بنفسها فتستحيل بذلك إلى الديكتاتورية بعينها . ألست حرا فى أن أفعل ما أشاء ؟ وغيرى أليس بدوره حرا ؟ سأستعبده بحريتى المطلقة ؛ وسيستعبدنى بدوره وهكذا يصبح كل منا عبدا للآخر

جرب الإنسان الحرية المطلقة كما جرب الديكتاتورية فوجد أنهما اسمان لمسمى واحد ؛ ذلك هو العبودية . وواجهته المشكلة فماذا فعل لحلها ؟ لقد لجأ إلى الحل الوسط : يجب ألا يتمتع بالحرية هكذا مطلقة من كل القيود كما يجب ألا يعيش بدونها . الحرية المقيدة هى علاج حيرة الإنسان

وخرج الإنسان من المشكلة ليجد مشكلة أخرى أشد تعقيدا ، حقا يجب تقييد الحرية ولكن إلى أى حد يجب تقييدها ؟ !

ما أكثر القوانين التى وضعت لتقييد الحرية فإذا بها تلتف حول عنقها لتخنقها وتزهق روحها ؟ ! ما فائدة تقييد الحرية إذا كان تقييدها سيسلبنا إياها ؟ ما الفائدة إذا كنا سنصيح مرددين : إيه أيتها الحرية ، كم من الجرائم ترتكب باسمك ؟ ! لا بد من تحديد المدى الذى يجب أن نذهب إليه فى تقييد الحرية حتى لا تنقلب إلى ديكتاتورية وعبودية . ولكى نحدد المدى سنسير مع الطريقة النفسية فنسأل أنفسنا أولا :

ما هو الغرض من تقييد الحرية ؟ ! أليس الغرض هو الكف من ضرر إطلاقها للمحافظة عليها ؟ لتكن قيود الحرية هى تلك القيود التى تؤدى حقا إلى تقدمها ونموها لا إلى تأخرها وضمورها

وهنا تتضح الصلة الوثيقة بين التربية وبين المعنى الحقيقى للحرية التربية قيد ووسيلة . هى قيد نقيد به حرية المتعلم كوسيلة من وسائل المحافظة على نمو هذه الحرية وازدهارها . وهذا مقياس يمكن أن نقيس به نجاح التربية فى الوقت الحالى . أهى قيد يزيد فى حرية الإنسان وفى مدى تمتعه بالحياة ؟ أم هى عبء ثقيل حرم الإنسان حريته صغيرا ولا يزال يسلبه إياها كبيرا ؟

هذا الطفل الناشئ ! لماذا نعلمه ؟ أليس غرضنا من ذلك أن نجعله أقدر على فهم مجتمعه والاندماج فيه والتمتع بأكبر قسط من الحرية فى الحياة ؟ ألسنا نزوده بخبرة من سبقه من الناس لينتفع بها فى التغلب على ما يصادفه من عقبات ؟ وكلما تمكن من ذلك اتسع مجال الحرية أمامه لينعم بالحياة ؟ إن التربية قيد ضرورى لحرية الإنسان وهى بذلك جزء لا يتجزأ منها

وعلى العكس من ذلك لو زودنا الطفل بتعليم جاف جامد ليست له أية قيمة علمية فى الحياة لن يستفيد منه قط ولن يستخدمه فى تذليل ما سيصادفه من مشاكل وعقبات — وما أكثرها — فى الحياة . لم يعطه ذلك التعليم أية حرية فى الحياة . وهكذا يصبح فى نظره مجرد قيد لا أكثر ولا أقل . . مجرد عبء يضاف إلى أعبائه فيثقلها ، ومشكلة تضاف إلى مشاكله فتعقدها ، ويكون مثل المتعلم فى ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا

يتضح من ذلك أن رسالة المربى يجب أن تكون فى العمل بالطريقة السيكولوجية (النفسية) لا المنطقية وفى التخلص من ديكتاتورية التقاليد وفى توطيد دعائم الحرية . . الحرية المقيدة

٣ - ألمانيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »
صدق الله العظيم

مطالب :

لمصر فى عصرنا الحاضر قضيتان أو إن شئت قضية واحدة ذات شقين : الجلاء والوحدة ؛ فمصر لم تعد تحتمل استمرار احتلال إنجلترا لأراضيها أو لجزء منها . ومهما تقدم بريطانيا من حجج فلن يستطيع المصريون أن يؤمنوا بغير الجلاء حلا . وهم على حق ، فإن احتلال دولة — مهما كانت صديقة — لأراضى دولة أخرى أو جزء منها يعتبر عدوانا عليها واعتداء على استقلالها وأمر لا يقبله عقل سليم أو يرضاه وطنى مخلص

وكذلك لا تستطيع مصر أن تقف مكتوفة الأيدى وهى ترى وحدة الوادى تتحطم أمام عينيها ، وهى وحدة أقامتها العوامل الجغرافية والتاريخية واللغوية والدينية . إن مصر لا تطلب سيادة على السودان وإنما تريد أن تعيد وحدة وادى النيل التى أقامها محمد على الكبير منذ سنة ١٨٢٠ وإنشاء دولة قوية موحدة من مصر والسودان؛ للسودانى فيها ما للمصرى من حقوق وعليه ما عليه من واجبات

وبريطانيا ما تزال تقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق الأمنيتين ، بل إن وزيرها موريسون يعلن فى خطابه بتاريخ ٣٠ / ٧ / ١٩٥١ أن على شعوب الشرق الأوسط أن تخفف من غلوائها الوطنية وأن تقبل الأمر الواقع . ويزيد أن إسرائيل أقيمت لكى تبقى ولا يمكن إلقاؤها وإلقاء أهلها فى البحر ، وأن بريطانيا حريصة على بقائها . ونحن نسائل الوزير البريطانى : كيف جاز لكم أن تلقوا بالعرب الآمنين من أهالى فلسطين خارج بلادهم وأوطانهم فى بادية جدباء ، وأرض قفر لازرع فيها ولا ماء ؟

أيها الوزير : أنت لا ترضى أن تلقى بإسرائيل وأهلها فى البحر، فأمامك العرب العزل المشردون فألق بهم فى البحر إن لم يعجبك إلقاؤهم فى البادية

أيها الوزير :

لقد أثمتم فى حق بريطانيا وفى حق التاريخ ، فجرائمكم فى الشرق الأوسط ستظل وصمة عار فى جبينكم ، وعليكم إن أردتم أن تكفروا عن ذنوبكم أن تردوا الحقوق إلى أهلها . فليرجع عرب فلسطين إلى أوطانهم ، ولتعط مصر حقوقها كاملة غير منقوصة، فإن ذلك هو الطريق إلى الاستقرار فى الشرق الأوسط . لقد صبرنا على عدوانكم سنين طوالا ولم يبق فى قوس الصبر منزع . إن كل مصرى يهتف من أعماق قلبه فى وجوهكم أن « اخرجوا من بلادنا »

وإنى فى هذا الحديث أقدم لمواطنى قصة قيام ألمانيا الحديثة عسى أن نتخذ منها مثلا والله ولى التوفيق

اصطلاح جغرافى :

كانت ألمانيا مقسمة إلى عدة ولايات ودول كانت مملكة بروسيا أعلاها شأنا ، وكانت السيادة على العالم الألمانى للنمسا فلم

لا المطلقة ؟.. والحرية المقيدة بأى نوع من أنواع القيود ؟! بالقيود التى تزيد فى الحرية نفسها

هذا هو الأساس الفلسفى لرسالة المربى فى الحياة سواء أكان مدرسا أم غير مدرس . وتلك هى الخلاصة التى استخلصتها الإنسانية خلال العصور، وبعد أن جربت مختلف الاتجاهات فلم تنته إلا إليها، والتى تتمثل فى كتابات كبار فلاسفة التربية فى الوقت الحالى

ولكن .. كيف يمكن إخراج هذا الأساس الفلسفى إلى حيز الوجود العملى ؟!

سوف يكون ذلك موضوع المقال القادم بإذن الله

كمال السيد درويش
ليسانسيه الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية

تكن هناك دولة إذن تجمع شتات الألمان وتدفع عنهم العدوان، وقد ذاق الألمان على يد نابليون الكثير من صنوف العذاب وألوان الهوان. ومع هذا فإن مؤتمر فينا ١٨١٥ أهمل مطالب الألمان القومية وبقيت ألمانيا مقسمة وتسودها النمسا حتى ١٨٦٣ وتمت وحدتها على يد داهيتها بسمارك

بسمارك :

يقول أحد المؤرخين « إن القرن التاسع عشر يقتسمه رجلان : نابليون فى النصف الأول وبسمارك فى النصف الثانى : ويطلق المؤرخون على الفترة من ١٨٧٠ — ١٨٩٠ اسم « عصر بسمارك » لأن بسمارك كان قطب السياسة الدولية والمسير لدفتها فى تلك الفترة

ولد بسمارك سنة ١٨١٥ وتعلم فى جامعتى جوتنجن وبرلين؛ ثم التحق بخدمة الحكومة ولكنه استقال، وظل كذلك حتى انتخب عضوا فى برلمان برلين سنة ١٨٤٨ ثم عين مندوبا لبروسيا فى الديت الألمانى. وبعد هذا عين سفيرا لبروسيا فى بطرسبرج ثم فى باريس. وهناك اتصل بساسة الدولتين وعرفهم عن قرب

عاد بسمارك إلى برلين وتولى الوزارة. كان أسمى أمانيه إنشاء اتحاد يشمل جميع الولايات الألمانية تحت رياسة بروسيا؛ ولهذا عمد إلى تقوية الجيش، لكن البرلمان عارض فقال بسمارك عبارته المشهورة « إن المسألة الألمانية لا تحل بمناقشات برلمانية ولكن تحل بالدم والحديد » ولم يعبأ بمعارضة البرلمان وكون لبروسيا جيشا قويا كان عدتها فى تكوين وحدتها

كان بسمارك يعلم أن وحدة ألمانيا لن تتم إلا بقيام حربين : حرب مع النمسا، وأخرى مع فرنسا. وهنا تتجلى عبقرية بسمارك الدبلوماسية، فقد قرر أنه فى حالة قيام الحرب يجب عليه أن يحارب دولة واحدة فقط، ولذلك كان يعمد إلى عزل هذه الدولة حتى لا تجد لنفسها نصيرا أو حليفا، وبذلك سرعان ما تنهزم أمام قواته المدربة

الحرب مع النمسا :

كان ملك الدانمرك يحكم ولايتين ألمانيتين: شلزوبج وهولشتين.

وفى عام ١٨٦٤ اتفق بسمارك مع النمسا على انتزاع الولايتين من يد الدانمرك، وسارت جيوشها فأخذت بروسيا شلزوبج وأخذت النمسا هولشتين

بعد هذا عمد إلى عزل النمسا دوليا .. جامل الروسيا أثناء إقامته فيها وأثناء الثورة البولندية إذ وقف فى وجه الثوار يمنع عنهم العتاد والأسلحة ويمنعهم من الفرار من بولندا فحفظت روسيا له هذا الجميل

وأما فرنسا فقد قابل إمبراطورها نابليون الثالث فى بيارتز وهناك اتفق معه على أن يقف على الحياد وفى مقابل ذلك يأخذ بلجيكا أو بعض ولايات الرين الألمانية

وأما إيطاليا فقد انضمت إلى صفه لأن النمسا كانت تحتل البندقية فتعهدت بالدخول فى الحرب مع بروسيا لتأخذ البندقية

أعد بسمارك قواته، وعزل النمسا دوليا وأصبح الطريق إلى الوحدة أمامه معبدا، فاتهم النمسا بأنها تسئ الحكم فى ولاية هولشتين وسير جيشه فاحتلها. أعلنت النمسا الحرب وسرعان ماسحقت قوات بروسيا قواتها فى معركة سادوا ٢ يولية سنة ١٨٦٦

وهنا نرى لونا آخر من عبقرية بسمارك : لقد أصبح الطريق إلى فينا مفتوحا أمام القوات البروسية، ولكن بسمارك أمرها بالوقوف وبدأ مفاوضات الصلح معها فعقدت معاهدة براغ ١٨٦٦ وبها اعترفت النمسا بتكوين اتحاد بزعامة بروسيا من الولايات الألمانية الشمالية

لماذا لم يتقدم بسمارك ويحتل فينا ؟ إنه كان يطمع فى صداقة النمسا وكان يؤمن بأن الحرب مع فرنسا آتية لاريب فيها، ولذلك رأى عدم إذلال النمسا حتى لا تنضم فى النزاع المقبل إلى فرنسا

الحرب مع فرنسا :

كانت سياسة فرنسا تقوم على أساس منع قيام دولة ألمانية موحدة. ولذلك ثار الشعب الفرنسى على إمبراطوره عقب سادوا واعتبر الكتاب الفرنسيون أن فرنسا هى التى هزمت فى سادوا لا النمسا واتهم الإمبراطور بالتقصير

كان بسمارك يستعد للمعركة، فأعد الجيش، ومد الطرق الحديدية إلى الحدود الفرنسية، وعمد إلى عزل فرنسا دوليا :

٢ – شاعر مجهول

للأستاذ حسنى كنعان

شاع فى سورية أن قوة كثيفة قادمة من الأناضول الترك يتقدمها كبار القادة والصدر الأعظم قد أعدها السلطان للقضاء على جيش إبراهيم باشا والقضاء على حركته التحريرية قبل أن يستشرى شرها ويستفحل أمرها . وما كادت تتخطى هذه القوة حلب وتصل إلى منبج حتى تلقتها أيدى الصقور المصرية، فأسرت القادة ثم أسرت الصدر الأعظم نفسه ، فتمزق ذلك الجيش الذى أطلقوا عليه جيش الخلاص والإنقاذ ، ففر من فر منه عائدا إلى تركيا ، وأسر من أسر من أفراده ، فكانت هذه النكسة للأتراك بمثابة فضيحة كبرى طمعت الدول الأجنبية بهم ، وجعلتهم يطلقون على الدولة العثمانية الرجل المريض ، فأزمعوا تقسيمها مذ رأوا أن عاملا من ولاتها استطاع أن يغلبها على أمرها ويضطرها إلى الاستعانة بهم . وكان من أمر الأجانب المستعمرين الطامعين ما كان من التدخل الملوم فى شؤون الدولة العثمانية ، وتغيير وجه التاريخ ، ولولا ذلك التدخل لرفرف العلم المصرى فوق سراى يلديز مقر سلاطين آل عثمان ولتحررت البلاد العربية جميعها ، فاستدعى محمد على ولده إبراهيم إلى القاهرة ليتداولا فى الأمر ، وكان معه شاعرنا الجندى الذى سبقه اسمه إلى مصر وذاع خبره فيها ، لأن قصائده فى مدح الباشا القائد ووصف معاركه قد تناقلتها الأيدى وتداولتها الأسماع ، فلاقى هناك من حفاوة شعراء ذلك العصر وأدبائهم ما جعله مغتبطا مسرورا بهذه الزيارة ، فدح مصر ومدح أميرها بما جعله مرموقا فى أعين أمرائها وزعمائها . ومما قاله فى مدح محمد على الكبير من قصيدة جاء فيها

سرت والنور يغشاها سحيرا ... وعرف المسك يصحبها مليا
وسرت متابعا باللثم منها ... مواطئ نعلها الرطب الزكيا
إلى أن أجلستنى فوق عرش ... لدى قصر حوى روضا بهيا
ذكرت لها الأفاضل فاستهلت ... بمن لأبى الحسين غدا سميا
إماما عارفا برا تقيا ... خفاجيا كريما أريحيا
إذا ما قال أما بعد يبدى ... لنا إيضاحه المعنى الخفيا
به مذ شرفت ضمياط قدرا ... كساها المجد ثوبا سندسيا
أعار الزى أحنف بن قيس ... وفاق بحسن سيرته الثريا
يمر على البلاد كنيل مصر ... فيروى أهلها حيا فحيا
نعم أم الزمان غدت عقيما ... إذا عن مثله فاقصر أخيا

فروسيا صديقته وإيطاليا كذلك إذ بر بوعده لها وأعطاها البندقية . وأما النمسا فكانت لا ترى نفسها فى حالة تدفعها إلى الدخول فى حرب جديدة

بقيت إنجلترا وهذه لا تهتم إلا بالبلجيك، وسياستها تعمل دائما على منع وقوع بلجيكا فى يد دولة معادية سواء كانت فرنسا أو ألمانيا . طالب نابليون الثالث بمكافأته حتى يقوى مركزه فى فرنسا، ولكن بسمارك رفض إعطاءه أراضى ألمانية أو بلجيكية ، ونشر مكاتبات نابليون فأثار الشعور الألمانى ضده وأثار الإنجليز وهكذا بقيت فرنسا وحيدة

بعد هذا عمد بسمارك إلى إثارتها واتخذ من مسألة النزاع حول العرش الإسبانى سببا فى إشعال الحرب . واندفعت فرنسا فسقطت فى الهوة التى حفرها بسمارك . وقامت الحرب وسرعان ما هزمت الجيوش الفرنسية فى كل مكان وسقطت إمبراطورية نابليون الثالث غير مأسوف عليها . وتقدم الألمان واحتلوا باريس وتوج الملك ولهلم إمبراطوراً لألمانيا فى قصر فرساى فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١

وهكذا تم الاتحاد الألمانى بقوة الدم والحديد

ومنذ قيام ألمانيا الحديثة أصبحت إحدى الدول الكبرى التى تتحكم فى مصير العالم ، وقد ظل وزيرها بسمارك يسيطر على السياسة الدولية ويدير دفتها حتى عزله الإمبراطور ولهلم الثانى ، ومما لا شك فيه أن بسمارك يعتبر أستاذ الساسة الألمان وأبرعهم؛ فقد كان يرسم خطة المعركة قبل خوضها ويحيطها بالعوامل التى تكفل له النصر . وعلى نهجه حاول هتلر أن يسير ، ولكن التوفيق جانبه فى النهاية ، بينما لازم التوفيق بسمارك طوال حياته

للكلام بقية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

لنحو علاك بنت الفكر وافت   وغيرك لم تجد خلا وفيا
فهب تقصير شعرى لاعترافى   أيا من فاق فى الفضل الرضيا
فإنى فيك قد شرفت نظمى   وجئت أروم منحا أخرويا
وصل مسلما دوما على من   علا بالجسم مرتبة الثريا
وآل ما البديعة فى خباها   بدت شمسا وماست سمهريا

فكان لهذه القصيدة تأثيرها الحسن لدى الأمير المصرى الكبير وكان لها وقعها وصداها

مكث الجندى مدة فى القاهرة يتمتع بعطف الأسرة العلوية ويرتع فى خيراتها ومبراتها ؛ ينظم فيها القصائد ويضع القدود والموشحات ، وكان طوال إقامته فى مصر كعبة قصادأهل الفن، أخذ عنه أرباب الفن كثيرا من الموشحات والمواويل والقدود والأدوار والقصائد ، فلحنوها هناك . وكانت لهم بمثابة مادة فنية جديدة أكبوا على تلحينها والتغنى بها مدة من الزمن أفاضت على القطر لونا جديدا من ألوان الغناء؛ فيها المتعة واللذة والمعانى المبتكرة الأخاذة ، ولا تزال موشحاته وقدوده تستعمل فى المغنى القديم حتى الآن دون أن تعرف أنها من نظمه ووضعه ، منها موشح

يا غزالى كيف عنى أبعدوك (من نغمة الأصبهان)

ومنها موشح تيمتنى هيمتنى (من نغمة البياتى)

ومنها موشح أهوى الغزال ازربى باهى الجمال من نغمة الحجاز التى نشرت فى الرسالة سابقا . ومن الموشحات المشهورة التى لم تنشر هنا بعد قوله من نغمة البياتى - نواه

يا صاح الصبر وهى منى   وشقيق الروح نأى عنى
بالحسن يفوق على الند   إن ماس بأثواب الند
وحسام لواحظه الهندى   قد جرد من غمد الجفن
شمس بأطالسها حلت   ولبند ذوائبها حلت
وبشهد مباسمها حلت   للكأس فما بنت الدن
بلطافة معناها رقت   ولجد محاسنها رقت
ولفرط نحولى مذ رقت   لطفا أحسنت بها ظنى
زارت والعنبر يصحبها   وسحاب النور يحجبها
وإذا ما لاح منقبها   أبصرت الشمس على الغصن
ما أحلى حين أشاهدها   وبما ترضاه أناشدها
واجلى للقلب مشاهدها   من راجى الغفلة والظن

وهناك موشحات فى الديوان أرى من الفائدة الإتيان على ذكرها فى هذه الكلمة تتمة للفائدة : منها موشح من نغمة الرصد : مطلعه

الحب فى صدق النيه   خير الصفات المرضيه
قد لذ لى صافى المشرب   فى حانة الباز الأشهب
وصار لى نعم المذهب   هجر السوى بالكليه
طابت ليالى الأفراح   وراق خمر الأقداح
وقد زكا للأرواح   نشر الرياض الأنسيه
سلطان أهل التحقيق   بعد الإمام الصديق
ما حى ظلام التعويق   راقى مقام القطبيه
مالى إذا عز الناصر   إلا حمى عبد القادر
راعى الحمى البحر الزاخر   سر المعانى القدسيه
إن كنت معنا فانبعنا   واصبر على البلوى معنا
وإن تسل عن ذى المعنى   هذا طريق الصوفيه
صلاة مولاى البارى   على النبى المختار
والآل عد الأمطار   أزكى صلاة مرضيه

هذا لون من ألوان الموشحات الصوفية المتداولة لدينا حتى الآن فى حلقات الأذكار ، أوردته دليلا على صوفية شاعرنا وهوايته فى هذا المذهب . ولقد كان أهل زمانه يضمونه فى مصاف الأقطاب أهل الكشف أصحاب الكرامات . وقيل إنه زار حلب فى سنة من السنين وكانت سنة ماحلة مجدبة ما بضت السماء بقطرة مطر واحدة ، فخرج الحلبيون إلى العراء يستسقون ويستغيثون وكان هذا الجندى فى طليعتهم ، فنظم فى الحال موشحه المشهور الذى نشرته الرسالة سابقا ومطلعه

ياذا العطا ياذا السخا ياذا الوفا
إسق العطاش تكرما فالعقل طاش من الظما

إلى آخر الأبيات ، ويذكر الطاعنون فى السن فى بلادنا الشامية نقلا عن آبائهم وأجدادهم ، أن موكب المستغيثين ما كاد يصل إلى المدينة راجعا من العراء حتى جادت السماء بغيث مدرار لم تحصل عليه التربة الحلبية منذ عشرات السنين ، وبهذا أنقذ

مع شوقي الخالد :

مسرحية مصرع كليوباترا

تتمة ما نشر في العدد الماضي

للأستاذ حسين كامل عزمي

ثم يضرب شوق ضربته النفسية الرائعة ، المؤثرة ، البليغة . في إسداله ستار الموت على الجو الأخير ، بنشيد الموت . . حتى إذا ما انتهى نشيد الموت ، وضمن الشاعر تهيئة الجو النفسي للجمهور ، يدخل القائد بالمعاهدة المهينة . فيضمن الشاعر بذلك سخط الجمهور على الدخيل ؛ ثم يجرى على لسان القائد تلميحا ، كالسهم الموجع ، يمس الأنثى المسكينة « كما صورها شوق » فيضمن أيضا ثورة الجمهور ، متضمنة عطفا انفعاليا غير واع على البطلة ... ثم يأتي تصوير الانتحار .. الملكة متخاذلة ، ضعيفة ، مسكينة ، تصانع الحراس ، وتتلقى تجريح القائد ، وتتعاطف مع الخدم ، و .. وتذوى في نشيد الموت ...

ثم تناجي زنبقة في الآنية ... ولكم أحسن شوق تصوير كليوباترا الأنثى في هذا الموقف . فها هي ذى منحنية على زنبقة في أصيص ، تتعاطف مع الطبيعة الصامتة شاعرة ، متصوفة — ما أبعدها عن كليوباترا التاريخ الخاطئة — اسمعها تقول :

زنبقة في الآنيه ضحية الأنانيه
جنت عليها غربة الـ أمر الأكف الجانيه
وبدلت من سمة الربـوة ضيق الباطيه
يسقونها من جرة بعد العيون الجاريه
يا جارتا شأنك لا يشبه إلا شانيه
لم يبق من ملكي العريـض غير دار خاويه
وكلنا ذابلة عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغنا من حياة فانيه

وبعد .. فكليوباترا أم لا تقوى على مواجهة طفليها وحدها فتستند إلى شرميون قائلة :

الوسم . . وكانت ستنتشد تمد من السنين المخصبة المرعة لديهم . ولهذا لا يزال الحلبيون حتى الآن يفزعون إلى المراء كلما ضنت عليهم السحب بالأمطار ، ينشدون هذه الموشحات إذ يعتقدون فيها الخير والبركة ... ولكن الخير والبركة بعيدتان عن أهل هذا العصر الذي طغى عليهم فيه الكفر والإلحاد ... فلم تعد تفيدهم في ضن مواسمهم وشحها لا توسلات إسق العطاش ولا بل الفراش ... فديوان شاعرنا قد حوى الكثير من أمثال هذه الموشحات التي يضيق المقام عن سردها. وأما في الأشعار الغزلية فلقد فاضت قريحة الشاعر المطبوع بالشيء الكثير ، ومن أغرب ما رأيته فيها قوله من قصيدة له مشهورة مطلعها

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا وتقلدوا عوض السيوف الأعينا
وتبادروا للعاشقين فكلهم طلب النجاة لنفسه إلا أنا
لا خير في جفن إذا لم يكتحل أرقا ولا جسد يجافاه الضنا
لما انثنى في حلة من سندس قالت غصون البان: ما أبقى لنا؟
وبثغره وبخده وعذاره ممنى العذيب وبارق والمنحنى
أقسى على من الحديد فؤاده ومن الحرير تراه خـدا لينا
يا قلبه القاسي ورقة خصره هلا نقلت إلى هنا من ها هنا
شبهته بالبدر قال ظلمتنى يا عاشق بالله ظلما بيننا
من أين للبدر الأتم ذوائبا أو مقلة أو ورد خد يجتنى
البدر ينقص والكمال لطلعتي فلذاك قد أصبحت منه أحسنا
لو أن رقة خصره في قلبه ما كان جار على المحب ولا جنى

هذا نوع من أنواع أشعاره في الغزل وهي كثيرة لا يحصى لها عد ، أقل ما يقال فيها أنها وإن كانت قديمة لا تتمشى مع رغبات أبناء العصر الحاضر ، إلا أنها في ثناياها حشاشة شاعر تكاد تذوب رقة وتقطر حلاوة وفنا

يتبع دمشق حسني كنعان

أدخلى بى يا شرميون على طفـــلى أودعهم الوداع الرهيبا
فمسام إذا تحجب صدرى وجدوا صدرك الحفى الرحيبا

ثم تبارك — خاطئة التاريخ — الحب الطاهر بـكلام كـكلام المتصوفين ، تقول :

ولدى اهجروا القصور فإنى قد وجدت النعيم فيها غريبا

ثم تمنحها ضيمة للحب ..

وشوق بعد كل هذا حريص على أن يترك ساحة كليوباترا نقية .. فهو يبارك هذا الحب أيضا ، ولا يجنى على هيلانة فتقع تبعة موتها على كليوباترا ، فيخترع معجزة « حقة النجاة » ضاربا بالواقعية عرض الحائط ، فى سبيل الوصول إلى الغرض الأول والأخير .. ثم لا يترك كليوباترا إلى راكمة أمام تمثال إيزيس تائبة ، مستغفرة ، مسترحمة ، ملقية تبعة خطاياها على الحياة .. فى فلسفة واهية الأساس ، وإن كانت متساندة ؛ بعد أن هيأ لها شوق ذلك الجو الذى أسلفنا تحليله ..

ولحظة الانتحار — وإن مرقت كالبرق — إلا أنها أضاءت بالأمل الذى يريد أن يتشبث بالشباب ، فيمنعه شئ فى النفس .. كما تجلى ذلك فى قولها :

الملكة : عجل فديتك

أنطونيو : لا .. لا بد من ثمن

الملكة : كرائم المال

أنطونيو : ما للمال مقدار

* * *

الملكة : إلى الأفاعى ؟

أنوبيس : لا إلى المحراب

الملكة : رأيتكا فى المكث والذهاب

* * *

زينون : أتعلم يا غلام على عشقاً

حابى : دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون : ومن أنباك

حابى : أنت

زينون : وكيف ؟

حابى : تهذى .. فتفضحك الوساوس والهذاء

* * *

الملكة : ماذا وراء الجندى ؟

الحارس : رسالة من عبد هل تأذنين ؟

الملكة : أد

و — شعر المسرحية :

فى هذه المسرحية قصائد خالدات يسجلها تاريخ الأدب للأجيال المتعاقبة باحترام صادق عميق ، وهو مؤمن بشاعرية شوق .. فلو سأل سائل ما هو الشعر لقرأنا له : « يا طيب وادى العدم » ، ولقرأنا له « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، ولقرأنا له : « زنبقة فى الآنية » ، ولقرأنا . « نام مركو ولم أنم » .. ثم سكتنا .. وهو — أى السائل — لا بد شاعر بما سأل عنه ..

فهذا الشعر ليس فى حاجة إلى الإقناع بأنه شعر ؛ إنه مناجاة عاطفية ذاتية إنسانية ، مناجاة آتية من بعيد — كالأمواج المنسابة فى ريث — تأخذ طريقها إلى نفسك فى رفق ، وصمت وعمق .. فتصغى إليها بـكل حواسك ، وكأنك تصغى إلى حبيب وأنت نشوان غائب فيه ..

أراد شوق أن يناجينا مناجاة العدم ، فأتى بنشيد الموت .. وقد مثله حقا ، فاستطاع أن يمثله لنا ، وأن يجذبنا إليه ، وأن يحملنا معه ..

ذلك الموت الحالم المريح الذى قدمه لزمعة الانتحار كليوباترا .. ذلك الوادى الطيب ، حيث الهروب مما لا نطيق ، حيث العزلة ، حيث تلاقى كليوباترا حبيبها ، وتـكون له خالصة ويـكون لها كذلك ..

ما أجمل هذا الوادى ، وما أحبه للنفس اليائسة الراغبة فى الانتحار .. إن وادى شوق هذا هو وادى العدم حقا .. إنه واد « لم تمش فيـه قدم » مجدب خال . إنه الموت ... وحلق مع شوق وارتفع بخيالك واسبح مع الشراع الفضى الذى يسرى « كالحلم فى الغمض » ، وهو ثابت متحرك ، لأنه حلم « يجرى

ولا يجرى » ... واسمع لأحزان الموت المريح ، لهذا النداء الحزين :

يا موت مل بالشراع واحمل جريح الحياة

وانظر مع شوق لهذا الفلك والمحه ، إلمحه من بعيد ، وهو يخترق اليم (تحسبه نجما ...) ، وتأمل سلبية هذا الزورق ، فهو ليس به ملاح ، وهو :

من نفسه يجرى لم يجره مجداف

وهو يجرى ولا يجرى ... إنها أمور محيرة ... إنه الموت ، لا بلاغة يجول فيها العلماء ... وهنا يخجل التحليل والتشريح ... إنها أنفاس شاعر قد بثها فى كل شطر ... أما النغم فى هذه القصائد فهو يبدو فى اللفظ والوزن والتركيب ، وفى أبعد من هذا فى نفس الشاعر التى امتلأت بما يقول

أما هذا النغم فهو همس صادق حزين ، مستريح يأوى لحزنه ... حسبك أن تنصت لهذا الشعر ، فتحسب أنه أغان تهمس بها نفسك أنت

وهى كلمة قصيرة عن هذا الشعر الرفيع فى هذه المسرحية ... وإذا بحثنا عن عثرات فنية فى شعر شوقى فى هذه المسرحية فلن نجد ما يهبط بشاعريته ...

فما يقوله دائما له مدلول وليس فيه فضول ...

فهو يتهالك على الشعر لينظم ؛ بل عنده ما يقوله ، بل ما يجب أن يقوله ...

وإذا أردنا أن نلتمس شعراً ضعيفا فلنلتمسه فى أبيات متبادلة بين أشخاص المسرحية ... وذلك لطبيعة الشعر المسرحي ... وللشاعر عذر فى ذلك إلى حد ما ، فهو لا يستطيع أن ينقل إلينا الكلام العادى الذى يجرى على ألسنتنا ، ولا يستطيع أن يمثل لنا حياتنا اليومية إلا بمثل هذا النظام ...

والذى نلاحظه بجلاء أن شوقيا أسير لجلجلة الشعر العربي القديم ، وذلك واضح جدا فى كثير من قصائده الطوال فى هذه المسرحية ، مثل :

« وداعا كليوباترا إلى يوم نلتقى . . » ، « اليوم أقصر باطلى وضلالى . . » ، « هلمى الآن منقذتى هلمى . . » ، « أمانا إله الحرب ما أنت صانع . . . » ، « روما حنانك واغفرى لفتاك . . »

فى كل هذه القصائد يحمل شوقى روح الشعر العربى القديم ولا يمنع هذا من أنه يصف الحال ويعبر أحسن التعبير . . وتتجلى هذه الروح حينما ينفرد شوقى بنفسه ويطلق لها العنان على ألسنة أبطاله ، وكأنه يثأر من قيود الحوار

وخلاصة رأينا فى شوقى هى أننا — كما يقول أستاذنا الجليل الزيات بك « قد علمناه بالدرس ، وعرفناه بالصحبة ، فما انخذل يوما فى تحليقه وإسفافه عن مواقف العبقرية . . ولئن كان فى شعر شبابه مأسور الفكر ، محصور الخيال ، محدود النظر ، لا يعبر إلا عن رأى القصر ، ولا يصور إلا بألوان البيئة ؛ لقد كانت هذه الحقبة الرسمية غيبة للشاعر عن نفسه ، وذهولا منه عن وجوده ، وقديما كانت صلات الشعراء بالملوك والخلفاء عاهة الشعر وآفة العبقرية ؛ فلما أعتقته الحرب من رق الوظيفة ، وأطلقته إنجلترا بالنفى إلى الأندلس ، تيقظ فيه الرسول الشاعر والحكيم المصلح . . فحلق بخياله فى كل جو ، وسطع بمقاله فى كل أفق ، وشدا بالإسلام والعروبة شدوا ردده كل لسان واهتز له كل قلب . . ثم زاد فى القيثارة العربية الأوتار الناقصة . . فأضاف الشعر القصصى ، والشعر التمثيلى ، إلى شعرنا الغنائى ، فكان بذلك وحده : الشاعر الكامل »(١)

(السويس) حسين كامل عزمى

(١) فى أصول الأدب للزيات بك

عبد الرحمن بن الأشعث

للأستاذ حمدى الحسينى

لم يكن فى العراق رجل أبغض إلى الحجاج من عبد الرحمن ابن الأشعث لخيلائه وزهوه وطموحه وعلو همته . ولم يكن فى العراق رجل أبغض إلى ابن الأشعث من الحجاج لقوته وحزمه ويقظة عينه وقلبه. كان الحجاج يقول : والله ما رأيت ابن الأشعث قط إلا أردت قتله . وقد رآه ذات يوم يختال فى مشيته مزهوا فقال لبعض أصحابه : انظر إلى مشيته والله لهممت أن أضرب عنقه . فنقلت هذه القولة إلى ابن الأشعث فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الجهد إذا طال بى وبه بقاء . ولكن كره الحجاج لابن الأشعث هذا الكره وموجدته عليه كل هذه الوجدة لم تمنع الحجاج من انتدابه للأمر الخطير ، وتوجيهه إياه للتغلب على الصعوبة العظيمة والخطب الجسيم

نقض رتبيل ملك الترك شروط الصلح بينه وبين المسلمين فساء ذلك الحجاج وكربه فأمر عامله على سجستان أن يغزو رتبيل فيستبيح أرضه ويهدم قلاعه ويقتل مقاتلته ويسبى ذريته فصدع بالأمر وغزا رتبيل فتظاهر الترك أمام الغزاة بالهزيمة وما كاد المسلمون يوغلون فى البلاد حتى أطبق عليهم أهلها إطباقة محكمة، فذعر المسلمون ذعراً شديداً واضطروا أن يطلبوا الصلح من رتبيل ولكن أى صلح ؟ طلبوا من رتبيل أن يصالحهم على أن يدفعوا له مبلغا عظيما من المال لقاء أن يفتتح لهم طريقاً للانسحاب فانسحب المسلمون وهم فى أسوأ حال . وصل خبر الهزيمة إلى الحجاج فقام له وقعد وبرق ورعد، فكتب إلى عبد الملك يقول إن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل. وقد اجترأ العدو بالذى أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم. وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين فى ذلك فإذا رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته، وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده مع إنى أتخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك القطر كله. فأجابه عبد الملك: أتانى كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم . وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيى من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك القطر الذى أصيب فيه المسلمون أو كفها ، فإن رأيى فى ذلك أن تمضى رأيك راشداً موفقاً

ما كاد يصل أمر الخليفة إلى الحجاج بالتعبئة العسكرية حتى عبأ أربعين ألفا من أهل الكوفة والبصرة ،أعطاهم أعطياتهم كاملة وسلحهم بأحسن السلاح وحملهم على أروع الخيول وأخذ يستعرضهم استعراضاً عسكريا فلا يرى رجلا تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته، ولكن من لهذا الجيش (جيش الطواويس) كما كان يسميه الحجاج يقوده فيؤدب به أولئك المشركين الغادرين ويسترجع بلاداً إسلامية تكاد تطير من حظيرة الإسلام؟ ليس لهذا الأمر العظيم غير عبد الرحمن بن الأشعث. فولاه الحجاج على قيادة هذا الجيش العظيم برغم نصيحة إسماعيل بن الأشعث له بعدم تولية عبد الرحمن إذ قال للحجاج : لا تبعثه فإنى أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطاناً

طار عبد الرحمن إلى سجستان فما كادت قدمه تطأ أرضها حتى جمع الناس فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس إن الأمير الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم وأباد خياركم . فإياكم أن يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة . اخرجوا إلى معسكركم فعسكروا به مع الناس . فعسكر الناس كلهم فى معسكرهم فبلغ ذلك رتبيل فكتب إلى عبد الرحمن يعتذر إليه من مصاب المسلمين ويخبره بأنه كان لذلك كارها ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج . ولكن عبد الرحمن عرف أن رتبيل يخادعه فلم يعبأ بقوله وسار بجيشه الجرار حتى دخل بلاد المشركين فانكمش المشركون أمامه انكماش هزيمة وخضوع، وأخذوا يخلون له بلادهم بلداً بلداً

وحصونهم حصناً .. حصنا ، فأخذ عبد الرحمن كلما حوى بلدا بعث إليه عاملا وبعث معه أعوانا، ووضع البرد بين كل بلدوبلد، وجعل الأرصاد على المرتفعات والشعاب ، ووضع المخافر المسلحة فى كل مكان مخوف . حتى إذا حاز من أرض المشركين قسطا عظيما وملأ يديه من الغنائم والأموال وقف الزحف وقال : نكتفى بما أصبناه هذا العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها، ثم نحتل فى العام المقبل ماوراءها، ثم لم نزل ننتقصهم فى كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخرذلك على كنوزهم وذراريهم ويمتنع حصونهم ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله

كتب عبد الرحمن بن الأشعث إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو وبخطته العسكرية التى وضعها للاستيلاء التدريجى على بقية البلاد المغزوة فأجابه الحجاج : إن كتابك أتانى وفهمت ما ذكرت فيه وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة . قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم فى الإسلام عظيما . لعمرك إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحدى لتحبى النفس عمن أصيب من المسلمين

إنى لم أعد رأيك الذى زعمت أنك رأيته رأى مكيدة ولكنى رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك والتياث رأيك فامض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسلب ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر قال فيه :

مر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم. ثم أردفه كتابا ثالثا قال فيه : امض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس نخله وما وليته . بمثل هذه اللهجة القاسية المذلة يخاطب الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث الحاقد الطموح القابض على زمام أكبر جيش مؤلف من أهل البصرة والكوفة الحاقدين على الحجاج وبنى أمية . فى حين أن ابن الأشعث قد عمل عملا حربيا صحيحا أنتج نتائج طيبة وارتأى رأيا عسكريا فيه الشئ الكثير من الحيكة والحزم ، فكان على الحجاج إما أن يقره على رأيه أو يناقشه مناقشة تقوم على حفظ الكرامة وعدم

إثارة كوامن الحقد فى نفسه . ولننظر الآن الأثر الذى أحدثته كتب الحجاج لابن الأشعث

جمع ابن الأشعث الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأيى فيما بينكم وبين عدوكم رأى استشرت فيه ذوى أحلامكم وأولى التجربة فى الحرب منكم فرضوه لكم رأيا، ورأوه لكم فى العاجل والآجل صلاحا ، وقد كتب إلى أميركم الحجاج فجاءنى منه كتاب يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدو وهى البلاد التى هلك إخوانكم فيها بالأمس وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم. وما كاد ينتهى ابن الأشعث من خطابه حتى هب الجيش محتجا على الحجاج ثم أفضى الأمر إلى خلع الحجاج وإعلان العصيان له والخروج عليه، وهذا ما أراده ابن الأشعث الطموح المزاحم للحجاج على إمرة العراق . خلع جيش العراق الحجاج وبايع ابن الأشعث فهب عبد الرحمن يقود الجيش إلى العراق ليحتله ويتربع على كرسى الحكم فيه. وكان ابن الأشعث يضمر أكثر من هذا فقد كان يضمر خلع عبد الملك وانتزاع الخلافة منه . وصل خبر انتقاض الجيش إلى الحجاج فأبلغه الحجاج فى الحال إلى عبد الملك فكان وقع الخبر على الحجاج وعبد الملك عظيما جدا لأنهما كانا يقدران لابن الأشعث قدره ويعرفان مبلغ حقد أهل العراق على الحجاج والأمويين كل المعرفة، ولكنهما استعدا لمقاومة ابن الأشعث بجيوش أهل الشام فتولى الحجاج القيادة بنفسه وسار بجيشه يستقبل ابن الأشعث فى طريق الأهواز فوقعت بين الفريقين معركة دامية انهزم فيها الحجاج فاستولى ابن الأشعث على البصرة فبايعه أهل البصرة جميعهم على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ، ولكن الحجاج لم يضعف أمام هذه الصدمة فاستعد لمعركة أخرى وقعت بينه وبين ابن الأشعث فى الزاوية دارت فيها الدائرة على الحجاج أيضاً فاستجابت مدن العراق لابن الأشعث بعد هذا النصر فتوجه إلى الكوفة فخرج إليه طعلها يستقبلونه استقبال المنقذ لهم من براثن الحجاج فأصبح الحجاج ولا أثر لسلطانه على البصرة والكوفة ؛ فاتصل الخبر بعبد الملك ففزع له وتوقع أسوأ العواقب

فبعث بأخيه وابنه إلى أهل العراق الثائرين يعرض عليهم شروطا للصلح تقوم على عزل الحجاج عن العراق وتولية ابن الأشعث مكانه فرفض الثوار شروط الصلح رفضا باتا ، فأخذ الحجاج يقاتل الثوار برغم ما تركته محاولة عبدالملك الصلح مع الثوار فى نفسه من الألم

جرت بين الفريقين حروب كثيرة ومعارك حامية الوطيس فى دير الجماجم بالقرب من الكوفة كانت نتيجتها انهزام جيش ابن الأشعث ففر ابن الأشعث إلى بلاد رتبيل فدخلها لاجئا وعاد الحجاج إلى ما كان له من سلطان فى العراق

وكان من أمر ابن الأشعث أن قبض عليه رتبيل وقتله وقبض على أهل بيته وأرسلهم مع رأس عبد الرحمن إلى الحجاج كسبا لمرضاته

حمدى الحسينى

٥ - رحلة إلى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

فى الطريق الى القاهرة :

وبعد الشمس قطعنا الصخور وبان بان الجفا والشرور ، ولم نزل نقطع بحيرة بحيرة ، وقرية قرية ما بها طيرة ، إلى أن وصلنا باسعاف اللطيف الخبير ، إلى محل بالإمداد مطير ، كاد لولا المعونة والتبشير ، تحصيل الانقلاب فى الطيار الكبير ، ورجفت القلوب واتسع رتق الخطوب ، وكان الليل دهم وزاد الهم ولم نم إلا اليسير ، لغلبة وارد ، وهم مبير ، وخرجنا فى الصباح المنير للبر البر بأهله ، وانتظرنا الماش، ولحقناه فى قياسة ، بانتعاش، وطاب معنا الريح الربيع ، إلى أن وصلنا إلى (مونسه) وبتنا بهـا بليلة مؤنسه ، وزرنا من حولها من سادات وأعيان ، ثم إنا خرجنا إلى البر نروح النفس بمشاهدة ملك البر وأردنا أن نسير على ظهور الحمير، نحو (بولاق) لمعظم اشتياق ، فرأينا المركوب لا يركب ، فعدنا إلى المركب ، ثم سرنا إلى أن سامتنا (وردان) الساحبة بمهارها على غيرها ذيل الخيرات وزرنا رجالها السبعة الفائقين على النجوم السيارة والميزان . ثم خرجنا إلى (بحر التضامى) وجزت بزورته برا مراسى، ثم وقبل أن وصلنا (بحر الحسين) قرأنا الفاتحة لسيدى إبراهيم ساكن الجيز ومن حوله من سادات له على الغير ميز، ولما وصلنا الجر ، خرجنا ثانيا إلى البر، وسرنا وقد طاب المسير، إلى القاهرة ذات الوجه المنير ، وبهجوم الليل واختلاف الميل حولت الماشات إلى ناحية البر، ولذ لهم حسن المقام والمقر، وبتنا فيه والبسط يصافينا نتسامر مع الإخوان ، ما يكون وما كان، وعلت أصوات الملاحين ، بالنغمات المصرية والتلاحين، وغنى ممسك الدفة مواليا فى المديح النبوى له حقه فاستمددناه وكتبناه وهو :

خذنى معاك يادليل الركب يامنصور   أزور قبر التهامى فج منه النور
قال الدليل ياصبى تقدر تدوس الدور   فقلت عيان زبى يجبر المكسور

وثنى فقال :

لماقرص صاحب الشيبه كتم ماباح   نايم حبيبو على فخذه وهو مرتاح
نزلت دموعو فقال لو ليش تبكى ارتاح
قال لو قرصنى الحنش فى العقب يامصباح
قال النبى للحنش لم صبت صديق   ذا مؤنسي فى ظلام الليل ورفيق
نطق الحنش للنبى بلسان تحقيق   قال لو أتيت الزيارة رام تعويق

«ثم إنا لما أشرقت الغزالة، على وجه أخت الخالة، سرنا باللبان إلى أن أتينا بطن البقرة ، فاستمددنا بالله من هوله متوسلين بسورة البقرة

فى بولاق ، وفود الاخوانه والمجاورين فى الأزهر :

« ولم ندخل بولاق إلا بعيد العشا ، وعلينا ضوء القمر ممد وغشى، وما استقر بنا المقام غب الوصول للمقر المكين، حتى ورد علينا إخوان من المجاورين منهم الشيخ أحمد الأشبولى الرزين ، وإسماعيل افندى وغيرهما من محبين ، وسرنا معهم (لتكية الأعجام) وبتنا آمنين بحظ مكين، وفى الصباح وفد الأخ الداوى الشيخ محمد الحفناوى ، ومعه أحباب لهم لحبل الود انتساب ، ودخلنا ونحن فى سرور المدينة ، وزرنا الجناب العالى مقام السيد السند الأوحد الحسين ، ونزلنا (وكالة محسن الجديدة)

وبتنا بها ليلة الأربعاء ثم بتنا ليلة الخميس ببسط وافر وذهبنا بحنها الديماس، مع إخوان لهم طيب أنفاس، ورد فيه علينا أحباب أجله، من كل واله ومدله، وفيه أخذ الطريق واندرج في سلك أهل هذا الذيق، الشيخ أحمد المقدم، والسيد نجم الدين الخيري(١) الأقدم، والسيد حسين الحلي (٢) القدسي، والشيخ محمد المغربي محتسين الكأس الأنسي، ثم أخذ الشيخ أحمد الشبراوي. ثم إنا بتنا ليلة الجمعة ذات الإشراف واللمة، وكاد أن يمنعنا السحاب، من الخروج إلى صلاة الجمعة، مجمع الأحباب، ثم إنا صلينا في جامع قريب من المحل، يعرف (بالجامع الجالي) وفي عشية يوم السبت المطار أخذ الأخ الشيخ محمد الزهار، وغيره من الأخيار، وفي يوم الأحد أخذ الشيخ أحمد العرومي، ثم حضر الأخ الشيخ محمد الحفناوي؛ وسرنا معه إلى زيارة السيدة نفيسة ذات الكأس المداوي، ومعنا جماعة لكل خير جماعة، ممن أخذ الطريق، وغيرهم من محب هذا الفريق، ولما خرجنا من باب النصر، دخل وارد السرور القلب وحل ذلك القصر، وما زلنا كلما مررنا على مرقد ولي ملي، نبسط كف الطلب ونترجى فيض العلي، إلى أن حاذينا (قلعة الجبل) وحكمنا أنها تقرب من القدس النافية الخبل، وما زلنا نتفرج ونتدرج ونقرأ الفواتح إلى أن وصلنا دوح روضة حضرة السيدة النفيسة، الدينة نفيسة، وكنت امتدحت جنابها لأشواق رسيسة، وأثبته في (الحلة النصرية في الرحلة المصرية)

« وعطفنا على زيارات كثيرة، وأحباب أقدارها كبيرة، وعجبنا على حانة أرباب الصدق والتصديق، من أسلافنا بني الصديق، وجلسنا عندهم حصة يسيرة، لتمسي بهم الأمور العسيرة يسيرة، وزرت في هذه الكرة المنيرة العم المرحوم أحمد افندي

استمرار الشيخ في نشر طريقته في مصر

« ثم أكرينا على زيارة الأعلام ومنهم أشهب بن عبد العزيز العامري المصري، وسيدي عبد الرحمن بن القاسم ومنهم إصبع ابن الفرج، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي، ومنهم أبو بكر أحمد الدقاق، وإسماعيل المزني والشيخ شاهين والشيوحي وغيرهم، ومنهم سيدي عمر بن الفارض، وزرنا الجلال المحلي، وكان يوم مولده الذي ما مر من عيش به يحلي، وزرنا الجلال السيوطي، وسيدي إبراهيم الجعبري، وابن رفاعة، من فيضه فيض بني رفاعة، وعدنا للأماكن

« وكان الشيخ يوسف الحفني (أخو الشيخ الأمجد الشيخ محمد) جاءني بقصيدة فريدة وعدته بإثباتها في هذه الرحلة، وجملت جائزتها الإجازة بما أجازني به كل رحلة، ومطلعها:

(سرائر سر السر بالحال تعرب وداعي التجلي بالمدائح يطنب)

وأما الإجازة التي جملتها الجائزة المفيدة الخ فصورتها:

(لربي حمدي ماله أتقرب وشكري مامنه أخاف وأرهب الخ)

« ثم أخذ طريق الأخيار الشيخ علي شقيق الشيخ محمد الزهار، والشيخ موسى والد العرومي، وإسماعيل افندي، والسيد حسن نجل السيد محمد القشقشي، وتقدم الشيخ حسن اليمني وطلب الإجازة لفاضل نبيل اسمه الشيخ إسماعيل بن غنيم فأجزناه ثم التحق بالطريق

« وفي يوم الاثنين دعانا محب زين، يدعى أحمد افندي، فقصدنا زيارة سيدنا ومولانا الحسين

« وبعد تمام الزيارة، ودعته وأودعت قلبي لديه، فتلقانا جناب العارف بربه الشيخ أحمد الملوي، وأخبر أنه كان مقصده الاجتماع، ثم بعد السلام والمصافحة، قرأنا الفاتحة، ودعا بدعوات الأطياب، فسررت بدعائه ورأيت عليه أبهة الصالحين، أهل القرب الفالحين، وحمدت على هذا الاقارب المالين

« وتطلبت النفس الاجتماع، جناب الشيخ محمد العيساوي فمرض له بعض الحواشي، بالحمية بالفقير، فقال المحبة في عدم الظهور سيما في هذا الزمان النادر الواشي، وحصل الاجتماع في الباطن فقبلنا هذا الاجتماع المورث انتعاشي

« وفي يوم الثلاثاء دعانا لداره المحب المتين الحاج علي بن المرحوم الحاج فخر الدين، وفي ليلة الأربعاء دعانا أولاد العالم العلامة الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، وهما الشيخ محمد والشيخ علي

---

(١) مفتي الحنفية بالقدس توفي سنة (١١٧٣ هـ)

(٢) ترجمه حسن بن عبد اللطيف الحسيني في كتابه « أعيان القدس في القرن الثاني عشر » قام مقام شيخ السجادة البكرية بمصر توفي بالاستانة سنة (١١٩٦ هـ)

في الجامع الأزهر :

« وزرنا الجامع الأزهر ، وصعدنا الرواق الشامى الأبهر ، ودعونا للساعى فى عمارته بنيل المهار فى دنياه وآخرته

وذهبنا بعد أكل ضيافتهما لحمام صديقنا الحاج محمد المحب الأوحد ، وزارنى فى محل قرارى ، جناب الشيخ عبد الله الشبراوى وطلب الإجازة والدعا لولده الشيخ عامر ، وأخبرت أن صديقنا الأقدم ذى المقام الإحاطى ، الشيخ أحمد الإسقاطى ، شرف المحل يوم توجهنا للزيارة فلم يقسم لهم نصيب بالاجتماع لسوء الحظ

« وقد ورد علينا جمع من المجاورين ، وأخذ كل منهم الطريق لفرط حب متين ، وغيرهم من أحباب ربما يبلغ عدم الأسنى عد الأسماء الحسنى ، أو ينوف على عدها ويزيد

الطريق البرى الى القدس صحبة الوزير المشير عثمان باشا

« وكنا أكرينا مع الحاج خليل العريشى صحبة الوزير المشير عثمان باشا (٣) لحصول التيسير ، وتوجهنا بعد ظهر الخميس ، الرابع عشر من شعبان المبارك التأسيس، وودعنا الإخوان منهم داخل البلد ومنهم خارجها لفرط حب مصان ، وبتنا لدى (بركة جامع العرب) منفردين . ولما صاح النفير من طرف الوزير ، تأهبنا للسير ، وسرنا غب صلاة الصبح بيسير إلى (الخانكة) بوجد منير ، وبتنا فيها ، ثم إنا سرنا إلى (بلبيس) فقلت :

ثم سرنا إلى فنا بلبيس نتهادى نخراً كامرئ قيس
وتلاقيت بالصديق الأنيس ذا خليل مفتى حمى التقديس
ثم زرنا (النوادى) خير نفيس وبها بت مثل نوم عروسى

وتأخر بعض الخدم عن أمر يلزم ، فقلت نجاك الله من شره ولا نجاك من بره ، وأغرقك فى طمطام فضله، وأعرفك من خزام وصله دون فصله

ورحلنا بهمة للقرين أرتجى إسلام شر قرين

(٣) لعله عثمان باشا أبو طوق كان والياً للشام سنة (١١٧٧هـ)

وإلى صالحية قد سرينا وأقمنا يوما لراحة عين
وقرأنا للحاجرى قبل نأى حانها فاتحات أبواب زين

نخيل الصالحية

« وفى الصالحية من النخيل ، ما يخيل المقل البخيل أن يضاهيه ، مثيل لكن به تخيل ، عند ذوى الأعراق ، أنه يقارب كثرة سواد العراق ، وفيها طائفة الصوالحة ، التى نفوسهم للتأديب غير صالحة ، وأخرى تدعى القصاصة ، المؤرقة للدارة الفضاضة الفصاصة ، والعجب من حكام ، ما لها فى معرفة التدبير أحكام ، ولا سعى ووعى فى تأمين البلاد، وتسكين متحرك غض الشر المياد ، ولا عدل فى الأمور ، بل عدل عنه إلى جور يمور ، ونرجو من المنان الغفور الحنان الشكور ، أن يسهل حزن هذه الصخور ، بمحو أهل الضلال والفجور ، وأن ينظم شمل العدل فى الأحكام الوفور النور ، على يد المؤيد المظفر المنصور من السلام، المعيد لوطنه الإسلام ، سفاح الأموال ودماء أهل الانحلال ، من ربقة الذين بانتحال

من القناطر الى بئر العبد :

« ومنها توجهنا بوجه ناضر لنحو القناطر

وبحب الحبيب وجداً نخاطر ونخوض المياه أزعج خاطر
وتوسلت فى سبا ثم فاطر أن نجوز الربا بشم المواطر
ثم جئنا بئر الدويدار نسعى باجتهاد وللأوامر ندعى
وأتينا قطية وقطين ؟ وزلنا الأولى بجد لمرعى

ثم قطعنا تلالاً رملية، لا تخرج فى الأشكال الرملية، وأتينا (بير العبد) الآبق بفرط ملوحته ، عن منزل حلاوته وعذوبته، إذ الأصل فى المياه الجارية ذلك ، فمن تغرب عن وطنه فهو طريق الإباقة سالك

« ولما وصلنا الحطة ، وقلنا لدى بابها حطه ، بكت عيون السحاب، من غير انسكاب

من البريقات الى خان يونس :

« ومنها سرنا إلى « البريقات » عندما لاحت البريقات ،

وفاحت أطياب الأوبقات من غير ميعاد وميقات ، حتى أتينا بعد ما سرينا (امريش) والجناح منا بالوجد مريش ، ثم (الدعقة) الوحشة الرقمة والدعقة ، ومنها إلى (خان يونس) للوارد يونس وقلت فيه لشرب صافيه .. مواليا

لما أتينا لخان عمره يونس بالأنس فزنا لأنو للغريب يونس
عودنه برآة هود مع يونس من شر قوم لئام ما بهم مونس

في غزة :

« ولما بلغ خبر قدومنا صديقنا الرئيس ، محمد بن المرحوم الرئيس محمد الهليس ، ووالده صديق محمود، ورفيق رفيق ودود ، فتلقانا ولديه أنزل وفي الإكرام أجزل ، وكذلك صديقنا الحاج محمد مكي (٤) ذو الود الزكي المسكي، وأولاده وأولاد ولده الذكي محمد جلبي ، وأرسل الأخ الممنوح انصياغا الشيخ إبراهيم بن صفر أغا بعد اجتماعه بنا هدية توجب ثبوت ما بنا وأصحبها ببيتين . (يقول له فيهما إنه لو كان لا يهديه إلى أن يرى شيئا على قدره ، لكان واجب أن يهديه سدرة المنتهى بأثوابها الخضر)

« وصليت الجمعة في جامعها القديم الجامع ، فرأيته يحتاج لعمارة ، كالبلدة التي برها الخيرات جامع ، وبحرها بالمسرات هامع ، وهواها المدى لمرضها الندى لامع بكل حسن به القلب طامع ، وماؤها العذب السلسال ، يشفي العليل ويطفي الغليل من محب غير سآل

نحو الرملة والى القدس

وفي ليلة السبت الأول من شهر رمضان المعظم توجهنا نحو الرملة والرئيس معنا ، وبتنا في فتوح مابه سدودلدى (قرية) سدود وزرنا سيدي سلمان الفارسي والمتبولي ، وعند الوصول إلى الرملة بتنا لدى مفتيها الخيري (السيد محمد) وفي ثالث يوم من شهر الصوم من يوم الاثنين أتينا الديار المقدسة فرحين بملاقاة قرة العين ،

(٤) هي عائلة غزية ، كان حسين باشا بن مكي واليا للشام سنة (١١٥٥هـ)

ودخلناها قرب الغروب بقلب طروب . فلما دخلنا الباب أخبرت أن ابنتي علما متمرضة عن ألم برجلها ، وبعد السلام عليها والتملي بمحاسن لديها ، قالت لي : « يا أبتي قد تموقت على » فقلت « يا بنية الأمر في هذا ليس إلي » ثم عزتني في الشيخ نور الدين وقالت : « تسلم أنت يا أبتي فيه » فقلت : « وأنت تسلمي بجاه مصطفيه » وما زال مرضها الجزئي يزيد ويمتد إلى ليلة الأحد ، التاسعة من شهر رمضان وفي سحرها الحنان بالأحزان سلمتها في يد جدها العتيق ، وترجمتها في كراسة لما سقتني من الشراب الهمي كأسه ، وسميتها (الغيوب الملجمة والغيوث المسجمة ، في ترجمة ابنتي المنيفة قدرا سما ، الشريفة الصديقية البكرية علما) وذكرت رحلتها عنا في (الكمامة النرجسية الندسية في المقامة الأنسية القدسية) . وكنت لما ورد هذا الوارد على أشغل القلب وأشمل اللب ، وحرك ساكن ما لدى فلم أتم هذه الرحلة إذ ذاك بل أخرته إلى هذا الشهر الشوالي

« وكان أرسل الأخ الأمجد محمد الحفني المفرد لنا كتابا مصدرا بقصيدة صحبة الأخ الشيخ محمد المغربي ، فنهب القفل وضاع الكتاب الفريد ، ولكنه أنشد لي أبياتا منها تصيد. فأجبته حالا وكان ذلك ضحوة الأحد التاسع عشر من ذي القعدة سنة (١١٤٨هـ)

« ولما كنا في المنازل الكنانية وعد الأخ الشيخ محمد بزيارة الأماكن القدسة ، قدم علينا في منتصف جمادى الثاني وصحب معه جملا من الهدايا منها المواهب لأخيه الذاتي ، فرأيت فيها ما ذكرته

« وكنت أرسلت له القصيدة السابقة من غير كتاب ، فلما توجه صديقنا السيد الكردي ، صحبته بكتاب إلى الأخ محمد الحفني قلت له فيه : إن الشيخ محمد المغربي كان ورد علينا شكيا من نفسه ، وكان أضاع بعض أمتعته نهبا ، وأخذ خرجه الحاوي على القصيدة ، وأنشدنا بعض أبيات ، وقد حذونا أثركم وأرسلناها لكم ، ونهدى أخاكم الأكرم السلام ، وجميع من لديكم من إخوان

« وأرسلت لجناب وزير الشام سليمان باشا (المعظم) إلى معان ، كتابا في أواخر شوال ، وصدرته بأبيات حسان

وقد جاءني كتابه ، بعد السلام والدعوات ، بالحج المبرور

« أنه لما ورد العبد الديار الرومية رأى هموم أهل نامية ، والقلوب وجلة سامية ، من السفر العجمي حامية ، متوافرة الأشجان ، وغب حصول الصلح المطلوب على الوجه المرغوب ، صدر الإذن بالتوجه للقدس بعد الاستخارة ، وعانيا في البحر المالح تيسيرا ، وأقمنا في الكنانة ، وعدنا إلى القدس »

« وبعد عودة جنابه من الحج وأداء نسك العج والثج ، أرسلت كتابا مهنئا بالسلامة ، وحصول الكرامة ، في منتصف صفر المبارك . كما أرسلت لحبنا الأمجد محمد جلبي بن مكي المفرد ، كتابا أهنئه بعوده للحمى ، كما أرسلت للصهر الجليل الشيخ إسماعيل النبيل كتابا ، وآخر سبق أضربت عن ذكره فقد من سبق »

الزيارة العليلية السنوية :

« ولما توجهت إلى الزيارة العليلية (مقام سيدي علي بن عليل العمري) في أوائل صفر المبارك ، وجرى على اللسان مدح سيدي (يامين) وكذلك من بجواره صاحب الإفاقة (سيدي سراقة)

« ولما حللت نابلس المحروسة نزلت في (الدرويشية) (٥) على جاري العادة جرى على الخاطر أول موشح لشيخنا الشيخ عبد الغني (النابلسي) :

(دع جمال الوجه يظهر لا تغطي يا حبيبي
كل شيء عقد جوهر حلية الحبس المهيب

فقلت مرتجلا :

أيها الصب الخبير نسبا بنت العريب
غب بها في الحب وأسكر كاتم السر الغريب

« وأرسل مفتي السادة الحنفية ، داخل رملة فلسطين السيد محمد الخيري ، كتابا مصدراً بقصيدة مطلعها :

أشمس أفق بدت في دورة الحمل أم ومض برق تلاه صيب الحمل

وكتبت جوابا عنها ليلة وصولها قصيدة على وزنها :

سربي اسربي عسى أسقى من العلل
وانعم بشربي ليشفى القلب من علل الخ

وأتبعها (أي المفتي) بديباجة إذ قامت في نفس يعقوب السر حاجة فقضاها ، وفاز بمقتضاها ، وكان أرسل مع ولده الكبير ، ولده الوسط والصغير ، وأمرهما بالانتساب ، وبعده طلب الوسط بهاء الدين (الخيري) وصية على ظهر كتاب الأوراد فكتبت له :

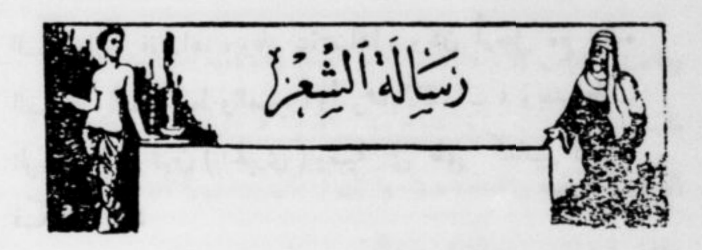
« وقبل أيام ورد كتاب من المحب الأخ الحنفي ، يقول فيه : إنا عزمنا على التوجه لحرم أمنكم صحبة الأخوين المتوجهين إليكم فعاقت الأقدار عن اللحوق بهما من الطريقين ، وإن شاء الله نلحق بهما في منتصف ربيع الأول

« وكان قدومه منتصف جمادى الثاني (سنة ١١٤٩ هـ) وأقام لدينا مصحوبا بالظفر والتهاني إلى شوال المبارك وتوجه لوطنه

« وتحركت بعده منا الهمة إلى الحجة الوعود بها الفؤاد ، عقبه بثلاثة أشهر حيث الإذن وقع ، والشوق زاد ، وشرعت في الرحلة لتلك البلاد سحر يوم الاثنين الثالث من صفر المبارك الوصف والعين ، وفي هذا التاريخ شرعنا في الرحلة الثالثة المصرية والحجازية . والشامية ذات الإمدادات النصرية الإعجازية . والحمد لله

« تمت الرحلة » سامح الخالدي

(٥) نسبة إلى درويش باشا . كان واليا لأيالة دمشق وعمر فيها جامعا . توفي ٩٨٧ هـ وتولى درويش باشا آخر ولاية الشام سنة (١٠٤٥ هـ)



١ـ حبيبتى السمراء

للشاب محمد مفتاح الفيتورى

حبيبتى سمـــراء   سمراء مثل الكروم
ناعمة كالضيـــاء   حالمة كالنسيم
خمرية كالمســاء   نقيـــة كالغيوم
فى مقلتيهـا السماء   فى وجنتيها النجوم
فى شفتيهـا الهناء   بين يديها النعيم
حبيبتى السمراء
أجمل حور السماء

* * *

أحب لون الخفر   فى صوتها الملهم
وكبرياء النظر   وكـــبرياء الفم
وثغرها المختصر   ونهدها البرعمى
وخصلات الشعر   تموج أو ترتمى
كالسنبل المنتثر   فى نسق محكم
على جبين نضر   توج بالأنجم
مثل جبين القمر
مغتسلا بالمطر

* * *

يا آلهات الصباح   ويا عذارى الجنان
اقطفن زهر الأقاح   والفل والسوسان
ومرن فيد الرياح   يفرشنه فى افتنان
على المروج الفساح   والهضب والوديان
هيا طيور الصباح   فظللى المهرجان
غنى وهزى البطاح   فإننا آتيان
لنا الغرام وشاح
لنا الربيع جناح

٢ـ غموض

كم رحت أنظر للسماء محدقا   متشوق الرؤيا صباح مساء
أرنو إلى الفجر الجميل كساحر   حملت يداه ريشـــة عذراء
فغدى يخط على الفضاء رسومه   ويوزع الألوان والأضواء
وإلى الظهيرة وهى حلم مفزع   يتألف الأموات والأحياء
والشمس فى كف الهجير توهجت   كأسا .. وشمت ماسة زرقاء
وإلى الأصيل وقد تدلى كرمة   أغصانها تتسلق الأرجاء
وكأنه فـوق الروابى معطف   نسجتـه كف تنثر الإغراء
وإلى المياه وقد تدفق جدولا   إزرق أمواها وشف نقاء
عريت بشاطئه النجوم وفصلت   مـن مائه أزياءها الملساء

* * *

كم كنت أنظر للسماء وفى دمى   حـلم يضج تمردا وإباء
فاليوم أنظر للتراب منكسا   رأسى على حصبائه استحياء

محمد مفتاح الفيتورى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقال لا ينسى للأستاذ الزيات :

هو مقال ظهر فى « الرسالة » منذ اثنى عشر عاما فكان له فى النفوس وقع ، وفى الآذان دوى ، وفى القلوب مكان

... وأشهد ما ذكرتنى به هذه المناسبة التى أرويها هنا ودفعتنى إلى الكتابة ، لأنى أذكره منذ أن قرأته وقبل أن أعرف صاحبه وبعد أن عرفته وربطت الأقدار بيننا برباط من الود العميق . ولست وحدى الذى أذكره فيما أظن ، ولكن يذكره معى الكثيرون ممن لا يسمحون ليد الزمن أن تطمس ما يؤثرون لغيرهم من قيم ويحفظون من كلمات !

أما المناسبة التى دفعتنى إلى الكتابة وأثارت القلم بين يدى وبعثت التاريخ من مرقده ، فهى سطور كتبها الأستاذ مصطفى أمين بك فى كتابه الجديد الذى أصدرته « أخبار اليوم » وأعنى به « عمالقة وأقزام » .. سطور أشار فيها إشارة عابرة إلى ذلك المقال وهو فى معرض الحديث عن الزعيم المصرى العظيم محمد محمود ، وهناك حيث مر مسرعا وكان يجب أن يطيل الوقوف ، وقال موجزا وكان يجب أن يطنب ويفيض :

« وفى سنة ١٩٣٩ قمت بحملة فى مجلة آخر ساعة ضد نادى الفروسية ، وضد الكبراء الذين يتعالون على الشعب ... وذات يوم استدعانى رفعة على ماهر باشا وكان رئيسا للديوان الملكى ، وقال لى إن هذه الحملة قد تؤدى إلى إسقاط وزارة محمد محمود ، وذلك لأن محمد محمود رفض تقديمى إلى محكمة الجنايات !

وذهبت إلى محمد محمود وقلت له : إننى مستعد أن أقف الحملة مؤقتا وقصصت عليه حديثى مع على ماهر . فقال رئيس الوزراء : إنه يشرفنى أن تستقيل الوزارة بسبب الدفاع عن حرية رجل يدافع عن شعور المصريين ! وقال لى : لقد طلبوا إلى محاكمتك فقلت لهم : أنا الذى أمليت عليه هذه المقالات ، فإذا كان الدفاع عن شعور المصريين جريمة فأنا المجرم الأول !

وحدث بعد هذا أن كتب الأستاذ أحمد حسن الزيات مقالا فى « الرسالة » فى موضوع الطبقات وهاجم فيه بعض الكبراء ... فذهب أحد الكبراء إلى محمد محمود وطلب إليه تعطيل مجلة الرسالة ، وتصادف أنى كنت أزور محمد محمود فأخبرنى بما حدث ، وطلب منا أن نذكره فى اليوم الثانى بالموضوع فى مكتبه برياسة مجلس الوزراء !

وقبل أن يذكره أحد بالموضوع .. كتب بخطه الأمر التالى : « يجب أن تشترك وزارة المعارف فى مجلة الرسالة ، وأن تعطى إعلانات حكومية أسوة بباقى المجلات » !

وسلم الأمر إلى سكرتيره وهو يقول لى : هذا هو العقاب الذى أنزلته بمجلة الرسالة .. » !

هذه هى الإشارة العابرة التى وردت فى كلمة الأستاذ مصطفى أمين عن مقال الأستاذ الزيات . إنها تعطيك فكرة ضخمة عن كبرياء محمد محمود وعراقة مصريته وأصالة قوميته ، وبقى أن أحدثك أنا عن موقف الأستاذ صاحب الرسالة حديثا يحدد مكانه فى نفسك ويقدم شخصه إلى حكمك وحكم الناس . ولقد دفعنى إلى هذا الحديث أن الأستاذ مصطفى أمين بك قد مر بهذا الموقف مسرعا كما قلت لك وكان يجب أن يطيل الوقوف ، وتعرض له موجزا وكان يجب أن يطنب ويفيض !

لقد نسى الأستاذ مصطفى أمين بك أن مقال الأستاذ صاحب الرسالة كان يدور حول الموضوع نفسه الذى دارت حوله حملة « آخر ساعة » ضد نادى الفروسية وضد الكبراء الذين يتعالون على الشعب ونسى مرة أخرى أن يقول لقرائه إن الزعيم المصرى العظيم محمد محمود قد وقف من الأستاذ الزيات نفس الموقف الجليل النبيل ، حين طلب إليه أن يقدمه إلى القضاء فرفض هذا الطلب فى إصرار وإباء ... ونسى مرة ثالثة أن يقص على قرائه قصة نادى الفروسية التى ألهبت شعور الزيات وأثارت قلمه وأخرجت إلى الناس أعظم مقال كتب فى تاريخ الكرامة المصرية ! !

لقد حدث أن ذهب المغفور له محمد محمود باشا يوما إلى نادى

الفروسية وهو رئيس للوزراء عام ١٩٣٩ ، فوقعت عيناه على لوحة معلقة على الباب الخارجي تحمل إلى الزائرين هذه الكلمات : « ممنوع دخول الفلاحين » . . وثار الزعيم العظيم وهتف وهو يدق الباب بقدمه ويفتحه على مصراعيه : « إن حكومة جلالة الملك لا يمكن أن تسمح بإعادة نظام الطبقات . نحن هنا فى بلد ديمقراطى ، وكل المصريين سواء ، وجلالة الملك يضرب كل يوم أعظم الأمثال فى ديمقراطيته ومصريته . أنا فلاح وابن فلاح ، وأفخر بأن أكون كذلك ... والفلاح هو عماد هذه البلاد وفخرها ، وإذا كان بين أعضاء (نادى الفروسية) من لا يعجبه هذا الكلام فليرحل عن بلاد الفلاحين » !

نطق محمد محمود بهذه الكلمات فألهب شعور الزيات كما قلت لك وأثار قلمه فأخرج إلى الناس أعظم مقال كتب فى تاريخ الكرامة المصرية . . ولا تظن أننى أجامل الزيات بهذه العبارة الأخيرة أو أغلو فى وصف أثر من آثاره ، ولكنها كلمة حق من قلم لا يعرف المجاملة ولا يطيق الغلو ولا يفرق فى النقد بين الصديق وغير الصديق ! وإذا بقى فى نفسك شىء من الشك فاقرأ معى هذا المقال الذى أنقله إليك من الصفحة الحادية والستين من المجلد الثانى من كتاب « وحى الرسالة » ، هناك حيث يبرز لك الزيات على حقيقته من وراء السطور والكلمات :

« جلست كعادتى فى عصر كل سبت أفكر فى موضوعى الأسبوعى للرسالة ، فتردد على خاطرى المكدود معان شتى من وحى الساعة وحديث الناس وحواز القلوب ، كمأساة حلحول فى فلسطين ، وصلة الجديد بالقديم فى الأدب ، فكنت أذودها بالفتور والإهمال ، لأن معنى من المعانى القوية كان قد استبد بذهنى منذ الصباح ، فهو يراوده ويعاوده ويلح عليه حتى لم يكن من الكتابة فيه بد . ذلك هو بيان رئيس نادى الفروسية الذى بعث به إلى « الأهرام » وطلب إليها أن تنشره فى عدد اليوم . والذى استفزنى من هذا البيان لهجته المنتفخة فى الرد على رئيس الوزراء ، والدفاع الظنين عن نظام الطبقات ، والتفسير المجازف لكلمتى الفلاح والديمقراطية ، والتلميح المختزل إلى السامية والطورانية ، فإن هذه مسائل دقيقة ما كان له أن يعرض لها بهذا الاستكبار فى بيان دفاعى يخرج فيه عن التنصل أو الاعتذار !

لست والحمد لله من طبقة أولئك النادين إلى هذه (الكلبات) التى تتضاءل فيها الديمقراطية بين أرستقراطية الدم أو المال أو المنصب ، فلا أزعم أنى سمعت الأشداق الملوية تأمر ، ورأيت الأنوف الوارمة تمتعض ؛ ولكنى قرأت كما قرأ الناس ثورة رئيس الشيوخ وزارة رئيس الحكومة ، فملت والأسى يحز فى الصدر أن بعض الذين جعلناهم عظماء وكبراء لا يزالون على عقلية ذلك التركى الفقير الذى كان يقرع الأبواب مستجديا، فإذا أجابه المجيب الفزع قال له فى عنف وصلف وأنفة : « هات صدقة لسيدك محمد أغا » . ولا أدرى ما الذى سوغ لهم أن يعتقدوا أن الله خلقهم من المسك للملك ، وخلقنا من الطين للطين ، وجعلهم للثروة والسيادة ، وجعلنا للخدمة والعبادة ؟ إن كانوا مسلمين فالإسلام قد محا الفروق بين الطبقات إلا البر والتقوى ؛ فالعرب والعجم سواء ، وقريش وباهلة أكفاء . وإن كانوا وطنيين فالوطن لا يعرف التفاضل بين أبنائه إلا بأثرهم فى تقويته وترقيته وخدمته ، فالفلاحون على درجته العليا ، لأنهم عماد ثروته وعدة دفاعه وقوة سلطانه ، والكبراء على درجته السفلى ، لأنهم فيه معنى السرف الذى يفقر، والترف الذى يوهن، والبطالة التى تميت ! وبين هاتين الدرجتين تتفاوت مواقف الوزراء والزعماء على حسب ما لكل منهم عليه من فضل

لا يا سيدى الأمير ! ليس نظام الطبقات هو القائم فى مصر وأوربا كما تقول ، فإن جعلك نفسك ونظراءك طبقة متميزة لها حدودها الأربعة وجهاتها الست لا يجعل نظام الطبقات حقيقة واقعة . إن مصر كلها من أعلى شلالها إلى أسفل دالها طبقة واحدة ، فيها الغنى والفقير ، والمالك والأجير ، والصحيح والمريض ، والعالم والجاهل ، فهل تجعل كل حال من هذه الحالات طبقة ؟ وهل تستطيع أن تبين لى الفرق بين طبقتك المرفوعة وطبقتنا الموضوعة إذا كان الدستور الذى تخضع له الطبقتان يستطيع أن يجعل ابن الخادم الذى ينظف لك الحذاء جليسك ورئيسك ؟ لقد كان امتياز طبقتك على طبقتنا أنك تمسك الكرباج ونحن نمسك الفأس ، وتأكل الذهب ونحن نأكل التراب ، وتعبد الشيطان ونحن نعبد الله ، وتتكلم اللغة الأجنبية ونحن نتكلم العربية . فلما قيض الله لمصر العظيمة

فؤادا العظيم فتزوج منا وحكم بنا وسمى لنا ونشأ على خلائقه المصرية المحض شبله الموموق « فاروق » ، شعرنا بأن العرش يستقر على كواهلنا، والعلم يخفق على معاقلنا، والسلام الوطنى يتردد فى شعورنا ، والحكومة تقوم بأمرنا ، والنيل يجرى بخيرنا ، ورأيناكم حين أخذكم — رضوان الله عليه — بأدب الإسلام والشرق لذتم بأطراف القرية ، وقبعتم فى زوايا العزلة ، وكنتم من مصر وثروتها مكان البالوعة تطفح بعرق الفلاح ودمه لتصب فى مناقع البلدان الغربية !

لا يا سيدى الأمير ! ليس المصريون فى الجنسية والوطنية بمنزلة سواء ، فإن منهم من تمصر بالقانون لا بالأصالة ، وتوطن للمنفعة لا للعاطفة . وكيف يستوى فى ميزان الوطنية من يقف على مصر يده وقلبه وكسبه ودمه ، ومن لا يعرفها إلا معرفة الغرماء ، ولا يعيش فيها إلا شهور الشتاء ، ولا يعنيه من أمرها إلا أجرة العامل وسوق القطن ! كذلك ليس من خالص الحق قولك : « إن حق الشخص فى الانتساب إلى أمة إنما يناله بما يؤديه إلى وطنه من الخدمات سواء أكان ذلك بنفسه أم بأفراد أسرته من آبائه وأعمامه وأبناء أعمامه وأجداده وأجداد أجداده » . فإن أموال أبيك لك ، ولكن أمجاده له . والوطنى الصميم هو الذى يرفع ما بنى أبوه ، ويتمم ما بدأ جده . ولا ينفع المرء عند الوطن أن أباه وطنى وهو خائن ، ولا عند الله أن أباه مسلم وهو ملحد !

أيها الكبراء والعظماء ! إن لكم فى سيدكم الفاروق أسوة حسنة . فخذوا إخذه الجميل فى سيرته ومصريته وشعبيته ودينه، فإن ذلك يكفل لكم رضا الشعب فى الدنيا ورضا الله فى الآخرة » !

هذا هو المقال الذى ظهر فى « الرسالة » منذ اثنى عشر عاما فكان له فى النفوس وقع وفى الآذان دوى وفى القلوب مكان .. واليوم حين تدعونى المناسبة إلى إثباته ، أشعر شعورا عميقا بأن من حق الزيات على أن أخفض قلمى تحية لمصريته ، وكرامته . وأقسم أن هذا الشعور ليس مرجعه إلى أنه صديق وإنما مرجعه إلى أنه « مصرى » . . وأعظم بكل مصرى ولو كان خصما من الخصوم !!

إلى الشاعرة فدوى طوقان :

إذا قلت لك إنك من هذه الفئة القليلة التى تملأ نفسى اطمئنانا على حاضر الشعر العربى وتذهب بأكثر ما فيها من قلق على مستقبله ، فانظرى إلى هذا القول على أنه تقرير لحق وتصوير لواقع ، ولا تنظرى إليه على أنه مجاملة لآنسة شاعرة وقصيدة مهداة . . لقد تفضلت فأهديت إلى قصيدتك المحلقة فى العدد (٩٤٤) من الرسالة ، وأنا إذ أتقبلها شاكرا فإنما أغترف الشكر من منابع تقديرى لشعرك . وما أكثر دواوين الشعر التى يهديها إلى شعراء « كبار » فلا يسمعون منى كلمة شكر ، لأن الشكر عندى أساسه التقدير ، ولأن التقدير عندى مبعثه الإثارة النفسية التى يلهب بها الشعور كل فن جميل !

إن قصيدتك لتذكرنى بأننى مقصر فى حقك وحق شعرك لأن للفن الجميل حقوقا على النقد يجب أن يؤديها بإخلاص ويرعاها بأمانة . ولست أدرى كيف شغلت عن حقوق فنك وأنا حريص على حقوق الناس .. مهما يكن من شىء فإن بوسع الغد المرتقب أن يستدرك ما غفل عنه الأمس الغابر واليوم المشهود . وأشهد أن شعرك جدير بأن يحتل من تاريخ الأدب مكانا ملحوظا وسطورا مشرقة . وأشهد مرة أخرى أن هذه الكلمات خالصة لوجه الحق وحده دون سواه ، وليس مرجعها إلى مجاملة الآنسة الشاعرة وقصيدتها المهداة !

تذكرنى قصيدتك بهذا كله ثم تعود فتعصف بالوجدان وهى تقدم إلى قصة « لاجئة فى العيد » ، لاجئة رسمت ريشة الشعر قصة بؤسها على لوحة الشعور ، شعور فدوى الإنسانة وفدوى الفنانة ... فدوى التى تقول فى هذه الأبيات وتزفر فى هذه الأنات :

أختاه هذا العيد عيد المترفين الهانئين
عيد الألى بقصورهم وبروحهم متنعمين
عيد الألى لا العار حركهم ولا ذل المصير
فكأنهم جثث هناك بلا حياة أو شعور
أختاه لا تبكى، فهذا العيد عيد الميتين !

أجل يا فدوى إنه عيدهم ، عيد هؤلاء الذين عنيتهم بهذه

الكلمات يوم أن تحدثت منذ شهور عن مأساة اللاجئين ، وأطلقت هذه الزفرة المحترقة على صفحات الرسالة :

« قلت مرة إننى كفرت بالضمير الإنسانى ، كفرت به حين كفر هو بكل وشيجة من وشائج الإنسانية وكل خليقة من خلائق الأحياء ، حين تكون تلك الوشائج مجموعة من المشاعر والأحاسيس، مشاعر الدم الواحد واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة ، وأحاسيس الأخوة والعروبة والجوار !

قلت هذا فاعترض بعض الناس ، وحجتهم أن الضمير الإنسانى لا يزال بخير ، فى هذه البقاع الطيبة التى عنيتها بكلمات رسبت فى نفسى رسوب اليقين ... هم ينظرون إلى الجزء وأنظر أنا إلى الكل ، ويحكمون فى ضوء الفرد وأحكم أنا فى ضوء المجموع . ويتكلمون عن الضمير الإنسانى من زاوية ضيقة ينحصر فيها فلان وفلان من عشاق الخير وصناع الجميل ، وأتكلم أنا عن الضمير الإنسانى فى صورته الكاملة الشاملة التى تمثل أكبر عدد من أقطار العروبة !

إن الضمير الإنسانى فى هذه البقاع الطيبة وبهذا المعنى الذى رميت إليه قد مات ... ولو كان حيا لما سمح لنفسه بأن يطيق منظر الموت البشع وهو يحصد بمنجله الرهيب جموعا من الأحياء شردهم الظلم والطغيان فهاموا على وجوههم فى كل واد وكل فلاة : بطونهم خاوية ، وأجسادهم عارية ، بينما شبعت الكلاب وا كتست الأضرحة واطمأنت إلى المأوى الأمين أخس أنواع الحشرات !

وأتطلع إلى هؤلاء المشردين الذين أضناهم البرد وقتلهم الجوع ولفح شعورهم الهوان ، ثم أتذكر أن هناك غيرهم ممن أنعشهم الدفء وضاقت بطونهم بالتخمة وامتلأت نفوسهم بالأمان ... أتطلع إلى هؤلاء وأولئك ثم أخرج من جولة الفكر وفورة الأسى بهذه الحقيقة ، وهى أننى لا أملك لهؤلاء الجياع العراة غير هذا القلم ! وماذا يجدى القلم يارب وهناك من ينتظر الثوب الذى يستر الجسد ، واللقمة التى ترد عادية الجوع ، والقطرة التى ترطب حرارة الظمأ ، والوطن الذى يشعر بكرامة الحى ويعبر عن جمال الحياة ؟!

وماذا يصنع القلم وهو لا يجد ما يهديه إلى هؤلاء الجياع العراة غير هذه القروش الفكرية ؟ ومن يخاطب وقد مات الضمير الإنسانى عند حراس الخزائن وملاك الضياع وسكان القصور ؟ إننا لا ندعو إلى الشيوعية ولكننا ندعو إلى الإنسانية ، الإنسانية التى تصرخ فى وجه هؤلاء جميعا بأن فى أموالهم حقا لكل فقير وكل جائع وكل محروم ، وتقول لكل واحد منهم فى همسة إن لم تكن جازعة فهى ضارعة : تنكر للغتك إذا شئت ، ولعروبتك إذا أردت ، ولقوميتك إذا أجببت ؛ ولكن .. ولكن لا تنس أنك إنسان !

إنها قروش فكرية كما قلت ، وحسبى حين أجود بها أننى أجود بخلجات النفس وخفقات القلب ودفقات الوجدان . حسبى هذا ، وحسب اللاجئين أن يتقبلوها على أنها نفحة من نفحات الألم ، فيها من مشاركة الشعور ما يقوم مقام العزاء ، حين يضيع كل أمل فى الضمير الإنسانى ويخيب كل رجاء » !

لحظات مع أندريه جيد :

قارئ من قراء الرسالة يسألنى : لماذا لم تكتب « الرسالة » كلمة واحدة عن الكاتب الفرنسى أندريه جيد بعد أن أصبح فى ضيافة الخلود ؟ لقد كتبت مثلا عن برناردشو مقالين تعرضت فى أولهما لشخصيته الأدبية والإنسانية ، ثم تحدثت فى الثانى عن موقفه من الرأسمالية .. ترى هل يستحق شو أن تكتب عنه كلمتين ولا يستحق جيد أن تكتب عنه كلمة واحدة ؟

وجوابى عن هذا السؤال هو أن مكانة أندريه جيد فى نفسى لا تقل عن مكانة برناردشو على التحقيق .. وإذا كنت حتى الآن لم أكتب عنه فليس معنى ذلك أننى صرفت القلم عن الكتابة أو صرفت الذهن عن التفكير فيه . وأزيد على هذا أن أقول للأديب الفاضل صاحب السؤال : لقد كانت نفتة جميلة منك أن تذكرنى بهذا الواجب الأدبى الذى تسأل عنه « الرسالة » ويسأل عنه كاتب هذه السطور ؛ وهو واجب لم أغفل عنه وإنما أرجأته إلى حين ، وقد يكون هذا الإرجاء إلى الأسبوع المقبل أو الأسبوع الذى يليه !

أنور المعداوى



عرض ونقد :

العقل المؤمن

تأليف الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

للاستاذ بركات

— ١ —

ذلك ـ أيها القارئون ـ قبس له وهج ونور ، آلى على نفسه الكاتب ـ أن يقف به لا يريم ، فى مفترق الدروب ، وملتقى السبل . يجمع السارين السكارى على حجة الله ، وصيحة الكون ، ويود فى إخلاص لو تنشق له كل نفس ليواقف فيها أصل الفطرة وروح الطفولة ، ومنطق البراءة « إن الاسلام دين الطبيعة ، ولو لم يكن دينا موحى به لكان المذهب العقلى الفلسفى الوحيد الذى يجب اتباعه وحمل العقل عليه لاحترام النفس ، والاحتفاء بالحياة العاجلة والاطمئنان إلى المصير السعيد »(١) .. وإن طوفة تمطف بالمرء على كل فصل فى رفقة الأستاذ عبد المنعم خلاف ـ لكفيلة باستقرار وجدانه ، وهدوء نفسه

لقد سحق القلق قلوبا حتى ذرها رمادا فى الهواء ، ومن هنا ضاقت مسارح الإنسانية بين فكى القنوط ، وصار الأمل كله قارا على مرتكز بعيد فى أغوار المستقبل هو : الإنسان الكامل ، وبين يدى ذلك اليأس الكافر هوت قيمة الفرد وصار معبرا وطريقا إلى الغائب المنشود ، وكأنه مسمار فى باب ، أو خيط فى ثوب ، ولكن العقل المؤمن بسناه النافذ يكشف الغمة ، ويطارد تلك الظلمات « تقول بعض الفلسفات إن الحل لهذه المشكلة هو فى القول بالامتداد المستمر فى الأفراد الآنية من النوع . فالكمال الذى ينشده الأفراد ويحلمون به سيتحقق فى النوع . وكأن الإنسانية فى خيال هؤلاء هى المعنى الواحد فى الأفراد . أما أجسام الأفراد فهى أثواب تنضوها الإنسانية فى الأجيال المتعاقبة وتلقيها جثثا ميتة على طريقها إلى غايتها .. ولكن فى هذه الفلسفة إهدارا تاما للفرد وارتدادا بالإنسانية إلى أفق واطئ جدا هو أفق النبات والبذور ، دع عنك أفق الحيوان ، ونظرة واحدة إلى إخراج الأفراد من الأرحام بصور متعددة الوجود وشكول مختلفة فى العقول والنفوس ـ وهذا فى الإنسان فقط ـ تحملك على الجزم والاعتقاد بأن القصد فى الطبيعة متجه إلى خلق الفرد بالذات ، وإحساسه على انفراد بالحياة التى فيه هو ، وأنه مخاطب وحده مباشرة من خالق الوجود »(٢) وهكذا نصل الى المنتهى فنجد الفلسفات الداكنة قد دقت بالمطارق حتى سادت الأرض . وجملة ما يمكن أن يقال عن كتاب « العقل المؤمن » هو أنه استجابة صادقة لقول الخالق الأعظم .. « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ورحمة الله على أبى اسحق(٣) فقد قال .

وفى فى كل تحريكة وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

— ٢ —

بقيت كلمة . .

يقرر المؤلف وهو مندفع فى غمرة الحماس « أن الإنسانية القديمة (٤) أصدق من الحديثة إحساسا ، وأحيا شعورا . . حين شغلتها المسألة الدينية فى جميع مواقفها ، وجعلتها تنشئ شؤونها المادية ، ومعها شعورها الدينى (٥) » وكأنا يعلم أن الدين فى معتقد الأقدمين غفلة وذل ، ولعل الهرم أعظم برهان يقدم دليلا وشاهد إثبات على هوان الرعية وتجبر الرعاة ، وتواضع الشعب وسطوة الحاكم ، وكان كل ذلك باسم الدين ، والخير عندى أن يتمرد (إينشتين) أبو الذرة فيقول : « ما هو الله ؟ . . سؤال

(١) ص ٢١

٢) ص ٥٣
٣) كنية أبى العتاهية
٤) يعنى البدائية
٥) ص ٢



ملامح من المجتمع العربي !

بهذا العنوان أصدرت دار المعارف كتابا جديدا من سلسلة « اقرأ » للأستاذ محمد عبد الغني حسن المدرس بكلية البوليس الملكية ، وقد جال فيه الأستاذ جولات موفقة في صميم المجتمع العربي في جميع عصوره ، بل أحسن الاختيار في تبويبه وصياغته وما فيه من حقائق أفصح عنها المؤلف بقوله « فلن أذكر لك في هذه الصفحات إلا حقائق قرأتها لك في عشرات من الكتب ، وألفت بين موضوعاتها نسبا ، فضممت الفرع إلى أصله . وقرنت الشبه إلى مثله ، وكنت أقيد لك كل صيد من الحوادث بقيد من الكتابة ، حتى إذا اجتمع لي من ذلك — على فترات من الزمن — مادة صالحة لأن أقدمها إليك تشجعت على أن أختارك معي رفيقا في رحلة ممتعة كل المتاع على خلال العصور ، فترى معي ألوانا من المجتمع العربي بعد الفتح الإسلامي . »

فلنترك الأستاذ يقص علينا من ملامحه اللطيفة الممتعة حتى نصل إلى ص ١٠٨ من كتابه المذكور فنراه قد استشهد ببيت من الشعر في غير موضعه أثناء عرضه لمادة النقوط ؛ تلك العادة المنتشرة بيننا إلى الآن ولها صولة ودولة خصوصا في صميم الريف المصري ، إذ قال « ... على أن العروس نفسها كانت تنقط كما يدل عليه قول الشاعر :

هذي عروس الزهر نقطها الندى
بالدر فابتسمت ونادت معبدا . . . »

والقائل لهذا البيت يصف زهرة نبات لا زهرة إنسية ، وإذا فليست هناك مناسبة بين عروسنا الآدمية في نقوطها المعروف وعروس الزهر وقد نقطها الندى بالدر سوى التشبيه(١)

والمعروف أن هذا البيت ضمن أبيات للشيخ نصيف اليازجي المتوفى سنة ١٨٧١ م في وصف الرياض والزهر :—

هذي عروس الزهر نقطها الندى
بالدر فابتسمت ونادت معبدا
لما تفتق سترها عن رأسها
عبث الحياء بخدها فتوردا
فتح البنفسج مقلة مكحولة
غمز الهزار بها فقام وغردا

ليس له معنى(٦) ، من أن توصم أجيال السالفين بالأديان في خدمة الكهنة والمتألهين

وفي مكان آخر بعد الذي مضى يقول « وقد كانت عقول قدمائنا حتى عقول بعض الأنبياء لا تدرك عمل الله سبحانه في التكوين والإحياء وتتوهمه سبحانه خاضعا في عمله للوسائط والأدوات والكيفيات المادية »(٧) ولعل الكاتب الكريم لا يخالفني في أن النبي هو الصورة المثلى للإيمان ، وهو كالعبقري شاذ في الطبيعة يستند في تفوقه الإلهامي إلى الوحي ، وفي قدرته الخارقة إلى المعجزة وما يحمله عرض المؤلف من معاني هو كل ما يأتي النبي لهدمه وطرده من عقول أمته . وإذا كان المؤلف قد أتى بطائفة من آيات القرآن المحكمات فرجاؤنا أن يبحث لها عن تفسير غير تفسيره يكن أسلم

* * *

وكتاب اليوم هو الأخ الثاني لسفر(٨) تقدمه وأحدث ضجة كنا نتتبعها بشغف في سنة ١٩٤٦ وكلاهما يسير على صراط واحد نحو أساس روحي للحضارة المادية.. وسيتلوهما ثلاثة ينتظمها المنهاج : والذي أبديت في سالف القول لا ينال من هذا الكتاب القيم وفي اعتقادي أني في صدر ملاق المؤلف رحبة فسيحة للرأي فيها مكان . وسلامي عليه

بركات

٦) من حديث له بجريدة المصري يوم ١٦ يونيه ١٩٥١
٧) ص ١٨
٨) هو « أومن بالانسان »

ولا ينكر ما يبذله صاحب الملامح النقادة من جهد مشكور يقدره الأدب والأدباء سواء فى تآليفه أو نقده

هذا ونشكر الأستاذ أن أتاح لنا فرصة الحديث عن كتابه مع قبول تحيتى وإعجابى

شطانوف **محمد منصور خضر**

(؛) (الرسالة) فى عروس الزهر استعارة ، وفى نقطها تورية فمعناها القريب النقوط ومعناها البعيد المراد نقط الندى. ولولا أن تنقيط العروس كان معروفا لما خطرت هذه التورية ببال الشاعر

دلالة الانفعالات الفكرية القائمة فى مصر الآن

ليس من الحكمة أن ينظر بعض من يهمهم أمر هذه الأمة بعين الريبة والشك الى الانفعالات الفكرية القائمة فى مصر الآن فيحيطوها بشىء من الحذر والحيلة السياسية ، ويعملوا على حصرها فى داخل الدائرة المرنة ظنا منهم أن هذه الانفعالات مقدمة ثورة أو انقلاب ، وماهى فى الواقع إلا نتيجة شعور بالحسرة والخيبة والألم ، ودليل طموح الى غايات سامية يرمى فى جملتها الى تحقيق ما يحلو من الآمال ودفع ما يحز الشعور

لقد كانت عنايتنا بالمسائل الحزبية والحركات السياسية داخل بلادنا فى ربع القرن الأخير أكثر من عنايتنا بالعلاقات الاجتماعية والحركات الإصلاحية . وهذه هى علة ضعفنا وسقوطنا فى ميدان الكفاح وإخفاقنا فى إحراز المثل العليا فى الحياة

وإن المنطق التاريخى للوطنيات الواعية ليدعونا إلى ترك الخلافات ، ونبذ الخصومات وتناسى الأحقاد ، والتباعد عن الأثرة والأنانية ، وبذل أقصى الجهود وأصدقها لإقامة المجتمع المصرى على أسس قوية متينة من الإيمان بالوطن والعلم بماضيه وحاضره ، والعمل الذى يلبى نداء الوطن ويقضى حقوق المواطنين فيه

ويدعونا أيضا ذلك المنطق إلى احترام هذه الانفعالات الفكرية المنبثقة عن تنبه شعور الأمة بثقل وطأة الاستعمار وتزايد إحساسها بما نالها على يديه من ضيم وإجحاف وهوان . وشعور الأمة هو كل حياتها القومية والاجتماعية

كما أنه يدعونا بعد ذلك إلى الانتفاع بهذه الانفعالات واستغلالها استغلالا حكيما للخلاص من مخلفات الماضى البالية ، والقضاء على معالم البؤس والشقاء البادية . ولا يمكن ذلك إلا إذا اتحد الزعماء والقادة ، وتجمع المفكرون والمصلحون تحت راية توحيد الأهداف ووسائل الإصلاح وتوجيه الرأى العام وجهة الخير والفلاح

سرابيوم **محمد يوسف الغزالى**

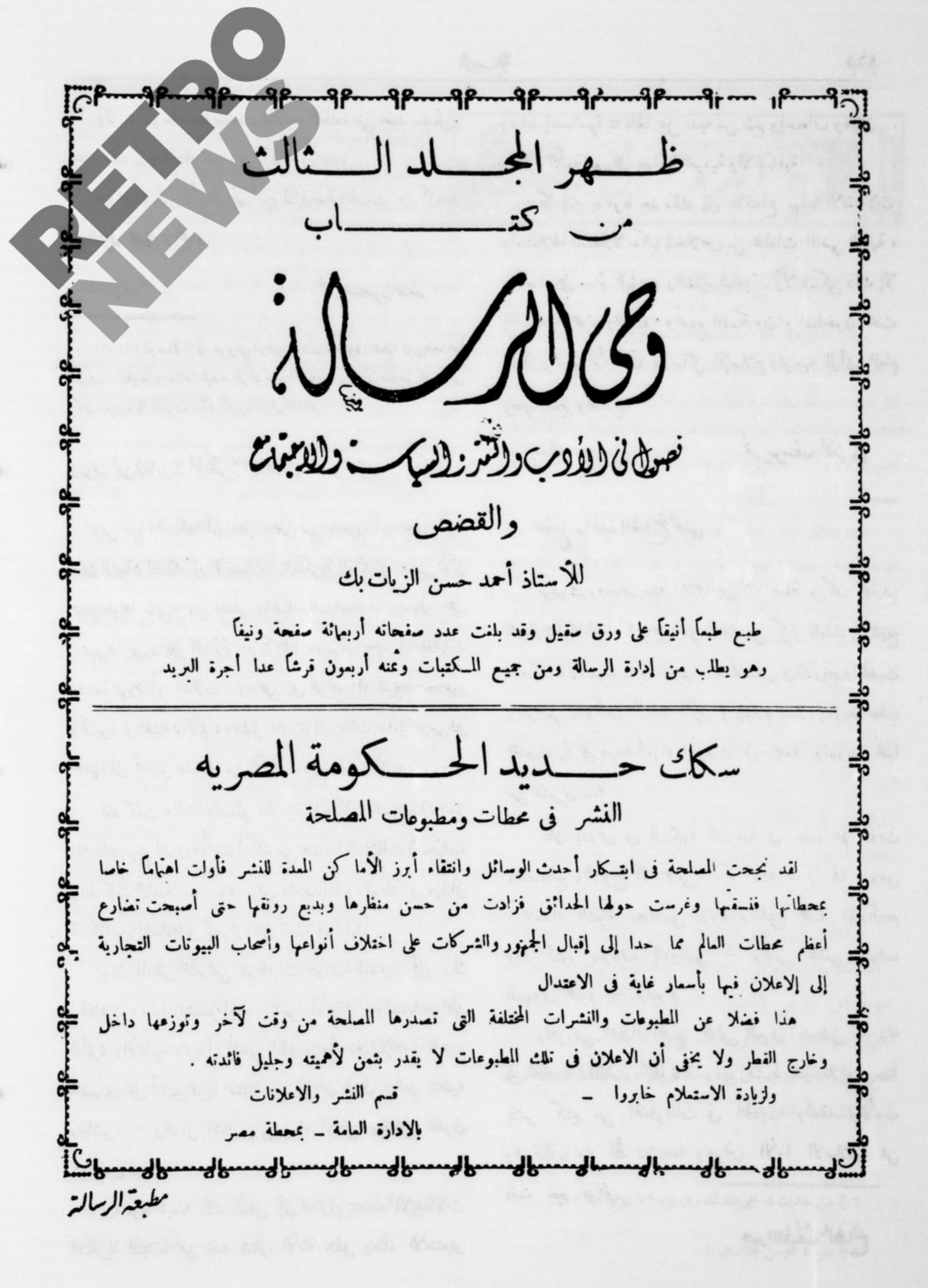
الشيخ راغب الطباخ الحلبى

توفى فى رمضان سنة ١٣٧٠ عن ٧٨ سنة . كان يحترف التجارة أولا ثم أكب على العلم فتلقاه عن كبار العلماء كالشيخ محمد الزرقا والشيخ بشير الغزى . ثم تخصص فى التاريخ والحديث والتراجم . وألف كتابه الثمين (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) فى سبعة أجزاء ، ولبث فى جمعه وتدوينه نحوا من عشرين سنة

كان يدرس فى الكلية الشرعية فى حلب علم الحديث والمصطلح والتاريخ الاسلامى ؛ ثم اختير مديرا لها . ومن تلامذته الشيخ مصطفى الزرقا والشيخ محمد الحكيم والدكتور معروف الدواليبى — رئيس مجلس النواب السورى اليوم — وغيرهم

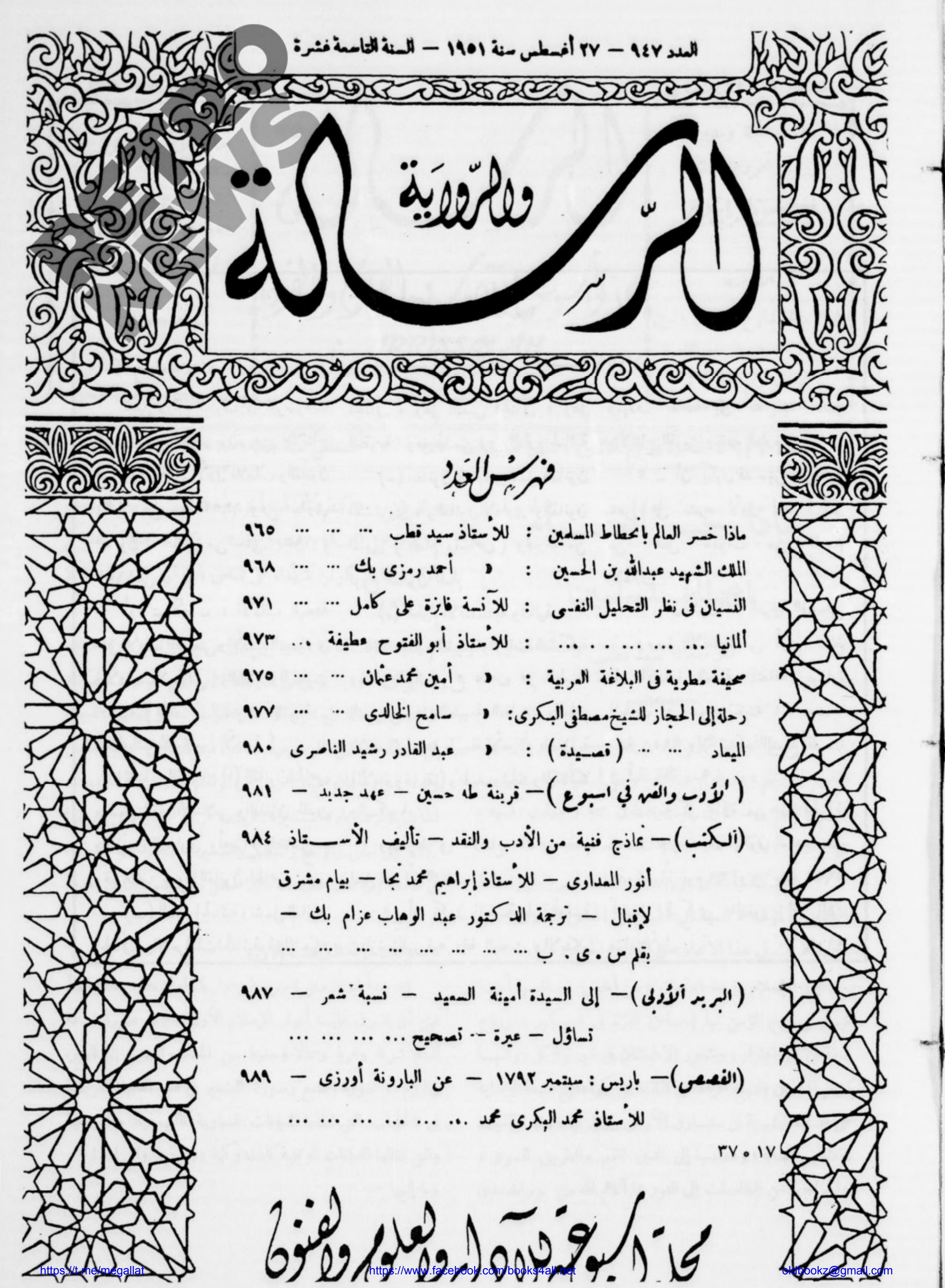
وهو من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، وله فى مجلته مقالات كثيرة . وعنى منذ نحو ثلاثين سنة بنشر كثير من المخطوطات فى الحديث والفقه والأدب وغيرها . برد الله مضجعه وعوض الأمة الاسلامية عن فقده خير عوض

عبد اللطيف الطباخ



مطبعة الرسالة





العدد ٩٤٧ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٧ ٥ ٣٧

اعـــلان

جوائز فــؤاد الأول لسنــة ١٩٥٢

تعلن وزارة المعارف أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فؤاد الأول للاداب والقانون والعلوم عن سنة ١٩٥٢ وعن جائزتى القانون المتخلفتين من سنتى ١٩٥٠ ، ١٩٥١هى :

أولا ـ الآداب : الآداب البحتة مثل الأدب القصصى والأدب التصويرى والأدب الاجتماعى والشعر والبحوث الأدبية (النقد ـ البحوث اللغوية ـ الدراسات الاسلامية الأدبية)

ثانيا ـ القانون: (ا) القانون الخاص ويشمل الفقه الاسلامى والقانون المدنى والقانون التجارى وأوضاع التقاضى ، وغيرها من فروع القانون الخاص

(ب) العلوم الجنائية وتشمل القانون الجنائى، والاجراءات الجنائية وعلم الاجتماع الجنائى ، وعلم النفس الجنائى ، وعلم العقوبة ، وغيرها من فروع العلوم الجنائية

(ج) القانون العام، ويشمل القانون الدستورى ، والقانون الادارى، والقانون الدولى (العام والخاص) وغيرها من فروع القانون العام

(د) العلوم الاقتصادية والمالية

ثالثا: العلوم الطبيعية والرياضة الفلكية ويدخل فيها بنوع خاص علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة النظرى والعلوم الاحصائية وعلم طبيعة الأجرام السماوية (الاستروفيزيقا) والهيدروليكا والميكانيكا والـكهرباء

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز الثلاث

١ ـ أن يكون ذا قيمة علمية أوفنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومى وتقدم العلوم

٢ ـ أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الاعلان

٣ ـ أن يكون باللغة العربية الفصحى

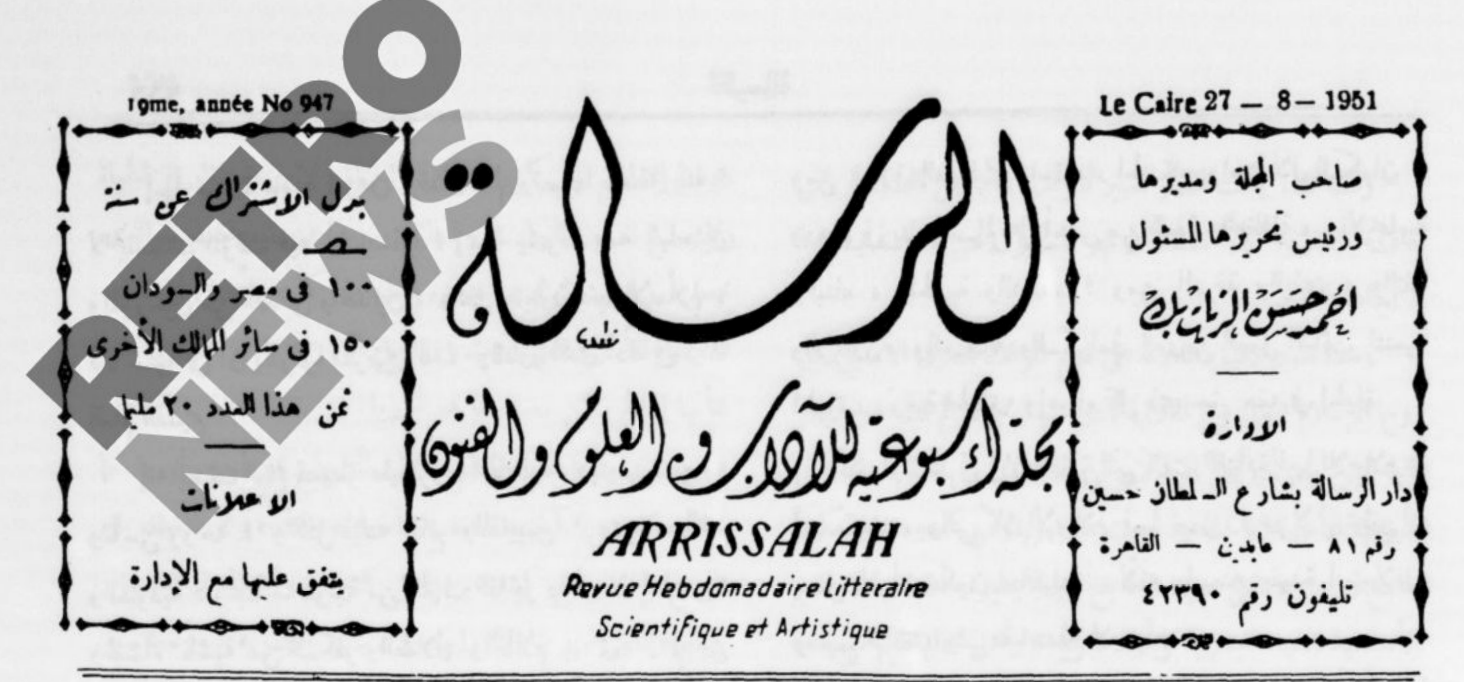
ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة

وقيمة كل جائزة من هذه الجوائز ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٥٢ تخليدا لذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول

٩١٠٩

19me, année No 947

Le Caire 27 — 8 — 1951



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٧٠ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ماذا خسر العالم

بانحطاط المسلمين

للأستاذ سيد قطب

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم، وثقتهم بماضيهم، ورجاءهم في مستقبلهم! ما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم بهذا الدين الذي يحملون اسمه ويجهلون كنهه، ويأخذونه بالوراثة أكثر مما يتخذونه بالمعرفة!

وهذا الكتاب الذي بين يدي: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لمؤلفه «السيد أبي الحسن على الحسني الندوي» من خير ما قرأت في هذا الاتجاه، في القديم والحديث سواء

إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة في غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور الاطمئنان في غير تواكل. وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم والطريق السوى، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» . . . «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا».

وهذا الكتاب الذي بين يدي، يثير في نفس قارئه هذه المعاني كلها، وينفث في روحه تلك الخصائص جميعها. ولكنه لا يعتمد في هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية بل يتخذ الحقائق الموضوعية أداته، فيعرضها على النظر والحس والعقل والوجدان جميعا؛ ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضا عادلا مستنيراً؛ ويتحاكم في القضية التي يعرضها كاملة إلى الحق والواقع والمنطق والضمير، فتبدو كلها متساندة في صفه وفي صف قضيته، بلا تمحل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة

وتلك مزية الكتاب الأولى

إنه يبدأ فيرسم صورة سريعة — ولكنها واضحة — لهذا العالم قبل أن تشرق عليه أنوار الإسلام الأولى. يرسم صورة لهذا العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من الهند والصين إلى فارس والروم، صورة المجتمع وصورة الضمير في هذه الدنيا العريضة في الجماعات التي تظلها الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية والتي تظلها الديانات الوثنية كالهندوكية والبوذية والزرادشتية. وما إليها ...

إنها صورة جامعة تعرض رقعة العالم وتصفها وصفاً بيناً ، لا يتعسف المؤلف فيه ولا يتزيد ؛ إنما يشترك معه الباحثين والمؤرخين من القدامى والمحدثين ، وممن يدينون بغير الإسلام ، فلا شبهة فى أن يكونوا مغرضين له ، وللدور الذى أداه فى ذلك العالم القديم

إنه يصف العالم تسيطر عليه روح الجاهلية ، ويتعفن ضميره ، وتأسن روحه ؛ وتختل فيه القيم والمقاييس ، ويسوده الظلم والعبودية ؛ وتجتاحه موجة من الترف الفاجر والحرمان التاعس ؛ وتغشاه غاشية من الكفر والضلال والظلام ، على الرغم من الديانات السماوية ، التى قد أدركها التحريف ، وسرى فيها الضعف ، وفقدت سيطرتها على النفوس ، واستحالت طقوساً جامدة لا حياة فيها ولا روح ؛ وبخاصة المسيحية التى يصورها مستر مستر « ج . ه . دينسون » صورة دقيقة فى كتابه « Emotions as the Basis of Civilization » فيقول :

« فى القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى ؛ لأن العقائد التى كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ، ولم يك ثم مايعتد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التى تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام

أما النظم التى خلفتها المسيحية ، فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام . وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله . . واقفة تترنح ، وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب . . وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذى وحد العالم جميعه [1] »

... فإذا فرغ المؤلف من رسم صورة العالم فى جاهليته هذه بدأ يعرض دور الإسلام فى حياة البشرية ، دوره فى تخليص روح البشر من الوهم والخرافة ، ومن العبودية والرق ، ومن الفساد والتعفن ، ومن القذارة والانحلال . ودوره فى تخليص المجتمع الإنسانى من الظلم والطغيان ، ومن التفكك والانهيار ، ومن فوارق الطبقات واستبداد الحكام واستذلال الكهان ، ودوره فى بناء العالم على أسس من العفة والنظافة ، والايجابية والبناء ، والحرية والتجدد ؛ ومن المعرفة واليقين ، والثقة والإيمان ، والعدالة والكرامة ، ومن العمل الدائب لتنمية الحياة ، وترقية الحياة ، وإعطاء كل ذى حق حقه فى الحياة

كل أولئك فى إبان الفترة التى كانت القيادة فيها للاسلام فى أى مكان ، والتى كان الإسلام فيها يعمل. وهو لا يستطيع أن يعمل إلا أن تكون له القيادة ، لأنه بطبيعته عقيدة استعلاء ، ومنهج قيادة ، وشرعة ابتداع لا اتباع

ثم تجئ الفترة التى فقد الإسلام فيها الزمام ، بسبب انحطاط المسلمين وتخليهم عن القيادة التى يفرضها عليهم هذا الدين ، والوصاية التى يكلفهم بها على البشرية ، والتبعات التي ينوطها بهم فى كل اتجاه

وهنا يستعرض المؤلف أسباب هذا الانحطاط الروحية والمادية ويصف ما حل بالمسلمين أنفسهم عندما تخلوا عن مبادئ دينهم ، ونكصوا عن تبعاتهم ؛ وما نزل بالعالم كله من فقدان لهذه القيادة الراشدة ، ومن انتكاس إلى الجاهلية الأولى . ويرسم خط الانحدار الرهيب الذى ترتكس فيه الإنسانية فى ذات الوقت الذى تفتح فيه آفاق العلم الباهرة . يرسم هذا الخط رسماً حيا مؤثراً عن طريق التأمل الفاحص، لابالجمل النارية والتعبيرات الجنحة . فالحقائق الواقعة كما عرضها المؤلف غنية عن كل بهرج وكل تزويق

ومن خلال هذا الاستعراض يحس القارئ بجدى الحاجة البشرية الملحة إلى تغيير القيادة الإنسانية ، وردها إلى الهدى الذى انبثق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى المعرفة . ويشعر بالقيمة الكلية لوجود هذه القيادة فى الأرض ، وبمدى الخسارة التى حلت بالبشر جميعاً ، لا بالمسلمين وحدهم فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل القريب والبعيد . . كذلك يثور فى نفس المسلم بصفة خاصة روح الندم على مافرط ، وروح الاعتزاز بما وهب ، وروح الاستشراف إلى القيادة التى ضيع

* * *

(١) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم

ولعله مما يلفت النظر تعبير المؤلف دائماً عن النكسة التي حاقت بالبشرية كلها منذ أن عجز المسلمون عن القيادة بكلمة «الجاهلية».

وهذا تعبير دقيق الدلالة على فهم المؤلف للفارق الأصيل بين روح الإسلام، والروح المادي الذي سيطر على العالم قبله، ويسيطر عليه اليوم بعد أن تخلى الإسلام عن القيادة.. إنها «الجاهلية» في طبيعتها الأصيلة: فالجاهلية ليست فترة من الزمن محدودة، ولكنها طابع روحي وعقلي معين. طابع يبرز بمجرد أن تسقط القيم الأساسية للحياة البشرية كما أرادها الله، وتحل محلها قيم مصطنعة تستند إلى الشهوات الطارئة، والنزعات الهابطة. وهذا ما تعانيه البشرية اليوم في حالة الارتقاء الآلي، كما كانت تعانيه من قبل في أيام البربرية الأولى

«فرسالة العالم الإسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله، والإيمان باليوم الآخر. وجائزته هي الخروج من الظلمات إلى النور ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل عصر، فقد افتضحت الجاهلية، وبدت سوآتها للناس، واشتد تذمر الناس منها. فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام، لو نهض العالم الإسلامي، واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة، ودان بها كالرسالة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار والانحلال ...» كما يقول المؤلف الفاضل قرب نهاية الكتاب

* * *

وأخيراً فإن الخصيصة البارزة في هذا الكتاب كله هي الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل. وهو لهذا يعد نموذجاً لا للبحث الديني والاجتماعي فحسب. بل نموذجاً كذلك للتاريخ، كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية

لقد مضى الأوربيون يؤرخون للعالم كله من زاوية النظر الغربية، متأثرين بثقافاتهم المادية، وفلسفتهم المادية؛ ومتأثرين كذلك بالعصبية الغربية؛ والعصبية الدينية — شعروا بذلك أم لم يشعروا — ومن ثم وقعت في تأريخهم أخطاء وانحرافات، نتيجة إغفالهم لقيم كثيرة في هذه الحياة، لا يستقيم تاريخ الحياة ولا يصح تفسير الحوادث والنتائج بدونها، ونتيجة تعمدهم الذي يجعل أوربا في نظرهم هي محور العالم ومركزه دائماً؛ ولإغفالهم العوامل الأخرى التي أثرت في تاريخ البشرية، أو التهوين من شأنها إذا لم يكن مصدرها هو أوربا

ولقد درجنا نحن على أن نتلقف التاريخ من أيدي أوربا كما نتلقف كل شيء آخر، نتلقفه بأخطائه تلك، وهي أخطاء في المنهج بإغفال قيم كثيرة وعوامل كثيرة، وأخطاء في التصوير نتيجة النظر من زاوية واحدة للحياة البشرية، وأخطاء في النتائج تبعاً للأخطاء المنهجية والتصورية

وهذا الكتاب الذي بين يدي نموذج للتاريخ الذي ينظر للأمور كلها، وللعوامل جميعها، وللقيم على اختلافها. ولعل القارئ لم يكن ينتظر من رجل مسلم واثق بقوة الروح الإسلامي متحمس لرد القيادة العالمية إليه.. أن يتحدث عن مؤهلات القيادة، فلا ينسى بجوار «الاستعداد الروحي» أن يلح في «الاستعداد الصناعي والحربي» و «التنظيم العلمي الجديد» وأن يتحدث عن الاستقلال التجاري والمالي

إنه الإحساس المتناسق بكل مقومات الحياة البشرية. وبهذا الإحساس المتناسق سار في استعراضه التاريخي، وفي توجيهه للأمة الإسلامية سواء. ومن هنا يعد هذا الكتاب نموذجاً للتأريخ كما يجب أن يتناوله المسلمون، مستقلين عن التأثر بالطريقة الأوربية، التي ينقصها هذا التناسق، وهذه العدالة، وهذا التحقيق

وإنه ليسعدني أن أتحدث عن هذا الكتاب بذلك الإحساس ذاته، وأن أسجل هذه الظاهرة وأنا مغتبط بهذه الفرصة التي أتاحت لي أن أطلع عليه في العربية(١).. اللغة التي آثر صاحبه أن يكتبه بها، وأن ينشره في مصر للمرة الثانية: «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد»

سيد قطب

---

(١) المؤلف هندي وهو عضو ندوة العلماء بها ومنها لقبه «الندوي»

الملك الشهيد
عبد الله بن الحسين

تعقيب على مقال (الرسالة)

من مذكرات

بقلم الأستاذ أحمد رمزى بك

القنصل العام السابق لمصر بفلسطين وشرق الأردن

بين ١٩٣٥ و ١٩٣٧

— ١ —

حينما بدأت هذه الكلمة كان أمامى ديوان البحترى مفتوحا فوقع نظرى على بيتين من الشعر لا أدرى من الممدوح فيهما، ولكنى رأيتهما ينطبقان على عبد الله بن الحسين، رحمة الله عليه:

لو أن كفك لم تجد لمؤمل لكفاه عاجل وجهك المتهلل
وتصرفت بك فى المكارم همة نزلت من العلياء أعلى منزل

رحم الله الملك الراحل! لقد مات ميتة الشهداء وانتقل إلى الرفيق الأعلى. ولقد «كان قوة مؤثرة فى سياسة الشرق والغرب» كما قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات بك فى مقاله الافتتاحى الذى أثار شجونى، ودفعنى إلى الكتابة. وأنا الذى آليت أن أعتكف فى المسائل العربية منذ أمد طويل، فجاء مقال الأستاذ الكريم وذكريات الملك الراحل، الذى تشرفت بمعرفته عن كثب، وعاشرته وحظيت بوده وكرمه وبعطفه، مدة من الزمن، فحملنى كل أولئك على أن أتكلم. لقد انتهى عبد الله بن الحسين، ولم يعد يرهب الناس ولا يجتذب لصفه أحدا حتى يقال إننا نخدم سياسته وندعو إلى عترته ونحاول إعطاءه لونا براقا. إنها كلمة الحق، وصورة واضحة، لا نقصد منها سوى تسجيل حياة عاهل عربى عظيم، قد أصبح بين يدى الله وفى ذمة التاريخ

إننى لا أزال أذكر أول لقاء معه فى قصره بعمان فى حجرته التى كان يخلو فيها مع بعض أخصائه، ليقرأ الكتب ويلعب الشطرنج، وكان ابن عمى ضابطا فى الجيش العربى، إذ لنا فرع من عائلتنا استوطن هذه البقاع منذ أكثر من أربعين عاما، وهو الذى قدمنى للعاهل كأحد موظفى السفارة المصرية فى أنقرة. وكان هذا اللقاء فى صباح يوم الأحد ٦ مايو سنة ١٩٣٤ وكان يشاركنا فى الجلسة فؤاد باشا الخطيب، الشاعر الأديب

ودار الحديث عن تركيا وحالتها السياسية والاقتصادية، وقد حاول الملك الراحل أن يجعل الحديث بالتركية، فاعتذرت لقلة بضاعتى فيها. ولما تحدثت كنت أتكلم بصراحة تامة: إذ كانت تعاليم الثورة الكمالية وأهدافها نبراسا أسير فى هداه، وكانت كلمات الأتاتورك مصطفى كمال لا تزال ترن فى أذنى وتحرك نفسى، وكنت أؤمل فى شىء واحد أن أعيش وأكافح لأرى مصر قد حققت استقلالها التام وحطمت قيودها التى تحول دون تقدمها، ولذلك تحمس فؤاد الخطيب باشا وأنشد «السيف أصدق أنباء من الكتب ...»

وكنت أمضيت خمسة أعوام أقرأ عن أحوال الدولة العثمانية وعوامل تأخرها وعلة تفككها، فجئت من أطراف الأناضول: إلى قيصرية - الوقيشلة - بوزانتى فوزى باشا - حلب - حماة - حمص - دمشق. هناك حيث تقوم فرنسا بانتدابها، لأكتشف فى نهاية سوريا الجنوبية جزءا صغيرا من الأرض يمثل أثرا حيا من آثار الدولة العثمانية — تلك هى دولة شرق الأردن — لقد كنت أقول لنفسى أفى حلم أنا أم فى يقظة؟ إننى لا أعرف للآن ما هو الأثر الذى تركته فى نفس الملك عبد الله، إذ لا بد أنه قال هذا شاب قد أفقدته المدنية الكثير. ولكن تحمس فؤاد الخطيب باشا جعله ينقل الحديث لناحية أخرى ويوجه إلى السؤال الآتى: هل تقدر الجمال التركى؟ والحقيقة أنى لم أشغل نفسى كثيرا بالجمال التركى أو المصرى أو الشامى حتى أجيب على مثل هذا السؤال؛ لأن المرأة فى الشرق قد تلقت الكثير من المديح فى الصحف والمجتمعات وعلى ألسنة القادة لدرجة أنه أصبح من الخطر مواجهة الرأى العام بأفكار لا تتفق مع الدعاية القائمة فى صالحها، وإن كنت من أنصار تحريرها، ولذلك أجبت العاهل العربى بجملة غريبة قلت له «يجب أن ننتظر جيلا جديدا حتى نحكم على جمال المرأة التركية». ففهم أننى لا أعير المرأة اهتماما كبيرا فى نظرتى إلى الحياة.. وإن كنت أعد أولى واجبات الدولة

إعداد جيل قوى من النساء القادرات على زيادة النسل؛ بشرط أن يكون الجيل قويا .. زيادة تستحق الأمة أن تكون بها موضع احترام الأمم الأخرى

والحقيقة التي لم أشأ أن أبوح بها ، وكانت تدور بمخيلتي ساعتئذ ، هي أن انحطاط الأمم الشرقية والإسلامية يعود إلى ضعف المرأة جسميا وعقليا ، ولكنني لم أشأ أن أثير مشكلة كهذه في أول لقاء ..

وكتبت في مذكرتي « عاهل الأردن أمير شرقي لا يفهم ضرورات ومستلزمات العصر الحالي الذي قذفتنا الأقدار لنعيش فيه . وسط أمم قوية راقية تسير على هدى مدنية جبارة دافعة زاحفة ونحن نيام .. فالويل لنا والويل للمغلوب على أمره ممن هم على شاكلتنا. إننا نسير حتما بخطوات واسعة إلى الفناء العاجل ... كما سارت أشور وبابل وفرعون وثمود وعاد ... إن الصمت والسكون والبيداء هي كل ما لدينا، وسيستمر هذا طويلا حتى ننقرض وتذهب ريحنا كبعض الحيوانات التي نشغل بها كلها العظمية أركانا في المتاحف وقاعات العرض ... إذا لم نعمل عملا حاسما

* * *

وتناولت الغذاء بفندق فلادلفيا ثم دعيت عند الجنرال بيك باشا الذي دعاني إلى زيارة مركز الجيش العربي والمدرسة الخاصة بأبناء الجنود والمسجد الذي أنشأه ، كما دعيت إلى نادي ضباط الجيش ولقيت الكثير من الترحاب . وفي اليوم التالي توجهت إلى مدينة القدس ، وأمضيت اليوم بالقنصلية المصرية مع الأصدقاء عباس حلمي وحسين عزيز وأحمد عبد المجيد ..

وزرت المعرض العربي فلفتت أنظاري صور خالد بن الوليد وطارق بن زياد والمجاهد الطرابلسي عمر المختار ، وهنا اغرورقت عيناي بالدموع إذ شعرت بأن الوسط العربي بالقدس أقرب إلى مشاعري وإحساسي من الوسط في مصر ، ولكن نفسي كانت حزينة حتى النهاية . كان كل شيء يظهر أمامي كأنه مؤقت ، وكان يبدو على العرب وهم يسيرون في الطرقات ويجلسون في المجتمعات أو يتحادثون في منازلهم وكأنهم على سفر كسكان منزل قد أنذرهم صاحبه بالإخلاء السريع وهم يستعدون في أي وقت للرحيل العاجل ...

ولم أنم تلك الليلة رغم تقليبي صفحات نسخة إنجليزية من الكتاب المقدس . لقد نسيت كل ما مر بي، في شرق الأردن وعلى جسر ألنبي وأجنحة المعرض العربي وحديث إخواني ، وترحيب رجال العرب وتناول العشاء في مطعم يهودي وسماع تلك الموسيقى الغربية التي تقدمها فرقة من الفتيات المهاجرات في أواسط أوروبا. لقد جعلني كل هذا أسرح في المستقبل البعيد، وكان كل ما حولي يدعو إلى التأمل والتساؤل ...

أما أنا فوجدت في تلك النغمات الأوربية الإجابة على سؤال العاهل العربي العظيم . ما رأيك في الجمال التركي ؟

إننا أمام زحف جارف أيها الأمير الخطير ...

ويقول أستاذنا الجليل أحمد حسن الزيات بك في مقاله البديع « لا أستطيع أن أتحدث عنه ولا أن أحكم عليه إلا من وراء ما يرى ويسمع »

وإني أحاول أن أنقل لقراء الرسالة صورة من آراء الملك الفقيد وأقواله كما جاء في بعض ما كتبه وبعض ما تحدث به

لقد وضع الفقيد كتابا تحت اسم « من أنا » كتبه على طريقة الأسئلة والأجوبة: بدأه بقوله :

من أنت ؟

أنا عربي أنتسب إلى العرب وبهم أفخر

ما هي مفاخرك ؟ ديني ونسبي

ما هو دينك ؟ ديني الإسلام وربي الله ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام « ص ٣ »

وقال عن العرب : « إنهم بالهداية الإلاهية والرسالة النبوية والمؤهلات المنصرية ، أسسوا المجد العظيم في سنوات معدودة »

وأراد تبرير ثورة العرب ضد الأتراك فقال :

عند ما شاخت دولة بني عثمان وسلك رجالها مسلكا يتمارض مع المبادئ العربية دنيا ودينا بدأ الخلاف المسلح بين الأمتين »

وذكر والده الحسين بن علي فقال :

« وبإرادة الله تعالى اتحدت كلمة الأمة مرة أخرى مقتدية بالمنقذ الأعظم رحمه الله »

ولما تقطعت أوصال البلاد العربية قال : « إن البلاد العربية تقسمت زعامتها فئة من الناس تضع نصب العين الحرص على الحكم والتحكم ، مرة بالعصبية وأخرى بالحزبية ، وأحياناً بالقوى الأجنبية »

وله رأى فى الأمة العربية يؤمن به إذ يقول : « أمة واحدة فى بقعة واحدة تحدها آسيا الصغرى فى شمالها ، وبلاد فارس فى شرقها ؛ والخليج المعروف بها ، ومن الجنوب يحدها بحر الهند، ومن الغرب حدها البحر الأحمر فالحدود المصرية ثم بحر الروم »

وهو الرأى الذى أخذ به نورى السعيد فى مذكرته المشهورة إلى المستر كايزى، وكان يؤمن به رياض الصلح ويصرح به كثير من زعماء العرب للانجليز والأمير كيين ، أى أنهم لا يعدون المصريين عرباً ...

وللفقيد آراء صريحة فى الحكم إذ يقول :

« ليست الأمة بميراث يورث ، وليست مصالح الشعب منحة للمتغلبين ، وليس القول لمن يحسن القول ، ولكن جل هذا تراث للأمين بعد الأمين ، من يظهره الله سبحانه وتعالى ، ويثبت هو جدارته فى تأدية واجبه بأمانة وإخلاص ـ ص ١٤٠ »

ورأيه هذا يتلخص فى أن العروبة والهاشمية صنوان لا يفترقان، وأن هذا الأمر فى هذا البيت من قريش . إنه يؤمن إيماناً لا يتزعزع برسالة بنى هاشم وزعامتهم وقيادتهم للعرب كافة ، ويشاركه فى ذلك كثيرون من أبناء بلاده وأتباعه وأنصاره

وكان الكونت جالك دومال قنصلا عاما لفرنسا بالقدس ، أمضى هناك سنوات عدة ، وكتب كتابا سماه « أصوات من الشرق ، وذكريات دبلوماسى » تحدث فى خاتمته عن مقابلة له تمت مع صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين عاهل المملكة الأردنية وكان ذلك فى يوليه ١٩٣٧ ، وكان مع القنصل الفرنسى صديقان ، وجه أحدهما السؤال الآتى : أتعتقد بنهضة العرب وأن تعود الخلافة إلى الوجود بعد أن ألغيت باستانبول ؟

والإجابة التى وضعها ، الكونت دومال على لسانه هو ، تكاد تنطق بأن الكثير منها من وحى الحديث الذى دار فى ذلك الاجتماع مع الأمير . اقرأ معى « الخلافة فى ركن من أركان الإسلام، والخليفة فى الشريعة حامى الدين وخادم الشرع ، إذن يجب أن تكون بلاده حرة وقوية ، مهيبة الجانب، تتمتع بكامل سيادتها واستقلالها حتى تقوى به كلمة الحق والدين »

« الخليفة هو أمير المؤمنين الذى يتولى أمور المسلمين للعمل بالكتاب والسنة والمشورة العامة والخروج فى الجمع ، وتلقى الأسئلة على منبر الخطابة ، والإجابة عليها — هذه هى الخلافة النبوية الغير الوراثية ، والمشترط فيها القرشية»

وهى كما نرى غير الملك والسلطان، ولقد استشهد ثمرة الملك الفقيد بقول عمر بن الخطاب الذى قال : « أما ولى سلطان فلا ... »

وبعد فهذه كلمات مأخوذة عن الملك عبد الله بن الحسين ، الذى كان أقرب الأبناء شبها بوالده الحسين بن على ، وأشدهم تمسكا بالتشبه به ، أضعها أمام القارئ ليعلم أنه آمن منذ المبدأ بتعاليم والده ، قائد الثورة العربية والنهضة الهاشمية فكان يعد نفسه وارث هذه الحركة ، والأمين عليها والحارس على اتجاهاتها، وأنه ليس فى بنى هاشم من هو أحق بها منه ، ولذلك قال : « هى تراث للأمين بعد الأمين »

لقد تأثر الحسين بن على بالبلاط الحميدى وبالتربية التركية . وكذلك كان الملك عبد الله بن الحسين . لقد كان أثر الناحيتين ظاهراً عليه ، كان مثال الحاكم الشرقى الذى يعنى بملبسه ومظهره، والذى يحيط به هالة من الاحترام والحشمة ، وكان كذلك متأثرا بالحجاز تتجه أنظاره إليه ويحبه من أعماق قلبه ، فكان ينزل إلى مكتبه ويفتح بابه ليقابله من يشاء من رعيته ... وتلك نفحة حجازية

وسنرى فى العدد القادم ذكريات سنتين قضيتهما فى القدس أعمل كقنصل عام لمصر وفلسطين وشرق الأردن ، وما لقيته من كرم الأمير وما قيدته من أحاديثه مع كبار الساسة

أحمد رمزى

النسيان فى نظر التحليل النفسى

للآنسة فائزة على كامل

كان العلماء النفسانيون يوجهون كل اهتمامهم إلى دراسة الذاكرة، تاركين جانبا ظاهرة النسيان، إلى أن كان أواخر القرن التاسع عشر فانعكست الآية واحتلت الأبحاث فى النسيان مكان الصدارة. ويرجع الفضل فى ذلك إلى « فرويد » الذى ألقى ضوءا على هذه العملية فأبان ما فيها من ديناميكية لم تكن معروفة من قبل

لقد كانت الآراء السائدة ترد النسيان تارة إلى عدم الانتباه؛ وأخرى إلى علل فسيولوجية، وثالثة إلى عوامل نفسية وفسيولوجية معا. درس « فرويد » هذه النظريات وصرح بأنها ليست خاطئة من أساسها، ولكنها فى حاجة إلى التعديل، إذ ليست جامعة لتفسير كل حالات النسيان

أخذ « فرويد » يدرس ما سماه « الأفعال الفاشلة »، وهى تلك الحوادث البسيطة التى نصادفها فى حياتنا اليومية كفلتات اللسان، وفلتات القلم، وأخطاء السمع. وكالنسيان الذى يظل لفترة معينة مثل نسيان اسم شخص أو موضع شئ ثم تذكره بعد مدة قد تطول أو تقصر

إن هذه الوقائع لو طلبنا تفسيرها من شخص عادى فإنه قد يستخف بنا فى بادئ الأمر وينظر إلينا شزرا، ثم يقول إنها أشياء تافهة فى نظره، يتحكم فيها عامل الصدفة ولا تحتاج إلى شرح أكثر من ذلك. فإذا عدنا وسألناه: ماذا تعنى بذلك؟ هل تعنى أنه توجد حوادث تقع خارج سلسلة ظواهر العالم وقد بلغت حدا من التفاهة جعل حدوثها وعدم حدوثها سيين؟ إنك بذلك تحطم قانون الحتمية وتقلب التصور العلمى للعالم. هنا نجد أن الشخص سيتراجع ويحاول أن يجد علة لهذه الأفعال فيقول: إنها تحدث عندما يكون الإنسان منحرف المزاج أو متعبا أو عندما يستثار أو عندما يشرد ذهنه عن الشئ الذى يقوله أو يقوم بأدائه

لو أنعمنا النظر فيما أتى به هذا الشخص العادى لوجدنا أنه يقول بعامل واحد هو عدم الانتباه، وهذا ينشأ نتيجة عوامل فسيولوجية كالتعب، والصداع، والهزال ..الخ. أو عوامل نفسية فسيولوجية كتشتت الفكر، الاستثارة ... الخ. ولكن هل حقا أن عدم الانتباه هو وحده الذى يوقع فى فلتات اللسان فيجعل الخطيب يخطئ ويأتى بكلمة عكس المقصود مثلا؟ يجيب « فرويد » بأن ذلك وإن كان عاملا مساعدا إلا أنه ليس العلة الحقيقية. فماذا نقول إزاء نسياننا كلمة معينة على الرغم من توجيه الانتباه إليها وقول الشخص « إنها على طرف لسانى »!؟

يرى « فرويد » أن العلة الحقة هى الاضطراب فى الانتباه لا القلة فيه. فسبب هذه الأفعال هو اضطراب فى الانتباه نشأ من تدخل مجرى آخر من الأفكار. ففلتات اللسان مثلا هى نتيجة تداخل غرضين أثناء الكلام، فإذا تغلب أحد الغرضين على الآخر نتجت حالة قول عكس المقصود، وإذا لم يحدث هذا التغلب فإن تصادم الغرضين يؤدى إلى تشويه أو تحوير الكلمات والأسماء فتأتى الفلتة بمعنى تهكمى أو هزلى. ويسرى هذا على فلتات القلم وأخطاء السمع ونسيان الكلمات والأسماء لزمن معين. فهذه كلها أفعال لها معنى، إنها أفعال نفسية لها هدف خاص

إن فكرة التقاء القوى هى الفكرة الأساسية لدى فرويد وأثرها ظاهر فى تفسيره للنسيان. فهو لا يرجعه إلى ضعف فى الذاكرة، وإنما يراه نتيجة دافع مكبوت بواسطة قوى معاكسة، هو نتيجة اصطدام مؤثر محرك فى طريقه إلى التصريف بمؤثر آخر فيؤدى ذلك إلى كبته. فالاسم المنسى أو الكلمة المنسية غالبا ما يكون لها علاقة بشخصية الفرد ويثيران فيه انفعالات عنيفة ومؤلمة. فتبعا لمدرسة زيورخ نستطيع أن نقول إنهما يمسان «عقدة شخصية». قد تكون هذه العقدة مهنية كما نسى « فرويد » اسم مستشفى وهو Nervi لأنه يتصل بالأعصاب Nerves. وقد تكون عائلية كنسيان «فرويد» أيضا اسم محطة Roselein لأن أخته كان اسمها Rose. فمن أهم الدوافع التى تساعد على النسيان الميل إلى تحاشى عودة الألم إلى الذاكرة، إذ أن كل شخص يود نسيان الأشياء المكدرة. إنه يوجد صراع نفسى مستمر لاستبعاد الخبرة المؤلمة من الشعور، وهكذا..

فالنسيان ليس إلا عملية دفاعية تتم بطريقة لا شعورية لتصل الأنا (The ego) إلى حالة تتمتع فيها بالارتياح

كذلك يلاحظ أن الشيء قد ينسى لارتباطه بشيء له أثر مؤلم. ويأتي « فرويد » بمثال شاب غير موفق في حياته الزوجية لبرود الزوجة . وفي ذات يوم قدمت له تلك الزوجة كتابا اشترته له لعلمها بأن فيه ما يهمه . فشكرها على هذا الاهتمام ووعدها بأن يقرأه . ومر شهران دون أن يقرأه، ثم تذكره وقام ليبحث عنه ولكنه لم يستطع العثور عليه إذ نسى نسيانا تاما ذلك الموضع الذي وضعه فيه . ومرت ستة شهور ثم مرضت أم الزوج مرضا خطيرا ولم تكن تقطن مع ابنها ، وهنا تركت الزوجة منزلها وذهبت إلى منزل حماتها ، وقامت بتمريضها خير قيام وأظهرت عناية فائقة بها مما أفعم قلب الزوج بحب زوجته لما تبين فيها من نبل ووفاء . وفي هذه الأثناء عاد الزوج إلى منزله وإذا به يتقدم من المكتب ويفتح درجا معينا فيجد الكتاب المفقود

إن الميل إلى نسيان الأشياء التي لا يحبها الإنسان شيء عام ، وما الإنكارات والتكذيبات التي يصادفها الطبيب أثناء عمله إلا إحدى نتائج هذا الميل . فمثلا جاءت أم إلى فرويد وعرضت عليه ابنها العصبي ، وفي أثناء حديثها ذكرت له أن الولد يتبول تبولا لا إراديا أثناء الليل، وأن إخوته وأخواته كانوا مثله أيضا ، ثم مرت عدة أسابيع وحضرت الأم فسألها « فرويد » عن بعض الأشياء ومن بينها مسألة « البول » وإذا بها تنكر هذه الواقعة بالنسبة المريض وبالنسبة لإخوته وتعجب وتتساءل : من أين عرفت هذا؟! وهنا ذكرها فرويد بسياق الحديث السابق الذي دار بينهما وظهر أنها هي التي صرحت بذلك !

وإن « دارون » يؤيد قول « فرويد » بأن الأشياء المؤلمة تكون أسرع إلى النسيان من غيرها . فهو يذكر أنه يسير على قانون ذهبي يتلخص في أن يأخذ مذكرة بكل واقعة أو فكرة أو ملاحظة جديدة تنشر وتكون معارضة نتائجه العامة . فقد اتضح له من تجاربه أن مثل هذه الوقائع والأفكار أكثر فرارا من الذاكرة عن الوقائع والأفكار المحببة إلى الشخص

وهكذا يأتي « فرويد » بهذه النظرية الجديدة لتفسير النسيان ، فهو في نظره إنما يرجع إلى اضطراب في الانتباه منشؤه دوافع لا شعورية تعمل على إبعاد الأفكار التي توقظ شعورا مؤلما . فكل عملية عقلية يصحبها قدر معين من الطاقة النفسية فإذا زاد هذا القدر إلى حد كبير فإن الشخص يشعر بعدم الارتياح ، ولذلك يوجد ميل دائم إلى تصريف هذه الطاقة حتى يتجنب الألم ويمنع نشوب التوتر النفسي . فإذا حدث أن حلت عملية عقلية معارضة لمؤثرات أخرى واصطدمت بالنشاط الترابطي المعتاد فإن هذه العملية العقلية تنفصل (bissuoted) ، وهذا دفاع شبيه باستجابة الهرب لمنبه مؤلم

إن الميل لنسيان ما هو مكدر وغير سار شيء ضروري ولازم لكل إنسان يعيش على سطح البسيطة.. إذ أنه لا يستطيع الخلاص من حدوث أشياء مؤلمة تنغصه .. كما لا يقدر على التحرر من الانفعالات الشديدة الناجمة عن تأنيب الضمير أو الشعور باللوم والخجل.. أو الإحساس باقتراف الإثم واستحقاق العقاب

فائزة علي كامل

طالبة ماجستير بقسم الفلسفة

٤ - ألمانيـــــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مستقبل ألمانيا :

يتساءل الناس فى أيامنا هذه : أقضى حقا على ألمانيا نهائيا ؟ ألا تعود ألمانيا إلى سابق قوتها وعظمتها ؟ وهل نسى الألمان زعيمهم هتلر ؟ وهل رضى الألمان عن مصيرهم الأخير ؟

والجواب عن هذه الأسئلة واضح كل الوضوح ، فلن تستطيع أية قوة على وجه الأرض أن تمحو أمة ناهضة . صحيح قد تغلب الأمة على أمرها حينا من الزمن ولكنها لا تلبث أن تسترد نهضتها وأن تعيد مجدها وعظمتها . ولم ينس الألمان هتلر ولن ينسوه لأنه فى نظرهم بطل ضحى بحياته من أجل ألمانيا ورفاهيتها

والدليل على صدق ماأقول أن إحدى الصحف نشرت أخيرا صورة رائعة لمدينة برنسويك بألمانيا وهى تستقبل الجنرال رامك قائد فرقة جنود المظلات الألمانية التى هاجمت كريت واستولت عليها إبان الحرب العالمية الأخيرة . وقد حضر هذا الاستقبال الذى أقيم لمناسبة خروج الجنرال من السجن ما يزيد على خمسة آلاف من الجنود النازيين السابقين الذين عملوا فى هذه الفرقة . ومما قاله الجنرال رامك أثناء الاجتماع « إنه لا يمكن الاعتماد على ألمانيا فى المساهمة فى الدفاع عن غرب أوربا ما لم تطلق بريطانيا وأمريكا وفرنسا سراح من سمتهم مجرمى الحرب » . وقد حمل الجنود القائد على أكتافهم ووضع على حائط السرادق الشعار القديم للفرقة

وأكثر من هذا أن أعداء ألمانيا بالأمس ماعدا روسيا وفرنسا يعملون على إعادة قوتها إليها ؛ لا حبا فى ألمانيا وسيادتها ولكن لأنها القوة الوحيدة التى تستطيع الوقوف فى وجه العدوان الروسى . أما فرنسا فإنها تعارض فى عودة وحدة ألمانيا لا ذاقته على يدها من ألوان المحن والهوان

وقد زار المستر موريسون وزير خارجية بريطانيا منذ شهور ألمانيا الغربية وتحدث مع رئيس الجمهورية الألمانية الغربية عن اشتراك ألمانيا فى الدفاع عن غرب أوربا ، فكان رد الرئيس « إن ألمانيا لا تستطيع أن تتعاون مع محتليها ، فإذا أردتم أن نتعاون فعليكم بالجلاء عن أراضينا » . وتعمل بريطانيا فعلا على إنهاء الاحتلال لغرب ألمانيا ، أما روسيا فتعارض فى الجلاء عن البلاد التى تحتلها وذلك لأنها تعلم ما يبيته لها الحلفاء

وجدير بنا أن نبحث عن أسباب هزيمة ألمانيا فى الحربين العالميتين الأولى والثانية . أكان ذلك لضعف ألمانيا أم لنقص فى شجاعة جنودها ؟ الواقع أن قوة ألمانيا كانت عظيمة وكان استعدادها هائلا ، وخططها مرسومة منظمة ، ومن ثم نجح الألمان فى السيطرة على غرب أوربا بسرعة عجيبة أفزعت الناس أجمعين . وما زال الناس يذكرون كيف استولت ألمانيا على الدانمرك والنرويج من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب فى ليلة واحدة . الواقع أن السر فى هذا النجاح راجع إلى دقة الخطط الألمانية وحسن تنظيم قواتها

وإذن فما سبب هزيمة ألمانيا ؟ يرجع سبب هزيمة ألمانيا إلى عاملين : أولا غدر روسيا بها ، فقدعقدت روسيا ميثاق عدم اعتداء بينها وبين ألمانيا قبيل قيام الحرب الأخيرة ١٩٣٩ ، فلما اطمأنت ألمانيا على حدودها الشرقية دخلت الحرب ولاقت قواتها نجاحا رائعا لم يشهد له التاريخ مثيلا . لقد خطب هتلر فى القوات الألمانية قائلا : « أنتم تقررون مصير ألمانيا مدى ألف عام »

واندفعت القوات الألمانية فاستولت على هولندا وبلجيكا وفرنسا فى مدى شهر من الزمان أو أقل ؛ ثم استولت على الدانمرك والنرويج فى ليلة واحدة ؛ ثم ولت وجهها شطر الجنوب الشرقى للقارة ، فاستولت على البلقان

وهنا غير الدب الروسى سياسته ، وطلب من ألمانيا أن تعطيه ميناء على البحر الأبيض ، ولكن هتلر رفض فوقعت الحرب بين روسيا وألمانيا سنة ١٩٤٢ مما كان له أكبر الأثر فى تغيير مجرى الحرب

ثانيا : دهاء بريطانيا وساستها ومقدرتهم العجيبة على

الكذب والنفاق والغدر، مما لا ترى له مثيلا في التاريخ، وسمة حياتهم. فبريطانيا إذا وقعت في خطر جعلت من قضيتها قضية العالم أجمع، واجتهدت في أن تكسب الحلفاء والأنصار للدفاع عن قضيتها. ألسنا نذكر جميعا بكاء الثعلب الماكر تشرشل؟ إنه كان يدعي أنه يبكي على حرية العالم التي يحاول الألمان القضاء عليها. والتفت الأمم حول بريطانيا لأنها رأت في انتصار بريطانيا وحلفائها انتصارا للحرية. وانتهت الحرب وإذا بتشرشل العجوز يتنكر لماضيه ويطعن الحرية التي كان يبكي عليها طعنة نجلاء. ألسنا نذكر جميعا كيف كان يشيد بالخدمات التي قدمتها مصر لقضية الحلفاء! وكيف كان يذكر أن وقوف مصر بجانب الحلفاء كان من أهم العوامل في انتصارها. فلما انتهت الحرب تنكر لمصر. ومن ثم نراه في كل جلسة من جلسات مجلس العموم البريطاني يلوم وزير خارجية بريطانيا على تساهله مع مصر ويطلب إليه عدم إمداد مصر بالأسلحة، وتدفع مصر ثمن الأسلحة ولكن لا ترد إلى مصر ولا يرد الثمن. فإن أعطيت مصر أسلحة فإن هذه الأسلحة تكون إما تالفة أو غير صالحة بتاتا. وهكذا يكون وفاء الإنجليز بالعهد. لقد حار الناس في فهم حقيقة الخلق البريطاني! إنهم الأفعى التي تلدغ الشعوب جميعا. لقد كسبت بريطانيا الحرب بالعتاد الأمريكي وبالدم الروسي وبدماء الشعوب الأخرى، أما هم فكانوا أقل الشعوب تضحية ومع ذلك فازوا بنصيب الأسد من ثمرات النصر

ومثال آخر من أمثلة الغدر البريطاني. في سنة ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى وعمدت إنجلترا إلى إثارة العرب ضد تركيا التي كانت قد انحازت إلى جانب ألمانيا على أساس أن تعطى الشعوب العربية حريتها واستقلالها بعد انتهاء الحرب، ووفت الشعوب بما عاهدت وانتصرت إنجلترا والحلفاء، ومع هذا ماذا كان جزاء العرب؟! احتلت إنجلترا فلسطين والعراق ومصر. واحتلت فرنسا سوريا ولبنان، ثم كان من نتائج هذا الوفاء بالعهد والغدر من جانب إنجلترا قيام دولة إسرائيل وطرد العرب الآمنين حلفاء الإنجليز من ديارهم وبلادهم!!

ولعلك تسألني ما سر العداء بين بريطانيا وألمانيا؟ وأنا أجيبك بأن ألمانيا بعد أن كونت وحدتها ونهضت صناعتها أرادت أن تكون لها مستعمرات وأساطيل بحرية تجارية وحربية، ومن ثم بدأ الصراع بين إنجلترا التي تريد احتكار الأسواق العالمية وبين ألمانيا التي تريد أن تكون التجارة العالمية حرة حتى تأخذ ألمانيا نصيبها من تجارة العالم، وكان من نتائج هذا الصراع قيام الحربين الأولى والثانية، وهزيمة ألمانيا

أما بعد:

فإن ألمانيا أمة قوية ودولة فنية وشعب ناهض وقطر غني ومواردها المعدنية والزراعية عظيمة، والعقل الألماني من غير شك من أرقى العقليات العالمية. ونحن جميعا ما زلنا نتمتع بثمار هذا العقل. والصناعات الألمانية تمتاز بجودتها ورخصها. بل أكثر من هذا أن أرض ألمانيا غير صالحة للزراعة ولكن العقل الألماني قد استطاع أن يحيل هذه الأرض الجدبة إلى أرض زراعية خصبة وافرة الإنتاج

ومن ثم فإن ألمانيا لن تلبث طويلا حتى تسترد مجدها وتستعيد قوتها

وأما بريطانيا فقد انكشفت ألاعيبها وحيلها وشاخت إمبراطوريتها، ولن يلدغ العالم من جحرها مرتين، وقد تنبهت الشعوب تماما ووقفت جميعا تناضل في سبيل حريتها نضال المستميت، ولن يجدي بريطانيا ما أقامته من هيئة أمم متحدة تعمل في الخيال لمصلحة الشعوب والأمم ولكنها في الحقيقة تخدم المصالح البريطانية

ولعل من الخير لبريطانيا أن تعدل عن سياستها القديمة وأن تحترم حرية الشعوب وإرادتها، فإن ذلك فقط هو الكفيل بتحقيق السلام العالمي

أبو الفتوح عطيفة

صحيفة مطوية

فى البلاغة العربية

للأستاذ أمين محمد عثمان

لا يسعك وأنت تجول فى ميدان الدراسات النفسية الحديثة، وتخوض فى بحر الثقافة الأوربية الخضم، إلا أن تعترف لعباقرة العرب بفضل السبق فى هذا الميدان، وتؤمن إيماناً بأن فى التراث العربى العريق كنوزاً مطمورة تحتاج إلى من ينقب عنها، ويخرجها من كهوف النسيان إلى عالم النور والعرفان

لقد كان علم النفس القديم يرى أن إدراكنا للعالم الخارجى يبدأ بالأجزاء والتفاصيل، ثم يربط بين بعضها وبعض حتى يتألف الشكل، فأنت — على هذا الزعم — حينما ترى الشخص تبدأ فى إدراك أجزائه أولا «شعره. عينيه. فمه الخ» فإذا كررت النظر أدركت الشخص فى جملته وهيئته. وعلى هذه النظرية كانت التربية التقليدية إلى عهد قريب، تبدأ فى تعليم الرسم بالخطوط والمنحنيات والدوائر والأشكال الهندسية ثم تنتقل بعد ذلك إلى رسم القصص والحوادث والمناظر الطبيعية، وعلى هذا الأسلوب سرنا ولا زلنا نسير فى تعليم القراءة والكتابة على الطريقة الأبجدية، فنبدأ بتعليم الطفل حروفاً ثم كلمات ثم جملا، ضاربين صفحاً عن كل أساس سيكلوجى أو تربوى

فلما ظهر علم النفس الحـــديث، وبزغت فى أوائل القرن العشرين «مدرسة الصيغ الإجمالية» قلبت هذا الوضع رأساً على عقب، وقامت بتجارب شتى دلت كلها على أن الإدراك عند الحيوان والإنسان يسير من المجمل إلى المفصل، ومن الكلى إلى الجزئى، على العكس مما تقول التربية القديمة، فلو أنك ألقيت نظرة على شخص أو على صورة، لكان أول ما تراه من الشخص شكله العام، وأول ما تأخذه عن الصورة انطباعاً مجملا عاماً، فإذا أطلت النظر والتأمل، أودعتك ضرورة عملية إلى التحليل، أخذت تفاصيل الشخص أو الصورة تثب إلى عينيك واحدة بعد أخرى

والإدراك الإجمالى أكثر ما يكون وضوحاً وبروزاً عند الأطفال والحيوان، فالطفل لا يحلل الأشياء فى إدراكه، وليست به حاجة إلى التحليل، والعنكبوت لا يعرف الذبابة إن قدمت إليه لا على نسيجه، بل فى مكمنه الذى يتربص لها فيه، كأن الذبابة جزء من كل، إن انفصلت عنه لم يعد لها معنى. ومن أجل ذلك اختلفت الأفراد فى نظرها إلى الأشياء، فنظرة الفنان إلى اللوحة الفنية غير نظرة الرجل العادى، لأن الأول يدرك من تفاصيلها ودقائقها مالا يدركه الثانى، ونظرة الفلكى إلى السماء ليست كنظر سائر الناس

وقد أجرى العالم النفسانى (كهلر) تجارب على الدجاج أيد بها أن الشكل سابق لإدراك أجزائه، فقد وضع بعض الدجاج فى أقفاص تسمح لها بإخراج رءوسها لتلتقط الحب من لوحة أفقية، ووضعت على اللوحة ورقتان رماديتان: إحداهما فاتحة والأخرى داكنة، وكلما حاولت دجاجة التقاط الحب من الورقة الفاتحة طردت، ومن الأخرى تركت، حتى تعلم الدجاج الالتقاط من اللون المقصود بعد (٦٥) تجربة، ثم استبدلت الأوراق الفاتحة بأخرى أشد سواداً من الأوراق الداكنة، فبادر الدجاج إلى الالتقاط من هذه الأوراق الجديدة، وهذا دليل قاطع على أن الدجاج لم يدرك كل لون على حدة، بل أدركه بالنسبة إلى الشكل الذى يضم اللونين معاً، ولو كان يدرى كل لون على حدة لاستمر يلتقط الحب من الورقة التى تدرب على الالتقاط منها.

وقد أحدثت هذه النظرية انقلاباً خطيراً فى التربية الحديثة، واستفاد منها المربون فى أسلوب التربية والتعليم كما فعل العالم البلجيكى «دكرولى» فى تعليم القراءة والكتابة، حيث سار

على الطريقة السيكولوجية، فبدأ بالجملة ثم بالكلمة ثم انتهى إلى تعليم الحرف، وأخذ الفنانون ومدرسو الرسم يبدأون فى تعليم الطفل برسم الحوادث والقصص والمناظر الطبيعية لأنها تلائم نفسية الطفل وعقليته على عكس ما كانت التربية القديمة

هذا ما ذكره علم النفس الحديث. وقد تراءى لى بعد البحث والتروى أثناء دراساتى بالعيادة السيكولوجية بمعهد التربية أن هذه النظرية على جدتها وقرب عهدها بالعصر الذى نعيش فيه ليست بالنظرية المبتكرة، ولا هى بالرأى المخترع — كما يدعى بعض علماء أوروبا المعاصرين — فلقد سبق إليها عبد القاهر الجرجانى إمام البلاغة فى عصره، منذ تسعة قرون. واملك تفرق فى الإعجاب إذا علمت أنه لم يخرم من هذه النظرية حرفاً واحداً..

وإليك ما ذكره عبد القاهر الجرجانى فى كتابه «أسرار البلاغة» وكان فى معرض الحديث عن التشبيه البليغ «إنا نعلم أن الجملة أبداً أسبق إلى النفوس من التفصيل، وأنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر، ولذلك قال العرب! النظرة الأولى حمقاء، وقالوا لمن يصف الشئ على غير حقيقته: فلان لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل. وهكذا الحكم فى السمع وفى غيره من الحواس؛ فإنك تتبين من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرة ثانية مالم تتبينه بالسماع الأول، وتدرك من تفصيل طعم الذوق بأن تعيده إلى اللسان مالم تعرفه بالذوق الأول، وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين راء وراء وسامع وسامع» وهكذا يسترسل عبد القاهر فى الكلام عن المحسات حتى يصل بك إلى قوله «والأمر فى المعقولات كذلك، تجد الجملة أبداً هى تسبق إلى الأوهام وتقع فى الخواطر أولا، وتجد التفاصيل مغمورة بينها، وتراها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة بالتذكر»

أما بعد: فقد آن لنا أن نبحث فى تراثنا العربي على ضوء العلم الحديث، لنكشف للعالم ما أثبتت التجارب العلمية صحته ومطابقته للواقع، ولا زال فينا — مع الأسف — من ينظر إلى هذا التراث نظرته إلى خرق بالية قد مزق أديمها، ولم يدر أن بها من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، ورحم الله «حافظاً» إذ يقول على لسان اللغة العربية:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى؟

أمين محمد عثمان
دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بمدرسة الرمل

رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكري الصديقي

للأستاذ سامح الخالدي

في هـذه الرحلة يصف لنا الشيخ في أسلوبه الخاص رحلته إلى الحجاز، وزيارته قبر الرسول، وأداءه مناسك الحج ثم عودته

وقد دعاه إلى الحج وهون عليه الأمر، صديقه الوزير رجب باشا وقد كان أميرا للحج . فأذعن الشيخ ، ويلاحظ الشيخ أن رجب باشا كان « بالتركي المعرب » وعرض عليـــه أن يستصحبه ففعل

ثم يصف لنـا الشيخ وصوله إلى المدينة ، وزيارته الحجرة المطهرة ثم مكة ، ومناسك الحج . وقد اجتمع وهو في مكة بالشيخ محمد التافلاتي (مفتي الحنفية) في القدس ودعاه إلى مرافقته إلى القاهرة فاعتذر

ويستدل من الرحلة ، على عدد من الأمور الشيقة ، فمنها أن الحج المصري كان قائما في ذلك العهد ، وأنه والحج الشامي يؤلفان أهم موكبين من مواكب الحجاج ، وكيف كان الحرم في مكة يفتح في الليل خصيصا لأمير الحج الشامي ، وقد فات الشيخ استمتاعه بهـذه الفرصة النادرة لانشغاله في الوضوء ، إذ لم يكد يستعد لدخول الحرم في الليل حتى أقفلت أبوابه

وكان أمير الحج ، قد أقام مولدا وفرق الدنانير ، ويصف لنا الشيخ تأثراته في المدينة ومـكة ، وقد أخذه الحال ، حتى كاد يتأخر عن الركب الراجع بعد الحج

ويظهر من وصف الشيخ أن قوافل الحجاج كانت تحرسها الجنود ، ويصفهم بالجردة ، ويقول إن تأخر وصولهم أقلق الحجاج ، ولما أطلوا ، عادت إليهم طمأنينتهم

كما يصف لنـا الشيخ ما فعلته الأمطار في (الحسا) من اضطراب ، ونقص في الجمال

وإننا نترك الآن للشيخ البكري أن يصف لنا رحلته الشيقة في حجه المبرور :

وبعـد : فيقول أفقر الأنام وأحقر الخدام بكثرة الآثام مصطفى بن كمال الدين بن علي الصديقي ، لما كان الحج على المستطيع من الأمة فرضا ، كانت النفس تشوق لأدائه لتكون ممن الحق أرضى ، وتتشوق لزيارة تلك الأماكن، التي إليها القلب متحرك غير ساكن ، لـكن عدم وجود الاستطاعة لها مانع ، وكلما العبد أعجزته الأقدار وأقعدته الموانع ، إلى أن فتح الحق الوهاب بابا لزيارة البيت المقدس المستطاب ، وذلك عام (١١٢٢هـ - ١٧١٠م) وذكرت ما اتفق لنـا في هذه الخطرة في الرحلة المسماة « بالخمرة الحسية في الرحلة القدسية » (١) ثم عدنا إلى الديار ، وأقمنا فيها مدة بحكم الاضطرار ، فهاجت بنا دواعي الشوق ، ودبت فينا نشوة التوق ، إلى تلك الآثار المقدسة وثارت الأشجان إلى لقاء الإخوان في سنة (١١٢٦ هـ - ١٧١٤ م) وأودعت ما وقع هذه الـكرة وما جرى هذه المرة ، في كراسة وسميتها (الخطرة الثانيـة الأنسية . للروضة الدانية القدسية) وكربنا على الأوطان، وأعددنا أنفسنا من القطان، في شهر رمضان سنة (١١٢٧ هـ) وأقمنا إلى شهر رجب من شهور عام ثمانية وعشرين ، فحرك الحق سبحانه الهمة إلى زيارة علـم الشرق وما حواه العراق من السادات المتكاثرة . ولما وصلنا إلى محروسة حلب لم تقسم الزيارة لأمرحتم، فقصدنا زيارة سلطان الزهاد سيدي إبرهيم بن أدهم ، ومكثنا في طرابلس الشام نحو سبعة أشهر وأيام ، وتراجعنا للآثار المقدسة ، لعلاقة لا تنسى ، وضمنت بعض ما شهدناه في جزء سميته (الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية) (٢) وعطفنا على المرابع السامية الشامية ؛ عام ثلاثين راجين القرب من رب البرية وازداد وارد الاذكار والأفكار، كيف الوصول إلى سماك الحجاز الرفيع المنار ، وكان عام ثمانية وعشرين توجهت همة الأخ عبد الـكريم القطان ، إلى الحج الشريف ، فقال له الأخ ذو الود والوفا الشيخ مصطفى ابن عمرو ، أنت حججت واجمل هذه عن أخيك فلان ، ليحصل

---

(١) نعرنا هذه الرحلة والخطرة الثانية الأنسية في كتيب ، مع رحلة عبد الغني النابلسي ، ورحلة الشيخ مصطفى اللقيمي الدمياطي في سنـة ٤٧ بعنوان (رحلات إلى ديار الشام)

(٢) نعرت في أعداد مجلة الرسالة

لك الثواب سبعين حجة كما جاء فى بعض الآثار ، فقبل منه ذلك وقرأ الفاتحة وتوجه لذلك المقام ، نائبا عن الفقير فى رحلته ، وذكرت ذلك فى ترجمته المسماة (بالصراط المستقيم فى ترجمة الأخ الشيخ عبد الكريم) ولما عدت للديار ودخلت سنة (١١٣٠ هـ) وقرب زمن مسير الحاج ، أنشدنى المجذوب الشيخ أحمد بن سراج مطاوعيا ، ثم قال لى يا مصطفى « أنا مرادهم يرسلونى إلى الحج فى هذا العام » ففهمت إشارته ومقصوده ، فى هذا الكلام، فقلت له « أرسلنى نائبا عنك » فقال « أتروح »؟ فقلت « نعم ولو ان الروح تروح » فقال « إن رحت أرسلك مكانى » فقلت « عسى أن يدنو التهانى » . ثم غاب وحضر بعد مضى جملة أيام . وجاءنى قائلا « مرادنا نرسلك إلى الحج فى هذا العام » فقلت « حفظك الله السلام ، هذا هو القصد والمرام » . وكنت ذهبت لوداع الحاج قبل هذا العام بعامين أو أكثر، وأنشدت حين شهدت الهوادج والأجمال تسير بلا مين للسيد الأكبر :

زجروا العيس نحو وادى العقيق ... ليت شعرى هل لى له من طريق

ولما رأيت (الأجمال) سائرة تخب الأرض خببا ، والقلوب طائرة ، والأقدام تطوى السباسب خببا، تزايدت منا الحسرات ، وبعد العود من التوديع ، قيدت هذا القصيد الآتى مخافة أن يضيع ، وأنشدتها الرفيق الأعز الأخ الشيخ عبد الكريم الجمل فهاج وماج ، ولمفصل ما عنده أجمل ، وبكى واستبكى ، والمدامع أهمل، وهى :

أبروق لاحت بتلك البوادى ... أم بواد فى حى سلمى بوادى الخ

اجتماعه بصدريقه رجب باشا والى الشام وأمير الحج :

« وكنت لما اجتمعت بجناب الدستور الأكرم ، والمشير الأفخم محبنا الأعظم ، والى الديار الشامية ، وأمير الحج فى هذه السنة السنية ، رجب باشا، حبى من الخيرات ماشا ، سألنى « هل حججت ؟ » قلت « لا » فعرض أن نصحبه فى الزيارة ، وصرح فى كلامه التركى المعرب الآن ، بعد التعريض والإشارة ، فأحلنا الأمر على الإرادة ، ورجونا حجا مبرورا لنيل السعادة

هم الشيخ البكرى بحج أيضا :

« ولما توجهت همة العم ، زاد السرور وزال الغم ، وكنت أرى لى قبله مالاً ، فقلت أحسب مصرفه على منه مآلا . وسألته الرفق والإرفاق ، فأجاب بالوفاق والإشفاق ، وأخبرت أن الوزير المشار إليه ، أمره بأخذ الفقير فهان الصعب عليه ، وعند الحزم والعزم على الرحيل ، ودعنا قطب رحى الوجود ، شيخنا صاحب الكشف الأنسى ، جناب الشيخ عبد الغنى النابلسى ، وجميع من عنده . ممن أصحبهم رفده

زيارة المشاهد وقبور الأجداد قبل التوجه إلى الحج :

« وزرنا قدوة العارفين سلطان الغارقين فى بحر الوحدة والعارفين سيدى محيى الدين ، وتوجهنا بأهل السفح ، ثم زرنا الوالد والأجداد الكرام فى مقبرة الشيخ أرسلان ، وتممنا الزيارة بشيخنا المرحوم الشيخ عبد اللطيف ، وختمنا بمرقد سيدى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق ، وهذا المرقد على التحقيق لجدنا سيدى محمد ابن عبد الرحمن المعروف بابن أبى عتيق ، وسبب ذلك أن محمد بن عبد الرحمن هذا ولد له عبد الله وله عقب ، فاتفق أن عدة من أولاد أبى بكر رضى الله عنه ، تناضلوا ، فقال أحدهم « أنا ابن الصديق » وقال الآخر : « أنا ابن ثانى اثنين » وقال آخر : « أنا ابن صاحب الغار » وقال محمد بن عبد الرحمن : « أنا ابن أبى عتيق » فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم . ذكره ابن قتيبة فى تاريخه. وأما عبد الرحمن الجد الأعلى فمات فجأة سنة (٥٣ هـ أو ٥٨ هـ) وحمل إلى مكة ودفن بها ، ذكره الشيخ محمد بن عبد الدائم البرماوى فى « شرحه الزاهر البسام فيما حوته عمدة الأحكام »

« وبعد إتمام الزيارة وتوديع الأهل والأحباب الأخيار توجهنا مع العم إلى قبة الحاج، عشية النهار، وبتنا فى سرور وبسط تام. بين رفقة أعزة وأحبة كرام»

فى طريق الحج :

« وفى صبيحة اليوم الأزهر الميمون ، سرنا إلى (الكسوة) ونزلنا قريبا من تلك العيون ، وساروا بنا ليلة السبت إلى (المزيريب) فوصلناه وأقمنا فيه أياما بعيش خصيب ، وفيه شرعت

فى مسودة هذه الرحلة المباركة المسماة (الحلة الحقيقية لا المجازية فى الرحلة الحجازية) . ولم نزل نسير ، والحق سبحانه يهون المسير، إلى أن وصلنا (معان) والحاج كما يقال معان ، والزفرة فى وهج، تصلى بحرها المهج

وأقمنا يوما بهـا ثم سرنا نحو تلك الرحاب نرجو الأمانا
نترامى على الوشـاة غراما كى يمر الزمان نأتى المكانا
ولديه يلتـذ سمعى بمغنى فيه نفنى عن الشوادى بدانا

« وكنا نشتغل فى المحفة ببعض أذكار وأوراد، تدنى الأمداد وتبعد الأنكاد ، ولما وصلنا (العلى) سبحنا العلى الأعلى ، وأهدينا الفواتح لمن حلها من أهل التـكريم ، وخصينا بفاتحة الأخ الشيخ عبد الـكريم ، فإنه دفن بها بعد العودة من الحج المبرور ، نائبا عن الفقير ، كما قدمنا قريبا بهذه السطور

« وما زلنا نسير إلى أن وصلنا منزلا نلنا به غاية الابتهاج، إذ يلاقى فيه أهل المدينة الحجاج ، وفى عشية تلك الليـلة رأى الناس طلائع الأنوار ، من ناحية السيد السند الحبيب الطبيب المختار ، وحج الحجيج لرؤية ذلك، بالصلاة والتسليم على زين المالك، ولم نزل بحول من أعلى وأنزل ، نطوى البيدطى ، طالبين وادى العقيق ، إلى أن لاحت للعين لوائح القرب ، وطاب للشارب من دموعه هنالك الشرب ، وحق لنا أن نلثم أخفاف الجمال، التى حملتنا إلى أن شاهدنا هذا الجمال . وفى هذا المعنى أنشد الواله المعنى :

وإذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمـــة وذمام

وحق للزائر، أن ينشد مكان تلك الدوائر:

فيا ساكنى أكناف طيبة كلـكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

« ولما هجمنا على وادى العقيق ضحى ، سالت الآماق الجامدة ، واضطرمت الأشواق الخامدة ، وأنفقنا العين على شهود العين، وحبذا عين تنفق فى عين ، ونزلنا إذ رأينـا على البعـد المنارات النيرة ، والبناء المدهش نوره وبروق آثاره محيرة ، فألقينا عن الرواحل من فرط المسرة أنفسنا ، وقلنا للأنفس ، هذا الأنفس الذى من أنفسنا وأنفسنا ، ونزولنا عند رؤية الآثار من السنة لا يقال فيه لبس، لأنه أقر على ذلك سيد الأكوان وفد عبد قيس . قال الفاكهى « فى حسن التوسل فى زيارة أفضل الرسل » فى الفصل التاسع والأربعين ، أى من الآداب أن ينزل عن راحلته إذا رأى المدينة ومنائرها تواضعا لله ، وإجلالا لنبيه ، صلى الله عليه وسلم وأن يمشى إلى المسجد إذا استطاع بلا مشقة شديدة ، وإلا مشى قليلا ، لأن وفد عبد قيس لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم نزلوا عن الرواحل ولم ينـكر عليهم وكانوا نزلوا بالقاء أنفسهم قبل أن ينخوها ، فإلقاء النفس بحيث لايتأذى ولا يؤذى الدابة وغيرها حسن فيما يظهر

ونقل أن العلامة أبا الفضل الجوهرى ترجل عندقرب بيوتها باكيا منشدا :

ولما رأينا ربـع من لم يدع لنـــا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن حل فيه أن نلم به ركبا

انتهى . وهذا الـكتاب يعزى للمحقق المقدم الهيتمى ، وكتابه « الدر المنظم فى زيارة القبر المعظم » . وألقينا فى الخيام عصى التـسيار، وقلنا ما بعد المشية من عرار، وبادرنا إلى الزيارة، فرحين بمن حللنا داره

للمقال بقية سامح الخالدى



الميعاد . . .

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

كتب فى مذكراته يقول :

« حملت اليه طاقة من الزهر . واتفقت على أن تلقاه فى روضة الملتقى ، وشاءت الأقدار أن تخلف وعدها . . ورجع شاعرها الى أزهارها يبثها هواه ويهرق عليها دموعه . . وعند ما أوشك الفجر أن يبتلج كان قد أتم هذا اللحن تزفه الى أفقه ملهمته الخالدة . مهدية الزهر . ومخلفة الميعاد

يا مهدى الزهر نواحاً لعاشقه ... ماضر لو رحت تهديه الهوى عبقا

تركته نهب أوهام وأخيلة ... حيران يضرب فى بيد المنى فرقا(١)

لكم سقى زهرات الحب أدمعه ... وظل حران يستسقى الظما أرقا

فانجب لظمآن قد جفت مناهله ... والورد من دمعه المسفوح قد شرقا

ناداك والليل قد شابت ذوائبه ... من السهاد ، ونجم الصبح قد خفقا

وظل يصرخ حتى ذاب من ألم ... فؤاده وجرى من ثغره مزقا(٢)

* * *

دخلت روضتنا الغناء أسألها ... عن موعد كان لى فى ظلها ولقا

والشمس معتلة الأضواء شاحبة ... كأنما لقيت من حيرتى رهقا

وقد توارت عن الأنظار تاركة ... على حواشى السما من جرحها شفقا

فلم أجد غير طيف منك يصحبنى ... أنى التفت أراه نيرا ألقا

ضممته بين أجفانى فهيج لى ... شوقى ، فرحت عليه أطبق الحدقا

* * *

« هناء » يا كوكبا مازال مؤتلقا ... لكنه لم يجد إلا الأسى أفقا

أأنت ناديت أم صوت يخيل لى ... سمعته من وراء الغيب منطلقا

قد مر بى وطوى الآباد أجمعها ... حتى استقر بسمعى حينما طرقا

فديته من صدى ما رن فى أذنى ... إلا ، وأهدى لى الأشجان والحرقا

فى لحظة ردت الأقدار عاجزة ... عن سيرها . وأعادت كل ماسبقا

تجسد الوهم لى الماضى وصوره ... شخصا لعينى اذا كلمته نطقا

يا لحظة تربط الماضى بحاضره ... لا كنت يا لحظة منها الأسى انبثقا

أعدت لى ذكريات كلما سطعت ... فى خاطرى جددت لى الحزن والقلقا

يا ليت من أيقظت عيناه عاطفتى ... للحب ، يشعر من فى حبه احترقا

أوليت خالق هذا الحسن من علق ... أحب يوما إذن ما ذل من عشقا

* * *

يا من تمثل فيه الروض مبتسما ... والبحر منبسطا والنجم مؤتلقا

مالى أجرعك الأحلام صافية ... وأنت تملأ لى كأس الهوى رنقا(٣)

أغرك الحسن أخاذا فتهت به ... على ، حتى ظننت الحسن ماخلقا

أم قد علمت بما فى القلب من حرق ... فرحت تمنح عينى الدمع والأرقا

* * *

بغداد ... عبد القادر رشيد الناصرى

١) فرق : خائف

٢) مزقى : جمع مزقة وهى القطعة من الشىء

٣) رنق : كدر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قرينة طه حسين :

مسألة النساء في حياة الرجال مسألة معروفة ، من الإملال وفضول الكلام أن نتخذ منها مقدمة لهذا الحديث الذي نريد أن نسوقه في هذه الكلمة . وهو حديث عن السيدة الجليلة قرينة عميد الأدب والأدباء معالي الدكتور طه حسين باشا

كثيرا ما جال بفكري أمر هذه السيدة ، من حيث أثرها في حياة طه حسين وفي أدبه . لقد تحدثت إلى مراسل لمجلة (آخر ساعة) في باريس ، فصاغ من حديثها موضوعا ضمنه ما أفضت به إليه من معلومات تتعلق بالحياة العامة للزوجين الكبيرين ، وهي معلومات نعرف بعضها ويسرنا أن نقرأ ما لم نكن نعلمه منها

إن قرينة العميد شريكة حياة مثالية ، فهي شريكته المهيئة له أسباب الراحة والاطمئنان في حياته الخاصة ، وهي شريكته المشاركة له في آلام نفسه وأمانيها . فقد كانت خير معين له في فترات شديدة من حياته ، إذ كانت تحاول دائما أن تثبت فيه الصبر والشجاعة ، وتربت إحساسه المرهف ، فيمر بالشدائد كريما جلدا ظافرا . وأستطيع أن أقول — على ما ألمح من بعيد — إنها تدفعه إلى المجد ، وإن ما تدفعه إليه قد جنت منه البلاد ولا تزال تجنى أطيب الثمرات . جاء في حديث « آخر ساعة » ما يلي :

« ولطه حسين وزوجته ذوق واحد في كيفية قضاء أوقات فراغهما ، فهما يفضلان الموسيقى أو المطالعة إذا لم يكونا مرتبطين بموعد لقضاء سهرة . وهما يحملان معهما أسطواناتهما الكلاسيكية المفضلة في جميع أسفارهما لأنهما يشعران براحة تامة في الاستماع إليها عند ما يكونان وحيدين »

وهذا جانب لا يستهان به في الحياة الزوجية ، وهو التعاون على قضاء وقت الفراغ فيما يمتع ويفيد ، فيذهب ما مضى من عناء وينبعث النشاط لما يأتي من أعمال . وإذا كان الرجل العادي يستريح إلى زوجته التي تمد له ما يشتهي من أطباق ، فإن من أسباب السعادة التي يستشمرها مفكر ذو إحساس مرهف ، زوجة تهيئ له ما يحب من غذاء العقل والروح . ومما نعلمه عن عميدنا الكبير شغفه بسماع الموسيقى الراقية ، وهو يحرص على حضور حفلاتها التي تقام بمسرح الأوبرا الملكية في موسمها الشتوي السنوي بمصر ، بل هو فوق ذلك يحرص على ألا تفوت متعتها من يؤثره ، وسوف لا أنسى دعوته الكريمة التي تفضل فوجهها إلى لحضور بعض هذه الحفلات في الموسم القادم

وجاء أيضا في ذلك الحديث أن قرينة العميد ترى في الحركة النسائية أن على المرأة المتزوجة أن تهتم ببيتها وبأولادها وأن تترك السياسة للأرامل والفتيات

إن فكري وخيالي يذهبان إلى التساؤل : كيف كان طه حسين وكيف يكون إذا منى بزوجة من هؤلاء المتصايحات المشتغلات بكل شيء عدا بيوتهن وأولادهن ؟ وكيف يكون حال الأدب والعلم والتعليم عندنا إذا ابتلى بامرأة ممن يطفئن النور في القلوب ويهمن بأزواجهن إلى القهوات والجلوس على الطوارات فرارا من نكد الزوجة وتعب البيت ؟ إنني أتصور ذلك الفراغ الهائل في عالم الأدب العربي الحديث ، فيهولني التصور . . وطه حسين كتلة من المواهب والحيوية الأدبية ، ولكن هذه تحتاج إلى تهيئة الجو الصالح لتنويتها ، الملائم لتنفس صاحبها

إن طه حسين — وهو الإنسان الحساس — يعرف لقرينته فضلها ، وقد عبر عنه بإهدائه إليها بعض مؤلفاته . ولكننا نحن الذين انتفعنا بآثار ذلك الفضل ، نحن أهل هذه البلاد المصرية وكذلك إخواننا في سائر البلاد العربية ، ينبغي أن نذكر تلك السيدة الجليلة ، ونذكر فضلها وأثرها في أدبنا وحياتنا ، وأن نقرنها بزوجها العظيم فيما قدم لنا من نتاج أدبي وعمل مثمر ، فنجلها كما نجله ، ونحبها كما نحبه

عهد جديد :

هذه مجموعة قصصية لكاتب قصصي جديد ، هو الشاب العراق الأستاذ شاكر خصباك ، آنست بها فى هذا الصيف الممتزل وكانت مما وصلنى بالعالم الحبيب المتعب الممتع .. الذى نهرب منه ونحن إليه : عالم الأدب والفن .

أعرف نزعة شاكر مما قرأته له من قبل فى (الرسالة) وفى مجموعة سابقة ، وأعرفها منه صديقا طالما التقيت به فى القاهرة خلال السنوات التى قضاها طالبا بجامعة فؤاد الأول . فلما أصدر مجموعته هذه صدر هذا الصيف وقبيل رحيلى إلى المصيف ، كانت مما احتقبته ، عسى أن يذهب عن نفسى ما ألم بها فأشتاق إلى المتاعب الممتعة

أحب من الأدب — أكثر ما أحب — ذلك النوع الذى يتخذ كاتبه أخاه الإنسان موضوعا له ، على أنه أخوه . أخوه كيفما كان ، لا يترفع عنه لأن الأقدار أو الأسباب الاجتماعية أرادت له الحرمان والجهل وسوء الحال ، لا يتخذه ألهية ولا طرفة يلهى بها ويطرف ، بل يراه أخا له يرثى لحاله ويأسو جراحه ويلتمس له — كطالب إنسان — البرء والسعادة

وعند ما قلت « أعرف نزعة شاكر » كنت أعنى تسديده إلى ذلك الهدف الذى أحببت أن أرافقه — بقراءته — فى الاتجاه إليه

هذه قصة (عهد جديد) — وهى قصة كبيرة جعلها فى مقدمة المجموعة وسماها باسمها — تعرض لنا أسرة جزار عراقى جعل الكاتب نفسه أحد أبنائه وتحدث بلسانه كدأبه فى سائر القصص ، ولا بد أنه يتخذ هذه الطريقة — طريقة التحدث بضمير المتكلم — استكمالا للاندماج فى جو القصة ، وهو وإن كان تخيلا إلا أن ظلال شخصية الكاتب تظهر فى كثير من قصصه ، كالقصص التى يصور فيها حياة شباب ينزلون فى القاهرة لدى أسر (بنسيون)

نعود إلى قصة « عهد جديد » فنراه يصور لنا حياة تلك الأسرة تصويرا ينقلنا إلى ذلك البيت الصغير الذى تعيش فيه ، وكأننا نجالس الرجل وابنيه ونرا كلهم على الحصير الذى يفترشونه فى مدخل البيت . والحادثة التى تدور عليها القصة فى غاية البساطة وهى تتلخص فى أن الجزار يعامل أسرته بخشونة وغلظة ، وخاصة زوجته وابنه الكبير ، فلا يفتأ يوبخ الولد على كل تصرفاته ، ويوجه إلى أمه قوارص الكلم ، فيثور الابن وينفجر فى وجه أبيه محتجا على إهانة أمه فى إحدى المرات ، ويغادر المنزل والبلد « الحلة » ... وتمر أيام لا يعلمون له مقرا ولا مرتحلا ؛ حتى يهتدى الوالد إلى أنه رحل إلى كربلاء ليعمل عند قصاب هناك على أن يستدعى أمه لتعيش معه بعيدا عن أبيه الفظ الغليظ ، فيجزع الرجل ويلين جانبه ويخفض صوته ويحسن ألفاظه ، ثم يبعث بزوجته إلى كربلاء ، فتعود بولدها ، وما يراه الأب حتى يخرج من صلاته ويتجه إلى ابنه فرحا قائلا بصوت متهدج : الحمد لله على السلامة يا نجم !

الوقائع الظاهرة قليلة بسيطة ، ولكن الكاتب يأخذنا إلى وقائع أعمق وأحفل ، هى التى تجرى فى نفوس أفراد الأسرة جميعا ، فبعد أن عرفنا شخصية كل منهم عن طريق تصرفاته جعل يحركهم عندما وقعت المحنة التى زلزلت أركان البيت ، وهى اختفاء نجم ، جعل يحرك مشاعرهم ويصف حركاتهم وفقا لطبيعتهم ، فالأخت البكاءة (أم دمعة) لا تنفك عن البكاء ، والأخت الجامدة تعبر عن التياعها لاختفاء أخيها بجمودها .. على طريقتها ! وقد أفاض فى وصف المعالم الظاهرة والدقائق النفسية ، وهو فى كل ذلك يسير فى خطة القصة المؤدى إلى نهايتها والمعرب عن عقدتها وهى تغير الأب من حال إلى حال واستئناف الأسرة عهدا جديدا صار فيه الرجل الجافى إنسانا رقيقا ..

وتتمثل فى هذه القصة خصائص قصاصنا الشاب ، وأولاها نظرته الإنسانية ، فقد نقد الأب وصور حماقته نقدا وتصويرا بالغين ولكنه ما تخلى عن العطف عليه كإنسان مسكين ضل سواء السبيل ثم اهتدى أو هدى إليه

وثانية الخصائص دقة الرسم مع تجنب الفضول ، فقد عرفنا بكل شخصية من الشخصيات حتى كأنهم من معارفنا الأقدمين وحتى لأحسبنى إن ذهبت إلى « الحلة » سأبحث فيها عن منزل ذلك القصاب وأسأله عن أفراد أسرته لأطمئن على حالهم جميعا ! وهو يفيض بالحديث عن أشياء كثيرة فلا يمل لأنك تشعر أنك

فى طريق القصة لم يعرج بك إلى هنا أو هناك ، وفى خلال هذا الحديث تتجسم لك أصالة الكاتب فى تصوير البيئة ، وفى إجراء الكلام على ألسنة الأشخاص بما يناسب حالهم ، فالجزار مثلا يشبه زوجته بالنعجة ، وابنتـه بالخروف ؛ وأبناء هذه الأيام بالجاموس المائج !

وثالثة الخصائص التى ألمحها فى قصص شاكر خصباك هى النقد الاجتماعى فليست واقعيته من قبيل « التصوير الفوتوغرافى » وإنما هو ينظر إلى ماوراء الظواهر لينفذ الى الحقائق ويلقى الضوء على مايعترضه من مظاهر الحياة الإنسانية ، وفى كثير من قصصه أهداف بعيدة ، كقصة « أغلال » التى يثير فيها قضية حب بين حمال وإحدى طالبات المدارس ، فيصور الفارق الاجتماعى بينهما عائقا ظالما ، أليس للحمال قلب كغيره من الناس !

وأنت بعد كل ذلك تحس روح القصاص المذبة وظله الخفيف وطلاوته التى تأسرك وتشوقك الى النهاية ، على رغم ابتعاده عن الإغراب وافتعال المفاجآت

وقبل أن أنظر الى (الكفة الثانيـة) أحب أن أهنئ عالم الأدب العربى الحديث بهذا الشاب الذى يرجى أن يكون فيه من أعلام القصة المبرزين

وهاك ما أراه من المحتويات (الكفه الثانية) :

١ — لاحظت فى بعض القصص اهتمامه بما يشبه التعليق على النهاية أو الزيادة على النهاية بما لا داعى إليـه وأحيانا تفسد الزيادة الموقف ، وذلك كما فى قصة « الرهان » و « قلب كبير » فقد عنى فيها بالتعبير عن ألمه بعد الخاتمة التى كان يحسن السكوت عليها ، والحالة النفسية مفهومة وينبغى أن يدع القارئ يدركها من طبيعة الموقف ، وفى قصة « بدور بنت عمى » كانت نهايتها مصرع الفتاة التى أثارت حنقه وغيرته ، وكان يحسن صنعا لو أنه ترك القارئ يفكر فى هذا المصرع وكيف وقع ، ولكنه راح يتساءل : هل اختل توازنها أو أنه دفعها بيده ؟ فأفسد الموقف احتمال دفعه إياها أى قتلها . وفى رأيى أن القصاص غير مسئول عما يحدث بعد أن يعرض صفحة معينة من الحياة هى التى انفعل بها وتعلق بها موضوعه ، فليس مطالبا بأن يحمل الأبطال يعيشون فى (التبات والنبات) ويخلفون صبيانا وبنات ، أو يلحق بهم مفرق الأحباب وهادم اللذات ...

٢ — لاحظت فى بعض القصص مجانبة لمنطق الواقع ، ففى « قصة الدخيل » سكن غرفة فى شقة تسكنها أرمل توفى زوجها منذ شهر ، اسمها « ثريا » فلم يمض الأسبوع الأول حتى تأبط ذراع الحزينة على زوجها المخلص ... وقضيا المساء فى قهوة عصر الجديدة ، وبعد أسبوع آخر ذهبا إلى السينما ، فلو فرضنا أنها « استلطفته » بهذه السرعة استلطافا أذهب الحزن من قلبها بهذه السرعة أيضا ، أفما كان من اللائق أن تتحرج قليلا فلا تخرج معه إلى القهوة والسينما وهو متأبط ذراعها أمام الناس فى الشهر الثانى لوفاة زوجها الذى تنطق حوادث القصة بحزنها عليه ؟ كل ذلك واسمها « ثريا » لا « مرجريت » ولا « راشيل » !

٣ — أسلوب شاكر خصباك عذب حى والحوار فيه طبيعى جميل ، وهو يستكمل بذلك أدوات القصصى الفنان . ولكن . . وليس قليلا ما بعد « لكن » تعوزه السلامة اللغوية والنحوية فى كثير من المواطن ، ومن أمثلة ذلك استعماله الامتنان بمعنى الشكر فى قوله (ص ١١٠) : « والحق أننى عظيم الامتنان لذلك الطفل » والخطأ النحوى ظاهر فى قوله (ص ١١١) : « ولم أكن بأحسن حال منها » وهو يستعمل حيث للتعليل فى قوله (ص ١١٤) : « وكذلك يفقد الموقد الذى حفرته فى إحدى زوايا الغرفة صلاحيته للعمل حيث يمتلئ بالماء » ويقول « إحدى المتشفيات » فى (ص ١٣٥) بدل « أحد المستشفيات » . ويقول « الأشياء المفقودة التى يعثر بهـا » فى (ص ١٤٤) بدل « يعثر عليها »

وإنى آسف لهذا النقص فى كتابة صديقى شاكر خصباك ، وتدفعنى الغيرة عليه وعلى مواهبه الممتازة إلى إبدائها وأدعوه إلى أن يتألم من هـذا الذى أكتبه ، كى يعمل على تمام ذلك النقص وهو من القادرين على التمام

عباس خضر



نماذج فنية

من الأدب والنقد

تأليف الأستاذ أنور المعداوى

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

علم من أعلام النقد الأدبى فى العصر الحديث ، وأديب من أدباء الطبقة الأولى .. ظهرت مقالاته الأدبية منذ سنوات ، فلفتت إليه الأنظار والأفكار ، وجمعت حوله القلوب والعقول ، وهيأت له مكانة عجز عن الوصول إليها كثير من الأدباء . قرأت له تعقيباته التى يوالى نشرها فى الرسالة الزاهرة ، فوجدته يمتاز فى هذه التعقيبات بالنفاذ إلى صميم ما يعرض له من موضوعات الأدب ، وشؤون الفكر ، ونظريات الفن ، ومن هناك يسلط أضواءه القوية على كل زاوية من زوايا الموضوع الذى يتناوله بالدراسة والنقد ، فتبدو الأشياء سابحة فى النور ، بعد أن كانت مغلفة بالظلام ، ويصبح ما كان بعيدا عن الأفهام ، وقد صار أدنى إليها من كل شئ سواه . وسر هذه المقدرة أن الأستاذ لا يفكر بذهنه فحسب ، ولكنه يفكر بقلبه أيضا . وحين يستطيع القلب أن يفكر ، فإنه ينفذ إلى حقائق الأشياء

ثم لقيت الأستاذ المعداوى ، وتوطدت بيننا أواصر المودة وصلات الأخوة ، فلم أجد فارقا جوهريا بين شخصيته فى الأدب وشخصيته فى الحياة ، فهو فى كليهما قوى الشخصية ، يعرف لنفسها حظها من التفوق ، ونصيبها من الامتياز ، فلا يضعها إلا فيما يليق بها ؛ ومن هنا يأتى اعتداده بنفسه ، ذلك الاعتداد الذى لا يبلغ حد الغرور . وهو جرئ فى الحق ، صريح فى إبداء الرأى ، لا يتأثر بصداقة الأصدقاء ، ولا يتهيب سطوة ذوى الجاه والسلطان . ومواقفه فى ذلك معروفة مشهورة . وهو متسامح مع الناس فى شؤون الحياة ، ولكنه لا يتسامح معهم فى شؤون الفن والأدب . ومن هنا كان عنفه فى مدافعة ما يراه خطأ وباطلا من الآراء والأفكار ، ومن هنا أيضا كان اتهامه بأنه معول هدم فى الحياة الأدبية ، وليس عامل بناء ! وقد دافع هو عن نفسه دفاعا قويا « هدم » به هذا الاتهام من أساسه ، وذلك فى المقدمة الرائعة التى قدم بها لكتابه الأول « نماذج فنية من الأدب والنقد »

وهذا الكتاب يضم بين دفتيه طائفة من المقالات والدراسات الأدبية ، منها تعقيباته المشهورة ، بعد أن تناولها بشئ من التنقيح والتجويد ، وبشئ من الحذف هنا ، والزيادة هناك . وهو يعطينا صورة واضحة عن الأستاذ المعداوى كناقد أدبى و كدارس شخصيات ، يملك موهبة فائقة ، واستعدادا ممتازا ، واطلاعا واسعا منوعا ، ويملك فوق ذلك تجارب إنسانية مختلفة تعينه على إدراك الأعمال الأدبية إدراكا صحيحا ، وعلى فهم الشخصيات الإنسانية فهما مباشرا ، لأن هذه التجارب الإنسانية المختلفة تجعله أقدر على التجاوب مع أصحاب هذه الشخصيات ، وتلك الأعمال ، فى تجاربهم الخاصة . والتجاوب النفسى شرط أصيل فى إدراك الأعمال الأدبية ، وفى فهم الشخصيات الإنسانية على السواء ، والذين ينقصهم هذا التجاوب من النقاد يقفون بنقدهم عند المظاهر الواضحة دون أن يصلوا إلى البواعث النفسية . وقارئ هذا الكتاب يرى بوضوح أن صاحبه قد احتفل بكل موضوع من موضوعاته أتم احتفال ، واحتشد له أكمل احتشاد حتى لم يدع زيادة لمستزيد ، أو سؤالا لمستفهم ، ويرى كذلك أنه يتفوق على نفسه فى بعض ما كتب ، وذلك حين تتيح له طبيعة الموضوع أن يبدى كل ما لديه من موهبة ، ويعرض كل ما يملك من استعداد ، ثم هو يجد الأستاذ يفكر دائما بعمق وبوضوح ، وهذه ميزة ، ويجده مع ذلك يملك المقدرة الفائقة على الإبانة والتوضيح ، وهذه ميزة أخرى ؛ لأن الإنسان قد يفكر بعمق فى شأن من الشؤون ، فإذا أراد أن يعبر عن أفكاره خانته وسائل التعبير ؛ لأنه لا يملك منها الشئ الكثير

أما أسلوب الأستاذ ، فإنه يمتاز بالدقة والتناسب والانسجام ونعنى بالدقة اختيار الكلمات التى تحدد المعنى تحديداً تاما ، وذلك من ألزم اللوازم فى النقد الأدبى ؛ ونعنى بالتناسب أنه يوجز فى مواضع الإيجاز ، ويطيل فى مواضع الإطالة ، فلا يخل بذلك ،

ولا يعمل بهذه . أما الانسجام فهو تلوين الأسلوب بحيث يلائم طبيعة الموضوع . ولهذا الموضوع موسيقا رائعة الوقع ، شجية الرنين ، تمتاز بالجلال في موضوعات النقد ودراسة الشخصيات وتتفرد بالجمال في موضوعات العاطفة والوجدان . وليس من شك في أن أسلوب الأستاذ العداوى يعد من أجمل الأساليب الأدبية المعاصرة . وما كان الأسلوب الأدبي في أي عصر من العصور أجمل منه في هذا العصر الذي نعيش فيه

والخلاصة أن الأستاذ العداوى ناقد ملهم ، قوى الطبع ، عظيم الموهبة ، وافر الأداة ، كامل الاستعداد ، مخلص في عمله ، مؤثر له ، متوفر عليه ، وهذه الصفات مجتمعة لا تكاد تتحقق الآن في أحد سواه

ولى بعد ذلك ملاحظات على بعض ما أورده الأستاذ في ثنايا كتابه . وهي في الحقيقة ملاحظات يسيرة لا تغض من قيمة هذا العمل الأدبي العظيم :

يرى الأستاذ في مقاله « حول مشكلة الفن والقيود » أن العقل الواعي هو الذي يقول للشاعر إن الجو الشعري لهذه القصيدة يصلح له هذا الوزن دون ذاك ، وتتلاءم معه هذه الموسيقا الداخلية دون تلك ...

وهذا بالتجربة غير صحيح ، لأن العقل الباطن هو الذي يدرك أولا الصلة بين الجو الشعري للقصيدة ، والوزن الموسيقي الذي يصلح له ، والموسيقا الداخلية التي تلائمه ... ثم ينبعث منه بعد هذا الإدراك — ذلك الوزن الصالح ، وتنبع منه هذه الموسيقا الملائمة . أما العقل الواعي فإنه « يلمس » بعد ذلك هذه الصلة

ومطلع القصيدة الذي يحدد وزنها الشعري ، هو عند الشعراء الملهمين هدية من العقل الباطن لا دخل للعقل الظاهر فيها ، ولا صلة له بها ... أما النظامون ، فإن القصيدة عندهم من مطلعها إلى مقطعها « وليدة » الذهن الواعي ... الواعي للتقليد والمحاكاة والسرقات !

ويقول الأستاذ في مقاله « العبقرية والحرمان » : « إن العبقريات معادن . . بعضها يتوهج في ظلال النعيم ، وبعضها يتأجج في رحاب الفاقة والحرمان »

والذي أراه أن العبقريات لا تتوهج ولا تتأجج إلا في سعير الحرمان الروحي ، أما الترف والفاقة فإنهما مظهران خارجيان لا يؤثران في العبقريات إلا بمقدار ما يكون لهما من صلة بالحرمان الروحي . . وهذا الحرمان ألوان ؛ فهناك الحرمان من احترام الناس ، وهناك الحرمان من التمتع بالجمال ، وهناك الحرمان من الحب – والحب أنواع – ، إلى غير ذلك من ألوان هذا الحرمان . ولا يمكن لعبقرية من العبقريات أن تتوهج في ظلال ترف لا يكون معه حرمان روحي ، أو تتأجج في رحاب فاقة لا تولد مثل هذا الحرمان

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن ندرس العبقريات جميعها ، فنجدها كلها من هذه الناحية معدنا واحدا ، وليست معادن مختلفة

وقد كتب الأستاذ مقالا عن أبي العلاء كما يراه ، بلغ فيه القمة حين أثبت أن القلق هو الظاهرة الكبرى في شخصية أبي العلاء ، وليس التشاؤم كما ذهب إلى ذلك غيره من الباحثين ، وحين أثبت أن مرد هذا القلق هو ما كان يشكوه أبو العلاء من فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ، ثم رأى أن حرمان أبي العلاء من المرأة هو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله .. وذلك حق لا مرية فيه ، ولكن الأستاذ لم يبين السبب الذي من أجله حرم أبو العلاء من المرأة ، وذلك لازم لفهم هذه الشخصية النادرة . والذي أراه أن أبا العلاء هو المسئول عن حرمانه من المرأة ؛ لأنه حين صدمته الحياة سخط عليها سخطا شديدا دفعه إلى المجاهرة بآرائه الشاذة عن النسل ، وعن المرأة التي هي مصدر هذا النسل ؛ وعرفت عنه هذه الآراء ، واشتهر هو بها ، وأصبحت من عناصر شخصيته ، وخصائص فلسفته ، فلم يستطع أن يتراجع عنها ، ولم يستطع كذلك أن يجعلها بمعزل عن حياته ، حرصا منه على مذهبه الفكري من مهاجمة الأعداء المتربصين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه كان عنيدا بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وهكذا حرم أبو العلاء نفسه من المرأة روحها وجسدها ، فكبرت عقدته النفسية ، وازداد معها قلقه النفسي ، وتبرمه بالناس وبالحياة

فشخصية أبي العلاء فيما نراه شخصية مريضة ، ظلت طول حياتها تعاني كبتا جنسيا وآخر نفسيا . وهي المسئولة عن هذين

الكتبين أكثر من غيرها . وهناك سؤال وجه إلى الأستاذ المداوى عن هذين البيتين من شعر جميل :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله

والسائل يعترض على قول جميل : لو أبصره الواشى لقرت بلابله ، ويرى فى ذلك تغييرا لطبيعة الواشى الذى لا تقر بلابله حين يرى العاشقين على هذه الحال من الطهر والبراءة ، ولكن تقر هذه البلابل حين يراهما فى حالة مريبة !

وقد أجاب الأستاذ عن هذا السؤال بشرح للبيتين يتمثل جوهره فى قوله : « هذا الواشى الذى يعنيه جميل لم « يبصر » هذا الذى يقنع به دائما من حبه لبثينة ، ولو أبصر لما « تخيل .. لما تخيل أن كل محظور قد وقع فى عالم المنظور »

وليس فى هذا الكلام ما يدفع اعتراض السائل ، وإنما يدفع اعتراضه أن نقول له إن الواشى هو فى صميم طبيعته النفسية عاش مغلوب على أمره ، أو حاسد يشقى بنعمة محسوده ، وهو هنا فى قول جميل عاشق لبثينة ، وحاسد له ؛ ومن شأن العاشق الحاسد أن « تقر بلابله » حين « يبصر » ما بين العاشق المحسود ، ومعشوقه الذى يحسده عليه ، فيعلم أنه شئ كالحرمان إن لم يكن أوجع منه ، وأشد إيلاما

ثم يبدى الأستاذ إعجابه بهذين البيتين من قصيدة بدوى الجبل فى أبى العلاء :

من راح يحمل فى جوانحه الضحى
هانت عليه أشـــعة المصباح
وجلا المصون من الضمائر ، فانتهى
همس النفوس لضجة وصياح

مشاركا فى هذا الإعجاب الأديب السورى المعروف الأستاذ روحى فيصل . فهل علم الأستاذان الناقدان أن البيت الثانى قد نظر صاحبه إلى هذا البيت من شعر المتنبى فى صفة الجياد :

وتنصب للجرس الخفى سوامعا
يخلن مناجاة الضمير تناديا

وهل علم الأستاذان الناقدان أن « الضجة والصياح » يثيران فى نفس السامع صورا مادية مبتذلة من شأنها أن تفسد الصورة الفنية التى تسكون للكشف عن أسرار النفوس ؟ !

وكلمة أخيرة أحب أن أقولها قبل أن أدع القلم ؛ هى أن هذا الكتاب يضم بين دفتيه من الآراء والأفكار والنظريات ما يعد اتجاها جديدا فى النقد الأدبى ، ولذلك أقترح على وزارة المعارف أن تجعله ضمن كتب المطالعة الأدبية المقررة على تلاميذ المدارس الثانوية . وفى يقينى أن هذا الكتاب وحده يعد أجدى على التلاميذ من كل الكتب المفروضة عليهم فى البلاغة وتاريخ الأدب ، هذه الكتب التى تفسد الأذواق ، وتنحرف بالمواهب عن وجهها الصحيح

وأملى أن يستجيب وزير المعارف — وهو الرجل الأديب — لهذا الاقتراح ، وأن يضعه موضع التنفيذ

ابراهيم محمد نجا

« بيام مشرق » لاقبال

نقله الى العربية سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

للاستاذ س. م. ى.

لقد عهد قراء «الرسالة» فى الدكتور عبد الوهاب عزام بك أديباً مطبوعا واثقا من نفسه، صامدا أمام تيارات الغرب، جادا فى تفكيره، صادقا فى تعبيره وأدائه، ومن أهم ما امتاز به هذا الأديب أنه واسع الأفق، اضطلع بالآداب الفارسية الغزلية والأردوية واطلع على الآداب الغربية؛ كما أن صدره انشرح لآمال الشعوب الإسلامية جماء متخطيا فى ذلك القومية الضيقة والوطنية المتطرفة ومع أنه انخرط فى السلك السياسى منذ أعوام إلا أنه لا يدع أعمال منصبه الجديد تصرفه عن نزعته الأدبية كما أنه لا يصعب عليه الجمع بين الدبلوماسية والصدق والإخلاص، ولا غرو فى ذلك فإن الدبلوماسية بين مصر والباكستان لا تتطلب إلا توفر روح الود والصداقة وشىء من الجرأة الأدبية فى مناصرة الحق والعدل من غير مبالاة بمصالح قصيرة الأمد.

ولعل الأوساط العلمية والأدبية قد سمعت عن العمل الأدبى الجليل الذى قام به أخيرا سفير مصر فى الباكستان، أعنى الترجمة العربية لـ « بيام مشرق » تصنيف الفيلسوف وشاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال الذى أراد أن يجعل من تلك المجموعة من الشعر رسالة من الشرق الى الغرب مضاهاة لما فعله الحكيم الشاعر الألمانى « جيته » فى ديوانه

وها أنذا أورد فيما يلى ملخصا لما كتبه الأستاذ برويز صاحب مجلة « طلوع إسلام » وهى من كبريات المجلات العلمية فى الباكستان، بشأن قيمة هذه الترجمة العربية وشخصية المترجم الكبيرة المتواضعة، وأثرهما فى توحيد الأفكار وتوثيق عرى الصداقة بين الأقطار الاسلامية

يقول الأستاذ برويز، وهو من كبار الباحثين عن المعارف القرآنية وفلسفة إقبال، فى عدد يوليو من مجلته «ألح على صديق لى منذ وقت قريب فى زيارة الدكتور عبد الوهاب عزام بك، وقد كنت راغبا عنها لضيق صدرى بمقابلة «الأمراء والكبراء» على وجه العموم، إلا أننى تو ما جلست أمام سعادة الدكتور عزام بك أيقنت بأننى إن لم أقم بتلك الزيارة لكنت قد حرمت نفسى من سعادة أية سعادة، فقد شعرت وأنا فى بهو السفارة المصرية الذى لا يعدمه شىء من أسباب الزينة والزخرفة ومظاهر البذخ والثراء — شعرت هنالك كأننى فى صحبة « درويش » لم يأبه بما يجرى به التقليد من التقديم والتعارف وما إلى ذلك، بل أخذ يحدثنى عن كبار أئمة الأدب

والشعر مسترسلا فى ذلك على سجيته من غير أن يبدو فى حديثه أدنى أثر للصنعة والتكلف، بل كان بالعكس متسما بطابع الصدق وعمق التفكير، وهكذا انتهت المقابلة الأولى كما بدأت بدون أى اهتمام بالتقاليد الرسمية

ثم يتكلم الأستاذ برويز عن قيمة الترجمة العربية لشعر إقبال فيقول: والدكتور عزام بك من المفتونين بشعر إقبال وفلسفته، ومن حسن الحظ حقا أنه مستكمل العدة لترجمة إقبال إلى العربية ترجمة تحافظ على روح الشعر من غير إضرار بالخصائص اللفظية وذلك لعمرى ليس بالأمر الهين. إلا أن الله قد وهب الدكتور عزام ملكة قوية لقول الشعر بحيث أنه يقرض الشعر كما لو كان ينشد شعر غيره على التوالى، وهو يتمتع بقدرة فائقة على اللغة العربية — أعنى العربية الفصحى التى يفهمها ويتذوقها « الأعاجم » — مع تعمقه فى دراسة الفارسية والأردوية، أضف إلى ذلك أنه قد أحاط بجميع نواحى فلسفة إقبال وأدرك كنهها، وأخيرا يمتاز الدكتور عزام بأنه دائم التعطش ويعنى بالاستزادة من كل مصدر أيا كان

وإذن فيعتبر تصدى الدكتور عزام لترجمة شعر إقبال استجابة لدعاء إقبال نفسه لأنه، رحمه الله، كان شديد الرغبة فى إبلاغ رسالته إلى الأمة الاسلامية قاطبة، وقد صرح بأن هذه الرغبة هى التى حدت به إلى قول الشعر بالفارسية بدلا من الأردوية فى كثير من الأوقات، إلا أنه لم يكن فى وسعه — وكم كان يأسف لذلك — أن يتحدث إلى العرب بلغتهم، والآن

وقد وجد إقبال خير مترجم له فى الدكتور عزام بك ، فلنأمل أن يؤدى الاطلاع على أفكار إقبال وفلسفته إلى «وحدة القلب» تلك الوحدة التى هى أسمى وأفضل من « وحدة اللغة » ـ كما يقول إقبال ـ بين الشعوب الاسلامية المختلفة ، ولعل الاطلاع على شعر إقبال أيضا يبرز الحقيقة التى عبر عنها إقبال بقوله : إن « لا إله إلا » لابد وأن يبقى كلمة غريبة مالم يشهد القلب به ، سواء فى ذلك العرب والعجم كلاهما »

وترجمة الدكتور عزام تفيض بإعجابه الشديد باقبال وإيمانه القوى بالمبادىء التى نادى بها شاعر الإسلام ، وإنه لمن المدهش حقا أن يتمكن المترجم لا من نقل الروح والمعنى فحسب ، بل من تتبع الأصل فيما يتعلق بالشكل وديباجة الشعر أيضا ، والترجمة مذيلة بكلمة شعر طويلة للدكتور عزام بك يعرض فيها خلاصة وافية لتعاليم إقبال ، ويبتهل إلى الله أن يكون انتشارها سببا لانقاذ العالم من محنته الحاضرة

ويختتم الأستاذ بروز كلمته باهداء التهانى إلى شعب مصر الذى قام ممثله بإيجاد مثل هذه الحلقة المحكمة للربط بين العالم الاسلامى ، تلك الحلقة التى هى أبعد أثرا من أية عهود ومواثيق سياسية لأنها ترمى قبل كل شىء إلى «وحدة الفكر» ووحدة الفكر هى الأساس المتين « لوحدة العمل » لاغير.

س . م . ى

الاسلام وجها لوجه

للاستاذ محمد خفاجى

الأستاذ « السمان » من خيرة شبابنا الذين يفهمون رسالتهم فى الحياة على وجهها الصحيح ، ويذودون عن حرية الرأى والقلم بكل ما يستطيعون ، ويرون للاصلاح فى مصر والبلاد الاسلامية وجها واسما غير الوجه الذى يسير فيه الآن ببطء وتعثر شديد وهو يقظ بيقظة فكرية شديدة فى رأيه ومعانيه وتعابيره

وقد صاحبته فى كتابه « الاسلام حائر بين أهله » فوجدت ما يعجب كل قارىء من خصائصه الفكرية والأسلوبية

واليوم أقدم للقراء أثره الجديد الثانى وهو « الاسلام وجها لوجه » الذى أفاض فيه فى شرح الاسلام ومبادئه ومناهجه ؛ دينا ودولة ، سيفا ومصحفا ؛ والذى يرسم فيه خطوط الاصلاح وفق نواميس الإسلام الخالدة ، وينقد مظاهر الحياة الاجتماعية الحاضرة على أضوائها ، ويفلسف عقيدة « الاخوان المسلمين » الدينية والاسلامية ، ويتحدث عن آرائه فيه بإيمان قوى

ولاشك أنه جدير بالعناية والاهتمام من كل قارىء وباحث ، لما حواه من جديد الآراء فى الدراسات .

صلوات على الشاطيء

كتاب خصب ، ألفه الاستاذ أحمد الشرباصى الأستاذ بالأزهر الشريف ، ونشر هدية أدبية سنوية لمجلة البعثة الكويتية التى تصدر بمصر . . وقد طبع الكتاب بمطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة عام ١٩٥١ فى نحو ١٢٨ صفحة طبعة أنيقة جميلة

والكتاب مذكرات أدبية روحية ، أملاها المؤلف على شاطىء رأس البر ، وقدمها إلى شاطىء الخليج العربى ، وصدرها باهداء إلى حضرة صاحب السمو الأمير المعظم الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت

وإذا كان أدب الطبيعة فى اللغة العربية قليلا محدودا ، وكان أدب الشواطىء أقل وأندر .. فان هذه الفصول جديدة التصوير للطبيعة ومظاهرها ، وللبحر وأسراره ، وللنفس الإنسانية وأغوارها

ولا شك أنها متعة أدبية روحية عالية ، وأثر طيب من آثار الشرباصى المفعمة بالروحية الصادقة ، والصوفية الطاهرة ، ومختلف المشاعر الحية .

محمد خفاجى

البريد الأدبي

الى السيدة امينة السعيد !

جاء فى باب « اسألونى » فى العدد ١٣٩٩ من مجلة المصور الصادر فى ٣ أغسطس سنة ١٩٥١ استفهام من سائلة عن ختان البنات وكان الجواب « أن عملية الختان ليس لها أصل دينى مطلقا بل هى تقليد توارثه الناس عن الفراعنة ويقول الأطباء إنها مضرة بالفتاة .. وإن معظم الولادات العسرة يعود إليها والسلمات المتمدينات ... إلى آخره

والإجابة على هذه الصورة لا تشفى غليلا وليس لها سند تعتمد عليه ، فقد تواتر تأييد الدين الإسلامى لهذه العملية وأجازها بصورة حكيمة وضحتها الأحاديث النبوية الكريمة

وهذا الموضوع بالذات قد تناولته أقلام الباحثين فى المجلات الطبية والأدبية والإسلامية وقامت مجلة الرسالة الغراء مشكورة بنشر الأبحاث المتعلقة بهذه العملية . وخوف التكرار الذى لا طائل تحته أحيل السيدة الفاضلة على مجلة الرسالة ففيها بحث واف فى العدد ٩٣٧ ومجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة الخامسة ، وتعليقنا فى العدد ٩٣٨ من مجلة الرسالة ، ففيها شفاء وكفاء

وليس من شك فى أن لزاما على الباحث الفطن أن يستقصى وينقب فى الموضوع الذى يتعرض له قلمه ولا يلق الكلام إلقاء وفيه ما فيه من بلبلة الأفكار .. بل قد يتخذه بعض القراء حجة على وهنه وضعفه وفى ذلك ما فيه من نقص فى البحث وقصور فى الاطلاع ، ونعيذ قلم الكاتبة الفاضلة من الدنو من ذلك فى رسالتها السامية ، وفقنا الله جميعا للصواب

شطانوف — محمد منصور خضر

نسبة شعر :

اطلعت مؤخرا على العدد « ٩٤٤ » من الرسالة الأغر فإذا بالأستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصرى يستنكر فى صفحة البريد الأدبى على الأستاذ صاحب كتاب « الشعر العربى فى بلاطات الملوك » نسبة أبيات إلى النابغة الذبيانى وهى :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد طول العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيأ يسره
كم شامت بى إن هلكت وقائل : لله دره

ويقول إن الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى نسبها هو الآخر كذلك إلى النابغة الذبيانى خطأ فى مؤلفه « الشعراء الجاهليون » اعتماداً على بعض كتب الأدب « .. والأصوب نسبتها إلى لبيد ابن ربيعة العامرى حيث نشرها جامع ديوانه مع شعره » .. ! ! ما هذا يا أستاذ عبد القادر ! أليس من المحتمل أن يكون هذا الذى جمع ديوان لبيد وطبعه فى مطابع أوربا قد دس فى تضاعيفه هذه الأبيات دسا دون تحقيق أو تمحيص وأخطأ فى نسبتها إليه ؟ ! وهل يصح عقلا أن نخطئ النصوص والمراجع الأدبية قديمها وحديثها ونضرب بها عرض الحائط لنصدق زعم زاعم من المحدثين مهما كان مركزه الأدبى ومهما كانت درجة ثقافته

إنك لو رجعت إلى الجزء الأول من « الشعر والشعراء » لابن قتيبة مثلا — وهو كما نعلم مرجع من المراجع الأدبية الوثوق بها — لوجدت فيه هذا النص :

« .. قال أبو عبيدة عن الوليد بن روح قال : مكث النابغة زمانا لا يقول الشعر ، فأمر يوما بغسل ثيابه ، وعصب حاجبيه على عينيه ، فلما نظر إلى الناس قال :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئــا بصره

كم شامت بى إن هلـكت وقائل : لله دره

ومنه يتضح لك أن الأبيات الآنفة الذكر من شعر النابغة الذبيانى لا من شعر لبيد بن ربيعة العامرى كما تبادر إلى ذهنك خطأ . . .

بور سعيد

محمد عثمان محمد

تساؤل :

نشرت مجلة الرسالة قصيدة بعنوان « النور الحائر » للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى ولا أدرى مدى التطابق بين العنوان والقصيدة ، ولكن القصيدة جيدة جملتنى أهمهم بها مرات ، وقد لفت نظرى بيت محجوب بالغموض ولا أقول بالخطأ لأن الشاعر قد يؤوله إلى الصواب قال : — وهو يناجى الرب —

يا أيها الأزل المحجوب بالقدم يا أيها الأبد المستور بالعدم

إنى أسأل الشاعر هل يجوز وصف الله بالأزل والأبد بدون نسبة أى « الأزلى » و « الأبدى » وما معنى الأزل المحجوب بالقدم؟ مع أن كلا اللفظين مترادفان؟ ثم ما هو المراد بالأبد المستور بالعدم . أظن البلاء جاء من القافية

عامودة

عفيفى الحسينى

عبرة :

سئل بعض بنى أمية عن سبب زوال ملكهم فقال : شغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهاتنا ، ووثقنا بكفاتنا فآثروا مرافقهم علينا ، وظلم عمالنا رعيتنا ففسدت نياتهم لنا ، وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا ، وبطل عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعداؤنا فأعانوهم علينا ، وقصدنا بغاتنا فعجزنا عن دفعهم لقلة أنصارنا ، وكان أول زوال ملكنا استتار الأخبار عنا فزال ملكنا عنا بنا

حفنى مصطفى العقاصى

تصحيح :

جاء فى كتاب الدكتور أحمد أمين « المهدى والمهدوية » فى الحديث عن مهدى السودان ما يأتى « وقوى هذه العقيدة فى نفس صديقه عبد الله وهو المعروف بالتعايشى الذى أصبح خليفته من بعده وأصله من دنقلة كذلك »

وإذن فقد نسب الدكتور المهدى إلى دنقله وهو صحيح ، أما نسبه للخليفة إلى دنقله فهو خطأ . كنا نود ألا يقع فيه حضرة الباحث الكبير .. والمعروف أن الخليفة من دارفور من قبيلة التعايشة العربية

ابوه محمد حسب الله

الإجهاز لا التجهيز

كتب الأستاذ محمد رجب البيومى فى العدد ٩٤٥ من الرسالة الزهراء عن كتاب الاسلام المفترى عليه لمؤلفه غزالى القرن العشرين فألفيت فى ثنايا حديثـه كلمة أوقفتنى وهى : « التجهيز » فقد جاءت فى صدد قوله عن الشيوعية « والتجهيز عليها بسيف الإسلام » والأصح والإجهاز لأن التجهيز هو التهيؤ والاستعداد فلا تؤدى المعنى الذى يقصده حضرة الكاتب الفاضل دون الإجهـاز . وقد جاء فى مختار الصحاح ما نصه فى مادة « جهز » أجهز على الجريح أسرع قتله وتممه وجهز العروس والجيش تجهيزا ، وجهزه أيضا هيأ جهاز سفره وتجهز لكذا تهيأ له .

العريش - غزة

محمد الدسوقى



باريس : سبتمبر ١٧٩٢

عن البارونة أورزى Paroness Orczy

للأديب محمد البكرى محمد

— ١ —

.. قبل غروب الشمس بفترة وجيزة .. وفى الباب الغربى لباريس .. كانت هناك أصوات صاخبة تصدر من كائنات لا تحمل من الإنسانية غير اسمها !

.. وظلت المقصلة سحابة اليوم ماضية فى عملها المخيف .. تحصد أولئك الذين كانت فرنسا تفخر بهم فى العصور الغابرة : من ذوى الأسماء التليدة ، والدماء النبيلة .. لقد دفعوا الضريبة عندما هبت ثورة الحرية والمساواة !

.. وتوقفت المذبحة عند هذه الساعة المتأخرة من النهار .. لا لشئ سوى أن هنالك مناظر أكثر أهمية .. وأكثر تسلية تشاهدها الجماهير فى الفترة القصيرة قبل أن تغلق أبواب باريس ليلا

. وهكذا اندفع الناس خارج ميدان (لاجريف) وتوجهوا إلى الأبواب المتفرقة كى يتسلوا بالمنظر المثير الذى كان يتكرر كل يوم .. منظر الأرستقراطيين الذين يحتالون — ويحاولون أن يهربوا من فرنسا

.. وكانت هذه الطبقة خائنة فى نظر العامة .. خائنة كلها بلا استثناء. ولقد طالما اضطهد أسلافهم أفراد العامة .. وداسوهم تحت أحذيتهم المترفة . ولكن ها قد أصبح العامة حكام فرنسا .. وداسوا سادتهم الأولين لا تحت أحذيتهم ، فقد كانوا فى الغالب حفاة — ولكن تحت سيف المقصلة !!

— ٢ —

.. كانت المقصلة تدعو إليها ضحاياها .. من رجال بلغوا أرذل العمر .. ونساء فى ميعة الشباب .. وأطفال فى غضاضة الزهر !. حتى جاء يوم لم ترحم مدينها فيه أن تفصل رقبة ملك .. وملكة صغيرة جميلة

.. ولكن هذا ما كان ينبغى !. ألم تصبح فرنسا اليوم فى قبضة الرعاع ؟ كل أرستقراطى خائن .. كما كان أسلافه من قبل ولم يعد لأحفادهم مهرب من انتقام الرعاع إلا أن ينجوا بأبدانهم ويفروا من فرنسا

.. لقد حاولوا أن يستخفوا .. وحاولوا أن يهربوا .. وكانوا فى كل ذلك مبعث تسلية لأفراد العامة ! ففى كل أصيل قبل أن توصد أبواب المدينة .. وقبل أن تخرج منها عربات الأسواق .. كان بعض الأرستقراط يحاولون الإفلات من قبضة (لجنة الأمن العام) متنكرين فى أزياء مختلفة .. يبغون لهم مقرا فى إنجلترا .. أو أى بلد آخر

.. ولكنهم كانوا — غالبا — يقعون فى قبضة الحراس ...

.. وكان (بيبو) يتنوع خاص له حاسة غريبة يشم بها أيا منهم مهما أمعن فى التنكر . وكان ينظر إلى فريسته بالعين التى ينظر بها القط إلى فأر .. يداعبه .. ويتظاهر أنه خدع بمظهره .. وأحيانا يتغافل عنه .. ويدعه يمضى .. ويتيح له أن يحلم بالنجاة ولكن سرعان ما يرسل وراءه اثنين من رجاله يعيدانه خزيان .. ليلاقى حتفه

.. وليس بعجيب أن يتزاحم الناس حول (بيبو) فلقد شهدوا اليوم مائة رأس نبيل تتهاوى تحت المقصلة .. وإنهم ليرجون أن يتاح لهم أن يشهدوا مائة أخرى مع الغد

— ٣ —

كان (بيبو) جالسا على برميل بجوار الباب الموكل بحراسته وتحت إمرته شرذمة قليلة من الجنود المدنيين .. وكان العمل قائما على قدم وساق فى هذه الأيام الأخيرة ، لأن أولئك النبلاء المناكير . قد أفرخ روعهم .. ودفع بهم الفزع إلى محاولة الفرار

من باريس بأى ثمن !. ولكن (بيبو) كان يرصد لهم دائما !. يكشف أمرهم .. ويبعث بهم إلى (تنيفيل) رئيس لجنة الأمن العام .. حيث تنتظرهم النهاية المروعة !..

.. وكانت حماسة (بيبو) واخلاصه وغيرته تبلغ إلى حد إعجابه بنفسه فلقد أرسل خمسين من الأشراف بجهوده إلى ساحة المقصلة ! ...

.. ولكن أوامر خاصة صدرت إلى الحراس اليوم !...

إن عددا غفيرا من الأشراف قد نجح فى الهروب .. وإن شائعات غريبة تلوكها الألسنة عن هذا الهرب . . وإن هذا الأمر قد أصبح شغل الناس . . ومبعث دهشة الجميع ! ... وها هو ذا (جروسبيير) تحت سيف الجلاد . . جزاء ما قصر . . فأتاح لعائلة ارستقراطية أن تفر من الباب الشمالى !..

وأصبح معروفا أن هذا الهريب تنظمه عصابة من الانجليز كانت تفتن فى أداء مهمتها . . وإنقاذ طبقة الأشراف من الإعدام . . وعمت الشائعات وترعرعت .. ولم يعد هناك شك فى وجود هذه العصابة الغامضة . . وأكثر من هذا فقد أصبح من اليقين أنها تحت إدارة رجل ذى مرة وحيلة فوق الوصف !..

.. إن أحدا لم ير هذه العصابة الخفيفة .. وإن أحداً لا يجرؤ أن يذكر رئيسها . . إلا فى رعب .. كأنما يتحدث عن الشيطان !

وكان (تينفيل) تصل إليه رسالة غامضة . . يجدها مرة فى جيب ردائه .. وأخرى تصل إلى يده فى غمرة الزحام . . وفى كل مرة .. كانت تنبىء عن نشاط العصابة وقوتها . . وكانت تحمل فى نهايتها . . ختم العصابة (الزهرة القرمزية) ..ولا تزال الأخبار تصل إلى أعضاء اللجنة ان عددا من الملكيين قد غادروا الشاطئ إلى انجلترا حيث الأمان ! ...

— ٤ —

.. ضوعف عدد الحراس . . وهددوا بالموت ، وانبعثت المكافآت هنا وهناك لمن يرشد عن هذه العصابة الآثمة . . أما رئيسها .. فإن خمسة آلاف فرنك لمن يقبض عليه! .. وقد أحسن (بيبو) أنه سيحظى بهذه المكافأة دون شك . . بل إنه واثق من هذا ! ولذلك لم يك غريبا أن يجمع الناس حوله كل يوم.. ليشهدوا بأنفسهم هذا الحارس الماهر عندما يتصيد ضحاياه . . والتفت (بيبو) إلى مساعده قائلا :—

— « لقد كان (جروسبيير) ابله بلا شك ! ... آه لو كنت مكانه ! . . » ثم بصق على الأرض ليعبر عن اشمئزازه من غباء زميله ... فأسرع مساعده إلى سؤاله : —

— « كيف ؟ ! . ماذا حدث ؟ ! » . وهم (بيبو) بالإجابة فى رزانة مفتعلة .. بينما تزاحمت الجماعة لتنصت — فى شغف — إلى حديثه :

— « فى الوقت الذى كان فيه (جروسبيير) عند بابه . . يلاحظه فى انتباه كانت عربات السوق تمر إلى الخارج . . وكانت إحداها محملة بالبراميل ويقودها رجل عجوز وإلى جواره ولد . . وكان (جروسبيير) ثملا نوعا ما . : ويعتقد فى نفسه المهارة الفائقة . . نظر فى البراميل ـ فى معظمها على الأقل ـ وظن أنها فارغة .. فترك العربة وشأنها ! ولم يمض نصف ساعة حتى أقبل عليه أحد ضباط الحراسة ومعه اثنا عشر جنديا .. وسأله :

— هل مرت عربة من هنا .. يقودها رجل عجوز بجواره ولد ؟

— نعم ! منذ نصف ساعة

عندئذ صاح فيه الضابط :

— وتركتهم يهربون ! ويلك . . إلى المقصلة جزاء مافرطت .. إن هذه العربة كانت تقل (دوق دى شالى) وعائلته ! فانتفض (جروسبيير) من الوجل . ثم أردف الضابط قائلا :

— أجل ! والسائق العجوز لم يكن شخصا غير رئيس العصابة الإنجليزية !

. . وهنا تصايحت الجماعة من الدهشة . وأخذ (بيبو) يضحك كثيرا .. ثم استأنف قائلا :

— ... ثم صاح الضابط فى جنوده الاثنى عشر يهيب بهم أن يدركوا هذه العربة الهاربة .. ويذكرهم بالمكافأة .. واندفع إلى الخارج وتبعه رجاله ...

... وهنا تصايحت الجماعة مرة أخرى ! واستبعدوا أن يلحق الضابط ورجاله بالعربة . . بينما كان (بيبو) يضحك من هذا التصايح حتى بدت نواجذه . . وطفرت الدموع من عينيه . . وسرعان ما قطع دهشة الجميع حين قال :

— إن النبلاء لم يكونوا فى العربة . . ولم يكن السائق العجوز رئيس العصابة بل إن الضابط نفسه هو ذلك الإنجليزى الجرىء .. ورجاله الاثنا عشر كانوا كلهم من الأرستقراطيين . . وقد هربوا ! .

... وفى هذه المرة .. لم تتصايح الجماعة ولم تحر جوابا .. فى الحق إن هذا الإنجليزى الغامض لابد أن يكون الشيطان نفسه !

— ٥ —

... كانت الشمس تدنو إلى الغروب ... فاستعد (بيبو) أن يقفل ... وصاح أن تتقدم العربات الخارجة ... وكان هناك بضع عشرات من العربات المقفلة على استعداد أن تغادر المدينة لتحضر المحاصيل من الريف ، ابتداء السوق فى الصباح ...

... وكانت هـذه العربات معروفة جد المعرفة لدى (بيبو) لأنها تمر من خلال بابه ... مرتين كل يوم ! ولذلك كان يبدو عليه الأسف عند ما أخذ يفتش هذه العربات ... ثم لمح (بيبو) امرأة عجوزا بين سائقى العربات وسائقاتها ... وكان قد رآها فى الصباح قريبا من المقصلة فقال لها :

— هيه ... يا أم ! ماذا أتى بك إلى هنا ؟ !

فأخذت تعبث بسوطها بأصابعها الغليظة المعروقة بينما ضحكت ضحكة خشنة إلى (بيبو) وأشارت إلى مقبض سوطها المحاط بخصل من الشعر مختلفة الألوان ... وقالت له :

— لقد صادقت الجلاد !.. وقد أهدى إلى هذه الخصل من الرءوس التى تتهاوى تحت سيفه ... وقد وعدنى خصلا أخرى غداً .. ولكن لا أدرى . لعلى لا أكون هنا فى الغد !

فأسرع (بيبو) إلى سؤالها عن السبب ، فأشارت بسبابتها إلى داخل العربة وأجابت :

— إن حفيدى مصـــاب بالجدرى ، ويقول البعض إنه الطاعون ! وإذا كان الأمر كذلك ، فسوف لايسمح لى أن أدخل باريس فى الصباح !

ولم تكد العجوز تذكر كلمة « الجدرى » حتى تراجع (بيبو) إلى الوراء ، وعندما ذكرت « الطاعون » تقهقر عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وتحاشت الجماعة كلها هذه العربة وصاح (بيبو) فى العجوز :

— عليك اللعنة

— بل عليكم أنتم ، أيها الجبناء ! أى رجل هذا الذى يرتاع من المرض ؟! وظلت الجماعة واجمة ، خائفة ، يبدو عليها الفزع ، لأن هذا الداء الخبيث «الطاعون» هو الشئ الوحيد الذى يستطيع أن يثير الرعب والضيق فى هذه المخلوقات المتوحشة !؟ وأخيرا صاح (بيبو) فى المرأة مرة أخرى :

— اغربى عنا ... اغربى بطفلك هذا المصاب بالطاعون !

.. وفى ضحكة خشنة ألهبت العجوز ظهر حصانها بالسوط وانسلت خارج باريس ! .

. . وأفسدت هـذه الواقعة أصيـل اليوم .. ولا يزال أفراد الجماعة التى حول (بيبو) ينظر بعضهم إلى بعض فى ريبة وحذر ولا يزالون يتحاشون بعضهم خشية أن يكون «الطاعون» .. قد اندس بينهم من قبل .. ثم أقبل فجأة ضابط من الحرس . . وكان حقيقة هذه المرة . . لأنه معروف شخصيا (لبيبو) ... ولا خوف أن يتكشف عن ذلك الإنجليزى المخادع المتنكر ... وقبل أن يصل الضابط إلى الباب كان يصيح : —

— عربة ... العربة ! ...

فسأله (بيبو) فى لهفة : —

— أية عربة ؟ ! ...

— تقودها امرأة عجوز ... عربة مغطاة !...

— إن من نوعها الكثير !...

— امرأة عجوز تزعم أن حفيدها مصاب بالطاعون ! ...

— أوه ! ... نعم ! ...

— بالطبع ... أنت لم تتركها تذهب ! ! ...

فأجاب (بيبو) وقد اسـتحالت حمرة خده إلى شحوب الموت : —

— كلا ! ...

— إن هذه العربة تحمل (الكونتس دى تورنيه) وطفليها .: وهم من الخونة .. الذين ننتظرهم المقصلة !...

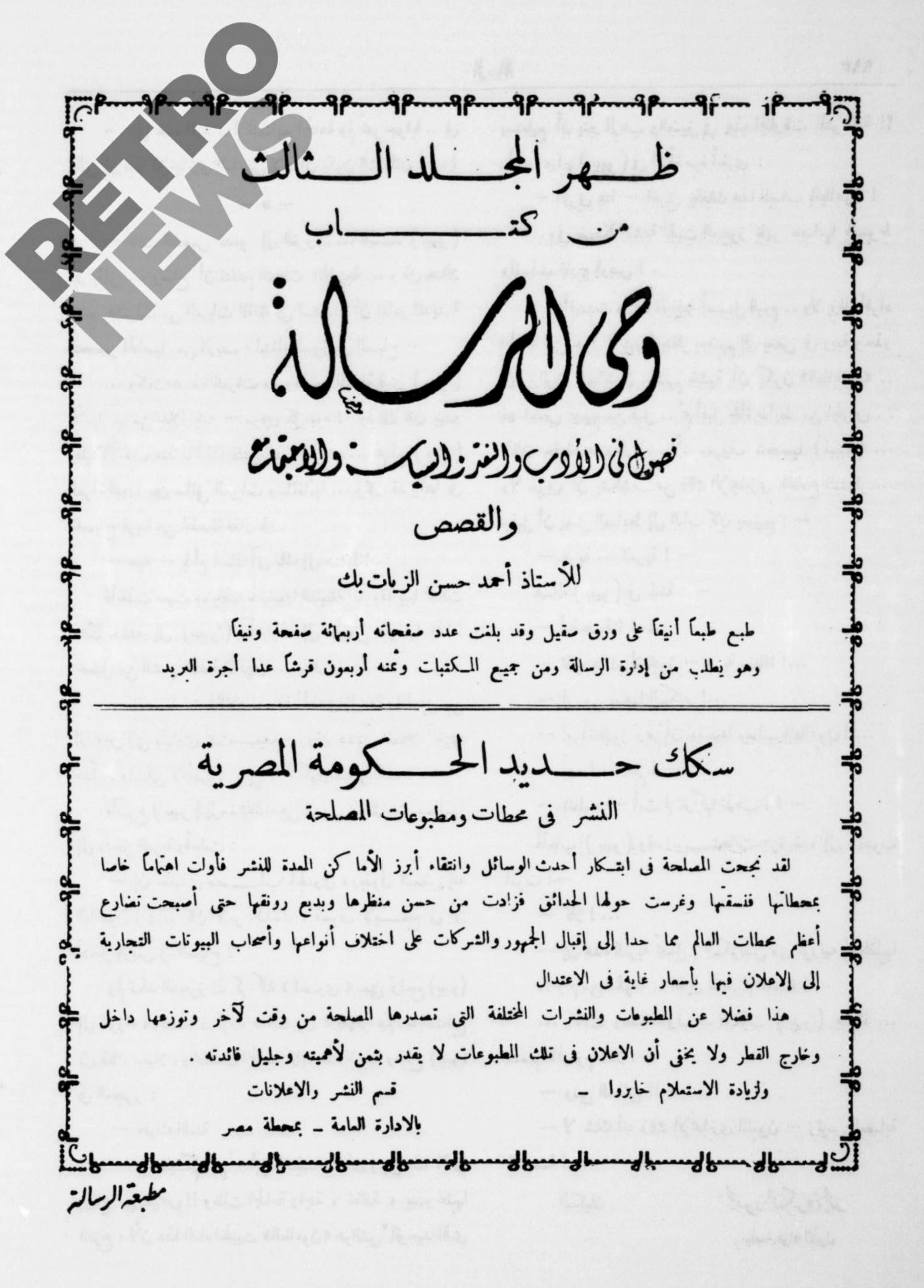
... وكانت رعدة الخوف قد تملكت (بيبو) عندئذ ... فتمتم كالمحموم قائلا : —

— ومن السائق ؟! ...

— لا شك أنه ذلك الإنجليزى الملعون ... رئيس العصابة الغامضة !...

الكيان

محمود البكرى محمد
جامعة فؤاد الأول



مطبعة الرسالة


RETRO
NEWS



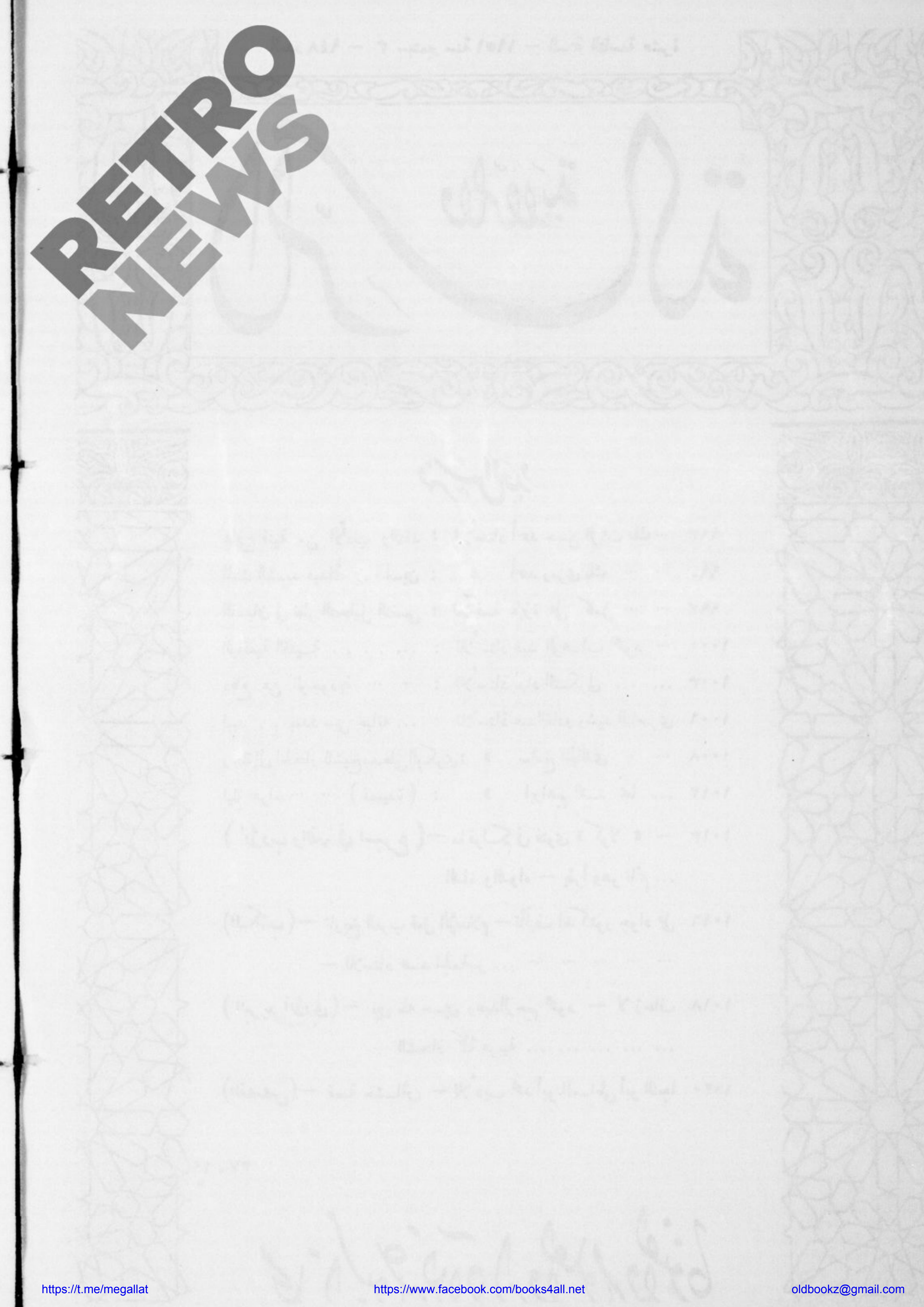
العدد ٩٤٨ — ٣ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

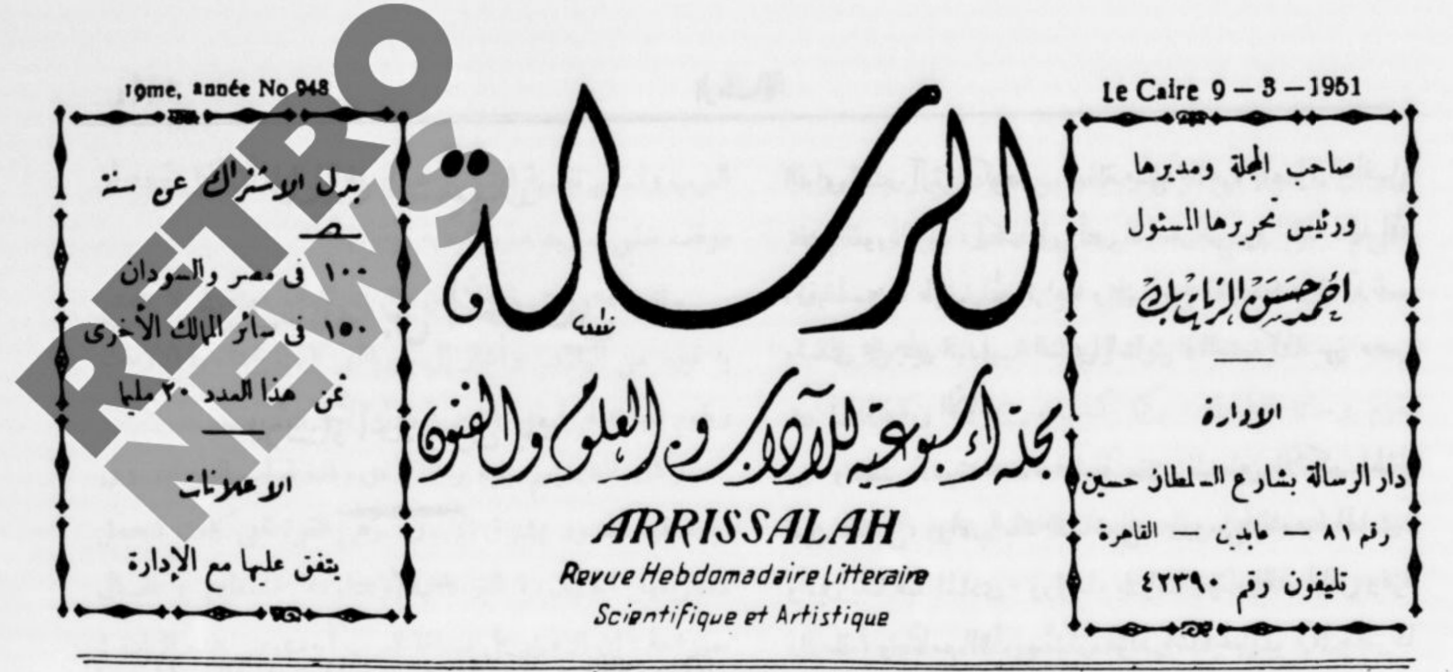


فهرس العدد

١٩٥٠٣٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS


19me, année No 948

Le Caire 9 — 3 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ — ٣ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

نماذج فنية من الأدب والنقد

قليلا ما أكتب عما يصدر من كتب الأدب ؛ لأن كثيرا من هذه الكتب لا يرضينى . وليس ما يرضينى من الكتاب الأدبى شيئا وراء الإمكان أو فوق الطاقة ؛ إنما هو الفن ولا شئ غير الفن . والفن الكتابى على ما أرى أسلوب من الجمال المصنوع المطبوع ، عنصره الأول فكرة قوية أصيلة ، وعنصره الآخر صورة صادقة جميلة . فإذا فقد أحد هذين العنصرين أو فسد أوشاه كان الأسلوب أسلوب عالم تجد فيه الروح ولا تجد الصورة ، أو أسلوب مثال تجد فيه الصورة ولا تجد الروح . والعالم أو المثال رجل آخر غير الكاتب أو الشاعر : العالم همه توضيح الغامض فى الوضوع ، والمثال همه تحقيق الشبه فى الشكل . أما الكاتب أو الشاعر فهو خالق مصور : يبدع الجسم على أجمل هيئة ، ويبث فيه الروح على أكمل حالة . ثم يهب لمخلوقه خصائص الحى فينمو ويتحرك ويعمل ؛ ولكن نموه يكون فى خيالك ، وحركته تكون فى نفسك ، وعمله يكون فى ذهنك ، فيفيد ويقنع بأثر العقل فى المعنى ؛ ويعجب ويمتع بأثر الذوق فى اللفظ

ذلك جوهر ما يرضينى من العمل الأدبى فى أى موضوع أنشأه صاحبه . وهذا الجوهر هو ما أتفقده الحين بعد الحين فى نتاج العصر فأجده زائفا فى أكثره صحيحا فى أقله . وهذا الأقل إنما أجده فيما ينتج الخواص من شيوخ الأدب الذاهبين !

أما الشباب والأسفاه فإنهم ينتجون الأندر من هذا الأقل . والذين ينتجونه منهم نفر ميزهم الاستعداد وعصمهم الاجتهاد فشاخوا فى الأدب على طراءة السن وضآلة الناتج . وإن من أعيان هذا النفر صديقنا الأستاذ أنور المداوى ، وكتابه الذى عنونت باسمه هذه الكلمة ينطق عليه بالحق ، وينهض إلى بالدليل

تخرج الأستاذ المداوى فى كلية الآداب من جامعة فؤاد فكان شذوذا من القاعدة التى تزعم أن التضلع من علوم اللغة ، والتبسط فى فنون الأدب ، وقف على خريجى الأزهر ودار العلوم . ولعل هذا الشذوذ نفسه هو القاعدة السليمة التى تقول إن الكتابة ملكة يؤتيها الله من اصطفى من عباده فى أى سن ومن أى جنس وفى أى معهد

أسلوب المداوى كما تراه فى كتابه من الأساليب التى جاء فيها التأليف بين المعنى واللفظ جاريا على سَنن الفن الصحيح . فالتفكير قوى عصبى حار ، والتعبير دقيق أنيق مهذب . وليس مافى أسلوب المداوى من العصبية والنارية آتيا من شبابه ؛ فإن الشباب المتقد يخبو ، والحس النير يظلم ، إذا لم يكن من ورائهما نار الطموح ونور النبوغ . إنما هى شعلة الفن فى روح الفنان ، تضئ وتدفئ ، وتصهر وتطهر . وقد تلذع وتحرق أحيانا فى نفس أنور ؛ ولكن الزمن وحده كفيل بتهدئة الثائر وتفتير الحار ، فيذهب الاحراق ويبقى الاشراق ، وينجاب الدخان ويخلص الضوء !

المنصورة　　　　احمد حسن الزيات

الملك الشهيد

عبد الله بن الحسين

للأستاذ أحمد رمزى بك

— ٢ —

ابزد بنو الحسن الشراف تواضعا ... هيهات تكتم فى الظلام مشاعل

فلقد علوت فما تبالى ، بعدما ... عرفوا ، أيحمد أم يذم القائل

(المتنبى)

* * *

كان الجو السياسى قاتما ، يشبه الجو الذى يمر بنا الآن ، وكانت إيطاليا تستعد لغزو الحبشة ، ولا هم لساسة الغرب سوى حصر النزاع فى دائرة ضيقة ، كما يفعلون الآن فى كوريا ، وأخذت بريطانيا الأهبة لنفسها حتى لا تفاجأ ، فبعثت برجالها يجوبون الشرق الأوسط والبلاد العربية ، فكان اللورد جورج لويد المندوب السامى السابق بمصر فى طليعتهم ، إذ جاء إلى فلسطين ونزل ضيفا على المندوب السامى لفلسطين ، فى ذلك القصر الذى شيد على طراز صليبى ، والذى كان يذكرنى دائما بأننى داخل حصن يسكنه عميد الأسبتار أو قائد الداوية ، وهما منظمتان للفرسان الصليبيين التقينا (١) بأفرادهما فى كثير من المعارك التاريخية ، وعرفت سيوف السلف كيف تلين قناتهم ، وترسل الأسرى من أبطالهم هدايا إلى ملوك الهند وبقية آسيا . ما دخلت هذ القصر حتى غمرتنى الذكريات وشعرت بشئ من العطف على اليهود ، فقلت إن هذا البناء يدعونى أن أقول لهؤلاء الخصوم يوما « لقد جمع الشقاء بيننا » .. ولكن الأيام لم تسمح لى أن أنطق بذلك ؛ لقد خلع هؤلاء الظلم والشقاء ، وبقينا نحن نجر ثياب الخزى والشقاء

وفى مساء يوم السبت ١١ يناير سنة ١٩٣٦ ، أقام المندوب السامى السير آرثر وكوهوب حفلة عشاء ساهرة بقصره احتفاء بمقدم اللورد لويد ، وكان على رأس المائدة المرحوم الملك عبد الله ابن الحسين ، طيب الله ثراه ، وعلى يمينه اللورد ، وجاء ترتيب مقعدى على يمين المندوب السامى السابق ، الذى كان يهز مصر هزا فى يوم من الأيام

وحضر دعوة العشاء سماحة مفتى فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسينى ، وراغب بك النشاشيبى ، وروحى بك عبد الهادى ، وأمين بك عبد الهادى ، ورؤساء بلديات حيفا ويافا ونابلس وغزة والرملة ، وجاء مع الملك مستشاره فؤاد باشا الخطيب ، كما حضرها شكرى بك التاجى ويعقوب افندى فراج وإحسان هاشم ، أما الجانب البريطانى فمثله الأميرالاى جارفس حاكم سيناء ، وجلوب باشا ، والمندوب السامى فى عمان كيرك برايد وعقيلته ، والمستر ريتشمورد والمستر فيرنس مدير المطبوعات ثم المستر مورى من كبار موظفى حكومة فلسطين وعقيلته

وكنت قد طفت أنحاء الدار برفقة المستر فيرنس ، أحادثه عن عوائد الأسكوتلنديين وطرائفهم وألوان القبائل ، وشعار البطون والأقسام ، لأنى رأيت المندوب السامى حريصا على إظهار قوميته بشكل واضح ، ولا أخفى أننى أعجب بصراحة القوم واندفاعهم السريع نحو الغضب ونحو الرضا

ولما دخلنا حجرة الطعام وعرفت مجلسى مع اللورد ، لم أكن مرتاحا لتلك الجيرة ، فقد كنت أعرف كيف كان اللورد يتعالى على المصريين ، فما هو موقفه مع ممثل مصر ، والكل يعرف ما نحن فيه ؟ فلم أشأ أن أبدأ حديثا معه ، وإنما جعلت كلامى مع جارى الأيمن المستر ريتشموند مدير الآثار ، واستعنت ببعض معلوماتى الأولية فى التاريخ لكى أجعل الحديث متواصلا وبلا انقطاع . وبعد دقائق تحرك اللورد المعظم فوجه إلى بعض الأسئلة: أين تعلمت الإنجليزية ؟ وهل أقمت بإنجلترة ؟ كم مدة لك بالقدس ؟ ولما علم أننى كنت قبل مجيئى إلى فلسطين بمفوضية مصر بأنقرة أخذ يسأل عن رجالها واحدا واحدا ، وعن نهضتها وسياستها الخارجية وعلاقاتها بالسوفييت وإيطاليا وفرنسا ، وعن جيشها واستعدادها وما تنوى عمله إذا ما هوجمت من قبل موسولينى . ولما كنت أجيب على أسئلته بطريقة منطقية وصريحة كما أعلمته من

(١) أى نحن أهل مصر

المبدأ أن ما أعرفه من الإنجليزية هو من صناعة مدارسنا المصرية وأنني لم أكن خريج أي معهد بريطاني، اعتدل كثيراً في مناقشته وبدأ يرحب بالإجابة على أسئلتي التي وجهتها إليه عن حقيقة مهمته في الشرق ولماذا يترك واجباته السياسية وأعماله المالية ليقوم برحلته الطويلة: وكما كنت صريحاً معه، كان هو من جانبه صريحاً معي.. ونعلم جميعاً ما تمخضت عنه رحلة اللورد من إنشاء المعاهد والمجالس البريطانية، لزيادة الروابط الثقافية بين بلاده وبقية بلدان الشرق

لم يكن يدور بخلدي ساعتئذ أنني أستعد لأداء امتحان للترجمة بين الملك عبد الله بن الحسين واللورد لويد، إذ بعد دقائق دار حديث سياسي بين الرجلين العظيمين عن شؤون الشرق والبلاد العربية، وكان الملك يتتبع بنظراته كل كلمة أنطق بها وكان اللورد بما يعرفه من العربية يتتبع كل تعريب ونقل لآرائه

ولا أخفي على القارئ أنني خرجت من الحديث وأنا أؤمن بوطنية الملك عبد الله بن الحسين، وعبقريته السياسية ووسائله في إقناع محدثه واجتذابه لصفه لقد وفق الملك الراحل بكلماته من أن يحمل اللورد الإنجليزي يعطف على قضية شرق الأردن، ويثق في مقدرة الملك العربي ولباقته وإخلاصه لمبادئه

ولقد كان عبد الله بن الحسين مدافعاً عن حق العرب في فلسطين وشرق الأردن وفي سوريا ولبنان وفي العراق: كان يقول بأن الأمم العربية لها مطالب يجب على بريطانيا أن تجيبهم إليها إذ لهم حقوق ومواثيق ووعود... وأنه يجب أن تضع بريطانيا قبل أن تستعد للحرب عسكريا، إجابة هذه المطالب في المقدمة، وأن صداقة العرب في أي نزاع أثمن لها من صداقة الغير، وأفيد لها عند الجد من تعبئة الجنود وزيادة القوة العسكرية في بلادهم

قال إن العرب بطبعهم لا يميلون لإيطاليا بعد الدور الذي لعبته في طرابلس، وبعد أن نكلت جيوشها بالمجاهدين وبعمر المختار، وأنهم يطمئنون إلى صداقة بريطانيا إذا أوفت بعهودها ومكنتهم من وحدتهم وحريتهم واستقلالهم

وكانت بريطانيا تخشى دعاية الطليان وآثارها، فقال إن أخطاء بريطانيا هي التي ستمكن لهذه الدعاية أن تتغلغل في أفكار العرب وتسمم نفسية الشباب نحو بريطانيا، وأن كل تردد أو موقف سلبي سيزيد هذه الدعاية ويقويها

ولما سألته عن شرق الأردن قال إنه يتمتع باستقرار لا يتمتع به غيره من البلاد.. وأشار إلى سوريا التي كانت تجتاحها الأزمات ويقوم فيها ممثلو فرنسا بالتجربة وراء الأخرى

وكان الملك يعلم بنية بريطانيا في زيادة قوات الطيران وفي زيادة قوة الحدود بشرق الأردن..وهي القوة التي كانت تتحمل مصاريفها الحكومة البريطانية وحكومة فلسطين، فقال بصراحة: إن الاعتماد على صداقة العرب أجدى من هذه الزيادة؛ ولكن الحصول على ثقة العرب يتطلب في المقام الأول منح العدالة لهم في فلسطين وصد تيار الهجرة وإقناع سكان فلسطين بأن الانتداب ليس معناه خدمة الصهيونية فحسب، بل الدفاع عن كيان العرب والمحافظة على حقوقهم وتأمين مستقبلهم ...

لقد دهشت من منطق عبد الله بن الحسين، إذ ما كنت أتصور فيه تلك الجرأة في التعبير عن آرائه، أما اللورد الذي كانت إرادته هي كل شيء في مصر، وكانت عباراته قوية لدرجة أن وافقه اللورد عليها بل وأظهر عطفه على مطالب العرب وقال إن بلاده لم تسلم لفرنسا إلا باحتلال الساحل، إن سوريا كان مفهوما ومتفقا عليه أن تكون مستقلة لا ولاية ولا مستعمرة تحتلها فرنسا وتفعل بها ما تشاء. وقال إن الانتداب يجب أن يتجه لحماية العرب من توغل اليهود في فلسطين. وكان اللورد بادي الانفعال لا يقدر على إخفاء مشاعره نحو العرب مندفعا مع الملك في حديثه حينما وجد على المائدة طبقا من الزنجبيل المسكر فأخذ يقدم ما فيه للملك ولي ويتناول منه قطعة وراء قطعة حتى اكتشف في النهاية سؤالا نقلنا من كل هذا .. إذ قال ما رأى الأمير في الملك عبد العزيز بن السعود؟ فالتفت إلى الملك وقال أسأله ما رأيه هو فيه؟ أريد أن أسمع حكمه أولا. فتردد اللورد قليلا ثم قال إنني أعرف الحجاز عاما وأعرف قبائله ورجال البادية في ربوعه إذ عشت هناك طول مدة الحرب الماضية؛ وقد قرأت كثيرا عن الملك عبد العزيز بن السعود وقدرت مواهبه ولكن الصورة التي انطبعت في مخيلتي عن جلالته، زالت حينما لقيته لأول مرة في الطائف وكان ذلك في سنة ١٩٢٥ ؛

كنت أنتظر من رجل البادية الذى أسس ملكه بسيفه ، واستنقذ الرياض وجمع حوله الإخوان وربط بين أجزاء الجزيرة فكون منها وحدة فى القرن العشرين ، رجلا آخر . وامل رؤيتى له فى وقت كان يستمد فيه ويستجم بعد طول الجهاد والكفاح ، أظهرته لى على غير حقيقته

ولعلنا نحن معاشر الإنجليز نخطئ فى الحكم لأول وهلة، فنحن نراه رجلا للبادية لا يستوعب ضرورات المدنية الحديثة وينفر من كل جديد ، ولا نشك فى أن فتح الحجاز كان عبئا عليه، وإن هذه البلاد الفقيرة ستتحمل زيادة على فقرها استغلال السعوديين لمرافقها

وكان الملك لبقا فى إجابته إذ قال إنه متفق تماما على رأى اللورد فى أن أهل الحجاز ما انفكوا يشكون فى الإدارة السعودية وأنهم يأتون إلى عمان وينقلون أخبار الفاقة السائدة هناك

وقال اللورد: إن الذى يهمنا هو استتباب الأمن والنظام وإيجاد حكومات تشعر بأهمية ذلك.. وما دامت الحدود محفوظة ولا تقوم ثورات فى شمال الحجاز. وقد صفيت مشكلة الجوف نهائيا فلا أعتقد بوجود خطر فى هذه الناحية.. كما أن الحرب إذا قامت فى أى وقت فى أوروبا أو أفريقيا فأغلب الظن أن هذه الجزيرة العربية سوف لا تتأثر بقيام نزاع مسلح بين زعماء العرب

كانت حوادث الاعتداء على حدود الأردن الصحراوية لا تزال ماثلة، وكذلك حركة ابن رفادة فى شمال الحجاز؛ وما دار بين ابن السعود وفيصل الدويش ، ولكن أنظار اللورد كانت تحوم حول العراق وما قد تحدث فيه من الحوادث بعد وفاة فيصل الأول وتحت قيادة غازى الأول، وكانت عيناه تتجهان يمينا وشمالا حينما ذكر العلاقة بين الملك عبد العزيز وقبائل الدولة فى الشام

كل هذا لم يثن الملك عبدالله بن الحسين عن أن يذكر الحجاز، وأن الهاشميين أبناؤه وسدنته وأنه الأرض المقدسة التى يتجه لها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها : وأن توليه عرش الأردن لا يمنعه من تتبع أخبار الحجاز وآماله ومستقبله ، لأن لديه بشرق الأردن عددا من الحجازيين قد لجأوا إليه فهم يذكرونه عند كل لقاء بأن عليه أن يعمل شيئا لهم ، واختتم كلامه بأنه لا يقدر أن يرد واحدا منهم لو جاء إليه ، وأنه ليسعد أن يعطى كل ما يملك لهم وأن يقتسموا ملبسه وما كله معه

كان كلامه مؤثرا فى تلك اللحظة وكنت أجد متعة فى نقله والتعبير عن آرائه .. لقد خرج عبدالله بن الحسين عن الملك والإمارة وأصبح إنسانا يتحدث بعاطفته وقلبه وشعوره ، ولم يقف عند هذا الحد إلا بعد أن قام المندوب وشرب نخب ملك الإنجليز ، والأمير الأردنى واللورد بكوبة ماء احتراما للحاضرين ، ودخل أفراد من فرقة القرب بكامل ملابسهم الحمراء يحيون الحاضرين بعزف بعض القطوعات الاسكتلندية : وانصرفنا جميعا إلى الردهة الكبرى ... حيث يسودها ذلك الجو الصليبى الذى يشعرنى بأنى وسط غمرات الحروب الصليبية وجنود الأفرنج وأعلامهم ورنوكهم وأسلحتهم

أحمد رمزى

النسيان فى نظر التحليل النفسى

للآنسة فائزة على كامل

— ٢ —

وقفنا مع فرويد فى المقال السابق على تفسير جديد للنسيان بناء على دراسته لبعض الأفعال التى تحدث فى حياتنا اليومية كنسيان اسم شخص أو موضع شئ ... الخ، وسنعرض هذه المرة لعملية النسيان فى المجال المرضى . فهنا نجد أن فرويد قد نسب إلى هذه العملية أهمية بالغة إذ تبين أنها العلة لبعض الأمراض النفسية كالهستيريا . فما الذى أدى به إلى هذه النتيجة ؟

فيما قبل « فرويد » كانت توجد بديهية طبية هى « فكر تفكيرا تشريحيا » فكانت فكرة المرض مرتبطة بفكرة الإصابة . فمعنى أن نفكر تشريحيا هو أن ننظر إلى الإنسان من ناحية بناء جسمه ونتناسى الناحية الوظيفية للأعضاء . فنعتقد بوجود « أشياء » لا « أفعال » . ولكن اتضحت مضار الأخذ بهذا الرأى إذ كان له أسوأ النتائج من الناحية العلاجية إذ ساد الإيمان بأن ما هدم أو فقد فلا أمل فى برئه . فكان الأطباء يقفون مكتوفى الأيدى أمام مرض « الأفازيا » Aphasia (أى اختلال الوظائف اللغوية) بناء على ذلك الأساس

ثم عدل عن هذه البديهية وأخذ ببديهية أخرى هى « فكر تفكيرا فسيولوجيا » أى يجب أن نراعى الأفعال فلا نهمل ما تقوم به الأعضاء من وظائف . ولكن جاء فرويد وأظهر أن التفكير الفسيولوجى لا يكفى أيضا ؛ ويجب أن نفكر تفكيرا سيكلوجيا، ففى كثير من الحالات التى ترددت عليه وجد أن العلة مشكلة سيكلوجية . هذا بالإضافة إلى أبحاث « بروير Breur » التى ساعدته إلى حد كبير على الوصول إلى ما وصل إليه خاصا بالهستيريا

فقد حدث أن جاءت « لبروير » فيما بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ فتاة تدعى « Anna O. » تعانى حالة هستيرية . كانت فى العشرين من عمرها ، على جانب من الذكاء ، طيبة القلب ، تبالغ فى مرحها وتفرط فى حزنها . كانت تعيش فى عالم من أحلام اليقظة إذ لم تشأ الظروف أن تجعلها تقع فى شراك إحدى تجارب حب الشباب . وكانت أعراضها الهستيرية تنحصر فى شلل وتشنج الذراع الأيمن بصفة خاصة . وبعد أربعة شهور من ظهور هذه الأعراض توفى والدها فأصابها « التجوال النوعى Somnabutim » عقب ذلك

عد « بروير » فترة حضانة المرض من بداية مرض والدها إذ كانت متعلقة به تعلقا شديدا وعضى كل وقتها فى القيام بتمريضه . فبعد وفاته ازدادت حالتها سوءا فاشتدت هلوساتها التى كانت تدور حول الأفاعى ووصلت إلى حد مرعب شنيع . وصارت تراودها فكرة الانتحار من حين لآخر وتصيبها غيبوبات فى ميعاد واحد تقريبا من كل يوم . كذلك فقدت معرفتها للغتها الأصلية وهى الألمانية ، وأصبحت لا تستطيع إلا تكلم اللغة الإنجليزية وأخيرا تكلمت الفرنسية والإيطالية

ابتدأ « برور » فى تطبيق طريقته العلاجية مع هذه الفتاة فلاحظ أنها تعود إلى حالتها الذهنية العادية عندما يساعدها أثناء التنويم المغناطيسى على تذكر الوقف والأشياء المرتبطة به مع إفساح المجال للانفعالات التى قد يثيرها هذا التذكر . فهذا التنظيف الروحى أدى إلى اختفاء كثير من الأعراض . وكانت هى نفسها تسمى هذه الطريقة « chimney sweeping » أو « talking cure » وقد كان ذلك تشجيعا « لبروير » على الاستمرار إذ كانت تصرح له المريضة بأن يدعها تتحدث لأنها تجد فى ذلك شفاء

ومن حديثها استطاع « برور » الوصول إلى كيفية تكون المرض الخاص بشلل ذراعها . ففى ذات ليلة كانت المريضة تجلس إلى جوار سرير والدها المريض واضعة ذراعها اليمنى على ظهر الكرسى . وفى حلم يقظة رأت أفعى سوداء تخرج من الحائط وتسعى للدغ والدها وهنا حاولت أن تبعدها ولكنها لم تستطع. إذ شعرت بشلل فى ذراعها الأيمن الذى كان « منملا » بحكم وضعه . وفى هذه اللحظة حاولت أن تصلى ولكنها وجدت أنها لا تعرف شيئا من الألمانية ولم تجد فى ذهنها إلا دعاء بالإنجليزية فرددته

وحدث أثناء العلاج أن ظهر عرض جديد . فكانت المريضة تأخذ كوب الماء فى يدها ولكن ما كاد يلمس شفتيها حتى تدفعه

بعيدا كما لو كانت تعانى مرض الهيدروفوبيا (hybrophopia أى الخوف المرضى من الماء) فكانت لا تستطيع الشرب على الرغم من شدة الحر فى تلك الأيام؛ وكانت تلجأ إلى أكل الفوا كهمثل البطيخ لتخفف من شدة عطشها . استمر الحال كذلك لمدة ستة أسابيع وفى ذات يوم تحدثت أثناء نومها المغناطيسى عن مربيتها الإنجليزية التى كانت تكرهها.. ثم ذكرت حادثة مؤداها أن هذه المربية سمحت لكلب ذات مرة أن يشرب من كوب كانت تشرب منه المريضة فتضايقت أشد المضايقة ولكنها اضطرت إلى قمع اشمئزازها تأدبا . بعد أن سردت هذه الواقعة وعبرت تعبيرا قويا عما سبب غضبها وأثار اشمئزازها طلبت كوبا من الماء وشربته ، وأفاقت من غيبوبة التنويم المغناطيسى و كوب الماء على شفتيها . ومنذ هذه الجلسة زال خوفها من الماء ، وبالمثل اختفت كل أعراضها الهستيرية والقليل الذى بقى كان عضوى المنشأ

انتهى « بروير » من هذه الحالة إلى نتيجتين : الأولى ؛ وهى خاصة بالناحية العلية ، ومجملها أن بعض الأعراض المرضية سببها ذكريات لا يستطيع الشخص استحضارها إراديا.. أى أنها تقوم على ذكريات لا شعورية . الثانيـة ؛ وتتعلق بالطريقة العلاجية ، وهى تبين أن مجرد استكمال الذكرى المؤلمة المنسية فى الشعور مع التصريف الانفعالى يؤديان إلى الشفاء . وقد قام التحليل النفسى كله على هاتين النتيجتين اللتين توصل إليهما « بروير » إذ اتخذ منهما « فرويد » بداية لأبحاثه فى « العصاب العظيم » وهو الهستيريا . ففى عام ١٨٩٥ ظهر كتاب لهما هما الاثنان بعنوان « دراسات فى الهستيريا »

فى هذا الكتاب أتى « فرويد » بآراء جديدة على جانب شديد من العمق فأظهر أن الهستيريا مرض نفسى يمتاز بضيق فى ميدان الشعور . وكان « جانيه » يرجع ذلك الضيق إلى أسباب عضوية.. أما « فرويد » فإن كان لم يستبعد تلك الأسباب كلية إلا أنه أعلن أنها لا تعد تعليلا كافيا . ففى نظر « فرويد » أن فشل بعض التصورات فى شق طريقها إلى الشعور إنما يرجع إلى استبعادها نتيجة لانعكاس دفاعى ، فهذه التصورات محملة بشحنة مؤلمة لتعارضها مع الميول الرئيسية الموجودة فى الشعور .ولذلك فإنها تكبت ومن ثم فالهستيريا تقوم على الكبت وهذه أول إضافة أضافها فرويد إلى آراء « بابنسكى » [1] و « جانيه »

لقد اتفق « فرويد » مع « جانيه » على أن علة الاضطراب الهستيرى هى التأثير اللاشعورى، ولكن فيما عدا ذلك فإنه يوجد تباين شديد بين آرائهما . فبالنسبة لجانيه يمكن أن يشبه النشاط النفسى بقاطرة إذا توقفت فذلك يرجع إما إلى كسر أو التواء فى بعض أجزائها . وهذا يمثل التوتر . وإما إلى حاجة القاطرة إلى ماء أو فحم ، وهذا يمثل الاضطرابات الديناميكية النفسية أو العصبية التى يمكن إصلاحها . أما فرويد فينظر إلى الأمر نظرة أخرى..فهو يمثل النشاط النفسى بقاطرتين إذا سارتا فى اتجاهين متقابلين فى طريق واحد فإنهما سيتصادمان ولن يستطيعا التقدم، وهذا يمثل نوعاً جديداً من الاضطراب لم يقل به أحد قبل « فرويد » وهو الكف inhibition فهذ الاضطراب، لا يرجع إلى التوتر ولا إلى نقص عصبى أو نفسى وإنما يرجع إلى اضطرابات ديناميكية متقابلة . فآراء فرويد مركزة حول فكرة إيجابية هى الصراع coflict بينما آراء « جانيه » تدور حول فكرة سالبة هى النقص DeficiencY

وثمت فكرة أخرى فسرها « فرويد » وهى الأعراض الجسمية الهستيرية كانحباس الصوت aphonia أو الرجفة أو الشلل . وقد أطلق عليها اسم « الهستيريا التحويلية » conversion hysteria فهذه ليست إلا الطاقة المؤثرة المكبوتة المتجمعة فى اللاشعور . ولكن كيف يمكن لهذه الطاقة أن تتحول إلى أعراض جسمية ؟ يجيب « فرويد » بأن العرض الهستيرى مثله كمثل الحلم . فهو يدل على رغبة مكبوتة يجب ألا تظل كذلك لأنها مادامت هى مدفونة فى اللاشعور فإنها لن

(١) عندما ذاعت آراء « فرويد » فى فرنسا اعترض عليها بعض الأطباء الكلينيكيين وقالوا إنها ليست إلا آراء « بابنسكى Bapiniski » وكان طبيب أمراض عصبية . وملخص آرائه « أن الهستيريا حالة مرضية تمتاز باضطرابات يمكن استحداثها لدى بعض الأشخاص بواسطة الايحاء ويمكن إزالتها بتأثير الاقناع (ضد الايحاء) » ، وفرق بينها وبين توهم المرض بأنها تتضمن أشياء لا شعورية . ولكن « بابنسكى » لم يكن يحفل كثيرا بعلم النفس فلم يتعمق أكثر من ذلك ولم يشرح عملية الكبت وماتقوم به من دور رئيسى فى عصاب الهستيريا كما فعل « فرويد »

تكف عن التعبير عن نفسها بواسطة أعراض شديدة الاختلاف إنه لا يكفي استبعاد الأعراض لأن مثل ذلك كمثل من يقطع الأعشاب السطحية ويبقى على الجذور . فالمصابون بالأعراض الهستيرية لم ينهوا بعد من الموقف المؤلم أو الصدمة التي لحقت بهم ، إنهم يظلون متعلقين بالموقف الماضي ويصبحون غرباء عن الحاضر والمستقبل . ثم يختفي ذلك الموقف في طيات النسيان ويصبح لاشعوريا ويحل محله الأعراض الهستيرية التي ما هي إلا الصراع في صور ، مختلفة . ولا يحدث ذلك من صدمة واحدة وإنما بعد معاناة عدة صدمات . وهو يعني بالصدمة tsauma (٢) كل ما يجلب استثارة في الحياة النفسية تبلغ حدا من العنف بحيث يصبح قمعها أو التسامي بها أمرا مستحيلا بواسطة الطرق العادية . فتلك هي العلة الحقيقية لنشوء المتاعب الهستيرية

وقد أشار « فرويد » إلى نقطة هامة وهي أن كل عرض هستيري يكشف بوجه عام عن مجموعة من التأثيرات حدثت في حياة المريض فيما مضى ويؤكد أنه نسيها تماما . وقد ترجع هذه التأثيرات إلى السنين الأولى من الحياة . . ولذلك فإن « فرويد » ينظر إلى حياة الفرد كتيار متصل تترابط فيه الميول والرغبات . وهو يعتقد أن خلق الشخص يتكون قبل نهاية الخمس سنوات الأولى من العمر ، ونحن إذا أنكرنا ذلك فإنما نعلن جهلنا بالعمليات العقلية لمرحلة الطفولة ومالها من تأثير لاشعوري . كذلك قد يرجع ذلك الإنكار إلى نسياننا لهذه الفترة من الحياة؛ ذلك النسيان الذي يحتاج إلى تفسير لأنه ليس عملية فسيولوجية طبيعية في نظر « فرويد »

يقول « فرويد » إن سبب نسياننا لمرحلة الطفولة infantil e amnesia هو الكبت الذي يقوم بدور كبير في مرحلة التعليم المبكرة . فالأطفال يأتون وهذا العالم وهم مزدون بميول ورغبات بريئة تتناسب وسنهم ، ولكن هذه الرغبات وتلك الميول لا تتفق وعقلية الكبار الذين يعملون بكل ما في وسعهم لفطم الطفل عنها وتوجيه ذهنه إلى ميول أخرى . وهذا ما يسمى « بالتسامي » . ومن هنا يضطر الطفل إلى قمع ميوله البدائية ودفنها في اللاشعور . ولكن هذه الميول والرغبات المكبوتة لا تفقد شيئا من ديناميكيتها مدى الحياة ، فإذا لم نكشف طرق التسامي للتخفيف من الطاقة التي تحتوي عليها فإن النفس تعمل على تصريف تلك الطاقة بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى ظهور أعراض مرضية . فالأعراض العصابية تمثل في صورة مثيرة تحقيق الرغبات المكبوتة

إن للنسيان أهمية بالغة في الحياة النفسية ، ولذلك يقول « فرويد » إن ما يجب عمله إزاء فكرة ينقصها معنى أو عمل ليس له هدف هو أن نعثر على الموقف الماضي الذي تحققت فيه الفكرة ووصل العمل إلى هدف . « وكان « جانيه » يستخدم التنويم المغناطيسي ليصل إلى ذلك الموقف الماضي ثم يهاجم الأفكار بعد ظهورها بوسائل مختلفة كالإيحاء أو إيجاد عناصر منافسة لها أو تحل محلها . ولكن تبين « بروير » و « فرويد » أنه لا يمكن استعمال التنويم المغناطيسي في جميع الحالات وا كتشفا أن إكمال الذكرى المؤلمة بإعادة الجزء المنسي منها إلى الشعور مع التصريف الانفعالي.. فيهما الكفاية للشفاء وزوال الأعراض . لهذا لم يأخذا بالإيحاء المباشر لمحاربة الأعراض ولم يوافقا على استبدال أفكار بأفكار . لقد حصرا العلاج التحليلي في حل العادات المرضية وذلك باستذكار الحوادث التي نبعت منها . فيجب ملء كل الثغرات التي في ذاكرة المرضى ، أي يجب استبعاد « الأمنيزيا » وجعل كل ما هو لا شعوري شعوري

أما سر زوال الأعراض بمجرد استحضار الذكريات المنسية فيرجع إلى أن التحليل النفسي يحول المرض إلى صورته الأصلية. هذا من جهة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن التداعي الحر (٣)

(٢) يلاحظ أن الحوادث ذاتها لا تعد صدمات ، فمثلا اعتراض أسد لطريق شخص مالا يعد صدمة.. إنما الذي يعد كذلك هو التصور الذي ينشأ نتيجة لهذه الواقعة . فاعتراض الأسد طريق شخص ما قد يؤدي الى صدمة بالنسبة لذلك الشخص وقد لا يؤدي الى شيء بالنسبة لشخص ثان . فكلمة tsaumacti مرادفة له wounding أو ingurious

(٣) Free associations وهذه طريقة فنية جديدة ابتدعها فرويد. فكان يطلب من المريض أن يذكر له كل ما يدور بذهنه دون أن يعمل على تغيير مجرى التيار النفسي أو توجيه أي نقد . وبهذا كان يقف فرويد على مخاوف المريض وأسباب قلقه أو هذائه . فالتحليل النفسي يقول للمريض « إنه من أجل هذا تفكر هكذا » ولا يقول له « انك مخطيء لشعورك بهذا الخوف أو ذلك الانحار » إن كل ما يهمه أن يجعل العلة المرضية مشعورا بها

الواقعيـة الفنية

للأستاذ عبد الوهاب محمود

عاشت المدرسة الابتداعية (Ecole Romantique) فى عالم من خيال تتقاذفها صور الكآبة والحنين واليأس، ويشق الاغتراب الروحى طريقه إلى نفوس كتابها، فلجوا بدورهم فى دنيا من ضباب، وسلكوا فى أساليبهم مسلكا تشيع منه الأحزان والمشاعر النفسية القلقة المضطربة. ولعل (هوجو) خير من يمثل هذا المذهب الفنى الأدبى

وكرد فعل لهذه المدرسة التى غالت فى الخيال برزت المدرسة الواقعية (Ecole Realiste) فى ميدان الأدب، وسرعان ما سارت فى هذا الميدان واتجه إليها كثير من الأدباء اتجاها فنيا صادقا يتمشى مع روح الواقعية الحقة بينما سلك آخرون سبيلا ملتوية، لا تمت إلى الواقعية الفنية بصلة. ومن آثارها ذلك الإنتاج الغزير الذى (تقذفه) إلينا الصحف والمجلات، وبخاصة تلك الصحف التى تبغى التكسب المادى. وكثر أنصار هذه الواقعية الحمقاء التى تتجسم بنقل الواقع نقلا (فوتوغرافيا) جافا جامدا كأنتمثل بتلك اللغة المرذولة حتى ذهب بعضهم إلى الاتجاه للغة العامية (١)، إلا أن حقيقة هذا المذهب الأدبى غير ما يرى هذا الفريق؛ فالفنان كما يقول توفيق الحكيم (٢) ليس بمحرر تقارير، وإنما هو محرر عواطف. وليست الأمانة المطلوبة منه نقل الأحداث دون المشاعر والعواطف، فالواقعية كما يرى دبهاميل ليست بالواقعية الفوتوغرافية (Réalité phorraphgue) التى لا يخرج عملها عن عمل آلة التصوير التى (كافت) بالتقاط الواقع بحركة آلية عمياء جافة. ولعل الذى دفعنى إلى كتابة هذه العجالة تلك المسالك السود، التى أخذ يسلكها نفر من كتابنا حتى مسخوا وجه الحقيقة وغدا أدبهم لا يعدو تلك (اللقمة) التى تتربع على مائدة الطعام، أو تلك الصور التى يشيع فيها التشاؤم والرعب من الحيـاة

الواقعية الفنية لا تبعدنا عن حياتنا — كما يظن — بل هى الواقع المحس قد داعبته أنامل الفنان، وقد يرسم الفنان — الشاعر أو القصاص — صوراً ماثلة فى الواقع، واقعة حقا، وقد لا تكون كذلك كما لا يلزمنا أن تكون تلك الصورة المنقولة صورة سامية حسنة جميلة، بل كل ما يطلبه الفن نقل الصورة نقلا فنيا، وكل ما يطلبه الواقع نقلها بأمانة. وإذا صهرنا مطاليب الفن ومطاليب الواقع — فى بوتقه واحدة — ظهر لنا (الأدب الواقعى الفنى) الذى هو نفسه الأدب المصور المؤثر

ويحضرنى الآن رأى للأستاذ المداوى نشره فى تعقيباته فى عدد الرسالة الفائت (٣) إذ قال: الواقعية ضربان، واقعية أولى ويكون فيها نموذج الشخصية موجودا (بالفعل) فى الحياة، والواقعية الثانية، ويكون فيها نموذج الشخصية موجودا (بالإمكان). ولم يقف الأستاذ المداوى عند هذا الحد، إنما ذهب إلى تعريف الواقعية الأولى فقال (هى نقل مباشر لصور الحيـاة وطبائع الأحياء، كما هى فى الواقع المحس الذى تلمسه اليمين وتألفه النفس) ولو وقف الأستاذ عند قوله: (إنها نقل مباشر لصور

(١) يرى الأستاذ أحمد حسن الزيات بك أن الاتجاه إلى العامية ناتج عن جهل بعض الأدباء باللغة الفصحى (دفاع عن البلاغة)

(٢) (تحت المصباح الأخضر)

(٣) الرسالة عدد ٩٣٩، السنة التاسعة عشرة

يسمح للمريض باسترجاع الذكريات المؤلمة على دفعات. فما لوحظ أن الذكرى المكدرة لا تسترجع أولا وإنما تأتى الأفكار التى ترتبط بهذه الذكرى.. ومنها يتدرج إلى الذكرى المؤلمة حقا. وهكذا فإن المريض لا يواجه ما ينغصه مرة واحدة.. بل يأخذه جرعة لجرعة، يضاف إلى ذلك أن وجود المحلل يشجع المريض ويقوى أنيته. فكل اضطراب نفسى له علله مهما كان غموضه فى الظاهر، وعمل المحلل الكشف عن هذه العلل.. ولا يستطيع القيام بذلك إلا من هيئ ليقابل بهدوء كل محتويات الذهن اللاشعورية.. وكان لديه خبرة وافية بطريقة حل الصراع

البقية فى العدد القادم فائزة على كامل

الحياة وطبائع الأحياء) لهان الخطب وما جعل ذلك النقل مقيدا (بما تلمسه العين وتألفه النفس) كما أنه لو احترس الأستاذ في قوله وقال : (إنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء كما هي في الواقع المحس الذي تلمسه عين الفنان وتألفه نفسه) بدلا من إطلاق (العين والنفس) التي تدعو إلى جعل الفن ضربا من ضروب العبث ، كما يجعل — هذا الإطلاق نفسه — الفنان والرجل العادي في كفة متساوية من حيث الإحساس (٤) ، أقول لو قال الأستاذ (عين الفنان ونفسه) لسهل الأمر وما دعانا إلى الولوج في دهاليز الظلمة والجهل ، وهو بقصد الإيضاح والإعلام.

ورأى الأستاذ المداوي أيضا يبعث إلينا من جديد تلك الصفحة التي وجهها أفلاطون لفن الشعر ، كما يعيد إلينا صدى العبارة اليونانية التي تقول : (إن الفن تقليد للطبيعة) والتي استغلها أفلاطون نفسه للطعن في الشعر ، وبودنا لو استطاع الأستاذ أنور المداوي أن يجيب على هذه الأسئلة التي (تقلق) بالي في تعريفه الذي ذكرته ، وأول ما يتلقانا من الأسئلة هذا السؤال ، إذا كانت الواقعية نقلا مباشرا لصور الحياة التي تلمسها العين وتألفها النفس ، فما فائدة هذا النقل إذن ؟ وما فائدة تلك الصورة (المقلدة) للواقع ما دمنا نستطيع النظر إلى الأصل نفسه ؟ بل ، ما فائدة الفن إذا كان نقلا مباشرا لما تألفه النفس وتلمسه العين ؟ ...

يقول أفلاطون : إن عناية الرجل العاقل تنصب في الوصول إلى الحقيقة ، لذا كانت عنايتنا بالأشياء ، لأنها ممثلة للحقيقة. وتكتسب هذه الأشياء حقيقتها من الأفكار التي تمثلها . فالمصور يقلد (٥) الأشياء ، والأشياء بدورها تمثل الأفكار ، والأفكار هي الحقيقة ، فيكون اتصال الفنان المصور بالحقيقة اتصالا بعيدا عنها بثلاثة مراتب . ولما كان الشاعر يقلد أعمال الناس وظواهر الأمور فعمله هذا بعيد عن الحقيقة بمرتبتين ، فالفن إذن — على هذا الرأي — ضرب من العبث ما دام يبعدنا عن الحقيقة ، والرجل العاقل لا ينشد ذلك . ولو كان الفن — والأدب — تقليدا للطبيعة حقا ، أو هو نقل مباشر لها ، لتقبلنا رأي أفلاطون وسكتنا ، ولتقبلنا رأي الأستاذ المداوي وصمتنا ، ولكن الفن ليس تقليدا للطبيعة فقط ، كما أنه ليس نقلا مباشرا فقط . إنما يتدخل الخيال وتلج المهارة الفنية في ذلك الميدان لترفعه عن حضيض التقليد الأعمى إلى قمة الخلق والإبداع ، وتقليد ما يتصوره الخيال ، فيكون عمل الخيال — هنا — لا يعدو مجرد تقطير الأحداث الواقعية باستبعاد جميع نواحيها السخيفة . ولكن هذا وحده — كما يقول لاسل آبر كرمبي — كاف لأن يجعل الشعر (الأدب) الناتج عن هذا شيئا مخالفا لتلك الصورة المنسوخة التي توهمها أفلاطون نفسه ، وجعلها سببا للطعن في الشعر (٦) ، ونضيف نحن أيضا أن تقطير الأحداث الواقعية بواسطة الخيال كفيل لأن يكون لنا شيئا مخالفا لتلك الصورة التي ننقلها نقلا مباشرا عن الواقع والتي يراها الأستاذ المداوي مادة للواقعيين

ولو سلمنا أن الفن تقليد للطبيعة أو نقل مباشر لصور الحياة أو أن الفن مرآة للواقع ؛ كنا بذلك قد ابتعدنا عن الحقيقة بمرتبتين أو ثلاثة — كما يقول أفلاطون — إنما الفن دفعة من النور تكشف لا عن مظاهر الحياة التي تألفها النفس وتلمسها العين ؛ ولكن عن خفايا تلك المظاهر ؛ عما وراء المظاهر ، فظواهر الأمور كثيرا ما تخفى شيئا (دسما) للفن ، فالحزن في صورته الظاهرة تقطيب الوجه وتقارب الحاجبين مثلا ، ولكن هل هذا هو كل الحزن الذي نشعر به ؟ ! . . . كلا . . . باستطاعة أي إنسان أن يقطب وجهه ويقرب حاجبيه ، ولكن هل يشعر هذا (الممثل) شعور ذلك المفجوع المكلوم ؟!... على هذا ، فهل من الإنصاف أن ننصف الظاهر (الآلي) ونعرض عن تلك (الحرقة الأليمة) التي هي في الحق مشاعرنا التي تنتابنا

والأدب كما يقول (كرمبي) توصيل (Communication)

(٤) الفنان يرى ويحس ويعبر تعبيرا مؤثرا ، أما الرجل العادي فيرى ويحس ، وقد لا يرى ولا يحس ، ولكنه في كلتا الحالتين لا يعبر

(٥) نلاحظ هنا كيف يستغل أفلاطون تعريف الفن (بأنه مقلد للطبيعة) ليتسنى له الطعن في الشعر ، ونحن نذهب برأيه إلى الطعن بالفن كله إذا كان تقليداً أعمى للطبيعة ، أو إذا كان نقلا مباشراً كما يقول الأستاذ المداوي !...

(٦) قواعد النقد الأدبي — لاسل آبر كرمبي — ترجمة الدكتور محمد عوض محمد

يحدث بين المؤلف والقارئ، يعرض المؤلف أدبه بوصف مشاعره وإحساساته وتبيان أثرها في نفسه، وهذه الأصداء النفسية هي التي تمثل (الذاتية) الأس الأكبر للرومانتيكية الابتداعية، ولكن الأدب ليس كل ذلك، إنما يراد للتوصيل أن يبلغ المؤلف ساحة أخرى هي (الموضوعية) وبذلك يرضي قارئه حتى يتقبل ذلك الأدب، وحتى يتم ذلك التوصيل. والموضوعية كما نعلم - تخامر الواقعية - وبذا تكون لنا في الأدب جانبان هما الموضوعية والذاتية (ولكن كل منهما على حده لا يعبر عن الحقيقة) لذا نرى أن على الأديب الواقعي الفنان أن يلتزم هذين الجانبين في أدبه ولا يهمل (الذاتية) في نقل الواقع فيجيء نقله محايداً (إن صح وجود النقل المحايد في الأدب.. ذلك لأن الإدراك نفسه غير محايد كما تقول نظرية الكاتب الفرنسي الوجودي سارتر)

فالواقعية الفنية تتمثل بالجانب الذاتي والموضوعي، كما تتمثل بالعناية بوساطة الأدب (اللغة) وعنايتنا باللغة تتم عن طريق معرفة المفردات وما توحيه كل لفظة من صور ومعان، وما تحدثه من جرس

ومن أدب الواقعية الفنية قصة (آلام) للكاتب الروسي مكسيم غوركي و (قصة أنا كارنينا) للفيلسوف الروسي (ليوتولستوي) وقصة (تس سليلة دربرفيل) للشاعر القاص توماس هاردي، وتحفة فلوبير الخالدة (مدام بوفاري)، كما نجد الواقعية المنيفة تتجلى في كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين، وكتاب (عصفور من الشرق) للأستاذ توفيق الحكيم. ومن قرأ هذا القصص لا يستطيع إنكار الخصائص الفنية التي ذكرناها عن الأدب الواقعي الفني

ولعل قصيدة هوسمان الشاعر الإنجليزي (إلى السوق أول مرة) (٧) خير مثال للواقعية التي ذهبنا إليها، فلذا رأينا أن نعرضها لزيادة الإيضاح:

— يوم أنشأت أذهب إلى السوق، أوائل عهدي بالأسواق
كانت الدراهم في الكيس جد قليلة
وكم طال بي النظر وكم طال بي الوقوف!

(٧) الكتاب. السنة الأولى ج ٦ ص ٨٠٤

على أشياء في السوق لا تنال
— تغير الزمن اليوم، ولو أردت الشراء لاشتريت
هنا الدراهم في الكيس، وهناك أشياء الأمس في السوق
ولكن يا ترى ذلك الفتى المحروم؟
— طالما شكا قلب الإنسان لأن (اثنين واثنين أربعة)
لا هي ثلاثة كما نودها حيناً ولا هي خمسة كما نودها بعد حين
وأحسبه سيشكو إلى آخر الزمان

هذه صورة من الواقع، ولكن هل هي نقل مباشر لصور

° ° °

الحياة... مما تلمسه العين وتألفه النفس؟ هل هذه الصورة التي نقلها هوسمان هي صورة الواقع الحس فقط؟. ألم يضف هوسمان شعوره وعواطفه وآماله التي سرعان ما تتبدل وتتغير؟...

لقد صور لنا هوسمان الواقع الحس ونقل إلينا أحاسيسه ومشاعره نقلاً فنياً من الصعب - بل من الصعب جداً - أن ننكر ذلك الواقع الفني الذي نقله هوسمان

العراق. بصرة — محمود عبد الوهاب

دفاع عن الوجودية

« مهداة الى الأستاذ على متولى صلاح »

للسيد نهاد التكرلى

ما كادت الوجودية تنتشر فى فرنسا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى انهالت عليها الانتقادات والاتهامات من كل حدب وصوب . وقد صار النقاد على مختلف نزعاتهم ، من شيوعيين إلى مسيحيين ، يكيلون لها التهم جزافا . فاتهموا جان بول سارتر — مؤسس هذه الفلسفة فى فرنسا — بأنه استوحى فيلسوفا ألمانيا نازيا هو مارتن هيدجر ، ومن ثم فلابد أن تكون فلسفته ذات نزعة فاشية . ونسبوا إليه نشره باسم الوجودية نزعة ركونية للقلق تحمل الانحلال والفساد يدب إلى الشبيبة وتصرفها عن العمل . لأن سارتر كما يقولون يثير الشباب لاستغلال نوع خاص من اليأس واتهموا سارتر بأنه يدافع عن مذاهب عدمية (والبرهان على ذلك فى نظر أحد النقاد هو أن عنوان كتاب سارتر الفلسفى هو « الوجود والعدم » !) فى مثل هذه السنوات التى يجب فيها إعادة بناء كل شئ من جديد ، والعمل لتكريس الجهود لربح الحرب وربح السلام . ثم اتهموه أخيرا بأن الوجودى لا يطيب له إلا الانهماك فى الإقذاع وإظهار شرور الناس وضعتهم أكثر من إبرازه الجانب المضئ من مشاعرهم وعواطفهم الجميلة

وقد حاول سارتر الرد على بعض هذه الاتهامات التى تبدو مستوحاة بباعث من سوء النية والجهل . خاصة وأن أصحابها كما يبدو جليا لم يقرأوا أى كتاب من الكتب التى يتحدثون عنها ؛ والظاهر أنهم قد اختاروا الوجودية هدفا يسددون إليه سهام نقدهم لأنهم أولا بحاجة إلى شخص أو مبدأ يتحمل خطايا الآخرين ، ولأنهم ثانيا وجدوا أن الوجودية مذهب مجرد لا تعرفه إلا فئة ضئيلة من الناس ؛ ولن يحاول أحد التحقق مما يقولون . ومن بين الردود التى فند فيها سارتر مزاعم هؤلاء النقاد مقال نشره فى جريدة الأكسيون الفرنسية بتاريخ ٢٩ ديسمبر عام ١٩٤٤ نحاول تلخيصه لقراء الرسالة فى هذا المقال ، ومحاضرة عنوانها « الوجودية نزعة إنسانية » ألقاها سارتر فى نادى (منتنان) وقد لخصناها لقراء مجلة الأديب البيروتية فى العام المنصرم

يقول سارتر عن النقد الخارجى الذى وجه إليه : إن هيدجر كان فيلسوفا قبل أن يكون نازيا بوقت طويل . ويمكن تفسير اتفاقه مع الهتلرية بالخوف وربما بالوصولية ، أو بالانقياد والخضوع وهو الأمر الأكثر يقينا . وهذا على كل حال أمر ممقوت لا يحبذه أحد أبدا غير أنه كاف وحده للطعن فى استدلال النقاد . فهم يقولون : « إن هيدجر عضو فى الحزب الاشتراكى الوطنى وإذن فلا بد أن تكون فلسفته نازية » . بينما الحقيقة على خلاف ذلك ، إذ أن هيدجر لا خلق له وهذا هو كل شئ . فهل هناك من يجرؤ على الاستنتاج من هذا بأن فلسفته تبرير لجبنه ؟ أليس المعروف بأن هنالك كثيرا من الأشخاص لم يرتقوا إلى مستوى مؤلفاتهم ؟ هل يجب أن نزين « العقد الاجتماعى » لأن روسو كان يضع أطفاله فى ملجأ اللقطاء ؟ ثم ما أهمية هيدجر ؟ أ إذا اكتشف سارتر فكرته الخاصة فى فكرة فيلسوف آخر أو إذا طلب إلى هذا الفيلسوف اصطلاحات فنية وطرقا كفيلة بإبلاغه إلى مشاكل جديدة كان ذلك دليلا على أنه يعتنق جميع نظرياته؟ لقد اقتبس ماركس من هيجل منطقه الجدلى فهل يقول أحد بأن كتاب « رأس المال » مؤلف بروسى ؟

ولنأت الآن إلى الوجودية فنرى هل حاول هؤلاء النقاد تعريفها على الأقل إلى قرائهم ؟ إنهم لم يحاولوا هذه المحاولة لأنهم يعلمون بأن ذلك يورطهم فى جدال فلسفى ليكلفهم مجهودا كبيرا لا يتناسب وهذه الهجمات المبتذلة التى يشنونها على الفلسفة . ومع ذلك فإن هذا التعريف بسيط إلى درجة كبيرة . يقول سارتر : من المقرر — لو استعملنا عبارات فلسفية — أن لكل شئ ماهية ووجودا . والماهية معناها مجموع ثابت من الخصائص ؛ بينما الوجود يعنى نوعا من الحضور الفعلى فى العالم . والشئ الذى يعتقد به كثير من الناس هو أن الماهية تأتى أولا ثم الوجود ، فالبسلة الخضراء مثلا تنبت وتستدير طبقا لفكرة البسلة، والمخلل مخلل لأنه يساهم فى ماهية المخلل ، وهذه الفكرة

تنبع فى الأصل من فكرة دينية . وفى الواقع أن الذى يريد أن يبنى بيتا لابد أن يعرف بالضبط أى نوع من الأشياء سيبدعه . فهنا أيضا نجد أن الماهية تسبق الوجود وهذه الفكرة موجودة لدى كل الذين يعتقدون بالله وبأنه خلق الإنسان ، إذ لابد أن يكون قد قام بهذا العمل وفقا للفكرة أو المفهوم الذى كان لديه عن الإنسان . غير أن بعض المفكرين قد قالوا بالإلحاد مع محافظتهم على هذا الرأى التقليدى ، وهو « أن الشئ لا يوجد أبدا إلاوفقا لماهيته »

وكان جيل القرن الثامن عشر بأجمعه يفكر بأن هنالك ماهية مشتركة بين جميع البشر تدعى « الطبيعة البشرية » . غير أن الوجودية قد جاءت أخيرا فقلبت الوضع لأنها قالت بأن الوجود لدى الإنسان — ولدى الإنسان فقط — سابق على الماهية . وهذا يعنى بكل بساطة أن الإنسان « يوجد » أولا ثم يكون بالتالى هذا الشخص أو ذاك . وبكلمة واحدة أن الإنسان يجب أن يخلق ماهيته الخاصة بنفسه . فهو عندما يرمى بنفسه فى العالم ويتألم ويناضل فيه إنما يعرف نفسه شيئا فشيئا .. ومجال هذا التعريف يبقى مفتوحا دائما ، فلا يمكن القول ما هو (هذا) الإنسان قبل أن يموت.. ولا ماهى الإنسانيه قبل أن تزول من على وجه الأرض

والآن وبعد ما تقدم : هل الوجودية فاشية أم محافظة أم شيوعية أم ديمقراطية ؟ من الواضح أن هذا السؤال سخيف لا معنى له .. إذ الوجودية وهى على هذه الدرجة من العمومية ليست سوى طريقة معينة لمواجهة المسائل الإنسانية.. رافضة إعطاء الإنسان أية طبيعة ثابتة على الدوام . لقد كانت الوجودية سابقا تقترن بالمعتقد الدينى كما نجدها لدى كير كجورد .. والوجودية الفرنسية التى يمثلها سارتر تميل اليوم إلى الأخذ بالإلحاد.. غير أن هذا ليس ضروريا بصورة مطلقة . وسارتر يقول إن كل ما يمكن ذكره فى هذا الصدد هو أنها لا تبتعد كثيرا عن التصور الذى تصوره ماركس للانسان . ألا يرتضى ماركس فى الواقع هذا الشعار الذى اتخذه سارتر شعارا للانسان : أن يعمل وبعمله يصنع نفسه ولا يكون شيئا سوى ما صنعه من نفسه ؟

والآن نقول : إذا كانت الوجودية تعرف الإنسان بواسطة عمله فمن البديهى أنها ليست فلسفة للركونية ؛ إذ الإنسان فى الواقع لايمكن إلا أن يعمل ، فأفكاره تصاميم والتزامات ، وعواطفه مشروعات. إنه لاشئ سوى حياته وما حياته إلا وحدة سلوكه .

أما « القلق » الذى تعلن عنه وجودية سارتر والذى قال عنه النقاد بأنه يأ كل الإنسان ويشله عن العمل ، فإنه — بالرغم من سمو هذه الكلمة — يدل على حقيقة يومية فى غاية البساطة . يقول سارتر إننا (لا نكون) بل (نصنع أنفسنا) ونحن عندما نصنع أنفسنا نتحمل مسؤولية الجنس البشرى بأجمعه . وإننا عند إقدامنا على الفعل لا نجد إزاءنا قيما أو أخلاقا منحت لنا بصورة قبلية.. بل علينا فى كل حالة أن نقرر ونبت فى أمرنا بصورة منفردة دون أن تكون لدينا نقطة ارتكاز أو هاد يهدينا سواء السبيل ، مع كوننا نفعل من (أجل الجميع) . فكيف يمكن بعد هذا ألا نشعر بالقلق عندما يتحتم علينا الفعل ؟ إن كل فعل من أفعالنا يمس معنى العالم ومكان الإنسان فى الكون ، ونحن نؤسس بواسطة كل فعل من أفعالنا — حتى لو لم نرد ذلك — سلما من القيم الشاملة . فكيف يمكن ألا يأخذنا الخوف إزاء هذه المسؤولية الكلية ؟

لقد قال بونج فى عبارة بديعة للغاية ان « الإنسان مستقبل الإنسان » وسارتر معجب بهذا القول . وهو يقول بأن هذا المستقبل لم يصنع بعد ولم يبت فى أمره . إننا نحن الذين سنصنعه ، وإن كل واحدة من حركاتنا تساهم فى رسمه ، ويجب أن يكون المرء على شيء كبير من النفاق لكى لا يشعر بالقلق إزاء هذه الرسالة الهائلة الملقاة على عاتق كل واحد منا . ولاشك أن النقاد قد خلطوا عمدا بين القلق والنورستانيا لكى يدحضوا سارتر بصورة أكثر يقينا ، فجعلوا من هذا الجزع الرجولى الذى يتحدث عنه الوجودى خوفا باثولوجيا موهوما . ولذلك يقول سارتر إن القلق لا يمكن أن يكون عائقا للفعل لأن نفسه شرط للفعل . وهو جزء لا يتجزأ من معنى هذه المسؤولية الساحقة : مسؤولية الكل أمام الكل التى تسبب عذاب الإنسان وعظمته فى نفس الوقت

أما اليأس الذى يقولون عنه بأنه يسود الحياة فى نظر الإنسان ويصرفه عن العمل فيجب أن نفهم معناه ونتعمق مدلوله.

يقول سارتر : من الجلي أن الإنسان يخطئ إذ (يأمل) في أمر من الأمور ، وهذا القول لا يعني سوى أن الأمل أسوأ قيد للفعل. هل كان يجب على الفرنسيين أن يأملوا في انتهاء الحرب من تلقاء نفسها ؟ أو أن يعد النازيون لهم أيديهم ؟ أو هل لنا أن نأمل في أن يتخلى أصحاب الامتيازات في المجتمع الرأسمالي عن امتيازاتهم عن طيب خاطر ؟ يقول سارتر إننا لو كنا نأمل في كل هذا فلن يبق علينا إلا أن ننتظر مكتوفي الأيدي . إن الإنسان لا يمكنه أن يريد إلا إذا أدرك أولا بأنه لا يستطيع أن يعتمد إلا على نفسه، وبأنه وحيد متروك على هذه الأرض وسط مسؤولياته اللانهائية من دون سند أو مساعدة . لا غاية له سوى الغاية التي سيعطيها لنفسه. ولا مصير له سوى المصير الذي سيبتدعه لنفسه . هذا اليقين وهذه المعرفة الغريزية التي لدى الإنسان عن موقفه في العالم هو ما يدعوه سارتر باليأس . فهو ليس ضلالا خياليا جميلا ، بل وعي جاف واضح بالحالة الإنسانية. وكما أن القلق لا يتميز عن معنى المسؤوليات فإن اليأس يتحد مع الإرادة في وحدة لا انفصام لها . ومع هذا النوع من اليأس يبدأ التفاؤل الحقيق : تفاؤل الإنسان الذي لا ينتظر شيئاً ويعلم بأنه لا يملك أي حق ولم يترتب عليه أي واجب . تفاؤل الإنسان الذي يبتهج بالاعتماد على نفسه وحدها وبالعمل وحيدا لخير الجميع

وبعد فهل تلام الوجودية على أنها تؤكد الحرية الإنسانية ؟ يقول سارتر مخاطبا النقاد: إنكم جميعا بحاجة إلى هذه الحرية ، وما أراكم إلا واضعين النقاب عليها مراعاة ونفاقا لأنكم تمودون إليها بدون انقطاع رغما عنكم . يقوم أحد الناس بعمل شرير فتفسرونه بأسبابه وبموقفه الاجتماعي ومصالحه الخاصة وتسخطون عليه بجفاء وتؤاخذونه على مسلكه بمرارة . بينما يوجد على العكس أناس آخرون تعجبون بهم وتتخذون أفعالهم نماذج تسيرون بموجبها . فماذا يعني كل هذا ؟ هل يعني سوى أنكم لا تساوون بين الأشرار وبين دودة الكرم .. ولا بين الطيبين وبين الحيوانات المفيدة ؟ إنكم تلومونهم أو تمتدحونهم لأنهم كان بوسعهم أن يفعلوا غير ما فعلوه وبذلك تفترضون فيهم الحرية من غير أن تشعروا

يقول سارتر إن نضال الطبقات حقيقة واقعة لاشك فيها؛ وإنه يساهم فيها بصورة تامة . لكن كيف يمكنكم وضع هذه الواقعة على مستوى غير مستوى الحرية ؟ إننا نرى أن الشيوعيين يتهمون سارتر وأقرانه ويقولون لهم إنكم بأفيون الحرية هذه تمنعون الإنسان من أن يكسر عنه قيوده . غير أن هذا الكلام يدل على سوء فهم تام للحرية التي ينادي بها سارتر — فهو عندما يقول بأن العامل العاطل حر لا يعني بأنه يستطيع أن يفعل كل ما يروق له وأن يتحول في لمح البصر إلى بورجوازي غني مسالم . إنه حر لأنه يستطيع دائما أن يختار قبول نصيبه باستسلام أو أن يتمرد على هذا النصيب . حقا أنه قد لا يتوصل إلى تجنب الشقاء غير أنه يستطيع أن يختار من صميم هذا الشقاء الملتصق به النضال ضد جميع أنواع الشقاء ، باسمه وباسم الآخرين جميعا .. إنه يستطيع أن يختار نفسه كإنسان برفض أن يكون الشقاء نصيب البشر

فهل سارتر خائن اجتماعي لأنه يستدعي أحيانا هذه الحقائق الأولية ؟ يقول سارتر لقد كان ماركس إذن خائنا اجتماعيا لأنه قال : « إننا نريد تغيير العالم » ، فعبر بهذه الجملة البسيطة على أن الإنسان سيد مصيره . سيكون هؤلاء النقاد جميعا إذن خونة اجتماعيين لأن هذا هو ما يفكرون به في الواقع عندما يخرجون من حدود المذهب المادي الذي إن كان قد قدم خدمات لا يمكن نكرانها فإنه قد شاخ ولم يعد يصلح لهذا العصر . أما إذا كانوا ينكرون هذه الحقيقة الأولية فسيكون الإنسان لديهم شيئا مثل باقي الأشياء تماما . سيكون قليلا من الفوسفور والكاربون والكبريت وعندئذ لن يكون من الضروري الاحتفاء به أو الاهتمام بأمره

بعقوبة — العراق　　　　نهاد التكرلي

لبيد يعدد سني حياته

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

هـذا شاعر جاهلي من الذين يتصف شعرهم بالفخامة والقوة والبداوة، وقلة الحشو وقوة اللفظ، ولد في الجاهلية وعاش حتى أدرك الإسلام فأسلم كما يقول:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي   حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

أما اسمه فلبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة وهي قبيلة مضرية، وأما ترجمته فميسورة لكل أديب، كتب عنه صاحب الجمهرة، والشعر والشعراء، والمزهر، لذلك سنضرب عنها صفحا. ولكن الذي يهمني هو الوقوف عند شعره الجزل الذي عدد فيه سني حيـاته. إذ لا أظن في العربية شاعرا تطرق إلى هـذه الناحية عداه.

وقد عمر هـذا الشاعر طويلا حتى أن الروايات اختلفت في تاريخ وفاته، فقد قال بعضهم إنه عاش ١٤٠ عاما وقال بعضهم إنه عمر حتى سنة ٤١ هـ ومات في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان وعمره آنذاك ١٧٥ حتى أنه سئم الحياة فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وكيف لا يتطرق السأم إلى نفس رجل طال عمره إلى ما بعد المائة بنصف قرن وقد سبقه زهير بن أبي سلمى فقال يصف سأمه وهو في الثمانين:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

ولبيد هذا ذكره شوقي في رائيته الرائعة عن أبي الهول:

وشكوى لبيد لطول الحياة   ولو لم تطل لتشكى القصر

وهي قصيدة تعد من عيون الشعر العربي ومن مختارات أبي علي بل من أفخم ما نظمه في حياته

ولبيد هذا أشار إلى منزلته ومكانته في الشعر الإمام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري   لكنت اليوم أشعر من لبيد

كما نوه باسمه أبو تمام أستاذ الشعر حين قال من قصيدة يمدح أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد

ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم   ثم ارعويت وذاك حكم لبيد
إن كان مسعود سقى أطلالهم   سيل الشئون فلست من مسعود

ومطلع هذه القصيدة:

أرأيت أي سوالف وخدود   عنت لنا بين اللوى فزرود

قلنا إن الرواة اختلفوا في المدة التي عاشها هذا الشاعر وهذا لا يهم ما دام نفسه قد سجل عمره فقد قال وهو في العشرين:

كأني وقد جاوزت عشرين حجة   خلعت بها عن منكبي ردائيا

وإذا علمنا أنه في الأيام الأخيرة أي بعد إسلامه انقطع عن النظم وأنه أقام بالكوفة حتى مات، وعندما وصلت به السن إلى العام العاشر بعد المئة قال:

أليس في مائة قد عاشها رجل   وفي تكامل عشر بعدها عمر

علمنا صحة ما ذهب إليـه بعض الرواة من أنه أكمل قرنا ونصف القرن، وهي حياة طويلة بالنسبة لغيره من المعمرين في الجاهلية والإسلام

فقد قال وسنه آنذاك الـ ٧٧ مخاطبا نفسه:

باتت تشكى إلى الموت مجهشة   وقد حملتك سبعا بعـد سبعينا
فإن تزيدي ثلاثا تبلغي أملا   وفي الثلاث وفاء للثمانينا

شعر جميل بالرغم من وجود إشباع في لفظة تزيدي من صدر البيت الثاني كما يقول العروضيون

ثم درجت به السنون حتى أشرف على قمة الثمانين فهتف من أعماق قلبه:

إن الثمانين — وبلغتها —   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

يا لله من روعة لفظة وبلغتها، ويالسحر هذا الحشو الرائع!

ومضت تلك العجلة — عجلة الحياة — تدور وهي تنهب بالشاعر الأرض حتى أشرفت به على التسعين فصاح صيحة المنهوك الحائر:

كأني وقد جاوزت تسعين حجة   خلعت بهـا عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى   فكيف بمن يرمى وليس برامي (١)

(١) بنات الدهر صروفه ونوائبه. ومن أروع ما قرأت عن بنات الدهر قول المتنبي في الحمى:

أبنت الدهر عندي كل بنت   فكيف خلصت أنت من الزحام

وخلص — بالمكان وصل إليه

فلو أنني أرمى بنبل رأيتها ... ولكنني أرمي بغير سهام

ألا يرى القارئ هذه الصورة التي وصفها لبيد (رجل أعزل من السلاح يرمى بنبل لايراها ولكن يحس بوقعها) ألا يشعر بالألم ؟ ألا يستحق الرثاء !! ألم تكن هذه السنوات الطوال التي مرت عليه بأعبائها وأثقالها سهاما قاتلة ولكن غير منظورة !. أتعجب بعد هذا منه إذا ما ضاق ذرعا بالحياة .. فهتف بذلك الشعر الجزل الحزين ؟

وراح الزمن يسير وإذا بالشاعر يلتفت الى الوراء فيرى أنه قطع سنوات طويلة حافلة بالعجائب ، وإذا به كما قلت يصل إلى العاشرة بعد المائة فيقول :

أليس في مائة قد عاشها رجل ... وفي تكامل عشر بعدها عمر

وهو عمر طويل حقا ولكن ما يقول اذا جاوزها ؟ اسمعه وقد مضت عليه عشرون بعد المئة كما يقول الرواة - ولكنه آنذاك لا يسجل السنين كما سجلها من قبل بصرخ صرخة : العزاء

ولئن كبرت لقد عمرت كأنني ... غصن تفيؤه الرياح رطيب
وكذاك حقا من يعمر يفله ... كر الزمان عليه والتقليب
مرط(٢) القذاذ فليس فيه مصنع ... لا الريش ينفعه ولا التعقيب

ويريد بهذا أن الذى يقطع تلك الفجوة الطويلة من الحياة يصبح كالطائر الذى نتف شعره من جراء كر الزمان عليه وكثرة ما مر عليه من عواصف الحياة ، فكيف يستطيع بعد ذلك الطيران ؟!

ويقول الرواة أو شمره على الأصح أنه عندما أحس بالموت يدنو منه ، وأن حياته ستختم .. نظر إلى أولاده وهم حوله يبكون فقال

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
وفي ابني « نزار » أسوة إن جزعتما
وإن تسألاهم تخبرا فيهم الخبر
فقوما فقولا بالذى قد علمتما ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا خليله ... أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) مرط الشعر نتفه ، ومن خف شعر جسده فهو أمرط . والقذاذ قذ الشعر قصه وسواه . السهم ألصق الريش به. الريش قطع أطرافه وحرفه.

نعم هو من ربيعة ومن مضر ، وكيف ينكر الموت وهو الرجل المؤمن الذى يقول عنه الرواة أن رسول الله (ص) قال فيه « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » ويعني قوله

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وهو نفسه يقول في شيخوخته

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعجل
أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

والذى يقول

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد ما هو ساطع (٣)
وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوما أن ترد الودائع
وما الناس إلا عاملان : فعامل ... يتبر ما يبني ، وآخر رافع (٤)

والقائل يصف الموت أيضا

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

فهل بعجيب إذن لا يطلب من بنتيه أن لاتعجبا من موته ؟
اسمعه وقد سئل عن رأى الناس فقال

المرء يدعو للسلا ... م وطول عيش قد يضره
كم شامت بي إن هلكت ... وقائل لله دره

ولكن ما يهم الميت الذى ينفض الحى ترابه من راحته أن يقول فيه ما يقول ؟ أليس الموت غاية الحياة ؟ أو ليس الناس اثنين إما قادح أو مادح

وبعد هذه كلمة قصيرة ذكرنا فيها طرفا من شعر لبيد الذى سجل فيه سني حياته ، ولبيد هذا من الشعراء البارزين في الجاهلية فقد جاء في الصفحة ٢٩٧ من الجزء الثاني من المزهر « وسئل لبيد من أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل ثم الشاب القتيل (طرفة) ثم الشيخ أبو عقيل ويعني نفسه » وهو صاحب المعلقة الشهيرة

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا ... صما خوالد ما يبين كلامها

٣) حار . رجع . رد
٤) تبر . أهلك ودمر

٢- رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى
للأستاذ سامح الخالدى

ومن باب السلام لقد دخلنا وأهدينا السلام من السلام

ومنها هذا الفخر الرائع الذى يذكرنا بفخر ابن كلثوم. وغير مستغرب من لبيد أن يفخر وهو الشاعر الشريف ذو المجد الأثيل والحسب العريق، ومن الذين لم يكتسبوا بالشعر وهو الذى قال عنه صاحب الجمهرة (كان لبيد جودا شريفا فى الإسلام والجاهلية» والتى قالت عنه عائشة رضى الله عنها: رحم الله لبيدا ما أشعره فى قوله

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

فهذا شأن شاعر جواد شريف الا يحق أن يفخر فيقول من — الملقة —

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
فبنوا لنا ملكا رفيعا سمكه فسما اليه كهلها وغلامها
فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأعظم حظنا قسامها
فهم السعاة اذا العشيرة أفظعت وهمو فوارسها وهم حكامها
وهمو ربيع للمجاور فيهمو والمرملات اذا تطاول عامها

هذا ما عن لى ذكره ولا أريد أن أختم البحث دون أن أشير الى بيتيه الخالدين

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع
سلوهن ان كذبتمونى متى الفتى
يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

ولنا رجعة إن شاء الله الى هذا الشاعر حيث نأخذ شعره وحياته وأخباره بالتفصيل.

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

وقفنا عند شباك زينه ودمعى فى اشتباك وانسجام الخ

وتذكرت فى هذا المقام قول الإمام سيدى أحمد بن الرفاعى قدس الله سره:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

« ثم صليت تحية المسجد لدى المنبر، وتذكرت قصيدة من نفائس القصائد نقلتها من مجموع جامع، وكان رآها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجى، فأخبرنى أن جناب شيخنا الغنى (١) بربه، سمع فى زيارته منشدا لها على سدة الحرم النبوى والمسجد، فأجرت المدامع كالسحب الهوامع، فطلبها ليثبتها فى رحلته الكبرى، فلم يجب الطلب، والقصيدة هى:

يا عين هذا السيد الأكبر وهذه الروضة والمنبر
فشاهدى فى حرم المصطفى من نوره الساطع ما يبهر

« وعطفنا بعد هينة على زيارة بقيع الفرقد، وصرنا بعد الزيارة والطواف على من حل فيه من أهل الإشارة، نتردد على الحرم المنير، وكانت ليلة دخولنا المدينة الثلاثاء وأقمنا الأربعاء والخميس، وذلك الخامس والعشرون من ذى القعدة، ولم يتيسر لى المبيت فى حرم التثبيت إلا ليلة الحبور، ولذا سميت بالخميس، وبعد أن صليت العشا جلست فى الروضة الجنانية، مواجها للحجرة الشريفة الأمانية، وختمت كتاب الدلائل، وصليت ما تيسر، تقدمت إلى ما بين الأسطوانتين، مستقبلا للوجه الأزهر، ولم أتقدم إلى الشباك، واستأذنت فى عرض (ورد السحر) على أسماعه الكريمة، فأتممته وأنا بين يديه واقع، وكنت إذ ذاك وحدى، وتقدمت يسيرا لقبالة وجه جدنا الأعلى الصاحب فى الغار، فعرضته عليه، وواجهت وجه سيدى عمر بن الخطاب وكررته على أسماعه. ثم أتيت باب جبريل، وأعدته، ثم بيت الزهراء أتيت، وبالباب صاغرا وقفت وقرأته راجيا بشفاعة

(١) هو الشيخ عبد الغنى النابلسى، أستاذ الشيخ البكرى، القطب المتصوف الرحالة

السيدة الفاخرة فاطمة، وفي الحديث الذي رواه الديلمي عن أبي هريرة عن المختار: «إنما سميت فاطمة، لأن الله فطمها ومحبيها عن النار» وجملت هذه التلاوة الجامعة، وقبيل الإنعام أذن المؤذن الفجر، فأسرعت وشرعت فيه مفتتحا للأجر، وقد ذكرت في أوائل شرح هذا الورد المسمى بالضيا الشمسي على الفتح القدسي بعض ما وقع لنا ولإخواننا في التلاوة وغيرها ما يبشر نفوس الملازمين عليه بحسن سيرها..وعدنا للخيام، والعين عن هذا السير نيام، وكررنا العود لأحمد الخلق أحمد، وهو كما قيل للمحمود أحمد

« ولما دخلت ليلة العروبة بت في الحرم أيضا، راج كما عودت فيضا، وبعد صلاة العشا، غلب وارد النوم. ثم كريت في الصباح، على زيارة أهل البقيع الصباح، وبعد صلاة الجمعة عزمنا على المسير فودعنا حجرة من أودعنا القلوب لديه، ولو استقصينا ما ورد في فضل المدينة ومسجدها وروضة البقيع ورقمته، ومساجدها الرفيعة، ومعابدها المنيعة، وجبالها المرغوبة، وأوديتها المحبوبة، لا تسع المجال والوارد، في هذه المصادر والموارد، وقد أفصح بعض إفصاح، الحافظ أبو عبد الله محمد النجار صاحب (الزواهر والجواهر الثمينة، في كتابه « النزهة الثمينة في أخبار المدينة»

وكم رمت مدحا في الجناب المحمدي
فما طاوعتني من مهابته يدي
وكريت بالمداح في الذات أقتدي
لعلي أن أنجو بذلك في غد

ورحم الله أحمد بن محمد من أهل غرناطة، حيث يقول:

أروم امتداح المصطفى فيردني
قصوري عن إدراك تلك المناقب
ولو أن كل العالمين تألفوا
على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هيبة وتواضعا
وخوفا وإعظاما لأرفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة
ورب كلام فيه عتب لعاتب

« وكنت وأنا في المحفة، المثقلة بنفلاني، فهي غير مخففة، أتسلى ببعض كتابات في مدح سيد الأكوان

وبعد أن ودعنا أماكن نورها نابغ، وصلنا منزل (رابغ) وأحرمت بالحج، وسبقنا الحج المصري إلى بدر، وابتدرنا المسير بعدهم بيسير أي بدر، وأهديت شهداءها الفواتح، وسرنا إلى وادي فاطمة، ولم نشعر إلا وقد أشرق النور، وقد أتينا البيت العتيق نزور. وكان نهار يوم الأربعاء، والمبيت (بمزدلفة) ليلة الخميس. ولما أتينا (منى) رمينا الجمرة الأولى، ثم ذبحنا وقربنا وحلقنا الشعور، واجتمعنا ثاني يوم عندرمي الجمرة الثانية بالصديق الأوحد السيد محمد بن السيد أحمد التافلاتي (مفتي الحنفية بالقدس) فلما رأيته طرت به فرحا، وسرت به إلى الخيمة منشرحا، وأقام هنية وسار، ولم أبلغ من الجمعية به الأوطار. وبعد ما رمينا الجمرة الثالثة، سرنا بميمون فياضة، وأدينا واجب طواف الإفاضة، واجتمعنا ثاني يوم القدوم بالسيد المذكور الملوم، في الحرم تجاه البيت، وعرضت عليه قصيدتين كتبتهما في ذلك المجلس في كتابين وأرسلتهما لبيت المقدس، ليقف عليهما أرباب اقتراب نفيس، فانحظ بهما، وسألته أن يرفقني إلى القاهرة لأنشق عرف مآثره الفاخرة، فأبدى أعذاراً فلم تقبل ذلك منه نفسي، لأنها قاسته عليها كما قسته بأبناء جنسي، وإذا الأمر بخلاف هذا المفهوم، لما تحققت وشاهدت في بلاد الروم

« وكنت أجلس في المقام الحنفي وأعلى بأنوار البيت الشريف الوفي، وكنت أتردد على الحرم أوقات الصلاة، متى سمعت المؤذن حيعل ولملم حجازا بادرت مجيبا، إذ نغمة أهل تلك الأماكن نغمة مترقبة تحرك من الحب السواكن، وما أحلى همهمة الزمزمي إذ يدمدم بتلك الزمزمة، وكان أول من وضعها من جدودهم وبقيت في القربة

« وقد بت ليلة في خلوة قريبة من الحرم، فأيقظني رفيق برفق وقال: قم فإن البيت فتح للأمير الشامي الكبير، فبادرت للطهارة لألحق الدخول، فقفل الباب، فبكت النفس عليه لا على حومل والدخول، ثم سليتها ومنيتها ليذهب الحزن عنها، بأن بعض الحجر من غير شك منها، فدخلته والتزمت البيت التزاما، ووقفت تحت الميزاب أجرى الدموع انسجاما

« وقد أردت العمرة؛ فنمقني من الذنوب الغمرة، وتوجهت

مع صويحب لى لزيارة سيد سمي جعفرا ، فرأيت صدرا رحيبا وبدرا مصيبا ، ولم أجتمع بالشيخ محمد عقيلة ، الدرة العقيلة ، لأن الاجتماع المعنى الجسمى ، تابع للتعارف الغيبى الملى الاسمى ، والسيد جعفر المذكور ، له قدم صدق مذكور مشكور . وقد بشر بحصول الألطاف وحباني بعد ما حياني عطفة بعد عطفة ، ودعا دعاء يملأ الإناء ، وودعته منصرفا ، وبفضله معترفا ومنه مغترفا

« وفى ثاني يوم ودعنا البيت الشريف المحمود ، ونزلنا مع رفاقنا الكرام (فى الشيخ محمود) ولما طفت طواف الوداع ، طفت الدموع ولها على الخدود اندفاع . وقلت :

طفت الدموع على الخدود سراعا لما فتحت من الوداع شراعا الخ

« ولما حللت تلك الدار المبرقة التى شموسها مشرقة ، وطموسها خارقة للنفوس وللحجب خارقة ؛ بادرت إلى الزيارة الجامعة لكل بارقة ، اللامعة أضواؤها بكل طارقة ، وعند الوصول إلى الوصول المأمول فى السابقة واللاحقة ، جرت خيول سيول دموع دافقة . ولما سكن القلب أنشد :

سكن الفؤاد فعش هنيا ياجسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد الخ

وفى ثانى يوم ، عمت فى بحر الزيارة البقيمية أى عوم ؛ وبت فى الليلة الثالثة من القدوم فى الحرم

الأمير يعمل مولداً ويفرق الدنانير :

وكان الأمير (أى أمير الحاج رجب باشا) عمل مولدا بين المشائين ، وبث فى الخدم دنانير الكرم

وكان يتردد على أحيانا صديقنا الواعى ، سيما عند الطواف بالبيت الجليل المساعى ، الشيخ محمد البقاعى ، حباه الله البواعث والدواعى ؛ فقلت فى سرى ولم يشعر بما فيه زرى ؛ مخاطبا السيد الأعظم ذى الكوكب الدرى ، يا سيدى إن كان لمحمد فى أخذ الطريق خيره بها لايدرى ، فسقه الآن وحرك سره وأثلج للعطاء صدرى ، فرأيته قام من مجلسه وأمنى ، وجلس بين يدى وصافحنى ، وطلب أخذ العهد ، ولم يكن له بذلك من عهد ، فأمرته أن يجدد الطهارة ويأتى قبالة الشباك الرفيع ، ويستغفر مئة مرة ويصلى ويسلم كثلها على خير شفيع ، ثم يستأذن فيما إليه قصد ، وينتظر ما الذى يرد على قلبه بعد ما للوارد رصد ، فعاد وأسرة وجهه تبرق وقال وقد انشرح صدرى ، فأجبته ولم أطرق وبات عندى ، وأكات فى ليلة عيدى قندى ، ولم أقم من مثاى ، إلا قبيل الفجر لقلق طفح به جاى ؛ ومذ تذكرت الفراق الذى يتحصن منه بألف راق ، طار لبى وطاش عقلى واندهش الفؤاد ، الجامع من وديان الحب على ألف واد ، وأذهب التذكار للبعد السرور والحبور والفرحا ، ورأيت ثقله على قلب الشغوف ينوف ألف رحى ، واستوحشت لنزل قرب ألفنا به ، ما يعجز عن حصره وعده ألف نابه ، وقلت وقد عضنا البعاد بنابه ، ليت ما حل بنابه :

يا سادة قلب المشوق أراعوا وداعهم والسر منه أذاعوا الخ

« وقد نص الخواص ومنهم الخواص أن خلع القبول ، لا تخلع على الحاج إلا عند الرسول ، ليزداد منه السرور ، بقبول السعى المشكور ، ولا بد للزائر من إكرام ، وهذه الخلعة نهاية الإنعام . وفضل الزيارة ، أحاديثه أنجم سيارة ، وفى بعضها : «ومن لم يزرنى .. وفى أخرى بزر قبرى فقد جفانى» لحق على وإن كنت المتوانى ان أسعى على أجفانى

« وذكر بعض أهل الكشف الربانى ، أن المجاورة فى المدينة لا يقدر عليها إلا الأقوياء من كل دانى ، لفرط ظهور النور المحمدى ، فى ذلك المقام الأوحدى ، وما أحق بيت أبى الطيب ، أن ينشد عند فراق أبى الطيب :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شئ بعدكم عدم

وقوله :

لولا مفارقة الأخيار ماوجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وقصيدة السباق فى ميدان السباق ، سيدى محمد البكرى ، ومطلعها :

يا رائحاً نحو الحجاز ميمماً يطوى الفلا بنجائب ونياق

ليلة الختام

وفى الليلة الرابعة بت فى الخيام ، وكانت تلك الليلة ليلة الختام ، فأيقظت سحرا ابن عمى ، وجئت معه للحرم مودعا فزال غمى ، وقرأت ورد السحر كما فعلت فى المرة الأولى ، وتقدمت

بمده لمواجهة الشيخين راج أن أمنح سولا . ودعوت بما أجراه قلم التقدير ، على لسان الفقير ، وقبل إعام المرة الثانية صاح صائح الفجر، بعد ما لاح لائح الأجر ، فركمناه جماعة ، ثم سرنا بعد ساعة، للبقيم ، وقد هالنا الوداع الفظيم ، ثم عدنا للخيمة المظلة، ولم نطف غلة الفراق المطلة

هد الخيام

ثم لما هدت الخيام ، وعزم الحج على المسير ، دون قيام ، أسرعت لتوديع المقام ، وأطلت الإقامة حتى كاد أن تفوتني الرفاق الكرام ، وتذكرت قول شيخنا القدام الشيخ عبد الغني (النابلسي) :

يا نبي الهدى إليك اعتذاري إنني من هواك في الأرض سائح
لم يطب غير طيبة لفؤادي أنا منها أشم طيب الروائح
كيف تبرى جراحتي في بلاد لحبيبي ثراها المسك فائح

اجتماع برجل مصري صالح

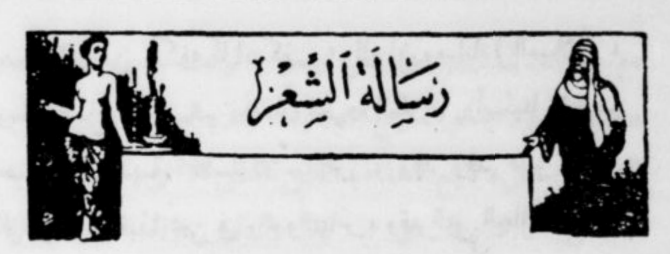
وكنت اجتمعت في الروضة الشريفة الماعة ، يوم العروبة ونحن منتظرون صلاة الجمعة الجامعة ، برجل مصري عليه هيئة العز ، وهيبة الصحا أهل العز ، فسألني عن الاسم والبلد، والأهل والوطن والمولد ، فأجبته وسألته عن مدة الإقامة ، في جوار صاحب العمامة ، والغمامة ، فأخبر أنها عد جيب فهي هي ، وصيب الحب يبتدى فلا ينتهي . فغبطته ، وسألته أن لا ينساني. وكنا صلينا الجمعة ونحن متوجهون للحرم المكي ، والخطيب في الكرتين واحد . وكنت أسمع خطيبنا يقول « يا سعد زوار الرسول » إذ يقول خطيبهم مظاهرا بقوله - لماذا، قال نبيكم هذا، فلم أسمع هذه المقالة من الخطيب ، ثم رجعت مفكرا عن السبب فإذا هو مصيب ، فإن الحاضر وإن أشير إليه بهذا لكن يحل مقام تخاطب الإعلام من هذا ، ألا ترى أننا لا نرى حسنا قولنا في حضرة سلطاننا قال ملكنا هذا ، وربما لو سمعناه من غيرنا نقول هذا هذا ، ونحمل حال من قال، على مقام الإدلال

« ولما جرى في وادي العقيق ، عقيق الدمع العقيق ، وخلفت جباله خلفي ، جعلت النوم خلفي ، ولم نزل نحني الكف ، بدمع قاني عن وكفه ما انكف ، إلى أن وصلنا (العلا) ، وخاف الحاج من عدم وجدان الجردة الفلا ، وأمسينا نضرب حيرة لا خديمة أخماسا للأسداس ، وقد وفد علينا جيش الوسواس ، فبذا نحن في وهم والتباس، وقد التقى البطان والحقب مما من الباس ، إذ سمعنا صوت كاس ، فتباشر الناس ، وهاجوا وماجوا وأخذوا بأيمانهم أكواب إيناس ، ولما تحققوا بقدوم أكياس ، تقتبس منهم نبراس أخبار نفاس، عن أهل وأوطان فتراجع إحساس ، واجتمع كل ناس بناس ، وزالت الوحشة ووقع البسط بلا قسطاس، وجئنا قلعة (تبوك) وثوب الصفا محبوك

في محطة الحسا ، سقوط الأمطار ، واضطراب الناس

« وما برحنا نقطع السباسب والقفار بدون أسا ، حتى وصلنا لمحطة (الحسا) فلما مررنا منها سح السحاب، واضطرب الناس أي اضطراب ، وحصل نقص في الجمال ، لموجب الفسخ من الأوحال ، وسقط كثير أحمال ، وكان يوما عبوسا ، لكن كفانا مولانا منه بوسا ، وحفت بنا ألطاف مددها وافى ، بسبب ذكر اللطيف والحفيظ والكافي . ودخلنا الشام في صحة وإنعام ، في السابع والعشرين من محرم الحرام ، عام (١٣٣١ هـ) أحسن الله منها الختام

سامي الخالدي



من ليالي الشاعر الحائر

ليلة حمراء

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قضيتها ليلة حمراء عاصفة ... قضيت فيها لباناتي وأوطاري
دخلت مخدعها الوردي فاشتعلت ... في القلب نيران أشواق وأفكاري
رأيتها في رداء الليل فاتنة ... سيان في جسمها المكسو والعاري
ترف من حولها الأزهار نادية ... تضم أحلام قلب واله وار
ويرقص النور أطيافا معطرة ... كأنها قبلات الكوكب الساري
لما رأتني وفي عيني أمنية ... للصمت يكشفها، والدمع الجاري
رنت إلي بطرف عابث غزل ... معربد ذي أحاديث وأخبار
وأومأت لي بنهد لاينى أبدا ... يحنو كطفل، ويستعلي كجبار
كأنه رغبة حمراء والهة ... تجسدت، فتوارت خلف أستار
لكنها حينما أوشكت ألثمها ... وكدت أقطف منها بعض أثمار
غنمت! والغواني شأنها عجب ... في الحب! ما بين إيسار وإعسار
تقول: حسبك ما أبصرت من عمري ... فاذهب ودعني؛ فقد هتكت أستاري
فقلت: رحماك! إني مغرم كلف ... دامي الفؤاد، غريب، نضو أسفار
لم تشد في دوحة الأيام أطياري ... ولم ترف على الأفنان أزهاري
قضيت عمري أغني للجمال سدى ... حتى تحطم في كفي مزماري
وكلما خلت أني قد ظفرت به ... ولى وأدبر عني أي إدبار
عشرون عاما مضت صحراء قاحلة ... لا تبصر العين فيها طيف أنهار
ماتت على رملها الأحلام وانبعثت ... كتائب اليأس تسري كالردى الساري
فلا الربيع جميل في مسارحها ... ولا الشتاء لذيذ الدفء في النار
ولا الصباح غناء الطير رنحها ... مر النسيم على غناء معطار
ولا المساء رجوع الطير تدفعها ... ذكرى ليالي الهوى في جوف أوكار
قد عشت فيها غريب الروح يقلقني ... دهري بكأس من الحرمان موار
واليوم جئتك روحا صيغ من لهب ... لا يستقر، وجسما صيغ من نار
وجئت بابك ضيفا يبتغي نزلا ... له ... فأين حقوق الضيف والجار؟

* * *

يا هند لو عنى دهري وحيرني ... وإنني اليوم أبغي الأخذ بالثار
رضيت باليأس زادا ليس ينفعني ... واليأس زاد محب غير مختار
يا هند إني لظمآن الحشا قلق ... وأنت ياهند.. أنت الجدول الجاري
يا هند أنت كتاب الحسن سطره ... رب الوجود.. وإني وحدي القاري
أنا الهزار حياتي كلها نغم ... موله وقعته كف أقدار
أنا المحب حياتي كلها شغف ... يسري بجسمي كنار أو كتيار
أنا الغريب حياتي كلها قلق ... كأنني زورق في كف إعصار
تهتز كأسي بدمع اليأس مترعة ... ما ضر لو ملئت من خمر عصار؟
إني فتى عشق الأحلام ساحرة ... فليس يتركها إلا بمقدار
أرعى نجوم الليالي وهي ساهرة ... وما نجوم الليالي غير سماري

* * *

أشكو إليها عشياتي التي ذهبت ... سدى، فتملأ بالأحلام أسحاري
وهبت للحسن أيامي وأعماري ... فضيع الحسن أيامي وأعماري!
وعشت للحب لا أبغي به بدلا ... فالحب أغنيتي، والحب قيثاري
كأن قلبي إذا ما الحب عانقه ... فراشة تنتشي بين أنوار
لا أشتهي غير قلب صيغ من شغف ... يحنو علي، ويمحو طيف أكداري
وليس في الكأس من خمر الحياة سوى ... بقية أحتسي منها بمقدار
غدا سأمضي، فلا الأنوار راقصة ... حولي تعانقها أنغام أوتاري
غدا ستبكي الليالي وهي قاتلتي ... ويسأل الدهر عني وهو حفاري
غدا تقولين: كم أشجى بأغنية ... أرق في السمع من أنغام أطيار
واليوم لم يبق من هذا الغناء سوى ... نوح الحمائم في أفنان أشجار
غدا يزورونني والدمع يغلبهم ... حاشاك ألا تكوني بين زواري
ياهند حسبي أني عشت منفردا ... كما يعيش سجين بين أسوار
وليس في الحب لو تدرين من حرج ... يا أخت روحي، ولا في الوصل من عار
فنوليني الذي أبغيه من زمني ... ولا تخافي حديث العائب الزاري
للناس فلسفة حمقاء جاهلة ... ولست أبصر فيهم غير ثرثار
فأذعنت، ثم لانت، ثم ما فتئت ... حتى أنالت جناها كف ستار
فرحت أملأ عيني من مفاتنها ... وألمس الجسم منها لمس أوتار

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ما قولكم في « فتوى كولا » ؟

قال الراوى ... وجاء الشيخ محمد عبده من الشام إلى مصر لابسا (كـكولا) فهبت عليه عاصفة الأزهريين وأفتوا بأن ارتداء هذا اللبس الذى يسمى (الـكـكولا) حرام ! ونشبت يوم ذاك معركة حامية دارت رحاها حول (الـكـكولا) وحكم لبسها فى الشرع : أهو حلال أم حرام ...

روى لنا الراوى ذلك الذى حدث فى مصر منذ عشرات السنين ، بمناسبة الفتوى التى أصدرها بعض كبار العلماء فى شأن (البيبسى كولا) مفتيا بأنها من طيبات ما أحل الله...

ولعل الذى ربط بين الحادثين ، فجعل هذا يذكر بذاك أن كلا من موضع الفتوى فيهما ينتهى بلفظ (كولا) ، وإن كان هناك فروق بينهما ، فـ (الـكـكولا) قيل إنها حرام وإن صارت فيما بعد حلالا ولبسها الأزهريون عامة ولبسوا أكثر منها ... و (البيبسى كولا) هاهى ذى يقال إنها حلال ولم تنته المعركة بعد ، ولسنا ندرى عم تتمخض ؟

أهيء الشعلة الحمراء فى جسدى ... ويستمد فؤادى وحى أشعارى

حتى انثنيت وفى صدرى معربدة ... هوجاء تهدر فيه أى تهدار

أضمها ضمة المشتاق روعه ... قرب الفراق، وبعد الأهل والدار

الصدر للصدر يشكو حر لهفته ... والثغر للثغر يشكو حرقة النار

حتى ارتمت فى فراش الحب شاكية ... كزهرة الروض تشكو مس إعصار

فبان من جسمها ما كان مستترا ... ولا تسلنى ... فتلك اليوم أسرارى

إبراهيم محمد نجا

ولـكن متحدثا آخر فى المجلس يكاد ينبه إلى أمر آخر يربط بين الحادثتين ، فيقول : أقد فرغ علماؤنا الأعلام من كل ما يرجى منهم فى الأمور الخطيرة بهذا البلد الحافل بالسيئات فلم يبق أمامهم إلا (البيبسى كولا) ، ولم يكن يبق أمامهم إلا لبس (الـكـكولا) ؟ ألا يدل ذلك على أنهم لا يتصدرون إلا فى (المايفة) !

ثم لننظر فى الفتوى التى أصدرها فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف « عضو هيئة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقا » مبينا فيها حكم الشرع فى شرب (البيبسى) قائلا بأنه حلال ، وقد نشرت صورة فضيلته مع الفتوى فى مختلف الصحف

لا أريد أن أتعرض للفتوى فى ذاتها ، فهى تافهة ، إذ كل ما فيها من فقه أن ثلاثة من المشتغلين بالتحليل الطبى قالوا إنها خالية من المواد الـكحولية والمواد المخدرة ومادة (البيبسين) المستخرجة من معدة الخنزير ، فهى إذن حلال . وكل مسلم يعرف أنه متى ثبت ذلك فلابد أن تكون حلالا !

إنما أريد أن أشير إلى ملابسات فى تلك الفتوى لأصل إلى أمر معروف بالبداهة .. وصبرا أيها القارئ الـكريم ، فيظهر أن بعض البدهيات يحتاج إلى تبيين وتدليل ! وتلك الملابسات هى :

١ — نشرت الفتوى فى عدد من الصحف ومعها صورة فضيلة الشيخ فى شكل الإعلانات

٢ — نشر قبلها إعلان يتضمن نفس التحليلات التى قال فضيلة الشيخ فى التمهيد للفتوى إنها وردت إليه

٣ — قال فضيلة الشيخ فى أول فتواه : « تلقيت كثيرا من الرسائل يستفتينى أصحابها عن شراب البيبسى كولا .. الخ » فلماذا قصر الاستفتاء والإفتاء على (البيبسى) ولم يشملا (الـكوكا) و (الزمبا) مع أن الشبهة فى الثلاثة واحدة ؟

٤ — كتب تحت العنوان فى وصف فضيلة الشيخ « عضو هيئة كبار العلماء » ولابد أن شركة (البيبسى كولا) لا تعلم أن كلمة « هيئة » قد استبدل بها « جماعة » من زمان

٥ — جاء فى الفتوى أن ذلك الشراب « مستحضرات

نباتية بحتة » وهى عبارة إعلانية معروفة ، وقد تكرم فضيلته بزيادتها على ما جاء فى تحليلات المختصين ، فمن عرف أن (البيبسى كولا) مستحضرات نباتية بحتة وفضيلته ليس محللا كيميائيا وإنما هو (محلل شرعى) فقط . . ؟

من ذلك كله نعلم — وإن كان هذا العلم بدهيا كما قدمت — أن الفتوى نشرت على أنها إعلان من شركة (البيبسى كولا) دفعت الشركة ثمنه للصحف بطبيعة الحال لأن أصحابها ليسوا ممن يبتغون الثواب عند الله بعمل المعروف للشركات.. ولا أدرى شيئا من ذلك بالنسبة إلى فضيلة الشيخ مخلوف ، ولهذا أوجه إلى فضيلته وإلى غيره من أهل العلم الاستفتاء الآتى بهذا النص :

ما قولكم دام فضلكم فيمن يكتب فتوى دينية لتنشر إعلانا عن شيء ؟

وأوجه الاستفتاء بهذا النص ، فقط ، فلا شأن لنا بمن يأخذ ثمن الفتوى

ولمن يفتينا الأجر والثواب من الله تعالى ، فسنعلم إن كان ذلك غير جائز شرعا أنه كذلك ، وإن كان جائزا أضفناه إلى بابه فى الفقه باعتباره من المستحدثات المصرية البحتة ...

الداء والدواء :

كانت وزارة الشؤون الاجتماعية خصصت فى ميزانيتها خمسة آلاف جنيه لمكافأة أحسن ثلاثة أفلام فى العام ، فلما عرضت هذه الميزانية على مجلس الشيوخ قرر حذف هذا المبلغ منها ، ذاهبا إلى أن الإرشاد الاجتماعى عن طريق السينما فى صورتها الحالية غير مجد إطلاقا

وهذا صحيح لا شك فيه ، بل الأمر على العكس ، فالسينما كما هى الآن وسيلة للإفساد الاجتماعى . . فكيف يقر البرلمان هذا الإفساد ويوافق على أن تكافئه الدولة ؟

وليس بغائب عنى أن وزارة الشؤون الاجتماعية إنما تريد استجابة الداعين إلى هذه المكافأة بقصد ترقية الأفلام ، أى أنها تثيب الإنتاج القيم وتشجعه

ولكن مجلس الشيوخ نظر من زاوية الواقع السيئ ، ولعله لم يجد أمامه طريقة مرسومة تضمن صرف المكافآت المطلوبة إلى أفلام تتوافر فيها صفات وعناصر معينة ، من لون آخر غير هذا المتفشى

والواقع السيئ أو الداء المتفشى ، هو اللجوء إلى اجتذاب الجماهير إلى الوسائل المثيرة للغرائز : من رقص خليع وأوضاع فاضحة ، وغناء مريض ، وكلمات نابية ، وكل ما عدا ذلك إنما هو فى خدمة هذه الوسائل وإظهارها ، فالقصة والحوار والأغنيات وغير ذلك ، تتجه إلى هذا «الرقيق الفنى»

ومفهوم طبعا أن أهداف الفن الحقيقية بعيدة عن تلك المقاصد

ولكن ما العمل ؟

أقول أولا : إن نفوس الناس تشتمل على ناحيتين : إحداهما غريزية حيوانية ، والأخرى إنسانية رفيعة ، والناس يستجيبون لإثارة الناحيتين . فصناعة السينما عندنا الآن تثير الناحية الأولى وعندنا أشياء أخرى غير السينما تسلك هذا السبيل لجلب «الزبائن» منها بعض الصحف والمجلات ، وكلها تعتمد على هذه الوسائل لستر الفقر الفنى والموضوعى وانعدام الشعور بتبعة «الرسالات»

وهذا العمل يطغى على كل عمل موضوعى يرضى الإنسانية الرفيعة ويراد منه إحياؤها فى نفوس الناس

والدولة من واجبها تنظيم الحياة الإنسانية فى أغراضها البعيدة ، كما تنظمها فى مظاهرها القريبة ، فهى تمنع وسائل الكسب الحرام كالسرقة والغش والاحتيال وما إليها ، لتمنع الإضرار بالناس وتحمل الأفراد على سلوك الطريق المستقيم فى كسب العيش ، فواجبها كذلك أن تضرب على أيدى العابثين بالفنون والمنحرفين فى قيادة الرأى العام ، وتمنع عبثهم وانحرافهم من إفساد المجتمع ، وتمكن بذلك لذوى الشعور بالتبعات القادرين على الإنتاج الموضوعى الذى ينفع الناس ويغذى الناحية الرفيعة فى نفوسهم

وليس سبيل ذلك إعانات تقرر ، لا ندرى كيف ستوجه ، وليس سبيله أن تتدخل فى الإنتاج من حيث الإرشاد والتوجيه ،

كما نسمع من يقول بذلك أحيانا ، فقد دلت التجربة على جهل الموظفين الذين يقولون ذلك

إنما السبيل أن تمنع الحكومة وسائل الإغراء المفسدة ، وهذا هو كل شئ في نظرى . . فإن ذلك المنع يقطع الطريق على أولئك العابثين الفارغين ، لأن إنتاجهم سيخلو مما يغرى الناس ولا يبقى فيه فن صحيح ولا موضوع قيم ، فيضطر الجاهل منهم إلى أن يبحث له عن مرتزق آخر أو يعود إلى مرتزقه الأول قبل أن يصطنع وسائل الاتصال بالجمهور ! والقادر على العمل الجدى لايجد له إلا العمل الجدى ولو كان ربحه قليلا . وعندما يظهر الميدان ينزل إليه الشرفاء المنقبضون

ذلك هو كل المطلوب من الحكومة لترقية الفنون في هذا البلد ، على أن تكون جادة وحازمة فيه ، فتشرع له وتسن القوانين الرادعة ، ولايقتصر الأمر على التصريحات التى تلقى إلى الصحف على أثر كتابات وشكايات ، والتى لاتزيد دائما على أن تكون حبراً على ورق

يقرأ وهو نائم :

هو الأديب حلمى إبراهيم محمد الساوى ، يقول فى رسالته إلى: « لقد بلغ بى حب الأستاذ صاحب العزة الزيات بك إلى حد أنى أقرأ له فى المنام كما أقرأ له فى اليقظة ، فقد سمعنى أحد الأصدقاء وكان يبيت معى ـ أقرأ مقال (الإسلام دين القوة) ومقال (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) ومقال (أدب المجون) ومقال (تحية أبطال الفالوجة) فدهش وأخذه العجب ... وانتظر حتى انتهيت من القراءة فأيقظنى وقص على ، فقلت إننى ياصديقى عاشق من عشاق الأدب فلاغرابة فى ذلك ، وأنشدت الأبيات الآتية تحية للزيات الأمير

ويلى ذلك قصيدة عصماء فى مدح صاحب « الرسالة » لانستطيع نشرها عملا بما جرى عليه أستاذنا من الامتناع عن نشر ما يمدح به فى الرسالة ، ومازلت أذكر موقفه من الشاعر الراوية المرحوم أحمد الزين ، إذ أنشأ الشاعر الراحل قصيدة فى تحية الأستاذ الزيات بك والإشادة أدبه لمناسبة ظهور أحد مؤلفاته ، وكان الأستاذ الزين من المشغوفين بكتابة الزيات ، وكان يترنم بفقراتها كما يترنم بالشعر الجيد على طريقته التى يعرفها أصدقاؤه . ومما يذكر بذلك أن الزين كان إذا أراد أن ينظم شعرا مهد للدخول فى جو الشعر بترنمه ببعض الأبيات التى يستعذبها وبعد ذلك لايشعر بما حوله حتى يفرغ مما يقول . وأذكر أيضا أن كنا فى لجنة التأليف والترجمة والنشر فى إحدى الندوات التى كانت تنعقد بها فى أمسيات أيام الخميس ، فرغب أحدهم إلى الأستاذ الزين أن ينشد مترنما على طريقته تلك ، فأبى ، لأنه لم يكن يفعل إلا إذا انبعث من تلقاء نفسه فى خلوته أو مع بعض خاصته . فأراد الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك أن يداعبه فقال : إن صوت الأستاذ الزين أجمل من صوت أم كلثوم! فغضب الزين من هذا التشبيه ، ولم تنبسط نفسه حتى ترضاه الأستاذ خلاف .

نعود بعد ذلك الاستطراد أو تلك (الدردشة) إلى موقف الأستاذ الزيات من قصيدة الزين ، فقد أبى نشرها فى الرسالة على رغم إلحاح الزين ومحاجته بأن ذلك من حقه ، لأن الرسالة ملك أدبى عام .. وأظن أن تلك القصيدة نشرت فى « الثقافة »

رحم الله الزين ، وعذرا لأديبنا « الساوى »

عباس خضر

مصيف بلطيم





تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف الدكتور جواد على

للأستاذ حمد الجاسر

هـذه باكورة من بواكير ثمار « المجمع العلمى العراقى » . وخير بواكير الثمار ما سد فاقة ، وجاد فى إبان الحاجة إليـه . ولقد كانت « المكتبة العربية » مفتقرة إلى كتاب شامل مفصل لتاريخ الأمة العربية ، فى الأحقاب التى تقدمت عهد « الرسالة » يجلو غامض تاريخها السياسى ، والاقتصادى والاجتماعى ، لأن مؤرخى هذه الأمة قد عنوا بتاريخها من ذلك العهد ، وما حوله وما بعده ، وتركوا الهوة السحيقة التى سبقته مجهولة المعالم ، خافية الصوى ، وعرة المسالك ، إذا رام سائر التوغل فى بيدائها وجدها كمفازة أبى الطيب :

يتلون الخريت من خوف التوى فيهـا كما تتلون الحرباء

غير أن حضرة الأستاذ العلامة الدكتور « جواد على » أمين سر « المجمع العراقى » جاز تلك المهامه جوزة الرائد ، وعاد منها عودة الفائز ، فأتحف الباحثين من أبنـاء العروبة وغيرهم ، المتطلعين إلى من يجلو لهم من خبرها اليقين ، المتعطشين إلى الارتواء من مورد معرفة أحوالها فى تلك العهود القديمة ، بكتاب قيم هو « تاريخ العرب قبل الإسلام » الذى قام « المجمع العراقى » بطبع الجزء الأول منه فى مطبعة التفيض ببغداد سنة ١٣٧٠ـ١٩٥١ ، فبلغ ٤١٧ صفحة ، سوى الرسوم الأثرية والصورات الجغرافية التى نافت على المشرين

يتحدث حضرة المؤلف الفاضل عن كتابه قائلا (١) : (هذا كتاب فى تاريخ العرب قبل الإسلام جمعت فيه قدر طاقتى كل ما استطعت أن أجمعه من تاريخ أهل الجاهلية ، شرعت فيـه سنة ١٩٣٦ أيام دراستى للهجات العربية الجنوبية ، وتاريخ العرب قبـل الإسلام على المستشرق « شتروتمن » فى جامعة « هامبرك » بألمـانية ، وانتهيت منه على هـذه الصورة فى سنة ١٩٥٠ . ولا أقصد أننى انتهيت من تاريخ الجاهلية ، فإن هذا الموضوع فى رأيى بحر لا ساحل له ، وأنا ما برحت واقفا عند طرفه .. وصنيعى هذا هو صنيع رجل طالب للبحث .. وهذا مما سوغ تسرعى فى إخراج هذه الأوراق وإن كنت لا أبرئ نفسى من الأغلاط التى قد تـكون فيها ، وهو غاية جهدى ، ومنتهى اجتهادى . والمجتهد إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر .. وبعـد فالـكتاب يتألف من أقسام ثلاثة ، تناولت فى القسم الأول منـه الحالة السياسية للعرب قبل الإسلام — وهو هذا القسم الذى أقدمه ، ويقع فى أجزاء — وتناولت فى القسم الثانى الحالة الدينية ، وفى القسم الثالث الحالة الثقافية ، وحضارة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام)

ويحوى هـذا الجزء فصولا خمسة ، الفصل الأول (من صفحة ٦ إلى ٨٥) : الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلى . يحدد المؤلف فى هذا الفصل معنى كلمة « الجاهلية » ثم يوضح المصادر التى يستقى منها ذلك التاريخ وهى — عند المؤلف

١ — النقوش والـكتابات القديمة

٢ — كتب اليهود كالتوراة والتلمود ونحوها

٣ — الـكتب « الـكلاسيكية » والسريانية ونحوها

٤ — المصادر العربية وهى القرآن الـكريم ، والتفسير ، والحديث ، والشعر

وفى الفصل الثـانى (٨٦ — ١٤٧) شبه جزيرة العرب ، حدودها ، وتـكوينها الطبيعى ، ومعادنها ونباتاتها وحيواناتها وأقسامها . ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث (١٤٨—٢١٩) عن صلات العرب بالساميين ، فيعرف الساميين ، ويحدد موطنهم ، ويتكلم عن موجاتهم ولغتهم وعقليتهم ، ثم يعود إلى تحديد كلمة « العرب » ويتبع ذلك بالـكلام على الأقلام واللغات العربية . ثم يسهب المؤلف فى الفصل الرابع (٢٢٠ — ٣٧٤) فى الحديث عن طبقات العرب وأنسابهم ، فيتحدث عن العرب

(١) ص ٣ ـ ٤

البائدة ، وعن القحطانيين ثم عن العرب المستعمرية ، ثم ينتقل إلى الكلام من « الدراسات الأنتروبولوجية » ثم يتكلم عن الأنساب ، فالقحطانية والعدنانية » ثم يشير فى أثناء الكلام على دراسة أسماء القبائل إلى بعض الآراء المتعلقة بهذا الموضوع « كالطوطمية » والأمومة ثم يلم إلى شئ من الحياة الاجتماعية ، ويختم الفصل بالكلام على طبقات القبائل . ويختم المؤلف هذا الجزء بالفصل الخامس (٣٧٥ — ٤١١) تاريخ شبه جزيرة العرب ، متحدثا من الآثار ، وعن الدولة المعينية ، ولا يتجاوز حديثه ذلك

هذه أهم مواضيع الجزء ، وهى مواضيع أوفى المؤلف جلها حقه بحثا وتفصيلا ، وإيضاحا ، ندر وجوده فى كتاب غيرهذا. ولقد حاول بعض المؤرخين المتأخرين كجرجى زيدان فى كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » أن يقوم بمثل هذا العمل إلا أن قدم كتابه ، ووفرة ما عثر عليه من آثار بعده ، وما قام به كثير من المستشرقين من الكتابة والتحقيق والتنقيب للوصول إلى حقائق أوفى وأصح فى هذا الباب ، وما امتاز به حضرة الدكتور الفاضل « جواد على » من سعة اطلاع على آثار أولئك المستشرقين مع دراسة تلك الآثار على أساتذة تخصصوا فى دراستها ؛ كل ذلك من الأمور التى تحمل على القول بأن هذا المؤلف جاء فريدا فى بابه . وليس معنى هذا أنه بلغ الغاية ، وحقق القصد من جميع النواحى ؛ فجهد الفرد مهما بلغ من القوة ينوء عن الاضطلاع بمثل هذا العمل العظيم : كتابة تاريخ واف كامل للعرب فى عهودهم القديمة التى لا تزال خافية المعالم ، مجهولة المسالك . وقد أوضح المؤلف ذلك حينما قال : (٢) (وإنى أعتقد أن الوقت قد حان لقيام العرب أنفسهم بالبحث فى تاريخهم القديم ، وقد أصبح لديهم نفر من المتخصصين ، لا يريدون من حكوماتهم إلا مؤازرتهم ومعاضدتهم ، فى إعداد وسائل النشر والبحث ، والسفر إلى مواطن الآثار ، للكشف عن آثار الأجداد ، وهو واجب قومى إنسانى معا . ومن العار أن يوصم هذا الشعب بالجهالة والبداوة ، وأن يقال عنه إنه شعب ساذج بسيط ظهرت الحضارة عنده فى أواخر العصر الأموى ، وأوائل العصر العباسى ؛ مع أن له تاريخا حافلا قديما ، وأن تتفضل أوربة وأمريكة عليه بإرسال بعثها إلى شبه الجزيرة للكشف عن كنوز الأجداد ، ويكون لها منة فى أعناقنا وفى استطاعتنا القيام بهذا العمل القومى الخطير .. وما أحوجنا إلى يوم نسمع فيه أصوات المتخصصين من العرب ترتفع لتحكم فى تاريخ شبه جزيرتنا حكما علميا منطقيا بفهم التاريخ خيرا من فهم الغرباء له)

وبعد : فلنقف من تقديم هذا الكتاب لحضرات القراء ، عند هذا الحد ، مزجين لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل الشكر الطيب ، على ما أسداه لأمته من يد ، وما قدمه للباحثين فى تاريخها من معونة ، راجين أن نتبع هذه الكلمة بأخرى ، نشير فيها إلى بعض ملاحظات ؛ ليس فى الإشارة إليها غضاضة على المؤلف الكريم ، ذى الصدر الرحب ، وليس فى ذكرها ما يقلل من أهمية هذا المؤلف القيم المفيد

القاهرة — محمد الجاسر

(٢) ٣٧٣ — ٣٧٤



بين طه حسين وعبد الرحيم محمود

فى شهر مارس الماضى اشتدت العلة بالأستاذ عبدالرحيم محمود ولازم الفراش رغم أنفه وهو الذى كان لا يطيق الجلوس ساعة كاملة فى مكان واحد ولا يتركه المرض إلا وهو سائر فى الطريق أو جالس بين أصدقائه يلعب الشطرنج أو غارق بين الأسفار القديمة يحقق لفظا لغويا ويغادره المرض أو يلازمه من غير أن يعيره اهتماما أو يمنحه أنة أو شكوى إلى أن تكاثرت عليه العلل وقهرته فاستسلم لها ولكن بقدر فكان إذا غربت الشمس يأخذه الحنين إلى أصدقائه فيخرج متوكئا على كتفى إلى أن نجد سيارة حتى لا يحرم نفسه لذة الجلوس بينهم والنظر إليهم حين يلعبون الشطرنج وساعتئذ ينسى أدواءه وكأنه طلقها ثلاثا ولكنه إذا رجع إلى منزله بعد منتصف الليل وجدها تحت فراشه فيستسلم لها مرة أخرى

وقد اضطرته قسوة المرض إلى الاكتفاء من قراءة الصحف بعناوينها اللهم إلا إذا جاءته أوراق من مطبعة المعارف من أحد كتب معالى الدكتور طه حسين باشا فإن جسمه ينشط وينسى المرض حتى يأتى عليها

وكان حريصا على إخفاء مرضه عن صديقه الدكتور طه لئلا تنقطع عنه هذه الأوراق أو يكون سببا فى إيلامه وإزعاجه، ولكن حين رأينا اشتداد العلة عليه اتصلنا فى صباح يوم ٨ من ابريل بمنزل معاليه على غير علم منه وأخبرناه بحالته فكان أول عمل له فى هذا اليوم الاتصال بالمستشفيات والأطباء، وفى الساعة الثالثة مساء فوجئنا بهيئة مكتب معالى الوزير تقتحم منزل الأستاذ عبد الرحيم وفى مقدمتهم الأستاذ فريد شحاته وأركبوه قهرا سيارة خاصة ذهبت به إلى المستشفى ومكثوا معه إلى ساعة متأخرة من الليل. وفى الليلة التالية حضر معالى الدكتور لزيارته بالمستشفى فعانقه وقبله، وقد اغرورقت عيناهما بالدموع. وأبى معاليه إلا الجلوس على كرسى خشبى بجوار فراشه، وبعد أن هدأت نفسه أراد أن يسرى عن نفس صديقه المريض فسأله عن صحته فقال الأستاذ عبدالرحيم: إننى لا أشعر الآن بمرض بل ببوادر الصحة وكيف أحس بالمرض ومعالى الدكتور وزير المعارف بجانبى؟ فقال معاليه: لا تقل هذا ولكن قل: إن الشيخ طه حسين يزور صديقه وزميله الشيخ عبد الرحيم ثم أخذا يتبادلان بعض الفكاهات الأدبية وكان ختامها وصية الدكتور له بعدم مغادرة المستشفى حتى تكمل صحته فقال الأستاذ عبد الرحيم: إنى لا أخرج من هنا حتى تكون صحتى مثل الحصان، فضحك معاليه وقال: بل أريد أن تكون صحة الحصان مثلك

ولم تنقطع استفسارات معاليه عنه يوما واحدا حتى سافر إلى أوربا وكان لا يطيق غياب سكرتيره الخاص فريد شحاته ولا يغفره له إلا إذا كان فى زيارة الأستاذ عبد الرحيم ويحاسب هيئة مكتبه إذا قصر أحدهم فى زيارته ويسأل كل زائر له بالمكتب يكون له بالأستاذ صلة عن صحته

وقد كان عليه رحمة الله - أحب شخصية إلى قلب معاليه لا يمل مجالسه ويستزيده منه، ويخصه بالإقبال عليه مهما عظمت شخصية زائريه

وقد ذكر لى الأستاذ يوما أنه بعد نجاح الدكتور طه فى الدكتوراه حضر إليه فى منزله ليقدم له الشكر على معاونته ومجهوده فقال له الأستاذ: إننى لا أريد شكرا بيننا. وبعد أكثر من ثلث قرن ذهب عبد الرحيم الى منزل معاليه ليشكره على مجهوداته فى مصلحة خاصة له فقال معاليه: لقد اتفقنا على ألا شكر بيننا

فأين ذلك الشاعر الذى سمع بالوفاء منذ القدم وأتعب نفسه فى البحث عنه بين الناس فلم يجده لأدله على مكانه وموضعه وأشير له الى معالى الدكتور طه حسين باشا حتى يريح نفسه ويريحنا من قوله:

سمعت قديما بالوفاء وليتنى علمت على الأيام أين وجوده

ابراهيم أحمد الوقفى

للإنصاف:

الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى شاعر رقيق الديباجة

فياض القريحة ، وناثر مستيقظ الذهن سريع الالتفتة ؛ مطواع القلم لا يحب أن يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا غمزها بسنان قلمه، وطعنها بشباة رأيه . وهو - فيما يبدو لنا من خلال تعليقاته المتلاحقة على كل شاردة وواردة وتصويباته المتتابعة لكل هينة وبينة - أديب مجتهد مسرف فى الاطلاع مدمن على القراءة شغوف باقتفاء الآثار الأدبية . وهذه - ولاشك - حسنة من الحسنات ؛ إلا أن تدفع بصاحبها إلى التهام القراءة التهاما خاطفا دون مضغها فى ريث وتمهل ، فذلك هو الجواد الجامح الذى لا تؤمن عثرته ولا تتقى كبوته ، ولو كان فارسه المجلى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

فقد أشار الأستاذ الناصرى فى (تصويباته) المنشورة فى العدد ٩٤٥ من الرسالة الزاهرة ، إلى أن هناك بيتا زاحفا فى قصيدتى « أول موعد » المنشورة فى العدد ٩٤٠ وهو هذا البيت :

واها لأزهـــارى التى « قطفتهن » لتفرحى

والواقع أنه ليس فى القصيدة بيت (زاحف) ولا (متسلق) وكل ما فى الأمر أنه حسب فعل العجز « قطفتهن » فعلا ثلاثيا لا يستقيم وزنه إلا بزيادة حرف الواو أو الفاء..والحقيقة أنه فعل رباعى - بالتضعيف - مستقيم الوزن لا حاجة به إلى واو أو فاء ولا إلى غيرهما من حروف الهجاء

وبمناسبة هذه القصيدة أذكر أننى كنت أشهد حفلا أدبيا فى اليوم الذى صدر فيه العدد المنشورة فيه قصيدتى ، وكان يجلس بجانبى شابان يبدو أنهما من تلاميذ المدارس الثانوية يحمل أحدهما ذلك العدد الذى راح يقلب صفحاته بين عينيه حتى أوفى على صفحة الشعر حيث طفق يتلو القصيدة على مسامع صاحبه فى صوت خفيض ، وحين وصل إلى البيت :

ماذا ترى ألهــاك من (عـدة) اللقاء الأول ؟

تعثر لسانه بكلمة « عدة » ولم يفطن إلى قراءتها على وجهها الصحيح ، ومن ثم أحس بفجوة عميقة فى جدار البيت ، وأبصر بثغرة واسعة اندفع منها يعيب القول والقول صحيح ، ويتهم القائل والقائل برئ . وطافت بثغرى ابتسامة ساخرة ، ولمحت روح المتنبي ترفرف من حولى هاتفة ببيت معروف من أبياته الخوالد لا وجه لذكره فى هذا المقام ، فشتان ما بين غلطة الجاهل وبين هفوة العالم ، فتلك تصدر عن فهم سقيم ، وهذه تصدر عن سهو العليم ، وجل من لا يسهو

هذا ويسرنى أن أنتهز هذه الفرصة فأبعث للأستاذ الناصرى بجزيل الشكر وجميل التحايا وصادق الإعجاب

عبد الرحيم عثمان صارو

الشحاذ كلمة عربية

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى كلمة بالعدد (٩٤٥) من مجلة الرسالة الغراء تعرض فيها لكتاب « ملامح من المجتمع العربى » للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن ؛ وكان كل ما أخذه حضرته على المؤلف أنه لم يكن موفقا - على مايزعم - فى استعماله كلمة « الشحاذة » لأن المعنى الذى سيقت له فى الكتاب وهو « الاستجداء » لم يصح فى اللغة العربية

والحق أن ما ذهب اليه الأستاذ المؤلف فى كتابه هو عين الصواب ؛ فهذه الكلمة قد وردت فى كثير من كتب اللغة بالمعنى الذى يقصده المؤلف ويرمى إليه ، فقد جاء فى « تاج العروس » « الشحذ : الإلحاح فى السؤال ويقال هو شحاذ ، أى ملح عليهم فى سؤاله ، قال عمرو بن جميل :

بق على الوابل والرذاذ وكل نحس ساهك شحاذ »

وفى « محيط المحيط » : « الشحاذة التسول والشحاذ المتسول يقال هو شحاذ ملح ولا يقال شحات وقيل يقال ، وهو مستعار من شحذ السكين ، أو لأنه قد شحذ نظره أى حدده إلى الناس وإلى ما فى أيديهم »

وفى « القاموس المحيط » : « والشحذ كالمنع السوق الشديد والغضب والقشر والإلحاح فى السؤال . وهو شحاذ ملح »

وفى « دائرة المعارف لوجدى » : « وشحذ الناس سألهم بإلحاح والشحاذ المتسول »

وفى « المصباح المنير » : « وشحذته الححت عليه فى المسألة »

وفى « أقرب الموارد » : « الشحاذ المتسول يقال هو شحاذ ملح »

وفى « المنجد » : « الشحاذ المتسول أى المستعطى »

هذا ما جاء فى كتب اللغة ، وهو واضح صريح لا يحتاج إلى تعليق ولا توضيح

أحمد مختار عمر



قصة حشاش

للقصاص الشاب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان الليل بوشك أن ينتصف حين خرج « حسن العبد » من دار « عوضين » بعد أن قضى سهرته المعتادة يدخن الحشيش ويشرب الشاى ويتبادل مع الجالسين أطرف النوادر وأعذب النكات ! وكاد أن يقع على الأرض حين اصطدم بكومة سباخ فى جانب الطريق لم يتبينها أثناء سيره المضطرب .. والواقع أن الظلام الكثيف الذى كان يجثم على القرية، والموضوع الدقيق الذى كان يشغل فكره منذ خرج من دار عوضين، أو بعبارة أدق منذ خرجت « دربة » من الحجرة التى كانوا يجلسون بها وهى ترمقه خلسة بنظرتها الساحرة الفاترة تلك التى تشيع الخدر فى أوصاله والنشوة فى خواطره !

الواقع أن كل ذلك كان يمنعه من أن يستبين طريقه وأن يتعرف مواطىء قدميه .. وماذا تكون كومة السباخ ؟

بل ماذا يكون اصطدامه بها بالنسبة للموضوع الشائك الذى يفكر فيه ؟

إنه يريد أن يطلق زوجته « حميدة »، هذا ماعول عليه ... أخيرا. وهل تستطيع الآن أية قوة أن تمنعه من ذلك !

لقد سئم الحياة مع هذه المرأة الثرثارة المشاغبة.. تلك التى تجعله يشك فى حقيقة رجولته .. أجل .. إنه يشك فى ذلك فما معنى كونه رجلا ؟ وما معنى كونه رب عائلة ؟ ما دامت هى تدس أنفها الطويل فى كل شئ. فهى مثلا لاتفتأ تسأله كلما عادمتأخرا فى المساء .. أين كنت تسهر ؟ ومع من ؟ كأنها أبوه .. وكأنه لا يزال طفلا !

لطالما لفق لها الأكاذيب .. وقال - كنت فى دوار العمدة .. وكان يكفى هذا الرد البسيط لكى يلجم لسانها الطويل .. !

فكل ما تتمناه « حميدة » أن يسهر زوجها فى خدمة العمدة .. أليس العمدة هو صاحب الأرض التى يزرعها « حسن العبد »؟ أليست خدمة الملاك هى أولى واجبات الزراع .. ؟

ثم مالها هى وشؤون الغيط ؟ إنها تدفعه إليها دفعا وتتهمه بكل صغيرة.و كبيرة فلا يدرى أهو زوجها حقا أم أنه أجير لديها ؟

إنه لا يفهم الرجولة إلا أن تكون كلمته هى النافذة ورأيه هو المطاع ..وإلا أن تستجيب هى لكل أوامره دون أن تعترض .!

وهو إن صبر على ذلك فلن يصبر على أمر آخر كثيرا ماضاق به وأثار فى نفسه مشاعر الغيظ المكتوم والضيق المختنق. لماذا تحاول دائما أن توقظه قبل الفجر لينهض للصلاة وراء الشيخ « شحاته » مؤذن المسجد ؟ أعنى فى نفس الوقت الذى يجمل فيه النوم وتطيب الأحلام .. إنه يعرف أن النساء ناقصات عقلا ودينا، سمع ذلك من الواعظ مرارا وهو يزور القرية . فهل تحاول امرأته أن تكذب كلام الواعظ ؟ ولماذا لا يكون لتلك اللعينة مآرب آخر تستره وراء ذلك الادعاء الفارغ المكذوب .. !

لا لا .. لم يعد أن يحتمل ذلك كله .. وأن يواصل سلسلة الأكاذيب التى يلقاها بها كل مساء ليربط فيها لسانها الطويل .. سوف تسأله كعادتها

— أين كنت تسهر ؟ وفى هذه المرة سيرد عليها بعنف

— وما شأنك بى ؟ سوف تثور وإذ ذاك يقطع ثورتها بكلمته الحازمة — أنت طالق .!

وترتسم على شفتيه ابتسامة عريضة مزهوة لا تلبث أن تستحيل إلى ضحكة مجلجلة سرعان ما تتناثر أشلاؤها على صخور الصمت الملقاة هنا وهناك فى شعاب الليل الرهيب ..

وتبقى نفس الابتسامة العريضة الزهوة مرتسمة على شفتيه. إنها تزف الى خياله صورة رائعة .. تلك هى صورة « دربة » .. دربة .. أخت « عوضين » وأرملة الشيخ محجوب .. لقد مات منذ عام فورثت عنه فدانين هما من غير شك للسعيد الذى يظفر بها .. دربة بثيابها الطويلة الجميلة تلك التى تضيق وتتسع تلبية لرغبات الجسد البديع الفاتن .. وضفيرتيها المنسقتين وقد تدلتا على صدرها فى مجون كأنهما يدا عاشق .. وصوتها .. أجل صوتها المضمخ بعطر الأنوثة .. الأنوثة التى ظلت فى دنان الزمن عاما كاملا حتى عتقت ؟؟

إنه يحس لتلك الرؤى الجميلة بنشوة عذبة تجعله يغرق فى الضحك ومن جديد يبتلع الليل صدى ضحكاته وتبقى نفس الابتسامة العريضة المزهوة ... إنها تزف صورة إلى خياله . صورة درية فى وضع آخر فى بيته ... ما أجمل أن تصبح درية زوجته ! وما ألذ أن يحمى هذا الجسد الطاهر طوع يديه !!

وهنا وبالرغم عنه تتراءى فى مخيلته صورة زوجته « حميدة » بجسدها الأعجف النحيل الذى يشبه عود الذرة اليابس ، وفمها المتشقق المزبل الذى يشبه ورقة التوت الذابلة ... وثيابها القذرة التى تكنس فيها الدار وتكسح الزريبة وتمضى إلى الحقل ..!!

لشد ما يكرهك « يا حميدة » أنت أيتها الثرثارة الشغوب ..

ويهز رأسه فى ضيق وكأنه يريد أن ينتزع منه تلك الصورة البغيضة ...!!

وكأنما تحرر خياله من تلك الصورة فتراءت له « درية » من جديد ..

وهى تخطر فى أنحاء داره بخطوات كلها دلال وجمال وترنو إليه بعيون كلها إغراء وفتنة وتضحك له بصوت كله عذوبة وسحر ..

ولا يكاد يمضى فى طريق الأحلام خطوات قصارا حتى يقف ... لقد استوقفه خاطر سخيف ملح ... ذلك الخاطر الذى يصور أقاربه وأصحابه ، وهم يسألونه فى لوم وتأنيب :

كيف تطلق زوجتك ؟ وأبناؤك . . من غيرها تربيهم وترعى شؤونهم ؟

حقا أنى له أن يقنع هؤلاء بأنهم مخطئون ... أنى له ذلك وهم لا يعرفون شيئا عن تلك المعاملة القاسية التى تعاملهم بها تلك الأم الحنون . . ليتهم ينظرون إلى أثوابهم التى تضج بالرقع حتى لكأنها ثياب المتسولين . . . لطالما قال لزوجته إنه سيشترى لأولاده ثيابا جديدة ، ولكنها كانت تقول له . . . إن النقود التى معك سنحتاجها نحن فيما هو أهم . سنشترى بها أذرة فمحصولنا لا يكفى طيلة العام . أما ثياب الأولاد فسوف أرتقها أنا ... وهكذا لا يهدأ لها بال حتى تملأ ذلك المخزن الطينى الذى صنعته بنفسها فوق السطح لتخزن فيه الحبوب . . . يا لها من امرأة مشاغبة ملحاح تكاد تكفر بالله . ألا تؤمن تلك اللجوج الطامعة بأن الأرزاق على الخلاق ..!!

لا ، لا يمكن إذن أن يلقى بالا إلى هؤلاء الأقارب والأصحاب مهما ألحوا وألحفوا ..!

ودار مع الطريق الموصل إلى بيته ..ودار بخياله هذا الخاطر: لو كانت « درية » هى الآن زوجته ، أكانت تسأله أين كنت تسهر ؟ وكان الجواب شعورا بالسعادة يخالطه شعور بالأسف

ونظر قبالته فرأى ضوءا ينبعث من دهليز داره : هذا الضوء الذى يلقى فى روعه بأن زوجته مازالت تنتظره . . لشد مايمقت هذا الضوء ومايرمز إليه من معان ..!

وفجأة تذكر شيئا غاب عن خاطره تذكر أنه وعد « زكى السواح » بزيارته هذه الليلة . ولكنه لم يذهب .. ترى ماذا سيقول عنه « زكى » وعن مواعيده ؟ وتساءل ماذا لو ذهبت إليه الآن ! ولكنه مضى فى طريقه من جديد حين تذكر أن صاحبه لايسهر حتى هذه الساعة من الليل ..!

وتلكأ فى خطواته حين أخذ يشغل خواطره هذا السؤال الغريب المريب ..

ماذا يقول للناس حين ينكرون عليه أنه طلق زوجته من أجل ذلك السبب الضعيف الواهى ..؟ زوجة تسأل زوجها أين كان . ماذا فى ذلك ؟ . لاشىء مطلقا يستدعى الطلاق. أما كان الأوفق أن ينتظر حتى يحدث بينهما شىء آخر ذو بال ، وما أكثر مايحدث بينهما من أسباب الخلاف ودواعيه ؟

وضاق ذرعا بهذا السؤال وجعل يتلوى فى جنبات الطريق كأنما أراد أن يهرب منه ..

ولم يكد يقترب من الباب حتى أحس بموجة حماس مفاجئة جعلته يطرق الباب بعنف لم يكن يماثله إلا دقات قلبه ..

وحين انتهى إلى سمعه صوت زوجته وهى تقول بنبرة جافة كأنها الصراخ :

— مين ؟

أحس كأن قلبه يترنح فى صدره ويتخبط فى أضالعه ...

وانفرج الباب عن وجه حميدة المتقلص المغضوب وانفرجت شفتاها اليابستان عن هذه الكلمات الحانقة ...

— وهذه الليلة أيضا ... أين كنت تسهر ... ؟

ومضت فترة صمت طويلة قبل أن يجيب حسن العبد فى هدوء متخاذل ...

— كنت فى دوار العمدة ... !!

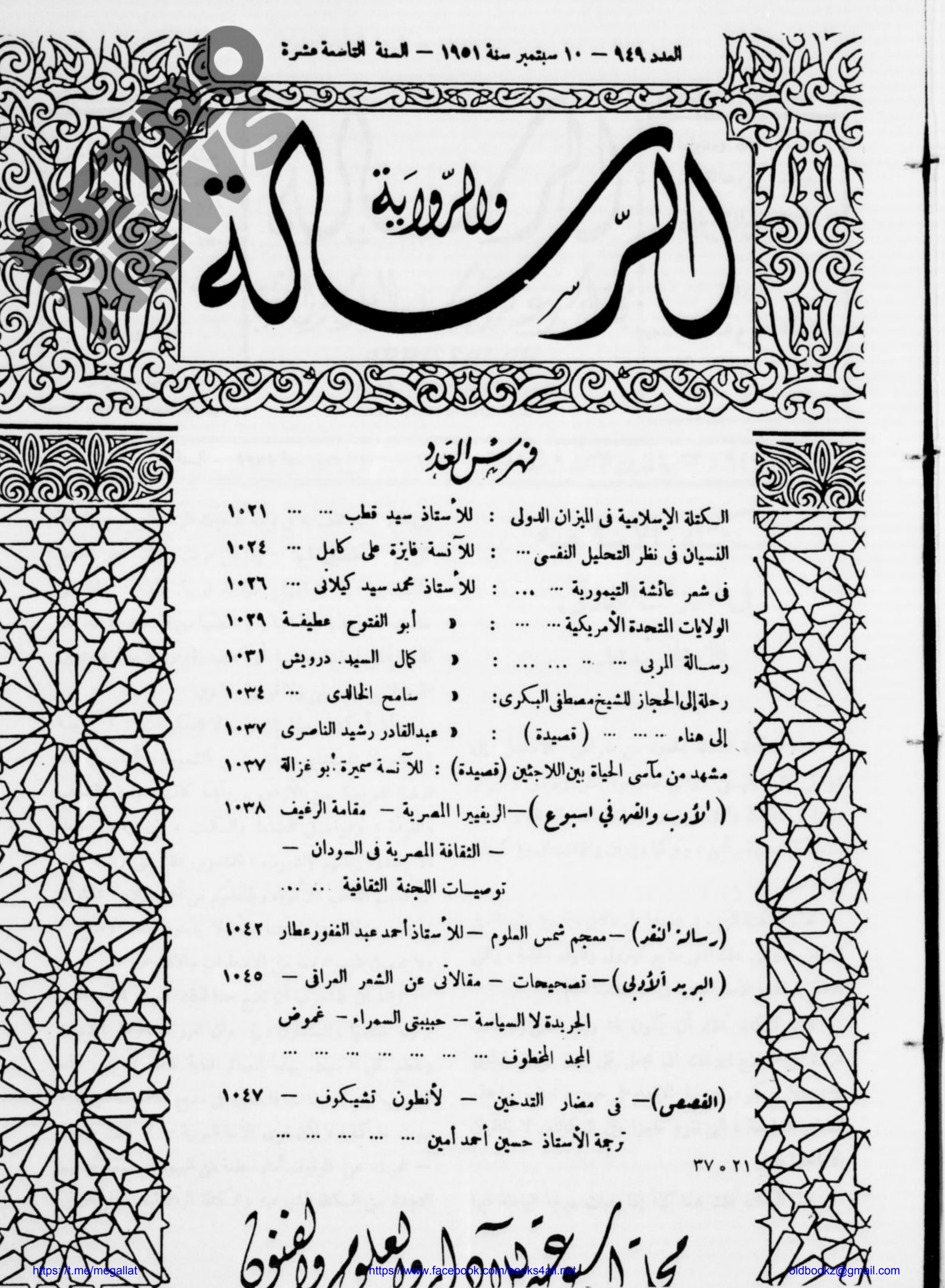
محمد أبو المعالى ابو النجا



مطبعة الرسالة



العدد ٩٤٩ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

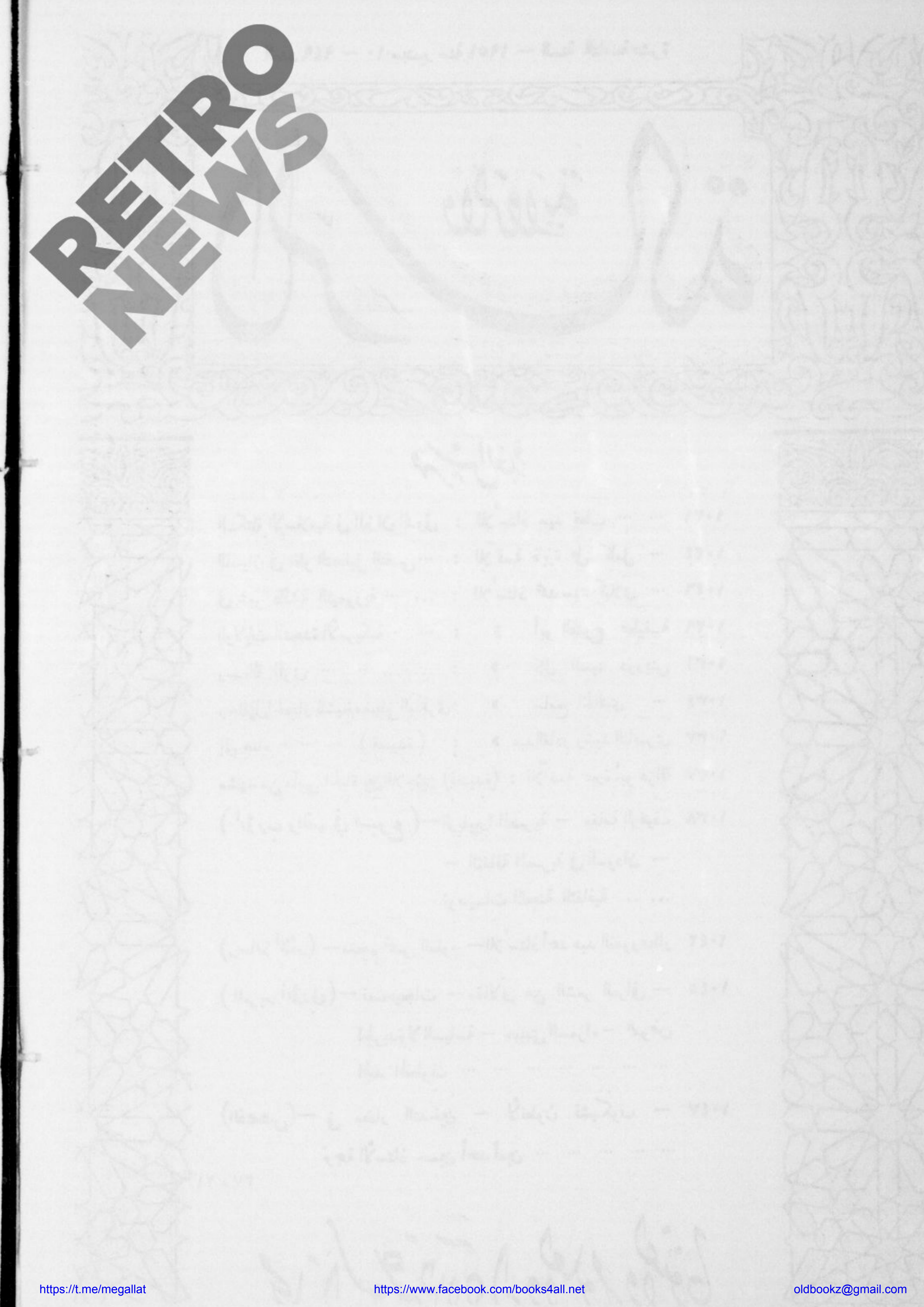


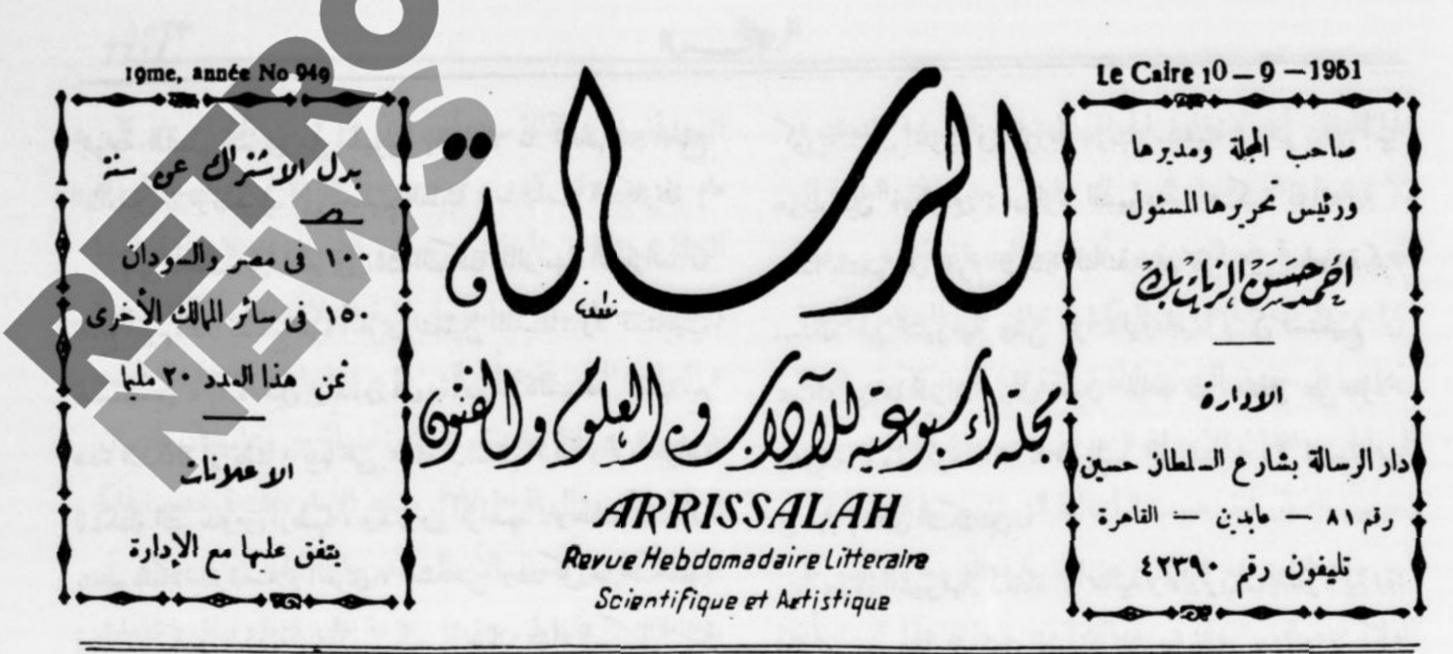
الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢١ ٥ ٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




19me, année No 949 — Le Caire 10 - 9 - 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات بك

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ ذي الحجة سنة ١٣٧٠ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الكتلة الاسلامية
في الميزان الدولي

للأستاذ سيد قطب

هذه الكتلة المتصلة الحدود من شواطئ الأطلنطي إلى شواطئ الباسيفيكي ؛ والتي تضم مراكش وتونس والجزائر وليبيا ، ومملكة وادى النيل وسوريا ولبنان والعراق والأردن والمملكة العربية واليمن ، وتركيا وإيران وأفغانستان وباكستان وإندونسيا

هذه الكتلة التي يربى عددها على مائتين وخمسين مليوناً من السكان ؛ والتي تملك أغنى منابع البترول والمواد الخامة ؛ والتي تتحكم بمواقعها الاستراتيجية في مواصلات العالم

هذه الكتلة تملك أن يكون لها وزن ، حتى ولو كانت مجردة من السلاح ؛ وتملك أن تجعل كل كتلة من الكتلتين المتنازعتين تفكر مرتين قبل الإقدام على حرب ، تجتاح فيها هذه المناطق الشاسعة ، التي تقوم حاجزا بين الكتلتين لا تلتقيان إلا باجتياحه

هذه الكتلة تملك هذا كله إذا وصلت درجة اليقظة فيها إلى الحد الذي تقف به في وجه الدعايات الزيفة التي يقوم بها دعاة كل من الكتلتين فيها ... إذا هي عرفت كيف تجبر حكامها والمستغلين فيها على انتهاج سياسة قومية خالصة ... إذا هي نظمت اقتصادياتها وإمكانياتها وخلصتها من الاستعمار الاقتصادى الذى يمكن له فيها حكامها أو أصحاب رؤوس الأموال المستغلين الذين لا يهمهم وطن ولا قومية ولا دين

وأنا أكتب هذا للشعوب لا للحكومات : أكتبه للجماهير لا للمستغلين ، وأنا مؤمن بالشعوب والجماهير في تلك الرقعة العريضة من الأرض . وأيا ما كانت عوامل الضعف والفرقة ، وعوامل الضغط والكبت ، فإن واجب الدعاة ألا يفقدوا إيمانهم بالشعوب ؛ فالشعوب تملك متى تريد . تملك أن تسبب المتاعب للأقوياء وحلفائهم من أهل البلاد . تملك أن تكلف هؤلاء وهؤلاء عنتا دائما لا يأمنون معه الاندفاع ، ولا يحمون ظهورهم معه من الاضطراب والانتقاض

ولقد آن للشعوب أن تضع حدا لذلك العبث الآثم الذى يزاوله حكامها والمستغلون فيها ؛ وأن تقرر مصائرها بأيديها ، وتقطع كل يد تعبث بهذه المصائر لغاية خاصة لا تعنى هذه الشعوب ... لقد ضاعت فلسطين على مذبح المنافسات بين عدة بيوت حاكمة ، لا لأن قوى الأمة العربية — أيا ما كانت ضعيفة — عجزت عن الوقوف أمام حفنة من اليهود ، مهما جاءتهم النجدة من الكتلة الشيوعية والكتلة الرأسمالية . ولو كان في

مجموعة الشعب العربي من الحيوية إذ ذاك ما تحطم به أطماع الطامعين ، وتضرب على أيديهم العابثة ، ما وقعت الكارثة

إننى أهتف بالجماهير فى تلك الكتلة المترامية الأطراف أن تفتح أعينها فلا تسمح مرة أخرى بتمثيل المأساة ، ولا تستجيب للمستنفعين فيها ، حين يريدون أن يقودوها كالذبيحة لتقف مع هذه الكتلة أو تلك ، بينما هى تملك أن تسبب الربكة والاضطراب للكتلة التى تدوس أرضها ، وتدوس كرامتها ؛ وبذلك تملك أن يتمتع العالم بفترة سلام أخرى ، تنشأ من تردد كل من الكتلتين فى أن تكون البادئة ، وأن تكسب بذلك عداء الكتلة الثالثة

وليس فى هذه الدعوة التى أدعوها هنا مستحيل . وما يراها مستحيلة إلا الذين يختانون أنفسهم ، ويحتقرون ذواتهم ، وييأسون من الشعوب التى تملك كل شيء حين تريد ... إننى يائس من الزعماء ، يائس من الحكومات ، يائس من مئات أو ألوف خدعتهم الدعاية الرأسمالية أو الدعاية الشيوعية ... ولكننى لست يائساً من الشعوب — على ما يجثم عليها من جهل ومن ضغط اقتصادى ، ومن قنوط فى بعض الأحيان . إن هذا كله إلا غاشية سطحية تزول . وستقف هذه الشعوب على قدميها يوما ، وستحطم كل من يعترض طريقها من المستعمرين والمستغلين ... ونحن فى الطريق

* * *

غير أنه يبقى سؤال هام : على أى أساس تقوم هذه الكتلة الثالثة ؟ وما هى مقوماتها الأصلية ؟

إن أول ما يخطر على البال أن تقوم هذه الكتلة على أساس من وحدتها الجغرافية والاقتصادية ، وعلى أساس من مصلحتها المشتركة فى اتقاء الحرب الثالثة التى ستدمرها تدميرا

ولكن هنالك أساسا آخر أشمل وأوفى ؛ يتضمن هذه المقومات السابقة ، ويزيد عليها عنصر آخر له أثره العميق فى النفس البشرية . ذلك هو الفكرة المشتركة عن الحياة ، تلك التى تنبع منها كل مقومات الحياة الأخرى

لقد قال « ماك أرثر » قائد الحملة الرأسمالية السابق فى كوريا : إن الحرب فى كوريا حرب مذهبية ؛ وهو يعنى أنها حرب بين فكرتين : فكرة الشيوعية وفكرة الرأسمالية . وهذا يقتضى أن تقوم الكتلة الثالثة حين تقوم على أساس فكرة مستقلة عن الشيوعية وعن الرأسمالية جميعا ، كى تستطيع أن تمسك بيدها الميزان ، وأن يكون لها هدف مستقل عن هؤلاء وهؤلاء ، وفكرة ثالثة تدعو إليها الفريقين ، ولا تضيع هى فى غمار إحدى الكتلتين

ودعاة الشيوعية كدعاة الرأسمالية ، يحاولون أن يقنعونا بشدة: أن ليس فى هذا الكون إلا فكرتان ونظامان ، وأنه لا يمكن تصور فكرة ثالثة ونظام ثالث. فإلا تكن شيوعيا فأنت رأسمالى، وإلا تكن رأسماليا فأنت شيوعى ، وهو تفكير متحجر مضحك . تفكير الذين لا يرون بعيونهم ولا يسمعون بآذانهم، إنما يتلقون ما يقوله لهم هؤلاء أو هؤلاء تلق الحاكى أو الببغاء، ونحن لسنا ملزمين أن نستحيل جميعا آلات ولا ببغاوات !

إننا نعلم - الآن على الأقل بعد ما صدرت عدة مؤلفات حديثة تكشف لنا عن النظام الاجتماعى الإسلامي ، وتشرح لنا فكرة الإسلام الأصيلة عن الحياة — أن هذا النظام ليس هو النظام الرأسمالى كما تعرفه الكتلة الغربية ، وليس هو النظام الشيوعى كما تعرفه الكتلة الشرقية ؛ إنما هو نظام اجتماعى مستقل ، يقوم على أساس فكرة عن الحياة مستقلة . وقد تتشابه بعض جزئياته أحيانا مع النظام الرأسمالى ، كما تتشابه بعض جزئياته أحيانا مع النظام الشيوعى . ولكنه ليس أحدهما بكل تأكيد . فهو نظام آخر ذو مقومات أخرى . ميزته أنه يحقق مزايا النظامين ويتقى عيوبهما فى الوقت ذاته

ولكننى أكتفى بالإشارة إلى مسألة واحدة تثبت كيف يجمع النظام الإسلامي بين مزايا الرأسمالية والشيوعية وكيف يتقى عيوبهما جميعا ... تلك هى مسألة الملكية الفردية

إن الرأسمالية لتطلق حق الملكية الفردية ، وتدع رؤوس الأموال تتضخم ، فلا تتدخل حين تتدخل إلا بفرض الضرائب على الأرباح ، بنسب عالية كما اضطرت إلى ذلك أخيرا .. وميزة

هذا النظام أنه لا يقاوم الحوافز البشرية الطبيعية للتملك ، ولا يضعف الرغبة فى العمل إلى أقصى حد وبذل الطاقة إلى أقصى حد ، ما دام الفرد يحس أن جهده له وعاقبته إليه . وعيبه أنه يدع الرغبة الجامحة فى الكسب تطغى على المصالح الجماعية وتدوس على حقوق المنتجين الحقيقيين وهم العمال ، كما تدفع بالدولة إلى الحرب لضمان الأسواق للتصريف ، وضمان الخامات بسعر رخيص ... إلى آخر عيوب الرأسمالية التى تشنع بها الشيوعية

وإن الشيوعية لتصادر حق الملكية الفردية ، وتضع كل الموارد ومرافق العمل فى يد الدولة ... وميزة هذا النظام أنه يمنع كل عيوب الرأسمالية التى أسلفنا . ولكن عيبه أنه يقاوم الحوافز البشرية الطبيعية ؛ ولا يحفز الفرد إلى بذل أقصى طاقة ما دام الحد الأعلى لما يحصل عليه هو مجرد كفاية ... وقد اضطر ستالين أن يخرج على قاعدة رئيسية من قواعد الماركسية فيبيح التفاوت بين الأفراد بحسب تفاوت الكفايات ، ويبيح نوعا من الملكية الفردية الشخصية ، وبدأت الشيوعية بذلك تكذب نفسها فى هذا وهى فى أيامها الأولى ! — كما أن عيب هذا النظام هو مقاومته لحرية الفرد فى العمل ، وحريته فى الاعتقاد ، وحريته فى السلوك . وهى حريات قد يصبر جيل أو جيلان أو عدة أجيال على فقدها ، لأنهم فى معركة مع النظم الأخرى ، ولكن البشرية بطبيعتها لا تصبر على فقدان هذه الحريات طويلا ، وإذا ماتت فيها رغبة الحرية فقد مسخت فطرتها مسخا ؛ وخسرت كيانها الإنسانى فى سبيل لقمة الخبز كالماشية والحيوان !

فأما الإسلام فيبيح الملكية الفردية ، محققا كل المزايا التى تحققها هذه الإباحة . وفى ذات الوقت يحرم وسائل الكسب التى تضخم رؤوس الأموال على حساب الطبقات العاملة أو على حساب المجتمع كله . فهو يحرم الربا ، والاحتكار ، ويقضى بتأميم المرافق العامة التى يشترك فى الانتفاع بها الناس جميعا ؛ ويجعل للعمال حقهم فى نصف الربح الناتج من العمل (استنادا إلى تصرف النبى صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر) .. ثم هو يأخذ — اثنين ونصفا فى المائة من رأس المال — لا من الأرباح — كل عام فى صورة زكاة . . ثم — وهذا هو الأهم — يبيح للدولة الممثلة للجماعة أن تأخذ من رؤوس الأموال — لا من أرباحها وحدها — ما تستلزمه الحاجة بلا قيد ولا شرط تحقيقا لمبدإ « المصالح المرسلة » أى التى لم يرد فيها نص ، ولمبدإ « سد الذرائع » أى اتقاء النتائج السيئة المحتملة — وهما مبدآن مقرران فى الإسلام . وإلى المبدإ الأول يستند الإمام مالك فى منح الحاكم حق الأخذ من أموال الأغنياء بقدر حاجة الجند إذا لم يكن فى بيت المال الكفاية . . ومثل حاجة الجند للدفاع سائر الحاجات الاجتماعية التى تبرز على توالى الأزمان

وبذلك يتقى الإسلام كل عيوب الملكية الفردية ويبقى مزاياها جميعا . ويحقق كما قلت مزايا النظامين : الرأسمالى والشيوعى ويتقى عيوبهما جميعا

وهو بهذا نظام مستقل ، تشبهه الرأسمالية أحيانا وتشبهه الشيوعية أحيانا ، ولكنه ليس واحدا منها بكل تأكيد ، ونحن لا نكذب عقولنا ، ولا نكذب حقائق النظام الإسلامى الواضحة لنقول مع دعاة الشيوعية : إن الإسلام رأسمالى ، أو أنه لا يمكن أن يكون نظام ما إلا نظاما رأسماليا ، أو نظاما شيوعيا ، ولا ثالث لهما فى الواقع ولا فى التفكير ، كما يقولون فى تحجر ، ثم ينتظرون منا أن نسلم لهما بما يقولون !

هنالك إذن فكرة ثالثة لنظام اجتماعى ثالث ، يمكن أن تقوم على أساسها الكتلة الثالثة ، فتكون لها كل مقومات الكتلة المستقلة . وليست هى بحاجة إذن إلى الاندماج أو الفناء فى إحدى الكتلتين ، أو فى إحدى الفكرتين

هذه الفكرة الثالثة ليست مجرد عقيدة دينية — كما يريد بعضهم أن يتصور — إنما هى نظام اجتماعى كامل يقوم على هذه العقيدة ؛ بل نظام إنسانى شامل يحدد العلاقات بين الأفراد والجماعات ، وبين الشعوب والحكام ، وبين الدولة والدول فى المجتمع الدولى ، والمحيط الإنسانى . . وهذه ميزتها الكبرى . ميزتها أن توحد بين عقيدة الفرد ونظام المجتمع ، وشكل الدولة ،

النسيان فى نظر التحليل النفسى

للآنسة فائزة على كامل

— تتمة —

عرضنا نظرية «فرويد» الخاصة بالنسيان فى المقالين السابقين وهى كما شاهدنا مملوءة بالآراء التى لا يستطيع أحد أن ينكر ما تمتاز به من الجدة والعمق . فقد طبعت النسيان بطابع ديناميكى وأقامته على أسس نفسية لم تخطر ببال أحد من قبل . ولكن هذا لايمنع من أن تكون موضع نقد ، فالدراسة الدقيقة لها تبين أنها تثير مشكلات كثيرة اعترف بها أنصار فرويد أنفسهم .

لقد كان فرويد متطرفا فى قوله : كل تلك الأفعال البسيطة التى تأتيها كفلتات اللسان وأخطاء السمع ونسيان الأسماء . الخ تقوم على الصراع النفسى والكبت . إنه بذلك جعل علتها هى علة الأمراض النفسية . فإذا كان ذلك كذلك فلابد أن يتساءل الفرد : كيف يمكن أن تكون العلة واحدة وتؤدى إلى حالة مرضية مرة ولاتؤدى إلى ذلك مرة أخرى ؟! واجه « رولاند دالبيز » هذه المشكلة ، ووجد أنه لابد من تبديل نظرية فرويد فقال إن تلك الأفعال تحتل المستويات السطحية من البناء النفسى .. فالذات تعرف الإثارة المكبوتة وهى شاعرة بنضالها ضدها ، بعبارة أدق نستطيع أن نقول إن هذه المؤثرات التى تكون الصراع موجودة فى مستوى « ماقبل الشعور »[1] وهى فى حالة « قمع » (رفض إرادى شعورى) أكثر منها فى حالة « كبت » (كف لاشعورى أتوماتيكى) .

كذلك أوضح « إرنست جونز » أنه ستنتج نتيجتان بناء على آراء فرويد : الأولى أنه لن يكون ثمت وجود للحالة العقلية العادية بمعنى أن كل فرد يصدر عنه مايدل على نقصان فى الوظيفة العقلية يتجلى فى مادة مفصولة مكبوتة : وهذه العملية هى واحدة سواء لدى الأفراد الأقوياء أو المرضى بأمراض نفسية . وإذا أنعمنا النظر وجدنا أن تلك المادة المكبوتة هى نفسها التى ينتج منها المصاب . الثانية : أنه لايوجد كما يجب حد فاصل بين الصحة العقلية والحالة المرضية . وسيكون التمييز بين هاتين الحالتين قائما على أساس اجتماعى ، فإذا أدى الصراع إلى تعطيل القدرة الاجتماعية فإن الحالة تكون عصابا ، أما إذا لم يحدث هذا فتكون بإزاء شذوذ أو خلق شخصى .. الخ

فى الواقع أن تفسير فرويد للنسيان فى المجال العادى لا يمكن قبوله بسهولة ، فمثلا يذكر « بير Pear » أنه نسى مرة مظلته بعد أن ألقى محاضرة فى بلدة ما ، ولم يجد أى تفسير شخصى لذلك النسيان كأن يقال تبعاً لفرويد إنه كان مكرها على إلقاء هذه المحاضرة .. الخ . إن السبب الوحيد هو عدم الانتباه . ويعترف « بير » بأنه إن كان حقا هذا التفسير لايوضح لنا العلة فى نسيان المظلة وعدم نسيان أى شىء آخر إلا أنه لايمكن إنكار أن هذه العمليات الذهنية من عدم انتباه وتشتت الفكر .. الخ تساعد على النسيان كما تشجع الظلمة والوحدة اللص على السرقة

وبالمثل يفند « دوجاس Dugas » أقوال فرويد فيتذكر أن

---

(١) قال فرويد بثلاث مستويات فى النفس : الشعور conscious وماقبل الشعور preconscious واللاشعور unconscious

---

وعلاقات البشرية . فإذا نفذ الفرد عقيدته ، فهو فى الوقت ذاته يؤدى واجبه — بهذا التنفيذ — كفرد فى جماعة ، وفرد فى دولة ، وفرد فى إنسانية . بلا تعارض بين نشاطه فى هذه المجالات جميعا

والنظام الذى يقوم على أساس عقيدة ، ويستمد منها وجوده وحدوده ، هو نظام أقوى وأعمق وأقدر على المقاومة؛ لأنه يستمد قوته من داخل النفس ومن أعماق الضمير ، ومن سلطان لايعلوه فى النفس سلطان

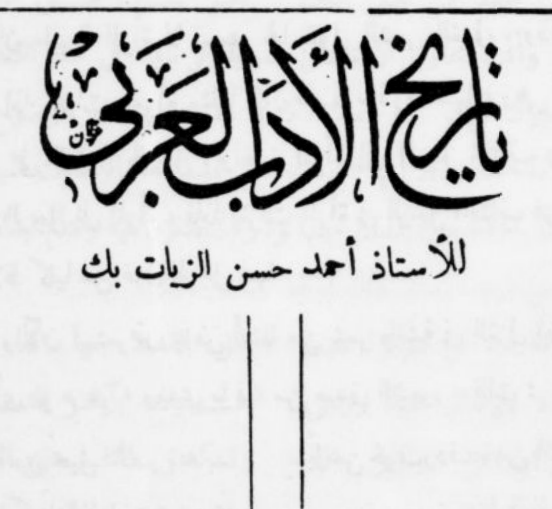
سيد قطب

« نيوتن » نسى لزمن معين اكتشافه الخاص بحساب التفاضل ، وكان « لينيه Liné » ينسى أحيانا أنه المؤلف أثناء انهماكه فى قراءة مؤلفاته فكان يصيح قائلا : ما أجل هذا ..! ليتنى أستطيع كتابة شيء مثله ..! ويقول « بسكال » إننا لو أجرينا له امتحاناً لجأة دون سابق إنذار فى محتوى مؤلفاته فانه ربما يفشل فى الإجابة . فلو أخذنا برأى « فرويد » فإن مثل هذا النسيان سيرد إلى عقدة مهنية ولكنه واضح أنه تفسير غير مقنع . فهنا كما يقول « دوجاس » يجب الرجوع إلى طبيعة الأشياء ، فالنفس تستبعد منتجاتها الناضجة أو الأفكار والمشاعر التى لا تجد فيها ما يثير اهتمامها. إنها تنساها ولا تبالى بها ، فهى تحاول التحرر من الأفكار كما تتحرر من الأهواء . ويقول « جيته » إنه لا يكترث بالمؤلف الذى انتهى ، فهو لا يشغله بعد ذلك لأنه سيتوق إلى شئ جديد . فالمؤلف يصطنع حالة عقلية معينة لكل مؤلف من مؤلفاته.. فطبيعى أن يترك هذه الحالة بانتهاء موجبها. ومثله كمثل الممثل الذى يتقمص شخصيات مختلفة تبعاً للأدوار التى يقوم بها . فما لا شك فيه أن مثل هذا النسيان أمر طبيعى.. أما النسيان الذى يكون فيه فقدان دون تعويض ، فتختفى الأفكار اختفاء تاما وتعرض وحدة الذات للخطر، ويحطم الاتزان العقلى .. ويكون هذا بداية لاضطراب نفسى .. فهذا هو النسيان المرضى

فى الواقع إن تطرف « فرويد » يرجع إلى أنه يقيم آراءه على حتمية صارمة . فما يحدث فى النفس ليس بظواهر منعزلة أو عرضية إنما هو ظواهر تتصل بظواهر سابقة عليها وأخرى لاحقة بها . إنه لا يوجد محل للصدفة فى المجال الجسمى؛ وكذلك يجب أن يكون الحال فى الميدان العقلى . لهذا لا يقتنع فرويد برد بعض الأفعال إلى العادة؛ ولا يعترف بعلل عدم الانتباه والسهو وما شابه ذلك . ولكننا شاهدنا ما يثيره هذا المبدأ من اعتراضات وما يؤدى إليه من مآخذ

وهكذا إننا لا نستطيع أن نتغاضى عن أنه يوجد نسيان يعد تبسيطا للشعور أو تقليلا من محتويات الذات وهو نسيان عادى مفيد لأنه يصون النفس ويحميها من تعدد التأثيرات ويقيها شر التشتت فيجعلها تحافظ على وحدتها . فليس كل نسيان اسم أو كلمة يرجع إلى الكبت ، وليست كل فلتة لسان ناتجة عن صراع نفسى دفين إن النسيان والتذكر وجهان لوظيفة عقلية واحدة . فالنسيان هو الذى يسمح بالانتقال من حالة ذهنية إلى أخرى . فإن أنفسنا تتبلور فى أنظمة مختلفة من الأفكار والتصورات فينتج النسيان عند استبدال نظام بآخر . فإذا اختفت ذكرى معينة فإنما تختفى باعتبارها مجموعة من الأفكار ليس لها ضرورة .. ومن ثم انسحبت من الطريق لتفسح المجال لذكرى أخرى . إن الفكر المادى الكامل هو الذى لا ينسى شيئا يجب أن يحتفظ به ، ولا يحتفظ بشئ يجب أن ينساه

فائزة على كامل



فى شعر عائشة التيمورية

١٨٤٠ — ١٩٠٢

للأستاذ محمد سيد كيلانى

جمعت عائشة التيمورية شعرها فى ديوان سمته « حلية الطراز » به ١٣٩٦ بيتاً ، منها ٥٥٤ بيتاً فى باب الغزل ، والباقى فى أغراض مختلفة

وقبل أن نخوض فى غزل عائشة نريد أن نسأل أنفسنا سؤالاً وهو : هل يحق للمرأة أن تقول شعراً فى الغزل ؟ وإذا حق لها ذلك ففيمن تتغزل ؟ أتتغزل فى امرأة مثلها ؟ أم تتغزل فى رجل ؟ الواقع أننا إذا نظرنا إلى ما وصل إلينا من آثار شاعرات العرب لا نجد لهن بيتاً واحداً فى الغزل . فمما لا شك فيه أن عائشة انفردت دون سائر الشاعرات العربيات بما نظمته فى هذا الباب وقد تكون سلكت بذلك مسلكا وعراً ، وجاءت أمراً إدا

إن طبيعة المرأة لا تسمح لها بقول الشعر الغزلى . وذلك لأنها إذا تغزلت بامرأة مثلها كان هـذا شذوذا منها ، وهى لن تجرؤ على التغزل بالرجل ، ونظرة المرأة إلى الرجل تختلف عن نظرة الرجل إلى المرأة ، فإذا تغزلت المرأة فى الرجل اختلف غزلها اختلافا كليا عن غزل الرجل فيها

والآن نستعرض بعض أمثلة من شعر عائشة فى الغزل لنرى من أى نوع هو ، ومدى ما فيه من صدق الشعور . قالت :

أفديه حين نحيل الخصر منه بدا … يهتز من خوف ردف خص بالثقل
بكر الكميت إذا دارت بحضرته … من وجنتيه غدت حمراء فى خجل
لو قابل البـدر نشوانا بغرته … لصار طالع بدر الأفق فى زحل

وقالت :

أفديه لما صحا من سكره سحرا … وللطلى أثر فى خـــده باقى
وقام يخطر والأرداف تقعده … وخصره يشتكى سقما لمشتاق
وقال لى بلسان السكر خذ بيدى … فمذ من لحظه الماضى بخلاق

وقالت :

الصب بالأعتاب أصبح يرتجى … عطفاً ولـكن المنـــال بعيد
أنسيت صدقى فى حروب عواذلى … وجميعهم شاكى السلاح شديد
قصدوا بوارى بالسلو وما دروا … أن اصطبارى فى هواك أكيد
ولقد أذعت هواك بين عواذلى … وسهامهم تدمى الحشا وتبيد

فأنت ترى أن عائشة تذكر الحواجب والوجنات والخصر النحيـل والأرداف المـكتنزة والخدود والألحاظ ، وتحدثنا عن وقوفها أمام أعتاب الحبيب وما كابدته من عناء وألم فى سبيل الحب ، وما لقيته من عذل العذال وكيد الوشاة والحساد ، وغير ذلك مما يجرى على ألسـنة الرجال ، ويتغنى به الشعراء عادة فى قصائدهم الغزلية . فكأنها — والحالة هذه — تقمصت شخصية الرجل ، وخلعت عنها أنوثتها

نصف شعر عائشة فى الغزل . فإذا قيل إنها كانت تروض القول كدأب الشعراء فى ذلك العصر ، فلم اختارت باب الغزل بالذات لتتخذه ميدانا للتمرن على القول ؟ ولم أتت بهـذا القول الماجن الذى يكاد يكون مكشوفا ؟ إن كثرة تغزل المرأة بواحدة من جنسها ، يخلق عندها شذوذا ، ويبتعد بها عن طبيعة الأنوثة ابتعادا كبيرا . وحبذا لو أنها لم تطرق هذا الباب . والظاهر أن عائشة لم تـكن مكتملة الأنوثة ، ولذلك أخفقت فى حياتها الزوجية إخفاقا تاما . وهجرها زوجها ، ثم إنها لم تذكر هذا الزوج ولا فى بيت واحد من شعرها

ولقد أرادت عائشة أن ترفع لواء النهضة النسوية فى مصر وحاولت أن تخلق حولها جوا أدبيا ، لذلك صنعت هذا الغزل وكانت فيه متكلفة ، ونشرته فى حياتها ، وهذه جرأة عجيبة وبخاصة فى العصر الذى عاشت فيه ، ولو أنك طلبت من فتاة تعيش فى هذه الأيام أن تقول مثل هذا الغزل ، لوجدت منهـا إعراضا تاما

* * *

وكان بعض أدباء عصرها قد نظم قصيدة جاء فيها :

ماذا تقول إذا اجتمعنا فى غد … وأقول للرحمن هـــذا قاتلى

فأجابته قائلة :

إن كان موتك من قسى حواجب … كالنون أو من سحر جفن ذابل

أو غرة مثل النهـار وطرة كالليل أو من جور قد عادل
أو من لحاظ تسحر الألباب إذ تروى لنا سلب النهى عن بابل
فهى التى فعلت ولم أشعر بما فعلت فـكيف تلومنى ياسائلى
أنا ما قتلت وإنما أنا آلة فى القتل فاطلب إن تردمن قاتل
ومتى أريد قصاص سيف أوقنا هل من سميـع مثل ذا أو قائل
والله قد خلق الجيل ولم يقل هيموا بلين قـــده المتمايل
ما قال ربك قط يا عبدى أطل نظر اللاح ويا جيلة واصلى
فعلام تطلب بالدماء وتدعى زورا وتطمع فى محال باطل

لبث الشعراء أجيالاً طوالا يشكون من سهام العيون وسحر الألحاظ ، ويبكون لهجر الحبيب وامتناعه عنهم ، ويتألمون لقسوته وإعراضه ، ويطلبون وصاله ويتمنون قربه ، فلم تنهض للرد عليهم امرأة واحدة . وفى الحق أن هذا الجواب طريف ومفحم فى نفس الوقت . طريف لأنه لم يسبق له مثيل فى الشعر العربى . ومفحم لقوة حجته ووضوح بينته . فأنت ترى مقدمة منطقية تنتهى إلى نتيجة لا يسمك معها إلا التسليم . أما المقدمة فهى أن المرأة آلة وليست فاعلة للقتل . والنتيجة التى تصل إليها أن الآلة لا تسأل وإنما يسأل القاتل . ثم انتقلت بعد تلك الحجة المنطقية إلى حجة دينية لا تقل إفحاما وهي :

ما قال ربك قط ياعبدى أطل نظر اللاح ويا جيلة واصلى

ومن هنا تبطل دعوى من يطلب بدمائه المسفوكة لأن دعواه أقيمت على غير أساس كما تقول عائشة

ولو أن الشعراء من قديم الزمن سمعوا هذا الرأى واقتنعوا به لأراحونا من بكائهم وتحيبهم على هجران الحبيب.. وأعفونا من الشكوى من بعده وصده ، ولفقد الشعر العربى جزءا كبيرا من ثروته

ولقد أضحكنى قولها :

وإذا رأيت الحب من ألم الجوى هد القـوى بشدائد البأساء
عاطيه سلفات الحديد تـكرما من قلبك الجافى بـكل رضاء

فاستخدام سلفات الحديد هنا مما يضحك . وهذه دعابة لطيفـة

٭ ٭ ٭

وكانت الشاعرة قد أصيبت برمد شديد لازمها شهورا . وقد عانت منه مشقة كبيرة . فنظمت فى ذلك عدة قصائد وصفت فيها ما فعله الرمد بها وما جره عليها من البلاء . وهذه القصائد جديدة فى موضوعها . والظاهر أن عائشة وجدت مجالا جديدا للقول ، فانتهزت فرصة إصابتها بهذا المرض ، وأنشأت فى ذلك جملة قصائد . وكان من المحتمل أن تصور لنا حالتها النفسية فى هذا الشعر ، وتنقل لنا إحساسها الداخلى الذى سيطر عليها آنئذ . ولـكنا — مع الأسف الشديد — نقرأ هذه القصائد فنجد أن هم الشاعرة هو التلاعب بالألفاظ والتعابير . وهذا مما لا يفعله الحزين الذى برح به الألم ، وأضناه السقم . قالت :

طفا ماء الجفون وما دنت بى سفين الشوق من جودى الوصال
وقد أصبحت فى بحـر عميق من الظلمـاء مجهود اللال
ضللت بليل أسقامى طريق إليكم سـادتى فانموا ضـلالى
فوا أسفـا على إنسـان عينـى غـدا فى سجن سقم واعتقـال
حجبت بسجنه عن كل خل وصرت مخاطبا صور الخيال
أإنسان العيون فدتك روحى يهون لعود نورك كل غالى
أترضى البعد عن عينى أليف أضر بعـزمه ضـيق المجال

وأنت تحاول أن تتلمس شعوراً ولو تافها فى هذه القصيدة فيعجزك ذلك . وكذلك كل ما نظمته فى هذا الموضوع . إلا أنك ستلاحظ أنها اتخذت من قصائدها الرمديات ميدانا للغزل . فشخصت إنسان عينها وشرعت تتغزل فيه وتتألم لبعاده ، وتتمنى قربه. ومثال ذلك قولها

وقالوا مات ، قل موتوا بغيظ لجل القصد حيا قد أتانى
وجـدد بالوصال حياة روحى أعـــوذه بآيات المثـــانى
فدعنى يا خلى والخل نخلو ونـكحل بالثنـا جفن الأمانى
لمرآة الجـال ووجه بدر دعانى بيوسف الثانى دعانى
حبيبى بالذى أعطاك نورا نقـود به كما ترضى عنـانى

فهذه الأبيات تـكشف عن نفسية خاصة . فالشاعرة قد استحضرت فى ذهنها صورة يوسف الصديق وقد امتنع عن امرأة العزيز حين همت به وغلقت الأبواب وقالت هيت لك فقال معاذ الله . فشبهت نفسها بامرأة العزيز وإنسان عينها بيوسف . ثم تخيلت أنها نهضت وغلقت الأبواب وراودت يوسف عن نفسه

وهمت به فلم يمتنع عليها ولم يقل معاذ الله ، وهذا الغزل مهما كان من أمره — تظهر فيه الأنوثة . وهو بذلك يختلف عن غزلها المتقدم الذى ذكرت فيه الأرداف والأعجاز ، والذى تقمصت فيه شخصية الرجل ونظرت إلى المرأة بمنظاره وفكرت فيها بفكره

وعائشة أول شاعرة تقول هذا الغزل الأنثوى المكشوف . وهى بذلك قد خرجت على العرف والمألوف . ولكنها كشاعرة لا يضرها هذا ولا ينقص من قيمتها ولا يحط من قدرها . وأى شاعر موهوب حافظ على العرف ووقف عند التقاليد ؟!

وقد كررت فى قصائدها الزمديات كثيرا من الصور والمعانى والتراكيب ..ومثال ذلك قولها

طفا .ماء الجفون وما دنت بى   سفين الشوق من جودى الوصال

وقولها :

سفينة العين قد فازت من الغرق   وأشرقت تزدهى من ساحل الحدق

فليس أمامها غير صورة سفينة .. فتارة تقول « سفينة الشوق » وتارة أخرى تقول « سفينة العين »

° ° °

ولعائشة التيمورية رثاء جيد . ولا عجب فى ذلك فالمرأة بطبيعتها تجيد البكاء وتحسن العويل وبخاصة إذا أصيبت بفقد بنتها أو ابنها أو والدها أو أمها ، ومن أحسن مراثيها وأشهرها قصيدتها التى رثت بها بنتها « توحيدة » ومطلعها :

إن سال من غرب العيون بحور   فالدهر باغ والزمان غدور

ولكن يجب أن نلاحظ أن الأبيات الأولى من القصيدة فيها تكلف ، وأن الشعور الداخلى فيها لا يكاد يرى .وأن الجزء المؤثر من هذه القصيدة يبدأ من قولها

طافت بشهر الصوم كاسات الردى   سحرا وأكواب الدموع تدور

وبعد أن ذكرت المرض وما فعله ببنتها وتحدثت عن الطبيب الذى جاء وبشر بالشفاء ، أدارت حواراً على لسان بنتها فأنطقتها بأبيات إذا قرأها الإنسان تحدرت منه العبرات .وهذا هو الشيء الذى أسبغ على تلك القصيدة روعة ، وأكسبها قوة وضمن لها الخلود . انظر إلى قولها

أماه قد عز اللقاء وفى غد   سترين نعشى كالعروس يسير
وسينتهى المسعى إلى اللحد الذى   هو منزلى وله الجموع تصير
قولى لرب اللحد رفقا بابنتى   جاءت عروسا ساقها التقدير
وتجلدى بإزاء لحدى برهة   فتراك روح راعها المقدور
عودى إلى ربع خلا ومآثر   قد خلفت عنى لها تأثير
صونى جهاز العرس تذكارا فلى   قد كان منه إلى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتى لك بعد ذا   لبس السواد ونفذ المسطور

للكلام بقية   محمد سيد كيلانى

الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

- ١ -

« لم تتفق السماء والأرض على تهيئة مكان لسكنى الإنسان خير من هذا المكان » .

جون سميث ؛ مؤسس مستعمرة فرجينيا ١٦٠٧

« إننا لنؤمن ببداهة هذه الحقائق : وهى أن الناس جميعا خلقوا سواسية وأن خالقهم وهبهم حقوقا معينة لا تقبل التحويل منها الحياة والحرية والسعى لتحقيق السعادة »

وثيقة إعلان الاستقلال . ولية ١٧٧٦

ثالثة دول ثلاث تتحكم فى السياسة الدولية فى عصرنا الحاضر .. ومصير الحضارة القائمة ومستقبل العالم أمانة فى أعناقها .. وعلى هذه الدول الثلاث وهى بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة تقع تبعة ما يصيب الإنسانية والإنسان من خير أو ضر

وهى أرض الحرية .. وكانت عند كشفها وما تزال ملجأ المعذبين والمضطهدين من أهل أوربا ، وقد حرص الشعب الأمريكى أشد الحرص على توكيد حريته ، وعلى تحقيق سعادته ، وأعلن ذلك فى صراحة تامة فى وثيقة إعلان استقلاله ١٧٧٦

وهى دولة فتية وأمة غنية تمتاز بعظم ثروتها الزراعية والمعدنية والصناعية ، وتشغل مساحة واسعة تمتد من المحيط الأطلسى شرقا إلى المحيط الهادى غربا ، وتزيد مساحتها على عشرة أمثال مساحة القطر المصرى ، وهى أكبر من أستراليا وأصغر قليلا من أوربا .. وأما عدد سكانها فيزيد على ١٢٠ مليون نسمة منهم نحو ١٢ مليونا من الزنوج يسكنون فى الولايات الجنوبية

وتتكون هذه الدولة من عدة ولايات ، كان عددها فى أول الأمر وعند إعلان الاستقلال ثلاث عشرة ولاية ، ويبلغ عددها الآن ثمانيا وأربعين ولاية ، وقد اتحدت هذه الولايات مع بعضها اتحادا فدرائيا وكونت جمهورية الولايات المتحدة وتحتفظ كل ولاية إلى الآن باستقلالها ، فلكل منها حكومتها وبرلمانها وقوانينها وتشترك الولايات جميعا فى الحكومة المركزية التى تشرف على المسائل العامة التى تهم الولايات جميعا ، مثل الدفاع والسياسة الخارجية والتجارة الخارجية ، وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد

ويتحدث الناس عن هذه الدولة فيقولون « أمريكا » ولكن هذه التسمية ليست صحيحة ، فإن الولايات المتحدة ليست إلا ثالثة دول ثلاث تحتل القارة الأمريكية الشمالية . أما الدولتان الأخريان فهما كندا والمكسيك . ولكن الولايات المتحدة أعظم الدول الثلاث شأنا وأقواها أثرا .. ومن هنا أطلق عليها « أمريكا » وهو من باب إطلاق اسم الكل على الجزء لما لهذا الجزء من أثر وخطر

عالم جديد :

ظل سكان الدنيا القديمة يجهلون أن هناك أرضا واسعة لم تكتشف بعد حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى . وكان كشف القارة الأمريكية مفاجئا : ذلك أن البرتغاليين حملوا كل جهودهم للوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح . أثار هذا النجاح ثائرة إسبانيا ، فأرادت أن تصل إلى الهند أيضا . هنا تقدم كرستوف كولمبس وهو بحار إيطالى يعرض على ملك إسبانيا وملكتها القيام بتحقيق الفكرة عن طريق السير غربا فوافقاه ، وزوده الملك فرديناند والملكة إزابلا بحاجته من الرجال والمؤن والسفن . وبدأ كولمبس رحلته فى أغسطس سنة ١٤٩٢ واجتاز المحيط الأطلنطى أو « بحر الظلمات » كما كان يسمى . وطالت رحلته وثار عليه بحارته ، ولكنه استمهلهم فأمهلوه ، ووصل كولمبس إلى جزائر الهند الغربية وقد اعتقد خطأ أنه وصل إلى جزائر الهند الشرقية والهند . ولم يعرف كولمبس أنه قد وصل إلى قارة جديدة هى أمريكا

وأما الرجل الذى أثبت أن كولمبس لم يصل إلى جزائر الهند الشرقية وإنما وصل إلى قارة جديدة كانت مجهولة ، فهو أمريجو فسبوتشى وإليه تنسب قارة أمريكا . وأما كولمبس فإن اسمه لم

بطاق إلا على جمهورية كولمبيا بأمريكا الجنوبية وعلى ولاية كولمبيا البريطانية بكندا فى أمريكا الشمالية

وبعد كشف القارة هرع إليها كثير من المهاجرين من أهل أوربا من إسبانيا والبرتغال وإنجلترا وفرنسا وهولندا، وأصبحت هذه القارة مقصد المضطهدين والمذنبين من أهل أوربا والطامعين فى الإثراء وجمع المال، وكثرت بها المستعمرات

على أن السكان الجدد لم يلبثوا بعد أن استقروا أن نزعوا إلى الاستقلال، وقد كانت الولايات المتحدة أسبق هذه المستعمرات جميعا إلى الاستقلال إذ حققت استقلالها فى ١٧٧٦ واعترفت به الدول ١٨٨٣

عالم أفضل

ظلت الولايات الأمريكية تنتهج سياسة العزلة فإن شعبها قد آثر أن يحتفظ بحريته وأن يبتعد من مشاكل العالم القديم المعقدة، ولكنها فى خلال الحرب العالمية الأولى وجدت أن اضطراب العالم القديم سيؤدى حتما الى اضطراب شؤونها الاقتصادية وشل حركتها التجارية والصناعية، ولذلك اضطرت أن تخرج على مبدأ الحياد الأمريكى وأن تساهم فى إعادة السلام إلى العالم القديم، ودخلت الحرب فى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وحلفاءهما) وانتهى الأمر بانتصار الحلفاء وخذلان ألمانيا

ولما قامت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ وقفت الولايات المتحدة الأمريكية بجانب إنجلترا وروسيا للقضاء على الخطر الألمانى.. وفعلا وفقت هذه الدول وحلفاؤها فى القضاء على هتلر. وتحتل قوات إنجلترا وروسيا والولايات المتحدة وفرنسا الأراضى الألمانية منذ ١٩٤٥ حتى الآن

ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل الولايات الأمريكية على إنجلترا.. فبرجالها وعتادها كسبت إنجلترا الحربين العالميتين. الأولى والثانية

وليس يعنينا نحن الشرقيين مدى ما قدمته وتقدمه الولايات المتحدة الأمريكية من مساعدات لإنجلترا أو لغيرها.. وإنما يعنينا أن نعرف حقيقة شعورها بالنسبة لنا ومدى استعدادها لخدمة قضايانا وهى قضايا الحق والعدل والحرية، وكذلك يجب أن نعرف الشعب الأمريكى بنا كنا وقضايانا حتى يتخذ لنفسه سياسة تقوم على الحق والعدل. ذلك أن الشعب الأمريكى يؤمن بالحرية أشد الإيمان ولا يرضى بها بديلا، وتاريخ أمريكا ينطق بهذا

وقد وصف ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة عند توقيعه ميثاق هيئة الأمم المتحدة فى ٢٥ يونيه ١٩٤٥ مركز أمريكا فى العالم الحديث بأنها « بناء متين يمكننا أن نقيم عليه عالما أفضل ». وبدأت أمريكا تشترك فى توجيه السياسة الدولية اشتراكا تهدف به إلى سيادة الديمقراطية ومقاومة الطغيان والدكتاتورية والقضاء على أشد أعداء الإنسان: الجوع والشقاء واليأس

لكن أمريكا تنكبت الطريق ولم يصادفها التوفيق فى حل أول مشكلة نشأت فى الشرق الأوسط عقب انتهاء الحرب ١٩٤٥ وهى مشكلة فلسطين وقيام إسرائيل؛ ذلك أن قيام إسرائيل وطرد العرب من أوطانهم وديارهم جريمة لا تنكر وإثم عظيم.. ولا نستطيع نحن الشرقيين أن نبرئ أمريكا من أنها لم تساعد إنجلترا والصهيونيين فيما ارتكبوه من إثم وجريمة وخزى وعار

وأنا أحب أن أثبت هنا أن العطف الأمريكى على اللاجئين يقابل بالشكر من ناحية العرب والشرقيين.. ولكنى أرى أن أمريكا قد لوثت تاريخها بوقوفها فى جانب الإنجليز والصهيونيين فى مأساة فلسطين

أيها الأمريكان:

أنتم قوم تقدسون الحرية وتحترمون إرادة الشعوب وقد أعلن رئيسكم ترومان فى ٢٠ يناير ١٩٤٩ فى بيانه إلى الكونجرس أن « السياسة الاستعمارية القديمة التى مؤداها الاستغلال من أجل الربح فقط ليس لها محل فى سياستنا. وكل ما نبغيه هو التعامل الديمقراطى العادل ... وبمساعدة الأعضاء الأقل حظا على مساعدة أنفسهم يمكن فقط أن تحيا الأسرة الإنسانية حياة لائقة راضية.. تلك الحياة التى هى من حق كل الناس. والديمقراطية وحدها هى التى تستطيع أن تمد شعوب العالم بالقوة والحيوية التى تحركهم

٣ - رسالة المربى

الطريقة العملية — مميزاتها — الطريقة العلمية — عملية النمو

للأستاذ كمال السيد درويش

لجأ رجال التربية إلى الطريقة الطبيعية السيكولوجيه يبحثون خلالها عن الطريقة العملية التى يمكن اقتباسها لإدخالها فى المدرسة الحالية

لقد زودت الطبيعة الإنسان بغرائزه ففرضت عليه أن يتعلم سواء أراد أم لم يرد ... أفلا نكون قد زودته فى نفس الوقت بالطريقة العملية التى نحن بصدد البحث عنها وعن مميزاتها ؟ قد نجدها لدى الإنسان حين يستجيب لغرائزه . ولكن الإنسان الحالى المتحضر يتحكم فى تسيير سلوكه مراعيا فى ذلك تقاليد المجتمع الحالى فلا يسمح لغرائزه بالظهور فى شكلها الطبيعى إلا بمقدار ما اصطلح المجتمع على السماح به

ولذلك يجب علينا أن لا نبحث عن الطريقة الطبيعية للتعلم لدى هـذا الإنسان المتحضر المتكلف؛ والذى يظهر غير مايبطن ويعمل غير ما يشتهى . وإنمـا يجب علينا أن نبحث عنها لدى الإنسان البدائى الذى يعيش على الفطرة أو لدى الطفل الناشئ الذى ينطلق على سجيته ولا يعبأ بمن حوله من الناس . ولو نظرنا إلى الطريقة الطبيعية التى يتعلم بهـا الإنسان البدائى أو الطفل الناشئ لوجدنا أنها طريقة عادية جدا ؛ طريقة طبيعية تتمشى مع الطريقة السيكولوجية . يتعلم الطفل فى منزله كل شئ ، يتعلم الـكلام ويتعلم المشى ولـكن كيف ؟ ! لم يطلب إليـه والده أن يتهيأ ليأخذ درسا فى الـكلام أو فى كيفية الأكل وهلم جرا كما تفعل مدارسنا الحالية ؛ ولـكنه اقتبس ذلك كله دون أن تشعر الأسرة بكيفية تعلمه . هو يتعلم عن طريق غير مباشر ، عن طريق حياته فى الأسرة وعن طريق تفاعله معها . هو فى حاجة إلى أمه دائما لأن لديها الثدى مصدر غذائه . فإذا ابتعدت عنه أمه لتقضى عملا ما ، شعر بحاجته الماسة إلى ندائها . قد يلجأ إلى البكاء ولـكن البكاء قد يؤدى إلى مجئ الأخ أو الأخت أو الوالد فهل يجد بغيته عندهم ؟ ! كلا . هو يريد أمه بالذات دون غيرها . وعلى ذلك فهو مضطر إلى ندائها . وهكذا ينطق كلمة « ماما » أو هكذا يتعلم الطفل كيف يتكلم . مشكلة تثور فى وجهه ؛ مشكلة حيوية بالنسبة له تضطره إلى التفكير فى حلها والتغلب عليها . ويشعر الطفل أثناء ذلك بقيمة ما يتعلمه فلا عجب إذا رأينا سلوكه خلال ذلك سلوكا تلقائيا . فهو ينطق بمحض رغبته ويتعلم بمحض إرادته ، ثم سرعان ماتجده يستعمل ذلك العلم — الذى كان غرضا فى أول الأمر — وسيلة لتحقيق أغراض حيوية أخرى ترتبط به . فكلمة ماما سرعان ما تجر معها غيرها من الـكلمات : « عاوز ماما » وهكذا

هـذه هى الطريقة العملية للتعلم داخل الأسرة، وهى نفسها الطريقة الموجودة لدى الإنسان البدائى ولدى الطبقات التى ما زالت حتى اليوم تعيش على الفطرة . يصبح الابن فيشاهد والده متوجها إلى الحقل فيسأل : لماذا ؟ ويذهب مع والده فيراه وهو يزرعه . ينظر إليه أولا ثم سرعان ما يشترك شيئا فشيئا ، فى حراسة المواشى وإطعامها أو فى السير خلف المحراث ، وهكذا يشترك اشتراكا عمليا فى الزراعة فيتعلمها لأن عليها تتوقف حياته وحياة أسرته . لقـد امتص واشتق جميع ما يلزمه من معلومات حتى أصبح فى النهاية فلاحا أصيلا مع أنه لم يتلق أى درس فى أصول الزراعة

هـذه هى الطريقة الطبيعية العملية السيكولوجية التى يمكن أن نلاحظ عليها الميزات الآتية :

إلى العمل المنتصر لا ضد الطغاة من البشر وحدهم.. بل أيضا ضد أعدائهم الأقدمين : الجوع والشقاء واليأس ؟!

أيها الأمريكان :

نحن قوم نطالب بالحرية وأنتم قوم تقدسون الحرية . فاحذروا أن يجركم الثعبان البريطانى إلى مالا نحب وما لا ترضون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين

أبو الفتوح عطيفة

١ — إن التعلم يبدأ فيها كنتيجة لاعتراض مشكلة ما سبيل المتعلم ، وإن مدى استجابته لها يتوقف على مدى حيويتها بالنسبة إليه

٢ — إن نزوع المتعلم إلى حل المشكلة نزوع تلقائى نابع من ذات نفسه وغير مفروض عليه من الخارج

٣ — إن ظاهرة التغير — لا الجمود — هى التى تلازم سلوك المتعلم ، وإن المتعلم هو الذى يسيطر على تغيير سلوكه حتى يصل إلى تحقيق هدفه النهائى

٤ — حيوية المادة التعليمية وثبوتها وعدم قابليتها للنسيان وكيف يمكن أن تنسى وقد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان

٥ — إن المتعلم يتعلم فيها عن طريق غير مباشر بمعنى أن التعليم ليس هدفا فى حدذاته ، وإنما هو غرض يتحول إلى وسيلة ترمى إلى تحقيق هدف جديد ... يغدو بدوره وسيلة أخرى تفتح أمام الإنسان آفاقا جديدة وهكذا تظل المعلومات مستعملة باستمرار فتظل لذلك دائمـا أبدا خبرة حية نابضة فى القلوب والأذهان

٦ — إن ظاهرة النمو والاستمرار فى التعلم صفة أساسية فى الشخص الذى يتعلم بهـذه الطريقة؛ لن ينقطع تعلمه ما دام يحيا ويعيش وسيظل يطلب العلم من المهد إلى اللحد

٧ — إن الناحية العملية تغلب على هـذه الطريقة . فالطفل داخل الأسرة كالإنسان البدائى فى الغابة وكالفلاح فى الحقل يعتمد على الناحية العملية فى تعلمه إلى حد كبير

لقد تعلم الطفل النطق لينادى أمه وقد استجابت لندائه فانحلت المشكلة ... ولكن ماذا يفعل إذا ناداها فلم تلب النداء ؟! هذه مشكلة جديدة تستدعى منه التفكير والعمل على حلها . قد يحاول الذهاب إليها بنفسه سعيا على أربع ... ولكن المشى أفضل لأنه أسرع فليتعلمه هو الآخر . وهو فى كل هذه الأحوال يتعلم بطريقة عملية ؛ يقع حينا ويسير حينا آخر . إن الطريقة الطبيعية ذات مظهر عملى يتجلى بوضوح فى ممارسة المتعلم بنفسه لما يتعلمه

٨ — إن هـذه الطريقة تتمشى مع الطريقة السيكولوجية بمعنى أنها تستند إلى غرائز الإنسان . فنداء الطفل لأمه مصدره حافز غريزى هو البحث عن الطعام

٩ — إن هناك تماثلا وتشابها بين هذه الطريقة وبين الطريقة العلمية الحديثة ؛ تلك التى وصل إليها علماء العلوم التجريبية مثل علماء الطبيعة أو الكيمياء ، والتى تعتبر فى الحقيقة سر ازدهار وتقدم هذه العلوم بل وسيطرتها على توجيه دفة الحضارة الإنسانية فى العالم بأسره . تلك الطريقة التى لا تؤمن إلا بالتجارب لأنها سبيل التأكد من صحة الفروض . ولو نظرنا إلى موقف الطفل أثناء تعلمه لوجدناه يشبه فى طريقة تعلمه إلى حد كبير جدا عالم الطبيعة أو الكيمياء أثناء تجاربه داخل معمله . ينادى الطفل أمه فتستجيب إليـه أحيانا ولكنها أحيانا لا تستجيب . عند ذلك يجرب طريقة أخرى غير النداء ... يلجأ إلى الحبو ولكن الحبو بطئ . عند ذلك يلجأ إلى المشى . . وهكذا يستمر فى تعلمه؛ يجرب هذه الطريقة ثم يتركها إلى غيرها وهكذا . وهو فى أثناء تجريبه يحذف الخطأ فلا يتقيد به ويحتفظ بالصواب ويستمسك مادام يحقق أغراضه فى الحياة . و كذلك شأن العالم فى معمله بين الغازات والمساحيق وبين الأوانى والمخابير . يختبر خواص الأكسجين مثـلا فيعرف أنه يساعد على الاحتراق . قد يجرب اكتشاف صفات أخرى فإذا لم يجد احتفظ بهذه الصفة المتميزة . ولكن لا يقف عند تحقيق غرضه وا كتشافه ... بل يتخذ من هذا الاكتشاف وسيلة إلى تحقيق أغراض أخرى وقد نجح فعلا فى استخدام الأكسجين فى عمليات اللحام وفى صهر المعادن . وما لنا نذهب بعيدا وقد كان تحطيم الذرة غرضا يتجه إليه العلماء فأصبح الآن وسيلة إلى استخدامها فى التدمير كما تبذل الجهود الآن لاستخدامها كوسيلة من وسائل البناء والتعمير

ألا يحق لنا بعد توضيح هذا التماثل والتشابه بين الطريقتين الطبيعية والعلمية أن نقول إن الطريقة التى يتعلم بهـا الطفل أو الإنسان البدائى هى طريقة علمية أيضا ؟ !

لقد وضحنا مميزات الطريقة الطبيعية التى يتعلم بها الطفل داخل الأسرة ، ولكننا لم نوضح بعد موقف ولى الأمر فى الأسرة من الطفل خلال تعليمه ، وكيف يكون ؟ فإن ذلك بالنسبة لنا كربين من الأهمية بمكان حتى نستنتج حدود رسالة المربى كما يجب أن تكون

أما موقف الأم من ابنها فهو تمهيد السبيل أمامه حتى يستطيع السير فيها . تسدد محاولاته بإرشاده وتصحيح كلامه . تصحيح خطواته هو ، وإرشاده إلى مواضع الخطأ فى كلامه هو . هى لا تفرض عليه كلاما معينا أو السير وفق خطوات مرسومة . تصحح كلماته وجمله حتى تساعده على التعبير عما يجول بذهنه هو من رغبات وآراء قد تبدو مضحكة بالنسبة لنا ولكنها حيوية بالنسبة إليه . وتقف الأم نفس الموقف من طفلها حين يتعلم المشى تحوطه بعنايتها وتقيه ما قد يتعرض له من أخطار . تترك له الحرية فى المشى ، ولكن بعيدا عن أماكن السقوط . تأخذ أولا بيديه ثم بإحدى يديه ، ثم تتركه ولكن وهى أقرب ما تكون إليه حتى إذا اختل توازنه استند إلى صدرها الحنون

موقف الأم ، هو موقف الممهد المعبد المذلل للعقبات ، لا موقف المتحكم المسيطر التربص للزلات

هذا هو الموقف الذى يجب أن يقفه المربى ممن يتعلم على يديه. وقد شبه بعض العلماء تمهد المربى لتلميذه وهو يتعلم ، كتمهد الزارع لنباته حين ينمو ، وشبهوا نمو التعليم فى هذه الحالة بنمو النبات . تنمو الشجرة منذ أن كانت بذرة فى باطن الأرض إلى أن تذبل وتموت . كذلك يجب أن يشبه التعليم النبات فى نموه ؛ فيستمر من المهد إلى اللحد ، والنمو فى النبات نمو تلقائى . تنمو الشجرة من تلقاء نفسها وبنفسها ، ولا يستطيع الزارع إصدار الأوامر إليها بالنمو سريعا أو بطيئا ، وكذلك يجب أن يكون نمو المتعلم تلقائيا أيضا

ولا يترك النبات مع ذلك هكذا دون عناية؛ بل إن الزارع يحوطه بعنايته دائما ويلازمه خلال أطوار نموه ، وهكذا يجب أن لا نترك المتعلم لنفسه

والنمو فى النبات عملية مشتركة بين الزارع وبين النبات ... وكذلك يجب أن يكون التعليم عملية نمو متواصل مشترك بين المعلم والمتعلم

ويشبه موقف الزارع من النبات الموقف الذى يجدر بالمربى أن ... يقفه فالزارع لا يترك نباته حرا ينمو كما يشاء ، وإلا اعوج عوده ، وما استقام له ظل قط . كما أنه لا يتركه بمفرده ليقاوم آفات الزراعة من ديدان وحشرات ، وإلا كان معنى ذلك أنه يتركه ليموت . وكذلك لا يجدر بالمربى أن يترك تلميذه هكذا حرا يفعل ما يشاء ، ولكن ليس معنى ذلك أيضا أن يقيد حريته ليتحكم فيه ويستعبده ، وهل يتحكم الزارع فى النبات فيطلب من بذور الجرجير أن تنتج تفاحا ، أو يأمر القمح بالنمو سريعا حتى يحصده بعد شهر ، بينما هو يحتاج إلى شهور ؟! كلا ، ولكنه يرعى نباته ويقف منه فى نموه موقف المدافع عنه ضد كل ما يعوق سير هذا النمو المتصل . يلتقط الديدان ويحرقها ، ويجلب السماد ، ويمنح نباته الماء ولكن بمقدار ، وفى ميعاد معين بالذات . وكذلك المربى سواء كان ولى أمر أم غيره، يجب ألا يصدر الأوامر إلى ابنه بأن يصبح طبيبا أو مهندسا ، وألا يجبره على تعلم ما لا يريد، وأن لا يحرمه من تعلم ما يريد . وإنما يجب على المربى أن يقدم المتعلم ما يطالبه بنفسه من زاد علمى ، وأن يزيل من طريقه العقبات حتى يستمر فى تعلمه وإشباع ميوله ورغباته ... وهذا يضطر المربى إلى التفكير فيما يجب تقديمه للمتعلم ، فيعمل هو الآخر ويشترك ... وتسير عملية التعلم سيرها الطبيعى: نمو مشترك وعمل متواصل من جانب المتعلم والمعلم ، وكما أن النمو هو دليل الحياة فى النبات. فهو كذلك دليل على حياة المتعلم أيضا

للكلام صلة

كمال السيد درويش

ليسانسيه الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية

رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

— ٢ —

بين رحلة الشيخ الأولى إلى الحجاز سنة (١١٣٠ هـ) والثانية (١١٤٥ هـ) خمسة عشر عاما . وفى هذه الرحلة وصف أدق للطريق من الأولى ، وقد رافقه فيها كل من الشيخ جرار ، كبير جبل نابلس ، والشيخ حسن بن مقلد الجيوسى شيخ بنى صعب ، وكلاهما من شيوخ الحزب القيسى فى جبال نابلس

وقد اجتمع الشيخ بعبد الله باشا ، وذلك بواسطة محمد ابن مكى الغزى ، وكان الأخير فى معية الباشا ، ومن أتباع الشيخ ، وعبد الله باشا أحد ولاة الشام ، وقد كان واليا لها سنة (١١٤٣ هـ) أى قبل سليمان باشا العظم

ويتعرض الشيخ إلى ذكر أذية الأعراب للحج ، ويصف لنا زيارته للمدينة ، ومكة ، وينزل فى مكة فى بيت الشريف يحيي ابن بركات ويمدحه ويثنى عليه ، ولا يترك الشيخ هذه الفرصة تمر ، فينشر طريقته فى الحجاز ، ومن بين الذين أخذوا عليه العهد مدرسان فى الحرم المكى

ثم يصف لنا طريق رجوع الحج ، وما قاساه فى طريقه ، ويذكر الجردة ، وقلعة هدية التى عمرها سليمان باشا العظم ، وقلعة (جغيمان) التى عمرها الوزير عبد الله باشا

ولنترك الشيخ البكرى يقص علينا الآن رحلته الثانية إلى الحجاز فيقول :

« وبعد فيقول العبد الفقير للمولى الغنى ، مصطفى سبط الحسين الصديق ، لما شاء الحق التوجه إلى بيت الله وزيارة رسول الله وقد هيأ الله المسير لوازمه وسهل أسبابا ، وتوجهت الهمة ، غب عزمة ، للمنازل الرفيعة ، وذلك بعد تكرار سنة استخارة وتحرر استشارة ، وكان المسير إلى المقام الخطير ، يوم السبت خامس شوال فى ثانى ساعة منه ، حان الارتحال ، عن الأهل والأولاد والعيال ، عام خمس وأربعين ومائة وألف (١١٤٥ هـ – ١٧٣٢م) وكنا ودعنا خلانا وأصحابا ، وجيرانا وأحبابا ، وإخوانا وأنسابا ، ولم يزعج الفؤاد ، إلا وداع ثمرات أكباد من الأولاد ، لم تبن من عجمة إعرابا ، فطفقت المدامع على الخدود بروقها لوامع ، مرسلات كالهوامع ، القوامع التى لا تقر انسكابا ، ولم نخرج من الدار حتى ودعتها كالحرم الجامع للأنوار ، بركعتين ، وفيض العين كالمين ، أضحى منسابا ، وذكرت بعض ما ورد فى الخبر لمن أراد السفر السفر هلاله الأبدر لما لا يقدر حسابا . وفيه من قاله رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شره ، وهو بسم الله آمنت بالله واعتصمت بالله ، وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

فى وداع الشيخ البكرى :

« وممن خرج للوداع شيخنا الأوحد ، بيضة البلد ، جناب الشيخ محمد الخليلى الفرد ، ومعه جمع يحمد ، رفع الله منهم ومنه جنابا ، وقد ألهم فى تلك المواقف دعوات يعجب منها صاحب المقاصد والمواقف ، ألاقت دواة المدامع وأجرت انسحاب الواقف ، إذ جبرت فى الميادين جوابا ، وتذكرت هنا قول قرنيا السيد نصرى نجل السيد أحمد الحصرى الحسينى ، حين ودع شيخه من إقامة خليفة بعده فأحسن ذهابا وإيابا ، الشيخ عيسى الكنانى منحهما ديانى صوابا وحباهما آدابا « السم من ألسن الأفاعى ؛ أيسر من قبلة الوداع »

« وحين عزمت على السير إلى معالم المبرات والبر ، أحببت أن أضع رحلة تجمع ما يحصل منه خير ، وأن أسميها (الحلة الرضوانية الإنجازية الدانية ، فى الرحلة الإحسانية الحجازية الثانية)

« وبعد أن ودعنا أولى الوجوه النضيرة ، وسرنا إلى قرية (البيرة) بمقلة دامية غير قريرة ، واحشا بوحشة الفراق كسيرة ،

ولدى أرجائها الندية، ودع صديقنا ابن هندية(١)

ومنها أتينا (الجلزون (٢)) بهون، وعاد الرفاق مصاحبين للمون والصون، وارتحت هنية عندبير زيت(٣) ودعيت إلى المبيت فأبيت، ولما صليت استدعيت كاسات قهوة سودا وكان الفراق سقانى الحرا، راجيا بشرب ابنة اليمن يمنا يطفى من الزفرات جمرا، وجلسنا فى قرية (عارورة) جلسة خطيب مشهورة، وأتينا (المزارع (٤)) والقلب من الندم قارع، وبتنا وقد تخلف زارع الجميل، الجانى بتأخره فلم يجن ثمرة الإكرام من الجليل، مع ادعائه الحب الرابى كالحب المربى وأنه فى فنائنا المحلى لدى القرع بحلاوة القرع ترى، فكانت الليلة ليلة محب سليم، أوضرير وقع فى غدير، وخيم، سماءها ناقية من الصفا، أنقى من الراحة فى حان الوفا، وأسريت وقلت:

قد علونا متن الخيول صباحا كى نرى فى السرى وجوها صباحا
فتلق من أهل (سلفيت) ناس لست ناس لهم عقودا صحاحا

وهذا الأخ (٥) ماله فى الصداقة أخ، وقد ترجمته فى (أردان حلة الإحسان فى الرحلة إلى جبل لبنان) وفى الرحلة القدسية الأولى والثانية، أسكنه الله جنة قطوفها دانية، وتلقانا أهل (مردا)(٦) من لم نجد لدعوتهم مردا، وبتنا فى (جماعين) (٧) فجاءنا الأخ المساعد والمعين، الحاج حسن مقلد (الجيوسى) ونزلنا معه إلى نابلس

في نابلس ومنها الى كور فجينين:

«وذلك نهار الاثنين ورحلنا يوم الخميس من (الدرويشية) إلى قرية كور غور بأمور فرشية، وكنا حصلنا فى نابلس بسطا بساطه مهدور، والإخوان يناجون الودود فى الأسحار بكبد مقصور، وقد حمى الثغر منهم بالوداع وهو مبرور

«وبتنا ليلة الجمعة فى (كور (٨)) ونصبنا الخيام يومها المشكور، وسرنا يوم السبت غب وداع مذكور، إلى حوض السيلة (٩) والدمع زاد الفراق سيلة، وكنا نزلنا (رامين) (١٠) لسلاح الافتضاح رامين، وفى (الحوض) ودعنا إخوان الصفا وسرنا إلى (برقين) وفيها ورد الأخ الأمجد الشيخ أحمد الموقت ناو على الحج، وعمدنا (جينين) واجتمعنا بالمجذوب ذى الفنون، الشيخ أحمد قبون، وكان قد صحبنا الشيخ خاطر، فبشر بمايسر الخاطر

من الجالوت (١١) الى جسر الجامع (١٢) الى الطيبة فصما فأربد (١٣):

«وارتحلنا إلى (الجالوت) المباح فيره لا كنهر طالوت، وكنا اجتمعنا بكبير جبل نابلس الشيخ جرار (١٤)، عازما على التوجه إلى الحجاز وتلك الدار، ولم يصحبنا إلا طالب الاغتنام، الدعو فى الآكام غنام، وسلامه القيسى قاصدا بالخدمة الاستخدام، وجزنا جسر الجامع، وحزنا البسط الجامع، واسترحنا لدى (الصما) والأذن عن الفحشاء صماء وقلت:

---

١) هندية عائلة مقدسية

٢) عين ماء تنبع من تحت طريق العربات السالكة إلى نابلس

٣) قرية معروفة فى فلسطين تحيط بها أشجار الزيتون وكروم العنب فيها الآن كليتان ثانويتان إحداهما للبنين والأخرى للبنات

٤) المزارع قريتان إحداها (المزارع الشرقية) والأخرى (المزارع الغربية) والثانية هى المقصودة

٥) هو الشيخ محمد السلفيتى، صديق الشيخ البكرى وخليفته وناشر طريقته وصهره، وقد كان الشيخ السلفيتى توفى قبل سنتين ودفن فى قرية سلفيت، وهى الآن قاعدة قضاء جماعيل

٦) قرية إلى الجنوب من جماعيل، وقد خرج منها علماء كثيرون من الأحناف والحنابلة، وسكنها الخالديون الديريميون يوم كانت الحروب الصليبية قائمة. وقد نزح قسم من علماء مردا إلى دمشق والشام، وأفتوا ونشروا المذهب الحنبلى

٧) جماعيل وتلفظ (جماعين) من المراكز العلمية الكبرى الإسلامية فى القرون الوسطى، خرج منها علماء كثيرون، ومنهم بنو قدامة مؤسسو الصالحية بدمشق، ومنهم عبد الغنى النابلسى (القرن الثانى عشر)

(٨) كور هى بلدة الشيخ حسن بن مقلد الجيوسى شيخ بنى صعب ويسكنها آل الجيوسى، وهى قرية حصينة

(٩) السيلة، سيلتان (سيلة الظهر) وسيلة الحارثية، والمقصود الآن الأولى وعلى الطريق السلطانى المؤدية الىجينين

(١٠) رامين، من قرى بنى صعب وقد خرج منها أكثر من عالم حنبلى

(١١) الجالوت، فى مرج ابن عامر، فيها كانت معركة التتار التى هزمهم فيها الظاهر بيبرس البندقدارى

(١٢) جسر المجامع، هو أحد جسور نهر الشريعة أو الأردن، جنوب بحيرة طبرياء وجسور الأردن الشهيرة من الشمال جسر بنات يعقوب، فجسر المجامع، فجسر الشيخ حسين، فجسر الدامية، فجسر النبى

(١٣) أربد مدينة فى شرقى الأردن، تقع إلى شرق بيسان، ويسلك منها إلى الرمثا، فالمزيريب ودرعا. وهى قاعدة قضاء أربد ونقطة اتصال هامة

(١٤) شيوخ الحزب القيسى فى جبل نابلس وعاصمتهم (صانور)

سدت أذني عن الفحشاء صما سويعة إذ مررت بأرض صما
وطاب الوقت لما أن حللنـــا بطيبـــة وافنى والحق عما

ومن (الطيبة) نحونا (أربد) والوجه يرغى ويزبد

في المزيريب مع الحج (··):

«ومنها في الصباح، عمدنا المزيريب (١٥) للاصطباح، ولما قبيل الظهر إليه وصلنا، وعلى الهموم والأكدار صلنا، ورأيت حجا موفورا، وجما موقورا، وأول من تلقانا، وأكرم بالتأهيل مثوانا، صـديقنا المعجون المروك في أواني السلوك إلى ملك الملوك، الشيخ يوسف الملوك، المنظوم المحبوك، في سلك أهل اليقين لا الشكوك، وهذا الذي صدق فيه، قول النبيه بملء فيه:

وإذا المناية ساعدت عبد الشرا نفذت على ساداته أحـــكامه

وأنزلنا في خيامه، وقابلنا بإكرامه، وجاءنا بعد أن استقر بنا المقام في فسيح الخيام، الصديق الرفيق والخطيب الإمام، الشيخ نور الله الجامي (١٦) وولده الأخ في الله الشيخ عبد الحق الراعي، فسلما سلام التزام، واشتياق بني عن أوام، ورأيت في مزاج ولده كثير فتور، فقلنا يزول بمعونة الغفور النور

اجتماع الشيخ البكري بالوزير عبد الله باشا:

«واجتمعنا بواسطة الصديق الأمجد، محمد افندي مكي الفرد، بالوزير عبد الله باشا، منحه الله انبساطا وانتعاشا

« وجاءني محب أهل الصلاح، الشيخ محمد صلاح، وهو ممن يسلم للطائفة العلية المليئة الأقداح، لما له لاح الحق الصراح لاح، سيما الأكبرى فقد ألقى لدى شطه المرامي وأرى السلاح، ومعه الباب من الفتح المكي المملوء الأقداح، بالكلام على الأسماء الإلهية المجلوة الألواح، وطلب أن يسمعه الفقير في كل نزل حضره أو أكثر تغني عن الراح، ولم يزل إلى أن ختمه في العود الجليل فارتاح

في الطريق إلى المدينة المنورة:

وتوجهنا نقطع المراحل الحجازية، المسماة في الحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية، إلى أن وصلنا (العلا) بحول طول من جلا وعلا. وبتنا ثاني ليلة على نية الإقامة، وكانت للأخ الشيخ عبد الحق كرامة، فإنه انتقل ثلث الليل الأول، إلى جوار الكريم الرحيم الأول، وصبر والده صبر مجاد، ودفناه قرب الجبل في تلك المهاد. رحمه الله

« وقد غبطه على هـذا الاندراج، لما في الحديث الشريف الذي يرفعه جابر، « من مات في طريق مكة لم يعرضه الله يوم القيامة، ولم يحاسبه » وقد ذكرت هذا الأخ في الرحلة الثانية القدسية، لأخذه الطريق واندراجه في النسبة الأنسية

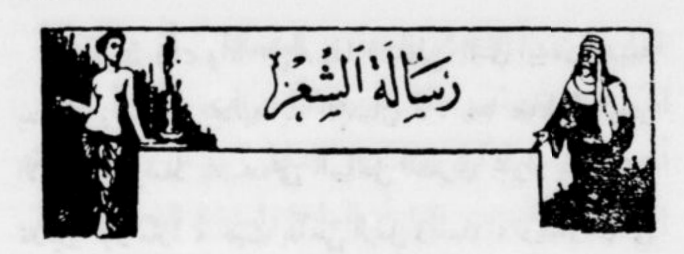
« ثم سرنا قاصدين مدينة الرسول، دار الحصول، ومنزل السول، قبلة الإسلام، ودار الأعيـان وأرض الهجرة، ومبوء الحلال والحرام، حرم الأمان المفتوحة بالقرآن، التي رمضانها وجمعتها خير من ألف رمضان وجمعة فيما سواها من البلدان، والتي لا يدخلها رعب المسيح الدجال ولا الطاعون، ومن كاد أهلها اماع كما ينماع الملح في الماء، فليحذر الكائد الفتون، المؤذي جيران قرة العيون، فإن الأمين المأمون لا يتخلى عنهم ولا يكون. نسأل الله أن يلهم ولاة الأمور إلى السعي في إكرامهم كما يكرمون، والتوجه إلى ما فيه راحتهم وأمنهم من كل ضرر من حرب أو غيرهم يكون

للرحلة بقية سامح الخالدي

---

(١٥) من أعمـال حوران إلى الشمال الغربي من درعا، كانت في العهد العثماني ترتبط بسكة حديد مع دمشق، وتنقل منها حبوب حوران. أما في عهد الشيخ فكانت إحدى المحطات في طريق الحج

(١٦) عائلة الخطيب الجامعية، وينتسبون إلى المزين جامعة الكناني وهم خطباء المسجد الأقصى إلى الآن، ومنهم فرع يعرف بآل الشقيق الكناني



إلى هناء ...*

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

«هناء»: يا ملاحن الأطيار وفرحة النسيم بالأزهار
وبسمة الخميلة المعطار ومحكة الأمواج للدرارى
ورقصة الغصون فى الأسحار ورنة الأقداح والأوتار
ويا صدى ترنيمة الهزار ويا ربيع الحب فى آذار
لولاك ما جن هوى قيثارى
وفاح عطر الحب فى أشعارى

...

«هناء»: يابهجة عين الرائى يا كوثر الجوانح الظماء
يا نفحة الزنبقة العذراء يا عبق الطيوب والأشذاء
يا قمرا أشرق فى سمائى أقسمت بالمحاجر الشهلاء
وبابتسام الشفة اللمياء وبائتلاف الليلة القمراء
لولاك ما طربت للغناء
ولا تنسمت شذى الأنداء

...

«هناء»: يا إشراقة الجمال ويا مثالا صيغ من جلال
يا بسمة الأوطار والآمال رفت على ثغر المنى حيالى
أهواك يا أنشودة الليالى رددها فى مسمع الأجيال
شاعرك المفتون بالخيال فالوتر النشوان بالوصال
لما يزل يقتات بالمحال
ويستثير الشك بالسؤال

...

«هناء»: يا ترتيلة الحنان ويا شعاع القمر النشوان
وياشذى البنفسج الفينان(١) ويا أمانى العاشق الولهان
ويا مثال الطهر فى الحسان فداء عينيك الذى أعانى
هواك يا نمانى قد أضوانى والهب الأشواق فى جنانى(٢)
وفجر الدموع من بيانى
فمشت كالمفجوع بالأمانى

...

«هناء»: ما أنت سوى هنانى يا نجمة زهراء فى سمانى
ونسمة مرت على رمضانى وواحة تحلم فى صحرانى
وفرحة تهزأ من بكانى حبك ينبوع من الرجاء
يفيض بالآلاء والنعماء يا أملى فى غمرة الأرزاء
خذى بكفى فى دجى الشقاء
ونضرى عودى باللقاء

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

* كتب لى الصديق الأستاذ عبد الله الطائى من البحرين مستفسرا عن ديوانى «هناء» هل طبع أم لازال مخطوطا، وأنا بعد شكره على حسن ظنه بأخيه أخبره أن الديوان معد للطبع الآن، وهذه القصيدة فاتحته ويسرنى أن أرفعها اليه

١) الفينان: الندى. الخضل
٢) جنان. بفتح الأول: القلب

مشهد من مآسى الحياة بين اللاجئين

للآنسة سميرة أبو غزالة

مشت فى وجوم الإباء الطريد كطيف «حبيب» لحلم قريب
وشاح الشقاء على جسمها وفوق المحيا وشاح المغيب
تجر خطاها وئيدا وئيدا فيسمع الممشى لحن كئيب

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

«الريفييرا» المصرية :

ما زلت أذكر ما كتبه إلى صديق الأستاذ سيد قطب حين كان بأمريكا ، فى رسالة خاصة ، إذ قال ما معناه : إن بلادنا أحفل بلاد الدنيا بالخير والقوة والجمال . وكل ما فى الأمر أن الطبيعة والإنسان فيها مهملان . وكنت أجادله فى رسائلنا الخاصة التى نشرت طرفا منها فى هـذا الباب من «الرسالة» ، ساخطا على ما أراه فى البلاد من قبح واضطراب ، وكان يجيبنى بالمشاركة فى هذا السخط ، ولكنه يردنى إلى تلك الحقيقة التى زاد إيمانه بها سفره إلى هنالك ..

ذكرت ذلك وأنا على هـذا الشاطئ الذى أبدعت صنعه يد الله وقصرت بجانبه يد الإنسان .. هنا شاطئ البحر الأبيض المتوسط يمتد على الساحل المصرى بجوار بلطيم نحو ثلاثين كيلو مترا ، حيث يتآخى الرمل والماء ، ويتعاونان على تهيئة مصيف لعله يصلح أن يكون أجمل مصيف فى العالم

الرمل منبسط ممهد على طول الشاطئ تقف الكثبان على حراسته من بعيد ، ويفد إليه الموج رفيقا فيثب على أديمه الدانى يداعبه، كما يثب الكلب الودود على صاحبه يلاعبه ، ويرتد عنه تاركا صفحة بيضاء مسواة كأرضية رخامية أبدعتها يد صناع . وكأن البحر يريد أن يعلم الإنسان كيف يجمل هـذه البقعة ، ولكن الإنسان يأبى أن يتعلم !

وكثيرا ما يطيب للبحر هنا أن يغفو ، فتراه كسلان مخدرا ، كأنه (مسطول !) مما يلقى إليه من «حشيش» الشاطئ . . ! فأنفاسه خافتة ، وحركته بطيئة وانية ، وصوته ضحكة مجرجرة منغمة . . لست أدرى أهى مثل ضحك سائر الحشاشين لا سبب

وفى ذلة تستجير الجبير ... وتبدى يداها إلى من يجيب
وفى صدرها أنة الفاقدات ... وقصة ذاك النعيم السليب
نظرت إليهـا وفى لهفة ... تراءى لعينى خيال حبيب
معاذ الإله فأين الثراء؟ ... أيحرق فى هبوات اللهيب ؟
أحقا سليمى تراءيت لى ... أم العقل فى غمرات الشيب
أحقا أراها وفى البؤس تحيا ... وفى مثل هذا الصراع المهيب
وفى رجفة الحزن تابعتها ... لأكشف ذاك القناع الرهيب

* * *

دخلت بصحن به نسوة ... من «اللد» كل شريد طريد
فتلك تئن وأخرى تنوح ... وطفل يموت وكهل قعيد
وفى آخر البهو باب ينادى ... تعالى ترى ما يفل الحديد
فأسرعت فى خطوات السكارى ... وبؤس الحياة بقلبى يزيد
أدق بكفى باب المآسى ... وأقرعه فى ذهول الشريد
وطال انتظارى فلا من مجيب ... ولا من يرد ولا من يريد
فألقيت جسمى على الباب فوراً ... وقاومته فى صراع شديد
إذا كومة من حجار تزول ... ويكشف ذاك الستار الجديد
هنا مشهد من مآسى الحياة ... هنا مصرع للجهاد الشهيد
هنا جسم سلمى هنا روحها ... أبت أن تعيش معاش العبيد

* * *

سليمى تمانى أقسى الزوايا ... تشد إلى الصدر طفلا رضيع
وقد أسلمت روحـه للاله ... ومالت عليه بشكل مريع
وفى وجنتيها اصفرار المنايا ... وفى ناظريها الإباء الفجيع
وفى الجسم من طعنات المآسى ... بقايا حطام النعيم الصريع
سليمى دوا بؤس تلك الحياة ... أتلقين هذا الجحود السريع
لقد كنت نورا ومجدا ونبلا ... وقد كنت للحق ركنا منيع
فيا موطنى حاد عنك الوفاء ... وزاد البلاء وزاد الفجيع
ويا موطنى داهمتـك الليالى ... كوحش هصور لحمل وديع
تزالت عليـك رعاة المآسى ... ومالت إليك ذئاب القطيع

سميرة أبو غزالة

لهـا ولا باعث إلا مجرد الرغبة فى الضحك .. أم هى ضحكة استهزاء وسخرية من هذا الجندى الواحد الذى تزعم الحكومة أنه يحرس سبعة كيلو مترات على الشاطئ من أن ترسو عنده إحدى سفن التهريب بالليل أو بالنهار! واستيقظ البحر مرة عند ما لمح ذلك الجندى إحدى تلك السفن تقترب فى الظلام من الشاطئ، فأطلق عليها بندقيته المتواضعة، فأجابته السفينة بمدفع متكبر أرداه.. استيقظ البحر فملأ صوته، لا أدرى هل زمجر غاضبا من الهاجين بالسموم والنار، أو قهقه ساخرا من قلة الحراس ووهن الحراسة

وأدع للشعراء مرأى شروق الشمس ومشهد غروبها، عساهم يصوغون من منظر الغروب قرصا ذهبيا فيودعونه الماء فى الغرب، ثم يرتقبون بزوغه على الماء من الشرق وهو يحمل على السحب بأشعته النافذة حتى يدميها.. فتبدو زرقتها مختلطة بالدم فى لون بهيج!

أدع ذلك وما إليه لإخواننا الشعراء يهيمون فيه، لأعرج على هذه الأعشاش القائمة الآهلة برواد البحر ومنتجعى السكون وطلاب الجمام فى هذا المكان. وهنا نرى مدى التقصير فى حق ذلك الجمال! بل مدى الغفلة عن الانتفاع بطبيعة ساحلنا الذى يفتح لنا ذراعيه فنعرض عنه وننأى.

أول مايتجشمه القاصد إلى المصيف عناء السفر ووعورة الطريق، فإن القادم من القاهرة عن طريق المواصلات العامة، يكاد ينفق يومه كله حتى يبلغ المصيف.. تتعاوره وسائل النقل الحديثة والمتوسطة والقديمة، فاذا تسامحنا واعتبرنا هذه القطر التى تستعملها السكك الحديدية من الوسائل الحديثة.. فبعدها شئ يسمونه «قطار الدلتا» وهو يسابق السلحفاة فى البطء.. فيسبقها بكثرة العطب! وهذا من الوسائل المتوسطة لأنه هو الذى قيل فيه عند اختراع القاطرة: إنه يزعج الدجاج فلا يجعلها تبيض!

أما الوسيلة الثالثة فهى الحمير.. وما أكثر الحمير هنا! ذلك كله والمسافة كلها لاتزيد على ١٨٠ كيلومتر، أى أنها أقل مما بين القاهرة والإسكندرية.

ونسمع أن مصلحة السياحة قررت صرف ثلاثة آلاف جنيه لإصلاح هذا المصيف، وهى جمجمة لانرى لها طحنا.. وحسبك أن تعلم أن ماء الشرب يجلب إلى المصطافين من آبار بعيدة ويباع لهم بثمن يساوى اللتر فيه خمسة مليمات! فهل رأيت مثل ذلك فى بلاد للنيل فيها غدوات وروحات..؟

وتصور الساحل الثانى لهذا البحر فى «الريفييرا» الفرنسية و «الريفييرا» الإيطالية وغيرهما — تصور مايغمر ذلك الساحل من أضـــواء وأنوار، ثم انظر إلى «الريفييرا» المصرية تراها متلفعة برداء من الظلام ذى ثقوب تطل منه المصابيح ذات (الشريط نمرة ١٠) وسيقولون إن المصيف أنير فى هذا العام بالكهرباء، وهى دعوى لادليل عليها إلا الأسلاك الممتدة التى تنوء بعبء التيار، فتقطعه ولاتوصله، فلاتغنى عن تلك المصابيح شيئا، وهناك دليل آخر على تلك الدعوى هو مادفعه المصطافون من النقود لقاء عدم الاستهلاك!

والمرافق الأخرى ليست بأحسن حالا. فرسائل البريد والبرق لاموزع لها، إنما تبلغ مستقرها عند الشباك حتى يأتى من يسأل عنها! والخبز أحيانا نتفقده فلا نجده، وقد أقيم له مخبز لايقى عجينه من الرمل.. وهذه آخر مرحلة تطور إليها خاط الرغيف منذ الحرب الماضية!

والعجيب أن يكون مصيف بلطيم على هذه الحال البدائية، وعمره أربعون سنة.. فقد ظل هذا الزمن لايلتفت إليه أولو الأمر وفى الوزارات لجان لتحسين المصايف وتشجيع الاصطياف وعندنا سياسة مرسومة للسياحة أهم أغراضها جلب السائحين إلى البلاد لتستفيد منهم استفادة اقتصادية.. وفى رأيى أن الشاطئ المصرى، فى مواقفه المختلفة لو وجهت إليه العناية أصبح كعبة القصاد من خارج البلاد، فضلا عن أهلها الذين يرحلون عنها ليبذروا المال ويغدقوه على الأجانب

مقامة الرغيف:

ومن طريف ماوقع هنا، أن ضاق أحد الزملاء، وهو الأستاذ عبد الله حبيب، برداءة الخبز. وبجوارنا أستاذ فاضل من بلقاس هو الأستاذ عبد القادر الشايب المدرس الأول للغة العربية بمدرسة بلقاس الثانوية، وقد رتب أمره — لخبرته بالمصيف — على أن

يخبز له فى منزله بيلقاس ويرسل الخبز إليه فى « عشته » .. فما عرف الأستاذ عبد الله حبيب بهذا حتى تذكر « أبازيد السروجى » فاستعان بطريقته ، وكتب إلى الأستاذ الشايب مايلى :

« كتابى إلى السيد الجليل ، نضر الله عشه ، وأكثر « عيشه » وأدام على الأيام هشه وبشه . أما بعد ، فقد جئت إلى هذا المصيف ، فخبرنى منه أمر الرغيف ، فهو تارة كالخنشوبل له وتارة كميش بردويل (اسم بلد) . الرمل فى خلاياه شائع ، وعجينه صائص مائع ، والأمعاء — أجارك الله من هذا وذاك — لا تقوى على هضمه ، والأسنان لا تقدر على قضمه وقد تفضل السيد ببعض « عيشه » فهرعنا إلى عشه ، وما زلنا به نستجير ، وهو نعم المجير ، ثم صدنا الحياء عن ورده ، فعدلنا عن قصده . ودلنا جيران السوء على عجوز فى أقصى المصيف ، قالوا إنها تحسن صنع الرغيف ، فأحضرنا لها الدقيق ، فظهر أنه من السويق ، وخلطته — لا بارك الله فيها — بالرمل والتراب ، فجاء كميش الغراب ، وقد عافته نفسى ، بعد أن أذهب أنسى ، وآذى حسى . وأنت أيها السيد عن ضيوف إقليمك مسئول ، فلا بد من إرسال شحنة صغيرة ، لتكون تصبيرة ، ولا بد من أن تدلنا على أمثل طريق ، أيها الرفيق ، فإذا لم تدر كنا بالمشورة ، فسنوالى طلب التصبيرة ، وأمرك لله من قبل ومن بعد ، وسلام الله عليك ورحمته »

الثقافة المصرية فى السودان :

تعمل الآن وزارة المعارف على الإعداد لموسم المحاضرات الثقافية التى يلقيها بعض الأساتذة المصريين فى الأندية السودانية وهو موسم جرت الوزارة على تنظيمه منذ سنة ١٩٤٤ ، وقد نشر أن معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف سيفتتح الموسم القادم بالخرطوم فى نوفمبر القادم . ولا شك أن معاليه لو استطاع أن يفرغ من شواغله الكثيرة ويسافر إلى السودان ويفتتح الموسم فعلا ، فإن ذلك يكون ظفرا عظيما لإخواننا فى الجنوب ، ويكون منهجه فيما يحاضر به هناك مثالا للأساتذة الذين اعتادت الوزارة أن توفدهم إلى هناك

وهذا الكلام يحتاج إلى شئ من البسط

جرت وزارة المعارف على أن تختار أولئك المحاضرين من موظفيها كمفتشى التعليم ، وأحيانا تضم إليهم بعض الموظفين فى مكتب معالى الوزير ، وهؤلاء لهم خصائص معينة فيما يبدون من محاضرات ، هى خصائص مدرسية مكررة لا ابتكار بها ولا يتميز فيها جهد بارز ، وأذكر أن بعض الصحف السودانية وصفت هذه المحاضرات بأنها معلومات تدرس فى المدارس الثانوية وليس فى هذا الوصف مجانبة للحقيقة ، فإن المحاضرين من المدرسين الذين قضوا سنين كثيرة مشغولين بما فى مناهج المدارس لا يكادون يخرجون عنه .. وبعضهم من مؤلفى الكتب المدرسية المعروفة فى مدارس السودان كما هى معروفة فى مصر . ولا شك أن إخواننا السودانيين الذين يقرأون الإنتاج المصرى الحر ، ويطالعون ما فيه من روائع ، ثم يسمعون تلك المحاضرات التقليدية « الرسمية » — معذورون إذا هم صدموا بالفارق بين هذه وتلك ، كما أنهم محقون إذا وصفوا الأشياء بصفاتها

وهناك نوع من أولئك المحاضرين ، يحب أن يدل على « تجديده » أو على « عمقه » أو على « وطنيته » فيشوب الموضوعات الثقافية بإشارات سياسية ، تفسد الثقافة ، وتفسد السياسة .. أما إفسادها الثقافة فتأتى من ناحية التكلف الذى يحرف الأمور عن مواضعها والذى يفسد كل شئ ، وأما الجانب السياسى فنحن لا نجنى من هذه الإشارات إلا ما نجنيه فى مصر من المهاترات الحزبية ، ويجب أن يعلم هؤلاء الأساتذة أنهم مبعوثون إلى إخواننا الجنوبيين جميعا على اختلاف أحزابهم وطوائفهم ، وأن مهمتهم الثقافية الخالصة هى التى تخدم الوحدة ، أما ما يبغونه من الظهور بمظهر البطولة فإن عاد إليهم بشئ من « الوجاهة » فى نظر السطحيين ، فإنه يجر إلى جانب ذلك كثيرا من الحزازات ويغرس النفور فى النفوس

وليت وزارة المعارف تخرج عن تلك « الرسمية » القفرة فتختار بعض الأدباء المعروفين بآثارهم القلمية الناضجة ليشاركوا فى موسم المحاضرات المصرية بالسودان فتتيح لأهله أن يروا الوجوه التى يقرؤون لأصحابها ، ويصلوا ما يقرؤون بما يسمعون ، ولعل فى هؤلاء من يطلع عليهم بما يفتقدونه فى أولئك

توصيات اللجنة الثقافية :

تجتمع بالإسكندرية اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وقد بدأت اجتماعاتها يوم ٢٠ أغسطس الماضى ، ولا تزال توالى هذه الاجتماعات حتى كتابة هذا . وقد فرغت من النظر فى بعض الموضوعات المعروضة عليها ، فقررت توصياتها فيها

نظرت فى موضوع ترجمة الكتب العالمية التى تهم العالم العربى فأوصت الإدارة الثقافية باتباع الوسائل التى تراها كفيلة بعدم تكرار الجهود فى الحكومات العربية وبين المترجمين الأحرار فى الترجمة العربية

ونظرت فى تشجيع التأليف ، فرأت أن تخصص الجامعة العربية جائزتين لهذا الغرض تمنحان سنويا ، على أن تؤلف لجنة خاصة لوضع شروط هذا المنح ، وقد رؤى أن تخصص الجائزة الأولى لأحسن كتاب عربى علمى أو أدبى يخدم فكرة تتصل بتحقيق غايات الجامعة العربية وأهدافها العامة ، وأن تخصص الجائزة الثانية لتكليف مؤلف عربى أو أكثر وضع كتاب يستكمل وجها من أوجه النقص فى مجال التأليف العربى المتصل بدراسة حياة العرب وفكرهم وحضارتهم ، وترى اللجنة أن فى حياة العرب وتراثهم القديم ونهضتهم الحديثة كثيرا مايستحق التسجيل بالوسائل العصرية كالسينما ، ولذلك توصى بأن تعنى الدول العربية بتصوير أفلام تعليمية وتعريفية عن حياة كل منها لتعريف العرب بعضهم ببعض ، وتعريف العالم الخارجى بالحياة العربية ونهضتها فى العهد الحديث .

ونظرت اللجنة فى موضوع نشر الثقافة بين الكبار ، فسجلت بالتقدير ماأصابته تجربة تثقيف الكبار فى مصر من نجاح ، وأوصت سائر الدول العربية بتعميمها ، على أن تتبع فى ذلك المبادئ الآتية :

١ — أن يبدأ تثقيف الكبار بعد المرحلة الإجبارية من التعليم وحيث تنتهى فترة التعليم الأساسى

٢ — يعهد إلى المختصين فى وضع كتب فى الحد الأدنى لما يلزم المواطن العربى الصالح لتعريفه حقوقه وواجباته الأساسية ، ووضع كتب لمعالجة مشاكل الحياة اليومية كالصحة والاجتماع والتدبير المنزلى وبعض الحرف البسيطة للرجال والنساء

٣ — تعد أشرطة سينمائية للتثقيف والإرشاد

٤ — إعداد دراسات ثقافية فى دورات معينة لخريجى المدارس الثانوية الذين حالت ظروف الحياة دون إكمال تحصيلهم.

عباس خضر



نقد

معجم شمس العلوم

طبعة أوربا صفحاتها ٣٤٦ طبع في بريل بليدن ١٣٧٠ هـ (١٩٥١)
طبعة اليمن صفحاتها ٤٩١ « بمطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٧٠

للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

عندما قرأت منذ عشرة شهور في مجلة الرسالة نبأ اعتزام حكومة اليمن نشر معجم « شمس العلوم » تأليف نشوان بن سعيد الحميري كتبت كلة أحيي فيها حكومة اليمن ومن انتدب لتحقيقه والإشراف على طبعه وقلت :

« إنني أرجو من حكومة اليمن التي تتولى طبع المعجم وإخراجه أن تعني به عناية لامزيد عليها ، لأن حياة الكتاب طبعه طبعا أنيقاً، مصححا تصحيحا دقيقا ، ونشره نشرا علميا صحيحا ، ولابد لطبع هذا المعجم النفيس من لجنة تشرف عليه لجنة فاحصة محققة تتولى تحقيقه وتصحيحه وتجنيبه التصحيف والتحريف والخطأ ، وتعلق عليه ، وتسهل مراجعته لكل من يريد الكشف عن كلة من الكلمات »

واقترحت تكوين هذه اللجنة ، وأن يكون بينها عالمان جليلان هما الأستاذان عبد السلام هارون وأحمد محمد شا كر

وكانت كلمتي بالرسالة تحية لليمن وتقديرا لجهوده العلمية ويقظته الجديدة ومشاركة مصر جهودها الضخمة في ميدان العلم والفكر

والآن وقد انتهى طبع الجزء الأول من « شمس العلوم » ووصل إلى بعض القراء واطلعت عليه فإن من اللازم على أن أقف القارئ على حقيقة عمل إخواننا اليمنيين وما بذلوا من جهد في سبيل إخراج هذا المعجم

ومن عجيب المصادفات أن تصدر من « شمس العلوم » طبعتان في سنة واحدة: إحداهما في أوروبا والثانية بالقاهرة ، ولكن شتان ماهما، وصدرت طبعة أوروبا في شهر رجب ١٣٧٠ وطبعة اليمن منذ شهر

أما طبعة اليمنيين فرديئة إلى حد بعيد من الناحية العلمية وإن كان الورق صقيلا والطباعة حسنة جيلة تشهد لدار الحلبي بالجودة والإتقان والتقدم . وأما طبعة أوروبا فممتازة رائعة : الورق أبيض صقيل من الورق الغالي المترف ، والطباعة متقنة . وتفضل طبعة أوروبا طبعة اليمن في كل شيء ، في خلوها من الخطأ ، والدقة في التصحيح، والعناية بالنشر والتحقيق والمراجعة التي لامزيد عليها ، ووصف الكتاب وطريقة مؤلفه ونقده

وقد قام بنشر « شمس العلوم » في أوروبا المستشرق السويدي العلامة زترستين K. v. zettersteen وصدر منه الجزء الأول منذ شهور ، وطبع بمطبعة بريل بليدن ، وهو يحوي أربعة حروف : ا ، ب ، ت ، ث ، وعدد صفحاته ٢٧٥ صفحة، وله مقدمة في ١٧ صفحة (XVII) وملحق في ٥٤ صفحة وكلاهما باللغة الألمانية ، درس فيه «زترستين» هذا المعجم الرحب الفضفاض دراسة دقيقة

والحق أن طبعة أوروبا صحيحة دقيقة متقنة ، وقد قرأت منها صفحات كثيرة فألفيتها صحيحة دقيقة لا خطأ فيها مما يدل على العناية البالغة والخدمة التامة والجهود العظيمة التي بذلها هذا المستشرق المخلص في عمله

أما الجزء الأول الذي أخرجته حكومة اليمن ، ووقف على تصحيحه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني مندوب وزارة المعارف اليمنية فلا يوثق به ، ويجب أن يهمل ، لأن كل صفحة منه لا تخلو من خطأ يسيء إلى اللغة والفكر ، وأنصح الحكومة اليمنية أن تتلف هذا الجزء وتعيد طبعه من جديد إذا كانت حريصة على نشره ، وتكل تحقيقه إلى محققين يوثق بعلمهم وتحقيقهم وفهمهم للنصوص العربية واللغة والشعر من أمثال الأستاذ الجليل عبد السلام هارون

إنني آسف جد الأسف على هذه الخسارة التي تكبدتها حكومة اليمن ، وكنت أود أن يبذل من الجهود في نشر

« شمس العلوم » ما يكون كفاء ما بذل من المال ، فحكومة اليمن – جزاها الله خيرا – أنفقت بسخاء لطبع هذا المعجم ، ولكن لم ينشر نشرا علميا ، ولهذا كان الكتاب مزدحما بالخطأ الفاحش المعيب

ويحوى الجزء الأول من طبعة اليمن ستة حروف : ا ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، وعدد صفحاته ٤٩١ من القطع الكبير

ولأبين فساد هذه الطبعة من الناحية العلمية أقدم للقارئ « عينات من الأغلاط التى تعد كبائر فى اللغة وقواعد العربية ، وتقيم الدليل على أن من نشره لم يفهم النصوص فهما مستقيما ، وأنه كان ضعيفا فى اللغة ، وغير عارف بالعروض والشعر ، حتى الآيات القرآنية أصابها التشويه والغلط

جاء فى الصفحة الأولى من « شمس العلوم » وتحمل رقم ٣ : « واجتهدوا فى حداسة ما وضعوه ، وضبط ما حفظوا وصنفوا من ذلك وجموه »

والصواب : « حراسة » لا « حداسة » و « حفظوه » بدل « حفظوا » كما فى نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة

وجاء فى الصفحة نفسها : « جعل تصنيفه حارسا للنقط » وفى نسخة المدينة المنورة : « حارسا النقط »

وفيها أيضا : « وكشفوا عنه ما ستر من الحجب » وفى نسخة المدينة : « يستر » بدل « ستر »

وفى الصفحة الثانية وتحمل رقم ٤ : « حملنى ذلك على تصنيف ، يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها ، ويجملها مع جنسها وشكلها ، ويردها إلى أصلها »

وبهذا السطر أربع غلطات ، أولاها : ضم عين الفعل من يأمن وإذا قبلنا صنع الناشر الشيخ الجرافى فإنه يعد من المستدركين على واضعى قواعد العربية ، لأنه أوجد بابا جديدا للمجرد الثلاثى وهو فعل يفعل ، وبهذا يكون عدد أبواب الفعل الثلاثى المجرد سبعة بدل ستة ، وهذا مالم يقل به أحد

إن أمن يأمن من الباب الثالث قطعا وكان الواجب أن يكون « يأمن » يأمن

وثلاث الغلطات الأخر جعله المصدر المسبوق بالباء فعلا مضارعاً ، فأصبحت هذه المصادر المسبوقة بالباء : يحرس ، ويجملها ، ويردها ، أفعالا عند الشيخ الجرافى ، مع أن السياق يضطرب بذلك

وصواب الجملة كلها هكذا : « حملنى ذلك على تصنيف ، يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، بحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، وبجملها مع جنسها وشكلها ، وبردها إلى أصلها »

وكذلك جاء فى نسخة المدينة المنورة

وفى الصفحة نفسها : « والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، ورادة كل كلمة من بنائها إلى الأصل » وفى نسخة المدينة : « حارسة الحركات »

وفيها أيضا : « ويدرك الطالب فيه ملتمسه سريعا ، بلا كد فطنة غرزية ، ولا إتعاب خاطر ولا روية » وفى طبعة أوروبا ومخطوطة عارف حكمة الله بالمدينة : « بلا كد مطية غريزية »

وطبعة اليمن تصحف « مطية » وتجملها : « فطنة » وتسيء إلى المؤلف الذى سمى معجمه « الأمان من التصحيف »

ولو أراد المؤلف – رحمه الله – النسبة إلى « غريزة » لما قال : « غرزى » بل لسار على القاعدة وقال : « مطية غرزية » ولكن الشيخ الجرافى يخطئ فهم النصوص فينسب إلى المؤلف خطأ لم يقع فيه ، وفوق هذا فإن سياق الجملة ينفى أن المؤلف قصد « المطية الغرزية » لأنه قال بعدها : « ولا إتعاب خاطر ولا روية » وإنما قصد أن يقول : – وهو معنى ما يريده – إن هذا المعجم سهل مستوعب ، ولهذا يدرك الطالب فيه ما يريده سريعا دون أن يتعب أو يضنى ، ولا يتكلف شيخا يقرأ عليه ، ولا مفيدا يحتاج إليه ؛ كما أنه لا يحمله مؤونة السفر فيكد راحلته التى لا تجهد ولا تعيا »

وطلبة العلم فى زمن المؤلف كانوا يكدون الرواحل « الفريزية » فى سبيل العلم ، وما يزالون فى بعض بلاد العرب كذلك حتى الآن

وصواب الجملة : « بلا كد مطية فريرية » والفرير كما جاء فى صفحة ٣٢٥ من الجزء السادس من لسان العرب : « لحل

من الإبل » وقال اللسان فى الصفحة نفسها : « الإبل الغربية منسوبة إليه »

ومن هنا يظهر لنا أن المؤلف أراد : « بلا كدمطية غربرية » لا « قطنة فريزبة » كما جاء فى طبعة الشيخ الجرافى وتصحيحه الخاطئ

وفى صفحة ٥ من طبعة الجرافى : « إنه أقبع آثارهم ، واقتفى منارهم ، وآخذ ما اختار من علمهم » والصواب : اتبع لا « أقبع » وأخذ بدل « آخذ »

وفى صفحة ٧ : « فمرض عليهم الصلاة الخ » وصحتها : « ففرض »

وفى صفحة ١١ :« وشمأل على وزن فأعل » والصواب :فمأل

وفى صفحة ١٣ : « وفى مثل قحطبة وطلحبة قال :

رحم الله أعظما دفنــــوها بسجستان طلحة الطلحات

والصواب : طلحة. لا « طلحبة » كما ذكر الشيخ الجرافى، والدليل البيت الذى استشهد به المؤلف

وفى صفحة ١٣ أيضا : «ضيـفن وعشن وخلبن الخ » والصواب: « عيشن » لأن المؤلف كان يتحدث عن زيادة النون فى مثل ضيـفن

وجاء فى صفحة١٥: «قال أحمد بن يزيد المبرد» والصواب : محمد

وفى صفحة ١٦ : « دياروضياع . والأصل : ديواروصواع» والصواب : صيواع

وفى صفحة ١٩ : « فم ، وفويهما » والصواب : فتح الفاء فى كليهما . ولا ضرورة « لتشكيل » فم ، والشيخ الجرافى يدع « تشكيل » الـكلمات التى يفرض تشكيلها، ويشكل الـكلمات التى لا يخطئ فى نطقها الأطفال

وفى صفحة ٢٣ : « قراءة أبى عمرو الـكسائى » وصوابها : قراءة أبى عمرو والـكسائى . لأن أبا عمرو ليس الـكسائى

وفى صفحة ٣٠ : « والتصغير فويه » مريدا تصغـير فم والصحيح : فويه

وفى صفحة ٣٧ : « مفصل الإل » وصوابها : الأل . لأن المؤلف يفتتح هذا الباب بقوله : « فعل بفتح الفاء وسكون العين ويذكر من الـكلمات ما كان على وزن فعل

وفى صفحة ٤٣ : لقد جئت شيئا إده وإدا » والصواب : « إدة » جاء فى لسـان العرب ص ٣٧ ج ٤ : « الإد والإدة العجب »

وفى صفحة ٤٧ أيضا : « وجمـع الإدة . أدد » وأدد هنا تقرأ بفتح الهمزة وضمها ، وهذا لم يرد فى اللغة ، وإنمـا الوارد : إدد — على وزن عنب — كما جاء فى ٣٧ ج ٤ من لسان العرب « وجمـع الإدة إدد »

وفى صفحة ٤٨ يقال : « أززت الشئ أزا » صـوابها : أزَزت (بتخفيف الزاى) لأنه ثلاثى ومصدره « أز » يدل على ذلك ، أما أززّ (بتشديد الزاى) فلم يسمع إلا من الشيخ الجرافى جاء فى صفحة ١٧١ من الجزء السابـع من لسان العرب : « أززت الشئ أؤزه أزا ، ولم يذكر غيره

وفى صفحة ٥٠ : « أثث أعالى النخلة أثاثة إذا التفت » والصواب : « أثث » لأن الفعل ثلاثى وهو « أث »

وفى صفحة ٥٠ أيضا :

« فأثث أعاليه وأدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمرا »

والصواب : « فأثت » وبذلك يستقيم وزن البيت

وفى صفحة ٥٥ : « وعبد الله بن أباض الذى تنسب إليـه الأباضية من الخوارج . وهو من تميم من بنى مرة »

وفى صفحة ٢١١ : «هم ولد تميم بن مر بن أد الخ »

والصحيـح ما جاء فى صفحة ٢١١ : « مر » لا ما جاء فى صفحة ٥٥ : « مرة » و « أباض » صوابها : « إباض » و « الأباضية » صوابها : « الإباضية »

وفى صفحة ٥٦ : « أبلت الوحش تأبل : لغة فى تأبل » والقارئ غير المتمكن فى اللغة لا يستطيـع معرفة اللغة الثانية فى تأبل ، ولعل الشيخ الجرافى نفسه لا يعرفها ، ولذا تركها بدون ضبط ، وكان الواجب عليه أن يضبطها هـكذا : أبلت الوحش تأبل لغة فى تأبل . جاء فى ص ٦ ج ١٣ : « وأبلت الإبل والوحش تأبل وتأبل »

البقية فى العدد القادم

أحمد عبد الغفور عطار



١ — استعمال خاطىء :

نشرت جريدة المثال الموصلية الغراء في عددها « ١٦ » من السنة الأولى قصيدة للشاعر بشير حسن القطان بعنوان « أطياف » جاء فيها البيت التالي :

و « غنوة » العذراء في حضر الصباح الباكر

وأراد الأديب القطان « غنوة » بمعنى أغنية وهو خطأ شائع لأن « غنوة » من الغنى بمعنى الاكتفاء واليسار كما في جميع المعاجم العربية ولم يرد بمعنى الغناء أي النشيد ولو قال « ونغمة العذراء » لاستقام الوزن، وقد وقع في هذا الخطأ نفسه صديقنا الأستاذ الشاعر كمال نشأت صاحب ديوان « رياح وشموع » إذ أورد هذه اللفظة نفسها في قوله من قصيدته « نسمة الفجر » ص ٢٦ من الديوان

يا زفرة الفجر الوليـــد وغنوة الروض النضير
دوري ودوري غنوة جمعت ترانيم الدهور

٢ — من عيوب القافية :

وجاء في العدد نفسه من الجريدة الموصلية « المثال » أبيات للأستاذ عبد المجيد لطفي رفعها لصاحب الجريدة الصديق الأستاذ عبد الباسط يونس منها :

أخي « باسط » لاعيد لمن يشعر بالنكبه
ومن يعصره الهم ومن تخنقه العبره

والأبيات من قافية واحدة وفي البيت الثاني عيب فظيع من عيوب القافية يسمى « الإجازة » * وهو الجمع بين رويين مختلفين في المخرج لأن الروي في أبيات لطفي الباء لا الهاء.

٣ — في كتاب (هرون الرشيد) :

جاء في الصحيفة (٤٢) من كتاب الدكتور أحمد أمين بك « هرون الرشيد » الذي أصدرته دار الهلال ما يلي :

« ويصف لنا بشار الأعمى كأساً عليها صورة كسرى بقلنسوته ، ورسم حد للخمر الصرف ورسم حد آخر للماء الممزوج به »

ويقصد بالوصف الأبيات التالية :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهى تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليها القلانس

والشعر هذا لأبي نواس وليس لبشار .

وأبياته هذه من الشهرة بحيث يتغنى بها تلامذة المدارس

٤ — وذكر الدكتور أحمد أمين بك ص ٥٩ أبياتا إلى أبي نواس مطلعها

إنني أبصرت شخصا قد بدا منه صدود

جاء فيها البيت التالي

عندها صاح حبيبي يا معلم ، لا أعود

والبيت على الصورة التي رواها الدكتور أحمد أمين بك غير صحيح ، لأن وزنه لا يستقيم إلا بسكون ميم معلم وسكون يا معلم لا يجوز لأن الاسم منادى معرفة وحركته الرفع ، أما إذا رفعها فالوزن لا يستقيم

٥ — وروى الدكتور أحمد أمين في الكتاب نفسه ص ٨٤ أبياتا إلى أبان اللاحق قالها على لسان الخليفة هرون الرشيد عند وفاة جاريته « هيلانه » مطلعها

بت منجيع الحزن ما أغفى لحادث جل عن الوصف

ثم هذا البيت

أنت أهل الترب من فوقها مواريا تحت الثرى أنفى

وقد حاولت أن أفهم معناه فلم أستطع ، ورجعت إلى بعض المصادر التي تحوى شعر أبان اللاحق فلم أعثر على هذه الأبيات

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

٦ — مقالاتي عن الشعر العراقي

تفضل الأستاذ عفيف الحسيني فكتب في العدد ٩٤١ من

---

* كتاب العروض لصديقنا الأستاذ عبد المجيد الملا

الرسالة الزاهرة يذكرني بالوعد الذي وعدت به القراء الكرام حول كتابة سلسلة مقالات أحلل بها أعلام الشعر العراقي المعاصر ، وأحب أن أقول للأستاذ إنني لم أنس وعدي، ولكنني كتبت إلى بعض من أعتقد أنهم من الشعراء الذين يستحقون التحدث عن نتاجهم الشعري ليكون بحثي تاما ، وإنشاء الله وسأوافي الرسالة في الأسابيع القادمة بأول فصل من هذه الدراسة التي ستكون في المستقبل كتابا يصور الشعر الحديث في العراق أجمل تصوير . كما أرجو أن أكون عند ظن الأستاذ الحسيني الكريم وإخوانه الذين كتبوا لي طالبين مني إبقاء هذا الوعد . . وأن تكون هذه الكلمة فاتحة لذلك العمل الأدبي الذي أتشرف أن أقوم به خدمة لبلادي الذي حرمني حتى نعمة العلم والدرس

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصري

الجريدة لا السياسة :

في أول أغسطس سنة ١٩٥١ نشر صاحب العزة محمد عمران عبد الكريم بك في المصري (حينما أنشأ جماعة من الأعيان جريدة السياسة لتدافع عنهم وعن مبادئهم في ذلك الوقت ١٩٠٦) ومحمد مختار يونس يقول تصحيحا لهذا « إن الذي أنشئ هو « الجريدة » لا السياسة ، لحزب الأمة بزعامة محمود سليمان باشا وبرياسة تحرير أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد باشا

محمد مختار يونس

١ — حبيبتي السمراء .

جاء في قصيدة « حبيبتي السمراء » للفيتوري :

حبيبتي سمراء ... سمراء مثل الكروم ، ناعمة كالضياء ، خمرية كالماء . .

ولا أرى سمرة للكروم إلا الخضرة الداكنة للأوراق . . ولا أحس نعومة للضياء لأنه مما لا يلمس . . ولا أرى كذلك للماء لونا يشبه لون الخمر أو يقاربه اللهم إلا في زيادة النيل حين يحمل معه فتات الصخور . . وما أظن ذلك إلا جموح خيال من الأستاذ الشاعر .. أما كلمة « سوسان » فلا أعرف إلا السوسن فقط . فلعل القافية هي التي جاءت بهذه الألف .. ولعلها لغة فيها .. والشاعر هو الذي يستطيع أن يفيدنا بذلك ـ والقاموس لم يذكر سوى سوسن وسوسنة

٢ — غموضه :

وفي غموض أرنو إلى الفجر الجميل كساحر حملت يداه ريشة عذراء

والساحر لا يحمل الريشة ، وإنما هو الرسام . ولكن الوزن لا يستقيم به

. والشمس .. « شمت ماسة زرقاء .. » ولا تراها حتى العين الرمداء .. زرقاء اللون.. ولو كانت كذلك لما نسخت الظل وطوت الظلام . وكلمة « تدفق » وهي « تدفقت » ... وكلمة « ازرق أمواها » بعد « وإلى المياه » لا تستقر ولا تتسق مع ما بعدها وهي « وشف نقاء » ... وللشاعر تحياتي وتقديري ..

كيلاني حسن سند

الجر « الخطوف » :

خطف المجد في هذا الزمان ، الذي ابتدع الحرب الخاطفة ، والقنبلة الذرية !

ولقد غدا يتبع « الركاب » ؛ فتبعه الإمعات والأذناب !

ألست ترضى البالغ في جهله حد النبوغ وقد لوح بما نال من عجيد في دنيا العبيد !

ألست تتكلف التصفيق له حين تتسمع إلى فهاهته وعيه ، وبالود منك أن تصفع قفا غروره ليستقيم خده المصعر في وجهه الصفيق ؟

ألست تعجب من وثباته في المجتمع المخدوع وهو مباه بما ناله من مجد خطفه خطفة القردة والمشعوذين ؟

هذا هو الشأن فيما صارت إليه الأمور ؛ فإياك والاعتماد على نبوغك ، وسعة أفقك ، وعزة نفسك ، وتحصن كرامتك !

إن الجري وراء الركاب ، والتمسح بالأذيال ، وإراقة ماء الوجه ، وبيع الكرامة في سوق النفاق ، هي الأسباب القوية



(تتمة من مقال سابق)

في انتزاع المجد « المخطوف » !

أما تقويم القدر بحسن التقدير ، وإنزال الاعتزاز منزلة التوقير ، وإتباع الترفع رفعة النظرة ؛ فأوهام تلعب بعقول التائهين في عالم المثالية ! رحم الله من يؤثر العيش في غمرة عن أن يكون مجدا باغتماز شعوره ! . ليهنأ متورم الأنف ؛ فهو ماجد لكن أنفه غير أشم !

وليسعد العبيد بهوان النفس في بعد الصيت الخفيض !

إن حياتنا تأفك الحق ، وترد الإنصاف ، وتخزى كل ذى عفة وحياء !

غدا الهرج مبتدعا ، والراقص في الندى المديا ، والأفاق الوصولى أريحيا ! حياة مضطربة يضطرب فيها شعور الإنسانية ، حتى انقلبت إلى ما نرى من الألاعيب والأعاجيب

أما أصحاب المجد « المخطوف » ، فليس يستديم ما خطفوه إلا إذا استدامت خطفة العين أمام الأمجاد الأصيلة !

بورسعيد احمد عبد اللطيف بدر

مسرحية في فصل واحد :

في مضار التدخين

لأنطون تشيكوف

للأديب حسين أحمد أمين

شخصية الرواية : إيفان إيفانوفيتش .. وهو زوج ضعيف تحكمه زوجته أما هي فديرة لمدرسة للموسيقى ، ومدرسة داخلية للبنات ..

المنظر : منصة في إحدى الجمعيات . . إيفان قائم يخطب وهو في معطف قديم .. ينحني للحاضرين ...

إيفان إيفانوفيتش : سيداتي ، سادتي : عرض البعض على زوجتي أن ألقى محاضرة هنا في موضوع خيري مفيد يهم الناس. وما دام من المحتم على أن أحاضر ، فإني لا أجد لنفسي حيلة إزاء ذلك .. وأنا — بالطبع — لست بالأستاذ المتفقه ، ولا بالحاصل على درجات علمية ، غير أني قضيت الثلاثين عاما الأخيرة في دراسة موضوعات علميـة بحتة دون توقف ولا انقطاع ، ودون مراعاة لقواعد الصحة .. إنني رجل مفـكر وأقوم أحيانا بتجارب علمية ليست علمية تماما ولـكنها — وأرجو المعذرة — تحمل الطابع العلمي . . وبهذه المناسبة أذكر أني كتبت منذ أيام مقالة طويلة تحت عنوان (في مضار الحشرات !!) وقد أعجبت بناتي بالمقالة كثيرا وخاصة الفقرات الخاصة بالبـق . . غير أني مزقتها بعد قراءتها .. إن بيتنا يعج بالبق ، وحتى البيانو نراه مليئا به ... والمقالة الجيدة لا تغني في مكافحة البق عن مسحوق من الصيدلي

أما عن موضوع محاضرة اليوم ، فقد اخترته عن المضار التي يسببها التدخين لبني الإنسان ... وأنا نفسي أدخن ، ولـكن زوجتي أمرتني أن أحاضر اليوم في مضار التدخين .. فلم يكن لي في ذلك خيار . .

حسنا — لتكن المحاضرة عن التدخين .. وهو موضوع لا أهمية له عندي .. غير أني أرى أن تعيروه أنتم كل الأهمية كي لا يحدث شيء لا نتوقعه . . وعلى من يكره للموضوعات العلمية الجافة ، ومن لا يعبأ بمثل هذه الأشياء ألا ينصت إلى ومن الخير أن يغادر المكان .. (يعتدل في وقفته)

وإني أطلب بصفة خاصة من المشتغلين بالطب الحاضرين الآن أن يعطـوا المحاضرة كل انتباههم حتى يمكنهم أن يحصلوا منها على أفيد المعلومات .. فالطباق — إلى جانب مضاره للمدخنين — يستعمل في الطب . . فإذا وضعنا ذبابة — مثلا — في صندوق به طباق ، قد نجدها بعد حين ميتة بسبب اختلال جهازها العصبي .. وبهذه المناسبة أذكر أنني كلما ألقيت محاضرة ، أجد نفسي أغمز بعيني اليمنى .. فأرجو ألا تعيروا ذلك أهميته .. إنه مجرد تعب في الأعصاب .. وأنا — بصفة عامة — عصبي جدا .. وقد بدأت

عادة النمز منذ سنة ١٨٨٩ ـ فى ١٣ سبتمبر إذا أردتم الدقة .. وهو اليوم الذى وضعت فيه زوجتى ابنتنا الرابعة بربارا ... ومع ذلك (ينظر فى ساعته) فالوقت ضيق ، ولا ينبغى الخروج عن الموضوع ... على أنه من اللازم أن أخبركم أن زوجتى تدير مدرسة للموسيقى ومدرسة داخلية ... لست أعنى مدرسة داخلية تماما ... ولكنها تشبه المدارس الداخلية ...

وزوجتى تحب دائما أن تشكو من الحالة المالية ... مع أن لديها فى البنك ـ مما وفرته ـ المال الكثير ... أما أنا فليس عندى درهم واحد ... ولكن لنترك هذا الموضوع فهو لا يهم أحدا ...

وأنا أعمل فى مدرسة زوجتى الداخلية ... فأشرف على التموين والخدم والمصروفات وأجمع الكراسات ، وأكافح البق والفئران وأخرج بكلب زوجتى الصغير للنزهة ...

وبالأمس كان على أن أعطى للطاهى خبزا وزبدا كى يعد لنا اليوم بعض الفطائر . . وبالاختصار دخلت زوجتى اليوم فى المطبخ بعد أن انتهى الطاهى من إعداد الفطائر وقالت إن ثلاثة من تلاميذها لن يأخذوا نصيبهم منها لأنهم ابتلعوا نباتات سامة . . وعلى ذلك أصبحت لدينا ثلاث فطائر زائدة عن الحاجة . . فماذا كنتم تصنعون بها ؟ أمرت زوجتى الطاهى بأن يضعها فى المخزن ثم عادت ففكرت برهة وقالت :

— لك أن تأخذها لنفسك أيها الصنم . . إنها دائما تناديني بمثل هذه الأسماء عندما تكون غاضبة . . « أيها الصنم » « أيها الشرير » « أيها الشيطان » . وهكذا . . ولعلكم ترون معها أننى أبدو كالشيطان . . إنها دائما غاضبة ثائرة متأففة .. ولكنى لا أمضغ شتائمها بل أبلعها بلعا .: فأنا دائما جوعان . . فبالأمس مثلا لم ترد أن تمنحنى عشاء وقالت : « إن من العبث أن أمنحك طعاماً ما دمت تجوع بسرعة . . » ومع ذلك (ينظر إلى ساعته) فأرانى قد خرجت عن الموضوع .. ولكن لنستمر : . ولو أنى أشعر بأنكم تفضلون سماع قصة أو سيمفونية أو أغنية . . وعلى ذكر الموسيقى ، نسيت أن أخبركم أنى أدرس فى مدرسة زوجتى الموسيقية ، الرياضة والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والتاريخ والأدب وأنى أعلم التلاميذ الرقص والغناء والرسم بينما تتقاضى زوجتى رسوما إضافية لنفسها من هذه الدروس .. وعنوان المدرسة هو شارع الكلاب الخمسة رقم ١٣

وربما كان هذا الرقم المشئوم هو سبب تعاستى . . فبناتى كلهن ولدن فى الأيام الثالثة عشرة من أشهر السنة . . ونوافذ منزلنا عددها ١٣ . . ولكن ما الفائدة فى ذكر ذلك ؟ إن زوجتى بالمنزل تستقبل الضيوف وتدير الأعمال .. وقد سألتنى أن أبيع لمن يريد منكم برنامج مدرستها بثلاثة قروش فقط . هل يرغب بعضكم فى نسخة ؟ (فترة صمت) لا أحد ؟ حسنا . . لنجعل ثمنها قرشين . . (فترة صمت) يا للضيق ! نعم . . إن رقم منزلنا ١٣ . وقد فشلت فى كل شىء .. لقد تقدم بى العمر وصرت غبيا . إننى أحاضر الآن وقد أبدو وجيه المنظر ولكن بى رغبة جامحة فى الصراخ بأعلى صوتى والهرب إلى أقصى المعمورة.. ليس هناك من يسمع لشكواى وأنا أريد أن أبكى . . قد تقولون عندك بناتك . . بناتى ؟ إننى أكلمهن فيضحكن . . إن زوجتى لديها سبع بنات .. لا .. إنى آسف .. ست فقط.. (بقوة) بل سبعة . الكبرى فى السابعة والعشرين والصغرى فى السابعة عشرة .. أيها السادة (ينظر حوله) إننى بائس . . لقد أصبحت أحمق .. أصبحت عبثا لا قيمة لى .. ولكنى أسعد الآباء . : أو على الأصح يجب أن أكون كذلك ولا أجرؤ على القول بأنى لست كذلك .. ولكن . آه لو تعلمون .. لقد عشت مع زوجتى ثلاثة وثلاثين عاما وباستطاعتى القول أنها كانت أجمل سنوات حياتى .. لست أقصد أجملها تماما ولكن أتكلم على وجه العموم .. لقد مرت كلحظة سعيدة واحدة . . لعنها الله ولعن من يعيشها .. (يتلفت حوله) أعتقد أنها لم تحضر بعد..وأنى لذلك أستطيع أن أقول ما أريد .. إننى خائف .. أخاف نظرتها إلى .. ولكن لنعد إلى الموضوع . . كنت أقول إن بناتى لم يتزوجن بعد . . ربما كان السبب هو خجلهن ولكن السبب الرئيسى هو أن الرجال لم تتح لهم الفرصة لرؤيتهن . . فزوجتى لا تحب إقامة

الحفلات ولا تحب دعوة أحد إلى العشاء .. إنها لاذعة عصبية تحب الشجار ولذلك لا يقرب منزلنا أحد . ولكن ... سأسر لكم أمرا (يميل بجسمه نحو السامعين) باستطاعتكم رؤية بناتى فى أيام الأعياد الكبرى فى منزل عمتهن ناتالى سيميونوفا التى تشكو دائما من الروماتيزم . هناك باستطاعتكم تناول أطيب الأطعمة . فإذا لم تحضر زوجتى هناك كان باستطاعتكم أيضا أن .. (يرفع ذراعه) يجب أن أخبركم أننى أسكر من كأس واحدة. وأنى عندما أسكر أكون سعيدا جدا وتعسا جدا بصورة لا أستطيع وصفها لكم .. عندئذ أستعيد شبابى ولسبب ما أجد نفسى تريد الفرار . . الفرار إلى أية جهة . . آه لو علمتم كم أريد الفرار (بحماس) أريد أن أهرب مخلفا كل شئ ورائى ودون أن أنظر خلفى . . إلى أين ؟ أى مكان ، ما دمت سأطرح عن كاهلى تلك الحياة التافهة ، الحقيرة ، التى جعلت منى غبيا تعسا أحمق وما دمت سأطرح عن كاهلى تلك الزوجة الغبية الحقيرة الثائرة العصبية البخيلة التى لم تكف لحظة عن تعذيبى طوال الثلاثة والثلاثين عاما التى عشتها معها . أريد أن أهرب من الموسيقى .. من المطبخ . . من كشف حساب زوجتى . . من كل تفاهاتها وحماقاتها . أريد أن أهرب ثم أقف فى مكان بعيد .. فى حقل .. ساكنا لا أتحرك كالشجرة أو العمود أو الصنم . . تحت السماء الواسعة . . وأنظر طوال الليل إلى القمر الساطع فوق رأسى . . وأنسى . . وأنسى . . آه . . كم أريد ألا أتذكر . . كم أريد أن أمزق هذا المعطف القديم الذى ألبسه منذ حفلة الزواج (يمزق المعطف) والذى ألبسه دائما عندما ألقى محاضراتى فى الموضوعات الخيرية . . خذوه (يدوس بقدمه على المعطف) خذوه . . إننى كهل مسكين محطم كهذا المعطف الذى رقع ظهره . . (يدير ظهره للحاضرين) لا أريد شيئا . . إننى أحسن وأنظف من ذلك . . لقد كنت شابا فى وقت من الأوقات وكنت أدرس فى الجامعة .. كانت لى آمال وأحلام وكنت أعتبر نفسى رجلا . أما الآن فلا أريد شيئا . . لا أريد إلا الراحة . . الراحة . . (ينظر خلفه ثم يلبس معطفه بسرعة) إن زوجتى خلف المنصة تنتظرنى (ينظر إلى ساعته) لقد انتهى الوقت . . إذا سألتكم فأخبروها أن المحاضر .. الصنم .. أقصد نفسى .. تصرف بوقار .. أتوسل إليكم أن تخبروها ذلك . . (يلتفت حوله ويتنحنح) إنها تنظر إلى . . (يرفع صوته) وبناء على ذلك ، وبعد أن شرحت لكم ذلك السم الفظيع الذى يحتويه الدخان أرجو أن يمنع التدخين قطعيا وأتمنى أن تكون لهذه المحاضرة فى مضمار التدخين بعض النفع لكم

انتهت المحاضرة .. (ينحنى ويسير فى وقار)

(ستار)

حسين احمد أمين



ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة



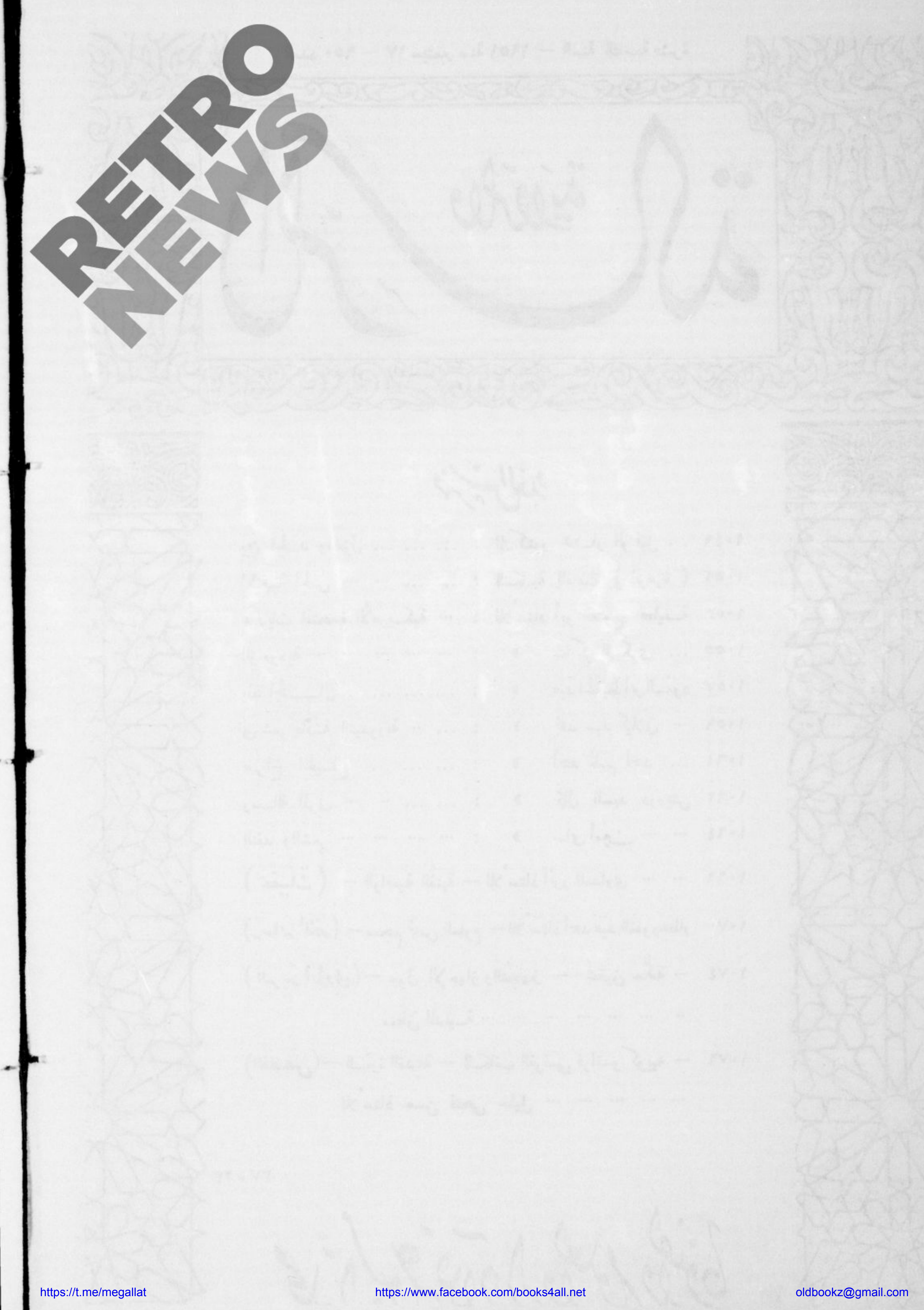
العدد ٩٥٠ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

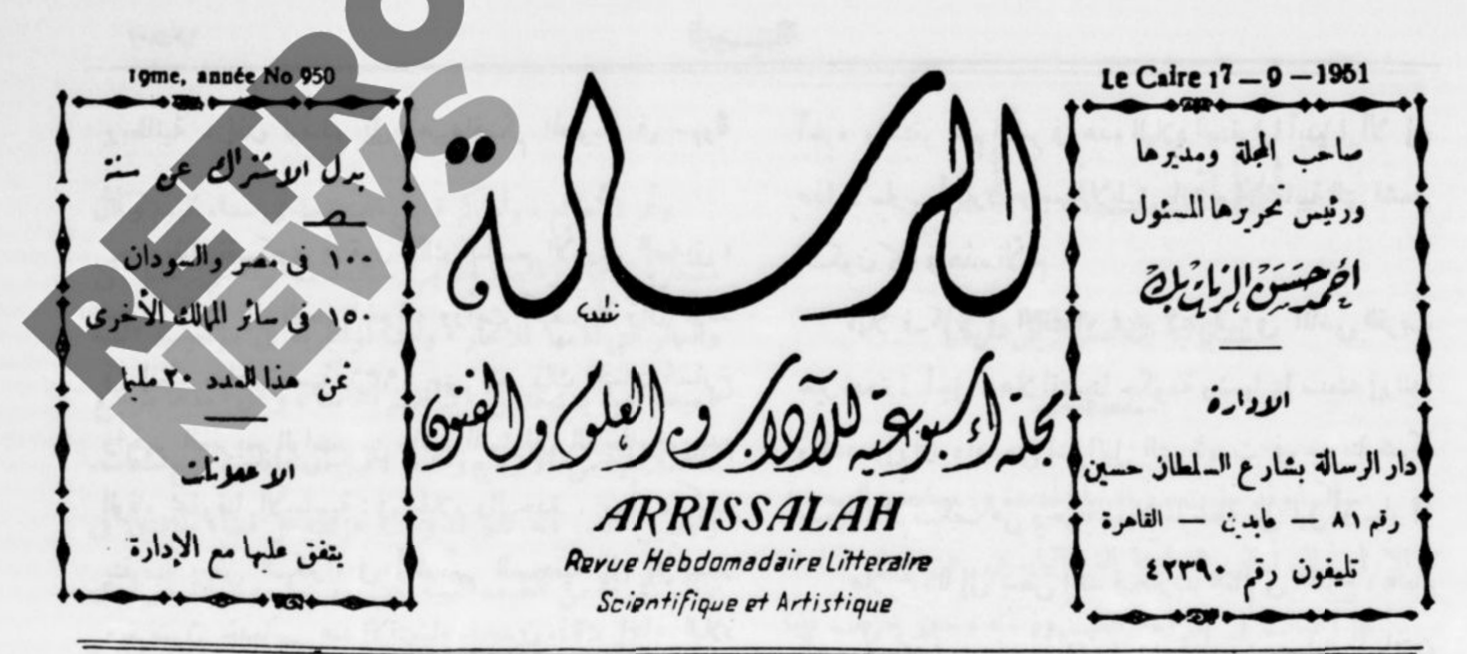


فهرس العدد

٢٣ ـ ٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





19me, année No 950

Le Caire 17 — 9 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٧٠ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

بين الجد والهزل!

للدكتور مختار الوكيل

حينما كنت في فرنسا مطلع هذا الصيف، دار حديث ودى بيني وبين رجل من أوسع الناس ثقافة — ولم يكن انجليزيا كما لم يكن فرنسيا — ولكنه من أولئك الذين يعطفون على مصر عطفاً حقيقيا لطول إقامته في ربوعها، ويرجو مخلصا لها النجاح في كفاحها ضد الاستعمار والطغيان. ذكر لي هذا الرجل الكبير خلال حديثه أن مصر — فيما يبدو للعالم الخارجي على الأقل — غير جادة — مع الأسف — في طلب الاستقلال الكامل وتحقيق الجلاء والوحدة مع السودان

وضرب لي مثلا، أو أمثلة، على عدم هذه (الجدية)، بما هو مشاهد وملحوظ من تعاون العمال المصريين مع القوات البريطانية في منطقة القنال تعاونا ينبئ البريطانيون عنه في آفاق الدنيا أنه تعاون أخوى قلبي صادق، وإقبال أولئك الشبان المصريين على العمل مع الإنجليز المحتلين إقبالا منقطع النظير. ونوه محدثي بما هو ملموس من تهافت التجار المصريين على إرسال سلعهم — وفي مقدمتها المواد الغذائية التي يحتاج إليها الأهلون احتياجا شديداً — إلى منطقة القنال، لأن ربحهم من ذلك المورد التجاري عظيم. وفضلا عن ذلك فإن الانجليز المحتلين يعتدون في كل يوم تقريبا على المواطنين المصريين من عمال معسكراتهم، ومن أهل المنطقة المرزوءة بهم، بل ومن أهل القاهرة والإسكندرية والمواصم الأخرى، حينما تطؤها أقدام جنود الاحتلال في نزهة أو رياضة، ومع ذلك فلا تحرك مصر ساكنا، وإن فملت فهي نغمة الصديق العاتب والمحب البقى على حبيبه المتجني!

واستطرد محدثي المحيط بأحوالنا جميعا يقول: لقد شبعت حكوماتكم من مفاوضة الإنجليز في سبيل تحقيق الأهداف الوطنية، وذهبت إحداها إلى مجلس الأمن بعد انقطاع المفاوضة وعادت بقرار من ذلك المجلس باستئناف المفاوضة فتنفس ساستكم الصعداء، وكأني بهم قد فرحوا بهذا الحل الموفق السعيد!

وأطرق محدثي قليلا ثم استأنف حديثه قائلا.

لو أنكم فعلتم، يا أمة الفراعين والعرب، بعض ما فعله اليهود الذين تسمونهم شذاذ الآفاق وتطلقون على دولتهم لقب (المزعومة)، عندما جلدوا الإنجليز جهاراً نهاراً وحبسوهم في فلسطين حتى أقضوا مضاجعهم وجعلوا مقامهم في أرضها كريها بغيضا ممقوتا . . . أو لو أنكم تصرفتم مثل تصرف الوطنيين الثائرين في إرلندا، على ذلك النحو الفدائي المتطرف، المنظم غاية التنظيم، أو لو أنكم، حتى، جربتم خطة غاندي في (المقاومة السلبية) والمقاطعة المنتظمة المحكمة، لكل ما هو صناعة

بريطانية ، إذن لوصلتم إلى أهدافكم المحبوبة في سهولة ويسر

وطال تفكيري في قول ذلك الناصح الأوربي الصديق ، حتى رجعت إلى الوطن أخيرا ، ورأيت كيف لا نزال نتردد في إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ حتى بعد ذلك التعنت الصارخ والجهر الصريح الواضح من جانب المسئولين البريطانيين بعدم الوفاء بحقوقنا الأساسية : في الجلاء والوحدة . ورأيت كيف يتقرب بعض الكبراء في أحاديثهم الصحفية إلى الإنجليز ويعرضون خدماتهم عند الاقتضاء متحدين بذلك إجماع البلاد حكومة وشعبا ، ومعلنين عن نفسية مهارة رخيصة، وتفكير معاد للوطنية مسموم بغيض ... ثم رأيت كيف يتهافت الشباب المصري على العمل مع القوات البريطانية في منطقة القنال ، وكيف يؤثر التجار المصريون بيع الحاصلات المصرية الصميمة إلى زبانية الاحتلال ، ويحرمون منها مواطنيهم ، وذلك لقاء ربح هين يسير !

ورأيت بعد ذلك كله كيف نواجه الموقف الضنك المصيب ، بالخطب المجلجلة الطنانة الخاوية ، وبالتهييج الشعبي الرخيص الذي ملت منه البلاد وسئمته ، وبالهتاف المدوي تعلو به الحناجر ، وبالتصفيق الموسيقي الرائع ، وبحمل القادة والمزعمين والمتطلعين إلى التزعم على الأعناق ، وبالتفكير في الالتجاء — هذه المرة وبعد كل تجاربنا المريرة المحزنة — إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بدلا من مجلس الأمن نفسه ، وبإعلان الشباب المصري المرجو في يوم الصدام الحقيقي والعمل الصحيح بدء الصيام حتى تلغى المعاهدة ، وهذا — مع عظيم إجلالي واحترامي للفكرة السامية في حد ذاتها — أسلوب في الكفاح عفى عليه الزمان ، وأصبح لا يقدم ولا يؤخر ، ولن يزيد المعتدين إلا غلوا وإغراقا في العدوان . وهبنا جميعا صمنا عن الطعام حتى يخرج المحتلون من الديار فهل ثمة عاقل ينتظر من الإنجليز العطف علينا والإبقاء على حياتنا بتقرير الجلاء حينذاك ؟ أحسب أن فرحة الإنجليز سوف تكون عظيمة إذا فني الشعب المصري كله عن آخره ، واستقر لهم الأمر في هذه البلاد استقرارا أبديا ! ألا إن هذا الأسلوب أسلوب رجعي لا يليق بالروح الإيجابية التي تشمل الكون كله في هذه الأيام

فهلا فكرنا في الاقتداء بمن كنا لهم في الماضي القريب خير قدوة ! أجل ، هلا اقتدينا حكومة وشعبا بما صنعته إيرلندا والهند وإيران ، أو حتى إسرائيل التي ظهرت في جنوبنا شوكة مدمية ، لا تكف عن وخزنا وإيلامنا لحظة من ليل أو نهار ؟!

هلا عمدنا إلى بعض الجد فيحترمنا العالم في الخارج ، فالعالم اليوم لا يحترم سوى الجادين ، ويسقط من حسابه المتهافتين والمازلين

دكتور مختار الوكيل

لطافـــة الحس

للكاتبة الفاضلة (الزهرة)

سألتها وقد جاءت من الدنيا الجديدة فى سياحتها الصحفية الأولى، إلى أرض الفراعنة الغر الميامين عن أول ما لفت نظرها؟ فقالت فى صراحة القلب وذكائه، حين يخاطب قلبا يستمد حياته من دقة الحس ورقة الشعور: شيئان استرعيا اهتمامى يا صديقتى فور أن ضمنى واديكم الخصيب: الشيخوخة التى تعاجل الشباب عندكم عامة، والفتيات خاصة، ثم الافتقار إلى شئ من لطافة الحس، والدقة فى الرقة رغم الحلاوة التى أروى النيل بها شمائلكم، والسماحة التى أدرها لغرائزكم، والصفاء الذى أجراه فى طبعكم، واللطف الذى مزج به أرواحكم، والاعتدال الذى سوغه لأمزجتكم»

فابتسمت فى حسرة يخالجها الأسف، ولا يحدوها إلا امتعاض من تلقى النبأ الصحيح على حقه، وتستمع للمقال الصريح على صدقه.. ورويت قليلا وكررت بذاكرتى إلى القرون التى خلت، ولا أدرى لماذا رفعت وجهى إلى صاحبتى وعاجلتها بذكر نتف من عبقرية (أحمد بن أبى دؤاد» العربى الأيادى، وقلت لها إن «أبا العيناء (وهو أبو عبد الله محمد بن القاسم) الضرير، صفيه وخدينه (وكان من ظرفاء العالم — كثيرا ما كان يقول عنه: «ما خرجت من عنده يوما قط فقال يا غلام: خذ بيده، بل قال: يا غلام اخرج معه! وكنت أنتقد هذه الكلمة عليه، فلا يخل بها ولا أسمعها من غيره». قلت تأملها كلمة ما يعرف فى ألفاظ الناس أرق منها دلالة على يقظة القلب ولطافة الحس. ولعل غيره من الناس لو أراد أن يوجه أمثال أبى العيناء إلى طريق الخروج لناله مس من الأذى أليم ورهق من الضرر جسيم»

• • •

وتمر الأعوام، وأذكر قريبى الذى جاءنى مساء اليوم وكان مضطربا متألما، ولهذا القريب مسطحات أنيقة من المساكن والعمائر التى أقامها للإيجار، وأنشأ لمؤاجريه فى مؤخرتها أفنية فسيحة جميلة يستخدمونها لمنافعهم الخاصة، وكان أحدها مرجع ما لحقه عليه من الانزعاج والتأثر، قبل أن وافانى بأربع ساعات. وتفصيل الأمر أنه كان قد وجه عزيمته على قضاء ساعتين فى تنظيم مجموعة من الطرف الفنية التى يعتز بها. وما إن شرع فى استعراضها، حتى دق جرس التليفون، وإذا بصوت قاصف يناديه من الناحية الأخرى قائلا: «إنى على أثر قيامى بتعليق قطعة من الملابس على حبل الغسيل الذى مددته لنا فى فنائك المعجب.. قد. أف.. فأنا الآن أوشك أن أقل من الغضب، وأعزم من الحنق عليك وأريد أن أندمك على تصميماتك المعمارية المؤذية، وأطالبك بالعطل والأضرار —»

ولم يستطع الرجل الدهش أن يهتدى إلى الداعى الذى يصل بين غليل السيدة الشاكية وبين ثورتها الحاضرة عليه، ولكنها تابعت كلامها قائلة: «أحسست فى هذا الصباح تعبا بعد الحفلة التى أقمتها فى بيتى عشية أمس، فرأيت أن أخرج إلى فنائك المعجيب وأقوم بغسل قطع من الثياب، وخرجت فى ردائى الفضفاض الحريرى، وخفى الرقيقين المصنوعين من فاخر الديباج، وإنى لأحس الآن الرطوبة تقرس رجلى، وأتأفف من أوضارها التى أصابت ذيل ردائى الثمين الجديد، وكل هذه المصائب جرها على هذا الفناء الوبيل الذى أقتهلنا كنى عمائرك.. وعليك أن تسارع اليوم إلى اتخاذ مايلزم لإصلاح الشأن وإلا—» ثم صفقت بعنف سماعة التليفون. وتنهد قريبى بعد أن فرغ من سرد قصته وقال: «لقد أصبح الناس فى هذا الزمن زهقين رهقين، سريعين إلى الحدة وإيذاء الشعور بالمسافهة والوعيد، ولم يخطر لهم ببال أن يقدروا ما يبذله لهم الآخرون من العناية والرعاية». قلت: «ومع ذلك فلا تزال دنيانا العتيقة، تحتفظ

ببقية صالحة من ذوى العواطف الرقيقة والأخلاق الراقية والذوق السليم والصدر الرحيب والذهن المرهف . فقد تلقيت فى هذا الصباح خطابا من صديقة عزيزة ، تقيم فى بعض بلاد الأدغال الذاهبة فى أحضان العزلة والانفراد . وإنى لأجد فى خطابها مصاديق جلية ، تدل على أن الفؤاد الشهم الحى اليقظ ، لا يزال ينبض فى جوانح بنى الإنسان . فصاحبة هذا الخطاب سيدة شابة حسناء ، نزحت مع زوجها وصغيرها إلى تلك الربوع البدائية البكر ، فاستأمنت إلى سكانها العتاة المتوعرين المحربين وخبرت أهواءهم ، وسبرت أحوالهم وعاشت معهم ، وتعاونت مع زوجها الطبيب « البيكتريلوجى » على إنشاء مستشفى صغير لهم وزارهما منذ شهور رحالة عالمى ، وقال لصديقتى : « إنك فى حاجة إلى بقرة حلوب هنا » . وبعد أن عاد إلى موطنه بعث إليهما حوالة مالية قيمة لشراء البقرة الحلوب ، ولاقتناء ثور أصيل . وختمت الصديقة خطابها بقولها إن هذا الرحالة العظيم ممن يسرون إلى صدق العهد فى ضياء الرشد . فقد تعهد كل حاجة من حاجتنا ببصيرة نافذة وتفكر دقيق وبسط علينا جناح حدبه »

هذا وقد أتيح لى التشرف بلقاء ذلك الرحالة الخير فى أوائل شتاء عامنا الحاضر ، وإذ كنت أتحدث إليه ، تلقفت من فمه حكمة عالية ، هذا نصها :

« ليكن لنا إيمان وثيق بالله ، ولنذكر أننا أفراد أسرة كبيرة واحدة ، فلننظر دائما إلى السماء » إن هذا الرجل يرفع بصره إلى الملاء ، ويجتلى صفحة السماء على الولاء ، وينظر بمجامع عينيه إلى نقطة الدائرة حيث ينتهى كل موجود ، وهو لذلك بمرأى دائم من الله جل جلاله ، وإنه ليلقاه هناك ويعاينه وهو تعالى بالمكان الذى لا تراه الطوارف . يراه لأنه يرفع إليه بصره ويصوبه بعيدا عن ذاته فلا يراها . ولا عجب فإن إنسانا ما لن يستطيع أن يرمق ببصره اتجاهين متضادين فى وقت واحد .. أمفهومة فكرتى ؟ أقصد أن أقول إننا بمقدار تنحينا عن ذواتنا نستطيع أن نجاور الله عز وجل ونقوى على الاتجاه نحوه والتوجه إليه بالبصر والبصيرة ونكون بمنتزح عن الأثرة وعبادة الذات، ونتسامى إلى ذروة الكمال الأخلاقى الممكن ، ونصل إلى الله وليس وراء الله مرمى ولا مرقى . ومعلوم أن النظرة المرتقية إلى الفوق الأعلى هى التى تجمل الناس ذوى نفوس حساسة ، وبصيرة نافذة، ينظر إلى حاجات الغير من وراء ستر رقيق، وتستنبطون خلجات القلوب ، كما يستخرج الكشاف الدؤوب ودائع الغيوب ، تسافر صلاتهم وهم دانون لم يبرحوا. ويفاجؤون بالنوال الواسع والغوث السابغ ، ويعفون بالنجدة على منية المتمنى

وهنا أسأل لماذا لا نرتفع بأفكارنا إلى الله ، ولم لا نروض ذواتنا على ذلك منذ الساعة ؟ إننا إن فعلنا ندرع بحياتنا اغتباطنا، ونستأنف لمزاولتها نشاطا عجيبا مبدعا ، ونجمل وجودها ألطف من نسيم الشمال على أديم الظلال

الزهرة

الولايات المتحدة الأمريكية

سياستنا الخارجية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

- ٢ -

هـذا هو عنوان رسالة وجهها الرئيس ترومان إلى الشعب الأمريكي محاولا أن يشرح سياسة الولايات المتحدة الخارجية والأسس التي بنيت عليها

ومن الخير لنا نحن الشرقيين أن نعرف هذه السياسة وأن نحاول الوقوف على كنهها . ذلك أن العالم الآن أصبح وحدة متماسكة الأجزاء ولن تستطيع أمة أن تعيش بمعزل عن العالم . كذلك أرى من واجبنا نحن الشرقيين أن نقف العالم على حقيقة آمالنا وأمانينا ، وأمريكا أمة لها تأثير كبير في السياسة الدولية وهي ما تزال إلى الآن أنظف الأمم التي تحرك العالم ، فواجب علينا أن نناقش سياستها الخارجية وأن نواجهها بحقيقة آمالنا وأمانينا وهي مطالب عادلة : إننا نريد أن نعيش أحرارا في بلادنا لا نبغي إثما ولا عدوانا، ولكننا لن نتوانى عن الوقوف في وجه من يهدد أمننا وسلامنا وحرياتنا واستقلالنا

ولست أزعم أنني سأنقل إلى القارئ ترجمة كاملة لهذه الرسالة القيمة ، ولكني سأحاول فقط تبيان الخطوط الرئيسية التي تهدف إليها السياسة الخارجية الأمريكية

أسسها :

يقول الرئيس ترومان في رسالته « لم يعد هناك فارق حقيق بين شؤوننا الداخلية والخارجية، فإن كل شيء نعمله : من جباية الضرائب وإنفاقها ، والطريقة التي نفض بها الخلافات الداخلية والخارجية ، وما تكتبه جرائدنا ، وما تذيعه محطات إذاعتنا ، كل هذه لا تؤثر في سلامتنا الداخلية فقط، ولكنها ذات تأثير كبير خارج الولايات المتحدة . ومن هذه الأمور جميعا تتكون الشخصية الأمريكية والخلق الأمريكي ، وعليها تتوقف كرامة الولايات المتحدة وشرفها ، ومنها جميعا تنشأ سياستنا الخارجية

إن السياسة ما هي إلا تعبير عن إرادة الأمة ورغبات الشعب، أو بعبارة أخرى إن سياستنا توضح حقيقة أنفسنا وحقيقة احتياجاتنا

وقد تغيرت سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ قيامها سنة ١٧٧٦ ولكن التراث الأمريكي ظل قائما طوال هذه الحقبة من التاريخ

نحن أمة مستقلة ونريد الاحتفاظ باستقلالنا

نحن قوم نقدس الحرية الفردية ونريد أن نحتفظ بها

نحن شعب مسالم ونريد أن نتخلص من الحروب ومن التهديد بها

نحن قوم مستوى معيشتهم عال ونريد زيادة رفاهية شعبنا

نحن شعب صديق وليس لنا أعداء تقليديون

هذه أمور نتفق عليها جميعا، ومهمة الحكومة القيام بتحقيق هذه الأهداف . ولكن طريق تحقيق ذلك لم يكن سهلا ميسرا في كثير من الحالات ، فقد واجهت الولايات المتحدة كثيرا من الصعوبات الداخلية والخارجية : داخليا لأن بعض الأمريكان لم يؤمنوا بالديمقراطية التي تؤمن بها أغلبية الشعب الأمريكي ؛ وخارجيا لأن بعض الأمم تحاول أن تقيم سيادتها المالية وسيطرتها التجارية على الأسواق المالية بطريق الحرب

وللقضاء على هذه العوامل اضطرت أمريكا إلى امتشاق الحسام ثلاث مرات في القرن العشرين لإعادة السلام العالمي ، كما أن أمريكا قد قامت ببعض المشروعات السلمية مثل إنشاء هيئة الأمم المتحدة ومشروع مارشال وبرنامج النقطة الرابعة، وذلك بقصد حفظ السلام العالمي وبقصد القضاء على الصعوبات التي قد تهدده

ماهيتها :

إن المصالح الرئيسية لأمريكا لا تتغير ، ولكن السياسة التي تكفل تحقيق هذه المصالح قد تتغير من عام لآخر

في ١٩٣٣ كان في أمريكا اثنا عشر مليونا من المتعطلين فكان هم الأمريكان القضاء على هذه البطالة وإصلاح الاقتصاد الأمريكي

فى ١٩٤٥ كان اثنا عشر مليونا من الأمريكان يقاتلون فى جهات مختلفة لأن دول المحور كانت تهدد سلام العالم فوجب القضاء عليها وإعادة السلام إلى العالم

فى ١٩٥٠ واجهت أمريكا مشكلة أخرى . لقد حاولت روسيا نشر مبادئها بالتهديد وبالقوة، فمنذ ١٩٤٥ ضمت روسيا إليها سبع مليون كيلو متر مربع ونصف ، وأكثر من خمسمائة مليون نسمة تحت سيادتها، وحاولت أن تبسط سلطانها على آسيا وبدأ صراع بين الدولتين . وعمدت أمريكا إلى مقاومة روسيا فحاولت إنشاء « مراكز قوة » لتواجه الخطر الروسى وعمدت إلى تحسين حالة غرب أوربا كما يتجلى فى مشروع التعمير الأوربى وبرنامج المساعدة الحربية

وقد عقد مؤتمر صحفى فى فبراير ١٩٥٠ وتحدث وزير الخارجية الأمريكية إلى الصحفيين قائلا « يجب أن نذكر أن الطريق إلى السلام شاق وطويل، ولكن يجب ألا نتردد فى العمل للوصول إلى تحقيق هذا الهدف ويجب ألا نيأس من الوصول إليه »

وقد قضت الحرب العالمية الثانية على سياسة العزلة الأمريكية قضاء نهائيا لأن أمريكا لن تستطيع أن تعيش بمعزل عن العالم . إن فيضانا فى الصين أو مجاعة فى الهند أو اغتيالا فى البوسنة قد يؤدى إلى اضطراب عالمى تتأثر به أمريكا حتما ومن هنا جاء تفكير الأمريكان فى إنشاء هيئة عالمية يستطيع الناس أن يعيشوا فى كنفها فى أمن وسلام يظلهم القانون وتحميهم راية العدالة

ما معنى إنشاء هيئة عالمية ؟

معناه أولا أن تتعاون الدول جميعا فى حل مشاكلها وفى الدفاع عن حرياتها واستقلالها ، وكان للولايات المتحدة اليد الأولى فى إنشاء هيئة الأمم المتحدة

ومعناه ثانيا إصلاح ما أفسدته الحرب، وقد كان ذلك هدف مشروع مارشال وغيره من مشروعات التعمير

ومعناه ثالثا إعادة الأمم الخارجة على القانون إلى حظيرة القانون، ومن هنا احتلت أمريكا ألمانيا واليابان وعمدت إلى إدخالها فى دائرة الأمم الديمقراطية

ومعناه رابعا مساعدة الأمم الأقل تقدما ، ومعاونتها على النهوض ، وتحسين مستوى معيشتها ؛ وهذا هو هدف برنامج النقطة الرابعة

ومعناه خامسا إقامة نظام تجارى بحيث تستطيع الدول المشتركة فى الهيئة أن تساهم فى حيـــاة العالم الاقتصادية مساهمة مفيدة

هذا هو مشروع الهيئة العالمية ، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بمدى نجاحه ، فربما يؤدى هذا إلى إنشاء هيئة عالمية للاشراف على السلاح ، أو إلى إقامة حكومة عالمية . ومهما يكن الأمر فإن على الأمريكان أن يقفوا كثيرا من نشاطهم ومواردهم على الدفاع عن حرية العالم

وينتهى الكتاب أو الرسالة بما يأتى : إن الأمة الأمريكية بدأت حياتها بإعلان استقلالها ، وجاء فى هذا الإعلان : إن الناس خلقوا أحرارا متساوين ، وأن خالقهم قد وهبهم حقوقا لا يمكن تحويلها أو النزول عنها ، وهى الحياة والحرية والعمل على تحقيق السعادة . ولتحقيق هذه الأهداف أقيمت الحكومات وهى تستند فى قيامها إلى موافقة ورضى المحكومين

وأن سياسة الولايات المتحدة الخارجية اليوم إنما هى إعلان وإقامة التعاون بين الأمم والشعوب على أساس احترام حرياتها . إننا نعرف كما أنبأنا الرئيس ولسن منذ أربعة وثلاثين عاما « أننا نساهم سواء أردنا أم لم نرد فى حياة العالم . إن مصالح الأمم هى مصالحنا أيضا . نحن شركاء الآخرين ، وما يؤثر على سكان أوربا أو آسيا يؤثر علينا حتما »

ايها الامريكان :

إن كنتم تؤمنون بهيئة الأمم المتحدة وبمجلس الأمن فقد كفرنا بهما معا كما كفرنا بعصبة الأمم من قبل . لماذا ؟ لأن هذه الهيئات لا تؤدى الغرض المقصود منها . إنها تخدم مصالح الدول الكبرى فقط . وإلا فخبرونا ماذا فعلت هيئة الأمم فى قضية فلسطين وفى مشروع التقسيم وفى كارثة اللاجئين ، وفى مشكلة مصر والسودان والجلاء ؟

إن الألفاظ البراقة والكلمات اللامعة لا تقنع صاحب الحق المظلوم ولا ترضيه، وإن هذا السراب الخادع لن يسكته

الوجـــودية

« فقـل للذين يرفعونها فوق طاقتهـا
دون علم ، ما ضر لو صبرتم حتى تدركوا
ما تكـتبون وتفهموا ما تقولون ! ... »

للأستاذ شاكر السكرى

نشرت مجلة الرسالة الغراء بعدديها ٩٤٢ و ٩٤٣ كلمة الأستاذ على متولى صلاح أهداها إلى صديقه فى الوجودية (الدكتور محمد القصاص) الذى قال عنه فى كلمته الأخيرة بأنه (المبشر بالوجودية فى مصر) . وقبل أن أناقش الأستاذ متولى أود أن ألفت نظره إلى كلمتى (فلسفة الوجودية) المنشورة فى العدد ٩١٠ لسنة ١٩٥٠ من الرسالة الغراء ، ليقدر بعدئذ قيمة الذين وضعوا المذهب الوجودى ويضعونه الآن على مائدة التشريح ليخرجوا منه تلك العلل الدفينة والروائح النتنة قبل أن يعتبره خير ما يجب أن يكون للشرقيين من علاج ليتخلصوا بفضله من التحلل والميوعة والوغادة ، فى الوقت الذى يقوم المذهب الوجودى بذاته فوق تلك المعايب التى اعتبرها علاجا للشرق والشرقيين !

وليدرك قبل غيره ممن زعموا الوجودية فى الشرق أن الميوعة والوغادة والانحلال التى يتهم بها الشرقيين ليست إلا الصفات الظاهرة التى تمتاز بها الوجودية نفسها !

وقبل أن نضرب للأستاذ الناقد الأمثال ونضع نصب عينه الأرقام التى من شأنها أن تقرب وجهة نظره الخاطئة إلى وجهة نظر الواقع والحقيقة ، حيث إذ ما ذهب إليه فى رفعة المذهب الوجودى لا يمكن أن يكون خير ما يجب أن تقوم عليه أخلاق الشرق ونظمه ، وقبل أن آخذ بتلابيب الأستاذ الناقد لينظر الحقائق العلمية القائمة على الأسس الصحيحة : لأن النقد الذى تفضل به حضرته كان يعوزه المنطق وتنقصـه الدراسات العامة والخاصة التى ترتكز عليها مختلف المذاهب الفلسفية والمادية

والغريب فى أمر الأستاذ متولى أنه ضرب لنا خير مثل لمفاف الوجودية ، تلك الأسطورة اليونانية القديمة التى اعتبرها خير شاهد يبرر ذمة هذا المذهب الفاجر !

والأغرب من ذلك كله الخلط الذى جاء به أثنـاء مقارنته بين الغاية عند اليونان ، والغاية عند (سارتر) فى روايته (الذباب أو الندم) les mouches لا أدرى ماذا يقصـد بذلك . هل أن نقده ونقاشه جاء على غرار فـكرة الأسطورة ، أم أنهـا جاءت على غرار الأسس الفلسفية التى تقـوم عليها الفلسفة الوجودية ؟

لا أدرى إن كان الأستاذ متولى قد درس فلسفة المذهب الوجودى وغايتها أم لا ... والواقع يؤيد عدم تعمقه فى الأسس الجوهرية لهذه الفلسفة

ولا يمـكن أن تعتبر بأية حال رواية (الذباب أو الندم) les mouches كأساس يقوم عليه المذهب الوجودى ، وليس بمقدور سارتر نفسه أن يعتبر الوجودية متمثلة فى روايته هذه !

كنت أرجو أن يدور نقاش الأستاذ متولى فى اللب لا فى القشور . كان يجب أن يبحث عن (الحرية الفردية) وخطورتها

أيها الإمبريطانيون

لقد تدخلتم أخيرا فى شؤون الشرق الأوسط فاحذروا أن تلوثـكم السياسة البريطانية . واعلموا أن أمم الشرق تطالب بحقوقها المشروعة فى الحرية والاستقلال وفى استغلال موارد بلادها ، فإن عاونتموها صادقين كان لـكم منا شكر عظيم

أما إن وقفتم فى وجوهنا فاعلموا أن دولة الباطل ساعة وأن دولة الحق إلى قيام الساعة ، وأن صاحب الحق لابد أن يصل إليه مهما طال به الزمن وشق عليه الجهاد

أبو الفتوح عطيفة

فى المذهب الوجودى ، كان يجب أن يثبت لنا الوجودية فى أسسها لا فى حكاياتها ...

وبهذه المناسبة أود أن أسرد للأستاذ متولى وللقراء سذاجة الفرد الوجودى ، وبلاهة الفلسفة الوجودية !

إن فلسفة الوجودية التى تريد أن يرددها الفرد بلسان الوجودية السارترية هى :

« قل لى ماذا تفعل ، أقل لك من أنت »

ولنفرض جدلا بأننى أريد أن أسخر من هـذا المذهب الوجودى أو هـذا الدين الجديد كما سماه سابقا (أنيس منصور) أحد زعماء الوجودية فى مصر أيضا ، فهل بإمكان الوجودية أن تقول لى من أنا ؟

إن الفلسفة الوجودية قامت منذ اللحظة الأولى ضد فكرة (المذهب) والمذهبية ، وأول من وجدت لديه البذور المتنافرة المتنافرة للفلسفة الوجودية هو الفيلسوف الداغركى (كير كجورد) كأن هذه الفلسفة جاءت ضد فلسفة (هيجل) التى تتصور العالم (كلا واحدا) . والأصل فى الوجودية إثبات وجود الفرد ضد الفكرة الجماعية ، أو أنهـا كرد فعل لعاطفة مكبوتة تعطف على الفرد وتدفع إليه الحرية الفردية لتمكنه من القيام بتمثيل الحياة الحيوانية كما تمثلها باقى الحيوانات الدارجة سواء بسواء !

أما مذهب (هيجل) وفلسفته التى تتصور العالم (كلا واحدا) هى الفكرة الجماعية التى تحاربها الوجودية بكل قواها لإثبات وجودها . . باعتبار أن سلطان الجماعة والجماهير كان من شأنه أن جعل الفرد لا وجود له ، وإنمـا هو يدخل فى الحساب (ضمنا) . والحقيقة هى أن الفرد كجزء وليس (كل) لأن الفرد وحده لا يكون (الـكل) إلا إذا اجتمع مع غيره ، مثلا : إن المحيط مجموعة بحار وليس البحر الواحد محيطا ، أو أنت كإنسان ولـكنك أصبحت (إنسان) لأنك مجموعة أعضاء وليس العضو الواحد هو الذى جعل منك إنسانا

وإذا كان القصد من وراء قيام الفرد على حريته الفردية وتفكيره الخاص وما يذهب إليه فى تعريف الوجود ، كان معنى ذلك أن البشرية ستعود إلى ما كانت عليه أول نشوئها ؛ أى أنها تعود إلى حالتها الهمجية كما أوجدتها الطبيعة ! وبذلك تنعدم القيم والمفاهيم والحقوق لتحـــل محلها هذه الفوضى (الوجودية !) أليس هذا مايدعو إليه الفرد وما تقوم عليه الحرية الفردية ؟!

أما قولها — (أنا المرجع الوحيد وأنا المصدر الأول لـكل بداية) فهذه مغالطة ، لأنه إذا كانت هناك مجموعة أفكار كليـة جامعة فليست معناها فكرة واحدة بل مجموعة أفكار

ومن هنا نـستنتج : بأن (أنا الإنسان الفرد) ليس إلا مجموعة أفكار كلية وأحكام عامة. وليست بفـكرة واحدة وحكم واحـد وحرية فردية . أما الرجوع إلى الإنسان نفسه ، فهو الإنسان (أنا وليس أنا المصدر لكل بداية) هذا هو الفرق

كما أن الحرية التى تقوم على أساس الفرد لايعنى أنها تعمل بحريات الآخرين (تبـدأ حريتك عاندما تنتهى حرية غـيرك) وبالعـكس . أما أن الفلسفة الوجودية أساسها الحرية الفردية فهذا هراء لايقبله العقل ولاتقوم عليه أتفه الأسس !

إنك موجود بالحياة لوجود غيرك ، وليست الحياة وجدت لأنك موجود . إن المذهب الوجودى قائم على أساس الإشباع الجنسى فى الفرد ، وتحقيق ماتتطلبه الغريزة الجنسية بأبشع صورها وأقبح ما تصوره من الهدم والتخريب ! إن الأمة التى تقوم على غير الأخلاق وضمان الحريات الأخرى لهى زائلة حتما

إنك وجودى لأنك أنانى تحب ذاتك إلى حد الجنون ! إنك وجودى لأنك تريد أن ترقص على أشلاء الآخرين لتمثل فوق رفاتهم ما تدعوك إليه غرائزك وعواطفك وتفـكيرك الخاص وحريتك الفردية ...

وإذا كانت الفردية تهدف إلى ذلك فهى فردية مشـوهة الخلقة ناقصة التكوين !

أما أن الوجودية عند الوجوديين قد أخرجت العدم من الوجود ، فإن الطبيعة أيضا هى التى أخرجت الوجود من العدم !

بغداد شاكر السكرى

على ضفاف القناة:

بلد الجمال

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لم تكد وزارة المعارف — سامحها الله — تدعنى أنعم بالقاهرة بعد أن نقلت من عنيبة عاصمة بلاد النوبة المصرية ، حتى ألقت بى على ضفاف القناة .. قناة السويس ، وبحيرة التمساح فى مدينة الإسماعيلية ، حيث تقوم للانجليز صولات وجولات . وكأنما أراد الله سبحانه وتعالى ، أو أرادت لى وزارة المعارف ، أن ألمس السلطان الإنجليزى المقيت فى منطقة قناة السويس ، كما لمسته ، ورأيته فى السودان وما يتصل به ، وتقلص السلطان المصرى إلى حد يعتبر فيه الإنجليز أن البواخر النيلية التى تنقل الركاب والبضائع من وادى حلفا إلى الشلال وبالعكس ـ أرض سودانية ، أو بمعنى أدق (إنجليزية) تجرى فى مياه مصرية . وعلى هذا فأية حادثة تقع فيها تختص بنظرها حكومة السودان لا الحكومة المصرية ، حتى ولو كان ذلك فى الشلال نفسه بالقرب من أسوان . !!

ومهما يكن من شئ فى الإسماعيلية الجميلة ـ التى لم أكن أعرفها من قبل إلا معرفة عابرة ، حين كنت أمر بها بالقطار أو السيارة فى طريقى إلى بور سعيد التى أمضى بها أكثر مدة الصيف غالبا ـ فى هذه المدينة الجميلة رأيت طرازا جديدا لما يجب أن تكون عليه المدن المصرية فى العواصم والأقاليم .. وكنت أسمع من قبل بجمالها ونظافة شوارعها المستقيمة التى تمر بقسميها العربى والأفرنجى على السواء

ولكنى لم أكن لأتصورها على حقيقتها التى رأيتها عليها . ويمكن أن نقول صادقين : إن الإسماعيلية هى البلد الوحيد فى القطر المصرى الذى لا تستطيع أن تصفه بغير الجمال والنظام والحسن والنظافة مهما تجنيت عليه ، أو حاولت إنقاص قدره ، وتهوين شأنه ، أو النيل منه ، لغرض من الأغراض

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الإسماعيلية نظيفة بطبيعتها حيث تقع على بحيرة التمساح التى تمر بها قناة السويس ـ فتؤثر فى جوها ، وتجعله نقيا هادئا ، عليلا بليلا .. وفى منظرها فتزيده روعة وجلالا ، وتضفى عليه مهابة وبهاء ، وأرضها صحراوية رملية ، قد رصف أكثر شوارعها . إلا أن الصحراء تحيط بها من ثلاث جهات فتهب عليها الرياح الساخنة أحيانا ، وتحمل الرمال والغبار ، فتكون سببا من أسباب الضيق والبلاء .. إلا أن هذا لا يحدث فى غير أيام الخماسين ، حيث تعم الشكوى فى مصر من هذه الأيام

والإسماعيلية مدينة محدودة لها أول ، ولها آخر . ولعلك تعجب حين تعلم أن الناحية البحرية منها لها سور حديدى يؤذن بانتهاء المدينة عند ذلك المكان .. وهى مدينة أفرنجية بأوسع ما تحمل هذه الكلمة من معان ، حتى أن السائر فى بعض شوارعها يعتقد أنه يسير فى بلد أوروبى صميم ، لا فى شارع من شوارع مدينة مصرية ومرجع ذلك أن شركة القناة هى التى وضعت تصميم هذه المدينة ، وجعلها فى الأصل قسمين : أولهما حى الفرنجة ، وثانيهما حى العرب ، وهما يقعان شرق الخط الحديدى من القاهرة إلى بورسعيد ، وغرب ترعة الإسماعيلية التى استفادت منها الشركة فى تجميل المدينة إلى أبعد حد . ذلك أنها بنت على طول شاطئ هذه الترعة الغربى القصور الفخمة لموظفيها ، وكبار رجالها ، وعلى هذا الشاطئ يقع شارع (محمد على) وهو أطول شوارع المدينة على الإطلاق ، وأكثرها اتساعا وأهمية .. وغرست الأشجار على الشاطئين فى نظام جميل ، وبخاصة شاطئ الترعة الغربى حيث تمتد الحدائق إلى شاطئ بحيرة التمساح فى صورة غابات كثيفة رهيبة من أشجار (الكزورين) و (اللاتانية) و (الكافور) وغير ذلك من الأشجار الضخمة التى جملت من هذه الغابة ستارا كثيفا يحجب الشمس فى أيام الصيف القائظ أن تصل إلى المتنزهين والمرتاضين ، فى أية ساعة من ساعات النهار

وما أجمل بحيرة التمساح ! تلك البحيرة الهادئة الوادعة التى تنساب فوقها المراكب الشراعية الصغيرة ، والقوارب البخارية هنا وهناك ، وكأنها الحمائم البيض فوق صفحة لا يهيجها موج ،

ولا يعكر صفوها ريح عاصفة — وما أجمل بحيرة التمساح حينما تمر بها البواخر الكبيرة الذاهبة إلى البحر الأحمر ، والآتية منه ، وكأنها المدن الكبيرة تتحرك فى بطء وتثاقل ، كأنما تحمل أوزار العالم وآلام الوجود

وحدائق الإسماعيلية ذات شهرة عالية ، ذلك لأن اليد الفرنسية التى تمتاز بالذوق والجمال ، قد افتنت فى تنسيقها ، وأبدعت فى تنظيمها ، فصارت طرفة فنية ، تأخذ بمجامع القلوب ولكن لا يتمتع بها غير الأجانب الذين لا تخلو منهم الحدائق فى أية ساعة من ساعات النهار . . يخرج إليها الرجال والنساء والأطفال ، فى مظهر طبيعى لا أثر للكلفة والتصنع فيه . . أما المصريات بالذات فلا تكاد ترى لهن أثراً فى هذه الجنات الباسقات ، الوارفة الظلال . وإذا قدر لك ورأيت مصرية دفعتها روح المدنية إلى أن تأخذ نصيبها من الرياضة الجميلة بين الحدائق الغن ، فإنك ناقم عليها أشد النقمة . . ذلك لأنها لم تفهم بعد معنى الرياضة ، فهى تتخذ من عوامل الزينة ما يجعلك توقن أنها ذاهبة إلى معرض من معارض الأزياء والجمال . . يا لله ! ما هذه الثياب الغالية المطرزة المفوفة التى تعوق سيرك أيتها المصرية الذاهبة إلى مواطن الطلاقة والمراح . . إلى الطبيعة المطلقة ، الخالية من أسباب التصنع والتكلف المقيت . . بينما ترين الأجنبيات كالزهرات المتفتحات ، وسط هذه الزهور الطبيعية ، فيخيل إليك أنهن يكملن الوضع الطبيعى لهذه الزهور ، وينسجمن معها فى بساطة لا تدانيها بساطة ، ومع هذا فلا يمكن أن تحكم على هؤلاء الأجنبيات بغير الذوق والجمال الأخاذ

وقد ترى طائفة من الشباب المصرى ، فيتملكك الحزن لمنظرها وهى تسير فى الطريق اللامع وقد حمل كل فرد عوداً من القصب . . قصب السكر أطول منه ، يلوكه بين ماضغيه ، ويكاد يطحنه بأضراسه طحناً ، ثم لا يكف أثناء المص عن الكلام البذىء ، يلاحق به الرائحات دون اهتمام بما ينال فى بعض الأحايين من تأنيب قاس ، يعتقد هو أن هذا فاتحة الباب . . !

والحى الأفرنجى فى الإسماعيلية نظيف جداً ، شأنه فى ذلك شأن الحى الأفرنجى فى بورسعيد والسويس وأعنى بهما بورفؤاد وبورتوفيق . . وفى هذا الحى تجد المتاجر الضخمة الفخمة ، والفيللات الصغيرة المتناثرة ، والشوارع اللامعة أرضها ، والحوانيت الغاصة بأجمل السلع ، وأغلى الأسعار . وينشرح صدرك إذا طوفت بهذا الحى سواء فى الليل والنهار . . بيد أنك لا تكاد ترى وجهاً مصرياً يقطن فى هذا الحى ، وإنما هى وجوه غريبة من كل لون وجنس . . وجوه تنكرها ولا تعرفها . . . وجوه أجنبية كالحة أكثرها من الإنجليز الذين رمت بهم أمواج البحار ، ولفظتهم بلادهم ، وجاءت بهم المطامع الأشعبية الآثمة إلى هذه الصحراء القاحلة فى منطقة قناة السويس ، فأحالتها أفكارهم إلى جنة وارفة الظلال . لا بأموالهم وجهودهم ، وإنما بأموالنا نحن المصريين — أو بعبارة أدق بذلك الحبر على الورق ؛ يصنعونه فى مصالحهم بلا رصيد وغطاء ، ويقذفون به إلينا جنيهات مصرية قشيبة لا نعرف لها أولا من آخر . وبجهود عمالنا نحن المصريين الذين يكدون ويكدحون لقاء ما يأخذونه من أجر زهيد لا يكاد يقع موقعاً من كفايتهم !

والحى العربى ليس فى نظافة سابقه ، وإن كانت شوارعه مرصوفة إلا أن فيه الفوضى المصرية سواء فى المنازل أو الدكاكين . وعلى البلدية تبعة ثقيلة جداً ، ولنا معها حساب عسير ؛ ذلك أنها لم تعمم المجارى بهذا الحى المسكين ، فلم يخل شارع من شوارعه الكبيرة أو الصغيرة على السواء من أقذار يتراكم عليها الذباب ، ومياه قذرة متننة تلقى من النوافذ إذا جن الليل كأفواه القرب ، أو تخرج بها النسوة والفتيات من الأبواب ، أو تفيض بها فى أكثر الأحايين دورات المياه ، حاملة معها الوباء العاجل والخطر الماحق والدمار الأليم ! !

وغربى السكة الحديدية ثلاثة أحياء أخرى ، دعت إليها سنة التطور وكثرة الزحام فى الإسماعيلية ! أولها (عرايشية لندن) ولا تعجب لهذه التسمية فهو حى إنجليزى لحماً ودماً . بنيت عمائره بأيد مصرية وضع فيها الذهب أو بعبارة أدق (الحبر على الورق) أيدى الإنجليز ، وفى كل عمارة من عمائره تقطن عشرات من الأسر الإنجليزية الصميمة التى نزحت إلى هذا القطر المسكين ، لتشاطر أهله غلات أرضه وثمارها ، بل تستأثر دونهم بأطيب هذه الثمرات وخير هذه الغلات . .

وثانيهما (عرايشية مصر) وهو حى متوسط يسكنه كثير من المصريين ذوى الدخل العادى ، ويشبه من وجوه كثيرة حى

فى شعر عائشة التيمورية

١٨٤٠ — ١٩٠٢

للأستاذ محمد سيد كيلانى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

هذه الأبيات التى سردناها من قصيدتها فى رثاء ابنتها هى أروع ما فى القصيدة . وهى تصور شعورا داخليا لحالة فتاة قد أيست من شفائها وأيقنت بهلاكها ، فهى تودع أمها الوداع الأخير وترجو أن يترفق بها اللحاد حين يوسدها الثرى ويهيل عليها التراب . وتسأل أمها أن تصون جهاز عرسها تذكارا لها . واسمع إلى أمها حين تجيب ابنتها :

فأجبتها والدمع يحبس منطقى والدهر من بعد الجوار يجور
بنتاه يا كبدى ولوعة مهجتى قد زال صفو شأنه التكدير
لا توصى ثكلى أذاب وتينها حزن عليك وحسرة وزفير

هكذا ردت عائشة على بنتها . وهو رد ضعيف ، وكان ينبغى أن يكون أقوى من ذلك بكثير والمعانى فى هذه الأبيات تافهة . ثم تأخذ قيمة القصيدة بعد ذلك فى الانحدار ، ويختفى الشعور الداخلى بيتا بعد بيت حتى ينعدم تماما وتنقلب القصيدة إلى نوع من النظم الذى لا رائحة فيه للشعر . وهذا دليل على ضعف الشاعرة وضيق أفقها . ولو أنها وهبت حظا من الشاعرية لاستوحت من المقام جملة قصائد مبكية لا قصيدة واحدة ، وبخاصة أن بنتها ماتت وهى فى فجر شبابها . وقد قيل إنها انقطعت عن قول الشعر بعد وفاة بنتها هذه لمدة سبعة أعوام

ولعائشة قصيدة رثت بها والدها ومطلعها :

عز العزاء على بنى الغبراء لما توارى النجم بالظلماء

وقد ذكرت فى هذه القصيدة مجئ الطبيب إلى والدها ، ثم أنطقت أباها بعدة أبيات مؤثرة . ثم شرعت بعد ذلك تندب وتنوح فقالت :

يا حسرة ابنته إذا نظرت لها بمآنه عين من البأساء
قالت وحق سنا أبوتك التى كانت ضياء الأمن للأبناء
مذ ما فقدتك والحشا متسعر والجسم منتحل من الضراء
يا كنز آمالى وذخر مطالبى وسعود إقبالى وعين سنائى
يا طب آلامى ومرهم قرحتى وغذاء روحى بل ونهر غنائى
أبتاه قد جرعتنى كأس النوى يامر جرعته على أحشائى
أبتاه قد حش الفراق حشاشتى هل يرتضى القلب الشفوق جفائى

فإذا قرأت هذه الأبيات شعرت بأن امرأة تقف أمامك وقد تدفقت منها الدموع . وهى تتحسر وتتوجع وتئن وتتألم لما أصابها من خطب وحل بها من كرب

ورثت شقيقتها بقصيدة مطلعها :

يا من أتى للقبر يقرأ طرسه مهلا فليس كتابه عداد

وقد ذكرت كذلك فى هذه القصيدة عيادة الطبيب لأختها ونظمت على لسان تلك الأخت أبياتا مؤثرة إلى حد بعيد قالت :

جاء الطبيب يجس نبض ذراعها فرأى التأثر ليس كالمعتاد
فتنفس الصعداء مرات وقد أعيى ، وقال اليوم ضل رشادى
فتنهدت جزعا ، وقالت: سيدى أأموت قبل الترب والأنداد
وأسير من دون الأنام وكم أرى للدهر قبل الموت من رواد

ثم انتقلت بعد هذا إلى تصوير شعورها الفياض بالحزن على ما أصابها من موت أختها

والملاحظ فى رثائها لبنتها ووالدها وشقيقتها أنه تضمن صورة واحدة ، تلك هى مجئ الطبيب ويأسه من شفاء المريض وعجزه عن علاجه . ثم تأتى بعد ذلك محاورة بين المريض والطبيب أو بين المريض والشاعرة كما حدث لها مع بنتها . ونرى فى هذه

العرب فى الناحية الشرقية والثالث (عرابشية العبيد) وهو حى فقير ، تسكنه الطبقات الفقيرة العاملة الكادحة فى هذه المدينة الزاخرة بالناس من جميع الألوان والأشكال ، والتى تفيض بالذهب فى كل ناحية من نواحيها ، ومع هذا لا يكاد يسمع الفقير رنين هذا الذهب ليجد منه السلوى والعزاء . !

هل كتب على المصريين أن يعيشوا دائما على هامش الحياة دون أن يفهموا شيئا من حقيقتها وإن طال بهم العمر وامتد بهم الأجل !! إن الفقر ليس علة العلل كما يدعى بعض الناس ، وإنما هو الجهل الفاضح بأسرار الكون ، وحقيقة الوجود ، وإلا فماذا تكلفنا النزهة اليومية ساعة كل يوم ومعنا أبناؤنا نتمتع فيها بالنسيم والهواء ، والخضرة والماء ، والجمال والصفاء ؟!.

عبد الحفيظ ابو السعود
المدرس بمدرسة البنات الثانوية الأميرية بالإسماعيلية

المحاورة شعرا رائعا يترجم عن إحساس عميق ويعرب عن شعور متقد بين الجوانح . وهذا شيء لا نراه عند غيرها من الشعراء . فهى قد انفردت به وعيزت عن سواها ممن يقولون الشعر . وذلك راجع إلى طبيعتها الأنثوية ، فإن المرأة هى التى تشرف على علاج المريض وتسهر الليالى فى خدمته وتسمع شكواه وأنينه فكان لها من طبيعتها هذه ما جعلها تأتى بهذه الصورة الجديدة . ولم نر شاعرا فى عصرها وفق إلى مثل هـذه الصورة غير صالح مجدى فى رثائه لزوجته ، وذلك لأنه كان يعالجها بنفسه بالبخور والتمائم والرقى فلما ماتت صور هذا كله فى رثائه لها

ولعائشة قصيدة مطلعها :

بيد العفاف أصون عز حجابى وبعصمتى أسمـــو على أترابى

وهذه القصيدة جديدة فى موضوعها ، فريدة فى بابها . تأمل فى قولها :

فجعلت مرآتى جبين دفاترى وجعلت من نقش المداد خضابى
كم زخرفت وجنات طرسى أنملى بعذار خط أو إهاب شبابى
منطقت ربات البهـا بمناطق يغبطنها فى حضرتى وغيابى
وحللت من نادى الشعور ذوائبا عرفت شمائرها ذوو الأنساب
ما ضرنى أدبى وحسن تعلمى إلا بكونى زهرة الألبـــاب
ما ساءنى خدرى وعقد عصابتى وطراز ثوبى واعتزاز رحابى
ما عاقنى خجلى عن العليا ولا سدل الخمـــار بلمتى ونقابى

أنت تقرأ هذه الأبيـات فتشعر بأنك تقف أمام امرأة . وليست هذه المرأة الخنساء ، ولا ليلى الأخيلية ، ولا غيرهما من شاعرات العرب ، وإنمـا هى امرأة تعيش فى العصر الحديث . اتخذت من الدفتر مرآة ، ومن المداد خضابا . ولو كان هذا المداد أسود لأضحت الصورة كريهة قبيحة . فلعلها أرادت المداد الأحمر فإن صح هذا فالصورة مقبولة . وهى تقول بعد ذلك إن كونهـا امرأة لم يمنعها أن تنزل إلى ميدان الأدب جنبا إلى جنب مـع الرجال . وهى فى دفاعها عن هذا الرأى تعبر عن شعور صادق وتنطق عن ثقة واطمئنان إلى نفسها ، وهذه الصيحة بداية للمطالبة بحقوق المرأة ؛ ومساواتها بالرجل وتحريرها من الرق والإسار ؛ وفى الأبيات صورة لما كانت عليه المرأة فى ذلك الوقت وهذه الصورة تستوحيها من ذكر الخدر والعصابة والثوب المطرز والخمـار ، فلو أن الشاعرة عاشت معنا فى هذه الأيام لما ذكرت شيئا من ذلك ، ولما أتت بهذه الصورة التى لا وجود لها بين الطبقات الغنية

* * *

ومن شعرها المتـكلف قصيدة فى ذكر الخمر جاء فيها :

لاح الصبوح وبهجة الأوقات فاشرب وعاط الصب بالـكاسات

ومنهـا :

ودع الوشاة وما تقول عواذلى فالعين عينى والصفات صفاتى
فأنا الأسير بظل روض كرومها ولو ان فى عنقى شهى حيـاتى

وليس هذا مما تقوله النساء ، ولـكن عائشة تريد أن تنظم الشعر ولا تجد أمامها ميدانا للقول ، فماذا تصنع ؟ نظمت فى ذكر الخمر كما نظمت فى الغزل من قبل

وليس لها فى باب المدح سوى قصـيدة واحدة هنأت بها الخديو توفيقا عقيب القضاء على الحركة العرابية

* * *

وكانت الشاعرة تستوحى من أنوثتها كثيرا من الصـور ، ومثال ذلك قولها :

ولـكنى أرى فى الصبر طبى ومكحلة الجلا حسن امتثالى

وقولهـا :

فدعنى يا خلى والخل نخلو ونكحل بالثنا جفن الأمانى

وقولهـا :

مرآته طمست وأصدأ وجهها من بعد ما سعدت بطول جلاء
ولطالما اكتحلت عيـون أولى النهى من غدره بمصائب وبلاء

فأنت ترى أن الشاعرة تـكثر من ذكر الـكحل والمـكحلة والمرآة ، وهذه كلها من مستلزمات المرأة

* * *

وقد استخدمت التورية باسم عائشة فى عدة مواضـع . فن ذلك قولها :

إن قيل عائشة أقول لقد فنى عيشى وصبرى والإله خبير

وقولهـا :

ولى التقلب فى سعـير محرق ما دمت عائشة ليوم فنـائى

محمد سيد كيلانى

صراخ الجيـــاع

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

نحن ... ومن نحن .. ؟

نحن مقطوعة رعناء ، تلفظها شبابة خرساء .. !

نحن أهزوجة هوجاء ، تحتضر فى حنجرة بكماء . . !

نحن ركام حائل من بطون طاوية ، وعيون غائرة ، وصدور معتلة . .

نحن حطام أشل من ظهور دامية ، وأيد مغلولة ، وأفواه مكممة .

* * *

نحن .. ومن نحن .. ؟

نحن الجياع الذين يهبون القوت .. والأرقاء الذين يمنحون الترف ، والمعذبون الذين يصنعون السياط . .

نحن الجحافل الرجيمة من أشباه الوتى وأشباه الأحياء . .

نحن القطعان المهضيمة من أبناء آدم وبنات حواء . . !

* * *

نحن .. ومن نحن . . ؟

نحن المواكب الزاحفة من الأسمال والأشلاء والهيا كل ، تتقدمها طبول الدم المطلول تهدر فى عنف وصخب ، وتظللها ألوية الحرية الذبيحة تضطرب فى جنون وتمرد ، وتحدوها قوافل الألحان الزرق ، تترا كض فى ضجيج وفحيح..

نحن الفيالق الساغبة من الشذاذ والمتشردين . .

نحن النفايات التافهة من التعساء والملاعين ..

نحن الثمار المفثة الساقطة من دوحة الآدميين ..

... نريد طعاما ..!

نريد طعاما لنا ولأولادنا وأزواجنا .. نريد طعاما من الأرض التى نفلحها ، وكساء من القطن الذى نغرسه ، وشرابا من الماء الذى أجراه الله . .

لقد آمنا بأن حقنا فى الحياة ليس منحة يتعلق بذلها بالأهواء ، وإنما هو شرعة يتعلق أمرها بالسماء . .

كما آمنا بأن الطين — يا سادة — معدننا ومعدنكم ، والله ربنا وربكم .. يحكم بيننا وبينكم . .

وها نحن أولاء نشرف عليكم من قمم إنسانيتنا ، ونصرخ فى وجوهكم ، وفى وجه كل عاتية جبار : لقد ولدتنا أمهاتنا أحرارا ، فمتى كان لكم أن تستعبدوا الأحرار . . ؟

اسمعوا دوينا الذى تنقض له معاقل الطغيان . . ونداءنا الذى يجلجل فى كل أذن ، ويمربد فى كل مكان . .

نحن الجياع ... نريد الطعام ... !

أحمد قاسم أحمد

٤ - رسالة المربى

ضرورة التقيد بطريقة معينة — طريقة المشروع — مزايا المشروع

للأستاذ كمال السيد درويش

إن عملية النمو فى التعليم هدف يستحق أن نعمل من أجل الوصول إليه ، ولكن كيف يمكن أن نخرجه إلى حيز التنفيذ. ما أكثر الأسس الفلسفية التى يضعها الكثير من كبار المصلحين والفلاسفة لعلاج المشاكل المعقدة ، حتى إذا جاءوا إلى صخرة التنفيذ تحطمت جهودهم عندها ، وتبخرت آمالهم لديها وعادوا بالحسرة والخسران المبين . ومن أجل ذلك نرى أن نكتفى بتحديد رسالة المربى دون أن نتقيد بحذافير طريقة عملية معينة لتنفيذها . بل إن عملية التعليم كعملية نمو حر متواصل تدعو هى نفسها إلى عدم التقيد بطريقة عملية معينة . ذلك لأنها طريقة عملية تجريبية . وأساسها الفلسفى يحض على عدم التقيد بأسلوب معين فى التنفيذ ، فما يكون صالحا اليوم قد يصبح غير صالح فى الغد ، والطريقة التى تستعمل فى المدنية ، غير التى تستعمل لتعليم أبناء القرية ، وهم يعطون إشارات المرور وكيفية عبور الشوارع كأول درس يتعلمه الطفل فى أمريكا ، بينما لا نزال نحن حتى الآن نتقيد بمناهج زرع وحصد

التقيد بحذافير طريقة عملية معينة يتنافى مع طبيعة عملية التعلم الصحيحة ، إذ قد تصبح هذه الطريقة بعينها ديكتاتورا يتحكم فى المعلم والمتعلم ، وحجر عثرة فى استمرار عملية النمو . ولذلك يمكن القول أن التقيد بطريقة معينة هو علة فساد الكثير من النظم التعليمية ، فاذا كان ولا بد من طريقة عملية للتعليم ؛ فلتكن الطريقة التى ترمى إلى تحقيق فكرة عدم التقيد نفسها تحقيقا عمليا . وأقرب هذه الطرق إلى تحقيق المعنى الذى حددناه هى طريقة المشروع ، ولذلك سنتناولها بوجه عام

ما هى طريقة المشروع ؟ هى طريقة وضعها وأسسها أحد فلاسفة التربية بأمريكا ، ومن بينها مصر

ومتى يبدأ المشروع ؟ يبدأ كما تبدأ عملية التعلم لدى الأسرة وكما بدأت لدى الإنسان الأول . مشكلة تعترض حياة المتعلم ؛ مشكلة حقيقية قد اعترضته هو فعلا تدفعه إلى محاولة التغلب عليها. يشعر الإنسان إذا اعترضته المشكلة بحاجته الشديدة إلى من يعلمه كيفية التغلب عليها . يسأل أولا ما هذا أو ذاك ، وعند ذلك يبدأ دور المربى ، وهو دور الرفيق الذى يوجهها له من خبرة ؛ ويساعد ويعين حتى يتغلب الإنسان على مشكلته ، وينتهى عند ذلك المشروع بنجاح المتعلم فى حل مشكلته ، ولكن المشروع الأول الذى كان غرضا فى حد ذاته سرعان ما يصبح وسيلة إلى غرض جديد هو مشروع آخر حديث ، وسنضرب لذلك مثلا :

« أراد طالب أن يكتب خطابا ردا على خطاب جاء إليه ، ولم يكن هذا الطالب قد سبق أن كتب خطابا قط ، ولذلك لجأ إلى مدرسه يستفتيه . ولو لاحظنا موقف الطالب فى هذه الحال لوجدناه موقف المستيقظ المهتم بكل ما يقوله مدرسه . هذا هو الدرس الحقيقى الذى سيتعلمه فعلا فى كيفية كتابة الخطابات . درس ثابت لن ينسى لأنه سيستعمل معلوماته فى الحال فى كتابة الخطاب ، بل وسيتوسع فى استخدام هذه القدرة الجديدة التى اكتسبها فيكتب إلى آخرين ، ويراسل زملاءه فى إنجلترا أو الباكستان ، وهلم جرا . .

ولكن هذا المثل السابق فى الحقيقة لا يمثل مشكلة بالمعنى الحقيقى للمشكلة ، كما تفهمه طريقة المشروع ، ذلك لأن كتابة خطاب ليست ذات أهمية حيوية قصوى بالنسبة للتلميذ ، وإنما هى صعوبة عارضة ، وإنما تكون المشكلة مشكلة حقا كلما كانت تمس أمرا حيويا بالنسبة للانسان ، فدودة القطن بالنسبة للفلاح المصرى ، بل وللدولة ، كلها مشكلة خطيرة ، وهى التى تثير بمجرد ظهورها مختلف الجهود للقضاء عليها ، وظهور الملاريا أو

انتشار الكوليرا ، أو هجوم الجراد ، كلها مشكلات خطيرة يمكن أن نعتبر سلوك المجتمع فى التغلب عليها مشروعا من المشروعات التى توصى بها طريقة المشروع . ولذلك لا تعترف طريقة المشروع بتعلمنا الحالى ، ولا بنظمنا المدرسية المنطقية . لا تعترف بالمناهج ولا الحصص ، ولا بالفصل أو الجرس ، ولا بالانتقال من سنة إلى أخرى ، أى لا تعترف بالامتحان . ذلك لأنها طريقة تتمشى مع الميول النفسية للطفل ، وتتدرج معه وتنمو بنموه . يسأل فتجيبه ، ويتعلم فتساعده وتعينه ... يتم ذلك كله أثناء سير المشروعات التى يقوم بها والتى يأخذ بعضها برقاب بعض . ولكى يكون المشروع مشروعا بمعنى الكلمة يجب أن يلاحظ فى تطبيقه ما يأتى : —

١ — أن تكون المشكلة من وحى الطالب أو الطلاب ، وأن يتم تحديدها على أيديهم ، ومن وحى شعورهم

٢ — أن يظل موقف المتعلم خلاله تلقائيا

٣ — أن يستمر ما دامت المشكلة مستعصية على الحل أى أن المدة التى يستغرقها المشروع يجب أن لا تحدد إلا بانتهاء المشروع نفسه

٤ — أن يظل الهدف الأساسى من المشروع واضحا أمام المتعلم ، ولا يتيسر ذلك إلا بالمحافظة على سير المشروع من كثرة التشعب الذى قد يؤدى إلى تشتيت الجهود وتلاشى الغرض الرئيسى منه

٥ — أن يعتمد فى سيره على التجارب العملية التى ستتعدد وتتنوع بحسب ما يتطلبه المشروع نفسه ، وأن تتجه كلها فى النهاية نحو تحقيق الهدف الأخير

٦ — أن يصبح الهدف بمجرد الوصول إليه وسيلة فعالة بدوره فى تحقيق أغراض أخرى وفى إثارة مشاكل جديدة بحيث يضمن استمرار العمل واستمرار النمو

وتمتاز طريقة المشروع بمزايا عديدة أخرى . فاعتمادها على المشكلة جعل سلوك المتعلمين نحوها سلوكا غريزيا له كل مظاهر السلوك الغريزى من حيوية وتغير وتلقائية واستمرار . حتى يتحقق الغرض . وبذلك ضمنت نمو التعلم واستمرار انتباهه التلقائى ، وهو ما لا نجده مطلقا فى الطريقة المنطقية التى يتأى المتعلم فيها عن التعليم ولا يقبل عليه إلا مضطرا وتحت ضغط ظروف خارجية . والمشكلة إذا اعترضت المظهر النزوعى لشعور الإنسان حفزته ، ولذلك نلاحظ كيف يكون نزوع المتعلمين نحو التعلم فى طريقة المشروع قويا وواضحا ومرغوبا فيه . ويلاحظ أن طريقة المشروع تكسب المادة التى يتعلمها التلميذ قيمة وحيوية لأهميتها بالنسبة إليه ؛ بينما لا تكتسب المادة أى معنى فى الطريقة المنطقية . ويتلقى التلميذ فى طريقة المشروع المعلومات كوحدة كلية غير مجزأة ؛ يتعلم المعلومات كما هى فى الحقيقة وفى الحياة . وبذلك تتفادى أكبر عيوب الطرق المنطقية التى قسمت المعلومات إلى علوم من تاريخ إلى كيمياء الخ . . فأصبح الطالب بسبب ذلك عاجزا عن الربط بين ما يتعلمه سواء فى المادة الواحدة أو بينها وبين غيرها من المواد

وتتناول طريقة المشروع عيوب التعليم الحالية فتنقذ الطالب من تحكم المناهج وكثرة المواد وتحكم المدرسين ومن شبح الامتحان وما يتبعه من رسوب وفشل كفيل بقتل روح البحث العلمى فى التلميذ ، وهى تضمن نمو التعلم باستمرار ونمو المعلم أيضا

إن طريقة المشروع أكبر حدث تربوى خطير ظهر فى العصر الحالى . وواجبنا نحن المصريين بوجه خاص والشرقيين بوجه عام التخلص من الطريقة القديمة المنطقية التقليدية التى نسير عليها ، وأن ننقذ أبناءنا ومجتمعنا وأوطاننا بأن نؤدى لها أكبر الخدمات وأجلها حين ندخل فى التربية طريقة المشروع أو ما يشبهها وينبنى على أسسها ؛ فبذلك وحده يظهر جيل حر فى تفكيره ، عملى فى حياته ؛ جيل ينمو باستمرار ويتمشى مع ركب الحياة . جيل يخلع رداء الجمود ويتحرر مما يعوقه من قيود . ويمثل هذا الجيل يتسنى لنا مسايرة الزمن ومنافسة الغربيين ؛ كيف لا وقد أعدته رسالة المربى كما يجب أن تكون

كمال السيد درويش

النقـــد والشعر

للأستاذ سامي أمين

في العدد (٩٤٥) من مجلة (الرسالة) يقول في الافتتاحية الأستاذ الناقد سيد قطب عن الشعر (إنه الغناء. الغناء المطلق بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات. حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية، وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهج والإشراق، أو الرقة والانسياب على نحو من الأنحاء..

(ولسائل أن يسأل : أو ننفي الفكر من عالم الشعر أيضا ؟ ولست أتردد في الإجابة : إن هذا الفكر لا يجوز أن يدخل هذا العالم إلا مقنعا غير سافر. ملفعا بالمشاعر والتصورات والظلال. ذائبا في وهج الحس والانفعال. أو موشى بالسبحات والسرحات.. ليس له أن يلج هذا العالم ساكنا باردا مجردا)

ومن هذا الشعر القصيدة التالية المختارة من ديوان (أنفاس محترقة) للشاعر الأستاذ أبو الوفا.. وعنوانها (في انتظار الصباح) :

جدد لي الأقداح يا ساقي الراح
علي أرى في الراح أطيـــاف أفراحي

* * *

في مزهري ألحان أخشى أغنيهـــا
أخشى على الأوتار من هول ما فيها

* * *

يا مزهر الأقـــدار غن بهـا غني
واشرح على الأطيار ما غاب من فني

* * *

لكل يوم شراب لابد من كاسه
وكل معنى العـذاب في لون إحساسه

من ذا يرد الصواب للدهر في ناسه

* * *

للغاب يا ابن الغاب اهرب فداك النواح
تبا لضعف التراب أغرى عليه الرياح
لولاي في ذا الإهاب ما هيض مني الجناح

* * *

لا تسألوا يا شهود عن حكمة الأقدار
وأين نحن العبيد ممـا وراء الستار
ومن تخطى الحدود يلقى به في النـار
(النار ذات الوقود) يا رب يا ستـار
ربان بحر الوجود أدرى بموج البحار
فاستسلموا للوعود وامضوا مع التيـار

* * *

هات اسقني يا صاح كأس الهوى الفضاح
سكران لـكن فؤادي ممـا يعانيه صاح
يا ليل هل من مداو يا ليل.. يشفي جراحي
لم يجد فيك اصطباري وليس يجدي نواحي
يا هل ترى لي صباح أم ليس لي من صباح

* * *

هـذا الهذيان المطلق الذي لا تربط بينه قافية واحدة ولا فكرة واحدة (إنما تربط تلك النغمة المنسابة.. نغمة الروح الحزين.. العابث.. المتطلع.. الأليف.. الوديع.. روح الفراشة البيضاء والعصفور الراقص المزقزق الصـداح).. على حد قول الأستاذ..

هذا الغناء الذي يتكلفه الأستاذ الناقد.. فيريد الشعر بهذا الشكل المشوه الممسوخ. لارابط بين مقاطع القصيدة الواحدة.. ولا ملامح متشابهة من قريب أو بعيد.. فهي أمشاج وتهاويل.. فمن الراح والأقداح إلى النواح وإلى حكمة الأقدار والنار ذات الوقود وإلى ما لا أدري من لغو منظوم لو تجرأ واحد فعرضه على مجلة مهمة محترمة كالرسالة مثلا لاتهموه بالجنون. أقول هـذا

المناء الذى تكافه الأستاذ لم يكن له من باعث سوى إظهار أحد الشعراء وفرضه على القراء بغير إنصاف .. وهكذا نرى أن نقادنا اليوم — للأسف — لا ينظرون إلى الشعر وإنما ينظرون إلى الشاعر فيحسبون لهذا ولذاك ألف ألف حساب ..

ثم عن تلك الخواطر المتنافرة والاهتياجات المتدفقة التى نظمها أبو الوفا يقول الأستاذ سيد قطب إنها (ظاهرة فنية) تلد بين الحين والحين وليس النقد الفنى عندنا من النضج بحيث يتناولها بالتعهد والرعاية كيما يكون لها كيانها الخاص فيما بعد . ولست أطلب إلى الأستاذ الناقد إلا أن يلقى نظرة على أى محاولة فاشلة يقدمها شاعر ناشئ في مطلع حياته الأدبية والفكرية فسيجدها ولا شك (ظاهرة فنية) فريدة تستحق الإعجاب . .

والآن أقدم شاعرا (مغمورا) نشر ديوانا قبل زمن قصير يحوى ستا وثلاثين قصيدة ، وقدم نسخا منه إلى النقاد ودور الصحف والمجلات فى مصر ، فلم يلتفت إليه أحدولم يظهر له اسم . وليس له من ذنب سوى أنه من البلدان المتأخرة ، من العراق ... فأما أبو الوفا الذى يقدمه الأستاذ سيد قطب (على الصفحات الأولى من الرسالة) فهو من أرض الكنانة مصر بلد (المتقدمين) . .

يقول شاعرنا الأستاذ (شاذل طاقة) فى مفتتح ديوانه (المساء الأخير) هذه الكلمات (لله هؤلاء الشعراء .. شياطين عبقر .. فإنهم يألمون مرة ثم يحيون الألم مرة أخرى .. فكأنهم يألمون مرتين) وهذه أصدق وأدق كلة تقدم ديوانا من الشعر

ثم هذه بضع من قصائده . . وليتفضل فيقارنها من يشاء بالنماذج التى أوردها الناقد الكبير سيد قطب من شعر أبى الوفا فى مقاله .. وليقل بعدئذ من يشاء بأننى أتهم الأستاذ سيد قطب وسواه من النقاد فى مصر بالمحاباة كذباً وافتراء ...

هذه إحدى قصائد الأستاذ الشاعر (شاذل طاقة) وعنوانها (ظمأ) .. وهى تصوير رائع للظمأ السرمدى الذى يحسه الإنسان فى أعماقه إلى الجمال ..

أذوب قلبي أم أصون لسانى   وأعذل نفسى أم أذم زمانى
لك الله يادنيا فلا حسنك انتهى   ولا القلب من أشواقه بأمان
ولا أنا عن بث اللواعج منتهٍ   ولا لك فى وقف العذاب يدان
أناديك مبحوح النداء وأنثنى   أنوء بما قاسيته وأعاني
طبعت على عشق الجمال فلا أرى   مع الحسن إلا دائم الهيمان
أحوم كما حام الفراش على اللظى   وأقضى ولا أنفك عن حومانى
أموت وفى نفسى من الحب غلة   أبت ريها الأيام فى ريعانى
وأمضى إلى ربى أبث شكايتى   وطى الحشا نارا تذيب جنانى

* * *

أعتقد أننى فى غنى عن تحليل هذه الأبيات العالية الرائعة فهى تصور وضع الإنسان بين الحسان فى هذه الحياة ولوعته الدائمة وتعطشه الأبدى ، وعدم استقراره .. ومن ثم حيرته وشكاته ...

وأمضى إلى ربى أبث شكايتى   وطى الحشا نار تذيب جنانى

ثم يلاحظ فى هذه القصيدة أنها متماسكة المبنى والمعنى ، مترابطة الأوصال ، ذات وحدة فنية تشد القارئ إليها شدا .. فليس فيها من التفسخ المعنوى والاضطراب الفكرى والضعف البيانى شئ . .

وهذه قصيدة أخرى بعنوان (توبة) .. بل هذه قصة الإنسان المخطئ حين يؤوب مثقلا بذنوبه إلى الله مستغفرا ... يقدمها الشاعر ناظمها بهذه الكلمات (لا يفزع الإنسان إلى ربه إلا حين يخطئ فسبحانه ما أعجب خليقته . .) . . ولننقل الأبيات الأخيرة منها اقتصادا فى الوقت ...

أنوء بكل الخطايا التى   تذوب نيرانهــا الجلدا
فرحماك يا بارئ الخاطئين   أتيت إليك خفوت الندا
ويارب ها أنــذا تائب   ونفسى وروحى وقلبى الفدا
أجرر ذيل الذنوب الكبار   وأسرى وملء الطريق مدى
أصــارع بالحب ما آدنى   وأدفع بالشعر ما نكدا
وأرنو إلى مقبل من بعيد   وأكحل عينى بومض الهدى

* * *

ولننتقل إلى مجال آخر . . فنستمع إلى شاعرنا بعد ضياع (فلسطين) .. فى أبيات من قصيدة طويلة ..

فــلا تقرب الوادى فما هو موحش
ولا تسأل الأحجار .. أخرسها الرعب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

الواقعية الفنية :

هناك نوع من الأدباء يحيرني إذا ما حاولت أن أتحدث عنه : هل أصفه بأنه لا يجيد القراءة ، أم أصفه بأنه لا يحسن الفهم ، أم أصفه بأنه يجهل أصول التفكير وطرائق التعبير ؟ إذا أطلقت عليه كل هذه النعوت فاعذرني . . لأنه يحيرني ! ولست والله غاليا إذا قلت لك إن هذا النوع من الأدباء يستطيع أن ينطقك بعالم تفه به ، وأن ينسب إليك مالم تهدف إليه ، وأن يناقشك بعد هذا كله في الموضوع طبقا لمزاجه هو لا طبقا لمزاجك ، ووفقا لهواه هو لا وفقا لهواك ، ولا بأس عليه أبداً من أن تفغر فاك من الدهشة ما دام هو قد فغر فاه ليتثاءب ، منتظراً أن تقول له محيياً بعد نشوة السبات العميق .. صح النوم وطابت الأحلام يا صاحب المزاج الرقيق !

من هذا النوع من الأدباء ذلك الأديب العراقي الذي كتب عن « الواقعية الفنية » في العدد (٩٤٨) من الرسالة ، معقبا على رأى لي كنت قد سجلته حول هذه الواقعية منذ أسابيع . . لقد ذكرني الأديب العراقي وهو يعقب على أفكار لم تخطر لي على بال ؛ ذكرني بقصة ذلك الزعيم المصري الذي قيل له إن أجر العامل قد بلغ في اليوم جنيها في السويد ، فهتف وهو لا يملك شعوره من دفقة البهجة ولا لسانه من غلبة السرور : عظيم ! .. عظيم جدا ! .. عظيم والله أن يحصل العامل على مثل هذا الأجر في السويس !

لا فرق أبدا بين فهم هذا النوع من الأدباء وبين فهم هذا الزعيم « الفهيم » .. تتحدث عن السويد فيحسبونها السويس ، وعن الإسكندرونة فيتوهمونها الإسكندرية ، وعن النيل فيتخيلونه الدردنيل ! ثم لا يقفون عند هذا الحد من الغفلة ولا يقنعون بهذا الحظ من الذهول ، ولكنهم يجدون الجرأة العجيبة على التهجم عليك مفترضين أنهم على الحق وأنك على الباطل ، ولا يتحرج منطق الغافلين والذاهلين من أن يقدم إليك الدليل !

يقول الأديب العراقي الذي يمثل هذا المنطق أو يمثل ذلك النوع من الأدباء : « ويحضرني الآن رأى للأستاذ المعداوي في العدد (٩٣٩) من الرسالة إذ قال : الواقعية ضربان ، واقعية أولى ويكون فيها نموذج الشخصية موجودا (بالفعل) في الحياة ، والواقعية الثانية ، ويكون فيها نموذج الشخصية موجودا (بالإمكان) ولم يقف الأستاذ المعداوي عند هذا الحد ، وإنما ذهب إلى تعريف الواقعية الأولى فقال : (هي نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء ، كما هي في الواقع المحس الذي تلمسه العين وتألفه النفس) ، ولو وقف الأستاذ عند قوله : (إنها نقل

ولانطلاب ذكرى لمعهد تفرقت
أماسيه ما بين النوائب والنجب
نزلت على الوادى فلا الزهر يانع
ولا حضر السمار .. والسمر العذب
بل الشمس قتماء وفى الأفق وحشة
وللبدر إطراق ودون المنى حجب
هى النائبات السود أظلم وجهها
وكانت ذكاء لا يحس لها غرب
ففى جانب الوادى وفى منحنى الحمى
نفوس توالتها المصائب .. والكرب
لحى الله خطبا قد ألم فروعت
مطالعه زغب الحواصل لم يحبوا .

* * *

هذا وفى الديوان قصائد ممتازة أخرى لاوقت لدينا ولا لدى القارئ لاستماعها جميعا .. وعسى الله أن يهدى النقاد عندنا فيعملوا من أجل الشعر والأدب ، لا من أجل الشعراء والأدباء

دهوك — سامي امين

مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء) لهان الخطب وما جمل ذلك النقل مقيدا (بما تلمسه العين وتألفه النفس) ، كما أنه لو احترس الأستاذ فى قوله وقال : (إنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء كما هى فى الواقع المحس الذى تلمسه عين الفنان وتألفه نفسه) بدلا من إطلاق (العين والنفس) التى تدعو إلى جمل الفن ضربا من ضروب العبث ، كما يجعل — هذا الإطلاق نفسه — الفنان والرجل العادى فى كفة متساوية من حيث الإحساس ، أقول لو قال الأستاذ (عين الفنان ونفسه) لسهل الأمر وما دعانا إلى الولوج فى دهاليز الظلمة والجهل ، وهو يقصد الإيضاح والإعلام » !

أرأيت إلى هذا الفهم العظيم الذى يذكرك بقصة السويد والسويس ، والإسكندرية والإسكندرونة ، والنيل والدردنيل ؟! أرأيت إلى هذه اللغة الفينيقية التى لا يستخدمها غير (الأساتذة) الراسخين فى العلم ، والمتضلعين من الفن ، والمتمكنين من مناهج التفكير ! لقد اتهمنى الأديب العراقى بأننى أدعو إلى جمل الفن ضربا من ضروب العبث ، وأدفع بالقراء إلى دهاليز الظلمة والجهل بدلا من دهاليز الإيضاح والإعلام !! ألا ترى أنه فهم عظيم .. على طريقة ذلك الزعيم الفهيم ؟! لقد قلت عن « الواقعية الأولى » أنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء ، كما هى فى الواقع المحس الذى تلمسه العين وتألفه النفس .. قلت هذا فتوهم الأديب العراقى أن كلمة (النقل المباشر) معناها (النقل الفوتوغرافى) كما نص على ذلك فى موضع آخر من مقاله ! وتخيل أن (العين) التى أقصدها هى عين بائع الفجل والبصل والخيار ، وأن (النفس) التى أعنيها هى نفس بائع اللب والحمص والفول السودانى !! تصوروا ياقراء الرسالة كيف يدعو المداوى إلى جمل الفن ضربا من ضروب العبث ، وكيف يدفع بالقراء إلى دهاليز الظلمة والجهل العميق ؟! معذرة إذا تصورتم هذا كله مادام الفهم (العابث) الذى يتمتع به الأديب العراقى قد أظهرنى أمامكم على هذه الصورة العزيزة المنال والفريدة المثال ، ومعذرة مرة أخرى إذا ما كان فى الأدباء مثل تلك النماذج العقلية التى تعيد علينا قصة السويد والسويس ، أو قصة الإسكندرية والإسكندرونة ، أو قصة النيل والدردنيل !!

النقل المباشر لصور الحياة هو النقل الفوتوغرافى لصور الحياة؟! من يصدق أننى كنت أرمى لهذا المعنى وأهدف نحو هذا التفسير؟! عيب هذا النوع من الأدباء أنه يقف عند المعنى المادى للكلمة ولا يكاد يتعداه ، ويدور حول الهيكل المظهرى للفظ ولا يكاد يتخطاه ، مثله فى ذلك مثل ذلك النوع من القادة والحاكمين ، أولئك الذين يتوهمون أن كل حديث عن العدالة الاجتماعية ضرب من اعتناق الشيوعية !! إننى عندما أقول عن « الواقعية الأولى » إنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء ، فإنما أعنى النقل الأمين ، النقل الصادق ، النقل الواعى ، النقل الذى لا يجوز فيه الوهم على الحقيقة ولا يطغى الخيال على الواقع ! هذا هو النقل الذى أعنيه ، النقل الذى يجمل الفن يتصل بالحياة اتصالا مباشراً ، وثيقا دقيقا ، ليمكس على مشاعرنا كل مافيها من نبض وخفوق ، النقل الذى قلت عنه يوما على صفحات الرسالة وأنا أتحدث عن بعض الأعمال الفنية للأستاذ توفيق الحكيم : « إنك عندما تقرأ أعمال الحكيم الأولى التى سجلها ليصور بها تلك البيئات التى عاش فيها بالجسم والفكر والروح والحواس تحس أن الحياة كانت تتنفس تنفسا عميقا فى فنه ، وأن عدسة القصاص قد بلغت من دقة اللقطات مالا يتهيأ إلا لكل فنان مفتوح العينين والقلب والذهن ، إقرأ مثلا « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » تحس أن الحياة فيهما تكاد تنتفض بين يديك وتتحرك أمام ناظريك ؛ تنتفض بعوالم لاتحصى من الصور النفسية والنماذج البشرية ! لقد كانت العدسة البارعة تنتقل من الشوارع إلى الأزقة ، من المدينة إلى القرية ، من القصر إلى الكوخ : ترقب ، وتتأمل وتسجل .. وإذا حرارة التعبير قد ارتفعت لتلفح إحساسك على الورق ، وإذا لمحة الخاطر قد استحالت فكرة فى ثنايا العرض وإذا ركب الأحياء قد انتقل فى حركة نابضة إلى السطور والكلمات !

لقد كان توفيق الحكيم يعب الحياة عبا إن صح هذا التعبير ، ويوم أن كان يطل على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه ؛ كان يطل من نافذة مفتوحة ، هى نافذة الحواس المتحفزة لالتقاط كل ماتقع عليه من صور فى دقة ووعى وانتباه ، وهذه هى الفترات (المستيقظة) فى فن توفيق الحكيم . فترات مستيقظة تلقت

عن كتاب الحياة سطوراً فيها عمق وروح وأصالة ، فإذا « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » نسختان أمينتان تغمض عينيك بعد الفراغ منهما لتبدأ الحياة سيرها فى دروب النفس ومسارب الشعور ، ولا بأس من أن تغمض عينيك فإن الصورة قد انطبعت على صفحة الفكر والخيال !»

هذه الكلمات التى كتبتها يوما عن فن توفيق الحكيم فى أمسه الغابر ، هى التصوير الصادق « للواقعية الأولى » التى قلت عنها إنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء . . ترى هل تفهم منها أننى أعنى « النقل الفوتوغرافى » كما اجترأ الأديب العراقى وألصق بى هذا الاتهام ؟ ! إننى يوم أن كتبت عن « الواقعية الأولى » وقلت عنها ما قلت ، لم أشأ أن أكتب « مذكرة تفسيرية » لكلمة « النقل المباشر » كما يفعل رجال القانون ، لأن مقالاتى السابقة حول هذا المعنى على صفحات الرسالة كانت تعفينى من الشرح وتغنى القراء عن التفسير ! ترى هل يحتاج الأديب العراقى إلى نموذج آخر مما كتبته من قبل فى هذا المجال ؟ لا بأس من تقديم هذا النموذج الآخر على سبيل المثال :

لقد كتب إلى يوما أديب من حضرموت ليعرض على موضوع قصة أخرجها أحد الأدباء هناك ، كتب يقول فى ختام كلمته : « هذه صورة تقريبية لفصول القصة ، وحيث تنتهى تبدأ قضية النزاع والاختلاف ، فيرى البعض أن تتلاحق فصول القصة كمأساة حتى الشوط الأخير ، بينما يرى البعض الآخر ومنهم المؤلف أن الله وهو أعدل العادلين لن يجعل لمثل هذه « المأساة » صورة ما ، فى عالم تجرى حوادثه على قوانين طبيعية عادلة .. هذه هى نقطة الخلاف عرضناها عليكم بكل أمانة راجين أن ترشدونا برأيكم » !

وقلت معقبا على القضية المعروضة على فى انتظار الجواب : « أود أن أقول للأديب الحضرمى إن هذا الجدل الذى دار بين جماعة من أصدقائه جدل غريب . ومصدر الغرابة فيه أن أصحاب الرأى الأول يريدون أن يطبعوا موضوع القصة بطابع المأساة ، وأن أصحاب الرأى الثانى يريدون أن يخضعوا الموضوع لعدالة الله .. وكلا الرأيين بعيد عن جوهر الفن القصصى لأنه يمثل منطق القائلين به أكثر مما يمثل منطق الوقائع الطبيعية !

جوهر الفن هو أن نستوحى الحياة وحدها عندما نريد أن نخلق عملا من الأعمال الفنية ، والقصة كعمل من هذه الأعمال لابد أن تخضع لمجرى الحياة فى صورتها الواقعية التى لا تنكرها العين ولا يرفضها العقل ، فالحياة التى ترفرف عليها عدالة الله فيها الخير وفيها الشر ، وفيها الفضيلة وفيها الرذيلة، وفيها السعادة وفيها الشقاء ، وفيها ما شئت من ألوان المفارقات وضروب التناقضات، فإذا صورنا الحياة تصويرا صادقا فمن الطبيعى أن نقبل المأساة المستمدة من واقعها كما نقبل الملهاة ، على شرط أن يكون عرضنا لهذه وتلك مسايرا لمنطق الحوادث المألوفة ومطابقا لطبيعة الأمور كما يألفها الأحياء !

خذ موضوع القصة من هذا الوجود المتحرك أمام ناظريك ثم اخلع عليها بعد ذلك من ألوان الفن ما يبعد عنها صفة الجمود الذى لا يتفق مع الحركة ، ونزعة الخيال الذى لا يلتقى مع الواقع ولا مبرر بعد ذلك لأن تفرض على موضوع القصة أن يسير فى هذا الطريق دون ذاك ! إن الحياة هى التى ترسم خط السير ، وتقرر غرض الاتجاه ، وتحدد طبيعة الموضوع . . أعنى أننا يجب أن نقتفى أثر الحياة فى كل خطوة من الخطوات .. وكل نقلة من النقلات .. ثم نسجل ما شاهدناه كما يحدث فى الواقع المشهود أو كما يحدث فى الواقع الذى يمكن أن يكون . فإذا كان مجرى الحوادث فى القصة لا يضيق بشبح المأساة فلا ضير من توجيه دفتها نحو هذا الذى نبتغيه ، فإذا ضاق بها فلا حاجة بنا إلى تحمل الحياة فوق ما يمكن أن تطيق »!

أرأيت مرة أخرى إلى حقيقة النقل المباشر الذى أعنيه ؟ لقد عمدت إلى نقل هذا النموذج الآخر بالذات لأرد به على فقرة أوردها الأديب العراقى فى مقاله ليضفى على من علمه الغزير ! قال حضرته وهو يحاول أن يفهمنى حقيقة الواقعية الفنية بكلمات سبقته بمثلها منذ عامين : « والواقعية الفنية لا تبعدنا عن حياتنا — كما يظن — بل هى الواقع المحس قد داعبته أنامل الفنان ، وقد يرسم الفنان — الشاعر أو القصاص — صورا ماثلة فى الواقع ، واقعة حقا ، وقد لا تكون كذلك . . كما يلزمنا أن

تكون تلك الصورة المنقولة سامية حسنة جيلة ، بل كل مايطلبه الفن نقل الصورة نقلا فنيا ، وكل مايطلبه الواقع نقلها بأمانة ! »

أليست كلماته التى وضعت تحتها الخطوط هى من حيث المعنى نفس كلماتى التى وضعت تحتها مثل تلك الخطوط ؟! يا عجبا .. لقد كتبت تلك الكلمات منذ عامين ثم جاء الأديب العراقى فكتب مثلها منذ أسبوعين ، ومع ذلك يتهمنى بأننى أنظر إلى الواقعية الفنية على أنها النقل الفوتوغرافى .. ويحاول أن يلقى على بعض الدروس !! هذا عن « الواقعية الأولى » أو الواقعية الفنية ، وإذا كان الأديب العراقى قد نسب إلى فى موضع آخر من مقاله أننى أقصد بالنقل المباشر لصور الحياة ذلك « التقليد الأعمى » للطبيعة كما ذهب إلى ذلك أفلاطون ، فإننى أود أن ألفت نظره إلى أن « الفهم الأعمى » وحده هو الذى أوحى إليه بأن ينسب إلى مثل هذا القول العجيب .. ومرة أخرى أقسم له بعن علمى أصول الفن ومناهجه ، أننى حين قلت (الواقع الحس الذى تلمسه العين وتألفه النفس) ، كنت أقصد العين والنفس اللتين أنعم بهما الله على القصاص الحلق والأديب المتذوق والناقد الفنان ، ولم أكن أقصد أبدا عين بائع الفجل والبصل والخيار ، أو نفس اللب والحمص والفول السودانى .. وإذا لم يصدق فلا بأس من أن أنقل إليه هذه الفقرة الأخرى من مقال آخر كتبته أيضا منذ عامين على صفحات الرسالة :

الحياة هى المنبع الأصيل لكل أثر من آثار الفن يترك ظله فى النفس وبقاءه على الزمن : فى أدب الكاتب ، فى شعر الشاعر ، فى لحن الموسيقار ، فى لوحة الرسام ، لتكن الحياة نقمة أو نعمة ، لتكن مأساة أو ملهاة ، لتكن ألما أو لذة ، لتكن دمعة أو ابتسامة .. حسب الفن أن يعبر عن الحياة فيصدق فى التعبير ، وأن يترجم عن رؤية العين وإحساس القلب فيسمو بالأداء » !

هذا الفن الذى يترجم عن رؤية العين وإحساس القلب فى هذه العبارة ، أليس معناه العمل الذى ينتجه كل فنان ؟! وهذا القلب وتلك العين إلى من ينسبان هنا فى رأى الذين يفهمون ؟ ألا ينسبان إلى ذلك الذى ينتج كل عمل يسلك فى عداد الفنون ؟! إن الذنب ليس ذنبى كما رأيت ، ولكنه ذنب الذين يحسبونها السويس وهى السويد ، ويتوهمونها الإسكندرية وهى الإسكندرونة ، ويتخيلونه النيل وهو الدردنيل .. وهلم جرا أو هلم جرجرة كما كان يعبر الرافعى رحمه الله !!

هل انتهى العجب ؟ كلا ! وكيف ينتهى ونحن نتحدث عن الواقعية فى القصة فينقلنا الأديب العراقى إلى الواقعية فى الشعر ، ويأتى لنا بنموذج من شعر « هوسمان » ليتساءل : هنا واقعية .. ولكن هل هى من النقل المباشر الذى تلمسه العين وتألفه النفس ؟ لو كان حضرته يعلم أن الواقعية فى الشعر غير الواقعية فى القصة لما أوقع نفسه فى هذه « اللخبطة » الطريفة .. ترى هل يريد أن يعرف الفارق بين الواقعية هنا والواقعية هناك ؟ عليه أن يرجع إلى هذا المقال وإلى المقال الآخر الذى عقب عليه ليدرك طبيعة الواقعية القصصية ، وعليه أن يرجع مرة أخرى إلى مذهب « الأداء النفسى » على صفحات الرسالة ليفهم حقيقة الواقعية الشعرية ، فإذا لم يستطع أن يلمس هذا الفارق فليكتب إلى لأمسك بالقلم من جديد !!

أنور المعداوى





معجم شمس العلوم

طبعة أوربا صفحاتها ٣٤٦ طبع فى بريل بليدن ١٣٧٠ هـ (١٩٥١)
طبعة اليمن صفحاتها ٤٩١ « بمطبعة الحلبى بالقاهرة ١٣٧٠

للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

بقية ما نشر فى العدد الماضى

وفى صفحة ١٩٠ : « البينك : الأصل » والصواب : البنك . قال الصغانى فى « التكملة » (١) : « بنك . ابن دريد . بنك الشئ بالضم خالصه »

وفى صفحة ٢١٠ : فمل بفتح الفاء (خ) التخ بالخاء معجمة والصواب : فمل ، لأن التخ ثلاثى مجرد ، و « فمل » مزيد ، والمؤلف يريد الثلاثى المجرد لا المزيد ، والتخ وزنه : فمل

وفى صفحة ٢١٤ : « قال عبد الخالق بن أبى الطلح الشرابى » .
والصواب : الشهابى كما جاء فى الإكليل وصفة جزيرة العرب للهمدانى

وفى صفحة ٢٢٥ : « التنفل بضم التاء وفتح الفاء ولد الثعلب والجمع التنافل قال : وارجا سرحان وتدريب تنفل . ويقال : تنفل بضمها وتنفل بكسر التاء وفتح الفاء عن الكسائى

والتنفل لم يرد فى العربيـة بهذا المعنى بل لم يرد : التنفل والصواب : « التتفل »

جاء فى صفحة ٨١ من الجزء الثالث عشر من لسان العرب : التتفل بالتاء ..وبيت امرئ القيس :

له أيطلا ظبى وساقا نعـامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

(١) نسخة مصورة من مخطوط مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة ، والأولى بخزانتى وسأنشرها إن شاء الله قريبا

وقال الأزهرى : سمعت غير واحد من الأعراب يرويه بقولون تفل على وزن فمل وأنشده أى بيت امرئ القيس :

له أيطلا ظبى وساقا نعـامة وإرخاء سرحان وتقريب تفل

ويدل هـذا على أن « التنفل والتنفل والتنفل » خطأ ، وكذلك « التنافل » والصواب بالتاء فيهن جميعا

وأما « إرجا » فلا معنى لهـا هنا ، وجعلها مقصورة يخل بوزن البيت ، وما أدرى كيف ينسى الشيخ الجرافى بيتا مشهورا فى معلقة جد مشهورة ويخطئ فى شطر منه فى ثلاثة مواضع ؟

١ — إخلاله بالوزن وذلك بقصر الممـدود وجعله الإرجاء « إرجا »

٢ — تصحيفه : « إرخاء » وذلك بجعلها : « إرجا »

٣ — تتفل . بجعلها « تنفل »

أما الخطأ الرابع فإبداله « تقريب » بتدريب دون أن يذكر مصدر هذه الرواية ، فهو يخطئ فى هذا حتى يذكر المصدر

وفى صفحة ٢٢٥ أيضا : « لا تمنعوا آماء الله مساجدا لله » والصواب « إماء » بدون مد

وفى صفحة ٢٣٤ : « تيما : أرض كان بهـا السموأل » والصواب : تيماء

وفى صفحة ٢٥١ : « قال أعشى حمدان » وأنا لا أعلم أن بينى حمدان أعشى كان شاعرا ، فهل يدلنـا الشيخ الجرافى على أعشى حمدان إذا كان موجودا حقا ؟ !

إن الأعشى المقصود هنا أعشى همدان لا حمدان ، وما أدرى كيف يخطئ الشيخ الجرافى هذا الخطأ الشنيع ؟ إنه يمنى وأعشى همدان يمنى وهمدان باليمن فـكيف يجهل الشيخ ذلك ؟ أبمثل هذه السهولة يقضى فخر همدان فى الشعر عنها ؟ !

وفى صفحة ٢٥٦ : « قيل : يمنى الزرقاء . وقيل بنت الحسن وذلك أنها رأت الخ » والصواب : بنت الخس لا الحسن

وفى صفحة ٢٩ : « إلى بيته يؤتى الحـكم » وصحة المثل : فى بيته يؤتى الحـكم

وأما الشعر الذى استشهد به المؤلف فقد مسخه الشيخ الجرافى وكسر وزنه وحرفه ، وها نحن أولاء نقدم للقارئ

نماذج من ذلك

جاء فى صفحة ١٨ من شمس العلوم تحقيق الشيخ الجرافى اليمنى :

ضربت صدرها إلى وقالت يا عدى لقد وقتك الأواق

وهذا البيت مشهور يتداوله تلامذة المدارس فلا يخطئون فى قراءته وإعرابه ، ولكن الشيخ الجرافى لا يعرف ذلك ، وصحة البيت كما روى بالإجماع :

ضربت صدرها إلى وقالت : يا عديا لقد وقتك الأواق

وفى صفحة ٤٩ :

أنى يكون ، وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة ولدى الأعمام

وهذا البيت برواية الجرافى مكسور ، ويدرك كسره كل من كان له ذوق ، وما أدرى من أين زاد فى المعجم « ولدى » والصواب حذفه حتى يستقيم الوزن :

أنى يكون – وليس ذاك بكائن – لبنى البنات وراثة الأعمام

وفى صفحة ٥٢ :

الناس من جهة التمثيل إكفا ، أبوهم آدم والأم حواء

وصحته :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم ، والأم حواء

وفى صفحة ٥٢ أيضا :

أيها الفاخر جهارا بالنسب إنما الناس لأم ولأب

وهو مكسور ، ولا يستقيم إلا إذا وضعنا « جهرا » مكان « جهارا »

وفى صفحة ٣٧ :

جدنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب فيها والمكرع

والعجز مكسور ، ويستقيم إذا روى كما نظمه الشاعر وهو هكذا :

ولنا الأب بها والمكرع

وفى صفحة ٤٢ :

وهل يأثمن ذو أمة وهو طالع

وذلك خطأ ، وصوابه :

وهل يأثمن ذو إمة وهو طالع

وفى صفحة ٦٥ :

إنى سينهى عنى وعيدهم بيض رهاب ومجنأ أجد

والبيت يروى هكذا :

إنى لينهى الخ

وفى صفحة ٦٦ :

حلت سليمى ساحة القليب بأجلى محلة الغريب

والصواب : محلة

وفى صفحة ٩٠ :

وحل الحى حى بنى سبيع قراضيبة ونحن لهم إطار

قراضيه : اسم موضع

ولا وجود لقراضية هذه ، وصحتها : قراضبة كما جاء فى المفضليات

وفى صفحة ٩١ :

له أيطلاظبي وساق نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنفل

والرواية المعروفة « ساقا نعامة » لا ساق نعامة ، وكان من اللازم ذكر مصدر رواية الإفراد إذا كانت هناك رواية ، وأما تنفل فصحتها تتفل

وفى صفحة ٩٦ :

وأبيض صوليا كأن غراره تلألؤ برق فى حبي تأكلا

والبيت لأوس بن حجر وصحة « حبى » حبى

وفى صفحة ٩٧ :

نفر على الألآءة لم يوسد كأن جبينه سيف صقيل

والبيت هكذا مكسور ، ومختل المعنى وصوابه :

نفر على الألاءة الخ

وفى صفحة ١١٣ :

ألا تلك سلمى اليوم بت جديدها وضنت وما كان النوال يئدها

كان من الحتم تشكيل « بت » ويئدها خطأ ، وصوابها : يؤدها

وفى صفحة ٢١٣ :

إنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى

وأكسو الحفنة الأدما

وكتابة البيت بهذا الشكل خطأ ، لأن « مثنى الأيادى » يجب أن يكون فى العجز لا الصدر حتى يستقيم الوزن ، والحفنة خطأ وصحتها : الجفنة

وفى صفحة ٢٢١ :

وما كان لى عن تراث ورثته ولا صدقات من نساء أوايم

والبيت من الطويل ، ولكن ينقص من صدره فى رواية الجراف سبب خفيف ، وهذا النقص أخل بالوزن وصحته هكذا :

وما كان مالى عن تراث ورثته الخ

وفى صفحة ٢٣٠ :

ولو أنهاعرضت لأشمط راهب عبـــد الإله ضرورة متبتل

يجب فى صدر هـذا البيت وصل همزة القطع من « أنها » حتى لا ينكسر البيت ، ويكون هكذا « ولو انها » الخ

وأما « ضرورة » نخطأ والصواب : صرورة

وفى صفحة ٢٤٣ :

بانت تـــلوم على ثادق ليشرى فقد جـد عصيانها

والبيت من المتقارب ، ووزنه :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

ويلحقه بعض الزحافات ، إلا أن فعولن لا تصير « عولن » ولهذا فالبيت كما رواه الشيخ الجرافى فى « الشمس » خطأ ، ويجب أن يكون هكذا :

وباتت تلوم على ثادق الخ

وفى صفحة ٢٥٧ :

ألا ليت أمى لم تلدنى ولم أكن عشية حزا السيف رأس بن تامر

وصواب « حزا » حز

وفى صفحة ٢٥٧ أيضا :

يا رب بيضاء على حقـــير يجيبها نضخ من التعبير

والصواب :

يا رب بيضـاء على حفير يجيبها نضح من العـــبير

وحفير اسم موضع

وفى صفحة ٢٧٤ :

ورسم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الحياة من جلله

والواو زائدة فى « ورسم » ويجب حذفها حتى يستقيم الوزن.

وجاء فى لسان العرب ج ١٣ ص ١٢٧ :

رســـم دار وقفت فى طلله كدت أقضى الغداة من جلله

وفى صفحة ٢٧٨ :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بمكة حولى إذخر وجليـل

والرواية المشهورة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليـل

ويروى لسان العرب فى صفحة ١٢٧ من الجزء الثالث عشر البيت هـكذا :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفج وحولى أذخر وجليـل

وفى صفحة ٢٧٨ أيضا :

رعت بأرض البهى جميا وبسرة وصمعاء حتى آنفتهـا نصالها

والبيت كما رواه الشيخ الجرافى غير صحيح . لأن « البهى » — هنا — لا معنى له وصحته : البهمى

جاء فى اللسان ج ٨ ص ٣٨٥ : الأصمعى : البهمى أول ما يبدو منها البارض فإذا تحرك قليلا فهو جميم »

وفى صفحة ٢٧٩ :

كمقيلة الأوحى بات يحفها

والشطر هكذا مكسور ولا معنى له ، وصحته :

كمقيلة الأدحى بات يحفها

وفى صفحة ٨٨

نفى اللوم عن آل المحلق جفنه كجابية الشيخ العراقى تفهق

و « جفنه » خطأ ، والصحيح : جفنة

وفى صفحة ٢٧٤ :

« قالت نادبة الأحنف بن قيس :

لله درك من مجن فى جنن ومـدرج فى كفـن

وهذه الـكلمة ليست شعرا ، ولـكن الشيخ الجرافى لا يعرف العروض ، وهذا ما حمله على أن يرتب الـكلمة ترتيب الشعر

هذه « عينات » من خطأ الشيخ الجرافى فى فهم النظم وتصحيحه وروايته ، ومعظم الشعر فى الـكتاب كله مختل ومحرف ومسيخ ، ولسنا فى مقام الإحصاء حتى نستقصى شواهد « الشمس » الشعرية ، ولـكننا نقدم « عينات » ليعلم القارئ أن طبعة شمس العلوم اليمنية رديئة جد رديئة ، ولا يعتمد عليها

ولا يوثق بها

والآيات القرآنية نفسها لم تنج من التحريف والتشويه، وها هي ذي بعض الآيات أذكرها للقارئ الكريم ليعلم أن الشيخ الجرافي لم يعن ألبتة بمعجم شمس العلوم ولم يحققه أو يصححه

ومن هذه « العينات » ما جاء بصفحة ٩٧ : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وصحة كتابتها : فبأى الخ

وفى صفحة ١٠٣ : « إن خير من استأجرت القوى الأمين » يظن الشيخ الجرافى أن « القوى » مفعول استأجرت وفاته أنه خبر إن ، وكان يجب أن تكون « القوى »

وفى صفحة ١٦٥ : « ولا يستوى الأعمى والبصير » وصوابها : وما والآية فى صورة فاطر

وفى صفحة ٢١٢ : « تبت يدا أبى لهب وتب » ورسم « تب » يجب أن يكون هكذا : « تب » وسكون الوقف ينطق به ولا يكتب

وفى صفحة ٢١٦ : وقرأ نافع « وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم » وقراءة نافع ليس بكسر الباء ، بل بفتحها مع تخفيف التاء . « يتبعوكم » والباقون بتشديد التاء وكسر الباء « يتّبعوكم »

وفى صفحة ٨٨ : « الجبار المتكبر » ويجب عدم إسكان الراء من « المتكبر » فى الرسم وإن سكنت فى النطق

حتى ترقيم الصفحات لم يسلم من الخطأ ، فصفحة ٢٢٤ أصبح رقمها ٢٤٤

* * *

هذا بعض ما عنت لى كتابته عن الجزء الأول من شمس العلوم طبعة اليمن . وليعذرنى القارىء إذا لم أذكر فى نقدى المراجع لبعدها عنى ، ولكنى مع ذلك أعتقد أن ما ذكرته حق يوافق مافى تلك المراجع . وليعذرنى القارىء مرة أخرى إذا رأى فى بعض السطور « انفعالا » شديدا فإن رد ذلك إلى الإخلاص للعلم واللغة

وما مبعث ألمى إلا الخسارة التى يتحملها اليمن . ولشد ما يؤلمنى أن يبذل هذا القطر العربى المحتاج آلاف الجنيهات لطبع « شمس العلوم » رغبة منه فى نشر العلم وخدمة لغة القرآن ، ومع هذا السخاء فى الإنفاق والاحتمال فوق الطاقة لانجد جهدا علميا مبذولا فى التحقيق والنشر يكون كفاء تلك الآلاف الضائعة سدى

ولو أضاف اليمن ألفا وألفين من الجنيهات إلى الآلاف التى وقفها للطبع والنشر ودفع ذلك مكافأة إلى بعض المحققين الممتازين أمثال : عبد السلام هرون أو أحمد شاكر أو أحمد صقر أو أحمد أمين لكان هذا المعجم (شمسا) مشرقة ساطعة لا (شمسا) كاسفة فى المحاق

وأرجو من حكومة اليمن أن تتلف الجزء المطبوع من الشمس حرصا على كرامة اللغة العربية وصونا لسمعتها وحفظا لأقلام الكتاب والمتعلمين من أن يتدسس إليها بعض تلك الأغلاط ، وبشيع اللحن أكثر مما هو شائع

القاهرة — مكة المكرمة **أحمد عبد الغفور عطار**



حول الإجهاز والتجهيز :

أنكر الأديب محمد الدسوقي بالعدد الأخير من الرسالة استعمال كلمة التجهيز بمعنى القتل ، ونقل نصا من مختار الصحاح يدل على أن كلمة الإجهاز هي المستعملة في هذا المعنى ، وكنت أود أن يمد الناقد يده إلى المصباح المنير فيقرأ منه هذه العبارة : جـ ١ ص١٥٦

« وجهزت على الجريح من باب نفع ، وأجهزت إجهازا إذا أتممت عليه وأسرعت قتله ، وجهزت بالتثقيل للتكثير والمبالغة »

وإذن فالكلمة صحيحة ، وقد كتبتها في مقالي عن قصد ، لتؤدي ما أريده من المبالغة والتكثير ، وللناقد شكري وتحيتي .

الكفر الجديد **محمد رجب البيومي**

تحقيق حكمة :

لي صديق ماكر يعشق الأدب ويجيده جاء يعارضني بقوله : صح عندي قول « شر الأمور الوسط » بعد أن قرأت مقالة ذلك الكاتب الكبير . فقلت له : لقد خالفت المعقول والمنقول باتجاهك عكس الحكمة الخالدة « خير الأمور الوسط » وإليك كلمات قصار تزلزل صرح هذا المقال

الوسط حقيقة في البعد بين الطرفين ، ولاشك أن الإفراط والتفريط ذميمان — فالتوسط في الأخلاق يكون بعيـــدا عن الطرفين فكان معتدلا فاضلا . وإنما سمي العدل وسطا لأنه لايميل إلى أحد الخصمين . وقد روى البيهقي حديث « خـــير الأمور الوسط » وكان النبي صلى الله عليه وسلم أوسط قريش نسبا . وقال عليه السلام « عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي » وقال زهير :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي العظائم

ثم إن كل شيء في الحياة خيره وكماله في الوسط ، فالشجاعة فضيلة وهي وســط بين التهور والجبن ، والحلم وسط بين البطش والضعف ، والحياء وسط بين الوقاحة والخنوثة ، والسخاء وسط بين التبذير والتقتير

وقد مدح الله التوسط في المعيشة بقوله « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أي وسطا ، والتوسط في الأكل والشرب من الأمور التي تجلب السعادة للانسان في حياته !

وقد ندب الشرع إلى التوسط في العبادة فقال عليه السلام « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا » وقال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم ... » .

فالتوسط في جميع الأحوال هو الراحة التامة بل الكمال في الاعتدال .

شطانوف **محمد منصور خضر**

منطق المدنية :

يعيب أهل المدن على القرويين سيرهم في الطرقات حفاة .. وهم يحملون نعالهم بأيديهم .. إبقاء على جدتها !..

وها نحن أولاء نشهد في أرقى أحياء العاصمة الكثيرين من رجال الأعمال ، من مختلف الجاليات ، يسـيرون وقد حملوا « الجاكت » على ذراعهم .. تخلصا من الحر .. وكأني بهم يريدون أن يؤكدوا بذلك للمجتمع أنهم لم يخلعوا « الجاكت » عجزا عن اقتنائه .. بل تجنبا للحر والعرق .. بينما سارت نساؤهم شبه عاريات !..

لاتعيبوا إذن — ياأهل المدنية — على القرويين سيرهم حفاة فمنظر الحفاة أكرم من منظر العراة !..

وقبل أن تسجلوا على الناس المآخذ سجلوها على أنفسكم أنتم يا أهل المدنية .. المعرقين في الحضارة !..

عيسى متولي
بنك مصر — القاهرة



السترة القديمة

للكاتب الفرنسى فرانسوكوبيه

للأستاذ حسن فتحي خليل

حينما كنت أشغل وظيفة كتابية بوزارة الحربية ، كان لى زميل فى نفس حجرتى يدعى جان فيدال ، وهو ضابط سابق ، فقد ذراعه اليسرى فى الحملة الإيطالية ، ولكنه كان يمكنه الا كتفاء بيده اليمنى للقيام بأعمال مدهشة

كان شخصا وديعا ونموذجا للجندى الطيب ، ومع أنه كان لا يتعدى الأربعين من عمره ، إلا أنه من العسير أن تميز شعرة بيضاء واحدة فى لحيته، ومع هذا اعتدنا أن نطلق عليه « الأب فيدال » احتراما له ، لأننا كنا نعلم الكثير عن حياته الباسلة فى مسكنه المتواضع بحى جرينبل ، فقد ضم أخته إليه للاقامة معه فجاءت يتبعها طابور من الأطفال ، وكان دخله يتكون من معاشه ومرتبه .. وجملته ثلاثة آلاف فرنك يعيش عليها خمسة أشخاص ، ولكنه بالرغم من هذه الأعباء ، نظيف الملبس فسترته نظيفة ، وقد شبك ذراعها اليسرى الفارغة بدبوس

وكنت أسكن حينئذ أحد أحياء جنوب باريس ، فكنت أصحبه دائما فى طريقه إلى المنزل كما كنت أستشيره دائما ونحن فى طريقنا ليحدثنى عن حياته العسكرية السابقة ، وكنا نمر فى طريقنا بالقرب من المدرسة الحربية فتواجهنا تلك السترات الرسمية المختلفة الألوان — وكنا فى آخر أيام الإمبراطورية الثانية التى يلبسها رجال الحرس الإمبراطورى ورجال الهوسار بملابسهم الخضراء ، والخيالة بملابسهم البيضاء والدفعية بملابسهم الموشاة بالقصب والتى تستحق حقا أن يقاتل لابسوها من أجلها حتى الموت

وكنت أدعو زميلى فى أمسيات الصيف لتناول كأسين من الأبسنت ، ونجلس فى المقهى حوالى نصف الساعة ، وحينما تأخذه النشوة منذ تلك الكأس التى انقطع عن شربها منذ أن أصبح رب عائلة يغدو رجلا مرحا، وحينئذ أتوقع أن أسمع منه قصة عن الحرب نقطع بها بقية الطريق

وذات مساء، وكان قد تناول كأسين من الشراب، وقف فجأة أمام إحد الحوانيت التى تباع فيها الملابس القديمة فى شارع جرينبل ، كان حانوتا قذرا يعرض سترات قديمة لبعض الضباط لوثتها الأمطار ، وأحالت أشعة الشمس ألوانها ، وبعض الزرابير والمسدسات العتيقة ، فأمسك فيدال بذراعى بيده الوحيدة ثم أشار بطرف ذراعه المقطوعة إلى إحدى هذه السترات . كانت لضابط برتبة الكابتن ، ثم قال « انظر .. هذه هى سترة رسمية عليها علامة الفرقة التى كنت أخدم بها . »

وتقدم ليرى الرقم المحفور على الأزرار ثم قال : « يا إلهى .. إنها نفس فرقتى »

وفجأة ارتعشت شفتاه وشحب وجهه وقال فى صوت فزع . . « يا إلهى .. لربما كانت سترته هوا » وأمسك بالسترة يقلبها بين يديه ، فلاحظ ثقبا صغيرا مستديرا فى منتصف الظهر . . ثقب رصاصة ، وحوله بقعة سوداء لعلها آثار دم ، وكان ذلك الثقب يثير الفزع والشفقة ، وكأنه جرح حقيق ، ولمحت فى وجه فيدال أن هناك قصة وراء هذه السترة ؛ فقلت له ونحن نتابع سيرنا لأدفعه حتى يحدثنى بها :

— « إن ضباط فرقتك لا يجرحون من الخلف . . أليس كذلك ؟ »

ولكنه لم يسمعنى .. كان يهمهم ببعض الكلمات قائلا :

— « كيف وصلت إلى هنا ؟ إنها لمسافة طويلة جدا من ميدان الحرب فى ميلينيانو إلى شارع جرينبل ... أنا أعرف أن هناك لصوصا يسلبون الموتى ملابسهم فى الميدان ، ولكن من الغريب حقا أن تصل هذه السترة إلى ذلك الحانوت الذى لا يبعد عن المدرسة الحربية سوى مائة خطوة فحسب حيث تعسكر فرقته ؛ ولعله مر بها كثيرا وعرفها وكأنها ميت عاد إلى الحياة »

ولقد أثار ذلك اهتمامى حتى أنى أمسكت بذراعه وقلت « اسمع يا فيدال » لا تتكلم هكذا فأنا لا أفهمك .. ولكن حدثنى بالقصة كاملة .. بماذا ذكرتك هذه السترة ؟ »

وكنت أشك فى أنه سيتكلم لأنه فحصنى بنظرة كلها شك.. بل خوف ، ولكن يخيل إلى أنه اتخذ قرارا هاما فإذا به يبدأ قائلا :

« حسنا ، سأحدثك بالقصة فأنت رجل أمين وشاب مثقف ، وأعتقد في صدق حكمك ، وحينما أنتهي من سرد قصتي أرجو أن تصارحني عما إذا كنت قد تصرفت تصرفا حكيما

والآن.. من أين أبدأ ؟ آه نعم .. أولا لا يمكنني أن أذكر لك اسم ذلك الرجل لأنه مازال حيا ، ولكنني سأطلق عليه اسمه الذي اشتهر به في الفرقة . كنا ندعوه « الظمأ » وكان ذلك الاسم بلائمه تماما لأنه كان لا يبرح (الكانتين) أبدا وكان في مقدوره احتساء اثنتي عشرة كأسا حتى ينتصف الليل

كان شاويشا في فرقتي وكنا نعمل في مؤخرة الجيش ، ومع أنه كان سكيرا ولصا ومحبا للشجار إلا أنه كان شجاعا كالأسد ، له عينان زرقاوان باردتان كالصلب في وجه لوحته الشمس ولحية حمراء . ولقد صرح له مرة بإجازة ثلاثة أيام قضاها في الأحياء الساقطة بالجزائر مع ستة من المجرمين على شاكلته فأعيد إلى الثكنات مشجوج الرأس بعد أن تشاجر مع بعض الجنود في منزل امرأة ساقطة . وأفاق بعدها فحكم عليه بالسجن أسبوعين ، وخفضت رتبته ، وكانت هذه هي المرة الثانية التي يجازى فيها بذلك الجزاء . ولقد كان من عائلة محترمة كما أن ثقافته طيبة ، ولو كان حسن السلوك لحظى بترقيات متوالية . ولكنه بعد مضي ثمانية عشر شهرا استعاد رتبته بفضل رئيسه الكابتن الذي قدر رباطة جأشه تحت وابل النيران في الجزائر .

ولكن حدث أن نقل الكابتن المذكور وحل محله آخر كورسيكي في الثانية والعشرين من عمره واسمه جنتيل وهو شاب طموح وضابط نشيط ، ولكنه يقسو في معاملة جنده ، فهو يجازيك بالسجن أسبوعا إذا رأى زرارا مفقودا من سترتك ، أو لاحظ بعض الصدأ على بندقيتك . هذا فضلا عن أنه لم يخدم في الجزائر من قبل فلم يكن يسمح بذلك التراخي في النظام الذي تعودناه هناك حتى اعتبرناه حقا من حقوقنا .

ولأول وهلة نشأ شعور من عدم الاستلطاف بين الكابتن جنتيل وزميلنا « الظمأ » وكان جزاء أول ذنب يرتكبه الشاويش لعدم استجابته لما يطلب منه أن حكم عليه بالسجن أسبوعا . و بينما فاجأه ثملا مرة ثانية حكم عليه بالسجن مدة أسبوعين . وقد قال الكابتن وهو يدينه :

— سأرى إن كنت ستتأدب !!

فلم يجبه الظمأ بشيء بل سار في هدوء نحو زنزانته ، ولعل الكابتن كان سيغير اعتقاده لو رأى ذلك الغضب المرتسم في عيني (الظمأ) الزرقاوين الصلبتين

وحدث بعد ذلك أن أعلن الإمبراطور الحرب على النمسا فنقلنا بحرا إلى إيطاليا ، ولن أحدثك عن الحملة بل سأتابع قصتي . ففي بداية المعركة معركة « ملنيانو » التي فقدت فيها ذراعي عسكرت فرقتنا في قرية صغيرة . وقد ألقى علينا الكابتن خطابا قصيرا قبل أن يصرفنا وهو يذكرنا بأننا نقيم في بلاد صديقة ، وأنه يجب أن نعامل الناس معاملة طيبة ، وأن كل جندي يؤذي أحدا من السكان سيكون جزاؤه قاسيا .

وكان (الظمأ) يرتكن حينئذ على بندقيته بجانبي ، وكان ثملا بعض الشيء ، فهز كتفيه ولم يره الكابتن لحسن الحظ .

ولقد استيقظت منزعجا في منتصف الليل وأسرعت نحو فناء المعسكر فوجدت — في ضوء القمر — عدة جنود ورجال مدنيين يحاولون أن يخلصوا فتاة جميلة من بين ذراعي « الظمأ » وكان يقاومهم في قوة بينما كانت هي تصيح جزعة داعية العذراء وكافة القديسين ليخلصوها منه ، فأسرعت للمساعدة ، ولكن كان الكابتن جنتيل قد سبقني . كانت له عين صارمة آمرة فتراجع الشاويش أمامه ، فطمأن الكابتن الفتاة ببضع كلمات إيطالية ثم نظر إلى (الظمأ) وقال : « إن المتوحشين أمثالك يجب أن يعدموا » . وفي اللحظة التي سأرى فيها الكولونيل ستفقد رتبتك ثانية .. سنحارب غدا . ولعلك تحاول أن تموت في المعركة .

وآوينا للنوم ولكن كان الكابتن على حق ، فما أن شقشق الفجر حتى اندلعت نيران المدفعية ، فأسرعنا نحو أسلحتنا واندفعنا للقتال وكان (الظمأ) يسير بجانبي وعيناه تنذران بالسوء : وكانت الأوامر الصادرة إلينا تقضي بأن نطارد النمساويين الذين لجأوا إلى الخنادق في قرية « ملنيانو » فسرنا ما يقرب من الميل ولكن فاجأتنا نيران العدو وقتلت منا حوالي الخمسة عشر رجلا فأمرنا الضباط بالانبطاح أرضا بينما ظلوا هم واقفين . وفجأة شعرت بجسم بجانبي فتلفت فوجدت « الظمأ » ينظر إلي وهو ممسك ببندقيته

وقال أرى الكابتن ؟

قلت — نعم .. هل هناك شئ ؟

قال — حسنا .. لقد أخطأ حين وجه إلى كمانه فى الليلة الماضية ثم وضع بندقيته فى لحظة خاطفة وأطلق النار ، فرأيت الكابتن وقد انحنى ثم دفع برأسه إلى الخلف تاركا سيفه وسقط فى قوة على ظهره

فقلت وأنا أمسك بذراع « الظمأ » — أيها القاتل !

ولكنه دفعنى بعيدا وهو يقول — أيها الغبى . . كيف تثبت أنى قتلته ؟

فقمت واقفا وأنا ثائر غاضب ، ولكن حدث فى نفس تلك اللحظة أن هب بقية جنود الفرقة واقفين إذ صدرت أوامر الكولونيل بمهاجمة العدو

كنت فاقد الحياة حينئذ لأنه كان يتحتم على أن أهاجم العدو مع زملائى وكان القتال مريرا .. حتى أنى فقدت ذراعى فى هذه المعركة

وكان الجنرال ممتطيا صهوة جواده ، فخورا بنا نحن جنوده الشجعان وهو يقول « عشتم يا رجالى فأنتم أشجع جنود العالم »

وكنت مازلت قابعا فى مكانى وأنا أتحسس ذراعى المكسورة حين تذكرت جريمة « الظمأ » الفظيعة . ورأيته وهو يغادر مكانه ويتقدم نحو الجنرال، وقد شج رأسه العارى والدم يشحب منه منها الدم على جبينه وخديه ، وهو ممسك ببندقيته فى يد وبيده الأخرى أحد الأعلام النمساوية التى استولى عليها . فنظر إليه الجنرال فى اعجاب وقال « سأمنحك وسام الصليب »

وفقدت وعيى بعدئذ . . ولكنك تعرف ما حدث لى ، لقد بتروا ذراعى وقضيت شهرين أهذى فى المستشفى ، وحينما كنت أضطجع أرقا فى فراشى ليلا كنت أتساءل عما إذا كان من واجبى أن أبلغ عن جريمة « الظمأ » التى اقترفها ، ولكنى كنت أعود فأقول إنه لا يمكنى إثبات ذلك . ومع هذا فقد حدثت نفسى بأنه وإن كان مجرما إلا أنه أثبت أنه جندى شجاع ، لقد قتل رئيسه ولكنه استولى على علم عدوى .. ولم أعد أستقر على رأى فيما أفعله

ولما شفيت أخيرا بلغنى أن « الظمأ » نال رتبة جديدة وأنعم عليه بوسام الصليب ، وقد دفعنى ذلك للاشمئزاز من وسامى الذى ثبته الكولونيل بنفسه على صدرى وأنا فى فراشى بالمستشفى

وعلى أية حال لم أعد أرى « الظمأ » منذ ذلك الوقت حتى الآن .. فقد ظل فى سلك الجندية بينما غادرتها أنا لعاهتى

ولكنى حين رأيت تلك السترة القديمة فى ذلك الحانوت بجانب المعسكر الذى يقيم فيه القاتل الآن أعاد منظرها إلى ذهنى فى جلاء حوادث تلك الجريمة التى لم ينل مرتكبها جزاءه بعد .. ولم أنقطع عن التفكير فى أن الكابتن مازال يصيح مستنجدا بالعدالة »

وحاولت ما أستطيع أن أهدئ بيير فيدال وهو على حاله تلك من الاضطراب ، وأخبرته مرارا أنه قد فعل خيرا وأن شجاعة « الظمأ » قد محت جريمته

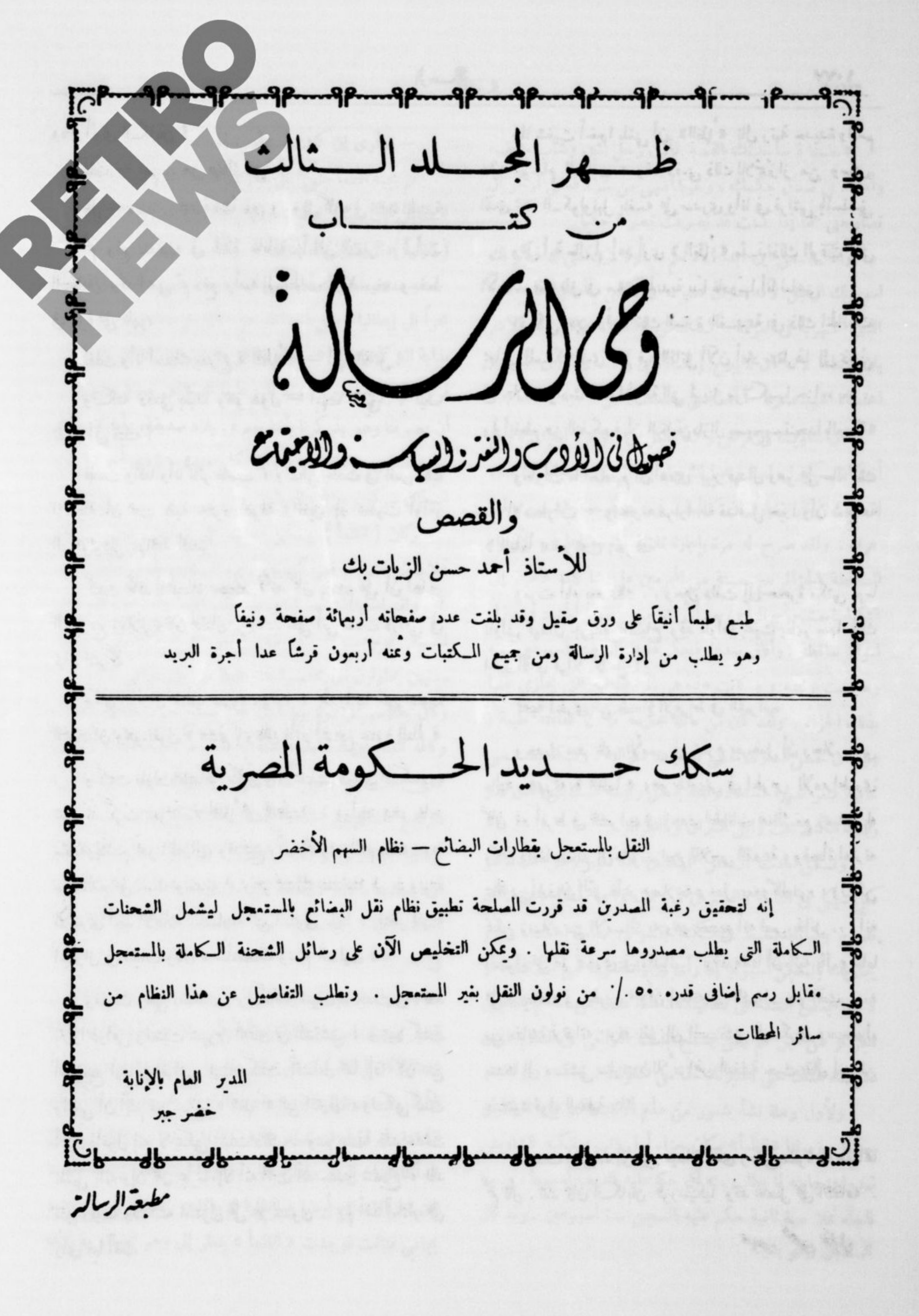
ومرت أيام بعد ذلك . . وحين دلفت إلى حجرة مكتبى يوما ناولنى فيدال جريدة الصباح وقد طواها بحيث يظهر منها ذلك الخبر الذى قرأته كما يلى :

ضحية أخرى من ضحايا الإفراط فى الشراب

وحدث بعد ظهر الأمس فى شارع جرينبل أن رجلا يدعى ماليه وشهرته « الظمأ » وهو شاويش فى الحرس الإمبراطورى كان قد أفرط فى الشراب فى إحدى الحانات هناك مع زميلين له وكان واقفا يتطلع إلى حانوت لبيع الملابس القديمة ، وفجأة اعترته حالة من الهذيان الثمل فأخرج سلاحه وجعل يعدو كالمعتوه ، ولكن تمكن زميلاه من الإمساك به وهو يصيح أنه ليس بقاتل .. وأنه استولى على علم عدوى فى ملنيانو . وقد علمنا أن ماليه نال وساما على شجاعته فى الحرب ، وأن إدمانه على الشراب هو الذى منعه من متابعة ترقيانه . وقد نقل إلى المستشفى العسكرى وسيحول بعدها إلى مستشفى سارنتون للأمراض العقلية حيث يقال إنه لن يستعيد قواه العقلية بتاتا .!

فأعدت الجريدة إلى بيير فيدال الذى رمقنى بنظرة لها معناها ثم قال . لقد كان الكابتن كورسيكيا وقد حصل على انتقامه .

حسن فهمى خليل



مطبعة الرسالة



العدد ٩٥١ — ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



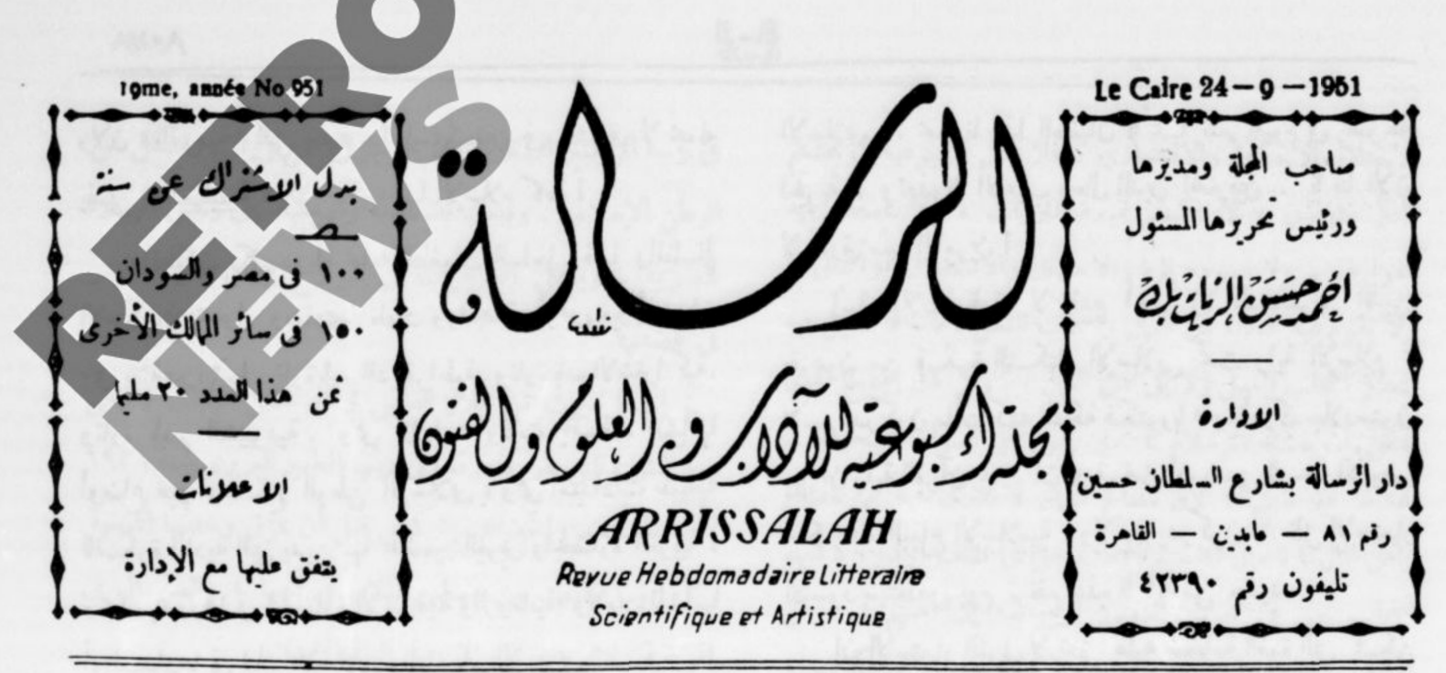
فهرس العدد

٣٧٠٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



19me, année No 951
Le Caire 24 - 9 - 1951



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ — ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

إذا جاء نصر الله والفتح..

« مهداة إلى آية الله كاشانى »

للأستاذ سيد قطب

فى الأفق بشائر — فى هذه الأيام — على الرغم من كل ما يكتنفه من سحب وظلام . فى الأفق بشائر بالعودة إلى حمى الإسلام ، تتجلى فى كل أنحاء الوطن الإسلامى . عودة الفلول الشاردة الممزقة ، التى هدها الكلال وهى تلهث وراء أعلام أجنبية عن روحها وتاريخها ؛ أجنبية عن أهدافها ووجهتها ...

إنها تعود رويدا رويدا فى هذه الأيام إلى الحمى الذى استبيحت حرماتها عندما فارقته ، وإلى الراية التى أزيلت عزتها حينما تخلت عنها .. إنها تعود إلى الإسلام تتنادى باسمه فى كل مكان ، وتطلب عنده القوة والعزة والسلامة .. وهذا هو موضع الرجاء فى العالم الإسلامى فى هذه الأيام

إن الدعاة اليوم إلى تكتيل العالم الإسلامى فى جبهة ، وإلى تحكيم الإسلام فى هذه الكتلة .. ليسوا هم الدعاة الدينيين وحدهم ، وليسوا هم « الإخوان المسلمين » وحدهم ، وليسوا هم الأفراد الذين يوجه الإسلام تفكيرهم وحدهم .. إنهم ليسوا هؤلاء فحسب فى هذه الأيام ، إنما هم كذلك جماعات وأحزاب وشخصيات ليست الدعوة الإسلامية طابعها البارز ، أو وجهتها الأساسية .. وهذا هو الدليل على أن الأمة الإسلامية قد وجدت نفسها بعد التيه والضلال ، وأنها تتجاوب بصدى واحد ، منبعث من ضميرها بلا تمحل ولا افتعال

لقد لعب الاستعمار لعبته الكبرى يوم مزق الوطن الإسلامى الأكبر ، وحوله إلى دويلات تحمل الطابع القومى الهزيل ، وتتخلى عن قوميتها الإسلامية الكبرى . لقد هدم حينذاك كل ما بناه الإسلام من وحدة ضخمة تذوب فيها العناصر والأجناس ، وتنصهر فيها الألوان واللغات ، وتهتف كلها هتافا واحدا من قلوب متآخية فى الله

ولم يكن بد للاستعمار من أن يلعب هذه اللعبة . فما كان فى استطاعته أو مقدوره أن يزدرد هذه الكتلة الكبرى وهى وحدة متماسكة . فأما حين نفخ لها فى بوق « القوميـة » الخادع فقد انفرط العقد ، وانحلت العقدة ، وتناثرت الفلول ، وباتت كلها لقمة سائغة لمن أراد

ثم واجهت كل دويلة مشكلاتها الداخلية . وواجهتها عزلاء من راية تقف فى ظلها ، ومن قبلة تثوب إليها . وانطلقت كل دويلة تجابه الاستعمار المتجمع المتكتل وحدها . تارة فى مجلس الأمن ، وتارة فى هيئة الأمم ، وتارة فى محكمة العدل . وفى كل مرة كانت تؤوب بالفشل والخيبة ، لأن الاستعمار هناك وحدة ؛

ولأن «القومية» التى خدع بها المستضعفين فى الشرق لا تجعله ينسى «الصليبية» التى يواجه بها الإسلام كافة!

وانطلقت كل دويلة تجابه الطغيان الداخلى فيها والمظالم الاجتماعية بحلول ومبادئ تلمت وراءها فى أرض غير أرضها؛ وفى بيئة غير بيئتها. تارة باسم الديمقراطية. وتارة باسم الاشتراكية. وتارة باسم الشيوعية. وهى كلها محاولات يائسة، أنشأتها أوضاع غير أوضاع الوطن الإسلامى، وهى امتدادات طبيعية للفكرة المادية التى يدين بها الضمير الغربى والحضارة الغربية، وتجد جذورها فى الحضارة الإغريقية والرومانية، ولا مبرر لنشأتها أو امتدادها فى الجو الإسلامى والتفكير الإسلامى

وماذا كانت العاقبة؟

كانت العاقبة فى الخارج هى ما نراه من تفكك العالم الإسلامى وتكتل العالم الصليبى. كانت هى ضعف الدويلات الإسلامية وقوة الاستعمار الأوربى. كانت هى هذه الحلقة المفرغة التى تدور فيها هذه الدويلات حول دول الاستعمار. كانت هى توزيع الأسلاب بين إنجلترا وفرنسا وهولندا وأمريكا. كانت هذه المواقف الهزيلة التى تقفها حكومات الدويلات شبه المستقلة كمصر والعراق، تقدم رجلا وتؤخر أخرى!

وكانت العاقبة فى الآخر هى هذه البلبلة فى مواجهة الطغيان والمظالم الاجتماعية. منا من يريد مواجهتها باسم الإسلام، ومنا من يريد مواجهتها باسم الاشتراكية، ومنا من يدعو خفية للشيوعية. والإقطاع العارم والرأسمالية الفاجرة يقفان فى الجبهة الأخرى صفا، يضربان هؤلاء بأولئك، ويوقعان بينهم الفتنة والبغضاء!

وبين الحين والحين يخرج بغاث هزيل، وببغاوات فارغة تحذرنا من دعوة الإسلام ومن راية الإسلام. تحذرنا عداء العالم الغربى إذا نحن هتفنا باسم الإسلام، وتجمعنا كتلة تحت رايته. كأن هذا العالم يساقينا اليوم كؤوس الودة!. وتحذرنا الفرقة والتنابز فى داخل الوطن الواحد. كأننا اليوم جبهة واحدة لا شراذم وشيع وفرق!

وتحذرنا ما هو أشد وأنكى تحذرنا طغيان الحكم الإسلامى.. تحذرنا هذا الطغيان كأننا ننعم اليوم فى بحبوحة الحرية! وتحذرنا ألاعيب رجال الدين المحترفين. كأننا الآن لا نذوق منها الأمرين!

إنها تملات فارغة لا تخدم أحداً إلا المستعمرين الذين يفزعون من فكرة التكتل الإسلامى تحت راية الإسلام، لأنهم يدركون ما أدركته الملكة فكتوريا، وما أدركه جلادستون من أن راية القرآن يجب أن تمزق قبل أن يتسنى للرجل الأبيض حكم هذه البقاع الإسلامية. ولأنهم يدركون أن ظل الاستعمار الأسود سيتقلص يوم ترتفع هذه الراية من جديد

إن الاستعمار الغربى لا تخفى عليه ضخامة القوة التى يمكن أن تواجهه فى ميدان الحرب والسياسة والاقتصاد لو تكتل الوطن الإسلامى. لا تخفى عليه ضخامة الموارد البشرية والمادية التى يمكن أن يحشدها، لا يخفى عليه أن الدفة سيتحول اتجاهها يوم يقف أربعمائة مليون من البشر تحت راية واحدة وفى ظل عقيدة واحدة، ونظام اجتماعى واحد

إن الرأسمالية والشيوعية كلتيهما لترتمشان من هذا اليوم، (الرأسمالية) لأنها تعلم أن الأسس الاقتصادية التى تسمح لها بالربا والاحتكار والاستغلال الرأسمالى.. كلها ستتحطم يوم يحكم الإسلام، فيقيم بناءه الاقتصادى على أسسه الاقتصادية الخاصة التى تطرد المرابين والمحتكرين والمستغلين، ولا تسمح لهم فى ظلها بهذا النشاط الآثم الظالم. ويومئذ يخرج من قبضتها الاقتصادية الاستغلالية هذا العالم المترامى الأطراف من شواطئ الأطلنطى إلى شواطئ الباسيفيكى. يخرج من قبضته المؤامرات الرأسمالية — كما خرجت دول الكتلة الشرقية تماما فى ظل الشيوعية — وعندئذ تضيق عليها الأرض بما رحبت. فماذا يبقى للرأسمالية الغربية حين يخرج العالم الإسلامى كله من قبضتها وقد خرجت من قبل كتلة العالم الشيوعى؟ إن الرأسمالية الغربية يومئذ تختنق وتسقط جثة هامدة. وذلك ما يخشاه المستعمرون من الراية الإسلامية والحكم الإسلامى. وما قد يخيفهم أكثر من الجيوش والكتائب التى يجردها الوطن الإسلامى عليهم لتسحقهم سحقا

(والشيوعية) لأنها تعلم أن فرصتها الوحيدة فى العالم هى

الاختلال الاجتماعى والاقتصادى . فلا مجال للشيوعية فى مجتمع عادل متوازن ، لا تتضخم فيـه الثروات ، ولا تتضخم فيه الفوارق ، ولا يسوده الربا والاحتكار والاستغلال الرأسمالى ، ولا يقوم فيه العداء بين العمال وأصحاب العمل ، لأنه لا سبيل فيه لتحكم أصحاب العمل ولا إلى غبن العمال . . ولما كان المجتمع الذى يمكن أن ينشئه الإسلام ، حين يقوم على أصوله الصحيحة . مجتمعا غير طبقى ؛ لأن مصالح العمال لا تفترق فيه عن مصالح رأس المال ، فالعمال أنفسهم أصحاب حق فى نصف الربح ، كما أنهم أصحاب حق فى تحويل نصيبهم أو بعضه إلى أسهم فى مرفق العمل . ومجتمعا لا ترف فيـه ولا شظف فـكلاهما مكروه أو حرام . ومجتمعا لا تضخم فيـه للثراء لأنه يحرم الربا والاحتكار والظلم فى الأجور . ومجتمعا متوازنا لأن الدولة فيه ملزمة بإعادة توزيع الثروة كلما أصابها الاختلال ، بل مكلفة أن تتخذ من الوسائل الوقائية ما يمنع كل ما قد يؤدى إلى هـذا الاختلال . ومجتمعا كل المرافق العامة فيه مؤممة أو شائعة الملكية وليس فيها احتكار.. لما كان المجتمع الإسلامى كذلك فإن فرصة الشيوعية فى اقتحامه نادرة بل مستحيلة . ولهذا تحرص الشيوعية حرص الرأسمالية على مطاردة فكرة التكتل الإسلامى والحكم الإسلامى . وتطلق أبو قها يخوفون من هذه الفكرة أو يهونون من قيمتها ، أو ينكرون إمكان تطبيقها العملى ؛ ويبذلون من الجهود ما تبذله الجهة الرأسمالية سواء بسواء !

* * *

وفى وسط هـذا كله تتجاوب صيحة واحدة مشتركة فى جوانب العـالم الإسلامى ، تدعو إلى راية الإسلام ، وتهتف بالوحدة الإسلامية ، وتنادى بالحكم الإسلامى ...

وليس الإخوان المسلمون هم الذين يستقلون بهـذه الدعوة . وليس أصحاب التفكير الإسلامى من الكتاب والدعاة هم الذين ينفردون بها كذلك إنما هى دعوة تنبعث من ضمير هذه الأمة الإسلامية ، من حيث تحتسب ومن حيث لا تحتسب

إنها تنبعث من حكومة الباكستان تدعو إلى مؤتمر اقتصادى إسلامى ، لتنظيم اقتصاديات العالم الإسلامى على أسس إسلامية

إنها تنبعث من آية الله كاشانى زعيم إيران الروحى ، يصرخ فى وجه الإنجليز الـكلاب أن يخرجوا لا من إيران، ولـكن من الوطن الإسلامى . ويبعث بتشجيعه وتوجيهه إلى رئيس الوزارة المصرية . ويطلق المظاهرات فى شوارع إيران تأييدا لمصر فى قضيتها

إنهـا تنبعث من علال الفاسى ومحمد حسن الوزانى زعيمى مراكش ، التى حاربتها فرنسا فى دينها بالظهير البربرى سنة ١٩٣١ لأنها يئست من إخضاع مراكش قبل أن تمزق وحدتها الدينية

إنهـا تنبعث من مسلمى الملايو فى آسيا ، والصومال فى إفريقية ، وهم يتجهون إلى دول العالم الإسلامى

إنهـا تنبعث من أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى فى رسالة حارة يبعث بها على صفحات الاشتراكية إلى آية الله كاشانى وإلى مصدق رئيس حكومة إيران ، التى طمنت احتكار البترول بخنجر الإسلام فأدماه !

إنها تنبعث من أحمد أبو الفتح فى كتابه : « حكايات لمصر » دعوة إلى الخلاص ، بحكم الإسلام وبعدل الإسلام

إنها اليقظة . إنه الهدى إنه النور . إنه ضمير هـذه الأمة كلها يستيقظ ويهتدى ويستنير . إنهـا لم تعد دعوة فرد ، ولا دعوة هيئة . إنه صوت السماء يهبط مرة أخرى إلى الأرض .

إنها البشائر التى تلوح فى الأفق على الرغم من كل ما يكتنفه من سحب وظلام

سيد قطب

سلبية الرأي العام العربى

ازاء قضيــة كشمير

لأستاذ كبير

موقف الدول العربية من مشكلة كشمير موقف يدعو إلى الدهشة والأسف . وإنك لتلمس وراء هذا « الحياد » الذى تعتصم به الحكومات العربية ، وبعض كبريات ألسنة الرأى العام العربى ، حين تتحدث عن قضية كشمير ، سلبية لا يبررها إلا اعتقاد خاطئ في أفضلية العصبية الآسيوية على التضامن الإسلامى ، وإلا وهم نشرته فى ألسنة الرأى أمام آلة الدعاية الهندية وبعض المغرورين بها من الكتاب والمعنيين بالشؤون العامة من أن الهند علم على التحرر الآسيوى الذى سيتزعم حركات التحرر فى البلدان المغلوبة على أمرها . ويتخذ هؤلاء من مناصرة الهند لحركة التحرر الأندونيسى دليلا على هذا الادعاء . فقد خفى أن مناصرة الهند لأندونيسيا لم تكن مدفوعة إلا برغبة اكتساب السوق الأندونيسى للانتاج الهندى الذى لا يزال يسيطر عليه ملوك الصناعة من البريطانيين والإقطاعيين الهنود

وإن الحقيقة لتجادل كل من يدعى بأن حكومة الهند الحالية هى نصيرة مخلصة للحرية الآسيوية ؛ فإن صمت الهند عن مأساة العروبة فى فلسطين ، وتحالف نيودلهى وتل أبيب تحالف يدرك خفاياه كل من راقب صداقة اليهود والهنود فى الأمم المتحدة كما أدركها كاتب هذه السطور — كل ذلك وفوقه المعرفة الصادقة لحقيقة السياسة الهندية إزاء العالم العربى يفرض على الرأى العام العربى أن يهيب لنصرة الباكستان فى أزمتها مع العدوان الهندى فى كشمير

ترى هل اشتم الرأى العام العربى خطورة السياسة الهندية على مصالحه فى هذا الخبر المتواضع الذى نشرته جريدة الأهرام فى ٣٠ يونيو ١٩٥١ :

« العرب لا تؤيد الهند فى الترشيح لعضوية مجلس الأمن »

«انتهى الرأى بين دول الجامعة العربية على عدم تأييد ترشيح الهند لعضوية مجلس الأمن بعد أن وقفت على معلومات رسمية تنبئ بتحول فى سياسة الهند إزاء العالم العربى »

ولو شاء كاتب هذه السطور أن يتفرغ لسرد حقائق هذا التحول فى سياسة الهند نحو دول الجامعة العربية لملأ الصفحات، ويكفى بأن نذكر الآن بأن الهند وهى شاعرة شعورا قويا بعداوتها للاسلام والتكتل الإسلامى قد انتهجت نهجا جديدا منظما لعرقلة كل ما من شأنه أن يزيد فى تضامن الدول العربية وأن يحقق لها مواصلة اليد من صناعة واستقرار وتكافل — والعرب كلمة أوجدها الإسلام

والهند فى تخوفها من استكمال الدول العربية والإسلامية لمكانتها العالمية قد شرعت فى التحالف مع خصوم العروبة والإسلام . وابتدأت بإسرائيل، فكل عدو للعدو صديق. والواقع أن هناك أسبابا جوهرية عديدة تدفع إسرائيل والهند إلى التحالف والتدسس على كيانات الدول العربية والإسلامية . فلقد تسجل الآن فى صميم الأيدلوجيتين الهندوسية والصهيونية أن الإسلام هو أصعب العقبات فى طريق برامجهما التوسيعية لأسباب تتعلق بميلاد الباكستان وما تدعو إليه من تضامن إسلامى ، وبهذا النتوء المتمثل مكروبا والمسمى بإسرائيل ، وما يضمره من شر لعالم العرب والمسلمين

وفوق ذلك فإن اليهودية العالمية ، وقد أدركت أن لا أمل لها فى حياة سعيدة فى العالم المسيحى الذى اكتشف غشها وخداعها وسجله فى صفحات « الكتاب المقدس » وفى تاريخ الغرب السياسى والاقتصادى ، وقد تحدت العروبة والإسلام فى عقر دارهما فإنها ساعية حتما للتحالف مع مذهب كالهندوسية لم تسجل كتبه الدينية لطخة عار على اليهودية كما سجلتها المسيحية وكما اختبرها فى مأساة فلسطين . وإلى أن يختبر الهنود طبيعة الخلق اليهودى وما جبل عليه من شر ومكيدة وانتهازية فإن مكاتب الدعاية اليهودية ستستمر فى نشاطها بنيودلهى وكلكتا وبومباى ، وستظل التجارة اليهودية على تغلغلها فى اقتصاديات المدن الهندية الكبرى كما سبق لها أن تغلغلت فى كبريات المدن الأوروبية والأمريكية

وإنك حين تطالع حماس الكتاب اليهود ودور النشر اليهودية في أوروبا وأمريكا - وهى صاحبة السيطرة التامة على الفكر الغربي المعاصر في تمجيد الثقافة الهندية والطنطنة بها لسبب وغير سبب - حين نطالع مدى اتساع حركة تطعيم الثقافة الغربية بالتراث الهندى التي يحمل لواءها يهود الغرب، لا تجد بدا من أن تدرك بأن هناك «حاجة في نفس يعقوب» ولا تتردد في أن تفسر هذا الحماس اليهودى على ضوء تشابه الأيدلوجيتين الهندوسية والصهيونية في أمرين رئيسيين

أولاً - شعور كليهما بالتعاظم وإيمانه بأنه نواة حضارة القرون المقبلة. وكل دارس لحاضر الثقافة الهندية كما يبثها أقطابها اليوم يمل من تكرار فضائل «الرسالة الروحية» الخالدة التي يؤمن الهنود المتمصرون بوجوب فرضها على عالم المستقبل. وادعاءات «شعب الله المختار» في إسرائيل وفى خارج إسرائيل هو صنو لادعاءات ألسنة الثقافة الهندوسية المعاصرة

وثانيا - أوجه التشابه بين الأيدلوجيتين الهندوسية والصهيونية هو اعتقادها بأن الإسلام وأهله من عرب وعجم حجر عثرة في وجه هذه «الرسالة» الإنسانية الكبرى «صهيونية كانت أم هندوسية» ولعلنا عائدون إلى دراسة أوجه التشابه بين هاتين الأيدلوجيتين في بحث منفرد. ونكتفى بأن نذكر الآن أن حقائق هذا التحالف الهندوسى اليهودى، هى مواقفها المتشابهة من مشاكل مصر مع بريطانيا. وأزمة البترول الإيراني، وسلبية الهند إزاء مأساة اللاجئين الفلسطينيين، ومشكلة القدس، وعشرات القرارات والتوصيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتعلق بالشرق العربي التي عالجتها الأمم المتحدة والتي تجانست آراء وفد الهند وإسرائيل في هيئة الأمم بصددها تجانسا عجيبا

* * *

ولنعد بعد هذه التوطئة إلى صلب هذا المقال وهى سلبية الدول العربية وألسنة الرأى العام العربي إزاء عدوان الهند على كشمير

والباحث لتفاصيل القضية الكشميرية يستطيع أن يثبت عدوان الهند متجردا من العاطفة الدينية تجردا تاما

فتاريخ أزمة كشمير واضح لا يدخل فيه التعقد: ولاية عدد سكانها ٥ ملايين نسمة ٩٠٪ منهم مسلمون يحكمهم مهراجا هندوسى هو من بقايا عهد الانتداب البريطاني. وكان من المسلم به أن تكون كشمير جزءا من هذه القطاعات الهندية التي كانت «العصبة الإسلامية» تطالب بجعلها دولة إسلامية. وقد تركت اتفاقية تقسيم القارة الهندية مستقبل كشمير رهينا بمشيئة أهله، ولكن الهند تواطأت مع حاكم كشمير الهندوسى ورتبت معه الانضمام إلى الحكومة الهندية غير عابئة بمشيئة السكان المسلمين وغير مراعية لحكمة مبدإ تقسيم الهند الذى سلم به الطرفان (الهندوس والمسلمون) بعد انتهاء الانتداب البريطاني. لو كان في مثل هذا التواطؤ صبغة شرعية لاستطاعت الباكستان أن تكسب لنفسها بقعة غنية في صميم الهند - وهو ولاية حيدر أباد التي كان في استطاعة حاكمها المسلم نظام الملك أن يعلن انضمامه للباكستان كما فعل حاكم كشمير الهندوسى. ولكن السياسة الهندية تقيس القانون بميزانين - واحد للمسلمين والآخر للهنود - ففى حين أن حكومة جوهرلال نهرو ابتلعت حيدر أباد عنوة واقتدارا.. أصبحت الآن تحول دون استفتاء الشعب الكشميرى عن حقيقة رغبته في المستقبل الذى يرتضيه على نحو ما أقره مجلس الأمن ومختلف اللجان الدولية التي درست مشكلة كشمير عن كثب

ومدعاة الأسف في سلبية الشعوب والحكومات العربية إزاء هذا التحدى الهندى أن العالم بأسره ينتقد السياسة الهندية إزاء كشمير انتقادا مرا ويحمد للباكستان صبرها وحنكة أولى الأمر فيها

وإليكم أمثلة من انتقاد الرأى العام العالمى لعدوان الهند على كشمير

قالت جريدة الشيكاغو تريبيون وهى من كبريات الصحف الأمريكية:

«إن جوهر لال نهرو رئيس وزراء الهند يرفض الأخذ بقرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بكشمير. وبينما يرفض إدانة الصين الشيوعية بالعدوان في كوريا - وعدوانها في كوريا حقيقة سافرة - نراه يلهب الأمم المتحدة بالسياط ليدين الباكستان

بالعدوان فى كشمير والهند هى المعتدية . والآن يلجأ نهرو فى كشمير إلى أساليب ستالين فى إقامة مجلس نيابى مزيف فى كشمير يدين له بالولاء . »

وقالت جريدة النيويورك تايمس أكبر صحف العالم قاطبة :

« الحق فى قضية كشمير فى جانب الباكستان حتما ، وصلابة نهرو ومناوراته فى كشمير ليست إلا عنوانا على نوع « الديمقراطية » التى يبشر بها الهنود »

وقالت جريدة المانشستر جارديان صحيفة حزب الأحرار فى بريطانيا :

« إن من دواعى الغرابة أن تلهب الصحافة الهندية الرأى العام حول حادثة فردية من حوادث الحدود (بين الهند والباكستان) فى كشمير ، بينما سجل مراقبو الأمم المتحدة فى كشمير أكثر من ٤٠٠ حادثة اعتداء هندى على قوات الحدود الباكستانية »

وقالت الجريدة نفسها فى عدد آخر :

« أى ديمقراطية تبشر بها الهند حين يقوم رئيس وزارتها (نهرو) بالتواطؤ مع رئيس حكومة صورية فى كشمير لا يدين له الشعب بالولاء . »

« ... قد يستطيع الدكتور فرانك جراهام وسيط الأمم المتحدة فى كشمير بأن يحمل الباكستان على التخفيف من حدتها وعدتها إلى الجهاد فى كشمير . وقد يكون من حق المستر نهرو أن يطلب ذلك من وسيط الأمم المتحدة لو أنه (أى نهرو) كان على حق فى سياسته نحو الباكستان فى كشمير »

« ... وعلى المستر نهرو (أن يظهر حسن النية) بإقلاعه عن التواطؤ مع العناصر الحزبية التى تضمر للباكستان خيرا وأن يكف عن إلهابها بالخطب النارية التى تزيد النار ضراما . »

وقالت جريدة الديلى تلغراف البريطانية :

« إن سياسة المستر نهرو التوسعية تشكل خطرا عليه وربما على العالم بأسره . ألم يقل نهرو فى خطبة له فى ١١ يونيو « لن أسمح بعد الآن بمزيد من المراء بصدد كشمير مهما كانت العواقب » . إن المستر نهرو يمتطى الآن حصانا عاليا مما يستوجب فحص مقدرته وحنكته ، ما هى سياسته ؟ . هل أنه يحاول أن يفرض إرادته على الأمم المتحدة عنوة واقتدارا . . . إنه يسعى لطرح القارة الهندية فى السعير فى ظروف تكتنفها الأخطار . »

وقالت جريدة أوتاوا سيفيزن الكندية —

« إن الهند بمواقفها المتناقضة إزاء القضية الدولية لتلجئ أصدقاءها فى العالم إلى الدهشة فهى تقول لمجلس الأمن إنها لا تستطيع تقديم وحدات من جيوشها للدفاع الجماعى العالمى بدعوى أن مشاكل العالم يجب أن تحل بالمفاوضات السلمية . ثم هى (أى الهند) فى الوقت نفسه تحتفظ بأكثرية جيشها النظامى على حدود الباكستان (كشمير) وترفض قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى حل المشكلة بالاستفتاء السلمى النزيه »

وبعد فإذا كان الرأى العام العالمى (وهو لم يكن فى يوم من الأيام نصيرا للقضايا الإسلامية) على مثل هذه الحدة فى انتقاده لعدوان الهند فى كشمير ، فحرى بالرأى العام العربى أن يدرك أن للباكستان وجهة نظر وجيهة فى نزاعها مع الهند . أضف إلى ذلك أن الشرق العربى بحكم جواره للقارة الهندية لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدى إزاء هذه الحالة المتدهورة فى كشمير حيث ترابط قوات الباكستان النظامية والمتطوعين المسلمين من كشمير والحدود الشمالية الغربية لمواجهة أربع فرق عسكرية هندية تامة العدة وهى تؤلف ٩٠ ٪ من قوات الجيش الهندى النظامى

ولقد مرت قضية كشمير هذا العام فى ثلاث مراحل كان التطور فيها من سيء إلى أسوأ بسبب عناد الهند وإصرارها على ابتلاع هذه الولاية الإسلامية

أما المرحلة الأولى فقد كانت فى يناير المنصرم عند ما عرض مؤتمر رؤساء وزارات دول الكومنولث البريطانى المنعقد فى لندن أن تقوم قوات نظامية تابعة لدول الكومنولث بحفظ الأمن فى كشمير خلال فترة الاستفتاء التى اقترحتها الأمم المتحدة . ورضيت الباكستان بهذا الاقتراح ، ولكن الهند رفضته وأصرت على رأيها فى أنه إذا كان لا بد من إجراء استفتاء فليكن تحت الحراب الهندية . وهذا نوع من « الديمقراطية » ولون من ألوان « الرسالة الروحية الخالدة » التى يبشر بها الهنود فى هذا العصر .

وكانت نتيجة هذا الموقف الهندى أن كسبت الباكستان مزيدا من العطف فى الأوساط العالمية

وكانت المرحلة الثانية فى يناير وفبراير الماضيين عند ما أقر مجلس الأمن مشروعا كلفت به (الدكتور فرانك جراهام عميد جامعة نورث كارو لاينا الأمريكية) وهو شخصية محايدة لها مكانتها — للتوسط بين الهند والباكستان لسحب القوات المسلحة من كشمير تمهيدا للاستفتاء . ومرة أخرى رضيت الباكستان بهذا القرار ورفضته الهند لأنها لا تعترف بمبدإ التحكيم

أما المرحلة الثالثة فهى جزء من سياسة « الأمر الواقع » التى اتبعها اليهود فى فلسطين وأخذها عنهم الهنود . وهى مواجهة الباكستان ببرلمان مزيف فى ولاية كشمير يدين للهند وأعوانها بالولاء

وقالت الهند إن هذا البرلمان (الذى حددت الهند لإجراء انتخاباته فى أكتوبر القادم) هو صاحب الكلمة النهائية فى مصير كشمير . وإذا علمنا أن الجيوش الهندية قد تسيطر الآن على منطقة كبيرة من ولاية كشمير — وأنها قد اعتقلت آلاف الزعماء المسلمين هناك -- أدركنا نوع المصير الذى سيقرره هذا البرلمان الكشميرى

وقالت جريدة أولوس التركية معلقة على هذا « البرلمان » ما يلى :

« التحكيم مبدأ نص عليه ميثاق الأمم المتحدة (الذى وقعت عليه الهند) فهل هذا المبدأ مخالف لمبادئ الدستور الذى تضعه الهند الآن لكشمير ؟ وأى نوع من الدساتير هذا الذى لا يقبل مبدأ حق الشعب فى اختيار مصيره »

مرت هذه المراحل كلها وقوات الباكستان والمتطوعين المسلمين ترابط على الحدود وتشاهد بعينها هذا التحدى الهندى العنيد . واعتصمت القوات الباكستانية بالصبر فى ظروف الصبر فيها مر ثقيل . وحين اشتكت الهند إلى مجلس الأمن مؤخرا من أن دوريات باكستانية نظامية ومتطوعة قد اعتدت على المراكز العسكرية الهندية ، أجاب رئيس الوفد الباكستانى هنا فى هيئة الأمم بتقديم مذكرة تحتوى على ٤٩٢ حادثة اعتداء قامت بها القوات الهندية فى الأشهر الأخيرة.

والرأى العام العالمى حساس جدا لهذا التوتر الخطير فى قضية كشمير . فبالإضافة إلى أن حياة الباكستان الزراعية مرتبطة بالأنهار الثلاثة الكبرى التى تنبع فى كشمير وتمتد إلى شمال الباكستان ، وبالإضافة إلى أن ٩٠٪ من سكان كشمير هم مسلمون راغبون أشد الرغبة فى الانضمام إلى الباكستان — بالإضافة إلى هذه الأسباب فإن الأوساط الدولية تعتبر أن فى مشكلة كشمير قسطا كبيرا من الخطورة يعرض السلم الآسيوى لمثل ما أولدته الحرب الكورية من ذيول

فهذه الولاية الإسلامية تحدها من الشمال ثلاث مناطق شيوعية هى روسيا الآسيوية والتبت والصين الشيوعية . فإذا اندلعت فى كشمير حرب فإن هذه المنطقة الإسلامية ستصاب بمثل النكبة التى أصيبت بها الهند الصينية الفرنسية وبورما التى تسرب المفسدون إليها وخلطوا بين المبادئ القومية السليمة وبين صراع الشيوعية وخصومها من حلفاء الغرب

وهذا وضع يدفع كل من يهمه مصلحة الثقافة الإسلامية والتضامن الإسلامى والاستقرار الآسيوى والعدالة والإنصاف أن يساهم بدفع الأذى ونصرة الحق قبل أن تدهم الكارثة

ولقد اقترحت مجلة الإيكونمست البريطانية الواسعة النفوذ فكرة لها وزنها حين علقت (فى عدد ١٦ يوليو ١٩٥١) على الموقف فى كشمير قائلة :

« تقوم الهند بتنفيذ سياستها فى كشمير على أساس الأمر الواقع خطوة خطوة . . . ومناورات الهند الآن ترى إلى أن قضية كشمير أمر مفروغ منه ، وترفض فكرة تدعو إليها هيئة الأمم المتحدة التى كانت الهند أول من رفع قضية كشمير إليها

... إن فشل تسوية قضية كشمير يعرض السلم فى جنوب آسيا إلى خطر أكيد

.. يبدو أن الشعوب والساسة الآسيويين أنفسهم يجب أن يقوموا بعمل إيجابى لحل هذا التوتر . واللجنة المؤلفة من الوفود العربية والآسيوية فى هيئة الأمم التى أثبتت نشاطها لتسوية قضية كوريا تسوية سلمية تستطيع أن تقوم بنشاط مماثل فى قضية كشمير . »

١ – أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

لست أقصد بهذا العنوان نقداً لوزراء آل الحكم إليهم أو زال عنهم ، ولا أتحدث به عمن كانت لهم فى الوزارة رياستان من سيف وقلم . ولا أريد أهل الموالى الذين كانوا يسكنون « العالية » فى شمال المدينة المنورة ، وإنما أرمى إلى الطواف على كل ذى همة عالية فى التراث الإنسانى عند العرب وغير العرب ، فى الماضى وغير الماضى ، من الشعراء والفلاسفة والعلماء والتكلمين والناطقة وأهل الفن ورجال الدين وأساطين الاختراع ، وجهابذة البيولوجيا والسيكولوجيا ، وأساتذة الأخلاق والاجتماع ، والساسة والقادة وأئمة الإصلاح ، ورعاة الأمم ، ممن ينضوون تحت لواء أصحاب المعالى الذين علوا فى سلم المجد إلى درجات العلا

وفى الحق إنها لخاطرة .. فما أوسع الآفاق ، وما أرحب الجوانب ، وما أصعب التجميع بين الأشتات ، والتوفيق بين المنظوم والمنثور ، والتأليف بين أعالى الجبال ومعالى الأمور

وسنرى أن العرب — جاهليين وإسلاميين — كانوا حقا أصحاب المعالى فى كل جانب من جوانب الحياة الكريمة ، فقد امتلأت دواوين شعرهم ، وسجلات نثرهم بكل مشتقات المعالى قولا وعملا حتى ليبدو للباحث المنصف أنهم أكثر أصحاب الحضارات إنتاجا فى هذا الباب بحيث لم تكن تخلو خطرات شاعرهم وناثرهم من الجبال العالية، حقيقة ومجازاً ، بيانا وبديعا ، صراحة وكناية لهذا انفردت اللغة العربية بوفرة المشتقات من هذه المادة .

قالوا فى الفعل : علا يعلو ويعلى ، وتعالى يتعالى ، وتعلى يتعلى ، واعتلى يعتلى ، واستعلى يستعلى ، واعلولى يعلولى ، وأعلى يعلى ، وعلى يعلى ، وعالى يعالى ، واعل وتعال وعالى(١) . وفى الاسم والصفة قالوا : العلو والتعالى والاعتلاء والعلاء والاستعلاء والعلى والعلى والعلى . والعلوى والأعلى والعالى والتعالى والمعتلى والعلى . والعلوان والعالية والعلياء والعلاة والعليا والعليات والعلية(٢) والعلاوة . والأعالى والمعالى والعوالى والعلالى والعلاوى والعليون. وفى الحرف والظرف قالوا : على وأعلى وعلوا وعاليا وعلاء وعالية ومن عل ومن عال ومعال ومن علا وعلو .

وإلى جانب هذا اشتقت الأعلام فقيل : على ويعلى وعلاء والعلاء ، والعلا والأعلى ، وابن العلاء وأبو المعالى وأبو العالية وأبو العلاء وعبد الأعلى ، وعلية، وأم العلاء ، ومن أسماء الأماكن المعروفة بالحجاز : العالية والعلياء والعوالى والعلى والعلاية وعلو المدينة

وقالوا : سدرة المنتهى ، والفردوس الأعلى ، والجنة العالية ، وأعلى عليين . واشتقوا من هذه المادة بعض الاصطلاحات الفنية فمنهـــا :

استعلاء الحروف وهو أن تتصعد هذه الحروف فى الحنك الأعلى ، والمستعلى من الحروف سبعة وهى الخاء والغين والقاف والضاد والصاد والطاء والظاء — ورجل علو للرجال (على وزن عدو) قاهرهم . والمرأة عالية الدم أى يعلو دمها الماء ، وهى تتعلى من نفاسها أى تطهر منه ، والعالية فى القناة أعلاها ، وعوالى الرماح

(١) عال (بكسر اللام) . دعنى ، وعال عنى . ارتفع عنى ودعنى.
(٢) العلية (بكسر العين وضمها وتشديد اللام والياء) : الغرفة وجمعها العلالى
(٣) العلاوة : (بكسر العين) وهى ما يعلق على البعير بعد حمله ، (وضم العين) هى نقيض السفالة وهى أيضا أعلى الرأس والعنق . وجمعها علاوى (بفتح العين واللام والواو)

هـذا أقل ما يمكن للشعوب والحكومات العربية عمله للعزوف عن هـذه السلبية الضارة التى انتهجوها إزاء عدوان الهند فى كشمير ، ولإيفاء بعض ما عليهم من دين للباكستان التى كان حماسها ودفاعها عن قضايا العروبة جميعها فى هيئة الأمم وخارج هيئة الأمم على أخلص ما يكون الحماس وأبلغ ما يكون الدفاع

نيويورك « عين »

كناية عن الشباب والوجاهة . قالت الخنساء وقد خطبها دريد : «أترونني تاركة بنى عمى كأنهم عوالى الرماح ومرتثة شيخ بنى جشم» وعالية الوادى حيث ينحدر الماء منه ، ويقال : استعلى الفرس على الغاية إذا بلغ الغاية عن الرهان ويقال : لاتمل الريح على الصيد فيراح ريحك وينفر ، ويقال : كن فى علاوة الريح وسفالتها ، والمعلى (بفتح اللام) هو القدح السابع فى الميسر ، وهو أفضلها لأن له غنم سبعة أنصباء إن فاز ، وعليه غرم سبعة أنصباء إن خسر ، وللناقة حالبان : البائن والمعلى أو المستعلى . قال الكميت :

بيشر مستعليا بائن من الحالبين بأن لاغرارا

وعليون : ديوان الملائكة الحفظة يرفع إليه أعمال الصالحين من العباد ، وهذه كلمة تستعلى لسانى أى تجرى عليه . وذهب الرجل علاء وعلوا إذا ارتفع ، وتعلت المرأة أو تعالت أى ارتفعت وتشوقت لخطابها ، وتعلى الرجل من علته إذا برأ ، ويقال فى الدعاء لكثير المال : اعل به أى ابق بمده . والمعتلى المقصر ، قال طفيل الغنوى :

ونحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير معتل

فالمعتلى فرس عقبة بن مدلج ، والعلاة فرس عمرو بن جبلة ، والمعلى فرس الأشعر الشاعر ، وعلوى فرس سليك . وعلوى فرس خفاف بن ندبة الذى قال فيها :

وقفت له علوى وقد خام صحبتى لأبنى مجداً أو لأثأر هالكا

وعلوى أيضا اسم فرس كانت من سوابق خيل العرب . وكذلك الناقة ناقة عليان طويلة جسيمة ، وناقة علاة وعلية وعليان . وعالية القوم وعلياهم أى أعلام ، وعلية القوم وعليهم : أشرافهم .

وتولدت الألفاظ المرادفة للمعالى فاشتق منها . رافع وصاعد وطالع وطلاع وطلعة، وعزيز وممتز ومعز، وقد يضاف إليها ابن أو أب أو أم . وأنف الناقة وسنام الأمر . والسمو والرفعة والعزة والقمة والذروة والخفة والهمة والصمدة والرقية والطلعة والتوقل والشرف والشرفة ، والفارب والمجد والمحتد والأصل ، وأبو النجم وعبد شمس وعبد الأعلى .

واقتضى ذلك معرفة بأحوال الجبال والتلال ، والنجوم والأفلاك ، والرياح والمشارق والمغارب، والترحال والتسيار، والمياه جاريها وراكدها ، ومواطن النهوض والنكوص ، وعوامل العزة والذلة ، وعلامات الرفع والخفض ، والأصول والعائد ، والمبادئ البانية والهادمة ، والنفوس المتقدمة والمتخلفة، والمناصب المالكة، والأوضاع المملوكة ، واتجاه المرء من العالى إلى السافل وبالعكس

احتفلت كنوز العربية بهذه الذخائر ، واستطاعت أن تمطى للحضارة عناصر القوة فى انتقال تراثها من المادية إلى المعنوية ، شأنها فى ذلك شأن الإنسانية فى إطارها الواسع حين تدرجت — فى النظر والتأمل — من الأشياء المحيطة إلى النفوس المدركة ذاتها .

وليس من الطبيعى أن يتأمل الطفل نفسه أول مايتأمل ، بل هو يظل طويلا يتفحص الموجودات المحسوسة ثم يدقق — من بعد — فى البحث وراء النفس وخصائصها .

فالجبال العالية ، والسموات العلا ، والآفاق الممتدة، والأفلاك الشارقة والغاربة ، الطالعة والآفلة ، والأطيار الغادية والرائحة، والسهام والرماح فى مروقها وهبوطها ، والجمل البارك والطامح ، والكثبان حين تعلو وتسفل مع الرياح السوافى ، والصواعق حين تنقض ، والأمطار حين تنزل ، والقوى حين يتغلب على الضعيف ، وحالب الناقة حين يعلو ويسفل ، والمرء حين يرتفع ويتضع بنسبه وحسبه وقوله وعمله ، والعيون فى مطالعة المشاهد فى وضح النهار ، والأشباح فى غبش الظلام ؛ والآذان فى تتبع الأصوات من مصادرها ، وأصدائها البعيدة المديدة ، والحيوان والإنسان فى الطلوع والنزول .. ومقارنة هذا كله بعضه ببعض من حركة بين السماء والأرض ؛ والعالى والسافل ، من فوق إلى تحت .. هذه المدركات لابد أن ينتقل بها المنطق الإنسانى من المحسوس إلى المعقول ، أى من المادة إلى المعنى ، ومن المدرك إلى المجرد ، ومن الأشباح إلى الأرواح ، فكان الإنسان — تبعاً لذلك — همزة الوصل بينهما . ومصداق ذلك العلياء رأس الجبل وهى أيضا ماعلا من الشئ ، وهى اسم من أسماء السماء

والمفهوم أن الفكر الإنسانى قد تراوح على مر العصور بين الأرض والسماء ، وبين الثرى والثريا ، والسماك والسمك ، وتنقل

بين مطالب المادة والروح . وهنا نعرض نماذج موجزة لهذه النقل قالوا . فلان خطير النفس ، بعيد مرتقى الهمة ، وإنه ليسمو إلى معالى الأمور ، ويصبو إلى شريف المطالب ، وتنزع همته إلى سنى المراتب . وإنه لطلاع ثنايا (وهى الطرق فى الجبال) ويؤم معالى الأمور ، ويجرى فى غلاء(٤) المجد ، ويتسور شرفات العز ، وفلان بنى له مجداً مؤثلا (راسخا) وتفرع (صعد) ذروة المعالى ، ووثب إلى قمة الشرف ، وعلى العكس من ذلك قالوا . فلان قاعد الهمة ، عاجز الرأى ، متخاذل العزم ، لا تسمو همته إلى منقبة ، ولا يدفعه طبعه إلى مكرمة ، وهو قد استوطن مهاد الخمول ، وأخلد إلى الصغار واستنام إلى الضعة ، ورضى من دهره بالدون ، وقعد عما تسمو إليه النفوس العزيزة ، وترق إليه الهمم الشريفة

وفى العزة يقولون . عزيز الجانب ، منيع الحوزة ؛ حصين الناحية ، وفلان أقام تحت ظلال العز ، وبات عزا لا يقرع الدهر مروته ولا يفصم عروته ولا ينقض مرته ، ولا يزال كعبه عاليا وهو أعلى عينا .

وفى الذلة يقولون . كليل الظفر ، مهيض الجناح ، ضعيف المنة (القوة) ، مخضود الشوكة ، مالت دعائم عزه ، وتهاوت كواكب سعده ، وتقوض سرادق مجده :

وفى النباهة يقولون : ذهب صيته فى الناس ، وتجاوبت بصدى ذكره المحافل ، ورن صيته فى الأقطار ، وهو أشهر من القمر ، وأشهر من نار على علم (جبل) ، وعلى الضد من ذلك : هو خامل الذكر ، ضئيل الحسب مغمور النسب ، وهو نكرة من النكرات وغفل من الأغفال ، وهو تملو عنه العين أن تنبو عنه

ومن باب الإيماء إلى المعالى اختيار عناوين الكتب ، فللحلى « النفحة العلوية » وللذهبى « العلو للعلى الغفار »

وإذا قال العرب : يفتله فى الذروة والغارب فذلك كناية عن أن يستميله

وهذا ابن خفاجة الأندلسى يمنح الحياة للجبل العالى ، ويضفى عليه صفات الرعونة والطموح ، والحركة الذاتية ، إذ يقول :

وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ... ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وهذه صورة جلمود صخر حطه السيل من عل تنعكس على حس امرئ القيس ، ولا تفوت خياله وهو يرى جواده يجرى فى قوة واندفاع فيقول :

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويقول زهير :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جرثم

ويتجلى طموح الذهن ، وتطاول الخيال فى هذا الصراع النفسانى بين الواقع والمثال ، حين يقول الشاعر الجاهلى القديم ، وهو يتحدث عن فرسه السريع :

ولو طار ذو حافر قبلها ... لطارت ولكنه لم يطر

للكلام صلة

محمد محمود زيتون

(٤) الغلاء بالكسر جمع غلوة وهى مقدار رمية السهم .

الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

ـ ٣ ـ

ولايات متحدة :

اكتشفت أمريكا وتدفقت عليها سيول المستعمرين والمهاجرين من الإسبان والبرتغاليين والفرنسيين والإنجليز ، ونزل الفرنسيون فى حوض نهر سانت لورنس بكندا وفى حوض المسيسبى . وأما الإنجليز فقد أنشأوا عدة مستعمرات لهم على الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية ، وكانت هذه المستعمرات محصورة بين أملاك الفرنسيين فى حوض سانت لورنس وفى حوض المسيسبى . ولم يلبث الصراع أن قام بين الإنجليز والفرنسيين ، وانتهى هذا النضال ١٧٦٣ بانتصار إنجلترا وطرد الفرنسيين ، وأصبحت إنجلترا سيدة أمريكا الشمالية

لكن هذه السيادة لم تدم طويلا ، فقد حاولت إنجلترا أن تفرض ضرائب باهظة على سكان المستعمرات ، ولكن السكان رفضوا أن يدفعوا . لماذا ؟ لأن حكومة إنجلترا وبرلمانها فرضوا هذه الضرائب ، والأمريكان غير ممثلين فى البرلمان الإنجليزى . لقد نادى الأمريكان بأنه لا ضرائب بدون تمثيل ، وما داموا غير ممثلين فى البرلمان الإنجليزى فإن هذه الضرائب غير قانونية ولا يجوز دفعها بتاتا ، وحاولت انجلترا بطريق التسويف والمماطلة المعروفة أن تحل المشكلة ، ولكن سكان المستعمرات رفضوا بتاتا ما قدمته إنجلترا من حلول ، وانتهى الأمر بقيام الثورة ثم الحرب ثم الاستقلال ، وهكذا نالت الولايات المتحدة استقلالها بالثورة التى بدأت ١٧٧٤

على أى أساس تقوم الدولة الجديدة ، وكيف يكون نظامها الحكومى ؟ وماذا يكون مصير الولايات ؟ أتندمج مع بعضها اندماجا تاما وتنشئ دولة جديدة ، أم تبقى كل ولاية من الولايات مستقلة فى شؤونها الداخلية ، وتكون هناك حكومة مركزية تشرف فقط على المصالح المشتركة للولايات جميعا ؟ طال النقاش حول هذه المسائل واشتد الجدل . لقد قاسى الأمريكان طويلا وصبروا على مرارة الأذى والاضطهاد والحرمان فى أوطانهم الأولى بأوربا ، وهاجروا بعقائدهم وحرياتهم إلى وطنهم الجديد فى أمريكا ، ومن ثم كانوا حريصين أشد الحرص على الاحتفاظ بحرياتهم كاملة غير منقوصة . وتستطيع أن تتصور مدى النضال ومدى الخلاف إذا علمت أن سكان الجمهورية الناشئة كانوا من الإنجليز والفرنسيين والروسيين والهولانديين والبولانديين وغيرهم ، ولكن خفف من حدة الخلاف أن هؤلاء المهاجرين قد أصبحوا أمريكان ، « من هو الأمريكى ؟ » سؤال أجاب عليه مزارع أمريكى فقال : « هو إما أوربى أو من سلالة أوربية » ومن هنا جاء المزيج العجيب الذى لا تجده فى بلد آخر ... إذ يمكننى أن أشير إلى أسرة كان الجد فيها إنجليزيا وزوجته هولندية وتزوج ابنه من فرنسية ، ولأبنائه الأربعة الآن أربع زوجات ينتمين إلى أربع أمم مختلفة . إنه أمريكى ، قد طرح وراءه عصبيته وعاداته القديمة ، وهو الآن يتلقى عادات من أسلوب الحياة الجديدة الذى احتضنه ، ومن الحكومة الجديدة التى يطيعها ، ومن المكانة الجديدة التى يتبوأها

وبلغ من حرص الولايات على استقلالها أن ولاية رود أيلند رفضت أن ترسل منها نوابا إلى المؤتمر الدستورى الذى عقد لوضع دستور للجمهورية فى فلادلفيا خوفا من أن يتعرض استقلالها للخطر إذا قامت حكومة قوية . وأخيرا انتهى الأمر بقيام نظام حكومى جديد للجمهورية الناشئة على أساس أن تحتفظ كل ولاية باستقلالها الذاتى ، وأن تقوم حكومة مشتركة تدفع عن الولايات أى اعتداء وتدافع عن مصالح الدولة الخارجية ، وهكذا قامت دولة الولايات المتحدة . ويشير توماس جفرسن ١٧٩٠ إلى المعنى السابق فيقول « لكل إنسان ، ولكل جماعة من الناس تعيش على الأرض الحق فى الحكم الذاتى »

نظام الحكم فى الولاية :

إن النظام الحكومي القائم فى جمهورية الولايات المتحدة من

أحسن الأمثلة للأنظمة الديمقراطية وأروعها، سواء فى حكم الولاية أو فى الحكومة المركزية بواشنطن. يعرف المؤرخون الديمقراطية بأنها حكومة الشعب ينتخبها الشعب وتعمل لمصلحة الشعب. وهذا التعريف ينطبق تماما على نظام الولايات المتحدة الحكومى

فلكل ولاية مدير (حاكم) وهو ينتخب بالاقتراع العام، ومدة حكمه فى نصف الولايات تقريبا سنتان، وفى النصف الآخر أربع سنين

وسلطة الحاكم مبينة فى دستور الولاية، فهو يساهم فى عمل القوانين بالاشتراك مع الهيئات التشريعية ويعين أعضاء كثير من اللجان، وهو رئيس الحرس الأهلى بالولاية الخ. وينتخب معه نائب الحاكم، وهو يترأس مجلس شيوخ الولاية، ويرتقى إلى منصب الحاكم إذا مات

وحاكم الولاية رئيس الهيئة التنفيذية، ويعاونه فى إدارة شؤونها كثير من الموظفين، ولكن يلاحظ أن أهم موظفى الولاية ينتخبهم الشعب. وفى بعض ولايات تعقد امتحانات مسابقة لاختيار موظفين أكفاء دائمين لمساعدة الموظفين المنتخبين على تصريف شؤون الولاية.

أما السلطة التشريعية فهى فى جميع الولايات، وعددها ثمان وأربعون ولاية تتكون من مجلسين: مجلس للشيوخ وآخر للنواب، ويستثنى من هذا العدد ولاية نبراسكا، فلها مجلس تشريعى واحد. وفى معظم الولايات نجد أن عدد أعضاء مجلس النواب أكثر من أعضاء مجلس الشيوخ، ولكن مدة عضوية مجلس النواب أقل من مدة عضوية مجلس الشيوخ. ومهمة السلطة التشريعية إصدار القوانين ومراقبة الهيئة التنفيذية، ولكن يلاحظ أن حاكم الولاية له حق (الفيتو) أى نقض مشروعات القوانين. ويلاحظ أنه لا يجوز للسلطة التشريعية أن تسن قانونا يغاير الدستور العام أو قوانين الكونجرس أو المعاهدات مع الدول الأجنبية

أما السلطة القضائية فهى فى يد رجال القضاء والنيابة العمومية، وجميع المحاكمات يتولاها قضاة قد انتخبهم الشعب، وفى بعض الولايات يعينهم الحاكم والمجلس التشريعى. وفى بعض القضايا الجنائية يحاكم المتهمون أمام محلفين، وهذا فى الواقع مقتبس من نظام القضاء الإنجليزى، ويكون عدد المحلفين ١٢ عضوا، وتبدأ المحاكمة فتبدأ النيابة بتقديم دلائل الاتهام ثم تتاح للمتهم فرصة الدفاع عن نفسه، فإن لم يكن فى استطاعته أن يدفع نفقات الدفاع عنه، قامت المحكمة بانتداب محام وتدفع الولاية نفقات انتدابه، ومهمة القاضى أن يفسر القانون للمحلفين، وبعد انتهاء المحاكمة يقرر المحلفون إن كان المتهم مذنبا أم غير مذنب ويصدر القاضى حكمه طبقا لقرارهم

ولعلك تسألنى ما هى العلاقة بين سلطة الحكومة المركزية وسلطة حكومة الولاية، وكيف تقوم؟ إن الخط الفاصل بين سلطات الحكومة المركزية وسلطات حكومة الولاية ينتهى عند حدود الولاية، فالمسائل الواقعة داخل حدود الولاية تخص الولاية وحدها، وليس لأحد أن يتدخل فى شأنها، فالشعب الأمريكى يحرص أشد الحرص على ما للولاية من حقوق وسيادة

ودساتير الولايات جميعا تشترط أن تكون السلطة العليا للشعب، وأن ترجع إلى الشعب وتبين أغراض الحكومة، وهى الحرص على السلام والتعاون مع حكومة الولايات الأخرى على هذا الغرض وأغراض أخرى، وحقوق الأفراد مكفولة وسوء استعمالها فيما يضر بالآخرين محظور بتاتا

وتقوم حكومة كل ولاية بالإشراف على شؤونها الخاصة من نشر التعليم، ووقاية صحة الشعب، وتحسين وسائل النقل، والعناية بموارد الثروة وطرق استغلالها، والمحافظة على موارد الثروة الطبيعية للولاية

وكما رأينا تقوم كل ولاية بإصدار قوانينها، ومن هنا نجد أن القوانين قد تختلف من ولاية إلى أخرى، فبعض الولايات تبيح الطلاق، والبعض الآخر يحرمه، كما أن مدة التجنيد قد تختلف من ولاية لأخرى، ولكن المهم أن المبادئ الأساسية للحياة وهى الحرية والمساواة والسعى لتحقيق سعادة الأفراد، تكفلها جميع دساتير الولايات ودستور الحكومة المركزية

أما الموارد المالية لحكومة الولاية، فأهمها ما تفرضه الولاية

رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

— ٣ —

أذية الأعراب للحجيج :

ولما مال تبان الليل ، وزاد فى الشوق الكيل ، تلقانا الفقرا من أهلها مبشرين بإسعاد وطول ذيل ، قائلين وقد عا الليل ، مسفرة بإحجاج والليالى سمود ، فما أحلاها من بشارة تقود الفؤاد المفؤود إلى نسيان أتعاب للالتهاب تذود ، وكان حصل من العرب بل الأعراب، بعض أذية للحج أوجبت ضياع أسباب، وبهؤلاء الخدام زال الإعدام ، وجاء الإيسار والبسط التام ، وعندما قاربنا المنازل المنورة ، التى جلت أن تكفيها مصورة ، طربت وحق الطرب ، بالوصول إلى القرالأقرب ،ومحبى إخوان لهم اتصال أحب ، وخلان لهم ود عن السر أعرب ، ولفرط اندهاش بمن أنا قادم عليهم من أسلاف ، غبت عنى كأنى شربت صرف السلاف ، وأنست فى سرى أنسا ، أنسانى نفسى، وخيل لى أنى انفردت عن أبناء جنسى ، وأن خدام الأسلاف والجدود تلقونى رافعين البنود ، فعظمت لدى ذاتى ، بوافر سافر لذاتى ، وامتدت الأعناق وطالت ،وبهذا التلاق مالت ، وأخبر بعض من كان معي ، ومنهم الحاج حسن (بن مقلد الجيوسى) أن الجسم كبر وطال، فى تلك الساعة وذلك الحال، وسادقه الغير، ولم أشعر بهذا المير

الشيخ يبدأ بالزيارة :

ودخلت من باب جبريل للزيارة ، وبلغ الطفل المتطفل على سادانه الأماجد بها أوطاره ، شرف القلب وشرق الجفن بدممه وغرق . وزرت الحبيب بدمع صبيب ، « ومن زار مرقده ، وجبت له الشفاعة » كما رواه البيهقى وابن عدى فى الكامل . وعنه صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن زارنى لا يهمه إلا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » و « من لم يزر قبرى فقد جفانى » وعنه صلى الله عليه وسلم « من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة »

« وأتيت الروضة وصليت ركعتى التحية ، وأعددتهما من النة لحديث (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وروى البيهقى من حديث جابر أنه قال « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهور رمضان فى مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام »

« ثم نهضت ثانيا لزيارة المرقد العظيم، مواجها للوجه الكريم ، قائما بين يديه ، مكثرا من الصلاة والتسليم عليه ، وقرأت فى المقابلة آخر براءة وآية (ولو أنهم ظلموا أنفسهم الآية) وكررت طلب الشفاعة ، وعممت الدعا لحاضر أو خاطر بالبال من أولاد وعيال وإخوان ، وألحقت سائر الأمة المحمدية

« وبعد أداء ما يلزم فى هذا المقام ، توجهت لدار قرب باب السلام ، استأجرتها للنزول فيها ، كيما مواطن الوحى يصافيها ، وفى ثانى يوم فى الصباح قصدت سكان البقيع ، وبعد زيارة سيدى عثمان ، عطفت على زيارة أغلب المشاهد ، وعنه « يا أم قيس أترين هذه المقبرة ، يبعث الله منها سبعين ألفا يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر » . وكررت على زيارة سيدى العباس عم سيد الناس ، وأخيه سيدى حمزة

« وفى اليوم الثالث من هذا المقر المدنى، بعد أداء فرض

من ضرائب على الممتلكات ، وضرائب الميراث والدخل وغيرها

ويلاحظ أن الحكومة المركزية قد تمد يد المساعدة إلى حكومة الولايات فتساهم معها فى المحافظة على طرق النقل وفى إنشائها ، وقد تعمل على رفع مستوى التعليم بها ، ويتلقى عدد كبير من الولايات مساعدات من الحكومة الاتحادية ، ومقادير من المال تنفق فى أغراض خاصة

بهذا ينتهى وصف نظام الحكم فى الولاية ، أما نظام الحكومة المركزية أو الاتحادية فسنتناوله بالبحث فى مقالنا التالى إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

العصر ، ودعنا الحبيب الأعظم ، وأنشدت فى السر قول ابن عماد :

فارقت طيبة مشغوفا بطيبتها وجئت مكة فى وجد وفى ألم
لكن سررت بأنى عند فرقتها ما سرت من حرم إلا إلى حرم

وبتنا على الأبيار ، وأولجنا إلى قبور الشهدا الأخيار ، ومنها إلى (الجديدة) التى لصوصها غير مؤبدة ، وعرب حرب ، من لهم المعرفة فى الحرب ، هم حيات تلك الأرض ، وحياتها فى طولها والعرض ، فلو قطع دابر أعيانهم ، لخف فرط هيجانهم، ولله تعالى خفى مراد ، فيما قدر وأراد ، فإن شرهم الآن فى زيادة ، نمت على العادة ، يريدون بوفد الله إمرا ، ويأبى الله إلا ما أراده وسرينا إلى (حنين) و (بدر) . ووفد للسلام المحب الفالح السيد محمد صالح نجل العالم الفرد الشيخ محمد الخليل ، وفى (رابغ) أحرمنا وفى (قديد) لم نطل الإقامة ، ونزلنا (عسفان) والحر آذى الوجوه البسامة ، وممن أوقمته فى حبالها وأرضعته ثدى خبالها ، صديقنا الأواه ، الشيخ نور الله ، وفى فم وادى فاطمة ، دفن وأمواج الهم متلاطمة ، وهنيئا له كل حين فإنه يبعث فى الآمنين لحديث (من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة) فإن قلت الوادى ليس من الحرم ، قلت ما قارب الشئ أعطى حكمه ، وقد دفن فيه على يمين الوادى بالنسبة للغادى . وما أحسن قول المحيوى مروى الصادى :

عرج ففى أيمن الوادى خيامهم لله درك ما تحويه يا وادى

ودخلنا مكة المشرفة عقب المشا ، وزرنا أهل باب الملا ، ونزلنا دار الشريف يحيى بن بركات فحصلت لنا بها مسرات وبركات، وبعد إتمام الزيارة ، ورفع مسدول الستارة ، والفوز بمشاهدة البيت المعظم ، والحوز على طواف القدوم ، عدنا لصلاة الجمعة ، ولما أذن المغرب سرنا إلى المعرف المطرب ، ووصلنا انتصاف الليل، والحاج يسيل إليه كالسيل، ونزلنا لصاق خيام، كبيرة دائرة وإحرام، وبعد الوقوف فى صفوف ، أهل الشفوف ، والتمتع بمعروف ذلك اليوم المعروف ، وما قلق القلب الطروب ، فيه إلا وقت الغروب لأنها كانت ساعة جماعة ، لقلوب أعيان للأكابر لساعة ، تفتق الجيوب وترتق فتق الغيوب ، تطهر من العيوب . وفى الحديث « لو يعلم أهل الجمع بمن حلوا لاستبشروا بالفضل من ربهم بعد المغفرة » وبعد أن جمعنا جمع التقديم ، وحصل للمؤخر منهم جمع التقديم، وقفنا الأرواح على المواصلة ، لما وقفنا لاستقبال الإمدادات الحاصلة ، وأكثرنا من التلبية والدعاء . عاملين بحديث « من أصبح يلبي غابت الشمس بذنوبه » وعنه (ص) « إذا كان عشية عرفة لم يبق أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان إلا غفر له » قيل يا رسول الله أهل عرفة خاصة ، قال بل للناس عامة. ودخل الليل ، وختمنا الموقف بدعوات عامة ، وهب صبا الرضا والقبول وأقنا فى (المزدلفة) إلى مضى زاف من الليل لا زلفة ، وحين اعتدل ميزان الليل ، شمرنا الذيل ، وفى (منى) بعد رمى الجمار دخلنا مكة المشرفة قبل الغروب ، واجتمعنا بمن معنا فى دار الشريف ، وأتيت البيت المعظم لطواف الإفاضة ، وتضلعت من كاسات زمزم . ولم أدع النزول إلى حرم الحصول ، إلا من شدة وهج يؤذى المهج ، أو غلبة نوم ، وكان جاءنى محب ملهوف بأخذ الإجازة ، فأجزته وأهديته نسخة من ورد السحر المعروف ، فتوقف فى بعض محلات منه تنوف على الحس ، فأريته الشرح الكبير ، المسمى (بالضيا الشمسى على الفتح القدسى) فزالت الإشكالات ، وقرأ إخوان من جماعتنا الورد المذكور فى الحرم الشريف ، وكنت أطوف على البيت الموصوف بالجمال ، ونجلس فى المواجهة فى أول الصفوف ، ونسمع نغمات الطائفين من سائر الصنوف . وقد أغرب إذ أعرب الفاروق مجدد ما بعد سابع الألوف ، فجعل الكعبة زادها الله شرفا على غيره ينوف

مدرسان من الحرم يطلبان اجازة منه الشيخ البكرى :

« وجاءنى رجلان من أهل التمكين والعيان ، وعرف كل واحد الآخر أنه من مدرسى الحرم المصان ،وطلبا إجازة فى حديث الأولية فأسمعتهما الحديث الشريف ، وسأل أحدهما وهو المدعو بالشيخ محمد التكرورى ، عن الأسماء الإلهية ، فأشرت للأخ الأمجد الشيخ أحمد الموقت ، فتكلم معه ، فعرف أنه عارف نورى . ثم قال للفقير بلغنا أنكم تطالعون الفتوحات المكية فهل يمكنكم شرحها حرفا حرفا ؟ فبدت النواجذ استعجابا من كلامه ، وقلت له لو حاولت فهم ظاهر ألفاظ الخطبة لأعجزتنى قطعا ،فكيف ببحرها

الذخار، فقال فيكم بركة . ثم ودع ورفيقه وسارا، فسألت عنهما فأخبرت أنهما من أكابر المدرسين الآن . وأخبرني السيد محمد التافلاتي أحد الأعيان في السفرة الثانية للروم بما قدمته فتحققت أنه وحيد زمانه . وقلت للمذكور عن سؤاله الثاني، فقال ما سألك إلا وهو متحقق أنه يمكنك من حيث الفضل الرباني

« وأخبرت عن رجل مغربي مواطن، في الحرم الشريف قاطن، مراده الحج والعود للبلاد، يدعى الشيخ ابرهيم من نسل سيدي عبد السلام بن مشيش صاحب الصلوات، وحدثني مادحه أن المشار إليه لما نزل المدينة أقبلت أهلها عليه، وانقادت له أكابرها لما السيد قبله، وسمت إليه على الآماق إذ بجواره أنزله، وقال إنه إذا جاء للمواجهة، لا يدرى بمن حاذاه ولا بمن واجهه، وما في المدينة المنورة بيت إلا وقد اتقد مصباحه دون زيت، فسرت لزيارته مع المادح راغبا في دعوة صالحة، ونظرة مخصوصة تجمل النفس للقرب صالحة، وصحبني الأخ النبيل الشيخ أحمد فرأيته في جهة باب السلام مستقبلا بيت السلام، فبادرته السلام، فسر السرور التام، ولم نطل الإقامة لئلا نشغله عن طلبه، وطلبنا منه قراءة الفاتحة، والسؤال لنا من ربه، حال مواجهة بيت ربه . وطفت طواف الوداع، وطفقت الدموع على الخدين تداع

الرجوع من الحج :

وفي سحر ليلة الجمعة بعد أن كررنا طواف الوداع برزنا إلى الشيخ محمود . وما زلنا بعده نرحل من محطة إلى محطة إلى أن أتينا على قبور الشهداء، وبادرنا الزيارة

وفي الحديث (من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتب له حجتان مبرورتان) رواه الديلمي عن ابن عباس . وفي التحية أديت ركعتي التحية، وعجلت الرجعة إلى المواجهة . وقرأت قوله (وعجلت إليك ربي لترضى)

« وبعد ما زرت سيد الشهداء، على بعد مسافة، دخلت قبة أخيه العباس، وما برحت أتردد من الحرم إلى الدار المعهودة، لاغتنام بركات إمدادات لا يشار إليها مقصودة . وجاءني فيها مالم تقدير، جناب الشيخ محمد الدقاق وهو مغربي وأخبر أن السيد الأعظم أمسكه في جواره وأنعم عليه بدنوه من نزله وقرب داره، وذكر اشتياق النفس لمهجة أكباده من أولاده، وطلب فاتحة بوصولهم إليه في هذه البلاد، دون بلاده، فأجبناه رغبة في دعوة منه صالحة، وأخبرت أنه بعد ذلك نال مطلوبه وقضى الحق مصالحه، ووفد بالمذكور على رجل يدعى عبد السلام، فشكرت صنيعه ورجوت له العفو التام، وذكر لي الجامع بهذا الجامع رجلا شريفا مهل لي من باعلوي يدعى الشريف علي، فقلت له مر بنا إليه، نغتنم دعاه وأشياء مما لديه، وكانت هذه الجمعية بطراز العصابة الألمعية، مباركة المبدإ والآخر لاشتمالها على ذكر سادات حوت في الفاخر، وذكر السيد المشار إليه، أغدق الله نعمه عليه، أن بعض أشياخه ممن يشرب من نقاخه، ضمن بيتين لبعض السادة، في قصيد وقيد إفادة، وهما :

إذا لم نطب في طيبة عند طيب	به طاب طيب الحان أين نطيب
إذا ما استجاب الله منا دعاءنا	لدى أحمد المختار أين يجيب

ولقد أكرمنا غاية الإكرام، وتلطف بنا في الصحبة، وبعد ما حدث للمحل الحلي، تأملت فيها على من فوائده أملي

« ولما عزمنا على الوداع القطيع، وقد أحرق القلب القطيع، وألم فيه سيوفا وأسنة، حتى لامتلأت بها الأفئدة والأجنة، وعدنا بعد العشاءين من المحل الخارج عن المدينة، لأجل الزيارة والوداع ثانيا بنفوس مدينة، وبعد الصلاة في حضرة الجمع والوجود، ووداع ينبوع الهمم واللهم والجود، أتينا نسيئة النفس ونقد المين، على فراق روح الروح، وعين المين

في العودة على طريق الحج :

وفي صباح ذلك اليوم الخطير سرنا إلى (الجرف) بطرف مطير، واللب منا أسير والقلب ذاك كسير، وما زلنا نطوى بسط البيد أي طي، ونزوى هموم الفراق عند الأحباب أي زي، إلى أن وصلنا مناما اسقى هدية صبيحة لما أممنا محطة قلمة (هدية) التي عمرها بعدنا بيسير صاحب الرأي الصائب المصان، جناب

سليمان باشا (١) أحد أعيان وزراء آل عثمان ، أثابه الديان

واجتمعنا يوم الثلاثاء العاشر من المحرم ، بالجردة ، فكان يوم الاجتماع لدينا معظم ، وأقمنا فيها كالعادة ، وسرنا طالبين الرحاب للاستفادة . وكانت المكاتيبات الواصلة حركت سا كن الأشجان ، وتقدمنا نسير مع الشمارة ، لما أتعبنا مع الحج أهل الشعارة ، فلانه المطلقين اللسان ، بالسب اسفاهة برأى وعدم إحسان ، فحصلنا وإن خاطرنا راحة ، من منازعتهم لم تدخل فى راحة ؛ وصرنا نخب الملا ونحب الخلا لما حلا ، إلى أن وصلنا (الملا) وأقمنا يومين . كانا فى البسط مثل توءمين ، وأتينا (الداثن) وأقربنا منها أقازة مثلثة ، إذ أمامنا الدار الحرا ، النازحة المياه ، فكانت للهلكات محدثة ، وكان يوم الوصول إلى (المعظم) مهول ، نهبت فيه المياه المعدة ، وتلفت فيه أنفس لها عدة . ولم نقم فى هذه المحطة المضرة بالحاج ، إلا مقدار ما له فيها تحتاج ، وأسرعنا إلى (المنزل الأخضر) فوصلناه قبل الفجر بوجه أنضر ، وأقربنا منه أقازة المنائر ، ولم يرو ركب الحج السائر ، إلا لدى قلعة (جغيمان) التى عمرها الوزير المعان ، جناب عبد الله باشا (٢) أمير حجنا الشامى قبل عامنا ، وسرنا إلى منزلة (معان) والحق بجوده أعان ، وأقمنا فى (الحسا) يوما لعمارة جسر مهدوم ، وبوم دخولنا على (الزرقا) والفؤاد مكلوم ، ونحن فى المحفة كؤوس المسرة نسق وفى بحرها نعوم ، وورد على الشان مطلع مقيد ، فسممه الأخ الحاج حسن (بن مقلد الجيوسى) فانجلت غيوم ، ثم تبعه آخر وثان وثالث ، فطلب إثباتها لئلا تنسى ومطلع القصيدة :

سمعت حديثا يجلب البسط والصفا فهيج شوقا للقاكاسه طفا

« وجاء كثير ملاقية ، بالفواكه المنوعة الشامية ، فحركت ساكن أشواق ، وجاءت أهل (جورة حوران) بالماء كل الطيبة التى لكم جوع مضى فى المفازات مطية ، فما كانا بنهم فرحا بوصال قرب ديار ، وشربنا من مائها العذب وجزنا سراعا إلى (المفرق) وحزنا طربا من القدم إلى المفرق ، وجاءنا بعض إخوان سوابق عهد ومحبة ، فسرنا القدوم لتشق أخبار منازل علت منه الرتبة ، وكان محبنا الأخ الفاضل الألمعى ، خليفتنا الشيخ محمد المكتبى ، وهذا الأخ اسمه مسطور فى الرحلة العراقية ناويا زيارة الديار القدسية ، وتجديد آثار الصحبة المؤسسة ، ومن هذه المحطة توجهنا إلى قرية تسمى (أصيلة) وبتنا بها والأنس بها حائق ، ومنها ترحلنا إلى (طيبة بنى كنانة) ونزلنا (الصما) لما امتلأت بسهام المواصلة الكنانة ، وبتنا بليلة طيبة ، وفى الصباح شددنا على النوق ، وقطعنا وادى العرب ، ونحن فى سرور وطرب ؛ ومررنا على (جسر المجامع) فلم ننزل لديه عند (عيون القصب) وبعد ما زال النصب شمرنا ذيل السير حيث انتفى الوصب ، ونزلنا على (الجالوت) حصة ، أذهبت عن الفؤاد غصة ، ودخلنا بعلاقية بنى صعب وجبل نابلس صباحا (جينين) وعندنا للأوطان حنين ، وتوجهنا صحبة رفاق إلى قرية (كور) وبتنا بها ليلتين نسقى من علها ونهلها ، وأوصلنا الذى أخذناه من أهلها لأهلها ؛ وتوجهنا صحبة من ممنا إلى الديار المقدسة ؛ والآثار التى على الأنوار مؤسسة ، وبتنا فى (الزاوية) التى للهموم بالسرور زاوية ، وقام بخدمتنا رضوان ؛ فارتحنا راحة من رأى رضوان ؛ ومنها إلى (بيتونيا) ولم نتجاوز لها حدا ؛ وفى الصباح أقبلت الوجوه الصباح ؛ ولم ندر لهم عدا !

« وحصل يوم الدخول والحصول ، فى منازل عزت عن الحومل والدخول من الإسط المقبول ؛ لاسيما بعلاقة ثمرات أكباد ، وقلت بعد الصلاة فى الحرم الشريف منى التحية

« وبعد الإقامة فى نزل السلامة ، وورود الأحباب ، مهينة بنيل الآراب ؛ وردت الكتب المشرفة من الأصحاب والأنساب ، مبشرة بتحصيل ما لم يكن فى حساب ؛ وسطرت ما ورود منهم والجواب (فى الأردان) فانظر هناك تر العجاب . لأنى لم أختم تأليف هذا الكتاب إلا سنة خمسين . لما توجهت ثالثا لتلك الرحاب ؛ على طريق مصر القاهرة بمعونة رب الأرباب

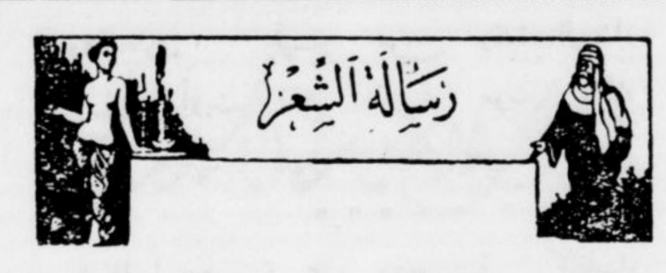
(تمت الرحلة)

أحمد سامح الخالدى

---

(١) هو سليمان باشا المعظم ، الوزير ، والى الشام وصديق الشيخ البكرى (١١٤٥ هـ — ١١٤٧)

(٢) هو عبد الله باشا الأيدنلى (١١٤٣ هـ) ترجمة المرادى — ٤٧٣



عتاب . !

لصاحب السعادة عزيز أباظه باشا

(١)

تجهمتنى ! فيم التجهم خبرى   وأضويتنى حتى لأشفيت؛ فانظرى
أنزوة حب أم ملالة بغضة ؟   فإن تك صدا؛ قلت يانفسى اصبرى
وإن كانت الأخرى فأنتن هكذا   خلقتن كالدنيا ، تبيع وتشترى
فلستن من حواء إن لم تسمننا   تلون ضوء الماسة المتغير
بعثت بأشجانى إليك وأدمعى   تقلن احفظى ميثاقه وتذكرى
تطير بها كتب كأن سطورها   نفاثة طود صاخب متسعر
فما بالها هانت ؛ وكانت إذا هفت   لك الكتب قرت فوق صدر معطر
عجبت لجلمود من الصخر نابض   بأعطاف أملود من البان ممصر
وللحسن فى أبهى حلاه ملثما   بسمت ربيب الغابة المتنمر
خبرتك فى يوميك ، يوم التنكر   ويوم رضاك الساكب المتفجر
فما كنت إلا بسمة الله تجتلى   وتزهو كوشى الصباح المنور
وما كنت إلا رفة الروض جاده   ندى الفجر تسنى بين أفواف مئزر
وما كنت إلا فتنة شج سحرها   وأغرادها النشوان بمض التوقر
وما كنت إلا الراح مرا وكوثرا   لكل مذاق سائغ المتحدر
ولست وإن أخلفت ودك منكراً   حقوقك . إن الحر ليس بمنكر

(٢)

تنكرت لى يامنية النفس والنوى   ترامى بعرمى الجوامح وامق
بأى دقيق فى الذنوب أخذتنى   وأى جليل فى الهنات الدقائق ؟!
أبذلى حبى نفسى لديك موطئا   وحبيك حبى خالق . وهو خالق ؟!
أبالطارقات الصم يهززن مضجعى   ويغشيننى باللافحات الحوارق ؟
أبالجهد موصولا ؛ وبالدمع ساكبا   وبالسهد حتى قد رثت لى عارق ؟!
أبالعهد قدسا والوفاء منضرا   وإن وفاء الناس إحدى الخوارق ؟!
وعاتبنى صحبى وقالوا أعاشق   وهذا شماع الفجر ملء المفارق ؟
وقالوا ألم تقسم يمينا غليظة   ألم علأ الدنيا بضخم للواثق ؟!
فقلت وهل تلحى قلوب ظمية   هفت لقلوب ظامئات شقائق ؟!
وقلت ؛ متى رد المقادير قادر   فأقوى على دفع القضاء الملاحق !
لقد طالعتنى كالصباح فبددت   جواشن أحداثى ؛ وسحب بوائق
وصبت أساكيب المنى فى خمائلى   وروت بصهباء الرجاء حدائق
تنكرت لى فارعى شكاتى وأنتى   إليك تهدى فى دموعى السوابق
فديتك ؛ قولى هل طريق أخوضها   إليك ؛ فقد سدت على طرائقى
وعودى يمد للعين لألاء نورها   فقد ضربت فى نافر الصبح غاسق
وعودى أذق أمن الحياة وروحها   وأنعم برغد وارف الظل باسق
وأنشط لأعناق المنى ثابت الخطى   خفيفا فهذا البحر قد آد عاتق
سلمت على الأيام مخضلة الصبا   يرف رفيف الطل فوق الشقائق
ولازلت رى الحسن مملوءة الحلى   يطيف به بأس القلوب الخوافق
ومليت بالنعمى ، وبدلت رحمة   وعدلا وإعتابا بهذى الخلائق

بدجشتين		عزيز أباظه

مهد وحى رأس البر :

رحلة السمانى !

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

« مهداة إلى الشيخ المحترم سعد اللبان بك
رائد ندوتنا برأس البر »

كتائب الطير : سيرى   وأقبلى يا سمانى
وبشرينا بجو   قد عز عن أن يدانى
حوى الجمال فنونا   بها نهيم افتتانا
سبتمبر حين وافى   طابت به دنيانا
الصيف فيه بديع   يا سحره إذ حوانا
يا ليته طال حتى   نغنى به الأزمانا

خدمة الأدب العربي قرابة ثلاثين سنة، وعرفه قراء العربية ناقدا ومحققا وقاصا بارعا وعددنا ذلك مما جريتم عليه في مودة الأدباء وخدمتهم سواء في الوزارة وفي خارج الوزارة وكان المفروض أن يأخذ ذلك القرار الكريم طريقه إلى التنفيذ من مكتب المستشار الفني لوزارة المعارف، ولكنه قبع في هذا المكتب ولا يزال قابعا به حتى كتابة هذه السطور. ولست أدري أنسيه سعادة المستشار، أم هو يحبسه لغرض لا نعلمه. أما الذي أنا على يقين منه أن معاليكم أصدرتم هذا القرار لينفذ ويعمل به..

وتفضلوا معاليكم بقبول خالص المودة ووافر الإجلال

جغرافية البلاد العربية:

ذكرت من قبل في توصيات اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، أن هذه اللجنة أوصت أن تخصص الجامعة جائزتين لتشجيع التأليف تمنحان سنويا، الأولى لأحسن كتاب عربي علمي أو أدبي يخدم فكرة تتصل بتحقيق أهداف الجامعة العربية العامة، والثانية لتكليف مؤلف عربي أو أكثر بوضع كتاب يستكمل وجها من أوجه النقص في مجال التأليف العربي المتصل بدراسة حياة العرب وإنتاجهم الفكري وحضاراتهم

وقد جالت بخاطري ناحية من نواحي النقص في التأليف تنطبق عليها الفقرة الأخيرة التي تتضمن الجائزة الثانية، تلك هي « جغرافية البلاد العربية » التي لا توجه إليها العناية الكافية في التعليم عندنا، وهي أيضا مثل من أمثلة النقص في برامج التعليم الذي أشرت إليه في الموضوع السابق الذي وجهته إلى معالي وزير المعارف.

وأذكر أن توصيات المؤتمر العربي الثقافي الأول تضمنت وجوب العناية بجغرافية البلاد العربية، ولكنا لا نزال نهمل هذه الناحية، أو نحن لا نوليها حقها في معاهدنا، وأقول بهذه المناسبة إن برامج التعليم في مصر وفي سائر البلاد العربية لم تفتح أبوابها بعد لتوصيات المؤتمرات واللجان الثقافية، كما تبين ذلك من مناقشات المؤتمر الأخير، على رغم أن وزارات المعارف بالدول العربية تمثل فيها، وعلى رغم الخطب الطنانة الرنانة التي تلقى بها!

أليس من المخجل أن يطوف مدرس الجغرافية

كشكول الأسبوع

◘ يجتمع الآن في استنبول مؤتمر المستشرقين، ويمثل مصر فيه جماعة من الأساتذة منهم الدكتور أحمد أمين بك والأستاذ أمين الخولي بك. وقد امتنع عن السفر إليه الأستاذ إبراهيم اللبان الذي كان مقررا أن يمثل به جامعة فؤاد الأول، وذلك احتجاجا على موقف تركيا الأخير ضد مصر في هيئة الأمم المتحدة

◘ تواصل لجنة المعجم الوسيط بالمجمع اللغوي، عملها في إعداد مواد هذا المعجم، ليتسنى طبعه في فرصة قريبة.. والمعجم الوسيط يمتاز باحتوائه كثيرا من ألفاظ الحضارة الحديثة في مختلف نواحي الحياة وخاصة الناحية الصناعية، وقد بلغ ما جمعته من ألفاظ هندسة العمارة وحدها أكثر من أربعة آلاف مصطلح. فالمعجم لذلك يسد فراغا كبيرا في عالم المعجمات العربية، فكلها قديمة خالية — بطبيعة قدمها — من ألفاظ الحضارة الحديثة

◘ انتهت في الأسبوع الماضي اجتماعات اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، وقد أتينا في الأسبوع الأسبق على بعض توصياتهم. ونذكر الآن أهم ما قررته غير ما نشر:

◘ تعتبر اللجنة المؤتمر الثقافي هيئة قائمة بذاتها لها صفة الدوام وتنعقد دوريا، وتوصي المؤتمر أن يؤلف في كل دورة من دوراته لجنة يعهد إليها إعداد الدورة التالية: وترجو اللجنة الفرعية التي اقترح المؤتمر الثقافي العربي الثاني تأليفها برياسة معالي الدكتور طه حسين باشا للاعداد للمؤتمر الثالث — أن تتخذ من الإجراءات ما تراه كفيلا بتهيئة انعقاد المؤتمر في أقرب فرصة ميسورة

◘ رأت اللجنة أنه من الممكن أن تكون وراء إنشاء مركز للثقافة العربية بجامعة كولومبيا أهداف وغايات لا تتلاءم مع الأهداف والغايات العامة لجامعة الدول العربية، ولذلك ترى إرجاء النظر في موضوعه إلى أن تستكمل المباحث من ناحيته

◘ تسجل اللجنة تقديرها للرغبة التي تقدم بها سعادة وزير سوريا المفوض في الباكستان ومندوبها باللجنة الثقافية، في إنشاء معهد للدراسات العربية في الباكستان، وتقرر من حيث المبدأ رغبتها في إنشاء معاهد للدراسات العربية في البلاد التي لها بالثقافة العربية الإسلامية صلة قديمة أو حديثة، وتعهد إلى الإدارة الثقافية في اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتحقيق هذا الغرض

◘ توصي اللجنة الدول الأعضاء بأن يكون لها ملحقون ثقافيون في مفوضياتها بالبلاد التي لها بالحضارة العربية الإسلامية صلة ثقافية قديمة أو حديثة

بتلاميذه العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا دون أن يعرج على البلاد العربية التي مصر جزء منها فيعرفهم بما اتفقنا على تسميته « الوطن العربي الأكبر » ؟ وإلى ذلك الإهمال المعيب في تعليم الجغرافية بمعاهدنا يرجع جهلنا الفاضح بالبلاد العربية ، وقد كان هذا الجهل مطبقا قبل أن تتناول الصحف المسائل العربية المختلفة التي أثيرت في السنوات الأخيرة . وأذكر مثلا أن سلطان الحج زار مصر منذ سنين وكتبت عنه الصحف ، ولم نكن نعلم قبل ذلك أين لحج هذه التي يزورنا سلطانها !

وبعد فليت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تبدأ بهذا الموضوع في تكليف من يؤلف للجائزة الثانية

وأعتقد أن خير من يقوم بهذه المهمة الدكتور سليمان حزين بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، وإن من وضع الأمور في مواضعها أن يسند إلى هذا الأستاذ الكبير الذي برع في فنه الجغرافي ، والإشراف على تعليم الجغرافية أو الانتفاع به في وضع مناهجها للمدارس والتأليف فيها ، فإن ذلك أجدى من اشتغاله بمواعيد حضور الموظفين وانصرافهم بإدارة الثقافة وما إلى ذلك من الشؤون البعيدة عن أستاذيته

كلوا واعملوا :

شغلت الصحف في الأسبوعين الماضيين بأنباء المواطنين الذين أضربوا عن الطعام واعتكفوا بنادي الكتلة الوفدية ، طلبا لإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وأخذت هذه الحركة شكلا جديا وطنيا ، لاهتمام الصحافة ولتأييد الكثيرين للمضربين ، وقد تألفت لجنة لهذا التأييد . وأرادت الحركة أن تكبر حينما دعا الداعون جميع المواطنين إلى الإضراب عن الطعام يوما من الأيام . .

كان ذلك فعلا مظهراً من مظاهر إرادة الشعب التخلص من هذه المعاهدة التي يشعر أنها من نكد الدنيا عليه . ولكن الحق أنني لم أستسغ هذا العمل أو بتعبير أدق « اللاعمل » مع احترامي للدوافع الوطنية التي دفعت هؤلاء المواطنين إلى هذا الإضراب وتقديري لقدرتهم على مشقة الحرمان

الإضراب عن الطعام وسيلة سلبية الغرض منها حمل الآخرين على عمل معين ، يلجأ إليها الأطفال مثلا للإعراب عن غضبهم كي يحملوا الأمهات والآباء على إجابة رغباتهم . وكثيرون من الآباء والأمهات يقفون موقف الحزم من أولادهم المضربين على الطعام لكيلا يعتادوا ذلك . . ويلجأ إليها بعض الوطنيين كي يحركوا الضمير الإنساني العام الذي دلت الحوادث على فقده . . أو ليحملوا مواطنيهم على الاتفاق في وجهة وطنية معينة ، وكان هذا غرض « غاندي » من صومه

ولست أشبه مواطنينا الذين أضربوا ، بالأطفال ، وإنما ذلك من باب استيفاء الصور الواقعة ، وقد علمنا أن الضمير الإنساني لا وجود له ، بدليل أننا لم نكسب بإضرابهم ، ولم يكن ينتظر أن نكسب لو متنا جميعا من الجوع ، أي عطف أو تأييد من أية دولة من الدول ، في أية هيئة من الهيئات العالمية !

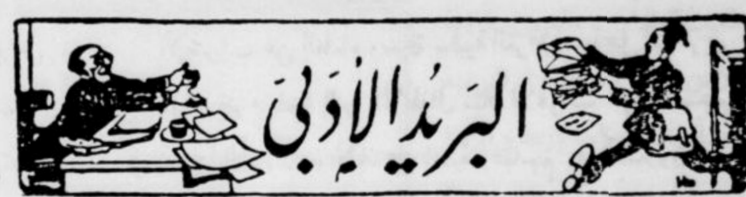
أما التشبه بغاندي فلا موضع له ، فكلنا — حكومة وشعبا متفقون على وجوب إلغاء المعاهدة ، فلا معنى لذلك الإضراب إلا المطالبة بالإلغاء قبل الدراسة الكاملة للموضوع ، ولن يمهل الموت المضربين حتى تتم هذه الدراسة ، فتكون النتيجة الانتحار . .

ذلك كله على فرض الإضراب عن الأكل وسيلة سليمة ، ولولا المشاعر الوطنية التي دفعت أولئك الذين أضربوا ، لوصفت هذا العمل بصفاته التي لا تسرهم . وما أشد حاجتنا إلى العمل الإيجابي لخير وطننا ، وأقل ما نحتاج إليه لهذا العمل أن نأكل لنقوى . .

إن هذه الوسيلة السلبية الهزيلة لا ينبغي أن يشجع عليها بالنشر ، ولا ينبغي أن تؤيد بالخطب وتأليف اللجان ، ولا بأي نوع آخر من التأييد ، إلا إذا جاز التشجيع على الانتحار وتأييده !

والمسألة كلها إنما كانت بالتشجيع والتأييد . . وليس جديراً بهما إلا من يأكل ويعمل

عباس خضر



النقد والشعر :

كتب الأستاذ سامى أمين فى عدد الرسالة الماضى كلة بهذا العنوان تعقيبا على كلة لى عن ديوان : « أنفاس محترقة » للشاعر المصرى محمود أبو الوفا

وكنت أحب أن أجد فى كلة الأستاذ سامى أمين ما أناقشه إيضاحا لرأيى الفنى فى الشعر — فأنا لا أحب إهمال آراء الناس وعدم الاهتمام بها — ولكننى آسف لأننى لا أجد هنا رأيا فنيا صالحا للمناقشة . إنما أجد تهجما ينقصه الاتزان والجد واللياقة : أولا : على صاحب أنفاس محترقة حيث يقول الكاتب : « هذا الهذيان المطلق الذى لا تربط بينه قافية واحدة ولا فكرة واحدة وثانيا : على أنا حيث يقول : « فيريد الشعر بهذا الشكل المشوه الممسوخ » ثم باتهامى بالمحاباة لمجرد أن الشاعر مصرى !

وقراء الرسالة الذين يعرفوننى أكثر مما يعرفنى السيد سامى يعرفون أن المحاباة وفكرة القومية المصرية الضيقة هما آخر تهمتين يمكن إلصاقهما بى ! . أما ذوق الأدبى كناقد فنى فأمره متروك لهؤلاء كذلك !

وأنا أعتذر للسيد سامى أمين إذا لم أجد فيما عرض بعد ذلك شيئا أناقشه ؛ فهو مجرد ذوق بدائى جدا فى فهم الشعر كنت أحسب أننا انتهينا منه منذ زمن طويل . ونماذج من الشعر عد بدك فتجد منها حيث شئت الكثير !

وهذا الذى عرضه لا يمثل نهضة الشعر العراقى حيث تلتمع قوية مرموقة تشير إلى معقد الزعامة الشعرية فى العالم العربى . ولعل الفرص تسنح لعرضها قريبا

سيد قطب

بغداد بين الرشيد والمنصور :

ذكر الدكتور أحمد أمين بك ، فى كتابه الأخير عن هرون الرشيد ، ص ٢٥ ما نصه :

« فما فعله الرشيد أن سمى بغداد مدينة السلام ، تشبيها لها بالجنة « دار السلام » وسمى قصر الخلافة بالحريم تلميحا إلى البيت الحرام ، وجلب بعضا من الأنصار وسماهم بالأنصار ، وجعل بابا من أبواب بغداد قليل الارتفاع لكى ينحنى الداخل منه تشبيها بالسجود احتراما للخليفة ، كما يفعل الداخل إلى الكعبة ، وسمى الخيزران أم الخلفاء تشبيها بما سمى به الرسول عائشة أم المؤمنين »

ولنا على هذا الكلام عدة مآخذ :

(١) الذى أجزم به أن هذا المعنى قد نسبه المؤرخون إلى الخليفة الثانى « أبى جعفر المنصور » ويخطئ من ينسبه إلى هرون الرشيد ، لأن أبا جعفر هو الذى أقام بغداد واختطها لتكون عاصمة ملكه ، والأستاذ الكبير نفسه قد نسب هذا إلى المنصور فى كتابه الأخير عن « المهدى والمهدوية »

(٢) ومهما يكن من شئ فإن هذه الفكرة مفتراة على أبى جعفر المنصور ؛ وضعها بعض غلاة الشيعة تشويها لحكم هذا الخليفة العظيم ؛ وطعنا على خلافة العباسيين ، وقد تورط فى هذا الأستاذ « جورج زيدان » فى كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى » ولم يحاول أن ينقد هذه الرواية ، أو ينفيها عن الخليفة المنصور ، فذكر أن أبا جعفر زيادة على ما تقدم قد بنى لنفسه قبة من الذهب تعرف بالقبة الخضراء لكى يصرف الناس عن الحج إلى الكعبة إلى الحج إليها ، وقد استند مؤسس الهلال فى رأيه هذا إلى خطبة مفرضة خطبها بعض العلويين الخارجين على المنصور ، ليحرض على الثورة عليه

(٣) مهما قيل فى استبداد المنصور وبطشه بخصومه دفاعا عن ملكه ، فلا أتصور أن يبلغ به الأمر إلى المجاهرة بتعطيل ركن من أركان الاسلام ، ونحن نعلم أن الدعوة العباسية لم تقم إلا على أساس الدين ، والقرابة من رسول الله (ص) ومن مقتضى السياسة والكياسة ألا يجاهر المنصور بعمل كهذا ، وقد ذكر الطبرى فى تاريخه ، وابن الأثير فى الكامل : أن أبا جعفر

المنصور قام فى الناس خطيبا ، وذكر ظلم بنى أمية ، واتخاذهم الكعبة غرضا فقال : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ؛ قضاء مبرم وقول فصل ؛ وما هو بالهزل ؛ الحمد لله الذى صدق عبده ؛ وأنجز وعده ، وبعدا للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفئ إرثا ؛ والدين هزوا ؛ وجعلوا القرآن عضين ، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد »

أمين محمد عثمان

تحقيق نسبة أبيات :

١ — قرأت كتاب الشهر (المهدى والمهدوية) للدكتور أحمد أمين بك فوجدت فيه هذين البيتين منسوبين لابن هانئ الأندلسى .

لو كان علمك بالإله مقسما   فى الناس مابعث الإله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل   القرآن والتوراة والانجيلا

والحق أن هذين البيتين لأبى الطيب المتنبى يمدح بدر بن عمار فى قصيدة طويلة ويذكر الأسد كما فى ديوانه .

٢ — قرأت كتاب الشهر (ملامح من المجتمع العربى) للأستاذ عبد الغنى حسن فوجدته ينسب الأبيات الآتية للجارية فضل ص ٢٧ من كتابه .

لأكتمن الذى فى القلب من حرق   حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا أقول شكا من كان يعشقه   إن الشكاة لمن تهوى هى الياس
ولا أبوح بشئ كنت أكتمه   عند الجلوس إذا مادارت الكاس

وهذه الأبيات عينها منسوبة للشاعر على بن الجهم الذى مات مقتولا سنة ٢٤٩ هـ كما فى كتاب المنتخب الجزء الثانى ص ٣٤٢ المطبعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٣٤ الذى جمعه وترجمه العلماء الأجلة طه باشا والسكندرى رحمه الله وأحمد أمين بك وغيرهم من كبار الأدباء فأرجوا التنبيه بصحة نسبة هذه الأبيات لقائلها

عبد العليم على محمود

غنية لا غنوة :

يقول الشاعر العراقى الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى فى العدد ٩٤٩ من الرسالة الغراء أن « غنوة » من الغنى بمعنى الاكتفاء واليسار كما فى جميع المعاجم العربية » والذى أريد أن أنبهه إليه أن الكلمة التى تدل على هذا المعنى هى « غنية » كما فى مختار الصحاح إذ يوجد فيه « غنى به عنه غنية بالضم » والمعروف عن الأستاذ عبد القادر أنه شديد الاعجاب بأمير الشعراء أحمد شوقى بك لهذا أحيله على قصيدته المشهورة :

روعوه فتولى مغضبا   أعلمتم كيف ترتاع الظبا

فانه سيجد هذه الكلمة « غنية » فى هذا البيت :

كان عن هذا لقلبى غنية   ما لقلبى والهوى بعد الصبا

وللأستاذ الفاضل خالص الثناء والتقدير

الصافية   عبد الفتاح الجزار

تصويب فى تصويب :

للأستاذ البحاثة عبد القادر رشيد الناصرى لمحات دوال على لمة ذهنية واجتهاد فى تقصى ما يغرب عن ألفة العربية

ولقد صوب بيتا من الشعر مرويا عن أبى نواس فى كتاب « هارون الرشيد » للدكتور أحمد أمين بك حين تحدث عن معلمى الكتاتيب فى هذا العهد ، لكن تصويبه فى التعليل كان ذا علة !

أما البيت ؛ فقول أبى نواس :

عندها صاح حبيبى   يا معلم ، لا أعود

أما التصويب فقول الأستاذ : « وزنه لا يستقيم إلا بسكون ميم معلم ، وسكون يا معلم لا يجوز لأن الاسم منادى معرفة وحركته الرفع »

وأقول : إن الرفع حال إعراب ، وحركته علامة ؛



معركة الاسلام والرأسمالية

تأليف الأستاذ سيد قطب

للاستاذ صادق رستم

« هذا الوضع الاجتماعى السيء الذى تمانيه الجماهير فى مصر غير قابل للبقاء والاستمرار »

بهذه الجملة افتتح المؤلف كتابه القيم ثم استمر يقول إن هذا الوضع « مخالف لطبيعة الأشياء ولا يحمل عنصرا واحدا فى عناصر البقاء . . . إنه مخالف لروح الحضارة الإنسانية ، مخالف لروح الدين ، مخالف لروح العصر . ذلك فوق مخالفته لأبسط المبادئ الاقتصادية السليمة ؛ ومن ثم فهو معطل للنمو الاقتصادى ذاته بل النمو الاجتماعى والإنسانى » ثم استطرد يقول « إنه وضع شاذ، يهدر الكرامة الإنسانية ويفسد الخلق والضمير ويقضى على كل معانى العدالة، ويقتل الثقة الضرورية فى المجتمع والدولة وينشر القلق ويذهب بالاطمئنان »

وانبرى المؤلف الفاضل يبسط كل هذا ويتوج أدلته بالآية الكريمة « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

وقد جمل من هذا كله « صيحة نذير » أنذر بها الذين يتشبثون بهذا الوضع الشاذ ويقيمون له الأسناد وهم مابين مستغل يعز عليه أن يساهم فى التكاليف لإقامة المجتمع الصالح ، وطاغ لايرى إلا أن يقوم المجتمع على السلطان الزائف ، ومستمتع مرن على المتاع الفاجر ، ورجل دين محترف باع نفسه للشيطان بدراهم معدودة ، وهم جميعا يلقون بأيديهم إلى التهلكة ومعهم أوطانهم المنكوبة مالم تأخذ هذه الأوطان على أيديهم وفى الوقت متسع ولاغرابة ، فالحقائق لاتعالج كما نعالجها نحن اليوم بالخطب والمواعظ والفتاوى المحتالة ، ولا بكم الأفواه وحطم الأقلام . والمعدات الجائعة لاتفهم المنطق ولو كان صحيحا « وعلينا أن ندرك هذا قبل فوات الأوان . ولقد أوشك والله أن يفوت الأوان » . .

فاذا سكتت الأصوات كلها فهناك صوت لايمكن إسكانه وهو صوت المعدات الخاوية للملايين التى تملأ جنبات هذا الوادى فهنا ملايين تبذل العرق والدم ولاتنال مقابلها لقمة الخبز جافة ولاخرقة الكساء متواضعة « وهذا صوت جوع من الأحياء ماعرفت الشيوعية ولا غيرها ولكنها جائعة عارية مسختها تلك الأوضاع الاجتماعية الظالمة فحرمت حتى حاسة الاحساس بالظلم ، وحتى شعور الانسان بالحرمان بينما الشرف الفاجر الداعر يعربد فى المواخير والقصور والذهب المتجمد من دماء الملايين يبعثر على الموائد الخضراء وفى حجور الغوانى »

ثم شرع المؤلف يتهم هذه الأوضاع الاجتماعية فقال :

والمنادى من المنصوبات والاسم « معلم » مبنى على الضم ؛ فحركته ليست رفعا ! ؛ فالصواب أن يقال « الاسم منادى معرفة وحركته ضمة بناء » ، والمعرب يبنى على ما يرفع به لا أن يكون مرفوعا !

وجاء فى موطن آخر قوله : « إنشاء الله . . وهى خطأة تقارب الخطيئة فإن « إنشاء » مصدر « أنشأ » فالهمزة والنون من كيان الكلمة ، على خلاف « إن » « شاء » ؛ إذ هما كلمتان « إن » الحرف و « شاء » الفعل ، ومن ثم يجب الفصل

ولقد أحلنا الخطأ إلى تعجيل رصاف الحروف ، وإن كنت به غير ظنين !

بورسعيد أحمد عبد اللطيف بدر

المدرس بالثانوية

تنفذ ، ولكن التنفيذ يحتاج إلى المال وهو فى أيدى الرأسماليين والدولة تشفق أن تحمل رؤوس الأموال نصيبها الواجب من الأعباء لأنها لا تمثل الجماهير المحتاجة ، بل رؤوس الأموال ويضاف إلى ذلك أن الدولة فقيرة وغير جادة ، وأداتها الادارية فاسدة أفسدتها الاستثناءات والمحسوبيات وسوء النظام وبلادة الروتين والرشوة وخراب الذمة . والأثرياء الذين تمثلهم قد بشموا ثراء وعجزوا عن تصريف مافى أيديهم من ثروات ، وبعد كل هذا

أولا — بأنها تشل قوى الأمة عن العمل والانتاج ، وتشيع فيها التعطل فتضعف عن مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية وهى تتزايد على مر الأيام . وعلة العلل فى كل هذا سوء توزيع الأرض ، فلا تزال موزعة كما كانت فى أظلم عهود الاقطاع ، ومحتكرة فى أيد قليلة لا تستغلها استغلالا كاملا ولا تدعها للقادرين على الاستغلال ، وهم لا يملكون شيئا مع هذا ، فالأرض الصالحة للزراعة يمكن أن تتضاعف لو أن مشروعات الرى والصرف فالدولة مشغولة بالصراع الحزبى فى حلبة الأقزام التى أقامها الاستعمار منذ ربع قرن باسم الدستور ووقف يتفرج ويتسلى وهى فوق هذا مشغولة بحماية تلك الأوضاع الشاذة ..

وعدا هذا يقال « الأمة مصدر السلطات » ويتكلمون عن حق الانتخاب وحرية الاختيار ، وهى خرافة لا تستحق المناقشة فهذه الأمة « مصدر السلطات » هى تلك الملايين الجائعة الجاهلة المستغفلة يشير لها السادة فتنتخب ، ويشيرون لها فتمتنع لأنهم خزنة أرزاقها وملاك الاقطاع الذى يؤوى هؤلاء الجياع .. فالحديث عن الدساتير والبرلمانات يصلح مادة فكاهة يتسلى بها الفارغون

ثانيا — بأن الأوضاع المذكورة تفسد الخلق وتشيع الفساد فى المجتمع والدولة وهذا طريق الانحلال الفردى والقومى ومضى المؤلف يدلل على هذا بالفتيان المرد والشيوخ المترهلين الذين تجبى إليهم ثمرات الكد والعرق والدماء من جهود الألوف الجياع الحفاة العراة فتنقسم الأمة إلى قسمين قسم يغرى بما له فى جانب، وقسم يتطلع بعوزه فى جانب ، وما شئت بعد ذلك من استهانة بالأخلاق والعادات استهانة فصلها المؤلف تفصيلا مؤلما ، وبين ما يبنى عليها من اختلال موازين العدالة الاجتماعية وقال « إنما هى الحمأة الآسنة يصب فيها الوحل والقذى ثم تتسع وتتسع حتى تحيل المجتمع كله إلى بركة من الوحل النتن تغوص فيها الضمائر والأخلاق وتغرق القوميات والأوطان »

ثالثا — بأن الأوضاع الاجتماعية الحاضرة تقضى على تكافؤ الفرص وتقدم العدالة بين الجهد والجزاء وبذلك تشيع القلق والاضطراب فى نفوس الأفراد والجماعات ، وتجعل المساواة أمام القانون خرافة — ومضى يدلل على هذا ويقول : إن الذين يعملون فى هذا البلد هم الذين يجوعون . وإنما عنى المؤلف بالأعمال الشريفة منها التى لا تدخل فى قائمة السرقة والغش والاختلاس والتدليس والارتشاء واستغلال النفوذ وتجارة الرقيق الأبيض والخيانة الوطنية . . ومضى يقول : إن النفوس متى فقدت الثقة فى الخير والواجب والأمانة والضمير فقد فسد كل شىء وعم الإهمال والاستهتار وقد انتهينا إلى هذا وإلى ما هو أدهى منه . انتهينا إلى الشك المطلق فى صلاحية الإدارة المصرية وإلى الترحم على أيام الاحتلال وهذه كارثة الكوارث لأن فيها كفر المواطن بوطنه وبشعبه وبنفسه .. وتلك جريمة الاستثناآت والمحسوبيات

رابعا — اتهام المؤلف للأوضاع الاجتماعية القائمة بأنها تدفع الناس دفعا إلى أحضان الشيوعية وخصوصا ذلك الجيل الناشئ من الشبان الأبرياء ، فالشيوعية إن هى ضمنت كفاية الملايين الكادحين من الخبز والكساء فإنها تسلبهم الحريات جميعا، ولكن هذه الحريات مسلوبة الآن بطبيعة ما نحن فيه فلا ضير على أولئك الملايين ولا يحسون أنهم فقدوا شيئا كانوا يملكونه

خامسا — يتهم المؤلف الأوضاع الاجتماعية القائمة بأنها فى جملتها وتفصيلها مناقضة لروح الدين كله منذ أن عرفت البشرية الأديان السماوية جميعا

ثم قال :

« وهي أكثر مناقضة للاسلام الذي يصرخ في وجه الظلم الاجتماعي والاسترقاق الإقطاعي وسوء الجزاء .. ولا علاج لما نحن فيه لا بالشيوعية ولا بالاشتراكية ولا بالفاشية وغيرها .. فالدواء الناجع الدائم هو في الإسلام ، فهو يقر مبدأ الملكية الفردية ولكن يعد العمل هو السبب الوحيد للملكية والكسب ، ويعني العمل كل أنواعه ، ويحرم الربا لأنه ينتج عن رأس المال كما يحرم الغش والاحتكار والربح الفاحش والمستقطع من أجور العمال وهي تبلغ نصف الربح كما رواه بعض فقهاء الإسلام ، ويحرم أيضا السرقة والنهب والسلب والإكراه ولا يعد كل ذلك وسائل للتملك أو وسائل لتنمية المال ، وهذا من طبعه يمنع التضخم في الثروات منذ البداية فيقي المجتمع الأذى ويمنع فوارق الطبقات . ويضاف إلى هذا ضريبة الزكاة الدائمة وهي تعادل ٢٫٥ ٪ من أصل الثروة كل عام وتجبيها الدولة وتتولى إنفاقها بنظام ، يعني قابل للتطور حسب حاجات المجتمع وأوضاعه ، كما تجبى سائر الضرائب. فهي ليست إحسانا يخرج من يد إلى يد ، وما يفعله المسلمون اليوم ليس هو النظام الذي فرضه الاسلام

وللدولة حتى تتغير الأحوال وتبرز الحاجات حق مطلق في المال لا يقف في وجهه حق الملكية الفردية . فللدولة أن تفرض ضرائب خاصة غير الضرائب العامة تخصصها لكل وجه طارئ من أوجه الانفاق لم يحسب حسابه في المصروفات العامة أو تعجز الميزانية العادية على الانفاق عليه . فللدولة مثلا أن تنزع من الملكيات وتأخذ من الثروات بنسب معينة كل ما تجده ضروريا لحماية المجتمع من مختلف الآفات التي تتعرض لها المجتمعات . بل للدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعا وتعيد توزيعها على أساس جديد ولو كان الملك شرعيا لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أولى بالرعاية من حقوق الأفراد وذلك هو التكافل الاجتماعي تحتم على الدولة أن تتلافى الضرر الذي يصيب المجتمع لأنه يقع على كل أفراده ، وحتم عليها أن تقي هؤلاء الأفراد من أنفسهم عند الاقتضاء !

وللدولة أن تبقى على الملاك أراضيهم ثم تعطيهم قدرا يزرعونه في حدود طاقتهم وتمنح حق الارتفاق على سائرها من تشاء من المحتاجين القادرين يشغلونه لحسابهم بلا أجر ولا كراء

وللدولة أن تحدد إيجارات الأرض أو نسبة من المحصول لا جور فيها على المستأجر وبتقرب بما يحقق العدالة ويحث على بذل أقصى الجهد في الانتاج وهذا أعدل وأمهر وأشمل من النظام الشيوعي

هذا فيما يختص بالنظام الزراعي

أما فيما يختص بنظام العمل والأجر فالاسلام يقدس العمل والمبدأ العام ، عدا حصول العامل على نصف الربح ، أن يستجد الحاكم من الأحكام بقدر ما يجد في الأقضية . فمبدأ « مصالح المجتمع التي لم يرد فيها نص » ومبدأ « توقي الأخطار المحتملة » يمنحان الدولة كل الحرية في التشريع في حدود العدل وكفاية العامل ورضاه على ضوء المصلحة الاجتماعية العامة وضوء المبادئ الاسلامية ومقتضيات الأحوال . فلم يحدد الاسلام قواعد ثابتة وترك المجال حرا لقبول تجارب البشرية في كل زمان وبقي حارسا للاتجاه العام

والاسلام لا يقر نظام الاحتكار ولا حقوق الامتياز في الموارد والخدمات العامة ، وهو أي الاسلام يبيح ويقر ما يسمى « تأميم المرافق العامة » لأن ذلك من مبادئه الرئيسية ، وما ينتج عن التأميم يعود لخزانة الشعب لا لخزائن الأفراد

ويحل الاسلام مشكلات أخرى فانه يمنح أهله الذاتية الشخصية التي تبرز في المجتمعات الدولية ، ثم إنه عقيدة استعلاء واعتداد وهو يأبى علينا أن نسلم زمامنا ونكون ذيلا لكتلة شرقية أو غربية ، ونحن نتجاوز مائتي مليون يكون غدا ونتحكم عبرا كزنا الاستراتيجية ومواردنا الطبيعية في كتلتي الشرق والغرب لو كان لنا علم واحد نؤوب إليه ونتكتل في ظله .

فروح الإسلام من القوة بحيث لا تخضع للتلاشى ، وإذا ماتجمعنا تحت العلم الإسلامى فقد نمسك بميزان التوازن ونكون واسطة عقد السلام فينتهى الجنون الذى تزاوله الكتلتان بإثارة حرب ثالثة ، وهما إنما تتصارعان علينا نحن الممتلكات والمستعمرات والأشياء ! .. وغير خاف أن الكتلة الشرقية شيوعية والكتلة الغربية رأسمالية وكفى ! وفى الإسلام جميع محاسن الاشتراكية والشيوعية من دون مساوئهما وتزيد على هذه وتلك آفاقا أعلى وأسمى وأشمل ، وتعاونا إنسانيا كاملا وتكافلا اجتماعيا صحيحا . ولا بدع فالإسلام يرفع قيمة الحياة إلى المستوى اللايق مما لم يصدر عن الله

من بعد ذلك خلص المؤلف إلى النتيجة المترتبة على ما تقدم وهى « لا بد للاسلام أن يحكم إذا أريد له أن يعمل ، فما جاء هذا الدين لينزوى فى الصوامع والمعابد ويستكن فى القلوب والضمائر .. إنما جاء ليحكم الحياة ويصرف أو يصوغ المجتمع وفق فكرته الكاملة عن الحياة وذلك بالتشريع والتنظيم » و« مما سبق عرضه من مشكلات اجتماعية وقومية وطريقة علاج الاسلام لها يتبين بما لا لبس فيه ضرورة الحكم للاسلام »

وفسر هذه الضرورة بأن قال إن الدين المسيحى هو مجرد دعوة للتطهر الروحى ولم يتضمن تشريعا للحياة الواقعة ، « وعلى توالى الأزمان أصبحت المسيحية محصورة داخل الكنيسة والحياة من حولها أبعد ما تكون عن روحها السمحة المتطهرة »

ثم نعى على المسلمين أنهم حاولوا مثل هذا الأمر بالاسلام لالأنه لم يتضمن التشريعات التى تحكم الحياة وتصرفها ، بل لأننا أردنا أن نقلد فى غير فطنة .. أوربا فنحكم بالقوانين المدنية ، وإنما اضطرت أوربا إلى ذلك لأنها لم تجد فى المسيحية تشريعا للحياة . بل هى مجرد عقيدة روحية وصلاة .

ثم مضى المؤلف يقول : إن دستور الدولة الحاضر ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، ومعنى هذا أن تستمد القوانين كلها من الشريعة الإسلامية القادرة على تلبية الحياة المصرية ونموها وتجددها مع الانتفاع بتجاربنا وتجارب الانسانية كلها فيما يتفق مع فكرة الاسلام الكلية ومبادئه العليا عن الحياة

وإذا ماحكم الاسلام قدم للإنسانية مجتمعا من طراز آخر قد تجد فيه الانسانية حلمها الذى تحاوله الشيوعية ولكنها تطمسه بوقوفها عند حدود الطعام والشراب ، وتحاوله الاشتراكية ولكن طبيعتها المادية تجعله خلوا من الروح والطلاقة ، والذى حاولته المسيحية ولكنها لم تنظم له الشرائع ولم تضع له القوانين

* * *

ثم أخذ المؤلف فى نفى الشبه عن حكومة الاسلام فقال : إنه ليس حكم المشايخ والدراويش ! ويخلط الناس بل أكثرهم بين الشريعة الاسلامية فى ذاتها وبين النشأة التاريخية لهذه الشريعة التى استجابت لمطالب حياة البادية ، ثم الدولة الناشئة فى عهد محمد المتوسعة فى عهد عمر ، ثم ظلت تستجيب لحياة الحضارة فيما بعد ما بقيت فى الأمة الاسلامية حياة ، فإذا كان قد توقف نموها فلأن حيوية الأمة الاسلامية ذاتها توقفت ، فإن دبت الحياة فى هذه الأمة فالشريعة الاسلامية حاضرة تلبى حاجاتها المتجددة بما فيها من سعة ومرونة وشمول ، فهى قادرة على أن تمد الشرع الحديث بكل خدمات الحياة الراهنة المتجددة . ثم إن هذه الشريعة وروحها من روح الجماهير ، ولا دخل هنا للمشايخ والدراويش ، فليس فى الاسلام « رجال الدين » يعيشون متعطلين متبطلين على الأذكار والنذور ، فلا جزاء بغير عمل اجتماعى منتج ، ولا عبرة بمن يستبد باسم الدين ، فالمرجع فى الحكم على نظام ما إنما يجب أن يكون على قواعده وأصوله لا على مخالفاتها بسبب الجهل والانحطاط أو الفوضى وسائر العوامل الأخرى ، والمقرر أن الاسلام لا يدعو إلى الاستبداد من الحاكم والرضى والخنوع من المحكومين

ثم إن الاسلام لا يتدخل فى الشؤون العلمية البحت ولا العلوم

التطبيقية ، فقاعدة « أنتم أعرف بشؤون دنياكم » من القواعد الأساسية المرعية فيه

ثم إن الاسلام إذا نص فى الحدود على قطع يد السارق ، ورجم الزانى وجلده وجلد غير المحصن .. الخ فلا إقامة لهذه الحدود إلا مع قطام العذر ، فإذا كانت هناك مبررات اجتماعية وفردية فلا عقوبة ، بل العقوبة على من دفع المجرم إلى جريمته ، والشاهد ما فعله عمر مع غلمان سرقوا ناقة لأن سيدهم لا يعطيهم الكافى من الطعام فأطلق الغلمان وغرم السيد ثمن الناقة ضعفين . ثم لما كان الجوع فى عام الرمادة عطل حد السرقة . ورجم الزانى لا يجوز إلا فى حالة ما إذا ضبطه الشهود فى تلبس كامل ، وهذا فى الوقت الذى لا يباح فيه أن يتسور على أحد داره أو يتجسس عليه ، فن استتر بالمعصية فأمره إلى الله ، أما المستهتر ناشر الفاحشة فيؤخذ بالعقاب . إن الجموع حين تندفع فى تيار العمل النشيط المنتج لن تكون هناك جرائم تقام عليها الحدود إلا فى القليل النادر ، ولا ننسى أيضا مبدأ « ادرأوا الحدود بالشبهات »

ومضى الكاتب يقول إن الأصول الاسلامية ليست هى الشروح والحواشى التى تقتل شباب طلاب العلم وترميهم بالجدل العقيم ، إن الحلال بين والحرام بين ، وكل ما صدر عن المذاهب الأربعة كان أساسه الكتاب والسنة ثم الاجماع والقياس

وأما فى الحريم فالاسلام أباح لها الملك والكسب بالطرق المشروعة ومنحها حرية تزويج نفسها ، فلا إرغام ولا ضغط ومنحها حق الخروج والدخول فى ثياب محتشمة ، وبالجملة أتاح لها الحرية التى لا تؤذى قط ولم يأمر بوضع النساء فى الحريم ، ولم يحولهن إلى سلعة ، ولم يقر الاباحية الحاضرة ، فلا خوف من الاسلام على امرأة فاضلة تزاول النشاط الانسانى فى حدود الشرف والكرامة

ثم قال المؤلف : إنه لا خوف من حكم الاسلام على الأقليات القومية فى بلاده ، فما من دين فى العالم وما من حكم فى الدنيا ضمن لهذه الأقليات حرياتها وكرامتها وحقوقها القومية . لقد دلل الاسلام وحده حق الأقليات الأجنبية عنه وعن قومه وحق فى البلاد المفتوحة ، وضرب الكاتب أمثلة لذلك

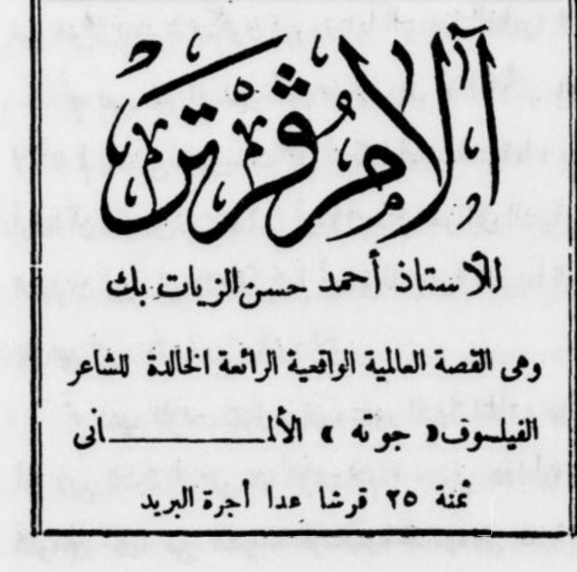
ثم انتقل إلى عداوات ضد الإسلام من أول الحروب الصليبية فالاستعمار إلى الرأسمالية فإلى الإسرائيلية فى فلسطين فقال إن الدولة اليهودية ليست جنسية بل ديانة تضم أخلاطا من روس وألمان وبولونيين وأمريكيين ومصريين وغيرهم ، وقد شجعتها إنجلترا ومونتها أمريكا ونسيت روسيا الشيوعية مبادئها الأساسية بجنب المصلحة الشخصية

ولا ننسى التبشير فهو اختلال روحى وفكرى يوحى بنبذ الوطن . وقد أفاض المؤلف فى هذا الباب وذكر أيضا عداوات المستغلين والطغاة والمحترفين من رجال الدين والمستهترين والمنحلين والشيوعيين ودلل على كل هذا بالأمثلة الحية

ثم عقب على ذلك كله بدعوة « الجماهير » إلى تدبر كل ما مر فى كتابه وأهاب بها أن « الطريق واضح ولا سواه » لمن أراد المساواة والحرية والعدالة وكان مؤمنا بنفسه وقومه ووطنه وشعر بأن له مكانا كريما فى الوجود »

هذا هو كتاب « معركة الإسلام والرأسمالية » أملاه على مؤلفه الفاضل اقتناع مطلق بعد بحث طويل وثقافة صحيحة سليمة ، وإيمان بالاسلام وحقه ، ووطنية مصرية صميمة ، وميل فطرى إلى الحق والعدل ، ونفور من العبودية والذلة ، وبعد عن البدع والمروق ، فما أشبهه بابن تيمية والأفغانى والكواكبى وأضرابهم من دعاة الاصلاح الجريئين ، ونفع الله بكتابه كل قارئ ينشد الهداية والطريق المستقيم

حلوان محمد صادق رستم



الأعلام الشرقية

فى المائة الرابعة عشرة الهجرية

١٣٠١ — ١٣٦٥ ١٨٨٣ — ١٩٤٦

الأمم الناهضة تقدر رجالها أحياء وأمواتا ، فتعنى بتراجمهم بعد وفاتهم ، تسجيلا لأعمالهم وحضا للأحياء على الاقتداء بهم فى خدمة الأمة فى شتى النواحى . بل دراسة تراجم كل أمة فى كل عصر هى المرآة الصادقة فى تحديد مركز تلك الأمة فى ذلك العصر نهوضا وخمودا . ففي تراجم الرجال تتمثل حضارة الأمة وثقافتها وتقدمها وتأخرها . فهى إذا معيار صادق يرجو المخلصون فى خدمة أمتهم إنصافها إياهم فيه ، ويخشى المقصرون حكمها عليهم . فإذا لم يترجم لهؤلاء وأولئك ضاعت مواضع الأسوة الحسنة وسوء الأحدوثة من التاريخ ، فيصبح المخلص والهادم على حد سواء

وقد عنى الأقدمون بالتراجم عناية أخرجت لنا هذه المعاجم التى يردها الباحثون . ويسرنا أن تتجه عناية الأدباء المعاصرين إلى التراجم فيقومون بما يجب على الأمة من تخليد تراجم رجالها

ومنذ عهد المؤرخ الجبرتى ليس بين أيدى الباحثين مراجع تشفي غلة روح التراجم ، حتى نهض الأستاذ زكى مجاهد بتأليف (الأعلام الشرقية) فقدم لنا فيه تراجم أعيان القرن الرابع عشر الهجرى على اختلاف ديارهم وأقطارهم وتنوع ثقافاتهم ، متمما لما قبله من كتب التراجم كحلية البشر فى القرن الثالث عشر للبيطار ، وسلك الدرر للقرن الثانى عشر للمرادى ، وخلاصة الأثر فى القرن الحادى عشر للمحبى ، والكواكب السائرة فى المائة العاشرة للغزى ، والضوء اللامع للقرن التاسع للسخاوى ، والدرر الكامنة للمائة الثامنة لابن حجر ، و . . . الخ ما ألف على القرون

وقد قسم المؤلف معجمه هذا إلى طبقات ؛ طبع منها وصدر :

القسم الأول فى الملوك والأمراء

والقسم الثانى فى الوزراء والسفراء

والقسم الثالث فى زعماء الحركة الوطنية

والقسم الرابع فى أعلام الجيش البرى والبحرى

والقسم الخامس في العلماء

وكل قسم منها مرتب على حروف المعجم . وهو أجمع كتاب صدر فى تراجم الشرقيين فى هذا القرن ، فنشكر للمؤلف جميل صنعه

وقد تابع المؤلف مصادره فى النصوص من غير تصرف منه فى التراجم ، والمحافظة على النصوص من أهم الأمور فى التاريخ . وهذا يبرئ قلمه من النقد لرده الأمر إلى مصدره ، وإلى الباحث المحقق المقارنة بين الروايات عند اختلافها ، والشخصيات السياسية قد تصطنع لها هالات تخر أو مآخذ تبعا لأهواء الأحباب والخصوم ، ثم الأحداث المتصلة بشتى الجهات من آراء فى تلك الأحداث ، وهذه الدراسة لعلها لا تتيسر فى ظروف خاصة ، فيكون ترك تلك المسائل تحت البحث أدنى إلى الصواب قبل البت فيها بعاطفة مجردة ، وليس التاريخ قصصا تسرد ، إنما هو أسباب ونتائج

محمد شفيق محمد





مطبعة الرسالة



العدد ٩٥٢ — أول أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٢٧ ، ٣٧

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لجنة الأدب

إعلان عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الانتاج الأدبى سنة ١٩٥٢ – ١٩٥٣

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا : تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل وحدهم :

(ا) ١ – أحسن ديوان شعرى لا يقل من ألف بيت

٢ – أحسن قصة تتناول بعض المشاكل الاجتماعية فى العصر الحاضر بحيث لا يقل عدد صفحاتها من ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة

(ب) أحسن بحث مستوفى مبتكر يسير على المنهج العلمى الحديث فى

١ – السيد محمد مرتضى الزبيدى

٢ – تميم بن المعز الخليفة الفاطمى المصرى

على ألا يقل عدد صفحات كل من هذين البحثين عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن مائة وثمانين كلمة

(جـ) أحسن تحقيق علمى على النمط الحديث لكتاب عربى قديم قيم فى اللغة أو الأدب لم ينشر من قبل – على أن تقدم له مقدمة علمية فى قيمة الكتاب والتعريف بمؤلفه ونسخه التى روجعت الخ

ويقدم هذا التحقيق للمجمع مطبوعا أو معدا للنشر

ثانيا : تخصص لأدباء البلاد العربية عامة جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يقدم أحسن بحث فى النقد الأدبى فى القرن العشرين على ألا يقل عدد صفحات هذا البحث عن ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة

ويشترط فى مسابقة تحقيق كتاب قديم ألا يكون قد نشر من قبل

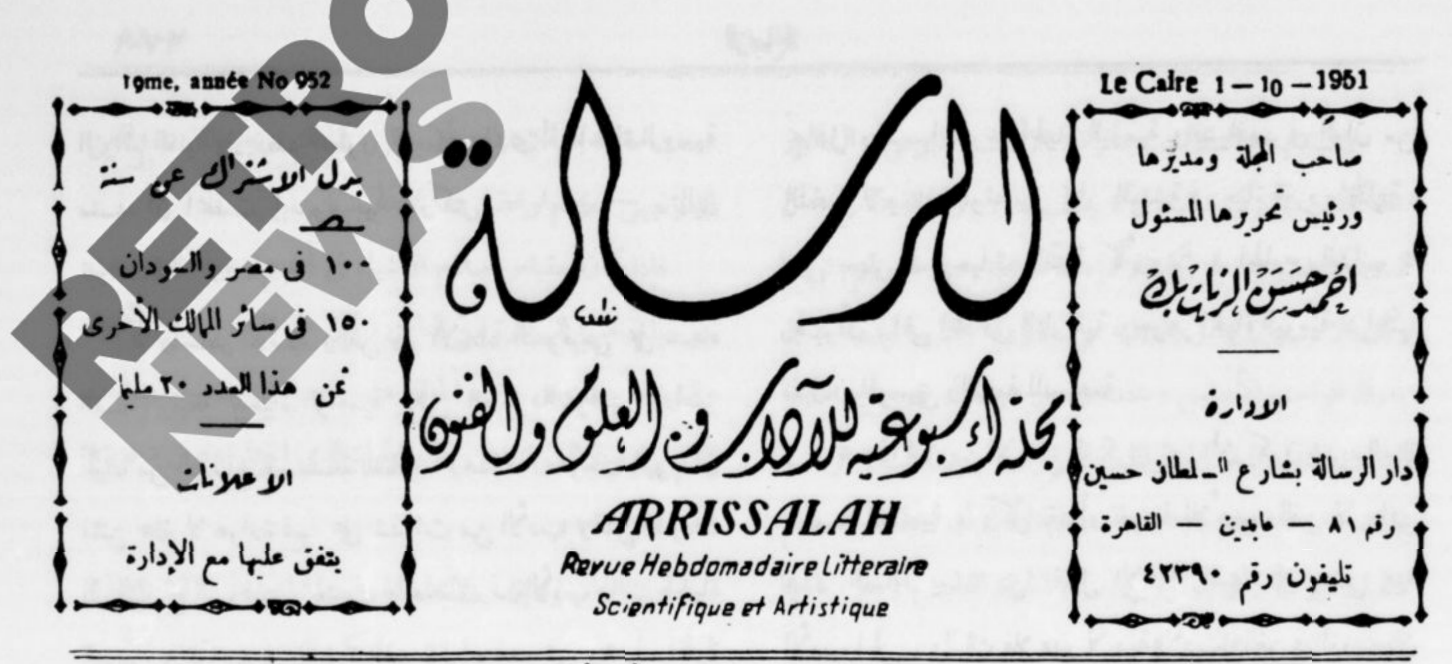
ويشترط فى غيره من الموضوعات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٧

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٢

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة أخرى لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية

وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية بشارع قصر العينى ١١٠ القاهرة



العدد ٩٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ — أول أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدولة والأدب
فى الاتحاد السوفييتى

للأستاذ عمر حليق

هناك ظاهرة جديدة يلمسها المتنبه للانتاج الفكرى فى الاتحاد السوفييتى فيما يصل إلى الأوساط الأدبية هنا فى نيويورك من كتب ومجلات ومقتطفات تتعاون مع نشرها باللغة الإنجليزية المؤسسات العلمية الأمريكية والمعنيون بالشؤون الداخلية لروسيا السوفييتية تنويرا لأذهان الرأى العام عن اتجاهات الفكر الروسى المعاصر

هذه الظاهرة الجديدة هى انتقاد المراجع السوفييتية الرسمية لما تعتقد بأنه « شعوبية » ألمت بطائفة من رجال الأدب والفن الروسى فى معالجتهم لشؤون الحياة ونظرتهم إليها بين آن وآخر من زاوية لا تراعى مراعاة دقيقة إيديولوجية ماركس ـ لينين ـ ستالين التى هى عماد الفكر والحياة السوفييتى المعاصرة

خذ مثلا ما قالته جريدة « برافدا » لسان حال الحكومة الروسية الحاضرة فى عدد ١٤ أغسطس ١٩٥١ فى افتتاحية يقرؤها الملايين فى مختلف اللغات الإقليمية التى تتكلم بها شعوب الاتحاد السوفييتى فى شرق أوروبا وشمالى آسيا :

« الأدب والفن فى روسيا يجب أن يقتديا بمبادئ الحزب الشيوعى الذى هو عماد العهد السوفييتى . والحزب (الشيوعى) لم يبخل بالجهد فى إفهام الكتاب والفنانين بأن فكرة « الفن للفن » لا تتماشى مع المصلحة الجوهرية للنظام الشيوعى والعهد السوفييتى الذى حققت لروسيا هذه المكانة وهذه الرفعة

« فالبيان الذى نشرته مؤخرا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى يشرح بوضوح أن الأدب السوفييتى — وهو فى الطليعة بين الآداب المعاصرة - يستند فى أصوله إلى حقيقة واحدة وهى أن كل إنتاجه فكرى لا يعالج صميم الحياة الشعبية ولا يلمس المصلحة الأساسية — عاطفية كانت أم سياسية أم اقتصادية — للكثرة من الشعب — كل إنتاج من هذا القبيل هو سوء اجتهاد :

« فهذه القصص والمسرحيات واللوحات والقطع الموسيقية التى أنتجها المبدعون خلال العهد السوفييتى ولاقت رواجا شعبيا واسعا لم تضمن هذا الرواج وهذه الرفعة إلا لأنها صاغت فى القالب الفنى ألوانا من الحياة الواقعية التى عاشها أبطال هذه

الروائع الفنية فى خضم التطور الاجتماعى الذى ألم بالحياة الروسية منذ أن اتخذت إيديولوجية ماركس — لينين — ستالين نبراسا لها

« واستمر الأدب والفن فى الاتحاد السوفييتى على هذه الصلة الوثيقة بالحياة الواقعية لخلق الفكر السوفييتى المعاصر ألوانا من الإبداع هو مدعاة للفخر . وهذا ما استوجب اليوم أن نشن حملة لا هوادة فيها على شذرات من الأدب والفن تسربت إلى الإنتاج السوفييتى الحديث فتجاهلت صلة الأدب والفن بالحياة اليومية وانساقت فى خمرة « الفن للفن وحده » . وهذه الخمرة برجوازية (رأسمالية) لا ترضى عنها إيديولوجية السوفييت . وأصبح لزاما على هؤلاء « الشمويين » من الكتاب والفنانين أن يزيلوا الغشاوة عن عيونهم وأن يساهموا فى دفع أذى هذه الخمرة البرجوازية » . اهـ

ونشر الكاتب السوفييتى المعروف (ا. سوكوف) طعنا فى هذه « الشموبية » كراسا خص بالنقد فيه مجلتين أدبيتين حديثتين هما « لينينغراد » و « سفيزدا » وحلقات للانتاج المسرحى فى بعض المقاطعات السوفييتية الآسيوية وفى أكرانيا

قال سوكوف :

« من أبرز الإنتاج الفكرى خلال الأعوام الخمسة الماضية (أعوام ما بعد الحرب) بين أدباء وفنانى ولايات خوزستان وتركستان وأزبا كيستان وأزربيجان هو عزوفهم فى قرض الشعر عن مواضع لا تمت إلى الحياة الشعبية السيارة والتفاتهم إلى نواح فى الإنتاج الفنى النثرى صلتها بالحياة الواقعية صلة صادقة متينة

« ورغم هذا الاتجاه القويم فإن السنوات الخمس الماضية قد شاهدت لونا من الإنتاج الفنى لا يليق بالفكر السوفييتى . ومثال ذلك القصص والمسرحيات التالية : « دخان الوطن » لسيمونوف و « حياة بكتوف » لسافرونوف و « نهر النار » لخوزيفيكوف

« والنقيصة التى تشترك فيها مثل هذه الأعمال الأدبية هى تجاهل واضعيها جوهر الحياة اليومية وانسياقهم فى ألوان من التخيل لا يستمد قوته من تيار المعيشة فى حياة الفرد والجماعة . حتى بعض المسرحيات الفنية كأوبريت « الحارس الشاب » يجب أن تراعى الحقائق التاريخية وجوهر الحياة اليومية مراعاتها للميزان الموسيقى والنغمة المنسجمة

« هذا لون من الإبداع الفكرى يجب أن يكون شديد الصلة بالحياة الواقعية ، وكل نقد أو تقريظ للأدب والفن لا يراعى هذه الصلة يعد من قبيل الإهمال الذى لا يرضى عنه الأدب الحى . ولذلك فلا عذر لأندية الأدب والفن فى أزربيجان وأرمينيا وأستونيا مثلا أن تتجاهل هذه الحقيقة عندما تهاونت فى انتقاء طائفة من المسرحيات والقصص والأوبرات الشموبية التى ظهرت فى الأسواق الأدبية هناك عزيزة آمنة . »

ويناصر هذا الأديب الروسى المعروف حملة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى على هذه « الشموبية » فى الأدب والفن ، ولا يجد غرابة فى أن تشن الصحافة الرسمية فى روسيا حملتها على النقاد والحلقات الأدبية والفنية والعواصم والأقاليم . ويختار أديبنا هذا بالذات قصيدة للشاعر الأكرانى (سوسيدرا) عنوانها « أحب أكرانيا » لاقت فى مقاطعة أكرانيا رواجا وقبولا حسنا . وأكرانيا ولاية فى روسيا الأوروبية عرف أهلها بنزعتهم القومية المحلية وتعلقهم بها تعلقا يعرفه كل مطلع على تاريخ الشعب الروسى

وينتقد سوكوف حلقات الأدب فى أكرانيا لتركها هذه القصيدة تمر دون نقد يأخذ بحيث الاعتبارات الإيديولوجية السوفييتية

ثم يمضى سوكوف فى استعراضه لاتجاهات الأدب السوفييتى الحديث فيقول « إنه وإن كان يحلو لنا أن نعترف بنجاح الأدباء والكتاب السوفييت نجاحا لابد من الثناء عليه إلا أنه يجب علينا أن نعترف كذلك بأن الإنتاج الأدبى والفنى فى روسيا لم يصل بعد إلى الكمال ولم يستطع بعد أن يتكافأ مع عظمة النمو الصناعى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى حققه عهد ستالين »

ويستشهد الكاتب بمأثرة للأديب الروسى الكبير «ماكسيم جوركى» فيقول «يطيب لنا — والحالة هذه — أن نستذكر نصيحة جوركى للأدباء الأحداث حين قال لهم : إذا كان للأدب أن يحقق ما عليه من مسؤولية للأمة فإن عليه أن يدرك الواجب الأساسى وينفذه فى غير هوادة أو اعوجاج. هذا الواجب هو مراعاة الجد والدقة فى دراسة صور الحياة الواقعية المعاصرة . حياة اليوم والساعة . وعلى الأدباء أن لا يقطعوا صلتهم بالحياة اليومية وأن يمعنوا فى تصوير الحياة العاملة بأوسع معانيها فى إطار الفن والإلهام . »

وقد تناولت كبرى مجلات الأدب الروسى « جازيتا لترانوريا » هذه « الشعوبية » فى بحوث عديدة بأقلام عدد من كبار الأدباء الروس كلها تنتقد موجة « الفن للفن وحده » التى تسربت إلى بعض الأوساط والحلقات الأوربية فى ولايات روسيا الآسيوية والأوربية

وهذا الاهتمام الزائد الذى واجهت به السلطات الروسية الرسمية هذه « الشعوبية » الطارئة مدفوع باليقظة الدقيقة التى تراقب بها حكومة ستالين اتجاهات الفكر فى القارة السوفييتية

وقد توافق أو تخالف مبدأ « الفن للفن وحده » . فالجدل حول هذا الموضوع لم يخل منه تاريخ الآداب الإنسانية قديمها وحديثها . إنما المهم أن نتعرف على مركزية الفكر فى الاتحاد السوفييتى ومبلغ الجد فى حماسها لجعل إيديولوجية ماركس — لينين — ستالين شاملة لشتى نواحى النشاط الإنسانى سواء أكان اقتصاديا أم سياسيا أم فنيا

وليس المهم أن نستعرض هنا صلاح هذه المركزية الفكرية أو طلاحها، فلقد تقرر فى المهد السوفييتى تسخير النشاط الإنسانى بأسره لتحقيق الاشتراكية الماركسية الكاملة

فإذا تقرر أن الإنتاج الاقتصادى مثلا يجب أن يتماشى مع المبدأ الشيوعى المعروف « من كل بقدر ما يستطيع إلى كل حسب حاجته » فلامفرمن أن يتقرر كذلك توجيه الأدب والفن السوفييتى ليخدم ويحقق هذا المبدأ

فإذا كان مقياس صلاح الأشياء فى أيديولوجية السوفييت هو مبلغ نفعها للكثرة من الناس ، فإن على المبدعين من الأدباء والشعراء والفنانين — والحالة هذه — أن يضعوا مصلحة الأيديولوجية السوفييتية ونظام الحياة الذى اختارته فوق «نعرة» الفن للفن وحده

ونشاط المسؤولين فى الاتحاد السوفييتى لمحاربة هذه «الشعوبية» لم يقتصر على توجيه النداءات وتذكير النقاد وحلقات الأدب والفن بعلاقة الأيديولوجية السوفييتية بالإنتاج الأدبى والفنى. ففى عدد ١٨ أغسطس من جريدة برافدا افتتاحية تناولت الدور الذى يجب على بيوت النشر والطباعة فى روسيا عمله لمحاربة هذه «الشعوبية» قالت برافدا :

« الواجب الرئيسى لدور النشر والطباعة فى الاتحاد السوفييتى هو صيانة الأدب الرفيع فى إطار المبادئ السوفييتية . فالكتب والمجلات يجب أن تستذكر دائما مبادئ العهد السوفييتى وأسسه الفكرية. وكل انصراف عن هذه المبادئ يضر بالحياة السوفييتية، فيجب أن لا نطرح فى الأسواق الروسية كتب ومجلات لا تراعى طبيعة الكيان الاجتماعى والفكرى للشعب السوفييتى وتراثه الأدبى والفنى ومصلحة السياسة والاقتصاد والقومية

« وإن من دواعى الأسف أن ينساق نفر من دور النشر فى غمر الأسواق بإنتاج أدبى وفنى لا يراعى هذه الحقائق . فإذا كانت الرغبة فى ترويج الكتب وزيادة أعدادها هو الدافع لهذا الاتجاه فإن هذه الرغبة خاطئة . فالمهم فى الإبداع الفنى قيمة الكتاب لا عدد ما يباع منه. ويجب أن يكون الكتاب السوفييتى خير كتب العالم من حيث صدق الفكرة وروعة الفن وحيوية الأدب وصلته بالحياة الواقعية لا من حيث عدد ما يطبع منه

« والدولة السوفييتية لا تشجع أصحاب دور النشر أن يتبعوا أساليب البرجوازيين الرأسماليين فى ترويج الكتاب على أساس

من خمرة الحس والشهرة وأهواء المرضى من أصحاب الثقافة المشوهة »

ولفتت « برافدا » النظر إلى ضرورة تثقيف المسؤولين عن اختيار الكتب والمقالات في بيوت النشر الروسية وترقية أذواقهم الفنية في إطار الأيديولوجية السوفييتية ، وتعرضت « برافدا » بالذات إلى مجلة « الفن » (اسكوستوفو) الروسية وقالت بأن بعض محرريها تعوزهم الثقافة الصادقة والذوق الفني الصحيح

حتى اللغة وقواعد الصرف والنحو لم تخل من اهتمام الدولة السوفييتية إزاء هذه الظاهرة

فقد نشر ستالين نفسه منذ بضعة أشهر فقط دراسة دقيقة في كراس عنوانه « الماركسية ومسألة اللغات » عالج فيها عاهل روسيا علاقة اللغة بالأيديولوجية السوفييتية من وجهة النظر الماركسية ، وقال ستالين : « إن الفهم الصادق لقوانين التطور في لغات الشعوب أمر له أهمية خاصة لتحقيق الاشتراكية الكاملة »

وقد شرح ستالين هذه القوانين فأشار إلى « ضرورة خلق ظروف وملابسات معينة تعجل نمو لغة موحدة في دولة كالاتحاد السوفييتي تضم عشرات اللغات واللهجات والثقافات المتباينة

وهذا التباين في المقومات الثقافية لشعوب الاتحاد السوفييتي في قطاعاته الآسيوية والأوربية كان من أبرز ما اهتم به ستالين في مطلع حياته الفكرية ، وكتابه عن « الماركسية ومشاكل القوميات » يسجل إدراك ستالين للمشاكل العاطفية وتباين مقومات الخلق القومي فيما وضعه البلشفيك من نظام لروسيا السوفييتية

وستالين — ككل ماركسي واع — من أعداء القوميات لأنها في اعتقادهم تعرقل تحقيق الاشتراكية الكاملة في عالم تتشابك فيه المصالح الاقتصادية والسياسية ويتكل بعضها على بعض كما هو الحال في هذا الإقليم الواسع الذي يتألف منه اليوم الاتحاد السوفييتي

ولكن آراء ستالين في مشاكل القومية لم تمنعه عن مبلغ قوتها خصوصا بعد هذه التجارب الطويلة التي خبرها أولو الأمر في روسيا في معالجتهم للقوميات المحلية في القطاعات الآسيوية والأوربية التي تشكل اليوم الدولة السوفييتية

ولذلك فإنك تلمس في دراسة ستالين الجديدة عن « الماركسية ومسألة اللغات » تحويرا في بعض آرائه القديمة عن القوميات . وتدرك في ثنايا هذه الدراسة مناورة فكرية جديدة

فستالين أصبح الآن يعتقد بأن تطور الشعب نحو الشيوعية الحق يمر في مرحلتين بتوازى ويتناسق فيهما هذا التطور

الأولى — مرحلة قديمة بحتة تعبر الجماعة فيها عن مشاعرها وآمالها القومية المحلية في لغة الجماعة وثقافتها القومية المحلية

والثانية — مرحلة أعم اتساعا تنمو فيها الفكرة « الإقليمية » أولا ثم « العالمية » بعد ذلك فتتسع الآفاق على نحو تفرضه العلاقات الإنسانية في عالم انمحت فيه المواصلات الفكرية واحتكت فيه الثقافات والأفكار احتكاكا متزايدا

وهاتان المرحلتان تسيران متحاذيتين . ففي حين تنمو التعبيرات القومية في اللغات المحلية نموا طبيعيا تنمو كذلك المرحلة الثانية « الإقليمية ثم العالمية » نموا أشد قوة لأنها تهيمن على كثير من أوجه النشاط الإنساني في عالم يزداد احتكاك أجزائه يوما بعد يوم ، ويفرض على القوميات المحلية ضرورة الاندماج

ولا يترك ستالين آراءه هذه في إطارها العام ، وإنما يستدرج القارئ إلى الهدف الخاص الذي دفعه إلى معالجة مسألة اللغات

ويشرح ستالين كيف أن الأيديولوجية السوفييتية قد حققت للقوميات المحلية في القطاعات والولايات الروسية المتباعدة فرصا لتنمية لهجاتها ولغاتها الوطنية على مبادئ ماركس ولينين

وفى رأى ستالين أن اللغة تنمو فى اتجاهين :

إتجاه يعمل على زيادة المفردات والمصطلحات فى اللغة المحلية ويزيد من ثروتها التقليدية بفضل التعبيرات الحديثة المستمدة من الحياة الاشتراكية الجديدة وما خلقته من تطور اجتماعى وصناعى وسياسى واقتصادى وثقافى

أما الاتجاه الثانى فيعمل على توحيد هذه المفردات والمصطلحات والمشتقات والتعبيرات المستعارة فى الحياة السوفييتية الجديدة بين مختلف اللغات القومية المحلية التى تعيش على النظام الأيديولوجى الجديد . ويجرى هذا التوحيد فى إطار قواعد نحوية وصرفية جديدة تشترك فى اقتباسها هذه اللغات المحلية فتخلف فيما بينها تعبيرا مشتركا ، وبذلك تثبت دعائم النظام السوفييتى الجديد الذى وفر لها هذا التطور اللغوى

ويقول ستالين إنه لولا توفر النظام اللغوى الجديد (أى الأيديولوجية السوفييتية) لما تيسر للغات المحلية أن تزيد ثروتها اللغوية من المفردات والمصطلحات والتعبيرات وقواعد الصرف والنحو المستحدثة ، وستالين واثق من اليوم الذى يتم فيه تناسق هذه اللغات المحلية فى إطار لغة الوطن الروسى الأكبر على أساس هذين الخطين اللذين شرحها

وستالين فى دراسته الجديدة عن « الماركسية ومسألة اللغات » لا يقول بأفضلية لغة على أخرى بين لغات العالم الأكبر من حيث جمال اللفظ وسهولة النطق ، وإنما يعتقد — استنادا إلى هذه الخطط التى شرحها — أن العالم سيأخذ فى المراحل النهائية باللغة التى تحتوى على ذخيرة واسعة فى المفردات والتعبيرات التى هى أقرب صلة بالحياة العملية الواقعية

وهدف ستالين الرئيسى من بحثه هذا هو دعوة الكتاب والشعراء والفنانين السوفييت لأن يجعلوا تصويرهم للحياة أكثر تعبيرا عن الواقع حتى يضمنوا للغة الروسية مرونة وواقعية تحقق لها الفوز فى سباق التفوق والسيادة بين لغات العالم

وستالين فى دعوته هذه يساهم شخصيا فى محاربة هذه الظاهرة الجديدة فى إنتاج روسيا الأدبى والفنى فى عالم ما بعد الحرب

فالأيديولوجية السوفييتية لا ترضى عن مبدأ « الفن للفن وحده » وتعده من الأسباب التى تخدر الشعوب وتعمى قادة الفكر والدهاء فيها عن دقائق الحياة الواقعية ومشاكلها

ولا تزال حملة المسؤولين الروس على هذه « الشعوبية » فى الإنتاج الأدبى والفنى على أشدها كما تشهد على ذلك ألوان الأدب والفن الروسى المعاصر التى تجد سبيلها إلى العالم الخارجى

نيويورك — عمر حليق

عقـــدة الأب

(Father Complex)

فى رأى الفيلسوف ابن خلدون

للأستاذ أمين محمد عثمان

آمنت ولا زلت أومن بأن فى التراث العربى العريق، كنوزا مطمورة، تحتاج إلى من ينقب عنها، ويخرجها من كهوف النسيان، إلى عالم النور والعرفان. وقد بينت فى مقالى الأسبق « صحيفة مطوية فى البلاغة العربية » أن نظرية الإدراك بالإجمالى والتفصيلى، لم تكن وليدة القرن العشرين، ولا هى بنتا من بنات أفكار علماء النفس المحدثين، بل سبق إليها عالم من علماء العرب منذ تسعة قرون، وهذا مثل آخر من آلاف الأمثلة أسوقه للأدباء والباحثين الذين بهرهم زخرف الحضارة الأوربية، علهم يعطون الحضارة الإسلامية التى أساءوا الظن بها، قسطا وافرا من العناية

لقد كانت الفلسفة المسيحية تذهب إلى عهد قريب، إلى أن الطفل شرير بطبعه، وأنه يولد محملا بكثير من الشرور والآثام فيجب أن يقمع ذلك فيه بالشدة والعنف، وأن يسلك به سبيل التعذيب والإيلام. وقد نحا المتنبي هذا المنحى فى شعره فقال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وهذا عين الخطأ، فلا الطفل شرير بطبعه كما تقول الفلسفة المسيحية، ولا هو خير بطبعه كما يقول (جان جاك روسو) كما أن عقليته ليست كالصحيفة البيضاء يسطر المربى عليها ما يشاء، كما ذهب إلى ذلك (جون لوك)

ولكن الطفل يولد مزودا بالغرائز والنزعات الفطرية، وهى ميراثه من أبويه ومن النوع الإنسانى، فعلينا أن نعمل مع هذه النزعات لا ضدها، وأن نحاول إعلاءها، وتكوين العواطف النبيلة فيها

وهناك مرحلتان من مراحل النمو لهما أكبر الأثر فى حياة الناشئ فإن هو جازهما بسلام، فقد اجتاز العقبة كلها إلى شاطئ الأمان، وإن تعثرت خطاه فيهما أو لعبت بنفسه أعاصير التربية الصارمة فإنى أخشى أن تهوى بنفسه أمواج الأمراض النفسية إلى قرار سحيق

أما أولهما: وسنقتصر الكلام عنها الآن: فهى مرحلة الطفولة المبكرة ويعلق فرويد (Freud) عميد علماء التحليل النفسى، و (آدلر) مؤسس مدرسة علم النفس الفردى أهمية كبرى على هذه المرحلة، ففيها تتكون أهم قوالب السلوك عند الإنسان وهى التى تحدد الخطوط الشخصية الأساسية فيما بعد، ولقد دلت البحوث النفسية على أن كثيرا من الانحرافات النفسية الحقيقية والخطورة التى يصاب بها الشاب أو الرجل، ترجع إلى صدوع نفسية فى الطفولة الأولى، وفى هذه المرحلة يأخذ الطفل فكرة عن نفسه، مما نوحى به إليه نحن. فالطفل الذى ننعته بأنه شقى وبأنه مجرم، وبأنه لا يفلح سرعان ما يتشرب هذه الفكرة عن نفسه ويعمل على أن يسير بمقتضاها، وعلى العكس إذا أخذنا نصف الطفل بأنه مهذب، وبأنه شجاع فإنه يتقبل عن نفسه هذه الفكرة ويتشبع بها، ويجهد نفسه فى تنفيذها، وفى هذه المرحلة يتكون لدى الطفل سلطة داخلية هى ما نسميها بالضمير أو الرقيب أو النفس اللوامة، أو الحافظ، كما يقول الله تعالى « إن كل نفس لما عليها حافظ » هذا الضمير أو الرقيب إن هو إلا خليفة الأبوين ويتكون لا شعوريا عن طريق الأوامر أو النواهى التى تصدر منهما إليه، فإن كان الأب من الصنف الصارم الجافى الذى يحاسب على اللفتة والحركة ويعاقب على الهفوة، ويسرف فى الأمر والنهى، والصفع واللكز، ويفرط فى التأنيب واللوم، فإن هذه التربية كما يقول الدكتور عزت راجح فى كتابه « الأمراض النفسية ».. تصبح لها صدى فى ضمير الطفل اللاشعورى يمثل السلطة الأبوية، فترى ذلك الضمير قد أصبح يتطلب من الطفل ما يتطلب ذلك الأب المتعسف وأكثر، يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، ويحرم عليه القيام بأشياء لا ضرر منها، ولا ضير عليها، فترى الطفل يشب وقد أمسى شديد الحساب لنفسه وللناس، شديد الحذر والتوجس من نفسه ومن الناس، يغشاه شعور صريح أو مضمر

أنه مخطئ أو آثم » وبهذا تتكون عنده عقدة الإثم والحاجة إلى عقاب النفس

وجاء في كتاب « أسس الصحة النفسية » للدكتور عبد العزيز القوصي ، عند الكلام على « عقدة الأب » ، منشأ هذه العقدة قسوة السلطة وصرامتها ، وشدة الجو المنزلي ويترتب على قسوة السلطة وامتصاص الطفل لها ، أن يعكسها على نفسه ، ويعكسها على الناس ، وعندما يعكسها على نفسه يكون قاسيا عليها شديد النقد لها ، كثير التبرم بها ، غير راض عنها ، شاعرا بخطئه على الدوام ، يخشى لوم الناس ونقدهم ، ويحسب لهم ألف حساب ، وعندما يعكسها على الناس يكون أيضا شديد النقد لهم ، قاسيا عليهم ، يتمتع بإبراز خطاياهم »

وقد ذكر علماء النفس : أن هذا باب جديد ، فتحه فريق من أصحاب « التحليل النفسي » وخطوا فيه خطوات موفقة ، واستطاعوا به تعليل كثير من مظاهر السلوك الزائغ والاعتلال النفسي

وفات هؤلاء ، أن هذا الباب الجديد ، قد طرقه الفيلسوف ابن خلدون واستقصى البحث فيه منذ ستة قرون ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته المشهورة أن « الشدة على المتعلمين مضرة بهم » وعلل هذا بأن من كانت نشأته في أحضان القهر ، وتربيته في مهاد القسوة والعنف لا سيما إذا كان صغيرا ، سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين »

ولم يكتف ابن خلدون ببيان الأثر الذي تحدثه سياسة الشدة بالأفراد ، بل قال إن أثرها في الأمم أشد خطرا وأبعد أثرا ، فالأمة التي تقع فريسة للاستعمار ، صديقة للشدة والعنف ، هي أمة تنشأ على الذل والخوف ، وتربى في أحضان الفساد الخلق فيصير ذلك خلقا وطبيعة لها . انظر إلى بني إسرائيل ، وقد لبثوا تحت حكم الفراعنة أحقابا يسومونهم سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، فلما أذن الله لهم ، وأخرجهم موسى بعصاه ، من أرض الفراعنة إلى صحراء سيناء ، أوحى الله إلى موسى بأن يستعد هو وقومه لدخول الأرض المقدسة ومقاتلة من فيها من العمالقة . ولكن الخوف كان قد استبد بهم ، وذهب الرعب بقلوبهم كل مذهب وقد تعود زعماؤهم أن يكونوا عبيدا المستعمرين « قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » . ويبين ابن خلدون بعد ذلك أن الحكمة في وقوعهم في التيه أربعين سنة ، هو انقراض هذا الجيل الذي نشأ في أحضان القهر والعسف ، ومجيء جيل آخر تربى في أحضان الصحراء ، تحت سمع الحرية وبصرها ، وكان على يديه فتح الأرض المقدسة

وكما يحلو لعلماء النفس ، أن يوجهوا نصائحهم وإرشاداتهم إلى مربي النشء ، فإننا نرى كذلك ابن خلدون ، يدل المربين على الطريقة المثلى في التربية الصحيحة فيقول : فينبغي للمعلم في متعلمه ، والوالد في ولده ، ألا يستبدوا عليهم في التأديب . ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين فقال : يا أحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه . فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة

أمين محمد عثمان
دبلوم معهد التربية العالي

الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

— ٤ —

حكومة فدرائية

نحن شعب الولايات المتحدة ، رغبة منا فى اتحاد أكمل ، وفى إقامة العدالة ، وكفالة الطمأنينة الداخلية ، وتهيئة وسائل الدفاع المشترك ، ورعاية الخير العام ، وضمان بركات الحرية لنا ولذريتنا ، رسمنا وقررنا هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية

من ديباجة الدستور ١٧٨٧

فى ١٧٧٤ ثارت المستعمرات الأمريكية على إنجلترا ، ثم أعلنت استقلالها ١٧٧٦ ، واجتمع مؤتمر يمثل الولايات الثلاث عشرة لوضع دستور للدولة الجديدة ، وقد ثار نقاش عنيف بين مندوبى الولايات وذلك بسبب تضارب مصالح سكان الولايات ونزعاتهم ورغباتهم ومذاهبهم الدينية وحرصهم على حريتهم الفردية وعلى استقلال ولاياتهم المختلفة . ولكن المندوبين أظهروا صبرا وتحملوا جهدا حتى وضعوا دستورا يحقق لسكان الولايات حرياتهم الفردية وسعادتهم ، ويكفل قيام حكومة مركزية أو اتحادية (فدرائية) تدافع عن سلامة الولايات وترد عنها أى عدوان خارجى ، وتحقق السلام الداخلى وتقيم العدالة وتصون الحرية وتنهض بشؤون الولايات الاقتصادية

وتم بذلك وضع نظام حكومى جديد فى نوعه فترك للولايات الحكم الذاتى وقامت حكومة مركزية ساهمت فيها الولايات جميعا، وهذه هى أهم المبادئ التى تضمنها الدستور الجديد :

أولا : إن الناس جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات ولهم الحق فى الحياة والحرية

ثانيا : إن الحكومة ما وجدت إلا برضى الشعب ولخدمة الشعب ، وموظفوها يختارون بالاقتراع العام الملقى تلبية لإرادة أكثرية الشعب

ثالثا : إن الحكومة التى لا تعمل وفق رغبات الشعب والتى لا تحرص على تحقيق سعادة الشعب ، ولا تحافظ على حقوق الأفراد وحرياتهم يجب أن تزول ويجب أن يقيم الشعب مكانها حكومة تخدم مصالحه وتحرص على حقوقه ، وإن خير حكومة لهى حكومة تنتخب بواسطة الشعب ومنه وتعمل لمصلحته وبرضاه وهذه هى الحكومة الديمقراطية الحقة

ويلاحظ أن هذه المبادئ كانت تعتبر ثورة على أنظمة الحكم القائمة وقتذاك . ذلك أن الدول التى كانت قائمة فى أوربا وفى غيرها من بلاد العالم — ما عدا بريطانيا — كان نظام الحكم فيها نظاما استبداديا رجعيا يقوم لمصلحة بعض الطبقات فتنعم بينما تشقى أغلبية الشعب التى كانت محرومة من حرياتها وكافة حقوقها وعليها أن تشقى وأن تعمل لإسعاد فئة قليلة مترفة من الشعب ، وكان ذلك من أهم أسباب الثورة الفرنسية الكبرى (١٧٨٩) التى قلبت نظام الحكم فى فرنسا وأقامت الحريات لأول مرة فى أوربا فى تاريخها الحديث

رابعا : تقرر أن يترك لكل ولاية حكمها الذاتى وأن تتمتع بحق السيادة ، ولا تتدخل الحكومة الاتحادية فى حقوق الولاية الخاصة

خامسا : تقرر أن تنشأ حكومة اتحادية أو فدرائية للولايات جميعا ، ولكن مامدى سلطتها ومامدى حقوقها وكيف تتكون ؟ كانت كل ولاية حريصة على حريتها وعلى عدم الحد من سيادتها ، ولكن من جهة أخرى لم تكن الولايات آمنة من غزو الدول الأخرى ، وما من ولاية كانت قوية إلى حد يمكنها من حماية تجارتها الخارجية ، وكانت الولايات فى حاجة ماسة إلى شبكة من الطرق لأجل التجارة والنقد والبريد . وإذن فلتقم الحكومة الاتحادية لتكفل تحقيق هذه المصالح المشتركة للولايات جميعا . وقد وضح الدستور نظامها وسلطاتها ووافقت عليه الولايات المختلفة ، وأصبحت أمريكا أرض الحرية فهرع إليها المعذبون والمضطهدون من سكان القارة الأوربية

سادسا : تقرر أن تكون الدولة الجديدة جمهورية ، وقد اختير جورج واشنطن زعيم حركة الاستقلال فكان أول رئيس للجمهورية ثم أعيد انتخابه للمرة الثانية ، ولكنه رفض أن

يرشح نفسه مرة ثالثة خوفا من أن يصبح ذلك قاعدة ، وربما تمكن أحد الرؤساء الذين يتجدد انتخابهم من قلب هذا النظام الجمهورى إلى نظام ملكى ، وهذا يدل على تمكن النظام الجديد من نفس الشعب الأمريكي

وفيما يلي وصف لتوزيع السلطات الثلاث فى الحكومة الفدرالية :

أولا : السلطة التشريعية :

تقرر أن تكون فى يد الكونجرس (البرلمان) وهو يتألف من مجلسين :

ا : مجلس الشيوخ ويتكون من ٩٦ شيخا باعتبار شيخين عن كل ولاية صغيرة كانت أو كبيرة ، ومدة عضويته ست سنوات ويسقط ثلثه كل عامين حتى يكون دائم التجدد مع مجلس النواب . وأعضاؤه جميعا منتخبون ويشترط ألا تقل سن الشيخ عن ثلاثين سنة عند انتخابه

ب : مجلس النواب : وعدد أعضائه ٤٣٥ نائبا ، وترسل كل ولاية نوابا عنها إلى المجلس حسب تعداد سكانها ، فكلما زاد عدد سكانها زاد عدد نوابها فى مجلس النواب ، ولا بد أن يمثل الولاية نائب على الأقل . ومدة عضوية المجلس سنتان ، ويشترط ألا تقل سن العضو عن ٢٥ عاما عند انتخابه . وينتخب المجلس رئيسه ، أما رئيس مجلس الشيوخ فهو نائب رئيس الجمهورية

ويجتمع المجلسان فى مقرهما بمدينة واشنطن وهى عاصمة الولايات المتحدة

السلطات المخولة للمجلسين :

للكونجرس سلطة فرض الضرائب على الدخل وجبايتها ، وعقد القروض ووضع قوانين وأنظمة للتجارة بين الولايات ومع البلاد الأجنبية ، وضرب العملة ، ووضع قوانين الجنسية ، وإعلان الحرب والتجنيد والإنفاق على الجيش وتجهيز الأسطول وسن لوائح وقوانين للجيش والبحرية والتعاون مع الولايات على تنظيم قوة الجيش والأسطول وإنشاء مكاتب وطرق للبريد الخ

وبحسب الدستور لمجلس الشيوخ وحده السلطات الآتية :

١ — يستطيع مجلس الشيوخ عدم الموافقة على اختيار رئيس الجمهورية للموظفين فى كثير من الوظائف المهمة

٢ — لمجلس الشيوخ أن يوافق بأغلبية ثلثيه على أى معاهدة تعقدها الولايات المتحدة حتى تصبح نافذة

٣ — لمجلس الشيوخ الحق فى محاكمة المتهمين من أعضاء الكونجرس ، ولمجلس النواب السلطة الوحيدة فى اتهام أى موظف مدنى فى الولايات المتحدة بإساءة التصرف بحيث تقتضى العدالة عزله ويحاكم أمام مجلس الشيوخ

وأما مجلس النواب فقد منحه الدستور سلطة واسعة فى جمع المال للدولة، فجميع القوانين الخاصة بإيرادات الدولة يجب أن تقرر أولا فى مجلس النواب قبل أن يعمل مجلس الشيوخ بمقتضاها. والسبب فى ذلك أن مجلس النواب أكثر تمثيلا للولايات ، فالولايات الكبرى لها عدد كبير من النواب وهى تدفع قسطا أكثر من إيرادات الدولة، وعلى هذا وجب أن تكون سلطة مجلس النواب فى الناحية المالية واسعة

ومجلس الشيوخ يستطيع أن يدخل تعديلات على أى قانون ، وإذا اختلف المجلسان تعين لجنة من أعضاء المجلسين لحسم الخلاف

وعند افتتاح كل كونجرس جديد يجتمع أعضاء كل حزب سياسى ممثل فى مجلس الشيوخ وينتخبون زعيما لهم ويعينون شيوخا آخرين أعوانا له وكذلك فى مجلس النواب . ويختار هؤلاء الزعماء بحسب تقاليد الحزب السياسى ويقومون بدور كبير فى سن القوانين بمقتضى الدستور

الأحزاب السياسية :

يوجد فى الولايات المتحدة حزبان سياسيان كبيران هما :

١ — الحزب الديمقراطى : وهو من أقدم الأحزاب إن لم يكن أقدمها ؛ ويؤمن أتباعه بسيادة الديمقراطية سيادة تامة ويعتبر منذ نشأته حامى الحرية والمدافع عن حقوق الإنسان

٢ — الحزب الجمهورى : وكان يسمى فى أول الأمر الحزب الفيديرالى أو الاتحادى ، وكان يدعو إلى قيام حكومة اتحادية قوية وإلى أن يمنح الأغنياء امتيازات معينة وإلى استشارتهم بالحكم . وقد نجح الديمقراطيون فى تحقيق أهدافهم واستأثروا

مع الراحلين

الشيخ محمد راغب الحلبي

عضو المجمع العلمي العربي

مهداة الى محقق تاريخ حلب الدكتور سامي محمد الدهان

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

نشرت الرسالة الغراء في العدد ٩٤٦ أسطرا معدودات للسيد عبد اللطيف الطباخ ينعى فيها المرحوم « الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي » ويعرف به تعريفا وجيزا لا يواري المكانة العلمية التي كان يحتلها الشيخ منذ أخرج للعالم العربي في سنة ١٣٤٢ هـ — سنة ١٩٢٣ م موسوعته التاريخية الخاصة بمدينة حلب وأعلامها . والتي أسماها « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء »

وتعد هذه الموسوعة التاريخية أحدث المصادر عهدا عن تاريخ حلب بعد كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » الذي ألفه الشيخ كامل حسين الغزي الحلبي ، والذي ظهر مع « إعلام النبلاء » في وقت يكاد يكون واحدا، فقد شهدت سنة ١٣٤٢ هـ مطلع الكتابين اللذين يتحدان في موضوع واحد هو التاريخ لمدينة حلب والترجمة لأعيانها على مر العصور . وكان كل من المؤلفين يعلم عزم صاحبه على التأليف في هذا الموضوع ومضى كل منهما إلى غايته على منهجه الخاص ، وعلى هدى مصادره التاريخية والأدبية الخاصة . ولم يثن أحد الشيخين عنان العزم عن المضي في تأليفه ، بل قام بينهما من التعاون العلمي ما يجب أن نسطره بالحمد . وخاصة عند فقيدنا المترجم له … فقد زار الشيخ كامل الغزي في منزله واطلع على أجزاء من «نهر الذهب» ونقل منه بعد استئذانه — ترجمة ابن أبي طي يحيى بن حميدة الحلبي المؤرخ المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وترجمة ابن عشاير الحلبي المؤرخ المتوفى سنة ٧٨٩ هـ . لأنه لم يظفر بهما بعد طويل بحث ، فلما رآهما في كتاب الشيخ كامل الغزي استأذنه في نقلهما إلى كتابه

ولم يقم بين الشيخين الغزي وراغب الطباخ ما يقوم عادة بين المتنافسين من أهل الصنعة الواحدة ، ولم نجد أحدهما يحط من قدر الكتاب الذي ألفه صاحبه ترويجا لكتابه ورفعا لشأنه على حساب الآخر . . بل نجد على الضد من ذلك أن الشيخ راغب الطباخ يثني على عمل صاحبه ويزن عمله وزنا صحيحا لا يعرفه إلا من كابد التأليف ويقول :

(وإني من الشاكرين لمساعيه . المقدرين لجليل عمله . فقد عاني في جمع تاريخه ما عانيته ، وقاسى ما قاسيته . . . هذا وقد اجتمع عند كل واحد منا من المواد ما لم يجتمع عند الآخر ، واطلع على مالم يطلع عليه ، فسترى في تاريخه ما لا ذكر له عندي . وستجد في تاريخي ما لا تجده في تاريخه ، فلا يستغني بأحدهما عن الآخر ، كما قيل : لا يغني كتاب عن كتاب)

وهذه الروح العلمية الرحيبة الآفاق الواسعة الصدر قل أن تجدها في زماننا هذا ، حيث يظن الناقد — مثلا — أنه ليس في الدنيا غيره ، وأنه الأديب ليس في العالم إلاه … وأنه — وحده — اجتمعت له التجربة الكاملة، والثقافة الرفيعة والذوق المرهف . .

بالحكم سنوات طويلة حتى أقاموا في أمريكا حكومة جمهورية ديمقراطية

على أن هذا الحزب الجمهوري كان من البداية حزبا وطنيا، وكان حزب رجال الأعمال ومن أشهر رجاله إبراهام لنكولن أعظم رؤساء الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر والذي كان له الفضل الأكبر في تحرير العبيد بأمريكا وفي المحافظة على وحدة واتحاد الولايات الأمريكية ١٨٦٠ — ١٨٦٤

ومنذ عام ١٩٣٢ نجح الديمقراطيون في الفوز برئاسة الجمهورية الأمريكية.

السلامة ابو الفتوح عطيفة

ثم لا يستحي أن ينشر هذا الكلام — الذى أستحى أن أنمته — فى مجلة سيارة ، ثم يجمعه بعد ذلك فى كتاب

ولقد ترجم الشيخ راغب الطباخ فى كتابه لمئات ومئات من الرجال الذين أنجبتهم حلب الشهباء . ولكننا لا نظفر فى كتابه بترجمة ذاتية له ، ولو صنع ذلك لكان أراح المؤرخ الأدبى من عناء الترجمة له ، كما فعل السيوطى المؤرخ مثلا حينما ترجم لنفسه فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » . وكما فعل المقرى المؤرخ فى كتابه « نفح الطيب » . وكما صنع من المعاصرين الأستاذ محمد كرد على بك فى كتابه « خطط الشام » ، والأستاذ الشاعر محمد الأسمر فى ديوانه « تغريدات الصباح »

على أننا لم نيأس من معاناة الترجمة لراحل وقف أكثر من حياته على تأليف كتاب واحد فى التاريخ لحلب الشهباء ، ورأينا أن هذه اللفتات الصغيرة فى مقدمة كتابه الكبير ، وفى الترجمة لجده الشيخ هاشم الطباخ ولوالده الشيخ محمود ولأخيه الشيخ محمد ، ولعميه الشيخ عبد السلام والشيخ على الطباخ قد تعيننا على إخراج صورة لهذا العالم المتواضع الذى لم يحفزنا إلى الكتابة عنه إلا واجب الوفاء لعلمائنا الراحلين الذين لم يضنوا بجهد ولم يبخلوا ببذل فى سبيل المعرفة والبحث ، فكيف نبخل عليهم بصفحات مشرقة من تاريخهم نستأنس فى كتابتها بما تلتقطه عين البصيرة من هنا وهناك ، وبما نجده مبعثرا فى خلال السطور التى كتبوها . اعترافا منا بفضلهم ، وتلبية لواجب الوفاء لهم

ولا أعرف بالضبط السنة التى ولد فيها المرحوم الشيخ راغب الطباخ . إلا أن ناعيه فى مجلة الرسالة الغراء يذكر أنه توفى فى رمضان الفائت سنة ١٣٧٠ هـ عن ثمانية وسبعين عاما . ومعنى هذا أنه ولد فى سنة ١٢٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٨٧٥ م . على أننا نجد فى الجزء السابع من كتابه ، وفى خلال ترجمته لعمه الشيخ عبد السلام أنه كان بمدينة (جدة) سنة ١٣٠٨ هـ مع عمه وكانا يزوران الشيخ محمد مراد الطرابلسي وهو من أهل العلم والفضل فتدور بينه وبين العم مطارحات ومناقشات طويلة ، (فكان يتراءى لى — وأنا صغير — أن الحق تارة يكون مع السيد الطرابلسى وتارة مع سيدى العم) . ومعنى هذا أن سنه كانت عند المناقشة فى جدة سنة ١٣٠٨ ستة عشر عاما . فهل كان فى السادسة عشرة صغيرا كما يقول بنص عبارته ؟ ومهما يكن من أمره ، فقد ولد رحمه الله فى محلة باب قنسرين بحلب فى دار ذات أواوين ثلاثة مفروش صحنها بالرخام الأصفر . وفى الوسط بركة صغيرة . وهى دار قديمة استظهر المترجم له أنه مضى عليها ٣٠٠ سنة إلى وقت ولادته واشتراها والده الحاج محمود الطباخ سنة ١٢٧٦ هـ

وينتمى الشيخ راغب إلى أسرة جمعت بين التجارة والعلم والتصوف . فقد عرض على جده الشيخ هاشم منصب القضاء فى الآستانة ، فأبى معتذرا بأن لهم صنعة أغناهم الله بها عن الوظائف وهى صناعة بصم الشاش الأبيض بألوان ونقوش لتتخذ منه العصائب والمناديل فى بلاد كثيرة من الشرقين الأدنى والأوسط ، وقد نشأ أبوه أيضا فى صناعة البصم وتجارتها أسوة بأبيه ، جامعا بين العلم والتجارة ، إلا أن مسائل العلم انحصرت عنده فى الأمور الفقهية التى تتعلق بأحكام المعاملات فى الشريعة الإسلامية ، حتى يكون مثال التاجر المسلم الحق فى بيعه وشرائه . ونجد عميه أيضا يشتغلان بالتجارة . على أننا نجد المؤلف نفسه يعترف فى خلال ترجمته لوالده بأنه مع اشتغاله بخدمة العلم كان يتعاطى صناعة بصم المناديل واللافع . كما تعاطي التجارة مع أخويه فى خان العلبية وخان البرغل إلى سنة ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م وهى السنة التى تركوا فيها صناعة البصم نهائيا لقلة رواج هذه المناديل واللافع الملونة فى بلاد الشرق العربى وتركية . وخاصة بعد أن غير كمال أتاتورك زى بلاده إلى القبعة الغربية . فلم تعد المناديل توضع على رءوس الفلاحات التركيات . .

وفى أسرة الطباخ نزعة تصوفية من ميراث القرون الماضية ولكنها بقيت فيهم إلى عهد غير بعيد .. فجده الشيخ هاشم وهو من رجال القرن الثالث عشر الهجرى أخذ الطريقة الخلوتية القادرية على الشيخ إبراهيم الدارعزانى ولازم زاويته ، ثم لزم بعد وفاته ولده الشيخ محمد (وسلك على يديه ؛ وصار يختلى معه

الخلوة الأربعينية فى كل سنة) وأبوه الحاج محمود الطباخ كان يختلف إلى الشيخ محمد الهلالى بن الشيخ المتصوف الزاهد الشيخ إبراهيم الهلالى شيخ التكية الهلالية بحلب . وأخوه الشيخ محمد الطباخ لازم الزاوية الكيالية وشيخها إذ ذاك الشيخ حسن بن طه الكيالى (فأخذ عنه الطريقة الرفاعية ، ولازمه ملازمة الظل لصاحبه . وأخذا فى مطالعة كتب السادة الصوفية ، وطالما عدة كتب فى الزاوية المذكورة ، وصار يختلى معه فيها كل سنة أربعين ليلة على حسب عادة أهل الطريق) . وعمه الشيخ على الطباخ أخذ الطريقة الخلوتية القادرية على الشيخ إبراهيم الهلالى ، وبعد وفاته لزم ولده الشيخ مصطفى الهلالى .. وفى سنة ١٣١٠هـ صار خليفة للشيخ وأذن له بإقامة الذكر والإرشاد . فصار له بعض المريدين الذين كانوا يقيمون الأذكار معه فى مسجد الروضة فى محلة سراى إسماعيل باشا

ولم أقع فيما قرأت عن الشيخ راغب على نص يدل على أنه سلك طريق الصوفية أو اختلى الخلوات الأربعينية مثل أخيه الشيخ محمد، ولكن الذى أعرفه — مما نشرت فى كتاب أعلام النبلاء — أن المترجم له تتلمذ على أستاذين من أكبر علماء الشام وهما الشيخ محمد الزرقا ، والشيخ بشير الغزى . أما الشيخ الزرقا فقد كان حجة فى فقه الإمام أبى حنيفة ، وكان كما يقول تلميذه : (لو شاء إملاء مذهب أبى حنيفة من حفظه لأملاه بنصوصه وحروفه) . وقد تولى التدريس فى المدرسة الشعبانية أولا ، ثم اشتغل بالقضاء أو رياسة كتاب المحكمة الشرعية بحلب ، وظل أكثر حياته الطويلة معلما يلتف حوله التلاميذ ويردون أصفى موارده ، إلى أن توفى سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م . أما الشيخ بشير الغزى فقد كان أمينا للفتوى بحلب فعضوا بمحكمة الحقوق فرئيسا لها ، فمدرسا بالمدرسة الرضائية ، فقاضيا، إلى أن عين فى آخر أيامه قاضيا لقضاة حلب ، وظل فى المنصب إلى أن توفى سنة ١٣٣٩ هـ — أى قبل الشيخ محمد الزرقا بأربع سنوات

وعلى قدر ما كان الشيخ محمد الزرقا متمكناً من الفقه الإسلامى ضالعا فيه ، كان الشيخ بشير الغزى متمكنا من اللغة العربية وشعرها وأدبها ، وكان حاضر الذهن فى الاستشهاد باللغة أو بالشعر ، وأعجب من ذلك أن كتب الأغانى لأبى الفرج ، والحماسة لأبى تمام ، والأمالى للقالى ، والكامل للمبرد ، ودواوين أبى تمام والبحترى والمتنبى والمعرى كانت كلها على مناط الطلب . يحفظها ويروى عنها ويعيها فى صدره ، فلا يكاد يخطئ فى الرواية عنها أو يعز عليه الاستشهاد منها

ومن هذين المزاجين عند شيخين من أكابر شيوخ الشام فى وقتهما اجتمع للشيخ راغب الطباخ مزاج ثالث فى التحقيق والصبر عليه واللجوء إلى المصادر والسعى وراءها لا يمنعه منها مانع من زمن أو بعد شقة غيره . ففى المدينة المنورة عثر على أوراق فى تاريخ حلب لمؤرخ مجهول — كما يقول فهرس مكتبة عارف بك حكمت — فاستنسخ الأوراق فإذا هى ليست تاريخا لحلب.. وإنما هى موشح للشيخ على الميقاتى الحلبى فى ذكر متنزهات الشهباء ومدح بعض أعيانها .. !

وفى حلب نفسها يلتقى بالمستشرق الفرنسى لويس ماسينيون سنة ١٩٢١ ويذكر له أمله فى الحصول على نسخة من مخطوطة كتاب « الدر المنتخب » لابن خطيب الناصرية من علماء القرن التاسع الهجرى ، فيعود ماسينيون إلى باريس ويصور المخطوطة ويبعث بالنسخة المصورة إلى الفقيد الكريم . ثم يكتب إلى العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا سائلا إياه أن يدله على كتب فى مكتبته تتصل بتاريخ حلب . فيكتب له تيمور باشا عن جزءين فى مجلد واحد من كتاب « كنوز الذهب فى تاريخ حلب » للإمام المحدث موفق الدين أبى ذر . ثم يعثر فى مكتبة محمد أسعد باشا الجابرى بحلب على مخطوطة « در الحبب » لرضى الدين الحنبلى فيستعيرها ثم ينقلها بخطه إلى نسخة حسنة الخط صحيحة الرسم رآها أسعد باشا فيستحسنها ويأخذها بدلا من مخطوطته ... ثم يجد نسخة من كتاب « الدر المنتخب » المنسوب لابن الشحنة عند أحد علماء حلب فيكتبها بخط يده ويقابلها بغيرها من النسخ المخطوطة ، ويحقق أن هذا الكتاب لأبى اليمن بن عبد الرحمن البيترونى ، وليس لابن الشحنة كما كان معروفا قبل ذلك . ثم يذهب إلى دمشق فينسخ عشرات وعشرات من المخطوطات التى وجدها فى مكتبات العاصمة السورية مما يتصل بموضوع تاريخه لمدينة الشهباء . ثم يجد الكرام من العلماء يعيرونه من نفائس المخطوطات والكتب ما يعينه على إخراج كتابه «إعلام النبلاء»

كالمرحوم أحمد تيمور باشا الذى أعاره كتب « المنهل الصافى » لابن تغرى بردى فى خمسة مجلدات ، و « كنوز الذهب » كما سلف القول ، و « رحلة القاضى ابن آجامع الأمير يشبك »

وليس هذا الشغف بجمع الكتب القديمة والمخطوطات الثمينة طارئا على الشيخ راغب الطباخ ، فقد اقتنى جده الشيخ هاشم الطباخ كتبا خطية نفيسة كثيرة، منها « الجامع لآداب الراوى والسامع » للحافظ الخطيب وهى نسخة قديمة قيمة ، وكتاب « أسرار التنزيل » للفخر الرازى ، وكتاب « شرح المناوى الكبير على الجامع الصغير » و « شرح منظومة الإمام النسفى الحنفى » و « جزء عبد الله بن المبارك فى الحديث » وغيرها . وقد توزع الأبناء هذه الكتب وتصرفوا فيها بالبيع إلى أن استقرت منها جملة وافرة فى مكتبة المجلس البلدى بالإسكندرية . وعلى كثير من هذه الكتب خط الشيخ هاشم الجد

ويظهر لى أن الشيخ راغب الطباخ لم يكن يعرف من اللغات الأوربية ما يعينه على استكمال عدة البحث العلمى الصحيح ! فقد استحضر أحد وجهاء حلب الإيطاليين « أندريه ماركوبولى » من باريس قطعة من كتاب « بغية الطلب » لابن العديم مترجمة إلى الفرنسية ، وأطلع عليها المترجم له ، وترجم له — كما يقول — جانبا منها ، وهو نص يدلنا على عدم معرفة الفقيد للغة الفرنسية . وفى موضع آخر من مقدمة كتابه يذكر أن اللجنة الألمانية الأثرية التى زارت مدينة حلب سنة ١٣٢٦ هـ قد أطلعوه على الجزء الثانى من تاريخ « بروكلمان » (واستخرجوا لى ما هو موجود من تواريخ الشهباء فى المكتبات الأوربية) . ولو كان يعرف الأبجدية اللاتينية — على الأقل — لاستطاع أن يستخرج بنفسه تواريخ حلب من كتاب المستشرق الألمانى بروكلمان ...

وطريقة المؤلف فى « إعلام النبلاء » هى الجمع والنقل عن السابقين وعن نوادر المخطوطات مع توسع فى النقل (فما رأيت من الحوادث فى كتابين أخذت الأوسع منهما ، وإذا كان فى الأقل زيادة مفيدة التقطتها وأضفتها إلى تلك لتكون الفائدة أتم) . وتراه التزم فى باب التراجم خطة التوسع فى النقل والجمع (فلم يقع نظرى على ترجمة لحلبى فى كتاب من الكتب التى اطلعت عليها إلا ونظمتها فى عقد هذا التاريخ)

وإذا كان الشيخ راغب لم يسلك فى كتابه مسلك المؤرخ الحديث من تحليل ونظرة عامة إلى العصور، وتفاعل بين الظروف والشخصيات ، ودراسة للأحوال الاجتماعية ، وتأريخ للشعب فإن المؤرخ بالمعنى الحديث يستطيع أن يجد فى هذه الموسوعة التاريخية مادة غزيرة يستخرج منها ما يريد دراسته من تاريخ حلب ، فإن الكتاب — على طريقة صاحبه — هو سجل زمنى حافل بالأحداث والتراجم ، ويكفى أن صفحاته التى زادت على أربعة الآلاف قد اشتملت على ١١٣٦ ترجمة لرجالات حلب من الوزراء والأمراء والشعراء والعلماء والمحدثين والفقهاء والأطباء وأرباب التجارة وغيرهم . كما يكفى أن جمع هذه المواد الكثيرة للكتاب قد استغرق من المؤلف اثنين وعشرين عاما حيث ابتدأ بضمه سنة ١٣٢٣ هـ ، وانتهى من تأليفه وطبعه سنة ١٣٤٥ هـ

ولقد كان المؤلف يعالج نظم القريض ، إلا أنه لم يكثر فيه ، ولعل اشتغاله بالكتب والمخطوطات ونسخها لم يعنه على إتمام المعالجة ، ونجد فى أول الكتاب صورته الفوتوغرافية وتحتها هذان البيتان :

إليكم يا بنى الشهبا كتابا … حوى تاريخ أجداد عظام
وروحى فى ثناياه تجلت … وذا رسمى إذا غابت عظامى

ثم نجد فى المقدمة بعض شعر نظنه له لأنه لم ينسبه لقائل . ومنه :

يا ناظرا فيما قصدت لجمعه … أعذر فإن أخا الفضيلة يعذر
واعلم بأن المرء لو بلغ المدى … فى العمر لاقى الموت وهو مقصر

إلا أن الفقيد لاقى الموت غير مقصر فى واجب ، فقد ملأ عمره بالعمل المتصل ، حتى استطاع أن يخرج للناس كتابا منشورا يقرءونه ويرجعون إليه ، حين يودون أن يرجعوا إلى تاريخ السابقين، من أبناء العرب الميامين

رحمه الله، وعوض العرب والمجمع العلمى العربى خير العوض، وجعل ما بين ماضى الأمة العربية الإسلامية وحاضرها موصولا حتى يوفى العقد على تمامه ، والسلك على نظامه

محمد عبد الغنى حسن

٢ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

والسموأل [1] يباعد ويقارب بين الطرفين البعيدين في هذه الصورة الشعرية إذ يقول :

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرع لا ينال طويل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره ... يعز على من رامه ويطول
علونا إلى خير الظهور وحطنا ... لوقت إلى خير البطون نزول

ولم يكن أمام الحارث بن حلزة ما يعوق رقيه وانتماءه إلى ذروة الشرف ، يقول :

فبقينا على الشناءة تنمينا ... حصون وعزة قعساء

ويقول عنترة العبسي وقد جمع بين الحركة إلى أعلى وخوض الحروب ونيل الرتب :

ولي بيت علا فلك الثريا ... تخر لعظم هيبته البيوت
وخضت بمهجتي بحر المنايا ... ونار الحرب تتقد اتقادا
لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وهو الذي لم يقعد بسواد وجهه عن النهوض والجهاد . وفي ذلك يقول :

واختر لنفسك منزلا تعلو به ... أو مت كريما تحت ظل القسطل
إن كنت في عدد العبيد ، فهمتي ... فوق الثريا والسماك الأعزل
وبذابلي ومهندي نلت العلا ... لا بالقرابة والعديد الأجزل
لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل

تلك هي مؤهلات المجد التي ابتدعها عنترة ، وحرص على إبرازها ، فكان له مكانه الممتاز بين أصحاب المعالي ، وحسبه شرفا أن له — وهو العبد الأسود — همة عالية نالها بالقوة لا بالانتساب إلى سادة العرب محتدا وعديدا ، وأحق معادن الرجولة بالإشادة هـذا المعدن العبقري النادر أو كما يقول شاعر قديم :

إذا ما علا المرء رام العلا ... ويقنع بالدون من كان دونا

أو كما يقول أمير الشعراء شوقي :

شباب قنع لا خير فيهم ... وبورك في الشباب الطامحينا

وأصحاب المعالي من القوة بحيث يتفاوتون في درجات التصعيد ، كل على حسب طاقته من التصميم على إدراك الغاية : فهذا النابغة الذبياني يمدح عمرو بن الحارث « ألا أنعم صباحا ، أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك .. والسخاء ظهارتك ، والحية بطانتك ، والعلا غايتك . » وتلازمه هـذه النزعة حتى وهو يمدح النعمان بن المنذر ملك العرب :

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

هذا في حين نرى عنترة — وهو الباطش الشديد — يتوعد النعمان بهذا الشعر الملء بالذخيرة ، المفعم باللهيب ، المختضب بالدماء :

اليوم تعلم يا نعمان أي فتى ... يلقى أخاك الذي قد غره العصب
فتى يخوض غمار الحرب مبتسما ... وينثني وسنان الرمح مختضب
إن سل صارمه سالت مضاربه ... وأشرق الجو وانشقت له الحجب
والخيل تشهد لي أني أكفكفها ... والطعن مثل شرار النار يلتهب
والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي ... والضرب والطعن والأقلام والكتب

ومن هنا نرى الفرق بين النعمان وعنترة في القدرة على التصعيد في طلب المعاني النادرة ، والامتزاج بالطبيعة في توليد القوى الدافعة الرافعة معا

وهذا ابن المنير الطرابلسي ينزل القمر — كرمز للجمال — من السماء إلى الأرض فيقول :

وأنزل النير الأعلى إلى فلك ... مداره في القباء الخسرواني

ومثله في هذا محمد بن وهيب إذ يقول :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

---

(١) من أشراف يهود يثرب مات سنة ٦٢ ق . هـ

وكان زهير بن أبي سلمى — على تقواه وورعه وسيادته وغناه — من دعاة المغامرة في طلب العزة ولو لقي في ذلك حتفه، قال يمدح الرجلين الساعيين في إصلاح ذات البين بين عبس وذبيان، وذلك كنز من المجد يرفع صاحبه: قال:

عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم (٢)
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ويقول أمية بن أبي الصلت: وقد أدرك الإسلام ولم يسلم:

ورثنا المجد من كبرى نزار فأورثنا مآثرنـــا بنينا

وهو المادح بقوله:

وأرضك كل مكرمة بنتها بنو تيم وأنت لها سماء

وبذلك جمل الطريف سقفا للتليد. والسماء أشرف من الأرض على كل حال

ومن أصحاب المعالي الشعراء من جعل للعلا عينا وحاجبا، واختار لها خدنا وقرينا، من هؤلاء الخطيب أبو محمد إذ يقول:

« ولقد رأيت الثناء حقا واجبا. على من غدا للعلا عينا وحاجبا، وسلب الوفاء صاحب القوس (حاجبا) (٣). وقال أيضا:

من ذا يفهد فديتكم زواره خطط النوال غرائبا ورغائبا
أم من غدا خدن العلا وقرينها فظننت ذا عينا وهذا حاجبا

وجعل أبو العتاهية للعلا يدا إذ قال في مدح الرشيد:

بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا فأوسعت شرقيا وأوسعت غربيا

وأكثرهم يجعل المجد بناء يسقفونه بالممدوح أو يجعلونه رداء وإزارا له، قالت الخنساء في صخر:

وإن ذكر المجـــد ألفيته تأزر بالمجـــد ثم ارتدى

وقال أبو فراس الحمداني في رثاء جابر بن ناصر الدين:

لما تسربل بالفضائل وارتدى برد العلا واعـــتم بالإقبال

وقال الإمام السبكي وقد جعل للمعالي أذيالا يجرها بنو النجار فخرا بالنبي:

نزلت على قوم بأيمن طائر لأنك ميمون الصفا والنقيبة
فيا لبني النجار من شرف به يجرون أذيال المعالي الشريفة

وحافظ إبراهيم قد تجشم الصعب لكي يلبس المجد معلما، بينما جعل محمود صفوت الساعاتي للعلا عيونا تبكي على عزيز راحل:

بكت عيون العلا وانحطت الرتب ومزقت شملها من حزنها الكتب

ومنهم من نصب خيام العز على ظهر السماك، فهذه تقية بنت الخطيب تقول:

أعوامنا قد أشرقت أيامها وعلا على ظهر السماك خيامها

ومنهم من لم يرض بالأرض مقاما، فارتفع إلى ما فوق السماء بالعفة والكرامة، قال أبو ليلى النابغة عبد الله بن قيس في حضرة رسول الله:

علونا السماء عفـــة وتكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فغضب رسول الله، وبان ذلك في وجهه وقال: إلى أين المظهر يا أبا ليلى؟

قال: إلى الجنة يارسول الله. فقال النبي: أجل إن شاء الله ذلك لأن الله سبحانه وتعالى وصف الجنة بالعلو فقال: « في جنة عالية »

ويقول أبو النجم العجلي:

ثم جزاه الله عنا إذ جزى جنات عدن في العلالي والعلا

ويقول أبو العتاهية في القلم:

لك القلم الأعلى الذي بسنانه يصاب من المرء الكلى والمفاصل

ومن شعراء العرب من يقصر المعالي أحيانا على الممدوح فيقول:

قل لأمير المؤمنـــين الذي له العلا والمثـــل الثاقب

وقد ينزل أحدهم الثريا من السماء ليضعها على نحر الحبيب فيقول:

---

(٢) الزجاج بكسر (الزاي) جمع زج، وزج الرمح أسفله، وعاليته أعلاه.. واللهذم هو السنان الطويل والمعنى: من عصى أسافل الرمح التي لا تقتل أطاع عواليه فهي قاتلة. ومن لم يطع باللين أطاع بالشدة

(٣) هو حاجب الذي رهن قوسه كسرى

كأن الثريا فوق ثغرة نحرها توقد في الظلماء أي توقد

وإنما يرتفع الفرد وتعلو الجماعة بنشدان الكمال جداً واجتهاداً كما يقول القائل:

دنوت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

ولا يخفض القبيلة وأفرادها إلا التخلف عن طلب المعالي ، قال الشاعر في (قصي) :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثلما ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له وقولها : رحلت عير . أتت عير

وما أبدع الجمع بين الغرام والجهاد في قول الشاعر الذي يطلب العزة في الكأس والقبلة ، وقد عناهما في قبة الفلك وجبهة الأسد ، وترفعا بهما عن الابتذال :

ليت الملاح وليت الراح قد وضعا في جبهة الليث أو في قبة الفلك
كيما يقبل ذا حسن سوى ملك ولا يطوف بحانات سوى ملك

ويضع الحافظ أبو الطاهر السلفي أهل الحديث في أعلى مكان حيث لا يدانيهم أحد من الناس :

أهل الحديث هم الرجال النزل ومن المعالي في الأعالي نزل
هل يستوي السمك الذي تحت الثرى أبداً مقيم والسماك الأعزل

أما الخنساء فقد قالت ترثي أخاها صخراً وفي مرجل نفسها تمتزج عناصر القوة مع مؤهلات المجد

طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا أياديهم إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهمو من المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم فوق ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

وتقول أيضاً :

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم من فوقه نار

ومن الناس من يتعالى بنفسه إذا تكبر عليه أحد أو تباعد عنه ، قال الشاعر :

وإني إذا ما لم تصلني خلتي وتباعدت مني اعتليت بعادها

أي علوت بعادها ببعاد أشد منه ، وقال أحمد بن بلال بن جرير

لعمرك إني يوم فيد لممتل بما ساء أعدائي على كثرة الزجر

أي عال قادر قاهر

وليس يتساوى عند الموت خامل وعامل ، فمن كان في الحياة عالياً فهو كذلك عند الموت ، قال أبو الحسن الأنباري في رثاء أبي طاهر محمد بن بقية وزير عز الدولة بن بويه عندما صلبه عضد الدولة ، وعنى الشاعر أن لو كان هو المصلوب ، وقيلت فيه هذه القصيدة التي قال في مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات

ومنها :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الوفاة
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافيات

ومنها :

ولم أر قبل جذعك قط جذعاً تمكن من عناق المكرمات

حتى المرأة كانت ترى أنها صاحبة المعالي حين تبدي زينتها وتمشي تيهاً ودلالاً ، فقد كتبت ولادة بنت المستكفي على تاجها بسلوك من الذهب :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من لثم ثغري وأعطي قبلتي من يشتهيها

وليس يصلح للمعالي كل من استند إلى نسب أو حسب ، وإن كان يصلح لها خامل الآباء إذا طلب الأسباب ، لهذا يقول أبو الأسود الدؤلي :

كم سيد بطل آباؤه نجب كانوا الرءوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدب نال المعالي بالآداب والرتبا

وبالعزيمة الصادقة يبلغ المرء هذه الدرجات كما تقول ليلى الأخيلية :

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفك جم التصرف
ينال عليات الأمور بعزمه إذا هي أعيت كل خرق مشرف

ويتفلسف ابن المعتز في « مؤنة المعالي » فيقول :

« لن تكسب – أعزك الله – المحامد ، وتستوجب الشرف إلا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤنة لاشترك فيها

السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء من ذوى الأخطار ، ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها. فخفف عليهم حملها وسوغهم فضلها ، وحظرها على السفلة ، لصغر أقدارهم عنها وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم واقشعرارها منهم »

أما الفرزدق فيرى مؤهلات المجد فى عزة النفس وكثرة العدد:

لنا العزة القعساء والعدد الذى
عليه إذا عـــد الحصى يتخلف

ويرى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب أن الإسلام هو العيش العالى ، ولو أصيب فى سبيله بما أصيب ، فهو القائل عندما قطعت رجله فى غزوة بدر ، وتوسد قدم النبي عليه السلام :

فإن يقطعوا رجلى فإنى مسلم — أرجى به عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منة — لباسا من الإسلام غطى المساويا

ويرى الإمام على كرم الله وجهه أن مطالب العلا كثيرة ، وتستلزم بذل المال ، وحسن الخلق ، والاعتصام بالله وحده ، وشكر نعمه ، وكذلك العلم والسفر فهو القائل :

ونافس ببذل المال فى طلب العلا — بهمـــة محمود الخلائق ماجد
وبالله فاستعصم ولا ترج غيره — ولا تك فى النعماء عنه بجاحد

ويقول :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمو — على الهدى لمن استهدى أدلاء

ويقول :

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا
وسافر ففى الأســـفار خمس فوائد
تفرج غم واكتساب معيشة — وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل فى الأسفار ذل ومحنة — وقطع الفيافى وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من مقامه — بدار هوان بين واش وحاسد

ويرى البارودى كل شئ محبب فى سبيل المعالى :

ومن تسكن العلياء همة نفسه — فكل الذى يلقاه فيها محبب

أما شوقى فيتخذ عزة النفس والإباء سلما لطلب العلا :

ينال العلا من لا يرى فى سبيلها — رضاء بخسف أو قعودا إلى حكم
أأقبل أن يستعبد الضيم مهجتى — وما خلقت إلا قضاء على الضيم

والعلم فى نظر الشيخ طنطاوى جوهرى هو مذهبه فى المعالى :

لى فى العلا مذهب سارت به السلف
فلا أبالى إذا ما ضله الخلف

ومنها :

أبيت إلا المعالى والمعارف إذ — أرى الجهالة عارا ليس ينكشف
وكم خطبت المعالى وهى ترمقنى — ولم يعقنى عن إدراكها الترف

ولم يكن خجل عائشة التيمورية ولا الحجاب بعائقها عن العلياء :

ما عاقنى خجلى عن العليا ولا — سدل الخمار بلمتى ونقابى
عن طى مضمار الرهان إذا اشتكت — صعب السباق مطامح الركاب

ويحتفل صفى الدين الحلى بالأخطار والأخلاق ، ما دامت عليات الأمور رائد الكريم :

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا — ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفوا بلا تعب — قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا بد للشهد من نحل يمنعه — لا يجتنى النفع من لم يحمل الضررا
لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة — ولا يتم المنى إلا لمن صبرا

ويقول :

ولا ينال العلا إلا فتى شرفت — خصاله فأطاع الدهر ما أمرا

والعفاف والإقدام والحزم والجود هى المؤهلات التى لا بد منها — فى نظر أبى العلاء — فى سبيل المجد :

ألا فى سبيل المجـد ما أنا فاعل — عفاف وإقدام وحزم ونائل

ولا يحمى الشرف العالى من الأذى إلا السيف فى رأى المتنبى :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى — حتى يراق على جوانبه الدم

ولا يصون العلا فى نظره إلا استعمال الشدة فى موضع الشدة ، والحلم فى موضع الحلم :

وما قتل الأحرار كالعفو عنهمو — ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

للكلام صلة

محمد محمود زيتون

٢ — على ضفاف القناة :

معمل تكرير البترول

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

وأعنى به المعمل الحكومى الذى يقع فى الزيتية قرب مدينة السويس ، بجوار المعمل العظيم الضخم الذى (تمتلكه) الشركة الإنجليزية لحا ودما ، والمعروفة بشركة (شل) . !

زرت هـذا المعمل الحكومى مع تلميذاتى ، طالبات القسم الثانوى بمدرسة الإسماعيلية الثانوية الأميرية للبنات ، وفى ذهنى صورة مشرفة عنه ، تعتز بها نفسى كوطنى غيور ، وأستاذ يحاول أن يشرب نفوس تلاميذه وتلميذاته حب الوطن ، والاعتزاز بمرافقه الحيوية ، ومقومات وجوده . .

أقول فى ذهنى صورة كونتها من المعلومات الكثيرة المتنوعة — فى الواقع — التى تنشر فى الصحف والمجلات والكتب الدرسية ، التى فى أيدى الطلاب والطالبات ، والتى تصور هذا المعمل فى إطار من الجلالة والكمال ، والروعة والعظمة ، ما تمتلئ له نفس المصرى بالفخار والإجلال

ومن العجيب المؤلم أننى فجعت فى هذا الأمل . فى هـذه الصورة الجليلة العظيمة التى كونتها من الصحف والمجلات ، والكتب الدرسية ، لا من البحث والدرس والتنقيب . . ووقفت ذاهلا حيران ، حينما علمت الحقيقة المرة ، التى تسئ إلى مصر والمصريين أجمعين ، وتدل دلالة واضحة على غفلتنا وبلهنا ، وتمكن المنصر الإنجليزى اللعين فى البلاد ، أو بعبارة أدق السلطان الإنجليزى ، وتمكنه فى مرافقنا الحيوية إلى حد كبير ، حتى ليخيل إلى الآن ، أن صراخنا وهتافنا بين الحين والحين ، ومطالبتنا بالجلاء الناجز ، ما هو إلا عبث أطفال عاجز ، والطريق الوحيد إلى الحرية والاستقلال هو غير ما نفعل بلا مراء . . إنه أشبه بهتاف الأطفال والصغار كلما رأوا طائرة فى الجواء ، محلقة فى الفضاء ، ارتفعت أصواتها مدوية مجلجلة : (ياعزيز ياعزيز . . كبة تاخد الانجليز . .) . !

والعزيز القهار ، الذى لا يغلبه شئ فى الأرض ولا فى السماء قادر على أن يأخذ الإنجليز ، ولكنه لا يأخذهم إلا إذا حاولنا نحن أخذهم والقضاء عليهم ، واتخذنا طريق الجد والسعى والعمل ، لا طريق الهزل والنقاش والفرقة والجدل ، ومهما كانت جهودنا ضعيفة ضئيلة ، فإن العزيز القاهر سينصرنا حينئذ عليهم نصرا مبينا ، ويتولى هو أخذهم ما دمنا نتذرع بالإخلاص ، ونتذرع بالإيمان والعزم . .

إن الزائر العابر لهذا المعمل الحكومى يعجب بما فيه من عدد وآلات ، ومساحة واسعة ، وبناء فخم ضخم ، فيه بذخ وسخاء . كما جرت بذلك عادة حكومتنا السنية الرشيدة فى عنايتها الكبيرة بالبناء والعمارة ، ومبالغتها فى تشييدها وتنسيقها . وتنظيمها إلى حد يخرج بهـا عن الغرض الذى بنيت من أجله ، ويدل دلالة واضحة على المبالغ الكبيرة التى أنفقت عليه ، والتى يذهب أكثرها إلى جيوب المرتشين من القائمين بكل عمل حكومى نظير تغاضيهم عن الأصول المرعية ، والقواعد المرسومة ، والاشتراطات الموضوعة ، والمتفق عليها ، والقوانين التى يجب أن تسود . .

وإن الزائر العابر يؤخذ بما يقال له من معلومات معسولة جذابة ، وعبارات منمقة حماسية ، كلما طاف بأنحاء المعمل ، وتجول فى أرجائه ونواحيه . . معلومات تسيطر على جوانحه ، وتملك عليه جوانب نفسه ، ويعتقد أن مصر سعيدة به إلى حد ليس بعده سعادة ، ويخيل إليه أن إنتاجه يغمر البلاد بأسرها ، ويسد حاجة مصر من هـذه المواد الضرورية فى مختلف نواحى الحياة من بنزين وكيروسين وديزل ومازوت وفزلين إلى غير ذلك من منتجات البترول ، أو الذهب الأسود بعبارة أدق .! ولكن الواقع غير ذلك ، إذ أن هذا المعمل بجلالة قدره لا يعمل للسوق .. هذا المعمل الذى تشرف عليه وزارة التجارة والصناعة لا ينتج للاستهلاك الشعبى ، وإنما يعمل وينتج للمصالح الحكومية فحسب . ينتج البنزين والكيروسين والسولار والمازوت ، ولا شئ غير ذلك ، ومع هذا فإن جماع إنتاجه لا يكفى هذه المصالح ، ولا يسد غير جزء يسير مما تحتاج إليـه ، والتى تمد يدها دائما

مستجدية معمل شل ، وغيره من بقية معامل العالم ، فتستورد مقادير كبيرة تسد بها حاجياتها ، وبخاصة مصلحة الميكانيكا والكهرباء التابعة لوزارة الأشغال . !

إن هذا المعمل الحكومي العظيم يعيش على فتات موائد معمل شل ، أي أنه يكرر نصيب الحكومة فى استغلال آبار البترول ، ويقدر بحوالي خمسة عشر فى المائة مما تخرجه هذه الآبار ، وهى كمية أقل ما يقال فيها : إنها نصيب الخائب ، المغلوب على أمره ، والذى ليس له من الأمر شئ ، إلا أن يسمع فيطيع ..!!

هذه الحقيقة المرة التى فجعت آمالى ، وخيبت ظنى فى هذا المعمل الوطنى ، لأنه فى الواقع يستمد حياته من معمل شل ، ولا يكاد يستقل بأمره ، أو ينهض فريدا بأعباء العمل الذى من أجله قد بنى ، إلا إذا أردنا نحن المصريين له مخلصين ..

أما معمل تكرير البترول الإنجليزى ، وأعنى به معمل شل فإنه يفوق معمل تكرير البترول المصرى بمئات المرات لا أقول مساحة وإنما أقول إنتاجا وكفاية ، واستعدادا للطوارئ ، ومواجهة للظروف كائنة ما كانت .. إنها كالعملاق الجبار الذى يزهو بقوته وجبروته ، والقزم الذليل الهزيل الضعيف ، الذى يتضاءل ويتصاغر خجلا واستحياء لئلا تقع عليه العيون ، لشعوره بضعفه وحقارته ، وضآلة شأنه ، وهوانه على الناظرين ..!!

وينتج هذا المعمل بجانب الأنواع التى ينتجها المعمل الحكومى — الديزل والفزاين والأسفلت وغير ذلك مما يحتاج إليه الاستهلاك الشعبى ، والسوق فى مختلف نواحى العالم . ولا يخفى ما فى ذلك من ربح وفير .. وإن زيارة واحدة لمدينة السويس حيث يقوم هذا المعمل الكبير المترامى الأطراف ، وجولة خاطفة بالغردقة ورأس غارب وسناجة .. تجعلنا ندرك إلى أى حد تتدفق الأموال باستمرار فى جيوب هذه الشركة العاتية ، أو بعبارة أدق كيف يسيل الذهب من مصر إلى خزائن الإنجليز براقا يخطف بالأبصار .. ثم لا يعجب بعد ذلك لما يراه من مظاهر الغنى والثراء التى تكتنف هذه الشركة ، وتحيط بموظفيها من الإنجليز بخاصة لأنهم الذين يستأثرون مع قلتهم بالمناصب الكبيرة ذات المرتبات الضخمة جدا ، ولا يضير الشركة ذلك ما دام سيتمتع بمرتباتها الكبيرة أبناؤها من الإنجليز ، لأن الإنجليزى يعرف كيف لا ينفق قرشا واحدا خارج بلاده ، ويدفع بجميع ما يمتلكه داخل بلاده ، ولعلنا ندرك بعد هذا السر فى تقشف هؤلاء الإنجليز المصطنع وبخاصة كبار الإنجليز فى وزارة المعارف وغيرها من الوزارات ، يرتدون أقل الملابس قيمة ، وأحقرها شأنا ، إلى حد أن يوقع الناظر إليهم فى الضحك الساخر ، والهزء اللاذع ، وإن كانوا لا يقيمون وزنا لكل ما يسمعون ، فلقد ضرب بهم المثل فى الصفاقة والبرود ، ولهم دائما أذن من طين ، وأخرى من عجين كما يقولون ..

وتحتل إدارة هذه الشركة فى القاهرة أكبر عمارة فى ميدان توفيق ، مكونة من ستمائة حجرة ، ومجهزة بآلات تكييف الهواء صيفا ، وأنابيب التدفئة شتاء . ويمتلك هذه العمارة شركة مصر للتأمين ، وتدفع شركة شل إيجارا لها قدره خمسة وثلاثون ألفا من الجنيهات سنويا . ويقال إن القيادة البريطانية هي التى تدفع إيجار هذه العمارة مستترة وراء شركة شل ، وذلك لاستعمالها فى أغراض حربية عند اللزوم ، ويدلل أصحاب الرأى على صحة ما يقولون بأن شركة شل كانت تسكن فى عمارة بها ستون حجرة فقط ، فكيف يقفز عدد الحجرات من ستين إلى ستمائة دفعة واحدة ، وبلا سابق إنذار ! !

ومما هو جدير بالذكر أن المركز الرئيسى لهذه الشركة فى لندن ، وله مجلس إدارة بدير شركة شل برأسه سير (فردريك جوبر) وجميع أعضاء هذا المجلس من الإنجليز ، ما خلا عضوا واحدا مصريا ، هو مندوب الحكومة المصرية .. وأننا نحن المصريين قد جددنا امتياز احتكار هذه الشركة للبترول المصرى ثلاثين عاما ابتداء من سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية !!

وبعد : فإن مجرد زيارتى لمعمل التكرير الحكومى بالسويس ووقوفى على هذه الحقائق المرة ، أضعفت ثقتى إلى حد كبير بما يكتب وينشر من أناس تضمهم فى مقدمة المؤلفين والباحثين والمنتجين ، وبما يذاع فى أنحاء البلاد ممن لا يتوخون الحقائق حين يكتبون ، وبخاصة فى هذه الموضوعات الاقتصادية الوطنية ، وكان الأولى بهم أن يتحروا الحقائق خدمة لهذا الوطن المرزوء . !

عهد ختام

للأستاذ محمد محمود جلال بك

وثمة صلة تخفى على النظرة العابرة . تلك صلة القربة وقرباها . (برطباط) بلد الشاعر التي هام بها وكانت في مجموعها مصدر أنسه ، فصديقاه منها ، ومعالمها أحب المعالم إليه ، وعشراؤه الذين يعمرون ندوته من أهلها . إذا غاب عنها ونزل القاهرة دعاها هاتفا :

يا (برطباط) سلام الله أهديك   أنت الحبيبة قلبي ليس يسلوك
يا قرة العين يا دار الخليل ويا   مهد الأحبة ما حب كحبيك

وإذا طال مقامه عما قدر ، وقد لا ينزل القاهرة إلا لعلاج أو لضرورة عمل ، عزفت عينه عن مباهجها، ورأى في (برطباط) شخص حبيب يرفع إليه اعتذاره :

حالت صروف الليالي دون مجتمعي   يا ليتها ما مضت عنا لياليك
مرت سراعا فسارت إذ مضت وقضت   على حشاشة أنسى بعد أهليك

ولم أظفر بنظير — فيما عرفت وقرأت — لهذا العمق في حب المكان — ولعل ما أشرت إليه من إرهاف حسه ، وحب الخلوة أثر في ذلك :

ما مصر يوما وإن جلت محاسنها   أبهى وأحسن عندي من مرائيك

وشاعرنا في هذا الوضع يشارك المرحوم رفاعة بك الطهطاوي إذ يقول في مقدمته « الوطنية المصرية » يشير إلى طهطا « ولأرضك حرمة وطنها، كما لأمك حق لبنها ، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان ، وإن ألبستني المحروسة (القاهرة) نعما »

ولا شك أن الوفاء أظهر وأوضح حين يتصل بالقديم من المنازل والأول من الذكريات ، فلكل واحدة من أولئك فضل الانبثاق العاطفي ، وأول الإشراق للتقدير الشخصي

يقولون إن الرسول الكريم — وهو مثل الكمال الإنساني عليه صلاة الله وسلامه — نظر إلى معالم البلد الحرام أول هجرته وقبل أن يستدبر ثم قال « اللهم إنك أحب بلد الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما هاجرت » . وهذا أرق تعبير وأدق ، وهو لم ير إلى ذلك التاريخ إلا جفوة منكرة من أهلها . ومعالم احتفظت بهول العذاب للنفر الغر من صحبه الكرام لا لشئ إلا أن يقولوا ربنا الله . ولكنه يعرف للبلد الذي نشأ فيه حرمته وحقه ، ولا ينساه حتى وهو مقبل على يثرب حين ينتظره الأنصار الفادون وحيث الظل والماء

وقد يبلغ القلق من شاعرنا — وهو في عصر المواصلات السريعة — حدا تترا كم به هواجسه فتظهر على فمه شعرا يخاطب بلده :

وإن من البلاهة والغفلة أن نقنع أنفسنا حكومة وشعبا بأننا علك ممملا للبترول ، ثم نملأ الدنيا ضجيجا باستعداده وإنتاجه ما دمنا لا نستقل نحن باستغلال هذه الآبار التي حبيت بها الطبيعة بلادنا المصرية العزيزة ، وليس لنا دخل فيها ، وإنما هو خير ساقه الله إلينا ، ولم نعرف بعد كيف ننميه ثروة قيمة يكون لها دخل كبير في رقي البلاد ، بل لم نعرف كيف نحافظ عليه من أيدي الغاصبين الذين ينهبون كل شئ ، ويستغلون هذه البقرة الحلوب — مصر — إلى أبعد حد ، دون خوف ولا استحياء ولا إصاخة لصوت الضمير . .

إننا لآثمون في حق هذا الوطن الغالي ، مفرطون في حق هذه البلاد الغنية الوفية ، حيث لا تتعاون الجماعات ولا تنشأ الشركات المصرية الصميمة ، لاستغلال مرافق البلاد ، وما أودع الله فيها من عظيم النعم ، وجليل الخيرات . .

وإننا ضقنا ذرعا بجمجمة ساستنا الذين يستغلون هذا الشعب المسكين ، الذي لا يكاد يفيق من آلامه ، وجراحه العميقة الفاغرة على الدوام ، ولا يحرصون على خيره ونفعه حرصهم على مناصبهم وكراسي حكمهم ، ولا يخلصون له النصح في تنمية موارده ، وتكثير ثروته ، إخلاصهم في تنمية مواردهم وتكثير ثروتهم ، بل جعلوه قنطرة يصلون بالتظاهر بالإخلاص له والعمل لخيره — إلى ما يريدون ، من تكوين ثروات ، واقتناء ضياع ، وتشييد عمارات وقصور ، واستغلال مؤسسات وشركات .. وإن الأمل لمعقود الآن على جهود الشباب حتى يتم إنقاذ هذا الوطن المسكين .. فهل آن الأوان ..!!

عبد الحفيظ أبو السعود

بالله هل أحدثت أيامنا غيرا أم أنت باقية ترجين راجيك
عمت خطوب الزمان الخلق كلهمو فالله أسأله منهن يحميك

أما (برطباط) هذه فمن أقل البلاد حضارة، وأناها قرية من مركز مغاغة مديرية المنيا — غربي بحر يوسف! وهذا مظهر أرقى للوفاء؛ ودليل قاطع على النسبية والشخصية في النظرة والحكم

حدث سنة ١٨٧٠ وقبيل سقوط باريس أن جمع الأديب الشاب Alexandre Ffan طرفا مما طبع من القطع التمثيلية ودواوين الشعر مما يرضى ذوقه. وأنفق أكثر ما كسب من مال في تجليدها تجليدا فنيا رائعا، ووفق إلى دار صغيرة في الضواحي حيث رتبها، كما نسق سكناه تنسيقا أنيقا، وما كاد يفرغ من كل ذلك حتى فاجأه الحرس الوطني يطلب إليه الرحيل لاقتراب جيوش الألمان! ذعر الشاب وقد حددوا له أسبوعا قال إن هذه الفترة قد لا تكفي لمجرد البحث! وفي اليوم التالي جاء الحرس مرة أخرى يحدد له أربعا وعشرين ساعة!! شده الرجل فودع بيته وماحوى. وفي حقيبة صغيرة وضع مايحتاج إليه وآوى إلى أول فندق ثم أصبح وهو في الدار الآخرة! — أسلم روحه بعيد أن أسلم ماله في هذه الدنيا!!

• • •

وبقدر وفاء شاعرنا الفقيد كان الله لما يلق من نكران أو يلمس من جحود، فيقول في قصيدته الطويلة تلك:

غاض الوفاء فلست ألقى صاحبا إلا بغير فضيلة ووفاء

ولكنه مؤمن تقي. نشأ في بيئة تقوى. كان أبوه من أعلام المروءة وأهل الرأي في بلده. فتسمعه في أواخرها يقول:

ولقد شفى نفسي وأصغر همها أن كل شيء صادر بقضاء

فهو يثور قضاء لحق المروءة عليه وترجمة لوفائه، ثم يعود ملتمسا عذرا لما في الكون من إنسان وحادث، ولما تمر به الدنيا أو يمر بها من تفاعل، يرجع بهذا إلى شيمة الرضى وهي وليدة التسليم لمبدع الكون وما قسم من حظوظ

مررت مع صديق أحمد الأزهري ذلك العام ذاته سنة ١٩٤٦ بحقل للقطن استلفت منا النظر، فشجراته تستطيل على ما في الحقول المجاورة، وعهدنا عمدن الأرض واحد! واسترعى الانتباه منا قلة مايحمل من ثمرات بينما تلك القصار تنوء بما حملت، وتساءلنا فعرفنا أن الأول تجربة للقطن «السكلاريدس» وأما باقي الحقول فمن القطن «الأشموني» قلت أيها الصديق.. أماتذكر أقرب مايتمثل به هاهنا؟ ولعله أقرب كذلك إلى البر.. قال ماتذكر؟

قلت ذلك قول صديقنا الفقيد «أحمد توفيق»

إن راح قوم للسماء بحظهم فالحظ أسبق ما يكون ورائي
لا غرو أن نال اللئيم مكانة ما نالها ذو حكمة وذكاء
فالغصن ينمو وهو خلو من جنى وتراه يثمر عن قليل نماء

ألا ترى في هذين الحقلين المتجاورين بل المتلاحقين وما بينهما من فارق. مسرحا تتمثل فيه هذه الحكمة.. وتمثل فيه هذه الرواية؟!

ذكرت هذه الأبيات مرة على مسمع فقيد العربية الشاعر الخالد أحمد شوقي بك منذ ربع قرن وكنا نسير على شاطئ البحر بكازينوسان استفانو فوقف يستعيدها ويستفسر عن قائلها، وقد أعجب بالمعنى وترحم على «أحمد توفيق» حين علم أنه ارتحل عن دنيانا باكرا

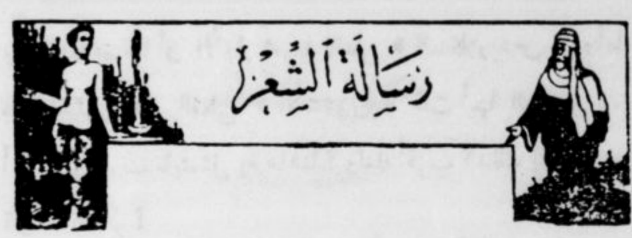
وكذلك كان حظها من تقدير الصديق الأديب واصف غالي باشا وهو حجة في الذوق - سمعها بين أفياء «لؤلؤة البحيرة» وهو المتنزه المشهور في جنيف

فلم أنس الصديق الراحل على شاطئ بحر أو بحيرة، في بستان أو في حقل، ولم تفارقني ذكراه في صحة ولا علة، بين كروب أو في سرور، ولكني حقا نسيت وصاته سنين فلم أنشر فضله ولا أعلنت عهده حتى ذكرني صديق كريم على شاطئ البحر في بورسعيد سنة ٤٣، ثم طوت المحن صحيفة الازدهار من الذاكرة حتى نشرها فبعثت بأول البحث إلى صديق وأستاذي صاحب الرسالة وهو عندي أرعى الناس لعهد وأبر الأدباء بالبر وأكبر الإخوان عونا على خير

ولعل خير ما أكرم الله به الذكرى أن جعل «الرسالة» رسالة الطهر والخلق المتين — مظهرا لها، كما كان لقرائها الأكرمين تقدير ما راقهم وغض الطرف عما بها من قصور

ديغون

محمد محمود جلال



من روائع الشعر الغنائي :

حنين ..!

لصاحب السعادة عزيز أباظة باشا

خميلة في حواشي النيل مونقة يلفها الضاحكان ، الروض والماء
منضورة طلقة الأعطاف راوحها بالضم صبح وبالتقبيل إمساء
كأنما من شعاع الراح عنصرها مجودا عبقرى الفن وشاء
عسى وتضحى بها سمراء لاعبة كأنها فتنة يقظى وإغراء
عسى تهادى دلالا خطو مترفة لفاء وهي هضيم الكشح هيفاء
إذا انتشت في صدور الليل فهي رشا وحين تهفو هواديه فرقطاء
وإن سكبت رجاء فاختصت عللا فالعقل مستيقظ والعين سجواء
تلق الحديث خفيف الجرس منخزلا كأنما يعتريها فيه إغفاء !!
وقد تساعف عيناها فتكمله إن البلاغة تكسير وإيماء
يا جارة النيل في عليا « زمالكه » حيث الضحى ذهب والليل لألاء
أبثك الشوق مشبوبا تساقطه على مغانيك أرواح وأنداء
ترى أعهدى مرعى أم انبعثت تمطو إلى لذة التغيير حواء ؟!
وأن حواء والدنيا بفتنتها سحر وعزف وأنغام وصهباء
طلسم دهر ، فلن تجلى له سجف ونحن للضعف والأهواء أنضاء
إليك أشكوك ، والشكوى لذى جنف ضراعة يتحاماها الأعزاء
لم تهف لى منك مذ بنا محبرة كأنها من نشيد الخلد أجزاء
مخمورة الشوق جالت في رقائقها يد مقبلة القفاز بيضاء
مسكية الرقم تسنى في غلالتها كأن أحرفها السوداء أضواء
أطالع الصبح مطويا على شجن فإن دجا الليل فالظلماء رمضاء
وأسأل البرق ، هل وافت نوابضه ؟ والطائرات أفيها عنك أنباء ؟
حتى إذا الليل لفت بي جواشنه قلت الصباح ، فإن الصبح جياء
وكم أهبت بقلبي أن يكف ، وأن يسلو ، فأعرض عنى وهو أباء
وقال ، ما القلب إلا رحمة وهوى فإن خلا منهما ، فالقلب أشلاء
وقال فاختر . فقلت الصبر أجمل بي ورعيا عهد الرق الأرقاء
بأبخل الناس بالحسنى وأن أسيت بهـا جراح وآلام وأدواء
أممنت في الجور . شر الجور ما عمات تقال أعبائه الصحب الأحباء
لمن خلائق أطلاع سطوت بها وقد عنتك المساميح الأجلاء ؟
زبدى جفاء ، وحسبي أنني رجل أنت الهواء له والشمس والماء
وأن عيني ترى الأيام محسنة إذا رأتك ، والأيام أعداء
وأن قلبي وإن صارمت مقتله وأن أذني إذا تلحين صماء

زبوريخ — عزيز أباظة

أغنية الشاطئ الخالي *

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

(شاطئ « كليوباترة » في عام ١٩٥٠ . والصيف يجود بأنفاسه الأخيرة .. بين أيدى الخريف !.. والشاعر الحائر يسير على الشاطئ الخالي ... في موكب من جلال المغيب !...)

أين ياشاطئ روادك أينا والأغاريد التي كانت لدينا
والأماني وهي تروى مهجتينا انتهت تلك الأماني .. وانتهينا
آه لو عادت ، وعدنا فالتقينا !

* * *

أين أحلام الليالي الماضيات والتلاقي في المغاني الساهرات ؟
لم نعد نملك غير الذكريات بعد أن كان الهوى ملك يدينا
آه لو عادت ، وعدنا فالتقينا !

* * *

كم سهرنا وحدنا في « كيلبترا » والمنى تهدى لنا زهرا وعطرا
وأنا أرسل أنغامى سحرا وهي تصغى والهوى يحنو علينا
آه لو عادت ، وعدنا فالتقينا !

---

* هذه الأغنية يلحنها الأستاذ الموسيقار كمال الطويل للإذاعة المصرية خاصة.

٥٦أنا أحيا هنا وحدى غريبا أذكر الأيام والعهد القريبا
وأناجى الموج والرمل الحبيبا : هـذه آثارنا ترنو إلينـا
آه لو عادت ، وعدنا فالتقينا !

° ° °

كلما جئت إلى تلك المغـانى رفرفت روحى، وفاضت بالحنان
أين أيام التدانى ... يازمانى ؟ قد أضعناها ، وعدنا فاشتكينا
آه لو عادت ، وعدنا فالتقينا !

° ° °

أيها الشاطئ إن عدنا إليـكا واسترحنا ها هنا بين يديكا
فأقم للحب أعراسـا لديكا وترنم فالمنى فى راحتينـا
وكفـانى وكفاها ما بكينـا

ابراهيم محمد نجا

من أخبار باريس :

شهرزاد مدريد

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

ومن ذكريات عيد الحرية فى باريس سنة ١٩٥٠ أيام كان الشاعر يتلقى علومه هناك وقد أهداه إلى أديبة إسبانية حسناء كانت برفقته أثناء ما كانت (الكرنفالات) قائمة فى كل مكان .

عبرت بى وهى شقراء لهـا وجه صبوح
فى مساء تعبق الفتنة منـه وتفوح
شاعرى الظل تخضل له النور مسوح
قلت : يا ضاحكة العينين ماذا لو أبوح ؟
أنا لو تدرين قلب بهوى الغيد جريح
شاعر طوف فى الأرض فأشقاه النزوح
سئم الغيد « ببغداد » وأدمته الجروح
فأتى « باريس » فى ظل الأمانى يستريح
فرأى حـلم لياليه بعينيك فهاما

وتسامى نغما يشرق بالحب ضراما

° ° °

ووقفنا نتملى « السين » والليل سكون
الثرى سحر ونور القمر الظامى حنين
عرس ، فالورد والأنسام رقص ولحون
وعذارى الشهب فى حاشية الأفق عيون
فتعانقنا بروحينا وهزتنا الشجون
وهتفنا : لمن الصهباء واللحن الحنون
ههنا يحلو لعشاق اللذاذات الجنون
فهلمى نتعاطاها فدنيانا فتون
ما على مغتربى دار « بباريس » أقاما
إن أحالا الليل جاما والمسرات مداما

° ° °

وانتحينا حانة تحكى أساطير الليالى
السنى فى جوها الصاخب شرق الشال
واندفعنا بين حشد من نساء ورجال
يتساقون على نخب ليالى « الكرنفال »
قلت : يا ملهمتى الشعر ويا وحى خيالى
أزعيهامن جنى(بوردو)ومن تلك الدوالى(١)
خمرة تكشف للشاعر عن سر الجمال
ما علينا لو أذبنا الروح فى نار الوصال
أنت يا زهرة «مدريد» ويا زهو الدلال :
عيد أفراحى، وعطرى، ومدامى، والندامى
قربى تنفرك أسكب فوقه روحى هياما

° ° °

قالت: اشرب قلت: «سنيورا» اشربى نخب لقانا
لا تقولى قد خلا الحان ولم يبق سوانا
الهوى العاصف لا يعرف للنجوى مكانا

---

(١) بوردو : مقاطعة فرنسية غنية بأعنابها وكرومها وإليهـا تنسب الخمرة المسماة باسمها



الحياة قصص

تأليف الأستاذ يوسف جوهر

للأستاذ ثروت أباظة

بهذا الاسم ظهرت أخيراً مجموعة أقاصيص للقصاص الشهير الأستاذ يوسف جوهر . والأستاذ فى غير حاجة إلى تعريف . فقد تعدت شهرته الفئة المتأدبة إلى غيرها .. وهو فنان راسخ القلم صاحب مدرسة فى الأقصوصة .. ومجموعته هذه الأخيرة منهاج جديد لهذه المدرسة . فلكل أقصوصة معنى عميق تشير لك إليه حوادث القصة دون لفظها . والشخصيات بارزة الخطوط جلية التكوين ، والأسلوب عربى رفيع ، وليس يسيراً أن يأخذ فنان نفسه بكل هذا فى أقصوصة صغيرة إلا إذا كان هذا الفنان هو يوسف جوهر

وقد انحاز الأستاذ جوهر فى أغلب أقاصيص مجموعته إلى جانب الواقعية فى قالب فنى رائع . وإننى بمناسبة الواقعية أعتذر إلى الأستاذ أنور المعداوى إذا عجزت أن أضع هذه الأقاصيص فى واحدة من واقعيتيه ، فالفرق الذى أوجده دقيق يعز على غيره أن يستعمله مقياساً للواقعيات ؛ وأنا أرى الواقعية نقلا عن الحياة ، ولا يهمنى بعد إذا كان النموذج موجوداً فعلا أو قابلا للوجود ما دمت أستطيع أن أعيش معه إذا كان إنساناً ، فإن تك حادثة عشت فى جوها

والقصاص الواقعى لابد أن يكون قد رأى انحرافاً سجله فى قصة . فما القصة إلا عقيدة تكونت من مجرى خاطئ للحوادث أو من التواءات متراكبة فى نفس الشخص الذى يرسمه القصاص .. فنحن إن رأينا شخصاً عادياً سارت به الحياة سيراً لا التواء فيه ولا غرابة ولا صدفة ولا شر ؛ لا يمكن لنا أن نجعل من هذا الشخص أو من حوادث حياته قصة

فالواقعية فى القصة إذن نقل عن صورة شاذة من صور الحياة . أو تصور لصورة شاذة ولكنها قابلة للوقوع . ولا فرق بين الواقعيين لأننا لا نطلب إلى القصاص الواقعى القسم أن يقول الحق كل الحق ولا شئ غير الحق . وإنما بحسبنا أن يقص أمراً قابلا للتصديق . فإن لم يفعل فهو قد تجاوز الواقعية إلى الخيال أو الرمزية

نعود إلى حياة القصص التى رسمها الأستاذ يوسف جوهر فنراه قد التزم فيها الواقعية إلى أقصى حد لها ، فهو قد نقل لنا القصة التى قد تكون حدثت بالفعل أو القابلة للحدوث دون أن يدخل إليها مصادفة قصصية أو نهاية ذات عظة ، أو غير ذلك مما سار عليه أغلب القصاص . ولعله ألزم نفسه بذلك حتى تكون المجموعة صوراً من الحياة حقاً بغير زيادة أو نقصان . فهو لم يعاقب المجرم على فعلته ، وهو لم يجز المحسن على إحسانه ، وإنما سير الحوادث فى مجراها الدنيوى لا القصصى ، فقصته الأولى يعاقب غير المجرم وفى الثانية لا يثاب المحسن وفى ديون رهيبة لا يفك العقدة . وهكذا وهكذا صور من الحياة يضعها لك على الورق بغير تنميق قصصى فى الحوادث . ولست أدرى أهذا خير أم لا . فالقصة اليوم تنحرف إلى عكس ذلك ؛ فالجانى لابد له من عقاب والمحسن لابد له من ثواب .. وهكذا نرى القصص العربية

نحن أغرودة حب ردد الدهر صدانا
ما علينا لو ختمنا بدم القلب هوانا
حسبنا أنا احترقنا فى جحيم من أسانا
قدر نادى ، وقلبان أجابا من دعانا
فمسى نبعث ذكرى « شهرزاد » والزمانا
وتلاقت شفتانا ساعة كانت مناما
أمر الحب فكنا فى فم الدنيا ابتساما

عبد القادر رشيد الناصرى

والغربية ، ولكن يظهر أن الأستاذ يوسف جوهر قد بدا له أن يجعل القارئ هو نفسه الذي يعاقب المجرم فيحتقره ، وهو نفسه الذي يكافئ المحسن فيكبره دون أن يحكم على أشخاصه . وفي المجموعة صرخات إلى القوم أن يثوبوا إلى رشدهم ، فهو يهيب بالفلاح أن يطالب حقه ، وبصاحب الأرض أن يخفف من عجرفته ، ومن الغني أن ينظر إلى الفقير ، ومن الفقير أن يطالب إلى الدولة أن ترعاه .. كل هذا دون أن يتكلم هو . بل إنه ليطلق الحوادث تتكلم في صراحة واضحة مبينة . وثمة صور نقلها دون أن يحيك حولها قصصا ذات بداية وعقدة ونهاية .. وإنما هي صور التقطتها عدسته من أوساط القصص دون أن تغريها هـذه الصورة أن تتبع هذه الخيوط إلى النهاية .. مثال ذلك « ديون رهيبة » . وهناك أقصوصة لابد لي أن أذكرها معجبا بها كل الإعجاب ، وهي «أربعة ذئاب ونعجة» وقد استطاع الأستاذ يوسف أن يرسم هؤلاء الذئاب أو الرجال رسما قويا صادقا كل الصدق ، وقد ربط ثلاثة من هؤلاء الرجال براحد منهم كلا بوشيجة تدل على نظرة دقيقة إلى الحياة .. إنها أقصوصة رائعة

والمجموعة على غالبية الواقعية فيها لم تخل من الرمزية الطفيفة ، أو هي في الحق لم تخل من الخيال ، فأقصوصة «هذه هي الحرب» أخرج الأستاذ يوسف مصباحا غازيا على كوبرى قصر النيل ... أخرجه يتكلم .. خيال ولـكن المصباح لو تكلم لما قال غير الذي قال ، ولا فعل غير الذي فعل لأنه مصباح منير مشرق النفس ، تابع للميرى غير محتاج إلى مداهنة أو مصانعة لينال مالا ، وهو جماد غير محتاج إلى زلف أو تقرب ليكسب قلب امرأة .. وهكذا كان الأستاذ يوسف جوهر واقعيا في خياله

لست أعرف إذا كان الأستاذ يوسف جوهر قد أحسن أم أساء في التزامه هذه الواقعية فهو قيد نفسه بعنوانه .. والأقاصيص قد أدت الهدف التي أرادها أن تهدف إليه ، ولم يعاقب على شر ، ولم يثب على فضل ولـكنه أدى ، فإذا أراد المتزمتون المحافظون على الأخلاق أن يثوروا به فما عليه إلا أن يقول لهم : « هذه دنيا كم فلا تثوروا علي ؛ وإنما ثوروا بها إن استطعتم ، وأنتم لا تطيقون ثورة فاسكتوا حتى يثيب الله المحسن ويعاقب المسيء »

وإذا أراد القصاص الذين ينحون إلى المنحى الآخر من الإنابة والجزاء أن يثوروا قائلين : إن الأقاصيص لم تنته ؛ فهو قائل لهم « بل قد انتهت وعلى القارئ أن يقيم نفسه ، قاضيا وأنا إنما أروى لـكم وأصور أشخاصا ، ولا أحب أن أكون قاضيا بينهم ؛ بل إنني لا أحب أن أكون محاميا في الأدب »

أحار فيما إذا كان قد أحسن أم أساء حيرة أنظر فيها إلى العرف الذي كان جاريا ، أما إذا نظرت إلى نفسي فهو قد أحسن وأصاب ما أراد أن يصيب ، وليس عليه من حرج ولا جناح . ولـكنني آخذ عليه هذه الصبغة المتشائمة التي أراقها على قصص الحياة ما إن الحياة ليست قاتمة إلى هذا الحد ، والتشاؤم بعد يأس .. وليس مع اليأس فلاح .. لابد للمحاول من قبس يهتدى به إذا حاول ، فالصور الداكنة لا تشجع على المحاولة

وبعد فكل ما نرجوه إلى الأستاذ يوسف جوهر أن ينظر إلى أدبه أكثر مما يفعل الآن ، فهو قلم نحب أن نقرأ له ، ونحب العربية أن تقرأ له أدبا خالصا ، وفنا رفيعا . نرجو منه ذلك مهما كان في رجائنا حيف عليه ، ومهما كنا نعلم ما سيلحق به إذا حقق هذا الرجاء ، ولـكنه فنان وأديب فعليه أن يؤدى للفن حقه ، مادام الفن قد أدى إليه حقه .

ثروت أباظة



مولانا محمد على :

قرأت ما كتبه الأستاذ مرطاوى فى عدد الرسالة ٩٣٨ و ٩٣٩ عن مولانا محمد على ، وقد ارتفع به إلى القمة الشامخة التى لم يبلغها غيره من رجالات الإسلام ، وأظهره فى مظهر المدافع عن الإسلام ، الذاب عن حوزته والذائد عن حوضه ، فهو يقول بعد كلام طويل ترجم به لحياته :

« لقد بلغ مولانا محمد على من النجاح شأوا بعيدا قلما بلغه إنسان مثله ، بسبب إيمانه العميق بالله ، وذلك الإيمان الذى لم تكن لتقوى أعاصير الحياة على زعزعته ، والذى كان يزيد فى رسوخه ومتانته إدمانه قراءة القرآن والأحاديث المأثورة عن الرسول ، والذكريات القومية العميقة الجذور فى عواطفه عن مؤسس الحركة الأحمدية ، وخشوعه فى صلواته التى لا تنقطع لله تعالى ...

ثم يقول ولعل بساطته التى تنسبته إلى حد بعيد ، إلى بساطة الأطفال ترجع إلى عمق اتصاله بالأبد وعالم الروح وهو على الأرض . وعلى الرغم من أن مولانا محمد على يعيش فى عالم يضطرب بالخداع والنفاق والغرور والنميمة والأذى ، فإنه فى أخلاقه كالكتاب المفتوح ، يستطيع كل إنسان أن يقرأ فيه من النظر إلى قسمات وجهه كل ما يجيش فى عواطفه من شعور السخط والغبطة ، وهو كالمرآة الصافية الأديم ، يرى الناظر فيها كل ما فى تلك النفس العظيمة من استحسان واستنكار ، تلك النفس التى لا تعرف الخداع والتضليل والأباطيل ...

ثم يقول : وبعد فهذه شخصية إسلامية جليلة القدر بعيدة الأثر فى خدمة الدين ، تعمل أعمال الجبابرة وراء صمت التواضع ليكون العمل خالصا لوجه الله العظيم

وسيمر الزمن وتتلفت الأجيال المقبلة من أبناء المسلمين إلى التراث الخالد الذى صنعه مولانا محمد على لنشر الدين ، فتعطيه ما يستحقه من تقدير وتنصفه من الحياة التى لا تسدد النظر فى مواكبها إلى الدجالين والمشعوذين ، فيخلد مع الخالدين

والآن وبعد مرور نصف قرن من جهاد مولانا محمد على ذلك الجهاد الذى فتح الآفاق الموصدة فى وجه رسالة الإسلام الخالدة؛ يقف فوق الحياة بعد أن أشاع فى ظلامها النور الإلهى الذى يبعث الرحمة إلى القلوب المعذبة فيها »

وفى نفس المقال يصف ميرزا غلام أحمد مؤسس الحركة الأحمدية بأنه مجدد فى الإسلام . ذا شخصية جبارة تعمل على خير الإسلام والمسلمين فى بقاع الأرض

وقرأت ما جاء فى عدد شهر أغسطس من سلسلة اقرأ عن المهدى والمهدوية للدكتور أحمد أمين حين يتكلم عن الحركة الأحمدية وعن مؤسسها . فيقول فى ص ٧٦ : « وهذه الفرقة تسمى أحيانا القاديانية وأحيانا تسمى الأحمدية نسبة إلى غلام أحمد . وأكثر المسلمين ينفرون منهم ، ويعتقدون أنهم مارقون عن الإسلام خارجون على أهله ؛ وقد صرح مصطفى كمال باشا وشيخ الإسلام ومفتى الإسلام بخروج القاديانية عن الإسلام ، ويزعم محمد على وأتباعه أنهم مسلمون ، وأن غلام أحمد ليس إلا مسلما ومجددا ؛ ولكن فى كتبهم الأساسية ما يثبت غير ذلك ؛ فقد نشر فى مجلة الديانات مجلد ٦ ص ٩٩؟ : أن محمد على رئيس القاديانية كتب أن الصاحب (ميرزا) نبى آخر الزمان ؛ ويعنون بميرزا هذا غلام أحمد ، وجاء فى الخطبة الإلهامية لميرزا هذا قال : رأيت فى المنام أني إله فأنا فى اعتقادى كذلك (ع كمالات ص ٥٦٥) ويقول إنى أعتقد أن الإيحاءات التى أتلقاها معصومة من الخطأ كتلك التى كان ينزل بها القرآن (الدر الثمين) وقال : إن إيمانى بما يوحى إلى ليس أقل على كل حال من إيمانى بالقرآن وجاء فى كتاب الأخبار : « أن الله يقول له أى ميرزا : أنى أخبر الناس كافة أنك الرسول المقدس إليهم جميعا » وجاء فى كتاب آخر أن الله الحق هو الذى أرسل نجيه فى قاديان ؛ وإن مدينة قاديان ستظل فى مأمن من الوباء إذا كانت محل إقامته . ثم تدلى فزعم أنه أعظم من الحسين بن على ؛ وأنه المهدى المنتظر

هذان رأيان متناقضان كل التناقض ، فعلى الرغم من أن الدكتور أحمد أمين بك لم يذكر شيئا عن حياة محمد على وصفاته ؛ ولم يخصه إلا بإشارة عابرة فإننا نشتم منها أن محمد على هذا خارج على الدين . وكيف يكون متصفا بتلك الصفات التى ذكرها

الأستاذ سرطاوى من يؤمن بأن هناك نبيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتبع رجلا يدعى أنه إله وأنه نبى ، ويمان أن من لا يصدق به لا يدخل الجنة أبدا

أما نحن من جانبنا فلا نستطيع أن نؤيد أحد الرأيين الآن حتى نقف على بعض جوانب هذه الشخصية وأعمالها ليكون حكمنا صحيحا

وإنى أتقدم إلى قراء الرسالة الكرام بأن يدلنى كل من يعرف شيئا يخص هذا الموضوع إليه ، وله منى خالص الشكر ، ومن الله الباحثين عن الحقائق أجزل الثواب

أسيوط — عبد الموجود عبد الحافظ

١ — تعقيب على نقد :

ينتقد الأديب كيلانى حسن سند قولى «سمراء مثل الكروم» إذ لا لون للكروم فى حدود نظره إلا تلك الخضرة الورقية الداكنة . ولو تصفح حضرته أحد كتب البلاغة لعلم أن « المجاز المرسل » يبيح لقائل أن يقول « شربت الكروم » وهو يريد عصيرها . وعصيرها هذا كما لا يجهل الأديب ذو ألوان مختلفات أحدها السمرة المرادة فى التشبيه ... وينتقد وصفى للضياء بالنعومة لأنه مما لا يلمس باليد ؛ وأنا أسأله : وهل لنا أن نصفه بالخشونة ؟ وإذا كان الجواب الطبيعى بالنفى ، فلماذا تحرمون على شاعر أن يتخيل إيجابية شئ لم تستطيعوا للآن تقرير سلبيته ... وأنا لم أقل « خمرية كالماء » ولكن « خمرية كالمساء » والتحريف مطبعى فلا محل لنقده ؛ ومن ثم للرد عليه

٢ — غموض :

ثم ننتقل إلى غموض — إلى البيت الثامن :

أرنو إلى الفجر الجميل كساحر   حملت يداه ريشة عذراء

يقول الأديب النابه إن الساحر لا يحمل الريشة . وإنما هو الرسام ، وهذا من البديهة بحيث نخجل عن ذكره — ولو شئنا لقلنا « كرامسم » ولن يختل الوزن الشعرى ... ولو أتيحت للأديب رؤية الفجر وهو يوزع الألوان والأضواء على لوحة الأفق لوقف مثلى مشدوه الفكر ملتهب الشعور منجذب الروح . نحو هذه المعجزة السماوية المتجددة ... تماما كما يقف المسحور تحت تأثير الساحر القدير ... أما عن الشمس « شمت ماسة زرقاء » فهناك وجه الشبه البيانى يرخص للشاعر والكاتب أيضا أن ينظر للشئ من زاوية معينة ليشبهه بآخر لا يطابقه إلا من هذه الزاوية نفسها . والشمس إذ تبعث بأشعتها النفاذة فى كل اتجاه إنما هى ماسة مكبرة ولو لم ترها البصائر الرمداء .. كذلك هذا ، ولم يكن القمر يشبه العرجون فى كل حالاته عندما قال الله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

ولو رزق الأديب الكيلانى شيئا من النفاذ أو الإنصاف لساقته تنقلات القصيدة الفكرية من مشاهدة « الفجر » إلى « الظهيرة » إلى « الأصيل » ... لساقته هذه التنقلات الزمنية المتعاقبة إلى المشهد الأخير بشهد المساء الجديد

وإلى المساء وقد تدفق جدولا   ازرق أمواها وشف نقاء

وبعد فلى الأديب سلام الشعر

محمد مفتاح الفيتورى

ملاحظتان :

١ — ذكر الأستاذ محمد سيد كيلانى بالعدد « ٩٤٩ » من الرسالة أن شاعرات العرب لم يقلن بيتا واحدا فى الغزل قبل عائشة التيمورية !! وهو كلام عجيب غريب . وأحب أن ألفت الكاتب إلى بحث ممتع عن « الغزل فى شعر المرأة » قد نشر بمجلة الرسالة منذ ثلاثة أعوام بقلم الأستاذ محمد رجب البيومى ، ففيه الرد البليغ

٢ — جاء بالعدد « ٩٥٠ » من الرسالة بقلم الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار أن فعولن فى أول المتقارب لا تصير «عولن» كما فى قول الشاعر :

بانت تلوم على نادق   لبشرى فقد جد عصيانها

وحتم الكاتب زيادة الفعل الأول ليصح البيت فى رأيه ، والحقيقة أن « الخرم » وهو حذف المتحرك الأول من فعولن يدخل المتقارب والطويل ، كما فى حاشية الدمنهورى على الكافى ، وعليه فالزيادة لا معنى لها على الإطلاق ، وفقنا الله للصواب

عبد المنصف ناصف



تمثيلية قصيرة :

الديك والثعلب

عن جفرى شوكر
Geoffrey Chaucer

للأستاذ محمود البكرى محمد

(مهداة إلى العقلاء .. والمجانين أيضا)

أشخاص التمثيلية :

الديك . الدجاجة « زوجته » . الثعلب . مسز مالكين « فلاحة » . خمس دجاجات

(.. قبعت الدجاجة والديك فى المرقد .. ورأساهما بين أجنحتهما .. وفجأة تنبعث من حلق الديك نغمة متحشرجة فى ألم ، كأن شيئا ما قد مسه .. فتصحو « زوجته » مذعورة ... وترنو إليه فى شغف)

الدجاجة . ماذا أصابك يا رفيق العزيز ؟ !

(يخرج الديك نفس النغمة .. وهو لا يزال فى إغفاءته)

الدجاجة : (تنقره بخفة) ماذا حدث لك .. أتئن هكذا ؟

الديك : (مفيقا .. وفى صوت وسنان) لا تراعى من أجلى .. يا إلهى ! . لقـد اعتقدت أن شيئا مزعجا حدث لى ! . وإن الرعدة لتعرونى عند ما أفـكر فيه

الدجاجة : (ضجرة منه) ماذا حدث لك ؟

الديك : (فى صوت مرتعد) .. لقـد وجدتنى أتوثب هنا وهناك فى الحظيرة .. وجلا من وحش تساوره الرغبة الجامحة فى أن يقتنصنى .. ويقتلنى ! .

الدجاجة : يقتلك ؟ ! وماذا يشبه هذا الحيوان ؟

الديك : يكاد يشبه الـكلب .. لونه مزيج من الأحمر والأصفر . وفى ذيله وأذنيه نقط سوداء .. وإن له أذنا قصيرة وله (فى رعدة) عينان متوهجتان ! إن شيئا ما فى منظره .. أكاد أموت من الفزع عند تذكره ! .

الدجاجة : (تدفعه .. وتقول بحدة) كم أنا خجلة منك ! ولن أحبك بعـد ! . كيف تحمل الوجه الذى يقول لى إنك خائف ؟ أنت ؟ ! بعرفك الأحمر المشرشر كأنه قمة برج قلعة ، ومنقارك الأسود اللامع كأنه حجر ثمين ، وساقيك الزرقاوين ، وأظفارك التى هى أشد بياضا من أزهار السوسن ، ولونك الذى يشبه الذهب المجلو .. أنت ؟ ! يا جبان !

الديك : (بتلطف) إنه حلم مفزع .. يا عزيزتى !

الدجاجة : حلم ؟ وأنت مرتاع من حلم ؟ ! إن كل ما بك هو سوء هضمك ! . يحلم الرجال أحيانا بدببة سوداء وثيران كالحة ، وأشباح حالـكة تلاحقهم .. والديكة تحلم بالـكلاب : صغيرة وكبيرة .. و .. (باحتقار) بالوحوش الحمراء التى تريد أن تنهشها حتى الموت ! .. و .. (فى تأثر) لا ينقص الرجال والديكة غير جرعة من الدواء ! .

الديك : (مغتما) .. وتعتقدين هذا حقا ؟

الدجاجة : نعم ! .. وعندما نهبط من هذا المثوى .. ستتجرع واحدة .. وإلا فأنا أراهن على بنسين إن لم ترقد من الحمى أو البرداء التى ستفضى بك — على أى حال — إلى الموت . !

الديك : (منتفضا فى اضطراب) .. الموت ؟

الدجاجة : (مؤكدة) لابد أن تزدرد واحدة من الديدان أو اثنتين ثم بلمة من هذا النبات أو ذاك .. تسرع إلى تجرعه أنى تجده فى الحظيرة .. وتبتلعه جيدا .. (يئن الديك ثانية) يارفيق ابتهج بربك .. ولا تروعنك الأحلام !

الديك : يادجاجتى الحبيبة ! جميل جدا أن تسخرى من هذا الحلم وتهونيه ، ولـكنى قرأت مرة قصة رجلين كانا نائمين معا فى الليل قبل أن يبدآ رحلة .. ورأى أحدهما فى منامه شخصا يقبل ويأخذ مكانا بجوار سريره .. ويقول له : « إذا سافرت فى الغد فإنك غارق لامحالة .. وهذا كل ما أقوله لك » ..

فأيقظ صاحبه ، وأفضى إليه بذات نفسه .. ولـكن صاحبه يقول له إنه لايعبأ بالأحلام ، ثم سافرا .. وبغتة وبلا سبب تنقلب

السفينة ، ويغرق صاحبنا !.. هذا حق وحقيقة !

الدجاجة : لا تفكر فى هذا بعد الآن !

الديك : (بحنان) يا رفيقتى ! إن من أجلك أن أحزن هكذا. فإنى عند ما أعلى هذه الحمرة القرمزية حول عينيك. لا أستطيع أن أتحمل مجرد التفكير فى الموت ، والبعد عنك ! . لكم أنت حبيبة !

الدجاجة : إنه الفجر ! . ومن عدانا غارق فى سباته ...

الديك : يا لله .. حقا ما تقولين

(يخفق بجناحيه ويصيح عاليا .. ثم ينزل هو والدجاجة من القن . وكذلك باقى الدجاجات .. يتبختر الديك فى مشيته ، ويبدو عابسا كأنه أسد ... مختالا كأنه أمير ! يخطر على أطرافه لا تكاد تمس الأرض قدماه !

وبينما هم كذلك يزحف الثعلب . ويربض مستخفيا بين الأعشاب .. ثم تخرج الدجاجات واحدة بعد الأخرى .. ويخرج الديك وحيدا فى خيلائه باحثا — فى كبرياء — عن القوت . . وعلى حين غفلة يلمح الثعلب . فيجرى بعيدا فى صياح .. ولكن الثعلب يبرز من مكمنه .. ويتحدث إليه فى رقة

الثعلب : أوه . . لا تجر بعيدا . . أوه ! أنا آسف إذا كان انزعاجك بسببى .. وإن من المؤلم أن أراك هاربا كأنك خائف ! . إنى لم أجئ لأسمع ما يجرى بينكم ، أو لأتجسس عليكم .. ولكن (فى سرور) لأسمع صوتك الشجى ! :

الديك : (متوقفا . . ولكن على مسافة آمنة من الثعلب) لتسمع صوتى ؟ !

الثعلب : نعم لأسمع صوتك ! وإن كان من قول . . فإن لديك حاسة موسيقية لا يتمتع بها أى موسيقى سمعته . . إن صوتك أشبه بصوت ملاك من السماء

الديك : (شاكرا . مقتربا) . . أتعتقد هذا ؟

الثعلب : أعتقد هذا ؟! (فى حديث ودى) إن أباك بارك الله روحه ـ وأمك كانا فى منزلى .. وكان يسرنى أن يكونا هناك .. ومع استثنائك أنت أستطيع أن أقول إنى لم أسمع شخصا يغنى كما كان يغنى أبوك فى الفجر ..

.. يا إلهى ! لقد كانت موسيقاه تنبعث من الأعماق ! . .

لقد كان يقف على أطرافه ويمد عنقه ، ويجهد نفسه ليخرج ذلك الصوت الرقيق إلى أن تنغمض عيناه من الجهد ! ..

الديك : يقولون إنى صورة من أبى ! ..

الثعلب : ولم تكن لأبيك الحاسة الموسيقية فحسب .. بل كان أيضا حكيما جدا . . حذرا كثيرا . . ولكن يا سيدى . . هلا تغنى ؟! ..

أرجوك .. فإنى أبغى أن أعرف هل تستطيع أن تطرب كأبيك ! :.

(يضرب الديك بجناحيه .. ويتمطى ، ويمد رقبته ، ويغمض عينيه ، ويصيح بأعلى صوته ، وفى لحظة ينقض الثعلب عليه .. ويمضى به بعيدا .. بينما الديك يحشرج ويقاوم ، ويصيح فى فزع .. وتندفع الدجاجات صائحات فى ارتياع)

الديك : (فى صوت ضئيل يائس) لماذا تعدو بى إلى الغابة ؟ لقد انتصرت على وخير أن تأكلنى ها هنا .. وتنهى الأمر !

الثعلب : حقا !.. سأفعل ذلك .. ومن بعدك الدجاجات السبع ! ..

(بينما يفتح الثعلب فمه ينفلت الديك منه ، ويسرع عائدا إلى الحظيرة)

الثعلب : يا عزيزى ! . . أنا لم أقصد إفزاعك هكذا . . . تعال أحدثك عن قصدى ! . .

الديك : لا . أشكرك ، فأنا أعرف .. ولن تنالنى مرة أخرى ! . .

(تدخل (مسز مالكين) ومعها طبق من الحبوب .. وحينما ترى الثعلب تطرده إلى الخارج ثم تستدعى الديك والدجاجات إليها .. وتطعمها)

الدجاجة : لم أكن أعتقد أنى سألقاك ثانية . يا رفيق الأثير

الديك : آه .. لقد تعلمت الآن شيئين : ألا أغمض عينى حينما يجب أن تظلا مفتوحتين ، وثانيا : ألا أعمل بنصيحة زوجتى !

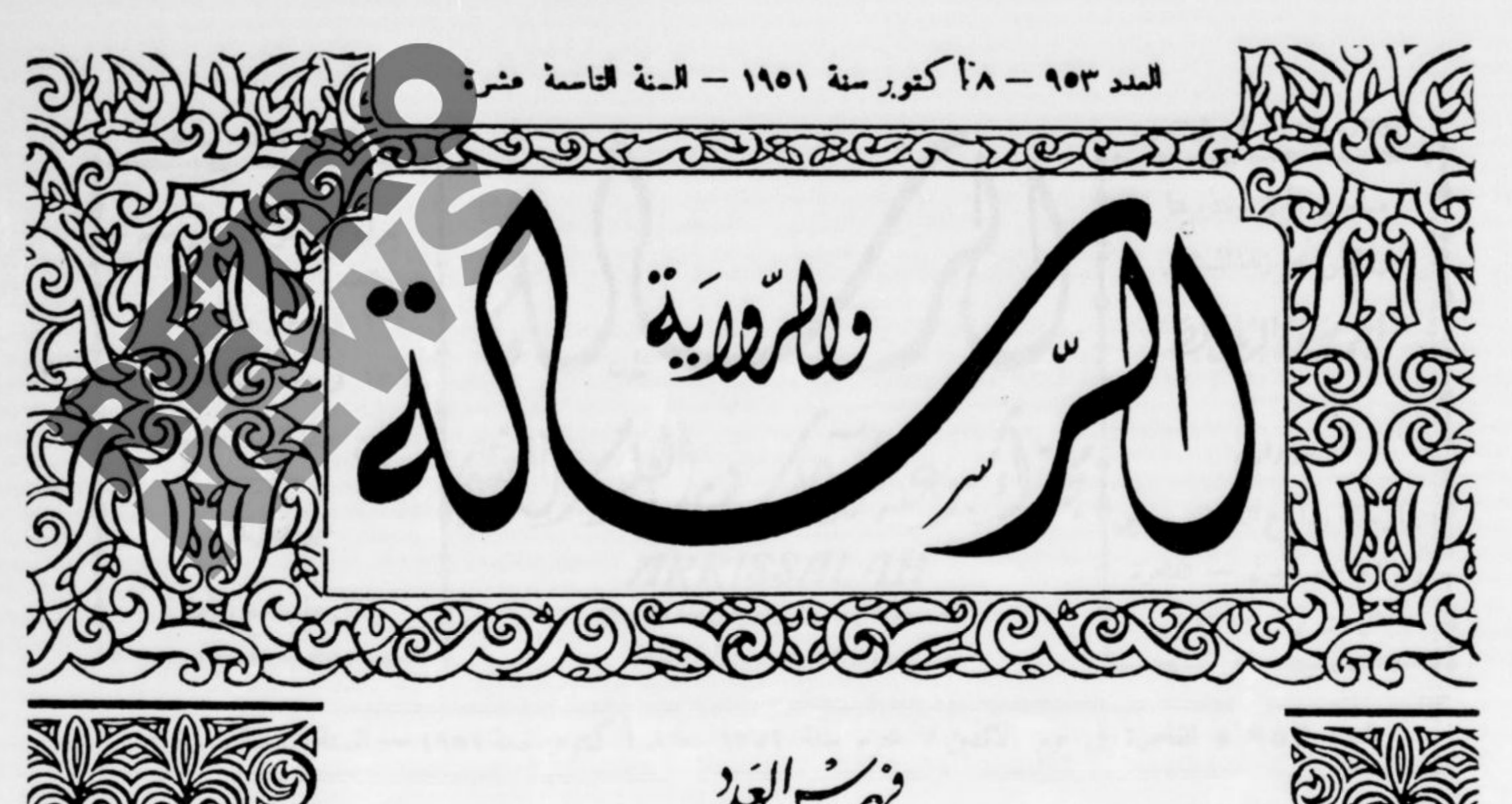
الدجاجة : وكذلك قد عرف الثعلب أن من الحماقة أن يثرثر حينما يجب أن يمسك لسانه !

محمود البكرى محمد


ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد الحكومة المصرية
دليل تليفونات القاهرة طبعة سنة ١٩٥١
يمكنكم أن تحجزوا الاماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات
القاهرة طبعة سنة ١٩٥١
والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة اذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة
ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة
ولزيادة الايضاح اتصلوا. —
بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة — بمحطة مصر
مطبعة الرسالة



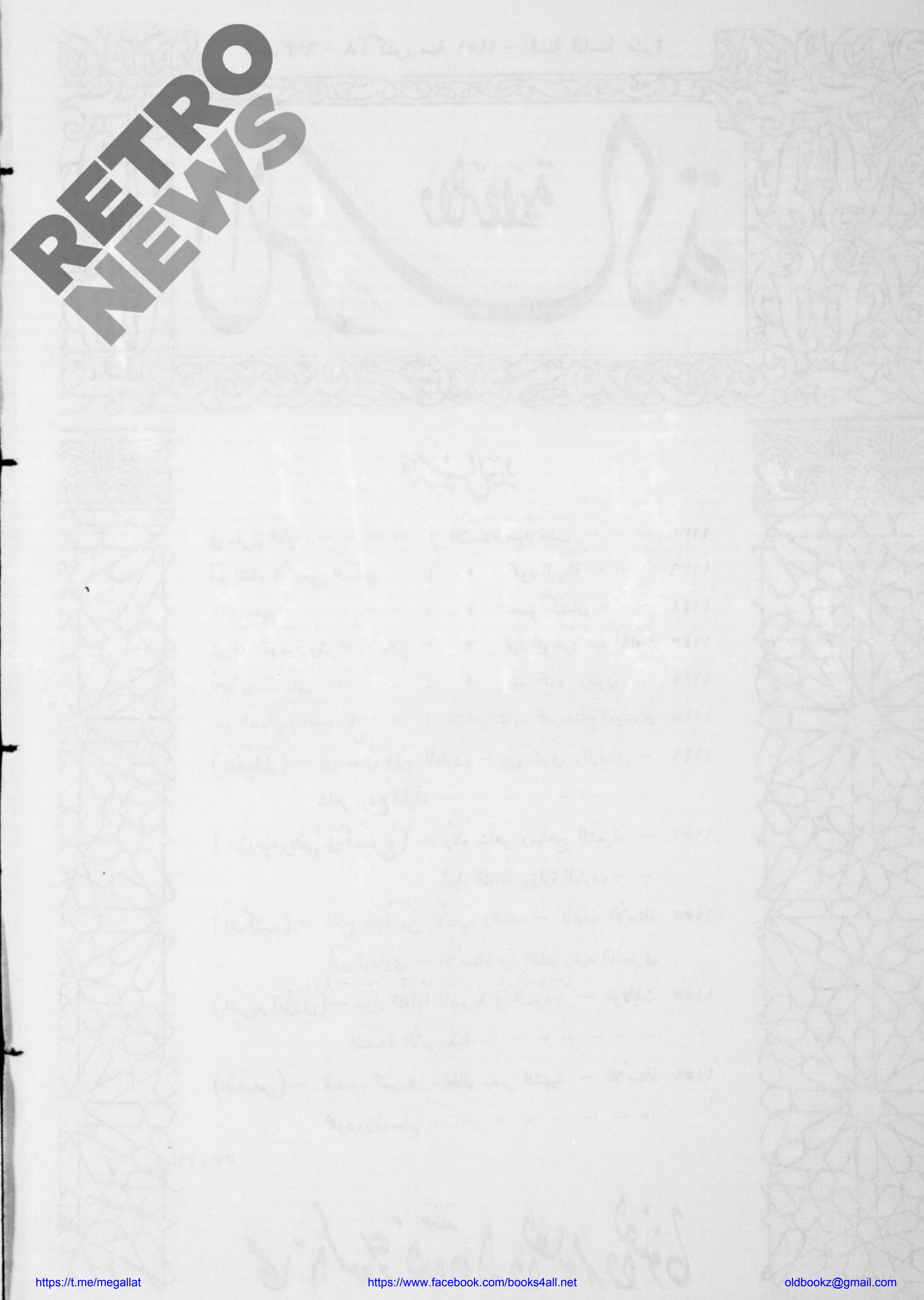
العدد ٩٥٣ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

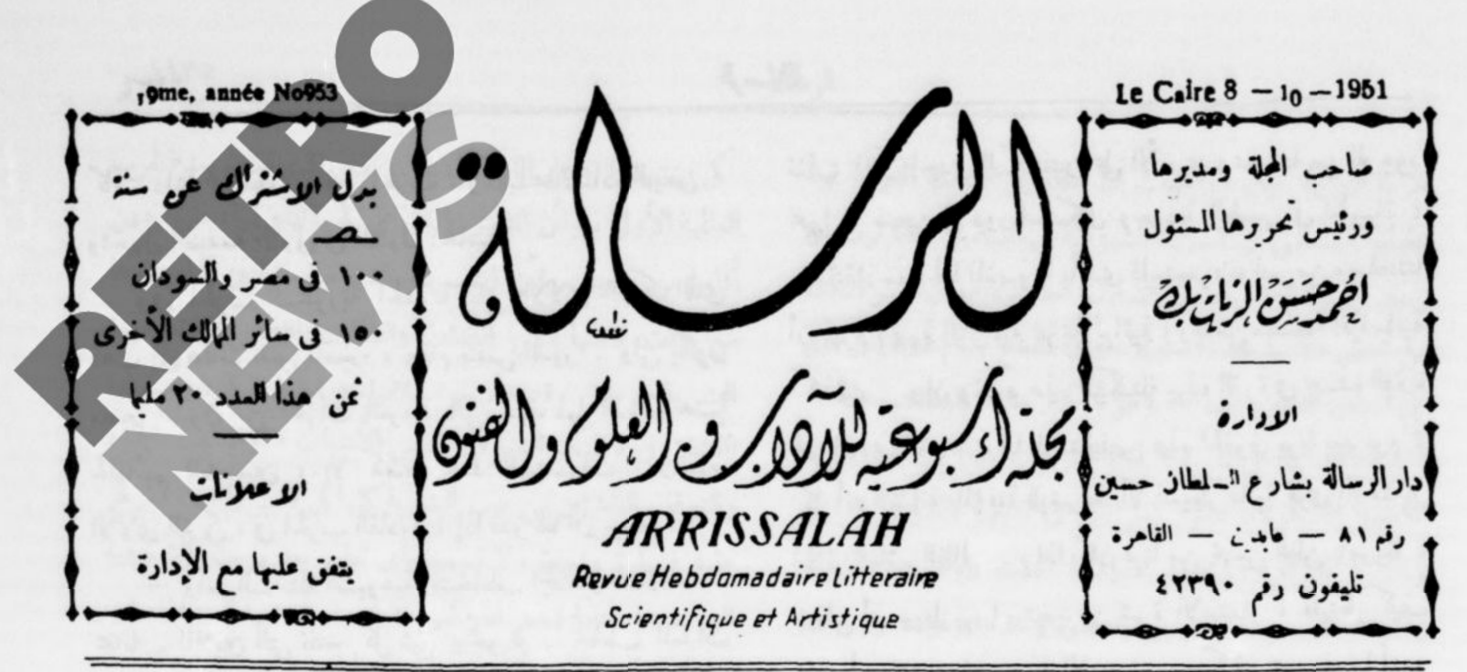


فهرس العدد

٢٩ ، ٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





Le Caire 8 – 10 – 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

19me, année No953

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٧١ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

في مفرق الطرق

للأستاذ سيد قطب

« من كتاب السلام العالمي والإسلام
يصدر بعد أيام . . . »

تقف الكتلة الشيوعية اليوم في جانب ، وفي الجانب الآخر تقف الكتلة الرأسمالية . وتحاول كلتاهما أن تستدرج البقية الباقية من العالم إليها ؛ وأن تستخدم في المجزرة موارد هذه البقية . مواردها البشرية والاقتصادية ومواقعها الاستراتيجية

فأما الكتلة الرأسمالية بقيادة أمريكا فتستخدم عدة وسائل لهذه الغاية :

تستخدم أولا عامل التخويف للرأسمالية في كل أنحاء العالم — وبخاصة العالم العربي — من الشيوعية التي تزحف يوما بعد يوم ، وتناشدهم المصلحة المشتركة بينهم وبينها ؛ وتلجأ في ذلك إلى المحالفة الطبيعية بين الرأسمالية المحلية والرأسمالية العالمية

وتستخدم ثانيا الضغط السياسي والاقتصادي — وأحيانا الضغط المسلح — في البلاد الواقعة في ربقة الاستعمار المباشر وغير المباشر ، كما هو الشأن في مجموعة البلاد العربية

وتستخدم ثالثا إغراء الدولار تحت عنوانات كثيرة . منها ذلك العنوان الجديد الذي خلف مشروع مارشال . وهو عنوان : « النقطة الرابعة » في مشروع ترومان !

وهي على العموم تخاطب الطبقات الحاكمة والمستغلة ، ولا تعتمد كثيرا على الجماهير الكادحة ؛ لأن مصالح هذه الطبقات معلقة بانتصار الكتلة الرأسمالية . وتبذل جهودا ضخمة في هذا السبيل دون أن تلقي بالا إلى مطالب الشعوب القومية ، لفرط ثقتها بالطبقات الحاكمة والمستغلة ، ويقينها أن هذه الطبقات لا تعادي الاستعمار عداء حقيقيا في سبيل مطالب شعوبها القومية .. وسيظل موقفها كذلك إلى أن تتولى هذه الشعوب قضاياها بأنفسها ؛ وتبرهن على أنها لا تستنيم لشعوذات المشعوذين من زعمائها وكبرائها ، وأنها معتزمة أن تسبب للاستعمار وللجبهة الرأسمالية متاعب حقيقية ، وتعرض مصالح هذه الجبهة وجيوشها لأخطار حقيقية . . . وعندئذ فقط تفكر الكتلة الرأسمالية الاستعمارية في الإنصات لصيحات هذه الشعوب

إن هذه الكتلة تريد أن تضمنا إليها لتستطيع أن تجند من العرب وحدهم مليونا — كما ورد في بعض البرقيات — ثم لتتخذ من بترولنا ومواردنا الغذائية ، ومواقعنا الاستراتيجية عدة للنصر في الذبحة العالمية المنتظرة . وبخاصة بعد تلك الصفعة القاسية التي أصابتها في إيران ، وما تزال تترنح منها

ولقد قيل في الحرب الماضية : إن الحلفاء كانوا يطهرون حقول الألغام أحيانا في الصحراء الغربية بإطلاق الجمال والبغال فيها . فإذا عزت عليهم الجمال والبغال أطلقوا زنوج المستعمرات الإفريقية ، يطهرون بأشلائهم المتطايرة حقول الألغام !

وسواء صح هذا أم لم يصح ، فإن وظيفة جند المستعمرات

كانت دائماً هي تطهير حقول الحرب، وتمهيدها للسادة البيض، واحتمال الصدمة الأولى في المعارك الحامية

وفي الحرب الكورية الحديثة نلقى الألاي التركي الذي ذهب إلى هناك نفس المصير، وقام بنفس الدور. ولن يكون مصير المليون من الخراف العربية التي سيقدمها السادة هنا لحلفائهم الطبيعيين، إلا كمصير جند المستعمرات، ومصير الألاي التركي، في الحرب القادمة، إذا قدر لها أن تهيج!

... وأما الكتلة الشيوعية فتخاطب الجماهير الكادحة. تخاطب الملايين التي تنتج كل شيء وتجوع. تخاطب المعدات الخاوية والأجساد العارية. تخاطب الضحايا التي طال عليها الإهمال، وطال عليها الحرمان. فأصبحت تستجيب لكل من يلوح لها بالرغيف، وكل من يعدها الخلاص من الترف الفاجر الداعر الذي تزاوله على مرأى منها ومسمع فئة قليلة العدد، فاحشة الموارد، بينما الشظف الكافر السافر يحمل هذه الملايين الكادحة حطاما، ثم يفتت ذلك الحطام!

وهي تستخدم كذلك أخطاء الاستعمار وجرائمه؛ ورغبة الشعوب المستعبدة في إلقاء هذا النير عن أعناقها، والاستمتاع بالحرية الطبيعية التي يغتصبها الاستعمار الفاجر الآثم، بمعاونة الخونة من المستغلين في هذه البلاد. كما تستفيد من مقاومة الصليبية الغربية، والرأسمالية المحلية لكل دعوة إسلامية حقيقية، وكل عدالة اجتماعية إسلامية

وعلى أية حال فإن كلتا الكتلتين تحاول أن تلقي في روع البقية الباقية من العالم، أن ليس للبشرية كلها إلا أن تسلك طريقا من طريقين، وأن تنضم إلى كتلة من الكتلتين، وأنه لا مفر من أن تنتصر الجبهة الغربية، أو أن تنتصر الجبهة الشرقية، ليسود السلام، وتنعم البشرية بالأمن، وتصل الإنسانية إلى استقرار؛ وأن انضمام البقية الباقية من العالم هو السبيل الوحيد لتغليب إحدى القوتين على الأخرى بصفة حاسمة، لإنهاء حالة القلق والتأرجح والاضطراب..

فأين وجه الحق في هذه الدعوى، وأين وجه المصلحة القومية والمصلحة الإنسانية في هذا الادعاء؟

إنه ليس من مصلحتنا نحن ولا من مصلحة الإنسانية أن تغلب الآن إحدى الكتلتين على الأخرى وتمحوها من الوجود محوا؛ فنحن في دور استكمال وجودنا الطبيعي في الحياة، واستنقاذ مصالحنا المغصوبة بأيدي المستعمرين، ليس من مصلحتنا أن تهزم الجبهة الشرقية هزيمة نهائية، ولا من مصلحة الإنسانية كذلك وإن وجود هذه الكتلة بهذه القوة في هذه الفترة لهو إحدى الضمانات لنا لنستخلص هذه الحقوق يوما بعد يوم؛ كما أنه الضمانة المؤقتة للبشرية ألا تسيطر عليها قوى الاستعمار الجائر الغاشم الظالم. وإذا كان فينا من يحسن الظن بأمريكا، ويظن أن سيطرتها ستحد من شرة الاستعمار، فلينظر كيف تقف أمريكا في صف هذا الاستعمار، وكيف تمده بقوة الحديد والنار عند الاقتضاء. على أنني أعيذ البشرية أن يستبد بها الصلف الأمريكي السخيف، الذي لا يقاس إليه الصلف البريطاني ذاته في أرض المستعمرات. إن عداوة الأمريكي للملونين عداوة كريهة بغيضة؛ وإن احتقاره للملونين لتهون إلى جانبه تعاليم النازية؛ وإن صلف الرجل الأبيض في أمريكا ليفوق كل ما كانت تتصوره الهتلرية. وويل للبشرية يوم يوقعها سوء الطالع في ربقة هذا الصلف الأمريكاني بلا قوة في الأرض تخشى ويعمل لها حساب!

كذلك نحن في حاجة مؤقتة إلى وجود القوة الشيوعية في الأرض، لتخويف الطغاة والمستغلين، واسترداد حقوق الجماهير المسلوبة، في ظل هذا التخويف! وإننا لندين لوجود هذه القوة بالشيء الكثير من مشروعات العدالة الاجتماعية الضئيلة التي تحاولها السلطات في هذه البلاد، ولولا الخوف من الشيوعية ما تم منها كثير ولا قليل!

ولكن هذا كله ليس معناه أنه من الخير لنا وللانسانية أن ينتصر المعسكر الشرقي انتصارا حاسما كاملا، وأن يتحقق ذلك الحلم الشيوعي الواهم، ويدين للشيوعية الجميع

إن هذا المعسكر لا يبغي لنا الخير، ولا يطيق أن تكون لنا فيه كرامة. إنه يريدنا جنودا له أو عبيدا، لا أن يكون لنا وجود ذاتي وكيان محترم. ولقد دلتنا تجربة فلسطين على حقيقة ما تضمره لنا روسيا الشيوعية. لقد وقفت منا موقف العداء في مجلس الأمن، كما أن أسلحة الكتلة الشيوعية لليهود هي التي وقفت في وجوهنا بفلسطين، ذلك أن روسيا كرهت أن يكون

للأمة العربية كيان ، وأشفقت أن تستحيل الكتلة العربية قوة حقيقية تستعصى على السيادة الشيوعية فى المستقبل ، فآثرت أن تتبخر كل دعاواها فى حقوق الشعوب الطبيعية ، وأن تخسر أساسا من أسس دعايتها ضد الاستعمار ، وأن تسمح بقيام دولة إسرائيل على أساس الدين وحده — وهو أكبر ما تنكره الشيوعية — آثرت ذلك كله على تقوية الكتلة العربية ، وضربتها تلك الضربة القاسية المنكرة ، لتقوم إسرائيل فى جنبها كالشوكة ؛ تمزق وحدتها الجغرافية ، وتفصل حدودها المتصلة ، وتحرمها التماسك والقوة والشخصية . إن روسيا عدوة وحدتنا وقوتنا ووجودنا الذاتى . وكل ما تلوكه ألسنة دعايتها هو مجرد أسلحة فى صراعها مع الكتلة الغربية ، كدعاية هذه الكتلة ضدها سواء بسواء

إنه لا بأس فى نظر الشيوعية الروسية أن تأبى على الكتلة الغربية فى استخدام مواردنا فى الحرب ضدها . أما أن يكون لنا كيان ذاتى ، وقوة شخصية ، ووجود قومى فلا ! وإن دعاتها فى بلادنا ليفزعون كما لو كانت قد لدغتهم أفعى ، إذا سمعوا دعوة للتكتل الذى يوجد لنا شخصية قومية . إنهم لا يريدوننا إلا ذيولا ذليلة تنعق بالشيوعية ، وتؤدى لها التسهيلات الممكنة فى أرضنا حين يستعر القتال ! وهو وضع تأباه علينا كرامتنا ، وتأباه علينا مصالحنا ، بل يأباه مجرد الشعور بأننا أناس ، لا سوائم ولا أشياء !

والشيوعية قد يكون لها اليوم لألاء فى عيون الكادحين والمحرومين ، الذين تصاغ دماؤهم يواقيت للنحور والصدور ، ويقطر عرقهم كؤوسا للسكارى والمخمورين .. ولكن تصور البشرية كلها نسخا مصبوبة فى قالب الشيوعية الواحد ، لا يسمح لفكر واحد فيها أن يشذ ، ولا لقلب واحد فيها أن ينبض بخالجة لا يرضاها ستالين .. هذا التصور وحده تقشعر منه الأبدان ، ويشفق من تحققه كل إحساس آدمى سليم !

على أن طبيعة الحياة تأبى الانتصار الكامل الحاسم لقوة واحدة من هاتين القوتين المادية بن اللتين لا يفرق بين طبيعتيهما إلا اختلاف المصالح والمطامع . وإن الهزيمة لتنبت فى زحمة النصر ، كما أن النصر ينبت فى ركام الهزيمة . وها نحن أولاء نرى أن الحلفاء الذين بذلوا ما بذلوا ليقهروا ألمانيا واليابان ؛ ينحنون اليوم على الحطام والأشلاء ليستنقذوا منها المارد الذى صرعوه بالأمس ، كى يستعينوا به على المارد الجديد .. نفس الذى فعلوه بعد الحرب العالمية الأولى . ولئن انتصروا غدا على الجبهة الشرقية ، فليواجهن ألمانيا من جديد . ولئن انتصرت الشيوعية فلينبتن لها عدوها من ذات نفسها ، من الضغط والكبت اللذين لا تطيقهما البشرية طويلا . وقد بدأت يوغسلافيا حتى قبل المعركة ، وسيتبعها التشقق فى المعسكر الشيوعى لنفس الأسباب ، أو بسبب الجمود والتوقف الناشئين من صب البشرية كلها فى قالب واحد ، تسيطر عليه فكرة واحدة ، لا تسمح بأى تطور بعد مرحلة الشيوعية التى تعدها ختاما للحلم الماركسى لا تتعداه ! وإنها للمنة لا تصاب بها الإنسانية إلا وقد أريد بها شر عظيم

إنه لمن السذاجة أن نتصور أننا نستطيع أن نجنى ثمار السلام العالمى من وراء اصطدام هاتين الكتلتين الضخمتين فى حرب حاسمة أخيرة . ولقد كان الطيبون الأبرياء فى العالم يتخيلون هذه الثمرة الحلوة يانعة بعد كل من الحربين الماضيتين ، فلم تطلع شجرة الحرب إلا ثمرات مرة ، تجرعها هؤلاء الطيبون الأبرياء ، وكان الجنى الحلو كله للطغاة والمستغلين ، من الشرقيين أو من الغربيين

إن طريق الخلاص للبشرية المنكودة الطالع لن يكون هو الانضمام إلى هذا المعسكر أو ذاك ، ليسحق أحدهما الآخر سحقا ويخلو له وجه العالم ، ويسيطر عليه وحده ، ويسيره كما يريد

إن المعركة فى صميمها ستدور فى أرض غير أرض الكتلتين ، ستدور فى تركيا والعراق وسورية ومصر والشمال الإفريقى ، وفى باكستان وأفغانستان • وفى منابع البترول العربية فى عبادان والظهران ... إنها ستدمر مواردنا نحن ، وتحطم حياتنا نحن ، وتدع أرضنا بلقعا خرابا يبابا . وسواء علينا انتصرت هذه أم انتصرت تلك ، فسنخرج نحن من المعركة فتاتا وحطاما ، لا كما خرجت أوربا من الحرب الماضية ، ولكن كما لم تخرج أمة من حرب قط . وإذا كانت هيروشيما قد ذهبت مثلا بقنبلة ذرية صغيرة ، فسنكون نحن تلك الفئران الصغيرة لتجارب القنابل الذرية ؛ والقنابل الهيدروجينية ، وغاز الموت الزاحف ، وأشعة الموت السحرية ، وحرب الميكروبات الطائشة ، وسائر ما يتمخض عنه الذهن الكافر فى دنيا الضمير الغربى الملوث

إن طريق الخلاص هو أن نبرز إلى الوجود من أرض المعركة المنتظرة كتلة ثالثة تقول لهؤلاء ولهؤلاء : لا ! لن نسمح لكم

أبو الثناء الألوسى الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود المبطة

١ — عصر الألوسى الكبير :

عاش الألوسى الكبير السيد أبو الثناء فى بغداد ، وفيها ولد وبها مات . وكانت بغداد فى العصر الذى عاش فيه ، وهو يمتد من منتهى القرن الثامن عشر حتى ينيف على منتصف القرن التاسع عشر للميلاد ، أيالة من أيالات الدولة العثمانية ، تتعاورها الخطوب ، وتصب عليها المصائب ؛ فمن جهل وأمية وأوبئة واغتصاب للحقوق وسلب للحرية ، وغزوات من القبائل المجاورة إلى غارات متتالية متتابعة من إيران وبلاد نجد ... وقد عاصر الألوسى الكبير خمسة ولاة من ولاة بنى عثمان على بغداد ، اثنان منهم وهما داود باشا (١٧٧٠ — ١٨٤٩ م) وعلى رضا باشا (تولى عام الولاية ١٨٣١م) ، من أشهر ولاة بنى عثمان الذين تولوا مدينة السلام بعد المصلح الشهير المرحوم مدحت باشا الذى جاء بعدهما بسنين قليلة . إذ أدخل الأول — داود باشا — أنظمة جديدة للادارة الحكومية وأوجد حرسا من المماليك والأغوات لقصره ، وتمكن بدهائه وذكائه أن يجعل الأمن يستتب فى أنحاء العراق ، كما قضى على الفتن والثورات الداخلية وقام بأعمال عمرانية وشق الترع والأنهر ، وكان مع ذلك يؤيد التقدم العلمى والثقافة العقلية (١) حتى بلغت المعاهد العلمية فى عهده ثمانية وعشرين معهدا (٢) ودام حكم داود فى بغداد أربع عشرة سنة وقد رغب فى أواخر حكمه الانفصال عن الدولة شأن محمد على الكبير والى مصر وعزيزها ؛ فأعلن استقلال العراق عام ١٢٤٥هـ أما الوالى الثانى وهو على رضا باشا الشهير باللاز ، فقد كان كسلفه

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لستيفن لونكريك ترجمة جعفر خياط (ص : ٢٢٧)

(٢) مختصر تاريخ بغداد — لعلى ظريف الأعظمى (ص : ٢٢٣)

بأن تديروا المعركة على أشلائنا وحطامنا . إننا لن ندع مواردنا تخدم مطامعكم ، ولن ندع أجسادنا تطهر حقول ألغامكم ، ولن نسلمكم رقابنا كالخراف والجداء !

إن هذا وحده هو الذى يعيد إلى الأدمغة المحمومة شيئا من الهدوء ، وإلى الخطوات المجنونة شيئا من الاتزان ، ثم يشعر هؤلاء وهؤلاء أن فى هذه الرقعة الفسيحة الضخمة الهامة ناسا ، يحسب لهم حساب ، لا كميات مهملة ، ولا ماشية وأذناب

وإن الذين استعمرت دعايات الكتلتين أرواحهم ليقولون : إن هذا مستحيل ما إليه من سبيل . فنحن لا نملك القوة التى نقف بها حاجزا بين الكتلتين ، وستدوسنا الأقدام من هنا أو من هناك ، ولا يغنى عنا أن نعلن الحياد ، أو أن ننضم إلى هذا أو ذاك

وأنا أدرك كيف تستعمر الدعاية الأرواح والأذهان ، ولكنى لا أدرك كيف يهون الناس على أنفسهم إلى هذا الحد الزرى ، وكيف لا يخجلون أن يصبحوا بإرادتهم عبيدا وأشياء

إن جيشا ما لا يأمن أن يدير المعركة فى أرض معادية ؛ يتربص به أهلها الدوائر ، ويتلفون ذخيرته ومؤنه ؛ ويقطعون خطوطه ومواصلاته ؛ ويتجسسون عليه للعدو ؛ ويحرمونه الهدوء والراحة ؛ سواء سالمهم فتركهم إلى ما هم فيه ، أو تولى الحملة عليهم ، ليواجه الثورة الداخلية بينما هو يواجه الأعداء فى الميدان

ولقد هزم الجيش الألمانى الظافر مرتين بسبب الثورات والانتقاضات الداخلية ، قبل أن يهزم فى ميادين القتال . وما من جيش يواجه عداء الشعوب وهو آمن فى قديم الحروب أو حديثها ، وما يؤمن بذلك إلا المستغفلون الأذلاء !

إن هذه الشعوب التى تعد مئات الملايين ، والتى تتحكم مواقعها الاستراتيجية فى نتائج أية حرب عالمية ؛ وتتحكم مواردها الطبيعية فى النصر والهزيمة .. إن هذه الشعوب لا تعجز عن شىء حين تريد . وكل قول غير هذا هراء !

سيد قطب

داود ، يحب النظام ويسعى إلى تطبيقه ، وهو الذى أمر القائد التركى (قاسم باشا) بضرب الحصار على مدينة بغداد وإخراج داود منها ، ودام الحصار مدة ولم يرفع إلا بانتشار الطاعون فى الجيش المحاصر الذى تسرب إلى المدينة . وقد اتفق مع هذا المرض السارى الوبيل فيضان دجلة على أطراف بغداد فبغداد نفسها ، فكان كرب عظيم . وكانت النفوس تقضى بين القتل والغرق وفتك المكروب ، وكان يموت أو يقتل فى اليوم الواحد مائة وخمسون نفرا على أقل تقدير ، وقد وقع الطاعون والفيضان فى أواخر عام ١٣٤٦ هـ . وبعد دخول الوالى الجديد على رضا وقد هلكت أكثر نفوس بغداد حتى لم يبق من نفوسها غير عشرها ! كما تدمرت مرافقها العمرانية وقصورها ومنشآتها الأخرى . وهنا لابد أن نشير إلى التصادم المسلح الذى وقع بين أعوان الوالى القديم وأعوان الوالى الجديد وهذا أدى إلى قتل الكثير كما أدى إلى حريق عظيم انتشر فى بغداد

وقد عمد الوالى الجديد على رضا إلى ترميم ما وقع ، كما سعى بدهائه إلى القضاء على سلطة المماليك والانكشارية وبذلك أنهى عصر المماليك الذى دام ثلاثة وثمانين عاما (من ١٧٥٠ إلى ١٨٣٣) والذى ختم بانتهاء حكم داود باشا . وبعد القضاء على سلطة المماليك التى أنزلت على البلاد خسفا وظلما ، دبت الحياة فى بغداد ورجع إليها أهلوها الذين تفرقوا أيدى سبأ فى القرى المجاورة والمدن البعيدة ؛ كما دخلتها التقسيمات الإدارية والتنظيمات الحديثة فى جهاز الدولة المتداعى ؛ إذ أنه فى عهد على رضا أصدر الخليفة العثمانى عبد المجيد (خط كولخانة) وذلك فى عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ، وهذا الخط فى أول بشائر الإصلاح فى الولايات العثمانية الذى بدأ فى عهد سلفه السلطان محمود الثانى القاضى على سلطة الانكشارية فى الدولة عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٦) وأول من أدخل التنظيمات العسكرية الحديثة فى الجيش العثمانى . وتبع على رضا فى تسنم ولاية بغداد محمد نجيب باشا (ولايته عام ١٨٤٢م) ونجيب هذا قوى وذكى . سار كسلفيه على رضا وسابقه داود على منهج إصلاحى واشتهر بتأديبه العشائر الثائرة فى أطراف العراق واستعماله سياسة القوة فى ذلك . وكان الأخير هو عبد الكريم باشا ولم يكن كأسلافه فى شؤون الولاية والإدارة ،

وبعده جاء رشيد باشا . عاصر الألوسى أبو الثناء هؤلاء الولاة ، وكان كل منهم الحاكم بأمره والطيع الأعمى أيضا ينفذ ما يريده السلطان العثمانى من جباية المال ، وجمع الضرائب . والألوسى بطبيعة الحال وبطبيعة مراكزه ووظائفه المتصلة اتصالا مباشرا بالجمهور ، ينصاع لتيار الرأى العام ويستجيب لمطالبه وحاجاته . ولم يكن الألوسى بالرجل الجبان ولا بالشخص المستسلم لمشيئة أولى الأمر ولولاة البلد ، بل كان على العكس لا يهاب السلطان ، ولا يخشى الولاة ، ولهذا نراه ينضم إلى الأحزاب المعارضة للسلطة الحاكمة، نراه يناصر داود باشا على على رضا باشا فى وقت عز النصير لداود ، وانفرط من كان حوله من الحاشية والأنصار ، وأدت مناصرته لداود باشا ، ومؤازرته له أن حبس فى سجن (نقيب أشراف بغداد) . وبعد أن أفرج على رضا عنه ابتسمت الدنيا له وشرب القليل من نعيمها ، ولكن لم يطل له ذلك إذ سرعان ما عاد عليه النحس بعد السعود وذلك فى عهد ولاية نجيب باشا الذى عزله من منصبه العظيم (الفتوى) وأساء (٣) معاملته ، فساءت حاله واسود الزمان فى وجهه فصبر وثابر حتى قصد عاصمة السلطنة العثمانية (اسطنبول) فنال من دهره ما أراده . عاش الألوسى أكثر من نصف قرن ، وفى عهد اختلت فيه القيم الاجتماعية والمقاييس الأدبية كما أن الحرية الشخصية والكرامة والعقيدة كانت حديث خرافة ليس إلا ! عاش فى عصر مظلم ليس فيه للقوانين والأنظمة سلطان ولا سيادة ، هذا مع العلم — كما أشرنا — أنه عاصر ولاة مصلحين محبين للصالح العام ، ولكن ماذا يفيد الوالى المصلح إذا كان الجهل ضاربا بجرانه؛ والتعصب والتخريب هو السائد وهو المتحكم ؟ كما أن الرغائب الفردية هى الكل فى الكل ، والبلد كله فى هرج ومرج . إذن نقولها غير مترددين : إن الألوسى الكبير عاش فى عصر الظلم والظلام . . وكل عصور الظلم والظلام حيث لا عدة للشخص فى الحياة إلا القوة والبطش أو استعمال الذكاء والأساليب الملتوية ، فى كل عصر من هذه العصور السود ، تسود البلاد الفتن والفوضى ، ويخيم الجهل والخرافات كما تنعدم المرافق الزراعية والصناعية والثقافية ، وهذه كلها هى العلامة الفارقة لبغداد بعد

(٣) أعلام العراق — لمحمد بهجت الأثرى (ص : ٢٤)

سقوط خلافة بني العباس وبعد هجمات التتر والإيرانيين والتركمان والأتراك .. وعصور الظلم والظلام التي ذكرنا صفحها البارزة تمتاز مع ذلك بظهور النبوغ الفردي ، والكفاءة الشخصية ، إذ يظهر أشخاص يجدون في هذه المفارقات الاجتماعية ، وفي تقلبات الظروف والأحوال مجالا لعبقريتهم النفاذة وشخصيتهم اللامعة ، كما أن التجارب المتعددة والمفاجئات المباغتة توجه أعصابهم للتكييف الاجتماعي واهتبال الفرص لنيل مآربهم وغاياتهم . والألوسي الكبير ، بلا ريب ، من هذه الشخصيات ، لأنه زج نفسه في زحام المعارك وكان في عهود الولاة الأربعة ممثلا للرأي العام في قصور الولاة والحكام على رغم الحوادث التي لم تنل منه بل زادته صلابة وثباتا ! لأنه — وهو ابن بغداد الصميم — والمتصل اتصالا مباشرا بالجماهير التي يعظها ويخطب فيها ويفتي في شؤونها الأخروية والدنيوية ، لأنه وجد ألا سبيل لمقارعة الحكام الظلام ، والولاة الطائشين ، ومن يحيط بهم ويؤازرهم من ذوي الأغراض والأطماع إلا بالتكتل والتجمع والمطالبة الصريحة بالإصلاح ، وهذه الصفات بينة في حياته المضطربة القلقة ، تبيانها في مؤلفاته الدينية والعلمية والأدبية . فهو في كلتا الحالتين متأثر في بيئته ومجتمعه ؛ وكل كتبه المطبوع منها والمخطوط ترينا صحة هذا القول ، فهو العربي العراقي البغدادي الأول الذي ناوأ السلطة وجاهر بعداء الولاة ، هذا فوق أنه صدر العلماء وزعيم الحركة الثقافية والعلمية في عصره والمجتهد الديني؛ وهو كما قال أحد تلامذته (٤) (فخر علماء المسلمين الواصل إلى رتبة الاجتهاد) فهو المصلح الديني والاجتماعي ، وتفسيره الفخم (روح المعاني (٥)) يرينا صدق قول تلميذه بأنه واصل إلى مكانة الاجتهاد ، لأن الألوسي يوجه المسلمين إلى إصلاح وتقويم وترميم كيانهم الاجتماعي المنحل المنفسخ قبل مائة عام . . وهو بعد ذلك مرآة حساسة دقيقة لعصره الذي رسمنا ملامحه في السطور السابقة ، وهو يرينا بعواطف الأديب وأحاسيسه الرقيقة وذوقه السليم ، يرينا الحالة الاجتماعية والثقافية والأدبية لذلك العصر بصورة واضحة بينة ، لا كذب فيها ولا تزويق

٢ — البيت الألوسي :

اشتهر الشرق العربي ومنه (العراق) في القرن الماضي بوجود عائلات علمية تحمل العلم والأدب من الأجداد إلى الأحفاد.. ومن هذه العائلات أو البيوتات في مصر ، الشرقاويون والرازقيون (آل عبدالرازق) والرافعيون وغيرهم ، ومنها في لبنان اليازجيون والبستانيون والشرتونيون ، أما في العراق فقد اشتهرت في بغداد بيوتات كثيرة تمتاز بحصر العلم والأدب بأبنائها فحسب ، وأشهر هذه البيوتات الألوسيون والسويديون والواعظون والرحبيون والحيدريون والزهاويون والقمريون والطبقجليون .. الخ

وهذه العوائل البغدادية تمتاز فوق أنها تحمل الصفة العلمية التي تتوارثها ، فهي اختصت بصفة أخرى لا تقل عن الأولى أهمية وخطورة ؛ ألا وهي فروع العلوم من منطق وكلام وأدب وحديث ، تنحصر في عائلة منها فقط ، ويبقى هذا الفرع في نماء وازدهار في الأجيال القادمة من العائلة نفسها، فبيت السويدي اشتهر بالحديث والمنطق ، وبيت الواعظ بالوعظ ، وبيت الزهاوي بالمنطق والكلام ، وكثير من الفقهاء ظهروا من بيت الطبقجلي والرحبي . ويضاف إلى ذلك ما لانحصار الثقافة العلمية في العائلة الواحدة من أثر عظيم في خلق الجو العلمي والأدبي في صقل المؤهلات وتقويم الملكات والتوجيه الصحيح المستقيم ، إذ أن الطفل في أمثال هذه العوائل يشاهد أول ما تتفتح عقليته ويشتد ساعده ، يشاهد جوا علميا يقومه ويعينه في خلق مستقبل علمي صحيح ... وهذا القول يظهر جليا واضحا في الألوسي المترجم له ، إذ أنه تتلمذ على أمه وأبيه قبل أن يبلغ سن الحلم، ثم لقي من رعاية أبيه وأستاذه وتوجيهه وإرشاده ما جعله مضرب الأمثال في الرواية والحفظ وسرعة البديهة ودقة النظر

فالوراثة والبيئة والتوجيه الصحيح تعاونت في سبيل خلق رجال هذه العوائل وإعدادهم للعلم والأدب

و (ألوس) التي ينتسب إليها أبو الثناء ، قرية تقع على نهر

---

(٤) كشف الطرة عن الغرة — للألوسي الكبير طبعها ابنه نعمان (المقدمة ص : ١٤)

(٥) طبع في القاهرة ببولاق سنة ١٣٠١ هـ ، وأعيد طبعه في القاهرة أيضا ، وطبع طبعة أخرى في هندستان

(الفرات) قرب (عانات) وينتسب إليها من العلماء والأدباء محمد بن حصن الألوسى الطرسوسى ، والشاعر المؤيد الألوسى (توفى عام ٥٥٧ هـ) . وقد تضاربت الأقوال فى صلة العائلة بألوس ، فمن قائل إن العائلة بغدادية النجار ، ولكن أحد أجداد العائلة فر إلى ألوس من وجه هولاكو التترى عند دخوله بغداد (٦) ، ثم رجع أحد أبنائها إلى بغداد فى القرون المتأخرة، وهذا رأى الأستاذ محمد بهجت الأثرى . ويقول صاحب (حديقة الورود) (٧) ما معناه أن أجداد أبى الثناء عاشوا ببغداد ، وقد سافر الشيخ إسماعيل الألوسى من علماء القرن الحادى عشر للهجرة إلى (استانبول) إذ أنعم عليه السلطان العثمانى بالمنح والهدايا ، ومما منح له أراض واسعة فى جهات عانات وألوس ، فسكن الشيخ إسماعيل وأهله ألوس ، وبقى أبناؤه فيها حتى القرن الثالث عشر للهجرة إذ هاجر منها السيد محمود الخطيب بن السيد درويش وأقام بمدينة السلام . والرأى الثالث هو رأى كاتب مقدمة (روح المعانى) (٨) إذ يقول : (انتقل منها — من ألوس — أجداد شيخنا من نحو مائتى سنة إلى الزوراء) وروح المعانى قد طبع عام ١٣٠١ هـ فيكون تاريخ هجرة الألوسيين إلى بغداد هو القرن الحادى عشر للهجرة (السابع عشر الميلاد) . ومن ملخص هذه الآراء الثلاثة المختلفة والمتفقة معا ، لنا أن نقول إن العائلة الألوسية بغدادية الأصل ، وأنها اضطرت إلى النزوح من بغداد لعوامل قهارة ، منها كثرة الفتن والاضطرابات والغزوات المتعددة ، وانتشار الأمراض ، وأنها سكنت (ألوس) وجعلتها لها مستقرا ومقاما

والذى لا خلاف فيه ولا جدال أن السيد عبد الله بن السيد محمود والد المترجم له ورئيس مدرسى بغداد فى عصره ، قد ولد فى بغداد وبها ترعرع ، وبعد أن بلغ عبد الله المذكور سن الحلم تزوج (صالحة) بنت الشيخ حسين المشارى (٩) المتوفى فى حدود عام (١٢٠٠ هـ) ، والألوسى عبد الله والد محمود الألوسى توفى فى بغداد فى الطاعون المشهور (عام ١٢٤٦ هـ) بعد أن أنجبت له صالحة ولدين من الذكور هما عبدالرحمن ومحمود ، ولم يكن عبد الرحمن بن عبد الله الألوسى (١٢٤٤ — ١٢٨٤ هـ) أقل شأنا وشهرة من أخيه أبى الثناء ، وقد قضى عمره فى حل القضايا العامة ومشاكل الناس حتى قيل إن الحكومة المحلية فى بغداد كانت تشكو انصراف أبناء الكرخ إليه ، وصدهم عنها فى فصل القضايا، ورجل هذا شأنه لم ينصرف بكليته إلى التحصيل انصراف شقيقه الصغير . والذى أجمع عليه مؤرخو الأدب فى العراق ومترجمو العائلة الألوسية أن هذه العائلة تنتهى إلى الدوحة النبوية الكريمة، وهذا شرف يزيد شرف العلم والأدب وحسن الأخلاق ، والمترجم له حسنى الأب حسينى الأم ؛ ومن المناسب أن نثبت هنا أرجوزة نظمها الشاعر المعاصر للألوسى عبد الباقى العمرى ذكر فيها آباء الألوسى وأجداده ابتداء من الألوسى الكبير أبى الثناء ، حتى جده الأعلى عليه السلام . قال العمرى :

السيد (المحمود) فى الأفعال ... سليل (عبد الله) ذى الأفضال

أبو (محمود) بن (درويش) الذى ... ينمى (بماشور) غياث اللائذ

ابن (محمد) سليل (ناصر) ... للدين ينمى (للحسين) الطاهر

ابن (على) بن (الحسين) القترى ... إلى (كمال الدين) ذى التقرر

سليل (شمس الدين) ذى اليقين ... ابن (محمد) بن (شمس الدين)

سليل (حارس) لشمس الدين ... يعزى وذا النجل شهاب الدين

ابن (أبى القاسم) طاهر النسب ... ابن (أمير) ذاك طاهر الحسب

ابن (محمد) إلى (بيدار) ... يعزى كما قد جاء فى الأخبار

وجاء من بعد أبيه (عيسى) ... (محمد) بن (أحمد) بن (موسى)

و (أحمد) من بعده (محمد) ... و (أحمد الأعرج) فهو السيد

ينمى إلى الشهير (بالمبرقع) ... (موسى) إلى (الجواد) ....

(ابن الرضا) أبوه (موسى الكاظم)

أبوه (جعفر) الإمام العالم

ابن (محمد) الإمام الباقر ... سليل (زين العابدين) الطاهر

نجل (الحسين) السبط عالى الهمم ... ريحانة الهادى شفيع الأمم

---

(٦) أعلام العراق : (ص ٧ — ٨)

(٧) المصدر السابق

(٨) روح المعانى (ص : ٥) الطبعة الأولى

(٩) من أدباء بغداد فى عهد داود باشا له ديوان شعرى مخطوط توجد منه نسختان فى مكتبة الأوقاف فى بغداد و فى مكتبة الآثار فى بغداد أيضا ، وقد توفى بالبصرة

نجل (على) الطهر ذى المفاخر حاز العلا من كابر عن كابر
وأمه (فاطمـــة) البتول بضعة (طـه) المجتبى الرسول
صلى عليـه الملك الوهاب ما اتصلت بين الورى الأنساب

٣ — حياة الألوسى :

إن الدارس لحياة الألوسى الـكبير ، تلك الحياة الخصبة المليئة تمتاز بعمقها وعرضها ، ولا تمتاز بطولها ، إذ أن الألوسى لم يزد عمره على الخمسين سنة إلا قليـلا ، وهذا العمر القصير لم ينصرف إلى الخدمة العلمية والأدبية فحسب ، بل انصرف إلى حمل أعباء ثقيلة ، منها عبء التدريس والإفتاء ، وعبء الزوج والأهل ، ثم عبء مجالسة الأنيس والصديق ، وقد وصفه واضع مقدمة التفسير بقوله (١٠) (فهو وإن رأيته يسامر أحبته مشغول الفـكر بحل المشـكلات ، أو ماشيا لمسجده فهو متفـكر بحل المعضلات) . وهذا لعمرى وصف صادق لهذا الرجل الحازم ، الذى لا يعرف للراحة نصيبا ، فهو مع مسامرته لأحبابه وخلانه ، أو مع ذهابه وإيابه ، يـكون عقله الباطن يقلب المسائل ويضع التصاميم ، وإذا عرفنا أنه ذاق مرارة الفقر والحرمان فى طفولته ، والسجن والهوان فى شبابه ، ومصادرة وظائفه ورتبه بعد ذلك ، وعرفنا أيضا حالة عصره المظلم وما فيه من مآس ومشاكل ، وفقد للقيم والمفاهيم ، إذا عرفنا ذلك كله ، لا بد لنا وأن نحنى الرأس إجلالا وإكبارا لهذا الرجل العظيم الذى شارك — على الرغم من هذه العراقيل — فى سائر علوم زمانه وعبر عن روح عصره أحسن تعبير ، مع أن عمره هو دون عمر الإنسان ، ولنا أخيرا أن نعلل موته المبـكر — إن صح التعبير — بسبب جهد أعصابه ومغامراته السياسية ورحلاته وقيامه بمهام التدريس والإفتاء والتأليف

وحياة الألوسى ظاهرة مبسوطة لمن يريد دراسته على الرغم من ندرة التدوين فى زمانه وقلة وسائل النشر والطبع أيضا ، فهو قد كتب تاريخ حياته بتفصيل دقيق فى مقاماته ، كما ألمع إليها كثيرا فى رحلته (غرائب الاغتراب) وهناك ترجمة وافية لحياته فى مقدمة تفسيره (روح المعانى) كما أن أحد تلامذته النجباء ، كتب عن حياته كتابا لم يزل مخطوطا وهو (حدائق الورود) هذا بالإضافة إلى معاصريه من الشعراء وأشهرهم الأخرس والعمرى ، وأحمد عزت والتميمى الذين رسموا فى شعرهم ملامح متعددة عن حياة الألوسى الـكبير . ولا يقل المتأخرون من علماء العراق عن المتقدمين فى العناية بالسيد الألوسى ، وأشهر هؤلاء حفيده العلامة محمود شكرى والأستاذ محمد بهجت الأثرى والمؤرخ عباس العزاوى والدكتور محمد مهدى البصير . والألوسى الـكبير الذى لقى العناية التى يستحقها شخصه وأدبه وعلمه فى حياته وبعد مماته ، جدير وأهل بأن تزداد عنايتنا به ودراستنا له ، وبخاصة أن ذكرى وفاته المئوية مناسـبة حسنة فى هذا الموضـوع

السلام صلة — محمود العبطة

(١٠) روح (المقدمة : ص : ٤)

٣ - شاعر مجهول

للأستاذ حسني كنعان

لما حط الصقر المصرى ابراهيم باشا بثقله على « طورس » وأخذ يتوثب ويتحفز من أعاليه على البلقان ، ليغزوها كما غزا البلاد الشامية ، سأله أحد الدبلوماسيين الفرنسيين ...

— إلى أين يذهب بفتوحاته ، وهلا يتوقف عند حدود تركيا؟ فأجاب:

— إننى أتابع التقدم إلى البلاد التى لا أستطيع أن أتفاهم مع أهلها باللغة العربية

— ثم سأله أحد جنوده الذين لهم دالة عليه عندما كان يزجى الصفوف ويهيئها للقتال ، كيف تتحدث معوكم بهذا الشكل عن الأتراك ، وأنت من أصل تركى ، وفرع أناضولى ...؟ فأجاب :

— أجل أنا من نبتة تركية ، ولقد ولدت فى البلقان ولكننى عشت فى مصر ، وإن أرض هذه البلاد وسماءها جعلت منى عربيا، صهرتنى هذه التربة الخصبة ببوتقتها ، ومصرتنى بمصريتها ...

وقائد هذا شأنه وهذا حبه للعرب قمين بأن يكون معبود جنوده المصريين والشاميين ، وخليق بهذه المدائح التى خلد الشاعر الجندى اسمه فيها . وما كانت هذه الأماديح مقتصرة فى تخليد مآثره فى الأشعار والقصائد العامرة فحسب، بل تعدتها إلى الإشادة بذكراه من قبل شاعرنا فى الموشحات والمواويل والقدود والأناشيد . ومن هذا القبيل قوله من موشح يصف به غزو عكا مما يدل على أن الشاعر كان فى ركابه يوم غزاها . ولقد عثرت فى الديوان على موشح من نغمة الجهاركاه يصف الشاعر به هذه الغزوة ، والموشح معنون « بعنوان زارنى الحبيب »

صاحب السعود قاهر الأسود   الغازى الغضنفر قائد الجنود
فى عكا أقام ساعة الزحام   على القيام رتبة السجود
رتب الألوف حولها صفوف   عود السيوف فرقة الصمود
غارت العساكر كالأسد الكواسر
غنت القنابر تشبه الرعود
لاحت البيارق فوقهم خوافق   جازت الخنادق وهى كالفهود
دقت الصنوج والطبل الرجوج   أبحر تموج ما لها حدود
والجيش الجهادى مطلق للأيادى   ألحق الأعادى فى بنى ثمود
والسور العظيم صار كالرميم   وانثنى الغريم يلطم الخدود
أول النهار خيم الغبار   وانتهى الحصار وابتدا الصمود
ذاك اليوم كان أوحد الزمان   لا تسل فلان . الدنيا شهود
أيها القدير أيد الوزير   الغازى الشهير واعطه الخلود

ما كان الشاعر متغاليا ولا متزلفا فى مدحه هذا القائد الفذ ، وإنما كان عاشقا له معجبا به ولا سيما بعد أن صحبه مدة، وعرف مراميه ونزعاته ، وقد أعلن الأمان على الجدران فى إعلانات خاصة عند ابتداء الفتح ودخوله القدس ، وأخرج منادين ينادون فى الطرقات بأن عدالته تشمل الجميع على السواء ، وأنه يفتح قصره لسماع كل شكاة ورفع كل ظلامة - وأن جميع الطوائف حرة فى معتقداتها ، وممارسة طقوسها الدينية والمذهبية كيفما تريد، وأنه سيحذو فى هذا السبيل حذو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ويسير فى النهج على منواله ، وهذا ما حبب الشاعر به ، وحبب الرعية إليه مما حز فى نفوس الأمم الاستعمارية الطامعة فى تركيا وجعلها تعجل باطفاء هذا القبس المتوهج الذى لو ترك وشأنه لاهتدى بأضوائه خلق كثير .. فوضع شيخ المستعمرين العراقيل فى تقدم النور ، وسارع لإطفائه ، حيث ألب على الفاتح العظيم شعوبه الراضية به . وأقام الثورات من خلف جيشه فى سواحل لبنان . . . وفى جبل العرب أعنى جبل الدروز ، ونزل شيخ « الشياطين » . . . من الشواطئ وأعمل المكائد فى قفاه ، فخشى القائد شر الفتن الداخلية والثورات المحلية وجلا عن بلاد الشام ، وعاد الجيش التركى من حلب بمساعدة الشيطان الرجيم شيخ المستعمرين . . واحتل البلاد من جديد وأخذ يتتبع خطا أتباع الباشا الفاتح ، لينكل بهم ويثأر منهم، وكان شاعرنا فى طليعة المغضوب عليهم فما نجاه من حبل المشنقة سوى فراره إلى مصر مع القائد الكبير . . . فوجد هناك فى القاهرة آفاقا جديدة فى سخاء الشعر مفتحة أمامه فحلق فى أجوائها كل محلق، وتعرف على أدبائها وشعرائها وامتدح أمراءها وزعماءها ومدح مآثرها ومساجدها وحصونها وقلاعها . والديوان مفعم بمآثر مصر الخالدة ، ولقد امتدح قلعة محمد على باشا الكبير بقصيدة عامرة تقع فى (٣٢) بيتا أختزل منها بعض أبيات لضيق

القام لأبرهن بها على تأثير هذه الآفاق الجديدة فى نفسه

عروس كنوز قد تحلت بمسجد ... مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة العليا تزخرف قاعها ... بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
أم المكرمات الآصفية أبدعت ... هيولى أعاجيب بصورة مسجد
فذا مسجد معناه يشهد أنه ... بمعمره المسعود من غير مسعد
فدع قصر غمدان وأهرام هرمس ... وإيوان كسرى وانظرنه لتهتدى
ودع إرماذات السوارى وحسنها ... وعرشا لبلقيس كصرح ممرد
ودع أموى الشام وانزل بمصرنا ... وبادر لهذاك البناء الممد
لئن جاء فى الدنيا وحيدا ومفردا ... فلا غرو فالمنشى له ذو تفرد
محمد آراء على مآثر ... عزيز ومولى كل سام ممجد
هو الشمس لم يحجب سناها غمامها ... ولا أنكرت أضواءها عين أرمد
وكم منشآت كالرواسى بنى لها ... فمجباجرت فى البحر ذات تشيد
معاليه جلت عن نظير وأصبحت ... تباهى جميع العالمين بمفرد
فعرج على تلك المآثر وابتهج ... بآثار هذاك الخديوى الممجد
وعاين بناء يستضئ منزها ... لطرفك فى روض البهاء المخلد
أمين بنى الجندى قال مؤرخا ... تريك على قدر العزيز محمد

فأنت تعرف من ثنايا هذه الأبيات مقدار الأثر البالغ الذى تركته فى نفسه هذه القلعة التاريخية العظيمة التى يصفها فى شعره بمنزلة قصر غمدان وأهرام هرمس، وإرم ذات الأسوار والمناعة، ويضعها فى القداسة بمنزلة الأموى فى دمشق ، بيد أن هذه القصيدة على إعجاب ناشر الديوان بها، وتلك المقدمة النفيسة التى قدمها لها فى الديوان، لا أراها تعدل فى الروعة أشعاره فى الغزليات والأماديح والتشاطير والتخاميس، وله فيها أبيات يعجز القلم النثر عن وصفها لجودتها وروائها وجمالها وتنسيقها . ومتى أتينا على بحث هذا النوع من الشعر نريك نوعا منها ، ويبدو أن صاحبنا لم يك ذا باع طويل فى الوصف ، ومن أبيات له من هذا القبيل فى وصف الشطرنج أرى ألا مندوحة عن نشرها للاطراف فقط وليس للفن ، وهى إن دلت على شئ فإنما تدل على هيامه بهذه اللعبة التى كانت سلوته وسلوة القائد المصرى فى ساعات الاستجمام والراحة . .

أقول إن لاعب الشطرنج ... كفارس هاج بيحر السرج
ولا يزال ناصب الفخاخ ... يصطاد من جاء من الرخاخ
كأنه ليث الشرى المفترس ... لاسيما إن أرخى عنان الفرس
وصالت الأفيال للأفيال ... فى حومة القتال والجدال
وابتدرت أمامها البيادق ... تسعى فمنها سابق ولاحق
وبارز الشاه أخوه الفرز ... وانهتك الستر وزال العز
وميز الغالب بالتأييد ... وبان فضل باعه المديد
وأقبل النصر من الإله ... وانفصل الحرب بموت الشاه

ولا أنكر أن إقامته فى مصر صقلت شاعريته ورققت من حواشيه ، بيد أن هذه الإقامة كانت مقتصرة على إظهار الولاء والمحبة للمضيف الكبير الذى أغدق على ضيفه الشاعر المنح الكثيرة والأعطيات ، وكان جل هم الشاعر فى مصر أن يوسع آفاق علومه ومعارفه ، ويتعرف إلى أكبر عدد ممكن من أرباب هذه الصناعة ، أعنى صناعة الشعر والفن ، وكان الوالى التركى يلح فى طلبه ليثأر منه جزاء وفاقا لما أحدثته أشعاره من دعاية موفقة للفاتح المكتسح الذى دانت له سلطة البلاد التى غزاها طوال هذه المدة

« يتبع »

دمشق ... حسنى كنعان

شرعة القومية وشرعة الاسلام

بمناسبة مرور ١٣٧٠ سنة على هجرة النبي

عن العلامة وليم ماكدوجل

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إن الشرائع العالمية وهي المسيحية والإسلام والبوذية ، كل منها تتطلع إلى السيطرة على العالم ، وجعل الناس جميعا تحت لوائها ، وترمى كذلك إلى تحديد قواعد الفضيلة والخلق للبشر

أما الشرائع القومية ، ومنها شرائع اليهود والبراهمة واليابانيين والصينيين ، فإنها تحدد مراميها فى جماعة أو قبيلة أو أمة أو دولة بعينها ، لأن تعاليمها لا يمكن أن تناسب جميع البشر بعكس الشرائع العالمية السابقة الذكر

ونحن نعلم أن المبادئ الخلقية فى جميع المدنيات تنحصر فى طائفتين كبيرتين من الشرائع الزمنيـة والخلقية . فالأولى هى الشرائع القومية التى تعمل فى حدود جماعة أو قبيلة أو دولة أو أمة ، وهى كذلك لا تقتصر على توجيه الأفراد إلى الخير والسعادة عن طريق معاملته وسلوكه مـع غيره ، ولـكنها تسيطر عليه فى علاقته بالدولة أو الأمة التى هو فرد منها منتم إليها ، والتى يجب أن ينظم حياته تبعا لمقتضيات مصالحها وحاجاتها

أما الثانية فهى الشرائع العالمية ، وهذه تعمل على السيطرة على العالم وإخضاع البشر لقواعد الفضيلة التى ترى أنها صالحة لحياتهم ، ملائمة لهم فى كل زمان ومكان . والفرق بين هاتين الشرعتين : أن الأولى قومية وسياسية ، والثانية عالمية خلقية . وهذا الفرق يظهر واضحا عند مقارنة الشريعة اليهودية أو البرهمية بالشريعة المسيحية أو الإسلامية

ففى الدولة اليهودية مثلا لم يكن الحـكم حكما روحيا ، إذ عبد بنو إسرائيل إلها قوميا ، فلم تكن شريعتهم تقصر غايتهـا على تنظيم سلوك الفرد ، ولـكنها رمت إلى خير الشعب جملة ، واليهود فى نظر أنفسهم أفضل شعوب الأرض بما امتازوا به من مميزات وخصائص بأن جعلهم الله شعبه المختار ، ذا المزة الخالدة والمجد المقدس ، وفى نظر شريعتهم أن الأخلاق دين وسياسة معا ، وأن هذه الشريعة قامت على رواس من الوطنية فكفلت البقاء للشعب المشتت فى بقاع الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكذلك استطاعت أن تبقى عليه وتصونه من الفناء فى الكثرة العالميـة

أما الشريعة المسيحية فإنها روحية بحتة لم تتدخل فى الشؤون السياسية بل تركت ما لقيصر لقيصر ، وبذلك طغت تعاليمها على النظام القومى ، فجردته من العنصر السياسى وعملت على إزالته وهدمه ، لأنها تعمل على غزو العقائد والأوضاع القومية بغير تمييز ولا تفرقة بين جنس وآخر ، أو بين فرد وآخر من أفراد الجنس الواحد ، وهدفها من ذلك انحلال القومية وجعل العالم كله خاضعا للسيطرة الروحية ، وفات العاملين عليها أن انهيار صرح القومية الإغريقية كان بسبب اتجاه فلاسفتهم إلى الفكرة العالمية الحرة ، ولم يدركوا أن هذه الفكرة لا تأتلف مع فكرة القومية ومميزاتها ، وقد تقوضت أركان الدولة وزالت من الوجود لأنها عملت على بسط سلطانها على شـعوب كثيرة مختلفة الشرائع متباينة العقائد ، فلم يسـتطع نظامها القومى وشريعتها السياسية (أى نظام وشريعة الدولة الإغريقية) أن تمتص كل هذه العناصر المتنافرة وإن كانت سيطرت عليها زمنا غير قليل . وقد جاء انتشار المسيحية فى أرجائها تحولا خطيرا فى هيكل أوضـاعها الخلقية ، بل إنه أبدل نظامها القومى بشرعة عالميـة مجردة عن الفـكرة السياسية

وأما اليابانيون والصينيون فقد احتفظوا بعناصرهم الوطنية وروحهم القومية لأن مبادئهم الخلقيـة تستند إلى دعامة قومية ثابتة . ومن خصـائص الشرائع القومية أنها إذا خرجت من بيئتها وامتدت الى الأمم الأجنبية ، فإنها لا تقوى على الاحتفاظ بأثرها فى تكييف حياة الأفراد وتوجيه أفكارهم ونزعاتهم ، إذ من طبيعة الأقوام عدم مقدرتهم على الاحتفاظ بمميزاتهم وشخصياتهم الا داخل حدود أنظمتهم ومبادئهم

والتاريخ العالمى يحكى لنا قصة النضال بين الشرائع القومية ومميزاتها من يوم أن خلقت الشرائع العالمية

أما تاريخ الإسلام فإنه يضرب لنا أقوى الأمثال على اتجاهات الشرائع العالمية وقوتها. فإن النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) استطاع أن يفرس نظامه الخلق ومبادئه العالمية في شعب على حالة من البداوة والفطرة، ولكن له عبادته وعقائده وطقوسه الخاصة، ورغم هذا فإن نظام الإسلام سرى في هذا الشعب سريان الماء في العود اليابس فأعاد إليه الحياة، واكتسح تياره كل العقبات التي كانت أمامه، وتكشف عن قوة فائقة من النماذج والتمثيل. وخضعت له شعوب متباينة الأجناس والأشكال، متغايرة الألوان من بيض وسود وصفر، وكان خضوع هذه الشعوب عن رضى وإيمان، وتبخرت بفعل حماسته شرائع متنافرة المبادئ مختلفة العقائد، كما يتبخر الماء في الهواء، وذلك لأن نظام الإسلام سوى بين الناس، وجعلهم صفاً واحداً كأسنان المشط سواء، ومحا ما بينهم من فوارق الجنس واللون والطبقة والقبيلة، وحطم الحواجز التي كانت بين أبناء الشعوب بل بين أبناء الشعب الواحد، وسوى بين الرجل والمرأة، ونادى بأن الناس سواسية لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى والعمل الصالح المثمر. وقد تزاوج العرب مع جميع الأجناس والشعوب التي افتتحوا بلادها فكان هذا سبباً من أسباب الانتشار

هذا الانتشار السريع الذي حدث في أقل من قرن من الزمان يرجع إلى أسباب كثيرة..منها، وأهمها: المساواة بين المسلمين مساواة مطلقة في الدين والدنيا، وبساطة تعاليمه وقربها من الفطرة، والتمازج في كثير من عناصر الجنس والثقافة، وتلاقح الأمزجة من صنوف البشر، كل هذا و غيره أخرج مدنية بهرت شعوب العالم بجلالها وبهائها ورحابة ساحتها وتعدد مناحيها ولم يمض زمن طويل حتى طأطأت رءوس البشر في مختلف بقاع الأرض للثقافة الإسلامية من علوم وفنون، وحتى غمرت هذه الثقافة الجزء المحصور بين آسيا الشرقية وإسبانيا بالجامعات الكبيرة ودور الكتب العامرة والمساجد الفخمة. في هذا الوقت الذي كانت تزحف فيه الثقافة الإسلامية زحفاً سريعاً كانت أوربا ترزح تحت أنقاض المدنية الرومانية، وتئن من الظلم والفوضى والاستبداد

غير أن هذه المدنية الشامخة سرعان ما رأيناها تهوى بنفس السرعة التي سمت بها وذلك لتفكيك الشرائع القومية التي غزاها الإسلام ودخلت في حوزته وما أعقب هذا من ازدهار. فلم تلبث هذه الحركة أن أعقبها السكون وتبدلت القوة وهناً وضعفاً فإذا بنا نرى النور المتألق سناً وقوة، يخيم عليه ظلام قاتم ويصبح المجد الزاهر قصصاً يحكيها لنا التاريخ كأمثلة نادرة لعدالة الحكم والخدمة العامة والبطولة الفذة والتضحية بالنفس والمال في سبيل العقيدة

لا مراء في أن الدين الإسلامي ينتشر في الأمم التي تعيش على البداوة والفطرة، وأنه كلما التقى بالمسيحية في ميدان التنافس الحر، صرعها وتغلب عليها، ولكنه اليوم يعيش بعيداً عن الثقافة البشرية، والأمم الإسلامية ترزح تحت أنظمة من الحكم الذي يخالف الإسلام الصحيح. ودستور محمد وأصحابه الذي استطاعوا به أن يبهروا العالم أجمع، والذي رضيته جميع الشعوب التي خضعت له في ذلك الوقت

* * *

كثيراً ما سمعنا من البعض أن المبادئ الخلقية الإسلامية مخالفة بطبيعتها للتقدم في شؤون الحياة السياسية، وهذا افتراء لا يقول به منصف، وتدحضه وثبة الإسلام القوية في أول عهده، وما تخللها من التماسك الروحي والحماس القومي، وما ظهر منها من دلائل الإيمان والقوة والمرونة، كما أن تاريخ المدنية الإسلامية يدلنا على قوة أوضاعها الخلقية السامية، غير أن بواعث تقدمها السريع هي بعينها نفس بواعث تأخرها وركودها السريع، وذلك لأن الشرائع العالمية وخاصة الشريعة الإسلامية، قد فكت قوى معتنقيها من آسار شرائعهم الضيقة الحدود، وأطلقت لهم الحرية في التعبير والاختيار، فتنبهت في نفوسهم قوى الإجماع على فكرة واحدة والعمل من أجل هدف واحد والسعي لغاية واحدة، فكان هذا التقدم السريع والارتقاء الخاطف وفاتها وهي تهدم حواجز الجنس والقومية، أنها تقضي على قوى الارتباط بالأصل والتحلل من الماضي، فكان هذا الانتكاس السريع الذي حل بهذه الإمبراطورية العظيمة، لأن التمسك بالقديم في نظري يعتبر عاملاً لازماً متمماً لحركة التقدم السليم، وما النعرة القومية أو ما يسمونه (التعصب) إلا اعتداد المرء بنفسه وتمسكه بقوميته

٣ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

ويضارع المتنبي في هـذا أبو فراس الحمداني الذي يجمل الهم سلاحا ذا حدين، فهو للأضياف تارة، وللأعداء تارة أخرى ، والكرم والجهاد للمعالي سبيلان :

للقا المدى بيض السيو ف وللنـدى حمر النعم
هذا وهذا دأبنـــا يودى دم ويراق دم

ويقول بشار بن برد :

وأبسطهم راحة في الندى وأرفعهم ذروة في المـلا

ومن أصحاب المعالي الممتازين الشريف الرضى ، ففي أبياته الآتية ذخيرة عالية :

لغير العـلا مني القلى والتجنب
ولولا العلا ما كنت في الفضل أرغب
ملكت بحلمي فرصـة ما استرقها
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فإن يك سـنى ما تطاول باعها
فلي من وراء المجـد قلب مدرب
بحسـبي أني في الأعادى مبغض
وأني إلى عز المعـالي محبب
فللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
يصول على الجاهلون وأعتلي ويعجم في القائلون وأعرب
ولست براض أن تمس عزائمي فضالات مايعطي الزمان ويسلب

فهو راغب فضل ، وصاحب حلم وإباء عن دنيات الأمور ، لا يباعد بينه وبين عز المعالي أراجيف العدو ، ولا فضالات الدنيا ولا حداثة السن

ويلاحقنا في هذا المضمار الملك أبو فراس مرة أخرى ، فلا يرتضي لأصحاب المعالي أن يحول صغر السن دون مآربهم :

وتقاليده ، وهي عاطفة نبيلة ترمز إلى فكرة التحمس الوطني الذي هو عماد الرقي والتقدم وثباتهما ، فإذا تلاشت هذه العاطفـة أو ضعفت ، انهار الإحساس القومي وخمدت في الفرد روح التضحية من أجل الجماعة ، وانتفت مميزاته وصفاته الوطنية وصبغته الشخصية ، وزال طابعه الوطني الذي يعتد به ، وهان عليه كل شيء

إن الإسلام قد ظهر في بلاد تعتبر ملتقى قارات ثلاث تسكنها أجناس مختلفة من بيض وسود وصفر ، ويختلفون في معنى القومية، فلما هدم الإسلام هذه الفوارق ونادى بفكرة المساواة بكل معانيها الواسعة ، تزاوج المؤمنون من الأجناس التي دخلت حوزة الإسلام ، بلا ضابط ولا قيد

وإن كان هذا التزاوج سببا من أسباب ازدهار الثقافة الإسلامية بفعل التلاقح البعيد المدى ، إلا أن هذا الاختلاط الذي حدث بين جميع العرب وجميع الشعوب وخاصة الزنوج الذين دل التاريخ البشري على أنهم جنس عقيم الاستعداد للمدنية، بطيء الاستجابة لداعي الثقافة ، لأن حقائقهم العقلية لا تؤهلهم للنهوض فوق مستوى البربرية ، لذلك تغير الدم العربي ، وقلت نقاوته ، وضاعت صفاته المميزة له ، وفسدت سلالات العرب ذات الاستعداد القوي والقدرة على الإنتاج

وبذلك بدأ التدهور يحل بالأمة الإسلامية ويدب في أوصالها الفناء . ولولا قوة تماسك نظم الشريعة الإسلامية وصلاحية قوانينها والتفاف المسلمين حولها ، لزالت كما زال غيرها من الشرائع العالمية الأخرى ، ولما استطاع أن يصمد لـكل هذه الأعاصير التي تتزاحم عليه

عبد الموجود عبد الحافظ

أما أنا أعلى من تمدون همة وإن كنت أدنى من تمدون مولدا

ويقول الشماخ فى عرابة بن أوس الذى استصغر للقتال وهو دون الأربعة عشر يوم أحد :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وفى الحق أن أبا فراس كان عالى النفس سواء فى حديثه مع نفسه أو عند المحنة النازلة ، فما كانت صفته هذه لتزايله فتى أو ملكا أو أسيرا فى بلاد الروم :

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ولا فرسى مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابى الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكننى أمضى لما لا يعيبنى وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير فى دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوأته عمرو
ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر
أعز بنى الدنيا وأعلى ذوى العلا وأكرم من فوق التراب ولا فخر

ثم هو القائل يحدث نفسه ، متثبتا من خطاه فى مدارج العلياء :

وما عابك ابن السابقين إلى العلا تأخر أقوام وأنت مقدم

وليس تميم بن المعز لدين الله الفاطمى أقل من أبى فراس فى هذه الحلبة إذ يقول :

وإنى لألقى كل خطب بمهجة يهون عليها منه ما يتصعب
وأستصحب الأهوال فى كل موطن ويمزج لى السم الزعاف فأشرب
فما الحر إلا من تدرع عزمة ولم يك إلا بالقنا يتنكب
ومالى أخاف الحادثات كأننى جهول بأن الموت مامنه مهرب
خليلى مانى أكؤس الراح راحتى ولا فى المثانى اللذ حين تضرب
ولكننى للمدح أرتاح والعلا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسى وهمتى يروح له فوق الكواكب مركب

وهذا الزمخشرى يرى أن المجد مكسوب لا موهوب ، فيقول :

« لا تقنع بالشرف التالد ، وهو الشرف للوالد ، واضمم إلى التالد طريفا ، حتى تكون بهما شريفا ، ولا تدل بشرف أبيك ما لم تدل بشرف فيك ، إن مجد الأب ليس بمجد ، إذا كنت فى نفسك غير ذى مجد ، الفرق بين شرف أبيك ونفسك ، كالفرق بين رزق يومك وأمسك ، ورزق الأمس لا يسد اليوم كبدا ، ولن يسدها أبدا »

وهذا ما نسجه أبو العلاء من قبله ، إذ أنزل نفسه منازل السادة واعتز بطارفه قبل تالده :

ولى منطق لم يرض لى كنه منزلى على أننى بين السماكين نازل
لدى موطن يشتاقه كل سيد ويقصر عن إدراكه المتناول

ويقول :

ينافس يومى فى أمسى تشرفا وتحسد أسحارى على الأصائل
وطال اعترافى بالزمان وصرفه فلست أبالى من تغول الغوائل

ويقول إذ أصبح بمكان لا يناله غيره ، ومن السفاهة أن يساميه فيه من هو دونه :

وطاولت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

ويقول :

إليك تناهى كل فخر وسؤدد فأبل الليالى والأنام وجدد

وما تواضع أحد إلا ارتفع ، ولا سيما عند القدرة على الاستيلاء لهذا قال القائل :

سدت الجميع فسدت غير مسود ومن البلاء تفردى بالسؤدد

وقال أبو العلاء :

ولو أنى حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

وفى مقابل هذا يقول ابن مصر القاضى الشاعر ابن سناء الملك

توقد عزمى يترك الماء جمرة وحيلة حلمى تترك السيف مبردا
وإنك عبدى يا زمان وإننى على الرغم منى أن أرى لك سيدا

أليس ابن سناء الملك سليل الفراعنة الشداد الذين حولوا النيل عن مجراه ، ورفعوا الأهرام ، وطاولوا الزمن بالبقاء ،

وضارعوا الخلود بالتحنيط

واختصر ابن المولى جميع المؤهلات فى كلمة واحدة هى « الإسلام » فهو القائل فى مدح الحسن بن يزيد :

ولو ان امرأ ينال خلودا   بمحل ومنصب ومكان
أو ببيت ذراه تلصق بالنجم   قرانا فى غير برج قران
أو بمجد الحياة أو بسماح   أو بحلم أو فى علا ثهلان
هم ذوو النور والهدى ومدى الأمر وأهل البرهان والعرفان

وهو الذى جعل النبى كالجبل الأشم ، ورهطه كالكواكب العالية ، وكذلك أمير المؤمنين المهدى وأهله من أصحاب المعالى لأنهم ورثة النبى الكريم :

وما قارع الأعداء مثل محمد
إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعب
فتى ماجد الأعراق من آل هاشم   تبحبح منها فى الذرى والذوائب
أشم من الرهط الذين كأنهم
لدى حندس الظلماء زهر الكواكب
وإن أمير المؤمنين ورهطه   لأهل المعالى من لؤى وغالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو   النبى بأمر الحق غير التكاذب

ويجرى أبو العتاهية فى هذا المضمار إذ يرى الزهادة سبيل المجد :

دعنى من ذكر أب وجد   ونسب يعليك سور المجد
ما الفخر إلا فى التقى والزهد   وطاعة تعطى جنان الخلد .
لا بد من ورد لأهل الورد   إما إلى ضحل وإما عد

والفضائل وحدها هى عدة المعالى كما يرى الطغرائى بقوله :

أبى الله أن أسمو بغير فضائلى   إذا ما سما بالمال كل مسود

ولقد قال أحد الخلفاء :

« لأن يضعنى الصدق وقلما يضع .. أحب إلى من أن يرفعنى الكذب وقلما يرفع »

وللطغرائى مكانة لامعة بين أصحاب المعالى ، حتى إنه ليجعل للعلا حديث صدق ، وهو العامل بما تمليه عليه من انتقال وحركة ، ففيهما العز ، وليس ببعيد على من ولى الوزارة بمدينة إربل أن يأتى بهذه المعانى السامية التى تتدرج بها لامية العجم المشهورة إذ يقول :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخيرا ، ومجدى أولا شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى   بها ، ولا ناقتى فيها ولا جملى

ومنها :

حب السلامة يثنى عزم صاحبه   عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا   فى الأرض أو سلما فى الجو فاعتزل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة
والعز عند رسيم الأينق الذلل
إن العلا حدثتنى وهى صادقة   فيما تحدث أن العز فى النقل
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى   لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

ومنها :

أعلل النفس بالآمال أرقبها   ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
لم أرتض العيش والأيام مقبلة   فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها   فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

ومنها :

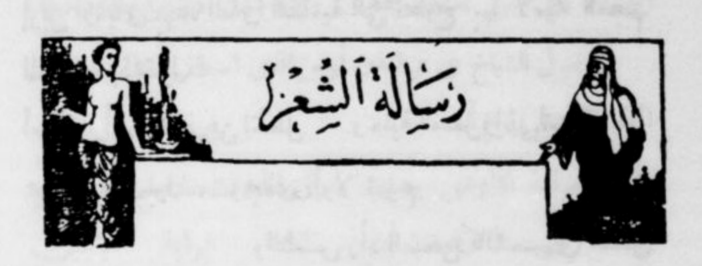
تقدمتنى أناس كان خطوهم   وراء خطوى لو أمشى على مهل
فإن علانى من دونى فلا عجب
لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فهذا رجل أصيل من أصحاب المعالى ، فحسبه أن يحفل بالشمس والحمل وزحل ليتخذ من كل ذلك درعا للحياة النشيطة العاملة ، فعرف قدر نفسه وصانها عن كل رخيص دون . وامتطى الأمل الفسيح فى سبيل الارتفاع ، ولم يتخاذل حينما رأى من من دونه يتقدمه فى مدارج الحياة

وليس بلوغ المعالى رهين العجلة ، فقد يكون التأنى سبيل السبق وذلك كما يرى شاعر قديم :

من لى بمثل سيرك المذلل   تمشى رويدا وتجى فى الأول

للكلام صلة   محمد محمود زيتون



نحو الصباح..

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

(مهداة إلى الناقد الكبير الأستاذ سيد قطب)

حيران يقظان يا فؤادى والناس هانون راقدونا
الليل نحو الصباح جسر بنى الدجى فوقه الحصونا
تعبره الكائنات وسنى بينا عبرناه ساهرينا
فامش معى امش يابن ذاتى ولندع القوم حالمينا
لعلنا ندرك الأمانى من قبل أن ندرك المنونا
لاتحسد الناعمين واحدد بنى العذاب المهدينا
أولاء آباؤهم بنوهم ونحن من يبتنى البنينا
ومن يرم مثلنا طموحا هيهات أن يطبق الجفونا
والنوم للخاملين لا لا مكبلين.. المذبينا
لست ابن من أقطع الرعايا ولا ابن من شيد السجونا
لكننى ابن العواصف ابن السيول والنار أجمعينا
ابنك ياشعب يا صباحا يستل أنفاسه دفينا

* * *

ماذا أرى ياظلام ؟ ركبا تحت الدياجى محدبينا
حافين عارين لاهثينا باكين شاكين ضارعينا
وراءهم مارد رهيب يزرع فى الأنفس الشجونا
تقطر جنباه كبرياء ويقتل صدره جنونا
تدوس هذى العظام دوسا كأنه طاحن طحينا
فابك معى موكب الضحايا بصمد الشجو والأنينا
رواية مثلت قديما مخرجها خفرع ومينا
ولم يزل بعد ألف قرن فرعون يستعبد القرونا
قد سارت الكائنات قدما فالنا نحن جامدينا

* * *

ماذا أرى يادموع ؟ قصرا أراده المجد أن يكونا
حيطانه تلك أم مرايا من فوق حيطانه جلينا ؟
كأن جدرانه الزواهى سقين بالشمس أو طلينا
ياجنة الخلد فى مداه وحوله تفتن العيونا
إنا عدمناك مشتهينا كما اشتهيناك عادمينا
لا تقبلى بالنسيم إنا من نتن الأرض زاكونا
لا ترقصى للربيع إنا من ظلمة الكوخ قد عمينا

* * *

ماذا أرى يا حياة ؟ إنى جننت من حيرتى جنونا
قبران ذا شيد من رخام تخطف ألوانه العيونا
وذاك فى صخرة نحيت أقسمت ما كاد أن يبينا
هذا عليه الربيع ضاف يرف وردا وياسمينا
وذاك يمشى الخريف فيه يبارك الموسج اللعينا
وبلاه يا عدل.. يا سطورا تنطق بالسخريات فينا
حتى أمام الفناء فرق ميزنا جوهرا وطينا...؟

* * *

يا أمة تعبد التماثيل والطغاة التوجينا
أقسمت لا تحملين إلا منافقين أو كافرينا
فامش معى امش يا رفيقى مثلى مستغرقا حزينا
فاسة الصبح قد أشمت والقوم قد فتحوا الجفونا

محمد مفتاح الفيتورى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الى معالى وزير المعارف :

سيدى الأستاذ

حديث اليوم إليك كلمات تنوء بالألم وتفيض بالمرارة ، وما أجدر حديثا كهذا الحديث أن تنصت إليه بقلبك قبل أن تنصت إليه بأذنك ، لأطمئن إلى أنه قد هز منك منافذ الشعور قبل أن يهز منافذ الأسماع !

هذا الألم الذى يلهب القلم فى يدى مرجعه إليك ، وهذه المرارة التى تلفح الأفكار فى رأسى مرجعها إليك أيضا . . . ومعذرة لهذه البداية الثائرة أو لهذه الصراحة السافرة ، لأنها حق « رسمى » تفضلت يوما فسمحت لى به ، وأعربت لى عن تأييدك له ، ما دام شاهده الصدق ورائده الضمير !

لقد كنت أنتظر بعد ذلك اللقاء الذى تحدثت فيه إليك ذات مساء ثم طالعت به الناس على صفحات الرسالة ، أنك ستقف من الأدب والأدباء نفس الموقف الذى وقفته من التعليم والمعلمين : عناية ورعاية ، وتأييد واهتمام ، وعطف على كل أمل مظلوم وكل حق مهضوم . كنت أنتظر هذا كله وينتظره معى الناس ، ولكن الأيام تمضى وعجلة الزمن تدور ، وأنت مشغول عن تلك الحقوق والآمال . . وتذهب مع الريح كل صرخة جازعة ، وكل لهفة ضارعة ، وكل أمنية جميلة كان لها فى النفوس وقع وفى القلوب مكان !

أليس عجيبا حقا أن تشغل عن حقوق فئة تجمع بينك وبينها قرابة الروح ؟ وعن آمال طبقة تربط بينك وبينها صلات الأدب ؟ ! صدقنى إذا قلت لك إن عجب الأدباء لا ينتهى ، وإن أسفهم لا ينقضى ، وإن كل مظلوم بينهم قد بات ينظر إليك وهو يردد قول الشاعر القديم :

وأرى الأيام لا تدنى الذى ... أرتجى منك وتدنى أجلى !

أتحب يا سيدى أن تسمع قصة واحد من هؤلاء المظلومين فى عهدك ؟ عهدك الذى ترقبوه كما يترقب المحل قطرات الغيث ، وتلقوه كما يتلقى الغريق أسباب النجاة ، وعاشوا على الأمل فيه كما يعيش المحروم على حرارة الرجاء ؟ !

إن لدى بضعة أسماء أود أن أقدمها إليك ، ولكننى أكتفى اليوم بتقديم اسم واحد هو على التحقيق شهيد هذا الأسبوع . . هذا الاسم الواحد هو النموذج الصارخ الذى يشير إلى غيره من النماذج ، أو هو المثل الواضح الذى يدل على غيره من الأمثال ، واستمع يا سيدى لقصة هذ الشهيد :

شاب من هؤلاء الشباب المخلصين لنشر التراث العربى القديم : يسعى إلى نوادر مخطوطاته فى كل مكتبة هنا وكل مكتبة هناك ، ويمنحها من وقته وجهده وماله فوق ما يحمل طوق أمثاله ممن يجودون فى سبيل العلم بالوقت والجهد والمال . . عمل جليل كما ترى ، ومع ذلك فقد ظلمته وزارة المعارف حين نسيت جهده أو تناسته ، أو حين جهلت قدره أو تجاهلته ! ظلمته حين وضعته فى مكان غير مكانه ، هناك حيث ترهق الأعصاب وتخور الهمم وتخمد الأنفاس ، وهناك حيث قدر له أن « يلقن » أطفالا أكثرهم من أبناء الأجانب « مبادئ » القراءة والكتابة باللغة العربية . . أرأيت يا سيدى الأستاذ ؟ أرأيت كيف تجبر وزارة المعارف أديبا على أن يقضى أكثر وقته مع « أطفال » يقوم منهم نطق اللسان ، ثم لا تتيح له من هذا الوقت إلا أقله ليقضيه مع « رجال » من طراز أبى الفرج أو أبى حيان ؟ !

لقد قضت وزارة المعارف أن ينفق الأستاذ السيد أحمد صقر سبع سنوات من عمره فى مدارس الليسيه الفرنسية . . وكأنما أرادت بعد هذا العمر الطويل أن تكافئه على ما قدم من جهود وما بذل من تضحيات ، فأمرت منذ أيام بنقله إلى أقاصى الصعيد ليستقر مرة أخرى بين أطفال مدرسة « كوم امبو » الابتدائية ! اعذرنى يا صاحب المعالى إذا تمرد القلم فى يدى وتنزت الأفكار فى رأسى واستحالت الكلمات إلى صرخات : من المسئول أمام الله حين تفرق وزارة المعارف بين هذا الأديب وبين أولاده الصغار الذين يتعلمون فى مدارس القاهرة ، وهو يقوم منهم مقام

الأب والأم التى فارقت الحياة وتركتهم وديعة بين يديه ؟! ومن المسئول أمام التاريخ — تاريخ الأدب على الأقل — حين يلقى الأدباء على يد وزارة المعارف مثل هذا الغبن ويتعرضون لمثل هذا الهوان ؟! إن الحياء يمنعنى من اتهامك ، ولكن الحق يدفعنى إلى هذا الاتهام . لماذا ؟ لأنك لو شملت الأدباء بعطفك ، وأفضت عليهم من برك ، وقربتهم منك حتى تعرف من منهم مهضوم الحق ومن منهم مظلوم المصير ، لما أهملت وزارة المعارف شأنهم وجحدت فضلهم وتركتهم نهبا لمتاعب الأيام . . من هنا يا سيدى — واغفر للشعور ثورته وللقلم جرأته — تأتى مسئوليتك أمام الله وأمام التاريخ ، لأنك فى الطليعة من هؤلاء الذين يعنيهم هذا القول الكريم : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته !!

ماذا أقول لك يا صاحب المعالى بعد هذه الكلمات ؟ أقول لك إن هذا الأديب يجب أن ينصف وأن يوضع فى مكانه . . إن مكانه هناك فى دار الكتب ، أو فى مجمع اللغة ، أو فى تلك الإدارة التى تسميها وزارة المعارف « إدارة نشر التراث القديم » أقسم لك إنها تسمية ظالمة ؛ ظالمة لأن تلك الإدارة موجودة حقا ولكنها لا تفعل شيئا . . وتسألنى لماذا فأقول لك : لأن الذين يصلحون لها ويستطيعون أن ينهضوا بها قد قدر لجهودهم أن تذهب هباء مع الريح ، بين مدرسة فرنسية هنا ومدرسة مصرية هناك !

يا سيدى رحمة بالأدب ورفقا بالأدباء ، ومعذرة لهذه الكلمة الثائرة لك لا عليك ، وحسبك منها أن شاهدها الصدق ورائدها الضمير !!

بين شوقى والرصافى :

أعرف فيك إخلاصك للفن ، وصدقك فى النقد ، وجرأتك فى الحق ، وترفعك عن المجاملات . . ولهذا كله أود أن أعرض عليك هذه القضية الأدبية التى أوغرت على الصدور فى العراق وأثارت من حولى ضجيج الأقلام ! أود أن أعرضها عليك لتشارك فيها برأيك ، هذا الرأى الذى أحتكم إليه لينصفنى أو لينصف غيرى من المعترضين والمتهجمين :

لا شك أنك تذكر أننى كتبت فى الرسالة الغراء بضع مقالات أبديت فيها رأيى حول شعر الشاعرين : شوقى والرصافى . . ولقد قلت إن شوقى قمة شامخة من قمم الشعر فى العربية ، وإن الرصافى لا يمكن أن يلحق بغباره مهما قال القائلون ، لأن شوقى شاعر العبقرية والرصافى شاعر القريحة ، وشتان بين المطبوعين على قول الشعر وبين النظامين !

قلت هذا فهاجمنى بعض الأدباء هنا على صفحات الصحف وهاجمنى البعض الآخر بالرسائل واللسان ، وهأنذا أنقل إليك ألوانا من هذا الهجوم الأخير :

كتب إلى صديق من « الموصل » يقول : « إنك قد تجنيت على الرصافى حين فضلت عليه شوقى ، لأن الرصافى أشعر من شوقى ولأن المصريين يسوؤهم أن يؤمر عليهم شاعر عراق ، ولذلك أهملوه . . ولولا أننى أعرف نزعة « الرسالة » الإقليمية لكتبت ردا عنيفا حول هذا الموضوع ، ولكننى أعرف الناس بأنانية المصريين ! ولهذا فأنا عاتب عليك تفضيلك شوقى على الرصافى وأنت شاعر عراقى » !

وكتب إلى أديب آخر من « البصرة » يقول » : « ما كنت أحسب أن المجاملة للمصريين تصل بك إلى هذا الحد الذى تفضل فيه شوقى على الرصافى ! ترى هل أنت مصرى أم عراقى ؟ وكيف تزعم أن شوقى أعظم من الرصافى ؟ والله إن ذلك ليسوؤنى منك . . ولولا أننى أخاف ألا تنشر الرسالة ردى لبعثت إليها بهذا الرد فى المفاضلة بين الشاعرين » !

وقال لى أحد الشعراء العراقيين فى معرض الحديث عن مقالاتى حول شوقى والرصافى : « إننى أعجب منك يا أستاذ ، لأنك تريد أن تنال الشهرة بواسطة مصر ، ولهذا لم تجد طريقة سوى أن تحطم الرصافى لترفع من شوقى ! لا يا أستاذ! إن الرصافى عظيم عظيم حتى لا يفضل عليه أحد » !

وهكذا كان أسلوب النقد الذى وجه إلى من الأدباء والشعراء . . وبقى أن نسمع رأيك الفاصل فى المشكلة ، رأى الكاتب الحر والناقد النزيه

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

أنا والله فى حيرة من أمر الأدباء العراقيين ؛ إذا تحدث ناقد مصرى عن أديب مصرى صاح أكثرهم فيما يشبه الغضب والعجب والاستنكار : نزعة عنصرية وعصبية إقليمية ! وإذا سكت الناقد المصرى واحتل مكانه فى التحدث عن الأدباء المصريين ناقد عراقى ، صاح أكثرهم مرة أخرى فيما يشبه التأنيب والتثريب : متنكر للعراق ومجامل لمصر وكافر بالقيم ! ونحن بعد ذلك فى رأيهم أنانيون متعصبون ، نحيد عن الحق ونميل مع الهوى حين نحدد للأدب المعايير وتقام الموازين !

ومن العجيب حقا أن يوجه إلينا مثل هذا الاتهام وما أكثر ما نفيناه ، مقدمين الدليل القاطع والبرهان الناصع على أننا فوق الظنون والشبهات . ويا طالما حاربنا تلك العصبية البغيضة على صفحات الرسالة ، ودعونا إلى نبذها بالقلم واللسان ، ورفعنا الصوت عاليا بأن ليس فى الأدب والعلم والفن مصرى ولا عراقى ، وإنما هناك كلمة واحدة نعتز بها ونطالب بأن تكون لنا خير شعار وعنوان . . هذه الكلمة الواحدة هى أن ننتسب جميعا إلى « العروبة » التى تشمل هذا الوطن الكبير ، وتنشر ظلالها السمحة على كل اسم من أسماء أهل الأدب والفن هنا وهناك !

قلنا هذا وكررناه . حتى مللناه ! ومع ذلك فالأدباء العراقيون غير راضين ولا مقتنعين ، حتى نسبح بحمدهم ونشيد بذكرهم ونقيم لأدبهم المعابد والمحاريب .. وإن لم نفعل فالويل لنا من ألسنتهم وأقلامهم، والويل كذلك لكل عراقى يشير إلى الأدب المصرى من بعيد أو قريب ! من يصدق بعد هذا كله أننا أصحاب تعصب وأنانية وأصحاب أهواء وأغراض ؟! ألا فليرجعوا إلى كلماتهم التى وجهوها إلى الأستاذ الناصرى وليراجعوا أنفسهم ليعلموا — إذا أنصفوا الحق والواقع — إلى أى فريق يجب أن يوجه الظن أو يقدم الاتهام !

وأعود إلى الأستاذ الناصرى لأقول له إن فكرة المقارنة بين الشاعرين « العربيين » باطلة .. باطلة فى رأى الحق والذوق والمنطق السليم ! إن المقارنة مثلا بين شوقى والمتنبى أو بين شوقى وابن الرومى أو بين شوقى وأبى تمام شىء معقول ومقبول .. معقول لأن الطاقات الفنية هنا متقاربة ، ومقبول لأن الملكات الشعرية هنا متشابهة ، « معدنها » واحد وإن اختلفت مظاهرها تبعا لاختلاف الذوق بين « الصائغين » ! لهذا كله أقبل المقارنة بين شوقى وهؤلاء وأطيق المفاضلة ، أما أن يقارن بين شوقى والرصافى فهى المقارنة بين النهر الكبير والجدول الصغير ، أو بين الذهب والقصدير .. وليغفر لى الأدباء العراقيون « ضعف » الملكة الناقدة أو « غلبة » العصبية الإقليمية !!

ولا حيلة لى بعد ذلك فيمن ينكرون شوقى ويعترفون بالرصافى وأمثاله من الشعراء ، إنهم أشبه بذلك الذى يذهب إلى سوق الفاكهة فتقع عينه على الكمثرى والتفاح ثم لا تقع يده إلا على الجميز والجوافة .. أمثال هؤلاء لا ينتظرون منى جدلا ولا مناقشة ، لأننى لا أطيق أن أناقش أذواقا تجهل فنون الطعم والمذاق ، حين تعرض عليها أنواع الفاكهة فى كل سوق من الأسواق !!

شاعر يودع الحياة :

كنت أقرأ شعره فأعجب به وأثنى عليه ، ومن أضواء هذا الشعر وظلاله رسم له الخيال على لوحة الشعور صورة إنسان ، إطارها الحس المرهف والفكر الناقم والشجن المقيم .. لم أكن قد رأيته بعد ، وحين رأيته عدت إلى الصورة التى رسمها الخيال فلم أجد فارقا بينها وبين الصورة التى رسمها الواقع : كلتاهما تنقل عن الحياة ألوانها الحزينة القاتمة . تلك الألوان التى تترك أثرها العميق فى قسمات الوجه ونبرات الصوت وطريقة الأداء .. وهكذا لقيت الشاعر المصرى الراحل ، صالح شرنوبى رحمه الله !

قال له أحد الأصدقاء الأدباء إننى أذكر شعره بما يرضى الحق ويرضيه ، وإذا هو يسعى إلى ذات مساء ليقدم إلى شكره بعد أن قدم إلى نفسه ، فى صوت يقطر حياء ورقة ؛ حياء الإنسان ورقة الفنان .. وحين أكدت حرارة اللقاء صدق ما بلغه من ثناء ، تبسط اللسان الحيى وتهلل الوجه الحزين ، وانطلق الشعور الملتاع يقص على فصولا من رواية طويلة ، كتبها بمداد الشجن تجهم الحياة وعقوق الناس !

وودعت صالح شرنوبى فى تلك الليلة .. ودعته وأنا أؤكد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

وفاة شاعر ومباهج الشعراء

دعا جماعة من الشعراء ، يوم الجمعة الماضى ، إلى ندوة شعرية ينشدون بها فى « مباهج الصيف » بحديقة جمعية الشبان المسيحية ، وكان بين هؤلاء الشعراء الذين سيقولون فى الباهج اسم الشاعر صالح الشرنوبى ، ولكن الأقدار أبت على الطائر الذى ظل حياته كسير الجناح أن يذهب إلى فننه ليغرد ، وشاءت أن تصنع مفارقة فى مجال الشعر والأدب ، فقد نشر نعى الشاعر فى نفس العدد (من الأهرام) الذى نشر به اسمه مع شعراء الندوة !

عرفت الأستاذ صالح الشرنوبى من نحو عام ، لقيته أول مرة فى إحدى الأمسيات بندوة « الرسالة » ولقيته بعد ذلك بضع مرات ، وقرأت له شعرا أطربنى . لمست فى شخصه روح الإنسان وأنس الأديب ، ورأيت فى شعره روعة الفن وصدق الأداء . ولمحت فيه رقة الحال المستترة بالتجمل ، ويخيل إلى أنه كان يتجمل بالشعر . . كان يعيش بقصائده التى تعمر جيبه . . ولم يكن يشعر أحدا بحاله ، نقد كان من البؤساء المتعففين ، فلم يثر جلبة حوله . وكان حييا متواضعا ، إن ذكر شعره بالثناء خجل وأبدى شكره فى تواضع عذب

إنسان رقيق النفس ورقيق الحال ، عاش وديعا موادعا ، ومر بأصدقائه ومعارفه مرور النسمة اللطيفة، وكان فى مصر .. ومع ذلك برز اسمه بين الشعراء !

ويظهر أن شدة الأيام قد استحت من طول مخاسنته، فحاسنته، وأخذت به منذ شهور إلى مكان فى تحرير جريدة الأهرام . وأخيرا أراد أن يتغنى بين إخوانه الشعراء بمباهج الصيف ، ولكن الموت عاجله ، فخلى مكانه فى الندوة ، وكان موته حريا أن يحيلها كلها إلى حزن وحداد ، ولكن الشعراء — سامحهم الله — منحوه نصف ساعة ذكروه فيه على عجل ، ثم أسرعوا إلى مباهجهم منشدين !

بدأت الندوة بكلمة من الأستاذ خالد الجرنوسى ، رثى فيها الفقيد وعبر عن أساه لفقده ، وألقت الآنسة روحية القلينى أبياتا فى رثاء الشاعر ، كما ألقى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة رثاء أيضا كانت أحسن ما قيل فى الندوة . ووقف خطيب لم يطلق اسمه بذا كرتى فارتجل كلة كنا نسامحه على ماجاء فيها من أخطاء ومالابسها من فهاهة لولا أنه ألقى أبياتا من قصيدة للشاعر الفقيد فأقض مضجعه وآلم روحه بما ارتكبه فيها من تكسير وتشويه !! والأبيات تنتهى بهمزة مكسورة ، فبلغت الجناية مبلغها حينما كان يقلب القافية على أوجه الإعراب المختلفة من رفع ونصب وجر

ومما قاله ذلك الخطيب أن الشاعر مات ولم يحن حينه (بفتح

له مسرورى بلقائه ، وأكرر له إعجابى بشعره ، لتطمئن نفسه إلى أن له عند الحرصاء على القيم مكانا فى الأدب العربى الحديث !

ومضت الحياة بصالح شرنوبى حتى علمت يوما أنه قد حورب فى رزقه ، حين فصل من عمله فى إحدى المدارس الأجنبية وكان يحصل منه على أجر زهيد .. فصل من عمله كما قيل لى ، لأنه كان كريما على نفسه فلم يرض لها أن تضام ، ومخلصا لمصريته فلم يرد لها أن تهان ؛ ومن هنا ثار على القائمين بأمر المدرسة دفاعا عن كرامة وطنه .. وطنه الذى لم يلتفت يوما إلى حقه عليه كأديب أو حقه عليه كإنسان !

وتناولت القلم لأعرض مأساته على الدكتور طه حسين ، باشا ولكن معاليه كان قد غادر مصر إلى فرنسا فأمسكت القلم عن الكتابة إلى حين .. ويعود الوزير الأديب إلى أرض الوطن وأوشك أن أتناول القلم مرة أخرى لأتحدث إليه ، ولكن صالح شرنوبى يعفينى من أداء هذا الواجب ، ويودع الحياة والأحياء ويمضى فى طريقه إلى لقاء الله .. فإلى قبره فى ذلك المكان المقفر حيث قدر لهذا الجسد المكدود أن يستريح ، أقدم عزاء القلب ورثاء القلم !..

أنور المعداوى

الحاء) يقصد أنه مات فى شبابه قبل الأوان .. وكنت أغض عن مثل هذه الزلات لولا أننا فى ندوة شعراء يقصدها الناس ليستمعوا إلى مايلقى فيها وقد يأخذون عن أصحابها

ومن تلك الزلات أن الأستاذ خالد الجرنوسى أثنى على الشاعر الكبير السيد حسن القاياتى الذى كان « ضيف الشرف » فى الندوة ، فخاطب الحاضرين قائلا عنه : هذا الماثل أمامكم ولم يكن السيد القاياتى واقفا بل كان جالسا على كرسى ..

وتكلم مدرس بكلية أصول الدين ، قدم على أنه سيعقب على الندوة فقال إن مشاركة الآنسة روحية قلينى فى الندوة تذكر بالشاعرة « الفحلة » الخنساء .. والفحولة هى الذكورة ، بل الذكورة العارمة ، وقد استعملت مجازا فى الشعر لدلالتها على القوة والاقتدار ، فهل يستساغ أن توصف بها الأنثى ؟ على أن وصف الشاعر بأنه فحل أصبح غير مقبول فى الذوق المصرى

وكنت أود أن يؤثر شعراء الندوة حسن الذوق على رغبتهم فى إلقاء ما أعدوه فى مباهج الصيف ، فإما أن يجعلوا الندوة كلها فى الرثاء أو يكتفوا بما تيسر منه ويفضوها ..

ولكن يظهر أن تلك الرغبة عارمة فى نفوسهم ، فاستسلموا لشهوة الإلقاء ، وجانبوا ما يليق ، فراحوا يتحدثون عن البحر والأمواج والجمال

كشكول الأسبوع

◘ أعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية عن مسابقاته لتشجيع الإنتاج الأدبى سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، ويرى بيان هذه المسابقة وشروطها فى غير هذا المكان من « الرسالة » ويلاحظ أنه خصص لأدباء وادى النيل جوائز مقدارها ستمائة جنيه فى الشعر والقصة والبحث وتحقيق كتاب قديم ، وجعل لأدباء البلاد العربية عامة جائزة مقدارها مائتا جنيه فى بحث أدبى . وذلك طبقا لما جرى عليه من تخصيص ثلاثة أرباع الجائزة السنوية — وهى ثمانمائة جنيه — لأدباء وادى النيل . وإباحة الدخول فى الربع الباقى لجميع أدباء العربية

◘ استأنف المجمع دورته الحالية فى يوم الاثنين الماضى القبل ، ومما ينظر فيه مسألة الترشيح للكرسيين الخاليين به ، فيحدد آخر موعد لقبول هذا الترشيح

◘ قررت لجنة الجدول للصحفيين نقل أسماء إلى جدول غير المشتغلين ، من بينهم معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف والأستاذ توفيق الحكيم بك مدير دار الكتب

◘ رأت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية أن ما قامت به الإدارة الثقافية بشأن إحياء المخطوطات العربية جدير بالتشجيع والمتابعة ، وعهدت إلى الإدارة فى إصدار نشرة سنوية بما تم تصويره وتكبيره لديها من المخطوطات العربية على أن توزع هذه النشرة على أكبر عدد ممكن من الأدباء والعلماء والهيئات العلمية ، وعلى أن يكون موعد صدورها شهر نوفبر ، ويبدأ بها من نوفبر القادم

◘ وأوصت اللجنة أن تعنى الادارة فى متحفها الثقافى بتسجيل بعض مظاهر الحياة العربية المعرضة للزوال أمام ضغط الثقافات الأجنبية ، حتى يصبح هذا المتحف وسيلة لدراسة تدرج الحياة العربية

◘ زارت مصر أخيرا الشاعرة العراقية نازك الملائكة ، وهى فى طريقها من أمريكا إلى العراق ، فمكثت بها نحو أسبوع . وقد بلغنى أنها كانت تريد أن تلقى كثيرا من أدباء مصر ، ولكنها لسوء الحظ وقعت فى صحبة

والأزهار والتفاح والرمان » ..

رحم الله الفقيد وغفر لإخوانه الشعراء

أدباء الثقافة بوزارة المعارف

فى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف طائفة من الأدباء بعضهم من المعروفين لجمهور القراء بأقلامهم وإنتاجهم وبعضهم متأدبون ذوو ثقافة واطلاع.

وهم هناك فى وضعهم الملائم من حيث قدرتهم وخبرتهم وثقافتهم التى تتطلبها أعمال الإدارة فى الشؤون الثقافية المختلفة ، فهناك مثلا من يقرؤون الكتب التى تقدم للتقرير فى مكتبات المدارس لإبداء الرأى فى صلاحها لهذا الغرض ، وهناك من يترجمون الكتب التى يقع عليها الاختيار ، وهناك من يحررون السجل الثقافى الذى يصدر سنويا مبينا نواحى الثقافة العامة فى البلاد المصرية معرفا بما يصدر فيها من مؤلفات ومترجمات وما بها من جمعيات وأندية ومعارض ومتاحف . الخ

وقد تولى الإشراف على هذه الإدارة منذ إنشائها أساتذة من كبار الأدباء ، منهم طه حسين وأحمد أمين وفريد أبو حديد ، والأول هو منشئها وصاحب فكرتها ، وقد اختير لها فى أوائل هذا العام الدكتور سليمان حزين بك الذى كان أستاذا للجغرافية بجامعة فاروق ، وهو وإن لم يكن معروفا بإنتاج أدبى إلا أنه فى السنوات الأخيرة شارك فى النشاط الثقافى العام

بأحاديثه وتعليقاته فى الإذاعة وبعض الأبحاث الأخرى

ومن المعروف أن الأعمال الأدبية والثقافية تحتاج إلى مزاج رائق وراحة شعورية موفورة ، فأهلها يستهلكون أعصابهم ويعتصرون أفكارهم

لهذا جرى الأمر فى إدارة الثقافة على أن يتاح لموظفيها الفنيين شئ من الحرية فى مواعيد الحضور والانصراف وخاصة أن بعضهم تقتضى طبيعة عمله انتقاله إلى هنا أو هناك للاتصال بالهيئات الثقافية ، ومنهم من يؤثر إنجاز ما لديه فى منزله

وبعض الناس حينما يرون ذلك يظنون أن أولئك الموظفين لا عمل لهم .. وقالت بعض الألسنة الطويلة إن إدارة الثقافة (تكية) للأدباء !

وقد زين لكثير من المدرسين أن يلجأوا إليها فأرهقوا الوزراء والكبراء بطلب الوساطات ..

ويظهر أن الدكتور سليمان حزين بك مدير الثقافة العام ، تأثر بتلك الأقاويل .. ويظهر أيضا أن بالقرب منه موظفين تقصر بهم الأسباب الطبيعية دون الغايات المرموقة فيحاولون أن يصطنعوا أسبابا أخرى من الملق والإيقاع بمن ينفسون عليهم ... زين هؤلاء للدكتور حزين أن يغير الأوضاع المألوفة فى معاملة الفنيين ، واستغلوا فى ذلك رغبته فى أن ينفى عن الإدارة ما ترمى به من التقصير ، ومما يدل على

طفليات دعيات فى الجو الأدبى فلم تقابل غير قليل جدا مما كان يحسن أن تلقاه

▫ تلقيت من « دار المعارف » تهنئة بالعيد مصحوبة برسم جميل موضوعه « فرحة العيد » بريشة الفنان حسين بيكار ، والبطاقة والصورة تدلان على ما عرفت به الدار من حسن الذوق وجمال الاخراج

▫ نال الجنسية المصرية أخيرا الأستاذان الأديبان على أحمد باكثير (من أصل حضرى) وكامل السوافيرى (من أصل فلسطينى)

▫ نشرت جريدة « إجيشيان ميل » الصادرة يوم الأحد الماضى ، مقالا افتتاحيا عالج فيه الكاتب مسألة العرض والطلب فى الكتب ، ونعى فيه على الناشرين الذين يصدرون التفاهات بحجة أن الجمهور يريد ذلك ، وقال الكاتب إن هؤلاء الناشرين مخطئون حين يزعمون أن الطلب يخلق العرض ، لأن العرض هو الذى يخلق الطلب ، فعرض الأحسن يجتذب إقبال الناس ، ففى الحرب الماضية أدى نقص الورق إلى خفض المطبوع من الأدب العامى فى بريطانيا ، فتحول الناس إلى قراءة الكتب الجيدة ، وعندما عزفت لهم الموسيقى الجيدة فى فترة الغداء استمعوا إليها بتقدير كبير

▫ تفتتح فرقة المسرح المصرى الحديث موسمها القادم على مسرح الأوبرا الملكية يوم ١٨ أكتوبر المقبل بمسرحية « مسمار جحا » للأستاذ على أحمد باكثير ، ثم تتلوها مسرحية « كدب فى كدب » للأستاذ محمود تيمور بك ؛ والمسرحيتان مصريتان جديدتان : الأولى بالفصحى والثانية بالعامية . ثم تقدم الفرقة بعد ذلك مسرحية « تاجر البندقية » لشكسبير ترجمة المرحوم خليل بك مطران

▫ من غرائب المذلقة الدالة على الجهل الفاضح فى الاذاعة المصرية ، أن أحد المذيعين قدم أحد قراء القرآن الكريم بقوله : « ... يتلو عليكم ما تيسر من سورة سبق ! » يعنى سورة سبأ ..

▫ أذاعت وكالة الأنباء العربية من الخرطوم أن السودان أوفد لأول مرة مندوبين للاشتراك فى مؤتمر المستشرقين الذى يعقد فى استنبول ، والوفد مؤلف من مدير الآثار الانجليزى ومساعده السودانى

هذه الرغبة قوله : انه يريد أن يغير سمعة الإدارة إلى النقيض حتى لا يرغب فيها المدرسون ، فيخف الضغط على الوزراء !

وعلى ذلك جمل الدكتور حزين يأخذ أدباء الثقافة بالشدة ويعاملهم بالحرفية فى مواعيد الحضور والانصراف واتخذ فى ذلك وسائل جاوز فيها عماله المدى اللائق ، فقد حدث مثلا أن صعد سكرتيره إلى بعض الحجرات فوجد حجرة خالية بها ثلاثة مكاتب لثلاثة من الأساتذة الموظفين ، وكان واحد منهم يتحدث بالتليفون فى حجرة أخرى ، والثانى يقف فى الردهة ، والثالث فى المرحاض ، فأغلق السكرتير الحجرة الخالية لأن موظفيها ليسوا على مكاتبهم .. وذهب بالمفتاح إلى سعادة المدير العام ، فحكم على العمل أن يظل معطلا بقية اليوم ...

ونحن مع الدكتور فى رغبته المحمودة أن يدفع عن إدارة الثقافة ما ترمى به من التقصير ، ولكنا نخالفه فى الطريقة

الواقع أن أدباء الثقافة لا يستخدمون فى تحقيق الأغراض الثقافية المنشودة كما ينبغى ، ولكن ليست الوسيلة أن يحضروا فى الثامنة صباحا وينصرفوا فى الثانية بعد الظهر ، وأن تغلق حجراتهم ليشربوا قهوة لدى المدير العام ، إنما الوسيلة الصحيحة أن ينظم العمل الفنى وتذلل عقباته وتوضع



نماذج فنية من الأدب والفن

تأليف الأستاذ أنور المعداوي

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

الأستاذ أنور المعداوي الكاتب المصري المعروف غني عن التعريف فهو ناقد فذ وأديب ممتاز ومن طلائع المثقفين القلائل في البلاد العربية. وأقول القلائل لأننا لو أحصينا الأدباء الذين جمعوا بين الثقافتين الشرقية والغربية وأطلقنا عليها اسم المثقفين كما تدل عليها كلمة الثقافة من معنى لوجدناهم من القلة بحيث لا يذكرون تجاه الأغلبية الساحقة من المتأدبين أشباه المثقفين وأنصاف الكتاب

عرفه قراء الرسالة الزاهرة منذ سنوات في تعقيباته التي أعجبت كل أديب كما عرفه النقاد الموجودون الآن بين ظهرانينا فإذا به يختلف عنهم بعمق المعرفة وإصابة الهدف والاستدلال على الحقيقة وعدم التحيز لصديق أو قريب ومهاجمته الكثيرة من شيوخ الأدب الذين يشطون فيما يكتبون:

وقال قائل منهم عنه « إنه عامل هدم في الحياة الأدبية لا عامل بناء » لماذا « لأنه منذ أن تناول قلمه ليكتب تحول القلم في يده إلى معول ثائر، معول متعصب تنصب ثورته على بعض القيم والأوضاع! (١) »

ولكنه وهو المارد الجبار الذي نذر نفسه ليغير من مناهج النقد القديمة البالية لم يبال بهذا الكلام الفارغ الذي يلقيه على عواهنه من لهم نصيب ضئيل من الثقافة أو من الذين لم يثبتوا أقدامهم في مواضعها؛ راح يكتب ويكتب بكل جراءة وصرامة

(١) مقدمة النماذج ص ١

المشروعات الثقافية التي تستغل فيها جهود أولئك الفنيين، والدكتور حزين بك أستاذ موفور النشاط، ويمكن أن يكون نشاطه مجديا لو وجه طاقته إلى معالجة المسائل الثقافية وتوجيه الجهود إلى الإنتاج الذي يرفع شأن الإدارة ويدفع عنها ما تعاب به، فهنالك مثلا التراث الثقافي المعطل، والذي يتمثل في عشرة كتب مخطوطة دفعت الوزارة ثمنها لمحققيها، ثم حكم عليها بالحبس! وهناك — مثلا أيضا السجل الثقافي الذي شمرت الهيئات الثقافية في مصر والخارج بفائدته، وأبدى الجميع ارتياحهم إليه، هذا السجل صدر منه عددان عن سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ولا يزال سجل ١٩٥٠ واقفا ينظر إلى الميزانية وينتظر أن يسمح بالأخذ في إجراءات طبعه وقد أوشكت سنة ١٩٥١ أن تنتهي.. وقد صدر كل من السجلين الأولين في أوائل السنة التي تلي سنته وكان ذلك في الوقت الذي لم يكن فيه أحد يقول لمحرريه: لماذا تأخرتم وأين كنتم!

والدكتور حزين بك أستاذ جامعي، والذي يليق به أن يهتم بالبحث الثقافي ويتبادل الرأي مع من يعملون معه من الأدباء بغية الوصول بالأعمال الثقافية إلى أهدافها المقصودة، وقد بدا استعداده لذلك حينما دعا الموظفين الفنيين إلى الاكتتاب لإقامة حفلات شاي، وقد توالت هذه الاكتتابات، وأقيم بعض الحفلات، ولكن لم يحدث فيها سوى تناول الشاي وبعض الحلوى، فلم يتحدث في موضوع، ولم يجد تعارف، فالجميع زملاء يعرف بعضهم بعضا من قبل، وكان كل جماعة في حجرة والمدير العام في حجرة أخرى مع بعض الخاصة والزائرين. ولعل حفلة الشاي المزمع إقامتها قريبا تكون أكثر جدوى من حفلات الشاي السابقة

إن كل ما نبغيه أن تكون إدارة الثقافة بوزارة المعارف أداة فعالة في حركة البلاد الثقافية، والسبيل الذي نراه لذلك أن نستغل الطاقات في الإنتاج. بدلا من استهلاكها في مراعاة المراسيم والشكليات

عباس خضر

غير ملتفت إلى نعيب الغربان ونقيق الضفادع، حتى مضت أشهر وإذا اسمه على كل لسان وإذا شهرته تسبقه فى كل بلاد تشرق عليها من بلاد الشرق العربى، وإذا هو بين عشية وضحاها معروف وأثير لدى الجميع، وإذا بريد الرسالة يتلقى كل يوم عشرات الرسائل وكلها موجهة إليه، ليعقب على هذا المقال أو يجيب على ذلك السؤال أو يوجه ويرشد أو ينقد ليدل على مواضع القبح والجمال

وكنت أحد الذين يقرأون للأستاذ المداوى وأحد الذين يعجبون بآراء المداوى وأحكامه فى عالم النقد والأدب. وقد شاء ربك أن تتصل الأسباب بينى وبينه، فإذا بنا نصبح من أول مراسلتنا أصدقاء. ولا عجب فالأدباء إخوان وأقارب تجمعهم رابطة الفن قبل رابطة الدم والقرابة. ورحم الله أستاذ الشعراء حيث يقول (٢):

إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... نغدو ونسرى فى إخاء تالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد

وأمضى أنا إلى باريس ومن باريس أكتب إليه ثم أعود لأشكو له مأساتى فإذا به يقف منى ذلك الموقف المشرف النبيل الذى يفسد عليه صداقة الوزير فى سبيل الأدب، وفى سبيل إنصاف شاعر. وآنذاك تتجلى لى أخلاق المداوى على حقيقته أخلاق سافرة للعيان، وإذا به قلب كبير وروح مثالية تضحى بكل شئ فى سبيل الأدب، ومن ذلك الوقت وأنا لا أشك بأن أحكامه فى الأدب والنقد والفن لا تصدر إلا عن دراية وثقافة وحق وخبرة واطلاع، ثم تمر الأسابيع وإذا ببريد الكنانة يحمل لى من الصديق الحبيب كتابه الثمين الذى رسمت به هذا العنوان. والكتاب من الحجم الكبير يقع فى «٢٥٠» صفحة طبعته لجنة النشر للجامعيين على نفقتها الخاصة، وقد تصفحته بإمعان فإذا به يحتوى على «٤٠» مقالة فى مختلف الفنون و «١٠» منها عن نقد الكتب.. وقد قلت إن تلك الصفحات الفذة فى تاريخ النقد فى مصر والتى ضمنها الكتاب قد نشرت فى مجلة الرسالة الغراء، واطلع عليها القراء فى جميع البلاد الناطقة بلغة القرآن، ولكن يسرنى أن أشير فى هذه الكلمة العاجلة إلى بعضها

أسلوب المداوى فى هذا الكتاب وفى جميع ما يكتب رصين سهل: لفظ رقيق وديباجة جزلة أنيقة. وهو كما قال فيه أستاذنا الزيات بك فى افتتاحيته المظيمة عدد ٩٤٨ من الرسالة «أسلوب المداوى كما تراه فى كتابه من الأساليب التى جاء فيه التأليف بين المعنى واللفظ جاريا على سنن الفن الصحيح؛ فالتفكير قوى عصى حار، والتعبير دقيق أنيق مهذب»

أما آراؤه فناضجة قويمة تقوم على العقل والعاطفة والتجربة والاطلاع، فمن مقالاته التى تغلب عليها العاطفة وأناقة اللفظ حتى لتنسيك نفسك وتأخذك إلى عالم الكاتب والسطور. «شاعرية مصرية تودع الحياة» و «من الأعماق» ولنقف لحظة لنقرأ مرة أخرى قوله فى «من الأعماق» ص ١٦٤

«وأبدا لن ينسى يا دار هواه، يا من كنت وحى قلمه ومهبط إلهامه وحديث أمانيه.. لن ينسى حين غاب عنك أياما ثم ذهب ليرى أهلك فى آخر يوم من رمضان، ملء يديه كما كان بالأمس زهر، وملء عينيه أمل، وملء قلبه حب، وملء نفسه دنيا من الأحلام.. لقد كنت يا دار واجمة، كئيبة.. تمرح فى جنباتك الصمت، ويطبق السكوت! أين يا دار من كانت تفتح له أبواب الشعور بالدنيا على مصاريعها؟ أين أين.. الخ..»

وأنت إذ تقرأ هذه السطور تحس كما لو كنت أنت صاحب من الأعماق أيا جئت إلى دار الحبيبة لتزورها فإذا بالدار واجمة، والأهل صامتون والدنيا مظلمة وكل شئ ينطق بالموت، بالخراب، بالدمار.. ورحمة الله على صاحبة ذلك القلب الكبير.. وعزاء للصديق المفجوع بأعز أمانيه..

ومن تلك الآراء التى أوافق عليها موقفه «حول مشكلة الفن والقيود» ص ١٦ و «حول مشكلة الأداء النفسى» ص ٣١ و «الفن والحياة» ص ٨٥ و «رأى فى كتابة القصة» ص ١٧٢ و «بيتان لجميل بثينة» ص ١٧٥!

وأكثر آرائه فى القسم الثانى من الكتاب بعنوان «كتب

---

(٢) أبو تمام فى قصيدته البليغة التى يودع بها صديقه على ابن الجهم ومطلعها:

هى فرقة من صاحب لك ماجد ... فغدا إذابة كل دمع جامد



حول الثقافة المصرية في السودان :

إلى حضرة الأخ الفاضل الأستاذ عباس خضر

أرفع إليك تحية طيبة وتقديرا عظيما وإعجابا كثيرا بما تقدمه لقراء الرسالة الزاهرة فى باب (الفن والأدب فى أسبوع) من مقالات شيقة نافعة . وأشكر لك هذه اللفتات الكريمة التى تخص بها اخوانك أبناء جنوب الوادى من حين إلى حين . هذا وقد دفعنى إلى كتابة هذه السطور إليك مانشرته لك الرسالة فى العدد (٩٤٩) تحت عنوان : « الثقافة المصرية فى السودان » .

وأستطيع أن أعتبره موجزا فى قولك «وليت وزارة المعارف تخرج عن تلك الرسمية المقفرة فتختار بعض الأدباء المعروفين بآثارهم القلمية الناضجة ليشاركوا فى موسم المحاضرات المصرية بالسودان فتتيح لأهله أن يروا الوجوه التى يقرأون لأصحابها ويصلوا مايقرأون بما يسمعون .» وأستطيع أيضا أن أؤكد لك يا سيدى الأستاذ أن هذه هى الرغبة الحقيقية لكل أديب هنا بل رغبة كل قارئ وقارئة فى السودان من الذين يتتبعون الحياة الفكرية فى مصر

ومع أننا قدرنا للفاروق العظيم ولمصر إرسال تلك البعثات واستفدنا من كل الأساتذة المصريين الذين حاضرونا وعلى رأسهم الأستاذ الجليل الدكتور محمد عوض بك . إلا أننا نقرر للحقيقة ونقرر تأييدا للفتتك البارعة التى سبقت الإشارة إليها أن مجرد ذكر اسم الأستاذ العريان فى بعثة العام الماضى أحدث دويا شديدا وتطلعا عظيما لرؤية هذا الرجل الذى عرفه السودان علما من أعلام الأدب منذ نيف وعشرين عاما وكانت محاضراته من النوع الذى ننشده فعلا ، ونتعطش إلى سماته ولاسيما وأنه أعاد لنا ذكرى مشكلة الجديد والقديم فى الأدب العربى ، ذكرى ذلك الصراع الفكرى بين عمالقة الأدب فى حلبة الرسالة منذ أمد طويل ومايزال له إلى اليوم صدى ورنين

وإذا كان لى أن أقترح فإنى أقول يا حبذا لو ضمت البعثة

فى الميزان » من ص ١٧٩ إلى ص ٢٤٧ . اللهم إلا رأيه فى أبيات عمر أبو ريشة :

أتريد الوجود ، منهتك يريـنا أسراره عريانا
ويفض الفدام عن قلبه السمح ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهى لرأينا الله فى نشوة الشعور عيانا

وأبيات محمد مهدى الجواهرى :

على الحصير و كوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أهوى على كوة فى وجهه قدر فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

فأنا أخالفه.. فهو يعتبر أبيات عمر أبو ريشة عادية لا حس فيها ولا حركة ، وأبيات أوبيتى الجواهرى من الفن الأصيل الذى يهزه ويهتز لها صاحب « تحت المبضع » . فأنا بالرغم من الذين يقدرون موسيقى اللفظ وقوة السبك وأصالة الديباجة لا أظن أن شعر الجواهرى مهما سما يصل إلى أخيلة أبو ريشة . ولما كنا فى صدر الكلام عن الأبيات المتقدمة فإن الجواهرى لولا بيته الثانى :

أهوى على كوة فى وجهه قدر فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

لما بقى جمال أو معنى لبيتيه . .

كما أخالفه مرة أخرى فى رأيه بقصة الأستاذ أحمد الصاوى محمد « زوجات » فأنا أعد الصاوى فى كل ما ترجم وألف واقتبس لا أثر له فى التوجيه أو الإرشاد اللهم إلا إثارة غرائز الشبـاب باسم الفن والأدب

وختاما فإن كتاب الصديق الأستاذ المداوى فى هـذه الأيام التى طغت فيها موجة السياسة على الأدب وكثر التهريج والتزمير باسم النقد.. ليعد اللبنة الأولى فى صرح بناء النقد الحديث على ضوء العلم والفن والتروى.. فهنيئا للمكتبة العربية بهـذا المؤلف النفيس.. وتحية صدق وإعجاب لمؤلفه .. وألف شكر على هديته الثمينة

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

هذا العام رجالا فى وزارة المعارف قرأنا لهم كثيرا وعرفناهم حق المعرفة كالأستاذ سيد قطب والأستاذ أنور المعداوى وعلماء أصحاب ابتداع وتفكير دينى حديث كالأستاذ خالد محمد خالد . وإذا كانت البعثة لا يشترط فى أعضائها أن يكونوا من موظفى وزارة المعارف فكم نحن مشوقون لنرى بين ظهرانينا أساتذة الجيل أمثال الزيات وأحمد أمين

وأخيرا وليس آخرا كما يقولون فإنى أذكر أن أعضاء نادى الخريجين بالخرطوم كانوا فى آخر محاضرة استمعوا إليها من محاضرات الأستاذ محمد سعيد العريان فى العام الماضى طلبوا منه أن يبلغ عميد العروبة وأدبها طه حسين رغبة كل المجتمعين بالنادى فى تلك الليلة ورجاؤهم أن يتفضل فيشرف العروبة فى السودان برؤيته

فهل تحقق تلك الأمانى بقدومه هذا العام على رأس بعثة المعارف ؟

الخرطوم جعفر حامد البشير

الولايات المتحدة الأمريكية :

اطلعنا على المقال المنشور فى العدد ٩٤٩ الصادر فى ١٠ سبتمبر الجارى تحت عنوان (الولايات المتحدة الأمريكية) للأستاذ أبو الفتوح عطيفة وقد آلمنى أن يتضمن دعاية سافرة لدولة استعمارية لم تترك فرصة إلا انتهزتها للتنكيل بالعرب وإذلال المسلمين، فقد جاء فى هذا المقال بالحرف الواحد : « أن الشعب الأمريكى يؤمن بالحرية أشد الإيمان ، ولا يرضى بها بديلا وتاريخ أمريكا ينطق بهذا » « وأن العطف الأمريكى على اللاجئين يقابل بالشكر من ناحية العرب والشرقيين » وأن أمريكا بعد توقيع ميثاق هيئة الأمم المتحدة فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ بدأت تشترك فى توجيه السياسة اشتراكا كا تهدف به إلى سيادة الديموقراطية ومقاومة الطغيان والدكتاتورية والقضاء على أشد أعداء الإنسان : — الجوع . الشقاء . اليأس

ولا يخفف من سوء وقع هذه الدعاية فى نفوس الوطنيين هذه الفقرات البسيطة التى ضمنها الكاتب عتابا رقيقا لموقف أمريكا من فلسطين العربية .. فإن الدعاية التى قام بها الكاتب للأمريكان من الوضوح لدرجة لا تخفى على الساذج .. بل إننى أؤكد أن الجرائد الاستعمارية التى تتقاضى أجرا من السفارة الأمريكية لا يمكنها أن تفكر فى استخدام مثل هذا الأسلوب للدعاية

ولما كنت معتقدا أن الرسالة الغراء لا تستكتب سوى الأحرار من الكتاب الذين يساهمون معها فى أداء الدور العظيم الذى قامت ولا تزال تقوم به فى بعث الروح الثقافية والوطنية لا فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية والإسلامية — أقول لما كنت معتقدا ذلك — فقد رجحت أن كاتب المقال قد تورط فيه ولم يقدر الأثر السيئ الذى نجم عنه

وإننى أرجو أن تنشروا هذه الكلمة لا باسم حرية الرأى فحسب ولكن لكى يتأكد آلاف القراء الذين شاركونى دون شك شعورى بالاستياء من هذا المقال أن « الرسالة » الحبيبة إلى قلوبهم لا يمكن أن تتخذ منبرا للدعاية الأمريكية الاستعمارية كما أطمع أن يعاود الأستاذ أبو الفتوح عطيفة النظر فيما كتبه وأن يراعى فى مقالاته المقبلة عن الولايات المتحدة الأمريكية أن هذه الدولة هى أشد الدول استنكارا للحرية وعدوانا عليها

ففى الولايات الجنوبية ١٢ مليونا من الزنوج لا يسمح لهم بالتساوى مع مواطنيهم فى التمتع بحقوقهم العامة والخاصة لا لشئ إلا لاختلاف لون بشرتهم ، وهو سبب يدل على الجهل الذى يغرق فيه الأمريكان ، والتعصب الذى يتنافى مع الحرية المقول بأنهم من أنصارها ، وهذه الدولة هى وحدها التى أعانت اليهود بسلاحها وأموالها ونفوذها فمكنتهم من السيطرة على فلسطين ، وتشريد الألوف من أبنائها ، فما أشبه الأستاذ أبو الفتوح وهو يسجل شكر العرب للأمريكان لعطفهم على اللاجئين ، ما أشبهه بهذا الذى يسجل شكر القتيل لقاتله والسجين لسجانه

إن أمريكا اليوم هى العدو الأكبر الذى يريد أن يرث إنجلترا فى سيطرتها على الشرق الأوسط ، فما أحرانا بالهجوم عليها ، والتشهير بها ، والتكتل ضدها ، بدلا من التورط فى إزجاء شكر لها لا تستحقه ومدح لا تستأهله .

عباس الأسوانى
المحامى



قانصـــوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الخامس

يوم استقبـال

برح السلطان الغورى قصره الكبير عدة مرات إلى ناحية النيل، ليراقب نشاط العمل فى بناء السواقى التى أمر بإنشائها لتمد حدائق الميدان بالمياه العذبة المتدفقة فى القنوات الخاصة بين النيل والقلمة

وفى أحد أيام ٩١٥ هـ كان العمل فى السواقى والقنوات قد تم. وانسلت مياه النيل جارية تسعى إلى البساتين السلطانية. فأشاعت فيها حياة جديدة. ضحكت بها الأرض عن زرع نضر ونبات وسيم. واهتزت الأشجار وتثنت غصونها تثنى السا كر النشوان. ودبت بشاشة الحيـاة فى الأعواد، فاخضر يابسها وانبسط عابسها، وتجمع نوارها وأشرقت أزهارها. ودنت قطوفها، وألقت على الأرض ظلا ممدودا

وكان كل بناء فى الميدان قد أخذ سمته إلى الكمال كما شاء السلطان: من قصور غضة إلى غرف بضة، ومن مقاعد وثيرة إلى سلالم مدرجة، ومن جداول رقراقة إلى برك مموهة. إلى غير ذلك مما ينم عن ترف أصيل وعز أثيل، فيه للعين جلوة، وللنفس سلوة، وللأحبة دعاء، وللمسرة نداء..

وأراد السلطان أن يكتمل أنسه، ويبتهج مجلسه، بالعلية من أمراء دولته، والجلة من أعيان مملكته، والصفوة من رجال سلطنته، ليقضى معهم يوم فرح وليلة سرور. ويقذا كرون بعض الشؤون؛ ويزيدون فى المودة رباطا؛ وفى المحبة وشيجة، وليتاسموه النعمة بما بناه، واللذة بما شاده، وليسمع منهم أحاديث الثناء عليه، وأناشيد الدعاء له ...

* * *

انتشر الخدم ورجال القصر، منذ صبيحة هذا اليوم فى أرجاء الميدان، ينظفون وينظمون ومعهم البستانيـون، فجنوا من الفوا كه، ومن الأزهار ما ابتسم، وفرشـوا القاعد بحشياتها الثمينة الوثيرة، وفصلوها بالوسائد الحريرية، ونشروا أمامها البسط الهندية النفيسة. ثم زينوا ما بين فرجها بطاقات من الورود والرياحين، ونثروا من فوقها حمائل القناديل الزيتية الفنية البديعة، وفى الصدر كنت ترى مقعد السلطان يمتاز عن غيره بعلو يسير مجللا من الممتاز من الحشيات والوسائد، وقد نصبت من فوقه قبة مدورة كبيرة من حرير خالص ذات أهداب ذهبية منتظمة

وقد أمر السلطان أن تملأ البركة الكبرى من ماء النيل عن طريق قناتها الخاصة، وبث مماليكه وغلمانه بين أسواق القاهرة وحدائقها ليجمعوا ما يستطيعون جمعه من الورد ... ثم نثروه فى البركة؛ فاختلط شذاه بمنبر مائها. وعام على سطحها وعام، وابتل وجهه منها واخضل، وفتح فمه فنهل من مائها وعل، فدار على قدمه سا كرا، وانطلق لسانه شا كرا، وبنى للسلطان عرشا على الماء، وعطر بذكره الأنحاء

وحول هذه البركة اجتمع قراء المدينـة ووعاظها يقرءون ويذكرون. حتى دنا منهم الليل، فانصرفوا فى هدأة منه بعد ما أصابوا من الطعام والشراب ما لذ وطاب، ولبثوا زمنا حالمين بما رأوا من لذة ونعيم

* * *

كان الطهاة قد شمروا منذ الصباح عن سواعد الجد. يطهون

الطعام ، ويتأنقون فى طهيه ما شاء لهم الفن والابتكار . ويبدعون فى تنظيم أنواعه وتلفيق صنوفه ، وتصفيفها بما ينبئ عن ذوق سليم، يناسب هذا الحفل العظيم، وحشدوا لذلك مئات من الدجاج والأوز ، وعشرات من الضأن السمين ، وشنان من الماء القراح البارد ، وجفان الفاكهة اللذيذة ما بين تفاح وكثرى وأعناب ، وهيئت أوانى الحلوى التركية والشامية والمصرية . إلى غير ذلك مما أنفق عليه نحو ألف دينار ، فى ذلك الزمن الرغد الرخى الرخيص

وما إن انصرف القراء والوعاظ حتى مدت عشرات الأسمطة الحافلة المنمقة ، وامتلأت الموائد بالأوانى الخزفية وغير الخزفية، ورص فوقها نحو أربعمائة صحن صينى . ثم وزعت المأمونية الحلوية كل قطعة منها نصف رطل ، وفاضت أطباق الأحمال والطير ...

وأهل السلطان وفى إثره أقبل الجمع . واتخذ السلطان مكانه فى المقعد السلطانى تحت القبة ، وعن يمينه جلس قضاة الشرع والعلماء والكتاب والمباشرون ومن على شاكلتهم من طبقة المعممين ، وعن يساره جلس الأمراء فى أبهة أزيائهم وروعة أسلحتهم ، وبجانبهم عدد من الأعيان

وانتشر فى الميدان حوله كثير من الجند والمماليك النورية يحافظون على الجمع الحافل ، والعامة عن كثب تروح وتغدو ، وتحدس ما يجرى فى داخل الميدان ، ويظنون ما شاءت لهم الظنون

أكل الأضياف هنيئا وشربوا مريئا . وبعد الطمأنينة انصرف الجمع إلا عددا من العلماء والأمراء استبقاهم السلطان ليجاذبهم أطراف الأحاديث ويتذاكروا مما شؤون الدولة ، ويقلبوا ما مضى من أيامها المجيدة، ويرددوا ما تنشد من أحلامها السعيدة

فقال السلطان : إن ليلتنا هذه من أسعد ليالى السلطنة

فقال أحد القضاة : أجل يا مولانا إنها للعين قرة ، وفى جبين الزمان غرة ، أدام الله لمولانا الابتهاج والمسرة . وأطال عهد ملكه السعيد .. إن هذا الميدان ليدين بتلك الحياة الجديدة للمشيئة السلطانية الشريفة . لله ما أجل القصر والبستان ! وما أروع البركة والمجرى، وما أبهى الغرف والمقاعد ! إن تلك القبة المضروبة فوق المقعد السلطانى الشريف وهذه البسط والوسائد الحريرية وهذه الموائد الشهية ، ومن اجتمع حولها من أفذاذ الرجال ، لتذكرنا بما يرويه التاريخ عن الملوك الصيد من خلفاء بغداد . أحيا الله بمولانا دولة الإسلام ، وأعز به جانب الدين . .

السلطان : الفضل فى هذا التنسيق والنظام يرجع إلى ناظر الخاص المقر علاء الدين وأعوانه

علاء الدين : مولانا ! الشكر لله وللمقام الشريف . إنما تم كل شئ بإرشاد مولانا وإشارته

السلطان : كنا نود أن يشاركنا الخليفة الجديد فى ليلتنا هذه . . . ما رأيك أيها القاضى فى الخلافة وما قام بسببها من خلاف ؟ ألا ترى أننا حسمنا أمرها على خير وجوهه ؟

القاضى : أجل يا مولانا ! لقد كاد يستشرى النزاع بين الخليفة يعقوب وابن عم أبيه خليل ؛ فقد ادعى خليل أن يعقوب لا يصلح للخلافة لأنه أعمى . فرد عليه ابنه الناصرى محمد قائلا « وأنت أيضا لا تحسن قراءة الفاتحة » ! فلما أمر مولانا باختبار خليل وجدناه وهو يقرأ الفاتحة قد تعثر فيها وتلعثم ، ولم يكمل قراءتها ؛ وذلك للثغة فى لسانه . وقد كنت عادلا يا مولانا حينما وكلت الخلافة إلى الناصرى محمد وأقررت عهد أبيه بها إليه . ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عهده كما عهد يمن وإقبال ورخاء للمسلمين أجمعين

السلطان : إن عامنا هذا عام رخاء . ولنا فى وفاء النيل فيه فأل حسن ، فقد بلغ نحوا من عشرين ذراعا . ولا نزال نحتفل بعيد وفائه شكرا لله على نمائه . ونحن قوم نتفاءل دائما

القاضى : إن البلاد جميعها لتتفاءل بسلطنتكم المجيدة . والدين أمرنا — بجانب الحذر والحيطة — أن نتفاءل ونقابل الحياة دائما بالأمل والرجاء . وكما نعمل للآخرة كأننا نموت غدا ، نعمل للدنيا كأننا نعيش أبدا ...

السلطان : صدقت ! وإن دأبى الإنشاء والبناء . ولن آلو جهداً فى أن أترك بكل موضع أثراً مشيداً نافعاً ، وأن أسلك سبيلى لإعلان شأن السلطنة وإظهار عظمتها ، وللترفيه عن عامة سكانها ، وتزويد البلاد بما ينمى ثروتها ويوسع نفوذها . إن سلطنة مصر اليوم – بعون الله – أقوى سلطنة إسلامية ، وهى من أوسع دول الأرض جاهاً وقوة ومالا ، وستبقى كذلك ولن ينال منها العابثون منالا .. أين القاضى معين الدين ؟

(يأتى القاضى معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال ونائب كاتب السر – وكان فى وجهه دمامة – ثم يتقدم إلى جانب السلطان من الخلف ليقرأ على مسامعه المراسلات والقصص – المظالم –)

السلطان : ما عندك من أخبار البلسان ؟ لقد كانت بلادنا تفخر بزرعه فى أرضها لأن له دهناً عجيباً يغالى ملوك الفرنجة فى ابتياعه ، إذ يستخدم عندهم فى ماء المعمودية . ثم انقطع نبته من بلادنا جملة

معين الدين : لقد خاطبنا بلاد الحجاز عندما علمنا أن البلسان ينبت فى بعض جهاتها ، وكلفنا بعض نوابنا فحملوا إلينا شجيرات منه غرسناها بالمطرية ، فنبتت نباتاً حسناً يبشر بمستقبل عظيم . فليطمئن بال مولانا

(يميل السلطان إلى بعض خاصته ، ويسر إليه أنه يخجل من مماليكه حينما يرون رجلا مثل معين الدين يقرأ قصصه ومراسلاته)

السلطان (موجها الخطاب إلى معين الدين) : وما أخبار الشاه إسماعيل الصوفى ؟

معين الدين : يعلم مولانا أن الشاه إسماعيل الصوفى ، كان قد تحرك وزحف على الممتلكات الشريفة ، وأعد له مولانا تجريدة كبرى لرده وتأديبه . فلما وردت مراسلات الأمير « على دولات » أمير التركمان ، بأنه هزم الشاه هزيمة منكرة ، أوقفت التجريدة . وقد أرسل إلينا « على دولات » عدداً من رءوس قتلى العجم من جنود الشاه إسماعيل ، فعلقت على باب زويلة . ولكن الآن يقال إن جند الشاه يعبثون بأطراف إمارة بغداد

السلطان : لقد وفد إلينا رسول من لدن الشاه ينبىء أن جنوده زحفوا على ممتلكاتنا خطأ وبغير إذن منه ؛ فقبلنا عذره وخلعنا على رسوله .. ولكنه لا يزال فى الخاطر من عمله شىء .. فما الرأى عندك أيها الأمير قرقماس ؟

الأتابكى قرقماس : يامولانا .. الرأى عندى السمع والطاعة لك . إذا أمرت فالسيوف مسلولة ، والرماح مشروعة ، والنفوس تواقة إلى الجهاد والنصر

للفصل بقية

محمود رزق سليم



مصلحة تلغرافات وتليفونات الحكومة

اعلان

تعلن مصلحة التليفونات أنها قد شرعت في تجديد أجهزة سنترال القاهرة الاوتوماتيكي نظرا لاستهلاك بعض أجزائها واستعدادا لافتتاح سنترال باب اللوق الجديد في مايو سنة ١٩٥٣

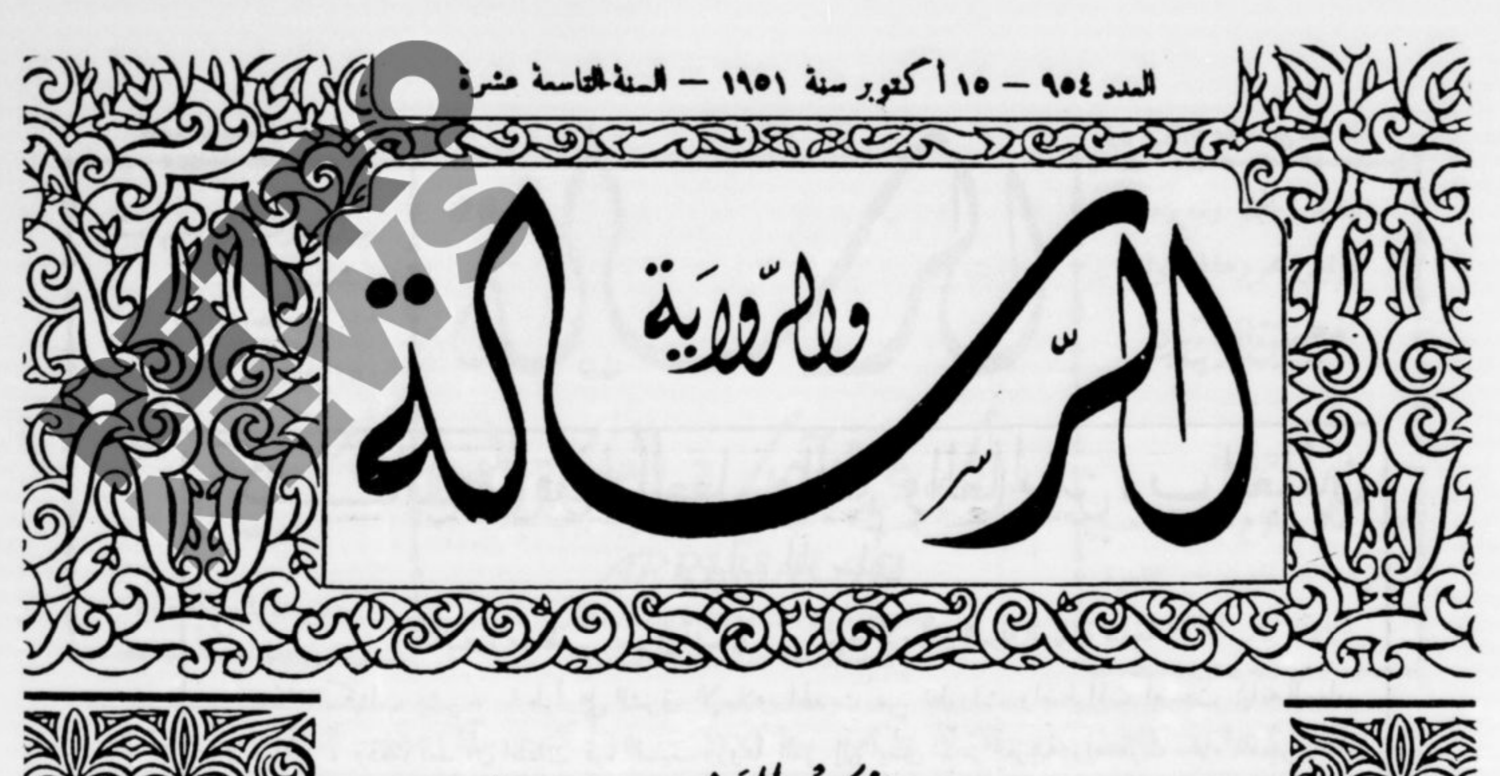
ولما كان من المحتم إصلاح هذه الأجهزة أثناء استعمال المشتركين لها فتأسف المصلحة لأن عملية التجديد هذه تسبب للمشتركين بعض المتاعب في الاتصالات التليفونية وستتحسن الخدمة مع تقدم عملية التجديد

والمصلحة ترجو جميع المشتركين التعاون معها في فترة إصلاح شبكة المواصلات التليفونية بالقاهرة بالاقتصار على استعمال التليفون في المحادثات الضرورية مع تقليل مدة المحادثة بقدر الإمكان

مطبعة الرسالة



العدد ٩٥٤ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٥٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

كتـــاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين

تأليف مصطفى صبرى أفندى شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقا

هذا الكتاب يشرح ما طرأ على الشرق الإسلامى الحديث من تطورات واضطرابات أضعفت كيانه السياسى والاجتماعى ، وذلك بعد أن انتقلت قوة السيف وروعة الفنى إلى أيدى الأمم الغربية واستقرت سماء العجز والفاقة على سماء الشرق المسلم

وفى الكتاب فضلا عن حل شبهات ملاحدة الغرب والشرق ، الإثبات النهائى التحليلى لمسألة بطلان التسلسل الذى يتوقف إثبات وجود الله على إبطاله وإن أنكر الفيلسوف الكبير « كانت » فى الغرب والشيخ محمد عبده فى الشرق هذا التوقف

ومعلوم أن لكانت دليلا لإثبات وجود الله غير دليله المعروف ، لا يتوقف على إبطال التسلسل ، لولا أن دليله ذلك انتقد فى هذا الكتاب وليس للشيخ دليل غير دليله المعروف المتوقف على بطلان التسلسل

وفى الكتاب أيضا حملات على منكرى معجزات الأنبياء باسم المعجزات الكونية ، ظنا منهم أنها مستحيلة عند العقل ومخالفة لسنة الله فى الكون ، وحملات أيضا على مبدأ فصل الدين عن الدولة لعدم اجتماع هذا الفصل فى أى أمة من الأمم بإسلام تلك الأمة

الحاصل أن هذا الكتاب الذى لا يمكننا إعطاء فكرة إجمالية كافية عن مباحثه وابتكاراته فى البحث وهو يكون ألفى صفحة فى أربعة أجزاء — أول كتاب من نوعه جوابا على احتياجات الجيل الحاضر الحائر ، يكون له قارب النجاة وسط تيار الضلالات المحيطة به من كل جانب ، حيث يسدد له الطريق إلى عقيدة الحق والصدق

يطلب من دار احياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبي وشركاه

ص . ب . الغورية ٢٦ — ت : ٥٠٨٥٦

ثمن النسخة كاملة الأجزاء الأربعة أربعة جنيهات



العدد ٩٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٧١ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

هبي يا رياح الخريف هبي

هبي واحطمي هذه الأشجار الغلاظ التي تأكل خير الأرض ، وتحجب نور السماء ، وتقطع سبيل الناس ، ولا تحمل إلا شوكا من غير ثمر ، وخشبا من غير نفع ، وخضرة من غير جمال !

هبي يا رياح الخريف هبي ! . . هبي واهدمي هذه الأوكار القباح التي اتخذت أشكال القصور وانتحلت أسماء الأندية ، فباض فيها الشر باسم السياسة ، وفرخ فيها الفجر باسم الرياضة ، وأوت إليها أبابيل من البوم التي تملن الخراب ، والخفافيش التي تمج الظلام ، والغربان التي تذيع الفرقة ، فلا نرى فيها ولا نسمع منها إلا نخرا تعربد ، وقمارا يصطرع ، وترفا يفسق ، وسرفا يدمر !

هبي يا رياح الخريف هبي ! . . هبي واكسحي هذا الغثاء العفن الذي زكم الطرق وسد المسالك مما فني من الجذوع وبلي من الفروع ، وذبل من الأوراق ، فأصبح شوها في الأعين وثقلا في الأرجل ؛ ثم لا يكون إلا أذى إذا عطنه الماء ، وإلا قذى إذا أثاره الهواء ، وإلا لظى إذا مسته النار !

هبي يا رياح الخريف هبي ! . . هبي واقشعي هذا السحاب المتراكم الذي ارتفع ارتفاع الدخان ، وانتفش انتفاش العهن ، فحجب الشمس ، وحصر الأفق ، وأحر الأرض ، ثم لا نجد من ورائه مطرا يدفع الجدب ، ولا ظلا يمنع الحرور !

هبي يا رياح الخريف هبي ! . . هبي واقلعي ذلك النبات الدنيء الذي يتطفل على أشجار الوادي ، فيتغذى على أصولها ، ويتسلق على فروعها . حتى إذا أدرك الهواء والضياء والرفعة ، التف بعساليجه وكلاليبه على أعاليها التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا تنسم ، ويشل حركتها فلا تميس ، ثم يقول مشيرا بأطرافه الرخوة إلى كل عابر : انظر ! ألست أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ؟ وإذا لم يسخر الله لي الشجر فكيف أنمو ؟ وإذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو ؟

هبي يا رياح الخريف هبي ! . . هبي واعصفي بما ذكرت وما لم أذكر من زَبَد يقول إنه زُبْد ، وسراب يزعم أنه شراب ، وحطام مختلف من بقايا الشعوب والخطوب والعقائد والحضارات والأساطير يدعي أنه أمة !

ولكنك يا رياح الخريف تهبين كل عام بين وقدة الصيف وخبوة الشتاء فتكنسين ما تكنسين ، فإذا دارت الأرض دورتها الكبرى عاد كل شيء إلى حاله ، ورجع كل شخص إلى ضلاله . فأية ريح إذن تستطيع أن تنسف ما نعانيه من فساد تأصل في كل عرق ، وتغلغل في كل أمر ، وتدخل في كل حكم ؟ لعلها الريح التي أهلك الله بها عاداً الأولى فأهلك معها الطغيان والبهتان والكفر ! إنها الريح التي تصحبها الروح ، والرجفة التي يتلوها البعث ، والقرّة التي يعقبها الربيع !

أحمد حسن الزيات

خواطر فى كتاب الله :

ضريبة الإنسانية

للأستاذ محمد عبد الله السمان

إن للإنسانية ضريبة على كل فرد ، ولا يكاد يوجد فرد واحد يعجز عن تأديتها ؛ اللهم إلا من ملأت الأنانية نفسه ، واستوت الأثرة على قلبه ، وهذا حرى بأن يحذف من المجتمع ، وتلفظه الإنسانية لفظة مهينة لا كرامة فيها !

والقرآن الكريم حين يشعر المرء بهذه الضريبة ، وأنها واجب يحتمه المروءة ، إنما يهدف إلى غرضين جليلين ساميين : أما الأول ، فإثبات وجوده ، وإظهار كيانه ، وطبعه بطابع الخير والبر والتعاون ، وتجنيده فى خدمة الإنسانية ، وإعداد نفسه للمعروف كلما ناداه الواجب واستصرخته المروءة . وأما الثانى ، فدفع المرء إلى استغلال أوقات الفراغ فيما يفيد المجتمع ويسمده ، واستنفادها فى تدعيم أسس الخير التى يقوم عليها بناء كل أمة تبغى العزة فى حياتها . .

وأولى أنواع هذه الضريبة بالإشادة هو فعل الخير ، لأن الإنسانية فى كل زمان ومكان متعطشة إلى الخير الذى يشد أزرها ويؤيدها فى نضالها وكفاحها ، ويضفى على رسالتها فى الحياة إشراقا يزيدها رفعة وسموا ، ويكلل مسماها بالنجاح . .

« ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات . . . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات . . — فمن تطوع خيرا فهو خير له . . — ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ... ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير — يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون — وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم »

والإحسان نوع من ضريبة الإنسانية جدير بكل تقدير ، لأن فيه تدعيما للإخاء الإنسانى ؛ وبه تتقارب القلوب وتتآلف ، وتترابط النفوس وتتصافى . والإحسان إما خير يفعله الإنسان بدافع من شعوره الإنسانى ، وإحساسه الأخوى ، وإما عفو عن شرور الأشرار ، ومقابلة إساءة المسيئين بالإحسان ، وصبر على أذى المتمنتين من الظلمة والطغاة :

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون — إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . وقولوا للناس حسنا — للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة — ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن — الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين — أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرءون بالحسنة السيئة — والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار »

والبر من أنواع الضريبة الإنسانية التى لها قدرها ولا غرو . فهو جماع أنواع الخير ، وفيه تتجلى آيات الرحمة والإخاء والود . ولا يكون المرء المعترف بضريبة الإنسانية مؤديا لها إلا إذا جند نفسه للبر جهد المستطاع . وليس بعجيب بعد هذا أن نرى كتاب الله تعالى يدفع المسلمين إلى التعاون على البر ، ليعيشوا فى ظلال الأخوة الصادقة . وقد أشار القرآن الكريم إلى البر وإلى أن سبله جميعها تلتقى عند هدف واحد هو الخير ، وخلاصة هذه السبل إيمان كامل ، ومعروف دائم ، وطاعة خالصة ، ووفاء بالعهود ، وصبر على المكاره :

« وتعاونوا على البر والتقوى ... — ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون »

والمرء حين يؤمن بأن هناك نعما عظمى أسبغها عليه الخالق

جل وعلا ، يجب عليه أن يؤدى شكر هذه النعم العظمى له ، وليس هناك أعظم شكرا لله من أن تدفع ضريبتك الإنسانية فى حياتك.

ولقد ندد القرآن بالإنسان المارق ، المنغمر فى نعم الله ، وهو فى نفس الوقت مصر على الكفران بها ، وعدم الاعتراف بما تفرضه الإنسانية عليه من ضريبة ، فلم يحطم العقبة ، ليفك رقبة ويحررها ويطعم اليتيم والمسكين فى يوم ذى مسغبة ، ويكون من الذين يتواصون بالمرحمة ...

« لقد خلقنا الإنسان فى كبد — أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ؟ يقول أهلكت مالا لبدا ، أيحسب أن لم يره أحد ؟ ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة، والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة ، عليهم نار مؤصدة »

ولقد قص علينا القرآن الكريم قصة سبأ ، أولئك الذين غمرهم الله بنعمه فما شكروه ، ووهب لهم حياة طيبة فتهربوا من ضريبة الإنسانية ، وكان جزاؤهم ، أن سلبهم الله النعم ، وأبدلهم بحياتهم الطيبة حياة تعسة ، وجعلهم عبرة وعظة للأجيال من بعدهم :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا، فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور ؟ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ، فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق .. إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

وهناك إنسان يعيش فى حياته كما تعيش الأنعام ، يأكل ويشرب ويتمتع وكفى ، ولا يشعر بوجوده كعضو فى المجتمع يجب أن يؤدى نحوه واجبا ، ويجهل أن للانسانية ضريبة على كل فرد منتسب إليها ، وهذه الضريبة لا يعجز عنها غنى أو فقير ، فالغنى يستطيع أن يبذل من ماله فى سبيل الخير ، والفقير يستطيع أن يبذل شيئا من وقته ، فيحث الأغنياء على التصدق ؛ ويدفع بهم إلى طريق البر ، ويأمر بالمعروف ما وسعه الجهد ، ويعمل إن استطاع فى كل لحظة للاصلاح بين الناس . وقد سد القرآن الكريم أبواب الأعذار أمام العاجز عن أن يؤدى الضريبة من ماله ، وفتح له طرقا من الخير يستطيع أن يسلكها دون احتياج إلى شئ من المال، واعتبر المتقاعد عن سلوك هذه الطرق محذوفا من المجتمع ، ومن المهملين الذين لا خير فى وجودهم ، ولا فائدة من حياتهم :

« لا خير فى كثير من نجواهم ، إلا من أمر بصدقة ، أو معروف ، أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

محمد عبد الله السمان

أبو الثناء الألوسي الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود العبطة

— ٢ —

ا — مولد الألوسي الكبير :

ولد السيد محمود عبد الله الألوسي في بغداد في منتصف شعبان من عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) في دار أبيه بجانب الكرخ، ووالده السيد عبد الله بن محمود، والقارئ — ولا شك — قد عرف نسب العائلة الألوسية ولماذا انتسبت إلى ألوس وتضارب الأقوال في ذلك، فلا نعود إليه ولا نكرر القول فيه، أما أمه فهي — كما قلنا — صالحة بنت الشيخ حسين المشارى من بيت علم وحسب ونسب. وسمى (محمودا) إحياء لاسم جده محمود بن درويش، وعادة إحياء الأسماء عادة مستحبة عند العراقيين، وعلى الأخص البغاددة منهم، ولا تزال هذه العادة محترمة حتى الآن في البيوتات العريقة في العراق، ولقب بعد مولده (بشهاب الدين) كما كنى (بأبي الثناء) وهذه كتلك عادة أخرى لكل مولود جديد في بيوتات العلم والأدب في بغداد

وقد نظم أحد الشعراء الذى لم أقع على اسمه وتاريخ وفاته بيتين من الشعر على طريقة الحساب الشعرى فقال :

لقد أشرق البدر السماوى مذ بدا ... سنا نوره عن مشرق لاح بالجود
به كل الدين الحنيف مؤرخ ... (تكلت الدنيا بميلاد محمود)

ب — دراسته :

فتح الألوسي عينيه في بيته، وآثار النجابة والألمعية تلوح في حركاته وسكناته، وبعد أن نما وترعرع ووعى ما حوله وما يحيط به، درس مبادئ الخط، وحفظ القرآن في بيته وعلى يد أمه وأبيه.. وعلى يد أبيه الذى هو رئيس المدرسين في بغداد درس (الأجرومية) في مبادئ النحو العربي، ثم درس ألفية (ابن مالك) في النحو أيضا، تناول بعدها كتب الفقه فقرأ (غاية الاختصار) في فقه الإمام الشافعي إمام العائلة التقليدي (فالمنظومة الرحبية) في الفرائض كما قرأ مقدمات الفقه الحنفي. ولم يبلغ الربيع العاشر من عمره الزاهر حتى أحاط علما بالنحو والفقه والمنطق والعلوم الأخرى (١). لقد تشبع فتانا الألوسي في باكورة عمره من منهل العلم. إن روحه في هيام دائم مهما بلغ تحصيله العلمي ... وعلى هذا القياس فقد تتلمذ على جلة علماء البلد كعلي السويدي ومحمد أمين الحلي وخالد النقشبندي وعبد العزيز الشواف (٢) وعلى الزورى العمارى (٣) وحصل على الإجازة العالمية من رئيس محدثي الشام في عصره عبد الرحمن الكزبري ومن مفتي بيروت عبد اللطيف فتح الله

إن الألوسي — كما نرى — تتلمذ على جلة علماء بلده بغداد، وحصل على الإجازة بالعلم من علماء سورية ولبنان.. وقد عثرت على أوراق مخطوطة كتبها الألوسي المترجم له، ونقلها عنه أحد الألوسيين الآخرين، وهذه الأوراق تلقى ضوءا نفاذا على هذه الفترة من حياة الألوسي، إذ قال في بعض منها يصف حاله حين تحصيله العلمي، وبذ كرفيها وفاة أمه وحنو والده عليه (٤): (وقد ماتت أمي قبله، عليه الرحمة، بمدة سنتين، فازداد حنوه على بعدها، بيد أنه لضيق ذات يده لم يوسع أكمامي، ولم يجملني أيامي بأثوابي أبناء أخوالي وأعمامي.. ومما اتفق أن بعت ثياب الشتاء لشراء قرطاس؛ وطالعت على نور القمر حيث أعوزني نبراس، وكم قاسيت من شدائد، تذيب لادر درها الجلامد.)

من هذه السطور نلمح الألوسي الفتى الذى فقد أمه فوجد أباه أما له وأبا في حنوه ورعايته وحدبه؛ بيد أن فقر أبيه منعه من التنعم في شبابه باللباس واللذات، شأنه شأن الشباب في كل جيل. وفي الفقرات الأخيرة من هذه السطور، حيث يبيع الألوسي الشاب ثياب الشتاء ليشترى بثمنها أوراقا يستعين

(١) أعلام العراق ص : ٢٧
(٢) المصدر السابق
(٣) (مجموع أدبي) في مكتبة الأوقاف ببغداد (رقم : ٥٦٧٢) — مخطوطات
(٤) المصدر السابق

بها فى دراسته وشؤونه العلمية ويدرس على ضوء القمر ، ما يقرأه فى النهار على شيوخه . . . من هذه السطور نعلم درجة فقر هذه العائلة الكريمة التى اتخذت سبيل العلم رسالتها فى الحياة ، كما نرى أن الإرادة القوية والصبر على احتمال المكاره ، والحيلة فى الخروج من المآزق ، طرق مستقيمة فى الوصول إلى المطالب والغايات ، وهذه قد سار فيها الألوسى فكان فيها الأمثولة والقدوة .

والأستاذ الأخير الذى تلمذ عليه أبو الثناء وارتشف من مناهل علمه وفضله هو الشيخ على علاء الدين الموصلى الذى مكث يتتلمذ عليه أربع عشرة سنة كان له فيها خير معين على تفهم دقائق العلوم المنقول منها والمعقول . وأستاذه الشيخ الموصلى كان حاد الذكاء ، حاد المزاج معا ، ولهذا نرى قلة من طلبة العلم من تقرب إليه ودرس عليه ، وعبقرية التلميذ النجيب تلاقت مع عبقرية الأستاذ القدير ، إذ أن عقول العباقرة تلتقى على ما يقول الفرنسيون ، فأمسى مقام الشيخ على فى تقويم مواهب الألوسى وصقل ملكاته كمقام أبيه السيد عبد الله ، أستاذه الاول ومعلمه فى بيته . والألوسى يذكره بالخير ويشيد بفضله ويترحم عليه ، كما أنه أرخ حياته فى المقامة الثانية من (مقامات الألوسى[5]) وأرخها أيضا فى (غرائب الاغتراب) وفى غيرهما من مؤلفاته المختلفة . . ودرس الألوسى على الشيخ المذكور فى المدرسة الخاتونية الواقعة فى باب (الشيخ) من رصافة بغداد

م — وظائفه العلمية :

لعل أول وظيفة نالها أبو الثناء أثناء تتلمذه على أساتيذ زمانه وعلماء عصره ، أنه ألف رسالة فى أحد العلوم لداود باشا الدالى وقد أعجبته كل الإعجاب فوظف له فى كل يوم درهمين من وقف جامع (محمد الفضل)[6] وهذه الوظيفة الأولى قد أعانته أثناء تحصيله العلمى فى عيشه ، والقارئ يعلم درجة حاجته وفاقته ، أصبح بعدها أو أثناءها محافظا لمكتبة مدرسة الشهيد (على باشا) التى كان أبوه أحد أساتذتها[7] ثم أصبح مدرسا فى بيت خاله الحاج عبد الفتاح الراوى فى جانب الكرخ[8] وبعد أن نال الإجازة فى التدريس من أستاذه علاء الدين فى المدرسة الخاتونية فى باب الشيخ أقامت السيدة (عائكة) من محسنات زمانها مأدبة حافلة حضرها جلة علماء بغداد وفضلاؤها وأعيانها وكان من جملة الحاضرين رئيس صنف التجار نعمان الباجه جى البغدادى ، الذى لمح ألمعية الألوسى فأراد أن يخلد اسمه فاقترح على الشيخ علاء الدين أن يكون تلميذه الألوسى مدرسا فى مدرسة جامع الباجه جى فى محلة (سبع البكار) فى الرصافة[9] فأشار الأستاذ على التلميذ الذى صار أستاذا ، أن يدرس فى المدرسة المذكورة فانصاع له وجلب تلامذته من مدرسته التى كانت فى بيت خاله ، وعمره إذ ذاك عشرون سنة ... وقد رأى التلاميذ عجبا فى مدرسة الباجه جى إذ الراحة متوفرة والمكان واسع ، والتقدير موجود ، فذاق الألوسى أول أفاويق السعادة ونال شيئا مما كان يطمح له ويأمل ، ولكن القدر كان له فى حرب دائم متواصل إذ نظم أحد التلامذة أبياتا من الشعر وصف فيها المدرسة الجديدة وأناقتها وقارن بينها وبين مدرسة الراوى ، فوجد حساد الألوسى منفذا للافتراء ، وأنه سب خاله الحاج عبد الفتاح فشاغب عليه الحساد ، وأرادوا أن يخرجوه من مدرسة الباجه جى بحجة السب ! ولما لم ينالوا ما أرادوا استعانوا بمفتى الحنفية ومفتى الشافعية لغاياتهم هذه ، كما استعانوا بمحمد الكركولى أحد المتنفذين ببغداد ، وذهبوا هم وأنصارهم إلى الوالى داود فتكلم نيابة عن الجمع الحاشد الكركوكي المشهور بابن النائب الذى يضمر للألوسى الحسد والعداء ، فحاك وأصحابه دسيسة جديدة وهى أن أبا الثناء قد سب الإمام ابن حجر أثناء وعظه فى جامع القمرية فى الكرخ ، فلم تنطل الفرية على الوالى الداهية ، فأجابهم بما أسكتهم وأخزاهم ! وهنا أنقل للقارئ جواب الوالى لابن النائب الكركوكى ، ولكن على لسان المدعى عليه ، أو المتهم فى لغة القانون وهو هنا الألوسى محمود إذ نقل الجواب بإنشائه البليغ الرائع فقال[10] (إن ابن الألوسى شافعي المذهب ، فيبعد من طريق العقل أن يسب ذلك العلامة وهو بين أئمة مذهبه

(٥) مقامات الألوسى : (ص : ٢٥)
(٦) مجموع أدبى رقم مخطوط
(٧) أعلام العراق (ص : ٢٠)

(٨) مقامات الألوسى
(٩) المصدر السابق
(١٠ مقامات الألوسى

المشار إليه بأكف الفضل ، وأعجب من ذلك وأعظم ، تأخير شكوى هذا الذنب الواقع فى رمضان إلى المحرم ، فما أظن ذلك إلا افتراء ، أصر على إنشائه قهرمان الحسد ، وكم جمع الحاسد جيوش البغى على المحسود وحشد ، فبالله تعالى عليكم الامانر كتم هذا الرجل وحاله . وأرى الأحرى بكم أن تصالحوه وخاله ... فإنى أظن أن يأتى على الرجل زمان ، يشار إليه بين علماء الإسلام بالبنان .) وبعد أن أطفئت هذه الفتنة التى واجهها الألوسى بصبر وثبات ، والتى انتهت بحرمانه من التدريس فى مدرسة الباجهجى ، كان أنصار الألوسى يعملون على إيجاد وظيفة تليق بمكانة أبى الثناء وفضله . وأخيرا وجدوا ضالتهم بمساعى الزعيم الشعبى (عبد الغنى جميل زاده) رئيس الحزب الذى يضم أحرار البلد أمثال السيد الألوسى ، فتم على يد الزعيم عبد الغنى إزالة ما وقع سابقا ثم عين بمساعدة أنصاره مدرسا وواعظا وخطيبا فى جامع أمين الباجهجى شقيق نعمان رئيس صنف التجار ، الواقع فى محلة رأس القرية . . . وبقى يدرس ويربى الجيل الجديد تربية العالم الخبير القدير ، ولاقت دروسه قبولا واستحسانا من تلامذته ومريديه ، وكانت بغداد فى أواخر عهد داود تضم نهضة أدبية يرعاها القصر ويحميها السلطان . ولم يكن الألوسى مع قيامه التام بشؤون التدريس والخطابة والوعظ والإرشاد بالرجل القانع القمددة شأن أكثر المعممين ورجال الدين فى عهده بل كان على العكس رجلا طلاعة يستمع لتيار الرأى العام ، ويستجيب لداعى القضايا العامة ، وكان أكثرية البغادده يناصرون داود باشا فى الانفصال عن قاعدة الخلافة والاستقلال بالعراق عن الدولة العثمانية ، والألوسى كان من دعاة هذه الفكرة ودليل ذلك حبسه بأمر الوالى الجديد على رضا فى سجن نقيب الأشراف

د — تصدره للإفتاء :

بقى الألوسى بسجن النقيب يتجرع الغصص ويتحمل النكبات منتظرا الفرج من الله مترقبا أفاعيل القدر . . . وتم له ما أراد إذ طلب منه محمود النقيب رئيس النقباء الوعظ فى جامع الشيخ عبد القادر الجيلى القريب من دور نقباء بغداد وكأنه وضعه بسجن ثان قريب من السجن الأول ، فقبل الألوسى الطلب وأجاب النقيب بما أراد ، وإن كانت العيون يحصون عليه أنفاسه ، ويعدون عليه حركاته . ووعظ فى جامع الجيلى أكبر جوامع بغداد وأشهرها ، فسار اسمه وذاع صيته وقصده القاصى والدانى من الأهلين والموظفين والعسكريين والعلماء ، ليستمعوا إلى مجلس وعظه ويستفيدوا من حسن محاضرته فطرقت أذن الوالى على رضا المشهور بحريته الفكرية وحبه العلماء شهرته واسمه ، فقصد جامع الجيلى وذلك فى أواخر رمضان ليشاهد هذا الأعجوبة الذى تم سجنه على يده فخلب لبه وأسر سمعه فرضى عنه وصالحه وأمر أحد خاصته المدعو (عبد الرحمن الأعظمى) أن يجلب الألوسى معه إلى قصره — قصر الوالى — فى اليوم الثانى من عيد الفطر . وعند حضوره فى اليوم الموعود قربه إلى مجلسه وحادثه بأرق الحديث وطلب منه التردد إلى قصره مرتين فى الأسبوع ، فكان الألوسى يزور الوالى الذى أعجب به كل الإعجاب (١١) وأعاد إليه وظائفه التى اغتصبت منه فألف له الألوسى رسالة جيدة أثبتت أن الألوسى من فلاسفة الحكم ومن ذوى الرأى فى السياسة ، فأجازا الوالى أبا الثناء بتولية أوقاف مدرسة جامع مرجان وتولية هذا الجامع مشروطة لأعلم أهل البلد (١٢) وذلك فى ١٧ محرم سنة ١٢٤٩ ونال قبل التولية خطبة الجمعة والعيدين فى جامع الجيلى ، وبعد أن نال التولية أخذ يفر إلى جو الرفعة والكرامة — كما قال حفيده محمود شكرى الألوسى — وفتحت له باب الأمل التى داعبها منذ كان يافعا فنال رتبة علمية لها منزلها العالى فى ذلك الوقت وتلك الرتبة العلمية هى (تدريس الآستانة) التى صدرت بمرسوم سلطانى (١٣) ولم تقف رتبه العلمية عند هذا الحد العظيم ، بل نال أقصى ما يناله رجل العلم من الرتب العالية؛ إذ أن صديقه الشاعر العمرى وصديق آخر بشراه أن الوالى على رضا سينصبه مفتيا للمذهب الحنفى ، وكان سروره عظيما جدا إذ لبس بزة الإفتاء فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٥٠ (١٤) وبعد

---

(١١) مقامات الألوسى
(١٢) أعلام العراق (ص : ٢٣)
(١٣) المصدر السابق
(١٤) المسك الأذفر (ص : ١٠)

ما شاع هذا الخبر الذى فرح به أنصاره وأصحابه واستاء له أعداؤه وحساده ، هنأ الشعراء والأدباء والعلماء الذين شغفوا بالألوسى الكبير حبا وولاء . وها نحن ننقل أبياتا من قصيدتين لشاعرى العراق فى ذلك الحين وهما عبد الباقى العمرى وعبد الغفار الأخرس يؤرخان الإفتاء ويمدحان المفتى . قال الأول :

كالبدر طلعته والبحر راحته ... والعزم والحزم مثل النار والجبل
لو شاء باحث أهل العلم قاطبة ... عن المذاهب والأديان والملل
يامن بهلاذت الفتوى فسجلها ... وصانها عن جميع الزيغ والزلل
من عين كل عدو يا مؤرخه ... (محمود) قد يحرس الفتوى بعين (على)

وفى عجز البيت الأخير الذى أرخ سنه الفتوى تورية لطيفة باسمى الوالى والمفتى . وقال الأخرس البغدادى :

إن الشريعة فيك لا بس تاجها ... قوم وحامل سيفها صنديد
وتنوف فى كل العلوم فأرخوا ... (نوفت بالإفتاء يا محمود)

والألوسى الكبير بعد أن نال هذه الرتب العالية التى لا تصلح إلا له ، وليس يصلح إلا لها — كما قال أبو العتاهية الشاعر وردت أسئلة علمية دقيقة من علماء فارس وفطاحل إيران ، إلى علماء بغداد يطلبون إجابتها وحل غوامضها ، فأجاب عليها شهاب الدين مفتى بغداد ، جوابا شافيا مقنعا أسكت السائلين والمتحدين برسالة علمية جليلة ، وبعد أن ذهب رسول علماء فارس جاءت الألوسى الكبير رسالة تهنئة مشفوعة بوسام سلطانى (نشان (١٥) افتخار) من (استانبول) فزن صدر الألوسى بالوسام ، أو ازدان الوسام بصدر الألوسى

تقلد الألوسى رتبة الإفتاء ، ونال الرتب العلمية العالية ، وهو لم يتجاوز الثلاثين ربيعا إلا قليلا ، فكانت صفحة جديدة من حياته تطفح بالهناء والسعادة ، نالها الألوسى الكبير — وهو الأهل لها — بصبره ومصابرته وقابلياته العلمية . وفى هذه الفترة من حياة الألوسى اشترى دارا فخمة فى أشهر محلات بغداد (محلة العاقولية) كما جلب له الخدم والحاشية ، على الأصول المتبعة فى عصره . والألوسى مع ما نال من اسم وثراء ومكانة اجتماعية ، لم ينس إخوانه وأبناءه رجال العلم وطلبته ، بل على العكس ازدادت رعايته لهم ، وعنايته بهم ، إذ خصص قسما من داره الكبيرة للطلبة الغرباء يقدم لهم فيه الغذاء والكتب والخدمات الأخرى مجانا ومن جيبه الخاص فأمست داره مدرسة هو عميدها وبيته بنايتها كما أمست بغية لطلبة العلم من سائر أنحاء العراق والأقطار الإسلامية (١٦) وقد بلغت دروسه أربعة وعشرين درسا فى اليوم (١٧) وكانت داره العامرة مجمعا علميا وندوة للشعر ، يحضرها العمرى وعبد الغنى والأخرس وأحمد عزت والتميمى والواعظ وغيرهم وغيرهم ، من جلة القوم وأعيان البلد .. وفى أواخر فترة الإفتاء بدأ بتأليف تفسيره الخالد (روح المعانى) وكان هذا سببا لأن تصبح دروسه فى اليوم ثلاثة عشر درسا ، وبقى يفتى ويدرس ويؤلف مدة زادت على ثلاث عشرة سنة .

(١٥) المسك الأذفر (ص : ١٣)

(١٦) أعلام العراق (ص : ٢٤)

(١٧) المسك الأذفر (ص : ١٣)

للكلام صلة ... محمود العبطة

الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

— ٥ —

الحكومة الاتحادية

السلطة التنفيذية :

الولايات المتحدة جمهورية ولها رئيس ينتخبه الشعب ومدة رياسته أربع سنوات . ونحن نقرأ كل يوم عن ترومان رئيس الجمهورية الأمريكية وعن سياسته ومشروعاته وأعماله ، والواقع أن منصب رئيس الجمهورية الأمريكية من أعظم المناصب وأرفعها في العالم كله لأنه يتمتع بسلطة كبيرة لا يتمتع بها كثير من أمثاله من الملوك أو رؤساء الدول

وطبقا للمادة الثانية من الدستور الاتحادي وضعت السلطة التنفيذية في يد الرئيس . وليس لنائب الرئيس — وهو ينتخب معه كل أربع سنوات أيضا . ويتولى رئاسة مجلس الشيوخ — أية سلطة تنفيذية

وتجرى الانتخابات للرئاسة وللنيابة عنها في شهر نوفمبر ، وقبل المعركة الانتخابية يعلن كل حزب سياسي مرشحيه لكل من الرئاسة والنيابة عنها ، وتضع الأحزاب كذلك قائمة بأسماء مندوبيها في الانتخابات . وفي الموعد المحدد من نوفمبر ينتخب الناخبون من كل ولاية منتخبي الرئيس (مرشحي الأحزاب في الولايات) وعددهم مساو لعدد النواب والشيوخ في الكونجرس . ومهمة هؤلاء الناخبين التصويت لمرشحي الحزب للرئاسة وللنيابة . والمرشح الذي يفوز بأغلبية الأصوات يصبح رئيسا للجمهورية وهكذا نرى أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة يمثل الشعب الأمريكي أصدق تمثيل؛ لأن جميع الناخبين في سائر أنحاء الولايات يشتركون في انتخابه ، ومن هنا نرى أن انتصار رئيس ليس إلا انتصارا لمبادئه التي يعلنها إلى الشعب ومعناه إيمان الشعب بهذه المبادئ ، والرئيس مكلف في حالة نجاحه بتنفيذ السياسة التي رسمها وباتباع المبادئ التي نادى بها

ويتولى الرئيس منصبه في ٢٠ يناير الذي يلي انتخابه في نوفمبر ، وتقام لذلك حفلة تسمى حفلة التولية أو المبايعة ، ويذهب الرئيس إلى دار الكونجرس ويقسم اليمين التالي :

« إني بكل وقار أقسم أني سأنفذ بكل أمانة واجبات منصب رئيس الولايات المتحدة ، وإني سأبذل كل ما لي من قوة لأحافظ وأحمي وأناضل عن دستور الولايات المتحدة » ثم يلقي الرئيس خطبة يوضح فيها السياسة التي تلتزمها إدارته . وأثناء مدة الرئاسة يقيم الرئيس في قصر أعد له هو « البيت الأبيض » بواشنطن

سلطات الرئيس :

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية — طبقا للدستور — هو المهيمن على السلطة التنفيذية ، وجميع الموظفين مسئولون أمامه ويستمدون منه سلطتهم ، وعليه أن يعني بتنفيذ القوانين وأن يدير المنظمة الكبرى التي تقوم بمهام الحكومة ، وهو الموظف الوحيد ما عدا نائبه الذي ينتخبه الشعب وهو مسئول أمام الشعب وعليه أن يسعى دائما إلى تحسين أحوال الشعب والبلاد

وسلطات الرئيس التنفيذية كثيرة ومنوعة : فهو ينفذ الدستور والقوانين التي يسنها الكنجرس ، وهو القائد الأعلى للجيش والبحرية والفرق المحلية (الميليشيا) للولايات ، وهو الذي يرسم سياسة الولايات المتحدة الخارجية ويعين الوزراء والسفراء بموافقة مجلس الشيوخ ، وبواسطته يمكن أن تعترف حكومته بأي دولة جديدة ، ويمكن أن يفاوض حكومات الدول الأخرى وأن يعقد معاهدات بشرط أن يوافق عليها مجلس الشيوخ

وله أن يرسل جيش الولايات المتحدة إلى أية بقعة من بقاع الأرض

وهو يختار الوزراء المسئولين عن تسيير شؤون الحكومة الاتحادية في الخارج والداخل ولكن يشترط أن يوافق مجلس

الشيوخ على اختيارهم، ومن هؤلاء الوزراء تتكون وزارة الرئيس

وقد اختار واشنطن الرئيس الأول للجمهورية أربعة وزراء لمساعدته ولكن زاد عدد الوزارات فبلغ تسعا ١٩٤٨: الخارجية المالية، الدفاع (الجيش والبحرية والطيران) العدل، البريد، الداخلية، الزراعة، التجارة والعمل

ويشرف وزير الخارجية — وهو تابع للرئيس ومستشار له — على السياسة الخارجية: ومهمة وزارة الخارجية إقامة العلاقات الودية بين الولايات المتحدة والدول الأجنبية، وتقوية العلاقات التجارية والصناعية مع الدول الأجنبية وحماية الرعايا الأمريكان وأملاكهم في الخارج

وأما وزارة المالية فمهمتها تدبير الشؤون المالية لحكومة الولايات المتحدة، وحماية دخل الحكومة وزيادته وحماية قوة شراء العملة الأمريكية وقيمة الثقة بمالية الحكومة الأمريكية وجباية الضرائب للحكومة الخ

ومهمة وزارة الدفاع المحافظة على سلامة الأمة من أي عدوان خارجي أو فتنة داخلية سواء في زمن السلم أم في زمن الحرب

ومهمة وزارة العدل تنفيذ القانون الاتحادي تنفيذا فعالا وحماية حقوق الولايات المتحدة القانونية وحماية حقوق الأفراد وتنفيذ قوانين الهجرة والجنسية

وأما وزارة الداخلية فتعمل على تحسين الرفاهية ورعاية مصادر الثروة الأهلية وتنميتها؛ فتعنى بالإشراف على الأراضي ومنها أراضي المراعي، وتعمل على حسن استغلال الأراضي الزراعية، وتنظم موارد الأخشاب من الغابات، وتدرس المصادر الطبيعية للثروة المعدنية؛ وتستغل مساقط المياه في توليد الكهرباء

ووزارة الزراعة تعمل على توفير الغذاء للشعب وذلك بتحسين الإنتاج الزراعي والحيواني للمواد الغذائية

وأما وزارة التجارة فمهمتها ترقية تجارة الأمة وتوسيعها، وفتح الأسواق الخارجية لها

وتعنى وزارة العمل بشؤون العمال، وبتحسين حالتهم وزيادة رفاهيتهم وتسوية الخلافات التي تقوم بينهم وبين أصحاب الأعمال

السلطة القضائية:

وهي تتكون من المحاكم الاتحادية، ومهمتها تفسير القوانين الاتحادية وشرحها والحكم في القضايا بين رعايا الولايات المختلفة ومعاقبة مخالفي القانون

وتقوم محاكم الحكومة الاتحادية بعدة واجبات أخرى.. إذا اتهم شخص في الولايات المتحدة بالاعتداء على القانون يؤتى به إلى المحاكم الاتحادية ليحاكم.

وتقوم المحاكم الاتحادية بوظيفة الحكم إذا قام خلاف بين السلطتين التشريعية والتنفيذية

وإذا قام خلاف بين ولايتين يعرض النزاع على المحاكم الاتحادية للفصل فيه

المحكمة العليا:

نص دستور الولايات المتحدة على إنشائها، ولا يمكن إلغاؤها إذا عدل الدستور، وهي أعلى محكمة في البلاد، وإليها تستأنف الأحكام. ويعين قضاتها الرئيس، ويوافق مجلس الشيوخ على التعيين

وهناك محاكم اتحادية أخرى. ويستطيع سكان الولايات المختلفة أن يستأنفوا أحكام محاكم الولايات أمام المحاكم الاتحادية إذا لم يقتنعوا بالحكم الأول

ولرئيس الجمهورية حق تخفيف العقوبة وحق العفو عن المجرمين وتعيين قضاة المحاكم الاتحادية

اتحاد فدرالي:

سألني أديب عن معنى كلمة «اتحاد فدرالي» وأنا أجيبه فأقول إن الاتحاد الفدرالي هو اتحاد عدة ولايات لتكون دولة، وفي هذا الاتحاد تحتفظ الولاية بحكمها الذاتي، وتقوم الحكومة المركزية أو الاتحادية بالإشراف على الشؤون العامة للدولة كما رأينا في شرحنا للنظام الحكومي في الولايات الأمريكية؛ فإن هذه الدولة هي خير مثل للاتحاد الفدرالي

وهناك اتحاد آخر هو الاتحاد الكنفدرالي. وفي هذا الاتحاد تفقد الولاية شخصيتها وتنتقل سلطة الولاية إلى الحكومة المركزية، وخير مثل لهذا هو الاتحاد الذي قام في ألمانيا الحديثة سنة ١٧٨٠.

قويسنا **ابو الفتوح عطيفة**

على هامش النكبة :

نفوس كبيرة

للأستاذ حسنى كنعان

عاد من غرفة مدير المدرسة يتأبط مجموعة للكتابة ومسطرة وقلم رصاص ، وكان بجانبه فى المقعد تلميذ ظريف مداعب يحب مداعبته دائما ، وما كاد يلج الصف ويجلس مكانه على المقعد حتى فاجأه هذا الرفيق « الدعوب » يقول له :

— هنيئا لكم معشر التلاميذ اللاجئين الفلسطينيين هذه المنح والأعطيات والهدايا التى تقدم إليكم مجانا الفينة بعد الفينة ، ونحن ننظر بأعيننا دون أن يصل إلينا مثل الذى يصل إليكم . .

فن كتب مدرسية إلى أقلام ودفاتر وماحيات وحرامات للتدفئة وسراويل وصدارى » . . . ثم إلى آخر ما هنالك من حاجات تبهج الفؤاد وتقر العين وتثلج الصدر .. فلماذا لم يوزعوا علينا مثلها ؟ ألسنا تلاميذ مثلكم ، نتعلم كما تتعلمون ، وندرس كما تدرسون . . وكان هذا الحار يتكلم والبسمة لا تفارق شفتيه القرمزيتين زيادة فى الدعابة ، فحسبه صديقه جادا فى قوله ، وليس من عادته أن يركبه بمثل هذه الدعابة التى أثرت فى نفسه تأثيرا عميقا ، فرجع بالذاكرة إلى الماضى القريب كيف كان يدفع إليه مثل هذه المعونات المدرسية ليوزعها على فقراء الطلاب فى مدرسته الأولى قبل أن يغادرها مجليا مشردا طريدا ، فطفرت من مقلتيه الدموع حارة على المصير السئ الذى انتهى إليه ، ثم نظر إلى رفيقه نظرة عتاب وملامة ، بيد أن صديقه ما قصد بقوله ذاك سوى الدعابة والمباسطة والإيناس ليدخل إلى روع صديقه أن قبول الهدايا لا ضير فيه ولا عار ، وأنها لو قدمت إليه نفسه على شرف والده وثرائه وغناه لما استنكف عن قبولها ، لكن هذا اللاجئ حسب أنه جاد لا هازل فقال له فيما قال :

— أتحسدوننا على هذه الحاجات التى لا تمدل شيئا فى نظرنا ، وقد تركنا الأطيان والأموال والحلى والرياش والمتاع والعقار . . وخرجنا من بلادنا حفاة عراة لا نلوى على شئ . .

وما هذه المطايا التى تعتبرونها هدايا لنا إلا كالهبات ومسليات لنا عن مصابنا الأليم الفادح ، فوالله لا آخذها ولن أقبل شيئا منها بعد الآن . .

وهنا أخذت الحدة مأخذها من الطفل اللاجئ الذى لا يتجاوز تحصيله السنة الثانية من سنى المدارس الابتدائية واعتبر أن مزاح رفيقه قد مس كرامته فأهوى على المجموعة فمزقها ، وعلى القلم والمسطرة فحطمهما ، وألقاهما فى سلة المهملات ومضى يقول :

أجل كيف نقبل مثل هذه المنح الرخيصة ، من يد المتعسفين الظالمين الذين أذلونا وشردونا وأخرجونا من ديارنا وأقاموا مقامنا حثالة من شذاذ الآفاق ! إن هذا لن يكون . . . فبهت رفيقه ، وندم على ما بدر منه ، وأخذ يعتذر له ويطلب منه العفو والمغفرة ، فلم يفد من اعتذاره ومؤانسته شيئا . . بينما كان معلم الصف منهمكا بكتابة الوظيفة الليلية على اللوح سمع حوارهما الرقيق بلسان الطفولة البريئة ، ورأى أن هذه الحركة غير عادية فى درسه ، فترك اللوح وأقبل على الطفلين يستطلع خبرهما . ولما أدرك القضية وعرف سببها أوقفهما على انفراد فى زاوية من زوايا الصف ريثما ينتهى من عمله فيجرى معهما التحقيق اللازم ويعاقبهما بعده لإخلالهما فى درسه . .

انتهى الدرس وخرج التلاميذ إلى الفسحة ، فتقدم المعلم من التلميذين الموقوفين وبدأ بالتلميذ اللاجئ قائلا :

— أيجوز لك « ياعامر » أن تتلف المجموعة وتحطم المسطرة والقلم وترمى بهما جميعا فى السلة ، ثم ترفض النعمة التى أنت أحوج الناس إليها ؟ إن عملك يا عامر لا يعمله تلميذ عاقل ، فى حين أن رفيقك لم يقل ما قاله إلا مداعبا ومازحا . . ومن عادة الأصدقاء الدعابة والتظرف والإيناس..فرفع عامر إصبعه بأدب وطلب من أستاذه أن يسمح له بالكلام ، فسمح فاستهل الصبى كلامه قائلا : أنت يا سيدى عقام والدى ومن حق الوالد على الولد أن يصغى إلى شكوى ولده بروية وهدوء . .

— فقال المعلم : أحسنت يا بنى تكلم وأوجز . .

— سيدى إن من عادة رفيق هذا الدعابة والمزاح فهو يمازحنا جميعا ، وما علمت أن أحـدا أزعجه مزاحه ودعابته ، لـكننى هذه المرة لا أدرى كيف أثرت دعابته بى هذا التأثير الذى اعتبرته جارحا للعاطفة مثيرا للنفس فى حين أنه كان سداه الدعابة ولحمته المزاح على الغالب ...

وقد أثقل على ذلك وأنا ربيب نعمة وأليف خير ورخاء ، ما تعودت تناول العطايا من أحد أو أن أسمع شيئا مما قاله اليوم صديق ، وما فعلت ذلك فى أدواتى إلا ترفعا وإباء وندما على أخذ هذه الهدية ، فلأن أعيش جاهلا ثم أهلك برداوجوعا وعريا أحب إلى من سماع قول كهذا وأخذ يجهش بالبـكاء ..

وكان هذا الولد ابن رجل ثرى فى حيفا يملك ثلاث بيارات واثنتى عشر مفتاحا لدور ودكاكين ومخازن ، وكان إلى جانب هذا يملك ثروة تقدر قيمتها بثمانين ألف جنيه ذهبت جميعها نهبا مقسما لشذاذ الآفاق ، حتى أن والده عندما شعر بأن السلطة الحاكمة هناك حالت دون وصول النجدة من المجاهدين الأشاوس إلى حيفا وألجأت أهلها إلى الخروج منها بالقوة ، وأنها ساعدت الغزاة القادرين على مطاردتهم منها ، عاد إلى الدار ليحمل ما يقدر على حمله من الأموال ، فقتل وهو هارب بهاوسلبت منه ، وقد علمت الأسـرة بمصرعـه وهى مؤلفـة من زوجـة ثـكلى وولد وبنت ، أما الولد فهو عامر صاحب قصتنا هذه ، وأما البنت فهى التى عالت هذه الأسرة كما ستري ، وأخيرا أتت هذه الأسرة المروعة بأعز عزيز لديها إلى حيفا ، وقد أجلتها السلطة المنتدبة عن ديار الآباء والأجداد على الجلة ، ولم تدعها تودع فقيدها الغالى ولو بنظرة أخيرة تلقى على جثمانه الطاهر الذى همد كالصرح مجندلا بدمه، أجل أتت إليها تلك السلطة الشيطانية فأركبتها سيارة أقلتها إلى الميناء ومن ثم قذفوا بها فى قارب مـع من قذف من سـكان حيفا ووجهتهم ميناء صيدا تحت وابل من رصاص الآثمين المعتدين ...

وبعد مشقة وعذاب وصلوا إلى ميناء هذه المدينة الساحلية وانتقلوا بعد ذلك إلى بيروت ، وأقاموا حقبـة من الزمن كأنها دهر ، فزين لهم أقاربهم اللجوء إلى دمشق فأموها وهم فى حالة يرثى إليها من التعب والمسغبة . .

ولما وصلوا إليها متأخرا لم تدون أسماؤهم فى جمعية الصليب الأحمر . وكان لا دخل لديهم إلا معاش البنت التى عينت معلمة للغة الإنجليزية فى المدارس الخاصة ، وذلك بعد أن من الله عليهم بالإقامة فيها وكانت الأجرة زهيدة . .

وكان المعلم يعرف هذا كله فلم يستغرب ما رأى وما سمع منه فرق لحاله ، وأخذ يخفف عن الصبي ويسرى عنـه ويربت على كتفه ويقول :

— نعم العمل عملك يابنى ، ونعمت النفس الأبية نفسك . ثم تقدم وأخرج من منضدته مجموعةومسطرة وقلم رصاص ودفعها إلى الصبي بلطف راجيا منه قبولها هدية منه ، وزاد فى الإيناس والتلطف حتى تخيله الصبي والدا له ، فاستحيامنه وتناول الأدوات والاحمرار باد على وجهه ، والعرق يتصبب من جبينه ، ذهب التلميذ مساء إلى البيت يحمل بيده الراعشة الهدايا من يد معلمه الأب المعنوى له ...

ولـكن الصبى عاد فى اليوم التالى بالأدوات إلى المدرسة ودفعها إلى أستاذه مع رسالة من والدته تشـكر المعلم على حسن صنيعه وتصرفاته مع ولدها. ثم تعتذر من قبول الهدية وتقول : إنها لا تريد أن ينشأ ولدها على مد يده للهدايا مادام فى يديها وعنقها حلى وأطواق تبيعها تباعا لتنفقها على ولدها كلما أبصرته بحاجة إلى المال للحصول على اللازم من أدوات المدرسة وتـكاليفها ...

هذه حادثة واقعية ليست من نسج الخيال يلفقها كاتب أو شاعر للدخول إلى قلوب القراء وتملقهم واستمالتهم ولفت أنظارهم إلى أسلوب خاص بالأدب القصصى : بل هى من القصص الواقعية التى نراها ونسمع عنها تصدر كل يوم عن هذا الشعب العربى الأبى الذى نهبته النـكبة وأذلتـه الفاقة وهو ما انفك محافظا على إبائه وكرامته ...

فإن دلت هذه الأقاصيص على شئ فإنما تدل على كبر هذه

بمناسبة ذكرى شوقى :

المرأة فى شعر شوقى

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

شوقى قمة من القمم الشوامخ فى تاريخ الأدب فى العصر الحاضر ، فهو من شعراء الطليعة ، يضطرك بروعة بيانه وقوة عارضته واتساع أفق خياله وغزارة مادته ، وما تلمس فى آياته الشعرية من جزالة وسهولة ، أن تضعه فى مقدمة الصفوف

وهو أقوى دليل وأكبر برهان على ما وصل إليه الأدب المصرى الحديث من نهضة وتقدم ، فقد جمع شوقى فى شعره بين القديم والجديد فى أسلوب بليغ يتمشى مع جزالة الأدب العربى القديم ، والتفكير المصرى والذوق الحديث ، فتراه يعمد إلى الألفاظ اللغوية القديمة التى نسيها الناس وصاروا لا يستسيغونها ولا يقوون على سماعها لأنهم لا يعرفون معانيها فيبعثها فى شعر يحيط فيه بما فى الغرب من صور بديعة ومعان رائعة وخيالات واسعة واضحة ترضاها الحضارة الشرقية ويستسيغها الطبع الشرقى

فقد كان يعتبر أن البعث للألفاظ الدارسة وسيلة من وسائل التجديد ، وسبيلا من السبل التى تصل بين مدنية قديمة بائدة ومدنية حديثة طارقة ، يجب ألا تنقطع الصلة فيها بين السلف والخلف ، وقد كفل لهذه الألفاظ حياة جديدة بما أفاض عليها من ثوب شعرى جميل جعلها تتسع لما ظنها الناس أنها لم تتسع له من الصور والأخيلة والمعانى

* * *

وشوقى كغيره من الشعراء طرق أبواب الشعر القديم ثم زاد عليها ما استجدت به الأيام من الاجتماعيات والحوادث التى عاصرها وما أحدثت فى نفسه من آثار بالغة ، ومن هذه الحوادث البالغة الأهمية ، الضجة التى قامت حول تحرير المرأة وإعطائها نصيبا موفورا من الحرية التى حمل لواءها قاسم بك أمين

وقد شارك شوقى فى هذه الدعوة بنصيب لا بأس به ، ولكنه كان كغيره من الشعراء والكتاب يخضع لقانون البيئة الاجتماعية الذى تفرضه على الألسنة فلا تنطق إلا بحذر ، وعلى الأقلام فلا تكتب إلا بمقدار ، وعلى الجوارح فلا تتحرك إلا فى تلصص ، وعلى القلوب فلا تنبض إلا فى خوف ووجل ، لأنهم كانوا يخشون أن يكون فى شئ من هذا مايثير سخط المحافظين الذين يعتبرون — فى ذلك الوقت — السواد الأعظم الذى يسيطر على الجانب الخلقى من الحياة المصرية فكان على شوقى بحكم هذه الاعتبارات ، ولأنه لا يريد أن يباعد بينه وبين محبيه أو ينفر منه القلوب التى أجلسته على عرش الإمارة ، وزانت جبينه بتاجها ، ألا يعرض لهذا الموضوع فيما ينشر على الناس إلا مترفقا متأنيا حذرا غاية الحذر

ويتخذ شعر شوقى عن المرأة صورتين . منفصلتين لا تقارب بينهما : أما الصورة الأولى فهى تقليده لمن سبقه من الشعراء ، إذ يفتتح قصائده بالنسيب الذى اعتاده الشعراء القدامى ، كما فى قوله من قصيدته (لبنان)

السحر من سود العيون لقيته والبابلى بلحظهن سقيته
الفاترات وما فترن رماية بمسدد بين الضلوع مبيته
الناعسات الموقظات على الهوى المغريات به وكنت سليته
القاتلات بعابث فى جفنه ثمل الغرار معربد أصليته (١)

(١) الأصليت : السيف

النفوس التى تحل هذه الجسوم الصغيرة ، وإنا لنأمل يوما أن يستطير شررها فتنقلب إلى براكين جياشة تنفجر فتقض مضاجع أولئك المستعمرين الغاصبين الذين سببوا هذه النكبة ، وسيكون إنقاذ البلاد السليبة ما تقاسى الآباء على أيدى هؤلاء الأحداث الذين تفتحت أعينهم على ظلام النكبة فغذت نيران الثأر فى نفوسهم ورضعوها مع اللبن

دمشق حسنى كنعان

الشاهرات الهدب أمثال القنا ... يحيى الطعين بنظرة ويميته
الناسجات على سواء سطوره ... سقما على منوالهن كسيته

ثم يقول فيها :

إن قلت تمثال الجمال منصبا ... قال الجمال براحتى مثلته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضبانا وأعرض نافرا ... حال من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه ... وزعمتهن لبانتى فأغرته
فمشى إلى وليس أول جؤذر ... وقعت عليه حبائلى فقنصته

فى هذه الأبيات الأخيرة بين لنا شوقى طبيعة المرأة عندما يتقرب منها الرجل طالبا ودها فتتمنع وتظهر الإعراض والصد حتى إذا رأته ينظر إلى غيرها أو يحادث إحدى صويحباتها ثارت غيرتها ، وطامنت من كبريائها ، وحاولت هى التقرب منه حتى لا تظفر به غيرها

وشئ آخر يظهر لنا من هذه الأبيات ، وهو معرفة شوقى لمواطن الضعف عند حواء ، وكيف أنه يعرف متى يقبل عليها ومتى يعرض عنها

* * *

وفى سنة ١٩١٩ ثارت البلاد على مختلف طبقاتها تطالب باستقلالها ، وسافر الوفد المصرى لعرض قضية البلاد على مؤتمر السلام فى فرساى وهناك تلقى دعوة من لورد (ملنر) وزير المستعمرات الإنكليزية إذ ذاك ليتفق مع الوفد على مركز البلاد وتحديد علاقة إنجلترا بها . وتمخضت المحادثات عن مشروع قدمه لورد (ملنر) واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذ رأيها فيه مع التزام الحيدة ، فانتدب الوفد أربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة ، وقد اختلف القوم فى صلاحية المشروع أو عدم صلاحيته

وقد شارك شوقى فى هذه الحركة وعبر عنها أصدق تعبير فى قصيدة طويلة بدأها بالنسيب فقال :

أتى عنان القلب واسلم به ... من ربرب الرمل ومن سربه
ومن تثنى الغيد عن بانه ... مرتجة الأرداف عن كثبه
ظباؤه المنكسرات الظبا ... يغلبن ذا اللب على لبه
بيض رقاق الحسن فى لمحة ... من ناعم الدر ومن رطبه

إلى قوله :

يا ظبية الرمل وقيت الهوى ... وإن سمت عيناك فى جلبه
ولا ذرفت الدمع يوما وإن ... أسرفت فى الدمع وفى سكبه
هذى الشوا كى النجل صدن امرأ ... ملقى الصبا أعزل من غربه (٢)
صياد آرام رماه الهوى ... بشادن لا برء من حبه (٣)
قد شاب فى أضلعه صاحب ... خلو من الشيب ومن خطبه
واه بجنبى خافق ، كلما ... قلت تناهى ، لج فى وثبه

فأنت ترى أنه بالرغم من أن الموضوع الذى نظم فيه القصيدة موضوع سياسى بحت ، إلا أنه سار على سنن من قبله من الشعراء الأقدمين ؛ فبدأ قصيدته بهذا النسيب العذب الجميل الذى يسيل رقة ويمتاز قوة فى التعبير ؛ بهذا النسيب مهد لموضوعه الذى نظم من أجله القصيدة فقال :

ما بال قومى اختلفوا بينهم ... فى مدحة المشروع أو ثلبه
كأنهم أسرى ، أحاديثهم ... فى لين القيد وفى صلبه
يا قوم هذا زمن قد رمى ... بالقيد واستكبر عن سحبه

الخ ...

* * *

وعندما أطلق سراح شباب الحركة الوطنية فى عهد وزارة سعد زغلول ، واحتفل شباب مصر بنجاة إخوانهم وإخراجهم من السجون ، شارك شوقى فى تكريمهم بقصيدة عامرة افتتحها بأبيات غزلية رقيقة هى :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا ... الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرائيات بكل أحور فاتر ... يذر الخلى عن القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجرا ... الناهلات سوالفا وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائرا ... الراتعات مع النسيم قدودا
أقبلن فى ذهب الأصيل ووشيه ... ملء الغلائل لؤلؤا وفريدا
يحدجن بالحدق الحواسد دمية ... كظباء وجرة مقلتين وجيدا
حوت الجمال فلو ذهبت تزيدا ... فى الوهم حسنا ما استطعت فريدا

(٢) غرب الشباب : حدته ونشاطه
(٣) الآرام : جمع رئم وهو الظبي يخالطه البياض . الشادن : ولد الظبية

لو مر بالولدان طيف جمالها ... فى الخلد خروا ركعا وسجودا

وما أشبه هذا البيت الأخير بقول كثير عزة حيث يقول :

رهبان مكة والذين عهدتهم ... يبكون من خوف المناب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة راكعين سجودا

فى هذه القصائد يظهر تقليد شوق لمن سبقه ، فهو يدفع بالمرأة دفعا فى قصائده وفى مواقف يحسن أن تكون بعيدة عنها كل البعد ، إذ أن الغزل والتشبيب الذى يبدأ به قصائده لا يكون إلا فى وقت تكون النفس هادئة تنعم بالطمأنينة والأنس ، ولكنك لا تملك نفسك من الإعجاب ببراعة الشاعر وافتنانه فى الإتيان بروائع المعانى ونغم الألفاظ

* * *

أما غزله الخالص الذى قاله متغزلا فهو قصير قليل تظهر فيه الصناعة والتأثر فى لفظه ومعناه بمن تقدمه من الشعراء . فإذا تصفحت باب النسيب فى الجزء الثانى من الشوقيات فإنك لا تكاد تعثر على شعر تستطيع أن تقول عنه إنه غزل صادق قيل فى محبوب أو تأثر فيه بهجر أو صد أو تمتع فيه بوصال وقرب . مما يجعلنا نعتقد أن الشاعر لم يصب بهذا الداء — داء الحب — ، لذلك نجد هذا النوع من شعره أكثر صناعة وتكلفا، ولولا قوة الشاعر وبراعته لما وجدت فى نفسك دافعا لقراءته .فاسمعه يقول وهو تقريبا أجود ما قاله فى هذا الباب :

خدعوها بقولهم حسناء ... والغوانى يغرهن الثناء

أتراها تناست اسمى لما ... كثرت فى غرامها الأسماء

إن رأتنى تميل عنى كأن لم ... تك بينى وبينها أشياء

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت ... أنتم الناس أيها الشعراء

فاتقوا الله فى قلوب العذارى ... فالعذارى قلوبهن هواء

وقوله فى قصيدة أخرى :

أدارى العيون الفاترات السواجيا ... وأشكو إليها كيد إنسانها ليا

قتلن ومنين القتيل بألسن ... من السحر يبدلن المنايا أمانيا

وكلمن بالألحاظ مرضى كليلة ... فكانت صحاحا فى القلوب مواضيا

حببتك ذات الخال والحب حالة ... إذا عرضت للمرء لم يدر ماهيا

وأنك دنيا القلب مهما غدرته ... أتى لك مملوءا من الوجد وافيا

صدودك فيه ليس يألوه جارحا ... ولفظك لا ينفك للجرح آسيا

وبين الهوى والعذل للقلب موقف ... كخالك بين السيف والنار ثاويا

وبين المنى واليأس للصبر هزة ... كخصرك بين النهد والردف واهيا

وعرض بى قوم يقولون قد غوى ... عدمت عذولى فيك إن كنت غاويا

يرومون سلوانا لقلبى يريحه ... ومن لى بالسلوان أشريه غاليا

وما العشق إلا لذة ثم شقوة ... كما شقى المخمور بالسكر صاحيا

على هذا النمط تجد شعره الذى يندرج تحت هذا الباب كله صناعة وتقليدا للسابقين

هـذه هى الصورة الأولى التى ذكر فيها الشاعر المرأة ومنها نرى أن نصيبها من هـذا القسم من شعره نصيب لا يساير روح العصر ولا يتمشى مع تطور الزمن ونهضة المرأة فى الميدان الاجتماعى وما وصلت إليه

أما الصورة الثـانية فهى التى سنقدمها إلى القراء فى العدد القادم إن شاء الله

أسيوط عبد الموجود عبد الحافظ

رسالة المربى

صلتها بأهداف التربية الأخرى ... التربية الاجتماعية ... التربية الخلقية
التربية البدنية

للأستاذ كمال السيد درويش

إذا كانت تلك هى رسالة المربى فى الحياة فما هو موقفها من أهداف التربية الأخرى ؟ سنبدأ بالكلام عن موقفها من التربية الاجتماعية لأنها من أهم الأهداف التى تتردد على الألسن فى الوقت الحالى

إن الصيحة التى انبعثت تنادى بضرورة الاهتمام بالتربية الاجتماعية هى نتيجة طبيعية للأحوال المضطربة التى يجتازها المجتمع فى العصر الحالى . إن الإنسان مضطر إلى الحياة مع غيره من الناس فهو كائن اجتماعى والمجتمع نتيجة حتمية لوجود الإنسان . ومع الحياة فى المجتمع تتعقد الأمور وتتعارض، وتنمو المشاكل ، ولقد كانت مشاكل المجتمع البدائى بسيطة سهلة ومع ذلك حاول الإنسان التخلص منها فابتكر واخترع وكان يأمل من وراء ذلك إلى توفير جهوده مع تحقيق أكبر قسط ممكن من السعادة . وعلى عكس ما كان منتظرا لم يأت كل اختراع جديد إلا وفى طياته من المشاكل الظاهرة والخفية مازاد فى آلام الإنسانية ومتاعبها حتى أصبحنا فى القرن العشرين نعانى من الآلام والويلات ونجابه من الأزمات ما أكد لدينا أن المجتمع الإنسانى قد أصبح مريضا حتى أصبحنا الآن نفكر فى علاج هذا المجتمع المريض . ولما كانت التربية من أهم وسائل العلاج ، فقد انبعثت الصيحة ؛ تلك الصيحة القوية التى نادت ولا تزال تنادى بضرورة الاهتمام بالتربية الاجتماعية بل وبجعلها هدف التربية الأسمى

وتقف رسالة المربى من هذه الصيحة موقفا آخر غير موقف المؤيدين . ذلك أن أنصار هذا الهدف سيخضعون كل وسائل التربية لتحقيق هذا الهدف الذى سيصبح تقليدا جامدا وديكتاتورا متحكما يقف فى وجه التطور والتقدم، وسيقتل النمو وهو ما يتنافى مع رسالة المربى . تنظر رسالة المربى إلى التربية الاجتماعية من وجهة نظرها الخاصة بمواصلة النمو. هى تنظر إلى التربية الاجتماعية لا على أنها هدف فى ذاته؛ ولكن على أنها وسيلة إلى هدفها هى، فالتربية الاجتماعية تؤدى إلى إيجاد التوافق الاجتماعى الذى يساعد الإنسان على مواصلة التقدم والنمو ، وهكذا يرفع هدف رسالة المربى فى هذه الحالة من قيمة التربية الاجتماعية ويحلها مكانا ساميا ويفرض على المشتغلين بالتربية الاهتمام بها

إن الإنسان اجتماعى ولذلك يحتاج إلى معرفة كيفية الحياة فى هذا المجتمع حتى يستطيع الاندماج فيه والتآلف مع أفراده وتكييف نفسه حسب ظروف المجتمع الذى يوجد فيه ، وهذا شرط أساسى لكى يستطيع بعد ذلك العمل باستمرار والسير فى طريق التقدم . ونمو الأفراد أساس نمو المجتمع وتقدمه، وإذا كان النمو دليل الحياة فى الأفراد فكذلك نجده دليلا على حياة المجتمع

إن رسالة المربى تستخدم التربية الاجتماعية كوسيلة من الوسائل الفعالة فى نمو المجتمع

ونحن نعنى بالتربية الاجتماعية تلك التى تمكن أفراد المجتمع من التآلف بتنمية قدرتهم على التكيف حسب الظروف المحيطة بهم فى المجتمع وحتى يستطيعوا مواصلة التقدم فى الحياة . وهذا هو ما يحتاج إليه المجتمع الإنسانى ، فالتطور الذى انتهى إليه بعد قرون عديدة هو نتيجة خبرات تلك القرون، وتتعقد مشاكله حتى يقف أمامها معظم أفراد المجتمع عاجزين عن فهمها أو حتى عن محاولة التفكير فى حلها أو التخلص منها . وما الأزمات والحروب التى تهدد العالم من آن لآخر إلا أعراض تعارض المصالح الانسانية وتضاربها . وعجز الإنسان عن التخلص منها هو الدليل على ضعف التوافق الاجتماعى لديه . لقد عجز أفراد الأسرة العالمية عن تنظيم شؤونها بأنفسهم فأخذت تنحط بعد رقيها وتتأخر بعد تقدمها . ألا يدل ذلك على جهل أفرادها بالخصائص الاجتماعية الضرورية للحياة فى وفاق ووئام . يجب أن تقوم التربية الاجتماعية بهذا التنظيم الاجتماعى فى حدوده الضيقة داخل الأسرة وفى مجاله الكبير بين العالم . إن الذى ينقص الفرد فالأسرة فالمدينة فالدولة فالعالم هو التوافق الاجتماعى،

ولو نجحت التربية فى إيجاد التوافق الاجتماعى لدى الأفراد لاطرد نمو المجتمع ولأصبح العالم كله أسرة كبيرة منسجمة، يعمل أفرادها فى توافق وانسجام، ويسير ركابها دائما نحو الأمام، ولكن كيف نستطيع التربية الاجتماعيه وتحقيق التوافق الاجتماعى بين الأفراد؟ إن ذلك من السهولة بمكان. لقد عاش الإنسان مع غيره من الناس فوجد أن الصدق يؤدى فى النهاية إلى تقدم الجميع، فقال: إن الصدق فضيلة. ومن خبرته وجد كما وجد غيره أن الكذب رذيلة. وهكذا نشأت الأخلاق وأخذت تنمو بنمو المجتمع ذلك لأنها ضرورية لا لحياة المجتمع بل لتقدمه أيضا. فظهور الأخلاق نتيجة حتمية لحياة الإنسان الاجتماعيه. ولابد من الأخلاق لصالح المجتمع وبدونها لا تستقيم حياته. فهى التى تحدد نوع العمل الذى يجب أن نعمله وبفضلها نستطيع أن نتبين نوع العمل الذى يجب أن لا نعمله، لا لأننا لا نرضاه فقد يكون من أحب الأعمال إلى نفوسنا، ولكن لأنه يتعارض ومصلحة المجتمع الذى نعيش فيه. الأخلاق هى الرقيب على تصرفات المجتمع وأفراده، وهى البوليس الذى يحمى المجتمع، ورجل المرور الذى يصرف حركاته. وإذا عاش المجتمع بدون أخلاق أصبح كالمدينة بدون البوليس، والشوارع بدون رجل المرور، أصبح حافلا بالاضطراب والفوضى

لذلك يجب أن تحتل الأخلاق مكانها اللائق فى التربية. فبدون الأخلاق ينهار ما بين أفراد المجتمع من توافق اجتماعى فينهار المجتمع كله. ولهذا اهتمت الأمم الحية فى جميع العصور بالأخلاق حتى أننا نجد الملحدين الذين لا يعترفون بالأديان يهتمون بالأخلاق وبالتمسك بأهدابها. ولقد قامت المذاهب الفلسفية وتعددت ولم نجد من بينها مذهبا واحدا استطاع إغفال ما للأخلاق من أهمية. بل لقد ذهبت بعض المجتمعات إلى حد تقديسها وجعلها هدف التربية الأسمى. ونحن بطبيعة الحال لا ننظر إلى التربية الخلقية إلا من حيث وضعها الطبيعى أى كوسيلة من الوسائل التى تساعد على إيجاد التوافق الاجتماعى اللازم للانسان حتى يستطيع مواصلة نموه والسير فى ركب الحياة دائما أبدا إلى الأمام

ولا يستطيع المؤرخ إغفال تلك الحقيقة التى يجدها ماثلة أمام عينيه باستمرار، والتى تدل على أهمية الدور الحيوى الذى تلعبه الأخلاق فى المجتمع. ذلك أن عصور التدهور والانحلال فى الأمم ما هى إلا نتيجة الانحلال الخلقى الذى يكون قد أصاب الأمة قبل ذلك وأخذ ينخر فى عظامها حتى تقع فى النهاية فريسة سهلة للانقسام الداخلى أو العدو الخارجى. وأن الفرد العادى منا ليلمس نتائج الأخلاق فى حياته. إن الرجل الذى يتمسك بالأخلاق غير ذلك الذى انحلت أخلاقه فهوى إلى الحضيض. وأسرة ذات أخلاق غير أسرة لا أخلاق لها. وقد لمس الأدباء والشعراء بإحساسهم المرهف ما للأخلاق من قيمة فمجدوها ورفعوا من شأنها. فهى سر بناء الأمم:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهى مرجع صلاح أمر الإنسان:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ... فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولكن ما هي الأخلاق؟ إنها شئ أساسى وضرورى لإيجاد التوافق الاجتماعى، وهذا هو الذى يحدد معناها. وبمقدار صلاحية الأخلاق فى إيجاد هذا التوافق يكون مقدار ما يجب على الناس أن يتمسكوا به. إن تطور المجتمع يؤدى إلى تغير المستويات الخليقة وتطورها، ذلك أنها بمضى الزمن تصبح غير صالحة للغرض الذى وجدت من أجله أى غير صالحة لإيجاد التوافق الاجتماعى، ولذلك يجب أن لا يتمسك الناس بها. وبهذه النظرة إلى الأخلاق نستطيع التخلص من إطارها الحديدى وسلطانها الديكتاتورى.

ومعنى ذلك أننا لا نهتم بالأخلاق فى حد ذاتها بقدر ما نهتم بالروح الأخلاقية نفسها. يجب أن يهتم رجال التربية بإيجاد تلك الروح الأخلاقية حتى تصبح أساسا يحدد الإنسان بواسطة الأخلاق التى يجب أن يتخلق بها ليكون عضوا عاملا ناجحا فى الحياة. ولكن ليس معنى ذلك أن الأخلاق ليست ذات قيم ثابتة فى الحياة لأننا لا ننادى بتطور معناها وتغيره، وإنما بتطور طريقة تناولها والفهم لها والعمل بها

وما دمنا قد أبرزنا أهمية تنمية الروح الأخلاقية فلابد من الكلام عن أهمية الدين. ذلك أن الأديان السماوية هى التى تحض على الأخلاق القويمة فضلا عن أن الانسان متدين بطبيعته فهو مضطر إلى التفكير فى الصلة التى تربطه بالكون، ولذلك

٤ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)

« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

ويكاد أحمد بن منير الطرابلسى يكون الطغرائى الثانى فى مطالع معانيه :

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله　　فى منزل فالحزم أن يترحلا
كالبدر لما أن تضاءل جد فى　　طلب الكمال فحازه متنقلا
سفها لحلمك إن رضيت بمشرب　　رنق ورزق الله قد ملأ الملا
فارق ترق كالسيف سل فبان فى　　متنيه ما أخفى القراب وأخملا
لا تحسبن ذهاب نفسك موتة　　ما الموت إلا أن تعيش مذللا
للقفر لا للفقر هبها إنما　　مغناك ما أغناك أن تتوسلا
لا ترض من دنياك ما أدناك من　　دنس وكن طيفا جلا ثم انجلى

أنا من إذاما الدهر هم بخفضه　　سامته همته السماك الأعزلا

ولأبى العتاهية مثيل فى التدرج بالزهد والتقوى التى هى أوضح السبل إلى جانب الحزم والجد والثبات والحركة ، ذلك هو الصفدى القائل :

الجد فى الجد والحرمان فى الكسل
فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
إن الفتى من بماضى الحزم متصف
وما تعود نقض القول والعمل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها　　حتى يقد أديم السهل والجبل

ومنها :

ولا يصد عن التقوى بصيرته　　لأنها للمعالى أوضح السبل

والبيان فى نظر سهل بن هارون هو سبيل المعالى التى يفصح عنها اللسان يقول : « إن الله رفع درجة اللسان فوق جوارح الجسد ... فهو أداة يظهر بها البيان ... ومفصاح بمعالى الأمور ، ودليل على ما بطن فى القلوب . . »

يجب أن تحتل التربية الدينية مكانها اللائق باعتبارها أساسا تنهض عليه الأخلاق القويمة التى لا تتم بدونها التربية الاجتماعية التى تساعد على نجاح عملية التربية

وتنظر رسالة المربى إلى التربية الدينية نظرتها إلى التربية الخلقية . وبهذه النظرة يمكن التحرر من ديكتاتورية التربية الدينية التى قيدت حرية التفكير الإنسانى بسلاسل من حديد كما حدث فى المجتمع الصليبى خلال العصور الوسطى

وكما تقودنا التربية الإجتماعية إلى الاهتمام بالتربية الخلقية والتربية الدينية فهى كذلك تقودنا أيضا إلى الاهتمام بالتربية البدنية . ذلك أن العلاقة بين الجسم والعقل وتأثير كل منهما فى الآخر من القوة بحيث يؤدى إهمال أحدهما إلى إضعاف الآخر .

ولما كان غرضنا من الاهتمام بالتربية الاجتماعية إيجاد التوافق بين أفراد المجتمع حتى يسير وينمو ، فلذلك يجب أن نعتنى بأفراد ذلك المجتمع لا من الناحية العلمية أو الخلقية أو الدينية فحسب ، بل وكذلك من الناحية الصحية حتى تكون سلامة الأبدان مدعاة إلى حفظ العقول والتمسك بالأخلاق، وحتى يتم التوافق والانسجام بين قوى الفرد ونوازعه المختلفة فيؤدى ذلك إلى توافق أفراد المجتمع وانسجامهم . وهكذا نجد للتربية البدنية أهميتها التى لا تقل عن التربية العقلية والخلقية والدينية فكلها تشترك فى نمو الإنسان وتقدمه

. وما دمنا نريد ترقية المجتمع ونموه فيجب تربية جميع أفراده بلا استثناء أى إلى إقرار مبدأ تكافؤ الفرص وتوطيد العدل الاجتماعى، وسيؤدى ذلك إلى أن تصبح المواهب والميول الطبيعية هى الأساس الذى يحدد مستقبل الأفراد

بمراعاة ذلك كله يتم التوافق الاجتماعى بين الأفراد، وتزول من المجتمع مظاهر التعارض والشذوذ، ويحل الانسجام والوئام ، محل التنافر والخصام، ويسير المجتمع فى رقيه وتقدمه إلى الأمام .

كمال السيد درويش

ليسانس الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية

وفى هذا يقول الشاعر :

رأيت العز فى أدب وعقل ... وفى الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بحسن ... إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجـــه وليس له لسان

ونفطويه يجمع بين لسان العرب ودين الإسلام :

سبيلى لسان كان يعرب لفظه ... فياليته فى موقف العرض يسلم
وما ينفع الأعراب إن لم يكن تقى ... وما ضر ذا التقوى لسان معجم

وسلم الناس إلى المجد فى العصر الحديث هو العلم كما يقول شوقى :

كل يوم آيـــة دلت على ... أن للعـــلم القوى والغلبا
لو بنـوا فوق السها مملكة ... لوجدت العلم فيهـــا الطنبا
سلم الناس إلى المجـــد إذا ... طلبوا سلمـــه والسببا

أما أبو تمام فيرى أن المعالى من غير شعر كالأرض لا معالم فيهـا :

وإن العلا مالم ير الشعر بينها ... لكالأرض غفلا ليس فيها معالم
وما هو إلا القول يسرى فيغتدى ... له غرر فى أوجـــه ومواسم

ويرتفع المتنبى بالشعر فوق الجبال ، ويطير به عبر البحار إذ يقـول :

قواف إذا سرن عن مقولى ... وثبن الجبال، وخضن البحارا

ويقول عن شعره أيضا :

إن هذا الشعر فى الشعر ملك ... سار ، فهو الشمس والدنيا فلك

ومن طلب المعالى فليشعر لها وليسهر الليالى ، هـكذا يرى عبد الله فـكرى :

إذا نام غر فى دجى الليل فاسهر ... وقم للمعالى والعـوالى وشمر
وخل أحاديث الأمانى فإنها ... علالة نفس العاجز المتحير

ولن تحط الأحداث من قدر رجل عالى الهمة كمحمود صفوت الساعاتى إذ يقول :

ماذا تريد الحادثات من امرئ ... من جنده الشعراء والأمراء
دعها تعد كما تريد شـبا كما ... فلربما علقت بهـا العنقاء

ومنها :

أتحط قدرى الحادثات وهمتى ... من دونها المريخ والجوزاء

ومنهـا :

أنا والمعـالى عاشقان وطالما ... وعد الحبيب فعاقه الرقباء

ويلتقى الشيخ طنطاوى جوهرى مع الساعاتى فى أن الأول عاشق المعالى والآخر محب المعالى . وكذلك يلتقى مع عبد الله فـكرى فى التوسل إلى المعالى بسهر الليالى ، وإن كان يربى عليهما بالتحليق إلى آفاق أسمى وأرجاء أرحب ، يقول :

محب المعـالى فى معاليه يسهر ... وذو الشوق فى العلياء يصـبو ويصبر
ألا إنما المجـد المؤثل والمنى ... بأن تشرئبوا للعلا وتشمروا
ولا تقتصر إن رمت عزا ورفعة ... على الرتب الدنيا فنفسك أكبر
فسافر لنيل المجـــد فى كل فدفد ... ولو كانت الأسـفار بالحتف تسفر
هى النفس فلتصرف عنان جوادها ... إلى قمـة الأفلاك إذ هى أجـدر
وخاطر ببذل الروح فى كل صولة ... فنقد المنايا فى المنى ليس يكبر
ولم ينل العلياء من خار عزمه ... إذا نابـه أمر يـذل ويضجر

وهو القائل :

أف لمن نام والعليـاء ترمقه ... كم حسرة تمتريه حين يختطف

وقال كعب بن سعد الغنوى لابنه :

اعمد لما تعلو فما لك بالذى ... لا تستطيع من الأمور يدان

ترى من هـذا كيف أن معالى الأمور شغلت الشعراء قديما وحديثا ، ولئن اختلفوا واتفقوا على وسيلة إدراكها ، فما ذلك إلا دليل كبير على الحيوية الإنسانية فى الشعر العربى ، والارتفاع بالنفس الخبيرة المجربة عن التقليد ، فإذا كل واحد يختط سبيله إلى العلا حرا من كل قيد ، مما يجعل للشخصية العربية الشاعرة أصالة وثقافة ممتازتين

وليس أدل على هـذا من عرض مواطن القوة عند شاعرين

بينهما من الزمن ما يكاد يقارب الألف من السنين . وهما المتنبي والبارودي :

أما المتنبي فقد تشربت نفسه المعالي في كل أمر حتى لا يطالعنا من شعره بيت إلا بالمعاني الخالدة من مغامرة وسماحة وعلو همة وكبح جماح . يقول :

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم
والله إني لأخو همة ... تسمو إلى المجد ولا تفتر
لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي
ودهر ناسه ناس صغار ... وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام
أي محل أرتقي ... أي عظيم أتقي
وكل ما قد خلق الله ... وما لم يخلق
محتقر في همتي ... كشعرة في مفرق
لا أشرئب إلى ما لم يفت طمعا ... ولا أبيت على ما فات حسرانا
في سعة الخافقين مضطرب ... وفي بلاد من أختها بدل
وترى الفتوة والمروءة والأبوة ... في كل مليحة ضراتها
هن الثلاث المانعاتي لذتي ... في خلوتي، لا الخوف من تبعاتها
وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام

ولا شك أن هذه الأبيات المختلفة وزنا وقافية وقصيدا إنما تنتظم كلها في عقد فريد للمتنبي ، لا بأس من أن نطلق عليه « عقد المعالي » ، لأن عمدة الشعراء بتجاربه في الحياة وتأملاته في المعالي إنما يشغل سمع الزمن ، مهما تغيرت النظرات ، كما أنه شاعر إنساني درج عاليا في سلم النشوء والارتقاء إلى أعلى القمم

وهل من المعقول أن نجد تناقضا بين نفسية البارودي وحياته ، حين نقارن بين البواعث والآثار . وهو الشاعر الفارس الوزير ، ورئيس الوزراء ، بل وهو الذي نفي بسبب الثورة العرابية التي اتقدت نيرانها من مشاعل الوطنية مما يفخر به شعب أبي مترفع كالشعب المصري الذي أطلع أمثال البارودي رب السيف والقلم . قال :

ولي شيمة تأبى الدنايا وعزمة ... ترد لهام الجيش وهو يمور
إذا سرت فالأرض التي نحن فوقها ... مراد لمهري والمعاقل دور
فلا عجب إن لم يصرني منزل ... فليس لعقبان الهواء وكور
همامة نفس ليس ينقى ركابها ... رواح على طول المدى وبكور
معودة ألا تكف عنانها ... عن الجد إلا أن تتم أمور
لها من وراء الغيب أذن سميعة ... وعين ترى ما لا يراه بصير
وأصبحت محسود الجلال كأنني ... على كل نفس في الزمان أمير
إذا صلت كف الدهر من غلوائه ... وإن قلت غصت بالقلوب صدور
ملكت مقاليد الكلام وحكمة ... لها كوكب فخم الضياء منير

وقال :

وإني امرؤ لولا العوائق أذعنت ... لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الغر الذين سيوفهم ... لها في حواشي كل داجية فجر
إذا استل منهم سيد غرب سيفه ... تفزعت الأفلاك والتفت الدهر
لهم عمد مرفوعة ومعاقل ... وألوية حمر وأفنية خضر
ونار لها في كل شرق ومغرب ... لمدرج الظلماء ألسنة حمر
تمد يدا نحو السماء خضيبة ... تصافحها الشعرى ويلثمها النسر

ويقول :

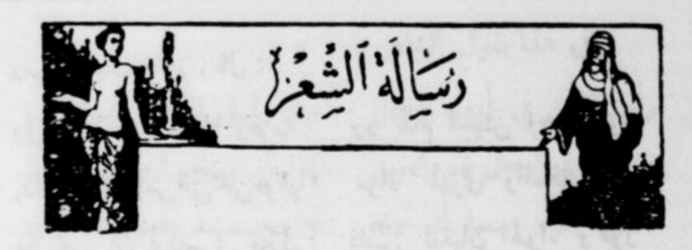
وما بي من فقر لدنيا وإنما ... طلاب العلا مجد وإن كان لي مجد
ومن كان ذا نفس كنفسي تصدعت ... لعزته الدنيا وذلت له الأسد

ويقول :

وما أنا ممن تأسر الخمر لبه ... ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخو هم إذا ما ترجحت ... به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية ... لها بين أطراف الأسنة مطلب
لها غدوات يتبع الوحش ظلها ... وتغدو على آثارها الطير تنعب
همامة نفس أصغرت كل مأرب ... فكلفت الأيام ما ليس يوهب
ومن تكن العلياء همة نفسه ... فكل الذي يلقاه فيها محبب
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة ... لدي يدا أغضي لها حين يغضب
أسير على نهج يرى الناس غيره ... لكل امرئ فيما يحاول مذهب

ـ للكلام صلة ـ

محمد محمود زيتونه



انتظـــــار

للأستاذ محيي الدين فارس

عد يا حبيبي إنني أنا في انتظارك .. في الخميله
أرعى خيالك عابرا في الوهم .. في الذكر الجميله
أرنو إلى الأفق البعيد .. إلى مغانيك الظليله !
كالناسك اللهفان يخشع في محاريب الفضيله
طال انتظاري ههنا والليل قد أرخى سدوله

* * *

عد يا حبيبي إنني أنا ههنا منذ الصباح
أغدو على شوك الرؤى وأروح مهتاج الجناح
قلبي ! فراشتك التي لعبت بها أيدي الرياح
شفق الغروب جوانحي أواه .. ! دامية الجراح

* * *

أرعى نجوم الليل يا حسناء بالجفن القريح
ولعاطر الأنسام كم أستاف ؟ علك أن تفوحي !
يا زهرة في جنة الأحلام .. يا محراب روحي
رانت على شفقي أطياف من الأمل الجريح

* * *

والبدر رقرق ضوءه حولي .. يسائل من أنا ؟
متلهف النجوى ، رقيق الخطو ، حيران السنا
فكأنه روح الحنان على جراحي هيمنا ..
وأنا هنا طيف الشتاء حرمته خمر المنى

* * *

سحرتك موسيقى الحياة .. هناك . في الروض النضير
فاستتور في ظل المناجاة ، والرغادة ، والحبور
فأنا هنا في مجهل النسيان ، في الليل الضرير
ظمآن ! والنبع الرغيب بثغرك الحلو الصغير

* * *

وإذا النسائم أرقصت قلب الخمائل والزهور
وتعانقت خضر الغصون تذيع مكنون العطور
وتواثبت فوق المروج ، وفي السموات الطيور
أومضت في قلبي — مجنحة الشذى . طفلا غرير !

* * *

لا تسأليني إذ تلوح على أشباح المنون
أنت التي أضرمت نار الحب في قلبي الطعين
وأثرت شجو الليل في دنياي .. والسر الدفين !
وتركتني نهب العواصف في متاهات السنين

* * *

أترعت كأسي في صحاري العمر من خمر العذاب
وجملت زادي من لظى الحرمان .. من دمع الشباب
وصنعت لي قيدا من الشوق العنيف من الضباب
فبكيت في حان الظلام كأنني شكوى التراب !

* * *

ولى الصباح .. وها هو الليل الكئيب على البطاح
وأنا هنا .. في هوله الجبار حيران الجراح ..
حتام أحرق مهجتي بالشوق يا ألق الصباح
هذا سراج العمر سوف تغوله هوج الرياح !

* * *

عد يا حبيبي إنني أنا في انتظارك .. في الخميله
أرعى خيالك عابرا في الوهم .. في الذكر الجميله
أرنو إلى الأفق البعيد إلى مغانيك الظليله
كالناسك اللهفان يخشع في محاريب الفضيله
طال انتظاري ههنا والليل قد أرخى سدوله

محيي الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الفن للفن

تلقيت من صديقي الشاعر العراقي الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري، رسالة من رسائله التي يتفضل بكتابتها إلى يناقشني ويحدثني بها عن شؤون أدبية، يجر فيها الحديث إلى الحديث، ويقدح الفكر زناد الفكر. والرسالة الأخيرة فيما يلي، بعد حذف التحيات المشكورات:

«كنت في انتظار رأيك في قصيدتي: «ابن حمديس الصقلي» و «قبرة شيلي» تلك التي أشرت إليها في أعداد الرسالة الماضية، أقول كنت في انتظار ما ذكرت عندما طلعت علينا الرسالة الحبيبة تحمل مقالك «الأدب والفن في أسبوع» وبه كلمتك عن «الريفيرا المصرية» وفيه تترك وصف شروق الشمس وغروبها والبحر والرمل للشعراء. وكنت في الصيف الماضي قد زرت الإسكندرية وقضيت وقتا طيبا على البحر وشاهدت مفاتن الرمل والسابحات إبان عودتي من باريس في الطريق إلى بغداد، وبقيت تلك الذكريات أو تلك المناظر مخزونة في فكري، وكانت تراودني من حين لآخر كما تراود الأطياف مخيلة النائم، وكنت أود أن أرسم تلك الألواح على صفحة الشعر، ولكن مشاغل الحياة المتنى، إلى ان قرأت دعوتك وأنا في انتظار رأيك فيها، وثق بأنني واسع الصدر لكل ماتبديه من آراء. هذا وأريد أن أقول إن المصايف المصرية تنقصها الدعاية، لتقصير الجهات المسئولة، ولعل هذه الجهات تنشط لتلك الدعاية بوساطة الصحف والإذاعة، ثم مايضرها لو وضعت عدة جوائز للشعراء الذين يصفون تلك الأماكن.. أنا أقترح ذلك ولست أدري أتستجيب الدولة لهذه الفكرة أم لا

أخي، قبل أن ألقي القلم أهمس في أذنك.. أن بعض المتخلفين عن الركب الذين يسوؤهم أن أنال المجد والشهرة في هذه السن، يقولون إن الناصري ليس بشعبي، لأنه يعبر عن عواطفه، وهو يعيش في برج عاجي، لأن شعره كله غزل وغناء، فهل يضرني هذا القول يا كاتب «الأدب والفن في أسبوع»؟ إنني أريد أن أتفرغ لهذا اللون من الشعر

إن الشعر العربي لم يجد شاعرا غنائيا بعد امرئ القيس حتى الآن غير المرحوم علي محمود طه، وقدمات شاعر الجندول فلم لا أكون أنا في مكانه؟! ثم ماذا يريد مني أولئك الذين ينعتونني بعدم الشعبية؟ وهل من الضروري أن ينزل الشاعر إلى مستوى العامة وكلهم أميون؟ إن على الشعب أن يثقف نفسه ليفهم الشاعر، إن اللغة التي أنظم بها لغة القرآن ولغة العرب، وأنا على هذا الأساس لا أحسن اللغة العامية لأنظم بها حتى يفهم الرعاع. أما الشعر السياسي، فأنا لا أحسنه أيضا لأنه شعر الأقذار والدس والنفاق، ولا أريد أن أنحط إلى مستواه، ثم إنني أعتز بنظرية الفن للفن. هذا هو رأيي، فهل توافقني يا أخي الحبيب؟»

لم تواتِ الفرصة بعد للنظر في قصيدتي شيلي وابن حمديس وأرجو أن يكون ذلك قريبا. لن تستجيب الدولة إلى اقتراحك يا أخي، فدون ذلك كثير مما لا تهتم به.. أما قصيدتك فقد دفعت بها إلى أستاذنا الزيات بك، ولعلها الآن قد أخذت طريقها إلى مطبعة الرسالة، وهي قصيدة جيدة في بابها «العاجي» وإني أعتمد على الله وعلى سعة صدرك التي أحمدها لك، فأصارحك بأنني أصبحت لا أميل إلى هذا اللون من الشعر إلا إذا ارتفع إلى قمة الخواطر الإنسانية الرفيعة، فأنا أرى أن أكثر ما يقال من الشعر في التعبير عن العواطف الفردية لا يهم إلا صاحبه..

إنك يا أخي «غير شعبي» لأنك شاعر غنائي، عاجي باعترافك فلماذا تتهم من يصفك بصفاتك..؟ وما دمت تحس بدافعك إلى هذا الاتجاه فمن العبث أن يلويك عنه أحد.. وما دمت لا تريد أن تشارك الجماعة مشاعرها فأنت وما تريد.. غير أنه لا ينبغي لك أن تلوم الشعب على أن لا صدى لشعرك فيه، أنت تعرض عنه وهو وهو يعرض عنك، وليست المسألة مسألة ثقافة وتعليم وإنما هو

اتجاه يوافق أو لا يوافق ، وليست المسألة أيضاً مسألة لغة عربية أو عامية ، فمن الواضح أن الدعوة إلى اتصال الأدب بالحياة وعنايته بإحساس الجماعة ومسائلها ، ليس معناها القول بالعامية . وما يضر الشعر إذا عالج التوجيه السياسي لمحارب ما في السياسة من الأقذار والدس والنفاق ؟

واست أريد أن أسترسل قبل أن أبدى العجب من قولك إن الشعر العربي لم يجد شاعراً غنائياً بعد امرئ القيس إلا على محمود طه !

ماذا أبقيت إذن للشعر العربي ؟ هل أنا في حاجة إلى أن أقول لك إن الشعر العربي في مجموعه غنائي من امرئ القيس إلى الناصري ..؟

وكن يا أخي مكان على طه .. ولكن يجب أن نعلم أن على طه نزل إلى الشعب وتغنى بإحساسه في أروع قصائده كالقصيدة التي خلد بها أبطال الفلوجة وقصيدة « أخي أيها العربي » التي غناها عبد الوهاب

وكيف تسألني الموافقة على رأيك ذاك وكتابتي — إن كانت تنال شرف تتبعك لها — تدل على أنني من أنصار الدعوة إلى اتصال الأدب بالحياة الواقعية الجارية ؟ وبعض الناس يسيء فهم هذه الدعوة ، فيظن غايتها الكتابة العلمية أو الصحفية المجردة من الجمال الفني . كلا ، إننا نبغى أن يتناول الأديب صورة الحياة الشعبية ويعنى بإنسانها وصوالحه ، بعد أن يخالطها بنفسه ويمزجها بشعوره ، ويمسها بعصا فنه السحرية ، فيخرجها أدباً حياً جميلاً ، ينفع ويمتع . كل ذلك ولا يخرج الإنتاج عن أن يكون فناً ، ولم نجعل الفن جمالاً فارغاً ؟ أليس الأحسن أن يخرج جماله بالتوجيه والتسديد ؟ ثم ما هو معنى « الفن للفن » هل هو أن تكون غاية الإنتاج الفني الجمال الذي لا شيء وراءه ؟ إذا كان كذلك فإننا ندع أصحابه وشأنهم ، يقولون ما يريدون ويقرأ لهم من يحب قراءتهم ، كما ندع « هواة طوابع البريد » مثلاً . لكل امرئ شأن يغنيه . ولا أحب أن نذهب في ذلك مذهب السوفيتيين من حيث فرض الاتجاه ، كما عرض لنا ذلك الأستاذ عمر حليق في مقاله القيم « الدولة والأدب في الاتحاد السوفيتي » فليكن عندنا ذلك اللون العاجي ما دام فينا من يريده من المتجين والمستهلكين

كشكول الأسبوع

□ افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، دورته الحالية يوم الاثنين أول أكتوبر الحالي ، وقد قرر تأليف لجنة من الأساتذة أحمد حسن الزيات بك والدكتور أحمد أمين بك والدكتور إبراهيم بيومي مدكور ، لتنظيم أعمال مؤتمر المجمع القادم وتحديد موعده ، ونظر مجلس المجمع أيضاً في طائفة من المصطلحات الطبية المعروضة عليه

□ أعدت وزارة الخارجية مذكرة في موضوع إنشاء معهد للدراسات العربية في الباكستان ، لعرضها على مجلس الوزراء في اجتماعه القادم ، وقد تضمنت هذه المذكرة موافقة الوزارة على اشتراك مصر في إنشاء هذا المعهد

□ جاء من كراتشي أن الجمعية الثقافية العربية الباكستانية قررت إصدار مجلة باللغة العربية السهلة لنشر اللغة العربية في الباكستان

□ انفض مؤتمر المستشرقين الذي انعقد باستنبول ، ومن أهم قراراته إنشاء اتحاد دولي للمستشرقين إلى جانب الاتحاد الدولي للعلوم والفلسفة بباريس ، ووضع كتاب يضم أسماء المخطوطات التي تهم الدول الإسلامية والشرقية . وقد أثار المؤتمر فكرة إنشاء مركز للدراسات الاسلامية في إحدى العواصم العربية كالقاهرة

□ اقترحت العراق على جامعة الدول العربية أن تطالب بجعل اللغة العربية من اللغات الرسمية في منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة . وقد بحثت اللجنة السياسية للجامعة هذا الاقتراح في اجتماعها الأخير ، ولا يزال الموضوع قيد البحث

□ وصلتني من العراق مجموعة قصص صغيرة للأديب العراقي الأستاذ عبد الله نيازي ، وقد لمحت فيها مخايل فنية تدل على استعداد قصصي حسبنا أن يتأنى صاحبه ليستجمع جهداً أكبر

□ نعم أن مجلس نقابة ممثلي المسرح والسينما ، قرر إنشاء مكتبة للنقابة ، والغريب في هذا الخبر أن النقابة ليس لها مكتبة إلى الآن . .

وإذا اعتبرنا الأدب المتصل بالحياة الواقعية فنا، وهو كذلك، فإن الكلمة القائلة « الفن للفن » تنطبق عليه أيضاً، فهو فن ينشأ لأنه فن .. ولم تخرجه موضوعيته الحيوية عن فنيته . وعلى هذا التفسير يمكن أن تقبل هذه القضية ، وليكن الفن للفن

ولم يعجبني منك يا أخي أن تزدري الشعب، إن الناس في طريق التعلم ولا بد أن يدنو الأدب منهم ليدنو منه ، فليلتقوا به في منتصف الطريق ، يرون به صورهم ويلمسون فيه اهتمامه بهم ونحن من صميم هذا الشعب ، ولا ينبغي أن يبعدنا عنه ما أصبنا من أدب وعلم وثقافة ، وقد قام فعلا أدباء من صميم الشعب وضاقوا بجهالته وأعرضوا عنه ، ولكننا الآن في طريق جديد ، هو الاهتمام بهذا الشعب والأخذ بيده في مختلف نواحي الحياة ، فلم لا يكون الأدب كذلك من وسائل ترقيته ، بل لم لا يكون هو اللسان المعبر عن النهضة الشعبية في جميع نواحيها ؟

ذلك ياصديقي الكريم ولك الشكر على رحابة صدرك السالفة والمتوقعة ، ولك أيضاً خالص المودة وعاطر التحية . .

الواقعية والتاريخ :

ومن اتصال الأدب بالحياة الواقعة التصوير الفني للتاريخ مرتبطا بالواقع ، ومن أمثلة ذلك في الشعر قصيدة للاستاذ محمود حسن إسماعيل قالها بمناسبة العام الهجري الجديد ، وقد نشرت « الأهرام » جزءاً منها ، قرأته فأعجبت باتجاهه الواقعي في تصوير حالنا وموقفنا من الغاصبين ، ويعجبني أيضاً من محمود إسماعيل ما أخذ به أخيراً من الوضوح واستعمال التعبير الناصع ، ومن قصيدته تلك قوله :

جئناك نحمل حيرة الظلماء ... فاسكب لنا قبساً من الأضواء
وارحم ضلال التائهين بأرضهم ... فهمو أحق برحمة الغرباء
أوطانهم ! لكنهم في ظلها ... ضاعوا ، بلا ثمر ولا أفياء
متكابرين على جراح بلادهم ... متدابرين لسطوة الدخلاء
متناهشين على عَرق حالم ... وهوانه في ألسن الأعداء
يتراشقون ، وقيدهم متربص ... نفثات قبضته من الشحناء
نفث الدخيل بهم سموم سياسة ... يدرى الدهاة سطورها في الماء

توبيخ ابن الرومي في الإذاعة :

سمعت يوم الأربعاء الماضي « برنامجاً خاصاً عن ابن الرومي » من محطة الإذاعة المصرية ضمن البرنامج المدرسي الصباحي ، وابتدأ البرنامج بحوار بين ابن الرومي وبين التاريخ يمثل كلا منهما رجل ممن يمثلون في الإذاعة

وقد كنت أتوقع — بحسن ظني — أن يعرض هذا البرنامج المدرسي طائفة جديدة سهلة من شعر ابن الرومي ، ويبين دقائقها ورقائقها ، ويدنيها من أفهام المستمعين وخاصة الطلبة ، ولكن سرعان ما تبين لي خطأ حسن الظن بما تذيعه محطتنا ولا سيما في الأدب ، على قلته في براجها . .

شغل أكثر الوقت في برنامج ابن الرومي بذلك الحوار بين الشاعر الذي لم ينل حقه من التقدير في زمنه ، وبين التاريخ الذي لم يكد يحفل به ، ولم يكف التاريخ أن استهان بابن الرومي أو لم يكف الإذاعة المصرية ذلك ، فألبت عليه التاريخ ممثلا فيها فجعل يلقي على الشاعر درساً طويلا ملآه بالتقريع والتوبيخ . . لماذا ؟ لأنه لم يكن دساساً وكاذباً ومنافقاً على شاكلة أهل عصره الذين تقدمت بهم هذه الصفات واهتم بهم التاريخ ! وكان صوت ابن الرومي خافضاً وحجته واهنة أمام التاريخ الجبار . . فكلما تذرع الشاعر المسكين بفنه ووجدانه سخر به التاريخ . .

وإني أسأل : ما هدف ذلك ؟ أهو درس للنشء في الأخلاق والصفات التي تؤدي إلى النجاح في الحياة . . أم هو درس في الأدب وقد خلا من الأدب ؟!

عباس خضر



الشيوعية على حقيقتها

تأليف عمر بك الإسكندري

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

مؤلف هذا الكتاب أستاذ قديم ، غنى عن التعريف به ، هو الأستاذ عمر بك الإسكندرى ، شقيق المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى ، فقيد العالم العربى والإسلامى على السواء . .

وعمر بك رجل لم يعرف فى حياته غير الجد والعمل ، والإخلاص والسعى ، فأمكنه أن يستفيد من كل لحظة من لحظات حياته ، وشغله العلم وجلاله ، عن السياسة وسلطانها الغالب ، وزخرفها الكاذب

زاول التدريس شابا فى معاهده الثانوية والعالية ، فأقبل على العلم يستزيد منه ، وينهل من مناهله ، ويغترف من بحاره ما وسعه الاغتراف : فألف فى التاريخ كتابيه تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى ، وتاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى العصر الحديث — فى وقت لم يكن من السهل التأليف فى التاريخ . ثم ارتقى فى مناصب التعليم الإدارية ، حتى آثر الراحة والهدوء ، فطلب إحالته إلى المعاش قبل السن القانونية ، فأجيب إلى طلبه . . ولكن المرحوم النقراشى باشا لم يعفه من العمل والجد ، فأسند إليه ترجمة كل ما تصل إليه وزارة الداخلية من نشرات خاصة عن الشيوعية — لما يعهده فيه من اقتدار على الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية ، وبصيرة بدقائق هاتين اللغتين ، فقام بما عهد إليه خير قيام ، وكان من نتيجة ذلك هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القراء . .

ولقد ضل كثير من الناس ، وبخاصة فى مصر — فى فهم حقيقة الشيوعية ومبادئها وأغراضها وأهدافها القومية والبعيدة ، وطرائق الحكم والمعيشة فى البلاد الواقعة تحت سلطانها ، واتجاهات أبنائها الفكرية والدينية ، والخلقية والاجتماعية ، واعتقدوا أنها السبيل إلى الحياة الرخية والمعيشة الراضية السعيدة ، التى تصل بالبشرية إلى الغاية المنشودة ، والأمل المرجو . ذلك أن كل مايعرفه هؤلاء عن الشيوعية أنها تسوى بين الناس جميعا على اختلاف طبقاتهم فى مستوى المعيشة ، وانتزاع ثروات الأغنياء ، وتوزيعها على الفقراء من أفراد الشعب ، بحيث لا يكون هناك غنى ولا فقير ، ولهذا فكل من اعتقد هذا يمنى نفسه بذلك اليوم الذى تبسط فيه الشيوعية رواقها على بلاده ، ليصبح سعيداً منعما ، بعد طول الكد والكفاح ، والشقوة والنضال . !

ويسود هذا الرأى بين طبقات العمال بخاصة ، أما أهل الريف فأكثرهم بمنجاة منه ولله الحمد ، فلا يزال فيهم بقية من دين وإيمان ، وصلاح وتقوى ، يعصمهم كل أولئك من هذه العقائد ، أو بمعنى أدق من هذه الأخطار ، ولعل السبب فى ذلك أنهم لم تتح لهم الفرص لأجتلاء غوامض هذه الموضوعات ، ولا مبهمات مسائلها وأهدافها . .

وقد أتيحت الفرصة للمؤلف الكبير أن يطلع على الآراء والمذاهب الشيوعية فى أمهات كتب الشيوعيين وغيرهم من مؤلفات الأجانب ، كما اطلع على آراء فيلسوف الشرق ، السيد جمال الدين الأفغانى عن الشيوعية فى رسالته الخالدة (الرد على الدهريين) التى ترجمها من الفارسية إلى العربية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

والكتاب مكون من مقدمة فى خطر الأوهام الشيوعية ، وأن الدسائس والأقاويل وما ينبنى عليها من وعود ، هى التى مهدت لقادة الحركة الشيوعية الأولى فى روسيا السبيل للاستيلاء على عقول اللايين من العمال والفلاحين ، فانقادوا لهم ، وانساقوا وراءهم ، واستماتوا فى الكفاح معهم لنيل ما قالوا إنه مرتع الحرية ومنبت النعيم ، حتى تم لهم ما أرادوه فى قرارة نفوسهم من قلب نظام الحكم فى بلادهم والاستئثار بالسلطة فيها — وستة فصول : يتناول الفصل الأول منها نشأة الشيوعية الحديثة وظروف انتشارها فى روسيا دون غيرها ، وقد ساعد على رواج هذه المبادئ فى روسيا تفشى الجهل وتشذيب الملايين من أهلها . واشتداد تذمرهم من الحكم القيصرى الذى لم يكد التاريخ يرى أشد منه ظلما

وقسوة أو كبتا للحرية .. يتجلى ذلك في الحادثة المشهورة التي سبقت الثورة الروسية الأولى سنة ١٩٠٥ كما ذكرها تاريخ الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي (البلشفيك) حينما أضرب العمال يوم ٣ يناير سنة ١٩٠٥ في مدينة بطرسبورج، فقررت الحكومة القضاء على الحركة بالقوة، ودست على الثوار قسا يدعى (جابون) فأفهمهم أن خير وسيلة لنيل مطالبهم أن يجتمعوا يوم ٩ يناير ويسيروا في موكب هادئ حاملين أعلام الكنيسة وصور القيصر إلى قصر الشتاء حيث يقدمون للقيصر عريضة بمطالبهم، وسار موكبهم صبيحة ذلك اليوم كما أراد القس ومعهم نساؤهم وأطفالهم حتى بلغ عدد الجميع مائة وأربعين ألف نفس، فما كان من القيصر (نيقولا الثاني) إلا أن أصدر أمره بإطلاق النار على هذا الحشد الحاشد، والجمع الزاخر، فمات منهم ما يزيد على الألف، وجرح أكثر من ألفين، حتى جرت الدماء أنهارا في شوارع بطرسبورج

ومن هنا استغل البلشفيك، وهم الأكثرية المتطرفة من الشيوعيين، هذه الحادثة حيث كانوا يسيرون في الموكب، وقتل بعضهم وقبض على البعض الآخر، فأفهموا فيما بعد العمال أنهم مخدوعون في القيصر ورجاله، وأن خلاصهم مما يعانون لا يكون إلا عن طريق القوة المسلحة ..!!

ويتناول الفصل الثاني من الكتاب مجالة في تاريخ نشأة الشيوعية في روسيا وتطورها إلى ابتداء الحكم الشيوعي . وكيف كان الشيوعيون الروس في أول أمرهم ينتمون إلى دوائر وهيئات (ماركسية) سرية صغيرة نبتت في البلاد تباعا، وكانت أقدمها (هيئة تحرير العمال) التي تألفت عام ١٨٨٣، ألفها (بليخانوف) أحد أعضاء الهيئات الثورية القديمة التي كانت تعمل في روسيا سرا قبل أن تعرف (الماركسية) وفي ١٨٩٥ أسس (لينين) (عصبة سان بطرسبورج الكفاحية لتحرير طبقة العمال) ووحد فيها جميع دوائر العمال الماركسية بالمدينة، ويعتبر لينين أبو الشيوعية المتطرفة في روسيا، وأكبر حاقد على الحكومة القيصرية !!

وقد اغتنم البلشفيك فرصة الاستياء من القيصر لهزيمة الجيوش الروسية في الحرب العالمية الأولى، فأعلنوا ثورتهم يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٧ وظلوا في نشاطهم حتى تم لهم قلب الحكومة المؤقتة في يوم واحد، يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٧ وفي المساء عقد مؤتمر عام لمجالس السوفييت، فصار هذا منذ تلك اللحظة أساس نظام الحكم في روسيا، وألف المؤتمر أول حكومة اشتراكية سوفييتية في روسيا وجعل إدارتها في يد مجلس يسمى (مجلس مندوبي الشعب) وأسندت رياسته إلى (لينين)

وتحدث الأستاذ الكبير في الفصل الثالث عن سير الحكم الشيوعي في روسيا من الوجهة الاقتصادية، وموت (لينين) في هذه الأثناء، وترشيح (ستالين) لرياسة الحزب خلفا منه، وفي الفصل الرابع عن الحالة السياسية والاجتماعية نقلا عن كتاب الشيوعية في ميدان العمل، وهو مصور معتمد من مجلس نواب الولايات المتحدة كمستند رسمي من مستندات المجلس، وقد تم وضعه على أن يكون خاليا من التحيز، حاويا للمحاسن والمساوئ معا، ولا أدل على أنه قد حقق ذلك ما يحويه من آراء عن الدفاع الوطني، واعتراف بما يبذله الشيوعيون في سبيل نهضة التعليم من مجهودات تؤتي ثمارها حسب سياسة موضوعة، ثم كيف يستغلون أوقات الفراغ فيما ينفع ويفيد، باعتبار أن قضاء الفرد لأوقات فراغه على الوجه الصحيح من مستلزمات نمو ثقافته وتحسين حالته الصحية، وأن الواجب على كل مواطن أن يكون دائما على استعداد لعمله وللدفاع الوطني، وهذا الاستعداد يكفله إلى حد كبير قضاء الجماعات لأوقات فراغهم مجتمعين، وبالطريقة المثمرة التي تمد لهم بإشراف الحكومة والحزب الشيوعي ..!!

وتناول الفصل الخامس الشيوعية قديما وحديثا، والسادس السياسة السوفييتية الحاضرة، ومن هذا نرى قيمة هذه الموضوعات الهامة، وحاجة المجتمع إلى دراستها بإنعام نظر، وحسن تدبير، والوقوف على حقيقتها، وتبين أوجه الإنصاف فيها ..

وما أحوج المجتمع المصري بخاصة، والبلاد العربية بعامة، إلى هذا النوع من الدراسات، حتى يكونوا على بينة من أمرهم في كل ما يحيط بهم من أخطار وشرور، ويذيع فيهم من أفكار وآراء ..

عبد الحفيظ أبو السعود
المدرس بالمدارس الثانوية الأميرية



تحقيق نسبة أبيات — لفضل الشاعرة ، لا لعلى بن الجهم :

ذكرت فى كتابى « ملامح من المجتمع العربى » الذى صدر فى سلسلة « اقرأ » الأبيات السينية التالية ونسبتها — معتمدا على أوثق المصادر وأصحها — إلى الشاعرة « فضل » المجودة للشعر فى عصر المتوكل العباسى . والأبيات هى :

لأكتمن الذى بالقلب من حرق ... حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه ... إن الشكاة لمن تهوى هى الياس
ولا أبوح بشئ كنت أكتمه ... عند الجلوس إذا ما دارت الكاس

ولكن الأستاذ عبد العليم على محمود استدرك فى العدد ٩٥١ من « الرسالة » الغراء ، ذاكراً أنه وجد الأبيات بعينها فى كتاب « المنتخب » منسوبة للشاعر على بن الجهم . ثم ذكر الأستاذ فى خلال تحقيقه طبعة هذا الكتاب المدرسى بالمطبعة الأميرية ، كما ذكر أسماء « العلماء الأجلة طه باشا والسكندرى رحمه الله وأحمد بك أمين وغيرهم »

وليس طبع هذا المنتخب المدرسى فى المطبعة الأميرية ، وإشراف هؤلاء العلماء الأجلة على جمعه وترتيبه بمانعنا من أن نقول إن نسبة هذه الأبيات لعلى بن الجهم هى من باب الوهم الذى يجب أن يصحح

ولا نقول هذا القول من غير دليل . . فى الجزء العاشر من الأغانى طبعة دار الكتب المصرية ص ٢١٤ وفى أخبار على ابن الجهم بالذات قصة الشاعرة « فضل » التى أمرتها الجارية « قبيحة » جارية الخليفة المتوكل أن تقول أبياتا عنها فى وصف حكاية حال لها مع المتوكل . فخرجت « فضل » الشاعرة إلى المتوكل بهذه الأبيات السينية التى قالتها ، فقرأها المتوكل وقال لها : « أحسنت يا فضل ! » وأمر لها ولابن الجهم بعشرين ألف درهم ، لأن ابن الجهم كان قد صنع فى المناسبة نفسها أبياتا بائية أولها :

تنكر حال علتى الطبيب ... وقال أرى بجسمك ما يريب

ومن هنا جاء الوهم بأن الأبيات السينية هى لابن الجهم لاشتراك الشاعر والشاعرة فى مناسبة واحدة ، مع أن رواية كتاب « الأغانى » يفهم منها بدون جهد أن الأبيات للشاعرة « فضل » كما ذكرت ذلك فى كتابى « ملامح من المجتمع العربى »

على أن هناك دليلا آخر ، وهو أن ديوان « على بن الجهم » هو بين أيدينا فى طبعته الوحيدة المحققة التى أخرجها أخيرا الأستاذ الجليل خليل مردم بك ونشرها المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٤٩ عن نسخة خطية وحيدة فى العالم كله ، محفوظة فى « الإسكوريال » تحت رقم ٣٦٩ ، ومنسوخة سنة ١٠٠٢ هجرية بخط مغربى . فليس فى هذا الديوان المطبوع حديثا لابن الجهم أثر لهذه الأبيات السينية ، على الرغم مما بذله العلامة مردم بك من جهد فى إضافة أشياء من شعر ابن الجهم لم تكن فى النسخة الخطية ، ولكنه استخرجها من بطون كتب الأدب والتاريخ والتراجم مطبوعة ومخطوطة

والعجيب أننا لا نجد فى ديوان ابن الجهم وفى قافية السين إلا خمس مقطعات صغيرة ، ليس منها من بحر « البسيط » إلا اثنتان لا تعتمدان على ألف التأسيس كما تعتمد الأبيات التى للشاعرة « فضل » التى أوردتها فى كتابى ، والتى هى موضع هذا الرد

وقد فطن المرحوم الأستاذ عبد الله بك عفيفى إلى الوهم فى نسبة الأبيات إلى على بن الجهم ، فذكرها فى الجزء الثالث من كتابه « المرأة العربية » صفحة ٣٦ منسوبة إلى « فضل » الشاعرة . فأقر بذلك الأمر فى نصابه ، ووضع الأبيات موضعها الصحيح ، بل أغلى من قيمة الشاعرة فى أبياتها هذه فقال : وهل يحسن البحترى وأشباه البحترى أن يقولوا خيرا مما تقول فضل ؟ . وذكر الأبيات

على أنه بعد هذه الأدلة المادية لانرى وجها لأن تستكثر هذه الأبيات على الشاعرة « فضل » بعد ما قال عنها إبراهيم

ابن المهدى : (كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطا ، وأفصحهم كلاما ، فقلت يوما لسعيد بن حميد : أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتقيدها وتخرجها ، فقد أخذت نحوك فى الكلام وسلكت سبيلك . فقال لى وهو يضحك : ما أخيب ظنك ! ليتها تسلم منى لأخذ كلامها ورسائلها ! والله يا أخى لو أخذ أفاضل الكتاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك)

وأشكر الأستاذ الفاضل عبد العليم على محمود الذى أتاح لى أن أدافع عن مسألة كنت واثقا منها وأنا أضمها فى كتابى « ملامح من المجتمع العربى »

محمد عبد الغنى حسن

دائرة المعارف الحديثة :

الأستاذ أحمد عطية الله ، مدير متحف التعليم ، من الأساتذة المشهود لهم بوفرة الإنتاج وغزارة المادة ، فله ما يقرب من خمسة وأربعين كتابا « مطبوعا » بين مؤلف ومترجم ..! ولكنه أحيانا لا يدقق فى بعض ما يكتب وفى بعض ما يسرد من حقائق ووقائع ..!

فها هو ذا مثلا بين يدى الجزء الثامن من دائرة المعارف الحديثة التى تتولى مكتبة الأنجلو المصرية نشرها له فى أجزاء شهرية منذ ديسمبر سنة ١٩٥٠ .. فهو يقول تحت مادة « فاروق الأول » إنه « .. الابن الوحيد للملك أحمد فؤاد .. » ، مع أنه من المعروف للعامة قبل الخاصة أنه كان لجلالة الملك فاروق أخ أكبر غير شقيق هو الأمير إسماعيل ، من والده المرحوم الملك فؤاد وزوجه الأولى المرحومة الأميرة شويكار ، وقد توفى منذ زمن بعيد ، فكيف غابت هذه الحقيقة المعروفة عن الأستاذ عطية الله

ثم هو يستطرد فيذكر فى نهاية تلك الكلمة الأحداث التى تمت فى عهد الفاروق ، فيذكر بعضها ويهمل البعض الآخر ..! فهو يهتم بتسجيل اجتماع جلالة الملك فاروق بالرئيس روزفلت — على تفاهته السياسية — عام ١٩٤٥ ، إذا به يغفل مثلا زواج جلالته الأول ..

وقد يخونه التعبير عما يريد أحيانا « فيقول مثلا » فى سياق تعداد تلك الأحداث ما نصه : « .. وجلاء القوات البريطانية عن القاهرة والمدن المصرية عام ١٩٤٧ .. » ، وهو بالطبع لا يريد بـ « القاهرة والمدن المصرية » القطر المصرى برمته .!

هذا ، وما أردت بهذه الكلمة أن أقلل من قيمة هذه الدائرة الحديثة التى لا أشك أبدا فى جزيل نفعها ، ولكنى أردت أن أضرب مثلا فتناولت مادة من موادها العديدة وأشرت إلى ما أشرت إليه ليتداركه ويتدارك أمثاله الأستاذ المؤلف فى الطبعات المقبلة إن شاء الله

بورسعيد — محمد عثمان محمد

رد على نقد :

فى البريد الأدبى العدد ٩٤٩ يتساءل الأستاذ كيلانى حسن سند عن كلمة سوسان الواردة فى قصيدة للفيتورى يقول :

« أما كلمة « سوسان » فلا أعرف إلا السوسن فقط فلعل القافية هي التي جاءت بهذه الألف . ولعلها لغة فيها والشاعر هو الذى يستطيع أن يفيدنا ذلك . والقاموس لم يذكر سوى سوسن وسوسنة »

ونقول للأستاذ إن كلمة « سوسان » وردت فى قصيدة أبى نواس التى يقول فيها :

صهباء تبنى حبابا كلما مزجت ... كأنه لؤلؤ يتلوه عقيان

كانت على عهد نوح فى سفينته ... من حر شحنتها والأرض طوفان

إلى أن يقول :

وما بها من هشيم العرب مجرفة ... ولا بها من غذاء العرب خطبان

لكن بها جلنار قد تفرعه ... آس وكله ورد وسوسان

وللأستاذ تحياتى واحترامى

صالح بيلو



ابتسامة صفراء!..

للأستاذ يوسف يعقوب حداد

لا يدرى سليم متى هاجر عمه إلى البرازيل ، ولكنه يدرى أن أمه كثيرا ما كانت تضمه إلى صدرها وهو صبي صغير ، وتهمس فى أذنيه أن عمه إبراهيم سيعود يوما ما من بلاد الخيرات ، وأنه سيحمل إليه من هناك ذهبا كثيرا ، ومالا وفيرا ، ويعيشا بعد ذلك عيشا سعيدا ، هنيا !

ولقد شب سليم وهو يرضع هذا الأمل اللذيذ ، ويتطلع إلى أفق يتوهج فيه بريق الذهب !

لم يذهب إلى المدرسة يطلب فيها العلم ، ولم يبحث لنفسه عن عمل يعيش منه ، فعمه إبراهيم سيعود بالذهب الوهاج ذات يوم ، وعندئذ سيتقلب على بساط النعيم ، ويعب من متع الدنيا !.. وماذا يضيره لو ان امه غسلت اليوم ملابس الناس ، وخبزت لهم الخبز وتحملت بذلك شيئا كثيرا من نكد الدنيا وتعب الحياة ؟!

شب سليم عن الطوق ، واشتد ساعده ... وهو كلما كبر جسده وانفتل عضله . تضخم فى رأسه الأجوف ذاك الأمل الضاحك الذى أرضعته إياه أمه ، واشتد فى أفق حياته الساذجة بريق الذهب الذى سيعود به عمه أبو خليل ... من البرازيل !

ولكن الأيام مضت يلتهم بعضها بعضاً ، والأعوام تتابعت يسابق بعضها بعضا ، ولا خبر من العم إبراهيم يطرق آذان سليم وأمه الغارقة فى مسوحها السوداء ... حتى كان ذلك اليوم من أيام الشتاء لا يزال سليم يذكره جيدا ، لأن الناس لا ينسون الأيام التى تغير مجرى حياتهم !

كان مساء ذلك اليوم البارد يجلس فى مقهى القرية يتحارب بقطع النرد على زمرة من زملائه .. ومن بعيد سمع ساعى البريد العجوز يسأل عن بيت سليم المتنبلى ، فقفز من مقعده فى غير وعى ، وجرى نحو ساعى البريد يختطف من يده الرسالة ويهرع بها إلى مختار القرية ليقرأها له !

ولا يستطيع إنسان أن يصف سعادة الفتى حين كانت الكلمات تنساب من فم المختار العجوز بصعوبة لتتسلل إلى أعماق سليم المتنبلى وتهزه هزا رفيقاً هينا؛ فيه نشوة من تحقيق أحلامه واصابة الصميم من أهدافه !

وفى دقائق معدودة ، عرف سليم وأمه ما كانا يجهلانه سنين عديدة ... فى دقائق معدودة ، عرف سليم أن عمه فى البرازيل قد أصاب ثروة كبيرة ، وأنه قد تزوج ولكن زواجه ظل عقيما ، وأن هذا العم يحتضر اليوم ويريده على عجل ليهبه نصف الثروة التى جمعها فى بلاد الغربة ... أما النصف الآخر فهو للزوجة التى شاركته الكد والتعب وجمع المال وتكديس الذهب !

واتكأ الفتى على حاجز الباخرة فى يأس وفتور ، وراحت شفتاه تتهامسان والظلام يجثم على صدر البحر كالعبء الثقيل — ولكن لماذا تقاسمنى هذه المرأة الغريبة نصف الثروة التى وعدت بها ؟!.. من أى حائط قد برزت هذه الجنسية البغيضة لتسلبنى نصف الذهب الذى انتظرته أكثر من عشرين عاما متحملا من أجل ذلك عذاب الانتظار وشظف العيش وقساوة الحياة ؟!

وافترت شفتاه عن ابتسامة صفراء خبيثة ... وسحق عقب سيجارته برأس حذائه ، ودلف إلى غرفته لينام لأول مرة منذ وصلته رسالة عمه ، نوما هادئا عميقا متواصلا !

واستقبلته فى الميناء سيارة فارهة هى سيارة العم إبراهيم ، واحتضنته فى القصر الفخم ذراعان دب فيهما دبيب الموت همسا ذراعا العم إبراهيم ، وابتسمت له شفتان ساحرتان هما شفتا زوج العم إبراهيم !..

وفى اليوم التالى ، أعدت للغداء قرب سرير العم المريض مائدة صغيرة حافلة بكل طعام شهى لذيذ ، وجلست زوجة العم

على رأس المائدة تقطع من هذا القديد وذاك الفطير ، وتضمه أمام الفتى مرحبة به مكرمة ضيافته ... وقد فات الفتى أن يغوص فى أعماق عينيها ليرى تلك النظرة الغريبة التى كانت ترمقه بها بين الحين والحين !

وقبل أن يمد سليم يده إلى الطعام ، لحظت عيناه قطة جميلة لا ترضى لها مجلسا إلا تحت قدمى زوجة العم ، فأحب الفتى أن يداعبها ويلاطفها وقد رأى زوجة عمه تمز قطتها وتعطف عليها ، فمد يده إليها بقطعة من اللحم الذى وضعته زوجة عمه فى صحنه ، فما كاد يفعل هـذا حتى ندت عن شفتى زوجة العم صيحة خافتة بدا عليها أنهـا حاولت كثيرا أن تخنقها فى فمها أو تقتلها على شفتيها ، ولـكنها كانت على ما يظهر أشد قوة وانطلاقا من أن تقاوم أو تحبس !

وارتاع الفتى للصرخة الخافتة وسقطت من يده قطعة اللحم وهوت من بين أنامله ، لا إلى الأرض كما ظن وإنمـا إلى بطن القطة الجميلة الدالة !

وفجأة . . . ماءت القطة مواءا مرعبا ، واهتزت فى مكانها اهتزازا فظيعا ، ثم سقطت إلى الأرض جثة هامدة لا حس فيها ولا حركة !

وانتفض العم إبراهيم فى سريره ، وتشنجت أعصابه ، وشحب وجه الزوجة واستحال لونه إلى مثل صفرة الأموات . . وجمدت نظراتها المذعورة على وجه الفتى وهو يقهقه قهقهة مدوية هستيرية ! . ثم تمالك سليم نفسه وتنفس الصعداء ، ومال على أذن عمه يهمس بصوت مسموع وهو يرمق زوجة عمه بنظرة عتاب مرة ، ساخرة — الحمد لله يا عم إبراهيم . . لقد كتب لى اليوم عمر جديد بفضل القطة الجميلة !

ولم تحتمل زوجة العم أكثر ممـا تحملت فى خزى وفشل وهذه جريمتها قد انكشفت بهذا الشكل الفظيع الذى لم تـكن تتوقعه ، فدفعت كرسيها إلى الوراء بقوة وعصبية ، وأسرعت إلى مخدعها لتكتب قصاصة من الورق تعلن فيها فرارها بعيدا عن مسرح جريمتها الفاشلة . .

وفيما هى تمـد حقيبتها وتـكدس فيها ملابسها ، شعرت بظمأ شديد يكاد يفطر لسانها ويحرق كبدها ، فأسرعت إلى قنينة المـاء التى اعتادت أن تضعها إلى جوار فراشها ، وتجرعت منها جرعة كبيرة . .

وحين أرادت أن تعود لتستأنف إعداد حقيبتها شعرت بالضعف يدب فى ساقيها ، وأحست بألم فظيع يقطع أحشاءها ، وانعقد لسانها وهى تحاول أن تطلق من صدرها صرخة مدوية تعبر بهـا عن فزعها وهى ترى بعينها قبرها المظلم يسرع نحوها فاغرا فاه لالتهامها ! . . وسقطت إلى الأرض وهى جثة هامدة لا حس فيها ولا حركة !

وألقى الزوج نظرة احتقار على جثة زوجته الغادرة ، فقد ظنها انتحرت بعـد أن فشلت فى قتل ابن أخيه العزيز ، وربت على ظهر الفتى وهو يسلمه ثروته كلها !

ولم يدر العجوز الطيب القلب ، أن ابن أخيه كان فى تلك اللحظة يضغط بأنامله على زجاجة من نقيع السم ، كان قد أفرغ محتوياتها فى قنينة المـاء التى عرف أن زوجة عمه قد اعتادت الشرب منها !

البصرة : عراق — يوسف يعقوب حداد

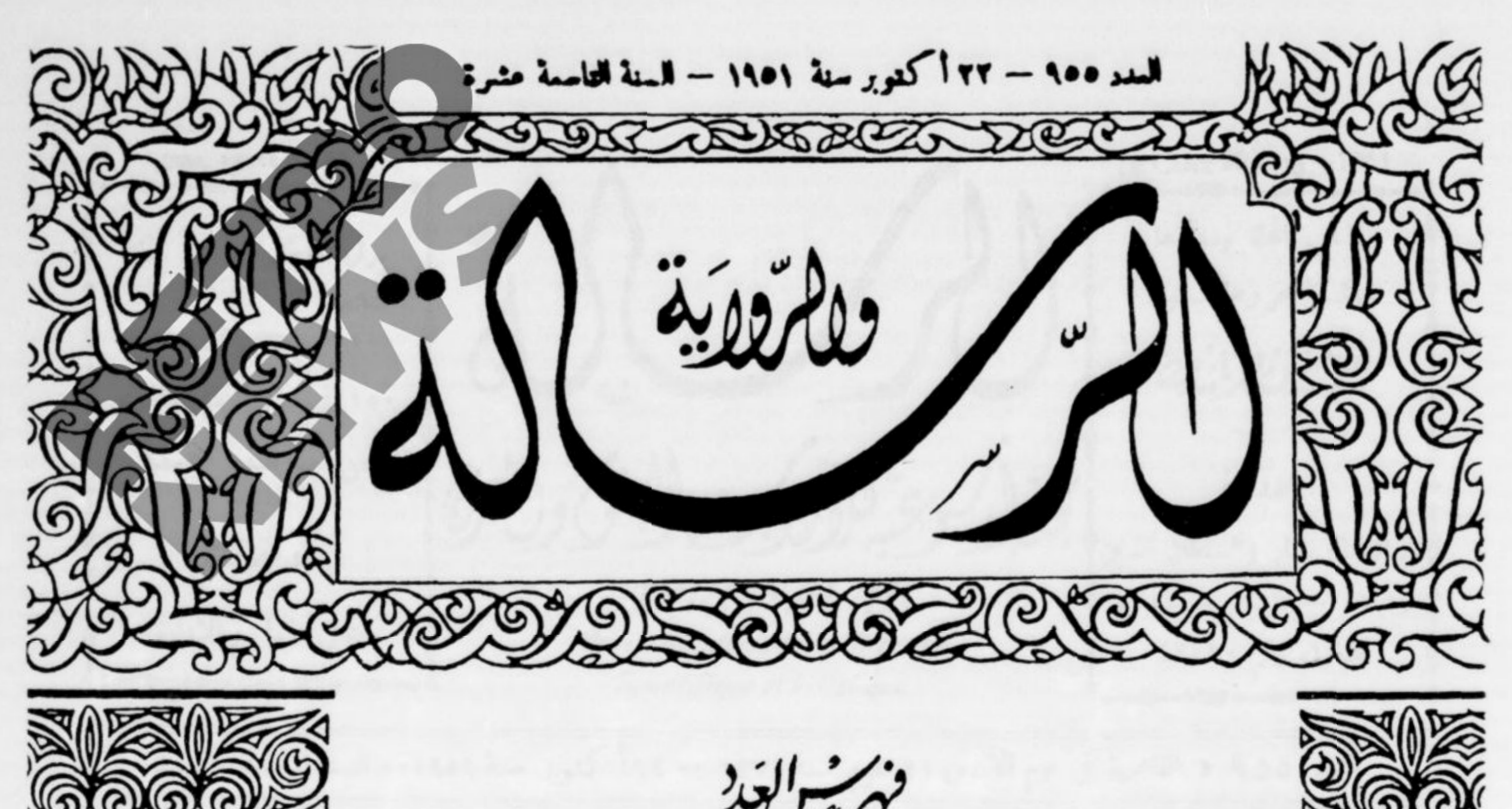




مطبعة الرسالة



العدد ٩٥٥ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

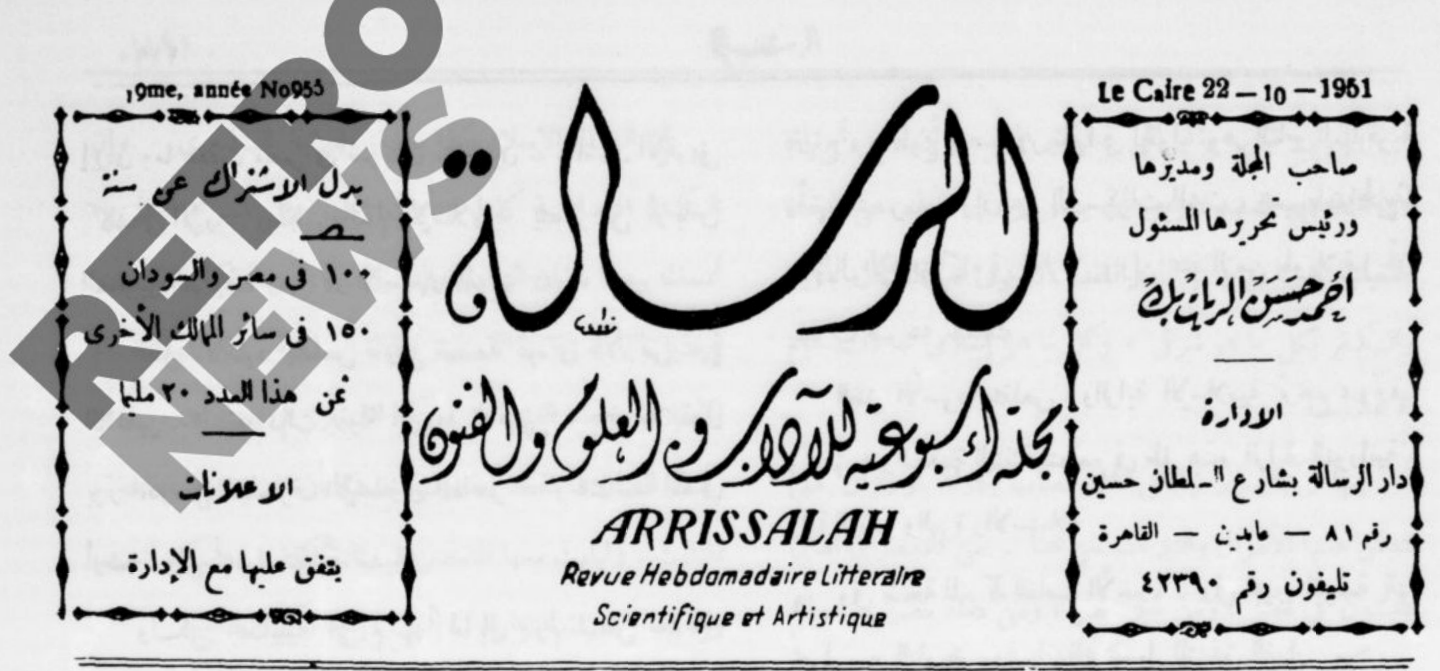


فهرس العدد

٣٧٠٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



العدد ٩٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٧١ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

تركيا الصغيرة !!.

للأستاذ سيد قطب

ها نحن أولاء نخوضها فى هذه الأيام حربا صليبية جديدة ، بل ها نحن أولاء نخوضها معركة من معارك الحروب الصليبية القديمة .. فما خمدت قط نارُ هذه الحروب بيننا وبين الصليبيين ..

ها نحن هؤلاء نخوضها حربا مقدسة فى وادى النيل ، وفى الشمال الإفريقى ، وفى إيران ، وفى العراق . . ولقد كسبنا الجولة الأولى فى إيران العظيمة ، ونحن فى طريقنا إلى كسب الجولة الثانية فى وادى النيل . ولن يقف الشعب العراقى القوى المتحمس دون خطوات إيران ، ولا دون خطوات الوادى . والشمال الإفريقى كله يتأهب استعدادا للوثبة الكبرى ..

الظل الأسود يتقلص .. ظل الاستعمار البغيض . ظل الصليبية التى عجزت عن مكافحة الإسلام باسم الدين ، فقامت بحركة التفاف عن طريق الاقتصاد ، وعن طريق الثقافة ، وعن طريق الاستعمار . وهى تحمل الصليب فى قلبها وتخبئه ، بدل أن كان تشهره على الرؤوس وترسمه على الحراب والسيوف !

الظل الأسود يتقلص ، وحطام الاستعمار يتطاير ، فتتنحى عليه الأساطيل ، تلتقطه غارقا من اليم ، كما انحنى الطراد الإنجليزى « موريتيوس » ليلتقط بقايا الإمبراطورية من مياه إيران العظيمة !

الظل الأسود يتقلص والراية الإسلامية الكبرى تنشر ظلالها الشفيفة الحبيبة ، تنشرها وتنشر معها القوة والثقة واليقين فى النصر ؛ وتنشر معها العزة والاستعلاء على الذل والقهر

لقد ارتفعت هذه الراية الحبيبة فأتمت فى شهر ما ظل حزب توده الشيوعى يحاوله فى عشر سنوات ولا يستطيع !

وامتدت عدوى الضربة الإيرانية الإسلامية القوية إلى وادى النيل ، ولا غضاضة فى أن نسجل أن إيران قد سبقتنا ، فإيران بضعة من جسم الوطن الإسلامى الحى ، ولا غضاضة فى أن تتحرك الكف لتصفع ، قبل أن تتحرك القدم لتركل ، ولا غضاضة فى أن تتحرك الذراع لتضرب قبل أن تتحرك الرجل لتسحق !.

— والعراق على الإثر — فشعب العراق الأبى الفتى لا يقبل أن يكون متخلفا .. إن بترول العراق سيؤمم ، وإن معاهدة العراق ستلغى .. ستضرب العراق ضربتها الواحدة لتحقق بها ماحققت

إيران وما حققت مصر فى ضربتين متتاليتين .. والشمال الإفريقى كله على الأثر .. ويتطهر العالم الإسلامى .. يتطهر من أرجاس الصليبية الغربية ، ومن عار الاستعمار الغربى ...

الظل الأسود يتقلص . ولن تعصمه قوة فى الأرض عن التقلص . « لقد دالت دولة الرجل الأبيض » — كما يقول برتر اندرسل الفيلسوف الإنجليزى المعاصر — وتلك سنة الله فى أرضه . ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولكن الصليبية التى لم يهدأ لها بال ، ولم تغمض لها عين منذ القرن الحادى عشر إلى اللحظة الحاضرة ... هذه الصليبية لن تلفظ أنفاسها الأخيرة فى الشرق إلا بعد أن تبذل طاقتها ، وقبل أن تنثر كنانتها

إنها تدرك أن حركات التحرير فى الشرق الإسلامى إن هى إلا صحوة العقيدة التى ظنتها الصليبية قد ماتت إلى الأبد ... إنها لا تخطئ عناصر هذه العقيدة الخالدة فى وثبة التحرير الحاضرة ، وفرنسا اللاتينية ، فرنسا التى قادت الحروب الصليبية ، فرنسا هذه أشد حساسية بذلك الروح الإسلامى النابض فى كل حركات التحرير . فهى تحذر من هذا الروح . تحذر منه اليوم علانية ، وتنذر الغرب خطر « العالم الإسلامى » .. لقد أحست مرة أخرى بوجود « العالم الإسلامى » أحست به فى قوة ، وإن كانت طوال حياتها لم تنس وجوده ، ولم تفتر عن مكافحته ، كما لم تفتر إنجلترا وسواها من أمم العالم الغربى عن هذا الكفاح !

وها هى ذى الصليبية تتجمع مرة أخرى لوقف المد الإسلامى الزاحف من جديد — ولكن هيهات ! — لقد فات الموعد ، ومضت عقارب الساعة ودارت دورة الفلك ، وما عاد لقوة بشرية على ظهر هذه الأرض أن تقف فى وجه التيار

لقد انبثقت من ثنايا العدم باكستان . وتفلتت من قبضة الاستعمار إندونيسيا وسوريا ولبنان . وأفلتت من الفراعنة إيران ، وضربت مصر ضربتها المدوية ، فوقفت الإمبراطورية المحطمة تترنح ، وتطوح بيديها ورجليها فى الهواء توهم الناس أنها قوية وأنها ستضرب ، وإن هى إلا سكرات الموت ، وصرعات الحمام ! والشمال الإفريقى كله فى الطريق ، ولن يمتد الزمن طويلا قبل أن يضرب ضربته كذلك

الظل الأسود يتقلص ، والراية الإسلامية ترتفع ، وترف وتخفق ، والكتلة الثالثة تتجمع فى ظل هذه الراية النورانية . راية النصر والعزة والاستعلاء

وفى ضجة المعركة الفاصلة الأخيرة . وفى عجيج الموقعة التى تحول سير التاريخ . وفى اندفاع السيل المتدفق الفوار ..

فى ثنايا هذا كله تتسلل من الصف ثعلبة غادرة ، وتتخلف عن الميدان قطة لئيمة ، وتتوارى عن الجمع فأرة حقيرة .. إنها .. إنها تركيا الصغيرة !

تركيا وحدها دون بقية العالم الإسلامى كله تركيا وحدها هى التى تطعن مصر فى ظهرها ، وتتخنس مع أعداء الشرق ، وأعداء الإسلام ، وأعداء الإنسانية . تركيا وحدها هى التى تقبل اليد التى صفعتها والقدم التى ركلتها . تركيا وحدها هي التى تنحنى على الخنجر الذى مزق أوصالها وأجهز على « الرجل المريض » !

ويطير أمين جامعة الدول العربية إلى تركيا ثم يعود ليذيع البشرى على العرب بعودة تركيا إلى راية الإسلام وصفوف المسلمين .. ثم إذا تركيا هذه فى مجلس الأمن تعانق إسرائيل !

وتعلن مصر تحطيم النير الذى يشد عنقها إلى عجلة الإمبراطورية الفانية . ويخرج شعبها يهتف للحرية ، ويتنفس الصعداء . ثم إذا تركيا هذه تحتج على هتاف الحرية من المصريين !

وتتجمع الصليبية ممثلة فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا ، فتتآمر على مصر المسلمة فى صورة الدفاع المشترك ، وترسل بسفرائها الثلاثة يحملون نتاج المؤامرة الآثيمة .. فإذا هم ثلاثة رابعهم كلبهم يحمل نفس النتاج !

وإنها تركيا .. تركيا التى تستكثر على مصر أن ترفع رأسها ، لأن الفلاحين العبيد لا يجوز أن يتحرروا .. هذه هى العقدة الحقيقية فى نفس تركيا ! والعقدة الأخرى هى الإيمان بأوربا والكفر بكل ما هو شرقى ، وكل ما هو إسلامى ، منذ أيام الانقلاب !

إنها تركيا .. تركيا التى ما إن تصاب بكارثة أو زلزال حتى تتدفق عليها الأموال والتبرعات من هنا . من المتمصرين الذين يعيشون فى مصر ، ومن خير مصر ، ومن دماء مصر ، وهواهم مع تركيا ، واعتزازهم بالعنصر التركى وبالدم التركى !

إن هذه الأموال التى تتدفق من مصر لهى دماء المصريين الكادحين ، مقطرة ومكثفة ومبلورة . فأما « الفلاحون » فهم الفلاحون . هم العبيد . هم رقيق الأرض . وأما السادة فهم الذين يعتزون بالعنصر التركى وبالدم التركى . هم الذين يصوغون دماء الرقيق ذهبا يتقاطر على تركيا . تركيا الخائنة لمصر وللشرق وللاسلام . تركيا حليفة الصليبيين فى القرن العشرين

إن الذين يعيشون هنالك فى القصور على ضفاف البوسفور ؛ حيث تجبي إليهم ثمرات العرق والكد والدماء من ضفاف الوادى .. إن هؤلاء هم الذين يطعمون تركيا الخائنة لحم المصريين وعظامهم . وهم الذين يسقون تركيا الخائنة عرق المصريين ودماءهم

ولقد آن لمصر أن تضع لهذا كله حدا . آن لمصر أن تمنع تسرب قرش واحد إلى تركيا الملعونة . الملعونة من المسلمين أجمعين . الملعونة من الإنسانية المنكوبة بالاستعمار فى مشارق الأرض ومغاربها . الملعونة من الأرض والسماء إلى يوم الدين

لقد آن أن تقول مصر لمن يعيشون فى قصورهم هناك على ضفاف البوسفور . إما أن تعيشوا هنالك من كدكم وعرقكم ، أو فى ضيافة تركيا التى تعتزون بها وتنتسبون إليها . وإما أن تعودوا إلى مصر التى تطعمكم وتسقيكم . فمصر لم تعد أمة من العبيد . ولن تكون يوما أمة من العبيد

إن العالم الإسلامى كله يتحفز للوثبة الكبرى . وإن الكتلة الإسلامية كلها لتتأهب للظهور على المسرح العالمى ، لتمسك بيدها ميزان التعادل والتوازن . فلتلهث تركيا وهى تعدو فى ذيل القافلة : قافلة الاستعمار وقافلة الصليبية . وليتركها العالم الإسلامى بقدمه القوية . فتركيا الصغيرة لم تعد ذات وزن فى كفة الميزان . لقد اختارت لنفسها أن تلهث وراء القافلة . فلتلهث . وليلهث معها المتمصرون والمتتركون .. ولكن لتعرف مكانها ، ولتعرف عنوانها .. إنها .. إنها تركيا الصغيرة !

سيد قطب



الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

— ٦ —

سياسة العزلة:

كان سكان الولايات المتحدة الأوائل قوما عذبوا فى سبيل دينهم وحرياتهم، وقد دفعهم الظلم الواقع عليهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد. وهجرة الوطن والاغتراب عنه ليسا أمرا هينا، ولكن الظلم والاضطهاد يحببان الإنسان الحر فيهما ويدفعانه إليهما

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد

ولما استقر سكان الولايات فى ولاياتهم حاولت إنجلترا أن تستغلهم شأنهم فى ذلك شأن المستعمرات، ولكنهم وقفوا فى وجهها وانتهى الأمر باستقلالهم ١٧٧٦

قرر الأمريكان منذ اللحظة الأولى أن العالم القديم مملوء بالشرور والآثام والمشاكل، وانتهجوا «سياسة العزلة» ومضمونها ألا تساهم الولايات المتحدة فى اتحادات أوربا السياسية وألا تشترك مع أية دولة أوربية فى حل المشاكل التى تقوم فى أوربا، كما قررت الولايات عدم التدخل فى شؤون البلاد الأمريكية التى حررت نفسها من المستعمر الأوربى باعتبارها دولة أمريكية

وقد سارت أمريكا على هذه السياسة، ولكن الحرب لم تلبث أن نشبت فى أوربا عقب قيام الثورة الكبرى فى فرنسا سنة ١٧٨٩، وانقلبت أوربا إلى أتون حربى فى الفترة من سنة ١٧٩٣ — ١٨١٥، وكان النضال بين إنجلترا وفرنسا عنيفا وعنيفا جدا: ذلك أن إحداهما كانت سيدة البحار، وهى إنجلترا وقد تيسر لها القضاء على البحرية الفرنسية، ولكنها لم تستطع أن تنزل إلى البر لتقضى على فرنسا

وكانت الثانية فرنسا سيدة البر التى استطاع ابنها العبقرى نابليون أن يصرع الملوك وأن يذل القياصرة، ولكنه لم يستطع أن ينزل بإنجلترا الهزائم فى البحر، بل بالعكس حطمت إنجلترا أساطيله

طال النضال بين الدولتين ولجأتا إلى الحرب الاقتصادية: فقررت إنجلترا محاصرة الشواطئ الفرنسية، ورد نابليون عليها فقرر أن الجزائر البريطانية فى حالة حصار، وحرم على الدول الأوربية الاتجار معها، وكان غرضه أن يميتها جوعا. فردت إنجلترا عليه بأن قررت منع دخول سفن البلاد المحايدة (ومنها أمريكا) الموانئ الفرنسية أو الموالية لها إلا بعد مرورها على الموانئ الإنجليزية ودفع الأتاوة المطلوبة

وقرر نابليون أنه ما دام الحياد قد أصبح ممنوعا فى البحر فهو ممنوع أيضا فى البر، وطال النضال واشتدت الحرب حتى انتهت بهزيمة فرنسا وتسليم نابليون ١٨١٥

وقد أصاب التجارة الأمريكية ضيق شديد بسبب سياسة إنجلترا البحرية، ومنعها السفن الأمريكية من دخول الموانئ الأوربية، كما أنها قبضت على كثير من البحارة الأمريكان، وبلغ الضيق أقصاه (١٨١٢) فقامت الحرب بين الدولتين

لم تكن الحرب بالنسبة للولايات المتحدة نصرا خالصا وإن انتصرت فى النهاية، كما أنها لم تفد شيئا من هذا النصر، فلم تنل توسعا إقليميا ولم تظفر بأى كسب خارجى يبرر ما أنفقت من أموال وما فقدته من رجال (٢١ ألف بحار، ٣٠ ألف جندى) ورغم هذا يؤمن بعض المؤرخين بأن هذه الحرب قد أفادت الولايات الأمريكية فوائد جمة:

أولا — دعمت هذه الحرب الوحدة القومية إذ أنها دفعت سكان الولايات إلى أن يقفوا صفا واحدا يدافعون عن وطنهم واستقلالهم. وقد أكد ألبرت جالاتين وزير مالية أمريكا (١٨٠١ — ١٨١٣) أن الأمريكيين كانوا أنانيين جدا، شديدى التفكير تفكيرا محليا، فلما جاءت الحرب «جددت الشعور الوطنى والخلق الوطنى اللذين جاءت بهما الثورة، واللذين كانا يتضاءلان مع الأيام، فلقد أصبحت للشعب أهداف توثق بين أفراده وترتبط بها كرامتهم وأفكارهم السياسية. فهم الآن أمريكيون أكثر من ذى قبل، وهم يشعرون ويتصرفون كأمة.

وإنى لشديد الأمل بأن هذا التطور هو خير ما يضمن دوام الاتحاد » وتعتبر هذه الحرب حرب الاستقلال الثانية »

ثانيا — عرفت أمريكا أن الاستقلال الاقتصادى جوهرى تماما مثل الاستقلال السياسى ، بل عرفت ما هو أكثر من هذا، عرفت أن الاستقلال السياسى لا يمكن أن يقوم ولا يمكن أن تكون له قيمة إلا إذا قام على أساس الاستقلال الاقتصادى، ولهذا لجأت الولايات المتحدة إلى حماية استقلالها الاقتصادى ففرضت تعريفة جركية تسمح بازدهار الصناعة الأمريكية

مبدأ منرو:

سارت الولايات الأمريكية فى سياستها الخارجية على مبدأ العزلة كما رأينا، وقررت عدم الاشتراك فى أى اتحاد أوربى، كما قررت عدم التدخل فى شؤون الولايات الأمريكية التى تحصل على استقلالها

وفى ١٨١٧ تولى جيمس منرو رئاسة الجمهورية الأمريكية وكان شديد الرأى حازما فيما يقر رأيه عليه » وقد وضع منرو مبدأ هاما فى السياسة الأمريكية عرف باسمه وأهم ما جاء فيه :

أولا — إن أية أمة أمريكية تحصل على استقلالها لا يمكن أن تعود مستعمرة ثانية ، وأن أى اعتداء على استقلالها تعتبره الولايات المتحدة عملا عدائيا بالنسبة لها أو بعبارة أخرى وضع منرو مبدأ وجوب عدم تدخل الدول ، الأوربية فى الشؤون الأمريكية

ثانيا — إن قارتى أمريكا بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال قد أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أية دولة أوربية فى المستقبل

ثالثا — إن النظام السياسى للدول الأوروبية يختلف تماما عن نظام أمريكا ، ويجب أن تعتبر أية محاولة من جانب تلك الدول لبسط نظامها على أى جزء فى هذا النصف من الكرة الأرضية خطرا على سلامتنا وأمننا

رابعا — لم نتدخل ولن نتدخل فى شؤون المستعمرات القائمة أو للبلاد التابعة لأية دولة أوربية

خامسا — لم نساهم بأى نصيب فى الحروب التى نشبت بين الدول الأوربية لأمور خاصة بهما ، كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك . »

ولعل أحد القراء يسألنى : ما هى الظروف التى أدت إلى أن يصدر الرئيس منرو تصريحه هذا ؟ والجواب على ذلك أن بعض الأمم الأمريكية مثل الأرجنتين وشيلى قد انتهزت فرصة الثورة الفرنسية وانشغال أوربا أثناء حروب نابليون وأعلنت استقلالها وخروجها على إسبانيا . وفى ١٨٢٢ خول الرئيس مونرو — تحت ضغط شعبى عنيف — سلطة الاعتراف بالدول الجديدة وهى كولومبيا وشيلى والمكسيك والبرازيل، وتبادلت الولايات المتحدة التمثيل السياسى مع هذه الدول الناشئة ، وتم اعتراف الولايات المتحدة بهذه الدول على أنها دول شقيقة مستقلة تقف معها على قدم المساواة مكونة جزءا من أمريكا الحرة

فى هذه الأثناء كانت الدول الأوربية الكبرى قد كونت التحالف الرباعى وكان الغرض الرئيسى من إقامته منع فرنسا من العودة إلى الثورة وتهديد السلام الأوربى ، ولكن مترنيخ رئيس وزراء النمسا وزعيم الرجعية وعدو الحرية والقومية حاول تأويل نصوص المحالفة الرباعية تأويلا يمكنه من دعم الحكم المطلق الذى كان قائما فى النمسا ومن مقاومة الحركات القومية . وقد نجح فى كسب قيصر الروسيا وملك بروسيا بل وفرنسا إلى جانبه . احتجت إنجلترا على ذلك التدخل فى شؤون الأمم الذاتية ولكن احتجاجها ذهب عبثا ، فقررت الدول القضاء على الثورات التى قامت فى نابلى وفى بيرمنت ١٨٢٠ تطلب الحكم الدستورى وعهدت إلى النمسا بتنفيذ ذلك

ثم قامت ثورة دستورية فى إسبانيا ١٨٢٠ فقررت الدول القضاء عليها فى مؤتمر فيرونا ١٨٢٣ ووكلت إلى فرنسا تحقيق ذلك . خافت أمريكا من أن تقضى فرنسا على الثورة الدستورية فى أسبانيا ثم تنتقل بعد ذلك إلى القضاء على استقلال الدول الأمريكية الناشئة لتكون لهما مناطق نفوذ فأعلن رئيسها منرو مبدأه السابق حتى يمنع فرنسا أو غيرها من التدخل فى شؤون الدول الأمريكية الجديدة

وقد احتجت إنجلترا على تدخل الدول فى شؤون إسبانيا،

وخافت أيضا من أن يمتد نفوذ فرنسا إلى الدول الأمريكية التى كانت تستأثر بجانب كبير من تجارتها الخارجية ، ولكن احتجاجها ذهب أدراج الرياح فسارع وزير خارجيتها كاننج إلى الاعتراف باستقلال الدول الأمريكية الجديدة « حتى ينشئ » كما قال « عالما جديدا يوازن ما تحصل عليه غيره من الفوائد فى العالم القديم »

قويسنا ابو الفتوح عطيفة

فى الأدب المقارن :

الرديف فى الشعر الشرقى

للأستاذ عطا الله ترزى باشى

إن الأشعار الشرقية فى جمالها وجوهرها تتشابه إلى حد عظيم ، وقد حصل هذا التشابه نتيجة بعض العوامل التى أثرت فى كل من هـذه الأشعار . فقـد اصطبغ الأدب الشرق بوجود هذه العوامل ، وهى كثيرة ، بلون خاص يميزه فى أساسه عن الأدب الغربى تمييزا بينا . وينبغى أن نجعل رابطة الدين فى مقدمة تلك العوامل

لقـد كان أثر الإسلام عظيما فى الحياة الأدبية عند العرب . ونجد أن هذا الأثر قد امتد كذلك إلى الآداب الشرقية الأخرى . فأصبحت هـذه الآداب متأثرا بعضها ببعض ؛ فقد تأثر الأدب الفارسى بالأدب العربى وبالعكس ، كما أن الأدب التركى تأثر بهما ، حتى لأصبح الشاعر التركى فى وقت من الأوقات يجيد اللغتين العربية والفارسية بقدر مايجيد لغته الأصلية فينظم فيهما الأشعار . وقد خلف كثير من شعراء الترك دواوين كثيرة فى الفارسية والعربية

وكذلك كان حال الشعراء الفرس ؛ فقـد اصطبغ الشعر الفارسى بطابع الشعرين العربى والتركى . وهكذا قل عن الشعر الأردى فإنه مزيج من عدة لغات إسلامية حية أهمها الفارسية والعربية والتركية وعليه فقد وجد ، بسبب هذا الدين الحنيف ، اتصال وثيق بين الأشعار الشرقية

ولقد بلغ هـذا التشابه درجة توحدت فيها قواعد الأوزان وكثير من الأسس الأخرى الموضوعة للمنظومات الشعرية فى الشرق

ومع ذلك كله فإن كلا من هذه الآداب يحتفظ بطابعه الخاص الذى يميزه عن غـيره . فهنالك مظاهر قوية تميز الأشعار الشرقية بعضها عن البعض الآخر ، وهى التى تستند عليها قواعد نظم الشعر من بعض الوجوه

ويدور هـذا المقال حول « الرديف » الذى يميز بالشعرين التركى والفارسى وغيرهما من الأشعار الشرقية عن الشعر العربى تمييزا واضحا

والرديف فى اللغـة بمعنى الراكب خلف الراكب وكذلك الردف بكسر الفاء (المنجد) . وقال الفيروز آبادى : الردف بالكسر الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف . . وكل ما تبع شيئا . . والليل والنهار وهما ردفان . . وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا . . الخ (القاموس المحيط)

وقال القاموس أيضا الردف فى الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروى ليس بينهما شئ (١)

وسكت كل من فريد وجدى والبستانى فى دائرتيهما عن ذكر اصطلاح الردف أو الرديف فى الشعر

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأدبين التركى والفارسى يفرقان بين الردف والرديف . فالشعر (المردف) بفتح الدال اصطلاحا هو غير الشعر (المردف) بتشديد الدال ، وقد عالجنا الأخير فى هذا المقال

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الشعرين التركى والفارسى

(١) أنظر القاموس المحيط ط ١٩٣٣ ، ج ٣ ، ص ١٤٣

يختلفان عن الشعر العربى حتى فى الردف . فقد جوز العرب الردف فى حرف الواو والياء، ذاهبا إلى صحة القافية بين (الفعيل) و (الفعول) . مثال ذلك ما قاله المتنبى فى رثاء محمد بن إسحق التنوخى فى قصيدة مطلعها :

إنى لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور

فجعل كلا من الكلمات (خبير ، غرور ، بصير ، نور ، تسير ، طور . . الخ) قافية لقصيدته . وهذا الاستعمال غير جائز فى الشعرين التركى والفارسى إطلاقا

* * *

والرديف فى اصطلاح شعراء الترك والفرس لفظ يتكرر فى نهاية كل بيت من الشعر[2] . فهو عبارة عما تلا حرف الروى من حروف أو كلمات فى البيت مباشرة [3]

وعلى هذا الاعتبار فإن لفظ الرديف يتكون من حرف أو حرفين أو أكثر ، أو من كلمة أو كلمتين أو أكثر، إذ يكرر الشاعر أحيانا ربع البيت أو ثلثه كما يتبين من الأمثلة الآتية :

قالت الشاعرة التركية (فطنت) :

غناى قلبه سبب دولت قناعت (ايمش
جهانده جاى فرح كوشه فراغت (ايمش

ومعناه : أن من بواعث استغناء الفؤاد القناعة ، ومن دواعى السرور فى هذا الكون الانزواء إلى الخلوة !

وقال الشاعر الفارسى العظيم (عمر الخيام) فى إحدى رباعياته :

آنان كه در آمدند ودرجوش (شدند
آشفته ناز وطرب نوش (شدند
خوردنده پياله ومدهوش (شدند
درخواب عدم جمله هم آغوش (شدند

وترجم هذه الرباعية إلى اللغة التركية نظما شاعر تركيا الأول وسفيرها السابق فى الباكستان الأستاذ يحيى كمال ، مراعيا فيها قواعد الردف :

أونلركه كاوب بودهره پرجوش (أولرق
أذواقه صاريلديلر قدح نوش (أولرق
إيجديكلرى باده ايله مدهوش (أولرق
صوك أويقويه والديلرهم آغوش (أولرق

بمعنى « هاج الذين غاروا فى بحر المسرة يشربون ، مرحين مدهوشين ، من كؤوس فناموا ، وهم سائرون إلى الفنـاء ، متعانقين . »

ولهــذا الشاعر التركى غزل مردف مشهور ، ننقل إلى القراء بعض أبياته ، ومنه يتبين أن الرديف يتكرر فى نهاية الشطر الثانى من كل بيت من الشعر بخلاف مطلعه حيث يتكرر فى شطريه [4] :

آهسته جك كوره كارى مهتاب (أوياغسون
بر عالم خيـاله دالان آب (أوياغسون
آغوش نوبهارده خوابيده درجهان
سورسون صباحى حشره قدرخواب (أوياغسون
اى كل سكوته وارمانى أمرايله بلبله
كلشنده مست ذوق أولان أحباب (أوياغسون

ومعناه : « مهلا أيها الملاح لا تحرك مجدافيك سريعا فيهتز الماء اللجى الغارق فى الخيال ، فيوقظ ضوء القمر !

إن الكون عثال رائع وقد ضمه الربيع البهى إلى صدره ، فليتنا لم نتيقظ من سنة الكرى ، وليت الصبح أبد الدهر لم ينجل !

أيها الورد ناد البلبل يسكت ، لكى لا يتنبه الأحبة وهم فى الروض نائمون فرحين »

* * *

تلك أمثلة ذكرناها والرديف فيها متكون من كلة واحدة،

(٢) انظر معجم المعلم ناجى فى اللغة العثمانية : مادة « الرديف »
(٣) المعلم ناجى أيضا فى كتابه الاصطلاحات الأدبية جـ ١ ، ص ٨٤

(٤) وكذلك الرباعيات المردفة فإن الرديف يتكرر فى نهاية كل شطر منها على الأغلب

وإليكم هذا المثال وفيه الرديف كلمتان :

بنم تك هيج كيم زار وپريشان (أولمسون يارب
أسير دردعشق وداغ هجران (أولمسون يارب

يقول الشاعر : رب لا تجعل أحداً من الناس مثلي ، يشقى في نار الفراق مضطجعاً بآلام الغرام

ويصادف أن يستوعب الرديف كل البيت باستثناء كلمة تترك للقافية ، كما قال الشاعر :

صفا (ى عشق كيم آكلير كيمكه سويلشه لم
وفا (ى عشقى كيم آكلر كيمكه سويشله لم

يعني : من يفهم صفو الغرام ! مع من نتحدث ؟!. ومن يفهم معنى الوفاء في الغرام ! مع من نتحدث ؟!.

ومن النادر جداً استعمال مثل هذا البيت — الذي جرى مجرى المثل — في الشعر

ولا يتسع المقال أن نسرد الأمثلة على الرديف الذي أصبحت الدواوين التركية والفارسية زاخرة به ، بل وأن الأشعار المردفة في هذين الأدبين تفوق الأشعار غير المردفة عداً . والنوع الأول (أي الردف) أسهل نظماً للشاعر وأكثر تأثيراً على السامع من غير المردف . وأن نظم الشعر الخالي عن الرديف أصعب من نظم الشعر المردف . بيد أن المردف أكثر انسجاماً ، وأشد وقعاً من حيث النغمات من غير المردف

ولا يصادف هذا اللون من الشعر في الأدب العربي إلا نادراً ، بل وذهب البعض إلى أن الرديف غير وارد في الشعر العربي إطلاقاً . فيذكر الشاعر التركي الشهير « نامق كمال » (٥) أن الرديف خاص بالشعرين التركي والفارسي دون الآداب الأخرى (٦) وإلى هذا يشير الدكتور طه حسين باشا (٧) قائلاً : « إن الشعر العربي وحده ، هو الذي يختص بالتزام قافية واحدة في القصيدة »

---

(٥) راجع كتابه « تخريب خرابات » ص ٣٦

(٦) ونرى أن الرديف وإن كان يعتبر من المميزات الأساسية لهذين الأدبين إلا أنه ورد في الأشعار العربية ، وحتى في الأشعار الغربية ، أمثلة عليها كما يتبين ذلك من هذا المقال ..

(٧) في كتابه « تجديد ذكرى أبي العلاء المعري » ط ٣ ، ص ٢١٧

* * *

ولقد استشكل على البعض من الكتاب أمر التفريق بين الرديف والإيطاء ، فخلطوا بينهما خلطاً عجيباً يكاد يذهب من الردف جاله

والإيطاء هو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس في قافية — سرح مرقب — وفي قافية أخرى — فوق مرقب — وليس بينهما غير بيت واحد . .

ويلاحظ أن الإيطاء كلما تباعد كان أخف . وكذلك إن خرج الشاعر من موضوع إلى موضوع كأن يخرج من مدح إلى ذم ..

ومن الإيطاء قول ذؤيب :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فصرعنه تحت العجاج لجنبه متترب ولكل جنب مصرع

فكرر ثلث البيت . . . ولو أن الشاعر كان قد التزم القافية في موضعي « فتخرموا » و « متترب » لعددنا « ولكل جنب مصرع » رديفاً

وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن إيطاء . وقال الفراء إنما يواطئ الشاعر عن عي . وإذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيباً . نحو قول امرئ القيس :

خليلي مرابي على (أم جندب
ثم قال في البيت الثاني : لدى (أم جندب (٨)

والواقع أن هذا المثال الأخير لا يخرج عن كونه حالة من حالات الرديف . إذ ينبغي أن نعتبر كلمتي (أم جندب) رديفاً

ويقرب من هذا ما قاله توبة مخاطباً بعل ليلى الأخيلية :

لعلك يا تيساً نزا في مريرة تعاقب ليلى أن تراني (أزورها
على دماء البدن إن كان بعلها يرى لي ذنباً غير أني (أزورها

---

(٨) أنظر « العمدة في صناعة الشعر ونقده » تأليف أبي على القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ج ١ ، ص ١١٣

وهذه قطعة مترجمة من شعر الشاعر الأردى الكبير (محمد إقبال) مردفة فى الأصل. وقد حافظ المترجم فى نفس الوقت على رديفها فى العربية :

اخلقن دنياك كى تحيا بها سر هذا الكون بالحق (الحياة
هي فى الحرية بحر زاخر وغدير فى حمى الرق (الحياة
تختنق فى الطين سرا وترى بقوى التسخير والخلق (الحياة
هى فى الغافل ترب هامد وهى فى اليقظان سيف جاهد

وفى هذا يقول الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى هامش المقال الذى نشره فى العدد الأول من مجلة الثقافة (٩) حول الأدب الهندى الإسلامى :

« إن شعراء الفارسية والأردية (١٠) يجيزون أن تكرر كلمة واحدة (١١) فى آخر الأبيات ويسمونها رديفا، ولكنهم يلتزمون قبلها قافية. فالحياة فى الأبيات الثلاثة رديف، والقافية فى الكلمات التى قبلها »

وينبغى اعتبار الضمائر التى تلحق بأواخر الأبيات فى الشعر العربى رديفا كما يتبين من هذه الأمثلة :

قال المعرى فى لزومياته :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤ (ها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤ (ها

فهنا ينبغى أن نعتبر (ها) فى نهاية الأبيات رديفا

وقال سالم بن وابصة :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

وهنا ياء المتكلم رديف. . وفى المثال الآتى الضمير « نا » رديف .. وهو من شعر بشامة النهشلى

إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
وإن دعوت إلى جلى ومكرمة يوم سراة كرام الناس فادعينا

وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى يعجز المقال عن ذكرها . . .

ويشير الأستاذ محمد مهدى البصير (١٣) إلى نوع من الشعر الردف اخترعه البغداديون لسرد الحكايات والخرافات يسمى بـ (الكان وكان) وهو نوع من الشعر العامى قافيته مردوفة دائما ... وقد تطور حتى نظمت به الحكم والمواعظ ولكنه ظل محافظا على صبغته العامية إلى أن انقرض . . .

* * *

ومهما يكن من أمر فإن العرب كما سبق لم تستعمل فى أشعارها الرديف إلا نادرا جدا. إذ يصعب على المحقق الباحث أن يعثر فى الدواوين الشعرية على أمثلة وافية من الشعر العربى المردوف . . أما الأمثلة التى أتينا بها فى هذا المقال وغيرها من الأشعار المردفة إنما وردت على لسان شعراء العرب عرضا من غير قصد . . هذا بعكس ما عليه الأمر فى الشعرين التركى والفارسى، فإن الأشعار المردفة فيهما كثيرة. بحيث أنك لا تجد شاعرا من شعرائهما إلا وقد استعمل هذا اللون من الشعر فى ديوانه (١٤)

ولا يخفى ما لهذا النوع من الشعر من اللطافة والجمال والحلوان ما لا نتذوقه فى غيره من أنواع الشعر، فترى القارئ ينجذب إليه بقوة السحر الذى يتجلى فى سلاسة ألفاظه وسهولة تراكيبه، ولذا يفضل الكثيرون من شعراء الترك والفرس نظم الأشعار المردفة. وقد شاع استعمال هذا اللون من الشعر فى الغزل أكثر من شيوعه فى باقى الأغراض

ولا غرابة فى أن نعثر فى آداب الأمم الأوربية على أمثلة لهذا النوع من الشعر، لا نشك فى أن شعراءهم قد اقتبسوها من الشرق. وخير مثال نورده هنا القصيدة الإنكليزية التى

---

(٩) الصادر بتاريخ ٣ يناير ١٩٣٩

(١٠) والتركية وغيرها . .

(١١) أو أكثر.. أو حرف أو أكثر، كما وضحنا فى هذا المقال

(١٢) راجع كتابه : الموشح فى الأندلس وفى المشرق، ص ١٠

(١٣) وهناك فرق غير واضح بين الشعرين التركى والفارسى المردفين وهو أن الرديف فى الثانى غالبا ما يتكون من كلمة واحدة بخلاف الأول حيث يكثر فيه الأشعار المردفة التى رديفها كلمتان أو أكثر . .

أبو الثناء الألوسى الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود العبطة

— ٣ —

عزله عن الإفتاء :

بعد سنين حافلة بجليل الأعمال ، يانعة بنهضة العلم وتقدم الأدب ورقى المعارف ، يرعاها الألوسى الكبير بعلمه الوافر وأدبه الثر ، وشخصه اللامع ... بعد هذه السنين التى هى بمثابة ضوء لامع ساطع يمده شهاب الدين الألوسى بالقوة والحياة ، فى تلك السنين المظلمة المعتمة ، وبعد تلك السنين الخصبة صدرت إرادة الخليفة العثمانى بنقل الوالى المصلح على رضا من ولاية بغداد وتعيين الوالى نجيب باشا مكانه (كانت ولايته عام ١٨٤٢ م) ولم يكن الوالى الجديد يقل عن الوالى القديم حبا للاصلاح وإيثارا للأمن والسلام ، وإن كان يفرق عنه فى إيثاره القوة حين ينقع العقل والتصرف الصحيح ، ويفرق عنه أيضا فى عنجهيته وكبريائه ، وعذره فى الخيلاء والكبرياء أنه من بيت السلاطين ، ويجرى فى عروقه الدم الملوكى ! وكما كانت بداية على رضا دليل شؤم ونحس على الألوسى ، إذ سجن فيها وعذب ، فقد كانت نهاية ولايته دليل شؤم ونحس على الألوسى بالذات وعلى (بغداد) التى وجدت فيه خير باعث لاسمها ومجدها أخيرا . . جاء محمد نجيب للولاية ، ولم يكن يعلم حالة أهليها وما هم عليه من تحزب وشقاق ، وحسد ونفاق ، وبعد أن استقر به المقام وتسلم زمام الولاية ، تحركت جيوش البغى والنفاق ، التى أخرسها عدل على رضا ، إذ تمكن أعداء الألوسى الكبير أن يفهموا الوالى الجبار أن مفتى بغداد يكرهه ويكيد له ، وأثر ما تمكن هذا القول من قلب الوالى ، تجمع الأعداء وعددهم أكثر من مائتين تبعهم جمع كبير من السوقة والرعاع ثم قصدوا قصر الوالى نجيب الواقع فى خارج بغداد القديمة وعلى شاطئ دجلة . وعندما قربت الجموع من قصر الوالى اندهش مما رأى وقال فى سره إن ثورة حدثت ، أو انقلابا يهدد ولايته وخليفته بالويل والثبور ، وعندما استطلع الخبر أخبره زعماء المظاهرة أن سبب البلاء ورأس الفتنة هو أبو الثناء الألوسى مفتى الحنفية الذى يشاركه فيها واعظ الجيلى ، وأن من الخير وقطعا لدابر الفساد عزل المفتى الألوسى من الفتوى ونفى الواعظ إلى مدينة البصرة ! [١] فأجاب الوالى طلب المتظاهرين وأصدر حالا أمره بعزل الألوسى من الإفتاء ، وذلك عام ١٢٦٣ هـ [٢] وقد سبقت هذه الحادثة ، حادثة أخرى تصور درجة حقد الوالى على الألوسى ودرجة لؤمه أيضا ، وتلك الحادثة الأخرى هى أن كتابا ورد الألوسى المفتى من قصر السلطان فى الآستانة ، يطلب فيه رجال القصر حضور مفتى بغداد إلى العاصمة العثمانية للاشتراك فى ختان أبناء السلطان عبد المجيد ؛ فطلب الوالى من المفتى الاعتذار عن حضور الختان ، فأجاب المفتى الألوسى طلبه وأرسل رسالة يعتذر فيها عن الاشتراك فى الحفلة [٣] والوالى الذى يطلب من الألوسى الاعتذار عن السفر يقوم بدور الثعلب الراوغ فيرسل إلى القصر العثمانى رسالة يتقول فيها ما يشاء ويتهم الألوسى بأنه لم يحضر الحفلة إلا كبرياء واحتقارا ! [٤]

(١) المسك الأذفر (ص : ١٣)
(٢) أعلام العراق (ص : ٢٤)
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق

مطلعها :

She is a rich and rare (land
Oh-she's a fresh and fair (land

وهى من نظم الشاعر المعروف (توماس أوزبرن) . ويلاحظ هنا أن الشاعر كلمة « لاند » فى آخر الأبيات رديفا ، والتزم فى الكلمات التى قبلها قافية ..

كركوك — العراق عطا الله ترزى باشى

ومهما كان السبب فقد عزل الألوسى من الإفتاء ، وانصرف بكليته إلى إعمام تفسيره وتعليم تلاميذه ، ومنادمة خلانه . وقد قابل أمر العزل برباطة جأش معهودة فيه بكل أطوار حياته مترقبا الأيام ، وتقلب الأحوال . . كل هذا والوالى يتحين الفرص للقضاء عليه ، والفتك به ، ولما لم يجد سبيلا لذلك فقد قطع عليه مصدر رزقه الوحيد ، وهو ما تدره عليه تولية جامع مرجان من مال قليل يقتات به وأهله الكثيرون ، فأصدر الوالى بحجب أمره بعزله من التولية بعد أن عزله من الإفتاء وصادر وظائفه الأخرى ، وذلك بعد عزله من الإفتاء بخمسة أيام (٥) مع أنه عين متوليا على جامع مرجان قبل تعيينه مفتيا على مدينة بغداد ، هكذا تقول المصادر التاريخية ، وقولها الصدق ، ولكن للجبروت والاستبداد صولة وسلطة ، فى عهد لم تقيد فيه سلطة الحاكين بالقوانين والأنظمة والعرف المستقر

وبرفع الفتوى والتولية عن الألوسى الكبير توالت النكبات عليه ، وعضه الفقر بنابه حتى باع كتبه وأثاثه وحاجاته البيتية ليقتات أهله وعائلته الكبيرة بثمنها . وهو مع هذه المصائب منصرف إلى إنجاز التفسير والقيام بواجب الدراسة ومجالسة الإخوان . ويقول الألوسى فى مقاماته التى هى منبع غزير وصورة صادقة لحياته وعصره ، خصوصا وأنه كتبها فى سنيه الأخيرة . يقول واصفا وظيفة الإفتاء وتدخل الحكام فى شؤون المفتى (٦) (وقد كنت أرى أمر الإفتاء ، أمر من القضاء ، حيث مزقت الشورى إذ ذاك أديمه ، وأسقمه أعضاء المجلس ذوو الآراء السقيمة ، أعضاءه السليمة ، فلم يكن يختاره إلا ذو جهالة ، قد جعل والعياذ بالله تعالى دينه لدنياه حباله ، وحاشانى أن أكون كذلك .) وبقى فى حاجة ملحة إلى المادة ، وفى قلق نفسى لا يزيله إلا مجالسة إخوان الصفاء ومدارسة التلاميذ والطلبة . وعند وصول أحمد ابن الوالى بغداد ، عرض شكواه عليه ، ووصف سوء حالته له ، فوجد منه أذنا صاغية ، وقلبا رحوما ، أزال منه بعض بلواه (٧)

(٥) المقامات

(٦) المصدر السابق

(٧) المسك الأذفر (ص : ١٢)

و — رحلته الى الآستانة :

مضت السنة الأولى والثانية والثالثة ، والألوسى يتحمل ضربات القدر ، بعد أن سد باب رزقه ، وبعد أن لم يبق فى بيته من أثاث وأشياء ما يباع ، حتى كاد — على ما يقول أن يأكل الحصير على مداد التفسير ، وقد وجد — وهو الخبير بتقلب الأحوال وطباع الناس — أن خير مخرج له هو أن يشد الرحال إلى العاصمة العثمانية .. خصوصا وحالته الماشية تزداد فى الهبوط ، إذ لا مصدر للرزق له ، ثم إن دروسه التى يلقيها فى بيته تلقى مجانا على سنة علماء بغداد . . عزم الألوسى على السفر إلى استانبول ، ليعرض شكايته إلى أولى الأمر ، ويرفع ما بقلوبهم من كراهية وحقد . فشد رحاله فى غرة جمادى الثانية عام ١٢٦٧ هـ (٨) (١٨٤٥م) وكان معه فى قافلته المؤرخ سليمان والوالى عبد الكريم ومصطفى الربعى وإقبال الدولة الهندى . . تحركت القافلة ضحى جمادى ، تحمل كبار القوم ومعهم الألوسى وولد عبد الباقى ، وكان لسان حاله يردد قول الأمير الحيرى :

فقيم الإقامة فى بلدة تناكرنى بعد عرفانها

سارت القافلة على بركة الله فوصلت الموصل فجزيرة ابن عمر فديار بكر حتى وصلت سامسون ومنها ركب الألوسى إلى القسطنطينية . وصل المدينة التى كان يحلم بها والتى كانت المركز العصبى للدولة الواسعة، وكانت إستانبول فى عهده عروس الشرق الأوسط ، لأن الأموال تجبى من أطراف المملكة لكى تمد هذه المدينة وتتزين ! فاتصل بشيخ الإسلام عارف حكمت الحسينى وقدم له التفسير فقابله الشيخ ببرودة غير معهودة ، وأخيرا تمكن الألوسى من إقناعه وإزالة ما بصدره من أقاويل، وجرت بين شيخ الإسلام والمفتى السابق مناظرات ومباحث دلت على سعة اطلاعهما (٩) ، وأعانه شيخ الإسلام بالنزول بدار الضيافة بالقصر ، إذ قدم مذكرة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ضمنها مطالبه وشكواه وأردف بهما بيتين من الشعر ضمن بهما شطرا لأبى فراس الحمدانى والبيتين هما :

(٨) وصف رحلته فى العودة الى بغداد فى نشوة المدام طبع عام ١٢٦٩ هـ

قصدت من الوزراء صدراً معظماً وقد سامنى ضر وقدساء فى دهر
فقلت لنفسى والرجاء موقر (لنا الصدر دون العالمين أو القبر)

وبعد دراسة المذكرة صدرت إرادة سلطانية بتوجيه رتبة قضاء (أرضروم) له مع إعطاء هدية مالية عظيمة [١٠] وبقى فى العاصمة أشهراً مكرماً محاطاً بالإجلال، ثم أراد العودة إلى الوطن معتذراً من شيخ الإسلام الذى اقترح عليه الإقامة فى العاصمة فتوجه إلى بغداد فى ٣١ شوال عام ١٢٦٨ هـ ومعه فى القافلة والى بغداد الجديد رشيد باشا الذى جعله ساعده الأيمن فى بغداد، ثم وصلها فى ١٥ من ربيع الأول عام ١٢٨٦ هـ وحين الوصول أجرى له استقبال عظيم من قبل إخوانه، ومدة غيابه فى الرحلة الميمونة تقرب السنتين

و — الألوسى فى أيامه الأخيرة:

رجع الألوسى إلى بغداد بعد رحلة طويلة شاقة، ورجع إلى عادته القديمة يحاضر دروسه فى بيته وينادم أصحابه وقد يتردد إلى قصر الوالى الذى كان يستعين به، والألوسى قد شاهد فى حله فى بغداد وترحاله إلى جزء مهم من الدولة العثمانية، وشاهد الانهيار الروحى والمعنوى فى الدولة، فأراد أن يبعث الروح الإسلامية حية يقظة تكون مستعدة حين اعتداء الغربيين على دول المسلمين فألف رسالة مهمة فى (الجهاد) [١١] وشرح كتباً أخرى قد ألفها قبلا [١٢] وكأنه كان يعلم بدنو أجله فأراد أن يهدى إلى الأجيال المقبلة تاريخاً مفصلا لحياته ولعصره فكتب (مقامات) خالدة هى فى مقدمة كتبه الأدبية، وكانت المقامة الأولى إرشادات طيبة إلى أولاده النجباء دلت على خبرة اجتماعية وحس دقيق. والألوسى مع قيامه بهذه الأعمال الجسام كان يتحمل آلام الحمى الناقفة التى أصيب بها أثناء رجوعه من الرحلة إلى بغداد، إذ ابتلت جميع ثيابه، وبقى يتحمل هذا المرض الذى كان يساوده

ز — وفاته:

وهكذا يتم الفصل الأخير من حياة الألوسى الكبير! حياة كلها كفاح مرير، ورجولة مثلى ورعاية للأدب، وتقديس للعلم

تخدر جسم الألوسى الكبير، بعد أن نحل عظمه، وهزل لحمه، ثم ارتفعت روحه إلى خالقها وذلك فى صباح ٢٥ ذى القعدة ١٢٧٠ هـ، وقد شيع جثمانه تشييعاً حافلا، سارت به بغداد أجمعها، وبين التأسف والتوجع دفن الألوسى فى مقبرة عائلته فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى. رحم الله الألوسى الكبير!

تمت

محمود العبطة

---

(١٠) أعلام العراق (ص: ٢٦)

(١١) المصدر السابق

(١٢) اسمها (سفرة الزاد لسفرة الجهاد) طبعت فى بغداد عام ١٣٣١ هـ

(١٣) من أدب الآباء والأبناء — لمحمود العبطة. الثقافة المصرية (عدد: ٦٤٩)

صـــــالح علي شرنوبي

للأستاذ رجاء عبد المؤمن النقاش

في أمسية من أماسي سبتمبر الجاري ، وعلى شاطئ مدينة سمنود ، في جلسة حالة ضمتني أنا والأستاذ أبو الفتوح عطيفة ، أخذ الأستاذ يحدثني عن الآثار الفكرية التي تركنها في نفسه إحدى زياراته للقاهرة ، وأخذت أصغي إلى حديثه الرقيق الدسم . . وفي لفتة من لفتاته المشرقة ، انطلق يحدثني عن الأثر الذي تركه الشاعر الشاب صالح شرنوبي في نفسه ، حين سمعه للمرة الأولى في جمعية الشبان المسيحيين ضمن جماعة من شعراء الشباب ، وقد كان فيهم من البرزين ، إن لم يكن أبرز شخصية وأميزها بينهم جميعا

قلت للأديب معقبا على لفتته تلك : إنني آمل أن يسد هذا الفنان الشاب ثغرة تركتها في الشعر العربي وفاة علي محمود طه ، إذ أنني في الواقع أنظر إليه بعين الأمل في مستقبله ، ذاك الذي يلوح لي مشرقا باسما من وراء الإرهاصات الطيبة التي أراها في شعره وخصوصا وأنه ما زال في ريق شبابه ، وميعة عمره

ومضى ذلك اليوم ، وفي صباح اليوم التالي ، بينما أتصفح جريدة الأهرام ، لفت نظري في صحيفة الوفيات اسم الفنان المبدع ، وقرأت . . فإذا بالشاعر الذي كنا نتحدث عنه بالأمس قد شد راحلته إلى هناك . . إلى عالم الفناء ، أو قل إلى عالم الخلود

لقد كانت لحظة رهيبة أشد الرهبة على نفسي ، عنيفة أقسى العنف على شعوري ، تلك اللحظة التي قرأت فيها النبأ المؤسف . . لقد وقع على وقع الصاعقة التي زلزلت كياني كله ، وأشعلت في أعماق كوامن الشجن ، ونكأت في روحي جرحا عميقا كاد أن يندمل . . أجل ! لقد حملني هذا النبأ على جناحه هناك . .

إلى صفحات الماضي القريب للأدب العربي ، فمنذ مطلع الربع الثاني من هذا القرن ، وحظ الأدب العربي سيء إلى حد يدعو إلى الأسف ، فكلما لاح في أفقه نجم ، وتطلع الحيارى إليه على أمل أن يكون بزوغه هدى لهم . . كلما لاح هذا النجم وبدا ضوءه يملأ الآفاق ، ويخترق حجب الظلام ، ويشق طريقه إلى القمة ، استيقظ الحالمون بعد قليل غفوة على حقائق الواقع المخيفة ، وأفاق السكارى ليروا جثة بأخوسهم أشلاء ممزقة ولما يرتووا بعد من كأسه المحطمة أمامهم في فناء الحانة الكئيبة الشاحبة

يوم فقـد الأدب العربي أحمد العاصي ومازال في شبابه ، ممتلىء النفس ، غض الجناح . . ولم يكد الأدب العربي يفيق من هول الصدمة ، حتى تمزقت من تاريخ الشعر العربي صفحة كادت أن تكون أخلد صفحة فيه . . هناك . يوم أصبح الناس على صوت الناعي لينبئهم أن أبا القاسم الشابي قد كفنته أعوامه الخمسة والعشرون . وما يكاد الناس ينفضون عن أفئدتهم غبار الذهول ، الذي عراهم حتى رأوا الأدب العربي يكاد ينفطر قلبه على فقيد جديد . . وكان الفقيد من السودان . . وكصاحبه أبي القاسم ـ لم يكن التيجاني يوسف بشير قد أتم في طريق العمر خمسة وعشرين عاما . . وتتوالى الفجائع على رأس أدبنا المسكين ، فلا يمضي عام إلا وهو يودع إلى شاطئ الأعراف محمد عبد المعطي الهمشري ؛ ثم يتبعه إلى نفس النهاية فخري أبو السعود ، ويليه فؤاد بليبل . وها نحن نرى أمامنا نجما جديدا يخبو ، وعلى صرخات الأنين من الأفئدة الحرى ، والنفوس الملتاعة ، نشيع في موكب من الأحزان . . صالح علي شرنوبي

لم يكد نوره يسطع على الدنيا فيلفت إليه الأنظار ، حتى سقط في طرفة عين كالبرق الخالب ، والسراب الكذوب . . إلا أنها قصة جديدة نستمعها من تاريخ أدبنا المعاصر . . وصفحة أخرى ريانة الصبا ، مياسة الجمال ، يطويها هذا التاريخ ليحل محلها أخرى صفراء ذابلة ، توحي إلى النفس بالأسى وتدفع إلى محاجرنا منهمر الدمع

مضى صالح .. فى رونق شبابه ، فضت معه شاعرية ناضجة وهيض إثره جناح جبار ، وانطوت بموته صفحة للفن الرفيع ما كانت لتقدر على طيها الأنواء والعواصف .. ولكنه الموت ! ولكنه القدر ، كانت روحه ألصق ما تكون بالفن ، وكان الفن ألصق ما يكون بروحه .. كل ما عرفته عنه يتفق كل الاتفاق مع شخصيته الفنية ، التى رسمتها له فى ذهنى إثر قراءتى المتتابعة له ، إذ لم تتح لى الظروف أن أتصل به اتصالا مباشراً يتيح لى أن أعرف كل شئ عنه .. كان المرجع فى رسم هذه الصورة فى رأسى هو شعره ، ثم بعض أصدقائه وزملائه الذين اتصلت بهم عن كثب وعرفت منهم بعض طباعه وخلائقه .. أول ظاهرة تلفت نظر الدارس فى شخصية هذا الفنان هى الصدق .. الصدق فى أجمل صورة ، حيث يصدر من طبيعة أصيلة ، ولا أثر للتكلف ولا للصنعة فيه .. فهذا لا يخرج القصيدة إلى حيز الحياة ، إلا بعد تجربة نفسية تصهر فيها أحاسيسه ومشاعره . تجربة يعيش فيها ويحس جوها ، ويكتشف دقائقها ، ويلم بحقائقها .. فأنت تشم من شعره فى كل قصيدة وكل بيت ، رائحة « الصدق » تفعم أحاسيسك ، وتملأ مشاعرك ، فتهزك من أعماقك هزا عنيفا ، وتدفعك قسرا إلى متابعته والاندماج فى جو قصيدته بعد أن يلهب نفسك ، ويشمل وجدانك - استمع إليه فى قصيدته على ضفاف الجحيم ، وهو يخاطب القاهرة وأضواءها القاسية :

إلى هنا فعربدى وثورى	ملء عنان اللهو والسرور
ومزقى بضحك الخمور ..	غلالة ينسجها تفكيرى
ليستر العريان من شعورى	ويحجب اللافح من سعيرى
الجائع المدمر الضرير	يود لو يعصف بالقصور
وساكنيها عابدى الفجور	الناعمين فى حمى الحرير
الغافلين عن أسى الفقير	ولوعة المشرد المدحور
الوالغين فى الدم المهدور	من عصب الكادح والأجير
إلى هنا يا جنة الحقير	آكل جوعى وأضم نيرى

قف طويلا أمام تلك التعبيرات الصادقة ، المنطلقة من إحساس صادق ، اقتفيا الظلال التى تتركها على صفحات الشعور الملفوح بحرارتها وقوتها ، قف أمام « العريان من شعورى » ثم أمام « عابدى الفجور » .. « الناعمين فى حمى الحرير » .. ثم قف بربك أمام الشطر الثانى من البيت الثامن « آكل جوعى وأضم نيرى » .. ثم قل لى هل هناك أصدق فى الإحساس والتعبير وفى دقة الأداء وعمقه ، من تلك التعبيرات ؟

ثم استمع بعد ذلك إلى هذه الومضات المتدفقة من أعماق وجدانه المشتعل :

هذا أنا فى العالم الكبير	فوق ربى القطم المهجور
منخذا من أرضه سريرى	من الحصى والطين والصخور
وتحت سقف الأفق الطير	والقاصف المزمجر القرور
أنام نوم العاجز الموتور	على عواء الذئب والهرير
وقهقهات ازعد فى الديجور	تسخر من عجزى ومن تقصيرى

هنا تصوير صادق ، وصادق جدا ، لا يقدر عليه إلا شاعر أحس أثر التجربة العميق فى نفسه ، بعد أن جمع إحساسه ، وحشد قدرته الفنية ، ليلتقط دقائق المنظر حتى يخرج صادقا كما هو فى نفس الفنان ، وكما هو فى أعماق الواقع - ولا أترك هذه القصيدة قبل أن أقف أمام هذه الأبيات :

وأنت يا زنجية الضمير	تدرين قدرى وترين نورى
فتفجرين ضحكة المغرور	أو ترتدين كفن القبور
هازئة كالزمن المهجور	من الشالى الفتى الطهور

قف أمام « زنجية الضمير » .. فلعل هذا التعبير يكون المفتاح الصادق لكل وثبة من وثبات شعوره وقفزة من قفزات فنه ، فى القصيدة كلها .. إنه يخاطب زنجية الضمير . فعليه أن يغترف من منبع السخط عليها ، كل لفظة تتناسب مع جو القصيدة العاصف ، وكل حركة تتفق وموسيقاها الصاخبة . الصدق .. صدق الفنان . هو الظاهرة الأولى فى شخصية صالح شرنوبى .. ويلى ذلك ظاهرة الانطلاق .. الانطلاق الحر الذى لا يقيده قيد ولا تحده حدود .. وهذا الانطلاق الفنى لا يتوفر إلا لكل شاعر

جبار الجناحين، قادر على التحليق فى الآفاق الواسعة، مكتمل الأداة، يعبر فى حرية من فنه الذى لا يضيق به ؛ ومن نفسه التى تتسع لزاد من الأحاسيس ، لا يفنيه ضعف فى الملكة أو جمود فى الطاقة، ترى ماذا أقصد بالانطلاق ؟ الانطلاق فى رأيى ، هو أن يكون الفنان صاحب « نفس خاصة » ينظر بها إلى زوايا الحياة نظرة خاصة به وحده ، ويتأثر تأثراً له خصائصه المنفردة ، ومميزاته التى تهيئ للفنان شخصية لا تضيع فى غمار الشخصيات الفنية الأخرى، ثم هو التعبير عن الإحساس بصدق بالغ مع التحلل من كل القيود التى تفرض من خارج النفس الفنانة..الانطلاق مجملا، هو كما يقول صالح نفسه فى قصيدة « الشاعر » :

شاعر الكون لا يقيده الكو   ن وإن ضمه تراب وماء
ساحر النور والظلام ، وكم يسمو .. فتفنى فى نوره الظلماء
قلبه العالم الكبير ونجوا   ه حنين ورحمة وإخاء
خلقه كالضياء فى كل حال   فهو فى الحان والمصلى ضياء
عقله مسرح بنته المقادي   ر ووشت ظلاله الأضواء
أزلى .. ممثلوه رؤاه   والأمانى المجنونة الخرساء

فالنظرة الفاحصة التى تتخطى بدقتها وروعتها وعمقها ظواهر الأشياء ، والإحساس الشامل ، والأفق الواسع ، والتعبير الصادق ، والشخصية الخاصة . كل هذه الأشياء هى حدود الانطلاق الذى يرفع من قيمة الفنان شاعرا كان أو موسيقيا أو مصورا

وهذا الانطلاق ظاهرة تلفت النظر فى شخصية صالح الفنية فى كل شعره على الإطلاق ، تحسه وأنت تقرأ له : فى لفظه وموسيقاه ، فى افتناته وصوره ، فى دفقات وجدانه الشاعر ، ونبضات قلبه الفنان .. أو ليس منطلقا ذلك الذى كأنه يستشف حجب الغيب وهو يقول فى « أشواق الربيع » :

تعالى نخلق الحب   فقد يخلقنا الحب
لنروى ظمأ الدنيا   بما يوحى به القلب
فقد يخنقنا الترب   ولم نعشق ولم نصب
وننسى أننا « كنا »   وفى أيامنا جدب
تركناه بلا رى   وفينا المنهل العذب
تعالى فالردى الجبار   لا يحنو ولا يرحم
وهذا سيفه المخضو   ب لا يبلى ولا يثلم
يربى ومضه مالا   يربى ظله الأقتم
تعالى فالغد المرهوب   غيمان السنا مبهم
ويا ضيعة دنيانا   إذا ولى ولم نعلم ..

أو ذلك الذى يقول فى « الأفعى » مصورا لنا موقفا خالدا من مواقف البشرية ، هناك ... حيث يتصارع جسد المرأة ، وجسد الرجل صراعا خالدا ، .. ولكن المرأة فى هذه القصيدة ليست امرأة عادية ، .. إنها أفعى ، إنها بغى ، .. وعليه ينطلق فى تلوين الصورة وتظليلها مختارا لها ما يناسبها من الألوان والظلال..

وذلك ما يبدو واضحا فى القصيدة الرائعة :

إشغلينى بما تريدين منى   واملئى بالغرام سمعى وعينى
بفنون الإغراء باللهب الثا   ر من جسمك البديع الأغن
جسمك العبقرى شكلا وظلا   الغوى الغنى عن كل حسن ..
إشغلينى فقد تنالين من عمرى يوما ، نقضيه كالحالمين
عند هذا الركن القريب من الأر   ض وإلا فمنذ أبعد ركن
هو يوم كأى يوم سيمضى   أو مضى فالحياة لون كلون
سوف نقضيه وحدنا . . ثم ترضين ، وأشكو ، وتشفقين ، وأثنى
فى غرام مستهتر . . . يقصيى   كل شئ فينا ، ويحيى ويفنى
فى صراع يطول بالراحتين   وبجسمى وجسمك الماردين
وبما فى شبابنا من حياة .   واشتهاء يطغى ، وشوق يغنى
بين خمر رخيصة وأغان   ساقطات ، تجرى ،على غير لحن
ودخان ممطر ، نتعاطا   ه بعيدا ، فى وكرنا المستكن
وحديث مهلهل عن لياليـ   ك وعن قلبك الصغير المسن
ونكات حفظتها عن « أبى النوا   س » أو عن جحا الحكيم المفن

تتقاضيني عليهـــا حياتي   وتقولين قد رجمت بظن ...

وننتقل بعد ذلك إلى شعر المناسبات عنده، لنرى أن أهم ظاهرتين فيه أيضا هما: الصدق والانطلاق

وبين يدينا قصيدته «فاروقية» قائمة على ذلك بالدليل، شاهدة عليه بالبرهان، .. يقول في مطلعها: —

حادي الشمس لا تعجل سراها   فهنا لو علمت نبع سناها
مل بها ساعة ... تبث هواها   لجيل هامت به مقلتاها

ويقول في ختامها الرائع: —

ملك تخشع القوافي لديه   ناهلات من سحره معناها
كل أيامه، ملاحم مجد   ملأ الدهر كأسه من طلاها
إن تناهى القصيد دون علاه   فمعاني علاه ... لا تتناهى

وكل ما عرفته عن حياته بعد ذلك موافق تماما لشخصيته الفنية التي استخلصنا حدودها من شعره، ... فقد كان — على ما علمت — مسرفا لا يبقى في يده على شيء، سمح الخلق، رضي النفس، ... شيء واحد أثار تعجبي ودهشتي، ذلك أنه كان شابا حدث السن، إذ ما كنت أتصور أن كل هذا النضج وكل هذه الأصالة، يمكن أن تتوفر لشاب في مثل سنه، والخطأ في دهشتي وتعجبي واضح بين، إذ أن القرائن في ماضي أدبنا العربي، وغيره من الآداب، لا تنكر حدوث ذلك، وفوق هذا، فإن العبقرية غلابة على السن والجنس والنوع، فليس من لوازمها أن يكون العبقري شيخا، ولا من موانعها أن يكون رجلا لا امرأة، أو مصريا لا فرنسيا ... ذلك لأن العبقرية كما قلنا لا حدود لها من سن، أو جنس، أو نوع

رحمك الله يا صالح ... إنها لخسارة فادحة حلت بالأدب العربي، كم أدمت من نفوس، كنت موضع آمالها، وقبلة مناها، وكم حطمت من أفئدة، كنت ساكن سويدائها، ورب هواها ...

ولئن كانت حياتك مثلا من الصدق والانطلاق، لقد كان موتك ضربا من العبر التي لا تتكرر في كل حين ولكنها — على قلتها — خالدة، وصفحة باقية، جذبت إثرها من كتاب التاريخ صفحات، ... ولن يجد قائل ما يرثيك به خيرا من قولك أيها الفنان:

مات فرد ممن شدا الحق فيهم   «أنتم الناس أيها الشعراء»

رجاء عبد المؤمن النقاش

٥ – أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها)
«حديث شريف»

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذا هو البارودي أو بالأحرى فلذات من شخصيته المالية الدائبة على طلب التمجيد والتخليد، وليس ثمة أبدهمة من احتقار اللذة خمرا ومزمارا، وأسمى مكانة من الاعتماد على النفس في سلوك النهج بغية العزة والتماس الكرامة

والبارودي – والحق يقال – من طراز الأبيوردي الذي من شيمه معالي الأمور، أما قمة النجم فهي موطئ قدمه، فكيف برأسه:

الناس من خولي والدهر من خدمي
وقمة النجم عندي موطئ القدم

وللبيان لساني والندى خضل ... به يدي، والملا يخلقن من شيمي
لو صيغت الأرض لي دون الورى ذهبا
لم ترضها لرجى نائل هممي
وعن قليل أرى في مأزق حرج ... به تشام السريجيات في القمم

ويقول:

عجبت لمن يبغي مداي وقد رأى ... مساحب ذيلي فوق هام الفراقد
ولي نسب في الحي طال بفاءه ... رحيب مساري العرق زاكي المحاتد
ورثنا العلا وهي التي خلقت لنا ... ونحن خلقنا للعلا والمحامد
أبا فأبا من عبد شمس وهكذا ... إلى آدم لم يتنمنا غير ماجد

ومن العجيب أن العرب في شتى الأعصار والأمصار لم يفارقهم هتاف المجد في الروحات والغدوات، وما من شئ يحتفلون بذكره في نثرهم وشعرهم أهم عندهم من المعالي

يقول حسان بن ثابت في مدح جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان:

دار لقوم قد أرام مرة ... فوق الأعزة عزهم لم ينقل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

ويقول لبيد:

فاقنع بما قسم المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها
فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه ... فسما إليه كهلها وغلامها

ويقول شاعر في رثاء الأحنف بن قيس:

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

ويقول لبيد عند النازلة، والنجوم والشهب والجبال تراوده:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وكذلك صفي الدين الحلي. وهو يرثي صديقا له غرق بدجلة:

أصفيح ماء أو أديم سماء ... فيه تغور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلم قبل موتك موقنا ... أن البدور غروبها في الماء

ومنها:

أنف العلاء عليك من لبس الثرى ... وحلول باطن حفرة ظلماء

ويقول:

حببك الأوطان عجز ظاهر ... فاغترب تلق عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا ... وسرى البدر به البدر اكتمل

والساعاتي أيضا يذكر المعالي عند الرثاء فيقول:

بكت عيون العلا وانحطت الرتب
ومزقت شملها من حزنها الكتب

وقال آخر:

كل شئ إذا تناهى تواهى ... وانتقاص البدور عند التمام

وقال غيره:

كأن الفتى يرقى من العمر سلما ... إلى أن يجوز الأربعين فينحط

وقال ابن سارة:

لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك
الأعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها ... فراقها الثاويان البدو والحضر

وفى الكرم يقول الشاعر مادحا عمرو العلا هاشم :

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه
مر السحاب ولا ريح تجاريه

وفى الهجاء يقول الحطيئة للزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وفى الحكم يقول الهذلى :

تالله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس

وفى المال يقول الحافظ :

تبا لمن آتاه رب العلا مالا ولم يرزقه إنفاقه
فالمال كالآل متى لم يكن يبين الإنفاق إشراقه

وكان فى العرب رجل اسمه « أنف الناقة » نسبت إليه قبيلته لأنه سيدها وهو جعفر بن قريع ، وكان كل فرد فى هذه القبيلة عرضة للسب والتعيير حتى قال الحطيئة فيهم قوله :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهمو شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم همو الأنف والأذناب غيرهمو
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

عندئذ جعلوا يفخرون ، وإذا سئل أحدهم من نسبه لم يبدأ إلا بقوله :

ابن أنف الناقة . وقد كان يغضب إذا ذكر

وفى المدح يضع زهير بن أبى سلمى هرم وقومه فوق الشمس :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وقالت بنت لبيد تمدح :

أشم الأنف أصيد عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا عليها من بنى حام قعودا

وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان « عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها .. »
وعدى هذا هو القائل :

نحن كنا قد علمتم قبلكم عمد البيت وأوتاد الإصار

ويقول ذو الإصبع يرثى قومه :

لهم كانت أعالى الأرض فالمران فالعرض
إلى ما حازه الحزن فما أسهل المحض
إلى الكفرين من نخلة فالدارين فالأرض
لهم كان جمام الماء لا الزجى والبرض
فمن ساجلهم حربا ففى الخيبة والخفض
وهم نالوا على الشنآن والشحناء والبغض
معالى لم ينلها الناس فى بسط ولا قبض

وقال محمد بن وهب الحميرى :

ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركانا عليها محيطة فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعن فيه للسوابغ جنة وسقف سماء أنشأته الحوافر
لها فلك فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مستطير وثائر
ولو لم تكن إلا بنفسك فاخرا لما انتسبت إلا إليك المفاخر

وقال شاعر قديم :

قلال مجد فرعت آصاصا وعزة قعساء لن تناصى

وقال يزيد بن الطثرية :

عدت من عليه تنفض الطل بعدما
رأت حاجب الشمس استوى فترفقا

وقال أحدهم يصف حديقة :

ترفعت عن ندى الأعماق وانحدرت
عن المعاطن فاستغنت بسقاها
فاهتز بالبقل والريحان أسفلها واعتم بالنخل والرمان أعلاها
أيا معاوية اشكر فضل واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال البلوى فى وصف بيت :

وقد حلوا أعاليه بتبر وقد بسطوا أسافله رخاما
وقد جعلوا له بابا وقفلا وحلوا بابه ورقا وساما

وقال آخر :

فاستنزلوا أهل (جو) (١) من منازلهم
وهدموا شاخص البنيان فانهدما

وقال حسان يهجو نوفل بن الحارث :

---

(١) أهل جو هم أهل اليمامة

وما ولدت أبناء زهرة منهمو صميا ولم يلحق مجانزك الجد

والبهاء زهير يقول :

على الطائر الميمون يا خير قادم وأهلا وسهلا بالعلا والمكارم

ويقول ابن سناء الملك :

وما أناراض أنني واطئ الثرى ولى همة لا ترتضى الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى لخرت جميعا نحو وجهى سجدا

ويقول صفي الدين الحلى :

سلى الرماح العوالى عن معالينا
واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا

وفى وصف الفرس يقول الثمالى :

يأيها الملك العزيز ومن له شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين العالمين بهمة تذر الأجانب بالوفود أقاربا

ويقول مهيار الديلمى :

وأبى كسرى علا إيوانه أين فى الناس أب مثل أبى

وتقول هند بنت طارق فى النسوة يوم أحد وهن يضربن الدفوف والمعازف :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

والطارق هو النجم الذى هو زحل ، فهى تقول نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالطارق ، وما أدراك ما الطارق : النجم الثاقب

وأنشد أبو بكر الأيادى لامرأة من العرب عن عنها زوجها :

فقدتك من بعل علام تدكى بصدرك لا تغنى فتيلا ولا تملى

ويقول شاعر ارتفع بأمانيه للناس فوق ما يتمنى الناس :

سقى الله أرض العاشقين بغيثه ورد إلى الأوطان كل غريب
وأعطى ذوى الهيئات فوق مناهمو ومتع محبوبا بقرب حبيب

هـذه شوارد كلها شواهد على أن الشعراء العرب لم يكونوا بمنأى من المعالى مادية وروحية فى كل ما تتفتق به قرائحهم ، وهذه ظاهرة قلما توجد فى الآداب الأخرى على هذا النحو من التنويع والتوزيع . وصدق ابن قتيبة حين يقول :

« . . ويقال ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى ، والشرف العالى ، والمكان الخضر الخالى »

نستطيع أن نقول فى أمان وأمانة إن الروح العربية كانت مجالا لتوليد هـذه المعانى ، ونشدان تلك المعالى ، حتى إذا جاء الإسلام كانت منه فى موضع الرعاية والتقدير ، ولا سيما فيما يرفع المجتمع إلى أسمى الدرجات الإنسانية ، وذلك يؤدى حتما إلى انعكاس المعالى الاجتماعية على النفس المفردة ، فكان الإسلام أشبه بالبؤرة من العدسة اللاقطة العاكسة معا : تلتقط ما دون العصبية المقوتة ، وتحتفظ بالمفاخر لتتسلط إشعاعاتها على نفوس المؤمنين بهـذه الرسالة الجديدة التى يدعو إليها محمـد وهو من أواسط العرب وأشرفهم محتدا وفعالا

والله تعالى هو العـلى العظيم المتعالى العالى الأعلى ذو العلا والعلا والمعالى . وصفة الله العليا هى شهادة ألا إله إلا الله

محمد محمود زيتونه

المقامة المـــدريدية

للأستاذ إبراهيم الابيارى

أقلنا البحر على مبسوط مائه ، وتحت منشور سمائه . وما هى إلا أن لفنا الوجود، فى مثل الثوب المشدود، قد انضمت أطرافه ، نبحر ما نبحر وما فى ملتقى السماء بالماء منفذ ، وطوانا الغيب فى ظلمات ريب قد تراكبت ألفافه ، نفكر حين نفكر فيلتات علينا السبيل والمأخذ

ونحن إذا صافانا الماء، و كتب للماخرة الاستواء، مرددون إلى كل ملهية، مرددون بيت الشادية :

وخطت هونا تهادى خطو ظبى لم يفزع

وراع بالمائجة الهائجة ، فتلفتنا عما نحن فيه، إلى ما لابد إلى تلافيه ، ويصطخب مع لج البحر لج الفكر، وكأنهما قد التقيا على أمر، فنلتى غرق الأفكار، لا البحار. ويميد الطود فيترنح كل من عليه ترنح السكارى قد أفلت منهم حبلان حبل العيون، وحبل البطون ، هذا عن خوف، وذاك لانقلاب الجوف

ومنا من لو ملك أن يقطع ما بينه وبين الحياة لفعل يشترى الآجل بالعاجل، آخذا بقول القائل :

إن المنى إن يمكن قاطع أوداجه إن جاوز الصبر المدى

ويدر كنا الغوث، بعد غيث ، ونلحق البر، على مستقر

ولى لسان إذا طاوعته جهرا يكرر الحمد للمولى ويشكره

واخطو إلى مدريد، على عجل حديد، وإذا أنا بين عشية وضحاها، على مغناها ، فألقى عصا التسيار بياض نهار ، وما أن أتفيأ، حتى أتهيأ

أمضـــى إلى الدار التى قـد جلت باسمين
فاروق أرسـى أسها بيمينـه طه حسين

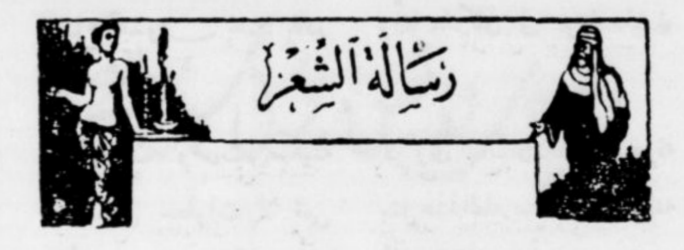
هنا آمال فى أمل ، وأعمال للعمل ، ودفائن مستورة، ومعالم مطمورة ، حف بها الحافون ، وخف إليها الخافون ، نلقى عنهم، ولا نشر كهم ، على رابطة بيننا وبين الدارس، ووشيجة تجمعنا بالوارث

إنا وإياكم بمنطـق صادق أهل وإن بعد المدى بصلات

وحسبنا هنا عربية إليها نعزى ، فنجزى بها أحسن ما نجزى ، فالأيدى ممدودة إلينا بالعون ، ونحن فى ظل من الرعاية والصون

وغدا سيثمر غرس فارسـكم وغد مع العزم الصدوق قريب

مدريد ابراهيم الابيارى



مهوحى رأس البر:

فى دولة الطير

رمز « الفجافيج »(١)

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

يادولة الطير : كم سطرت موعظة
للناس لو فكروا فى الطير أحيانا
فيك الوفاء . . وفيك النبل أجمعه
لو أرهف الناس أسماعا وأذهانا :
سل السمانى وقد تاقت لموطنها
واستعذبت غمرات الموت تحنانا
طارت تجوب عباب البحر . . ما طعمت
زادا ، ولم ترو قلبا بات ظمآنا
تطوى الليالى خماصا كى ترى وطنا
يا من رأى طاويا يشتاق أوطانا
إن ينشد المرء رمزا للوفاء ففى
بذل السمانى وفاء قام عنوانا

* * *

يامن يريد مثالا للاخاء : لدى
دنيا الطيور إخاء لاح ألوانا :
سل « الفجافيج » لما شاقها وطن
— مثل السمانى — مرت فى الجو رهبانا

وهى الصغار الضئال الجسم . . لو نظمت
سمطا لأبصرت عقدا ضم مرجانا
طارت تجوب عباب البحر . . لست ترى
جسما لها . . يا لسرب سار حيرانا
الريح تدفعه خطوا . . وترجعه
خطوين . . فهو نزيل عندها هانا
لما تعثر واشتد البلاء به
أوى لأكرم طير عاش رحمانا
أوى لأجنحة « الكركى » ينشد فى
ظلالها من صروف الدهر أعوانا
فراح يحمله عطفا ، ويمنحه
قلبا حنونا على الأيام ما خانا
فى رحلة ترتجى الأطيار لو افتقت
أجسامها ومضت بالروح وحدانا
حتى تخف لأهوال تنوء بها :
مما يشيب وينسى الروح نسيانا

* * *

عشراً وعشراً رأت من صدره نزلا
ومن جناحيه أعشاشا وأكنانا
فلم تبال عباب البحر مصطخبا
ولم تحاذر ضباب الجو إن رانا
ولا أحست بلفح الشمس يصهرها . .
ألقت عن الروح أعباء وأشجانا
ونام عنها شقاء الدهر فابتهجت
وأسلمت للكركى قلبا وأجفانا
وطالع الوطن المحبوب مقلتها
حلما جميلا فناجت منه أغصانا
حتى إذا وصلت للشط سالمة
طارت فلم يزجها « الكركى » شكرانا
ولا رأت عنده منا يكدر ما
أسدت يداه . ولا بغيا وعدوانا

(١) صغار العصافير . تقبل فى موسم السمانى

ولم يصبها بسوء .. بل رأى ـ كرما ـ
عون الضعيف الذي لم يلق معوانا
ولو أراد لكانت طي قبضته
زادا شهيا لجوف بات جوعانا

* * *

يا للإخاء ترى « الكركى » آيته
فهل ترى مثله في الدهر إنسانا ؟
إن القوى ليجتاح الضعيف بنا :
سلبا ، وغدرا ، وإيذاء ، وحرمانا
والطير ترعى على الأيام دولتها
فانظر لدنياهم .. واعجب لدنيانا

محمد يوسف المحجوب

دليلة

كانت تمر في عهد ، ثم مرت في عهد آخر ...
وبين العهدين مات رجاء ! !

للأستاذ أحمد كمال زكي

قيل لي مرت هنا وهي بطيئه ... وخطاها رهن قيد ومشيئه
عبرت تحفر للحنا شـله ... إصبع يسفح إثما وخطيئه
كفنت في شعرها سوسنة ... وأمان بين نهديها خبيئه
وتقى المطر من زنارها ... فتقى الأرض.. والأرض بريئه
خصرها أنقاض خصر قد هوى ... يوم أغنى النور والشمس مضيئه
خلفها ماض وتمضي لا ترى ... عميت حتى على الماضي جريئه

* * *

قيل لي مرت كما مرت دليله ... تحمل الحب لشمشون وسيله
تنظر الأفق وفي أهدابها ... سرها تؤثر فيه كل حيله
يا لها ... تذهب إني واقف ... فوق شلو كان في نفسي خليله
لم أضع تحت سماها أملا ... لترى ما كنت أخشى أن أقوله
كنت ماشئت ، وكانت لعبتي ... لا كما كان الذي ضل سبيله
ضاع شمشون بحب غادر ... وأنا ما كان لي يوما دليله

* * *

قيل لي مرت.. ومرت في سكينه ... لا ترى الباب ولا تلحظ دونه
نهدت في خطوات لا تعي ... مثل هذا الطير يستجدي سجينه
لم أهن بعد ، وما كانت لها ... لتمر اليوم تجتر رعونه
أنت يا هذي ضلال صاخب ... فاتقي الأعين فيما تفعلينه
قد رأيت الباب ، بل ما خلفه ... فبه حفنة آمال رهينه
إنها لي .. بل لأني حرة ... لا لطين في رواء الياسمينه

* * *

قيل مرت .. ثم ماذا يا غبيه ... ليس حقلي ما ترويه شقيه
قذفتك النار شيطانا به ... أيريد القوت في أرض تقيه
أنا تكفير أبينا آدم ... وحياتي ما لها حوا دعيه
ما لها فيك هوى أو بغية ... وبها فيض أمان أزليه
ما لها إلا انعتاق مطلق ... لذرى شم وراء الأبديه
أناذات .. فكرة .. بل نفحة ... إن خطت جاءت حياة سرمديه

أحمد كمال زكي
مدرس بالمدرسة المحمدية

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الاتجاهات الأدبية الحديثة :

طلبت محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية إلى محرر هـذا الباب ، أن يتحدث إلى مستمعيها عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر » فأعد لها هذا الحديث الذي سجل في « استديوهات السيد بدير بالقاهرة » وأذيع مساء يوم الأربعاء الماضي . ويظهر أن المحطة ستذيع أحاديث أخر عن الاتجاهات الأدبية الحديثة في الأقطار العربيـة الأخرى . فأنشر حديث الاتجاهات المصرية فيما يلي ، راجيا أن يتاح لي تتبع ما عسى أن يذاع عن الاتجاهات الأخرى ، فأحدث به قراء الرسالة لنقف على وجهات النظر في عالم الأدب العربي الحديث بمختلف بلاده

وهذا نص حديثنا :

كان أساتذتنا شيوخ الأدب في مصر ، أصحاب دعوة جديدة في التوجيه الأدبي ، ظهروا بهـا في الثورة على من عاصروهم من قدامى الأدباء ، وقاموا بدورهم الخالد في نهضة الأدب العربي الحديث ، ارتادوا آفاق الآداب الأوربية ، وهم ذوو ثقافة عربية ومواهب أصيلة ، ثم كتبوا وألفوا ، حتى جمعوا لنا هذه الثروة الأدبية التي تـكون أدبنا الحديث

وموضوعنا — وهو « الاتجاهات الأدبيـة الحديثة في مصر » — لا أريد له أن يعني أدب أولئك الأعلام وذلك لأمرين ، الأول أن ذلك الأدب قد شبع من درسه والحديث عنـه ، الأمر الثاني أنه قد تقادم عهده بعض الشيء ، وجد بعده أو معه أدب أولى منه بلفظ « الحديث » من النـاحية الزمنية على الأقل

وقبل أن نقصد إلى هـذا الأدب الحديث ، ونأخذ في تبين اتجاهاته ، أحب أن أذكر أمراً أراده محور هذا الموضوع ذلك أن المسألة في اتجاه الأدب ليست مسألة الأدباء وحدهم ، وإنما هي كذلك مسألة القراء ، بل إننا إذا نظرنا إلى أن الـكتاب كانوا قراء قبل أن يكونوا كتابا ، ولعلهم أكثر الناس قراءة — إذا نظرنا إلى هذا وجدنا الأمر كله في توجيه الأدب راجعا إلى القراء ، فالجيل من النـاس يشعر بحاجاته ، ويطلب من التفكير والتعبير ما يلائم روحه وعصره ، فيخرج من صميمه كتاب يعربون عنه ويقودون أفـكاره

كان الأدباء قديما يلوذون بالملوك والأمراء وأشباههم من الـكبراء ، لأنهم هم الذين يقرؤونهم أو يسمعونهم ، ويجزونهم على ما يقولون . ثم جاءت العصور الحديثة بالثورة على الطبقات الأرستقراطية ، فتقدمت طبقات متوسطة إلى الصفوف الأولى في المجتمع وفي الحـكم والسياسة . وقد تهيأت الفرصة للطبقة المتوسطة في مصر عن طريق التعليم في صدر هذا القرن العشرين ، فارتفع منها أفراد إلى الطبقة العالية ، وكان القراء يتكونون من هؤلاء وممن ظلوا متوسـطين في حال حسنة ، وكان حظ النوع الأول من الشعور بأنفسهم موفورا ، وكان الآخرون المتوسـطون يتطلعون إلى الأولين ويحاكونهم ، فلم يكن يهم أولئك ولا هؤلاء ما تعانيه سائر طبقات الشعب من فقر وجهل ومرض . في هذه البيئة وفي ذلك الطور من الزمان نشأ أدباء الجيل الذي كان حديثا في ذلك الوقت ، فكانوا لسان الطبقة المتوسطة ومن ارتفع منها

وأرى من الضروري قبـل الاسترسال في الحديث أن أنبه على أننا في هـذا الموضوع بصدد اتجاهات الأدب ، لا وصفه والحـكم على قيمته ، وأذكر كذلك أننا مضطرون إلى إجمال الـكلام في هذا الحديث القصير ، فليس ما نقوله ينطبق على كل الأدب وجميع الأدباء ، وإنما هو على وجه العموم والإجمال

كان أولئك الأدباء يحلقون في أجواء متعددة ، وكان أكثر ما يطرقونه الدراسـات الأدبية : دراسة الأدب العربي القـديم ، ودراسة الآداب الأوربية القديمة والحديثة ، ومنهم من اتخذ التاريخ الإسلامي مجالا للتأليف في عرضه وتحقيقه ، ومنهم من اتخذ منـه مادة لخيال أدبي وعمل فني . وهم كالطبقة التي صحبوا تقدمها في شدة الشعور بأنفسهم ، فكانوا أحيانا يسرحون مع

الخيال ويلزمون الأبراج العاجية ، يستوحون فيها الخواطر والأفكار البعيدة عن معترك الحياة الدنيا ، فإذا قصدوا إلى تصوير المجتمع لمسوه لمسا مترفا وعرضوه عرضا ملهيا يقصد منه الإقناع أكثر مما تلمس فيه الحرارة.

ثم تقدم الزمن وانتشر التعليم ، وألحت الآلام على الناس فى أعقاب الحرب الأخيرة ، فأصبحوا ينظرون شزرا إلى تلك الآداب السابحة فى أجواز الفضاء ، ويعدونها ضربا من العبث ، فهم لا يجدون فيها أنفسهم ، ولا يرون بها صدى لما يشغلهم ، فصاروا عنها من المعرضين

وقصد بعض الكتاب إلى الأدب الخفيف اللذيذ الخالى مما يفيد ، أو الأدب الماجن الذى يشبه الصورة العارية ، و كثيرا ما يرافقها ، وذلك ليجتذبوا القراء ، وانجذب القراء إليهم فعلا ، فتخدروا حينا ، ثم أفاقوا أو أخذوا يفيقون

سادت الكتابة الخفيفة الفارغة والماجنة بعض السنوات فى أعقاب الحرب ، ولكن جاذبيتها أخذت تتضاءل بعد ذلك حتى كادت تمحى وأصبحنا نرى في السنوات الأخيرة كتابات تتجه إلى الشعب وتتناول مسائله ومشكلاته ، تراها فى الصحف وفى الكتب ، وترى الناس يقبلون على قراءتها ويستزيدون منها ، والذى يسترعى النظر أنك إذا ذكرت كلمة الأدب أمام بعض هؤلاء الكتاب

كشكول الأسبوع

◘ بمناسبة إلغاء المعاهدة وتعديل الدستور للنص على لقب ملك مصر والسودان — أقترح أن يطلق على شطرى الوادى لفظ واحد عن طريق النحت ، وليكن « مصرودان » ولتكن الجنسية واحدة وهى المصرودانية ، والواحد مصرودانى

◘ يمكن الآن أن يقال إن العقبات « الدبلوماسية » التى كانت تحول دون إنشاء معهد فاروق الأول للدراسات العربية فى طنجة ، قد ذللت ، فقد انتهت المباحثات التى جرت بشأنه بين معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف وبين الجهات الفرنسية ، بموافقة فرنسا على إنشاء هذا المعهد . ويهتم معاليه الآن بتنظيم افتتاحه

◘ عرض أحد المستشرقين على مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أن يقوم بإتمام ما بدأه الدكتور فيشر في معجمه المعروف والسعى للحصول على ما عمله فيشر من جزازات بعد سفره من القاهرة آخر مرة منذ عشر سنوات

◘ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « الإسلام — لا الشيوعية ولا الرأسمالية » للأستاذ البهى الخولى ، وهو من الكتب القيمة التى ألفت فى السنوت الأخيرة للدعوة إلى مبادئ الإسلام وتطبيق نظمه فى الحياة العملية . ويمتاز هذا الكتاب بالإفاضة فى موضوعات العمل والعمال وتشريعات الإسلام فيها ، موضحة بكثير من الأمثلة المأخوذة من الحياة الإسلامية الأولى ، ومؤيدة بأسانيد من الكتاب والسنة . ويلمح القارئ براعة المؤلف فى توجيه ذلك إلى وجوب الانتفاع به فى حياتنا الحاضرة

◘ جاء من بيروت أن الحكومة اللبنانية تنظر الآن فى إطلاق اسم أمير الشعراء أحمد شوقى بك على أحد الشوارع ببيروت تخليدا لذكراه

أو أمام الذين يقرؤون لهم ، بدا عليهم عدم الاكتراث ، كأنهم يقولون : دعنا فى حالنا ! مالنا وللأدب .. وهم معذورون فى ذلك ، لأن تحليق المحلقين من الأدباء فى عالم الكواكب والنجوم قد جنى على المفهوم العام للأدب ، وصار كثير من الناس لا يفهمونه إلا على أنه مناقشة فى الكلاسيكية والرمزية أو معركة على نسبة من الشعر إلى المتنبى أو أبى تمام !

وعلى ذلك أستطيع أن أقول إن الأدب الحديث فى مصر يتجه الآن إلى الواقعية التى تهدف إلى صميم الشعب على أيدى كتاب من الشباب ومن الشيوخ أيضا ، يوجههم القراء الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا الاتجاه لا يزال فى أوائله ، وهو بطبيعة الحال سيزداد كلما انتشر التعليم وزاد عدد القراء من سواد الناس

وأرى أن هذا الاتجاه لم يرد إلينا من الخارج ، وإن كان مصاحبا لأشباهه فى البلاد الأخرى ، إنما هو وعى جديد مستمد من داخل النفوس . وقد حاول بعض الأدباء أن يستوردوا مذاهب أوربية كالوجودية والرمزية والسريالية ، ولكن أحدا لم يلق باله إليهم

ذلك هو الاتجاه ، وهو كما قلت شىء آخر غير قيمة الإنتاج فى ذاته ، ولا شك أن فيما يكتب كثيرا من الجيد

الرائع ، وفيه أيضا كثيرا مما تدفع إليه العجلة وحب الإكثار وابتغاء الكسب ، وفيه مع هذا وذاك كثير من الهذر والإسفاف

وإنى متفائل بمستقبل الأدب فى مصر ، لثقتى بهذا الشعب الذى يتعلم فيكثر فيه القراء الذين سيوجهون الأدب ويحملون الأدباء على الإجادة بالإقبال عليهم ، وبالتنبيه إلى قيمة ما يكتبون

ونسمع أحيانا من يعيب كتاب هذا الجيل لعدم عنايتهم باللغة والأسلوب ، ويرد عليهم آخرون بأن المهم هو المعنى ، ومعركة اللفظ والمعنى معركة قديمة ، تثار من حين لآخر ، ولا شك أن الذوق السليم يتطلب الجمال فى كل شئ ، فلماذا لا نطلبه فى أسلوب الأدب ليكمل به جمال المعنى ؟ وإذا اعتبرنا المعنى بمثابة الروح واللفظ بمثابة الجسد أفليس من الكمال أن يكون الروح الجميل ؟ غير أننى لا أوافق القائلين بأن كتاب الجيل يهملون هذا الجانب فى كتابتهم ، فالجمال مسألة تتعلق بذوق العصر ، فالفتاة المصرية — مثلا — تتبع فى حليتها وتنسيق هندامها وثيابها غير ما كانت تصنعه الفتاة فى العصور الماضية ، وكذلك الأسلوب ، فكما تركت الفتاة الأقراط الذهبية ذات الوزن الثقيل ، وكما نبذت العقود ذات الأقراص المستديرة الكبيرة ، وكما تحولت عن الألوان الزاهية الصارخة ، كذلك فعل أدباء هذا الجيل ، إذ جانبوا العبارات الطنانة والتراكيب الرنانة ، ووجهوا همهم إلى الكلمة العذبة والأسلوب الأسلس ، أى أنهم يتجهون إلى البساطة واستخدام الكلام للوصول إلى الهدف ، وليس معنى هذا أنهم أهملوا ناحية الجمال ، وإنما هم يسيرون فى اتجاه الذوق المصرى العام الذى يؤثر جانب البساطة فى كل شئ . ومما يلاحظ فى هذا المقام أن أدباء الشباب جميعا متمسكون باللغة الفصيحة ، لا نرى فيهم من يدعو إلى العامية ، كما كان فى الجيل الماضى من يدعو إليها ، وكل ما فى الأمر أنهم يريدون أن يطوعوها ويقربوا بينها وبين اللغة الدارجة برفع الدارجة إلى الفصيحة

سيداتى وسادتى — لعلكم تلاحظون أننى إلى الآن قصرت الحديث على الكتابة ، ولم أتعرض للشعر . إننى فعلت ذلك حقا لأن اتجاه الأدب إلى الحياة الواقعة فى مصر إنما هو فى ناحية الكتابة فقط ، أما الشعر — على وجه الإجمال — فلم يتفضل بعد بأن يأكل من طعام الناس ويمشى فى أسواقهم

ونرى أن الشعر المصرى يسير الآن فى اتجاهين : الأول اتباعى كلاسيكى ، لا يزال أصحابه يقولون كما كان يقول القدماء ، وينظرون إلى الأشياء كما كانوا ينظرون ، وقد وصف أحد الظرفاء هذا الفريق من الشعراء بأنهم « شعراء الفنادق » ، يستقبلون القادمين ، ويودعون الراحلين ، وتظهر على وجوههم دلائل مختلفة ليس فيها ما يدل على حقيقة ما يعتلج فى نفوسهم . والاتجاه الثانى اتجاه خيالى فردى ، وهو اتجاه المدرسة الحديثة ، لا تزال مشاعر أصحابه معلقة بالحبيب الهاجر والبحيرة الساجية والخطرات المغرقة فى التأمل السابح بعيدا من حياة الناس

وأعتقد أن تخلف الشعر عن النزول مع الكتابة إلى معترك الحياة ، هو الذى جعل الناس ينصرفون عنه ، أو هو على الأقل أحد الأسباب فى هذا الانصراف . والكلام هنا — كما سبق أن قلت — إجمالى ، فهناك من غير شك فلتات من الشعر تتصل بالحياة ، كما أن من الكتابة ما لا يزال بعيدا من الحياة

عباس خضر



علم يغيب :

غيب الموت منذ بضعة أيام علما من أعلام فلسطين ، هو المربي الكبير الأستاذ أحمد سامح الخالدي ، فقد توفاه الله عن كهولة فاضلة ، ممتلئة بالخير والتقوى والمروءة، ولقد وهب حياته منذ شبابه للثقافة والوطنية والمثل العليا ، حتى غدا كاتبا مرموقا وعالما خبيرا بالتربية وأصول التدريس ، أشرف على التعليم العام، وأدار الكلية العربية بالقدس الشريف بكفايته وتوجيهه إلى جانب بحوثه وتحقيقه ، وله أشتات المؤلفات مطبوعة ومخطوطة ، وقد نزح عن موطنه حين عدا عليه الأعداء ، فأقام ببيروت عاكفا على التأليف والتصنيف ، ومديرا لشركة الطيران اللبنانى التي أسسها آل زوجته الأديبة الفضلى السيدة عنبرة سلام

وكانت « الرسالة » حفية بمقالاته حتى عددها الأخير ، فما أجدرها بالعزاء والتنويه بمآثر الفقيد الخالد

ولعل الأيام القريبة تتيح لى القيام بهذا الواجب

القاهرة وداد سكاكيني

١ — الى الأستاذ قطب :

أخي صاحب التصوير الفني في القرآن ...

قرأت في البريد الأدبي من مجلة الرسالة الغراء العدد « ٩٥١ » تعقيبك على مقال السيد سامي أمين « النقد والشعر » فاستغربت من كاتب كبير له مكانة مرموقة في العالم العربي أن يتصدى للرد على أديب لم نسمع به عدا هذه المرة ، ثم أخذني العجب مرة أخرى عندما عرض الكاتب نماذج من شعر السيد شاذل طاقة في العدد « ٩٥١ » من المجلة نفسها ولم يتعرض لشعر غيره من شعراء العراق المبدعين، فهذا الشاعر الذي تعرض لشعره السيد سامي أمين كان قد أصدر مجموعة من الهذر المنظوم سماها « المساء الأخير » وعندما عرضت في أسواق بغداد لم تصادف الرواج لأنها ليست من الشعر بشيء لذلك أعرض عنها النقاد والأدباء .

أنا شاكر لك حسن ظنك بالشعر العراقي حيث تقول: « وهذا الذي عرضه لا يمثل نهضة الشعر العراقي حيث تلمع قوية مرموقة تشير إلى مقعد الزعامة الشعرية في العالم العربي ، ولعل الفرص تسنح لعرضها قريبا » لأنك أثبت أنك وأخوك صديقنا المداوي وصديقنا عباس خضر وأستاذنا الزيات فوق الريح الاقليمية والعصبية المصرية . أما عن آرائك في النقد فيكفي أنك صاحب كتاب « النقد الأدبي » و « العدالة الاجتماعية في القرآن » وأرجو أن لا تكون في المستقبل إلا في المكان المرموق الذي أتمناه لك ولأمثالك من النابغين ، وحيا الله مصر ، واقبل من أخيك أصدق وأسمى آيات الإعجاب والإخلاص ..

٢ — نسبة شعر :

قرأت في العدد الأخير من مجلة « المستمع العربي » التي تصدرها دار الإذاعة العربية بلندن مقالا للاستاذ « أبو الوفا محمود رمزي نظيم » عن الموشحات في الشعر نسب فيه الموشحة التالية إلى ابن المعتز الشاعر العباسي :

أيها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته
ويشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا
وسقاني أربعا في أربع

ونسبتها إلى ابن المعتز خطأ شائع صححه العلامة المرحوم طه الراوي إذ أثبت بعد بحث وتنقيب أنها للشاعر الأندلسي « ابن زهر » وقد نشر المرحوم بحثه في مجلة « الرسالة » منذ سنوات ولا أتذكر الآن العدد المنشور به البحث ...

٣ — لمن هذا الشعر :

ذكر الأستاذ عبد الحليم علي محمود في العدد « ٩٥١ » من الرسالة الحبيبة أن الأستاذ عبد الغني حسن الشاعر المعروف ينسب في كتابه « ملامح من المجتمع العربي » الأبيات الآتية إلى

الجارية فضل :

لأكتمن الذى فى القلب من حرق ... حتى أموت ولم يعلم به الناس

ولا أقول شكا من كان يعشقه ... إن الشكاة لمن تهوى هى اليأس

ولا أبوح بشىء كنت أكتمه عند الجلوس إذا ما دارت الكأس ونسبتها إلى فضل خطأ بل هى إلى الشاعر العباسى على ابن الجهم حسب ما قرأها فى الجزء الثانى من كتب المنتخب ..

وأقول أنا « بأن لدى نسخة من ديوان على ابن الجهم » بتحقيق صديقنا معالى العلامة الشاعر خليل مردم بك سكرتير المجمع العلمى العربى بدمشق ووزير الشام المفوض فوق العادة ببغداد الآن فلم أعثر على الأبيات المذكورة آنفا فى الديوان ، وهو ديوان بذلت فى سبيل إخراجه على هذه الصورة جهود لاتنكر ، ولا أخال أن تلك الأبيات إلا لعباس بن الأحنف الشاعر الغزل المشهور لأنها أقرب لعاطفته ، ورغم ذلك فهل فى الباحثين من أدباء العرب من يعرف نسبة الأبيات المذكورة فيرشدنا لها وله منا ألف تحية وإعجاب ؟ !

٤ — غنوة وغنية :

أخذ على الأستاذ الفاضل عبد الفتاح الجزار من الصاقية فى العدد ٩٥١ من مجلة الرسالة الغراء بأن كلة « غنوة » لا تدل على الاكتفاء واليسار ولكن كلة « غنية » بالضم هى التى تدل كما فى مختار الصحاح ، وإيضاحا لذلك التنبيه أود أن ألفت نظر الأستاذ الجزار إلى أن كلة غنية وغنوة هما فى معنى واحد وهذا هو الدليل . .

جاء فى الصفحة « ٣٧٤ » من لسان العرب لمؤلفه ابن منصور الأندلسى المتوفى سنة ٧١١ هـ . وهو أقدم مؤلفى المعاجم بعد ابن دريد صاحب « الجمهرة » المتوفى سنة ٣٢١ الذى يعد أقدم من وضع المعاجم فى العربية ، مادة « غنا » ما يلى :

استغنى الله سأله أن يغنيه قال وفى الدعاء اللهم إنى أستغنيك عن كل حازم وأستعينك على كل ظالم ، وأغناه الله وغناه « التشديد » وقيل غناه فى الادعاء وأغناه فى الخير والإسم من الاستغناء عن الشئ والغنية والغنوة بالضم والغنية بالسكون أيضا والغنيان وتغانوا أى استغنى بعضهم عن بعض قال المغيرة بن حبناء التميمى :

كلانا غنى عن أخيه حياته ... ونحن إذا فتنا أشد تغانيا

واستغنى الرجل أصاب غنى

وجاء فى الصفحة ٢٧١ المجلد العاشر من « تاج العروس » للسيد محمد مرتضى ، الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ مادة « غنوة » الغنوة بالضم قال الكسائى هو الغنى وتقول لى عنه غنوة أى غنا وجاء فى الجزء الرابع ص ٣٦٤ من القاموس المحيط للفيروز أبادى الطبعة الثالثة ببولاق مصر سنة ١٣٠٢ مادة « الغنى »

والغنوة بالضم الغنى تقول لى عنه غنوة والغنوة والغنيان بالضم والإسم الغنية بالضم والكسر وكلاهما بمعنى اليسار والاكتفاء كما قلت فى ٩٤٩ من الرسالة

ومن هذا أود أن يعرف الأستاذ الجزار بعد شكرى له على ملاحظته أننى لا أعتمد على مختار الصحاح بقدر اعتمادى على لسان العرب لأن الفرع يجب أن يتبع الأصل والفضل للمتقدم كما قد قيل .

عبد القادر رشيد الناصرى

فتح الحرم المكى فى الليل :

جاء فى التلخيص الذى قدم به المرحوم الأستاذ سامح الخالدى الرحلة الحجازية لسيدى مصطفى البكرى الجملة الآتية فى ص ٩٧٧ من العدد ٩٤٧ الصادر فى ٢٤ من ذى القعدة هذه السنة ما يأتى :

(وكيف كان الحرم فى مكة يفتح خصيصا لأمير الحج الشامى) .

وهى عبارة توهم أن الحرم المكى كان يغلق فى الليل وهو أمر لم يحدث لأنه يمنع الطواف . والطواف لا يمنع فى أى وقت . وإنما وهم الأستاذ الخالدى فظن أن البيت هو الحرم . وذلك أن الشيخ البكرى ذكر فى ص ١٠٠٩ العدد ٩٤٨ من الرسالة ما يأتى :

(فأيقظنى رفيق رفق وقال قم فإن البيت فتح للأمير الشامى الكبير الخ .) وبديهى أن المراد من البيت هو الكعبة المشرفة زادها الله تعظيما وأما الحرم فالمراد منه عرفا هو المسجد الكبير المتسع المحيط بالكعبة والمحتوى على المطاف وبئر زمزم — وأقول عرفا لأن حقيقة الحرم هى ما يدخل ضمن أعلامه التى هى من الشرق قرب عرفات ومن الغرب الشمسى قرب الحديبية ومن الشمال التنعيم أى مسجد السيدة عائشة وهكذا

لذا أرجو نشر هذا تصحيحا لعبارة المغفور له الأستاذ الخالدى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

عبد العزيز النجار



اللص الشريف

للكاتب الأمريكي الفكاهي ستيفن ليكوك

ترجمة الأديب مصطفى أبو غربية

— سأقص عليكم أيها السيدات والسادة قصتي ، ولكم الخيار أن تصدقوا أو لا تصدقوا ما حدث لي . أما أنا فما علي إلا أن أروي الحادثة بدون زيادة ولا نقصان فأعيروني أسماعكم بضع دقائق

في صباح أحد أيام الأسبوع وقع نظري على شاب وسيم الطلعة ، واقفا أمام شباك التذاكر في إحدى دور السينما ، فقلت في نفسي — لقد سبق أن رأيت هذا الشاب مرات واقفا أمام شباك التذاكر ، فمن المحتمل أن يكون هناك سرا . ولم يخب ظني — ففي لمحة البصر مد الشاب يده إلى جيب جاره وأخرجها بخفة وبها محفظة نقوده ، وبكل هدوء وسرعة دسها في جيبه وسار بخطى متئدة مبتعدا عن شباك التذاكر خشية أن يراه أحد

وكنت لما أزل طالبا أدرس العلوم الجنائية، فأنا لست من رجال الشرطة ولم تكن مهمتي مراقبة اللصوص ومطاردتهم ، وقد سبق لي أن كتبت مقالة عن العلوم الجنائية وقد حازت إعجاب كل من قرأها . ولم يسبق لي أن تفهمت أو درست عقلية اللصوص النشالين أو شاهدتهم يسرقون ، ولأول مرة أرى فيها هذا اللص يمارس مهنته في مثل هذا المكان ، ففكرت في الأمر عاجلا وقلت في نفسي — هل أترك الفرصة تمر بدون أن أستفيد منها؟ فلماذا لا أتتبع خطوات هذا اللص وأقف على حقيقة أمره — والدافع الذي يدفعه لارتكاب مثل هذه الأعمال . فلحقت بالشاب الذي نشل المحفظة من جيب جاره ورأيته داخلا صالات الرقص فتبعته مقتفيا أثره، ثم دنوت منه وابتدرته قائلا — هل لي أن أجالسك ؟ ولا يريبك أمري ، فأنا لست من رجال الشرطة ولا ممن يودون مشاركتك في غنيمتك ، فلا تقلق ولا تضطرب فكل ما هنالك أنني طالب يدرس العلوم الجنائية وكاتب صحافي مبتدئ ، وقد لحتك منذ فترة من الزمن قد مددت يدك إلى جيب جارك وأخرجتها بمحافظة نقوده ، وانسللت بخطى بطيئة . وتبعتك إلى أن دخلت هنا فلا تخف شيئا من أمرك عني ، فهل لنا أن نتحدث بضع دقائق ؟

فابتسم الشاب ولم يضطرب ولم يرتب ، وأجابني قائلا — إنني أعرف أنك لست من رجال الشرطة ، ومن الواجب علي أن أخبرك بأنني أنا أيضا لست من اللصوص المجرمين . ولكن لي رجاء أرجو أن تسمح لي بأن نواصل حديثنا في مكان يفضل هذا المكان . فأجبته بالقبول ، وخرجنا من الصالة وقد تأبط الشاب ذراعي كأن صداقتنا وطيدة منذ زمن وبدون كلفة وسرنا معا في طريق مؤدية إلى سوق عمومية تزدحم فيه عربات الخضار والمشروبات المنعشة وتكثر فيه بائعات اللبن وهنا أشار الشاب إلى امرأة عجوز ممن جلسن وراء عربة لبيع اللبن وفي يدها وعاء فارغ انهمكت في تنظيفه بعد أن أفرغته لأحد المشترين

فسألته — هل عزمت على سرقة هذه العجوز المسكينة ؟

فابتسم ولم يجب — ولكنه تركني واتجه نحوها وألقى في وعاء اللبن الفارغ المحفظة التي سرقها عند شباك بيع تذاكر السينما ، وعاد إلي متأبطا ذراعي وتابعنا مسيرنا من جديد . وابتدرني قائلا — أظنك أدركت الآن ما هي رسالتي التي أؤديها ؟ وحسبي أنك فهمت ما هو العمل الذي أسعى من أجله ؟ — إنني من محبي حفظ التوازن بين حظوظ الناس وثرواتهم — فكل ما أبغي أنني أساعد المساكين الفقراء! فها أنا أسرق من الأغنياء وأعطي الفقراء ، آخذ من ذلك المترف الغني محفظة نقوده وألقيها في وعاء لبن هذه المرأة العجوز المسكينة المحرومة من نعم الدنيا ، فها هي الحكومات تتقاضى الضرائب والرسوم من الأثرياء وأصحاب العقارات والدخل السنوي لتنفقه على المعدمين الفقراء ، فأنا أساعد

الحكومة بقدر استطاعتى، وثق أننى أفعل هذا بالرغم منى مدفوعا بدافع غريزى لا أستطيع مقاومته، وقد دأبت على فعله منذ نعومة أظفارى ... ولكن هيا بنا انذهب لبيتى حيث أطلعك على السر كله — هل تحب ؟ فأجبته بكل سرور — فقال إنك سترى على باب بيتى اسما محفورا على لوحة نحاسية (بيت شريف) وقد يحملك هذا الاسم على التفكير ، فلا داعى إذن للتفكير فهو اسم والدى عن جدى — إن أجدادى كلهم كانوا يحترفون العمل الذى أحترفه اليوم . سنجد باب الدار مقفلا ، وقد تكون مريم خرجت لزيارة إحدى صديقاتها . وفعلا وجدنا الباب مقفلا ولكنه قال لى سندخل من باب المطبخ — تعال معى — فدخلنا ودعانا الشاب للجلوس فجلست ؛ وفاجأنى قائلا :

— هل تعرف اسمي ؟ اسمى شريف قد ورثته عن أبى الذى ورثه عن جدى . فقلت إسمك شريف ؟ فهذه مصادفة جمعت بين اسمك وعملك — فعملك اللصوصية والسرقة وإسمك شريف ، فأنت إذن لص شريف ؟ واسم المرأة أمك أو زوجتك مريم كل هذا . . . فقاطعنى قائلا — اعلم أننى سليل بيت عريق لم تقدر البشرية حسناته محوها . واعلم أنك أصبت بأنى (لص شريف) وستخلد الأيام اسمى كما خلدت ذكرى والدى وجدى العظيم . سترى صورته هنا فى القاعة المجاورة وسترى مدى الشبه بينى وبينه ، وإذا كنت أميل إلى الأخذ من الأغنياء لأعطى الفقراء — وهو ما كان يفعله جدى ووالدى — فإن إخوتى جميعا يميلون لمثل هذا العمل أيضا — إننا لصوص شرفاء أبا عن جد — ونحن ما زلنا نواصل تأدية رسالة الجد الأكبر ؛ فنقوم المعوج ، ونعدل ميزان المساواة فى الثروة بين الناس. ولكن انتظرنى قليلا فسآتيك بصورته .؟

خرج الشاب وتركنى فى القاعة — وما هى إلا بضع دقائق حتى سمعت حركة خفيفة عند الباب وإذا به يفتح وإذا بسيدة لا أعرفها تدخل القاعة . فدهشت المرأة عندما رأتنى وداخلها بعض الريب والخوف — فهدأت من روعها قائلا — لا تخشى من شئ يا سيدتى مريم فأنا صديق أسرتك ... جئت مع شريف إلى هنا منذ زمن قصير ؟ فتمتمت السيدة بصوت خافت — شريف — أحد أفراد أسرتنا ؟ فقلت — نعم شريف — زوجك أو ابنك لا أدرى ؟

— زوجى — ابنى؟

— فقلت — ها هو فى الغرفة المجاورة ذهب ليأتينى بصورة جده شريف

— جده شريف !

فقالت — يا سيدى أنا لا أفهم شيئا مما تقول؛ فأنا غريبة عن هذا البيت ولست من سكانه . وزوجى ليس اسمه شريف ولا أنا اسمى مريم ! أظنك مخطئ — قالت هذا وتراجعت للباب مذعورة فاستوقفتها — وقلت لها — بيت من هذا إذن ياسيدتى ؟ قالت : هذا البيت للايجار — جئت لأستأجره ! ولكن من تكون أنت إذا لم تكن صاحب البيت ولا تعرف صاحبه ؟

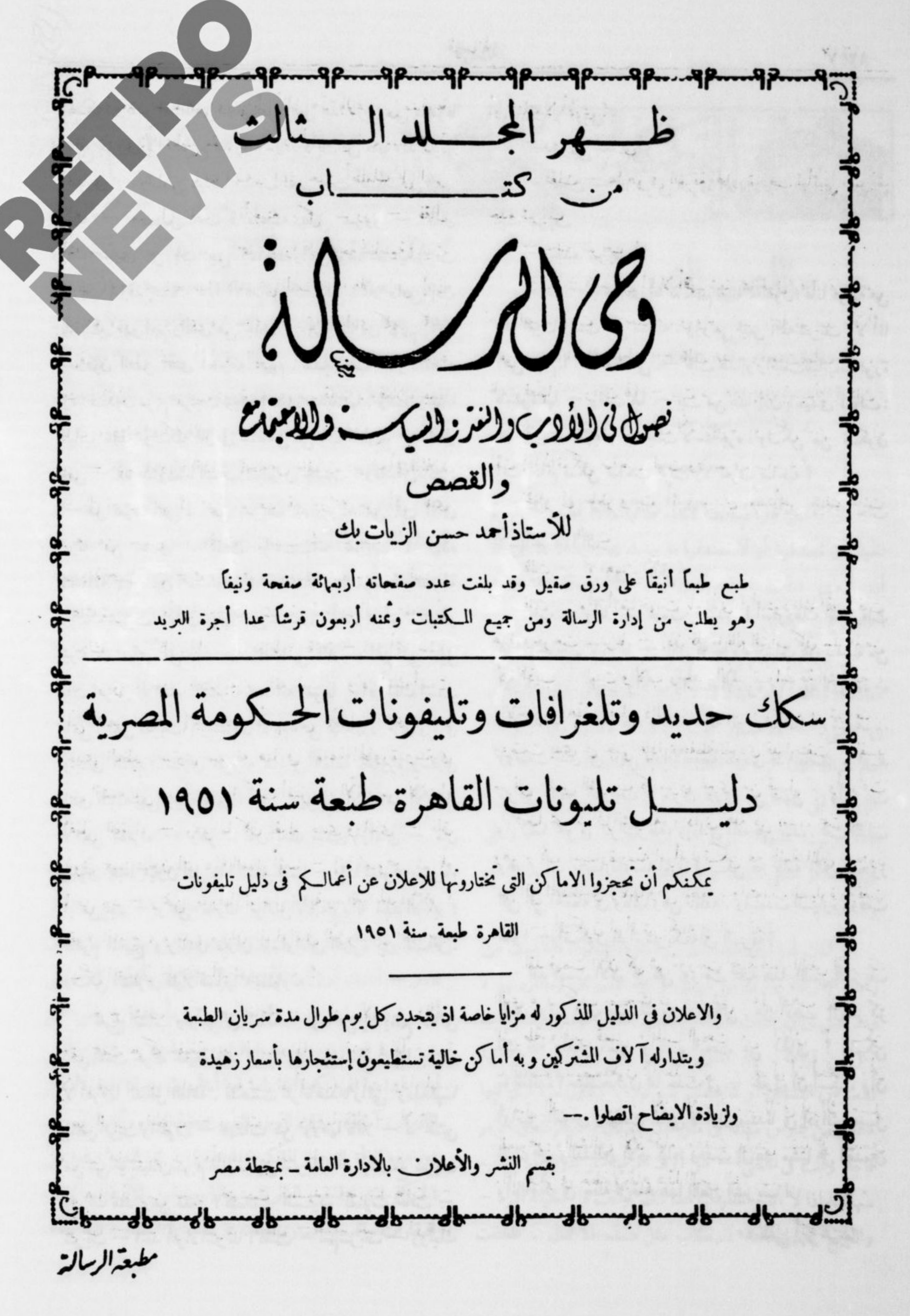
فخطر لى خاطر وقلت أنا يا سيدتى مستأجر مثلك جئت لأستأجر هذا البيت

قالت — آه فهمت الآن ؟

قلت — وأنا أيضا فهمت ياسيدتى ! أستودعك الله . قلت هذا وخرجت مسرعا — إذن كل ما قاله الشاب كان سلسلة من الأكاذيب . البيت والأب والجد والأسرة والحرفة الشريفة ، والأخذ من هذا وإعطاء ذاك. .. إنه لص ولكنه غير شريف .. ووضعت يدى فى جيبى فإذا بمحفظة نقودى قد اختفت . لقد سرقنى اللص الشريف كما سرق غيرى من قبل . وأسرعت راكضا نحو مركز الشرطة، وإذا بى ألمحه عن بعد.. لمحت الشاب وهو يركب سيارة ومعه امرأة لم تكن غير بائعة اللبن العجوز التى ألقى المحفظة فى وعائها وهى تنظفه . وابتعدت السيارة ووقفت حائرا — أتكون المرأة شريكته فى السرقة ؟

لقد فهمت الآن كل شئ ورحت ضحية هذا اللص الشريف الذى عرف كيف يضحك منى ويضللنى . هل أذهب إلى مركز الشرطة وأقص قصتى وأطلب البحث عن الجانى ؟ ولكن ما الفائدة ؟ سيضحكون مما حدث لى — فخير لى أن أسكت وأن أواصل الدرس والبحث لأننى لا أزال مبتدئا فى إدراك حيل اللصوص والنشالين الأذكياء. وعدت إلى بيتى مشيا على القدمين وأنا أفكر فى خطة لإيقاع هذا اللص الشريف !

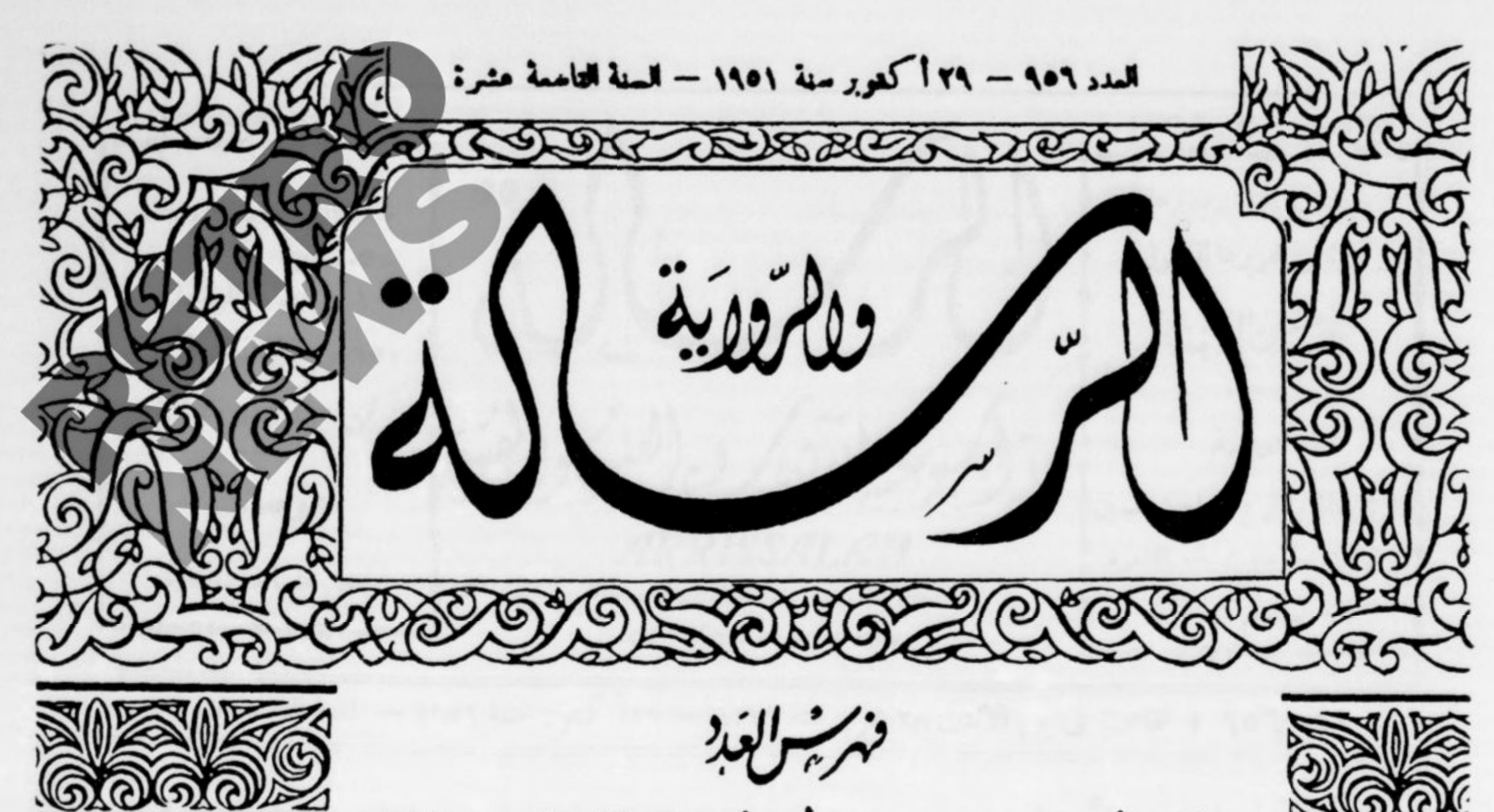
مصطفى أبو غربية



مطبعة الرسالة



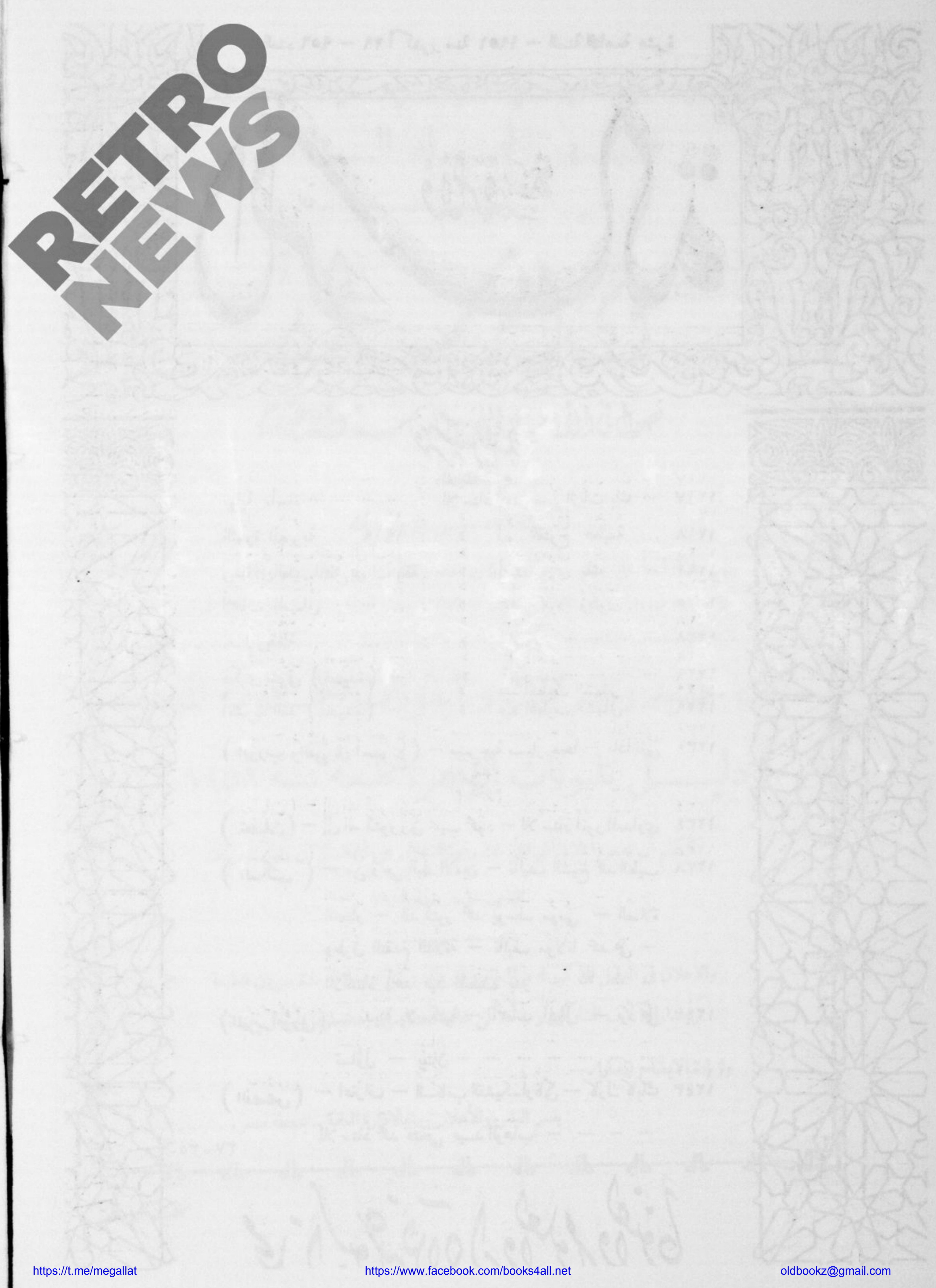
العدد ٩٥٦ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٥٣٥

مجانا ليوعمث الآ العلم والفنون





19 me. année No 956

Le Caire 29 - 10 - 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٧١ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

نهاية مأساة ..

وأخيرا أدركت مصر الرسمية بعد خمس عشرة سنة من سنى المهانة والاستكانة أن (المعاهدة) و (الاتفاقية) اللتين تربطانها بإنجلترا فى الشمال والجنوب إنما هما كلمتان من لغة السياسة حمّلهما الاستعمار ما حمل الديمقراطية والحرية والإنسانية والسلام والعدل من معانى المخادعة والمصانعة والمراءاة فجعلها من أسماء الأضداد فى لغة الخلق ! نعم ، أدركت مصر الرسمية اليوم ذلك ووعته بعد أن كابدت ما كابدت من عناد القوم فى الحق وصلابتهم فى الباطل ومداهنتهم فى الرأى ، فألغت معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقتى سنة ١٨٩٩ . ولكن مصر الوطنية أدركت هدف انجلترا منذ نصبته فى ساحة عابدين سنة ١٨٨٢ وظلت تسدد إليه أسهمها التى لا تطيش ، من كنائنها التى لا تفرغ ! وكان الرسميون يحاولون أن يستروا الضياء عن بصائر الوطنيين ليوهموهم أن هذه الأسهم صواريخ لموو بهجة ؛ وكان الوطنيون يجهدون أن يكشفوا الغطاء عن أبصار الرسميين ليفهموهم أن هذه الصواريخ قذائف دمار وهلكة ! وظل الأمر بين الجهتين على هذه الحال سبعين سنة ، تفككت فيها العرى ، وعزقت القوى ، وتفرقت السبل ، وتباينت الوسائل ، وتعارضت الغايات ؛ واتخذ المحتل من هذا الخلاف الطويل الوبيل حقلا مصريا بذر فيه الفرقة وجنى منه السيادة ! ولم تجمع القوتان الرسمية والوطنية على إحراج العدو وإخراجه إلا فى اليوم الثامن من هذا الشهر !

وهذا الإجماع وحده هو الذى سيقذف ببقايا (دنكرك) فى عرض البحر . ولن تستطيع انجلترا ولو كان معها ظهراؤها الثلاثة أن تثبت أقدامها الرخوة فى ثرى النيل ما دامت مصر قد أجمعت على تطهيره منها . وليس للضآلة والقلة دخل فى حساب النصر ، فإن عشرين مليونا من البراغيث العزل جديرة بأن تقض مضاجع الجيش المسلح ! فكيف إذا كنا عشرين مليونا من الأنفس المؤمنة الصابرة التى لا تعرف فى يوم الجهاد ، إلا إحدى الحسنيين : النصر أو الاستشهاد ؟

إنا نجود على وباء من الأوبئة بقرابة المليون من الأرواح العزيزة، فهل نضن بمليونين منها على الخلاص من وباء طال حتى أذل ، وانتشر حتى أقل ، واستشرى حتى برى الأجساد ، وهد القوى ، وأوهن العزائم ، وقطع العلائق ، وأفقر الأيدى ؟

كان احتلال الإنجليز لوادى النيل مأساة بشربة من نوع عجيب فى الطول والفصول والإخراج والتمثيل ! كانت من نوع القراقوز المبكى، أخرجها الإنجليز المحتلون من وراء الكواليس ، ومثلها المصريون الرسميون على المسرح ! كانت الخيوط بيد العميد أو السفير يقلبها كيف يشاء ، والدمى الخشبية المصرية على مرأى من الشهود تتحرك ولا تعى ، وتتكلم ولا تفهم !

لقد كانت مأساة مروعة دامية ! شهد بدايتها الخديو توفيق فصفق لمخرجيها بيديه ، وشهد نهايتها الملك فاروق فركلهم بقدميه ! لم يبق بعد إضراب الممثلين وإنكار المتفرجين إلا أن نطرد الفرقة ونقوض الملعب !

احمد حسن الزيات

١ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

٨ أكتوبر ١٩٥١ :

إذا تلفتت مصر فى غدها إلى أيامها الخالدة فى تاريخها الحديث فسيكون يوم الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٥١ أعظمها شأنا وأسماها قدرا ، ذلك لأنه اليوم الذى حطمت فيه أغلالها واستردت حريتها واستقلالها وحققت وحدة واديها ، ووقفت مصر صفا واحدا فى وجه الغاصب الأجنبى ، وأعلنت إلغاء معاهدة التحالف والصداقة مع بريطانيا التى وقعتها ١٩٣٦ وكذلك ألغيت اتفاقيتا السودان الموقعتان سنة ١٨٩٩

ومما يدعو إلى الغبطة والرضا أن نذكر أن المصريين على اختلاف أحزابهم ونزعاتهم قد وقفوا جميعا صفا واحدا إزاء هذا الحادث التاريخى المجيد ، وأحب أن أسجل هنا أقوال أبناء مصر الذين شهدوا جلسة البرلمان فى مساء ذلك اليوم العظيم الذى ألقى فيه رفعة رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا بيانه التاريخى :

« من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها » مصطفى النحاس

« إن المعارضة تتقدم بالشكر للحكومة ممثلة فى شخص الوطنى العظيم مصطفى النحاس باشا إن مصر بجميع أحزابها ستكون وراءه فيما عقد العزم عليه ولا أحزاب بعد اليوم » حامد العلايلى بك (دستورى)

« إن أى مصرى لا يستطيع إلا أن يقف خلف الحكومة مناصرا هذه الخطة الوطنية السليمة فقد استجابت لما طلبه الرأى العام منذ زمن طويل . إن الخطوة التى خطاها رفعة رئيس الوزراء هى حد فاصل بين سياستين ، سياسة مهادنة الإنجليز ، وسياسة مكافحتهم » دكتور نور الدين طراف (وطنى)

وقال النائب الاشتراكى الأستاذ إبراهيم شكرى إنه يعلن باسم الحزب الاشتراكى أن حزبه يؤيد الحكومة تأييدا كاملا ، وطالب بوضع تشريعات أخرى تنص على اعتبار من يعاون الإنجليز خائنا لبلاده ، لأنهم أعداء مصر ، وقد كانوا دائما أعداءها

وقال النائب السعدى الأستاذ فوزى سيف « إن المعارضة مستعدة لبذل آخر نقطة من دماء رجالها لتحقيق ما قاله رفعة النحاس باشا »

وأخيرا وقف معالى المصرى العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا وقال : « إن هذه الأيدى التى مدت لمعاونة الحكومة هى الدليل الحق على أن المصريين يعرفون كيف يوحدون صفوفهم ، وإذا وحدت الصفوف فى البرلمان توحدت صفوف الأمة كلها »

هذا ما كان من الأمر فى داخل مجلس النواب ، ولم تكن حماسة الشيوخ ولا ابتهاجهم بتحرير مصر أقل من حماسة النواب وابتهاجهم

أما فى خارج البرلمان فقد هرع المصريون إلى المذياع ليستمعوا إلى بيان رئيس الحكومة ، وقد هزهم البيان فعانق بعضهم بعضا والتهبت أيديهم بالتصفيق وانطلقت ألسنتهم تهتف بالحياة الحرة للدولة المصرية السودانية ، ولملكها المفدى فاروق ، وقامت المظاهرات فى مساء الاثنين وفى أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وانهالت برقيات التهانى على رفعة رئيس الحكومة من جميع الطوائف والهيئات

ووقفت الدول العربية بجانب شقيقتها الكبرى وأعلنت تأييدها لها ومؤازرتها

أما الدول الغربية : إنجلترا وأمريكا وفرنسا فقد وقفت تعترض على القرار واستهجنت خطة مصر ، وهذا أمر طبيعى فإن الغاصب لن ينزل عما اغتصبه بمحض إرادته . إن الحقوق والحريات تؤخذ ولا تعطى ، ومصر قد قدرت كل شئ . وأعدت عدتها للجهاد والنضال ، ولن تستطيع قوة أن تحول بينها وبين حريتها ووحدة واديها ، وهذه هى بداية الكفاح والجهاد

الليلة والبارحة :

هذا هو يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، وهذه هى مكانته فى تاريخ

مصر ، وإن مصر إذا تلفتت إلى ماضيها القريب تبحث عن خير أيامها الخالدة لوجدته ماثلا فى يوم ١٣ نوفبر ١٩١٨ فإن هذا اليوم كان بدء ثورتها الخالدة المعروفة بثورة سنة ١٩١٩

وجدير بنا نحن المصريين أن نهتم اهتماما كبيرا بدراسة هذه الثورة لأمور ثلاثة :

أولها : إن الواجب على كل أمة أن تعنى بتاريخها عناية كبرى إذا أرادت لنفسها بقاء ومجدا . وأعتقد أنه يجب علينا أن تعنى بدراسة تاريخها المعاصر عناية خاصة لأنه من غير شك يؤثر فى حاضرها وفى مستقبلها ، والثورة المصرية سنة ١٩١٩ هى من غير شك أبرز حادث فى تاريخ مصر المعاصر

وثانيهما : إن كثيرين من أبناء مصر المعاصرين قد ولدوا إبان الثورة أو بعدها ولم يشهدوها ، ولهذا قصدت إلى أن أضع أمام أعينهم صورة رائعة لجهاد آبائهم فى سبيل تحرير بلادهم وصفحة بيضاء مطهرة من صحف مصر المعاصرة ، وإذا أردنا لمصر حياة حرة كريمة فعلينا أن نكون أمة مجاهدة وهذا هو جهاد الآباء ، فليحمل الأبناء اللواء فإن هذا هو الطريق الوحيد الذى تستطيع به مصر أن تتبوأ مكانها الوحيد اللائق بها بين الأمم

وثالثها : إننى معجب حقا لموقف مصر وبالمصريين فى تلك الفترة من التاريخ ، فقد وقفت مصر صفا واحدا وكتلة واحدة تطلب استقلالها ، وقد كان يتزعم تلك الحركة الوطنية المباركة رجال جدير بمصر أن تفخر بهم على مر الأيام وكر السنين وهم . سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت وحسين رشدى وغيرهم ، هؤلاء الرجال كتبوا بأعمالهم أسماءهم فى سجل الخلد :

وليس الخلد مرتبة تلقى وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار إذا ذهبت مصادرها بقينا
وآثار الرجال إذا تناهت إلى التاريخ خير الحاكمينا

١٣ نوفمبر ١٩١٨ :

فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ احتلت بريطانيا مصر ، ورغم أنها أعلنت منذ الساعة الأولى عزمها على الجلاء بمجرد استقرار الحالة فى مصر فإنها حتى هذه الساعة لم تف بوعد من وعودها بالجلاء التى بلغ عددها خمسة وستين وعدا

منذ ذلك التاريخ فقدت مصر استقلالها ، وعاثت بريطانيا فى واديها إثما وعدوانا وفسادا ، وقد قاومت مصر هذا العدوان الآثم ما استطاعت ولم تقبله بتاتا ، وكان الزعيم الأول الذى رفع راية الجهاد مصطفى كامل باشا ، وسقط مصطفى كامل شهيد الواجب فى فجر الشباب فحمل الراية بعده الوطنى الغيور محمد بك فريد

ولم تأل إنجلترا جهدا منذ الساعة الأولى فى تثبيت أقدام الاحتلال فاعتدت على سلطة خديو مصر الشاب الخديو عباس الثانى وأذلته أكثر من مرة ، وأذاقت المصريين ألوان الهوان والعذاب ، وما يوم دنشواى ببعيد عن الأذهان . ثم اضطهدت زعماء الجهاد الوطنيين الأحرار فنكلت بهم ونفى محمد فريد ومات شريدا طريدا بعيدا عن الوطن الذى أحب . مات يحتطب فى ألمانيا

وفى ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى ، ولم يكن لمصر ناقة فيها ولا جمل ، فهى حرب قامت بين ألمانيا والنمسا وتركيا فى جانب ، وبين إنجلترا وفرنسا فى الجانب الآخر ، ولكن مصر ذاقت منها الكوارث والويلات ، وتتابعت عليها المحن والكوارث فأعلنت الأحكام العرفية والعسكرية ، وعزل الخديو عباس الثانى لميوله العدائية نحو بريطانيا ، وأعلنت الحماية البريطانية على مصر . لقد كانت مصر ترجو فكاكا من الاحتلال فجاءها ما هو أدهى وأمر إذ ابتليت بالحماية . ثم سيق أبناء مصر قسرا باسم التطوع إلى ميادين القتال فاستشهد منهم كثيرون دون ذنب جنوه ودون أن تشترك بلادهم فى الحرب ، وأبيح للقوات البريطانية أن تباشر جميع حقوق الحرب فى أرض مصر وموانيها . وعم الغلاء وانتشر الوباء نظرا لقدوم الجند من مختلف بلاد الإمبراطورية البريطانية

وأكثر من هـذا لجأت السلطة إلى الاستيلاء على الحبوب والأقوات من الأهالى بأثمان حددتها ولم تترك لهم ما يكفيهم من أقـوات ، وزادت فجمعت الدواب ووضعت يدها قسرا على الممتلكات . وبلغ عدد المتطوعين من أبنـاء مصر ١٫٢٠٠٫٠٠٠ جندى وأرغمت مصر على أن تقدم ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه كهدية

وقد كانت مصر وكان رئيس وزرائها حسين رشدى باشا يتوق إلى أن تقف مصر على الحياد فى هذا النزال، ولـكنه لم يكن حرا فى اختيار السياسة التى يتبعها فقد كانت الحراب البريطانية تهدده ، ولذلك اضطر إلى التسليم بما طلبته بريطانيـا فى ٥ أغسطس ١٩١٤ .

وقد ارتاحت بريطانيا لموقف مصر هـذا فإن مصر المادية خطر يهدد بريطانيا

وظلت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ . اشتـد الغلاء وصودرت الحريات وكت الأفواه ومنع المصريون من إبداء رأيهم فى نوع حكومتهم . وقد كان أكبر أسباب استياء المصريين الحماية . لقـد كانوا يعملون على التخلص من الاحتلال فإذا به ينقلب إلى حماية ، وانتظر المصريون بفارغ الصبر نهاية الحرب ليعرفوا مصيرهم ومصير بلادهم

وأخيرا فى ١٩١٨ آذنت شمس الحرب بالمغيب وأعلن الرئيس ولسن – وكان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية – مبادئه وأهمهـا أن « لـكل قوم الحق فى تقرير مصيرهم » . استبشر المصريون خيرا واعتقدوا أنه عندما تضع الحرب أوزارها سيطبق عليهم هذا المبدأ لأن مصر قد وقفت بجانب الحلفاء وضحت معهم بالمال والأبناء وإذن فلم لا تتمتع بحريتها كاملة مادامت قد قامت بنصيبها من أعباء الحرب التى أعلن الحلفاء أنهم ما قاموا بها إلا نصرة للحرية وللديمقراطية وحمـاية للشعوب الصغيرة من الشعوب الـكبيرة !!

وفى شهرى سبتمبر وأكتوبر من ١٩١٨ بدأ كبار المصريين ومفكروهم يتشاورون فى موقف مصر وفى مصيرها ، وكان من السباقين إلى هذا الأمير عمر طوسون وسعد زغلول باشا. وقد خاطب الأمـير سعدا « لأنه رأى فيه جرأة وإقداما وقـدرة على المناقشة والجدال »

وفى ١١ نوفبر ١٩١٨ أعلنت الهدنة وتخلص العـالم من الـكابوس الذى كان يجثم على صدره

وفى ١٣ نوفبر ١٩١٨ قرع سعد ورفيقاه عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى أبواب دار الحماية ، وقابلهم السير ريجنالد ونجت وتحدثوا إليه وسألوه عما تعتزمه بريطانيا إزاء مصر ، وذكروا له صراحة أنهم قد جاءوا يطلبون استقلال مصر

قال شعراوى باشا : نريد أن نكون أصدقاء بريطانيا صداقة الند للند لا صداقة الحر للعبد

فأجابه ونجت : إذن أنتم تطلبون الاستقلال !

فصاح به سعد : نعم ونحن له أهل

لم يعد المعتمد البريطانى زعماء مصر بشئ وإن أظهر عطفا على مطالبهم ووعد بمخاطبة حكومته . والمهم أن نذكر أن سعدا ورفاقه قد طلبوا الاستقلال التام

أخـذ سعد بعد هذا يعمل على تنظيم « الوفد » وتم له ذلك ووضع القانون الأساسى للوفد وأهم ما جاء فيه :

١ : تألف وفد باسم « الوفـد المصرى » من حضرات : سعد زغلول . عبـد العزيز فهمى . على شعراوى محمد على بك . عبد اللطيف المـكباتى بك . محمد محمود . لطفى السيد . إسماعيل صدقى . سينوت حنا . حمد الباسل ، جورج خياط . محمود أبو النصر بك . مصطفى النحاس . حافظ عفيفى

٢ : مهمة هـذا الوفد هى السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما

٣ : الوفد يستمد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأسا أو بواسطة مندوبيهم

٤ : لا يجوز للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها

وفى ١٣ يناير ١٩١٩ ألقى سعد خطبة فى دار حمد الباسل باشا زاد فيها مبادئه وضوحا فذكر أنه يطلب الاستقلال التام لمصر والسودان « لأن السودان ألزم لمصر من الإسكندرية »

للـكلام صلة

أبو الفتوح عطيفة

رحلة أبي الطيب المتنبي

من مصر إلى الكوفة

للأستاذ أحمد رمزي بك

ترك المتنبي الفسطاط فى ليل عيد الأضحى سنة ٣٥٠
ودخل الكوفة فى ربيع الأول سنة ٣٥١ هجرية

أحب أبا الطيب المتنبي وأتغنى بشعره ، فنظمه لدى نشيد الإنشاد . إذا جال شعره فى خاطرى أو طرق أذنى أحسست بأننى لست غريبا عن صاحبه ، وكأننى قد تعرفت إليه وعاشرته فى حياة أخرى قبل اليوم . إن شعر المتنبي كالدواء المنعش الذى يفرضه الطبيب على المريض فى دور النقاهة لكى يقوى جسمه وتشتد نفسه ، فإذا اعتاده المرء صعب عليه بعد الشفاء أن يتركه ، وأصبح بحكم العادة جزءا متمما لمأكله ومشربه

كذلك شعر أبى الطيب هو الدواء النفسى الذى لجأت إليه كثيرا لكى أقوى نفسى على مواجهة الملم من الأمور ، ولكى أقدم على الصعب منها ولكى أحيا الحياة التى تلائمنى

كان رحمة الله عليه يحب المجد ، ولا أنكر على القارئ أننى أحب المجد وممن يعشق العلا ، وكان المتنبي خير شعراء العالم فى وصف الحرب ومعاركها ومشاهدها ، ولا أخفى على القارئ أننى أعتبر الأمم التى تحارب وتواجه الموت أقوى الأمم وأعزها وأحقها بالحياة — فالحياة إذا لم تقترن بالمخاطرة والإقدام فى كل يوم فلا قيمة لها فى نظرى . وأنا ممن يفهم قوله :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

أنا لست أديبا ولا صناعتى الأدب ، أقول هذا لأقرر حقيقة واقعة ، ولكنى أومن بأن الشعر والأدب ليسا وقفا على الأدباء والشعراء ، وإنما الأدب بضاعة يتذوقها الناس جميعا ، هى مثل الهواء والنور . وكنت أطمع فى أن أكون أديبا ولكن عملى وكثرة مشاغلى حالت بينى وبين التفرغ للأدب ، وإن كنت عودت نفسى أن أختلس الفرص لمجالسة أهل الأدب آخذ عنهم وأتحدث إليهم ، وأرى أن كل دقيقة أقضيها فى صحبتهم هى متعة لى ، ويرجع ذلك إلى ما ألمسه فيهم من رقة الإحساس . . . فهم برغم ما يشيعونه عن أنفسهم ، مصابيح الظلام وسط هذا العالم المظلم الذى وجدنا أنفسنا فيه ، ونحن لا ندرى من أين أتينا إليه ، ولم يؤخذ رأينا حينما قذفت بنا الأقدار للعيش فى ربوعه والخوض فى غمراته ..

فأرجو من القارئ حين يقرأ ما أكتب عن الأدب ، ألا يتصور أننى قد درست المتنبي فى ديوانه وتأملت أفكاره واطلعت على خفايا تاريخه ، أو أننى انكببت أحفظ قصائده وأقرأ ما كتبه الناقدون عنه ، أو أننى تتبعته فى رحلاته وغزواته

فهذه أمور ليس من السهل الإلمام بها ، ولست أدعى أننى سأقوم فى يوم من الأيام ببحثها ودراستها وتقصى أنبائها ، إذ الباقى من العمر قليل ، وما أكتبه ما هى إلا أمانى ورغبات أرجو أن يقوم بها الغير إذا شاءوا . ولذلك يحق لى أن أصرح بأن المتنبي كشاعر عالمى رج الدنيا ولا يزال شعره يرج النفوس ويهزها ، لم يلق من رجال الأدب العربى ورعاة الشعر ما يستحق من عنايتهم ، أقول هذا على رغم ما كتبه المعاصرون عنه ، وبرغم ما ذكره المتقدمون من أن أكثر من ستين عالما لغويا قد تصدوا لديوانه بالنقد والتفسير والتفنيد . إنه لا يزال فى نظرى مع عصره وحياته وفكره وشعره دنيا جديدة للبحث والتأمل والدرس والجمع والتبويب . إنه ليس بشاعر يدرسه طالب فى رسالته أو أطروحته ، ولا برجل يتقدم أديب واحد أو عالم واحد ، كائنا ما كان علمه وفضله ، فيكتب فيه كتابا ويقول ها كم اقرأوا كتابيه ، فقد قرأت المتنبي ودرسته وفهمته إن مثل هذا لا يقال عن أبى الطيب المتنبي وفيه ظلم لتاريخه وافتئات على عبقريته ، لأن المتنبي ومعه غيره من فطاحل شعراء العرب فى مختلف العصور ، يحتاجون إلى جيل من الناس ، ينكب على دراستهم بأسلوب علمى صحيح

وليعذرنى القارئ إذا قلت إن المتنبي يستحق أن ينصرف لديوانه وعصره مجموعة من علماء العرب : فى اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والاجتماع وعلم النفس ، لأن كل ناحية فى

المتنبي تحتاج إلى كشف جديد ودراسة وبحث وتدقيق وجمع وتبويب ، وأن أسماء البلاد التي جاء ذكرها في شعره عن سيف الدولة هي المرجع الوحيد لنا للحروب التي قامت يوما ما بين المسلمين والروم ، وهي حروب ليس من السهل تقصي أجنادها..

والصورة التي أعطاها للمتنبي في هذه الكلمة متواضعة ، لأنها قاصرة على سفره من مصر وخروجه منها في ليل عيد الأضحى سنة ٣٥٠ ووصوله الكوفة في ٢٥ ربيع الأول سنة ٣٥١ ، وإن حوت نظرة أولى عن مقامه بمصر وبعض أيامه بها

الذي نعرفه هو أن المتنبي جاء مصر وعاش في كنف كافور الإخشيدي سنوات وقال الشعر : فأين كان مقامه وكيف عاش وكيف أقضى وقته ومن عاشر من الناس ؟

كلها أمور تحتاج إلى بحث وتدقيق وتأمل ، وليست موضع استنتاج أو رجم بالغيب كما يلجأ بعض المؤلفين المعاصرين ، لأنها ليست بالسهولة التي يتصورونها عليها، فإذا لم تسعفنا النصوص والمراجع، وإلى أن تكتشف غوامضها، لا يسعنا أن نحكم حكما متسرعا ، وإنما نكتفي بإيراد ما نعلمه عنها ، وليس لدى شيء أقدمه سوى نظرة أولى عن بعض الأماكن التي ورد ذكرها في أيام إقامته بمصر

ولم تكن القاهرة قد أنشئت بعد ، فكانت الفسطاط هي مصر ، وكانت حياة الشعب مركزة حول جامع عمرو ، أي الجامع العتيق كما كان يطلق عليه وقتئذ ، وكانت جزيرة الروضة أمام الفسطاط : يراها الجالس أمام الجامع ويرى في اتجاهها على الضفة الأخرى للنيل حصن الجيزة الذي أنشأه العرب عند الفتح ، والذي تهدم بعد ذلك فعمره أحمد بن طولون مدة ولايته ، كان هذا الحصن قائما أيام المتنبي لأن كافورا الإخشيدي جدد بناءه وعمره وحفر حوله خندقا ، أنه كان يخشى المغرب وأهله ...

وكان الحصن ملاصقا لمسجد همذان وهي إحدى القبائل التي نزلت بالجيزة أيام الفتح ، وسكان الجيزة من خلاصة عرب اليمن ولا أعرف لهم نسبا آخر غير هذا

فهذا كان المنظر الذي يواجه من يخرج من باب المسجد العتيق، ولا نعلم كما قلنا الأماكن التي نزل فيها المتنبي ، وإن كان جاء ذكر دار أخلاها له كافور بالفسطاط وأنه وكل به من يخدمه ويسهر عليه، ولا أجزم بأنها كانت بعيدة عن مسجد عمرو

وبدأ مدائحه في سنة ٣٤٦ ولم يأت في شعره بشيء من حياته التي كان يحياها ولا عن الأماكن التي ارتادها ولا عمن كان معه من الأهل والعبيد والخدم ، وإنما جاء ذكر شمره ، والجامع الأعلى ويقصد به مسجد ابن طولون ، والدار التي بناها كافور وسكنها جاء ذكرها على مرتين في ٣٤٦ و ٣٤٧ هجرية

وبرغم الجهود التي بذلت أخيرا في الكشف عن تاريخ الدولة الإخشيدية ، لا تزال هذه الحقبة من الزمن في حاجة إلى مراجع أوسع مما لدينا ، لأن ما وصل إلينا عن حياة كافور الخاصة وما كان يسود البلاد المصرية من أحوال سياسية لا يزال موضع التساؤل ، فإن احتفاظ مصر بموقفها الاستقلالي بين الدول العباسية وقوة الفاطميين ودفاعها عن أملاكها من أراضي الشام ، أمور غامضة إن دلت على شيء فإن هذا الشيء هو عبقرية كافور وحده ... الذي استمر يسيطر على دولة إسلامية واسعة الأطراف بدليل قول أبي الطيب

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب

وإذا نظرنا لشعر المتنبي وجدناه لا يتعرض لأي ناحية سياسية بالذات وإن جاء ذكر أبي شجاع فاتك أحد قواد الإخشيديين وما كان يؤمله فيه. ويظهر أن المتنبي كانت له رسالة خاصة في مصر كما سيظهر ذلك ، ولذا تحاشى جهده أن يظهر في شعره بعض ما يمكنه من الاهتمام بها ، واكتفى بالمدائح والشكوى لإخفاء غرضه من المجيء إليها.

والذي أستخلصه من عصره هو أن الجامع الطولوني أنشئ (١) على ربوة جبل يشكر ، «كان يطل على بركة قارون التي كانت تتصل أيام الفيضان ببركة الفيل ، وكان الواقف على جبل يشكر أو على مئذنة ابن طولون يكتشف الجيزة ويرى الأهرام وينظر إلى مباني الفسطاط ذات الطبقات العالية ، وقد جاء في ديوانه ذكر الدار التي كان يسكنها كافور ، أشار إليها بمناسبة خروج كافور هاربا منها ، أو في أيام يسيرة مات له حول الخمسين غلاما ففزع من الدار واستوحش منها ، ويظهر أنه منذ أن سقطت

---

(١) ابن دقماق ج ٤ ص ١١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ج ٥ ، ٢ ، ٤

دولة آل طولون لم يكن بمصر دار تصلح لسكنى الملوك ، لأن دار الإمارة التى نزلها أحمد بن طولون ولها بقايا للآن لم تكن جديرة به ، ولذا أنشأ القصور الكبيرة التى هدمت بعد سقوط دولته ، ولما جاء كافور أصلح دارا كانت لأحمد بن طولون وسكنها ، فدحه المتنبى فى سنة ٣٤٧ بقوله :

أحق دار بأن تدعى مباركة دار مباركة الملك الذى فيها

ويذكر الديوان أن أبا الطيب مدح كافورا فى عام ٣٤٦ لما بنى بجوار المسجد الأعلى – أى مسجد ابن طولون – دارا فهنأه الناس بها ، ولما تحول إليها قال :

نزلت إذ نزلتها الدار فى أحـ ـسن منها من السنا والسناء
حل فى منبت الرياحين منها منبت المكرمات واللآلاء

وليس من شك فى أن الدار التى جاء ذكرها سنة ٣٤٦ هى التى أنشأها كافور ، وأن التى جاء ذكرها فى ٣٤٧ هى التى عمرها ، وهناك إجماع على أنها لم تكن لأحمد بن طولون بل كانت لابنه خمارويه

فقد ذكر ابن دقاق تحت « دار الفيل » أنها الدار التى على بركة قارون ، وكان كافور أمير مصر قد اشتراها وبنى فيها داراً ذكر أنه أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها فى رجب سنة ٣٤٦ وقيل إنه سكنها إلى أن مات ودفن فيها ثم نقل بعد ذلك إلى الصحراء ، وقيل إن سبب انتقاله من جنان بنى مسكين بخار البركة ، وقيل وباء وقع فى غلمانه ، وقيل ظهر له بها جان.. ابن دقاق صفحة ١١ جزء ٤.. وفى صفحة ١٢٥ يقول « وقيل لم يقم بها غير أيام قلائل ثم أرسل إلى أبى جعفر مسلم الحسينى ليلا ، فقال امض بى إلى دارك ، فمضى به فمر على دار المرصدى وأقام بها شهورا ثم عمر دار خمارويه المعروفة بدار الحرم بسوق حبة وسكنها أول رجب سنة ٣٤٧ هجرية وأقام بها عشر سنين إلى أن توفى فى جمادى الأولى سنة ٣٥٧ ودفن بها ثم نقل إلى الصحراء »

ويقول المقريزى « كانت دار الفيل قديما هى الدار التى على بركة قارون وقد ذكر منلا مسكين أنها من حبس جدهم ، وذكر ابن يونس أنها فى جنان بنى مسكين يعنى هذه الدار فى خططهم » وكان كافور أمير مصر قد بنى فيها داراً أنفق فيها مائة ألف دينار ثم سكنها سنة ٣٤٦ وانتقل إليها وأدخل فيها عدة مساجد ومواضع اغتصبها من أهلها ، ولم يقم بها غير أيام قلائل ثم أرسل إلى أبى جعفر مسلم الحسينى ليلا فقال له امض إلى دارك فمضى به فمر على دار فقال لمن هذه الدار فقال لغلامك يعنى دار المرصدى فدخلها وأقام بها شهورا إلى أن عمر دار خمارويه المعروفة دار الحرم بسوق حبة وسكنها أول رجب سنة ٣٤٧ وأقام بها إلى أن توفى »

ألا تشفق معى حينما تقرأ هذا على أولئك الذين يهدمون أمجاد القاهرة بإزالة قبور الصالحين أو تقييد الأسماء القديمة بأسماء المعاصرين فى مدينة عاشت أكثر من ١٤ قرنا ... إنهم مخطئون فى حق بلادهم ، لأن مفاتيح التاريخ القديم تنقطع صلاته بنا حينما نغير الأسماء الموضوعة وتهدم القبور ...

فلنعد إلى ما كنا فيه حيث يذكر المقريزى سبب خروج كافور من داره بقوله « أن وباء وقع فى غلمانه وقيل ظهر له بها جان ، وكان دار الحرم قد حبسها خمارويه – أى أوقفها على حرم والده – ثم إن الفيلة نقلت إلى الدار التى لهم الآن بالقرب من الجامع الطولونى على جبل يشكر قبل مناظر الكبش »

ألا ترى الصلة الآن بين شعر المتنبى وأماكن يعرفها أهل القاهرة واضحة سهلة أمامك فى جهات مررت بها ، ويظهر أن المقريزى وابن دقاق ينقلان من مصدر واحد ، ولكن الأول يقرر فى صفحة ١٢٩ من الخطط ما يأتى :

« قال القاضى أبو عبد الله بن محمد سلامة القضاعى فى كتاب الخطط ... وأن دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان أبوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة ألف دينار »

إذن عرفنا المصدر لتحديد أماكن الفسطاط ومنازل آل طولون هو القضاعى ولكن أين خططه ؟

ويظهر أمامنا أنه فى عصر المتنبى بمصر كان الجزء الواقع بين جامع ابن طولون والقلعة – التى لم تكن قد انشئت بعد – كانت تحتله بقايا قصور ابن طولون وكانت خرابا يشمل جزءا كبيرا من الأرض فى عهد كافور ، بدليل قول المعز لدين الله الفاطمى حينما دعاه جوهر إلى مصر ، إنها لا تحوى غير خرائب ابن طولون

لقد كان المسجد الطولونى ومناظر الكبش تطل على

البركتين.. بركة الفيل وبركة قارون ، وكانت الدار التى سكنها كافور ومدحه المتنبى من أجلها لا تبعد كثيرا عن المسجد ، أما بركة قارون ، وموقعها خلف جامع ابن طولون على رأى المقريزى وتؤكده خرائط الحملة الفرنسية ، فكانت تتصل ببركة الفيل وتكونان بركة واحدة أيام الفيضان

وكان امتداد بركة الفيل من جامع ابن طولون إلى القاهرة — حيث تقوم الآن الأحياء الحديثة ومنها الحلمية —

لقد أمضى المتنبى حياته بمصر فى أحياء الفسطاط وفى القصور بين البركتين ، وكان يذكر الجامع العتيق وجامع ابن طولون ودار كافور التى مدحه من أجلها المتنبى، ذكرها المقريزى بقوله «إن الجالس فى دار الفيل التى سكنها كافور كان يرى جزيرة مصر التى تعرف بالروضة »

هل نقدر أن نضبط أحياء الفسطاط وخططها وأماكنها المشهورة ؟

هل نستطيع أن نوجد خريطة عن مصر القديمة وقصور بنى طولون ؟

ترى ماذا يكون الموقف لو لم يسعفنا المتنبى بشئ عن حياته الخاصة ومن كان يعاشرهم من الناس بمصر

هل يستطيع عالم أن يقوم بهذا بالنصوص التى بين أيدينا ؟

لا شك فى أن جنان بنى مسكين وسوق حبة من الممكن أن نحددهما وكذلك امتداد النهر السابق فى الفسطاط ومصر وحول مدائن العسكر والقطائع ومن هنا تبعث مصر الإخشيدية : إنها فى حاجة إلى من ينير لنا الطريق لكشفها وتحديدها

وإن كان المقريزى ينير لنا السبيل إذ يقرر فى صفحة ٢١٥ عند كلامه على خطط مصر خارج باب زويلة « إن الموضع المقابل لمشهد زين العابدين كانت كله تشغله بساتين شرقيها عند المشهد النفيسى وغربيها السبع سقايات ومنها بساتين عرفت بجنان بنى مسكين وعندها بنى كافور الإخشيدى داره على البركة التى تجاه الكبش والتى تعرف اليوم ببركة قارون،

هذه لمحة لما كانت عليه صورة مصر حين عاش فيها المتنبى..

* * *

ولا أشك فى أن الفسطاط كانت مدينة لها مكانتها التاريخية وأثرها فى حياتنا الأدبية والتاريخية والسياسية . إنها البوتقة الأولى التى انصهرت فيها القومية المصرية الإسلامية العربية ولذلك تغمرنى الأحزان حينما أراها فى الحالة التى هى عليها اليوم

وتعود بى الذكريات إلى مدينة بومبى الأثرية الرومانية بجوار نابولى. لقد زرتها هذا العام — فدهشت حينما رأيت هذا التقدم فى الكشف عن المدينة المطمورة وإعادة شوارعها ومبانيها وبعض منازلها وأسمائها إلى الحال التى كانت عليها حينما دهمتها ثورة البراكين ، هذه المدينة القانعة التى أخرجها العالم . .

نعم إن الأستاذ الإيطالى أميديوانيورى ، الذى يشرف على أحيائها ، واحد من سلسلة طويلة من علماء العالم الذين كرسوا حياتهم وأفنوا أيامهم فى سبيل بومبى

فهل تجد الفسطاط عالما أثريا واحدا ، يفنى بعض السنوات فى إحيائها وضبط معالمها وخططها وإعادتها إلى النور؟ إنها تستحق هذه العناية لأننا جزء مكمل لتاريخها ، وما رأيت بلدا تنكر لماضيه الحى غيرنا ، إن بانيها عمرو بن العاص وهو أب للمصريين جميعا . . على ما أعتقد

للكلام بقية

احمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

٦ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالى الأمور ، ويكره سفسافها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

وتنطبق بوضوح نظرية التدرج من الماديات إلي المنويات – فيما يتعلق بالمعالى – على يد الإسلام الحنيف ، فقد نطق القرآن الكريم بآيات الله البينات عن الجبال الرواسى والأوتاد « وجعلنا فيها رواسى أن تميد بكم » « والجبال أوتادا » « والتين والزيتون وطور سينين » وكلها جبال معروفة و« سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ومع ذكر السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب « والنجم إذا هوى » والتذكير بأن الحياة حياتان : دنيا وأخرى . ولابد أن تكون هذه الدنيا مغايرة لتلك الأخرى ، فلا بد أن تكون الحياة الأخرى هى العليا « وللآخرة خير لك من الأولى » « وأن الآخرة لهى الحيوان » « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا »

فلنتأمل هذه الآيات الكريمة لنرى كيف تصدق نظرية المعالى هنا :

« سبح اسم ربك الأعلى » « يخافون ربهم من فوقهم » « إن الله كان عليا كبيرا » « هو العلى العظيم » « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » « ولتعلن علوا كبيرا » « وقد أفلح اليوم من استعلى » « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات » « وفى السماء رزقكم وما توعدون » « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى » « والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب» « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء » « وأنتم الأعلون » « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا» « وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » « وإن فرعون علا فى الأرض » « وإن فرعون لعال فى الأرض » « أأمنتم من فى السماء » « وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله » « الرحمن على العرش استوى » « فى جنة عالية » « والسموات العلا » و « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين » أى فى أعلى الأمكنة وهو فى السماء السابعة إليه يصعد بأرواح المؤمنين ، وفى الحديث « إن أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما تراءون الكوكب الدرى فى أفق السماء » « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين » « شهابا رصدا » و « ذو مرة فاستوى » والعرش هو أعلى المخلوقات « عند سدرة المنتهى » والإسراء بالنبى والمعراج به من الأرض إلى السماء والرسالات كانت تهبط بالوحى من السماء على ألسنة الأنبياء والمرسلين ، وآمنت بهم شعوب وقبائل وكفرت مدائن « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها »

قال عباس بن مرداس :

فمن مبلغ عنى النبى محمدا وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا وكان مكان الله أعلى وأعظما

وقال أيضا :

رأيتك يا خير البرية كلها
توسطت فى القربى من المجد مالكا
سبقتهمو بالمجد والجود والعلا
وبالغاية القصوى تفوت السنابكا
فأنت المصفى من قريش إذا سمت
غلاصمها تبقى القروم الفواركا

وقال العباس في مدح النبي :

حتى سما بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

ويقول شوقى فى نهج البردة :

حتى بلغت سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم

وكانت المرأة تأتى رسول الله فيسألها : أين ربك ؟ فتقول : فى السماء . فيقول : دعوها فإنها مؤمنة

ولقد نشأ الأستاذ الأكبر لأصحاب المعالى فى صحراء جرداء فصفت نفسه من شوائب المادة وخلصت إلى أسمى المعانى ، وجال

فكره بين الجبال والوهاد والشعاب والتلاع ، والربى والقاع ، وتطلع بنظره إلى السماء يتأمل ما فيها ، وفى ذات يوم شرف بسمعه على حفل سامر بمكة ، فإذا به ينام ، ولا يسمع شيئا . لأن الله تعالى قد عصمه من الدنيا ورفعه إلى المعالى ، من حيث أراد الإشراف من أعلى الجبل على زامر الحى ، وطالما كان الجبل أحد مكان فى دعوة الإسلام ، لهذا أحبه النبى القائل « أحد جبل يحبنا ونحبه » وهذه عاطفة إنسانية تتجه نحو مادة ترابية ، وما كان ذلك ليكون من حيث هو جبل من تراب ولكن لامتزاج هذا التراب بالدماء النوالى التى سكبت عليه فى سبيل أن تكون كلمة الله هى العليا

وأريد محمد يوما أن يكف عن هذا الدين الذى جاء به ، فقال لسفير القوم عمه أبى طالب « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته » ، وفى هذا الجواب مزاج من العزة والطموح ، إذ أن النبى إنما ألقى بهذا الدرس العالى على الأجيال المتعالية فى سلم الترقى ، وبين عينيه الشمس والقمر ، وهما ما هما علوا وارتفاعا ومع هذا يمتلئ قلب محمد بالعزة التى تكاد تفتت الشمس والقمر وتنزلها من أعلى مكان ليكونا بين يديه

ومن هذا الباب رؤيا يوسف عليه السلام « قال يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » والأحلام — فى نظر السيكولوجيين — هى تنفيس عن رغبات مكبوتة ، وهكذا يجتمع أنبياء الله فى قمة المعالى ، بما ملأ قلوبهم من الإيمان ، فتهون حيالها ما فى الأكوان من كواكب وجبال. وكثيرا ما يرى الطامحون فى منامهم أنهم يطيرون ، وأقرب تفسير لذلك أنهم من أصحاب المعالى

وليس بمنكر أن يكون محمد زعيم أصحاب المعالى فهو القائل « علو الهمة من الإيمان » والقائل أيضا « إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها » وجاء فى الأثر « لا تصغرون هممكم »

ولقد كان أهل المدينة من الجهات العالية بها يسمون فى العرب باسم « أهل العوالى » وقد جاء « عجوة العالية شفاء » «لا ينبغى لهم أن يعلونا» وفى ذلك اليوم غلب على وهم أبى سفيان أن أبطال المسلمين قد قتلوا ، لهذا قال : « أنعمت فعال » أى فدعنى ، وقال أبو طالب :

— فى ذروة حقاء . — : لا تملونى إشى

ويقال إن أرواح الأنبياء فى الملأ الأعلى ، كما أن النبى الكريم كان يقول وهو يقاسى سكرة الموت : بل الرفيق الأعلى ، فتقول عائشة : إذن والله لا يختارنا

وقف أبو سفيان يوم أحد مفاخرا برأس الأصنام (هبل) فيخاطبه : اعل هبل . وما يكون لصنم أو لعابد صنم أن يعلو أو يسود ، لهذا أمر النبى أحد الصحابة ليجيب فقال : الله أعلى وأجل . وماذا يقول المنطق السليم فى هذا الجواب السليم الصاعد بالتمجيد إلى الله الذى لا أكبر منه ولا أعلى ، وهو سبحانه وتعالى يعلو ولا يعلى عليه

وكان مما قاله معبد الخزاعى عندما التقى النبى بحمراء الأسد بعد غزاة أحد « .. ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك »

ومن أوضح الأدلة على الشعور بالدون عند أهل الدون قول رأس النفاق عبد الله بن أبى بن سلول عندما قال :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل ويعلوك الذى لا تصارع
وهل ينهض البازى بغير جناحه وإن قص يوما ريشه فهو واقع

وذلك من غير شك تعبير عن هذا النقصان الناجم عن الحقد والضغن فى نفس هذا المنافق الغليظ الذى لا يعلو ، وما يكون له ولا لمثله ولا لأمثال أمثالها أن يعلو . وخير منه فى هذه الخصومة الوليد بن المغيرة فى وصفه كتاب الله « وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق . »

ولما سئل نبى الله عن أى أنواع الجهاد فى سبيل الله قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . وهو عليه السلام الدافع إلى علو النفس وإباء الضيم وارتفاع الكرامة إذ يقول « اليد العليا خير من اليد السفلى »

ومن مظاهر التشريف والتكريم أن ينزل الضيف فى أعلى مكان بالبيت ، لهذا عندما وصل النبى — لدى هجرته المباركة — إلى قباء نزل فى علو المدينة بحى عمرو بن عوف ، وفى بيت أبى أيوب الأنصارى ، نزل النبى بالسفل وما كان أبو أيوب ليرضى أن يكون هو بالعلو والنبى بالسفل ، ولكن تواضع نبى الإسلام

أبى عليه أن يعلو ماديا ، فارتفع روحا ومعنى ، وهو الذى سأل ربه : اللهم الرفيق الأعلى ، اللهم ألحقنى بالرفيق الأعلى ، أسأل الله الرفيق الأعلى

وقبلا نادى نوفل بن خويلد يوم بدر فقال : يا معشر قريش : اليوم يوم الرفعة والعلى ، فقال النبى : اللهم اكفنى نوفل بن خويلد ، فقام إليه على فقتله ، ومعنى ذلك أن صاحب المعالى عليا ابن أبى طالب كرم الله وجهه قتل نوفل بن خويلد الذى يدعى الرفعة والعلى ، وهما منه براء ، وهو منهما على غير شئ فى كثير أو قليل . لهذا كثر ما كان المسلمون يعلون الكفار بالسيوف فتطيح رءوسهم إلى أسفل سافلين

ولما دنا فراق النبى عليه السلام دنيا الناس جمع أصحاب المعالى الصحابة فى بيت عائشة وقال لهم فيما قال « أوصيكم بتقوى الله ، وأستخلفه عليكم وأحذركم الله ، إنى لكم نذير مبين ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده ، فإنه قال لى ولكم : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين »

وجاء فتى إلى رسول الله فقال : يا نبى الله إن لنا منك نظرة فى الدنيا ويوم القيامة لا نراك ، فإنك فى الجنة فى الدرجات العلا ، فنزلت : « ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وقال النبى : أنت معى فى الجنة

وقد رأينا كيف أنشد النابغة أبو ليلى عبد الله بن قيس أمام النبى بيته العالى :

علونا السماء عفة وتكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فغضب النبى فقال : إلى أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة يا رسول الله فقال النبى : أجل إن شاء الله . وهذا يذكرنا بقول النبى لأم حارثة بن سراقة « وحارثة فى الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك وتقول وهى تضحك : بخ بخ لك ياحارثة

والحق دائما ينتسب إلى الملا بينما الباطل ينتمى إلى الدون ، وهذا مصداق قول رسول الله لسعد بن معاذ إذ أصدر حكمه — بأمر النبى — فى يهود بنى قريظة « لقد حكمت فيهم بحكم الله — من فوق سبع سموات ـ وشأن هذا الحكم العلو والرفعة ـ قد طرقنى بذلك الملك سحرا » فهذا الحكم العالى الذى تتضاءل دونه أحكام الاستئناف العالى

وقد تغلغلت روح المعالى فى نفوس الصفوة المختارة من فلاسفة الإسلام وخلفائهم المثقفين ، فهذا ابن سينا يقول فى مطلع قصيدته فى النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وترفع

وهذا المأمون يقول لرجل استأذن فى تقبيل يده « إن قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمى خديعة ، ولا حاجة بك أن تذل ولا بنا أن نخدع »

والجهاد فى الإسلام رفعة النفس بينما النكوص على الأعقاب والقعود عن الجهاد هو الإخلاد إلى الأرض ، والرضى بالدنيا ، وشأن الكريم أن ينشد الحياة العالية ، قال تعالى « يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » . والنبى يقول « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » . والسماء إشارة إلى السمو والرفعة لهذا يقول النبى « ألا تأمنونى وأنا أمين فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » وإليها تصعد دعوة المظلوم ففى الحديث « اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة » والملائكة تتحدث فى عنان السماء . وما أجل الخلق النبوى حين يقول محمد « لا تفضلونى على يونس بن متى » . ذلك أن النظرة القاصرة تفرق بين إسراء محمد إلى سدرة المنتهى وهبوط الحوت بيونس إلى قعر البحار فى أسفل الأرض ، ولكن محمدا لا يرتضى هذه التفرقة لأنهما كانا فى القرب من الله سواء

وجاء فى الخبر « أربعة أملاك اجتمعوا فى الهواء ، أحدهم هبط من العلو ، والآخر ارتفع من السفل ، والآخر من المشرق ، والآخر من المغرب ، واحدهم يقول :

« أقبلت من عند ربى ، فسبحان الوجود فى الكل مكانه ، مشيئته ووجوده قدرته ، والعرش والثرى وما بينهما هو حد الخلق الأسفل والأعلى بمنزله خردلة فى قبضته هو أعلى من ذلك بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد فى دنوه ولا حس فى وجوده ولا مس فى شهوده ولا إدراك لحضوره ، ولا حيطة لحيطته »

محمد محمود زيتونه

خواطر مسموعة:

حلم ويقظة

للأستاذ حامد بدر

سئمت نفسي هذه الحال ، فملأتها بالآمال ، وسبحت فيما يسمونه الخيال ، مفكرا فى موقف القوم ، بين الأمس واليوم ، حتى غلبنى النوم . ورأيت فيما يرى النائم جحفلا من الشباب ، يحطم الصعاب ، بعزمات صلاب . فسألت أحدهم : إلى أين ؟ فأجاب : لن تنام لنا عين ، حتى نقضى هذا الدين . ولن يهدأ لنا بال ، حتى ننال الآمال ، فليس مع الطلب محال . وكلنا أبى لا يذل ، مجاهد لا يمل ، مطالب بوطن مستقل . نحن بنو الحضارة ، والعزمة الجبارة ، والمفرط أولى بالخسارة ! . .

ألا إن الجهاد ليس بهين ، وقديما قيل إن الطلب اللين ، يضيع الحق البين ! مصر لنا لا للغرباء ، والدار ليست للنزلاء ، والحق كل الحق فى وجوب الوحدة والجلاء . فكرة قد اختمرت فى الرءوس ، آمن بها الرئيس والمرءوس ، وغضبة فرعونية ضاقت بها النفوس . وهل يقدر شاذ أن يأخذ ويدع ، فيما عليه الرأى قد اجتمع ، والحق أحق أن يتبع ؟

فقلت : شقوا طريقكم ، فى ظل مليككم ، والله وليكم !

ولما كانت الدعوى صريحة ، والحجة صحيحة ، والقضية نزيهة ، والمطالب وجيهة ، فإن الحكم أقر ، بأن لا مفر ، من أن الغريب يفر ، ولا يستقر . وعلى أثر الحكم تم الجلاء ، وزال الغلاء ، وذهب البلاء ! وسمعت نشيدا يهز السامع ، ويرن فى المسامع ، ويأخذ من القلوب بالمجامع .. وفجأة أفقت من السبات ، ولم أحفظ من الأبيات ، سوى ما هو آت :

زها العصر زها العصر وجاء الفوز والنصر
فلا ظلم ولا قسر عليك اليوم يا مصر
فعيشى وليعش سوداننا ومليكنا الحر

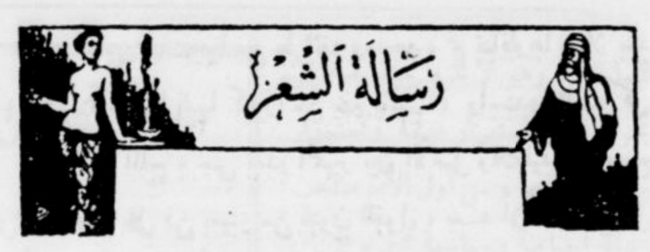
بلادى : لست للغربا ولست لغاصب غصبا
فبالجد اقهرى النوبا وقولى : قضى الأمر
وعيشى وليعش سوداننا ومليكنا الحر

لنا السودان والنيل هما للملك إكليل
يصون حماها جيل يذوب لعزمه الصخر
فردد يا شباب النيل : عاش مليكنا الحر

وأبدع أيها الشادى بلحن رائع شاد . .
يرن صداه فى الوادى فيصغى البر والبحر
شباب النيل يفديه وعاش الملك الحر

هذا ما وعيت ، وليتنى أغفيت ، حتى أتيت على آخر بيت . فاحتشاد الناس ، واختلاط الأجراس ، والتهاب الإحساس ، كل ذلك كاف لطرد النعاس ! وكم دهشت عندما رأيت تلك الأمة لا تزال تطالب ، بأعز المطالب ، فقلت : هذا واجب ، ولا يضيع حق وراءه مطالب

حامد بدر



ذكري شوقى

للأستاذ محمود غنيم

طواه الردى فتحدى العدم   بشعر يدور على كل فم
لعمرك ما مات من شعره   على صفحات الصدور ارتسم
وفى كل بيت له صورة   تطل عليك بلحم ودم
عر الليالى بشعر « ابن هانى »   فتظهر من عتقه والكرم
قواف لهـا فعل بنت الدنان   وكم زان بنت الدنان القدم

* * *

سلوا الشرق هل كان شعر « ابن هانى »
سناه   إذا ما الكلام ادلهم ؟
وبلسمه من جراح الزمان   وسلواه في كل خطب ألم ؟
تغنى به فى السرور الطروب   فكان الكمان وكان النغم
وناح به فى الخطوب الحزين   فلامس منـه مكان الألم
قواف سرت سريان البروق   تجوب الوهاد وتطوى الأكم
شوارد طبقت الخافقين   بها الشرق بعد الشتات التأم
أعز على الضاد من كل ما   حوته خزائنها من حكم
وأروى من النيل للظامئين   وأخلد من لبنات الهرم
ثوى ربها فى التراب ورفت   بأفق البيان رفيف العلم
سلوا الضاد هل كان أحمد كنزا   حوته يداها ؟ تجبكم : نعم
لقـد منحته الطبيعة ملكا   عريضا من الشعر فيه احتكم
وعرشا كعرش ابن داود فيـه   تقوم الطيور مقام الخدم
يقولون شاد بقيثاره   شجى العرب قلت: وهز العجم
أجاد القريض بعهد الشباب   وأعجز حين اعتراه الهرم
وكم شاعر لم يحس الشعور   فما قال شعرا ولكن نظم

* * *

لعمرك ما الناس دون الشعور   ودون الأحاسيس إلا نعم
إذا الشعب لم يعر الشعراء   مسامعه فهو شعب أصم
وما قيمة الروض دون طيور   تغنى ودون زهور تشم ؟
وما الكون إن أصبح الكون سوقا   لبيع القرى بالجياع ازدحم ؟
لقـد عبد المحدثون الحطام   كما عبد الأقدمون الصنم
أرى عالما كـدت روحه   على فضلات الحطام اختصم
أراد الحياة بحد الحسام   وشاد به ركنها فانهدم
فيا عابدى الزاد خلوا الحسام   وسوسوا الأمور بسن القلم
وما الشعر إلا حياة الشعوب   ورمز النهوض وحفز الهمم
إذا ساد فى الأرض قل الفساد   بها وأظل السلام الأمم

محمود غنيم

أنشودة الغد ..

للاستاذ عبد اللطيف الشهابى

« إلى المشاعل التى تحترق ! . »

يقول الغد :
وراء الغمام لنا موعد
وخلف السراب لنا مورد
وفوق السماء لنا معبد !
وراء الغمام
ترفين مثل المنى والوئام
كأنك آلهة للأنام
على نصب من رفيف السلام
وخلف السراب
تطلين مثل الأمانى العذاب
على عالم زاخر بالرغاب
على بشر فى طباع الذئاب
وفوق السماء
سيحنو علينا جناح الرجاء

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مسرحية «مسمار جحا» :

افتتحت فرقة المسرح المصري الحديث موسمها الثاني على مسرح الأوبرا الملكية يوم الخميس ١٨ أكتوبر ، بمسرحية «مسمار جحا» تأليف الأستاذ علي أحمد با كثير وإخراج الأستاذ زكي طليمات

من هو جحا ؟ يقول لنا الأستاذ كامل كيلاني : جحا العربي — فهناك جحا التركي وغيره — هو أبو الغصن دجين بن ثابت ، عاش بمدينة الكوفة في القرن الثاني من الهجرة . ويقول : أعجب الناس بما سمعوا من طرائفه وملحه ، ثم تناقلوها جيلا بعد جيل ، فأضافوا إليها كثيرا من مخترعاتهم ، وأسندوا إليه كل غريب من الملح ، حتى تعذر التمييز بين الأصل والتقليد ، وأصبح جحا علما على فن بعينه من فنون القول ، بعد أن كان علما على شخص بعينه من أفذاذ الناس

ورأى الأستاذ علي أحمد با كثير أن يتخذ من هذه الشخصية الحائرة بين الحقيقة والخيال موضوعا لمسرحية يعالج بها قضية وادي النيل ويجري الصراع فيها بين الحرية والاحتلال

لم يأخذ المؤلف جحا من التاريخ ليحقق وجوده التاريخي ، وإنما أخذه من مجموعة النوادر التي تسند إليه ، وأمضى شخصيته — كما تخيلها وأرادها — في الطريق الذي رسمه للوصول إلى الهدف . فهذه المسرحية إذن ليست مسرحية تاريخية ، وإنما اتخذ المؤلف أشخاصها من سالف العصور ، وأجرى بينهم أحداثا ترمز إلى واقع عصرنا وتكاد تسفر عنه في بعض المواطن

الشيخ جحا يعمل واعظا في مسجد الكوفة ، فيعظ الناس على طريقته الخاصة . . يمزج الجد بالهزل ، ويعالج المسائل بمنطقه

وتغمرنا دفقة من ضياء !

فتمسح بالطهر تلك الدماء !

وكالحائر

تطوف هنا صرخة الثائر

ترددها مهجة الشاعر !

فتصرخ كالرعد بالغادر :

بأرض الجدود

تحاربنا فئة من قرود

تميث وتزري بقدس العهود

فتضرب بالسوط ظهر العبيد !!

أيا غاليه

سنمشي على الشوك للداليه

لنعصرها خمرة صافيه

فنشربها طغمة عاتيه !

ألم تعلمي ؟!

لهيب يؤز اللظى في دمي

وسخط يجلجل ملء الفم

ويصرخ بالنفس : لا تحجمي

فهذا الأنين

صراخ الضحايا وراء السجون

يطوف علينا ، فهل تسمعين ؟!

سننفض عنا غبار السنين !!

ألا فاحمدوا

وراء الخلود لنا موعد

وخلف الصراع لنا مورد !

هلموا .. هلموا ، يقول الغد

العراق ـ الحلة عبد اللطيف الشهالي

الساخر . وهو لا يلزم حده كموظف يحرص على استقرار عيشه واستمرار رزقه ، فهو يبء ومن أول الأمر صاحب رسالة اجتماعية وسياسية تحفزه على أن يطلق لسانه فى الأغنياء والحكام ، فيعزله الوالى من وظيفته . ويعود جحا إلى بيته حيث يلقى هناك زوجته « أم الغصن » الفظة السليطة ، فتعنفه على طول لسانه الذى أدى إلى فصله من عمله ، وتسائله عما سيصنع بعد للانفاق عليهم ، ويدخل « حماد » ابن أخيه ، الشاب الفلاح الذى يحب « ميمونة » بنت عمه جحا . ويشير حماد على عمه أن يشتغلا معا بالزراعة ، فيقبل . وهنا تقول أم الغصن لزوجها جحا : إن اشتغلت بالزراعة فلابد أن يهجم الجراد على الزرع فيلحق شؤمك بجميع الفلاحين ! ويهجم الجراد فعلا . وتقع كارثة عامة

وبذلك ينتهى الفصل الأول ، فإذا كان الفصل الثانى رأينا جحا وزوجه فى دار أنيقة وحال حسنة ، ونعلم من حديثهما أن الشيخ جحا أصبح قاضى القضاة فى بغداد . ويدخل « عبد القوى » كاتب الحاكم الأجنبى ، ونفهم من حديثه مع جحا أن الجراد لما انتشر وأفسد الزرع ثار الزراع بتدبير جحا وقيادة حماد ، ثم استطاع جحا بحكمته ولباقته أن يقنع الحاكم الأجنبى بالعمل لإنصافهم من ظالميهم الملاك حتى لا تتحول الثورة الاجتماعية إلى ثورة سياسية وبذلك قرب مكانه

كشكول الأسبوع

◘ كانت ذكرى وفاة المغفور له أحمد شوقي بك يوم الأحد ١٤ أكتوبر الحالى . ويقتضينا الإنصاف أن نذكر الاذاعة المصرية بالثناء لاهتمامها بذكرى أمير الشعراء فى هذا العام اهتماما لم يكن من عادتها فيما قبل ، فقد أذاعت فى هذه الذكرى برنامجا حافلا متنوعا استغرق نحو ثلاث ساعات ، غير أننا نلاحظ أن دراسة الشاعر لم تأخذ حقها بالنسبة لبقية المواد ، فقد كان ينبغى أن تعرض وتحلل الجوانب الشعرية لشوقى ويجلى ما فى شعره من ذخائر بدلا من الإملال بعرض أثاث بيته وتحفه

◘ انتخبت أكاديمية العلوم التاريخية فى إسبانيا معالى الدكتور طه حسين باشا والأستاذ محمد شفيق غربال بك والدكتور محمد مصطفى زيادة بك أعضاء شرف بها

◘ تفكر الجامعة الشعبية فى إنشاء قاعة كبيرة للمحاضرات العامة تقوم فى مكان متوسط من القاهرة ، باسم « قاعة فاروق الأول للمحاضرات العامة » وذلك بطريق الاكتتاب العام الذى يشارك فيه أبناء الشعب والهيئات الثقافية الحكومية والحرة

◘ نشرت فى موسكو أغنية جديدة لشاعر الروسى سيرجى ميخا لكوف ، عنوانها « حول القنبلة الذرية » يقول فيها إن الروس راضون كل الرضا عن نجاح التجارب الذرية ، وليس لبعض الناس أن يخافوا ، لأن الروس — على عكس الأمريكيين الاحتكاريين — يريدون تحريم القنابل الذرية

◘ من الطرائف التى يرويها الأستاذ محمد مصطفى حمام ، أن المغفور له محمد محمود باشا كان قد أنشأ خطا حديديا من منوف إلى بنها . وأقيم احتفال لافتتاح هذا الخط التى فيه أحد الشاعرين قصيدة ، منها فى خطاب محمد محمود باشا :

قربت منوفا من بنها
وكنا الباجور من اسطنها
سرس سبك قربت منها
بطريق حديد يا محمد !

من الحاكم ، فصار قاضى قضاة الدولة

ويحدث جحا نفسه ، ويحدث ابن أخيه حماد ، عن ضيقه بجبارة الدخيل المتحكم فى البلاد ، ويبدى رغبته فى العمل لإثارة الشعب ضده ، فيرى أن تدبر قضية تعرض عليه ، تشبه قضية البلاد العامة ، فيطيل النظر فيها بحيث تشغل الرأى العام وتنبهه .. ويتفق الاثنان على أن يتنازل جحا لحماد عن داره ، فيبيعها حماد لمن يشتريها ، مشترطا عليه أن تبقى له (للبائع) ملكية مسمار فى أحد الجدران . . ويتم ذلك ، ويقلق حماد راحة المشترى بالتردد الكثير على الدار لمشاهدة المسمار والاطمئنان عليه ! وتعرض القضية ، ويطول نظرها سبعين يوما ويحدث ذلك أثره المنشود فى الشعب

ويرتفع الستار فى الفصل الثالث عن منظر المحكمة ، والقضاة وعلى رأسهم جحا ينظرون هذه القضية العجيبة ، وقد امتلأ حرم المحكمة بجمهور من الشعب الحانق على صاحب المسمار الذى يتحكم فى مالك الدار . . ونرى الحاكم قد أخذ مجلسه فى المحكمة يرقب الحال ويستحث القضاة .. ويرد عليه جحا بأن العدل يجب أن يأخذ مجراه بعيدا عن التأثر بالحكام . ويأبى صاحب المسمار أن ينزل عن حقه فى مسماره .. فيشغب عليه الشعب ويهيب به مرددا :

يا رب المسمار انزع مسمارك

من دار الأحرار إذ ليست دارك

فيصيح بهم حماد : ياقوم ، إنكم تهتمون بالمسمار الصغير وتغفلون عن المسمار الكبير ! ويشير إلى الحاكم . ويقول جحا للحاكم : إنك تستكثر سبعين يوما على نظر هذه القضية ، وهناك قضية أهم منها لا تزال معلقة منذ سبعين عاما . . ويغضب الحاكم ويأمر بالقبض على جحا وإيداعه السجن . ويأتى بعد ذلك منظر جحا فى السجن وقدوم الحاكم عليه يفاوضه عساه أن يرجع إلى « صوابه » فيطلق سراحه ، وهنا يدور بينهما حوار رائع يفند فيه جحا كل حجج المستعمر على طريقته الساخرة ومنطقه الجحوى المفحم

ويثور الشعب ثورته الجامحة ، ويندحر الدخلاء . ويرتفع الستار فى المنظر الأخير عن منزل جحا حيث نرى ابنته ميمونة تزين استعدادا لعقد زواجها بعبد القوى كاتب الحاكم الذى كان يعمل فى الخفاء مع الحركة الشعبية . وكان جحا قد وعد حماد بأن يزوجه ميمونة على رغم زوجته أم الغصن التى كانت تعارض ذلك وترغب فى زواج ابنتها من عبد القوى . وتحدث المفاجأة بأن يعقد القران ويضع جحا يده فى يد عبد القوى قائلا : زوجت ابنتى ميمونة لموكلك حماد . .

عرض الأستاذ باكثير فى هذه المسرحية ، القضية المصرية القائمة ، عرضا فنيا موحيا ، يبعث المشاعر الوطنية ويحفز الهمم ويرسم الطريق ، وقد سلط السخرية الجحوية النفاذة إلى غطرسة المستعمر وتبجحه فلم يدع له حجة إلا دحضها ، وتمثيل ذلك فى الحوار القوى الرائع الذى دار بين جحا وبين الحاكم الدخيل فى السجن . وقد ساق كل ذلك مساقا فنيا جيلا ممتعا خاليا من ثقل الوعظ وشوائب التهريج . وتضمنت المسرحية إشارات إلى الناحية الاجتماعية من حيث ترف الأغنياء وحرمان الفقراء ، ولكن يلوح أن المؤلف كان يشعر بالقيود فى هذه الناحية فلجأ إلى التوريات والتلميحات ولم يأخذ هنا حريته كاملة كما أخذها فى الناحية السياسية

وقد صاغ المؤلف - فى براعة ولباقة - نوادر جحا فى الحوار واستخدمها استخداما حسنا فى التسديد إلى الأهداف ، وفى إشاعة الفكاهة ، واتخذ من شخصيتى « أم الغصن » و « الغصن » مدارا للدعابة والمرح ، واستعمال أم الغصن ومشاكساتها لزوجها جحا على إبراز الفلسفة الجحوية وأثرها فى مجرى الحوادث

وهذه ثانى مسرحية - بعد سر الحاكم - نراها على المسرح للأستاذ على أحمد باكثير ، ولا شك أن المسرح يرحب بإنتاجه ويضمه فى الصف الأول من كتابه ، وأسجل له هنا - مع الغبطة والإعجاب - تلبيته لنداء المجتمع وأداء واجب الفن نحوه

وقد أخرج المسرحية الأستاذ زكى طليمات ، ولست أدرى ماذا أقول فى هذا الرجل الدائب على خدمة المسرح العربى بكل وقته وجهده وفنه ، هذا الرجل الذى يربط بين المسرح الراقى والأدب الرفيع فى الوقت الذى نرى فيه عوامل كثيرة تحاول أن توهن هذا الرابط وتميل بفن التمثيل نحو الإسفاف وصناعة التسلية الخاوية

والحديث عن إخراج المسرحية يكاد يظلمه ضيق المقام ، وقد جرى الأستاذ زكى طليمات على مذهبه الإيحائى بالمناظر والإضاءة والأصوات والمجموعات (الكومبارس) فكان موفقا كدأبه فى تصوير جو الرواية ، سواء المشاهد منها وما يلمح وراء الأحداث ، وهذا يقابل ما يسمى فى فن الكتابة « ما بين السطور »

ثم أجمل ملاحظاتى على التأليف والإخراج فيما يلى :

١ - المسرحية تهدف إلى معالجة القضية المصرية وقد حددت فيها ملامح هذه القضية تحديدا ظاهرا ، وروح الدعابة والملح مصرى ، ومع ذلك قيل إن جحا يعظ الناس فى الكوفة ويتولى القضاء فى بغداد ، ولو أغفل ذكر هاتين المدينتين ما ضر ذلك شيئا

٢ - فى المنظر الأول يقول جحا للناس وهو يعظهم : سبحوا الله واستغفروه . فيقولون : لا إله إلا الله : والتسبيح هو قول سبحان الله ، والاستغفار : أستغفر الله . وقد مر ذلك بالمؤلف والمخرج والممثلين جميعا ، ولم يلتفت إليه أحد منهم !

٣ - أرى أن دخول أم الغصن على زوجها جحا فى مجلس القضاء والمشادة التى حدثت بينهما و (ردح) الزوجة لزوجها - لم يكن كل ذلك لائقا ، وكان مقحما وحشوا

وقد أجاد الممثلون والممثلات فى أداء أدوارهم ، وخاصة سعيد

أبو بكر (جحا) ونعيمة وصفى (أم الفضن) وعبد الرحيم الزرقانى (الحاكم الأجنبي) وصلاح سرحان (حماد) وعدلى كاسب (والى الكوفة) وسميحة أيوب (ميمونة) وظهر عبد الغنى قمر فى دور قصير هو دور عالم ينافس جحا ، فكان موفقا فى أدائه ، وأحب أن أقول لعبد الغنى : ليس المهم أن يأخذ الممثل دورا كبيرا فى الرواية ، بل أن يكون فى دوره الملائم له . ومثل « الفضن » شاب جديد هو عبد المنعم إبراهيم فكان مثار المرح والفكاهة فى الرواية كلها ، وقد دل هذا الشاب على استعداد يبشر بمستقبل ، وخاصة فى الأدوار الهزلية

وأهمس فى أذن أبطال الفرقة : أخلفتم ما عهدناه فيكم من مراعاة الإعراب فى هذه المرة ، وأنتم تؤدون اللغة العربية أداء جيلا من حيث التمثيل والإلقاء ، ولكن حذار من غضب سبويه ! وأخص بالذكر سميد أبو بكر ونعيمة وصفى ، فحرام أن يشوبا كفايتهما الفنية العظيمة بهذا الخطأ ..

ماذا تغنى أم كلثوم ؟

أصدر رفعة رئيس الوزراء قرارا بإلغاء الحفلة الغنائية التى كان مقررا أن تحييها الآنسة أم كلثوم بالنادى الأهلى مساء يوم الخميس الماضى ، وذلك رعاية لشعور أهل شهداء منطقة القنال . وقد صدر القرار على أثر برقيات أرسلت من مختلف بلاد القطر المطالبة بإلغاء هذه الحفلة

ولا شك أننا جميعا نشعر بالأسى لفقد أولئك الضحايا ، وليس للهو والمباهج مكان مع هذا الشعور . وقد صدر قرار رفعة رئيس الحكومة وصدرت تلك البرقيات ، معبرة عما يخالج نفوس الجميع

ولكن لى وقفة فى هذا الموضوع إزاء فن الموسيقى والغناء وهل هو لهو كله لا يناسب إلا حال البهجة والمرح ؟

ننظر أولا فى واقع الأمر . ماذا كانت ستغنى أم كلثوم فى هذه الحفلة ؟ نشرت أبيات من شعر شوقى قيل إنها أغنية جديدة أعدتها أم كلثوم للغناء فى حفلة الوسم الجديد ، وهى من نوع التهويمات التى جرت مطربتنا الكبيرة على جمعها من شعر شوقى والخيام معرضة عن واقع الحياة الذى يجرى حولنا . فكان المتوقع أن تغنى هذه الأبيات ، إلى أغنيات أخرى من المشاق والذى « يصالح فى روحه ! »

وعلى ذلك لم ير الناس ولم تر الحكومة من اللائق أن تغنى أم كلثوم على ذلك النحو المألوف فى هذا الظرف . ولا يسوغ هذا الغناء ما قيل من تبرعها بإيراد الحفلة لصالح أسر الشهداء ، لأن الأساس العمل المناسب لا ما يجنى منه

أقول ليس من اللائق أن يغنى ذلك الغناء فى هذا الظرف ، ولكنى لا أذهب مع القائلين بأنه لا يناسب الغناء . فالغناء والموسيقى يعبران عن كل حال ويناسبان كل ظرف ، ولكن المدار على الطريقة والمادة التى تغنى . ومن البداهة أن هذا الفن — إذا أحسن استخدامه وتوجيهه — يقوى الأرواح ويغذى المشاعر الوطنية ، فمن الإطالة المملة أن أفيض فى هذا الأمر المفروغ منه ، وحسبى أن أشير إلى ما كان يصنعه العرب من اصطحاب نسائهم فى الحروب ينشدن للأبطال ويقوين عزائمهم ، وأن أذكر أثر « شوبان » فى بعث أمته بألحانه وبما كان يكسبه بعزفها من المال ويرسله إلى أحرار وطنه كى يستعينوا به فى العمل على تحرير بلادهم

ومالى أذهب بعيدا وأم كلثوم نفسها تعلم أن « دنانير » كانت تغنى على أطلال البرامكة ..

فلو أن أم كلثوم اختارت قطعة لشاعر من وحى الحالة الحاضرة وأعدتها للغناء فى هذه الحفلة وتبرعت بإيرادها كما قيل ، لكان ذلك عملا مشكورا منها ، ومشاركة من الفن فى الجهاد الوطنى .. وما أظن عندئذ أن أحدا كان يعترض عليها أو يحتج على الغناء

عباس خضر

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الى الدكتور زكى نجيب محمود :

عندما فرغت من قراءة مقالك الثائر على كتابى الثائر ، ذلك المقال الذى طلعت به على الناس منذ قريب على صفحات « الثقافة » ارتسمت على شفتى ابتسامة عابرة .. أول معانيها أننى أحب أن أنصف الحقيقة مهما كان طعمها مر المذاق بالنسبة إلى الآخرين ، وسأنصفك دائما سواء لقيتك بالرفق والهوادة أم لقيتك بالعنف الذى لا يلين ! وأرجو أن يتسع صدرك لثورتى كما اتسع صدرى لثورتك ، لأن المشكلة الكبرى التى تقوم بيننا ويجب أن ينفذ إلى أغوارها القراء ، هى أن يعرفوا على التحقيق أى ثائر أنا وأى ثائر أنت !

أنت يا صديقى ثائر على ، وثائر على نفسك ، وثائر على غيرى وغيرك من شيوخ الأدب وشبابه ، لا تكاد تعترف بأن لنا جميعا فى محيط الأدب والفن ذرة من الأصالة الخالقة .. ترى هل أنت هنا ثائر أصيل ؟ لا أظن ! بل إن ثورتك هـذه لتجعلنى أعبر الآماد والأبعاد ، وأطوى السنين والأيام ، وأرتد على جناح الخيال إلى ذلك الماضى البعيد ، الماضى الذى يذكرنى بطفولتى الثائرة .. لقد كنت فى ذلك الحين طفلا ساخطا على كل أمر من الأمور ، ساخطا على كل وضع من الأوضاع ، لا أكاد أرضى عن شئ ، ولا أكاد أقبل على طعام ، ولا أكاد أترك طفلا من الأطفال بغير اعتداء ! يقدمون إلى أبهى الثياب فأقول لهم ليس عندكم مايلبس ، ويعرضون على أشهى الأطعمة فأقول لهم ليس عندكم ما يؤكل ، ويقبل على الأصدقاء الصغار فأصفع هذا وأركل ذاك ، ومنطق التبرير لهذا العدوان العجيب أنهم « جميعا » لا يستحقون منى أى اعتراف بالجميل .. كنت أفعل هذا كله وما هو أكثر منه ، فإذا اعترض على معترض من الأهل ضربت الأرض بقدمى ، ولوحت فى الهواء بيدى ، وبدأت عملية التحطيم فى أرجاء البيت لا تبقى ولا تذر : كل ما فى طريقى يجب أن يزول ، وكل ما فى طريقى يجب أن يدمر ، ولا فرق فى ثورة الطفولة مثلا بين لوحة فنية وبين آنية زجاجية ، لأن منطق الطفولة لا يعترف بقيم الأشياء ، فهى فى محيط إدراكه القاصر وأمام ناظريه سواء !!

ودارت عجلة الزمن وأصبح الطفل شابا .. شابا ثائرا أيضا ! ولكن ثورة اليوم قد تغيرت من ثورة الأمس : غيرها طول التجربة ، واتساع الأفق ، واكتمال الوعى ، سواء فى شؤون الأدب أو فى أمور الحياة .. ويتذكر الشاب الثائر طفولته الثائرة فلا يستطيع أن يمنع ابتسامة عابرة من أن ترتسم على شفتيه : أحقا لم يكن فى بيته ما يستحق أن يؤكل ، ولا عند أهله مايستحق أن يلبس ، ولا بين أصدقائه الصغار من يستحق عطفه وحبه ورضاه ؟! ويقتنع الشاب الثائر أن ثورة طفولتـه كانت عمياء لا تبصر ، وغافلة لا تعى ، وذاهلة لا تفرق .. لقد كان فى فورة غضبه يحطم « كل » الأشياء وكان « بعضها » يستحق البقاء ، وكان فى وقدة سخطه يعمد إلى تكدير « الجميع » وكان « بعضهم » يستحق التقدير ، وقل مثل ذلك عن موقفه من أنواع الثياب وألوان الطعام !

ويمثل هذا الإدراك السليم نظر الشاب الثائر إلى أدبنا المصرى وثار عليه .. ثار عليه فى « أكثر » حالاته ولم يثر عليه فى « كل » حالاته ، لأنه أراد لثورته أن تكون عادلة لا ظالمة ، ومنصفة لا مجحفة ، ورزينة متأنيـة لا يفسد من رزانتها تهور ولا يشوه من أناتها اندفاع ؛ حين آمن بمدطول التجربة واتساع الأفق واكتمال الوعى ، أن هناك فارقا كبيرا بين ثورة الرجولة وثورة الطفولة !!

إنك يا صديقى — وأرجو مرة أخرى أن يتسع لى صدرك — لا تزال تمثل تلك الثورة الطفلة التى عرفتها أنا فى ذلك الماضى البعيد .. وإذا كان هناك من فارق بينى وبينك ، فهو أننى قد ودعت ذلك العهد الغابر وأنك لا تزال تعيش فيه ، على الرغم من أننى قد تخطيت اليوم حدود الثلاثين وأنك قد تخطيت بالأمس حدود الأربعين .. إننى لا أريد أن أنال منك بشئ من السخرية

أو بشىء من التجريح ، وإنما أريد صادقا أن أقدم ثورتى وثورتك على حقيقتهما إلى الناس ، ليعرفوا كما قلت لك أى ثائر أنا وأى ثائر أنت !

لقد قلت فى مقدمة كتابى الثائر الذى تفضلت مشكورا فكتبت عنه : « لقد نظرت إلى أدبنا فوجدته فى أكثر حالاته أدب المحاكاة الناقلة لا أدب الأصالة الخالقة ، أدب الترديد والتقليد لا أدب الإبداع والتجديد ؛ ليس له طابع خاص وليست له شخصية مستقلة ، وإنما ضاع طابعه واختفت شخصيته فى زحمة الجلوس إلى موائد الغير بغية الاقتباس من شتى الطعوم والألوان .. إننى أتحدث هنا عن أدبنا المصرى فى نطاق الدراسة الأدبية والنقدية ؛ الدراسة التى تضع تحت المجهر نظرية فى الأدب أو مشكلة فى الفن ، أو شخصية كان لها فى محيط الفكر الإنسانى مكان ملحوظ » !

ولقد قلت أنت فى مقالك الثائر معقبا على هذه الكلمات : « وهو يقول هذا الكلام الجميل مقصورا على الأدب ، وأقوله أنا مطلقا بغير قيد ؛ فليس فى حياتنا الفكرية كلها ذرة من الأصالة الخالقة ، فلا العالم يكشف كشفا جديدا ولا الأديب يخلق خلقا جديدا ، وإنى لأنظر إلى تاريخنا وأعجب كيف استحالت الرءوس عندنا إلى جماجم خاوية ، تنفذ إلى أجوافها أصداء غامضة مما يقوله سوانا ، فتتردد الأصداء فى جنبات الجماجم لتخرج على الألسنة والأقلام هشيما هو أقرب إلى فضلات النفاية » !

بماذا يخرج القراء من كلامى وكلامك ؟ إنهم يخرجون من كلمات الثائر الأول بأنه لا يريد أن يحطم فى طريقه كل شىء ، ويخرجون من كلمات الثائر الآخر بأنه يريد أن يحطم فى طريقه كل شىء ، وشتان ما بين الثورتين من فروق .. عندى أنا أن فى الأدب المصرى أشياء « قليلة » يجب أن تبقى لأنى أضن بها على التحطيم والتدمير ، وعندك أنت أن هذا الأدب « كله » لا يستحق نعمة البقاء لأنه يفتقر إلى عنصر الخلق والتجديد . إن ثورتى تريد أن تفرق بين ما يجب أن نحتفظ به فى أيدينا وما يجب أن يلقى به إلى عرض الطريق ، ولكن ثورتك لا تريد أن تفرق بين هذا وذاك ، وسيان فى منطقها الساخط المتذمر إنتاج يشع منه النبض والخفوق ، وإنتاج يشيع فيه الهمود والجمود .. أنت ثائر على أدب الشيوخ وأنا والله أكثر منك ثورة ، ولكننى لا أحب لثورتك أن تذكرنى بطفولتى الثائرة ، يوم أن كنت أضرب الأرض بقدمى وألوح فى الهواء بيدى ، وأملأ أرجاء البيت صراخا وأقول لأهله : ليس عندكم يا من تجهلون فنون الطهى شىء يؤكل على الإطلاق .. لا يا سيدى ! إننى إذا ثرت على أدب الشيوخ فلن أستطيع أن أقول لهم ليس عندكم ما يقرأ فى مجال الخلق والتجديد سواء أكان الخلق متصلا بفكرة من الأفكار أو بشخصية من الشخصيات ، أم كان التجديد ممثلا فى منهج من مناهج البحث أو طريقة من طرائق الدراسة ، لأن عند العقاد كتاب « ابن الرومى » فى محيط الدراسة الأدبية والنقدية ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى رجل كتوفيق الحكيم ، لأن عنده « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » و « سليمان الحكيم » فى محيط أدب القصة والمسرحية ، وأستطيع أن أذكر هنا « الأيام » لطه حسين ، وفى معرض أدب المقالة والبحث « أصول الأدب » للزيات ، و « فن القول » لأمين الخولى فى مجال البلاغة التجديدية ، و « حياتى » لأحمد أمين فى ميدان أدب التراجم الذاتية ، و « صقر قريش » لعلى أدهم فى نطاق الدراسة التى تمزج بين الأدب والتاريخ .. هذا عن الأحياء ، أما عن الذاهبين فأستطيع أيضا أن أذكر « إبراهيم الكاتب » للمازنى ، وأن أخفض قلمى لأحمد شوقى فى كثير من أعماله الفنية !

وأنت ساخط على أدب الشباب وأنا والله أشد منك سخطا ، ولكن فى أدب الشباب أشياء لا أستطيع « على قلتها » أن ألغيها كما ألغيتها أنت ، خضوعا لمنطق السخط العام أو لمبدأ الثورة العاصفة التى يطيب لها الهجوم وهى معصوبة العينين .. ترى هل قرأت فى مجال الدراسة الأدبية والنقدية « نماذج فنية » لأنور المعداوى ، و « التصوير الفنى فى القرآن » لسيد قطب ، وفى مجال القصة الطويلة والقصيرة « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ و « قنديل أم هاشم » ليحيى حقى ، وفى مجال الشعر الفنى « أين المفر » لمحمود حسن إسماعيل ، وفى المجال نفسه من إنتاج الذاهبين

« الملاح التائه » و « الشوق العائد » و « أرواح وأشباح » لعلى محمود طه ؟ أشك كثيرا فى أنك قد قرأت لهؤلاء، ولقد بدأت القاعة باسمى لغرض خاص.. هو أن أجعل كل قارئ يغرق فى الضحك ويخبط كفا بكف، حين أقول له إنك لم تقرأ كتابى مع أنك قد كتبت عنه افتتاحية « الثقافة » ! ومرة ثالثة أو رابعة أرجو أن يتسع صدرك لثورتى كما اتسع صدرى لثورتك، وأن تثق كل الثقة من أننى لا أقصد إلى النيل منك بشئ من السخرية أو بشئ من التجريح !!

لقد أكدت لقرائك أنك قرأت كتابى حرفا حرفا ، وأنا أؤكد لهم أنك لم تقرأ منه غير المقدمة ثم أعقبتها بمقال أو مقالين ، ثم أكملت القراءة فى « الفهرس » كما يفعل الكثيرون فى هذه الأيام . . أتريد منى دليلا على صدق ما أقول ؟ إن الدليل الذى لا يدفع هو أنك لم تناقش فصوله نقاشا « موضوعيا » كما كنت أنتظر من أستاذ فى الجامعة ! كل ما فعلته هو أنك هاجمت الكتاب وصاحبه هجوما عنيفا ختمته بهذه الكلمات : « لا ، لا تصدقوا الأستاذ المعداوى فى ثورته ، إنه ليس بالثائر كما رجونا لشبابه الفتى الطموح أن يكون ، إنه لا يزال يسير على النهج الذى لا بد من الثورة الحقيقية على أسسه وأوضاعه ؛ إنه لا « يخلق » جديدا على نحو ما يخلق الأدباء الفحول ؛ إنه لا يزال — مثلنا — عبدا من العبيد الذين يقنعون بما يملى عليهم من خارج نفوسهم » !

لقد كنت أنتظر منك يا صديقى — وأنت الأستاذ الجامعى — أن تناقشنى نقاشا « موضوعيا » حتى يستقيم لك منطق النتائج فى ضوء المقدمات . . كنت أنتظر منك مثلا أن تقول لى : تعال يا أخى ، لقد كتبت عن مشكلة الفن والقيود ، وعن مشكلة الفن والحياة ، وعن مشكلة الأداء النفسى فى الشعر ، وعن نشأة العقيدة الإلهية ، وعن موقف العرب من التراجيديا الإغريقية ، وعن الفن الإنسانى ، وعن أدب الاعترافات ، وعن العبقرية والحرمان ، وعن انحراف المواهب ، وعن الواقعية فى القصة ؛ وعن أدب التراجم الذاتية ، وعن برناردشو ، ولورد بايرون ، ولن بوتانج ، وبلزاك ، ودستويفسكى ، ومرجريت ميتشل ، وبيكاسو ، وأبى العلاء ، وتوفيق الحكيم ، وعلى محمود طه ، والمازنى ، وغير ذلك من المشكلات الفنية والشخصيات الأدبية .. فأين هو الجديد الذى أتيت به ، وأين هو الخلق الذى انتهيت إليه ، وأين هو حد الاتجاه الفكرى الذى قلت لنا عنه إنه ينبذ الترديد والتقليد ؟!

لقد كنت أنتظر منك أن تلقانى بمثل هذا التكذيب ، وأن تواجهنى بالدليل بعد الدليل ، على أننى كنت فى هذا كله ببغاء يردد ، أو بوقا ينقل ، أو فكرا يعتمد فى تحليقاته على أقوال الآخرين . . لم تستطع أن تقدم على مثل هذا الأمر الذى يخرج عن حدود طاقتك الفكرية والجدلية ، وإنما استطعت أن تضرب الأرض بقدميك ، وأن تلوح فى الهواء بيديك ، وأن تملأ صفحات « الثقافة » صراخا لتقول لى : « اسمح لى يا صديقى أن أكذبك فيما تزعمه لنفسك من خلق ينبذ الترديد والتقليد ؛ لأننى استعرضت فصول الكتاب بعد أن زال عنى سحر أسلوبها ، لأجدها — فى أغلبها — تعليقا على رجل أو كتاب ، وهذا هو ما أسميه بفتات الموائد التى قنعنا بها قناعة الأذلاء » !

عيبك يا صديقى زكى ، عيبك الخطير ، هو أنك لا تؤمن بنفسك . . والرجل الذى لا يؤمن بنفسه لا يستطيع أن يؤمن بغيره ، لأنه يضع منظاره « العاجز » على عينيه ، ثم ينظر من وراء ضبابه إلى الآخرين ، ثم لا يراهم إلا صورا مكررة من شخصيته . . ولهذا ، تشعر دائما أنك عبد وأن كل من تراهم عبيد ، وأنك ذليل وأن كل من تعرفهم أذلاء ؛ ثم تثور عليهم جميعا وتثور على نفسك ، ثم تبدأ عملية التحطيم التى حدثتك عنها فى طفولتى الثائرة ! صدقنى أننى مشفق عليك من هذه الثورة العاجزة التى ينقصها الإيمان بالنفس فى كثير من الأحيان .. إنك تهاجم الشيوخ ، وتتنكر لهم ، ولا تكاد تعترف بوجودهم ، ومع ذلك فما أكثر ما واجهت الجمهور القارئ مستندا إلى ذراع أحدهم لتستطيع فى ميدان الأدب أن تقف على قدميك ، حتى لقد كنت تحرص كل الحرص على أن تضع اسمه على كتبك متبوعا باسمك ، لتضمن لتلك الكتب شيئا من الذيوع والانتشار .. لو كنت ثائرا قادرا لواجهت جمهورك القارئ دائما

وعلى فك هذه المبارزة: هأنذا وحدى! ولكنك كنت الثائر العاجز الذى طالما واجهت الجمهور قائلا له: هأنذا.. مع أحمد أمين! آه من هذه العبودية التى تسرى فى دمك وتتخيل أنها من صفات غيرك، وآه من تلك الذلة التى ترسب فى أعماقك وتتوهم أنها من سمات الآخرين!

إننى ياصديق لست مثلك عبدا من العبيد، لأننى أومن بنفسى إلى أبعد حدود الإيمان. وإن الحرية لتلهب منى دماء القلب وعصارة الفكر ومداد القلم! أومن بنفسى إلى الحد الذى أشعر معه بأن كل كلمة أكتبها ستشق طريقها إلى النفوس والعقول، وستأخذ نصيبها من رضا الأقلام وثقة القراء.. ولست من طرازك حين تقول لأحد قرائك فى العدد (٦٦٧) من الثقافة. «أما أنك لم تكن قد سمعت صوتى بعد، فذلك مالا أعجب له، لأنى لم أكتب سطرا واحدا منذ بدأت الكتابة وأنا على يقين من أنه سيلتقى بعينى قارئ. فإن صرير قلمى — كما قلت فى مقدمة كتابى أدب المقالة — لا يكاد يبلغ سمع صاحبه»!

إننى لا أطيق أن أواجه قرائى بمثل هذه الكلمات، لأننى أشعر شعورا عميقا أن الإيمان بالنفس ـ ذلك الإيمان الذى لا يبلغ حد الغرور ـ هو أول دعامة من دعائم النجاح.. كيف تصفنى ياصديق بعد ذلك بأنى مثلكم جميعا عبد من العبيد، أولئك الذين يقنعون بفتات الموائد قناعة الأذلاء؟! إننى لأتحداك أن تذكر لى اسما واحدا من أسماء الشيوخ قد أخذ بيدى فى دنيا الأدب أو قدمنى يوما إلى القراء، وإن كتابى ليتحداك أن تثبت للناس أن فصلا من فصوله الباحثة أو الناقدة قد كتب دون أن يحمل بين طياته رأيا جديدا، أو فكرة مبتكرة، أو تصحيحا لوضع من الأوضاع الزائفة فى محيط الأدب والنقد هنا وهناك، أو أنه يقتفى خطوات غيره فى منهج التفكير وطريقة التعبير.. وعليك أن تقبل التحدى إذا كنت جادا فى ذلك «الكلام» الذى طالعت به الناس على صفحات «الثقافة»، ومعذرة إذا قلت «الكلام» ولم أقل «النقد»، لأن بين النقد والكلام فروقا يعرفها الأدباء!!

ثم تقول من كتابى إنه مجموعة مقالات، وإن المقالة فى الأعم الأغلب حيلة العاجز، حيلة من لا يسعفه الخيال القوى والخلق البديع؟! صدقنى إن الكلمات لا تستطيع أن تعبر عن أسفى حين أنظر إلى فهم الأستاذ «الجامعى» لحقيقة الأدب وجوهر الفن، فأراه وقد انتهى إلى مثل هذا الرأى العجيب! من قال لك إن الأدب الحق يقاس بالكم وإن الفن الأصيل يوزن بعدد الصفحات؟ أتريد أن تنكر أدب المقالة لأن الحيز الذى تشغله صغير، وألا تعترف بغير أدب البحث لأن الحيز الذى يشغله كبير؟ ما أحوجنا إذن إلى موازين التجار لنزن الأدب والفن بالرطل والقنطار.. إن المسألة ياسيدى ليست مسألة مقالة ولا مسألة كتاب، وإنما هى مسألة الفكرة المبتكرة التى تغير وضعا من أوضاع الأدب أو تقيم الدراسة على أساس جديد، سواء أكانت تلك الفكرة موزعة على ثلاث صفحات تنتج المقالة، أم كانت موزعة على مائتى صفحة تنتج الكتاب، وزدها إلى الألف إذا شئت فلن تقدم أو تؤخر فى حقيقة هذا التقدير!!

وتسألنى ماذا كنت أكتب لو لم يخلق الله برناردشو، ولورد بايرون، ومدام ريكامييه، وتوفيق الحكيم، والمازنى، ولن يوتانج، وبيكاسو، وأوسكار وايلد؟! اسمح لى أن أقول لك إن هذا السؤال مضحك ومقلق.. ترى هل نسيت أن وظيفتى الفنية هى النقد، وأنى مسئول بحكم هذه الوظيفة أن أكتب عن هؤلاء؟ لقد بقى عليك أن تسأل الفلاح ماذا كان يعمل لو لم يخلق الله الأرض؟ فإذا أجابك بأنه سيعمل بحارا سألته مرة أخرى وماذا كان يعمل لو لم يخلق الله البحر؟! نعم وهذا هو المنطق.. المنطق الذى يطالعنا به صاحب «المنطق الوضعى» فى ثقة واطمئنان!!

إننى أخشى أن أقول لمنطقك فى معرض الجواب: لو لم يخلق الله هؤلاء لقدمت إليك «مذهب الأداء النفسى» فى نقد الفنون عامة ونقد الشعر على الأخص، وهو المذهب الذى سأسجل به أول محاولة مذهبية فى الأدب المصرى، فى كتابى المقبل الذى سيكون «بحثا» لا مجموعة مقالات.. أخشى أن أقول لمنطقك هذا فيقول لى منطقك: وماذا كنت تكتب لو لم يخلق الله الشعر وبقية الفنون؟!



من وحى البلد الأمين

١٦٣ صفحة من القطع المتوسط — الناشر مكتبة الخانجى

تأليف الشيخ محمد الطيب النجار

للدكتور محمد يوسف موسى

هذا هو الكتاب الثانى الذى نقدمه فى هذا المكان من الرسالة الغراء، رسالة الثقافة الرفيعة بين الناطقين بالضاد، ومؤلفه هو الأستاذ الشيخ محمد الطيب النجار، والكتاب الأول هو: (الموالى فى العصر الأموى) وقد نال به درجة العالمية مع لقب أستاذ فى التاريخ الإسلامى من قسم تخصص الأستاذية بالأزهر والأستاذ النجار من علماء الأزهر النابهين، وقد ضم إلى التواضع المطبوع الذى حببه إلى كل إخوانه وعارفيه، العلم الجم وحبه الدرس والتماس المزيد من العرفان، فكان بذا وذاك قدوة طيبة لإخوانه الشبان العاملين على نهضة الأزهر الحقة.

هذا، وللأزهر منذ سنوات مبعوثون إلى كثير من البلاد الإسلامية، يحملون إليها رسالته، ويفيضون فيها من علمه وثقافته التى اختص بها، ونعتقد أن هؤلاء المبعوثين الأفاضل يدركون تمام الإدراك أن رسالة المبعوث الأزهرى إلى أى بلد إسلامى ليست فقط تدريس العلم الذى أوفد من أجله، بل هى قبل كل شىء عامل من عوامل الإحياء والبعث للعالم الإسلامى الذى طال نومه، حتى ليكاد يكون موتا، وأن يدرس البلد الذى يحل به ويكتب عنه كتابا يكون مرجعا عنه فى عامة أحواله كما يعمل الغربيون حين يتفرقون فى بلاد الشرق باحثين منقبين دارسين

ويسرنا أن نقرر هنا بأن الأستاذ الشيخ النجار قد فهم رسالته على هذا الوجه، وقد حقق جانبا كبيرا منها بكتابته هذا الكتاب الذى نقدمه الآن للقراء

والكتاب مجموعة من الأحاديث والمقالات الاجتماعية التاريخية الإسلامية، وكلها تتسم بسمة النقد والتوجيه، وكلها يهدف إلى التمكين للإيمان فى القلوب وتحبيب الفضيلة إلى النفوس وإصلاح المجتمع الإسلامى ويلمس القارئ، وهو يتنقل فى الكتاب من موضوع إلى موضوع، أن الكاتب يكتب من كل قلبه، فهو لذا ينفعل ويثور ثورة المصلح الصادق، حين يدعو الأمر إلى الانفعال والثورة

ولنسمع له حين يتحدث (ص ٨٥ – ٨٦) عن الذين يقومون بما أمر الله من شعائر لا تكلفهم شيئا من المال، فإذا جاء من يطالبهم ببعض ما عليهم للفقير ولوا فرارا:

« وترى الرجل منهم وهو يمشى على الذهب، ويتبختر ويختال بين الحرير والفراش الوثير، ويبعثر الأموال لإشباع الشهوات الدنيا، ومع ذلك يضن بالمال اليسير على البائس الفقير؛ وإذا ما حاولت أن تستصرخ همته الوانية نحو إغاثة الموزين،

صدقنى مرة رابعة أو خامسة أنى لا أريد أن أنال منك بشىء من السخرية أو بشىء من التجريح، وإنما أردت أن أقول للقراء إن سؤالك هذا مضحك ومقلق.. مضحك لأنه أقرب إلى الهزل منه إلى الجد، ومقلق لأنى أخشى على هؤلاء « المساكين » الذين يتلقون عنك دروس المنطق فى الجامعة، أخشى عليهم أن يواجهوا الحياة والناس بمثل هذا المنطق « السليم » !

أما أنك تخشى على القراء من كتابى لأنه على حد تعبيرك « سيشدهم فى فهم الأدب إلى الوراء »، فأحب أن أطمئنك إلى أن عقول القراء بخير. والدليل على ذلك أنهم قد قرأوا أكثر فصول هذا الكتاب من قبل على صفحات « الرسالة »، ومع ذلك فقد أقبلوا عليه إقبالا أخجل القلم فى يدى، القلم الذى ظلمهم يوما حين نعتهم بأنهم لا يقرأون! إن كتابى لا يعلم « الإنشاء » لتلاميذ المدارس، ولكنه يفتح الآفاق للدارسين وينير الطريق للسالكين.. وحسبك أنى سأهدى إليك فى الغد القريب نسخة أخرى من طبعته الثانية !!

أنور المعداوى

أجابك فى تبجح واستهتار « وما من دابة إلا على الله رزقها » وكأنما يظن أولئك السفهاء أن الله سينزل على الفقراء مائدة من السماء ! فيا للعجب ، ويا لله لهذا المنطق السقيم والطبع الخبيث اللئيم ! »

ونرى الكاتب الثائر فى أمثال هذا الوطن ، يعود إلى طبعه من الأناة والتريث والهدوء حين يتناول موضوعا من الموضوعات التاريخية ، فيبحثه من أصوله بحث العالم العميق النظرة ، ومن باب التمثيل لهذا ، نذكر من حديثه عن توزيع العطاء بين المسلمين فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين (ص ٧٦ وما بعدها) إشارته إلى نظرية أبى بكر فى التسوية بين المسلمين جميعا ، ورده على من كان يؤثر تفضيل أهل الفضل والسابقة فى الإسلام بقوله :

« أما ما ذكرتم من الفضل والسوابق والقدم ، فما أعرفنى بذلك ، وإنما ذلك شئ ثوابه على الله جل ثناؤه . وهذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الأثرة » ، ثم يعقب بنظرية الفاروق التى تقوم على تفضيل أهل السابقة فى الإسلام ، وفى هذا يقول قولته المأثورة : (لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كن قاتل معه) ، وقد سار على هذه النظرية عثمان وعلى بعد الفاروق رضوان الله عليهم أجمعين

على أنى بعد هذا كله ، أختلف تماما مع الأستاذ الكاتب فى بعض ما ذكره فى موضوع : بين العلماء والملوك ص٩١وما بعدها، إنه يقرر أن علماء الدين ورجاله قاعون حق القيام بما عليهم ، ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيما يكتبون ويتحدثون ؛ وما داموا ليس لهم شئ من السلطان التشريعى والتنفيذى . لا ، يا أخى !

يستطيع العلماء ورجال الدين أن يغيروا إلى حد كبير جدا مما نحن عليه من آثام دينية ومظالم اجتماعية ؛ لو تجردوا من طلب الدنيا وآثروا ما عند الله على ما عند أولى الأمر وأصحاب الجاه من الدنيا وزينتها ؛ ولنا فيما صنع ويصنع آية الله الكاشانى فى إيران دليل أى دليل ! بل لنا فيما صنع بعض أسلافنا من رجالات الأزهر الذين لم يبعد بهم الزمن، الدليل الحاسم على قوة أثر الدين ورجاله إن تجردوا حقا لله وباعوا أنفسهم فى سبيله ابتغاء رضوانه !

وبعد ! فالكتاب أثر طيب للكاتب الفاضل ؛ يحسب له عند الله وعند الأمة ؛ وهو دليل على فهمه لرسالته وعلى عمله للخير والإصلاح ، وهو مع هذا ينضح بالإخلاص وحب الخير والعمل له ، ولا عجب فهو من وحى البلد الأمين !

نفع الله به وبكاتبه ، وجزاه خير الجزاء

محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق
بجامعة فؤاد الأول

الصلاة وطرق التقدم الثلاثة

تأليف : مولانا محمد على — بلاهور — باكستان

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

إن الشرق فى حاجة إلى موقظات روحية تدفعه إلى الانتباه من غفوته التى أذهلته عن وجوده ؛ فعاش فى كنف المستعمر ، ورضى عن حياته المهينة ، وقنع بالدون حتى آده الاستعمار ، وأذاه الاستعباد ، وكادت أن تئده الذلة !

وليس أجمل من الاتجاه إلى الروح فى إصلاح ما أشكل من أمور الشرق حتى يعرف القوم مدى صلتهم بخالقهم ، وهو المعز المذل القوى المتين

ولقد حمل إلى البريد من بغداد رسالة صغيرة فى مرأى العين ، لكنها كبيرة قيمة فى تبصر البصيرة ، بعث بها مشكورا « السيد تصدق حسين القادرى » ؛ فأثار انتباهى جمال وضعها ، ودقة تحريرها ، ومتانة تركيزها ؛ فهى تعرض الصلاة — للعاصين — عرضا جليلا ؛ فيه اجتذاب للقلوب النائية عن المصلحة الروحية بينهم وبين الخالق، لأن ثمة بدعة عجيبة ابتدعها المارقون فى أن الاتصال القلبى ذو كفاء عن الصلاة بأقوالها

وأفعالها ، حتى انصرف عنها بعض من أوتوا ظاهرا من العلم وقد تبطنوا الجهالة ، وساروا بطانة الشيطان !

ومن المفيد أن نعرض إلى ما جاء فى هذه الرسالة ؛ فقد وردت فى ثناياها قواعد فى التربية الروحية يمكن أن تفيد أولئك المتكبرين على خالقهم ، فقد قال المؤلف : « إن الصلاة تعتبر علاجا شاملا لكل شرور البشر » ويعلل هذا بقوله : « فى الصلاة كل الفضائل والوسائل لبلوغ الغاية العالية حيث تمضى الأفعال والأقوال جنب جنب لمعاونة قوة الإيمان وللشعور بوجود الله » . ويقول : « يستحيل تقدم الجماعة دون تقدم الفرد » وهذه قاعدة سليمة فى الحكم على الشعوب الرباة تربية بعيدة عن التقليد ، والاندفاع ، وعدم احترام التقليد الأصيل فى بناء الحياة ، و « إن الإسلام يهتم بتقدم الذات الإنسانية الحقيقية »

ويرى المؤلف أن الخطوة الأولى فى تقدم الإنسان الروحى « هى التجرد من أى فعل ردئ » وتزكية النفس لا تكون إلا بإبعادها عن أدران الظلم ، والقسوة ، والكذب والمخادعة ، وجماع ما يطارد هذه الأدران فى « القتال المقدس ضد الشيطان » ويدفع الرقى الروحى إلى الذات العلية إحساس عميق فى النفس الآمنة المؤمنة الأمينة ، هذا الإحساس الذى يشعر المرء بأنه كلما زاد سجوده لربه زاد سموا روحيا وخلقيا ..

وفى الرسالة لمحات مشرقة رائعة على وجازة ألفاظها ؛ فالمؤلف يقول : « إن العظمة المادية شئ سهل ، ولكن الرفعة الروحية شئ شاق » ، وترمز نهاية الصلاة إلى النجاح الفردى « رب اجعلنى مقيم الصلاة » ، كما ترمز إلى رجاء النجاح الجماعى « اللهم اغفرلى ، ولوالدى ، وللمؤمنين »

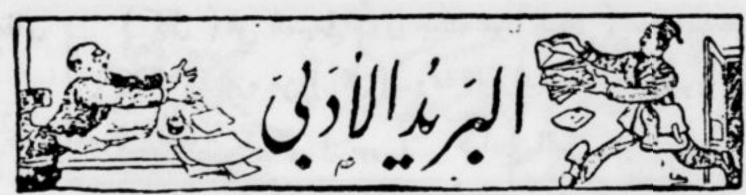
ويعرض مولانا المؤلف إلى قوله تعالى : « إياك نعبد » ؛ ثم يعرض لعبادة المسلمين الآلية ، ويعرض بالسلوك المتنافى مع أخذ العهد عند الوقوف بين يدى الخالق ويتساءل : « أيكفى أن نؤدى الفريضة فى كل يوم ؛ ثم نستتبع بما لا يتفق مع أوامر الله ونواهيه ؟ »

وبعد أن يحقق طرق التقدم الفردى ، والجماعى ، يتجه إلى التقدم الثالث وهو « نشر الإسلام » ويرى أن التقدمين الأولين لا ينفعان إذا لم يؤديا إلى العمل على إذاعة العقيدة الصحيحة فى مدلولها السليم

هذه نظرة فيما جاء بتلك الرسالة الجديرة بالتقدير ، ولا ننس التنويه بهذا الشعور الطيب البادى من السيد تصدق القادرى ؛ فقد دل على تقديره لمعنى التبادل الثقافى بين أبناء العروبة التى نرجو لها الحرية الكاملة فى ظل الإسلام وتعاليمه القويمة . !

بورسعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**

المدرس بالثانوية



مدينة بلا مكتبة . !

يقول الأخ الأستاذ الفاضل عباس خضر فى كشكوله الأسبوعى فى العدد الصادر فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥١ من الرسالة الغراء إن مجلس نقابة ممثلى المسرح والسينما قرر أخيرا إنشاء مكتبة للنقابة .. ثم يقول : « .. والغريب فى هذا الخبر أن النقابة ليس لها مكتبة إلى الآن .. »

فإذا كان خلو نقابة ممثلى المسرح والسينما – وهى المنشأة فى قلب القاهرة ، العاصمة الكبيرة الزاخرة بالمكتبات الخاصة والعامة إلى جانب دار الكتب الحكومية العامرة بمختلف المخطوطات القديمة وآلاف المطبوعات المؤلفة بمختلف اللغات – قد أدهش الأخ الأستاذ الفاضل ، فما قوله – دام فضله – فى خلو مدينة عظيمة بأسرها كمدينة بورسعيد ، ثالث مدن القطر وأهم وأكبر موانى مصر على الإطلاق بعد الإسكندرية ، من دار كتب أو مكتبة عامة . ؟

إننى أرى – إذ يقف حضرته على هذه الحقيقة المرة ، التى ربما لم يقف عليها من قبل – أنه أولى به أن ينتابه الدهش والاستغراب أكثر مما ينتابه من خلو دار نقابة من مكتبة خاصة ينحصر نفعها فى أعضائها . !

إنه والله لمن العار حقا أن تظل هذه المدينة العظيمة المرموقة التى تشرف على أكبر وأهم ممر بحرى دولى فى العالم، مفتقرة كأية قرية مهملة فى قلب البلاد ، إلى مكتبة أو شبه مكتبة أو دار كتب إلى الآن وفى هذا العصر الذرى . !

نعم ، إنه لمن العار على كبراء هذه المدينة المنكودة وأعيانها وأثريائها ومن بيدهم أمورها أن تفتقد الطوائف المثقفة فيها دار كتب وقاعة محاضرات تليقان بمقامها وبمركزها الدولى وشهرتها بين موانى العالم نتيجة للجهل المطبق المخيم على بعض العقول والأفهام ..

فتى ينبه من رقاد مهلك ... من قد أضر بعينه هجعانها !

محمد عثمان محمد

أصحاب المعالى :

قرأت فى العدد الأخير من الرسالة الغراء بحثا قيما للأستاذ محمد محمود زيتون بعنوان « أصحاب المعالى » وقد أكبرت جهد الأستاذ فى جمع الشواهد وشرحها والتعليق عليها مما يدل على طول باعه فى الاستدلال وذوقه فى الاختيار

إلا أنى وجدت بعض المآخذ فأردت التنبيه اليها

جاء فى مقال الأستاذ بيت من قصيدة معروفة لأبى تمام الطائى نسبها إلى أبى العتاهية والبيت فى وصف القلم

لك القلم الأعلى الذى بشباته
يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
إذا ارتكب الخمس اللطاف وأفرغت
فيه شعاب الفكر وهى حوافل الخ

وقد ذكر فى مقاله عن قصيدة أبى الحسن الأنبارى فى رثاء الوزير المصلوب أبى طاهر محمد بن بقية أن الشاعر عنى لو كان هو المصلوب ليرثى بالقصيدة المذكورة، والحقيقة أن السلطان عضد الدولة هو الذى عنى ذلك حينما قرأ أو سمع القصيدة . وقد ذكر الأستاذ زيتون أبياتا مختلفة للامام على كرم الله وجهه والثابت أن الإمام لم ينظم الشعر ترفعـــا عنه للآية الكريمة .. (والشعراء يتبعهم الغاوون الخ) كما لم يؤيد قول الإمام للشعر الأستاذ الزيات فى مؤلفه العظيم (تاريخ الأدب العربى) وإن جاء فى عبقرية الإمام للأستاذ العقاد أبيات فى آل همدان لكنها لا تؤيد قول الإمام للشعر

ومما لاحظته على الأستاذ الكريم إيراده لبيتين لولادة بنت المستكفى لا تنم عن المعالى وبعد الهمة بل تدل على الاستهتار وعدم الحشمة حين تعطى قبلتها لمن يشتهيها، وقد يشتهيها عبدها، وشتان بين قوليهما

وأمكن عاشقى من لثم ثغرى ... وأعطى قبلتى من يشتهيها

وقول عائشة التيمورية

ما عاقنى خجلى من العليا ولا سدل الخمار بلمق ونقاب
عن طى مضمار الرهان إذا اشتكت
صعب السباق مطامح الركاب

كركوك عبد الهادى احمد السامرائى

وسوسان أيضا :

للأستاذ الشاعر كيلانى حسن سند اعتراض على كلمة « سوسان » سجله على الشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى ، ورد أديب من قراء الرسالة يصحح الكلمة فى البريد الأدبى وأورد أبياتا لأبى نواس تدعيما لذلك

ولقد لفت نظرى هذا النقاش حول الكلمة لأن أستاذنا الكبير عباس المقاد أوردها كذلك فى قصيدته النونية التى يعارض بها قصيدة ابن الرومى ، فإذا رجعت إلى ديوانه ص ٣٧ قرأت :

بالغصن شبهه من ليس يعوفه وإنما هو للرائين بستان
وهل عاقط فى غصن على شجر آس وورد ونسرين وسوسان

وللأستاذ العقاد مكانه — فى مجمع فؤاد — الذى يطل منه ويشرف على مترادفات اللغة واشتقاقاتها . ولذا تكون الكلمة صحيحة

السويس محمد عبد الرحمن

١ — رد على تساؤل :

يسألنى الأديب الفاضل عفيف الحسينى هل يجوز وصف الله سبحانه وتعالى بالأزل والأبد بدون نسبة أى (الأزلى) و (الأبدى) وذلك فى نقده لبيت من قصيدتى (النور الحائر) هو :

يا أيها الأزل المحجوب بالقدم يا أيها الأبد المستور بالعدم

وأنا أجيب حضرته بأنه لا مانع مطلقا من ذلك . بل ربما كان أبلغ فى الدلالة على المعنى المراد . فانك حين تقول إن فلانا (جمال) أو (كمال) أبلغ وأعمق مما لو قلت إنه (جمالى) أو (كمالى) ففى الصيغة الأولى جملته هو (الكل) بعينه بينما هو فى الثانية جزء من (كل) . ومما قالوه قديما وأنشده سيبويه :

لست بليلى ولكنى (نهر) لا أدلج الليل ولكن أبتكر

أما سؤال الأديب عن معنى الأزل المحجوب بالقدم مع ترادف اللفظين ، أفلا يرى معى الأديب أن لله قدمه (المطلق) . وأن الوجود له قدمه (النسبى) . وأننا كلما دفعنا حب المعرفة إلى محاولة استجلاء ذاته القدسة حجبه قدمه وقدم العالم عن مدار كنا ، ولا أحسب الأديب فى حاجة إلى أن أهديه إلى معنى الأبد المستور بالعدم بعد هذا الذى ذكرت . ومن ثم يتضح له أن لا غموض ولا خطأ فى البيت . وأن القافية مظلومة . ظلمها عدم الروية وقصور الأناة

٢) بيان :

وددت لو لم يردا فى قصيدة الأستاذ الشاعر عبد القادر الناصرى « ميعاد » المنشورة بالعدد (٩٤٧) حتى يظل لها مستواها الرفيع

البيت الأول :

وظل يصرخ حتى ذاب من ألم فؤاده وجرى من ثغره مزقا

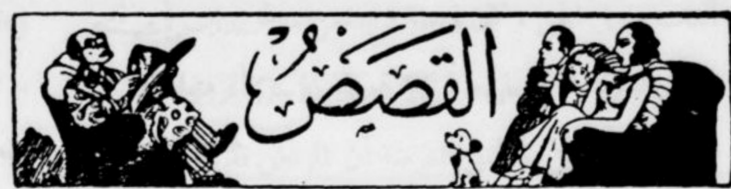
فالصورة المتخيلة هنا تمثل إنسانا يتقيأ قلبه قطعا دامية من (ثغره) وهى صورة كما ترى يأباها الذوق الشعرى الخالص . وأرجو أن لا يتملق الشاعر بعنصر (الأثارة الشعورية) فطرق التعبير الشعورى السليم ميسورة للملهمين

البيت الثانى :

أوليت خالق هذا الحسن من علق
أحب يوما إذن ماذل من عشقا

ونحن نسأل الشاعر من هو خالق هذا الحسن ؟ أليس هو الله تعالى الذى يؤمن به ويقدسه كمسلم ؟ إن الهبوط فى هذا البيت جاء نتيجة ضعف دينى تتميز به طبقة أدبية معروفة . ما كنت إخال أن لها كل هذا التأثير فى فطرة الشاعر . وبعد فلل الشاعر المجهد سلام أخيه

محمد مفتاح الفيتورى



اعـــــتراف

للكاتب التشكسلوفاكي كارك كابك

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

تحدث الأب نوف قس سانت ماثيو قائلا — « أما علاج النفس فأنتم تعرفون أنه علاج من أقدم ما مارسه البشر . بيدأن الكنيسة تطلق على هـذا الضرب من العلاج اسم « اعتراف التطهر المقدس » . فعندما تضطهد النفس ، وحينما ينتابها مايشينها فاذهب أيها الآثم إلى كرسي الاعتراف المقـدس ، واطرح عن نفسك كل الأوشاب العـالقة بها . إن ما يدعونه الاضطراب العصبي ليس إلا ما نسميه نحن وخز الضمـــير والندم على ارتكاب المعصية

« منذ سنين مضت ، في يوم من أيام الصيف ، كنت متخذا ركنا من أركان كنيستي ، قابعا فيه من عناء الحر ، وقد هبت على نسمات باردة تلطف من حدة ذلك الوهج الشديد ، عنـدما أقبل خادم الـكنيسة وأخبرني بأن هناك من يود الاعتراف

« بطبيعة الحال ، قمت فارتديت حـلة الـكهنوت البيضاء . ثم جلست داخل مقصورة الاعتراف . وأحضر الخـادم طالب الاعـتراف ، فوقف أمامي خارج المقصورة التي تحجبني عنه . وأطللت عليه من نافذة المقصورة . كان رجلا في خريف العمر يرتدي ملابس محترمة . وكان يبدو من هيئته أنه إما تاجر متجول أو وكيل شركة لبيع الأراضي . وكان شاحب الوجه ، مفرط البدانة . وركع الرجل أمام المقصورة دون أن يفوه بكلمة

وقلت أشجعه : هلم ردد معي : أنا الآثم التعس ، اعترف إلى الله العظيم —

« فقاطعني الرجل قائلا في صوت جهوري — كلا . فعندي كلام آخر أود أن أفضي به . دعني أتحدث على طريقتي وفجأة، أخذ ذقنه يرتعش ، وتصبب العرق من جبهته . وأخذت أنا الآخر ، دون سبب ما ، أشعر بإحساس غريب مخيف مقزز ، لم يسبق من قبل أن انتابني مثله ، إلا في ذات مرة عندما كنت حاضرا تشريح جثة ، جثة كانت في حالة تامة من التعفن والانحلال . ولن أقص عليكم أيها السادة ما كانت عليه تلك الجثة

« وصحت في دهشة وانزعاج — ماذا بك بحق السماء ؟

« فتلعثم الرجل قائلا — لحظة واحدة . لحظة واحدة

« ثم ندت شفتاه عن آهة عميقة ، وتمخط بصوت جهوري وأخيرا قال — إني على مايرام الآن . حسن . منذ اثني عشر عاما

« ولن أحدثكم بما أخبرني به ، فإنه من أسرار الاعتراف ، فضلا عن أنه كان حديثا عن أفعـال وحشية مخيفة تشمئز منها النفوس . مهما يكن من الأمر فإني لا أستطيع إعادة ما قاله الرجل من تفاصيل مفزعة ليس لها مثيل حتى في عالم الخيال . ودار في خلدي أن أهرب من المقصورة ، أو أصم أذني عن سماع أقواله ، أو أفعل شيئا من هـذا القبيل . وحشوت فمي بجزء من حلتي الـكهنوتية حتى أمنع صيحة من الرعب تكاد تخرج مني . وأخيرا قال الرجل وقد تمخط في رضا وارتياح — حسن . الآن وقد انجاب عن صدري ذلك الأمر أقدم لنيافتك عظيم شكري

« فقلت في دهشة — انتظر قليلا . إنك لم تكفر بعد

« فقال في غير كلفة وهو يحدجني بنظرة من خلال النافذة الصغيرة القائمة بيني وبينه — من تحسبني أيها الأب ؟ إني لا أومن بمثل ذلك . ما جئت هنا إلا لأريح شعوري . أنت تعرف أنه عندما تنقضي على مدة دون أن أتحدث عما اقترفته ، عندئذ يتراءى لي فلا أستطيع النوم ، وأعجز عن إغماض عيني . وعندما أصل إلى هذه الحالة أراني مضطرا إلى الإفضاء بكل مافي قلبي . ولهذا السبب أتيت إلى هنا ، لأن هـذا من صميم عملك ، ولأني أعلم أنك لابد أن تحتفظ به في سريرتك . إنه سر الاعـتراف . أما الغفران فإني لا أهتم به ولا قلامة ظفر . فهو لايجدي إذا كنت

عديم الإيمان . حسن . أرجو أن تتقبل شكرى الجزيل واحترامى الزائد

« وقبل أن أدرك ما الذى حدث كان الرجل قد خرج من الكنيسة يتهادى فى رضاء

« وبعد أن انصرم ما يقرب من عام عاد الرجل إلى مرة أخرى التقى بى أمام الكنيسة وقد بدا شاحب الوجه ، ذليلا فى مسكنة، وتلعثم وهو يقول — هل أستطيع أن أعترف لك ياصاحب النيافة؟

« قلت — اسمع . إنك لا تستطيع الاعتراف بلا غفران . إن هناك حدا لهذا . فإذا أنت لم ترغب فى التكفير فإنى لا أستطيع مطلقا أن أفعل لك شيئا

« فتنهد الرجل وقال وقد انحنى رأسه فى ذلة — ياإله السموات . إن هذا نفس ما يقوله لى كل قس . ولا يوجد من أستطيع أن أعترف له ، ولابد لى من الاعتراف . خبرنى ياصاحب النيافة ماذا يهمك لو قلت لك مرة أخرى ...

« وعندئذ أخذ يرتعد كما ارتعد من قبل . فصحت فى دهشة وغضب

— لماذا لا تفضى بما يجيش فى صدرك إلى أى إنسان آخر ؟

« فأجاب وقد قطب حاجبيه فى اكتئاب — ويكون من جراء ذلك أن يشى بى

« ثم صاح فى غضب — فلتذهب إلى الجحيم

« وغادرنى وقد أفصح مظهره عن مقدار يأسه

« ومنذ ذلك الوقت لم أره مطلقا

* * *

وقال الدكتور بادم المحامى : إن قصتك لم تنته بعد . فى ذات يوم — وكان ذلك منذ بضع سنوات — حضر إلى مكتبى رجل شاحب الوجه ، ناكس الرأس . وفى الواقع ، لم أعر مظهره اهتماما يذكر . وعندما طلبت منه الجلوس وسألته عن شأنه ، أخذ يحدثنى قائلا — استمع إلى . إذا طلب منك أحد المترددين عليك استشارة سرية وأخبرك أنه قد ارتكب وزرا مثـــل . . .

فقاطعته قائلا — إن طبيعة عملى تمنعنى من استخدام سره فى غير مصلحته

فقال الرجل وقد ارتاح لحديثى: إذن فكل شىء على ما يرام.. هناك ما أود أن أفضى به إليك . فمنذ أربعة عشر عاما . .

ولقد حدثنى يا صاحب النيافة بمثـل ما حدثك به . أخـذ يفضى بمكنونات صدره وكأنه يكاد يختنق بها . وكان عرقه فياضا، ووجهه قاتما . وكانت عيناه مغمضتين . وبدا لى كما لو أنه قد غشيت نفسه ، فصار يقذف من فمه بكل ما احتواه عقله من أسرار تقلق راحته . وأخيرا سمعته يتنهد ثم مسح شفتيه بمنديله

وصحت قائلا : يا إلهى ! ليس فى الوسع عمل أى شىء لك.. ولـكن إذا أردت نصيحتى . نصيحة رجل يسديها إلى رجل مثـــله . .

فقاطعنى ذلك المخلوق العجيب قائلا فى صوت أجش : كلا . أنا لا أود أية نصيحة . إنى ما جئت إلا لأخبرك بما أفضيت به إليك . ثم أضاف قائلا فى لهجة خشنة — ولـكن تذكر أنك لا تستطيع أن تنتفع بما حدثتك به فى غير صالحى

ثم هب واقفا وقال فى صوت هادىء النبرات — حسن — ما مقدار ما أنا مدين لك به ؟

فتمتمت قائلا : خمسون كراونا

فأخرج الرجل خمسين ورقة نقدية ، ثم حيانى وخرج . وكنت أود أن أعرف عدد المحامين الذين تردد عليهم ذلك الرجل لاستشارتهم . على أية حال لم يعد لزيارتى بعد ذلك

* * *

وتحدث الطبيب فيتاسك قال « ومع ذلك فليس ما قلته خاتمة هذه القصة . فمنذ سنوات مضت كنت أعمل كجراح فى مستشفى ، عندما فحصت مريضا شاحب الوجه بدين الجسم متورم الساقين فى شكل مفرط . وكانت تنتابه التشنجات ، وتضطرب

أنفاسه . وفى الحق ، كان فى حالة فريدة من مرض برايت (مرض البول الزلالى) وكان بطبيعة الحال بعيدا عن كل أمل فى الشفاء .. وعندما أقبل الليل أنبأتنى الممرضة أن المريض قد داهمته نوبة تشنجية . وعندما ذهبت إليه وفحصته وجدته يجاهد فى سبيل التنفس وقد تصبب منه العرق مدرارا ، وجحظت عيناه رعبا . وكانت كل هذه الدلائل المخيفة تشير إلى نزع الموت

« وقلت له – حسن . أيها الرفيق . سأحقنك وستكون بعد ذلك على ما يرام

« فهز المريض رأسه ولهث قائلا – دكتور أنا .. عندى ما يجب أن أفضى به إليك .. ابعد هذه المرأة

« وكنت أود أن أحقنه بالمخدر ، ولكنى عندما شاهدت ما لاح فى عينيه بعثت بالممرضة بعيدا ، ثم قلت له – والآن افض إلى يابنى بما تود أن تحدثنى به ، على أن تنام بعد ذلك

« فتأوه الرجل وقد لاح فى عينيه ثمة رعب جنونى ثم قال – يادكتور ، يادكتور ، إنى لا أستطيع .. فلا زلت أشاهد ما اقترفت .. لا أستطيع النوم – يجب أن أخبرك –

« ثم أفضى الى بكل شئ وسط تشنجاته وحشرجته ولهثاته . ودعونى أقل لكم أنى لم أسمع من قبل بمثل ماحدثنى به وهنا سعل المحامى . فقال الطبيب فيتاسك « لا تخف . فلن أقص عليكم ما حدثنى به . إنه سر الطبيب . لقد رقد بعد حديثه متهالكا ، مجهدا تماما . ولم أستطع أن أمنحه فرصة للتفكير أو أن أزجى إليه أية نصيحة . بيد أنى أعطيته بضعة مقادير من المورفين ، وجملت أعطيه غيرها كلما استيقظ من غيبوبته حتى نام أخيرا نومته الأبدية . لقد منحته كأس الساعدة ممزوجة بالانتقام . »

فقال الأب فوفر مفكرا : « جميل منك ما فعلت . فقد خلصته على الأقل من بؤسه وشقائه . »

محمد فتحى عبد الوهاب



مطبعة الرسالة





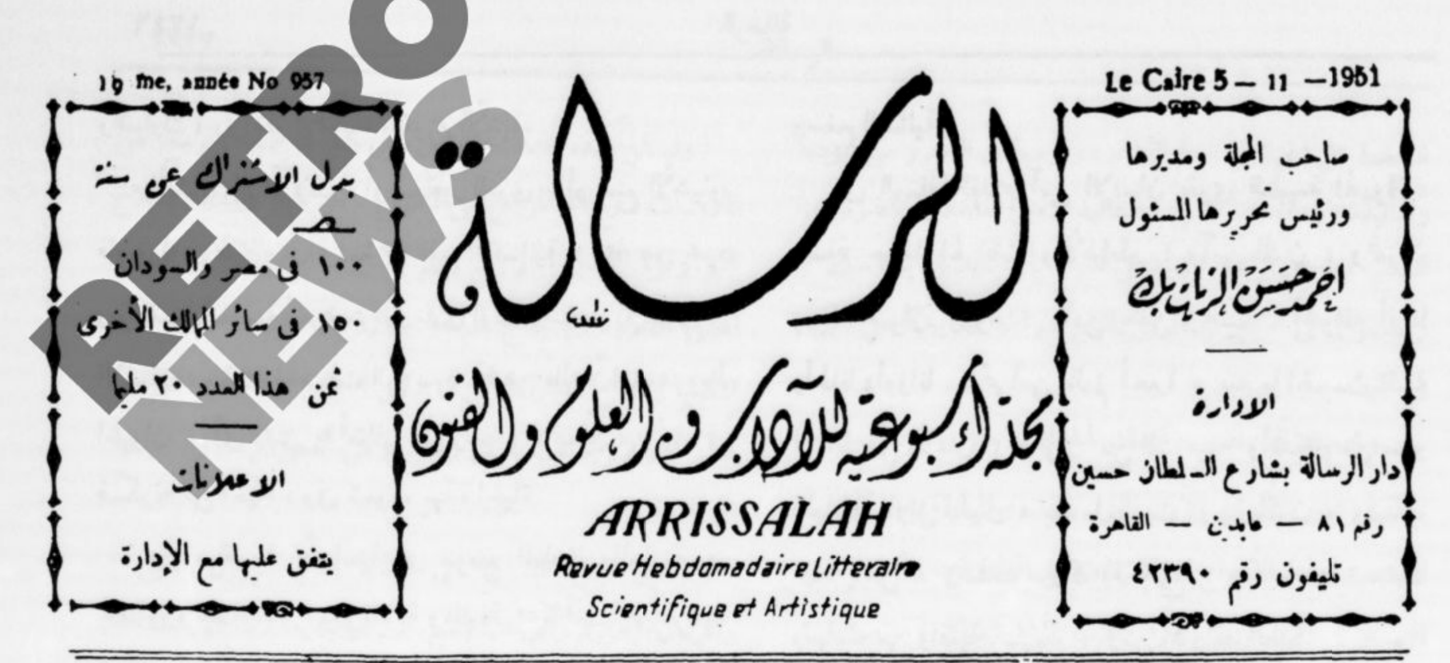
العدد ٩٥٧ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

فهرس العدد

٣٧٥٣٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



العدد ٩٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٣٧١ — ٥ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

أمريكا التى رأيت :

فى ميزان القيم الانسانية

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

أمريكا . . الدنيا الجديدة . . ذلك العالم المترامى الأطراف الذى يشغل من أذهان الناس وتصوراتهم ، أكثر مما تشغل من الأرض رقعته الفسيحة ، وترف عليه أخيلتهم وأحلامهم بالأوهام والأعاجيب ، وتهوى إليه الأفئدة من كل فج ، شتى الأجناس والألوان ، شتى المسالك والغايات ، شتى المذاهب والأهواء

أمريكا . . تلك المساحات الشاسعة من الأرض بين الأطلنطى والباسيفيكى . تلك الموارد التى لا تنضب من المواد والخامات ، ومن القوى والرجال . تلك المصانع الضخمة التى لم تعرف لها الحضارة نظيرا . ذلك النتاج الهائل الذى يعيا به العدو الإحصاء ، تلك المعاهد والمعامل والمتاحف المبثوثة فى كل مكان . عبقرية الإدارة والتنظيم التى تثير العجب والإعجاب . ذلك الرخاء السابغ كأحلام الجنة الموعودة . ذلك الجمال الساحر فى الطبيعة والوجوه والأجسام . تلك اللذائذ الحرة المطلقة من كل قيد أو عرف . تلك الأحلام المجسمة فى حيز من الزمان والمكان . .

أمريكا هذه كلها . . ما الذى تساويه فى ميزان القيم الإنسانية ؟ وما الذى أضافته إلى رصيد البشرية من هذه القيم ، أو يبدو أنها ستضيفه إليه فى نهاية المطاف ؟

أخشى ألا يكون هناك تناسب بين عظمة الحضارة المادية فى أمريكا ، وعظمة « الإنسان » الذى ينشئ هذه الحضارة ؟ وأخشى أن تمضي عجلة الحياة ، ويطوى سجل الزمن ، وأمريكا لم تضف شيئا — أو لم تضف إلا اليسير الزهيد — إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم ، التى تميز بين الإنسان والشئ ، ثم بين الإنسان والحيوان

إن كل حضارة من الحضارات التى مرت بها البشرية ، لم تكن كل قيمتها فيما ابتدعه الإنسان من آلات ، ولا فيما سخره من قوى ، ولا فيما أخرجت يداه من نتاج . إنما كان معظم قيمتها فيما اهتدى إليه الإنسان من حقائق عن الكون ، ومن صور وقيم للحياة ؛ وما تركه هذا الاهتداء فى شعوره من ارتقاء وفى ضميره من تهذيب ، وفى تصوره لقيم الحياة من عمق ، والحياة الإنسانية بوجه خاص ، مما يزيد المسافة بعدا فى حسابه وحساب الواقع ، بينه وبين مدارج الحيوانية الأولى ، فى الشعور

والسلوك ، وفى تقويم الحياة وتقويم الأشياء .

فأما ابتداع الآلات ، أو تسخير القوى ، أو صنع الأشياء ، فليس له فى ذاته وزن فى ميزان القيم الإنسانية ، إنما هو مجرد رمز لقيمة أساسية أخرى : هى مدى ارتقاء العنصر الإنسانى فى الإنسان ، ومدى الخطوات التى يبعد بها عن عالم الأشياء ، وعالم الحيوان . أى مدى ما أضاف إلى رصيده الإنسانى من ثراء فى فكرته عن الحياة ، وفى شعوره بهذه الحياة

هذه القيمة الأساسية هى موضع المفاضلة والموازنة بين حضارة وحضارة ، وبين فلسفة وفلسفة ؛ كما أنها هى الرصيد الباقى وراء كل حضارة ، المؤثر فى الحضارات التالية ، حين تتحطم الآلات وتفنى الأشياء ؛ أو حين تنسخها آلات أجد وأشياء أجود ، مما يقع بين لحظة وأخرى ، فى مشارق الأرض ومغاربها

وإنه ليبدو أن العبقرية الأمريكية كلها قد تجمعت وتبلورت فى حقل العمل والإنتاج ، بحيث لم تبق فيها بقية تنتج شيئا فى حقل القيم الإنسانية الأخرى . ولقد بلغت فى ذلك الحقل ما لم تبلغه أمة ، وجاءت فيه بالمعجزات التى أحالت الحياة الواقعية إلى مستوى فوق التصور ووراء التصديق لمن لم يشهدها عيانا . ولكن « الإنسان » لم يحفظ توازنه أمام الآلة ، حتى ليكاد هو ذاته يستحيل آلة ؛ ولم يستطع أن يحمل عبء العمل المنهك ثم يمضى قدما فى طريق الإنسانية ، عندئذ أطلق للحيوان الكامن العنان ؛ ضعفا عن أن يحمل عبء العمل وعبء « الإنسان » !

وإن الباحث فى حياة الشعب الأمريكى ليقف فى أول الأمر حائرا أمام ظاهرة عجيبة ، قد لا يراها فى شعب من شعوب الأرض جميعا : شعب يبلغ فى عالم العلم والعمل ، قمة النمو والارتقاء ، بينما هو فى عالم الشعور والسلوك بدائى لم يفارق مدارج البشرية الأولى ؛ بل أقل من بدائى فى بعض نواحى الشعور والسلوك !

ولكن هذه الحيرة تزول بعد النظرة الفاحصة فى ماضى هذا الشعب وحاضره ، وفى الأسباب التى جمعت فيه بين قمة الحضارة وسفح الهداثية :

فى العالم القديم آمن الإنسان بقوى الطبيعة المجهولة ، وصاغ حولها الخرافات والأساطير ؛ وآمن بالدين ، وغمرت روحه أضواؤه ورؤاه ؛ وآمن بالفن وجسمت أشواقه ألوانا وألحانا وأوزانا . . ثم آمن بالعلم أخيرا ، بعد ما انقسمت نفسه لأنماط من الإيمان ، وألوان من المشاعر ، وأشكال من صور الحياة وتهاويل الخيال ، بعد ما تهذبت روحه بالدين ، وتهذب حسه بالفن ، وتهذب سلوكه بالاجتماع . بعد ما صيغت مثله ومبادئه من واقعية التاريخ ، ومن أشواقه الطليقة . وسواء تحققت هذه المبادئ والمثل أم لم تتحقق فى الحياة اليومية ، فقد لقيت على الأقل هواتف فى الضمير ، وحقائق فى الشعور ، مرجوة التحقق فى يوم من الأيام ، قرب أم بعد ، لأن وجودها حتى فى عالم المثال وحده ، خطوة واسعة من خطوات البشرية فى مدارج الإنسانية ، وشعاع مضئ من الرجاء فى تحققها يوما من الأيام

أما فى أمريكا فقد ولد الإنسان على مولد العلم ، فآمن به وحده ، بل آمن بنوع منه خاص ، هو العلم التطبيقى ؛ لأنه وهو يواجه الحياة الجديدة فى القارة الجديدة ؛ وهو يتسلم الطبيعة هنالك بكرا جامحة عتيدة ؛ وهو يهم أن ينشئ ذلك الوطن الجديد الذى أنشأه بيده ، ولم يكن له من قبل وجود ؛ وهو يصارع ويناضل لبناء هذا الوطن الضخم . . كان العلم التطبيقى هو خير عون له فى ذلك الجهد المنيف ، لأنه يسعفه بالأداة العملية الفعالة فى مجال البناء والخلق والتنظيم والإنتاج

ولم يفرغ الأمريكى بعد من مرحلة البناء ، فما تزال هنالك مساحات شاسعة لا تكاد تحد من الأراضى البكر التى لم تمسها يد ؛ ومن الغابات البكر التى لم تطأها قدم ؛ ومن المناجم البكر التى لم تفتح ولم تستغل ، وما يزال ماضيا فى عملية البناء الأولى ، على الرغم من وصوله إلى القمة فى التنظيم والإنتاج

ويحسن ألا ننسى الحالة النفسية التى وفد بها الأمريكى إلى هذه الأرض فوجا بعد فوج ، وجيلا بعد جيل ، فهى مزيج من

الضغط على الحياة فى العالم القديم ، والرغبة فى التحرر من قيوده وتقاليده ؛ ومن هذه القيود والتقاليد الثقيل الفاسد ، والضرورى السليم ، ومن الرغبة الملحة فى الثراء بأى جهد وبأية وسيلة ؛ والحصول على أكبر قسط من المتاع تعويضا عما يبذله من الجهد فى الثراء

ويحسن ألا ننسى كذلك الحالة الاجتماعية والفكرية لغالبية هذه الأفواج الأولى التى تألفت منها نواة هذا الشعب الجديد . فهذه الأفواج هى مجموعات من المغامرين، ومجموعات من المجرمين ؛ فالمغامرون جاءوا طلاب ثراء ومتاع ومغامرات ؛ والمجرمون جئ بهم من بلاد الإمبراطورية الإنجليزية لتشغيلهم فى البناء والإنتاج

ذلك المزيج من الملابسات، وهذا المزيج من الأفواج ، من شأنه أن يستنهض وينمى الصفات البدائية فى ذلك الشعب الجديد ، وينيم أو يقاوم الصفات الراقية فى نفسه أفرادا وجماعات ؛ فتنشط الدوافع الحيوية الأولية ، كأنما يستعيد الإنسان خطواته الأولى ؛ بفارق واحد أنه هنا مسلح بالعلم ، الذى ولد على مولده ، وخطا على خطواته . والعلم فى ذاته — وبخاصة العلم التطبيقى — لا عمل له فى حقل القيم الإنسانية ، وفى عالم النفس والشعور . وبذلك ضاقت آفاقه ، وضمرت نفسه ، وتحددت مشاعره ، وضؤل مكانه على المائدة العالمية الزاخرة بالأنماط والألوان

وقد يدهش الإنسان وهو يقرأ قصص الجماعات الأولى التى هاجرت إلى أمريكا فى أيامها الأولى ، ويتصور كفاحها الطويل العجيب ، مع الطبيعة الجامحة فى تلك الأصقاع المترامية ، ومن قبل مع أنواء المحيط الرعيبة ، وأمواجه الجبارة ، فى تلك القوارب الصغار الخفاف ؛ حتى إذا رست على الصخور محطمة أو ناجية لقيت النازحين ، مجاهل الغابات ، ومتاهات الجبال ، وحقول الجليد ، وزعازع الأعاصير ، ووحوش الغابات وأفاعيها وهوامها ... لقد يدهش الإنسان كيف لم يترك هذا كله ظلاله على الروح الأمريكية إيمانا بعظمة الطبيعة وما وراء الطبيعة ، ليفتح لها منافذ أوسع من المادة وعالم المادة

ولكن هذه الدهشة تزول حين يتذكر ذلك المزيج من الملابسات ، وذلك المزيج من الأفواج . لقد قابلوا الطبيعة بسلاح العلم وقوة العضل ، فلم تثر فيهم إلا قوة الذهن الجاف ؛ وقوة الحس العارم ، ولم تفتح لهم منافذ الروح والقلب والشعور ، كما فتحتها فى روح البشرية الأولى ، التى احتفظت بالكثير منها فى عصر العلم ، وأضافت به إلى رصيدها من القيم الإنسانية الباقية على الزمان

وحين تغلق البشرية على نفسها منافذ الإيمان بالدين ؛ والإيمان بالفن ؛ والإيمان بالقيم الروحية جميعا ؛ لا يبقى هنالك متصرف لنشاطها إلا فى العلم التطبيقى والعمل ، وإلا فى لذة الحس والمتاع . وهذا هو الذى انتهت إليه أمريكا بعد أربعمائة عام

للكلام بقية

سيد قطب

٢ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

شهداء :

فى يوم الاثنين ١٥ من أكتوبر ١٩٥١ أقر البرلمان المصرى التشريعات التى قدمتها إليه حكومة جلالة ملك مصر والسودان وهى الخاصة بإلغاء اتفاقيتى السودان ١٨٩٩ ومعاهدة ١٩٣٦ ، وبذلك تخلصت مصر من القيود التى كانت تحد من سيادتها وحريتها وتقف فى سبيل وحدة الوادى

ولكن الغاصب الأجنبى رفض أن يعترف بما قررته مصر ، وأعلن تمسكه بالمعاهدة ؛ بل زاد فأكثر من قواته البرية والجوية والبحرية

وهنا قام نضال بين مصر التى لا تبغى إثما ولا عدوانا بين عصابة اللصوص من الدول الاستعمارية فانضمت أمريكا وفرنسا إلى إنجلترا وعملتا على تأييدها وشد أزرها

وكان من الطبيعى أن يظهر المصريون شعورهم وغبطتهم بتحررهم فقامت المظاهرات فى جميع أنحاء البلاد تعلن ابتهاج مصر بما قرره البرلمان . وساء الإنجليز ابتهاج المصريين بإلغاء المعاهدة فأطلقوا قواتهم فى مدن القنال الهادئة الوادعة ثم اعتدوا على الشعب الأعزل بمدافعهم ونيرانهم فسالت دماء الأبرياء من الشهداء المصريين

وأكثر من هذا أنهم منعوا بالقوة تشييع جنازات شهداء مدينة الإسماعيلية الذين استشهدوا فى يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر وهكذا تعتدى إنجلترا — وهى التى تملقت مصر إبان محنتها أثناء الحرب العالمية الثانية — على الأبرياء من المصريين الذين أنقذوها فى أخطر فترة مرت عليها فى التاريخ ، وكان فى يدهم لو أرادوا خنقها وإراحة أنفسهم والعالم من بغيها ، ولكنهم صدقوا وعودها وآمنوا بما قررته هى وشريكتها أمريكا فى ميثاق الأطلنطى ١٩٤١ من احترامهم لحريات الأمم السياسية والفكرية والدينية . فلما انتهت الحرب تبخرت الوعود البريطانية وعادت بريطانيا تعلن ما أخفت وتماطل فيما وعدت وقلبت لمصر ظهر المجن فقتلت أبناءها واحتلت فى غمرة بغيها وعدوانها مدينة الإسماعيلية ومكاتب الجمارك فى السويس وبورسعيد كما احتلت بلوكات السكك الحديدية فى محطة « فرز نفيشة » فليسجل التاريخ وليشهد العالم ، وأما أنتم أيها الشهداء الأبرار فإلى جنة الخلد خالدين فيها أبدا

أمس واليوم :

فى وسط هذا الخضم المضطرب من الحوادث والعواطف ومن خلال هذه الثورة الوطنية أكتب إليك أيها الأخ المصرى معيداً أمامك صورة جهاد آبائك ومسجلا لك جهادك ، فأنا أحدثك الآن عن مصر فى ثورتين : الثورة الأولى ١٩١٩ والثورة الثانية ١٩٥١

بدأت ثورة ١٩١٩ عقب الحرب الأوربية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ فقصد زعماء مصر سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى إلى دار الحماية وطالبوا المعتمد البريطانى باستقلال مصر فأنكر عليهم طلبهم ووعدهم بمخاطبة حكومته

انصرف الزعماء من دار الحماية وألفوا « الوفد المصرى » ليعمل على تحقيق استقلال مصر والسودان استقلالا تاما

بدء العمل :

فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ طلب سعد ورفاقه من المعتمد البريطانى أن يسمح لهم بالسفر إلى أوربا لعرض مطالب مصر على مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس ، فجاءهم الرد من السلطة بإرجاء الإذن « إلى أن تزول الصعوبات التى تمنع سفرهم فى الوقت الحاضر »

احتج سعد ولم يفتر فى العمل أو يتوان . أخذ يجمع التوكيلات من الأمة للمطالبة بحقوقها فأقبل الناس عليها بشغف . رأت السلطة فى هذا الأمر خطرا فقررت منعه وصادرت التوكيلات . احتج سعد على مصادرة التوكيلات وأخذ يواصل نشاطه فوجه نداء لمعتمدى الدول الأجنبية جاء فيه :

« إيماناً بالتصريحات المؤكدة التي أعلنها ساسة الحلفاء عند نشوب الحرب ولا زالوا يجاهرون بها في انتصارهم للحق والحرية واعتمادا على تلك الروح الجديدة التي تدفع أمم العالم ودبمقراطياتها نحو ذلك المثل الأعلى مثل الحياة المطمئنة في كنف العدل وبحبوحة السلام

ونخص على الأخص بأن دخول الولايات المتحدة الفاصل في المعترك العالمي لم يكن لها فيه من قصد سوى صيانة حقوق الأمم الضعيفة واستفتاح عصر عدل مجرد عن الهوى تبور فيه إلى الأبد صفة من لا ينظر إلا إلى إرضاء مطامعه الشخصية ولا يهمه غير بسط سلطته على بني الإنسان اعتمادا على القوة والجبروت

فمصر التي تعرف واجباتها وتهتم بمصالح نفسها رأت بمجرد عقد الهدنة الأخيرة أنها بعد أن لبثت طول مدة الحرب على أكمل حال من السكينة وحسن الوفاء ، قد آن الأوان لتجهر — بما لها من حق في أن تحيا حياة حرة خالصة من القيود والأغلال »

واختتم الوفد النداء بالاحتجاج على الخطة التي اتخذت معه وعلى كل قرار بشأن مستقبل مصر لا يؤخذ رأى الأمة المصرية فيه

وفي نفس اليوم ٦ ديسمبر ١٩١٨ أرسل إلى رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج برقية جاء فيها :

« تحدث في مصر أمور مخالفة لتقاليد الحرية والعدالة التي هي شعار دولة بريطانيا، وللسياسة الحرة التي لا زلتم إماما لها ... هل تقبلون سعادتكم أن صوت أمة بأسرها يخفت بينما أرجاء العالم تدوى بأصوات الأمم المطالبة بمالها من الحقوق ومن حرية التصرف بمستقبلها ؟ . . . بالنيابة عن الوفد المصرى أرفع هذه التصرفات لنظركم السامي . » سعد زغلول

موقف الوزراء :

هذا ما قام به سعد وزملاؤه . ولكنا من ناحية أخرى نجد أن رئيس وزراء مصر في ذلك الحين المغفور له حسين رشدى باشا وزميله عدلى يكن باشا لم يكونا غافلين وكانا يؤمنان تماما بحقوق مصر ، وكان رشدى يعتبر نفسه مسئولا عن مستقبل مصر ، ذلك لأنه كان رئيس وزراء مصر ١٩١٤ حين أعلنت عليها الحماية _ وكان هو الذي قبل الحماية _ فرأى أن الواجب يحتم عليه كمصرى أولا وكرئيس للوزراء ثانيا أن يعمل على تخليص مصر من الحماية . لهذا تقدم بدوره بطلب السماح له ولزميله عدلى بالسفر لمباحثة رجال الحكومة البريطانية في المسألة المصرية، فرفضت الحكومة البريطانية طلبهما فقدما استقالتهما في ٤ ديسمبر فلم تقبل ، فرفعا استقالة ثانية في ٢٣ ديسمبر ولكنها رفضت أيضا ، فأتبعاها بثالثة في ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ . رأت بريطانيا أن تصرح لهما بالسفر ولكن رشدى باشا علق سحب استقالته على التصريح للوفد بالسفر فرفض طلبه فاستقال

موقف رائع :

استقال رشدى باشا وأخذ الإنجليز يبحثون عن رئيس للوزارة يشغل مكانه وعن وزراء يتولون الحكم بدل الوزراء ، ولكن ذهبت جهودهم أدراج الرياح ذلك أن المصريين على اختلاف ميولهم ومذاهبهم وقفوا صفا واحدا يحاربون الغاصب الأجنبي ويدافعون عن حرية وطنهم واستقلاله ، وما كان واحد منهم ليخون الوطن وليتعاون مع الغاصب الأجنبي بقبوله الوزارة. وظلت مصر بلا وزارة في الفترة من ديسمبر ١٩١٨ إلى مارس ١٩١٩ وهكذا تجلت الوطنية المصرية رائعة قوية

هذا ما كان من أمر مصر في ١٩١٩ . أجمعت الأمة على الوقوف صفا واحدا في سبيل تحقيق مطالبها وصمدت للعدوان الآثم . وإن مصر ١٩٥١ ستكون إن شاء الله أكثر قوة وأشد وطنية، وستدافع عن حرياتها دفاع المناضل المستميت، ولن يخضعها اعتداء أو تهديد ، ولن يثنيها وعد أو وعيد . وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء الله

قويسنا — أبو الفتوح عطيفه

لياقت على خان

للأستاذ صلاح الدين خورشيد

ألا رحم الله لياقت على خان !

لقد عاش مجاهدا ومات شهيدا ، عاش عيشة الأبرار المتقين ، ومات ميتة الأبرار الصالحين . فلقد جاهد لإعلاء كلمة الله ونصرة الحق ورفعة الإسلام وعز المسلمين، وكان لا يدخر فى جهاده وسعا ولا يألو جهدا حتى أسلم الروح إلى بارئها يوم غالته أيدى الإثم والعدوان

كان رحمه الله مؤمنا تام الإيمان، صالحا كامل الصلاح، تقيا ورعا مخلصا وفيا . وقد بلغ من سمو فضائله ورفعة أخلاقه أنه لم يمز إليه نقص من تلكم النواقص التى تلازم أكثرية رجال السياسة وأرباب الحكومات، بل وبلغ من حسن سيرته وسلامة سلوكه أنه استجلب الثناء حتى من أشد خصومه لجاجة . ألا رحم الله لياقت على خان لقد امتدحه حتى خصومه وأعداؤه ،

* * *

قالت قرينته واساها الله بمصابها وأنعم عليها الصبر والسلوان :

« لقد تمثلت فى نفس قرينى ما يكنه ثمانون مليون نسمة من عقيدة وعزم للنهوض بباكستان وجعلها دولة إسلامية مجيدة ناهضة، وكان حتى أن لفظ آخر أنفاسه يتمسك بهذه العقيدة ويختلج بها قلبه اختلاجا. وكانت نفسه رحمه الله تشف عن روح إسلامية حقة ألا وهى الاستسلام التام لمشيئة الله . وكان ذا إيمان راسخ لا يتزعزع فسلك سبيل الواجب سلوكا مستقيما إلى أن أدركه الأجل فمات شهيدا . ولقد قال مرارا إنه لا يملك من حطام الدنيا شيئا وأن ليس لديه إلا حياته وأنه يسخر حياته لخدمة الإسلام وباكستان تسخيرا مطلقا، وقد أسلم الروح واسم الله وباكستان على شفتيه فكان مثالا يجدر بكل باكستانى أن يقتدى به

« وإننى لأفشى لأبناء بلادى الآن سرا إذ أقول انه قال لى قبل شروعه بسفره المشئوم إلى راولبندى

« إنه سيلقى أعظم خطاب فى حياته . فسألته عم سيتناوله الخطاب فقال إنه يتناول تكوين سياسة البلاد ولكنه قبل أن يدلى بخطابه ضحى تضحيته الكبرى

وإننى بكونى شريكته فى الحياة أعلم أن ليس من شئ أحب إليه من رسالة زعيمه القائد الأعظم ألا وهى النهوض بباكستان إلى أعلى ذرى المجد وتمكينها من تبوءِ المقام السامى بين أمم العالم. ثم إنه كان يؤمن إيمانا راسخا بمقدرة أمته للوصول إلى هذا الهدف بما يبذلونه من مساع حثيثة، وما يبدونه من صبر وأناة فى مواجهة الخطوب وتقديم مصلحة الأمة على المصالح الشخصية، ولم تكن المصائب لتوهن عزمه ولا الأخطار لتفت فى عضده ولا المغريات لتصرفه عن نبيل غرضه . »

* * *

هذا ما قالته عنه قرينته وأقرب الناس إليه، ويمثل هذا أبنه زملاؤه قادة الباكستان وزعماء الدول الإسلامية الشقيقة بل وزعماء العالم أجمع، إذ لم يكن من بين قادة الدول وزعماء الأمم وساسة الشعوب من لم يفجع بمقتل لياقت على خان ومن لم يعرب عن عميق حزنه وأسفه لهذا المصاب الجلل، إذ لم يكن لياقت على خان على ماجبل عليه من خلال حميدة وسجايا نبيلة مجرد إنسى يحيا ويموت وإنما كان أكثر من ذلك . كان رمزا لأمة حية ناهضة ومثلا لأخلاقها وسلوكها وعواطفها . لقد تمثلت فيه الأمة الباكستانية فمثلها أصدق تمثيل؛ فمن سجايا الأمة الباكستانية أنها تمتز بدينها الحنيف وتكلف بحضارتها الإسلامية المتيدة، وكذلك كان لياقت على خان رحمه الله إذ كانت له مواقف مشهودة فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين لا فى ربوع الهند فحسب وإنما فى جميع ربوع العالم ، فقد نافح عن الإسلام ومبادئه العليا حتى فى بلاد الغرب عندما زار أمريكا وكندا قبل نحو عامين..فقد قال فيما قاله فى هذا الصدد إنه إذا كان العالم يحسب اليوم الحساب لكتلتين متناحرتين شرقية وغربية فعليه بعد اليوم أن يحسب الحساب لكتلة ثالثة لا تقصد إلى التناحر أو إلى إثارة الحروب، وإنما ترمى إلى السلام والإسلام ألا وهى قوة الإسلام والمسلمين . ألا رحم الله لياقت على خان ! كان مسلما حقا وكان مؤمنا بالغ الإيمان برسالة الإسلام

صلاح الدين خورشيد

أندريه جيـــــد

الأديب العالمي الكبير

للأستاذ خالص عزمي

إن فكرى لا يتجه إلا لمل التنظيم، ولمل البناء... ولكننى لا أستطيع بناء أى شىء إذا لم أختبر المواد التى أبنى بها الأفكار المعترف بصحتها.. والمبادىء لا يقبلها فكرى ما لم يعترف هو بصحتها.. وأنا بعد أعلم أن أكثر الألفاظ رنينا أكثرها فراغا.. إننى أرتاب فى الخطباء من ذوى الفكر الصحيح، من الرسل الأدعياء. ولأننى أهتك النقاب عن مضمون جعجعتهم

« أندريه جيد »

فى ليلة الأربعاء العشرين من شهر شباط المنصرم: روع العالم واهتزت الأوساط الأدبية لوفاة الكاتب العالمي الكبير (أندريه جيد) وهو لا يزال حزينا على موت الأديب الأرلندى الشهير (جورج برنارد شو)

وفى هذا المقال نقدم كاتبنا الكبير فى صورة صحيحة خالية من الرتوش، مستوحين تلك الصورة من حاله الذى كان يعيش فيه، ومن مقالاته ومؤلفاته التى كان ينشرها على العالم

فى عام ١٨٦٩ ولد طفل يبدو على سيماه الذكاء وتبرق على جبينه العبقرية والدهاء. كان يعيش كما يعيش غيره من أبناء فرنسا فى ذلك العهد: فترعرع فى جو يسوده عدم الاستقرار وتطغى عليه أصوات الاضطرابات، ولم تكن الحال هكذا فى فرنسا فحسب بل شملت أغلب دول أوربا. فى هذا الجو الخانق والحياة الرتيبة راح (الطفل) أندريه يواصل دراسته حتى بذ جميع أقرانه مما أوجب اهتمام المدرسين الذين كانوا يشرفون على سير دراسته!

وعندما التحق جيد بالمدارس الثانوية لمواصلة دراسته ظهرت فكرة العبقرية التى كان يتحدث بها أساتذته أكثر وضوحا وتركيزا. فقد برزت علامات النبوغ ومخايل الذكاء عليه حتى أصبح مثلا يضرب فيه!

وبقى جيد ينهل من العلوم المختلفة والآداب قديمها وحديثها ومن اللغات زمنا غير قصير، استوعب خلاله ثقافة واسعة شاملة كان بها عارفا تاما لفلسفة اليونان وفلسفة العصر، بالإضافة إلى ما ذكر من العلوم والآداب. ومن الطريف الذى يذكر عن (جيد) أنه هوى الشعر ردحا من الزمن إذ راح يجول بخياله فيه؛ فنظم قصائد تعد من القصائد الجيدة فى بابها

آراؤه:

يعتبر « أندريه جيد » من العباقرة الذين يمكن أن نطلق عليهم (العباقرة الشواذ): إذ لا تراه إلا قلق التفكير لا يعرف الاستقرار ولا يطلب الهدوء، ولم تكن هذه الحال بقصيرة العمر عنده؛ بل كانت ملازمة له بالرغم عنه: ولهذا السبب نراه يتخذ من قوله الشهير دستورا له فى الحياة حيث كان ينادى دائما:

« إن كل توكيد حتى لو صدر عنى ينشىء فى نفسى على الفور الجواب الذى أنكره » من قوله هذا يتبين أنه حتى على أقواله لا يثبت، بل ينقضها متى شاءت إرادته

لقد طلعت آراء (أندريه) ومبادئه على العالم يوم نشر أول مؤلف له.. المؤلف الذى أحدث ضجة فى وقته وقد كان عنوان ذلك الكتاب « مذكرات أندريه والتر » وذلك فى عام ١٨٩١ إذ ذاع صيته وسطع نجمه فى عالم الأدب العالمى.. ثم والى (أندريه) بعد مؤلفه هذا النشر ولم يكن فى هذه المرة كتابا؛ بل كان يعطر الصحف بمقالات وقصص وقصائد تحمل مبادئه وآراءه.. وكان هدفه من ذلك أن يدفع الشباب نحو ما يطلق عليه (بالضمير العقلى والثقافى)!

وقد يكون قوله الشهير الذى سنذكره مبدأ مستقلا بذاته وفيه يبرز (أندريه) اعتداده بنفسه وفخره الشديد بعقليته وفكره، وهذا القول يبين فيه أنه لا يكتب إلا إلى فئة قليلة هى التى تفهمه؛ وحتى تلك الفئة قد لا يتصورها جيد بتاتا... إذا يا ترى لمن كان يكتب « جيد ».

إنه يجيب على ذلك بقوله الذى تحدثنا عنه « إن الذين سيفهموننى لم يولدوا بعد، وإننى أكتب للأجيال القادمة»!

ومن معتقداته أنه يرى أن من يكتب للظروف والمناسبات إنسان مخطئ كل الخطأ .. لأنه يرى أن عمل هذا الشخص لا يدل إلا على طريقة فاشلة من طرق اغتنام الفرص . وهو يقول بأن مثل هذه الحالة هي الخطيئة بعينها، لأن الشخص سيخضع فكره وآراءه للظروف التي تصطدم به ولا يحركها هو !!

ولهذا فقد كان « جيد » لا يحب الناس الذين تخلقهم الصدفة والمناسبة ، بل كان يحب الذين يعيشون عظاما ويموتون عظاما .. لا لأن المناسبة قد أوجدت لهم تلك المظمة، بل لأنهم حقيقيون يعيشون للواقع ، ولهذا كان يجل العالم الألماني الشهير « نيتشه » وكذلك الكاتب الروسي اللامع « دستوفسكي » حيث كان يعتقد فيهما أنهما من الأحرار الذين لا يقيدهم خوف أو شفقة أو حياء !!

لقد قلنا إن (جيد) كان شاذا قلق الفكر لا يستقر على مبدإ حتى يخرج إلى مبدإ آخر والدليل على ذلك .. أنه رفع البلشفية بوصفه لها بمقالات عدة نشرها على العالم ، إلى طبقة الحرية المثالية أو النظام الأكمل ..

ولكنه لما دعى لزيارة روسيا وعاد منها بعد زيارته لها ذمها ذما شديدا وقذفها قذفا قد يصل إلى أشنع الهجاء ، وهذا يدل على عدم الاستقرار الفكري الذي تحدثنا عنه !

ثم هذا دليل آخر على قلق المبادئ عنده؛ وهو أنه مال إلى الرمزيين في إبان شبابه وبدأ يدعو الناس إلى اعتناق مبادئهم ، ولكنه ما بين عشية وضحاها تركهم نهائيا لأنه رأى أن عنصر التشاؤم يتغلغل في نفوسهم ويكون عندهم حجابا حالك الظلام يفصل بين أرواحهم وبين الأمل المنشود

كان جيد يكره التشاؤم ويعتقد فيه الضعف، وأن الشخص الذي يتشاءم من الحياة إنما هو إنسان ضعيف الإحساس حائر الفكر ، لأنه يرى في التشاؤم محاربة للواقع واحتقارا للحياة !

وكان يكره الرمزيين — أخيرا — لأنه وجد فيهم عدم توصلهم إلى مذهب ثابت حقيق ، أو عدم تملكهم الفكرة أو المبدأ الفلسفي الصحيح !

نعم قد يكون له هذا الحق لو كان ثابتا على مبدئه .. ولكنه راح يناقض نفسه للمرة الثالثة حيث برز هذا التناقض في صورة حبه وتقديسه لمبدإ — شوبنهور — ولشخصه ، بينما نحن نعرف أن شوبنهور كان من أولئك المتشائمين في الحياة ! إذن لماذا كان يقدسه « جيد » ؟!

وكذلك نرى أنه كان يكره — هيجل — لأنه كان الشخص المفضل من قبل أصحاب المذهب الرمزي ، وجلهم من الشعراء !

وقد نثبت هذه النظرة على « جيد » أكثر تركيزا في ناحية بغضه للرمزيين وكتابته في الأدب الرمزي ونظمه في الشعر الرمزي ..

وكذلك نحن نعرف أن — جيد — كان واقعيا بينما نجده في نفس الوقت يكتب في الفلسفة الخيالية .. إذن ما هو سر هذا التناقض ؟

إن سر التناقض عند « جيد » هو « العبقرية الشاذة » أو ما نسميها به (العبقرية القلقة) ولا نضيف كثيرا على ذلك سوى أن نقول إن المبادئ التي دفعت « جيد » إلى الواقعيات في الأمور هي التي جعلته أقرب الأدباء العالميين إلى نفوس العرب وأكثرهم تحليلا لمشاكلهم

أسلوبه وكتبه :

كان أسلوب « جيد » رائعا جزلا بشهادة الكثيرين ، ولم يكن سبب ذلك أن جيد كان يجيد البيان في اللغة الفرنسية فحسب ، بل لأنه كان يخلق التعابير الجديدة الرائعة فيصوغها بأسلوب جذاب دقيق

وهو يشبه كل الشبه في لغته وأسلوبه أسلوب معالي الدكتور طه حسين باشا عميد الأدب العربي .. ولذلك كانت نفسيته بالنسبة للأدب والأسلوب والمعنى والبيان مطابقة لنفسية جيد الأدبية ومدى تذوقها للبيان السلس والجذل بنفس الوقت

إن جيد كان يميل في آدابه إلى النثر أكثر من الشعر، وكان يعتقد فيه أنه خير من الشعر بكثير ، وهذا ما أوضحه في مؤلفه

المشهور « لو كانت بذرة لا تموت »

وأهم ما يوصف به أسلوب جيد ويتميز به أنه رفيع السبك، يحلل الشخصية تحليلا دقيقا، ويصور الجانب الإنساني منهـا ثم يصور الحالات الأليمة أبرع تصوير

ولكنه مع كل هـذا غامض مبهم لا يفهمه إلا من تعمق في آرائه ومعتقداته، ودرس كتبه ومقالاته درسا وافيا

ولقد كان « جيد » يميل إلى كتابة القصة القصيرة أكثر من ميله إلى القصة الطويلة ، ولكنه مع هـذا قد قدم إلينا أكثر من قصة طويلة ولو أنها كانت خارج استعـداده وميوله (كما يقولون) !

إن أهم مؤلفات « جيد » هي ما كانت تدور حول النواحي القصصية والروائية : وقـد تكون أشهر كتبه التي طلع بها على العالم هي : —

١ — السمفونية الريفية

٢ — الباب الضيق

٣ — مذكرات أندريه والتر

٤ — لو كانت بذرة لا تموت

٥ — أوديب وتسيوس

وقد فاز أندريه جيد بجائزة نوبل العالميـة لفرع الآداب ١٩٤٧ ، فاتجه إليه نظر الأدباء والمثقفين حيث راحوا يوالون درس مؤلفاته ومقالاته .. حتى أن الدكتور طه باشـا حسين وتوفيق بك الحـكيم كتبا عنه مقالات شاملة بينا فيها مقـدرة « جيد » الأدبية ومنزلته العلمية وعلمه الفريد

ولقـد كتب عنه الأستاذ نزيه الحكيم وترجم له كتاب « الباب الضيق » فجاء تحفة نادرة سدت فراغا في المـكتبة العربية

وجيد بعد كل هـذا الذي بيناه ، صريح كل الصراحة . حتى أنه لا يعتريه الخجل وهو يسرد قصة حياته الخاصة عن طريق مؤلفاته ، ذاكرا فيها كل شيء عما قام به من مغامرات شخصية وعلاقات دارت حوادثها مع الزمن في إبان شبابه ، وبصورة واضحة مع فتيات باريس اللواتي كن ينظرن إليه نظرات الإعجاب والإكبار ! أو كما يقول أحـد الأدباء في وصف ما قاله جيد من حياته الخاصة « يجمل بالشباب أن يتجنبوا قراءتها » ! !

وجيـد مع ذلك كان يكره الحب الجسدي ويعشق الروح لأنه أسمى عنده وأثبت، وشذوذه من هذه الناحية جنى عليه حتى حرمه من دخول الأكاديميه الفرنسية التي تضم أربعين شخصية خالدة

هـذا هو أندريه جيد الـكاتب الفرنسي الشهير الذي توفى ليلة الأربعاء في العشرين من شباط بعد أن بلغ الحادية والثمانين من العمر .. قضاها في سبيل الرفع من قيم الإنسانية المعذبة

بغداد خالص عزمي

المرأة فى شعر شوقى

بمناسبة ذكراه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

تتمة ما نشر فى العدد الأسبق

أما الصورة الثانية فنرى فيها شوقى يساير روح الإصلاح المنبعثة من قلوب المستنيرين الآخذة فى الازدياد . فجاء شعره خاليا من الصناعة الشعرية بعيدا عن التكلف ، تظهر فيه روح معنوية صريحة تسمو بالغرض الشعرى ، فقد استجاب للصيحات التى يبعثها رجال الإصلاح

ونراه يخصص لمشكلة الحجاب والسفور – التى شغلت القوم – قصيدة طويلة تظهر فيها شاعريته القوية وثقافته العالية ، ولكنه مع ذلك كان شديد الخشية والحذر من مكاشفة الجمهور برأى صريح ، فاستغل خياله الخصب ومعانيه الرائعة فأضفى على القصيدة نوعا من السحر ، أخذ بألباب الناس ، المحافظ منهم والمجدد ، وصار الكل يتغنون بهذا الشعر الجميل

ففى قصيدته التى بعث بها إلى (مكنونة البادية) يدعو فيها المرأة إلى نزول ميدان الحياة متسلحة بالأخلاق القويمة والمثل العالية ، وأن تكون واضحة الحجة قوية البرهان ، وأن تتدرع بالصبر على ما يصيبها فى سبيل ما تريد أن تصل إليه ، لأن المعالى لا تنال إلا بالجد والكفاح فيقول

صداح يا ملك الكنا ... ر ويا أمير البلبل
قد فزت منك (بمعبد) ... ورزقت قرب (الموصلى)(١)
وأتيح لى (داود) مز ... مارا وحسن ترتل (٢)
يا طير والأمثال تض ... رب للبيب الأمثل
دنياك من عاداتها ... ألا تكون لأعزل
أو للغبى وإن تعلـ ... ـل بالزمان المقبل

(١) معبد : هو المغنى المشهور فى أيام بنى أمية – والموصلى : يقصد به إسحاق الموصلى وهو كذلك مغن مشهور

(٢) داود : هو النبى داود ومزماره ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد

جعلت لحر يبتلى ... فى ذى الحياة ويبتلى
يرمى ويرمى فى جها ... د العيش غير مغفل
مستجمع كالليث إن ... يجهل عليه يجهل
أسمعت بالحكمين فى الـ ... إسلام يوم (الجندل)
فى الفتنة الكبرى ولو ... لا حكمة لم تشمل
رضى الصحابة يوم ذ ... لك بالكتاب المنزل
وهم المصابيح السرا ... ة عن النبى المرسل
رجعوا لظلم كالطبا ... ئع فى النفوس مؤصل
نزلوا على حكم القو ... ى وعند رأى الأحيل (٣)

ففى هذه القصيدة والأبيات الأخيرة منها خاصة يبين أن الأمر للقوة مهما كان وضوح الحق ومهما كانت حجة قائليه ، فلم يكن معاوية بأقوى حجة من على ولا صاحب حق مثله ، ولكنه كان ذا قوة وذا حيلة فاستطاع أن يظفر بما يريد فى آخر الأمر ، وهذا شأن الحياة كل شئ فيها يحتاج إلى القوة والحيلة

* * *

ثم يطرق موضوعا أكثر خطورة من سابقه ، فهو ينعى على الرجال تعسفهم مع نسائهم وتنكرهم لهن بزواجهم عليهن بعد أن قضين فى أكنافهم زمن الصبا ، وزبلت منهن زهرة الشباب . وحفظن لهم أعراضهم ، وصبرن معهم على حلو الحياة ومرها ، وبعد أن رزقن منهم بنين وبنات ، فيقول :

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من أنصار
يا معشر الكتاب : أين بلاؤكم ... أين البيان وصائب الأفكار
أيهمكم عبث وليس يهمكم ... بنيان أخلاق بغير جدار
عندى على ضيم الحرائر بينكم ... نبأ يثير ضمائر الأحرار

ومنها قوله :

كثرت على دار السعادة(٤) زمرة ... من مصر أهل مزارع ويسار
يتزوجون على نساء تحتهم ... لا صاحبات بغى ولا بشرار
شاطرنهم نعم الصبا وسقينهم ... دهرا بكأس السرور عقار

(٣) الأحيل : الأكثر حيلة

(٤) دار السعادة : يقصد الآستانة

الوالدات بنيهم وبناتهم — الحافظات الغرض كالأسوار
الصابرات لضرة ومضرة — المحييات الليل بالأذكار
من كل ذى سبعين يكتم شيبه — والشيب فى فوديه ضوء نهار
يأبى له فى الشيب غير سفاهة — قلب صغير الهم والأوطار
كم ناهد فى اللاعبات صغيرة — ألهته عن حقد بمصر صغار
يرشو عليها الوالدين : ثلاثة — لم أدر أيهم الغليظ الضارى
المال حلل كل غير محلل — حتى زواج الشيب بالأبكار
سحر القلوب فرب أم قلبها — من سحره حجر من الأحجار
دفعت بنيتها لأشأم مضجع — ورمت بها فى غربة وأسار
ما زوجت تلك الفتاة وإنما — بيع الصبا والحسن بالدينار
بعض الزواج مذمم ، ما بالزنا — والرق إن قيسا به من عار
فتشت لم أر فى الزواج كفاءة — ككفاءة الأزواج فى الأعمار
أسفى على تلك المحاسن كلها — نقلت من (البال) إلى الدوار
إن الحجاب على (فروق) جنة — وحجاب مصر وريفها من نار
وعلى وجوه كالأهلة روعت — بعد السفور ببرقع وخمار
وعلى الذوائب وهى مسك خولطت — عند العناق بمثل ذوب القار
وعلى الشفاه المحييات أماتها — ربح الشيوخ تهب فى الأسحار

فى هذه القصيدة يسمعنا رأيه صريحا ، لا يهاب ولا يخشى ، فيدعو أصحاب الأقلام ليستلوها على هؤلاء العابثين الذين لا هم لهم إلا إشباع شهواتهم ، وعلى الذين يتجردون من العواطف الإنسانية ويبيعون بناتهم بيع السائمة طمعا فى الأموال ..

* * *

ثم يكون فى قصيدة أخرى أبعد صراحة وأكثر تأييدا للمجددات من نساء مصر ، ممجدا مقام المرأة، ضاربا الأمثال بالرسول الكريم في معاملته للنساء . وبأمهات المؤمنين فى العزة والكرامة والعلم والمعرفة ، وكيف أنهن حملن تراث الشريعة الإسلامية وشاركن الرجال فى التجارة والحرب والسياسة ، فيقول فى قصيدته (مصر تجدد مجدها) :

قم حى هذى النيرات — حى الحسان الخيرات
واخفض جبينك هيبة — للخرد المتخفرات
زين المقاصر والحجا — ل وزين محراب الصلاة
هذا مقام الأمها — ت فهل قدرت الأمهات

* * *

خذ بالكتاب وبالحديـ — ـث وسيرة السلف الثقات
وارجع إلى سنن الخليـ — ـقة واتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لم — ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة — لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسيا — سة والشؤون الأخريات

ومنها قوله :

أدع الرجال لينظروا — كيف اتحاد الغانيات
والنفع كيف أخذن فى — أسبابه متعاونات
لما رأين ندى الرجا — ل تفاخرا أو حب ذات
ورأين عندهمو الصنا — ئع والفنون مضيعات
والبر عند الأغنيا — ء من الشؤون المهملات
أقبلن يبنين المآ — ثر للنجاح موفقات

* * *

مصر تجدد مجدها — بنسائها المتجددات
النافرات من الجمو — د كأنه شبح الممات
لما حضن لنا القضـ — ـية كن خير الحاضنات (٥)
غذينها فى مهدها — بلبانهن الطاهرات
وسبقن فيها الملد — ين إلى الكريهة معلمات (٦)
يهوين تقبيل المهنـ — ـد أو معانقة القناة
ويرين حتى فى الكرى — قبل الرجال محرمات

قصيدة عامرة تنطق بأجل المعانى وأسمى الأغراض ، لولا ضيق المقام لنقلتها لك لترى قدرة الشاعر واتساع ثقافته

* * *

وفى قصيدة (الهلال والصليب الأحمران) لا يفرق فيها بين السافرات والمحجبات فى الأعمال الإنسانية ، والعمل على تخفيف آلام جرحى الحرب ومنكوبى الحوادث والأرزاء ؛ ويشبههن

(٥) القضية هنا : قضية وادى النيل ، ويشير فى ذلك إلى ما قامت به المرأة فى سنة ١٩١٩

(٦) المعلمون الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم

بالممرضات العربيات الخالصات فى عصور الإسلام الزاهرة حيث كن يقمن بنصيب وافر مع الرجال فى ميادين القتال يضمدن جراح المصابين ويخففن آلامهم ، ويدفعن بالحاربين إلى ساحة الوغى . . فيقول :

جبريل أنت هدى السما ء وأنت برهان العنايه
أبسط جناحيك للذيـ ـن هما الطهارة والهدايه

إلى أن يقول :

ومحجبات هن أطـ ـهر عند نائبة كفايه
يسعفن ريا أو قرى كنساء طى فى البدايه
إن لم يكن ملائك الر حمن كن هو حكايه

* * *

يأيها الباغون ركا ب الجهالة والعمايه
الباعثون الحرب حبا للتوسع فى الولايه
المدعون على الورى حق القيامة والوصايه
المتكلون الرحمون الهادمون بلا نهايه
كل الجراح لها التئا م من عزاء أو نسايه
إلا جراح الحق فى عصر الحصافة والدرايه
ستظل دامية إلى يوم الخصومة والشكايه

* * *

والأم هى المدرسة الأولى التى يتلقى فيها الابن علومه ويتزود منها بالمعارف التى تمده للحياة ، وفى استطاعتها أن تخلقه كما تشاء

إن شاءت جملته جبانا رعديدا، وإن شاءت خلقته أسدا هصورا . وهى القديرة على أن تخلق منه رجلا مثاليا كاملا يمشى فى الناس بالهدى والرشاد ، أو تخلق منه شيطانا رجيما يبعث فى الأرض الفساد . فيقول مخاطبا المرأة :

أنت شعاع من عل أنزله الله هدى
كم قد أضاء منزلا وكم أنار مسجدا
وكم كسا الأسواق من حسن وزان البلدا
لولا التقى لقلت لم يخلق سواك الولدا
إن شئت كان العير أو إن شئت كان الأسدا
وإن ترد فيا غوى أو تبغ رشدا رشدا
يأخذ ما عودته والمرء ما تعودا

* * *

هذه نظرة سريعة لما حفل به ديوان شوقى عن المرأة غير ما تفرق فى رواياته المتعددة التى تصور حياة المرأة النفسية والخلقية والعاطفية التى كان يلحظها شوقى، وفيها نرى كيف كان شوقى يعالج هذه الموضوعات بحكمة وتدبر ، وأنه كان يستلهم بيئته الخاصة ، العامرة بالعنصر النسوى المهذب الذى يدين بالحرية المقيدة بالقيود الخلقية والاجتماعية ، وكيف أخذ على نفسه مناصرتها فى الدعوة إلى التقدم الاجتماعى الذى كانت تسعى دائبة فى الحصول عليه ، وكيف كان يعمل على الأخذ بيدها فى الحياة المنزلية والزوجية، والصلة بينها وبين الرجال

كما عرف مقدار خطوها فى تربية أبنائها الذين تقدمهم للوطن رجالا عاملين ، يسعون إلى رفعة الوطن وترقيته ليساير أرقى الأمم فى العالم

رحم الله شوقى وبلل ثراه ، فقد ترك لنا تراثا ضخما قل أن يجود الزمان بمثله

أسيوط عبد الموجود عبد الحافظ

أحمد سامح الخالدى

للأستاذ نجاتى صدقى

هذا الموت الذى لا يرحم .. قد اختطف نفس عرب فلسطينى كبير ، ومؤرخ يشار إليه بالبنان ، وصاحب فضل عميم على الشبيبة الفلسطينية المثقفة ، ألا وهو المرحوم أحمد سامح الخالدى

والأسرة الخالدية فى فلسطين هى من الأسر العربية الحجازية العريقة ، أسرة قضاء وعلم ، أسرة أدب وشعر ، أسرة تربية وتاريخ وطب

مارست القضاء على التوالى خلال ثمانمائة سنة ، فرحل قسم منها إلى مصر واشغل مناصب القضاء . وقبور الذرى الخالدى فى القاهرة تشهد على ذلك ، ثم عادت إلى فلسطين لتمارس القضاء والعلوم على شتى أنواعها

ومن أعلامها الذين توفاهم الله العالم الكبير ، والحجة الثقة المرحوم الشيخ خليل الخالدى مؤسس المكتبة الخالدية الموجودة فى القدس حتى أيامنا هذه . وليس من متعلم فلسطينى إلا لجأ إلى هذه المكتبة العامرة طالبا التبحر فى المسانيد ، وساعيا إلى التأكد من المراجع . وما المكتبة الخالدية إلا مكتبة الأسرة تركها السلف إلى الخلف ؛ ثم أصبحت مكتبة قومية لعرب فلسطين كافة

وعميد الأسرة الخالدية اليوم هو العالم المجتهد الشيخ راغب الخالدى ، رجل هيبة ووقار ، وحجة من البقية الصالحة وبالرغم من تخطيه سن التسعين .. هو والد الدكتور حسن ، والدكتور حسين ، وأحمد سامح ، وغالب ، ويعقوب ، وإسماعيل

ولد فقيدنا فى القدس سنة ١٨٩٦ ، وتلق علومه الابتدائية فى مدرسة الأميركان ، ثم فى مدرسة المطران ، ثم التحق بالجامعة الأمريكية ببيروت حيث درس الصيدلة ونال شهادتها سنة ١٩١٦ وهو فى العشرين من عمره ، ولما أعلنت الهدنة عاد إلى الجامعة فنال درجة بكلوريا فى الاقتصاد والتربية ورجع إلى فلسطين حيث عين مفتشا للمعارف فى يافا ، وتابع فى الوقت ذاته دراسته إلى أن تم له الحصول على درجة أستاذ فى التربية

وعُر فترة من الزمن فيمين مساعدا لمدير معارف فلسطين ، ويتبع ذلك تعيينه مديرا للكلية العربية فى القدس سنة ١٩٢٥ وظل فى منصبه هذا إلى أن حلت النكبة بعرب فلسطين

ومن المشاريع الجليلة التى حققها المرحوم مشروع لجنة اليتيم العربى لأيتام الثورات العربية فى فلسطين ، فأنشأ لهم معهدا فى دير عمرو . أذكر وقت أن دعانى الفقيد الغالى لزيارة هذا المعهد سنة ١٩٤٦ ، فأقلتنا السيارة بين الوهاد والتلال إلى أن بلغنا قمة جبل ، وقد انتصبت عليه أبنية حجرية جميلة . . وراح رحمه الله يحدثنى عما لاقاه من متاعب جمة لإقامة هذا المعهد للبنين ، ومن عزمه على إقامة معهد آخر للبنات . فقلت له : وكم كلفكم بناء هذا المعهد ؟ . . قال : حوالى مائة وخمسين ألف جنيه فلسطينى ، توليت تنظيم جمعها بنفسى

ولما بدأت الغيوم القاتمة تتلبد فى سماء فلسطين أسرع رحمه الله واستحصل من الحكومة المنتدبة على مبلغ مائة ألف جنيه لتتميم بناء مدرسة بيت حنينا وتجهيزها فى قضاء بيت لحم ، وتخصيصها للتلاميذ العرب فى حالة تقسيم فلسطين ، وقد عينت الحكومة لجنة أمناء لتحقيق هذا المشروع مؤلفة من الفقيد ، والأستاذين نافذ الحسينى ، وأنطون عطا الله ، ثم أودعت اللجنة المبلغ المذكور فى بنك باركلس إلى أن تستقر الحالة ، ولا يزال هذا المبلغ مودعا فيه

كانت مدرسة بيت حنينا هذه تشغل حيزا كبيرا من تفكير الفقيد إبان إقامته فى لبنان . كان يمنى النفس بالعودة إلى وطنه ليعيد للعلم صرحه ، لكن الأوضاع العامة لم تسعفه فانتظر وطال انتظاره

وفى العشرين من شهر إبريل سنة ١٩٤٨ لجأ رحمه الله مع قرينته الأديبة الفاضلة السيدة عنبرة سلام الخالدى إلى وطنها الثانى .. وكان إبان حياته فى هذا البلد الشقيق عاملا فعالا من أجل تعليم أبناء اللاجئين، فأسس فى جنوب لبنان مدرسة نموذجية قريبة الشبه بمعهد دير عمرو، وقد أعانه فى تحقيق هذا المشروع

ساكن الجنان رياض الصلح

لم يكف الفقيد لحظة واحدة عن الكتابة والتأليف عن لبنان، فكان يعقد الفصول فى مجلتى (الأديب)، و (الرسالة) ونشر المقالات فى جريدة (بيروت المساء) بعنوان — فلسطين فى نصف قرن رأيتها تنهار —، وقد استخلص مقالاته هذه من كتابه الكبير الذى يحمل هذا الاسم والذى لم ينشر بعد

وأكب موخرا على وضع كتاب مسند هو كتاب (التعليم عند العرب) وقد أنهاه وشرع فى تنقيحه .. وورد ذكر هذا الكتاب فى رسالته لقرينته التى كانت تقوم برحلة استجمام فى ربوع إنكلترا مع شقيقها معالى صائب بك سلام، فقال فيها: «لقد بلغت ياعزيزتى فى تنقيح الكتاب حتى عهد المماليك .. وإننى أتابع عملى دون انقطاع»

وضع فقيدنا اثنين وعشرين مؤلفا، طبع منها ستة عشر، وستة منها هى مخطوطات فقط، وتعالج هذه المؤلفات مواضيع شتى فى التربية، والتاريخ، وعلم النفس، وقد اشترك مع قرينته أديبتنا الكبيرة السيدة عنبرة فى وضع كتاب (تأثير النساء فى المدنية العربية) ولا يزال هذا الكتاب بين المخطوطات التى لم تطبع بعد

أما كتبه هذه فنها ما قد تمكن من إخراجه من فلسطين، ومنها — وهو هام جدا — ظل فى بيته فى القدس، ومن حسن الطالع أن يقع البيت والكلية العربية تحت إشراف ممثل هيئة الأمم المتحدة

وفى شهر يناير سنة ١٩٥١ تعين المربى الكبير فى شركة (البان أميركان للطيران) بمثابة مدير معاون لصائب بك سلام ولم يثنه عمله الإدارى هذا لحظة واحدة عن تأدية رسالته التربوية التى كرس حياته من أجلها

كان المرحوم خصب الإنتاج طيلة حياته بالرغم من الصدمة الخاصة التى ألمت به بفقد قرينته الأولى أم الوليد؛ لكن الله وقد أراد أن يهىء له السبيل إلى تأدية رسالته الكبرى فكافأه بالسيدة عنبرة سلام الخالدى وهى علم من أعلام السيدات العربيات فى القرن العشرين

كانت السيدة عنبرة خير زوج ومعين للمرحوم، ولم يقعدها أمر الإشراف على بيتها وأولادها من تبادل الآراء مع قرينها فى شتى المواضيع، ومن الانصراف إلى ترجمة (الإلياذة)، و (الأوديسى) إلى العربية وقد طبعا وأقرتها حكومة فلسطين، ومن ترجمة (الأنياد) المعدة للطبع الآن

وأنجب فقيدنا ثلاثة بنين وابنتين، وهم: سلافة (٢٧ سنة) تطلب العلم الآن فى كمبردج وهى قرينة الأستاذ عاصم بك سلام المهندس المعمارى، ووليد (٢٦ سنة) وهو يسعى للحصول على الدكتوراه من أكسفورد وأطروحته فيها (البكرى الصديقى)، ومساعد المستشرق البروفسور جب فى تحقيقاته، وأسامة (١٩ سنة) وهو يدرس الكيمياء فى إنجلترا وقد نال درجة البكالوريا فيها، ويعمل للحصول على درجة أستاذ فيها أيضا، ورندة (١٦ سنة)، وطريف (١٣ سنة)

كان الفقيد دائم التفكير بفلسطين، وبما آلت إليه أحوال الفلسطينيين، وقد تركت النكبة وأوضاع اللاجئين أثرا عميقا فى نفسه، ومضت الأيام دون أن يرى ثرى وطنه حرا مستقلا، ودون أن يرى هؤلاء المشردين فى كل صقع أحرارا كرماء فى ديارهم، فلم يقو قلبه الكبير على احتمال الكارثة وسكت .. بعد ظهر الخميس ٢٧ أيلول سنة ١٩٥١ الموافق ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣٧٠ وشيع جثمانه فى يوم الجمعة إلى مقره الأخير فى مقام الأوزاعى بالقرب من بيروت

كنا نتوقع إبان حياة الفقيد أن تستدعيه الحكومة الأردنية الهاشمية ليشغل المنصب الذى يستحقه .. وكنا نتوقع أن يعمد أصدقاؤه ومحبوه وهم الآن وزراء، ونواب، وسفراء أن يثيروها حملة صاخبة لدعوة عميد المربين الفلسطينيين إلى مواصلة جهاده التربوى فى القدس التى أحبها وأحبته .. لكن شيئا من ذلك ويا للأسف لم يحدث، فتوفاه الله وفى نفسه حسرة

رحمك الله يا أبا الوليد، ونفعنا بعلمك وفضلك

نجاتى صدقى

٦ - أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

هـذا وقـد نسب الشيعة إلى الإمام على أنه « كان يعرف السماء زقاقا زقاقا » فهل أريد بذلك الغلو فى علم الإمام أم هل أريد به أن السماء لم تعد مجاهل فامتدت إليها يد الإصلاح بالتنظيم والتعمير حتى صارت بها الشوارع والأزقة والدروب ؟ .

ولا ينبغى أن نغفل شأن أهل السماء وروادها من أصحاب الفلك ، الذين جعلوا للنجوم علما ثابت القواعد مأمون المناهج معروف الغايات . .

والتنجيم فى جوهره استجابة صادقة للنزعات الطامحة فى الأجيال إلى كشف مجاهيل السموات العلا ، وإهمال هـذا الجانب ليس إلا نقصا فى المرنة الإنسانية الكاملة ، لهذا كانت الدعوة الإسلامية حريصة على الحث عليها لما لها فى تحرير العقل ، وتعريفه بقدرة الله العلى الأعلى

والكواكب سيارة وثابتة . أما الأولى فهى السبع المشهورة : زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وهى مرتبة تنازليا من السماء العليا إلى الدنيا ، لهذا كان القمر أقرب السيارات منا ، وزحل أبعدها ، أما الثابتة فكلها فى السماء الدنيا

ويتناول علم النجوم أفلاك الكواكب ومنازلها بالبروج وأدوات الرصد وغير ذلك ، مما يجعل الباحث فيه من أصحاب المعالى

وإذا تتبعنا نشأة التفكير الحر فى الأوساط الإنسانية نرى أن الفلسفة اليونانية هى التى تمثل تطور الفكر من مهده إلى رشده ، فقد بدأ الطبيعيون الأولون ينظرون إلى الوجود فى حرية واستقلال بعد أن خلعوا عن كاهلهم نير الأساطير والتعاويذ ، واتجهوا بأنظارهم إلى أصل الأشياء

وانتقل الفيثاغوريون بعدهم إلى الأعداد والأنغام غير ناظرين إلى المحسوسات وتخطاهم (بارمنيدس) إلى الوجود من حيث هو الوجود ، واهتدى إلى « الله » واستنتج صفاته على نحو من التنزيه والتجريد لم نر لها مثيلا من قبل

ولما شاعت الفوضى على يد السفسطائيين قام (سقراط) بحملة موفقة على موجة الادعاء والغرور ، وطلب الحقيقة فوجدها كامنة فى الكليات لا فى الجزئيات، فاصطنع الاستقراء للوصول إلى غاية ، وأخذ فى توليد المعانى من النفوس كما كانت أمه تفعل فى توليد الأجنة من البطون ، وبالحوار السقراطى بلغ الفكر إلى حيث ينبغى أن يكون

وجاء تلميذه (أفلاطون) فكان أحرص على تراث الفيلسوف الأثينى ، فابتدع منهجا فريدا هو الجدل وجعله صاعدا ونازلا أى أنه ارتفع بالنظر من المحسوسات فى عالم التغير إلى المعقولات فى عالم الثبات ، وانتقل بالفكر الخالص من الأرض إلى السماء أى من الأشباح إلى الحقائق ، من الموجودات إلى « المثل » حيث كانت النفس قديما فى صحبتها ، وإذا بأفلاطون بعد هذا التحليق ينزل بجدله هذا إلى أمور الدنيا لتفسيرها وتعليلها، ومعه قبس من السماء كأنه كبير الآلهة (زوس) الذى هبط إلى الأرض وفى عقب عصاه جذوة العلم

ولم يقف أفلاطون عند فكرة طارئة ، بل أوصل فكرته إلى غاياتها البعيدة بأن رسم الحدود العليا لكل من الفرد والمدينة فى دقة وعلى نحو رفيع ، ولا ننس مع ذلك أسطورة الكهف الأفلاطونى التى ترمز بالكهف إلى الانحطاط فى المستوى الإنسانى من حيث الرضى بالأشباح الزائفة التى لا تغنى عن الحقائق شيئا

ولقد خلع أفلاطون على تلميذه النابغة (أرسطو) أرفع وسام إذ سماه باسم « العقل » أو « عقل المدرسة » وذلك لما كان يمتاز به من سمو فى التفكير وتوخ لصوت العقل

أنزل أرسطو الفلسفة من السماء إلى الأرض ليبدأ من الأرض وينتهى إلى السماء فهو من أميز أصحاب المعالى فى انتقاله

من العدم إلى الكمال ، وبينهما درجات تصاعدية على أساس من « العقل » ، فالهيولى أو المادة الأولى عدم أو شبه عدم ، ويليها تصاعديا الجماد فالنبات فالحيوان فالإنسان ثم تعلوه الكواكب ومن فوقها جميعا « الله » باعتباره « عقل العقل » والذى هو الكمال المطلق والمحرك الأول الذى يحرك ولا يتحرك . وتحريكه للعالم إنما يكون عن طريق الجذب ، والموجودات كلها تتحرك نحوه بالعشق لأنه كالها ، والناقص يطمح دائما إلى الكامل

وعنى أرسطو كذلك بالنفس وميز الأخلاق الرفيعة من الوضيعة ، بأن جعل الفضيلة وسطا عادلا بين طرفين متنافرين هما التفريط والإفراط ، ويسمى المعلم الأول : التهور شجاعة البهائم ، وهو الذى ينسب إلى الله الحكمة الإلهية « بينما على المرء أن يتحلى بالحكمة الإنسانية » . وعلى العموم فإن آفاق أرسطو كلها بعيدة الأقطار عالية الأبعاد رفيعة الأهداف ، مما جعله ينفرد بالقمة دون السابقين واللاحقين من فلاسفة الشرق والغرب على السواء

وجاء من بعده عشاق اللذة وطلاب المنفعة ، وتذرعوا بمبدإ « ولك الساعة التى أنت فيها » ، وما كان ذلك ليمنع من ظهور أصحاب الأخلاق العالية فى شتى العصور ، وقد أجمعوا على طلب « المثل الأعلى » والتسامى بالنفس عن سفاسف الأمور ، وكان الإسلام كالمنارة بين الخير والشر فى ظلمات الحياة ، وذلك بقول العلى المتعال « ولله المثل الأعلى »

وقدم الأحيائيون لعلماء النفس ثمرات طيبة أفادت كثيرا فى المجال السيكولوجى بل فى الأخلاق . وأكثر من هذا كله فى النظرة الكونية العامة ، فإن أصحاب النشوء والارتقاء إنما يدعون إلى التفاؤل ، ويحثون على التقدم

وبناء على نشوء الكائنات الحية وارتقائها فى سلم الحياة نراها تهدف إلى تكامل الجهاز العصبى ، وذلك لا يتم إلا إذا انتهى هذا الجهاز إلى المراكز العليا للمخ ، وبمقتضى هذا التطور تترتب الكائنات من الدنيا إلى العليا

تأثر السيكولوجيون بهذه الروح التقدمية العامة ففرقوا بين الإدراك والوجدان والنزوع ، كما وقفوا على خصائص الغريزة ، وقالوا بأنها لا يمكن القضاء عليها ، بل الباب مفتوح على مصراعيه للتقدم الإنسانى تبعا لإمكان إعلائها ، وتعلية السلوك

ونرى هذه الروح العالية تسود بقية العلوم بحالها من مبادئ عليا، فى المنطق يعتبر المحسوس سافلا والمجرد عاليا، وفى المقولات ما هو عال ومنها ما هو سافل وفى علم الفيزيقا تمييز واضح للأشعة فوق البنفسجية . وهناك « ما بعد الطبيعة » وهى الفلسفة العليا ، وفى الجغرافيا دراسة للطبقات العليا من الجو

وفى علوم الرياضة اصطلاحات خاصة مثل : الترتيب التصاعدى والتنازلى ، والبسط والمقام ، وأكبر وأصغر . وكان اليونان قديما يعتبرون العدد عشرة أكمل الأعداد . على أن البساطة هى غاية الرياضة ، لهذا فهى ارتفاع من الأعداد والأشكال إلى الرموز؛ أى من الحساب والهندسة إلى الجبر، ومن ثم إلى الهندسة التحليلية

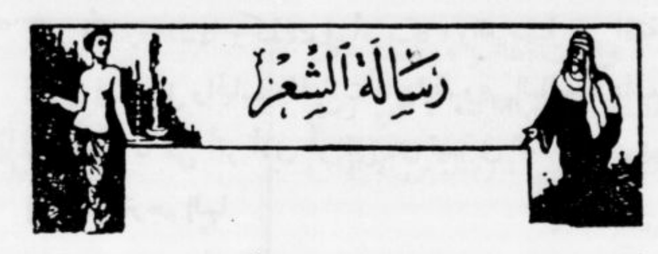
والفن لن يكون خالدا إلا إذا تلمس معالى الأمور ، وعندئذ يسمى « الفن الرفيع » ، أليس من ذلك هذا التمثال اليونانى الذى يصور نسرا قص جناحاه كرمز على المجد الذى لا يريدونه أن يغادر بلادهم ، ولا شك أن تمثال نهضة مصر إنما يمثل قطعة من طموح مختار حتى لقد أقام أبا الهول على يديه ، ونهض بعصر عاليا ، إذ جعلها تشرف ببصرها ورأسها ، وصدرها إلى الملا

وفى الحرب يعتبر المكان العالى مفتاح الغزو ، ولذلك يرفع العلم فى ذراه كرمز على النصر المبين . ويخفض كرمز على الذل المهين

وتنطبع هذه النزعة فى شتى مرافق الحياة فيقال : المصادر العليا ، والسياسة العليا ، والقيادة العليا ، والرئاسة العليا ، والمجلس الأعلى والرئيس الأعلى والقائد الأعلى والمركز العام . وكذلك فى الألقاب : صاحب الجلالة ، والسمو والمجد والفخامة والمقام الرفيع ، وصاحب المعالى وصاحب العزة ، وكذلك الباب العالى والجناب العالى والصدر الأعظم . وفى مصر نقول فى الوظيفة : ترقية ، رتبة ، علاوة ، وفى العراق يقولون ترفيعة

وإذا صدق أرسطو فى حث الإنسانية على التماس الشرف فى التفكير إذ يقول « شرف العقل من شرف موضعه » فهذه دعوة رسول الإنسانية عليه السلام « إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها » وبهذا كان فى الطليعة من « أصحاب المعالى »

محمد محمود زيتونه



حـــيران

للأستاذ صبحي محمود سعيد

« مهداة إلى الأستاذ أنور المعداوى »

حـــيران ياقلبى وأين النور فى هـذا الظلام
أين النجوم تضئ لى مسرى أمانى المظام
مهما سعيت فلا أرى إلا قتاما فى قتام
ملأ الظلام سكينتى حتى ذعرت من الزحام
حيران لاخل يمين على الحياة ولا سلام

* * *

حيران أسأل عن وجودى أى معنى فى وجودى
أخلقتنى يارب للأقـدار كالهـــدف القميد
تتضاحك الأقزام من وقع السهام على زنودى
أين السبيل لقـد ضللت وتهت فى دنيا العبيد
أخلقتنى للقيـد يارب فقد صدئت قيودى

* * *

ألأننى أعتقت روحى من قيود الظالمين
ألأننى ألقيت جسمى للذئاب الجائعين
ألأننى أطلقت أفكارى صـــدى للناقمين
مكنت لى قيدا وغلا فى الشمال وفى اليمين
لكننى ما زلت حرا بالعقيـدة واليقين

* * *

ظمآن فى بيداء عمرى للحقيقـة والمنا
طال الطريق ولا أبالى بالمشقـة والضنا
أجهدت نفسى فى طريق من ضحيتهـا أنا
فى الشوك سعيى ما سعيت ووجهتى ذاك السنا
أين المفر أخا العـذاب وأنت من هـذى الدنا

* * *

حـيران بالطين الذى منه الخليقة والعباد
والطين طين واحـد من داف بالطين الفساد
من علم الطين التفاخر والتبـاهى والعنـاد
مجى لمن خشى القتـاد وراح يمشى بالقتـاد
كالنـار تأكل بعضها كى تستحيل إلى رماد

* * *

حـيران لا أدرى لمن أعنو وأسجد فى صلاتى
أأليك يارب فهـا أناذا أهيم فى شكاتى
وأسارق النظر الكليل إليك من خوف الوشاة
والقاعـين على النخاسة والمتاجر فى حياتى
وأنا مكب مائل بين الدعاية والدعاة

* * *

أنت الذى بينت أصل الخلق من طين وماء
كانوا ترابا آسفـا لما جبلت على الهواء
أنزلتهم أرض الخصا صة واستويت على السماء
تنهى وتأمر بالعبـاد كأنهم بعض الإماء
وإذا عصوك نسفتهم نسفاً هبـاء فى هبـاء

* *

من ذلك الخوف امتثلنا للمعبودة صاغرين
فاستأسد الباغى القوى على الضعيف المستكين
هـذا يدوى بالزئير وذاك يهمس بالأنين
من كان يؤمن بالقوى فأنا بذلك لا أدين
دينى السماحة والحجى والخلق من ماء وطين

* * *

كم مرة حطمت آمـالى وحطمت المرايا
كى لا أرى أحـلامى الثكلى شظايا فى شظايا
كى لا أرى شبح النبوغ يطل من بين الضحايا
حطمت كل سجية أواه من تلك السجايا
إلا بقايا حسرة أبقيتها خلف الحنايا

* * *

حيران فى خلق وخلق واحتمالى للهوان
لو كنت أعرف من أنا أأنا طليق أم مدان
إنى أسـير وما برحت أسير مبهور العنان
فإلى متى أمشى وأمشى والزمان هو الزمان
وإلى متى أنمى وجودى ثم يخذلنى الأوان

بيروت

صبحى محمود سعيد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اللغة الأجنبية الأولى:

لا تزال اللغة الإنجليزية هى اللغة الأولى فى بلادنا ، نعلمها للناشئة من السنة الثالثة الابتدائية ، وتوشك أن تفرض على جميع المصريين بعد تنفيذ قرار التعليم الإجبارى فى مرحلة أولى موحدة

لا شك أن ذلك من أثر الاستعمار الإنجليزى فى مصر ، وأعنى بذلك جعل الإنجليزية هى اللغة الأجنبية الأولى فى التعليم ، ولولا ذلك الاستعمار لكانت لغة مثل الفرنسية هى الأولى ، أو لكنا وزعنا اهتمامنا باللغات الأجنبية على عدد من اللغات الحية ولم تكن الإنجليزية على أى حال الأولى

ومن الواضح أن سواد المتعلمين حين تفرض عليهم لغة أجنبية بعينها من البدء يضطرون إلى توجيه عنايتهم إليها أكثر من غيرها ، فيقل اهتمامهم باللغة الثانية — كما هو الواقع بالنسبة إلى الفرنسية — ولا يفكرون فى تعلم لغة أخرى غير هذه اللغة . فتكون النتيجة هى الاستعمار اللغوى ، وما أبغض الاستعمار بجميع أنواعه !

والسؤال الأول : هل هناك — غير الاستعمار الإنجليزى فى مصر — ما يدعو إلى أن تكون الإنجليزية اللغة الأولى فى المدارس والمعاهد والجامعات المصرية ؟ ولا أحسب أن لدى أحد من أحرار المفكرين جوابا عن هذا السؤال

فلو قارنا بينها وبين اللغة الفرنسية لخرجنا من هذه المقارنة بأن اللغة الفرنسية أولى منها بهذه المنزلة . فاللغة الإنجليزية لا تنتشر إلا فى إنجلترا ومستعمراتها ، على خلاف الفرنسية التى يسود التفاهم بها فى أكثر البلاد الأوربية إن لم يكن فى جميعها حتى إنجلترا نفسها وكذلك فى أمريكا ، والفرنسية هى اللغة الأولى فى المحافل والمجامع والهيئات الدولية ، وهى العالمية للآداب والفنون ، ما من أثر أدبى أو فنى ذى قيمة فى البلاد الأخرى إلا وهو مترجم إليها

والسؤال الثانى : ما الذى يحملنا إذا على الرضاء بذلك الاحتكار اللغوى الذى أصبح أهله أبغض الناس إلينا ، ولماذا لا نزيح عنا هذا الكابوس فى جملة ما نمزمه ؟

إن الإنجليز من غير شك — يحبون نشر لغتهم ويحرصون على إذاعتها ، وقد تضمن الاتفاق بينهم وبين الباكستان أن يبقى تعليم الإنجليزية فيها إجباريا لجميع التلاميذ ، ولم ننس بعد الدعوة التى وجهتها الحكومة الإنجليزية فى العام الماضى إلى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف إلى زيارة إنجلترا وجامعاتها وإلقاء محاضرات فيها ، والحفاوة التى لقيها معاليه هناك . نعم إن المكانة والصيت اللذين أحرزهما معاليه فى ميدان الفكر العالمى جديران بأن يحتفى به من أجلهما فى أى مكان ، ولكن لم يكن خافيا أن الإنجليز — وهم الإنجليز — كانوا يرمون من وراء ذلك إلى غرض آخر ، هو كسب الوزير المصرى الخطير ، كى يرعى جانبهم ولو بعض الشئ فى المجال الثقافى ، فلا يمكن للفرنسية — وهو معروف بثقافته الفرنسية — أن تطغى على الإنجليزية فى مصر

ونحن نعلم رأى معالى الدكتور طه حسين باشا فى تعليم اللغات الأجنبية فى مصر كوسيلة للمشاركة فى الثقافة العالمية ، فهو يرى عدم قصر الجهود على لغة واحدة ، ويقول بوجوب التنويع فى ذلك بين المواطنين ، ليتاح للثقافة المصرية أن تقتطف خير الثمار من مختلف الجهات

وعلى ذلك يمكن تحرير المسألة فى أمرين ، الأول أن الإنجليزية ليست خير اللغات حتى نجعلها اللغة الأجنبية الأولى فى بلادنا ، فيجب أن نستبدلها بغيرها ولتكن الفرنسية . والأمر الثانى أن الإنجليزية فى وضعها الحالى بمصر من آثار الاستعمار الإنجليزى الكريهة ، وأن الإنجليز يسوؤهم أن نزحزحها عن مكانتها ، فيجب إذن أن نزيل ذلك الأثر المنتن .. وأن نسوء الإنجليز فى لغتهم كما نسوؤهم فى غيرها

والوقت الحاضر هو أصلح وقت لهذه الضربة القاصمة ، التي ترضى الشعور الوطني ، وتنال من الأعداء ، وتنفع البلاد

فهيا أيها الرجل العظيم ، اضرب الضربة . . .

حذار من الوعظ والتهريج :

تطور النزاع بيننا وبين الإنجليز تطورا خطيرا عقب إلغاء المعاهدة وما تبعه من اعتداءاتهم المنكرة المتكررة ، وصارت البلاد إلى حال تستوجب بذل جميع الجهود وتوجيه الكفايات المختلفة نحو معركة التحرير القائمة ، ولا بد للأدب والعلم والفن أن تساهم في هذه الحركة إن لم تقدها . وقد نشر أن هيئة التدريس بجامعة فؤاد الأول اجتمعت بقاعة الاحتفالات في الجامعة ودار البحث في هذا الاجتماع حول أحسن الوسائل التي ينبغي اتخاذها لخدمة القضية الوطنية في الخارج والداخل ، واستعرض المجتمعون بعض الوسائل التي تتخذ في هذا السبيل ، ومنها الاتصال المباشر بهيئات التدريس في الجامعات الأجنبية ، ومنها قيام الأساتذة بإلقاء محاضرات تذكى الحماسة الوطنية في المدرجات الجامعية وغيرها

ويقال إن محطة الإذاعة المصرية تعمل الآن على تغيير برامجها وإعداد برامج تناسب الحركة الوطنية الحاضرة

كشكول الأسبوع

▫ تقرر تعيين يوم ٢٤ ديسمبر القادم موعدا لحفلة افتتاح المؤتمر السنوى لمجمع فؤاد الأول للغة العربية . وهو المؤتمر الذى يحضر إليه أعضاء المجمع غير المصريين من شرقيين وغربيين ، مع زملائهم المصريين

▫ وقع اختيار معالى وزير المعارف على الأستاذ محمد خلف الله أحمد بك عميدا لكلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، والدكتور زكى محمد حسن بك عميدا لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وقد كان كل منهما أكثر المرشحين أصواتا فى الانتخاب الجامعى

▫ صدر أخيرا كتاب « السلام العالمى والاسلام » للأستاذ سيد قطب ، وهو آخر ما ألفه من الكتب القيمة التى يتحدث فيها عن فلسفة الإسلام ونظمه وصلاحها للنهوض بالمجتمع

▫ وظهر كتاب « الإسلام وجها لوجه » للأستاذ محمد عبد الله السمان ، وهو يتحدث فيه عن الإسلام ، دينا له عقائد ومبادئ ، ودولة تحكم حكما صحيحا عادلا ، ومصحفا يهدى ويربى ويشرع ، وسيفا يدافع ويؤمن الدعوة . ويظهر أن المؤلف أسرع فى وضع العنوان .. فانه يقال مثلا الاسلام وأعداؤه وجها لوجه . أما الشئ وحده فكيف يكون وجها لوجه

▫ كتبت الصحف الباكستانية تفند مشروع قانون لتعديل نظام جامعة عليكرة الاسلامية ، الذى وافق عليه البرلمان الهندى أخيرا ، وذلك لأنه ينص على فتح باب عضوية مجلس الادارة لغير المسلمين ، فتنتقل إدارة هذه الجامعة الاسلامية إلى الهندوس

وقد بدأنا فعلا نسمع منها شيئا من ذلك ، أقله جديد ، وأكثره قديم ، وكل ذلك حسن ، ولكن الذى نخشاه أن ينقلب الأمر إلى وعظ ممجوج ، وخطابة يذهب أثرها مع الريح ، وتهريج مسف مبتذل

نريد أن تستغل المواهب الممتازة والعقليات الناضجة فى تقديم إنتاج جيد ، فى محاضرات تقوم على الحقائق وتبصر بدقائق الأمور، وفى فن يستميل القلوب ويعرف الطريق إلى مداخل النفوس

إن هذا الحشد من الأناشيد التى تحفظه الاذاعة لتعيده على الأسماع فى كل مناسبة ، لم يعد صالحا للعمل ، لأنه سخيف فى تأليفه وتلحينه وإلقائه وقد مجته الأسماع من كثرة التكرار والترديد ، وقد بدأت الاذاعة تلقيه على رؤوسهم كالحجارة ، ونرجو أن تستبدل بهذه البضاعة المملولة جديدا موفقا

وكم أود أن أتملق بالتفاؤل ورجاء الخير فيما ستقدمه الاذاعة من جديد ، وإن كنا نرى فيما بدأت تذيعه بعض الإسفاف الذى رجونا أن تبتعد عنه ، فقد سمعت فى إحدى تمثيلياتها أخيرا ، رجلا قرويا يقول لزوجته :

« وبعدين يا مبروكة فى الجماعة الإنجليز أولاد الـ ... دول ! »

الحرية فى الأدب العربى :

ومن أحسن ما سمعته من الاذاعة

فى هذا الظرف ، حديث للأستاذ محمد رفعت فتح الله عن « الحرية فى الأدب العربى » بدأه قائلا : « الحرية وما هيه ؟ فتنة القرون الخالية ، وطلبة النفوس العالية ، غذاء الطبائع ، ومادة الشرائع ، وأم الوسائل والذرائع ، بنت العلم إذا عم ، والخلق إذا تم ، وربيبة الصبر الجميل والعمل الجم ... »

وقد استرعى انتباهى هذا الأسلوب الأدبى المحتفل له ، وأعجبنى منه قوته مع سهولته ، وكان نبر الأستاذ فى الإلقاء يوضح مقاصده

وبعد تلك المقدمة ساق طائفة من أقوال العرب — شعرا ونثرا — فى الحرية وتمجيدها ، ثم ختمها هذا الختام الطريف :

« ولقد استطاب اللسان العربى هذه الحرية وتخيرها ، واستعارها للشئ الفاخر المختار الخالص من الأكدار ، فيقال « حر الفاكهة » : للمختار منها ، و « حر الشعر » للفاخر الرائق منه ، و « الحر من الفعل » : ما كان حسنا خالصا ، و « الحر من الأرض » : الطيب الجيد ، و « حرية القوم » : أشرافهم . ومن الطريف فى الأدب العربى أن « حرية المرأة » لها معنى فى الأدب القديم ، ومعنى آخر فى العصر الحاضر ، فحرية المرأة — بالمعنى القديم — : شرفها وكرامتها ، فإذا قيل « المرأة الحرة » فالمراد الشريفة الخالصة من أغلال العار ، وأما « حرية المرأة » فى عصرنا فالمراد بها تخلصها من قيود اجتماعية كانت عليها من قبل

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية :

هو كتاب وضع أصوله المرحوم محمد رمزى بك ، وقضى فى تحقيقاته زهاء أربعين سنة ، معتمد على مشاهداته ، وعلى مراجع تاريخية وجغرافية ، وعلى وثائق فى المصالح الحكومية ، فجاء شاملا لجميع البلدان المصرية من مدن وقرى ، سواء القديم منها والمستحدث

وقد أشرت إلى هذا الكتاب فى أوائل العام الحالى ، وذكرت أن دار الكتب المصرية قد اشترت جزازات هذا القاموس وأصوله من ورثة المؤلف بعد وفاته ، وتسلمتها فى فبراير سنة ١٩٤٩ على أن تطبع الكتاب فى خلال سنة على الأكثر ولكن الدار تراخت فى تنفيذ ذلك

وعلى أثر ما كتبناه إذ ذاك ، اهتم ورثة المؤلف الفقيد حرصا منهم على بقاء هذا الأثر الخالد وإخراجه للناس ، واستحثوا دار الكتب فى ذلك ، فعنيت الدار بالأمر ، وعهد الأستاذ توفيق الحكيم بك عقب تعيينه مديرا لها إلى وكيلها الأستاذ أحمد رامى فى أن يشرف على إعداد هذا الكتاب للطبع وندب لمعاونته الأستاذ أحمد لطفى السيد الموظف بالقسم الأدبى فى الدار ، والذى زامل المرحوم رمزى بك زهاء خمسة عشر عاما وفهم منه نظام العمل فى هذا القاموس

وفى خلال الشهور الماضية قام الأستاذ لطفى السيد بمراجعة بطاقات القاموس وتحقيقها وترتيبها وتهيئتها المطبعة ، وأصبح الكتاب الآن معدا للطبع ، والمرجو أن يبدأ طبعه فى أقرب وقت ، وألا يلتفت إلى المعوقين الذين يريدون تعطيل هذا العمل النافع . .

عباس خضر



الدين والتاريخ

تأليف الأستاذ عباس كرارة

للأستاذ منصور جاب الله

هـذا واحد من الـكتب التي يضعها الأستاذ عباس كرارة بين الفينة والفينة مصدرة بكلمة الدين ، وله قبل هذا الـكتاب مؤلفات دينية أخرى منها الدين والأدب ، والدين والحرم ، والدين والحج ، والدين والصلاة ، والدين والصحة إلى غير ذلك من الموضوعات التي يحتسبها المؤلف الورع لوجه الله تعالى ابتغاء مرضاته

وهو قد كسر مؤلفه الأخير على تبيان مراحل حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحدث عن مولده وبعثته وهجرته وغزواته ووفاته ، وقسم الـكتاب ثلاثة أقسام: اختص الأول منها بالدور الأول من حياة النبي الـكريم ويبتدئ من ولادته وينتهي ببعثته وقدره أربعون سنة ، واختص القسم الثاني ببعثة الرسول في مكة إلى يوم هجرته إلى المدينة ، وكسر الثالث على الحديث عن الهجرة إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم

فالـكتاب إذن من كتب السيرة النبوية العاطرة ، وهو لا يعدو في جوهره تلك الـكتب التي وضعت في حياة الرسول ، ولـكنّ المتأمل في هذا السفر لا يتلبث إذ يمضي في المطالعة حتى يجد نفسه حيال مؤلف جديد لم يسبق أن وقع عليه ، ذلك أن الأستاذ عباس كرارة لا يكتب لمجرد شغفه بالـكتابة ، فالذي يبدو أن الـكتابة ليست هوايته المفضلة ، ولا مهنته الأصيلة ، وإنما هزه لهذا القصد حبه لرسول الله وشغفه به وحبه لنفع المسلمين إذ يتدفق الإخلاص من بين جنبيه تدفقا ، وهو يروى في مقدمة كتابه ما دعاه إلى إمساك القلم والتحدث إلى الناس عن هـذا النبي العربي العظيم « هنـالك تجردت الروح من الشواغل الدنيوية والأفـكار المادية ، وانصرفت عن المطامع ، وخلصت من الأغيار ، وجالت جولة في عالم الشهود ، فتم التجلي والصفاء ، وتوجهت إلى الله بقلب سليم ، ودخلت الروضة بشوق عظيم ، وفرح جسيم ، فحالما تمت مواجهتي لصاحب الشريعة الإسلامية والملة الحنيفية ، نسيت نفسي وجلت في عوالم الصفاء ، وتجردت عن الحس والمادة ، فاغرورقت عيني من الفرح بالدموع ، وخفق قلبي من السرور بين الضلوع » إلى آخر ما قال المؤلف المتصوف الورع في هذا المجال

فـكتابه وليد تشوق ولهفة وحب لرسول الله وأهل بيته ، ومن ثم ينهي مقدمة الـكتاب بهذه الـكلمات « كان الفراغ من تبييض هـذا الـكتاب بمكة المـكرمة . وببيت الله الحرام بجوار الـكعبة المعظمة »

ولا يقتصر الـكاتب على ما نقله من كتب السيرة ، فإنه أزجى في كتابه الفريد مقالات مما كتب المسلمون في الذكريات الإسلامية المجيدة ، فوضع كل مقال في بابه ، فجاء منسجما كالعقد نضدت جواهره ولآلئه في سمط محبوك الأطراف ، وإن كنا نأخذ على المؤلف الفاضل أنه أسرف في الاقتباس بإيراد ومقالات الصحف السيارة ، ولـكنه يعزز ذلك بقوله « وإلى جانب ما قمت باختياره ووضعه، وتلخيصه وجمعه ، اخترت بضع مقالات دبجتها يراعة بعض الـكتاب الأفذاذ في العصر الحاضر ، رأيتهم أخلصوا النيـة فيما كتبوه بأقلامهم وسطروه في صحفهم لله ولرسوله ، واستجابوا فيهـا لوحي الإيمان العميق ، ونور الإسلام المشرق الوضاء ، وجدتها مبعثرة هنا وهناك في الجرائد والمجلات، فجمعت شملها وألفت بين المتفرق منها ليعم الانتفاع بها»

فالرجل قد بذل جهدا في جمع الأشتات والتأليف بين النظائر ، وانتقاء المحاسن ، ولم يقصر مؤلفه على مجرد السرد والقصص واستخلاص العبرة من حيـاة خاتم المرسلين ، ذلك

لأنه أراد من مؤلفه وجه الله ولم يرد الكسب المادى كما سلف الكلام

والكتاب فوق هذا وهذا تحفة فنية جميلة، إذوشاه صاحبه بنقوش جميلة للآيات القرآنية الجليلة، مكتوبة بأيدى كبار الخطاطين، ورسوم للأماكن المقدسة لا تكاد تقع عليها العين حتى تفيض لما عرفت من الإيمان

وبعد، فإن الحاج عباس كرارة يستحق تقدير كل مسلم لهذا الجهد الذى يبذل فى خدمة الإسلام وتفقيه المسلمين بدينهم . وفقه الله وأثابه

منصور جاب الله

فلسفة المعتزلة

تأليف الدكتور البير نصرى نادر

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب ببغداد

للدكتور إبراهيم مدكور بك

كنت أومن دائما بأن للمعتزلة مذهبا فلسفيا متصل الحلقات مكتمل المعالم، وإن بدت آراؤهم فى صورة لمحات متفرقة لا تكاد تلحظ بينها صلة . وكنت أومن كذلك بأن فى الامكان تكوين هذا المذهب قطعة قطعة وضم أجزائه بعضها إلى بعض، على الرغم من إبادة معظم ما خلفه هؤلاء المفكرون الأحرار

وازداد إيمانى يقينا يوم أن نشر كتابا «مقالات الإسلاميين» و «نهاية الأقدام» ؛ ولقد دعوت منذ عشرين سنة تقريبا فى (la Place d'Al Farabi) إلى تحقيق هذه المحاولة، ولبى دعوتى — وإن يكن فى أفق محدد — أبوريده فى كتابه عن «النظام»

وها هو الدكتور البير نصرى نادر اليوم يعالج فى مؤلفه القيم «فلسفة المعتزلة» الأمر علاجا فى مشمل فيجمع من التفرق وحدة، ويكون من الشمت انسجاما، ويبرهن عمليا على أن الاعتزال مذهب فلسفى فى أدق ما يدل عليه هذا التعبير

وقد كلفه ذلك عملا مطردا، وجهدا متصلا، واطلاعا وقراءة مصادر قد يعز أحيانا استنفاذها والوقوف على كنهها — وكان نجاحه واضحا فى التعبير عنها وتقريب مافيها للقارئ المادى، ولم يقنع بعرض أفكار المعتزلة وحدها بل شاء ردها إلى أصولها، فكان له فى هذا اجتهاد ملحوظ

وقد يكون هذا الاجتهاد محل أخذ ورد أحيانا، ولكن من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر اجتهاده .

وقد يعيب عليه بعض المستشرقين أنه لم يستوعب ما كتبوا، ولم يشر إلى ما ألفوه فى هذه الناحية، وهو جد كثير . ويظهر أنه آثر المصادر الإسلامية على ما اتصل بها من مؤلفات أجنبية

فإنى أهنئ حضرة المؤلف تهنئة خالصة على هذا البحث الرزين الهادى . وأرجو أن يتابع هذه الناحية بحثا وتفصيلا

ابراهيم مدكور



نقد مسرحي:

« مسمار جحا »

للأستاذ أنور فتح الله

تأليف : الأستاذ على أحمد باكثير
تمثيل : فرقة المسرح المصرى الحديث
إخراج : الأستاذ زكى طليمات

افتتحت فرقة المسرح المصرى الحديث موسمها التمثيلى هذا العام بمسرحية « مسمار جحا » . واختيار هذه المسرحية يعد نقطة تحول فى اتجاه هذه الفرقة ، فقد بدأت تتجه نحو المسرحية التى تستجيب لواقع الحياة المصرية ، فتعالج مشاكلها، وتصور آمالها وآلامها

فالمسرحية تدور حول قضية البلد الأولى . . قضية الحرية والاستقلال . وقد اختار المؤلف جوا أسطوريا ليبرز فيه الموضوع، ولجأ إلى الرمز للقضية المصرية ، بقضية « مسمار جحا » . واستغل شخصية « جحا » الساخرة ليعبر بلسانها عن آلام المجتمع وأمانيه ، وليبين بمنطقها القوى الساخر وجه الحق ووجه الباطل فى قضية الحمل والذئب

ولم يتخير المؤلف شخصية معينة لجحا . . بل اختار شخصية خيالية ليتحرر من النطاق التاريخى الضيق . ومع هذا فإن شخصية جحا التركى كانت أقوى الشخصيات المحبوبة تأثيراً عليه

ويجدر بنا — قبل أن نعرض للمسرحية — أن نبادر فنسجل للأستاذ باكثير فضل السبق فى إبراز شخصية جحا الساخرة فى عمل فنى . وكذلك نسجل له توفيقه فى اختيار الموضوع الحى الذى تتحرك فيه هذه الشخصية ، وبهذا توافر له ما لم يتوافر لغيره من عوامل النجاح ، وهو الشخصية الروائية المحبوبة من الشعب ، والموضوع الحى الذى يشغل الأذهان ، وخاصة فى هذه الأيام

والمسرحية تصور حياة جحا من جانبين : الجانب العام ، والجانب الخاص

أما الجانب العام ، فيصور الصراع بين جحا والشعب من ناحية ، وبين المستعمر ممثلا فى الوالى والحاكم من ناحية أخرى . وأحداث المسرحية الرئيسية تسير فى هذا الخط لتحقيق الغرض الأول الذى يهدف إليه المؤلف؛ وهو علاج القضية التى تتصل بصميم الواقع المصرى

أما الجانب الخاص ، فيصور الصراع بين جحا وامرأته، ومن وراء جحا ابنته ميمونة ، وابن أخيه حماد . وتسير أحداث هذا الخط لتحقيق الغرض الثانى من المسرحية ، وهو تصوير الجانب الإنسانى فى حياة جحا . ويبدو لنا أن المؤلف قد اعتمد على هذا الجانب ليستغل هذه الشخصية المرحة الساخرة فى إثارة الضحك

وسنستعرض المسرحية ، ونتتبع المؤلف فى هذين الخطين لنرى إلى أى حد وصل إلى تحقيق غرضه

. . فى مدينة الكوفة . . نرى « جحا » يعظ الناس أمام أحد المساجد . . وعندما يتبين للوالى أنه يبصر الناس بما هم فيه من بؤس ، يعزله من عمله . . ويعود جحا إلى داره خائفا من زوجته السفيهة . . السليطة اللسان . . فيقابله ابن أخيه حماد ويشير عليه بأن يعمل فى زراعة الأرض ، وعندما يوافق جحا على ذلك ، يسمع دق الطبول . . وإذا بالجراد قد سدت أرجاله الأفق . . وأتى على زرع البلاد !

. . ويثور الفلاحون على الملاك ، ويقود حماد الثورة ، ويفاوض جحا الحاكم المستعمر ، فيخلص الثوار من ظلم الملاك ، ويعينه الحاكم قاضيا لقضاة بغداد . . ونرى زوجته « أم الغصن »

وقد صارت أخلاقها أسوأ مما كانت ، وأفسدها البطر ، وقد جمعت الخاطبات ليبحثن لابنتها عن زوج ثرى. . ويأتى حماد ، فيخبره جحا بأنه قد عزم على أن يقوم بعمل خطير من شأنه أن يجلى المستعمر عن البلاد ، وذلك بأن يهيء السبيل لتعرض أمامه قضية تشبه قضية البلاد ، فيشغل بها الرأى العام ، ثم يفصل فيها بما يبطل حجة الغاصب الدخيل ، ويتفقان على أن يهب جحا داره لحماد ، فيبيع حماد الدار ، ويشترط على مشتريها أن يبقى له حق التمتع بمسمار فى جدارها ! .

... وتعرض على جحا قضية المسمار ، ويشهد الحاكم الأجنبى المحاكمة . . ويثور الشعب على صاحب المسمار ، وينتصر لصاحب الدار فيصيح حماد فى الناس قائلا « ويلكم ، ترون المسمار الصغير ، ولا ترون المسمار الكبير ! . هذا صاحبه فيكم ، مروه بنزعه أو فانزعوه بأيديكم ! . » وهنا ، يأمر الحاكم بالقبض على جحا ، ويفر حماد

... ويذهب الحاكم إلى السجن ، ليطلب من جحا إخماد الثورة ، ودعوة الشعب إلى السكينة ، فيطلب منه جحا أن يجلو وجنوده من البلاد ، فيأبى الحاكم

... وتشتد ثورة الشعب ، فيضطر المستعمر إلى الجلاء ، ويخرج جحا من السجن ، ويزوج ابنته من حماد ، رغم أنف امرأته

هذا هو الخط الرئيسى للأحداث الذى يصور الصراع الأول فى المسرحية

وبتتبع هذا الخط نرى أن المؤلف قد أذاع سر مؤامرة جحا وحماد قبل عرض قضية المسمار ، وبهذا قضى على عنصر التشويق فى أهم أحداث المسرحية . فأضاع الأثر القوى لهذا المشهد الذى يرمز لقضية البلاد

كذلك أخمد دخول امرأة جحا فى مشهد القضية من حرارة الأثر النفسى ، فأبطل فعل الأحداث السابقة لدخولها ، وحول انتباه المشاهد عن قضية المسمار ، وهى قضيته ، إلى شكوى أم الغصن من زوجها ، فقضى المؤلف بهذا على التركيز الذى يجب أن يوجه انتباه المشاهد إلى القضية

ولقد كان مشهد مقابلة الحاكم لجحا فى السجن طويلا ، فطال بذلك حديثهما عن الجلاء حتى أصبح الحوار مباشرا بعد أن كان رمزيا ، ومال إلى النغمة الخطابية ، وفقد بذلك الضباب الذى يكسو العبارات الرمزية التى تلمح للواقع فتجذب انتباه المشاهد ليتبين نفسه من وراء هذا النقاب الخفيف

هذا . . وبخروج جحا من السجن ، بعد أن جلا المستعمر عن البلاد ، تنتهى الأحداث الرئيسية للمسرحية ، وبذلك تنتهى المسرحية دراماتيكيا . ولهذا فلا تأثير للأحداث اللاحقة . وكان من الخير أن تنتهى المسرحية فى نهاية المنظر الخامس ، وذلك لأن الحركة فى المنظر السادس بدت بطيئة مملة لانعدام ما يشوق المشاهد أو يجذبه

... أما الخط الثانى ، الذى يصور الصراع بين جحا وامرأته ، والذى أراد المؤلف من ورائه أن يثير الضحك فيتلخص فى إبراز سفاهة أم الغصن وشراستها فى معاملة جحا ، وكراهيتها لحماد ، واستعانتها بالخاطبات ليبحثن لابنتها عن زوج ثرى . وقد استنفذ إبراز هذه النواحى جزءا كبيرا من المنظر الثانى ، والثالث ، والرابع ، والمنظر السادس بأكمله تقريبا . وقد أدى هذا التكرار فى تصوير اللون الواحد فى هذه المناظر إلى ركود الحركة المسرحية ، وانعدام التأثير على المشاهد، فبدت هذه الأجزاء مملة إلى حد الضيق . وقد خلا أغلب هذه الأجزاء من المفارقات الطبيعية التى تشيع المرح وتثير الضحك، وذلك لأن المؤلف اقتصر على تصوير الشجار بين جحا وامرأته ، وتكرار هذا الشجار فى صورة واحدة تقوم على الشتائم من ناحية أم الغصن ، وردود جحا الفلسفية من الناحية الأخرى

أما شخصية ابن جحا « الغصن » فقد خلقها المؤلف ليثير الضحك أيضاً ، وأورد على لسانها بعض نوادر جحا المعروفة ، كترغيبه الخاطبات فى أخته بقوله إنها حامل فى شهرها

السادس ... وقد أبرزه المؤلف أبله فى أقواله وأفعاله واقتصر على إبراز هذا اللون الواحد فى كل مشهد ظهر فيه ، فهو يبحث عن ديكه ، ثم يتخيل أنه ذبح فيبكيه ، وهو ينقلب ديكا وبهـذا التكرار أبطل المؤلف الأثر الذى أراده لهـذه الشخصية وهو إثارة الضحك

أما النوادر التى أوردها المؤلف على لسان جحا وابنه ، والتى استعارها من نوادر جحا التركى . فقد وفق فى وضع بعضها فى الأحداث التى تجعل لها دلالة واقعيـة لقضية المسمار ، وخطبة العيد ، وحديثه عن الجمال ، أما قصة القدور ، وانقلاب الفصن ديكا ، وغير ذلك من النوادر التى فقدت تأثيرها الضاحك لأنها أصبحت « قديمة » بالنسبة للشعب ؛ فكنا نرجو أن يستبدلهـا المؤلف بنوادر أخرى من خلقه تتصل بالأحـداث وتسخر من بعض أمراضنا الاجتماعية

وبعد . فقد دفعنا تقديرنا وإعجابنا بهذه المسرحية أن نعدد مآخذها وهى قليلة بالنسبة لمحاسنها .. وأغلبها يقع فى الخط الذى يصور الصراع الثانوى .. أما الخط الذى يصور الصراع الرئيسى فقد كان أغلبه كامـلا من حيث البناء ، وإنا لنحمد للمؤلف اتجاهه القوى فى عمله الفنى . .

. . وقد قام بإخراج هذه المسرحية الأستاذ زكى طليمات . . وسار فى إخراجه على المذهب الإيحائى الذى اتجـه إليه فى السنوات الأخيرة . . فكان موفقا فى خلق الإطار المـادى .. وبرزت رمزيته فى منظر السجن ، حيث تعاونت الأضواء الخافتة مع المنظر على إشاعة جو السجن القاتم ، الرهيب . . . وقد نجح فى تحريك المجموعة ، وأحسن استغلالها فى إحياء الجو النفسى وخاصة فى منظر المحكمة

. . . وقام الأستـاذ سعيد أبو بكر بدور « جحا » . . فاستطاع بفهمه العميق لهـذه الشخصية ، وأدائه الطبيعى ، أن يصور الألوان العاطفية المختلفة التى رسمها المؤلف

... وقام الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى بدور الحاكم المستعمر فأفصح بحركاته الهادئة الرصينة عن غطرسـة الناصب وتبلد إحساسه وموت ضميره . . وعبر بعبارته القوية العميقـة عن منطق الظالم الذى يصم أذنه عن سماع صوت الحق القوى

. . . وقام الأستاذ عبد المنعم إبراهيم بدور « الفصن » ، فنبعث الحياة فى هـذه الشخصية الخفيفة ، واستطاع تجسيم خطوطها الدقيقة بأدائه الطبيعى

أنور فتح الله



هو سماع الحديث . لا سماع الغناء :

يمر الإنسان أحيانا أثناء مطالعاته على أشياء تستدعى النقد أو تستوجب التصحيح فيتجاوزها . ولا يعنى بها لأنه إذا تولى نقد أو تصحيح كل ما يمر عليه فإنه لا يجد من الوقت مايسعه، ومن هدوء البال ما يعينه . وقد ينشط أحيانا فينهض لبيان مايجد من خطأ وبخاصة عندما يقف على أمر لا يصح السكوت عليه أو الإغفاء عنه

ومن ذلك أنى كنت أقرأ فى الجزء الثانى من كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ الذى خرج بتحقيق وشرح الأستاذ الفاضل عبد السلام هارون فإذا بى أجد فى الصفحة ٣٢٢ من هذا الجزء :

« وقال ابن عون : أدركت ثلاثة يتشددون فى السماع ، وثلاثة يتساهلون (فى المغانى) فأما الذين يتساهلون ، فالحسن والشعبى والنخعى ، وأما الذين يتشددون محمد بن سيرين والقاسم ابن محمد ورجاء بن حيوة »

وقد حسب الأستاذ هارون أن السماع فى هذا الجزء هوسماع الأغانى ! فآثر كلمة (المغانى) بالمعجمة التى وجدها فى بعض نسخ الأصول؛ على لفظها بالمهملة التى جاءت بأصول أخرى، وأخذ يفسرها على ما ظن تفسيرا لا أدرى إن كان يرضى أئمة اللغة أم يغضبهم !

فقال فى شرح الكلمة (المغانى جمع مغنى مصدر ميمى من غنى يغنى ا ل والتيمورية . المعانى بالمهملة تحريف) أى أن هذه الكلمة قد جاءت فى نسخة مكتبة كوبرلى والنسخة التيمورية بالمهملة

والذى قال عنه الأستاذ أنه تحريف هو الصحيح، وأن صحة الكلمة المعانى بالمهملة كما جاءت بهاتين النسختين، والسماع هو سماع الحديث النبوى لا سماع الأغانى

وقد جاءت عبارة ابن عون هذه لأن نقل حديث رسول الله على حقيقة لفظه أو بمعناه كان موضع خلاف بين الصحابة ثم امتد هذا الخلاف إلى التابعين ومن بعدهم (١) فكان من الصحابة الذين يجوزون رواية الحديث بالمعنى : على وابن عباس وأنس وجماعة معهم ، وكان الذى يمنع ذلك ابن عمر، أما التابعون فكان الذين يتشددون فى رواية الحديث على لفظه ، محمد بن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة ، والذين يتساهلون فى ذلك الحسن والشعبى والنخعى ، ومن هنا جاءت كلمة ابن عون التى رواها الجاحظ

هذا وللأستاذ هارون خالص تقديرى لعنايته بتراثنا الأدبى ونشره ، وبخاصة لنشره آثار شيخنا الجاحظ وعنايته بتحقيقها وشرحها

المنصورة محمود أبو رية

الأستاذ الناصرى ولسان العرب :

نشرت الرسالة فى العدد ٩٥٥ ص ١٢١٥ من السنة التاسعة عشرة ردا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى ارتكب فيه خطأين وفاته أمران

فالخطأ الأول أنه ذكر مؤلف لسان العرب باسم ابن منصور (بالصاد المهملة) الأندلسى ، والصواب أنه ابن منظور بالظاء المعجمة ، ولم ينسب إلى الأندلس ولكنه إفريقى الأصل مصرى المولد والوفاة ، ولذا ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة باسم محمد ابن مكرم الأنصارى الإفريقى ثم المصرى

والخطأ الثانى أنه قال عن ابن منظور أنه أقدم مؤلفى المعاجم بعد ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . مع أن ابن منظور نفسه ذكر فى مقدمة مؤلفه لسان العرب فى الجزء الأول ص ٢ و ٣ أنه جمع مؤلفه لسان العرب من الأصول الآتية :

ا — تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ والتهذيب لا يزال مخطوطا

ب — المحكم لابن سيده — بكسر المهملة وسكون آخر

(١) ارجع إلى بحثنا الذى نشرناه فى العدد ٩٣٦ من الرسالة عن (رواية الحديث بالمعنى)

الحروف وفتح الدال المهملة بعدها هاء ساكنة المتوفى سنة ٤٥٨ — ولا يزال مخطوطا — أما مؤلفه الآخر المخصص فطبع فى بولاق فى ١٧ سفرا بين سنة ١٣١٦ و سنة ١٣٢١

ج — صحاح الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ — والصحاح طبع فى بولاق سنة ١٢٩٢ فى جزءين

د — حواشى ابن برى المتوفى سنة ٥٨٢

هـ — النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير المحدث المتوفى سنة ٦٠٦ وهو شقيق المؤرخ المتوفى سنة ٦٣٠ . والنهاية طبعت فى مصر سنة ١٣٢٢ فى أربعة أجزاء

هـذا ما ذكره ابن منظور وفى ترجمته زيدت الجمهرة لابن دريد . والجمهرة طبعت فى الهند فى ثلاثة أجزاء والرابع للفهارس بين سنة ١٣٤٤ و سنة ١٣٥٢ — فالقول بأن مؤلف لسان العرب هو أقدم مؤلفى المعاجم بعـد ابن دريد قول خاطئ يرده ابن منظور نفسه فى صدر مؤلفه

وأول الأمرين — أنه قدم تاج العروس فى الذكر على القاموس وذكرهما بطريقة توهم انفصالهما . وكان الأولى أن يقول : ذكر الفيروزبادى المتوفى سنة ٨١٧ فى القاموس كذا وذكر الزبيدى فى شرحه على القاموس المسمى تاج العروس كذا وكذا

والثـانى أنه ذكر عن مختار الصحاح ما يدل على أنه فرع للسان العرب مع أن الرازى المتوفى سنة ٧٦٠ اختاره من صحاح الجوهرى الذى هو أحد أصول لسان العرب كما سلف الذكر وراعى فى اختياره ألفاظ القرآن العزيز واجتناب عويص اللغة وغريبها ، كما حرص على اختيار ألفاظ الأحاديث النبوية، فهو على صغره جليل الفائدة جزيل النفع ويعتبر تهذيبا لصحاح الجوهرى . فالمختار من أصول اللغة وإن صغر حجمه . لذا أرجو تفضلكم بنشر هذا

عبد السلام النجار

كلام مردود :

يقول الأستاذ الناصرى مخاطبا الأستاذ سيد قطب « قرأت تعقيبك على مقال السيد سامى أمين ، فاستغربت من كاتب كبير له مكانة فى العالم العربى أن يتصدى للرد على أديب لم نسمع به عدا هذه المرة » وهـذا كلام مردود ، إذ أن أدباءنا الكبار أساتذة مرشدون ، ومن واجبهم أن يسعفوا القراء بالتوجيه والتصويب ، ثم ما معنى قول الكاتب « لم نسمع به عدا هـذه المرة !! » أفيعتقد أن النشر المطبعى أساس « أولى » للنقاش العلمى بين الأدباء !! أفلا يعلم أن كثيرا ممن ينشرون القصائد والمقالات، بالصحف والمجلات، يقابلون بالإعراض والاستخفاف؟! على أنى سمعت بالسيد سامى أمين قبل ذلك بمجلة الثقافة الغراء ، أفيكون هذا وحده شفيعه لدى الناصرى فيبيح للأستاذ قطب أن يرد عليه بما يشاء !!

هذا وفى تعقيب الناصرى — على قصره — أخطاء نحوية وإملائية وذوقية نكشف عن بعضها للقراء

١ ـ يقـول الكاتب « لأنك أثبت أنك وأخـوك ! » والصواب وأخاك

٢ ـ ويقول « وأرجو أن لا تكون فى المستقبل إلا فى المكان المرموق » وهو تركيب متهافت ، ولا يستقيم إلا بحـذف النفى والاستثناء ، وبه خطأ إملائى ، وصوابه إلا تكون

٣ ـ ويقول « وأما عن آرائك فى النقـد فيكفى أن تكون صاحب كتاب العدالة الاجتماعية فى القرآن » و كتاب العـدالة الاجتماعية فى الإسلام لا يمت إلى النقد الأدبى بسبب من الأسباب « وبعد » فهل للأستاذ الناصرى أن يصحح أخطاءه قبل أن يتعقب الكتاب

(الرمل) محمد رجب البيومى

١ — ايضاح :

أخذ على الأستاذ الكريم أحمد عبد اللطيف بدر المدرس بثانوية بور سعيد ، فى العدد « ٩٥١ » من الرسالة بعض المآخذ، وأنا بعد شكرى له على تنبيهى أود أن أذكره بأننى ما كنت أود عند ما تكلمت عن بيت أبى نواس

عندها صاح حبيبى يامملى ، لا أعود

أن أذكر البيت إلا من ناحية العروض، لذا فإن تنبيهه لى



فـــراق

للكاتب الإنجليزى ايان توماسون

للأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

كانا يسيران فى شارع أوكسفورد، ثم توقفا من السير.

وقال جورج ويده على ذراعها «هذا هو المكان أحسب أنك ستجدين هنا ما تودين الحصول عليه»

وأطرقت هيلين، بيد أن عينيها كانتا ترنوان إلى نافذة الحانوت. لقد كان هو الذى اقترح شراء القبعة

وأشار صوب النافذة قائلا — ها هى ذى القبعة السوداء. ما رأيت فيها؟ إنها تناسب رداءك

وارتجفت شفتاها. إن أشد ما يحبها فيه هو اهتمامه الزائد بلبسها.. لطالما ولد لها ذلك شعورا بدوام الشباب، ولو أنها تعرف من صميم فؤادها بأن شبابها قد ولى وراح

وأجابت قائلة وقد تجنبت أن تلتقى عيناها بعينيه، فقد كان فى عينيها الكثير مما لا تود أن يلاحظه مطلقا. «أجل. إنها مناسبة»

ودلفا إلى الحانوت. وبرزت أمامهما إحدى العاملات فوصفت لها هيلين القبعة. وفى هذه اللحظة ودت لو لم تأت إلى الحانوت بيد أن جورج كان لحوحا. فقد كان يود أن يهديها هدية ما، هدية فراق كما يقول

إنه يبتسم الآن، ابتسامة صادرة من عينيه الزرقاوين الصافيتين فأثار ذلك دهشتها. ومع ذلك، لماذا تدهش؟ وكانت تسأل نفسها هذا السؤال فى الوقت الذى أخذت القبعة من يد العاملة ووضعتها فوق شعرها الذى تخلله الشيب. لقد كانت تفخر دائما بأنها عصرية. إن من دواعى الدنية أن نواجه مثل هذه الحوادث فى شجاعة عندما تقع، فإذا وقعت..

وعادت بها ذاكرتها إلى الماضى. ورأت نفسها أمام المرآة ترفل فى ثياب العرس، لا فى رداء أسود كما هو حالها الآن. ولم تفكر فى المستقبل إذ ذاك، ولم تهتم به مطلقا، فقد كانت غارقة فى منتهى السعادة

ومرت خمس دقائق قبل أن يخرجا من الحانوت ويسيرا تحت الشمس المشرقة. ثم اقترح جورج بعد أن ألقى بنظرة إلى ساعته أن يحتسيا الشاى، وقال وقد بدت فى عينيه لهفة مكبوتة لم تستطع أن تسبر غورها «إنى أعرف مقهى هناك ...

وجلسا فى مقهى صغير هادئ. وطلب جورج الشاى، ثم اتكأ

كان فى محله من ناحية القاعدة النحوية، أما قوله عن أننى أخطأت فى كتابة «إن شاء الله» على هذه الصورة «إنشاء» فأرجو أن يعلم أن اندماج الحرف بالفعل جاء بسبب الطابع والتبعة فى ذلك تقع على عاتق مصحح «البروفات» وأنا أعتذر له..

٢ — اعتذار:

أشكر للشاعر الرقيق الأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو حسن ظنه بأخيه وأعتذر له لأننى لم أقرأ كلمة «قطف» بالتضعيف فى حينه، أما قوله:

واها لأزهارى التى «قطفتهن» لتفرحى

سالم من كل عيب عروضى، وأخيرا يسرنى أن تكون هذه الكلمة بدء صداقة بيننا، وله منى خالص الود والإعجاب

٣ — ديوان «العاصى»:

المرحوم أحمد العاصى شاعر مات فى ريعان شبابه منتحرا سنة ١٩٣٠ م وقد طبع ديوانه سنة ١٩٢٦ هـ وبما أننى فى صدد كتابة بحث مفصل عنه وقد كتبت إلى كثير من مكتبات القاهرة فلم أوفق للحصول على نسخة منه؛ أرجو من إخوانى فى مصر ومن جميع قراء الرسالة ممن يعثرون على هذا الديوان أن يبعثوا لى بنسخة منه بعنوانى المدون أدناه.. وأنا على استعداد لإرسال ما يطلبون من ثمن.. وله خالص شكرى

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصرى

على مقعده دون أن يتفوه بكلمة ، ولكن يده أقبلت تعبر المائدة ثم أمسكت بيدها

وصاحت في أعماق نفسها — يا إلهي ، لا تجعلني أبكي . لا أود ذلك وهو معي — وأقبل الشاي ، واحتسى قدحه في سرعة ، ثم أشعل لنفسه لفافة وأخيرا قال « أواثقة أنت أنك تودين الإقامة وحيدة في تلك الدار ؟ أعني ... حسن ، إني لأشعر بالضيق من جراء هذا الأمر ، إذا كان هناك ما أستطيع أن أفعله ... »

نعم كان هناك شيء واحد ، ولكنه يعتبر ضعفا لو اقترحته . وهزت رأسها بالنفي . إنها لا تود مطلقا أن يشعر نحوها بشيء من وخز الضمير . حسبها أن كان لها طوال الأعوام المنصرمة

وقالت — كلا ، في الواقع سيكون كل شيء على ما يرام

ولكنه كان يبدو عليه أنه لا يزال مترددا في الأمر . ثم قال : هناك شيء واحد أود أن أشير إليه . إني لم أتحدث عنه من قبل لأني أعرف — حسن ، أعرف أن شديد حساسيتك في مثل هذه الموضوعات — » ثم صمت لحظة استطرد بعدها يقول في سرعة وعينيه تتحاشيانها » إنها مسألة النقود . لقد اتفقت مع البنك — »

والتهبت وجنتاها . وتلعثمت قائلة — أوه .. جورج . لا ينبغي لك أن — فقاطعها قائلا في رنة يشوبها الغضب — ولم لا ؟ إن هذا ما أود أن أفعله . وساندرا — » وتردد قليلا بعد أن أشار إلى اسم الفتاة ثم قال — إنها وافقتني على ذلك . فقد كنا نتحدث عنه ليلة أمس

ساندرا .. كنا .. وجعلت هيلين تفكر في ألم ، إنه يتحدث عنها في سهولة وبغير كلفة ، مع أنه لم يلتق بها إلا منذ شهرين . شهران .. هل كانا في الواقع شهرين منذ أن ذهب إلى لندن بسبب أعماله ؟

لقد أدركت بالطبع بعد أن عادت أن هناك شيئا ما على الرغم من أنه لم يشر إليه بأية كلمة . وأنبأتها غريزتها النسائية أنه لم تمد لها كلمة بعد الآن . لقد شاركتها الأخرى فيه . شاركتها فتاة ، شابة ، نضرة ، حسناء . وولدت لها الصورة التي تخيلتها شعورا من القلق والفزع . لقد استبدل عمله بعمل آخر في لندن . وذهب ليعيش هناك . ولم تره منذ شهر ، ولم تلتق بالفتاة مطلقا

ساندرا .. لقد كانت ذكية جدا كما حدثها . ولكن هذا لا يهمها في شيء . فإذا كنت تحب بكل جارحة في قلبك فإنك لا تفكر في ذكاء تلك التي جعلتك تفقد من أحببت . هل هي لطيفة حقا ؟ وهل ستحاول إسعاده كما حاولت هي من قبل ؟

ساندرا .. كان للاسم رنين خاص في أذنيها . إنك لا تستطيع أن تتصور أي فرد يحمل ذلك الاسم — وانجذبت عينا هيلين إلى فتاة دلفت إلى المقهى وجعلت تتطلع حولها في تردد — حسن لعلها تحمل مثل هذا الاسم

واستدارت الفتاة . كانت باهرة الحسن ، ساحرة ، في حياء يجذب القلوب . وتأملتها هيلين بلا شعور . ثم اتسعت عيناها في دهشة مباغتة عندما هب جورج واقفا وأسرعت الفتاة صوب مائدتها

واستمعت إلى صوت في ذهول وهو يقول « إذن فقد استطعت المجيء يا عزيزتي »

ثم التفت إليها وقد أشرقت الابتسامة على وجهه وقال « مفاجأة صغيرة . هذه ساندرا يا أماه .. عروس الغد السعيدة ! »

محمد فتحي عبد الوهاب



ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل

بالقطارات السريعة والاكسبريس

ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٥١ قد أعدت عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل

بالقطارات السريعة والاكسبريس

بخطوط (١) مصر — الاسكندرية (٢) مصر — بورسعيد

(٣) مصر — دمياط (٤) مصر — رفح (٥) خط الوجه القبلي

ولزيادة الايضاح المرجو الاطلاع على الإعلان المعروض بالمحطات .

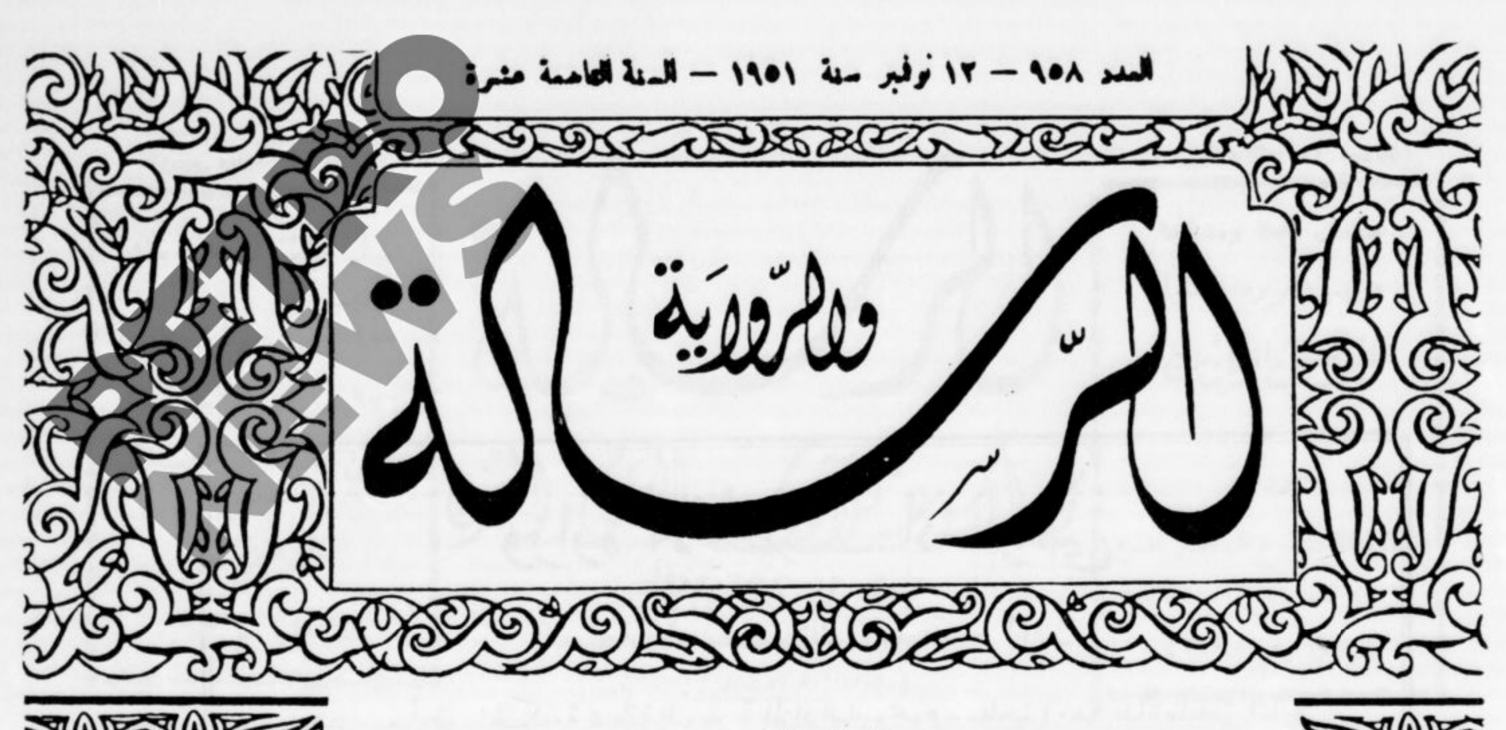
المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة



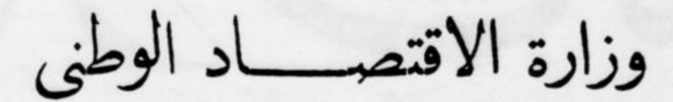
العدد ٩٥٨ — ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧ ، ٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



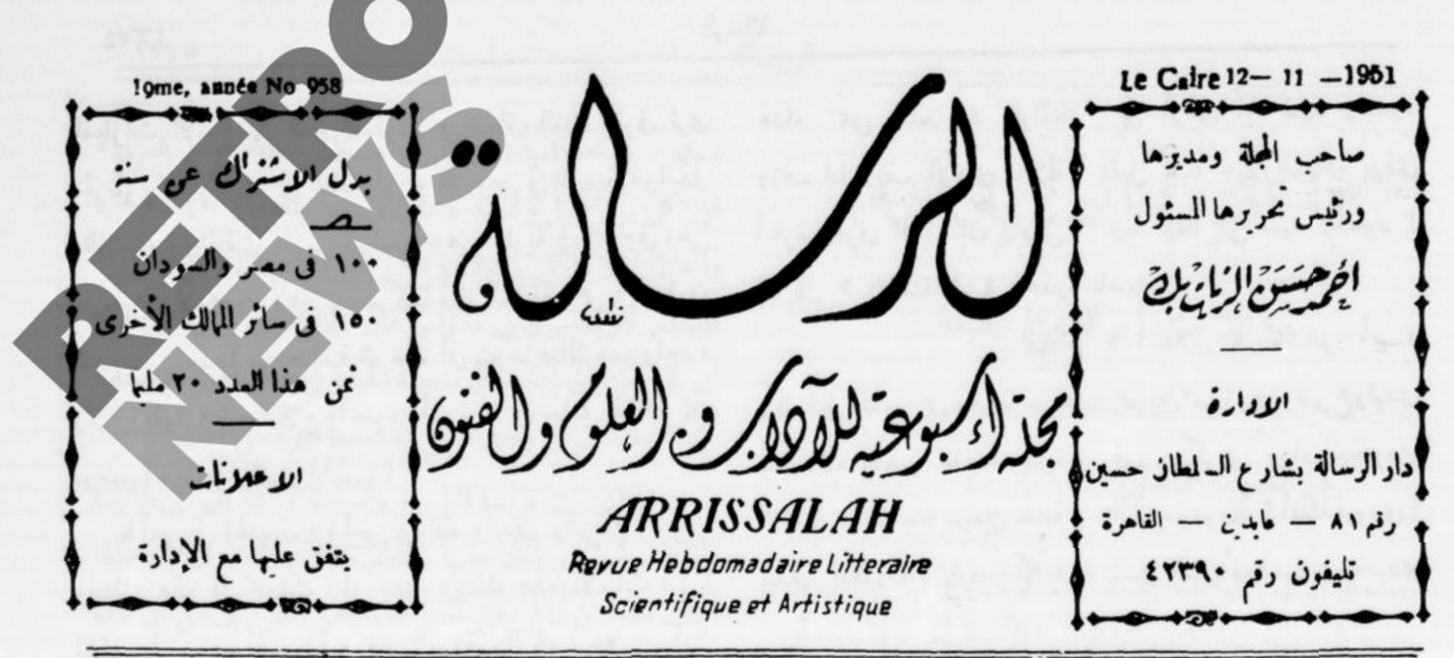
وزارة الاقتصـــاد الوطنى

مصلحة الأمـــلاك الأميرية — اعلان

عن بيع أرض الحكومة بمنطقة النوبارية بالمزاد العام ومجموع مسطحها ٩٨٠١ فداناً بالمناطق التالية

الجهـة	المديرية	مجموع المسطح بالتقريب فدان	عدد القطع	تاريخ جلســات البيع	مكان انعقاد الجلسة
حوش عيسى	البحيرة	٩٣١	١٤	١٥ و ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥١	ديوان المصلحة
زاوية حمور	»	٤١١٠	٣٣	٤ و ٥ و ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥١	» »
الأبقعين	»	٢٠٠٠	٣٧	٢٥ و ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥١ و ٩ و ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١	» »
البستان	»	٢٧٦٠	٣٥	١٦ و ١٧ و ٢٣ و ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١	» »
		٩٨٠١			

ويمكن الحصول على البيانات التفصيلية والاطلاع على الخرائط بديوان المصلحة رقم ١٥ بشارع منصور بالقاهرة أو من قلم أملاك المديرية ٩٥٨٧



19me. année No 958

Le Caire 12 — 11 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات بك

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ صفر سنة ١٣٧١ — ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

إلي أخى فى الجنوب

للأستاذ أنور المعداوى

« يا أخى ؛ يا أخى فى الله والدين والوطن .. إن الأرض التى جمعت بين قلبى وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذى ربط بين روحى وروحك ليربط بين كفاح وكفاح . أنا هنا وأنت هناك ؛ ويا بعد الشقة فى منطق الظلم البغيض ويا قربها فى منطق الحب المتغلغل بين طوايا الوجدان .. نحن يا أخى فى ميدان الجهاد يد تمـد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة !

من الحق أن ننعت الإنجليز بأنهم مثاليون فى بلادهم ؛ مثاليون فى قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الضمير .. ومن الحق أيضا أن ننعتهم بأنهم مثاليون فى غـير بلادهم ؛ مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضيعة الضمير والخلق ، وانحطاط الشعور والإنسانية ، وانتفاء العـدل والإنصاف . . وتلك هى العناوين الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة ، حين يعرض للحكم البريطانى فى كل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان !

يا أخى ، يا أخى فى الله والدين والوطن .. إن الأنشـودة الرائعة التى بدأناها فى شمال الوادى ، أنشودة الجهاد التى انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنـوبه ، وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان .. ولـكن أنغامنا ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولـكن نارنا ستظل إلى الأبد تضىء الطريق للحائرين ، ولـكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطرا يفوح !

ولا علينا يا أخى من تلك القـيود .. إن معدنها الرخيص سيذوب يوما تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع ! ألا ليت الطغاة قد جعلوا شعار حـكمهم هذه الـكلمات التى انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهام لنـكولن : « إن ضوء الشمس لا يفرق فى يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية فى أيدينا بين أنصار وخصوم » ؟ !

ومع ذلك فسنمضى اليوم وغدا جنـبا إلى جنب ، وقلبا إلى قلب ، وعيوننا أبدا إلى الأفق البعيد » !

هذه كلمات وجهتها بالأمس على صفحات الرسالة ، إلى كل سودانى كريم على نفسه وكريم على وطنه ؛ كل سـودانى أنزله من نفسى منزلة الود الخالص والأخوة المتسامية ، الأخوة التى استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد . . واليوم ومعاول الاستعمار تحاول أن تهدم صرح الوحدة المقدسة ، يطيب لهذا القلم أن يقطف من روضة الشعور تلك الكلمات ، أو تلك الزهرات التى يدعو الله مخلصا أن يتضوع منها العبير ويعبق الأرج ؛ عبـير الوطنية المتدفقة وأرج الوفاء الخالد ، هناك فى أقصى الجنوب حيث تخفق للدعاء قلوب وقلوب . .

إن الشمل لن يتفرق ، وإن البناء لن يتصـدع ، ما دامت هذه

القطرات الأبية من الدم المسفوك على ضفاف القناة وفوق ثرى الخرطوم ، قد ألقت على الطغاة أروع الدروس فى التضحية والبذل والفداء ، وأقلقت منهم المضاجع وهى سارية فى العروق وهى جارية على الأرض ، وهى فى حركة الحياة الطليقة وهى فى سكون العدم .. وحسبها من قداسة الوحدة أن يثيرها هناك عدو واحد ، وأن يريقها هنا سلاح واحد ، وأن ترتد فى نهاية المطاف إلى موضعها من هذا الثرى الحبيب !

يا أخى فى الجنوب ، يا أخى فى الله والدين والوطن .. بيننا وبينك هذه الكلمات ، أو بيننا وبينك هذه الأبيات ، إنها لشاعر لم يعرف فى حياته غير الصدق والوفاء ، حين يكون الصدق مترجما عن خفقة القلب ، وحين يكون الوفاء معبرا عن يقظة الضمير .. ولقد أهداها إليك بالأمس وما أشبهه باليوم ، حين مضت طلائع المرجفين تبذر بذور الفرقة بين الصفوف وتترك كلمة الله لتتبع خطوات الشيطان .. إن على محمود طه لا يزال يرفع صوته من وراء الأبد ، ليقدم إليك لوعة الشعر فى محنة الشعور :

أخى إن وردت النيل قبل ورودى ... فحى ذماى عنده وعهودى
وقبل ثرى فيه امتزجنا أبوة ... ونسله لابن لنا وحفيد
أخى إن أذان الفجر لبيت صوته ... سمعت لتكبيرى ووقع سجودى
وما صغت قولا أو هتفت بآية ... خلا منطق من لفظها وقصيدى
أخى ! إن حواك الصبح ريان مشرقا ... أفقت على يوم أغر سعيد
أخى إن طواك الليل سهمان سادرا ... نبا فيه جنبى واستحال رقودى
أخى ! إن شربت الماء صفوا فقد زكت ... خمائل جنانى وطاب حصيدى
أخى ! إن جفاك النهر أو جف نبعه ... مشى الموت فى زهرى وقصف عودى
فكيف تلاحينى وألحاك .. إننى ... شهيدك فى هذا .. وأنت شهيدى !
حياتك فى الوادى حياتى ، فإنما ... وجودك فى هذى الحياة وجودى

* * *

أخى إن نزلت الشاطئين فسلهما ... متى فصلا ما بيننا بحدود ؟
رمانى نذير السوء فيك بنبأة ... تجلل بالأحزان ليلة عيدى
وغامت سمائى بعد صفو وأخرست ... مزاهر أحلامى ومات نشيدى
غداة تمنى المستبد فراقنا ... على أرض آباء لنا وجدود
وزف لنا زيف الأمانى علالة ... لعل بنا حب السيادة يودى
أخوتنا فوق الذى مان وادعى ... وما بيننا من سيد ومسود !
إذا قال « الاستقلال » فاحذره ناصبا ... فخاخ « احتلال » كالدهور أبيد
وكم قبل منانى على وفر ما جنى ... بحربين، من زرعى وضرع وليدى
فلما أتاه النصر هاجته شرة ... فهم بنكرانى ورام جحودى
ألا سله ، ماذا بعد سبعين حجة ... أألعجز موعودى ؟ أفك قيودى ؟
يبدلنى قيدا بقيد كأنه ... مدى الدهر فيها مبدئى ومعيدى

* * *

أخى ! وكلانا فى الإسار مكبل ... نجر على الأشواك ثقل حديد
إذا لم تحررنا من الضيم وحدة ... ذهبنا بشمل فى الحياة بديد
وما مصر والسودان إلا قضية ... موحدة فى غاية وجهود
سئمنا هتاف الخادعين بعالم ... جديد ، ولما يأتنا بجديد
وجفت حشاشات وعدن بمائه ... فلما دنا ألفت سراب وعود
وطال ارتقاب الساغبين لناره ... على عاصف يرمى الدجى بجليد
إذا بيدنا لم تذك نار حياتنا ... فلا ترج دفئا من وميض رعود
إذا بيدنا لم تحم نبع حياتنا ... سرى ريه سما بكل وريد
سيجريه ما شاءت مطامع قومه ... ويحبسه ما شاء خلف سدود
وكيف ينام المضعفون وحولهم ... ظماء نسور أو جياع أسود ؟

* * *

أخى ! هل شهدت النيل غضبان ثائرا ... يرج من الشطئان كل مشيد !
جرى من مصبيه شواظا لنبعه ... على نفثات من دم وصديد
وجنات نخل واحات كواسف ... وأسراب طير فى الفلاة شريد
لدى نبأ قد ريع من هوله الصدى ... وضج له الموتى وراء لحود
جنوبك فيه والشمال تفزعا ... لتشتيت أهل وانقسام صعيد
أحال ضياء الصبح حولى ظلمة ... بها الحزن إلفى والهناء فقيدى
وسعر أنفاسى فأطلقت نارها ... على الظالم الجبار صوت وعيد
أرادك مفصوم العرى وأرادنى ... بهدم إخاء كالجبال مشيد
ليأكلنا من بعد شلوا ممزقا ... كطير جريح فى الشباك جهيد

٣ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

بين الماضي والحاضر :

فى زحام هذه العواطف الوطنية المتأججة فى وادى النيل من منبعه إلى مصبه.. أكتب إليك أيها الأخ الكريم وأحاول أن أربط بين ماض مجيد وحاضر ليس أقل منه مجداً . ومما هو جدير بالتسجيل ذلك الوعى الكامل الذى يبديه شعب وادى النيل لقضيته وإيمانه بها وضبطه لأعصابه رغم ما تتفجر به نفس كل فرد من أفراده من العواطف الملتهبة.. وذلك إرضاء لحكومته وطوعا لمشيئتها

وأحب أن أسجل أيضاً أن القوات البريطانية ما زالت مستمرة فى عدوانها الوحشى على سكان منطقة القنال العزل ، فنى كل يوم قتيل وشهيد وسلب ونهب واعتداء على الحريات واحتلال للأماكن والبلاد وتحكيم للقوة وعسف وظلم وجور ؛ فليستمر البريطانيون فى عدوانهم فان ذلك كسب لمصر، وليعلموا أن كل دم يراق إنما يغذى شجرة الحرية فى وادى النيل، وليعلموا تماما أن مقامهم فى وادى النيل قد أصبح ضربا من المحال

وقد انضمت فرنسا الفاجرة وأمريكا الآثمة إلى بريطانيا فأيدتا سياستها ووافقتا عليها فانتصرتا للاثم والعدوان ، وهكذا أثبتت الدولتان ما لم يكن خافيا علينا نحن الشرقيين من أن هذه الدول لا تريد بنا خيراً ، وإنما تريد علينا سيطرة واستعماراً . إن هذه الأمم تدعى أنها نصيرة الحرية ، ومع هذا تطعن الحرية فى مصر والشرق كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً . فليعلم هؤلاء الطغاة أن نهايتهم أقرب مما يتصورون

وقد وقفت الأقطار العربية الشقيقة بجانب شقيقتهم الكبرى مصر مما هز أركان الاستعمار الإنجليزى وزلزل دعائم الاقتصاد الأمريكى

وفى يوم الثلاثاء ٢٣ من اكتوبر ١٩٥١ وقفت مصر تحيى ذكرى شهدائها الذين أراق الطغاة دماءهم فى يوم الثلاثاء ١٦ منه فقامت المظاهرات الوطنية فى القاهرة والإسكندرية وشتى المدن والبلاد ، وأضرب الطلاب عن تلقى دروسهم وأغلق التجار متاجرهم وامتنع المحامون عن مزاولة أعمالهم فى جميع المحاكم ، ولم يخل شبر فى أرض الوطن العزيز من صوت يتقطع فى صدر صاحبه .. هو صوت الحزن على ما أريق من دماء الشهداء . وقد تجلى فى هذه المظاهرات جلال الوطنية وجلال الذكرى وإجماع الأمة وتأييدها لحكومتها

وفى السودان قامت المظاهرات تطالب بالحرية وتطرد المحتل الأجنبى والمستعمر الظالم حتى اضطر الحاكم العام الإنجليزى أن يطلب من قائد عام القوات المصرية التدخل لحفظ الأمن وإقرار النظام

لابد مما ليس منه بد :

لقد حاولت مصر أن تقيم علاقتها مع الدول الغربية على

يحايل شيطان الأساليب لم يدع مجالا لشيطان بهن مريد

* * *

على النيل يا ابن النيل أطلق شراعنا وقل لليالية الهنية عودى
وأرسل على الوادى حمائم أيكه برنة ولحى أرشكاة عميد
وقل يا عروس النبع هاتى من الجنى ودورى علينا بالرحيق وجودى
وهبى عذارى النخل فرعاء وارقصى بخضر أكاليل وغر عقود
ألا يا أخى واملأ كؤوس محبة مقدسة موعودة بخلود
إذا هى هانت فانع للشمس نورها وللقمر السارى بروج سعود
وقل ياسماء النيل ويحك أقلعى ويا أرض بالشم الرواسخ ميدى
وغيضى عيون الماء أو فتفجرى لظى، وإن اسطعت المزيد فزيدى !

يارحمة الله للشاعر الخالد ، إنه فى معركة الحرية لا يزال يسمعنا صوته وهو فى عالم الفناء . . واليوم حين تبلغ المعركة أوجها يتخلف عن الإنشاد شعراؤنا الأحياء ! !

أنور المعداوى

أساس الحرية والاحترام المتبادل، ولكن هذه الدول أممنت في غيها، فلما طالت المفاوضات اضطرت مصر إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩ التي تربطها ببريطانيا وبدأت معركة التحرير

وقد وقفت فرنسا وأمريكا بجانب إنجلترا، وهنا تقربت روسيا من مصر وطالبت أن تعقد اتفاقا تجاريا واسع النطاق مهما على أن تكون لها الأولوية في شراء قطن مصر وعلى أن تعامل معاملة الدول الأكثر رعاية في مقابل أن تصدر إلى مصر ما تحتاج إليه من أسلحة وذخائر وأخشاب وورق وقمح وبترول الخ

وقد ذعرت أمريكا، فإن الاستعمار الأمريكي استعمار اقتصادي وتهتم أمريكا بفتح أسواق لتجارتها، ولعلنا جميعا نعلم مدى اهتمام أمريكا بمنطقة الشرق الأوسط إن ذلك يرجع إلى عاملين: أولا هذه المنطقة أغنى مناطق العالم بالبترول - ثانيا. هذه المناطق يمكن أن تصبح أسواقا هامه للتجارة الأمريكية

ولما كانت عداوة أمريكا وإنجلترا لمصر ستؤدى إلى انتشار التجارة الروسية في مصر والشرق الأوسط. فقد إضطرت أمريكا إلى أن تحاول القضاء على الفكرة، وعرضت على مصر وساطتها في حل الخلاف القائم بينها وبين إنجلترا في ٢٤ أكتوبر ١٩٥١. ولسنا ندرى كيف ينتهي أمر هذه الوساطة

الحماية والمعاهدة :.

في سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا الحماية على مصر ولم تكن مصر قد طلبت هذه الحماية، ولذا كانت الحماية باطلة من وقت إعلانها، ومنعا لثورة مصر في وقت كانت بريطانيا في حالة حرجة - إذ كانت الحرب قد قامت بينها وبين ألمانيا - أعلنت بريطانيا أن الحماية ضرورة حربية تنتهي بانتهاء الحرب. فلما انتهت الحرب وانتصرت طلب المصريون إنهاء الحماية وإعلان استقلال مصر، ولكن بريطانيا رفضت فثارت مصر تطلب استقلالها وحريتها ولم ترهب قوة إنجلترا التي خرجت ظافرة من الحروب العالمية الأولى، وانطلقت بريطانيا تعتدى على المصريين فأسالت دماء الأبرياء ونفت الزعماء، ولكن لم تضعف مصر بل صمدت وانتصرت في النهاية وستحقق جميع أمانيها إن شاء الله

كانت الحماية إذن سبب ثورة ١٩١٩ الرئيسي، ويحاول المؤرخون أن يكثروا من أسباب الثورات. صحيح كانت هناك عدة أسباب أخرى أهمها المظالم التي عاناها الشعب من السلطة العسكرية ومن الأحكام العرفية، فمن استيلاء على الأقوات، ومن دفع المصريين قسرا إلى ميادين القتال باسم التطوع وتجنيد أكثر من مليون عامل وموت كثيرين منهم بعيدا عن الوطن، وإصابة الآخرين بأمراض وعاهات إلى حجر على الحريات ورقابة على الصحف وحل الجمعية التشريعية ونفي الوطنيين الأحرار واعتقال المخلصين والزج بهم في السجون والمعتقلات، الخ

ويضاف إلى هذا الوعي القومي الذي أوضح للمصريين حقيقة نوايا بريطانيا، وذلك يرجع من غير شك إلى جهود الوطني الأول مصطفى كامل باشا وخليفته محمد فريد بك، وكذلك ما ارتكبته إنجلترا من فظائع في وادي النيل كان أشهرها من غير شك حادثة دنشواى ١٩٠٦

وهنا أحب أن أذكر أن إنجلترا حين احتلت مصر قد لجأت إلى الحيلة والخداع : خدعت مصر إذ أعلنت منذ احتلالها مصر ١٨٨٢ عزمها على الجلاء وأنها لن تقيم بمصر، وخدعت العرب جميعا حين ألبتهم على تركيا في أثناء الحرب الكبرى الأولى إذ وعدتهم بتحقيق استقلالهم إذا عاونوها، فثار العرب ضد الأتراك حلفاء الألمان، وكان لمصر وللعرب فضل كبير في كسب إنجلترا للحرب الأولى وكذلك انتصرت في الحرب العالمية الثانية بفضل مؤازرة مصر لها؛ ومع هذا لم تلق مصر والبلاد العربية إلا شر الجزاء من الإنجليز، فهم الذين مكنوا للصهيونيين من احتلال فلسطين وتشريد العرب وهم أصحاب البلاد الأصليين منذ آلاف السنين؛ وها هي ذى بريطانيا تسفك دماء المصريين ظلما وعدوانا وترفض الجلاء عن مصر وتقف عقبة أمام وحدة الوادي، وهي بهذا لا تبغي خيرا لنفسها ولا لمصر ولا للسودان ألا ساء ما تفعل !! ولو أن بريطانيا أعلنت حقيقة نياتها منذ الاحتلال وعزمها على البقاء والإقامة في وادي النيل للقيت عنتا شديدا وإرهاقا فظيما

وقد عبر عن هذا المعنى معالي الدكتور محمد صلاح الدين باشا

فى كلمته التى ألقاها فى مؤتمر الميثاق الوطنى الذى عقد بالقاهرة فى ٢٤/ ١٠/ ١٩٥١ أجمل تعبير حيث قال : « إننا خدعنا طويلا ، وجاء علينا الدور لنخدع من خدعنا ، ونخضع من أخضعنا ، وأن تكون كلمتنا هى العليا . »

كانت الحماية إذن هى السبب الرئيسى لقيام ثورة ١٩١٩ ، وقد أعلن زعماء مصر أنهم يطلبون استقلال بلادهم منذ الساعة الأولى . أعلنوه حين قابلوا المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفبر ١٩١٨ ، وأعلنوه فى النداء الذى وجهوه إلى معتمدى الدول الأجنبية فى ديسمبر ١٩١٨ والذى جاء فيه :

« باسم الوفد المصرى أعلن إلى كل أجنبى فى مصر من ذوى المصالح أن هذا الوفد الذى يسعى بذمة أهل البلاد يقرن بسعيه للاستقلال احترام المصريين لحقوق الأجانب كل الأحترام »

وأتبع ذلك ببيان فى ١٠ يناير ٩١٩ جاء فيه :

١ : إن مصر تطلب استقلالها :

ا : لأن الاستقلال حق طبيعي للأمم .

ب : لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال ، بل هى قد سفكت فى سبيله دماء أبنائها

ج : لأن مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الإسمية

د : لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تملن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها المادية والأدبية

٢ — تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية

وفى ٧ فبراير ١٩١٩ أعلن سعد زغلول باشا فى خطبة له فى دار جمعية الاقتصاد والتشريع بطلان الحماية قانونا حيث قال :

« إن بلادنا لها استقلال ذاتى ضمنته معاهدة لندن ١٨٤٠ واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى .. إنكم تعلمون أيها السادة وكل علماء القانون الدولى يقررون أن الحماية لا تنتج إلا من عقد بين أمتين ، تطلب إحداهما أن تكون تحت رعاية الأخرى ، وتقبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية ، فهى نتيجة عقد ذى طرفين موجب وقابل ، ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها أصلا

فى ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن تطلبها أو تقبلها الأمة المصرية ، فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونا . بل هى ضرورة من ضرورات الحرب تنتهى بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة . »

وهكذا كانت الحماية العامل الرئيسى فى قيام ثورة ١٩١٩ وقد نجحت مصر فى إلغائها ١٩٢٢ وإعلان استقلالها ثم انتهى الأمر بقيام معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا . وربما كانت هناك ضرورات أدت إلى توقيع هذه المعاهدة ١٩٣٦ ولكن الواقع أن هذه المعاهدة كانت كارثة على مصر فإنها لم تحقق للنيل وحدته بل أكثر من هذا أنها اعترفت بشرعية الاحتلال . وقد وقفت مصر بجانب بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وانتهى الأمر بانتصار بريطانيا فعملت مصر على مفاوضة بريطانيا لتعديل هذه المعاهدة على أساس تحقيق أهداف مصر وهى الجلاء الناجز عن الوادى وتوحيد مصر والسودان تحت تاج واحد، ولكن ذهبت جهود المفاوضين المصريين عبثا ، واضطرت مصر إلى إلغاء هذه المعاهدة وإلغاء اتفاقيتى السودان ١٨٩٩ ثم وضع نظام دستورى لحكم السودان وقيام دولة اتحادية من مصر والسودان وأصبح جلالة الملك فاروق ملكا لهذه الدولة وأصبح لقبه ملك مصر والسودان

ومما يجدر ذكره أنه كما كانت الحماية باطلة قانونا فإن معاهدة ١٩٣٦ بدورها باطلة قانونا ، وقد سجل ذلك المستر أوبنهايم أستاذ القانون الدولى بجامعة كمبردج فى مؤلفه العالمى عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة فذكر أن معاهدة ١٩٣٦ لا تتفق فى شىء ما مع هذا الميثاق فهى باطلة من أساسها ، إذ تنص المادة ١٠٣ من الميثاق على أنه « : إذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقا لأحكام هذا الميثاق مع أى التزام دولى آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المرتبة على هذا الميثاق »

قويسنا — للكلام بقية — أبو الفتوح عطيفة

رحلة أبي الطيب المتنبي

من مصر إلى الكوفة

للأستاذ أحمد رمزي بك

القسم الثاني

تعد رحلة أبى الطيب المتنبى من مصر إلى الكوفة من أروع الرحلات فى القرن الرابع الهجرى نظرا لما تضمنته من أسماء البلاد والمواقع . وقد كان أبو الطيب حريصا فى شعره على أن يسجل الكثير مما رآه فى هذه الرحلة ، فقرن الأسماء بخياله الشعرى، ووصل إلى درجة رائعة فى القصيدة التى وضعها حينما دخل الكوفة والتى جاء فيها :

فلما أنخنا ركزنا الرماح   فوق مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسيافنا   ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أنى الفتى

وهى أبيات قرأت ترجمتها بالفرنسية شعرا فوجدتها لم تفقد من قوة المتنبى شيئا ، بل ظهرت شاعريته بلسان الفرنسيين

ولقد خرج أبو الطيب ليلة عيد النحر بعد أن تظاهر بالاستعداد للتضحية وكان قد اختار لنفسه أن يعلن عن عزمه بقصيدة مدح لزعيم من زعماء قيس النازلة في تلك الأيام بجوار بلبيس، وبالاطلاع على ديوانه نقرأ هذه القصيدة ونعلم شيئين:

الأول : كيف انتشرت قيس فى إقليم الحوف الشرقى وكيف كانت لها السيادة فى إقليم الشرقية

والمتتبع لتاريخ عروبة مصر يجد أن قبائل لخم وجذام وعاملة وذبيان لها منازل بالأراضى المصرية.. ويرى كيف جاء بنو جزى وهم بطن من جزام، وبنو راشدة وهم بطن من لخم، وكيف انحدروا إلى أماكن عرفت بهم بين العريش ومصر، وكيف نزل من نزل منهم بالجزائر من أرض الحوف وهى الرمال البيضاء التى لم تكن تغمرها مياه الفيضان ، وكيف هبط قوم منهم بالمناطق بين صان الحجر والزنكلوم وهى التى يطلق عليها اليوم « الزنكلون » فهذه المناطق أصيلة فى عروبتها ، ثابتة فى أرومتها. فإذا ذكر أبو الطيب قيس عيلان فى بلبيس فهو يقصد بمديحه أن يلفت أنظار كافور إلى أن طريقه سيكون إلى الشمال مارا بمنازل عرب الحوف ، فيأخذ كافور عليه الطرق والمسالك، ويقيم عليه الحرس ينقلون من أخباره

ولكن أبا الطيب كان قد اختار طريقا آخر ؛ فبدلا من أن يرحل إلى الدلتا نجد أنه قد أخفى السلاح وروايا الماء فى الرمال وركب أسرع الهجن البيجاوية وهبط من الفسطاط جنوبا إلى خليج السويس ثم اتجه من هناك إلى الجنوب مبتعدا عن طريق الحاج ، فوجد أمامه واديا يسميه المعاصرون « وادى سدر » واسمه الصحيح « وادى الصدر » فإذا قطعه اتخذ سبيله إلى قلعة « نخل » القائمة للآن فى شبه جزيرة سيناء، قطع هذا على ظهور الهجن فى مرحلة واحدة لا تتعدى يومين

فبينما كافور يستعد للاحتفال بعيد الأضحى إذا به يفاجأ بهرب المتنبى فيقيم الدنيا ويقعدها ويسأل الدلاة وقاصى الأثر ، فلا جواب لديهم . .

وكان كافور يحكم مصر ويحكم الجزء الجنوبى من بلاد الشام ويسيطر على طرق المواصلات فى سيناء ، وله الحراس فى كل مكان والعيون تنقل إليه أخبار الناس ، فكيف فر أبو الطيب من قبضته ؟ إن هذه الرحلة جديرة بالبحث وقد حاولت منذ سنتين أن أعرف مكان « نجع الطير » وهو نصف المرحلة الأولى من رحلته . ورجعت إلى كافة المراجع التى بين أيدينا فلم أوفق

وتتبعت هجرة بنى إسرائيل من مصر لعلى أجد فيها مايقنعنى بتحقيق بعض الأسماء الواردة بين مصر وبلدة نخل فى وسط سيناء ، ومع صبرى وتحملى الطويل لم يسعفنى كل ذلك لنتيجة حاسمة ترضى رغبتى

ويصف أبو الطيب هذه الفترة من حياته بقوله عن الهجن البيجاوية :

ضربت بها التيه ضرب القمار   إما لهذا وإما لذا
فرت بنخل وفى ركبها   عن العالمين وعنه غنى

ولهذه القصيدة — كما قلت — رنين موسيقى واعتداد

بالنفس ومرور بالتغلب على مصاعب الأرض ومتاعب الطبيعة لا يمكن أن ينسى

أرددها ثم أنظر توارد الخواطر بين أبي الطيب ويوليوس قيصر في الشطر الأول من البيت الأول : فهو يشبه أقدامه في قطع الفيافي في هذه السرعة في قوله :

ضربت بها التيه ضرب القمار : والتيه هو أرض سيناء والقمار هو مجازفة أمام الحياة الحرة وأمام الوقوع بين براثن كافور ومعناه الموت وضياع الأماني

ويذكرني هذا المعنى بما أورده يوليوس قيصر في كتابه عن حروب روما في بلاد الغاليين ، حينما اشتبك في قتال معهم إذ قال (١) إنه ألقى بآماله بين يدى الأقدار كما يلقى المقامر بالزهر بين يديه ، فذهب قوله في اللاتينية مذهب الأمثال . فهل أطلع أبو الطيب على هذا ؟ أو نقل إليه حديث قيصر ؟ أو هو مجرد توارد خواطر

ومن المدهش أن قيام إسرائيل بين مصر والبلاد العربية قد أثار طائفة من المشاكل : أولها – كيف الوصول إلى فلسطين وأراضى الشام والحجاز ؟

ولقد رأينا طول الحروب الصليبية بعض هذه المشاكل ، وبعد المتنبي بقرنين من الزمن وثلاث وثلاثين سنة رأى صلاح الدين نفسه في نفس الموقف الذي وقفه المتنبي .. كيف يصل إلى أرض الشام والصليبيون يقطعون الطريق ويحولون دون وصوله ؟ لقد كان أبو الطيب يخشى كافورا وعيونه وحراسه ، وكان صلاح الدين يخشى الأفرنج ومعاقلهم وحصونهم

والغريب أن صلاح الدين اختار أربعمائة من أشجع فرسان الأسدية من التركمان والأكراد وخيم في شمال القاهرة في بركة الحاج حيث تقوم الآن بلدة المرج .. واتجه إلى بلبيس ، كما كتب أبو الطيب إلى زعيم بلبيس فلفت الأنظار إلى حركته في الشمال ، ثم في ليلة واحدة قطع المرحلة من بلبيس إلى مجرود ونزل جنوبا بعيدا عن طريق الحاج واخترق وادى الصدر الذي أشرت إليه وعرف كيف يسلك « إلى نخل » ولم يكن صلاح الدين فارا فرار المتنبي . . ولذلك تنبه للمواقع فأنشأ على الرابية التي تطل على وادى سدر « الصدر » قلعة لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم ، وربط الطرق والمسالك بسلسلة من المعاقل اتقاء هجمات الأفرنج وتسللهم إلى هذه المناطق الحساسة من البلاد العربية

ألا ترى أن رحلة أبي الطيب لم تكن من الأمور التي تسير على غير هدى ، بل كانت موضع درس وعناية ، فلا تندهش إذن حينما تقرأ في خزانة الأدب للبغدادي صفحة ١٤٥ جزء ثان عن المتنبي لما كان في ضيافة عضد الدولة « وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأمورا بالاختلاف إلى المتنبي وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه فقال : كنت حاضره وكان ابنه يلتمس أجرة الفسال فأحد المتنبي إليه النظر بتحديق فقال : ما للصعلوك والفسال ؟ يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره وينعل فرسه ويغسل ثيابه ، ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة »

ويحدثنا الديوان بأن أبا جعفر أخذ شهرا من الزمن يحادث المتنبي في الطرق والمسالك ليأخذ عنه كيف خرج من الفسطاط وكيف وصل الكوفة في ربيع الأول سنة ٣٥١

وبينما أقلب كتابا عن المتنبي بالفرنسية علمت أن مستشرقا ألمانيا كرس جزءا من حياته لدراسة رحلة المتنبي ، وأنا الذي اقتطعت القليل من وقتي لكي أتعرف على بعض هذه الرحلة أجد غيرى سبقني إليها فلم أقنط وقلت : قبل اطلاعي على ما كتب فلأخرجها كما تشاء نفسي :

وأمست تخبرنا بالنقاب وادى المياه ووادى القرى

للكلام بقية

أحمد رمزي

(١) Alea gaeta est le sort en jeti

الشخصية الرومنتيكية والحب الرومنتيكي

حول « رفائيل » للامرتين

للأستاذ محمد عبد الحليم محمود

كان القرن الثامن عشر فى أوربا عامة ، وفى فرنسا خاصة ، عصر « العقل » ... عصر التفكير المنظم المنطقى سواء فى العلوم وفى الآداب

فلا محل فى كتابات الأدباء ورسائل الفلاسفة للعواطف الجامحة والإحساسات الغامضة والمشاعر المختلجة والصبوات المضطربة التى تزخر بهـا النفس الإنسانية ، والتى لا تخضع لمنطق ما . .

كل شئ فى هذا العصر حاول المفكرون تقنينه وفلسفته

لذلك ازدهرت فنون الأدب التى تحتاج قبل كل شئ إلى « العقل » . . فنرى « القصة الفلسفية » ، مثـلا ، قد بلغت من الكمال حدا بعيدا على يد فولتير ومونتيسكيو وليساج وغيرهم

وهذا الفن من القصص لا يحتاج إلى الانفعالات النفسية يصفها ويحللها ، بل هو يعتمد قبل كل شئ على « النقد » : نقد المجتمع المعاصر بعيوبه ومهازله ، ونقد الحالة الأدبية والدينية والسياسية للبـلاد ، فى أسلوب من السخرية اللاذعة والتهكم الفلسفى الشيق

وبسبب هـذا الميل إلى التفلسف فى القصة وقع المؤلفون ، وإن كانوا من أئمـة الكتاب ، فى شئ من الجفاء والإملال ، وأبعدوا عن حقيقة الإنسان الحى ونفسه المضطربة العامرة بالمشاعر . .

فقصة « كانديد » للأديب الفيلسوف فولتير ، وهى تعتبر خير قصة ألفت فى القرن الثامن عشر على الإطلاق ، لا يجد فيها القارئ سوى شخصيات فلسفية خيالية تمثل أفكارا وتعبر عن مذاهب ، وليس فيها من « الإنسانية » إلا الشئ القليل ؛ فهى دمى وعرائس يحركها المؤلف لغرض فى نفسه ، غير حاسب حساب النفس البشرية بمـا تنطوى عليه من أسرار ومتناقضات

وكان لا بد من رد فعل قوى لهذا النوع من « عبـادة العقل » التى سيطرت على أغلب إنتاج القرن الثامن عشر . . . فالإنسان ، لأنه إنسان ، ليس عقلا كله ، ولا يستطيع أن يخضع القيم النفسية الذاتيـة لميزان المنطق وحساب الفكر الفلسفى المجرد

وجاء رد الفعل فى صورة المذهب الرومانتيكى

وكما غلا فلاسفة القرن الثامن عشر فى تقدير العقل والمنطق والتفكير الفلسفى . . غلا الرومانتيكيون ، أو إذا شئت فسمهم « الابتداعيين » فى تقدير « الذاتية » والعاطفية، وفى تمجيد انفعالات النفس البشرية وأسرارها

وسيطر هذا المذهب على سائر فنون الأدب زمنا طويلا

ويهمنا هنا أن نتبين أثر الرومانتيكية فى القصة

فقد نشأت فنون جديدة من القصص أبعدت كل البعد عن التحليل الفلسفى الجاف ، وراحت تبحث فى أعماق الإنسان عن العواطف والإحساسات والمشاعر فى شتى صورها

واحتل « الحب » مكان الصدارة من هذه القصص لأنه أقوى وأجل عاطفة فى الإنسان

واحتلت شخصية « العاشق العذرى » المكان الأول من شخصيات القصة

وإذا أردنا أن نشهد صورة لهذا الحب الرومانتيكى ، وأن نجتلى طلعة العاشق الرومانتيكى ، فخير قصة ننظر فيها هى ، فى رأيى ، قصة « رفائيل » ، للشاعر لامارتين ، التى ترجمها أستاذنا الكبير الزيات بك إلى العربية

فهذه القصة تمثـل أصدق تمثيل المذهب الرومانتيكى فى الأدب . بطلها صورة دقيقة لمـا كان يرتسم فى أذهان القراء والكتاب على السواء ، إبان ذلك العصر ، من ملامح العاشق الكامل . . والحب فيها هو مثال الحب العذرى الصوفى الكامل

الذى رأى فيه الرومانتيكيون مثلهم الأعلى . .

لذلك رأيتنى ، عندما أردت رسم الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكى مدفوعا إلى اختيار شخصية رفائيل وحبه لجوليا فى رواية لامارتين الخالدة

وقد اعتمدت كثيرا ، إلى جانب الأصل الفرنسى ، على الترجمة العربية

رفائيل فتى من أسرة ريفية كريمة الأصل ، وإن كانت فقيرة ، خبت فيه وقدة القلب وهو فى شرخ الشباب ، وفقـد ثقته بالناس ، وملت نفسه عشرتهم وضاع أمله فى السعادة ؛ فراح يبحث عن العزلة فى قرية آمنة ، على شاطئ بحيرة جميلة ، بين أحضان جبل شامخ . . وإذا به يلاقى هناك فتـاة تحيى فى نفسه موات الأمل ، وتعيد إلى قلبه حرارة العاطفة ، وتجعله يشعر من جديد بجمال الحياة

العزلة النفسية :

إن مثل هـذه الشخصية تميل إلى التأمل فى نفسها ، وفى الطبيعة ، وفى الوجود كله ، فهى تحتاج من أجل ذلك إلى الهدوء والسكينة . ثم إن رفائيل ليست له أطماع أو أطماح فى هذه الدنيا ، بل هو يزدرى المجتمع ويحتقر الجاه ، ويشعر بقيمة نفسه وبسمو ذاته التى لا ترضى إلا بالعزلة المطبقة . العزلة النفسية التى تقضى على كل صلة بينه وبين المجتمع ، لم تأت عليها عزلته المادية فى قريته النائية بمقاطعة سفوا . .

دور الطبيعة فى الشخصية :

رفائيل يؤمن بأن الطبيعة يتصل سلكها بحبات القلب ومشاعره ، فهى جزء من النفس والنفس جزء منهـا ، وإن ما يجرى فى عناصر الطبيعة من الحيـاة هو نفسه ما يجرى فى عروق الإنسان منها . وهو لذلك يكتئب حينما تتلبد السماء بالغيوم ؛ وينشرح قلبه عندما تشرق الشمس ، وتهدأ العواصف : وتعود السكينة إلى الطبيعة فتعود أيضا إلى نفسه . . . وأحب رياضة إليه التجول وسط الحقول ، أو التنقل على صفحة البحيرة ، أو صعود المرتفعات ، أو اجتياز الأحراج ؛ والطبيعة عنده ،

فوق كونها صديقة الإنسان الوفية يبثها آلامه وأفراحه ، هى أجل مظهر من مظاهر قدرة الإله

رجل خير :

إنه يحب الخير لغيره ، ويعمل جهده على مساعدة المحتاجين : فهو فى وطنه يطعم الفقراء ، ويعلم الصبيان ، ويعين الفلاحين فى أعمالهم . وهو عطوف حنون ، يميل إلى الضعفاء ويحب كل كائن معذب شقى : وهو لذلك قد عطف على جارته فى الفندق عندما علم أنها مريضة متألمة ؛ وفى أيامه الأخيرة كان جل همه توفير الطعام لأسراب من طيور السنونو قد اتخذت منزله ملجأ وحمى

حساسية مرهفة :

هو رجل رقيق الطبع ، شاعرى المزاج ، مثالى النزعة ، قد تجرد من الأطماع والأغراض . فهو لذلك يمتاز بحساسية مرهفة ، أو قل : إن هذه الحساسية المرهفة هى السبب فى رقته وشاعريته ومثاليته وتجرده من الأطماع والأغراض . وهذا الشعور المرهف يجعله ينفعل لكل ظواهر الجمال فى الدنيا : جمال الطبيعة وجمال الحب وجمال الآداب والفنون . . . ثم بجمال القدرة الإلهية فوق كل جمال . .

أجل ! فهو يؤمن بوجود إله خالق خير يهيمن على هـذا الكون ويدبر أموره . وهو دائما يذكر الله ويذكر السماء عنـد ذكر الحب والحبيبة ، فهو يمزج بين الحب والدين ، أو هو يجعل عبادة الجـال نوع من عبادة الله ، لأن الله هو الجمال المطلق

دور الحب فى الشخصية :

كان قبل أن يحب يؤمن بأن الحياة بما فيها من شقاء وملل لا تستحق أن يحياها إنسان . فلما أحب ، وأيقظ الحب شعوره الراكد ، وحرك حسه الجامد ، ورفعه إلى أعلى مدارج السعادة الروحية ، أصبح يرى أن الحياة ، لفرط ما فيها من لذة سامية ، يخشى عليها أن يعكر صفوها حدث من الحدثان فى عالم الغيب ، لذلك يريد أن يموت فى أوج سعادته ، قبل أن يفجأه الغد المشئوم ، ويفجعه فى حبه ...

رفائيل ولا مارتين :

الرومانتيكية تبحث قبل كل شئ عن « الذاتية » . فإذا كتب كاتب فإنما يعبر عن دفين أسراره ، وإذا رسم فنان فهو يعبر عن خلجات نفسه واضطرابات حسه ... ولا مارتين ، عندما صور بطل قصته ، فقد صور فيه نفسه : نفسه التي تنزع إلى المثالية في العاطفة والزهد في الحياة والتصوف في العبادة . . . وعشق كل ما هو جميل في الكون

السأم ، والتألم الهادئ :

الصفة الغالبة على كل شخصية رومانتيكية هي : السأم الفطرى الذى لا سبب مباشر له ، والتألم الهادئ الرقيق . . . ورفائيل مثلا فى مقتبل العمر وشرخ الصبا لم يصبه من الصدمات ما يبرر عزوفه عن العمل ، ويأسه من كل شئ وابتعاده عن الناس فى شئ من القسوة على نفسه وعلى أقرانه ... ولكن هى الطبيعة الرومانتيكية تأبى إلا أن يكون صاحبها إنسانا يمتاز بالحزن الدائم والتشاؤم وفقدان كل أمل . . .

وليس الحزن الرومانتيكى بالحزن الصارخ القبيح ، بل هو ضرب من الألم الوجدانى الهادئ ... ألم شاعرى رقيق ، يجلب العطف ويمسح على الشخصية صبغة مميزة جميلة ...

وأما الحب الذى ربط بين قلب رفائيل وقلب صاحبته « جوليا » ، التى هى صورة أخرى من الشخصية الرومانتيكية الممثلة فى رفائيل ، فقد كان حبا مثاليا أقرب إلى ما يسميه الإغريق بالحب الأفلاطونى ، والعرب بالحب العذرى

أهم صفات هذا الحب الرومانتيكى :

التفانى :

هو مريض النفس ، سئم الحياة ومل المجتمع وعاش وحيدا فى دنياه ... وهى مريضة الجسد تحب العزلة وتنطوى على نفسها فى يأس ومرارة ... « كلاهما طريد هم و وحيد غربة ونضو سقام وأليف وحشة » ... فأحبها لأنها تشبهه إلى حد بعيد ... بل هو كان يحب فيها نفسه ... وقد أصبحا فيما بعد ، لفرط حبهما كأنهما شخص واحد : « وإنما أنا ظل بشخصك » ... لقد رآها فاحتواها فى نفسه ، ولم يعد فى مقدوره أن ينتزعها من أعماقه ، وهما إذ يلتقيان ليسا فى حاجة إلى الكلام ، لأن كليهما يفهم ما يدور بنفس الآخر ، بل لأن روح كل منهما قد حل فى روح الآخر : « فأتحول إليها ، وتتحول إلى ، حتى لا يستطيع الله نفسه ... أن يفصل ما مزج الحب وأحالته معجزة الهوى »

العطف والاعتراف بالجميل :

لقد بدأ حب الفتى لصاحبته بنوع من الرثاء لحالها والتألم لمرضها . وقد لفته أول ما لفته إليها هزالها البادى وشحوبها ، فأدركته لها رقة ورحمة وهى بدأت تحبه عندما شعرت بعطفه عليها ، إذ كانت « محرومة نسب القلب وصلة الروح فى ربيع شبابها » ثم أفاقت فجأة لتجد إلى جانبها عناية وإخلاصاً وحناناً ، فلم تتمالك أن حركت لسانها بهذه الجملة المؤثرة : « لك الحمد يارب لقد رزقتنى أخاً » . وقد زاد من حبه لها أنها أيقظت فيه الشعور بالحياة ، وجلت لعينيه مسارح الخلود ... نظرة واحدة منها كفلت له تجديد كيانه ، وتغيير وجدانه ، وبعثه من رقود ، وإمتاعه بأيام سعادة لا مدى لها

العبادة واللانهائية :

المرأة التى يحبها فى نظره إله ، أو على الأصح فالإله يتمثل فيها . لذلك فهو يقرن ذكرها بذكر الله ، ويهم بالركوع أمامها إذا لقيها ، ويصلى لها فى حرارة وإيمان : « اتحد الله وهى فى نفسى اتحادا تاما » .. « فكان الهوى والعبادة يمتزجان فيها بمقدار واحد » ... لذلك فهو يقدس حبها ويؤمن بألوهيته ، ويتعبد لتلك المرأة التى « جلت بحنانها عن أن تكون إلها ، وسمت بقداستها عن أن تكون امرأة »

وما دامت الحبيبة شبه إله فالحب لا حد له : إنه حب أشبه « بسر بعيد النور شاع فى جوانب النفس بالإحساس لا بالكلام فهو نور من غير نار ، وسكر من غير خمار ، وهو كمال لا يعدو ولا يفصل ، ووحدة لا تجزأ ولا تحلل ، يفيض على النفس نشوة لا تحد ، ويجلو للقلب عن أسمى المعانى ، ويكشف للبصيرة عن وجود الله ذاته . . . والعاشقان يفهمان من الحب : « الخلود تستوعبه دقيقة ، واللانهاية تستقصيها إحساسة رقيقة » ، ثم هما

يؤمنان بخلود النفس البشرية ولا نهائيتها لأنهما يشعران عند اللقاء بذلك الخلود وبتلك اللانهائية ...

الطهارة :

مثل هـذا الحب المقدس لا يمكن أن يكون حبا شهوانيا ، إنما هو عشق روحين واتصال قلبين ، ورباط بين شخصين مثاليين . إن الفتى لا يحب فى صاحبته الجسد الزائل والجمال الفانى ، لكنه يحب مثالا فى نفسه يتعشقه ، وصورة عليا يصبو إليها وجدانه . . . إنه يحب فيها « طيفا من طيوف الغيب » ، ويبحث لديها عن ذلك الشعور بالراحة « الذى يجده من ظفر بحاجة طالما نشدها فما وجدها ، ويدركه القلب العابد القانت ... حتى إذا أدركه علق به علوق الحديد بالمغناطيس ، وفنى فيه فناء النفس فى الهواء » . وهو سواء على القرب منها والمشهد ، أو على البعد والمغيب ، يراهـا فى نفسه ، وما عداها لا يشغله ولا يعنيه .. والحب فى نفسه تطهير وتصفية : إنه شعلة اللهب تحرق وتلذع الحس ، ولكنها تضئ كوامن الوجدان وتنير للقلب عالم السماء ... وقد هفا حس الفتى الحيوانى فى ساعة من ساعات النشوة فوق مياه البحيرة إلى جمال صاحبته الجسدى ، ولكنها سرعان ما ردته ، بإخلاصها وطهارة نياتها وتفانيها فى حبه ، إلى صوابه الضائع ؛ قالت : « ألا تعتقد أن حبنا يكون أمتع وأرفع وأبقى وأنقى ما دام مصونا فى خدر العفاف ، نازلا فى مناحى الخلود ، حيث لا يتقلب الحدثان ولا يعدو الموت ؟! »

الحب والحياة :

كان الحب عند بطلى الرواية مثيرا لظاهرتين متناقضتين فى نفسيهما : الأولى بعث الحياة فى الجسد ، والثانية إثارة الرغبة فى الموت فى أعماق القلوب

فالفتاة عندما أحبت انتعشت نفسها وخفت أمراضها وشعرت بالقوة والحيوية تسريان فى شرايينها ، وإن كان ذلك إلى حين . والفتى أحس أن العبقرية إنما يستمدها الإنسان من الحب ، ووجد فى حبيبته « قصيدة إلهية رائعة » يستمد منها الإلهام ، بل يستمد منها الحياة . . .

ولكن الحب قد بلغ بهما منتهى ما تصبو إليه الروح من السعادة ... وهما يخشيان بعد ذلك أن يوقظهما من حلمهما الجميل ما يحيط بهما من واقع أليم . . . وهما لذلك يصبوان إلى الموت قبل أن تحيق بهما الكوارث ، ولكى يظلا متحدين اتحادا روحيا تاما فى الآخرة كما كانا فى الدنيا

الطبيعة :

الطبيعة تلعب دوراً خطيرا فى مسارح الحب الرومانتيكى ، فهى صديقة كل عاشق يبوح لها بعواطفه ، ويبثها أشجانه ، ويسر إليها بنجواه ، ولا يجد الراحة والسلوى إلا بين أحضانها الزاهرة

محمد عبد الحليم محمود

عن الظرفاء

محمد إمام العبد

للأستاذ محمد رجب البيومى

يدور حديث الأدباء عن إمام فى خفوت وهمس، فأنت تجد من يذكر له النكتة الرائعة، أو البيت الجيد، أو الحادثة الغريبة، دون أن يتعدى ذلك فى قليل أو كثير، فإذا أردت من يلم بدقائق أخباره، وينشد روائع أشعاره، ويحلل مواقفه الاجتماعية والأدبية أعوزك أن تهتدى إلى ضالتك المنشودة، وخيل إليك أن إماما شاعر قديم نشأ منذ قرون بعيدة، وسكتت عنه المراجع التاريخية، فما جاء عليه أحد معاصريه بترجمة وافية تضمن لتاريخه البقاء، مع أن شاعرنا البائس أديب معاصر، لا يزال يوجد بين أدبائنا من سامروه وحفظوا عنه وتندروا به، ولكن بؤسه الذى صحبه فى حياته قد امتد إلى تاريخه، فكاد أن يأتى عليه. والبؤس طاغية جبار، يصاول الأحياء فى عنف وطغيان، فإذا لفظوا أنفاسهم بين يديه، عدا على القبور، فزق الأكفان وبعثر الأشلاء!

ولد إمام من عبدين رقيقين قد جلبا من السودان، وبيعا لبعض الأثرياء، فورث عنهما السواد والدمامة والبؤس، ونشأ فى كنفهما يقتات بما يتساقط من فتات الموائد وبقايا الصحاف، وكأن القدر لم يشأ أن يحرمه كل شىء، فمنحه القوة فى الجسم، والبلاغة فى المنطق، والخفة فى الروح، فكان رياضيا ممتازا يصرع أقرانه لدى الصيال، وشاعرا مطبوعا يحتكم فى القوافى والأوزان، وخطيبا تعرفه الحفلات السياسية، والأندية الاجتماعية، وسميرا يؤنس سامعيه بالملحة النادرة، والفكاهة العذبة، وقل أن يجتمع هذا كله لإنسان!!

وكان لونه الأسود موضع التندر بين زملائه وعارفيه، فقاسى من جرائه كثيرا من ألوان التهكم والاستخفاف، وهذا ليس بعجيب، فقد ابتلى كثير من الأدباء قبله ببلواه، فدافعوا عن أنفسهم أبلغ دفاع، وحفظ لنا الأدب قلائد فاتنة لنصيب وعنترة والجاحظ، يلجمون بها من ينتقصونهم فى أمر لا يوجب النقيصة بل وجد فيهم من فضل السواد على البياض، ودبج فى ذلك الفصول الطوال!!

وكان حافظ إبراهيم رحمه الله أقسى المتهكمين لهجة، وألذعهم سخرية، وكانت فكاهته معه تأخذ طريقها إلى الألسنة فى سرعة فائقة، فما يكاد شاعر النيل يرسل تندره العابث بصاحبه، حتى يتقدم إماما فى كل مجلس يغشاه، وطالما وقعت بين الشاعرين جفوات متقطعة لما يلوكه حافظ من حديث إمام، ثم لا تلبث السحب أن تنقشع، لما بينهما من صلات جمع بينها الشعر والبؤس والفكاهة وأكدها صفاء النفس، ونقاء الضمير، وقد اشتهر إمام بالشاعرية قبل صديقه، فكان حافظ فى صباه يعرض عليه ما يفيض به خاطره من بيان، فيقوم إمام بصقله وتجويده وتزكيته، ثم مضت الأيام فإذا شاعر النيل يطير بشعره فى آفاق الشرق العربى، وإمام البؤساء لا يجد من يروى قصائده غير حفنة يسيرة لا يمكن أن تلحق برواة حافظ، ! وينظر العبد إلى مكانه من صاحبه، فيوسع عشاق حافظ لوما وتسفيها، كما يعلن أستاذيته له فى كل ندوة يدور بها الحديث عن الشعر والشعراء، وحافظ يرد عليه بنكاته العابثة، وفكاهته الساخرة! فينتصر عليه أى انتصار!!

نظم إمام فى الخمر أبياتا رائعة صادفت هوى فى الأسماع والقلوب، وأذاعتها الصحف مقرظة مادحة، وانتظر الشاعر من حافظ أن يوفيها قسطها من الإطراء والإعجاب، ولكن شاعر النيل يصيح فى ندوة حافلة بالسمار والأدباء «إن مثل إمام فى الشعر كمثل «بخيتة» فى المطبخ، إذا هى أفلحت فى تمرير «اللبة» شاع عنها بين أهل الحى كله أنها سيدة الإماء، وكذلك يتلقى الناس أبيات إمام فيهللون له لأنه عمر «اللبة» بنجاح»!!

والواقع أن حافظا كان مريضا بمعابثة إمام، فهو لا يرحمه بالسكوت عنه مهما بالغ فى التودد إليه، وكان لا يقصر تندره على قصائده وأبياته، وهى أعز ثروة يعتز بها الشاعر أى اعتزاز، بل ينتقل إلى ملبسه ومأكله وهيئته، فيوسعه سخرية وعبثا، !

لقيه ذات مرة بلبس « كرافتة سوداء فصاح به : « أقفل قميصك أيها العبد ، فصدرك الأسود يضجر الناس ! » ووجده مرة يكتب خطابا ، والمداد يتساقط من قلمه فقال « جفف عرقك يا إمام » !! وأمثال هذه المأثورات الحافظية متداولة مشهورة ، وكان فى طوق إمام أن يؤدب صاحبه بيأسه وصرامته ، ولكنه كان فى أكثر أحواله ينفق من جيبه ، ويقاسمه قروشه ومليماته مما يدعو إلى التسامح والإغضاء !

ولم يكن حافظ وحده يستغل سواد إمام فى تندره وسخريته، بل إن إماما نفسه قد اتخذ منه مادة دسمة للحديث عن نفسه ، فهو لا يفتأ يردده فى قصائده وأزجاله ويستلهمه كثيرا من المعانى الجياد ، فإذا تحدث الشاعر عن بؤسه وفاقته دار حول سواده ودمامته ، وإذا لفحه الحب تذكر سواده الفاحم ، فانتزع منه الخواطر المشجية . وهكذا يصبح السواد مركب النقص لديه ، يشعر به فى ألم ومرارة فيسلمه أزمة القوافى والأوزان

إقرأ إن شئت غزله المطبوع ، تجده يدور فى أكثر قصائده على ما منى به من حلوكة دامسة ، وهو فى كل مقطوعة يبتكر ويجدد ، فهو تارة يقع فى حوار مع معشوقته البيضاء ، فيسألها أن تسدل الليل البهيم على بدر الدجى الساطع ، فترفض فى إباء واستعلاء ، وتتعجب من عبد أسود يطمع فى غرام غانية عزت على الأحرار البيض ، فيجيبها بما يثبت حريته واستقلاله ، ويصور ذلك إذ يقول :

عذبى القلب كما شئت ولا   تكثرى اللوم فثلى لا يلام
واسدلى الليل على بدر الدجى   لحديث الشوق يحلو فى الظلام
همت بالوصل فقالت عجبا   أيها الشاعر ما هذا الهيام
لم ينل منا الرضا حر وما   رام منا سيد هذا المرام
أنت عبد والهوى أخبرنى   أن وصل العبد فى الحب حرام
قلت يا هذى أنا عبد الهوى   والهوى يحكم ما بين الأنام
وإذا ما كنت عبدا أسودا   فاعلمى أنى فتى حر الكلام

وهو تارة يعلن أن لونه لم يكن مسودا قبل غرامه ، ولكن لهيب الشوق أحرقه فى قسوة فأحاله من البياض إلى السواد ، ولك أن تتصور الجسم الأبيض وقد اشتملت فيه النار حتى تركته فحمة سوداء ! ! وهو تعليل طريف مستملح ، ولكنه ادعاء باطل تضحك من الشاعر إذ يصيح به فيقول :

كتمت فأقصانى وبحت فلامنى
فهاج غرامى بين سرى وإعلانى
وما كان لونى قبل حبك أسودا
ولكن لهيب الشوق أحرق جثمانى

وكأن الشعر لم يتسع ببحوره الضافية لعواطفه « السوداء » فنظم كثيرا من الأزجال المرحة تحوم فى مجموعها حول سواده ودمامته ، وعشاق الزجل يعجبون ببراعته وإبداعه ، ويشيدون بقصيدة « الزنجية الحسناء » وفيها يقول :

الناس لها مذهب فى البيض   ومذهبى حب السودان
مرجان متيم ببخيته   وبخيته مجنونه بمرجان
مين اللى قال الحب عذاب   يا ناس وحق الله افتونى
الليل ومحبوبتى أصحاب   إزاى عواذلى يشوفونى

ونلاحظ ونحن نطالع غزله المرح ، أنه كان مشبوب العاطفة، صادق الصبوة ، فهو يغمرك بفيض من الإحساس الصادق ، ونحن لا ننتظر من شاعر مثله أن يثب مع الخيال إلى أجواء عالية، فقد كان فى عهد يقتصر فيه الشعراء على التعبير الفطرى ، والإحساس الأولى ؛ دون جنوح إلى التأمل والاستغراق ، بل إن إماماً قد سلم مما ارتطم فيه معاصروه من الجناس المستكره ، والطباق الثقيل ، واندفع إلى التعبير عن خواطره فى سلاسة ونصوع ، وحسبك منه أن يسكر لسانك بحلاوة اللفظ ، ويطرب سمعك بعذوبة النغم ، إذ يقول

أرى لوعة بين الجوانح لا تهدا   أهذا الذى سماه أهل الهوى وجدا
وما ذلك الواهى الخفوق بجانبى   أهذا هو القلب الذى يحفظ العهدا

أو يقول :

كان هذا الغرام يجرى ورائى   فى شبابى فصار يجرى أمامى
إنما الحب كهرباء عيون   لعيون تسرى إلى الأجسام
ما خضعنا لدهرنا وهو ليث   وخضعنا لنظرة الآرام

أو يقول :

أقام الهوى عشرين حولا بمهجتى   وسار ، فمن أوحى له برجوع
كأن الهوى ما أكرمته ربوعها
وصادف إكراما له بربوعى

ورغم هذه المقطوعات الجياشة بالحنين إلى المرأة ، المتشوفة إلى ظلالها الوارقة ، وروضها البهيج ، قد قضى الشاعر حياته عزبا لم يتزوج ، ولسنا نحار في تعليل ذلك ؛ فتكاليف الزواج مرهقة لا يحتملها شاعر معدم ، تتلوى أمعاؤه في أكثر أوقاته جوعا وسغبا ، ويتحرق إلى مسكن ضئيل يقيه برد الشتاء وحر الهجير ، وقد كان الأدب على عهده لا يغني من جوع ، أو يدفع من فاقة ، بل يظل الأديب مترددا على الأندية والمقاهي دون أن يجد من يدفع به إلى باب يرتزق منه ، وكانت الصحف السياسية والأدبية من القلة بمنزلة لا تهيئ لها النهوض بحملة الأقلام ، وبخاصة إذا كانوا من طراز إمام ممن يتهالكون على الشراب تهالكا يستنفد جميع ما لديهم من المال ! وتلك حالة جديرة بالرثاء والإشفاق !! وقد نظر إمام إلى الزواج ككارثة مروعة تؤجج اللوعة والحيرة ، وصور للقراء ما يعقبه من تبعات ومصاعب ، ونحن لا نؤيده في دعواه ، ولكننا نعرض جانبا من أبياته ، ليضيء ما يغشاه من اضطراب وقلق ، وإن كنا نرجع باللائمة إلى سلوكه المضطرب ، وتربيته الموجاء ، وزمنه الجحود ، اسمعه يقول :

أيها العاقل المهذب مهلا هل رأيت الزواج في الدهر سهلا
كل عام يزاحم الطفل طفل ليتني عشت طول عمري طفلا
ذاك يحبو ، وذاك يمشي ، وهذي
فوق صدر ، وتلك تنشد بعلا
ضاق صدري من الزواج فنلي بحياة الخصي قولا وفعلا
كان هذا الشق جسما فلما أنهكته الهموم أصبح ظلا

وهكذا يئس الشاعر من الزواج فلم يطرق بابه ، وقد ادعى في مقطوعة أخرى أن لديه مانعا يحول دون زفافه ، فهو كالليل الحالك ، وكل حسناء شمس منيرة ، واجتماع الليل والشمس من ضروب المحال (١) ، وهذا ادعاء خطابي ، فلكل ساقطة لاقطة كما يقولون

وتسألني عما نظمه إمام البؤساء مصوراً فاقته وعدمه ؟ والحق أنه أسهب في تبرمه وتوجعه لحالته ، وكان يحزن كبده أن يجوع وتأكل الماشية ، ويعرى وتكتسي الأضرحة ، ولولا أنه كان يسري عن نفسه بمجالس السمر ومطارح الفكاهة ، لاحترق بما يشتمل في صدره من جحيم ، وقد كان ككل أديب بائس — يظن لديه من الحصافة والمرونة ما يؤهل له العيش الرغد ، والنعيم الهنيء فإذا صدمه الواقع المرير بالبؤس والمتربة ثار على الوضع الجائر ، وندب الحظ العاثر ، وتطلب المكانة التي يصورها له خياله ، وإنها لبعيدة عنه أشد ابتعاد !! وقد كان من القسوة الغليظة أن يلقبه الناس بالعبد وهو الأديب الحر العيوف ، وماذا يصنع في لقب ورثه عن أبيه ، ولازمه كالظل فما ينفك عنه أبد الحياة ، إنه ليقابله بالعتب المرير ، ويصيح كالساخر العابث :

نسبوني إلى العبيد مجازا بعد فضلي واستشهدوا بسوادي
ضاع قدري فقمت أندب حظي فسوادي على ثوب حداد

وإذا كان السواد ثوب حداد على حظه الضائع ؛ فإنه في موضع آخر حداد على قلمه الكاسد !! هذا الذي لا يجر نفعا لصاحبه ، وهو أحرى أن يملأ يديه بالذهب النضار ، لو عاش بين قوم يقدرون فضله ، ويحترمون مواهبه ، وقد تمنى الشاعر أن يكون قلمه سهما مسددا إلى فؤاده ، فيريحه مما يكابد من عناء !! وتلك أمنية ترمض الجوانح ، وتدمي الجفون ، ولكنها في رأيه سبيل الخلاص ، ومرفأ النجاة ، ها هو ذا يقول :

لبست لأجله ثوب الحداد ودرت مع الزمان بغير زاد
أمد يدي إلى قلمي افتقاراً فيدفعني إلى تلك الأيادي
فياليت اليراع يصير سهما كما أبغي ويكتب في فؤادي
سئمت من الحياة بلا حياة وضقت من الرشاد بلا رشاد
وكيف يهيم بالدنيا أديب تسربل بالسواد على السواد
إذا أكل الطعام فمن تراب وإن شرب المياه فمن مداد
كأن الدهر يغضبه صلاحي فأفقرني ليرضيه فسادي

وأوجع من هذا أن يقول شاكيا فاقته نادبا مجتمعه الجائر

خلقت بين أناس لا خلاق لهم فباعني الفضل في الدنيا بلا ثمن
لولا بقية دين أمسكت خلقي لقلت إن إله العرش لم يرني

---

(١) يقول إمام :

يا خليلي وأنت خير خليل لا تلم راهباً بغير دليل
أنا ليل وكل حسناء شمس فاجتماعي بها من المستحيل

أو يقول :

وما قتلتنى الحادثات وإنما … حياة الفتى فى غير موطنه قتل
وما أبقت الدنيا لنا من جسومنا … على بأسنا ما يستقيم به الظل

وكأن الحظ قد سد أذنيه عن قلم إمام فلم يصغ لحظة واحدة ، إلى صرخاته الفاجعة ، وما زال يتقلب على أشواك الحرمان حتى دهمته العلة بعد خمسين عاما من عمره الجديب ، وأحس أنه قريب من الموت فلم يأسف من الحياة على شئ غير يراعه العجيب ، فطالما نفث بمداده السحر ، وشنف بصريره الأسماع ، فطفق يودعه فى حرقة وتلهف ، وينشده الرثاء الباكى الذى ناح به على نفسه ، وهو يكابد العلة القاتلة ، ويصاول الداء الفتاك ، ثم سبحت روحه إلى آفاقها الرحيبة ، بعد أن ردد هذه الزفرات الأخيرة

يراعى ، لقد حان الفراق وربما … أراك على العهد المقدس باقيا
لبست عليك الليل حزنا وليتنى … لبست على نفسى الدجنة ثانيا
مضت بيمينى الحادثات جهالة … فلما رأت صبرى مضت بشماليا
وكيف يطيب العيش والدهر مدبر
وفى القلب ما يفرى الحسام اليمانيا

رمل الاسكندرية — **محمد رجب البيومى**

رسالة المربى

أهمية العلوم — المدرسة والمجتمع — المجتمع العالمى ورسالة المربى

للأستاذ كمال السيد درويش

يحتاج التوافق الاجتماعى إلى جانب الإعداد التربوى - الخلقى والبدنى - إلى الإعداد العقلى أيضا . وذلك عن طريق العلوم فقد كانت ولا تزال من أهم الوسائل التى يستعين بها الإنسان على إشباع حاجته إلى المعرفة وتوفير حاجته إلى الأمن . والعلوم من أهم وسائل الإنسان فى تذليل ما يصادفه من عقبات وبها يستطيع الحياة فى جو مطمئن يساعده على الابتكار والتجديد والتقدم .

ولسنا الآن بسبيل سرد تلك العلوم ولا بسبيل الإشارة إلى أهمية كل منها على انفراد أو الحاجة الإنسانية إليها فذلك كله من الأمور البديهية ، وما على الإنسان إلا أن يفكر قليلا ليدرك مدى الخدمات التى تؤديها مختلف العلوم والتى لولاها لما تقدمت الإنسانية فى طريقها ولما خطت خطواتها السريعة فى سبيل التقدم . وإنما الذى يهمنا الإشارة إليه هو كيفية تدريس هذه العلوم المختلفة بحيث تصبح فعلا مفيدة للانسان ، أى بحيث يستطيع استغلالها واستخدامها كوسائل فعالة ، حية ، نامية ، لا أن تصبح مجرد أدوات لا قيمة لها أو كجثث محنطة لا نفع فيها ولا حياة . وهنا نستطيع أن نتبين أهمية رسالة المربى . إنها تظهرنا على الموقف الذى يجب أن نقفه كمربين من تدريس العلوم على اختلافها ؛ من كيفية تعلمها وكيفية تعليمها أيضا . يجب أن يشعر المتعلم بفائدة العلوم التى يتعلمها ؛ يجب أن يشعر أن العلوم وإن كانت قيودا تزيد فى ثروته العلمية وتعاونه على التآلف مع بيئته وتزيد فى قدرته على التعامل معها . وما لم يحدث ذلك فعلا كان المتعلم قد خسر كل شئ ولم يستفد سوى حشو ذهنه بالمعلومات الميتة فلا هو سينتفع من معرفتها ولا سيضره جهله بها، بل سينفعه تركها والتخلص منها

إن للعلوم جميعها أهمية كبرى فى تحقيق رسالة المربى ، ولعلم النفس من بينها أهمية خاصة لم نشر بها بعد، لذلك يجب الإشارة إلى الأهمية الكبرى التى اكتسبها . لقد أصبح علم النفس ضرورة من ضرورات المجتمع الحديث ، فبه يمكن حل الكثير من المشاكل الاجتماعية وعلى ضوئه يمكن تفسير السلوك الإنسانى المعقد، وبدون ذلك لا يتيسر للانسان الحياة فى وئام . علم النفس الآن هو طبيب، الإنسانية بل خادمها الأول . وهو ينفع المعلم كما ينفع الطبيب وينفع صاحب المصنع كما ينفع العامل . هو علم الإنسان . بل علم النفس الإنسانية ، ولذلك يجب علينا معشر الشرقيين أن نحله مكانه الممتاز بين سائر العلوم

ومن بين العلوم التى أخذت تحتل مكانها الممتاز إلى جانب علم النفس بفروعه المختلفة نجد علم الاقتصاد . إن المجتمع الناهض القوى يجب أن يبنى على أسس اقتصادية سليمة، وإلا ذهب الكلام عن إصلاحه وتقدمه أدراج الرياح . وهل يتيسر ذلك إلا بالسير وفق سياسة اقتصادية مرسومة وفق أحدث نظريات الاقتصاد ؟ ! ألم يشترك الكتاب الاقتصاديون مع غيرهم فى تقديم الوقود لإشعال نار الثورة الفرنسية وبناء مجتمع جديد على أنقاض الملكية المتهدمة ؟ !

والكلام عن علم الاقتصاد يقودنا إلى الكلام عن النظم الاقتصادية وما انبنى عليها من مذاهب سياسية يحاول كل منها تنظيم المجتمع أحسن تنظيم . ولقد طبقت هذه النظم فى بعض الدول الأوروبية مثل الروسيا أو ألمانيا أو إنجلترا حيث نجد الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية . ولهذه المذاهب — وإن كانت سياسية — مثلها التربوية وفلسفتها التعليمية .. ولذلك لا يمكننا إغفالها دون التحدث عن موقف رسالة المربى منها . إننا ننظر إليها جميعها كوسائل ضمن الوسائل التى نستفيد بها لتحقيق هدفنا التربوى ، فإذا كانت عاملا من عوامل النمو الاجتماعى استخدمناها وإذا سلبتنا حريتنا وشخصيتنا ووقفت عائقا دون تقدمنا تركناها ونبذناها . فليست العبرة لدينا بالأسماء بقدر ما تهتم بحقائق الأشياء . ونحن نقول لأصحابها : « ما هى إلا أسماء سميتموها . »

إن لكل مذهب سياسى ظروفه الخاصة التى أدت إلى ظهوره وانتشاره وبخاصة وله بيئته المحلية التى لا يترعرع إلا فيها ولا يزدهر إلا فى أحضانها . ولكل بيئة تراثها التاريخي فكيف يصلح فى مصر ما يصلح فى إنجلترا أو الروسيا ؟ !

ولماذا لا تكون لنا رسالتنا الخاصة نستمدها من تراثنا القديم والوسيط والحديث ، ومن خبراتنا وتجاربنا، فنحن أدرى بأحوالنا وبما يلزمنا ؛ نقتبس من المذاهب شيوعية كانت أو ديمقراطية أحسن ما فيها مما يتمشى مع مقوماتنا ونخرج من ذلك كله بفلسفتنا الخاصة فتكون لنا أكبر البعث والحياة

وفى ميدان المدرسة يجب أن تتركز جهود المربى لتحقيق رسالته ، ذلك لأن المدرسة تقوم بدور رئيسى فى تربية أفراد المجتمع . وموضوع المدرسة وما يجب أن تكون عليه حتى تنجح فى تحقيق رسالة المربى موضوع قد استحق التأليف فيه من كبار فلاسفة التربية فى الغرب، وسوف نفرد له بحثا خاصا بإذن الله

وكما يجب أن تتجه همة المربى إلى المدرسة يجب أن تتجه إلى سائر الميادين الاجتماعية الأخرى .. إلى السينما والمسرح وإلى الصحافة والإذاعة، فكل ميدان من هذه الميادين يحتاج إلى نفس الإشراف والتوجيه الذى يكفل ضمان نمو الروح الاجتماعية التقدمية بين جميع أفراد المجتمع . يجب أن يقف المربى من إصلاح المجتمع موقفا إيجابيا بشتى الوسائل كإنشاء المراكز الاجتماعية حتى يشع كل منها الروح الاجتماعية فيمن حوله من السكان . حقا إن إنشاء المراكز الاجتماعية بخبرائها وأطبائها وميادينها وملاعبها ومسارحها وصالات محاضراتها كفيل بتوجيه المجتمع الوجهة الصحيحة التى يجب أن يتجه إليها . إن اهتمامنا لا يزال ينصب على المدارس فقط، وهذا خطأ كبير . حقيقة إن المدارس وإن كانت تمد الإنسان فترة كبيرة من حياته إلا أن ذلك ليس معناه الاعتماد عليها فقط، لأن الفرد قبل التحاقه بالمدرسة يكون إلى حد كبير صورة مصغرة للمجتمع المنزلى الذى عاش فيه، ثم هو بعد التحاقه بالمدرسة لا يقطع صلاته أبدا سواء بالمنزل أو الشارع ويكون أثناء ذلك شأن كل صحيح البدن عرضة للاصابة بجراثيم الأمراض لاجتماعية المعدية . وهنا تتبين لنا أهمية رسالة المراكز الاجتماعية . عليها مهمة الوقاية والحماية والتأييد والتعضيد . هى الناصح المخلص والمرشد الأمين والطبيب الذى يأخذ بيد المصابين وقبل أن يزمن الداء يقدم إليهم الدواء فالشفاء

ولكن عن أى مجتمع نتحدث ؟! إن المجتمع الذى نقصده ليس المجتمع المصرى أو العراقى أو الشامى أو الإنجليزى ، وإنما هو المجتمع العالمى . . أى المجتمع الذى يضم أفراد العالم جميعا . وما فائدة إصلاح مجتمع محلى مع إهمال سائر المجتمعات؟ أليس هذا

هو سر التعارض بيد الأمم وبالتالى سبب قيام الحروب وانهيار كل دولة وتأخرها إلى الوراء . إن من بين الأسباب الرئيسية للحروب بين دول العالم هو اختلاف الإعداد التربوى فى دولة ، عنـه فى الأخرى ، هو فى التعصب القومى الأعمى البغيض ، هو فى اختلاف الاتجاهات العقلية والخلقية بين الدول، حقا إن الإعداد الاجتماعى كفيل بإيجاد التقارب والتفاهم بين أفراد المجتمع العالمى . إن الأمر على ما بينها من اختـلاف تعيش فى وئام وسلام داخل حدود الدولة الواحدة، ذلك لأنها تخضع لإعداد اجتماعى واحد يهدف إلى تقوية عوامل الوحدة فى الدولة ، فلماذا لا ننظر إلى الدول على أنها أسر صغيرة فى المجتمع العالمى ، ونعمل على إيجاد روابط اجتماعية عالمية تؤدى إلى جعل التعاون العالمى حقيقة ملموسة لا حلما فى الخيال ؟ ! إن رسـالة المربى تنظر إلى الوحـدة العالمية كهدف قريب الوصول سهل التحقيق وهى تراها لازمة لها لزوم الروح للحياة . ورسالة المربى بهذا المعنى تحقق نمو المجتمع الإنسانى ورقى العالم وبها يتحقق أكبر قسط ممكن من السعادة الذاتية للانسان

وهذه النظرة العالمية تؤكد لنا حاجة أمم العالم إلى التعاون فيما بينها شأنها فى ذلك شأن الإنسان . فكما أن الإنسان مضطر إلى أن يحيا ضمن المجتمع ، فكذلك الدول مضطرة هى الأخرى إلى أن تحيا ضمن المجتمع العالمى . وكما أن كل إنسان ينعزل عن المجتمع يكتب على نفسه الفناء والزوال ، فكذلك كل أمة تبتعد بنفسها عن غـيرها من الأمم تكتب على نفسهـا ـ بانعزالها وجودها ـ الفناء والزوال . وكما يجب أن تسود الروح الاجتماعية بين أفراد المجتمع يجب أن تسود بين دول العالم جميعها . وعلى ضوء هـذه النظرة العالمية يجب أن تسود بين دول العـالم جميعها . وعلى ضوء هذه النظرة العالمية يجب أن تتكيف التربية داخل المدرسة وخارجها فيكون هدفها هو العمل على إيجـاد التوافق الاجتماعى بمعناه الخاص وبمعناه العام أيضا . ولنضرب لذلك مثلا تدريسنا لعلم التاريخ . هل غرضنا من تدريسه تقديم أداة فعالة تمكن المتعلم من الاندماج مع مجتمعه هو والعمل على رفع شأنه دون الاهتمام بغيره ، والتعصب لوطنه والحط من شأن غـيره من الأوطان ؟ ! لو فعلنا ذلك لأغفلنا أهم جانب فى رسالة المربى . إن التاريخ بهذه الصورة هو سر التعصب القومى ... هو الزيت المصبوب على حطام العالم لتشتعل فيه الحروب من جديد حتى لا يخمد لها أوار . أما إذا قمنا بتدريس التاريخ على أنه توضيح لما بين الأفراد والمجتمعات من علاقات عدائية أحيـانا وسلمية أحيانا أخرى وما كان لهـذه وتلك من أثر فى تقدم الإنسانية أوتأخرها؛ فإننا فى الحقيقة نكون قد سرنا فى الطريق التى توصلنا إلى تحقيق رسالة المربى

كمال السيد درويش

ليسانس الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى

مدرس بالرمل الثانوية

٤ — على ضفاف القناة :

زفة أللنبي

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

قد يلفت هـذا العنوان نظر القارئ الـكريم ، ويوقعه في شيء من الحيرة والارتباك ، والعجب والدهشة ، فمن هو (أللنبي) هذا ؟ وما قيمة (زفته) هذى حتى يفرد لها حديث خاص في الرسالة الغراء ؟ ! ولـكن سرعان ما يزول هذا الشعور المزيج من الحيرة والعجب والدهشة والارتباك عند ما يعلم أن (أللنبي) هو المعتمد البريطاني الذي أنزل البـلاء بالمصريين عامة أيام الحرب العالمية الأولى . وأن (زفته) هي عادة أصيلة في بورسعيد والإسماعيلية ، يدين بها أهل هاتين المدينتين ، ويحرصون عليها كل عام حرصا شديدا

والزائر لإحدى هاتين المدينتين ابتـداء من منتصف شهر فبراير ، يرى نشاطا عجيبا ، ويلفت نظره تماثيل لم يكتمل خلقها بعد ، معلقة على أبواب المنازل ، أو فوق سطوح البيوت غير المرتفعة ، في الأحياء الوطنية بخاصة ، وفي الأحياء الأفرنجية كذلك حيث تسكن بعض الأسر المصرية . . تماثيل تـكتمل خلقا يوما بعد يوم في نظام رتيب وعمل متصل بلا انقطاع . فوق كل بيت تمثال (خواجة) يبدأ جسمه أولا غفلا من التصوير ، أي بدون رجلين ولا يدين ولا رأس ، ولا تـكاد تمضي أيام على تعليقه على الأبواب أو فوق سطوح الدور ، حتى تصنع له الرأس ، ثم تبدو اليدان ، ثم الرجلان ، ثم توضع القبعة فوق الرأس ، ثم توضع في فمه الـكبير (بيبة) يمسكها بيده كأنما يدخن في نهم وشره ، وصفاقة وبرود . . وكلما مر يوم ازداد هذا الخواجة أناقة ووضحت تقاطيع وجهه ، وظهر فيـه البرود الـكسوني الممقيت بأجلى صوره ، وأوضح معانيه ، وبعد مدة يصل الفن المصري (البلدي) إلى رجليه ، فيلبسهما حذاء لامعا ، وقد يمسك في يده مذبة (منشة) وقد يكون واقفا مستندا إلى خشبة خلفه أو بجانبه لئلا يسقط هنا أو هناك ، وقد يكون جالسا على كرسي يصنع خصيصا لهذا الغرض ، بحيث يضع رجلا على رجل ، فينبعج كرشه ، ويصبح مثال الصلف الوقح ، والبرود الحقير . .

وتـكون هذه التماثيل في الغالب في حجم الإنسان الطبيعي الذي يميل إلى النحافة قليـلا ، حتى إذا جاء يوم شم النسيم تـكون هـذه التماثيل قد اكتملت خلقا وزينة ، وظهرت معالمها ، وبرزت خصائصها ، لأن هناك مجالا واسعا للتفاخر والتباهي بين الأهلين ، فمن كان تمثاله أكبر وأضخم ، وأدق وأفخم ، وأظهر وأعظم ، كان بالوطنية أجدر ، وبطعن الأجنبي الغاصب أحق وأولى ، واستحق بذلك تقدير زملائه وجيرانه ، وتهنئة أهله وأحبابه وخلانه ، ونال الشرف الذي ليس من السهل أن يناله إنسان ، أو يحصل عليه مخلوق كائنا ما كان . !

أما من أي شيء تصنع تماثيل هؤلاء (الخواجات) فهـذا موضع العجب والدهشة ، أو بمعنى أدق هو الوطنية الحقة ، الـكامنة في نفوس هذا الشعب المصري العجيب الذي لا تزيده الحوادث مهما اشتدت ، والخطوب مهما ادلهمت ، إلا شدة وقوة ، وصرامة ووطنية . . إن هـذه التماثيل تصنع من القماش الرخيص أو الملابس القـديمة . وتحشى بأقذر ما في البيوت من ثياب رثة . وملابس مهلهلة ، وجميع ما يستغنى عنه الـكبير والصغير من أحذية وغيرها ، لتحمل معنى الإهانة الصارخة ، والسخرية اللاذعة ، والاحتقار الشائن ، والثورة الحانقة . .

ولا يكاد ينبلج الضوء صبيحة يوم شم النسيم من كل عام ، حتى تحمل هذه التماثيل على عربات صغيرة من عربات اليد ، وتدفع إلى الأمام في إهانة بالغة ، واحتقار كبير . . وبعض الأهلين يفتنون في ذلك ، فيحملونها على (نعش) ويسيرون بها في هيئة جناز ، إلا أنه غير صامت ، بل صاخب ثائر ، حيث يردد الـكبير والصغير هذه العبارات التقليدية اللاذعة : « يا أللنبي يا بن حلنبوحة . . ؟ . . أمك ، ملآنه ملوحة » ويصاحب ذلك الترديد تصفيق منتظم حاد ، يشيع في الجو لونا رهيبا من ألوان الثأر المـكبوت ، والعاطفة المـكفوفة التي يفرج عنها هذا المرج والصخب والقشق ، ولا تزال هذه الزفة الصاخبة الحامة ، تخرج

من كل بيت ، وتتلاقى هنا وهناك ، طائفة بالشوارع الكبيرة والصغيرة ، حتى تصل إلى كل رجا من أرجاء المدينة . فإذا انتهى الأهلون من هذه الزفة ، ألقوا بما يحملون من تماثيل ، فى إهانة صارخة ، وثورة جامحة ، وأشعلوا فيها النيران التى تندلع ألسنتها فى وحشية وجبروت طاغ ، ، يذهب بتماثيل الشر الماحق ، ويمحو آثار الطغيان والضلال المبين إلى أعماق الجحيم ..!!

* * *

ومرجع هذه الزفة كما أعتقد إلى فكرة وطنية متمكنه، وعقيدة عدائية خالصة ، نحو الإنجليز العدو الأول لمصر والمصريين . . ذلك أن اللورد اللنبى كان مندوبا ساميا فى مصر أيام الحرب العالمية الأولى ، وكان هذا الداهية سوط عذاب على المصريين جميعا ، وبخاصة على العمال المصريين ، وكان عنوان الصلف الإنجليزى ، والطغيان المروع ، وتجلى ذلك العداء الصارخ فى وضوح وجلاء ، حينما ساق العمال المصريين سوق الأنعام إلى بلاد الشام ، حيث عاملهم كما تعامل السائمة ، لقتال الترك والألمان .

والمصريون فى ذلك الحين يحنون حنينا كبيرا عجيبا إلى الأتراك ، ومرجع ذلك الحنين البالغ إلى الصلة الدينية التى تجمع بينهما . . صلة الإسلام التى جمعت بينهما وأدت إلى المصاهرة ، حتى لا يكاد يخلو حى من أحياء القاهرة ، ولا مدينة من مدن القطر من أسر تركية ، أو أسر مصرية تنحدر من أصل تركى ، حيث كانت مصاهرة الأتراك فى ذلك الوقت من دلائل العظمة ، وعنوان التقدم والرقى ، وعراقة الأصل ، وطيب المحتد . وقد كان الترك كذلك إلى عهد قريب زعماء المسلمين ، وقبلة الأنظار فى يوم ما ، فيهم الخلافة ظل الله فى الأرض، وإليهم تتجه القلوب فى أرجاء العالم الإسلامى بأسره ، ونواحى الوجود بعامة ..

ثم هم — أعنى المصريين — يحترمون الألمان ، ويحبونهم بالغ الحب ، ويرون فيهم مظهراً من مظاهر الرجولة الكاملة ، والاستقامة الرائعة ، والجد الصارم ، والعزم الحازم ، كما يرون فيهم صورة حية من صور العبقرية الملهمة ، وأنهم أئمة العلم والاختراع فى القرن العشرين بلا مراء ، ويعتقدون أنهم فى حربهم مع الإنجليز وحلفائهم ، إنما يحاولون القضاء على الخطر الاستعمارى الأكبر ، رمز الظلم والعدوان ، والغدر والغش ، والبرود السكسونى اللعين ، وكيف كانوا يستولون على بضاعة الألمان ، ثم يضعون عليها علامات تجارية إنجليزية ، ويبيعونها على أنها إنتاج إنجليزى بأغلى الأثمان وأفدح الأسعار ، ولا يبالون بما يفتضح من أمرهم فى السوق المصرى بخاصة ..!

ولهذا كان من العسير على نفوس العمال من المصريين أن يساقوا سوق السائمة لحرب من يحبون ، وقتال من إليهم يميلون، وإذا كانت الدعاية المارقة قد استغلت مظاهر الحزن والنقمة ، حين يجند أبناء المصريين ، وجعلت من هذا الحزن والصوت المتعالى دليلا على عدم الوطنية المصرية ، والفرار من ميادين القتال، وأن أمة هذا شأنها لا تستحق الحياة بين غيرها من الأمم عزيزة مرهوبة الجانب ، بل تستحق حماية غيرها من الدول القادرة الناهضة ، حتى تنهض على ساقين ، وتفهم حقيقة الأمور كما يجب أن تفهم .. أقول إذا كانت الدعاية الإنجليزية المغرضة قد استغلت ذلك ، فإنما هو استغلال سيئ لأغراض سافلة ، والمصريون معذورون فى نقمتهم على ذلك التجنيد الذى لم يكن فى سبيل مصر والمصريين، وإنما كان لخير الإمبراطورية العجوز الشوهاء ، التى تربط مصر والمصريين بعجلتها ، وتدفع بالعمال والجنود المصريين إلى أتون الحرب المستعرة ، حيث تلتهمهم خطوط النار الأولى ، وتقضى عليهم القضاء الأخير ..

وإن هؤلاء الإنجليز لا يجهلون وطنية المصريين ، ولكنهم يتجاهلونها ، ويشيعون عنهم فى المحافل الدولية غير الحق والواقع، ولو أنصف هؤلاء الطغاة لأنصفوا هذا الشعب الذى يقدر العاملين ..!!

هذا هو اللورد اللنبى الذى جند من المصريين جيشا يحارب على غير رغبته الأتراك والألمان ، وكانت أكثر المناطق المصرية تضحية بأبنائها وبنيها هى مدن القناة دون ريب ، ولطالما فجع أهلوها بفقد من ذهب إلى الميدان .. ومن الغريب أن الظروف ساعدت هذه الدولة العجوز ، حيث قامت الثورات فى ألمانيا فاضطر الألمان إلى الانسحاب ، خشية تفاقم الخطر .. وقد انتهز اللنبى هذه الفرصة . فخرج على رأس جيش لقتال الألمان والأتراك فى الشام ، وادعى أنه هزمهم وطردهم وتعقبهم ، بينما الظروف وحدها هى التى دفعتهم إلى العودة والرحيل ..!!

الحرب الاقتصادية أضر

لندع الألسنة التى لاهى مصرية ولا عربية تدور فى أشداقها تشيد بقوة الإنجليز وضرورة بسط سلطانهم على هـذا الشرق المنكوب بالجهل والفقر والمرض

لندع أصحاب تلك الألسنة الذين لاهم مسلمون ولا شرقيون ، يثرثرون فى مجـالسهم يجرحون الوعى القوى فى هذا الشرق النـاهض ، ويلطخون أخلاق قومه بكل شائن مزرى معيب

لندع الحكة الآكلة تنهش صدورهم ، لأن فى نهضة الشرق ، ووعى قومه ، وقيامهم دفعة واحدة يدفعون عن عواتقهم أضرار الاستعمار وصلف المستعمرين وأذاهم تكـذيبا صريحا للتقارير التى يرفعونها إلى سادتهم المستعمرين عن موات الشرقيين وسدورهم فى الملذات والشهوات وإنـكارهم الوطن والوطنية

لندع جانبا أصحاب تلك الألسنة المأجورة والضمائر المسخرة

وإذا كان أللنبى قد فجـع كل بيت مصرى فى عائله أو أحد أفراده ، فإنه هو الذى سيطر على الحياة السياسية المصرية حينا من الزمن ، ولا يجهل أى مصرى أن أللنبى هو الذى منع الملك فؤاد عليه رحمة الله أن يلقب بملك مصر والسودان ، ضنا باتحاد أبناء الوادى أن يتخذ له كيانا تترتب عليه نتائج لا يرضى عنهـا الإنجليز ، وحرصا على تفريق الكلمة ، وتوزيع الجهود . .

وأما بعد : فقـد آن الأوان لأن يحطم المصريون هؤلاء الإنجليز ، ويقضوا عليهم القضاء الأخير ، ويتخلصوا نهائيا من هذه التماثيل . . تماثيـل الشر والفساد ، ليتخلص الوطن من أعدى أعدائه ، ويتنفس الجميع فى جو من الحرية والاستقلال . .

عبد الحفيظ أبو السعود
المدرس بالمدارس الثانوية الأميرية

لأنها صارت قاب قوسين أو أدنى من القبر ، ولأنها الحـالة الراسبة ، والنفاية المرذولة ، والبقية الباقية من جيل لا رده الله عاش بنوه فى ذل الاستعمار ، وفقدان الثقة بالنفس ، وفى جماعة ليسوا من الإسلام والشرقية والعروبة فى شىء ، وإنما هم مخاليق ضمائرهم خربة ، لا دين لهم إلا الجنيه ولا غاية لهم سوى الجنيه

لندع هـذه الحفنة من الرجال الفانين ينفثون سمومهم فى محيطهم الضيق ، لأن الأمم فى نهضاتها لا تستمع إلى حشرجات المرضى ، ونزع الموتى ، ولننظر فيما يجب علينا عمله إزاء موقفنا الراهن

صحيح أن الحـكومة درست أو هى تدرس ، ووضعت أو هى تضع خططا لمحاربة أعدائنا ومحتلى بلادنا ، ولـكن الواجب يقضى بمعاونة الحـكومة فى إبداء الرأى الذى قد يكون غرب عن بالها ، ولذلك أقترح أن نـكون عمليين فى حربنا أى نسعى إلى كـسب كل معركة نخوضها بعد درس وتدبر

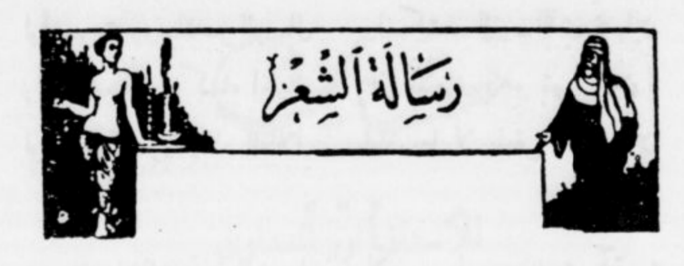
الاستعمار والانتداب والاحتلال إنما هى أسماء مترادفة لمعنى « الـكسب المالى » ؛ والإنجليز إنما هم تجار قبل كل شىء ، وأن حكوماتهم وأساطيلهم وسلطانهم رهن خدمـة التاجر صاحب المعمل أو المصنع ، فما ضرنا لو صوبنا قذائفنا إلى صدر هذا التاجر الإنجليزى وعرقلنا دواليب مصنعه عن الدوران وعطلنا أيدى العمال عن الحركة ؟

المسألة بسيطة جدا ، وإن تنفيذها ليتوقف على معيار وطنية التاجر المصرى ، وعلى إيمانه بحق بلاده وقومه فى الحيـاة المستقلة ، وعلى رغبته الصادقة فى محاربة الاستعمار والانتصار على المستعمر ، فإذا توفرت الرغبة وجاش الإيمان والوطنية فى صـدر التاجر المصرى ، فما عليه إلا إبلاغ التاجر الإنجليزى أو الوسيط « القومسيونجى » إلغاء جميع ماطلب من بضائع وإيقاف تصديرها

وزيادة فى الإيضاح أقول : إن التاجر المصرى الذى يستورد بضاعته من إنجلترا واحد من اثنين :

الأول يستورد من صاحب المعمل رأسا بغير وسيط

والثانى يشترى أو يوصى على طلبه بواسطة « القومسيونجى »



معهد الشعر الرمزى :

أفعـــوان . . . !

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

« من وحى : هي يا رياح الخريف هي لشيخ الكتاب الأستاذ أحمد حسن الزيات بك »

يلتوى والسم يسرى فى دمائه … « أفعوان » داؤه يشفي بدائه !
يبعث الشر الذى فيه اصطلى … كل خير ، وانثنى بعد اصطلائه
إنه الخداع .. يمشى .. معجبا … فى خداع منطو طى .. ردائه !
عاش يشقى قلبه من حقده … ما شقاء القلب إلا فى شقائه .
سار يمشى فى ضلال غامض … ليس فى الدنيا سبيل لاهتدائه
أى أمر يرتجيه ... ذاهب … حقده .. فيه مزيل .. لرجائه !
يحسب الأقدار .. فى قدرته … والقضاء الفصل آت من قضائه !

* * *

« أفعوان » « زاحف » تحت الثرى
سوف يبقى فيـــه رمزا لفنائه
غادر لا ينثنى عن غدره . … يلبس التمزيز ثوباً من ريائه !
أى شئ يبتغيه ... عندنا … غير بغى ينطوى تحت ابتغائه !؟
مخاف فى وعـــده مستضعف
مسرف عند « التقاضى » فى جفائه
يدعى دعوى وفاء خالص … وانتكاسات المهد يحكى عن وفائه !

أحمد عبد اللطيف بدر

معلوم أن معظم رجال القومسيون إما من الغربيين وقد أبدوا لرئيس الحكومة عطفهم على قضيتنا ، وإما من المتمصرين وهؤلاء لا شك فى معاونتهم إيانا وشد أزرنا فى حربنا ، فما ضر هؤلاء أن يتحدوا مع التاجر المصرى فيبلغوا التاجر أو صاحب المعمل الإنجليزى إلغاء جميع الطلبات وإبطال جميع الصفقات وإيقاف جميع التوصيات التى قامت بين التاجر المصرى والتاجر الإنجليزى؟

لمثل هذا الاقتراح سوابق كثيرة فى أسواق التجارة ، ولا معنى مطلقاً للقول . بأن « التجارة حرة » فى موقف مثل موقفنا من الإنجليز اليوم ، ولا اعتراض ألبتة على الغرف التجارية إذا توسطت فى إقناع الوسطاء « القومسيونجية » ليقفوا إلى جانب التاجر المصرى المحارب فى سوق الاقتصاد ، ولا ملامة على وزارة التجارة إذا ضغطت على التجار والقومسيونجية وأجبرتهم إجبارا على إلغاء طلباتهم من البيوتات الإنجليزية

إن إلغاء طلباتنا من إنجلترا لا يصيب تجار التجارة الإنجليزية بخسارة تقدر بخمسين مليونا من الجنيهات فقط ، بل يكسب مصر ضجر التاجر الإنجليزى وصخبه وتحامله على حكومته لأنها أقفلت أبواب سوق من أسواقها الغنية فى وجه تجارتها

ومعلوم أيضا أن الإنجليزى فى بلاده يقتر فى معيشته كل التقتير ، ويعيش على الكفاف تلبية لطلب حكومته الراغبة فى استرداد مكانتها فى سوق المال ؛ فكيف يكون حاله إذا صفعته مصر بإلغاء طلبات تجارها وهى تقدر بعشرات الملايين ؟ لا شك عندى فى أن مصر ستجنى من وراء هـــذه الخطوة الاقتصادية المشروعة تبرم التجار الإنجليز الذين يتململون من تعطل معاملهم وكساد تجارتهم والذين سيحدون ولا شك من جوح الرجال العسكريين ومن غطرسة رجال السياسة

إن معركة واحدة نربحها فى سوق الاقتصاد لهى عند الإنجليز أشد وأنكى من خسارة موقعة كوقعة دنكرك .. ولى عودة إلى هذا الموضوع

تاجر

تذكري

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

تذكرى أن ربيع الهوى … مر عليه من جفاك الخريف
وأن زهر الحب لما ذوى … جملت أرويه بدمعى الذريف
وأن عمرى فى هواك انطوى … كما انطوى فى القيظ ظل وريف
ولم يعد لى من غرامى سوى … نار من الذكرى .. بقلب لهيف

* * *

تذكرى أنك أنت التى … دعوتنى للحب يا ساحره
فجئت واللهفة فى مهجتى … وملء عينى الرؤى الباهره
حتى إذا أوشكت يا جنتى … أستاف أزهار الهوى الناضره
غدرت بى ! أواه من لوعتى … وآه من غدرك .. يا غادره

* * *

تذكرى قلبي ، ربيب الألم … وابن الأمانى الخرد الرائعه
تذكرى شعرى، وشعرى نغم … أرسلته من روحى الضارعه
كم ناح بالأشعار قلبى ، فلم … ترحم أساه روحك الخادعه
لو عرفت روحك لذع الندم … أعدت لى أحلامى الضائعه

* * *

لكن تمنيت الذى تشتهين … من وقدة الحس ، ونار الجسد
وحين حادت بهوانا السفين … عن مرفأ النار التى تتقد
نأيت عن قلبى الوفى الأمين … سعيا وراء اللهب المفتقد
هذا هو السر الخفى الدفين … سر افتراق عنك حتى الأبد

* * *

أردتنى نارا ، وحبى وقود … فكنت نورا ، وغرامى شعاع
وشئتنى جسما أسير القيود … فكنت روحا كالأثير المشاع
لو عشت بالروح وراء الحدود … هناك إذ يخبو لهيب الصراع
إذن لنلنا فى هوانا الخلود … وما فقدنا فيه .. حتى الوداع !

* * *

مخدوعة أنت وسر الجمال … فيما تريدين ، وما تعشقين
لو أبصرت روحك سر الوصال … وانكشف الغيب الذى تجهلين
رأيت شيئا قد كساه الخيال … عن الأمانى وهو شئ مهين !
لو مزق النور رداء الظلال … لبان ما لا ينبغى أن يبين

* * *

روحك ما زالت تريد الضياء … لأنها من نبعه آتيه
فلا تروضيها على الانزواء … فى حجرة مغلقة داجيه
وأطلقيها فى رحاب الفضاء … تصعد إلى قمته العاليه
هناك تحيا فى نعيم الصفاء … وراء تلك اللذة الفانيه

* * *

تذكرى أن ربيع الشباب … غدا سيطويه خريف المشيب
فتهدأ النار هدوء العباب … إذا تهادى فيه سحر المغيب
وتبحث الروح قبيل الذهاب … عما لديها من ضياء حبيب
أطفأ نور الروح عصف التراب … إذن فميشى فى الظلام الرهيب

* * *

تذكرى أيتها الهاربة … أنا غدا قد نلتقى فى طريق
فتنزوى عن شمسك الغاربه … شمسى التى ما زال فيها بريق
ويذكر القلب التى الذاهبه … مع الليالى فى الزمان العميق
أحرقتها فى نزوة صاخبه … ولم أنل .. حتى رماد الحريق !

* * *

تذكرى أنك قد تندمين … يا من تناسيت الهوى والحنان
وحينما تكويك نار الحنين … إلى زمان قد طواه الزمان
سوف تعودين وتسترحمين … قلب الذى لم ينس طعم الهوان
فيهتف القلب : ألا تعلمين ؟ … لقد مضى الوقت، وفات الأوان!

ابراهيم محمد نجا

سمراء

للأستاذ محمد محمود عماد

سمراء كالعصفور حيرى … قد غازلتها الشمس جهرا
لما تعرت عن ضيا … ء ، للضياء ، تريد بحرا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

رسالة من الهند :

أنا يا سيدى واحد من المعجبين بك ، وإنى لأخشى أن يخذلنى القلم إذا ما حاولت أن أعبر عن هذا الإعجاب الذى أخذ يشتد على مر الزمن وينمو فى نفسى ويترعرع . وهل فى ذلك غرابة وأنت الذى تتحفنا على صفحات الرسالة بين حين وآخر بروائع من الأدب العربى الحديث ؟

وكيف نستطيع أن ننسى « التعقيبات » التى تشرف بها — كما أعتقد — من ربوة عالية على ما يستجد فى الأدب العربى ، وتزنه بموازين عادلة وتميز بين غثه وسمينه ! إننى لأبارك فيك روحك الوثابة ياسيدى ، وأسأل الله أن يكثر من أمثالك فى هذا الجيل العربى الحديث !

إن « الرسالة » الغراء هى مدرستى الأولى التى استطعت بفضلها العميم أن أتفهم الأدب الخالد وأتذوق روائعه وأنا فى هذا البلد الأجنبى . . وبفضل « الرسالة » استطعت أيضاً أن أكتب مقالات متنوعة وقصصاً قصيرة . ولما لم يكن لى حظ من التعليم العربى العالى ولم أتخرج على أيدى أساتذة عرب ، فإنى لم أجد فى نفسى الشجاعة الكافية لكي أنشر تلك المقالات التى كتبتها ، بل ظلت حبيسة فى الأوراق المتناثرة بين ثنايا مكتبى هنا وهناك ، حتى خطر لى أن أرسل شيئاً منها إليك لأعرف قيمته وأطلع على رأيك الحكيم فيه . وسوف تجد ضمن هذه الرسالة مقالا تحت عنوان « العالم المرئى » ، فإذا رأيت أنه صالح للنشر على صفحات « الرسالة » فأمل ، وإلا فارجو أن تطلعنى على رأيك فى المقال وماذا ينقصه ليكون صالحاً للنشر !

وإننى إذ أختتم هذه الكلمة أتوسل إليك أن تسدى إلى من نصائحك الغالية على صفحات « الرسالة » ، ما يعيننى على تحسين كتابتى لأننى لم أتخط العشرين ، ولا يزال أمامى متسع من الوقت لكى أحاول إصلاح كتابتى وجعل موادها مقبولة لدى الأوساط الأدبية . . ولك منى خالص الشكر وأصدق التمنيات

« بومباى — الهند » **أحمد على عوبس**

شاب لم يتخط العشرين من عمره ، يعيش فى بلد غريب ، ويتلقى دروس الأدب والفن عن مدرسة « الرسالة » .. ومن قال إن المدارس والجامعات تخرج الأدباء وتصنع المثقفين ؟ ! ما أكثر الأدباء الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم وما أكثر الذين استمدوا الثقافة من جهودهم الذاتية . . ومن هنا كان سرورى الذى لا يحد وأنا أقرأ هذه الرسالة فألمح وثبات الطموح تطالع عينى من وراء السطور !

إن الطموح وحده كفيل بتحقيق الهدف وبلوغ الغاية فى كل ميدان من ميادين النشاط الإنسانى .. كفيل بأن يجعل من

جاءت إلى كما يجـ ـئ الحلم فى ساعات إسرا
أو كالسنى زفت إلـ ـى على جناح يوم بشرى
وسألتها : ما بال شقـ ـرانى بدت للعين سمرا
اللون غير اللون لـ ـكن ما يزال السحر سحرا
خمرية الخدين إنـ ـى منهما وفيت سكرا
سكران بالعينين ما بالى إذا جرعت خمرا
وتعطفت فتركت فـو ق ذراعها المكشوف سرا
وشوشته ، فأسر لى : ماقد سمعت ، فهات أخرى !

* * *

ماذا ترى أختار من لونيك إنى حرت أمرا
كونى لى السمراء أو كونى إذا ما شئت شقرا
أغنيتنى فى حالتيـ ـك عن الحسان الغيد طرا

محمد محمود عماد

الخطوة المتعثرة وثبة بعيدة المدى على مر الزمن ومضى الأيام ! ولهذا أحب أن أطمئن الأديب الفاضل على مستقبله الأدبى ؛ مادام الطموح هو الرائد الأول الذى يأخذ بيده ويسدد خطاه ويهديه إلى معالم الطريق . . ولا يزال أمامه متسع من الوقت كما يقول ، ليبلغ فى ميدان الأدب هدفه المرجو وغايته المنشودة ، وليحقق لنفسه ما يتطلع إليه أمثاله من الطامحين !

وإذا كان الأديب الفاضل يسألنى شيئا من النصح أو شيئا من التوجيه ، فإنى أحب له أن يكثر من القراءة فى الأدب العربى قديمه وحديثه ، وأن يتزود من الثقافة الغربية ما شاء له التزود والاطلاع . . أما الأدب العربى فجدير بأن يصقل من قلمه أداة التعبير ، وأما الأدب الغربى فخليق بأن يلهب فى نفسه شعلة التفكير ، وكلا السلاحين من ألزم الأمور لكل أديب يريد أن يقتحم المركة وهو ثابت القدم مطمئن إلى النهاية !

هذا هو ما أنصح به الأديب الفاضل على صفحات « الرسالة » أما بقية النصائح فسأبعث بها إليه فى رسالة خاصة ، بعد أن يطلعنى على نماذج من آثاره القلمية فى محيط أدب القصة القصيرة . . عندئذ أستطيع أن أوافيه برأيى حول ما ينقصه من وسائل الأداء الفنى ، حتى يستطيع مع الجهد والمثابرة أن يبلغ مرحلة النضج والأصالة ، ويواجه مشكلة النشر وقد اكتملت بين يديه الأدوات، ولست بذلك أريد أن أثبط من عزيمته أو أحد من طموحه، وإنما أريد له أن يبدأ حياته الأدبية وهو واثق من نفسه مطمئن إلى مصيره ، وإن مقاله الذى بعث به إلى ليضع البذرة الأولى فى تربة الأمل المرجو إن شاء الله !

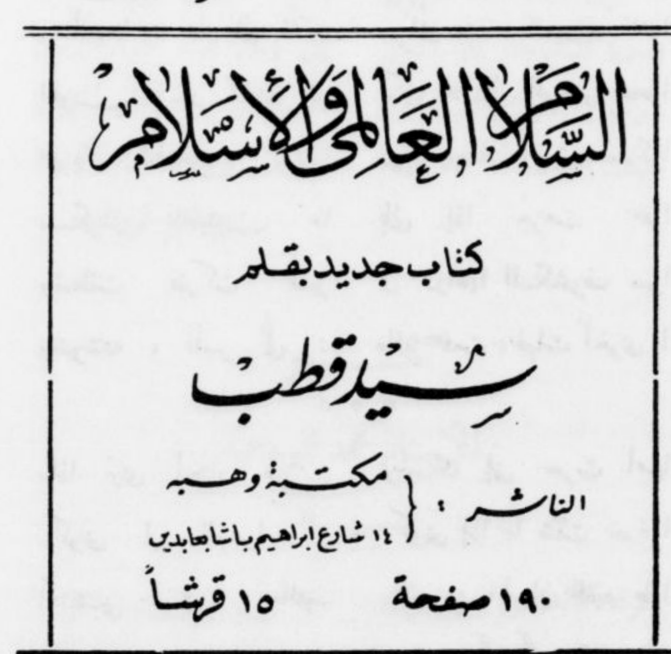
معالى وزير المعارف وقضية الأدباء :

من حق وزير المعارف على أن أشكره . . لقد تفضل معاليه فأمر بنقل الأستاذ السيد أحمد صقر من مدرسة كوم امبو الابتدائية بالصعيد ، إلى مدرسة الأمير فاروق الثانوية بالقاهرة . ولقد صدر هذا الأمر عقب ظهور عدد « الرسالة » الذى أثرت على صفحاته مشكلة الأديب الصديق ، فكان لذلك وقعه الجميل على نفسى ونفوس الأدباء ! هذا حق ، ومن الحق أيضا أن أقول إن معالى الوزير قد حل مشكلة هذا الأديب حلا جزئيا لا يرضى العدالة المطلقة التى أنتظرها من رجل مثله ؛ رجل يفهم حق الفهم واجب الدولة نحو الأدب ، ويدرك كل الإدراك أثر وضع الأدباء فى أماكنهم ليقوموا بواجبهم نحو الدولة !

إننا نريد أن يوضع كل أديب فى مكانه ، حتى نتيح للمواهب أن تحلق فى جوها الطبيعى وتعمل فى ميدانها الأصيل . . وأنا أعرف أن معالى الدكتور طه حسين باشا يعطف كل العطف على التراث العربى القديم ، وأعلم أن نشر هذا التراث نشرا علميا سليما يحفظ له هيبته من أثر المتطفلين عليه ، جدير بأن يحتل من نفسه كل عناية وتقدير . . ولهذا طالبت وما زلت أطالب ، بأن يأخذ الأستاذ صقر مكانه فى تلك الإدارة التى أنشئت لهذا الغرض بوزارة المعارف ، ثم أغلقت منها الأبواب فى انتظار الطارقين ! وإذا شاء وزير المعارف أن يقبل منى رجاء اليوم ورجاء الأمس ، فإنى أؤكد لمعاليه أن وزارة المعارف لن تخسر شيئا حين يحذف اسم هذا الأديب من قوائم التعليم ، لأنها ستكسب كثيرا حين تنتفع بجهوده فى خدمة التراث العربى القديم !!

وليست المشكلة هى مشكلة الأستاذ صقر وحده ، فلا يزال هناك أدباء ينتظرون عطف وزير المعارف على حقوقهم المهضومة . . وإنه ليسعدنى أن يتفضل معاليه فيطلب إلى أن أقدم إليه أسماءهم وأن أقص عليه أنباءهم ، لأننى لا أحب أن يكون هناك أديب واحد يشعر أنه مظلوم فى عهد طه حسين ! !

أنور المعداوى





أوهام الخاملين !

يرزأ السباق برزيئة المتخلفين ، ويصاب اللامع بمتمة أوهام الخاملين ؛ فيرى المعايب شاهدة على فساد الطوية، وسوء النية، وقبح السجية ، لكنه ينصرف إلى أناة حلمه ، وتؤدة حكمته ، وزنة تجربته ؛ ثم يحتمل الضضاضة بالإغضاء ، ويقوى سخرية التجاهل بالكتمان وعدم الإفضاء !

إن الخاملين تعزيهم فى نكبة التخلف والخمول أوهام باطلة ، يصور لهم ظلامها رعونة الحقد فى مأتى المكيدة ، وإعمال الحول الضعيف باستعمال اتضاع الحيلة !

ترى القماءة لا تقدير معه ؛ فهو إما ذيل أو إمعة ، إذا انفتحت الأفواه فتح فاه ، وإذا أهل الأمر الأجل أعرض عنه وأعطى له عرض قفاه !

إن الخمول داء وبيل ، يمرض مضناه بأساه ، وحسرته ، ولوعته إلى الحقد الأصيل

كم مجد لا حق بجده جده، حتى استوى أمره ، وبلغ مجده ؟ وكم خامل قعدت به همته؛ ثم نشطت حتى قوت غضبه وحقده ؟

الحياة واد تضرب فيه نفوس الأحياء ، وما يقر اضطرابها سوى فطنة الأريب الذى يطل من عليـــاء حقيقته ليطارد أوهام الخاملين

لقد جاءنى صاحبي يتهالك على إحساسه المرهف ، وقد اكتنفت نفسه مشاعر السخط على من « وضعه » الزمن معهم فى قرن واحد ؛ فهو يرى شرارات الحقد تكاد تحرق أهداب العيون ، والتفاهات تزيف كيانه فى وهم الظنون

قلت : ياصاحبي . إن من يتحاشاك يرهبك ، فهو يعرف قدرك في قرارة نفسه ؛ ثم ينكرها بعماوة حسه ؛ وكلما ألمت بك نكبة من نكبات المعوق عملت على تجاهلها لأنها صنيعة الخمول

كن حيث شئت ، ليكون لك المجد حيث يشاء

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر

منه الأستاذ ميخائيل نعيمة الى صاحب الأعماق :

سلام عليك، وبعد فقد كان أول عهدى بك يوم أطلعنى أحدهم على الكلمة السخية التى توجت بها فصلا نقلته الى المصرى من كتابى « جبران خليل جبران » ، وتكرر من بعدها وقوع اسمك فى مسمعى من غير أن أعثر على شئ من نتاج قلمك ، الى أن جمعتنى الظروف فى أواخر هذا الصيف بصديقنا محيى الدين رضا وإذا به يسلمنى النسخة التى تلطفت باهدائها الى من كتابك الأعماق ، واذا بى ، وقد طالعت «أعماقك» أخرج منها بأكثر من درة ، وأنفسها أنت

قيل من زمان — والقول حق — إن الكتاب ينم عن كاتبه ، وقد تبينتك من فصول كتابك أديبا بالطبع لا بالتطبع ، فرشاقة فى المهارة ، وصفاء فى اللغة ، وبراعة فى وصف الظواهر ، ودقة فى تحليل البواطن ، ونزعة قوية الى الابتكار فى الأسلوب والموضوع ، وذوق لطيف فى مزاوجة الأفكار ، وتلوين الرسوم ، وعرض المشاهد ، وتوزيع النبرات ، والسكنات والظلال والأنوار دون ما إسراف فى المادة أو تبذل فى المرى

والذى استهوانى فى قصصك بنوع أخص هو روحك الإنسانى المهيمن عليها ، وحماستك للغاية التى من أجلها تكتب ، وإيمانك بقدرة القلم على تقويم ما اعوج من مسالك الناس ، ثم لباقتك فى عرض ما بلى ورث من عاداتهم ومعتقداتهم عرضا لا يشتم منه القارئ لحاجة « المصلح » ولا ادعائه بأنه أشرف طينة من الذين يريد إصلاحهم فأنت تكتب لبيئتك لا تتنكر لها ولا تجلدها بالسياط ، بل تماشيها كواحد منها ؛ ولكنك إذ تماشيها تحاول الانحراف بها عن طرقها القديمة الى طرق جديدة من غير أن تثير شكها وعنادها . أنت تكتب للناس حبا لهم لا سخطا عليهم ، ولا شماتة بضعفهم

من كانت تلك عدته للكتابة كان لنفسه خير محاسب وموجه ، وكان فى غنى عن نقد الناقدين ؛ وتوجيه الموجهين ؛ ثم كان فى مأمن من الآفة الكبرى التى تفتك بالكتابة فى الكتاب الناشئين

وهى الغرور ... فسر يا أخى فى طريقك ، وليكن الحق هاديا لقلمك

ميخائيل نعيمة

توضيح :

تحية من عند الله مباركة طيبة

وبعدفقد كنت أمليت على الأستاذ الصديق أحمد مصطفى حافظ مقالا بعنوان « أدبنا القوى » ومقالا آخر بعنوان « مع شوقى الخالد » ، وآخر بعنوان « أعلام السويس » . .

وتفضلت « الرسالة » — مشكورة بنشر المقالين الأولين . . ولكنى لسوء الحظ ، لم يقدر لى الاطلاع على هذين المقالين ، بعد نشرهما ، إلا منذ يوم واحد فقط . ! وذلك لأننى كنت ، ولا زلت ، مشغولا بالطب لمرض الانفصال الشبكي بعينى . . وإن الذى دفعنى إلى الكتابة الآن يتلخص فى أننى حين اطلاعى على مقالى « أدبنا القوى » استوقفنى به شئ لم أرض عنه . . وذلك أن الأستاذ الصديق أحمد حافظ قد سمح لنفسه بأن ينسب إلى الشعر الذى ورد بهذا المقال ، برغم أنه ليس من مقولى ، بل من مقوله هو . . وبرغم أننى حين أمليته المقال أوردت الشعر منسوبا إليه هو . . إلا أنه صمم فيما بينه وبين نفسه على أن « يخرج » المقال بالصورة التى نشر بهـا . . وفى ذلك مجانبة للحق والصدق . . ومن ثم احتاج الأمر إلى توضيح وتصحيح . . وأستحلفكم بالله أن تنشروا هـذه الكلمة ، لتمكينى من القيام بواجبات الصدق والحق والأمانة العلمية . . وبخاصة وقد فعلها الأخ أحمد حافظ لكى يهرب من تبعة نشره مداعبة لصديقه الذى ألهمه قول هذا الشعر الظريف « على قفاى » . ! إذ يوهم أننى قائل هـذا الشعر فى الحقيقة . . وليس هو .. بينما العكس هو الصحيح

السويس حسين كامل عزمى

وقفة عند بيت شعر :

بينما كنت أتصفح مجلة الرسالة الغراء العدد « ٩٥٥ » لفت نظرى بيت شعر فى مقال للأديب الفاضل محمد محمود زيتون عنوانه « أصحاب المعالى » ذكر الكاتب أن البيت :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قـــوم تهدما

قاله شاعر فى رثاء الأحنف بن قيس . والحقيقة — فيما أعلم — أن قائل هذا البيت الشاعر « عبده بن الطبيب » قاله فى رثاء قيس بن عاصم المنقرى وليس فى رثاء الأحنف كما ذكر الأديب . ويشهد بهذا صدر البيت لأن فيه قيسا وليس الأحنف، ويرشد لذلك أيضا بيتان قبل هذا البيت هما :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من غادرته غرض الردى اذا زاد عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قـــوم تهدما

وللأستاذ تحياتى وإكرامى

أم درمان : المعهد العلمى محمد الأمين صبير

الفيروز أبادى :

فى كلمة الأستاذ النجار فى عدد « الرسالة » ٩٥٧ وردت نسبة (الفيروز أبادى) بالدال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة كما فى معجم (اللباب فى الأنساب لابن الأثير) المطبوع بمصر . وضبطها بقول : بكسر الفاء وسكون الياء وضم الراء وفتح الزاى وفى آخرها ذال معجمة

أبو الفضل محمد

ان شاء الله

مع تقديرى للكاتب القـــدير السيد عبد القادر رشيد الناصرى أقول : إن من يكتب (إنشاء الله — بإدماج الحرف فى الفعل) أنما يقلد سيدنا عثمان (ض) وكذلك كتبها جمع من الصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة الفقه والنحو واللغة ، فى المصحف وفى غيره من كتب أصول الدين .. وإذن فلا تبعة على كتبها ولا على (مصحح النماذج) ولا خوف على الفهم من اختلاف الرسم — وتحيتى للأستاذ الجليل

المصحح بدار الرسالة



الطفـــل ..

للقصصي الأمريكي : ف . باركوس

ترجمة الأستاذ عبد القادر حميده

طرقت السكرتيرة الحسناء باب المكتب وقالت تخاطب المستر مارتان مدير الشركة . .

— بالباب سيدة تود — في إلحاح — مقابلتك

فرفع وجهه عن الأوراق المتراكمة أمامه وقال في صوت أجش تبدو فيه الصرامة والغلظة . .

— تود في إلحاح مقابلتي ؟

— أجل وقد أبديت لها العذر في أن لديك أعمالا هامة تشغل كل وقتك . . وأنه يجب لكي تقابلك أن يكون هناك موعد سابق محدد . بيد أنها لم تزدد إلا إصرارا وإلحاحا . وأخبرتني أنها آتية من بعيد وليس في استطاعتها أن ترجع مرة أخرى . .

فضرب مارتان بيده على المكتب في غضب وقال :

كان في مقدورك أن ترغميها على الانصراف بشئ من اللباقة

فأجابت السكرتيرة في عناد .

— لقد حاولت فلم أوفق. فهي شديدة الرغبة في أن تقابلك.. وإنه ليبدو لي من خلال صوتها أنها تستحق الشفقة والعطف ..

فقال مرتان هازئا :

— امرأة تدافع عن امرأة .. آه لو أن سكرتيري كان رجلا لعرف الآن كيف يحملها على الانصراف. وعلى أى حال .. هل أخبرتك عن اسمها ؟

— لقد رفضت أن تذكره لي . .

— ائتيني بها .. وليكن ما يكون

وبعد برهة . . كانت تقف على عتبة الباب امرأة في العقد الثالث من عمرها . وقد رانت على معالم وجهها مسحة من الصمت الجامد وتنطق مشيتها بالكبرياء والاعتزاز .

وبعد أن أغلقت السكرتيرة الباب .. رفع مارتان وجهه عن الأوراق مرة أخرى .. وأخذ يتأمل وجه الزائرة خلال منظاره المكبر . . برهة . . ثم بدا عليه أنه يعرفها فقد رفع حاجبيه في شئ من الدهشة وقال : « روث . . ؟

بيد أن الدهشة التي صاحبته كانت تدل على أنه غير مرتاح إلى لقائها .. وانفرجت شفتا روث عن ابتسامة رقيقة وقالت :

— أجل ، — أنا — روث

— لقد انقضى أمد طويل منذ التقينا لآخر مرة .. سنوات كثيرة .. سبع على ما أذكر . .

فأجابت في صوت هادئ وكأنها تحاول ألا تستعيد تلك الذكريات :

— نعم .. سبع سنوات كاملة . .

— لقد أسعدني لقاؤك كثيرا ... ولكن .. كيف حالك اليوم أنت .. و .. روى . ؟

فصمتت وقتا . . ثم قالت :

— لقد كان الحال على ما يرام . . ولقد منحنا القدر طفلا جميلا . . . غير أن روى يعاني مرضا شديدا . . وقد أشار عليه الطبيب بأن يرحل إلى الخارج . فيقضي عاما لا يزاول فيه عملا من الأعمال .. ليتسنى له استعادة صحته - وإلا ...

وكفت روث عن الحديث فسألها مارتان في تحفز :

— وإلا ماذا ؟

— وإلا كان مآله القبر

فقال مارتان متسائلا :

— وطبعا أطاع روى استشارة الطبيب واعتزم السفر ..

— كلا !

— ولماذا ؟

— إن السفر يتطلب نفقات . . وليس لدينا مال . . ولذلك زرتك اليوم أطلب منك أن ترد إلى روى الألفي جنيه اللتين سرقتهما منه .. منذ سبع سنوات ..

وكان صوتها جافا قاسيا .. فقال مارتان ثائرا :

— يا لك من حمقاء ! كيف تجرئين على توجيه هذه الإهانة إلي ؟

ولكن روث لم تتحرك من مقعدها . . وإنما قالت في هدوء :

— إهانة ! هل تفكر أنك سرقته . ؟

فكظم مارتان غيظه . . وقال :

— إن سلوكك هـذا يدهشني . . لا شك أنك تعرفين أن زوجك قد استثمر الألف جنيه في الشركة . فإذا أفلست الشركة . . وأخفقت الأعمال . . أتيت هنا ترمينني بالتهم . . وتزعمين أنني سرقت أموال زوجك . .

— ولكنك يا صاحبي لا تجهل أن الشركة كانت على شفا الإفلاس . . بل كانت مفلسة فعلا . . في الوقت الذي ساهم زوجي فيها . . والأدهى من ذلك أنك دعوته إلى المساهمة وأنت مديرها . . وعالم بحالها . . والذي آسف له أنك لم تكتف بذلك . . بل ضاعفت من مرتبك ونفقاتك . . فلما أفلست الشركة . . غادرت البلدة . . واختفيت . خبرني . . في أي شريعة يحق لمدير شركة مفلسة أن يضاعف مرتبه ونفقاته . . وأنت الذي حرضتني على أن أدفع بزوجي ليشترك وإياك في الشركة المزعومة . .

فقال مارتان في دهاء :

— إذن كان لك عليه نفوذ كبير . .

— بلا شك . . إنني لا أجهل ما ترمى إليه من وراء هـذا السؤال . . لقـد كنت تعتقد يا مارتان أنني أعشقك ولكن الحقيقة أنها كانت أيام نزق وطيش . . ولو لم أكن طائشة لما اشتركت في تدبير المؤامرة التي سلبت بها زوجي ألف جنيه . . والآن . . أتريد أن تعيد إلى ذلك المال . ؟

— كلا بالطبع . . فإن الخسارة قد لحقتني كما لحقت زوجك . . بإفلاس الشركة . .

— هذا بهتان . .

فنهض مارتان واقفا وقال في ثورة جائحة :

— اغربي عن وجهي أيتها الماكرة . . إن هـذه الإهانات لا أحتملها منك . . غادري مكتبي حالا . .

— حسنا . . سأغادر مكتبك الآن . . ولكن أرجو أن تفسح لي صدرك لأصارحك بشيء قبل أن أغرب عن وجهك يا مستر مارتان . إن الشيء الوحيد الذي يقض مضجع روي هو أن صحته تحول بينه وبين إعانتنا على السير في ركب الحياة . أي لا تمكنه من أن يعولنا . . أنا وابني . . وهو دائما شديد القلق علينا . . وكل الذي أخشاه أن يدفعه اليأس إلى التخلص من تلك الحياة . . ولكن الذي عزمت عليـه هو أنني إذا عدت إلى البيت سأحدثه بشيء يصرفه عن الاهتمام بأمرينا . .

فقال مارتان يسألها :

— أفصحي فإن في كلامك غموضا

هذا الشيء الذي سأدلي به إلى زوجي . . هو أن الطفل الذي يظنه ابنه ليس في الواقع إلا ابنك أنت. وحين سمع مارتان هـذه الكلمات امتقع وجهه . . وامتدت عليـه ظلال من الأحاسيس والانفعالات. . واستطردت روث تقول :

— ماذا حدث يا عزيزي مارتان ؟ إنني أراك شديد الاضطراب . . منذ سبع سنوات . . عقب ساعات الطيش التي عشنا فيها معا . . وعقب سلبك زوجي الألف جنيه . خرجت من المدينة . . والآن بعد شهور قليلة سيبلغ الطفل سبع سنوات . . فهل أدركت أنه ولدك ؟

فأجابها مارتان في حدة :

إني لا أصدق حرفا مما تقولين . .

فهزت روث كتفيها بلا اكتراث وقالت :

— إن هذا لا يضيرني . . تصدق أو لا تصدق . . ولكن . . ثق تماما أن زوجي سيصدق هذا القول وسوف لا ينكر منـه شيئا . . فليس من المعقول أن تعترف زوجة لزوجها زورا بأنها عبثت بشرفه وأن من يظنه ابنه ليس إلا ابن عشيقها . . ثم إن الطفل شديد الشبه بك . . وسأدل روي على مواضع الشبه بينكما . . وعندئذ سيعرف قطعا صدق حديثي

فقال مارتان محاولا أن يصرفها عن هذا الرأي :

— ولكنك بهذا سوف تثيرين حول نفسك الشبهات . . وستقضين على نفسك وعلى سمعتك

— نفسي وسمعتي ؟ . . ليمكن ! . لقد لوثت شرف روي . .

وبددت أمواله وأغريته على أن يلقى بها إلى السارق .. والآن .. أرى صحته تتقهقر .. وأصبح مفلسا .. فهل تظن أن قيمة الدنيا ستأخذ حيزا من تفكيرى بعد هذا ؟ .. إنه ليحزننى أن أراه دائم القلق والاضطراب لا يفكر فى شئ سوى مصيرى ومصير الطفل الذى هو طفلك .. ولا شك أنه حين يقف على حقيقة الأمر .. سوف لا يهتم بأمرينا .. نعم سيكرهنى .. سيمقت الزوجة التى عبثت بشرفه .. وكذلك الطفل .. حين يدرك أنه ثمرة السفاح ..

وقال مارتان صائحا :

— يخيل إلي أنك جننت ..

— جننت ..! لست على أى حال أعير قولك اهتماما .. لقد كان روى شهما وكريما معى ..

— إن زوجك مريض .. وفى أزمة مالية .. فهل تريدين أن تزيدى من همومه .. وتثقلى من آلامه بإفضائك إليه ذلك السر الخطير ؟

— لقد قررت فيما بينى وبين نفسى الإدلاء إليه بهذه الحقيقة

فقال مارتان متهكما :

— يا لك من زوجة مخلصة ..! زوج متقاعد مريض .. فتأتى زوجته الوفية المشفقة فتضاعف أحزانه وهمومه !

— تهكم ما شئت .. فإننى على يقين من أن روى لا يألم من أجل نفسه .. وإنما يألم من أجلى أنا والطفل .. وأن الذى أنشده من وراء هذا التصريح .. هو هدوء ضميره .. وذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذه ..

— السبيل الوحيد .. كيف ؟؟

— أجل .. لقد أمن روى على حياته لقاء مبلغ كبير .. ولقد لاحظت عليه فى الأيام الأخيرة اهتمامه فى البحث عن مستندات التأمين .. وقرأت ما يجول فى عينيه .. وإنى لا أستبعد أنه ينوى الانتحار ..

فقال مارتان منفعلا :

— ولكن ألا تدركين يا حمقاء .. أن وقوفه على السر سيدفعه إلى التخلص منى لا محالة .؟

فقهقهت روث قهقهة صاخبة وقالت :

— وماذا يهمنى من أمرك إذا هو قتلك .؟ إننى لم أعد أحفل بك أو أحبك

وجلس مارتان إلى مكتبه وتناول دفتر الشيكات وهو يتمتم :

— ولكننى لا أود أن أموت ..

وكتب لها شيكا بألفى جنيه .. وأخذته روث .. وانصرفت وفى طريقها قالت تحدث نفسها :

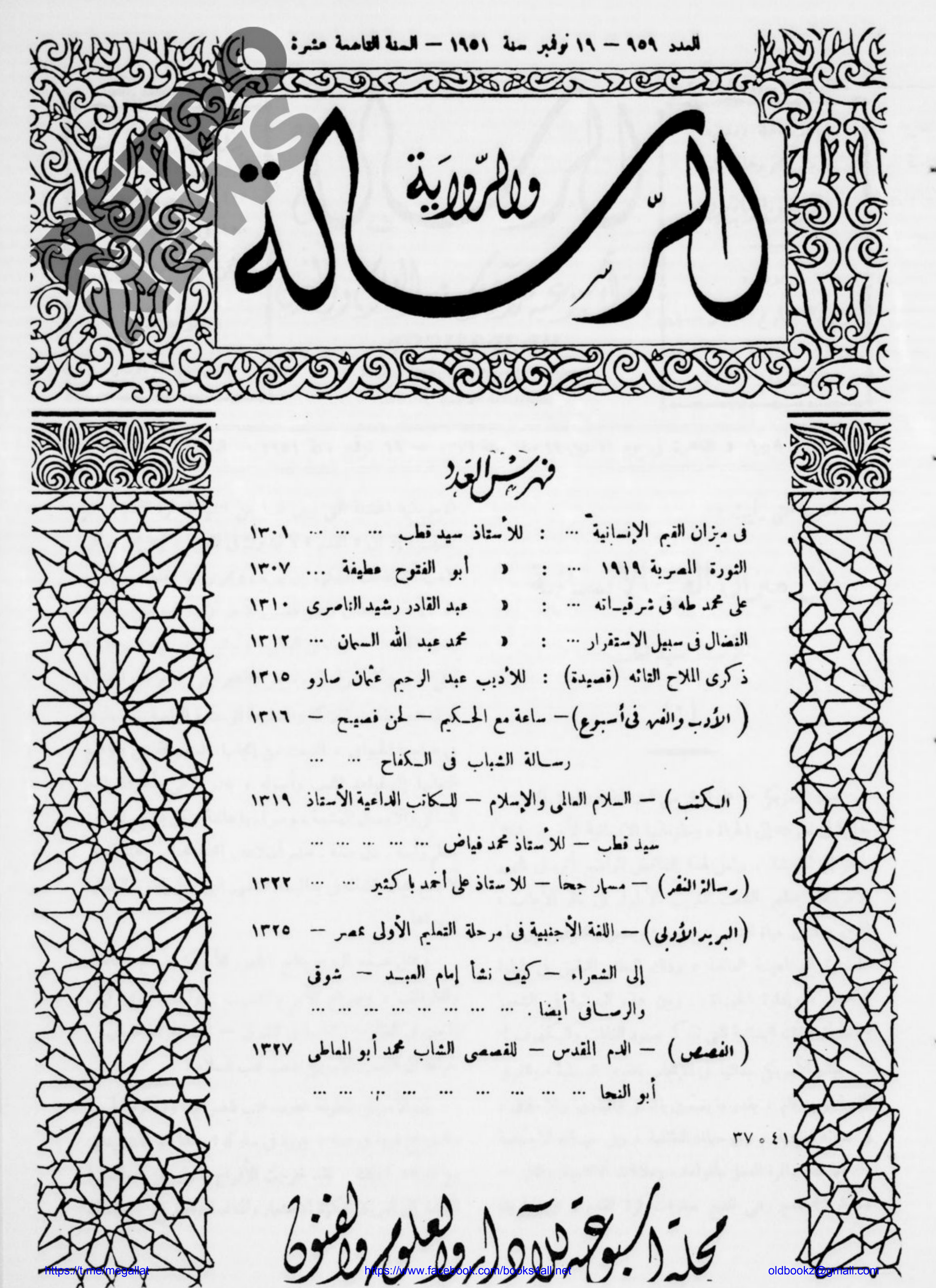
— يا له من غبي أبله ! لقد خدعته وقلت له إن الطفل ابنه وإنه يبلغ من العمر سبع سنوات .. ولو أنه أدرك الآن أن ابنى الوحيد الذى رزقته عمره عام واحد لطار صوابه ..

عبد القادر حميده



مطبعة الرسالة





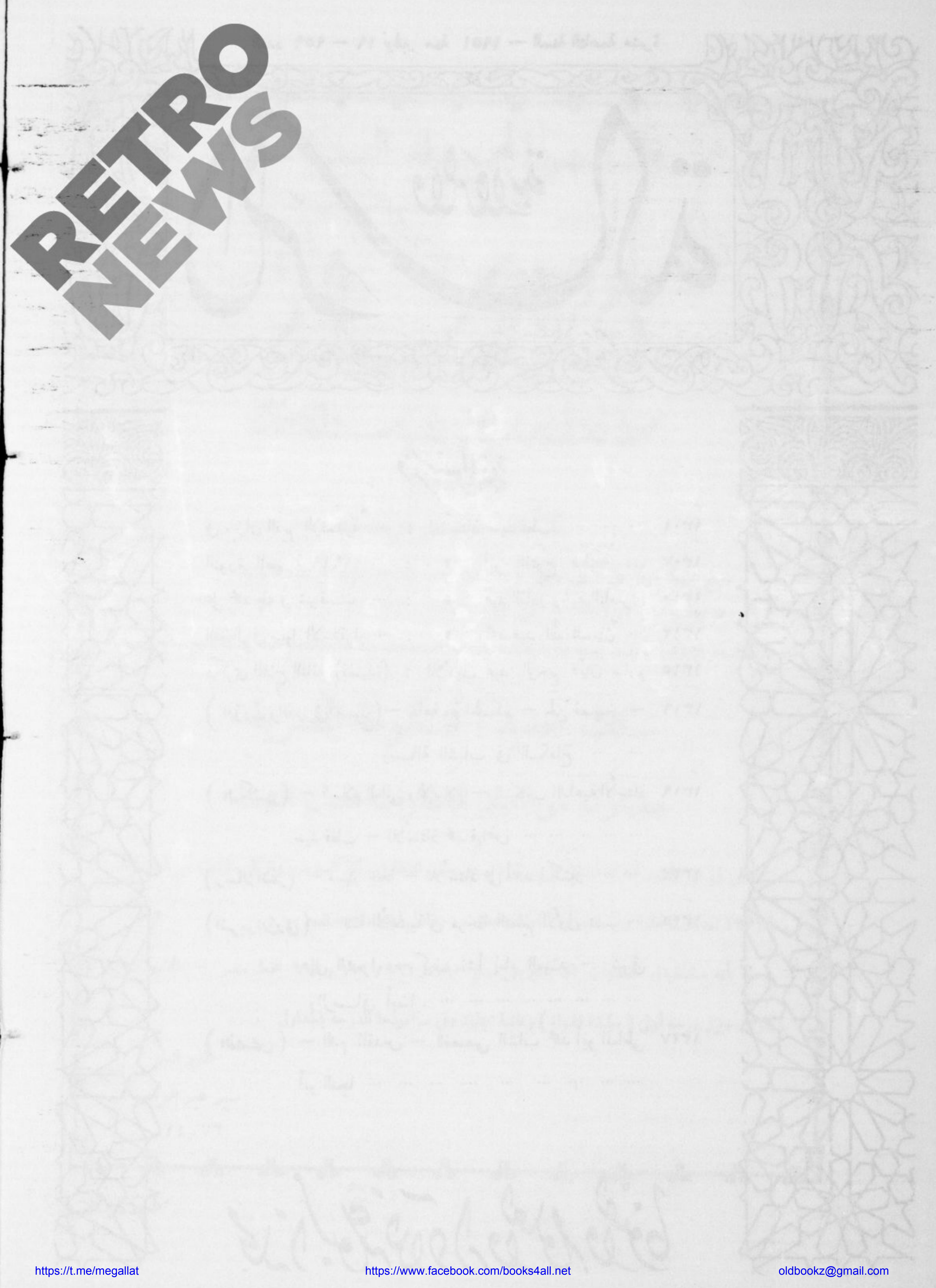
العدد ٩٥٩ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

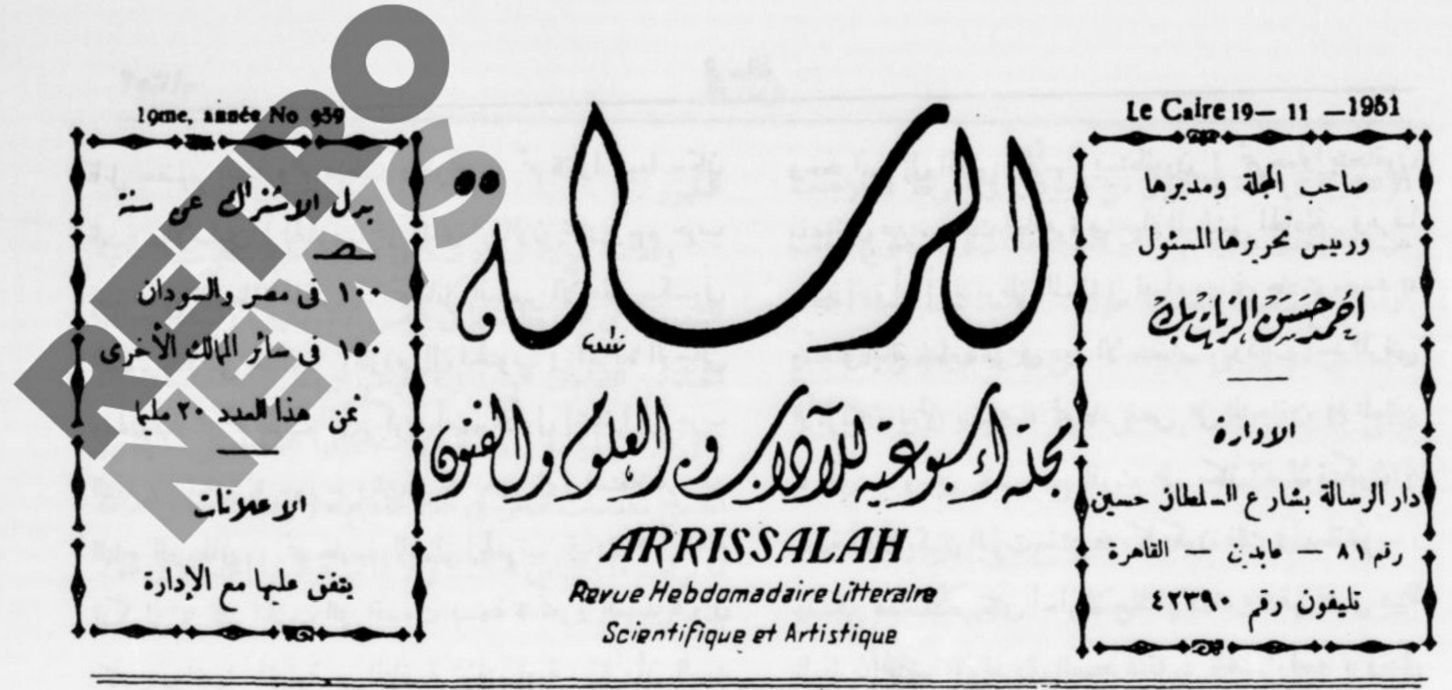
الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٧٠٤١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS


19me. année No 959
بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 19— 11 —1951
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٥٩ «القاهرة في يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٧١ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة»

أمريكا التي رأيت :

في ميزان القيم الإنسانية

للأستاذ سيد قطب

(٢)

يبدو الأمريكي — على الرغم من العلم المتقدم والعمل المتقن — بدائياً في نظريته إلى الحياة، ومقوماتها الإنسانية الأخرى بشكل يدعو إلى الدهشة. ولعل لهذا التناقض الواضح أثره في ظهور الأمريكان بمظهر الشعب الغريب الأطوار في نظر الأجانب، الذين يراقبون حياة الشعب من بعيد؛ ويعجزهم التوفيق بين هذه الحضارة الصناعية الفائقة، وذلك النظام الدقيق في إدارة الأعمال، وإدارة الحياة.. وبين هذه البدائية في الشعور والسلوك، تلك البدائية التي تذكر بعهود الغابات والكهوف!

يبدو الأمريكي بدائياً في الإعجاب بالقوى العضلية، والقوى المادية بوجه عام، بقدر ما يستهين بالمثل والمبادئ والأخلاق، في حياته الفردية، وفي حياته العائلية، وفي حياته الاجتماعية — فيما عدا دائرة العمل بأنواعه، وعلاقات الاقتصاد والمال — ومنظر الجماهير وهي تتبع مباريات كرة القدم، على الطريقة الأمريكية الخشنة التي ليس لها من اسمها (كرة القدم) أي نصيب، إذ أن «القدم» لا تشترك في اللعب، إنما يحاول كل لاعب أن يخطف الكرة بين يديه، ويجري بها ليقذف بها إلى الهدف، بينما يحاول لاعبو الفريق الآخر أن يعوقوه بكل وسيلة، بما في ذلك: الضرب في البطن، وتهشيم الأذرع والسيقان، بكل عنف وكل شراسة.. منظر الجماهير وهي تتبع هذه اللعبة، أو تشاهد حفلات الملاكمة والمصارعة الوحشية الدامية.. منظرها في هياجها الحيواني، المنبعث من إعجابها بالعنف القاسي، وعدم التفاتها إلى قواعد اللعب وأصوله، بقدر ما هي مأخوذة بالدم السائل والأوصال المهشمة، وصراخها هاتفة: كل يشجع فريقه: حطم رأسه. دق عنقه. هشم أضلاعه. اعجنه عجناً.. هذا المنظر لا يدع مجالاً للشك في بدائية الشعور التي تفتن بالقوة العضلية وتهواها

وبمثل هذه الروح يتابع الجمهور الأمريكي صراع الجماعات والطوائف، وصراع الأمم والشعوب. ولست أدري كيف راجت في العالم — وبخاصة في الشرق — تلك الخرافة العجيبة. خرافة أن الشعب الأمريكي شعب محب للسلام!

إن الأمريكي بفطرته محارب محب للصراع. وفكرة الحرب والصراع قوية في دمه، بارزة في سلوكه؛ وهذا هو الذي يتفق مع تاريخه كذلك. فقد خرجت الأفواج الأولى من أوطانها قاصدة إلى أمريكا بفكرة الاستعمار والمنافسة والصراع. وهناك

قاتل بعضهم بعضاً وهم جماعات وأفواج . ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) وما يزالون يحاربونهم حرب إفناء حتى اللحظة الحاضرة . ثم قاتل العنصر الأنجلو سكسوني العنصر اللاتيني هناك ، وطرده إلى الجنوب في أمريكا الوسطى والجنوبية ، ثم حارب المتأمركون أمهم الأولى إنجلترا في حرب التحرير بقيادة « جورج وشنطن » حتى نالوا استقلالهم عن التاج البريطاني . ثم حارب الشمال الجنوب بقيادة « ابراهام لنكولن » تلك الحرب التي اتسمت بسمة « تحرير العبيد » وإن كانت دوافعها الحقيقية هي المنافسة الاقتصادية . ذلك أن العبيد المستجلبين من أواسط إفريقية ليعملوا في الأرض رقيقاً ، لم يستطيعوا مقاومة الطقس البارد في الشمال ، فنزحوا إلى الجنوب . وكان معنى هذا أن يجد المستعمرون في الولايات الجنوبية الأيدي العاملة الرخيصة ، على حين لا يجدها الشماليون ، فيتم لهم التفوق الاقتصادي ؛ لذلك أعلن الشماليون الحرب لتحرير العبيد !

وانقضت فترة العزلة ، وانتهت سياستها ، عندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى ، ثم اضطلعت بالحرب العالمية الثانية . ثم ها هي ذي تنهض بالحرب في كوريا . والحرب العالمية الثالثة ليست بالبعيدة ! ولست أدري إذن كيف راجت تلك الخرافة العجيبة عن شعب هذا تاريخه في الحروب ؟

إن الحيوية المادية عند الأمريكي مقدسة ، والضعف — أيا كانت أسبابه — جريمة . جريمة لا يغتفرها شيء . ولا تستحق عطفاً ولا عوناً . وحكاية المبادئ والحقوق خرافة في ضمير الأمريكي لا يتذوق لها طعماً . كن قوياً ولك كل شيء . أو كن ضعيفاً فلا يسعفك مبدأ ، ولا يكون لك مكان في مجال الحياة الفسيح . أما الذي يموت فيرتكب بالطبع جريمة الموت ! ويفقد كل حق له في الاهتمام أو الاحترام ! أليس أنه قد مات ؟

كنت في مستشفى « جورج وشنطن » في وشنطن العاصمة ، وكان الوقت مساء حينما غمرت جوه موجة من الاضطراب غير معهودة ، وبدت فيه حركة غير عادية تستلفت النظر . وأخذ المرضى القادرون على الحركة يغادرون أسرتهم وحجراتهم إلى الماشي والأبهاء يستطلعون ؛ ثم جعلوا يتحاقون متسائلين عن سر تلك الظاهرة في حياة المستشفى الهادئة . وعرفنا بعد فترة أن أحد موظفي المستشفى قد أصيب في حادث مصعد ، وأنه في حالة خطيرة بل في دور الاحتضار . وذهب أحد المرضى الأمريكان ليرى بنفسه ، ثم عاد يقص على المتحلقين في المشى ما رأى . . وحين يخيم شبح الموت على مكان ، لا تكون له رهبة ، ولا يكون الموت خشوعه كما يكون ذلك في مستشفى . . ولكن هذا الأمريكاني أخذ يضحك ويقهقه ، وهو يمثل هيئة المصاب المحتضر ، وقد دق المصعد عنقه ، وهشم رأسه ، وتدلى لسانه من فمه على جانب وجهه ! وانتظرت أن أسمع أو أرى علائم الامتعاض والاستنكار من المستمعين . ولكن كثرتهم الغالبة جعلت تضحك متفكهة ، بهذا التمثيل البغيض !

لذلك لم أعجب وبعض أصدقائي يقص على ما رأى وما سمع ، حول الموت ووقعه في نفوس الأمريكان

قال لي زميل : إنه كان حاضر مأتم ، حيثما عرضت جثة رب البيت محنطة في صندوق زجاجي — على العادة الأمريكية — كيما يمر أصدقاء الفقيد بجثمانه ، ليودعوه الوداع الأخير ، ويلقوا عليه النظرة النهائية ، واحداً بعد الآخر في صف طويل . حتى إذا انتهى المطاف وتجمعوا في حجرة الاستقبال ؛ ما راعه إلا أن يأخذ القوم في دعابات وفكاهات ، حول الفقيد العزيز وحول سواه ، تشترك فيها زوجه وأهله ، وتمقبها الضحكات المجلجلة ، في سكون الموت البارد ، وحول الجسد المسجى في الأكفان !

وكان الأستاذ مدير البعثات المصرية بوشنطن مدعواً هو والسيدة حرمه إلى إحدى الحفلات — وقبيل الموعد مرضت السيدة حرمه ، فأمسك بالتليفون ليعتذر عن الحفلة بسبب هذا الطارئ . ولكن الداعين أجابوه بأنه لا ضرورة للاعتذار ، فإنه يمكنه أن يحضر منفرداً ، وستكون هذه فرصة طيبة ، ذلك أن إحدى المدعوات قد توفي زوجها فجأة قبيل الحفلة ، وستكون وحيدة فيها ، فمن حسن الحظ أن يكون لها رفيق !

ودخلت مرة بيت سيدة أمريكية كانت تساعدني في اللغة

الإنجليزية فى الفترة الأولى من وجودى فى أمريكا ؛ فوجدت عندها إحدى صديقاتها ، وكانتا تتحدثان فى موضوع لحقت أواخره ، وهذه الصديقة تقول : « لقد كنت حسنة الحظ ، فقد كنت مؤمنة على حياته . حتى علاجه لم يكلفنى إلا القليل لأننى كنت مؤمنة عليه فى هيئة الصليب الأزرق (١) » وابتسمت ضاحكة !

ثم استأذنت وخرجت ، وبقيت مع ربة البيت . وأنا أحسب أن صديقتها كانت تحدثها عن كلبها — وإن كنت قد دهشت لأنها لا تبدى أى تأثر لموته ! — ولكن ما راعنى إلا أن تقول لى — ولم أسأل ! — « كانت تحدثنى عن زوجها . لقد مات منذ ثلاثة أيام ! »

ولما أبديت لها دهشتى أن تتحدث صديقتها عن زوجها المتوفى منذ ثلاثة أيام بمثل هذه البساطة ، كان عذرها الذى لا يخالجها الشك فى أنه مقنع ووجيه : « إنه كان مريضا ! لقد مرض أكثر من ثلاثة أشهر قبل الوفاة ! »

عادت بى الذاكرة إلى مشهد عميق الأثر فى شعورى ، وقد أثار فى خاطرى فى حينه منذ سنوات ... خاطرة لم تكتب بعنوان : « مأتم الطيور » ذلك مشهد جماعة من الفراخ كنا نربيها فى دارنا ، وقد وقفت متحلقة صامتة مبهورة مأخوذة ، حول فرخ منها ذبيح ، لقد كانت مفاجأة شعورية لكل من فى البيت ، مفاجأة غير منتظرة من طير غير متقدم فى سلم الرقى كالدجاج ، بل كانت صدمة لم نجرؤ بعدها منذ ذلك الحين على ذبح فرخ واحد على مرأى من جماعة الطيور !

ومنظر الغربان حين يموت لها مائت ، منظر مألوف شاهده الكثيرون . وهو منظر يصعب تفسيره بغير شعور « الحزن » أو « عاطفة » القرابة ! فهذه الجموع من الغربان ، المحلقة الصافة ، الناعقة بشتى الأصوات والأنغام ، الطائرة هنا وهناك ، حتى تحتمل جثمان الميت وتطير ... هذا كله يشى برجفة الموت فى عالم الطيور ..!

وقداسة الموت تكاد تكون شعورا فطريا . فليست البدائية الشعورية هى التى تطمسها فى النفس الأمريكية ؛ ولكنه جفاف الحياة من التعاطف الوجدانى، وقيامها على معادلات حسابية مادية، وعلى علاقات الجسد ودوافعه ، واستخفافها عمدا بكل ما يشعر أنه من مقدسات الناس فى العالم القديم ، والرغبة الملحة فى مخالفة ما تواضع عليه الناس هناك ، وإلا فما مزية الدنيا الجديدة على ذلك العالم القديم ؟

* * *

وما يقال عن الشعور بالموت يقال عن الشعور بالدين

ليس أكثر من الأمريكان تشييدا للكنائس ، حتى لقد أحصيت فى بلدة واحدة لا يزيد سكانها على عشرة آلاف أكثر من عشرين كنيسة ! وليس أكثر منهم ذهابا إلى الكنائس فى ليلات الأحد وأيامه ، وفى الأعياد العامة وأعياد القديسين المحليين وهم أكثر من « الأولياء » عند عوام المسلمين ! . . . وبعد ذلك كله ليس هناك من هو أبعد من الأمريكى عن الشعور بروحية الدين واحترامه وقداسته ، وليس أبعد من الدين عن تفكير الأمريكى وشعوره وسلوكه !

وإذا كانت الكنيسة مكانا للعبادة فى العالم المسيحى كله ، فإنها فى أمريكا مكان لكل شئ إلا العبادة . وإنه ليصعب عليك أن تفرق بينها وبين أى مكان آخر معد للهو والتسلية أو مايسمونه بلغتهم الـ « Fun » ومعظم قصادها إنما يعدونها تقليدا اجتماعيا ضروريا ، ومكانا للقاء والأنس ، ولتمضية وقت طيب ، وليس هذا شعور الجمهور وحده ، ولكنه كذلك شعور سدنة الكنيسة ورعاتها . .

ولمعظم الكنائس ناد يتألف من الجنسين ، ويجتهد راعى كل كنيسة أن يلتحق بالكنيسة أكبر عدد ممكن ، وبخاصة أن هناك تنافسا كبيرا بين الكنائس المختلفة المذاهب . ولهذا تتسابق جميعا فى الإعلان عن نفسها بالنشرات المكتوبة وبالأنوار الملونة

(١) هيئة ضمان اجتماعية ضد المرض . وهى تتولى أداء معظم النفقات فى أثناء علاج المشتركين بها ، مقابل قسط شهرى صغير

على الأبواب والجدران للفت الأنظار ، وبتقديم البرامج اللذيذة المشوقة لجلب الجماهير ، بنفس الطريقة التي تتبعها المتاجر ودور العرض والتمثيل ، وليس هنالك من بأس في استخدام أجمل فتيات المدينة وأرشقهن ، وأبرعهن في الغناء والرقص والترويح

وهذه مثلا محتويات إعلان عن حفلة كنيسة ، كانت ملصقة في قاعة اجتماع الطلبة في إحدى الكليات :

« يوم الأحد أول أكتوبر — في الساعة السادسة مساء — عشاء خفيف . ألعاب سحرية . ألغاز . مسابقات . تسلية ... »

وليس في هذا أية غرابة ، لأن راعي الكنيسة لا يحس أن عمله يختلف في شيء عن عمل مدير المسرح ، أو مدير المتجر . النجاح أولا وقبل كل شيء — والوسيلة ليست بالمهمة — وهذا النجاح يعود عليه بنتائجه الطيبة : المال والجاه . فكلما كثر عدد الملتحقين بكنيسته عظم دخله ، وزاد كذلك احترامه ونفوذه في بلده ، لأن الأمريكي بطبيعته يؤخذ بالفخامة في الحجم أو المدد ، وهي مقياسه الأول في الشعور والتقدير

كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة جريلي بولاية كولورادو — فقد كنت عضوا في ناديها كما كنت عضوا في عدة نواد كنسية في كل جهة عشت فيها ، إذ كانت هذه ناحية هامة من نواحي المجتمع تستحق الدراسة عن كثب ومن الداخل — وبعد أن انتهت الخدمة الدينية في الكنيسة ، واشترك في التراتيل فتية وفتيات من الأعضاء ، وأدى الآخرون الصلاة ، دلفنا من باب جانبي إلى ساحة الرقص ، الملاصقة لقاعة الصلاة ، يصل بينهما الباب ؛ وصعد « الأب » إلى مكتبه ، وأخذ كل فتى بيد فتاة ، وبينهم وبينهن أولئك الذين واللواتي ، كانوا وكن ، يقومون بالترتيل ويقمن !

وكانت ساحة الرقص مضاءة بالأنوار الحمراء والصفراء والزرقاء ، وبقليل من المصابيح البيض .. وحمي الرقص على أنغام « الجراموفون » وسالت الساحة بالأقدام والسيقان الفاتنة ، والتفت الأذرع بالخصور ، والتقت الشفاه والصدور .. وكان الجو كله غراما حينما هبط « الأب » من مكتبه ، وألقى نظرة فاحصة على المكان ومن في المكان ، وشجع الجالسين والجالسات ممن لم يشتركوا في الحلبة على أن ينهضوا فيشاركوا ، وكأنما لحظ أن المصابيح البيض تفسد ذلك الجو « الرومانتيكي » الحالم ، فراح في رشاقة الأمريكاني وخفته يطفئها واحدا واحدا ، وهو يتحاشى أن يعطل حركة الرقص ، أو يصدم زوجا من الراقصين في الساحة ، وبدا المكان بالفعل أكثر « رومانتيكية » وغراما . ثم تقدم إلى « الجراموفون » ليختار أغنية تناسب ذلك الجو ، وتشجع القاعدين والقاعدات على المشاركة فيه

واختار ... اختار أغنية أمريكيـــة مشهورة اسمها : « But baby it is cold out side » : ولكنها يا صغيرتي باردة في الخارج) وهي تتضمن حوارا بين فتى وفتاة عائدين من سهرتهما ، وقد احتجزها الفتى في داره ، وهي تدعوه أن يطلق سراحها لتعود إلى دارها فقد أمسى الوقت ، وأمها تنتظر .. وكلما تذرعت إليه بحجة أجابها بتلك اللازمة : « ولكنها يا صغيرتي باردة في الخارج !

وانتظر الأب حتى رأى خطوات بناته وبنيه ، على موسيقى تلك الأغنية المثيرة ؛ وبدا راضيا مغتبطا ، وغادر ساحة الرقص إلى داره ، تاركا لهم ولهن إتمام هذه السهرة اللذيذة ... البريئة !

وأب آخر يتحدث إلى صاحب لي عراقي ، قد توثقت بينه وبينه عرى الصداقة ، فيسأله عن « ماري » زميلته في الجامعة « لم لا تحضر الآن إلى الكنيسة ؟ ويبدي أنه لا يعنيه أن تغيب الفتيات جميعاً وتحضر « ماري » ! وحين يسأله الشاب عن سر هذه اللهفة يجيب : « إنها جذابة ، وإن معظم الشبان إنما يحضرون وراءها ! » .

ويحدثني شاب من شياطين الشبان العرب الذين يدرسون في أمريكا ، وكنا نطلق عليه اسم « أبو العتاهية » — وما أدري إن كان ذلك يغضب الشاعر القديم أو يرضيه ! — فيقول لي عن فتاته — ولكل فتى فتاة في أمريكا — إنها كانت تنتزع نفسها من بين أحضانه أحيانا لأنها ذاهبة للترتيل في الكنيسة ؛ وكانت إذا

تأخرت لم تنج من إشارات « الأب » وتلميحاته إلى جريرة « أبى العتاهية » فى تأخيرها عن حضور الصلاة ! هذا إذا حضرت وحدها من دونه ، فأما إذا استطاعت أن تجره وراءها ، فلا لوم عليها ولا تثريب !

ويقول لك هؤلاء الآباء : إننا لا نستطيع أن نجتذب هذا الشباب إلا بهذه الوسائل !

ولكن أحداً منهم لا يسأل نفسه : وما قيمة اجتذابهم إلى الكنيسة وهم يخوضون إليها مثل هذا الطريق ، ويقضون ساعاتهم فيه ؟ أهو الذهاب إلى الكنيسة هدف فى ذاته ، أم آثاره التهذيبية فى الشعور والسلوك ؟ من وجهة نظر « الآباء » التى أوضحتها فيما سلف ، مجرد الذهاب هو الهدف . وهو وضع لن يعيش فى أمريكا مفهوم !

ولكنى أعود إلى مصر ، فأجد من يتحدث أو يكتب ، عن الكنيسة فى أمريكا — وهو لم ير أمريكا لحظة — وعند دورها فى الإصلاح الاجتماعى ، ونشاطها فى تطهير القلب ، وتهذيب الروح . . .

ولله فى خلقه شؤون !

* * *

والأمريكى بدائى فى حياته الجنسية ، وفى علاقات الزواج والأسرة . ولقد مررت فى أثناء دراساتى للكتاب المقدس بتلك الآية الواردة فى « العهد القديم » حكاية عن خلق الله للبشر أول مرة وهى تقول : « ذكراً وأنثى خلقهم ».. مررت بهذه الآية كثيراً ، فلم يتمثل لى معناها عارياً واضحاً جاهراً ، كما تمثل لى فى أثناء حياتى بأمريكا

إن كل ما تعبت الحياة البشرية الطويلة فى خلقه وصيانته من آداب الجنس ، وكل ما صاغته حول هذه العلاقات من عواطف ومشاعر ، وكل ما جاهدت من غلاظة الحس ، وجهامة الغريزة ، لتطلقه إشعاعات مرفرفة ، وهالات مجنحة ، وأشواق طليقة ، وكل الروابط الوثيقة حول تلك العلاقات فى شعور الفرد ، وفى حياة الأسرة ، وفى محيط الجماعة ...

إن هذا كله قد تجردت منه الحياة فى أمريكا مرة واحدة ، وتجلت عارية عاطلة من كل تجمل . « ذكراً وأنثى » كما خلقهم أول مرة . جسداً لجسد ، وأنثى لذكر . على أساس مطالب الجسد ودوافعه ، تقوم العلاقات وتتحدد الصلات ، ومنها تستمد قواعد السلوك ، وآداب المجتمع ، وروابط الأسر والأفراد

بفتنة الجسد وحدها ، عارية من كل ستار ، مجردة من كل حياء ، تلق الفتاة الفتى ، ومن قوة الجسد وضلاعته يستمد الفتى إعجاب الفتاة . ويستمد الزوج حقوقه — هذه الحقوق التى تسقط جميعها فى عرف الجميع ، يوم يعجز الرجل عن الوفاء بها لسبب من الأسباب

والفتاة الأمريكية تعرف جيداً مواضع فتنتها الجسدية ، تعرفها فى الوجه : فى العين الهاتفة والشفة الظامئة ، وتعرفها فى الجسم : فى الصدر الناهد والردف الملئ ، وفى الفخذ اللفاء والساق الملساء ، — وهى تبدى هذا كله ولا تخفيه — وتعرفها فى اللباس : فى اللون الزاهى توقظ به الحس البدائى ، وفى التفصيل الكاشف عن مفاتن الجسد — وهو بذاته فى الأمريكية فتنة حية صاعقة فى بعض الأحيان ! — ثم تضيف إلى هذا كله الضحكة المثيرة ، والنظرة الجاهرة ، والحركة الجريئة ، ولا تغفل عن ذلك كله لحظة أو تنساه !

والفتى الأمريكى يعرف جيداً أن الصدر العريض ، والعضل المفتول ، هما الشفاعة التى لا ترد عند كل فتاة ، وأن أحلامها لا ترف على أحد كما ترف على « رعاة البقر » الـ « Cow boYs »

وبصريح العبارة تقول لى فتاة ممرضة فى مستشفى « لست أطلب فى فتى أحلامى إلا ذراعين قويتين يعصرانى بهما عصراً .. وقامت مجلة « لوك » « look » باستفتاء لعدد من الفتيات من مختلف الأعمار والثقافات والأوساط حول ما أسمته « عضل الثيران » فأبدت غالبية ساحقة إعجابها المطلق بالفتيان أصحاب عضل الثيران !

وما من شك أن لهذه الظاهرة دلالتها على حيوية هذا الشعب وقوة حسه. ولو هذبت هذه الطاقة وتسامت لاستحالت فنا يجمل جهامة الحياة، وأشواقا تجمل لها فى الحس الإنسانى نكهة، وتربط بين الجنسين بروابط أعلى وأجل من روابط الجسد الظامئ والحس الهائج، والجنس الصارخ فى العيون، الهاتف فى الجوارح، المتنزى فى الحركات واللفتات، ولكن طبيعة الحياة فى أمريكا، والملابسات التى سلفت فى نشأة هذا الشعب، لا تساعد على شئ من هذا، بل تقاومه وتقصيه

وهكذا أصبحت كلمة حيي أو خجول « Bashful » من كلمات العيب والتحقير؛ وانطلقت العلاقات الجنسية من كل قيد على طريقة الغابة، ، وأصبح بعضهم يفلسفها فيقول كما قالت لى إحدى فتيات الجامعة مرة: « إن المسألة الجنسية ليست مسألة أخلاقية بحال. إنها مجرد مسألة بيولوجية: وحين ننظر إليها من هذه الزاوية نتبين أن استخدام كلمات الرذيلة والفضيلة. والخير والشر، إقحام لها فى غير مواضعها، وهو يبدو لنا نحن الأمريكان غريبا، بل مضحكا ... » وبعضهم يبررها ويعتذر عنها كما قال لى طالب يشتغل للدكتوراه: « إننا هنا مشغولون بالعمل، ولا نريد أن يعوقنا عنه معوق، وليس لدينا وقت ننفقه فى العواطف! ثم إن الكبت يتعب أعصابنا، فنحن نريد أن ننتهى من هذه « الشغلة! » لنفرغ إلى العمل بأعصاب مستريحة »

ولم أرد أن أعلق على هذا الحديث فى وقته. فقد كان همى أن أعرف كيف يفكرون فى هذه المسألة. وإلا فكل شئ فى أمريكا لا يدل على أعصاب مستريحة، بالرغم من كل وسائل الحياة المريحة، وكل ضماناتها المطمئنة، وكل يسر وسهولة فى إنفاق الطاقات الفائضة

وبعضهم يسمى هذا تحررا من الرياء ومواجهة للحقائق. ولكن هنالك فارقا أساسيا بين التحرر من الرياء، والتحرر من المقومات الإنسانية التى تفرق بين الإنسان والحيوان. والإنسانية فى تاريخها الطويل لم تكن تجهل أن الميول الجنسية ميول طبيعية وحقيقية، ولكنها — عن وعى أو غير وعى — كانت تجاهد لتتحكم فيها، فرارا من العبودية لها، وبعدا من مدارجها الأولى. إنها ضرورة نعم؛ ولكن لماذا تخجل الإنسانية من إبداء ضروراتها؟ لأنها تحس بالفطرة أن التحكم فى هذه الضرورات هو شهادة الخلاص من الرق، وأولى مدارج الإنسانية فى الطريق، وأن العودة إلى حرية الغابة عبودية مقنعة، ونكسة إلى مدارج البدائية الأولى

سيد قطب

٤ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

معركة التحرير:

أذاعت وزارة الداخلية فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥١ بيانا باعتداءات الإنجليز فى الفترة من ١٦ اكتوبر إلى ٣٠ منه ويؤخذ منه أن البريطانيين قتلوا أربعة جنود مصريين كما قتلوا ١٣ رجلا من المدنيين وامرأة وطفلا . وبلغ عدد الجرحى من العسكريين والمدنيين ١٢٥ ، وبلغ عدد حوادث النهب والسلب ١٢٥ وعدد المجنى عليهم فى هذه الحوادث ٧٢ شخصا كما بلغ عدد حوادث تعطيل المواصلات ٤٨ حادثة، وحوادث الإتلاف ثمانية، وعدد من ضربوا أو قبض عليهم ٣٨ شخصا

هذا هو الإحصاء الرسمى الذى أذيع ، ولكن هناك إحصاء آخر يعرفه الناس جميعا : إن منطقة القنال بأسرها تعيش الآن وسط أتون من الضغط والإرهاب البريطانى ، وليس هناك مصرى واحد فى هذه المنطقة آمن على نفسه أو على حريته . إنهم يعيشون تحت أسنة الحراب الإنجليزية، وبلادهم مسرح للعدوان البريطانى

وإنى أحب أن أسجل بكل فخار ما قام به العمال الذين كانوا يعملون فى المعسكرات البريطانية من عمل وطنى رائع ، وذلك بامتناعهم عن العمل فى تلك المعسكرات، الأمر الذى أقلق الإنجليز وأضج مضاجعهم ؛ كما أخفض قلمى تحية لوطنية عمال شركة قنال السويس وذلك بامتناعهم عن تفريغ أو شحن السفن، مما يهدد بوقف الملاحة فى القناة

كذلك يطيب لى أن أحيي أولئك الوطنيين من التجار الذين امتنعوا عن توريد الأطعمة والفواكه إلى أعداء الوطن

هذا فى مصر ؛ أما فى السودان فقد عقد اجتماع وطنى كبير شهده زعماء السودان المخلصون لوطنهم، وفيه أعلنوا أن الجمعية التشريعية السودانية لا تعبر عن رأى السودانيين، كما أعلنوا عن عزم السودانيين على الكفاح لإخراج الإنجليز من وادى النيل وإقامة دولة النيل المتحدة تحت تاج الفاروق

إلى الماضى :

هذه صورة من كفاحنا الشعبى فى معركة التحرير .. فلنعد إلى الماضى لنرى صورة من كفاح الآباء .. ولنعرف كيف وقفت مصر وشعبها الأعزل فى وجه بريطانيا غداة خروجها ظافرة من الحرب العالمية الأولى .. وكيف اضطرت بريطانيا رغم جيشها وأسطوله إلى التسليم بمطالب مصر

طلب سعد ورفيقاه كما رأينا أن يسمح لهم بالسفر إلى أوربا لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ولكن رفض طلبه ؛ ورأينا كذلك كيف ألف سعد الوفد المصرى ؛ وفى الوقت نفسه طالب حسين رشدى باشا وزميله عدلى أن يسمح لهما بالسفر لمباحثة الحكومة البريطانية فى المسألة المصرية، وقد رفض طلبهما أولا ثم سمح لهما بالسفر؛ ولكنهما طلبا أن يصرح لرجال الوفد بالسفر أيضا فرفض الطلب مما أدى إلى استقالتهما . وقد وقف المصريون صفا واحدا فلم يقبل أحد منهم الوزارة، وظلت مصر بلا وزارة فى الفترة من ديسمبر ٩١٨ إلى مارس ١٩١٩

لم ييأس سعد وظل يواصل جهاده ، ففى ١١ يناير ١٩١٩ أرسل إلى كليمنصو رئيس مؤتمر السلام المنعقد بباريس برقية جاء فيها « باسم الحرية التى أنت نصيرها، وباسم العدل المجرد عن الهوى ، وباسم الإنسانية التى تأبى أن تكره الأمم على أن تنتقل من يد إلى أخرى كما تنتقل ملكية السلع، نناديك من وراء البحر أن لا تتخذ سكوتنا الإكراهى الذى هو النتيجة الطبيعية لحبسنا فى حدود بلادنا دليلا على رضانا بسيادة الغير ، وألا تسمح بالحكم فى مصيرنا من غير أن تسمع أقوالنا . »

وفى ١٣ يناير ١٩١٩ عقد اجتماع وطنى رائع فى منزل حمد الباسل باشا خطب سعد باشا فيه فقال :

.. ليست فكرة الاستقلال جديدة فى مصر بل هى قديمة يتأجج فى قلوب المصريين الشوق إلى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل.. وتخبو ناره كلما استطاعت القوة أن تخمد أنفاس الحق، ولقد كان الوقت الحاضر أنسب فرصة لتحقيق هذه الفكرة . . . إن الاحتلال الفعلى لا يجد فرصة أنسب من هذه الفرصة ليحقق رجاء اللورد سالسبورى الذى قال فى ٣ نوفبر ١٨٨٦ « نحن لا نبحث إلا عن الخروج من مصر بشرف »

قلب هذا الاحتلال الذى لم يكن له حق فى البقاء إلى حماية من بادئ رأى الإنجليز ومن غير اتفاق مع مصر..ولكنها هى أيضا أمر باطل بطلانا أصليا أمام القانون الدولى ويخالف المبادئ الجديدة التى خرجت بها الإنسانية من هذه الحرب الهائلة.. فنحن أمام القانون الإنسانى أصبحنا أحرارا من كل حكم أجنبى.. فلا ينقصنا إلا أن يعترف مؤتمر السلام بهذا الاستقلال فتزول العوائق التى تقف بيننا وبين التمتع به بالفعل . لهذا الغرض السامى المطابق لما فى نفوس المصريين جميعا ألفت أنا وأصحابى الوفد المصرى للسعى فى الوصول إلى الاعتراف بهذا الاستقلال وتشرفنا بتوكيل الأمة إيانا . . .

إن إيماننا بقواعد الحق والعدل هو عدتنا وكفى بها عدة، وإن إجماع أمتنا على الاستقلال حجة قائمة، وما ينقصنا إلا أن يسمع مؤتمر السلام صوت الأمة ، ولكن سيصله ولو من بعيد ، يصله على رغم ما يقال من أن مؤتمر السلام الذى يعقد اليوم أشبه ما يكون بما سبقه من المؤتمرات ، هذا هو النحو الذى ننحوه فى قضيتنا »

ثم أعلن أن مطالب الوفد تشمل السودان «وإن من الفضلة أن نقرر بأن كل ما نقوله عن مصر ينسحب على السودان لأن مصر والسودان كل لا يقبل التجزئة، بل إن السودان كما قال المستشار المالى فى تقريره ١٩١٤ « ألزم لمصر من الإسكندرية »

ويقول إلجود Elgood وهو إنجليزى معاصر فى كتابه « the transit of egypt » « انتقال مصر » ما ترجمته :

« وفى خلال شهرى ديسمبر وينـاير كان قلق المعتمد البريطانى يتزايد يوما بعد يوم ، فقد كان يشاهد بعيون متعبة العداوة للبريطانيين تنمو يوما بعد آخر . لم يكن زغلول خاملا ، كان اسمه على شفتى كل مصرى وانتخب زعيما للوفد بإجماع الآراء . لم يكن فى مصر إلا حزب واحد، وزعيم، ومنهج واحد»

وفى ٢١ يناير غادر السير ونجت الأراضى المصرية بناء على استدعاء من لندن

استمر الوفد فى نشاطه ، وعزم على عقد اجتماع عام فى بيت الأمة فى ٣١ يناير، ولكن قائد القوات البريطانية منعه

مقدمات الثورة :

فى أول مارس ١٩١٩ قبل السلطان أحمد فؤاد استقالة رشدى باشا التى ظل أمرها معلقا منذ شهر ديسمبر ١٩١٨، وطلب إليه الاستمرار فى إدارة الأعمال إلى أن يتم تأليف الوزارة الجديدة تحرجت الحال بقبول استقالة الوزارة وأوجس الوفد خيفة من محاولة تأليف وزارة جديدة ، ذلك لأن رشدى باشا كان متعاونا مع زعماء الوفد . وقد أدى ذلك إلى هياج فى الأفكار وإلى تحمس فى النفوس ، واضطر الوفد إلى أن يلجأ إلى السلطان عاتبا عليه قبول استقالة الوزارة التى وقفت بجانب الأمة تطالب باستقلالها ، وطالبا أن يكون السلطان العون الأول للبلاد على نيل استقلالها

وفى ٤ مارس أرسل الوفد إلى معتمدى الدول الأجنبية احتجاجا قويا على السياسة الإنجليزية التى تمنعه من عرض قضية بلاده أمام مؤتمر الصلح بباريس وأهم ما جاء فيه :

جناب المعتمد :

قضى الأمر وبلغ العسف غايته ، لم ينفع مصر أن كانت مشرقا لأقدم مدنية فى العالم ، ولا أنها ما زالت دائبة يوما بعد يوم من عهد محمد على الكبير إلى الآن على أن تستعيد المركز الذى لها حق الوجود فيه بين الأمم ، لم ينفعها تقديمها لقضية

الحلفاء أثناء الاقتتال أفيد أنواع المؤونة تأثيرا ، وقيامها بذلك فى نفس الساعة التى افتتحت بريطانيـا العظمى فيها الحرب بأشد ضروب التصرفات السياسية ظلما وهو إعلانها الحماية ، لم ينفعها مالها من وحدة المنصر، ونبوغ الطبقة الراقيـة فيها ، وما عليه أهلهـا من الشغف بالنظام وتمشق الحرية والتسامح العظيم، تلك الخصائص التى تجعلها جديرة بالاستقلال

إذن فكل شئ يجب أن يتوارى أمام مطامع الاستعماريين اللامتناهية ! إن المصريين دون جميع الأمم التى غيرت الحرب مركزها السياسى هم وحدهم الذين بطشت بهم القوة . .

ها نحن أولاء محكوم علينا بالبكم ، نملك فيه شكيمة الغيظ ، وبالحزن المبرح نلبس ثيابه حدادا على حريتنا المسلوبة . إن الدولة التى ما زالت تسومنا الخسف ما لبثت أن قررت نهائيا قطع الطريق علينا إلى المؤتمر ساخرة بوعودها . .

إن الوزارة التى اندفعت بوطنيتهـا إلى انتهاج ما يوافق القضية المصرية قد اضطرت إلى الاستقالة . . ونحن نعتقد أنه لا يوجد مصرى واحد جدير بأن يدعى مصريا يستطيع أن يؤلف وزارة.. والذى نقصد الآن إنما هو أن نشهدكم على المعاملة الجائرة التى ترزأ بها مصر لـكى تقولوا لحـكومتكم إنه على رغم العهود التى التزمت بها إنجلترا على رؤوس الأشهاد ، وعلى الرغم من المبادئ التى أقرها الحلفاء بالإجماع ، لا زال فى العالم أمة تتحكم فيها القوة الغاشمة لخدمة مصالح لا اتفاق لها مع دواعى المدنية، وهى أقل اتفاقا مع دواعى العدل والإنصاف

ولم تكن السلطة العسكرية تسمح بنشر هذه النداءات فى الجرائد، فكان الوفد يقوم بطبعها وتوزيعها على الأهالى، فأحدثت هياجا كبيرا فى نفوس المصريين وأثارت حماسة وطنية عظيمة فضاقت بريطانيا من حملات سعد ومن تشهيره بهـا ، ومن نداءات الوفد إلى معتمدى الدول ، ومن كتابه إلى السلطان ، فقر رأيها على سياسة الشدة فى قمع الحركة. وبعد ظهر يوم ٦ مارس استدعى قائد القوات البريطانية رئيس الوفد المصرى وأعضاءه ووجه إليهم الإنذار التالى :

« علمت أنكم تضمون مسألة الحماية موضع المناقشة ، وأنكم تقيمون العقبات فى سير الحـكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة ، وحيث أن البلاد تحت الأحكام العسكرية ، لذلك يلزمنى أن أنذركم أن أى عمل منكم يرمى إلى عرقلة سير الإدارة يجعلـكم عرضة إلى المعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية »

وقد أراد بعض أعضاء الوفد التعقيب على هـذا الإنذار ، ولـكن القائد العام رفض سماع أى كلام قائلا « لا مناقشة » !

قويسنا — للـكلام بقية — أبو الفتوح عطيفة

بمناسبة الذكرى الثانية

على محمود طه في شرقياته

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

— ١ —

لا أريد أن أتحدث في هذا المقال عن شاعر مصر الكبير المرحوم على محمود طه كسيد شعراء الغناء العربي منذ امرئ القيس حتى الآن، ولا أريد أن أبين مواطن الجمال والإبداع في دواوينه النفيسة التي أصدرها والتي تضمنت الشيء الكثير من شعره في وصف الطبيعة والمرأة، ولكنني أود ان أقصر كلمي هذه على شعره السياسي الذي قاله في مناسبات عديدة، والتي أوحت به إليه أحداث الشرق العربي المتطلع إلى الحرية والثائر على الظلم والظالمين، لأبدد تلك الفكرة التي تطغى على الأذهان. وهي أن المرحوم شاعر الجندول لا يجيد غير وصف الطبيعة والغزل بدليل قوله :

حياتي قصة بدأت بكأس ... لها غنيت وامرأة جميلة

وأنه لم يشارك الشعب آلامه وأحزانه ، ولا العربية جمعاء في ثورتها التحررية الكبرى ، وأنه لم يكن في مجال هذه المشاركة كأميره شوقي بك الذي يقول :

كان شعري الغناء في فرح الشر ... ق وكان البكاء في أحزانه

وأن ما قاله في هذا المضمار لا يتعدى الأبيات التي مجد بها مصر . أما الشرق فقد تركه وراء ظهره ..

هذا ما يقوله عندنا بعض المغرورين الجاهلين الذين لم يقرأوا للشاعر غير ديوان واحد أو ديوانين، ولو كانوا من المتتبعين لقراءة نفائس الشعر العربي الحديث لعلموا أن لصاحب « أرواح شاردة » ديوانا نحا بضم طائفة صالحة مختارة من شعر الملاحم والحروب ، والدم والثورة ، والجهاد والاستقلال، وهو « شرق وغرب » الذي أصدره المرحوم سنة ١٩٤٧ إلى الوجود ، وبصدوره أضاف إلى ذخيرة الشعر العربي الحديث ذخيرة أخرى جديرة بالدراسة والحفظ والإعجاب

يقع هذا الديوان في ١٨٢ ص ويقسم إلى قسمين : القسم الأول باسم « أصداء من الغرب » والقسم الآخر باسم « أصوات من الشرق » ونحن نترك الغرب لعشاق الغناء والمرأة والألحان، لنأخذ بالتحدث عن الشرقيات وخصوصا في هذه الظروف التي يمر بها الشرق؛ وبعد نكبة العرب بالديار المقدسة على رغم أنف الجامعة العربية ذلك المخلوق الكسيح الهزيل

وأول قصيدة من شرقيات شاعر زهر وخمر هي « إلى أبناء الشرق » ومطلعها هذا

دعوها منى ، واتركوه خيالا ... فما عرف الحق إلا النضالا

ينبيك بصيحة الشاعر المخلصة المرجوة إلى أبناء الشرق الإسلامي الذين كانوا يتطلعون إلى قضية فلسطين تطلع الخائف، مرتقبين مصيرها في حذر وفرق؛ وهل يعرف الحق إلا الكفاح؛ إذن إلى حمل السلاح على لسان الشاعر

بني الشرق ماذا وراء الوعود ... تطل يمينا وترنو شمالا

وما حكمة الصمت في عالم ... تصيح المطامع فيه اقتتالا

زمانكمو جارح لا يعف ... رأيت الضعيف به لا يوالي

ويومكمو نهزة العاملين ... ومضيعة الخاملين الكسالى

ولكن أبناء الشرق الذين فتحوا العالم ، وأدبوا الغرب وكسروا شوكة الصليبيين؛ لا يلبون النداء الحار، فيهتف به الشاعر مذكراً

ألسنا بني الشرق من يعرب ... أصولا سمت وجباهاً تعالى

أجئنا نسائل عطف الحليف ... ونرقب منه الندى والنوالا ؟

ولكن الشرقيين كما عهدناهم في هذا العصر لا يغضبون لأن الحاكمين تحت إمرة الأجنبي علمهم الخنوع والكسل، ولكن الشاعر يذكرهم ويذكر الحلفاء

فلسطين مالي أرى جرحها ... يسيل ويأبى الفداة اندمالا

وافريقيا ما لإسلامها ... يسام عبودية واحتلالا

على تونس وبمراكش ... تروح السيوف وتغدو اختيالا

ويسترسل الشاعر في وصفه حتى يختم تلك الملحمة الرائعة

بهذا الدعاء المضطرم بالإخاء والإيمان

بنى الشرق كونوا لأوطانكم قوى تتحدى الهوى والضلالا
أقيموا صدوركم للخطوب فما شط طالب حق وغالى

وقد كان الشاعر فى سرير مرضه عندما بدأ بإثارة شعور إخوانه العرب عامة والمصريين خاصة فى سبيل طردهم المستعمر الغاشم ورد حقهم السليب، فقال فى الختام

فزعت لكم من وراء السقام وقد جلل الشيب رأسى اشتمالا
وما أن بكيت الهوى والشباب ولكن ذكرت العلى والرجالا

نعم لقد بكيت الرجال . وحق لك أن تبكى الرجال فى مواطن خلت إلا من أشباه الرجال ..

وفى « يوم فلسطين » وهى القصيدة الثانية من الشرقيات؛ يصور الشاعر غضب الأمة العربية فى إضرابها العام الذى صدر فى اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩٤٥ حداداً واحتجاجا على وعد بلفور المشئوم . ويكبر البطولة والشجاعة فى الفلسطينيين الأحرار الذين استشهدوا فى سبيل بلادهم ويمجد الشعب الفلسطينى المناضل، فى جهاده الطويل وصبره على الشدائد ، وإبائه وعدم خنوعه إلى الأجنبى طيلة أيام الثورة، فيهتف من صميم قلبه

فلسطين لاراعتك صيحة مغتال سلمت لأجيال، وعشت لأبطال
ولا عزك الجيل المفدى ولاخبت لقومك نار فى ذوائب أجيال
صحت باديات الشرق تحت غبارهم على خلجات الروح من تربك الغالى
فوارس يستهدى أعنة خيلهم دم العرب الفادين والسؤدد العالى

ثم يتطرق إلى وصف الشرق صبيحة التقسيم بهذا الوصف الرائع

هو الشرق لم يهدأ بصبح ولم يطب رقاداً على ليل رماك بزلزال
غداة أذاعوا أنك اليوم قسمة لكل غريب دائم التيه جوال
قضى عمره رجم المواطن ـ واسمه مواطنها ـ مابين حل وترحال
وماحل دار أفيك يوما .. ولاهفت على قلبه ذكراك من عهد أسرال

أى والله ياصاحب الملاح التائه!! إن النكبة التى منى بها العرب فى فلسطين يوم سلط عليها الإنجليز والأمريكان شذاذ الآفاق ، المناجيس الرعاديد ، ستبقى مطبوعة فى كل قلب حر مادام للوطن العربى الكبير بقاء ؟ وإن الأرض المقدسة التى حلها أوباش اليهود التائهين كا لا تتطهر إلا بظهور عظيم كبخت نصر؟ وبطل

كصلاح الدين وفارس كابن الوليد ، لكى يعيد مجد فلسطين كما كانت فى عهد عمر ، ومعاوية ، والرشيد

ثم يختتم قصيدته مخاطبا الغرب بقوله

ويا أيها الغرب المواعد لا ترد كفى الشرق زاداًمن وعود وأقوال
شبعنا وجعنا من خيال منمق ومنه ا كتسينا، ثم عدنا بأسمال
فلاتعذب الضمقى وتغصب حقوقهم فتلك إذا كانت .. شريعة أدغال

وهل فات الشرق أن الغرب لا يعرف إلا الظلم والدم والنار، وأن ما سفه من حقوق لا يتعدى حبراً على ورق ولا تطبق عنده إلا الشريعة الغاب . وقانون الرجل الأول ؟! ..

« وفى مساء يوم الخميس المصادف ٢٠ يونيه سنة ١٩٤٦ تفاجأ مصر والعالم العربى قاطبة مفاجأة سارة بظهور مفتى الديار الفلسطينية السيد أمين الحسينى فى قصر عابدين العامر لاجئاً إلى ساحة البيت الملوى الكبير الكريم بعد خروجه خفية من باريس بنحو أسبوعين ، وقد أمنه الفاروق العظيم على حياته وأ كرم وفادته . الخ »[1] فما كان من الشاعر إلا أن حياه بقصيدة رائعة تعد من عيون الشعر الحديث يفتتحها بهذا المطلع الجبار

حيتك فى الشرق آمال وأحلام وقبلتك جراحات وآلام

الذى يصف فيه أجمل وصف شعور الشرق باستقبال المجاهد الكريم ؛ وكذلك وصف الديار المصرية التى ترحب بكل طريد عربى .. وياليتنا كنا أحد الذين يقضون البقية الباقية من حياتهم فيها وبين أهلها الأحباء الكرام . . فيقول

ديار « فاروق » من يلجأ لساحتها فقد حمته من الأحداث آجام
يطيب للعربى المستجير بها مماشه وبرق الماء والجام
ويحطم القلم العانى بحومتها أصفاده ، ويفك القيد ضرغام

وحسب مصر ، أن أرباب الفكر ، وأصحاب العقائد ، وحملة مشاعل الحرية والأدباء والشعراء لا يضطهدون أو يعذبون ، وحسب الفاروق شرفا أنه أصل هذا الكرم العتيد والمجد الرفيع والبناء الضخم الموطد الأركان .. ولا أريد أن أسترسل فى وصف هذه الأبيات الرائعة أو أثرها فى النفس والشعور؛ وقيمتها فى

(١) من مقدمة قصيدته « من الأعماق » ص ٨٦ « الديوان »

خواطر فى كتاب الله

النضال فى سبيل الاستقرار

للأستاذ محمد عبد الله السمان

لا حياة لأمة من الأمم بغير استقرار ، ولا استقرار لها بغير نضال، فالنضال فى حياتها دعامة قوية يرتكز عليها استقرارها ، والأمة التى تستعذب الركود ، وتستجيب لدواعى الدعة والخمول ،

ميزان الشعر السياسى من ناحية الديباجة والأصالة والقوة ، ولكننى أكتفى بأنها خير ما قلت فى هذه المناسبة. وحسب الحسينى قول الشاعر:

وأنت ، يا أيها الفادى عروبته ... أسلم فديتك لا غبن ولا ذام
جهادك الحق مظلوماً ومغتربا ... وحى لكل فتى حر وإلهام

وحسب المرحوم الذى اختطفته يد القادر الغاشم وهو فى أوج نضوجه الفنى وحسب عبقريته المتفتحة عن أكمام الخلود والمعطرة بأريج البيان المشرق واللغة السليمة والعربية الكريمة والتراث الشرقى النبيل أنه كان شاعر الشرق بعافيه العروبة والإسلام، وأنه كان من المدافعين عن حريته وسلامته ومن المؤمنين به وبحقوقه ، وبحضارته العريقة ومجده الخالد التالد . وشبابه المنافح المكافح وشيوخه الحكماء

وحسب مصر الوادى المبارك أنه أطلع للعربية والشرق عملاقا مثل شوقى.. ونسرا ضخم الهيكل فى الشرق كعلى محمود طه المهندس ...

والبقية من هذا الحديث ستأتى فى القريب إن شاء الله وإلى الغد المأمول

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

وتتذرع بأوهى الأسباب لتظل أمة ضالة فى مجاهل النسيان ، مودعة فى زوايا الإهمال ، أو متلاشية فى مهاب الأعاصير ، ضائعة فى زوابع الغوغاء — هذه الأمة لن يقدر لها التربع فوق هامة المجد ، ولا الوقوف بين صفوف الأمم الحية ، ولا التمتع بحياة العزة والهدوء ، ولا الظفر بمعيشة الرضا والسلام

والإسلام فى ظل تطوراته ، كان حريصا على إيجاد أمة قوية مهيبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، ذات مكانة يعتد بها ، وكيان يعترف به ، وجاه تعيش فى ظله مرفوعة الرأس ، مصونة الكرامة ، ولما لم يهب الاستقرار لأتباع الإسلام ، بين ربوع مكة فى المرحلة الأولى ، فرض عليهم أن يهاجروا منها ، راغبين عن مسقط رءوسهم ، وديارهم وأموالهم ، زاهدين فى أرض لم تغدق عليهم غير الذلة والمسكنة ، والعنت والاضطهاد ، فكانت هذه الهجرة أول مرحلة من مراحل النضال ، وأول لبنة فى بناء الاستقرار ، وحرم عليهم أن يسكنوا أرضا لم تكرم وجودهم ، ويعيشوا فيها أذلاء مستضعفين ، حتى يفلتوا من أسوإ جزاء ، وأشد عقاب :

« إن الذين توفيهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

والعدة ألزم شئ للنضال ، ولا يعتبر النضال نضالا واقعيا إلا بها . والأمة التى ترغب فى حياة حية ناهضة ، يحتم عليها أن تكون على استعداد للنضال فى أية لحظة ، فإن لحظات القدر ليست ذات مواعيد محددة . والإسلام الذى أوجد أمة مجيدة من العدم ، لم يفته أن يوجهها إلى اقتناء العدة ، وإيجاد القوة ، فهما حليفتا الأبطال فى ميادين النضال . وخليقتان بأن تدفعاهم إلى كسب الشرف والفخر لأمتهم ، وذود العار والبلاء عن وطنهم . والإسلام لم يفته أن يلفت أنظار المسلمين إلى الحديد، وأنه مصدر من أهم مصادر العدة والقوة :

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم . الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم . وأنتم لا تظلمون — وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوى عزيز . »

والإسلام لم يحتضن النضال إلا وهو يهدف إلى إيجاد الاستقرار الذي لاغنى عنه لأمته ، وإيجاد السلام العالمي الذي تعيش الإنسانية والبشرية في كنفه وتحت رعايته آمنتين، ولم يكن من اللائق به — كدين صاحب أسمى دعوة — أن يحتم على أمته الركون والهدوء ، وكتائب البغي والعدوان تأبى إلا النيل منها والكيد لها ، ولا أن يلزمها الصمت والسكون — وجحافل العناد تأبى إلا السطو عليها ، والتخلص منها ، والإسلام لم يقصد من إلزام أمته النضال وإعداد العدة له ، بغيا أو بطرا أو عدوانا ، ولكنه قصد منهما تهيئة حياة مستقرة لها ، حتى تؤدى رسالتها التي من أجلها أوجدها الحق تبارك وتعالى

وقد اعتبر الإسلام النضال بالنسبة لأمته دعامة قوية ، يرتكز عليها كيانها ، وتستقر حياتها ، ولذلك حرضها عليه ، واعتبره جهادا في سبيل الله الذي يحق الحق ويبطل الباطل ، ومن أجل حياة دائمة باقية ، تنال فيها النفوس المجاهدة الصابرة أنعم ما أعده الله لأوليائه :

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة. ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما — فقاتل في سبيل الله . لا تكلف إلا نفسك . وحرض المؤمنين . عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . والله أشد بأسا وأشد تنكيلا — إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص — وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين — فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ؛ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا »

ولما كان النضال دائما في مسيس الحاجة إلى المادة ، لإعداد الأسلحة وما إليها ، وللانفاق على الجيوش الناضلة ، فقد حرض الإسلام على الإنفاق في سبيل هذه الغاية ، واعتبر البخل والتقتير مما يدفع بالأمة إلى الهلاك بأيديها ، وقد أخذ الله على نفسه ألا يضيع جزاء الباذل . بل يضاعف له أضعافا مضاعفة :

« وأنفقوا في سبيل الله . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . وأحسنوا إن الله يحب المحسنين — مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل . في كل سنبلة مئة حبة . والله يضاعف لمن يشاء . والله واسع عليم »

والجندي المناضل يهدف في نضاله دائما إلى نيل إحدى الحسنيين : إما فوز يكسب أمته العزة والشرف والفخار ، ويسبغ عليها نعمة العزة والحرية والمجد ، وإما استشهاد في سبيل الحق ، يخلد في الحياة الدنيا ذكراه أجل تخليد ، ويجمله في الحياة الأخرى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا :

« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون — ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن. ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم — والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . »

أما المتخلفون عن ميدان النضال ، المتنكبون طريق الشهامة والمروءة والرجولة ، فقد ندد بهم الإسلام كل التنديد ، لأنهم رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، ولأنهم بخلوا بأنفسهم ، وادخروها لحياة فانية تعبث فيها وتلهو ، وآثروا القبوع في مساكنهم على إدراك البطولة ، وارتداء تاج التضحية والتفاني ،

كانوا إذا دعوا إلى النضال تثاقلوا تثاقلا مزريا ، وانتحلوا أوهى الأعذار ، ليقعدوا عن ركب الجد الزمع إلى الكفاح فى سبيل أسمى الغايات :

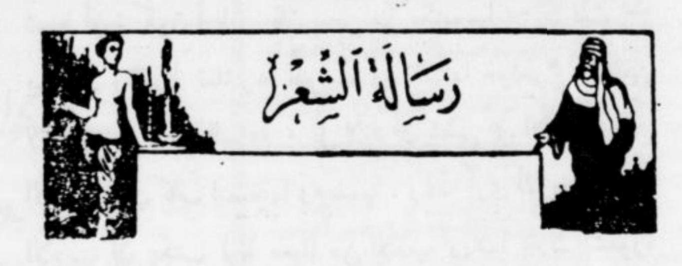
« يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا ؛ والله على كل شىء قدير — فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون — فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون — إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم ، قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم ، قد نبأنا الله من أخباركم ، وسيرى الله عملكم ورسوله ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم ، إنهم رجس ، ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون _ وقالوا : ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب . قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا »

وأما أولئك المثبطون للهمم ، الذين كانت مهمتهم أن يضعوا الأشواك فى طريق النضال ، وأن يشنوا حرب الأعصاب على ضعفاء الإيمان ، ويثيروا الروع والفزع فى نفوسهم ، فقد كشف الله نواياهم ، وفضح مخازيهم ، لأنهم خليقون بأن يحرموا قيم الرجولة ، وتتبرأ منهم صفحات المروءة والبطولة ، وما أكثرهم فى أيامنا هذه ، يعيشون كالجراثيم ، وينفثون السموم فى روع المناضلين ، ويعز عليهم أن يناضل غيرهم، وهم لا يرغبون فى النضال ، وأن يكسب الشرف سواهم ، وهم ليسوا جديرين به ، ويتسلحون بمنطق أعرج ، وأسلوب ملتو ، وحجةواهية، ليبرروا مسلكهم ، ويواروا صغارهم :

« . . يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ها هنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله مافى صدوركم ، وليمحص مافى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور — يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ، والله يحى ويميت ، والله بما تعملون بصير — وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون ، الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين »

محمد عبد الله السمان

البحث صلة — القاهرة



في موكب الخالدين

ذكرى الملاح التائه

للأديب عبد الرحيم عثمان صارو

طاف بالدنيا .. كما طاف الربيع بحنايا الأرض بعثا مرسلا
ساحر ينفث ما بين الضلوع لهب الحب شهى المصطلى
في يديه معزف الفن الرفيع يرسل اللحن طروبا مثملا
يزدهى الأرواح بالكأس البديع ريق الخمرة .. لماح الطلى
قد تزول الشهب أو تبلى الشموع وسناه فوق أطواق البلى
ماله؟ والكون نشوان الربوع يتساقاه رحيقا سلسلا ؛
ونداماه احتشاد وولوع فارق الروض وولى معجلا !

* * *

ماله ؟ والكون يشدو بحلاه راقص النشوة فياض المرح ؛
والليالى مفعمات بهواه مد للغيب جناحا .. ونزح !
أهى الأيام قد آدت خطاه بالذى يحمل عن دنيا البرح ؟
أهو «الأولب» نادى بفتاه : أيها المتعب : آن المطرح ؟
أهو الدهر الذى أترع فاه خمرة الشدو وصهباء الملح ؟
طاش منه العقل واستلت نهاه غمرات من أفاويق الفرح ؟
فتولى فى تهاويل رؤاه ينهل الراح ، ويلق بالقدح

* * *

أيها النازح عن تلك الديار أيها الغائب : قد طال الغياب
ما عهدناك على رغم السفار ممعنا فى هجر هاتيك الشعاب
ضفة النيل حنين وادكار غرج الأدمع بالوجد المذاب
طالعت بالشوق آفاق البحار تسأل الموج .. وتستهدى العباب
وتنادى الريح: هل حان المزار وحلا الوصل على جمر العتاب
ويحها ! لم تحظ من طول انتظار وارتقاب مستهاب بجواب
يا نجوم الليل . . يا شمس النهار فتشى عندك عن ذاك الشهاب

* * *

أيها التائه فى بحر الحياة عد تأمل كيف بات الشاطئان
أيها التائه . . إلا عن حماه كيف أنسيت هوى تلك الجنان؟
كيف تزوى السمع عن غالى نداه والجوى يزخر فيه والحنان
لم تطلب بعدك أقداح السقاة للندامى .. لا ولم تحل الدنان
ياحيارى الشوق: لاتلحوا هواه فهو لا يسلوهوا كم حيث كان
لا تلوموه بهجر ما جناه وسكوت ماله فيه يدان
إنها الأقدار ألوت بخطاه وجهة المجهول من قبل الأوان

* * *

عبقرى الفن .. رب الملهمين : هذه ذكراك حب وثناء
وتراث لك وهاج الرنين سامق الذروة مرفوع اللواء
وصلاة فى محاريب الحنين جئت أقريها «على» الشعراء
إن عدتها نفحة الشعر الرصين لم يجزها لك مشبوب الولاء.
أنا من ذكرك فى فل ثمين أجمل الأغلال فى الدنيا الوفاء
كيف أنساك ؟ معاذ الخالدين وصباياك جوار فى الدماء
خالد أنت على مر السنين فى فم الأجيال فى سفر البقاء

عبد الرحيم عثمان صارو

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ساعة مع الحكيم :

أقبلت على الأستاذ توفيق الحكيم بك فى غرفة مكتبه بدار الكتب المصرية ، بعد أن فرغ من تصريف مسألة من مسائل الدار ، وقد خرج الأستاذ الكبير عن مكتبه ، وجلسنا على مقعدين متقابلين ، فطالعت منه وجه الفنان ، وأحسست أنى فى محراب من محاريب الأدب والفن ، لا فى حجرة من حجرات أصحاب المناصب الكبيرة

وقضيت معه ساعة تناولنا فيها بعض شئون الأدب والأدباء ، وقد تحدث إلى منطلقا مستفيضا ، وأصغيت إليه مستوعبا مستعذبا ، ويعرف أصدقاء أديبنا الكبير ما فى حديثه من متعة وعمق ، لأنه يمزج فيه الفكر بماء الفن كما يصنع فى كتابته

وكان يلقى إلى الحديث على طبيعته المرحة الهادئة الوادعة ، وهو لا يعلم أنى سأنقله إلى قراء الرسالة . . فلما علم بهذه النية ظهرت عليه البغتة وابتدرنى قائلا : إذا فأنت تريد أن تعمل حديثا ! وسكت وكأنما يقول فى نفسه : الأمر لله !

بدأ الحديث بالسؤال عن الأستاذ الزيات بك ، ثم ذكر « الرسالة » لا سائلا عنها فهى لا تغيب عنه ، إذ هى معه وهو معها كل أسبوع ، بل قال : الرسالة يتنسم منها الإنسان عبير الأدب فى هذه الآونة التى قطعت الصحف والمجلات الأخرى علاقاتها بالأدب ومسحت آثاره من صفحاتها . . حتى ما تنشره أحيانا من قصص تراه حكاية لحوادث لا فن فيها ولا تشعر بأن كاتب القصة يسوق إليك فى خلال كتابته خواطر أديب

وتحدثنا فى انصراف أكثر الناس عن القراءة الأدبية ، وقلت : إن القصة باعتبارها فنا من الأدب تستطيع أن تنافس الكتابات غير الأدبية فى اجتذاب جمهور القراء . قال : على شرط أن تكون أدبا . . فإن بعض من يكتبونها — كما قلت — يسوقون وقائع لم تعاشرها نفوسهم ولم تتمثلها خواطرهم ، فالفن لا يتفتح من وحى الساعة ، بل لابد أن يمضى على الأحداث من الأنظار وقت كاف لنضجها وهضمها . ولهذا أرى ألا يفرض على الأديب أن يكتب لونا معينا من الأدب وإنما يترك لشعوره واستجابته

وعدنا إلى حديث المجلات الأدبية وقلة الإقبال على قراءة الأدب ، فقال الأستاذ الحكيم : الواقع أن المجلات الأدبية هى البقية الباقية . وما زلت أذكر الحديث الذى أدلى به إليك معالى الدكتور طه حسين باشا ونشر بالرسالة منذ شهور والذى أعرب فيه عن عمل وزارة المعارف ، واستعدادها للعمل ، على تشجيع الأدباء والأخذ بكل ما يغذى الحركة الأدبية والثقافية فى البلاد . إن وجود طه حسين على رأس وزارة المعارف فرصة ذهبية عظيمة ينبغى أن تنتهز لإحياء الأدب وازدهاره عن طريق مساعدة الدولة وإثابتها للجهود الأدبية

ومال الحديث إلى الناحية العملية فى الموضوع ، فقال الأستاذ الحكيم :

إن وزارة المعارف بإعانتها للمجلات الأدبية تسدى الصنيع ، لا لهذه المجلات فحسب بل للأدب والأدباء على وجه عام ؛ فإن ذلك سيعينها على الإجادة والإكثار من استكتاب الأدباء المجيدين . ويا حبذا أن تخصص الوزارة لهذا الغرض مبلغا من الاعتماد المخصص لكتب المطالعة الإضافية ، فالمجلات الأدبية نفسها تعتبر من هذه المطالعة

قلت : إن الدولة تتبع سياسة تعويض المنتج وتشجيعه على الإنتاج الذى لا يجزيه به الجمهور جزاءه الحق ، أو بتعبير اقتصادى ، لا يغطى نفقاته ، كما تصنع مثلا فى الخبز والسكر ، أفليس لغذاء العقول مكان ؟

ثم جر الحديث إلى تكوين جمعية الأدباء ، فقال الأستاذ الحكيم : إذا أراد الإنسان أن يلتقى إخوانه الأدباء فأين يجدهم ؟ أليس اجتماع الأدباء وتحدثهم مثلا فيما يجد من الأفكار أو فى كتاب جديد قيم وما ينشأ عن احتكاك الآراء من تنشيط العقول

وإثارة القرائح — أليس ذلك خيرا وأبقى من أن يذهب الإنسان إلى قهوة يجد فيها موظفين يقتتلون الوقت بالحديث عن الدرجات والعلاوات ؟

ثم قال لي : إذا جاء إلى مصر أديب من الخارج وأراد أن يلقى أدباء مصر فأين يلقاهم إذا لم يكن لهم ناد يقصد إليهم فيه ؟

وختمت حديثي مع الأستاذ الكبير بسؤاله عن جهده الأدبي في الفترة الأخيرة أو ما يعتزمه من الإنتاج في عالم الأدب والفن ، قال : إنه ينوي أن يخرج كتابا أدبيا ولكنه لم يعرف بعد اسمه ولا موعد ظهوره . لأنه يحلو له دائما أن يكون هو المفاجأ بظهور كتابه قبل أن يكون المفاجئ . .

لمن فصبح !

كتب الأستاذ أحمد محمد بريرى في جريدة الأساس (٣/١١/١٩٥١) مقالا عنوانه « خطأ مشهور » أجرى فيه الكلام — على طريقته — حوارا بينه وبين « شيخه » تناول فيه تعريب اسم « هانس أونو » ثم شبك الكلام بمسألة أخرى هي التي تهمنا الآن

قال الأستاذ وهو ينتقل من مسألة تعريب ذلك الإسم إلى مسألتنا :

« قلت إذا أردتم أن تغفلوا الحرف الأخير من الكلمة فتنادون . .

قال — صه . . فقد أقلقت سيبويه ، رحمه الله ، حين قلت فتنادون . . قل فتنادوا . . أفنسيت فاء السببية . ؟

قلت — فما قولكم ، دام الله فضلكم ، في قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

بضم الميم في قوله « فيعجمه »

وفي قول الدكتور طه حسين عن بعض العابثين من الشباب : « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا نشرت على أنها لم تنشر . . الخ » دون حذف نون يدخلون

قال — أما عن شعر الحطيئة فالفاء ليست سببية . . وهذا واضح لأن إرادة الإعراب ليست علة الإعجام أو سببه . . فالشاعر لا يعجم الشعر بسبب أنه أراد إعرابه . . ومتى انتفت فاء السببية انتفى النصب

وأما كلام الدكتور طه حسين فالنصب فيه محقق . . فالسببية واضحة بين ضحك هؤلاء الشبان من الصحف ورؤساء تحريرها ، وبين إدخال الفصول التي نشرت على أنها لم تنشر . .

وإني لأنبه الدكتور طه حسين إلى أنه يلحن كثيرا في مثل هذا الحرف فيرفعه وحقه النصب

قلت — وغير الدكتور طه حسين من المؤلفين والكتاب ألا يلحنون في مثل هذه الحال . ؟

قال — قلت لك إني لا أحصى

كشكول الأسبوع

◘ تفضل جلالة الملك فاروق فوافق على أن تخصص منحة قدرها ٨٠٠٠ جنيه في العام لمركز الثقافة الإسلامية في لندن

◘ جاء من باريس أن المجلس التنفيذي لليونسكو وافق على إنشاء مركز لتعليم الأساسي في الشرق مقره مصر . وكان معالي الدكتور طه حسين باشا قد عرض على الجمعية العامة لليونسكو عند انعقادها في يولية الماضي ، استعداد الحكومة المصرية للمساهمة في إنشاء هذا المركز

◘ وافق معالي وزير المعارف على قرار مجلس جامعة فؤاد الأول بتعيين الأستاذ ابراهيم اللبان بك عميدا لكلية دار العلوم ، وهو الذي فاز بأغلبية الانتخابات التي أجريت بالكلية لاختيار العميد

◘ كتب بعض الكتاب ينتقدون إلغاء حفلة أم كلثوم ، وقالوا إن الحكومة خشيت مما يثيره غناؤها من حماسة الجماهير . . لأنها كانت ستغنى قصيدة « سلوا قلبي » وفيها البيت « وما نيل المطالب بالتمني » وهذا يذكرنا بما يحكى عن منيرة المهدية من أنها كانت تغنى « زغلول يا بلح » فيصفق الجمهور محبة في سعد زغلول !

◘ في ليلة إلغاء المعاهدة قدم المذيع بالإذاعة المصرية أغنية مصر التي يغنيها عبد الوهاب بأنها من تأليف المرحوم أحمد شوقي بك . . وهي للأستاذ محمود حسن اسماعيل ، فهل جهلت الإذاعة الشاعر الذي كان يوما من كبار الرؤساء فيها ؟ !

◘ أصدر معالي وزير المعارف قرارا بإعادة فتح مكتب البعثات في ألمانيا ، على أن يكون مقره في مدينة فرانكفورت ، وتتخذ الوزارة الإجراءات لافتتاح هذا المكتب خلال الشهر الحالي

لحن غير العلماء .. وإن شهرة الخطأ إنما تستمد من شهرة المخطئ بالدقة فى المحافظة على سلامة اللغة . .

قلت — فما حاصل حديثنا اليوم . ؟

قال حاصله أو حاصلاه إن شئت الدقة أننا عربنا السيد « هانس أوتو » فقلنا « هنسوت » ثم رجونا إلى الدكتور طه حسين أن يعطف على فاء السببية فينصب المضارع بعدها متى تقدم مسوغ النصب .. والله الموفق إلى الصواب »

سبحان الله يا أستاذ ! ويا عجبا لك ولشيخك !! كيف غاب عنكما أن فاء السببية التى ينصب المضارع بأن مضمرة بعدها هى التى تسبق بطلب أو نفى ؟ وأين الأمثلة التى سقتها من ذلك .. ؟ إن الفاء فى هذه الأمثلة فاء العطف . أما عبارتك التى خطأك فيها الشيخ فما هى علينا ! وأما قول الشاعر « يريد أن يعربه فيعجمه » ففيه الفعل « يعجم » معطوف على « يريد » وكلاهما مرفوع ، وأما كلام الدكتور طه حسين « يريدون أن يضحكوا ... الخ » ففيه الفعل « يدخلون » معطوف على « يريدون » وكلاهما مرفوع أيضا ، وليس فيه نصب محقق ولا غير محقق..وإذا كان الدكتور طه حسين يلحن كثيرا فى مثل ذلك . . فما أفصح هذا اللحن !

وبعد فأرجو أن تكون هـذه المسألة من الأستاذ بربرى « هفوة عالم » ولعـل خجلته منهـا تدعوه إلى التبين والتحقق فيما بعد

رسالة الشباب فى الكفاح :

ألقى الأستاذ كامل الشناوى بك يوم السبت الماضى بجمعية الشبان المسلمين ، محاضرة قيمة موضوعها « رسالة الشباب فى الكفاح الشعبى » تناول فيها الموضـوع تناولا أثار الإعجاب والحماسة فى نفوس المستمعين

حث الأستاذ الشباب على الغضب لكرامة الوطن ، وقال : إن واجبكم أيها الشباب أن تحاربوا الرضا وأن تحاربوا القناعة أيضا ، فالقنـاعة فى طلب المال غنى ولـكنها فى طلب الحق فقر وفاقة !

وعرض للتحالف الذى يطلبه أعداؤنا. فقال : لماذا نتحالف ألنحارب أم لندافع ؟ إننا لا نطمع فى غزو ولا فى استعمار حتى نحارب . أما الدفاع فإن الشعوب تدافع عن حريتها ، وحريتنا هم غاصبوها ، فلن يكون دفاعنا إلا موجهـا إليهم . إنهم يخيفوننا بالخطر الروسى ، فعلى أى شئ نخاف عليها .. ولـكنا سنأخذها بأيدينا ، وبعد ذلك نعرف من نعادى ومن نصادق ، سنعادى الدولة التى تعتدى علينا ولو كانت روسيا القوية ، وسنصادق الدولة التى ترعى حقنا ولو كانت تركيا الضعيفة !

وناقش الحلف الرباعى الذى رفضته مصر هـكذا : تبنت فى أمريكا فكرة تدعو إلى نفض يد أمريكا من مساعدة بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط . وفرنسا التى استسلمت فى الحرب الماضية من أول طلقة مدفع ، ستسلم فى الحرب القادمة عند أول صفارة إنذار .. وتركيا متاخمة لروسيا ، لروسيا ، فهل ستحمى نفسها أو ستحمينا .. ؟ سنبقى إذن مع بريطانيا وحدنا ، وبريطانيا لم تعد إلا ذكرى لقوة ذهبت ولن تعـــود ، فهل نتحالف مع الذكريات .. ؟

وضرب الأستاذ الشناوى مثلا — لوجوب مواجهة العدو القوى ولو بقوة أقل من قوته — أبا أيوب الأنصارى ، إذ خرج إلى القتال وهو شيخ هرم ، فأراد أصحابه منعه ، فقالوا له : إن الله تعالى يقول « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلـكة » فقال لهم : لا تفسروا كتاب الله على هواكم . . إنما هـذه الآية نزلت فينا معشر الأنصار لـكيلا نقعد عن الجهاد فنهلك ، فما التهلـكة إلا القعود عن الجهاد . .

عباس خضر



السلام العالمي والاسلام

للكاتب الراجعة الأستاذ سيد قطب

للاستاذ محمد فياص

بينما تتصارع الشيوعية والديمقراطية من جهة، وبينما تتصارع شعوب تدين بالإسلام مع كلتا الكتلتين من جهة أخرى؛ يقفز من بين الشعوب الإسلامية دعاة إسلاميون وهيئات إسلامية، فيتقدمون الصفوف، ويمسكون بدفة التوجيه في محاولات جبارة ليحولوا وجهة الكفاح الشعبي في الرقعة الإسلامية، إلى كفاح إسلامي يستعصى على الفكرة الشيوعية، ويتمرد على دعاة الديمقراطية، ويتجه إلى الإسلام.. ليكون القوة الإسلامية الأولى، التي انبعثت من بطن الصحراء، لتديل دولة الفرس الوثنية، وتزيل دولة الرومان الظالمة، فتبلغ رسالتها، وتؤمن رقعتها، وترفع الظلم عن كل إنسان

وفي غضون ذلك كله، ومن بين صفوف قادة الفكر، ودعاة الفكرة، ومن بين أبراج الأدباء والكتاب في بلادنا؛ رأينا صاحب قلم جرئ، ينزل من بين الأبراج، ليبرز خلال الصفوف الشعبية، متجردا، مخلصا، للكفاح.. الكفاح المرير بثمنه وقيوده، فيضرب هنا، ويضرب هناك، ضربات متتاليات متواليات، في ميدان الفكرة الإسلامية، وفي ميدان الفكرة الاشتراكية. وفي ميدان الشعوب.. لتأ كل.. لتلبس.. لتحى.. لتتحرر.. لتعيش عيشة الإنسان !!

وما نظننا بعد في حاجة إلى الإشارة لصاحب هذه الضربات الحرة السافرة، فنحن نعرف فيها الأستاذ سيد قطب، كما نعرفه بها. والجدير بالإشارة: أن الفكرة الإسلامية تحت ذبابة قلمه بدت لنا مكبرة ضخمة، واضحة، في كلياتها وجزئياتها، في مباحثها وأقسامها؛ وهذه حالة جديدة، وظاهرة فريدة، في «الفهم الاجتماعي» للفكرة الإسلامية، منذ نشأت إلى الآن..

فكل ما كان من فهم لفكرة الإسلام، لم يعد تناول بعض جنباتها في شطحات مفككة، بين خطأ وصواب؛ أما سيد قطب فكان من الإسلام في عصرنا الحاضر، بمثابة العدسات المجسمة المكبرة.. المفرقة الموزعة، أو كان بمثابة المرآة الضخمة التي انعكست لنا فيها الفكرة الإسلامية، واضحة ناطقة، صافية معقولة، جذابة منطقية

ولعلني لا أعدو الواقع، حين أقول إن سيد قطب لو قدر له في أسلوبه، طبيعة السخرية والتورية، والإيماء والكناية؛ لفاق تأثيره تأثير «فولتير» في هزه للنفس البشرية، من داخل لا من خارج، وفي إشعاره لها بالكبت والضغط.. وإذن لاحتل سيد قطب في حياته وفي عصره مكانة لا تقل عن مكانة «فولتير» في التاريخ.. ولدى المؤمنين بالحرية والإخاء والمساواة بعد مماته. ولكنني أعتقد أن سيد قطب ينأى بنفسه عن ذلك الجانب، ليوائم بين كتابته وحقيقة ما يكتبه عن الفكرة الإسلامية، التي لا تعرف الألغاز والمعميات، والتي لا تهرب من الضوء. وأعتقد أيضا أن الجامع مع ذلك بينه وبين «فولتير» هو أن كليهما في عصر وبلد ملئ بالقلق، ملئ بالتطلع؛ وأن كليهما مخلص لفكرته، مؤمن بها في ميدانه؛ وأن كليهما متأثر بعصره، شديد التأثير في زمانه وما بعد زمانه.. رغم ما بينهما من تفاوت في المنهج والمنحى والطريقة، ورغم ما بين فكرتيهما من تباين في الأسس وفي الأصول

وقد لا يقصر بي التعبير عن الواقع حين أقول: إن طبيعة الأستاذ سيد قطب ككاتب، طبيعة مرنة لينة، تستجيب وتنمى.. وتتأثر وتؤثر.. في أسلوبه بساطة محببة أليفة، وسلاسة طبيعية غير متكلفة، وفي أدائه دقة الكليات والجزئيات.. وفي تصويره براعة التناسق والتوازن، والتعادل والانسجام. وإنك لا تكاد تقرأ الصفحة من كتابه، أو النهر من مقاله، حتى تقسم بكل مقسم، أنك قد لمست من خلال السطور، رفرفة الروح، وحرارة العقيدة، ونضارة الفكرة، وأن سيد قطب يكتب حين يكتب، بكل جوارحه ومشاعره وأحاسيسه؛ وأنه يفنى فيما يكتب ويخلص لما يسطر، وأنه يتكلم من خلال السطور، في قسوة، وفي رحمة..

بيديه ورجليه ، وعقله وعاطفته

وهذه واحدة أخرى نذكرها فى إجمال عن طبيعة مؤلفاته الإسلامية ، وطريقة عرضها : بعد أن قدمنا طبيعته ككاتب ، فى أسلوبه ، وفى تصويره ، وفى أدائه :

قرأت للأستاذ سيد قطب فى ميدان الفكرة الإسلامية ، خمسة كتب : التصور الفنى فى القرآن . والعدالة الاجتماعية فى الإسلام ، ومشاهد القيامة فى القرآن ، ومعركة الإسلام والرأسمالية ، وأخيراً هذا الكتاب الذى بين يدى الآن « السلام العالمى والإسلام » وقد عرفت عن هذه المؤلفات عدة أشياء ؛ تتركز فى دقة التقسيم ، وجودة العرض ، والقدرة على الاستنباط والاستنتاج وعمق البحث وجدته ؛ وتتمثل فى بساطة وسهولة وسلاسة توائم سائر القراء من جميع الطبقات ، رغم ما بها من تجنيح وتحليق ، فى تقسيماته واستنباطاته واستنتاجاته ؛ على جمبة مليئة بالمديد الدقيق من مألوف ألفاظ الاقتصاد والمنطق والطبيعة .

وعرفت أيضاً لمؤلفاته طريقتين وطرفين : إحداهما ، هادئة كالسطح الساكن ، وأخراهما متأججة ثائرة لا تلوى على شئ . . الطرف الأول فى كتابه العدالة ، والثانى فى كتابه المعركة ؛ وبين الكتابين وبين الطريقتين ، أوساط عديدة تقف بين الوجه الهادى للنفس المتأججة ، وبين الوجه الغاضب للنفس الثائرة ، فى مكان خاص بين الوجهين والطريقتين ، وكتاب المؤلف الأخير أقرب إلى الهدوء وإلى العدالة منه إلى المعركة ، وإن كان الباب الأخير فيه ، يميل إلى أن يكون وسطاً متوازياً فى عرضه وأدائه بين الكتابين ، وبين الطريقتين

ولقد كان بودى أن أتحدث عن كتبه كلها ، لما أكنه لها ولنتاجه وطريقته من تقدير وحب ، لولا أننى فى مجال الحديث عن كتابه الأخير ، أو هذا هو ما فرضه على الاعجاب والحب . ولا أعتبر أن ثمة اعتباراً من حبى وإعجابى يقف بينى وبين أن أقول للأستاذ سيد قطب على رؤوس الناس ما يود سائر القراء قوله له : لقد وضعت لبنات جديدة فى (مكتبة القرآن) حتى كتابك (مشاهد القيامة فى القرآن) رغم أن جودة العرض وحسن التقسيم قد هربا منه هروباً لم يخلف وراءه سوى مستنبطات ومستنتجات . . الحق أنها تستأهل الاعجاب والتقدير . والحق أنها تستأهل أن يكون بجوارها جودة العرض وحسن التقسيم ، لتكون لها القيمة المنشودة ، والفائدة المرجوة

وعسير على الباحث ، كما يقول المؤلف فى كتابه « السلام العالمى والإسلام — « البحث فى أى حقل من حقول الإسلام ، دون الإلمام بفكرة الإسلام الكلية عند الكون والحياة والإنسان .. فهذا الدين لا يعالج مشكلات الحياة أجزاء وتفاريق .. إنما هو يرجعها كلها إلى نقطة ارتكاز واحدة .. مردها إلى فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان » وفكرة السلام فى الإسلام « تتصل اتصالا وثيقاً بطبيعته وبفكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان » ومن أجل هذا يعقد المؤلف باباً خاصاً بعنوان « طبيعة السلام فى الإسلام » ويؤكد فيه أنه يجب أولا وقبل كل شئ ، ربط فكرة السلام بفكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان رغم أنها ليست من موضوع كتابه هذا كما لم تكن من موضوع العدالة . والمؤلف يستهل ذلك الباب بقوله : « إن فكرة السلام فى الإسلام فكرة أصيلة عميقة » ثم يمضى بربط فكرة السلام بفكرة الإسلام الكلية ، إلى أن يقول : «من هذا التناسق في طبيعة الكون ، وفى ناموس الحياة وفى أصل الإنسان . تستمد طبيعة السلام فى الإسلام .. فتستند إلى أصل أصيل عميق ، ويصبح السلام هو القاعدة الدائمة ، والحرب هى الاستثناء » . ولكن الإسلام « يستبعد الحروب التى تثيرها العصبية العنصرية » أو « العصبية الدينية بمعناها الضيق .. كراهية الأديان الأخرى » كما « يستبعد الحروب التى تثيرها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والبحث عن الأسواق والخامات ، واسترقاق المرافق والرجال » ويستبعد أيضاً تلك « الحروب التى يثيرها حب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال ، أو حب المغانم الشخصية والأسلاب » .. فما هو ذلك النوع من الحرب ، الذى يستثنيه الإسلام من قاعدته الدائمة : السلام ؟

نترك ذلك للمؤلف فى كتابه ، كما نترك ما يطوف حول موضوع السلام والحرب فى الإسلام من شبهات وظنون ، ومخاوف وأقاويل

قد يسأل القارئ ، لماذا وضع المؤلف ذلك الكتاب . . ؟ ولمن يقدمه من الناس .؟ ونعتقد أن الجواب يدلى به المؤلف نفسه فى أخريات الفصل المعقود بعنوان « العقيدة والحياة » الذى جعله مطلعاً لكتابه ، حيث يجيب فى أخرياته من ثناياً قوله « ولقد كنا

نتجنى على عقيدتنا الضخمة .. أنها لا تسعفنا بالحلول العملية لمواجهة الحياة العصرية ومشكلاتها وبخاصة فى الحقل الاجتماعى والحقل الدولى . فأما الحقل الاجتماعى فقد صدرت فيه عدة مؤلفات تكشف الحلول العملية التى يملك الإسلام أن يواجه بها الحياة .. وأما الحقل الدولى ، فربما كان العمل فيه قليلا ، ولم تشرح هذه الناحية بعد شرحا كافيا ، وأمامنا اليوم مشكلة السلام العالمى التى تواجهها البشرية جميعا . ونواجهها نحن ضمنا. فهل للاسلام فيها رأى ؟ ولها عنده حل ؟

هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية على هذا السؤال ..

وفى سبيل هذه الإجابة ، وفى سبيل تحديد « طبيعة السلام فى الإسلام » وتفصيلها ، يقيم المؤلف هذه الطبيعة ، ويشيد ذلك السلام ، ويبنى كتابه على عمد أربعة « سلام الضمير ، وسلام البيت ، وسلام المجتمع ، وسلام العالم » فبدون واحد من هذه العمد لا يتحقق السلام فى نظر الإسلام ، بل ولا يستقيم للآخر موقف ، ولا يستقر له مكان « فالإسلام يبدأ محاولة السلام أولا فى ضمير الفرد ، ثم فى محيط الأسرة .. ثم فى وسط الجماعة .. وأخيرا .. يحاوله فى الميدان الدولى بين الأمم والشعوب »

وفى سبيل « سلام الضمير » حيث « لا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام » وفى سبيل « سلام البيت » حيث أن « الفرد الذى لا يستمتع بالسلام فى بيته » لن يعرف للسلام قيمة ، ولن يتذوق له طعما ، ولن يكون عامل سلام ، وفى أعصابه معركة ، وفى نفسه قلق ، وفى روحه اضطراب » وفى سبيل « سلام المجتمع » حيث « تتشابك المصالح ، وتتزاحم الدوافع ، ويكثر الشد والجذب ، والأخذ والعطاء » وفى سبيل « سلام العالم »

... فى سبيل كل ذلك

يستعرض المؤلف الوسائل والأسباب ، ويستكشف السبل المؤدية فى الإسلام إلى (سلام الضمير ، وإلى سلام البيت ، وإلى سلام المجتمع ، وإلى سلام العالم) على قيود النظر الإسلامية إلى الفرد والجماعة « فالفرد والجماعة فى الإسلام ليساعدوين ولاندين ، إنما هما خلية واحدة فى صورتين : الفرد فردا ، والفرد مشتركا فى جماعة ، وقد نشأت هذه الصورة من طبيعة الإسلام واستمداد شريعته من الله لا من إنسان ، فالفرد لا يشرع للجماعات فى الإسلام ، والجماعة لا تشرع للأفراد ، إنما يخضع الفرد، وتخضع الجماعة، لذلك القانون الإلهى الذى يرعاهم جميعا ، وحينما يتقرر ذلك يصبح أمن الفرد الشخصى هو أمن الجماعة الكلى ، وأمن الجماعة العام هو أمن الفرد الخاص ، بلا تعارض بينهما ولا انفصام

ثم يعقد المؤلف فصلا آخر أو بابا ختاميا بعنوان (والآن ...) يتساءل فيه عن طريقنا نحن الأمة المسلمة .؟ وكيف نواجه مسألة السلام العالمى بعقيدتنا الإسلامية . وكيف نتصرف فى المجال الدولى طبقا لهذه العقيدة ، وما واجبنا تجاه الحياة .. وتجاه الإنسانية ... وتجاه أنفسنا ؟ وقبل أن يجيب الأستاذ يأخذ فى استعراض الحالة الدولية ، بما يقوم فيها من صراع ، وما يشتجر فيها من مذاهب، حتى يخلص بنا إلى الإجابة عن هذه الأسئلة ، وإلى (طريق الخلاص) الذى نترك كتابه يتحدث عنه فى واقع منطق يعلو على الشك وعلى الجدال

ذلك هو كتاب الكاتب الداعية الأستاذ سيد قطب ، حاولت جاهدا أن أجمل فكرته للقراء فى تلك السطور

وبعد فالكتاب يقع فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، ويتمتع بكل الخصائص المكنة لمؤلفه ، أما ما حدث فيه من تكرار لبعض ما ورد فى كتابه العدالة ، مما قد يؤدى إلى إذهاب بعض جدته ، فلعل السبب هو التشابك والتماسك فى كليات الفكرة الإسلامية وجزئياتها ، تشابكا يرغم الباحث على التطرق لكل ما يجاور مبحثه المطروق . والكتاب أيضا كتاب فريد فى بابه ، فريد فى شموله وتكامله ، وما نزال فى انتظار كتابه التالى (نحو مجتمع إسلامى) متحضر ، لأنه (كمحاولة للقيام بدراسة وافية لمقومات المجتمع الإسلامى ودستوره كما يمكن أن تكون فى القرن العشرين) يعد أقرب الخطوات الفكرية والكشفية لطريق العمل الجدى المنتج . وللوقت السانح للوحدة الإسلامية ، فإلى ذلك الحين ... وإلى ذلك الحين

محمد قباصه



مسمار جحا

تعقيب على نقد

للأستاذ على أحمد با كثير

اطلعت فى العدد الفائت من هذه المجلة الغراء على المقال القيم الذى كتبه الصديق الكريم الأستاذ أنور فتح الله فى نقد مسرحية (مسمار جحا) فرأيت من واجبى أن أعقب على بعض المآخذ التى أخذها على المسرحية، شاكرا للناقد الفاضل جميل عنايته واهتمامه

المأخذ الأول: أن المؤلف قد أذاع سر مؤامرة جحا وحماد قبل عرض قضية المسمار، وبهذا قضى على عنصر التشويق فى أهم أحداث المسرحية. الخ ...

وأنا أوافق حضرة الناقد على أن فى الإمكان طى مدة المؤامرة وإخفاءها حتى تعرض القضية فى الديوان، وإذا لكان عنصر التشويق إلى معرفة جوهر المؤامرة أقوى، ولكنى أخالفه فى زعمه أن هذا قد أضاع الأثر القوى لهذا المشهد الذى يرمز لقضية البلاد، وذلك لأن جو المؤامرة ليس هو الأمر المهم الذى يريد المؤلف أن يوجه إليه انتباه المشاهد للمسرحية، فأهم من ذلك الكيفية التى تم بها تنفيذ هذه الخطة. ولا شك أن فى هذا الأمر الأخير من الجدة والطرافة مالا يؤثر معه انكشاف جوهر الخطة فى خطوطها الأولى. وحيث أن مشهد الديوان الذى عرفت فيه هذه القضية يكاد يكون رمزيا كله فلا بأس من التمهيد لذلك فى الصورة التى تعرض بها المسرحية على خشبة التمثيل، حتى لا يكتنفه الغموض فيضيع بذلك من الأثر القوى لدى المشاهدين أكثر مما قد يضيعه هذا التمهيد، أما الصورة التى تطبع بها المسرحية فى كتاب فسيرى الناقد أن المؤلف قد اقتصر فى إبراز سر المؤامرة على بعض التلميحات بحيث يجلو الغموض ولا يجور على عنصر التشويق

المأخذ الثانى: يرى الناقد أن دخول امرأة جحا فى مشهد القضية قد أخذ من حرارة الأثر النفسى .. فأبطل فعل الأحداث السابقة لدخولها ... الخ ...

والرد على هذا أقول إن دخول امرأة جحا كان أساسيا، ولا غنى عنه لعدة أسباب

١ — أن أم الغصن طرف ثالث فى هذا النزاع لا يمكن إغفاله؛ وإلا لتساءل المشاهد ما موقفها بعد خروجها من الدار، فضلا على أن ذلك يجلو جوانب من شخصيتها؛ فهى لا تستحى أن تبرز إلى الناس وأن تسفه زوجها أمامهم، ولا تقيم وزنا للهدف القوى الذى يرى إليه زوجها، والذى اهتم به الشعب كله؛ إذ ما كان يعنيها استياؤها من انتقالها من دار كبيرة إلى دار صغيرة، فهى هنا رمز لذلك الصنف من الناس الذين يؤثرون المغنم الصغير إذا كان خاصا بهم؛ على المغنم الكبير إذا كان عاما للوطن كله

٢ — أن ذلك يجلو أيضا جانبا من شخصية جحا، فهو أيضا لا يستحى من شئ ولا يرى بأسا من أن يكشف دخائل بيته للناس، لثقته أن ذلك لا يغض من قيمته عند نفسه شيئا، ولاعتقاده فى قرارة نفسه أنه هو وأهله وعياله ملك الشعب، وهذا عنصر هام فى تكوين هذه الشخصية

٣ — أن دخول أم الغصن قد خدم غرضا هاما فى سير حوادث المسرحية، إذ تم فى خلاله تحول غانم (صاحب الدار) من التشدد إلى التسامح البالغ لما رشاه الحاكم محاولا بذلك أن يئد القضية فى صورتها الواقعة، وأن يحولها لصالحه ويجعلها تؤيد حجتها فى رمزها الكبير

٤ — فلا ينبغى لهذا الحادث إذا أن يبطل فعل الأحداث السابقة له كما زعم الناقد. وقصارى الأمر أنه يحبس الأثر مؤقتا

من صموده فى الخط الرأسى ليتسع ويتمدد فى خط أفقى ثم يستأنف الصعود إلى الأوج فى كتلة أعظم وأضخم

المأخذ الثالث : أن مشهد مقابلة الحاكم لجحا فى السجن كان طويلا حتى أصبح الحوار مباشرا بعد أن كان رمزيا ، ومال إلى النغمة الخطابية ... الخ ...

وردى على هذا أن الطول والقصر أمران نسبيان ، والطول لا يعاب إلا إذا لم يأت بجديد ، وما أحسب المشاهد بمل تلك الصور المتنوعة من نسكات جحا التى يجمعها — على اختلافها وتنوعها — سلك واحد أمكن من خلاله عرض الخطوط البارزة فى مراحل الصراع بين الحكم الدخيل والشعب ، أما الرمزية فالواقع أنه لم يعد لها مكان فى هذا المشهد بعد ما صار الصراع بين جحا والحاكم صريحا مكشوفا ، ومع ذلك فقد احتفظ المؤلف بقدر كبير من رمزية التعبير بحيث تتسع العبارات لأكثر من الصورة الواحدة التى هى صورة الواقع ، فكانت دلالتها بذلك أعم واشمل ، وأما النغمة الخطابية فلم تكن إلا فى مواضع خاصة لا تصلح فيها غير هذه النغمة لتساوق الحالة النفسية التى عليها جحا أو الحاكم فى تلك اللحظات ؛ وإلا كانت افتعالا غير سائغ ولا مقبول

المأخذ الرابع : يرى الناقد أن تنتهى المسرحية فى نهاية المنظر الخامس ، إذ بخروج جحا من السجن وجلاء المستعمر عن البلاد تنتهى الأحداث الرئيسية للمسرحية

وهذه نقطة اختلفت فيها آراء النقاد .. فنهم من ذهب مذهب الأستاذ أنور ، ومنهم من خالفه ، ومن هؤلاء الأستاذ زكى طليمات مخرج المسرحية الذى يرى أن ختامها ختاما قوميا سيكون أقل روعة — من الناحية الفنية — من ختامها الانسانى الذى يصور فى بيت جحا أفراح الشعب بعد انقشاع ظل الاحتلال البغيض ، كما يصور كيف انتهى الخط الثانى وهو الصراع بين جحا وامرأته فى مسألة زواج ميمونة

وخاصة إذا استحضرنا فى أذهاننا أن هذا الخط وإن أمكن اعتباره ثانويا بالنسبة إلى خط الصراع بين الشعب والمحتل الدخيل .. إلا أنه هو الخط المستمر فى بداية المسرحية إلى نهايتها فهو — بهذا الاعتبار — الخط الرئيسى فى بناء هيكلها ومن خلال حوادثه تولد خط الصراع الآخر . أما أنا فقد ترجحت زمنا بين هذين الرأيين إلى أن استقر رأيى فى النهاية على أنه لا بأس فى الصورة التى تعرض بها الرواية على المسرح من هذا الختام القوى الذى يقترحه الناقد ، وذلك مراعاة للظروف الراهنة فقط

أما فى صورتها كتابا يخرج للناس فلا غنى عندى من المشهد السادس

المأخذ الخامس : أخذ الناقد على شخصية أم الغصن أنها قليلة التطور وأنها على لون واحد . وجوابى على ذلك أن أم الغصن هى الشخصية المحورية (Pivotal character) فى المسرحية . والشخصية المحورية تكون فى الغالب مكتملة ناضجة من بدء الرواية ، وقلما تتطور كما نص على ذلك صاحب كتاب « Dramatic witing » وإنى أخالف الناقد فى قوله إن ذلك قد أدى إلى ركود فى الحركة المسرحية . والذى خبرته بنفسى أن الشاهد بعد ماعرف أم الغصن من المشهد الثانى كان دائما يستطيع أن يتنبأ بما ستتصرف به فى مختلف المواقف والأحداث اللاحقة ولكن دون أن يفقد تشوقه إلى مشاهدة ذلك . وتلك طبيعة الشخصية المحورية التى بغيرها لا يمكن أن توجد مسرحية على الإطلاق

المأخذ السادس . أن المؤلف أبرز ابن جحا « الغصن » أبله فى أقواله وأفعاله ، واقتصر على إبراز هذا اللون الواحد فى كل مشهد ظهر فيه ، فهو يبحث عن ديكه ثم يتخيل أنه ذبح فيبكيه ، وهو ينقلب ديكا . وبهذا التكرار أبطل المؤلف الأثر الذى أراده لهذه الشخصية وهو إثارة الضحك

وردى على هذا أن المؤلف لم يخلق هذه الشخصية لمجرد إثارة الضحك ، بل إنها تنطوى على سيكولوجية دقيقة تجعلها طرازا جديدا فى الشخصيات ، فهذا البله الذى يتصف به الغصن بله معقد أشد التعقيد ، فهو قد ورث عن أبيه خيالا خصبا واسعا

ولكنه لم يرث عنه عقله وحصانته، فلم يكن لخيـاله الجامح من شكيمة تـكبحه وتجمله ينتفع به فى معالجة شؤون الواقع ، فكان ذلك المسخ العجيب الذى يجمع بين النقيضين من ذكاء وبلاهة . والأمثلة على ذلك كثيرة فى الرواية . وهـذا الاقتصار على اللون الواحد وهو اهتمامه بديكه الضائع « عرجون » أمر ضرورى لبيان مراحل التطور النفسى لهذه الشخصية العجيبة . ثم إن هذا اللون الواحد لم يلزم صورة واحدة، بل مرّ بأطوار سيكولوجية مختلفة . وبيان ذلك أن هذا الأبله المغفل — فيما يرى الناس — قد أحس — لا شك — مرارة السخرية ممن حوله ، فلم يكن بدعا أن يألف ديكه عرجون ويعتبره حبيبه الوحيد فى هذه الدنيا لأنه هو الوحيد الذى لا يسخر به.. هـذا هو الطور الأول ، ثم اتفق أن ضاع الديك فحزن عليـه وتخيل ما أصابه من اللصوص الذين سرقوه.. من ذبح وسلخ وطبخ وأكل كأنما يرى ذلك بعينى رأسه فبكاه أشد البكاء وشغله همه بالديك عن كل ما يضطرب حوله من الأحداث الـكبيرة كعزل أبيه من منصبه وكقدوم الجراد ، وهـذا هو الطور الثانى . ثم انتقل أبوه إلى بغداد وصار قاضى القضاة فسلا الغصن ديكه بعض السلوان ، غير أن حزنه على الديك العزيز ما برح مستكنا فى أعماق نفسه ينتظر أى سبب ليثيره من جديد . وقد جاء هذا السبب لما خرج ليلعب مع رفاقه فى الشارع ؛ إذ جره هؤلاء الرفاق إلى دخول الحمام ليحتالوا عليه فيكلفوه دفع أجرة الحمام عنهم جميعا ، فأوهموه بتلك الحيلة الطريفة أنهم قد انقلبوا دجاجا . وهنا يحار الغصن ويقع فى ورطة لأن أمه قد حذرته من إخراج الفلوس التى معه لأى سبب من الأسباب، وإذا خياله الجامح يسعفه بالمخرج إذ خيل إليه حين وقف أمام المرآة أنه قد انقلب ديكا فهو مثلهم لا يستطيع الآن أن يدفع الأجرة . ولا شك أن لفقدة الديك المستكنة فى نفسه أثرا فى ذلك.. فها هو ذا عرجون قد رجع إلى الحيـاة فى شخصه هو فهو إذن سعيد .. وهـذا هو الطور الثالث طور التقمص الذى لم يدم طويلا إذ جاء حماد لحله

ثم يحبس أبوه فيحزن لذلك لأن أباه كان شديد العطف عليه ، ولم يسخر منه قط ، فاتحدت صورة أبيه فى نفسه بصورة الديك . ومن ثم رأى تلك الرؤيا العجيبة التى قصها على أبيـه فى سجنه . إذ رآه كأنه انقلب ديكا كبيرا وكأنه ضمه بين جناحيه وقال له : لا تخف يا غصن . أنا ديكك عرجون قد هبطت من الجنة لأراك ، فهذا هو الطور الرابع

ويئس الغصن من عودة عرجون إلى الحيـاة : سواء فى شخصه هو أو فى شخص أبيه، فأوحى إليـه خياله أن يصنع له تمثالا ليجسده فيـه . وهذا هو الطور الخامس والأخير الذى انتهت عنده المسرحية . على أن الغصن بالرغم من هـذا التعقد النفسى قد أضحك الناس فيما أرى خلافا لما زعمه الناقد

وفى الختام أشكر لصديق الناقد الجليل أن أتاح لى الفرصة لكتابة هذا التعقيب

القاهرة — علي أحمد باكثير



اللغة الأجنبية فى مرحلة التعليم الأولى بمصر :

يعجبنا دائما ما نقرؤه للأستاذ (عباس خضر) بالرسالة الغراء فى توجيهاته القيمة ونقداته الهادئة كل أسبوع .. وقد كانت كلة (اللغة الأجنبية الأولى) برسالة ٢٩ نوفمبر سنة ٩٥١ موفقة كل التوفيق فى غرضها وموضوعها ـ وحسبها نهايتها التى نصها : « .. إن الانجليزية فى وصفها الحالى بمصر من آثار الاستعمار الانجليزى الكريهة .. وإن الانجليز يسوءهم أن نزحزحها عن مكانها فيجب إذن أن نزيل ذلك الأثر المنتن، وأن نسوء الانجليز فى لغتهم كما نسوءهم فى غيرها .. والوقت الحاضر هو أصلح وقت لهذه الضربة القاصمة التى ترضى الشعور الوطنى وتنال من الأعداء وتنفع البلاد .. فهيا أيها الرجل العظيم اضرب الضربة » ! ..

ولقد عملنا نحن معلمى المرحلة الأولى للتعليم فى مصر كل ما فى استطاعتنا حتى تهيأ لوزارة المعارف أن توحد المنهج فى التعليمين الأولى والابتدائى سنة ١٩٤٨ ما عدا اللغة الأجنبية البغيضة التى انفرد بها الأخير ! ! — ثم أراد الله أن نضرب هذا التعليم الضربة القاصمة أو بالأحرى أن ندحر اللغة البغيضة بأبناء الفلاحين الحفاة العراة الذين لم تلوثهم رطانة الأعجمية بتفوقهم الباهر فى امتحان الابتدائية سنة ١٩٥٠ — فقد تفوق أطفالنا فى بطون القرى وبين ثنايا الكفور على زملائهم فى عواصم المدن وأقاصى الثغور !! مع الفارق الكبير بين إعداد هؤلاء وهؤلاء فى جميع النواحى الفنية والاجتماعية .. والوطن واحد والمواطن واحد !!

ولقد آمن معالى الوزير الخطير طه حسين باشا بالمعلم الأول فى مصر وأصدر منذ أسبوعين قرارا وزاريا بتسمية المدارس الأولية الحالية (مدارس ابتدائية) ـ ولكن القانون الجديد للمرحلة الأولى أبقى اللغة الأجنبية فى تلك المدارس .. مع أننا قرأنا أن فى معظم الدول المتمدنة لا يتعلم الطفل فى المدارس الابتدائية غير لغته الوطنية .. وأما تعليم لغة أجنبية فيبدأ عادة بالمدارس الثانوية، وذلك مراعاة لمدارك الطفل فى سنيه الأولى وعدم إرهاق ذهنه ..

فهل ستكون لكلمة الأستاذ (عباس خضر) لدى معالى الوزير الوطنى صداها ؟

خورشيد عبد العزيز

الى الشعراء :

إلى الأستاذ محمود غنيم ، ومحمود حسن إسماعيل ، ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمد الأسمر . إلى هؤلاء أولا ثم إلى بقية شعرائنا ثانيا .. إلى هؤلاء جميعا أسوق هذه الكلمات لعلهم لم يسمعوا لأنهم يعيشون فى المريخ ، أو لعلهم سمعوا ولكنهم قد شغلوا عنا بروعة المناصب وسمر الليالى الملاح

يا شعراء النيل : أريقت فى (القنال) دماء ، وأزهقت فى (الاسماعيلية) أرواح ، وتمزقت فى (بور سعيد) قلوب وأكباد ، فثارت نفوس الشعب وفارت الدماء فى عروقه وشرايينه ، وسلت السيوف من أغمادها لحماية الأرواح الغالية والدفاع عن الحق المهضوم والعرض المنتهك، ونزل إلى ساحة الاستشهاد أبطال وأبطال ، وهتف كل باللغة التى يعرفها ، وتكلم الشعب بالمنطق الذى يجب أن يكون .. وفى غمار هذه الثورة المندلعة ، والحماسة المتدفقة، والأصوات الجلجلة الرهيبة، أرهفنا آذاننا نريد أن نسمع صوت شاعر منكم . قد تجاوبت أصداء هذه المحنة فى أنحاء نفسه وحنايا ضلوعه فهزت شاعريته بنشيد يردد أو قصيدة تغنى .. فما وجدنا غير الصمت والصمت العميق .. ! إذن فأين تقال القصائد وفى أى مجال تلقى وتنشد ؟ . يا شعراء الوادى ! إذا كان كفاح هذا الشعب فى سبيل حريته غير كفيل بإثارة الشاعرية فى نفوسكم وإلهاب عواطفكم ووجدانكم . فلا نطقت ألسن الشعراء فى غير ذلك .. ! ألا حيا الله صاحب (الرسالة) .. لشد ما رجع قلمه صدى صوت الجماهير الكادحة. والنفوس الأبية المكافحة. فيرسل كلمات صلوخات تنبض بالقوة وتفيض بالايمان .. وبارك الله فى

أستاذنا (سيد قطب) مسعر هذه الثورة بقلمه ، ومذ كي أوارها بعزيمته وإخلاصه . . ورحم الله (على محمود طه) ذلك الشاعر الخالد الذي انبعث صوته في الأسبوع الماضي من العالم الآخر يبارك جهاد الأمة ، ويمجد كفاح الشعب . . وصدق الأستاذ المداوي حين قال : « واليوم حين تبلغ المعركة أوجها يتخلف من الإنشاد شعراؤنا الأحياء .. ترى هل أنتم كما قال المداوي!؟

هارون المنيفي

كيف نشأ امام العبد

بينما كنت أتجول في صفحات الرسالة الغراء في العدد ٩٥٨ وقع نظري على مقال الأستاذ (محمد رجب البيومي) تحت عنوان (محمد إمام العبد) ولما كنت أعهد في الأستاذ الفاضل رونق العبارة ، وسلاسة الأسلوب ، جعلت أمتع نظري بين سطور المقال مستهاما بنفثة قلمه البارعة

ونحن نشكره على هذه النفثة الجليلة التي أحيا بها تاريخ هذا الشاعر الحزين ، الذي أرخى الدهر عليه ستارا من النسيان

ولكن فاته شيء كان لزاما عليه أن يذكره ، كان يجب عليه أن يذكر نشأته الأولية ، وهل هو اكتسب الأدب من طريق التعليم ؟ أو بطريق آخر ؟ أو ألهم هذا الفن ، أو هل هذاق عرف الأدباء ليس بالشيء ... ؟

ولما كان « إمام العبد » يكاد يكون مجهولا ، كان الأولى أن يكون المقال حافلا بتاريخه مبتدئا من نشأته إلى نهايته . ليكون القارئ ملما بتاريخه وأدبه ...

وللأستاذ الفاضل شكري وإعجابي

دمياط محمد فتحي الجبلي

شوقي والرصافي أيضا :

تحت هذا العنوان وفي تعقيبات صديقنا المداوي بعدد الرسالة (٩٥٣) أدهشتنا مقارنة أدباء العراق بين شوقي والرصافي وتقديم الثاني على الأول كما أورد ذلك صديقنا الناصري

أنجبت مصر شوقي وحافظ ومع أنهما شاعران مصريان فقد كاد الاجماع يكون منعقدا في مصر والأقطار العربية كلها على تقديم شوقي على حافظ ولم يشذ عن ذلك إلا فئة قليلة في مصر

وعندما رثى أستاذنا الزيات صديقه الرصافي — برد الله ثراه — في الرسالة الغراء غداة منعاه ؛ أذكر أنه اعتبره خامس خمسة تكونت منهم (قيثارة الشعر العربي الحديث) وإذا خانتني الظروف فمنز على أن أعثر على ذلك العدد من الرسالة فلن تخونني الذاكرة في استذكار ماقرره الزيات آنذاك.. حيث شبه أولئك الشعراء الخمسة الراحلين بأوتار القيثارة. فقارب بين شوقي والزهاوي، وشابه بين حافظ والرصافي، وأفرد المطران ، وتقسيم أستاذنا الزيات أدنى الانصاف بحيث تكون المقارنة بين شوقي والزهاوي أكثر مناسبة منها بين شوقي والرصافي . نقول ذلك وإن كنا لا نجد مبررا لهذه المقارنة ولا مجالا لها إلا إذا وضعنا في الكفة المعادلة لكفة شوقي شاعرا كالمتنبي والمتنبي فقط، لا ابن الرومي ولا أبا تمام اللذين زكاهما للمقارنة صديقنا المداوي — مع تقديرنا لآرائه في النقد — ورحم الله شوقي القائل :—

ولي درر الأخلاق في المدح والهوى
وللمتنبي درة وحصاة

ثم لماذا يجنح إخواننا العراقيون إلى هذه الاقليمية البغيضة ويتهمون الرسالة وعهدنا بها منذ أن عرفناها لا تفرق بين أوطان العروبة، بل بعكس ذلك، فإن كتابها ينادون دائما بإزالة هذه الفوارق الوهمية القائمة في بعض الأذهان ! حبذا لو اعتبر العراقيون شوقي شاعرهم وشاعر الأقطار الشقيقة الأخرى قبل أن يكون شاعر مصر .. لأن الشوقيات تغنت بأمجاد تلك الأقطار أكثر من تغنيها بمجد مصر . ولعله من العقوق لشوقي الذي أنكر الاقليمية في وطنه العربي الكبير أن ننظر إليه من زاويتها الضيقة المظلمة

الخرطوم جعفر حامد البشير



الدم المقـــــدس

للقصصى الشاب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان « صلاح » يستخفه الزهو أحيانا وهو يقطع الطريق من المدرسة إلى بيته ، فيقفز فى مرح طافر ، أو يضرب بقدمه حجرا صغيرا فى الطريق ، أو يصفر بصوته اللين الغض لحن أغنية سمعها من « الراديو » ...

والواقع أن « صلاح » لم يشعر بالزهو مثلما شعر به اليوم.. لقد كان يتحرق شوقا إلى مغادرة المدرسة منذ انتهاء الحصة الأولى ، أو بعبارة أدق منذ سجل الأستاذ فى كراسته بقلمه الأحمر تلك العبارة الخالدة « حسن جدا » ... ولكنه لم يتمكن من الخروج.. ذلك أن عمى « متولى » البواب لا يسمح لأى تلميذ بالخروج قبل انتهاء الحصة الأخيرة .. ولأن جسمه الغض اللين لا يساعده على تسلق سور المدرسة المرتفع ... فكان عليه أن ينتظر ساعات وساعات حتى يدق الجرس الأخير . ولكن ... ولكن جلبة تسمع فى فناء المدرسة ، وهتافات تخترق النوافذ المقفلة وتصل إلى أذنيه : يسقط الاستعمار الغاشم ! يسقط الإنجليز الخونة ... فيعرف بحكم العادة أنها مظاهرة . وبحكم العادة أيضا يقفز فوق القماطر نحو باب الفصل الذى ضاق إذ ذاك بالتلاميذ المتزاحين حياله ... ثم يمضى فى الفناء تجاه باب المدرسة المفتوح ، ثم يلقى نظرة كلها تشف وشماتة إلى عمى « متولى » الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا أيام المظاهرات .. ثم يخرج إلى الشارع لا يلوى على شئ .. وماله هو وهؤلاء الطلبة المتجمهرون إزاء النصب التذكارى بالمدرسة ؟ إنه لا يكاد يفهم الكثير مما يقوله الطلبة الكبار وهم يخطبون، فهو لايزال فى الثانية الابتدائية.. ثم ماذا يهمه من الإنجليز ماداموا لا يأخذون منه شيئا ولا يحولون بينه وبين رغبة من رغباته، ولا بين أمنية من أمانيه ؟

هو لا يفهم لماذا يهتف الطلبة بسقوطهم ماداموا لا يتعرضون لنا بالأذى ؟ إنه يراهم يقطعون طرقات المدينة أحيانا فى عرباتهم لا يكادون يتعرضون لأحد ! ومهما يكن من شئ فهذا كله لا يهمه من قريب أو بعيد، حسبه أنه الآن فى الطريق إلى بيته .. وأنه ذاهب إلى أبيه .. وأنه سيقف أمامه مزهوا ويعرض عليه كراسته مشيرا فى اعتزاز إلى تلك العبارة الحمراء التى تدفع به إلى صفوف التلاميذ النجباء .. وإذ ذاك يجد أن من حقه أن يطالب أباه ببذلة جديدة؛ فهذا « الشورت » الأصفر وذاك القميص « الكاكى » لا يصلحان مطلقا لطلبة السنة الثانية الابتدائية، ثم هذه الريشة.. شد ما يسره أن يجد مكانها قلما من الأبنوس، فهذا وحده هو الذى يلائم السترة الجديدة . . ثم هذه الحقيبة التى صنعتها أمه من القماش ليحمل فيها الكتب . . إنها تكاد تكون الوحيدة بين حقائب التلاميذ الجلدية الفاخرة !

يا له من يوم ذلك الذى يلبس فيه السترة الجديدة وقد ظهر من جيبها طرف القلم الأبنوس وهو يحمل فى يده الحقيبة الجلدية الفاخرة ويسير فى خطوات مدلة بين التلاميذ !

وأسرع فى خطواته حين رأى فى الطريق رجلا يشبه أباه إلى حد كبير حتى لقد ظنه إياه .. وحين اقترب منه أدرك أنه ليس أباه .. وتأكد من الفارق بين هذا الرجل وبين أبيه .. إن أباه يتميز بتلك الابتسامة الحنون المشرقة التى ترف على ثغره حين يرى وحيده « صلاح » ، وبتلك النظرة الحانية الرفيقة التى ترف إلى قلب صلاح أبهج المشاعر وأنضر الأحاسيس.. ! .

وشعر بسعادة خفية تتسرب إلى وجدانه حين تذكر أباه .. وراح فى شرود لذيذ يستعرض بعض الصور فى كتاب الذكريات ..!

إنه يذكر أن أباه أخذه مرة إلى المصنع الذى يعمل به، وأن

مدير المصنع استدعاه يومذاك إلى مكتبه ، وأنه اصطحبه إلى المكتب . وحين خرجا معا من مكتب المدير بادر صلاح أباه :

— أرأيت مكتب المدير يا أبي ؟ إنه جميل. أرأيت صورة الملك المعلقة على الحائط ؟ . إنها كبيرة وأنيقة ...

ويذكر أن أباه رد على تساؤله في صوت حنون حالم ... أرجو أن أعيش حتى أتم تعليمك وأراك موظفا كبيرا تجلس إلى مكتب كبير ... ثم تابع وهو يربت على كتفه ... وفوق رأسك صورة للمليك ! وهل في مقدوره أن ينسى تلك السهرات الجميلة في مقهى الدنيا الجديدة في أمسيات الجمع ... لقد كان أبوه يصطحبه في تلك الأمسيات ليسهر معه؛ وإذ ذاك يشترى له من أنواع الحلوى وطرائف اللعب ما يشيع في نفس صلاح الغبطة والمسرة ... حقا إن أباه يحبه وأنه سوف يسر كثيرا حين يقرأ تلك العبارة الحمراء التي يحس صلاح كأنها تاج غير منظور يتألق على جبينه ... وأسرعت خطواته حين اقترب من البيت ... وقرر في نشوة خفية أن يقرأ لأمه تلك العبارة الحمراء إذا كان أبوه لم يحضر بعد ... لا شك أنها هي الأخرى تسر لذلك ... ولاشك أيضا أنها سوف تكون عونا له حين يطلب إلى أبيه ما يرغب من حاجات !

واستغرقه شعور سعيد جعله يسير في هدوء كأنه يحلم ... وأخيرا قدر له أن يستيقظ من حلمه ... حلمه الجميل الذي حلق في سمواته بجناحي أبويه ... كان ذلك حين تناهى إلى سمعه صوت صراخ وعويل ... وحين تنبه إلى أن هذا الصراخ والعويل إنما ينبعثان من داره ... وحين أدرك في هذه الأصوات الجازعة صوت أمه !

جمدت قدماه فلم يستطع أن يواصل السير ... ويبست مشاعره. فلم يستطع أن يدرك ماذا حدث ، ولا أن يفهم ماذا هناك !!

كانت هناك جموع حاشدة من الناس تهرع نحو الدار، وكان بين تلك الجموع رجال الاسعاف والبوليس ، ومع ذلك فلم يستطع صلاح أن ينقل قدميه خطوة واحدة تجاه البيت ... كان يشعر بإعياء شديد يتسرب إلى حناياه وأوشكت جموع الناس المتزاحمة أن تلق به إلى الأرض لولا أن بدا رفيقة عند إليه، ووجها رحيما يعطف عليه . . ويأخذ بيده من وسط الجموع المتدافعة ... ولم ينظر إلى صاحب الوجه الرحيم حتى عرف فيه عم (فهمى) زميل أبيه في المصنع وجليسه في المقهى ... لقد انتحى به مكانا خاليا وأنهى إليه في إشفاق بالغ أن أباه قد مات ... قتله الإنجليز برصاصهم حين كان يهتف مع العمال المتظاهرين ... ليسقط الاستعمار ... لتسقط إنجلترا ... وأنه كان معه حين لقى ربه ... وأنه أوصاه عليه قبل أن يلفظ النفس الأخير .. وراح يؤكد له وهو يجفف دموعه بمنديله أنه سيكون له مكان أبيه !

أما (صلاح) الصغير فقد لفه الصمت في غلائل الوجوم، وانتابه ذهول غريب جعله لا يدرك الأشياء من حوله إلا بالقدر الذي أدركها به محموم أمضه المرض وأنهكه الألم ، وقضى شهوراً طريح الفراش ... !!

وظل هذا الذهول الحاد الذي كان له بمثابه الخدر الذي يحقن به المريض قبل إجراء جراحة له . . . ظل هـذا الذهول مهيمنا عليه ... إلى أن تراءى إلى مسمعه صوت مألوف لديه ... صوت زملائه الطلبة وقد توافدت جموعهم نحو بيت الشهيد المصري الأول وهم يهتفون بصوت رهيب « إلى الجنة يا روح الشهيد الطاهرة .. وإلى الجحيم يا أوباش الأرض وحثالة الأمم »

ألم تكن محموما يوما وأفقت من هذيان الحمى حين لامست أنامل الطبيب البـاردة جبينك المحرور . . . كانت تلك هي حال صلاح حين أفاق من ذهوله الحاد وصوت زملائه الكبار يملو كالزئير . . . ! وبدأ يشعر بالأشيـاء كما هي . . أدرك أن أباه قد مات ... وأنه كان يهتف لمصر حين انطلقت رصاصة غادرة تحاول بصوتها البشع أن تسكت صوت أبيه الجميل ... !

وبدأ قلبه الصغير يستقبل المشاعر والأحاسيس ظاهرة واضحة لا يكتنفها الذهول والغموض . . . أجـل كانت ظاهرة واضحة كأنها النار . وكانت لاذعة حارة كأنها الشوك . .

وبدأ جسمه الصغير يتلوى في قبضة المشاعر والأحاسيس .. !

... أوه ... إنه الآن يشعر شعورا مريرا بأن هؤلاء الإنجليز ... وحوش قذرة . . . أجل لأنهم قتلوا أباه فى حين أن الوحوش الأخرى الكثيرة التى تملأ الحقول والصحارى والكهوف لم تحاول أن تقتله ! وبأنهم لصوص حقراء .. لأنهم سرقوا منه البذلة الجديدة والقلم الأبنوس والحقيبة الجلدية الفاخرة .. وسرقوا منه أيضا .. السهرات الجميلة فى مقهى الدنيا الجديدة ، و الأمل الحلو النضير الذى أنمشه أبوه فى خياله . . الأمل الذى يرى فيه نفسه موظفا كبيرا يجلس إلى مكتب كبير

إن هؤلاء اللصوص لم يسرقوا منه كل ذلك فحسب ؛ بل سرقوا شيئا آخر . وهنا ارتجفت أنامله الصغيرة وارتعش جسده الغض .. شيئا آخر لايدرى كيف يعيش بدونه . هو تلك الابتسامة الحنون المشرقة التى كانت ترف على ثغر أبيه حين يلقاه ، وتلك النظرة الحانية الرفيقة التى كانت ترف إلى قلبه أبهج المشاعر وأنضر الأحاسيس

أجل تلك الابتسامة وتلك النظرة التى ألفها منذ أن كان طفلا فى المهد . . ألفها حتى اقترن شكلها الخاص وطابعها المتميز بكل ما يحسه من ألوان الغبطة والسعادة .. !

أجل تلك الابتسامة وتلك النظرة لا هذه البسمات ولا هاته النظرات التى يحاول عم « فهمى » أن يخرجه بهاعن أساه المرير .. !

وأحس « صلاح » مع تلك المشاعر كلها بشعور آخر ليس فى مقدوره أن يتجاهله . . بل ليس فى مقدور مشاعره الأخرى أن تطغى عليه .. شعور بالخجل من نفسه ومن أفكاره التى صحبته بعض الطريق عن الإنجليز

وأخيرا تختلط تلك المشاعر كلها وتندمج وتستحيل إلى شعور آخر . شعور بالحقد المدمر والغيظ الخانق والكراهية الطاغية لتلك الوحوش القذرة واللصوص الحقراء الذين يسمونهم الإنجليز !

هذا الحقد الذى برق فى عينيه الصغيرتين حادا كأنه الشرر .. وتلك الكراهية التى أحالت ملامح وجهه الطفلة إلى غضون وشجون ! وعنى من أعماقه لو يكبر فجأة .. يصير رجلا كهؤلاء الناس قوى الساعد مفتول العضل .. إذن لذهب من فوره وذبح الإنجليز واحدا واحدا كما تذبح الأرانب .. !

ومن جديد يضعف الجسد الصغير أمام المشاعر الثائرة الفائرة التى عصفت به فيمتريه ذهول رهيب ، ويلفه الصمت فى غلائل الوجوم !!

* * *

وفى صباح اليوم التالى بفناء المدرسة يتجمهر الطلبة لدى النصب التذكارى ليقرروا الخطوات العملية التى يجب أن يخطوها تجاه المجد المنشود ! وفجأة يغرق اللغط والضجيج فى موجة الصمت التى اكتسحت فناء المدرسة حين فوجئ الطلبة بتلميذ صغير يقف حيث تعود خطباؤهم أن يقفوا . . وأرهف الطلبة آذانهم حين ارتفع صوت صلاح . وقد انبعث من عينيه ذلك البريق الحاد الذى يشبه الشرر ، وشاعت فى وجهه تلك الكراهية الطاغية التى تحيل ملامحه الطفلة إلى غضون وشجون . . حين ارتفع صوته بهذه الكلمات . . — إخوانى ..: إن الإنجليز الوحوش قتلوا أبى .. قتلوه بالرصاص .. وأنا أريد اليوم أن تأتوا معى لنقتلهم كلهم ... كلهم ... وشرقت نبراته بالدموع ولم يعد فى مقدوره أن يقول شيئا .. وسالت دموعه لا على وجهه فحسب . بل على مئات الوجوه التى كانت تتطلع إليه فى لهفة وجنون !!

وفجأة تجمدت تلك الدموع فى العيون ولم تعد تنهمر .. وإنما استحالت إلى حقد مدمر عنيف .. وتحد قوى صارخ .. !

ألم تذهب يوما إلى حديقة الحيوان وترى « نمرا » ألح عليه أحد الزوار بما يستثير الغضب .. ؟ لقد استحال مئات الطلبة إلى نمور متوثبة تشع عيونهم بمايشبه الشرر .. وتغلى صدورهم بما يشبه النار .. وكان ذلك الشرر المدمر أو تلك النار المحرقة . هى اللهبات الطيب الذى تفتحت عنه أرض مصر حين ارتوت من ذلك الدم الذى أريق بالأمس .. ذلك الدم المقدس ..!!

محمد أبو المعاطى أبو النجا



مطبعة الرسالة

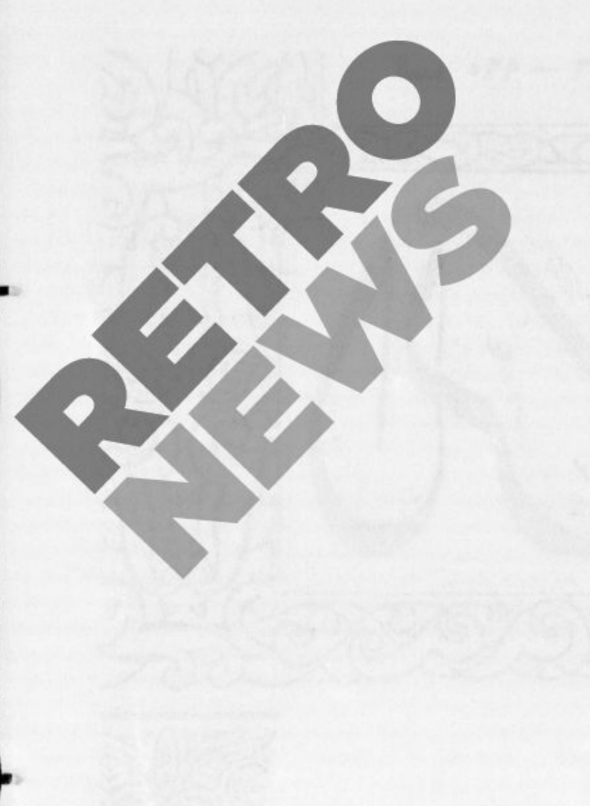


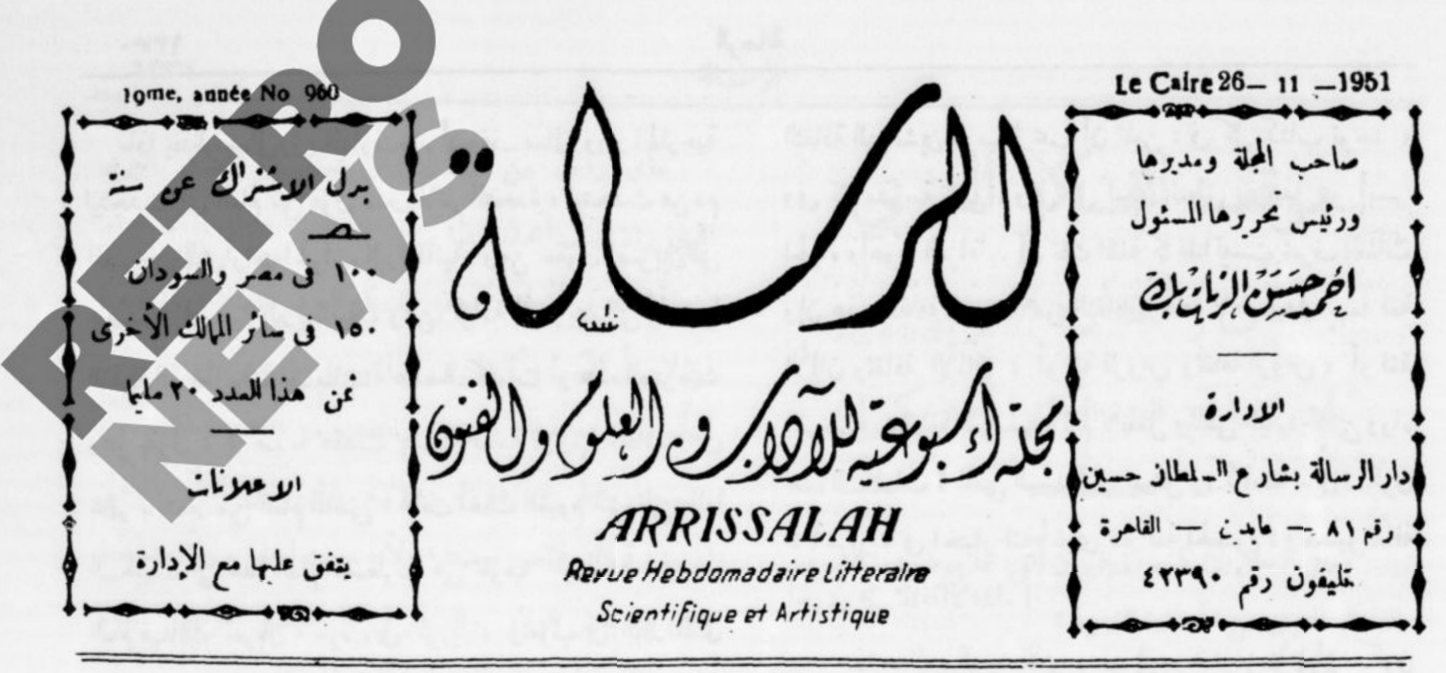
العدد ٩٦٠ — ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٠٤٣





العدد ٩٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٧١ — ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

موقفنا من الاستعمار الثقافى

للأستاذ أنور المعداوى

ما هو موقفنا اليوم من الاستعمار الثقافى ؟ سؤال يتردد فى الأذهان ومن حقه أن يتردد ، ويستقر على كل لسان ومن حقه أن يستقر ، ويتوجه إلى معالى وزير المعارف ورجاء السائلين فيه أن يجيب !

إننا اليوم نخوض المعركة ؛ معركة الحرية والاستقلال ، أو معركة الشرف والكرامة . نخوضها ضد الغاصب المستعمر بكل سلاح من أسلحة الكفاح وكل وسيلة من وسائل النضال ، وهدفنا المقدس هو أن نتخلص من كل قيد فرضه علينا الاستعمار وأرغمنا على قبوله ، منذ أن وطئت أقدامه المجرمة أرض هذا الوطن .. هناك الاستعمار العسكرى وقد وقفنا فى وجهه حين ألغينا المعاهدة ، وهناك الاستعمار الاقتصادى وقد حاربناه حين قررنا مقاطعة البضائع الإنجليزية ، وبقى الاستعمار الثقافى جاثما على الصدور والعقول حيث قدر له أن « يحتل » مكانه « المقدس » فى المدارس والجامعات !

هل نحن محتاجون إلى اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية ؟ أشهد أن تلك اللغة ليست أشرف اللغات ، وأن هذه الثقافة ليست أعمق الثقافات ، ولكن منطق القوة وحده هو الذى أضفى عليهما من زيف الطلاء ما بهر العيون وطمأن الظنون ، وأحلهما المحل الأول من قاعات الدرس وأفكار الطلاب فى كل مرحلة من مراحل التعليم !!

إنها حقيقة لا تقبل الجدل حين نقول إن تلك اللغة قد فرضت علينا منذ أعوام تقرب من السبعين ، وأن منطق القوة هو الذى فرضها علينا كما فرض علينا كل قيد من قيود الظلم والضيم والخضوع .. كان هذا بالأمس . أما اليوم وقد قررنا أن نحطم القيود والأصفاد ، وأن نكفر بالعهود والوعود ، وأن ننتقل من مرحلة العبيد إلى مرحلة الأحرار ؛ أما اليوم وقد قررنا هذا كله فيجب أن نقرن القول بالعمل ، وأن نهجر الخيال إلى الواقع ، وأن نؤمن بأن الإقدام خير من الإحجام . وإننا لنستطيع .. نستطيع أن نفهم المستعمر أننا قادرون على طرد استعماره العسكرى لأننا فى غنى عن حمايته ؛ وسحق استعماره الاقتصادى لأننا فى غنى عن بضاعته ، ونبذ استعماره الثقافى لأننا فى غنى عن ثقافته . .

ماذا ينتظر معالى وزير المعارف بعد أن وقف معالى وزير الخارجية ليتحدث إلى العالم من فوق منبر الأمم المتحدة ، ليتحدث عن دم المصريين الذى أراقته الحراب البريطانية، وعن حقوق المصريين التى هضمتها الهمجية البريطانية ، وعن كرامة المصريين التى أهدرتها النذالة البريطانية ؟ حسبنا منه هذه الكلمات أو هذه الصرخات وهو يقول : « عندما عقدت جمعيتنا العامة دورتها الخامسة فى شهر سبتمبر من العام الماضى ، كانت أحلك الغيوم التى تلقى ظلالها الكثيف على هذا العالم المضطرب هى حرب كوريا ، أما فى هذا العام فهنالك حربان ، حرب فى كوريا ، وحرب فى البلد الذى أتشرف الآن بأن أخاطبكم باسمه .. إنها حرب حقيقية تشنها على مصر دولة لاتزال تدعى بأنها حليف لمصر ! لقد تدفقت الإمدادات البريطانية من برية وبحرية وجوية على منطقة قناة السويس لمضاعفة قوات الاحتلال . ولقد استولت هذه القوات على المنطقة بأ كلها ووضعتها تحت الحكم العسكرى وعزلتها عن سائر أجزاء المملكة ووضعت يدها على المرافق العامة، واعتدت على السلطة القضائية فمنع القضاة من مباشرة مهمتهم المقدسة فى هذا الجزء من أرض الوطن ، ومنهم من قبض عليه وحرم الطعام يومين كاملين . . ولم يقتصد جنود الاحتلال فى إطلاق النار على رجال الجيش والبوليس فضلا عن المدنيين الآمنين ، ولم يتورعوا عن قتل النساء والأطفال !

« لقد أبدى مندوب الولايات المتحدة ووزير خارجيتها فى خطابه البليغ عنايته بحقوق الإنسان ، وخبرنا عن بعض الحوادث التى وقعت فى المجر وتشيكوسلوفاكيا فوصفها بأنها سحق وحشى للحرية ، وإنى لأسائل نفسى أى وصف يمكن أن يطلقه على الفظائع التى يرتكبها فى منطقة القنال أصدقاؤه وحلفاؤه البريطانيون ؟ أما أنا فلا أتردد فى أن أدعوها عدوانا همجيا مخجلا من المملكة المتحدة ، وخرقا صارخا للسلام العالمى والأمن الدولى ، وامتهانا بالغا لمبادئ الميثاق وأهدافه السامية !! »

ماذا نقول لمعالى وزير المعارف بعد الذى قاله معالى وزير الخارجية ؟ نقول إن اللغة التى تهين كرامتنا يجب أن تلغى ، وإن الثقافة التى تشين قوميتنا يجب أن تلعن : فى كل كتاب توجد ، وفى كل مدرسة تلقن ، وعلى كل لسان تنطق ، وهذا هو أيسر الجزاء وأهون العزاء .. إن تلك اللغة كما قلنا ليست أشرف اللغات وإن هذه الثقافة ليست أعمق الثقافات ، فلم لا نستبدل بهما لغة الألمان وثقافة الألمان ، أو لغة الروس وثقافة الروس ، أو لغة الفرنسيين وثقافة الفرنسيين ؟ لم لانفعل والمعنى البعيد كامن وراء هذه الكلمات ؟ المعنى البعيد الذى يتمثل فى كرامتنا حين نكون « أحرارا » فى اختيار لغة أخرى غير لغة الخصوم ؛ وتفضيل ثقافة أخرى على ثقافة الأعداء !

هذا هو المعنى البعيد الذى نهدف إليه .. لقد عزمنا على أن نكون أحرارا ، أحرارا فى كل شئ ، أحرارا حين نأخذ وحين ندع ، حين نقبل وحين نعرض ، حين نسالم وحين نخاصم ، حين نرفض وحين نختار . وما دمنا قد انتهينا إلى هذا الطريق وارتضينا أن نسير فيه ، فلا معنى للتريث ولا مغزى للتردد ولا مبرر لإطالة التفكير ، لأنها ستكون حرية مشوهة تلك التى تقضى على لونين من ألوان الاستعمار ثم تبقى على لونه الأخير ، ونعنى به ذلك الاستعمار الثقافى الجاثم على الصدور والعقول !

إننا حين نجهر بهذه الكلمات لا نشك لحظة فى وطنية معالى وزير المعارف ، وإنما نهيب بوطنيته أن تعجل بالضربة القاصمة وأن تبادر بالخطوة الحاسمة ، حتى يتحقق ذلك المعنى البعيد الذى رمينا إليه ، والذى لا يغيب عن فطنة الخصوم .. وحول محور هذا المعنى نريد أن نقول : إن تلك اللغة التى فرضت بالأمس بقوة السلاح يجب أن ترفض اليوم بقوة الإرادة ؛ وإذا خطر لنا أن نعيدها مرة أخرى فى الغد البعيد فلا بأس علينا من ذلك ولا بأس على الكرامة المصرية ، ولكن بعد أن يتطهر الوادى شماله وجنوبه من دنس المستعمر أو رجس الشيطان .. عندئذ « نتفضل » أحرارا بمنح هذه اللغة وتلك الثقافة جواز المرور ، ويومئذ تزول عن كلتيهما نزعة الغرور شأن كل قائد مدحور ؛ كل قائد يأخذ مكانه المحدد فى مؤخرة الصفوف !!

أنور المعداوى

موقف الفكر العربي

من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكى بك

دعانى الرجال الأكرمون إلى أن ألقى كلمة موضوعها « موقف الفكر العربى من الحضارة الغربية »

ولقد نظرت فى هذا الموضوع فوجدت أنه لا بد لى من أن أقف وقفة قصيرة عند الفكر العربى أتبين ما معناه ؛ وأن أقف وقفة قصيرة ، عند المدنية الغربية أتعرف ما مبناها

الفكر العربى :

أما عن الفكر العربى فإنى أنظر إلى العرب والمستعربين جملة فأجدهم يسكنون رقعة من الأرض خطيرة ، وهى على خطرها رقعة واسعة تمتد من الأطلسى إلى إيران ، ومن تركيا إلى ما يقارب خط الاستواء . وأنظر إلى العرب أمماً فأجدهم أمماً متباينة الخطوط من التقدم ، مختلفة الأنصبة من الحضارة أياً كانت هذه ، مختلفة قرونها التى تعيش فيها ، فبعضها يعيش فى القرن العشرين ويكاد يعيش فيما بعده ، وبعضها يعيش فى القرن العاشر ، بل فى القرن الأول ، بل فيما قبل القرون . وأنظر فى هذه الأمم فرادى ، فأجد فى الكثير منها رأساً أطل على هذا العصر الحاضر يرى ما فيه ، ويعلم ظواهره ويعلم خوافيه ؛ أما سائر الجسم فلا عين له ، فهو يتبع الرأس كما تتبع الأجسام ، وقد سهل الأمر على الأجسام أن تتبع لو أن الرأس رأس واحد يتجه إلى غاية واحدة ، ولكنه رأس ذو شعب ، رأس تشعب إلى رؤوس ، منها ما ينظر إلى الوراء فلا يرى فى الدنيا شيئاً خيراً من ورائها ، ومنها ما ينظر إلى الأمام فلا يرى فى الدنيا شيئاً خيراً من أمامها ، ومنها ما ينظر إلى الوراء ثم إلى الوراء ويفضل أن يقعد فوق السور يستمتع بموكب الزمان الجارى

فأى رأس من هذه الرؤوس يتمثل فيه الفكر العربى الذى يراد لى أن أتحدث فيه . !

أم يراد لى أن أتحدث عن الفكر العربى متمثلا فى كتابه ؟ فهؤلاء على قلتهم ، كرؤوس فى أممهم ، صنوف وأهواء . منهم المتأثر بالماضى غاية التأثر ، ومنهم المتحرر من الماضى غاية التحرر ، ومنهم أوساط بين هؤلاء وهؤلاء . وليس فى التأثر بالماضى ما يعيب ، لأن الماضى بعضنا ، ولأنه بعض الحذر ، ولأنه الحفاظ الذى فيه بعض الوفاء . والفكر فى كل العصور أمزجة ، منها المزاج المتحفظ . والفكر على إطلاقه لا يكاد يتحرر أبداً . إنه عمل العقل ولكن تتنازعه القلوب . إن الفكر لا يكاد يخلو من عاطفة ، والعاطفة وليدة السنين الغوابر . كذلك ليس فى التحرر غاية التحرر ما يعيب المتحررين . إنهم ضيقون بزمانهم ، آسون لحال أممهم ، ثائرون على ما يرون من بؤس وجهالة ، فهم يريدون أن يقفزوا فى الزمان قفزاً ليعوضوا على أممهم ما فات

ففى أى هؤلاء الكتاب — وهم مختلفون — يتمثل الفكر العربى . !

وليس فى الشرق فكر منظم . ليس فى الشرق جماعات من الناس لها أفكار ولها أهداف إلا فى السياسة . وحتى جماعات السياسة لا تجمعها أهداف بينة ، إن هى إلا غايات مبهمة كثيراً ما يوحى إلى شيطانى بأن أوضح غاية فيها إبهامها . إن الشئ المبهم يجرى وراءه الأشتات من الناس ، وفى الإيضاح التفرقة . إنهم يطلبون بالإبهام الكثرة ، وتلك عندهم غاية الغايات

ولقد يتحدث الناس عن الفكر العربى الذى لم يتوحد بعد ، فيقولون ويطنبون . ويأتون لك آخر الأمر بالشئ الجميل أو غير الجميل ، فإذا بهذا الشئ من خلقهم ، وإذا به ، لا الفكر العربى ، ولكن ما يجب أن يكون عليه الفكر العربى عندهم ، وبما يجب أن تكون فى حسبانهم خطة الحياة

إن الفكر فكرهم ، وهو عربى شرقى بمقدار ما هم عرب شرقيون . وفى غيبة الفكر العربى الموحد ، وعلى تفرقه وتشتته لا بد من قبول هذا الفكر ، ولو فكراً واحداً ، وهو على الأقل

فكر آحاد؛ وهو على الأقل يمثل منحى من المناحى الفكرية الكبيرة

فأنا إذا تحدثت إليكم اليوم عن الفكر العربى، فلا أدعى للذى أقول من التمثيل أكثر من أنه يشاركنى فى الذى أقول طائفة فى الشرق العربى غير قليلة

وبعد فما يجوز أن ننسى أن الفكر انفعال؛ وأن فكر الفرد من صنع البيئة، وصنع النشأة، وصنع الزمان

الحضارة الغربية:

ثم ما الحضارة الغربية التى أبحث عن موقف الفكر العربى منها؟

لقد كان للانسان حضارات بكل أرض وبكل زمان: حضارة مصرية، وحضارة آشورية وبابلية وفينيقية، حضارة إغريقية ورومانية، حضارة هندية وصينية، وحضارة عربية أثبتت وجودها وفرضت فروضها وشاركت فى الحياة على هذه الأرض ألف عام. ولكل من هذه الحضارات فضل، ولكل منها شئ وأشياء تميزها.. وهى كلها مجهودات للانسان حثيثة فى سبيل غاية لا يدريها. والإنسان يفنى وهذه المجهودات غير فانية، أو الكثير منها غير الفانى. وهى مجهودات خالدة بحسبانها أشكالا وأنماطاً وأساليب للعيش وقوالب للفكر تتوارث. كما أن الإنسان خالد بحسبانه نطفا تتوارث، ومظاهر الحضارات ومن أظهرها يفنيان جميعا كما قال المتنبي فى شعره المعروف

أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

إلا الفكر.. الا الفكر الذى أنتجها، أو الفكر الذى أنتجته، فهذان يخلدان؛ لأن الفكرة لا تموت. ولقد بقى من الحضارات الماضيات أفكار ترقد فى أوراق، لا نزال نجتليها ونسرح البصر البصيرة فيها

والمدنية الحاضرة إنما هى جماع تلك المدنيات جميعا. والمدنية الحاضرة تجد فى تلك المدنيات الغابرات فكرة ترضاها فتنتفع منها، أو تجد فكرة لا ترضاها فتتجنب أذاها؛ فهى فكرة تهدى على كل حال حتى برفضها، كالطريق الذى لا تسلكه يدلك على الطريق الذى تسلكه

والمدنية الحاضرة تميزت بصفات وتألفت من عناصر سوف أجتهد فى إخراج بعضها وإبرازه، صفة صفة، أو عنصر عنصرا، وأدلى بموقف الفكر العربى، كما أراه، منها

الحضارة والعلم:

إن المدنية الحاضرة ميزتها الكبرى العلم. العلم الطبيعى. العلم التجريبى

والعلم ليس كالناس يولد فى ساعة. إنه يولد على القرون فلا نكاد نعرف له ميلادا. وأنا إن ذكرت الميلاد، حلالى دائما أن أتخذ من حياة (لافوازيه) للعلم ميلادا. وهو ولد عام ١٧٤٣ ومات عام ١٧٩٤، فحياته استغرقت النصف الثانى من القرن الثامن عشر. ولافوازيه أبو الكيمياء الحديثة لأنه كشف الهواء وكشف عناصره. وما كانت مدنية مؤسسة على العلم الطبيعى لتكون والناس فى جهالة من الهواء الذى منه يحيون، وفيه تحدث الأحداث للأشياء الأخرى والناس. إنه لولا أن تركيب الهواء اتضح، ما أمكن أن يكون علم ولا مدنية علمية. وإذن فإذا قلنا إن العلم، والمدنية العلمية، لم تقف على أرجلها إلا من نحو قرنين لم نعد الصواب. والعلم قبل ذلك لعله كان يحبو، ولعله طال حبوه وطال كثيرا

وصفة العلم هذه هى الغالبة أكثر الغلبة على المدنية الحاضرة، لأن الكثرة الكبرى من نتائج العلم مادية، وهى تتصل أكثر اتصال بما يرى الناس، ويسمع الناس، ويحس الناس، وبما يأكلون ويلبسون ويسكنون، وبوسائل بها ينتقلون على الأرض أو على الماء أو فى السماء. وهى تتصل بضرورات الحياة ورفهها.

ولو أن رجلا من مدنية غابرة نشر ونفض عن نفسه التراب، وأخذ يمشى بيننا كما فعل عيسى بن هشام، لخفى عليه أول الأمر من مدنيتنا كل شئ، إلا هذه الظواهر المادية الكثيرة، فهى ستبدهه، وهى ستدهشه، وهى ستشدهه. وهو سيؤخذ بها من أول يوم، أما مظاهر المدنية الأخفى فستتكشف له على الأشهر، ومنها مالا يتكشف إلا على السنين، لأنها لا تتكشف إلا بالدراسة الطويلة والممارسة

وهنا نتساءل ؟ ما موقف الفكر العربي من هـذا الأصل الأول من أصول المدنية الحديثة

والجواب أنه المناصرة بغير شرط ، وبغير حد ، وفي غير احتياط . ذلك أن العلم وليد المنطق ، والمنطق لا يرفضه ويرفض نتائجه ذو عقل . وأحسب أنا جميعا ، أهل الشرق العربي ، من العقلاء

وسبب آخر لمناصرة العلم ، أنه سبب للرفاهية ورغد العيش ولينه ، عظيم . وهو لتسهيل الحياة وتيسيرها ، وليس بعاقل كبير العقل من يريد الحياة خشنة ، أو من يريدها عسيرة ، في غير ضرورة

وسبب ثالث ، أن العلم يجعل الحياة أكثر امتلاء ، وهي بامتلائها أكثر زمانا ، فهي أطول . والذي يعيش اليوم ، في بيئة هذه الحضارة العلمية أربعين عاما ، فقد عاشها أربعين كثمانين من العصور الأخرى . إن سنوات العمر ، كورق النقد ، تعلو وترخص ، ويصيبها التضخم على انحطاط قيمة ، ويصيبها التقلص

وسبب رابع لمناصرة العلم ، أن الناس ، بسبب العلم ، ولأسباب غير العلم ، زادوا أعدادا ، وزادوا فوق ما تسعهم الأرض ، وفوق ما تكفيهم غذاء ، وفوق ما تكفيهم كساء . وهـذا الضيق يقوم بتفريجه العلم ، فهو يفرض على الأرض أن تنتج الكفاية من الطعام ، والكفاية من اللباس ، والكفاية من ضرورات العيش

إن قوما يشكون الفقر قوم لا يأخذون بأسباب العلم . وكذلك قوم يشكون المرض . إن العلم أسرع ذهاب بالفقر ، وأسرع ذهاب بالآلام . إنه ليجتث الآلام من أصولها ، باجتثاث أسبابها ، وعنده أن الوقاية خير من العلاج

وسبب خامس لمناصرة العلم ، ذلك أنه لأسباب خارجة عن العلم ، لا يزال الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويأكلونهم بالعلم ، ولا أحسب أن أحدا في الشرق العربي يحب أن يؤكل ، والعلم يمنعك من أن تأكلك الذئاب

لقد كدت أحس بشيء من السفه في تعديد ما للعلم من منافع ، ومن أسباب مناصرته. ذلك أن بعض السفه تعداد البداهة

والفكر العربي مناصر للعلم في كل ما ذكرت من هـذه الحقول المادية . وهو مناصر له أيضا في سائر الحقول ، فعلى العلم وعلى نتائجه يجب أن تتأسس معاني الحياة ، وعقائد الحياة وما بعد الحياة . إن العلم وحدة لا تتجزأ

وقد نضيق بالعلم وبنتائج العلم ، فنطلب الترويح في غيبته ، ونطالب للرفه بنفيه وإبعاده . وقديما نفى الناس العقول بالشراب ليتروحوا ، ولكن إلى حين ، يعودون بعده إلى ممارسة الحياة على العقل الواعي وعلى القلب الصاحي

ونحن نناصر العلم ونعلم أن من الناس من خلطوا بين أشياء أثبتها العلم فهي حقائق ، وأشياء خالها العلم فهي ظنون ، وأشياء لم يمسها العلم لا بالظن ولا باليقين ، فهي من خلق أصحابها

ونحن نناصر العلم ونعلم قصوره وقصور أداته . إن أداة العلم لا تزال الوزن والقياس ، ولكن قوما يريدون أن يقحموه غصبا فيما لا يوزن ولا يقاس ، لا طلبا لشيء قد يكون وقد لا يكون ، ولكن إثباتا لشيء هو في أذهانهم كائن قائم وقد يكون قائما ، وقد يكون كائنا ، ولكن ليس هو مما يستطيع العلم أن يسير إليه بأداته الحاضرة

فهذا هو العلم ، أظهر صفة من صفات المدنية الحاضرة

للكلام صلة

أحمد زكي

٥ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفه

من ١ - ٨ نوفمبر ١٩٥١ :

شهدت هذه الفترة عدة حوادث هامة : ففيها واصل الإنجليز عدوانهم على العزل من المصريين وزادوا فاعتدوا بالقبض والاعتقال على ضباط البوليس المصرى بمنطقة القنال ، وكذلك اعتدوا على رجال التعليم العائدين إلى أعمالهم بمنطقة القناة ؛ فاعتقلوا بعض الأساتذة دون مبرر ثم أفرجوا عنهم وألقوهم فى الصحراء ليلا!! وكذلك تكون المدنية ويكون احترام الإنجليز للحرية !!

وفيها أيضا اعتدى الإنجليز على رجال القضاء المصرى الكرام وهم فى طريقهم إلى عملهم بمنطقة القنال والعريش !! ثم عمدوا إلى تسخير العمال بالقوة . وبدأت كتائب التحرير المصرى نشاطها وعمدت « الفرق الخفيفة » إلى تجريد الجند البريطانيين من سلاحهم وهو عمل يدل على شجاعة المصرى التى لا تحتاج إلى دليل ، ودب الذعر فى صفوف الإنجليز إذ بلغت حوادث خطف الأسلحة نحو ٢٠ حادثة واتهموا رجال البوليس المصرى بالتقصير فى منع هذه الحوادث ، وهدد القائد العام للقوات البريطانية الجنرال أرسكين بإعلان الأحكام العرفية فى منطقة القنال وتعيين حاكم عسكرى لها . وهكذا وقف الرجل المسلح ، يخشى عدوان الرجل الأعزل إن الحق هو الذى أعطى الأعزل قوته ، وهو الذى نزع من الرجل المسلح سطوته وهيبته . إن الحق منتصر ، وإن مصر لا تطلب إلا حريتها ووحدة الوادى ، وهى بالغة إن شاء الله ما تصبو إليه

وتشرشل أيضا :

فى ٢٥ اكتوبر ١٩٥١ أجريت الانتخابات البريطانية وفاز حزب المحافظين وتولى رئيسه ونستون تشرشل الحكم . ولم تكن مصر تهتم اهتماما كبيرا بنتائج الانتخابات لأنها تعرف أن الإنجليز هم الإنجليز ، سواء أكان تشرشل برأس حكومتهم أم كان أتلى ؛ فالسياسة البريطانية لا تتغير بتغير الوزراء ، وإنجلترا هى العدو الأول لمصر لأنها تحتل أراضيها بالقوة ، وتمنع وحدة الوادى وتقف سدا حائلا بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، ألا ساء ما تفعل !

وفى ٦ نوفمبر بدأ مجلس العموم الجديد جلساته وألقى خطاب العرش الذى جاء فيه : « إن حكومتى تعد ما عمدت إليه الحكومة المصرية من إلغاء معاهدة التحالف المبرمة فى عام ١٩٣٦ واتفاقيتى الحكم الثنائى فى السودان المعقودين ١٨٩٩ أمرا غير مشروع ولا يجيزه القانون » ولسنا ندرى أى قانون أباح لإنجلترا أن تحتل مصر ؛ وأن تفصم الوحدة الطبيعية بين مصر والسودان ، وأن تحكم السودان على رغم إرادة أهله

وألمح إلى أن بريطانيا ستقاتل إذا دعا الأمر إلى ذلك للبقاء فى منطقة القنال ، وأشار إلى أنها « ستحتفظ بموقفها فى منطقة قنال السويس طبقا لنصوص معاهدة ١٩٣٦ وتؤمن سلامة هذا الطريق الدولى دون أن تستخدم لذلك قوة أكثر من اللازم . » وبهذا يهدد تشرشل باستخدام القوة ضد مصر لأنها تطلب حريتها وإنهاء احتلال أراضيها . ولسنا ندرى هل غاب عن تشرشل الماكر المجوز أن مصر قد فكرت قبل إلغاء المعاهدة وقدرت أنها مقبلة على فترة من فترات الجهاد الشاق والنضال العنيف !! وأنها ستتعرض لتهديد إنجلترا وربما لتهديد أمريكا وفرنسا أيضا !! وهل يعتقد تشرشل أن الإنجليز سيخرجون من مصر دون نضال ودون تضحية ! ! ليعلم تشرشل أن مصر قد فكرت وقدرت وأنها قد آثرت الجهاد والنضال فى سبيل الحرية على الحياة والعبودية .. فليهدد كما يشاء فمصر قد وقفت صفا واحدا تدافع عن حريتها ووحدتها .. ولن يرهبها تهديده أو يخيفها وعيده

هيئة الأمم ومؤتمر السلام :

وفى ٦ نوفمبر اجتمع أعضاء مجلس السلام فى جميع أنحاء العالم فى فينا عاصمة النمسا ، وألقى كامل البندارى باشا خطابا مستفيضا عن مصر وعن موقفها من الدول الاستعمارية استهله بقوله « إن مصر قد بدأت مرحلة جديدة فى تاريخها .. ذلك أنها فرغت من عهد التوقيع والإمضاء وبدأت القتال والكفاح . إن

الشعب الآن يريق دمه فى سبيل الحرية غير متردد ولا هياب ، كل ذلك من أجل الحرية ومن أجل السلام العالمى . »

وقال : « إن هذه الحوادث الدامية التى تجرى فى مصر ستكون نقطة تحول فى التاريخ » واختتم الخطاب قائلا : « سيكون لهذا الصراع ضد الإنجليز والانتصار عليهم نتائج بعيدة المدى »

وقد خطبت السيدة سيزا نبراوى فى المؤتمر . ونددت بالأعمال الوحشية التى تقوم بها بريطانيا فى مصر .. وتحدثت عن أعمال البطولة التى يقوم بها عمال الموانى الذين أضربوا عن التعاون مع الإنجليز وأعلنت أن وجود القوات البريطانية ضد إرادة الشعب المصرى يهدد السلام العالمى

وتحدث مندوب الاتحاد السوفييتى فطالب بضرورة تأييد مصر واتخاذ قرارات إيجابية لشد أزر الشعب المصرى فى كفاحه ضد الاستعمار ، وأن الاتحاد السوفييتى يؤيد مصر تمام التأييد فى كفاحها ضد الغاصب وصراعها من أجل الحرية

وفى ٧ نوفبر أصدر المؤتمر قرارا يدعو فيه بريطانيا إلى سحب قواتها من مصر والسودان فورا لكى يتسنى تقرير مصيرهما بحرية تامة، وقرر إيفاد وفد لهيئة الأمم المتحدة لمطالبتها بتوحيد الاهتمام إلى ما يتعرض له السلم من تهديد بسبب وجود قوات أجنبية فى مصر والسودان

وفى باريس اجتمعت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى ٦ نوفبر وحضر الاجتماع وفد مصر برياسة الوطنى العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا ، وكذلك حضر الوفد البريطانى برياسة المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا ، وبدأ صلاح الدين نشاطه فأرسل إلى السكرتير العام للأمم المتحدة مذكرة ندد فيها بالأعمال الوحشية التى تقوم بها القوات البريطانية فى مصر ، وأعلن ثقته من أن الضمير العالمى وشعوب الأمم المتحدة ستقف إلى جانب مصر وشعبها فى كفاحها فى سبيل الحق والحرية ، وفى سبيل السلام العالمى . وهكذا بدأ النضال بين مصر وبريطانيا فى أروقة هيئة الأمم

لا مناقشة :

لجأت بريطانيا إلى التهديد باستخدام العنف والقوة إذا لم يكف زعماء مصر عن نشاطهم ، وفى ٦ مارس سنة ١٩١٩ استدعى قائد القوات البريطانية زعماء الوفد وأعضاءه وأنذرهم « أن أى عمل منكم يرمى إلى عرقلة سير الإدارة يجعلكم عرضة إلى المعاملة الشديدة بمقتضى الأحكام العرفية »

لقد دار بخلد الإنجليز ١٩١٩ كما يدور بخلدهم الآن أن التهديد باستخدام القوة كفيل بالقضاء على الروح الوطنية فى وادى النيل، وكفيل بإيقاع الرعب فى قلوب المصريين مما يقضى على حركتهم وآمالهم ؛ ولكن خاب أملهم ، ففى ١٩١٩ ؛ واجهوا شعبا يقف صفا واحدا خلف زعمائه ، فلما هددوا سعدا وزملاءه لم يجبن سعد ولم يجبن زملاؤه وقابلوا الإنذار بعدم الاكتراث ، ولم يعبأوا به بل زادوا تمسكا بمطالب الأمة ، لقد كان القائد العام البريطانى مسنودا بالحراب والمدافع البريطانية ، وأما سعد ورفاقه فقد كانت تحرسه قلوب شعب مصر الأعزل ، ولكنه شعب مؤمن بحقه وعدالة قضيته

لم يعبأ سعد بالإنذار البريطانى ومضى فى طريقه قدما ، ففى نفس اليوم أبرق إلى رئيس الحكومة البريطانية يقول : « تعلمون ضرورة أن وزارة رشدى باشا لما علقت سحب استقالتها على سفر الوفد قبلت استقالتها نهائيا . وليس لذلك معنى إلا الحيلولة بيننا وبين عرض قضيتنا على مؤتمر السلام . وقد نتج فعلا من هذه السياسة أن أعظم رجال مصر . . . قد بدأوا يرفضون بتاتا تأليف وزارة تعارض مشيئة الأمة التى هى مجمعة على طلب الاستقلال . . .

إن السلطة العسكرية أنذرتنا اليوم بأننا نضع الحماية موضع البحث وتعرقل تأليف الوزارة الجديدة وتوعدتنا بأشد العقاب العسكرى . على أنها لا تجهل أننا نطالب الاستقلال التام ونرى الحماية غير مشروعة كما تعلم بالضرورة أننا قد أخذنا على عاتقنا واجبا وطنيا لا نتأخر عن أدائه بالطرق المشروعة مهما كلفنا ذلك. وحسبنا أن نذكر لكم هذا التصرف الجائر الذى يجر سخط

العالم المتمدن حتى تفكروا فى حل هذه الأزمة بسفر الوفد فيرتاح بال الشعب

القبض على زعماء الوفد :

اتخذت السلطة من رفع الوفد هذه الشكوى إلى رئيس الحكومة البريطانية مبررا لتنفيذ ما هددت به ، فنى يوم ٨ مارس قبضت على رئيس الوفد سعد زغلول وعلى ثلاثة من كبار صحبه وهم محمد محمود وحمد الباسل وإسماعيل صدق واعتقلتهم فى ثكنة قصر النيل ثم نقلوا تحت الحراسة إلى بورسعيد ومنها أبحروا إلى مالطة حيث وضعوا قيد الاعتقال

اعتقد رجال السلطة العسكرية أنهم بهذا العمل قد قضوا على الحركة الوطنية فى مصر وأنهم قد استراحوا وأمنوا واطمأنوا ، ولكن خاب ظنهم فإن هذا النبأ قد سرى فى مصر كما تسرى النار فى الهشيم وكان بمثابة شرارة ألقيت على مستودع من البارود مما أدى إلى حدوث انفجار عظيم

بدء الثورة :

نهض المصريون جميعا على بكرة أبيهم دفعة واحدة وفى يوم واحد لإعلان سخطهم وغضبهم على هذا العدوان الغاشم ، وكانت للمصريين فى احتقار الموت الذى كان يتحداهم فى ثورتهم من أفواه مدافع العدو وبنادقه روعة وجلال

وأما رجال الوفد فقد بادروا فى نفس اليوم إلى إرسال برقية احتجاج على اعتقال الزعماء إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ، وأعلنوا أنهم سيستمرون على الدفاع بكل الطرق المشروعة عن قضية البلاد العادلة

وكذلك أرسلوا برقيات احتجاج إلى معتمدى الدول الأجنبية

وفى ٩ مارس وجه على شعراوى باشا بصفته وكيل الوفد كتابا إلى عظمة السلطان يشكو فيه من تصرف السلطة العسكرية مع رجال الوفد جاء فيه :

« ... استدعتنا السلطة العسكرية فى ٦ مارس ... وأنذرتنا بالعقاب العسكرى الشديد إن أتينا عملا يرمى إلى تعطيل سير الوزارة ثم منعتنا من مناقشتها فى هذا البلاغ . لم نصب السلطة فى رأيها فإن هذه الحماية باطلة ولكل إنسان الحق المطلق فى أن يضعها تحت البحث والمناقشة القانونية . .

لم يقف الأمر عند هذا الإنذار بل قبضت السلطة أمس على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وإسماعيل صدق باشا وزجوهم فى قصر النيل ثم سيق بهم إلى بورسعيد فإلى حيث لا نعلم . وذنبنا فى ذلك أننا نطلب حريتنا السياسية طبقا للمبادئ الشريفة التى اتخذت قاعدة للسياسة المالية الجديدة ... وبينا أننا لم نتعد حدود القانون ، فلم نهيج فى البلاد طائرا ولم نحرك ساكنا بل قبلنا توكيل الشعب إيانا أن نصدع بأمره ونسعى لتحقيق مشيئته ...

على هذه الاعتبارات يصعب علينا يا مولاى أن نفهم مبررا لهذه الخطة القاسية التى جرت عليها السياسة الإنكليزية . .

إليكم يا صاحب العظمة وأنتم تتبوءون أكبر مقام فى مصر وعليكم أكبر مسئولية فيها. نرفع باسم الأمة أمر هذا التصرف القاسى ؛ فإن شعبكم الآن يحق له أن يعتبر هذه الطريقة بادرة تخيفه على مستقبله كما يحق له أن يكرر الضراعة لسديكم العلية أن تقفوا فى صفه مدافعين عن قضيته العادلة »

قويسنا **أبو الفتوح عطيفة**

أدب الثورة والكفاح

للأستاذ كامل السوافيرى

في اليوم الثامن من أكتوبر من العام الحالي أعلنت مصر إلغاء معاهدة الظلم والاستعباد؛ وقالت كلمتها الخالدة مدوية فى آفاق المعمورة فرددت الشعوب العربية والدول الإسلامية صرخة مصر، وقامت المظاهرات فى دمشق وبغداد وبيروت وطهران والدار البيضاء معلنة تضامنها مع مصر المجاهدة، صارخة صرخة الحق فى وجه المستعمر الغاصب بأن يجلو عن وادى النيل، ويعترف بحق مصر فى الحرية والاستقلال

ثم صدمت مصر الاستعمار مرة ثانية حين أعلنت رفضها لما أسموه مقترحات الدول الأربع للدفاع عن الشرق الأوسط؛ فحطمت آمال المستعمرين وقلبت خططهم رأساً على عقب

ووقفت الشقيقات العربيات أيضا من مصر المجاهدة موقف التأييد التام والتضامن الكامل ضد أقطاب الاستعمار، كما وقف العالم الإسلامى ينادى بحق مصر فى سيادتها على القناة، وحقها فى جلاء الجيوش المحتلة عن أراضيها، وحقها فى الوحدة، وكان ذلك الموقف الرائع من العالمين العربى والإسلامى دليلا واضحا على أن العرب والمسلمين قد اكتمل وعيهم، واستوى نضجهم السياسى ولم تعد تنطلى عليهم حيل الدول المستعمرة، بعد أن أخلصوا لها الود، وقدموا المعونة فى حربين عالميتين فقوبلوا بالتنكر لأمانيهم القومية. والاعتداء على حقوقهم السياسية

وليست الحرب بين الإسلام والاستعمار وليدة اليوم. وليس الصراع بين الشرق والغرب ابن عامه هذا، ولكنه صراع بدا بعد الحرب العالمية الأولى منذ انتصر الحلفاء، فقسموا الشرق العربى بينهم، وجزءوه إلى دويلات ضعيفة لا تستطيع النهوض حتى يتمكنوا بذلك من استعمارها أكبر مدة من الزمن. ولكن الصراع ليس صراعا سياسيا فحسب، بل هو صراع دينى واجتماعى قبل أن يكون صراعا سياسيا، إنه صراع المبادئ والأفكار، وصراع النفوس والقلوب. ولا بد أن تتضافر الجهود وتتعاون القوى ليخرج الشرق من هذا الصراع مرفوع الرأس وضاح الجبين

ولقد راعنى أن يكون الأدب بمنأى من هذا الصراع الحاد الذى يندلع لهيبه يوما بعد يوم. وكم أسفت حين تطلعت فرأيت الفن لا يسهم فى هذه المعركة بين الشرق الإسلامى والغرب، أو بين المسلمين والمستعمرين، وللأدب نفوذه وسلطانه، وللفن عرشه وصولجانه، وللأدباء فى الأمة المكانة السامية، والمنزلة العالية، هم النجوم التى ترشد السارين إذا اكفهر الجو وأظلم الأفق، وهم المصابيح اللامعة التى تهدى الضالين إذا تشعبت السبل، وتعددت المسالك

إنى لا أريد أن أتهم الأدباء بأنهم تنكروا لأمتهم، وتجافوا عن مجتمعهم، حين عاشوا منطوين على أنفسهم، فى أبراجهم العاجية، لا يحسون بإحساس أمتهم، ولا يشاركون مجتمعهم آلامه وآماله، فكان إنتاجهم فى الكثير الغالب مرآة انعكست عليها حياتهم الخاصة، مما دعا الأمة والمجتمع إلى الانصراف عن هذا الأدب الذى لم تجد فيه شخصيتها، ولم يحس فيها المجتمع بوجوده وكان الأدباء مسئولين عن هذه الجناية، لأنهم هم الذين أتاحوا للقراء الانصراف عن إنتاجهم إلى الأدب الرخيص الماجن الذى يغذى الجانب الهابط فى النفس

وإلا فما بالنا لا نقرأ — والمحن تتوالى على العروبة، والضربات تتابع على أقطار الإسلام — إلا أدب الضعف والانحدار!! أدب التدهور والانحلال!! كأننا لسنا فى صراع مع الاستعمار!!

ألم تكن مأساة فلسطين الدامية، وتشريد مليون من أبنائها من إخواننا وأبناء عمومتنا وهيامهم على وجوههم فى المهامه والقفار، يفتك بهم البرد والجوع.. كافية فى أن تهز منا القلوب، وتشعل الأفئدة، وتضرم الجوانح؟

لقد نظرت إلى الأدب قبل المأساة وبعدها فلم أجد تغيرا واضحا إلا عند قلة من الأدباء يعدون على أصابع اليد الواحدة

إن المعركة القائمة اليوم بين حق مصر وباطل بريطانيا ليست معركة مصر وحدها، وبريطانيا وحدها، ولكنها معركة الشرق العربى بأسره ضد الدول المستعمرة التى تظاهر بريطانيا فى باطلها.

وتناصرها فى عدوانها على الشعوب الضعيفة

إنها المعركة التى تغذى القرائح عند أدباء العرب والإسلام، فتدفعهم دفعا إلى المساهمة فيها

قد يقال إن هذا أدب مناسبات فى كارثة لا يلبث أن يزول . إنه كغمامة صيف عما قليل تنكشف . والإجابة عن ذلك أن هذا ليس أدب مناسبات، ولكنه أدب خالد، فأدب القوة والكفاح أدب خالد .. لأن الأمة الضعيفة لا وجود لها فى عالم تسوده الذئاب والأسود

إن كثيرا من الشعراء الأوربيين قد خلدوا بأسفارهم الوطنية التى أيقظت فى نفوس أممهم روح التضحية، وأوقدت فى قلوبهم النخوة والحمية، فهذا أرنت فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر يقول لقومه بعد موقعة « يه نا »

(اعطونى وطنا حرا وأنا أرضى عندئذ أن أفقد كل شهرتى فيصبح اسمى منسيا لا يذكر فى غير دارى ودار جارى.

أعطونى بقعة من أرض جرمانية يستطيع فيها العندليب أن يغرد دون أن يرمى بسهم فرنسى

اعطونى كوخا حقيرا يستطيع أن يصبح ديكى فوق حاجزه دون أن يقع فريسة فى يد فرنسى ، وأنا أصبح عندئذ مثل الديك ، وأغرد مثل العندليب بكل فرح وسرور ، ولو أفقد كل ما ملكته يداى فلم يبق لى شئ يستر جسمى غير قميص بال (١))

نريد أدبا بعد وثبة مصر الجبارة يختلف عنه قبلها ، نريد من أدباء وادى النيل وهم كثر والحمد لله ومن أدباء البلاد العربية أن يشنفوا آذاننا بالأغانى والأهازيج الحماسية الوطنية التى تبعث الثقة فى النفوس وعلوها قوة وبطولة

نريد من الشعراء المشهورين أن يطربونا بشعر القوة والعزة، ومن كتابنا وناثرينا أن يدبجوا لنا المقالات الطويلة عن الإيمان القومى ، والوطنية الصادقة، والاستشهاد فى سبيل الوطن ... وبوجه عام نريد من الأدباء والشعراء والمؤلفين وكتاب القصة والمسرحية أن يتخذوا من أقلامهم سيوفا تسل فى وجه الظلم ، وحرابا تصوب إلى صدور الأعداء

ونريد منهم أن يثيروا أحقادنا الدفينة لدى الدول الاستعمارية، وأن يذكوا جذوة الوطنية فى نفوس هذا الجيل والأجيال القادمة ، ويشعلوها حربا مستمرة الأوار على الاستعمار الظالم فى كل مكان

ولست أريد أن أمنعهم من الأدب الذاتى .. أدب العاطفة والوجدان ، ولكنى أرى أنه لابد لهم مع أدبهم فى الدمعة والابتسامة ، والهجر والوصل، والفراق واللقاء.. من الأدب الذى يمجد الوطن ، ويؤجج الوطنية، وينفخ فى الشباب روح الرجولة والقوة ، والعزة والكرامة ، والحرية والاستقلال ، ولا نريد أن يقف بهم الأمر عند أدب الوهم والخيال ..أدب المهمهات والشطحات بل يضيفوا إليه أدب البطولة والمجد والرفعة والعلاء

هذه صرختى أوجهها إلى الأدباء، وأنا وطيد الأمل فى أنها ستجد منهم آذانا صاغية . وأختم هذه الكلمة بأبيات للشاعر المهجرى ميخائيل نعيمة :

أخى ما الصبر ؟ إن الصبر كفران وخذلان
أخى ما نحن بالأحرار لكن نحن عبدان
لقد ضاقت بنا الأوطان ما للعبد أوطان
أخى ما السجن هل فى السجن آلام وحرمان؟
وهل يجدى مع الأحرار قضبان وسجان؟
سوانا يرهب القضبان أو تفنيه جدران
إذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان

كامل السوافيرى

(١) من كتاب آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية للأستاذ ساطع الحصرى ص ٧٥

٤ - على ضفاف القناة :

وجـــوه كالحة *

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

مساكين أبناء مدن القناة الثلاث — بور سعيد والإسماعيلية والسويس — وبخاصة أبناء مدينة الإسماعيلية.. التي كتب الله على أبنائها أن يتجرعوا الغصص اليمة حادة ، ذلك لأنهم يرون دائما وجوه أعدائهم الألداء ، هذه الوجوه الكالحة ، التي سئم كل مصرى النظر إليها ، وضقنا بها وبأبنائها ذرعا ، وكدنا نيأس حكومة وشعبا من معرفة طريق الخلاص والقضاء على هؤلاء الاستعماريين (الكلاب) — كما يدعوهم آية الله كاشانى — وأدركنا إلى أى حد يجحد هؤلاء الغاصبون حقوقنا ، ويعبثون بمصالحنا وآمالنا ، ويسخرون بأمانينا الوطنية التي يجب أن نبذل فى سبيل تحقيقها ، والحصول عليها ، كل مرتخص وغال ، فأينما مررت فى هذه المدينة البائسة لا تجد غير هؤلاء الإنجليز ، يروحون ويجيئون فى كل وقت من الأوقات ليلا ونهارا ، يتسكعون هنا وهناك فى برود وصفاقة ، وكأنهم يسيرون فى أوطانهم ، ويجوبون رحابها آمنين مطمئنين ، هادئين وادعين . كأنه ليس بيننا وبينهم عداء مستحكم الحلقات ، ولا قضية مطروحة فى المحافل الدولية إلى الآن ؟ ولست أدرى لماذا يأمن الإنجليز جانب المصريين إلى هذا الحد العجيب ، فنراهم يعيشون فى أحيائهم الأفرنجية بالمدينة ، ويشاركون المصريين فى الأحياء الوطنية ، ويسيرون بين المصريين كأنهم من أبناء جلدتهم ؟ فهل معنى ذلك أنهم يعتقدون أننا هازلون فى مطالبنا ، غير جادين فى قضيتنا وجهادنا ؟!

إن منظر الجندى الإنجليزى يسير فى مدينة الإسماعيلية بالذات يؤلمنى إلى حد كبير ، كما يؤلم كل وطنى غيور ، لأنه يحمل معنى التحدى الجارح لكرامة المصرى ، وشعوره وعزته ، فهو يسير مترفعا متعاليا ، فى صلف و كبرياء ، مقيتة لعينة ، شأنه فى ذلك شأن العملاق المتغطرس الذى ينظر فى ازدراء وضيع إلى أقزام

* كتبت هذه المقالة قبل إلغاء المعاهدة ووقوع الأحداث الأخيرة

هزيلة الجسوم ، جائعة البطون ، عارية الأبدان ، وهو لهذا لا يأبه بمن أمامه من المصريين ، ولا يبالى بما يأتى من جرائم ، ويقتل من أرواح ، فقلما يخلو يوم من حوادث السيارات الإنجليزية التى تجوب المدينة على الدوام ، وبلا انقطاع ، والتى تقف أمام دور السينما والمحلات العامة وفى الحدائق ، وتزدحم بها الشوارع فى كل مكان ، والتى يذهب ضحية إهمال سائقيها المخمورين كثير من المصريين الأبرياء . . وماذا يضيره مادام يخرج دائما هو وأمثاله المجرمون بسلام ، ولا تنال منهم سطوة القانون المصرى شيئا ، لأن الإنجليزى لا يزال فى هذه البلاد عنوان السيادة الذى يخضع له الجميع . . وقاتل الله الإنجليز ، فإنهم لا يزالون يعيشون فى أواخر القرن العشرين بعقلية القرون الوسطى ، ولا يزالون يؤمنون إيمانا عميقا بسياسة الدس والتفرقة بين مختلف الطوائف وقادة الشعوب ، وزعماء البلاد ، ولا يكاد يستجيب لهم ، ويحقق أمانيهم غير المصريين من الذين لا يعيشون لبلادهم ، وإنما يعيشون لتحقيق أغراضهم ، ومصالحهم الذاتية . . ولكن الإنجليز فى هذه المرة لن يصلوا إلى ما يصبون إليه ، وسيفوت عليهم الوعى الجديد للشعب المصرى أغراضهم السافلة ، ويحطم آمالهم الاستعمارية الوضيعة ، ويكشف حيلهم الدنيئة ، ويسجل عليهم الفشل الذريع ، والحظ المنكود . . !!

* * *

أجل فالوعى القومى بين طبقات الشعب قد ارتفع مستواه ، ونأمل أن يؤتى ثماره اليانعة فى القريب العاجل إن شاء الله . وإنه لمن الظلم أن تظل هذه الجنود تتمتع بالأحياء الجميلة النظيفة فى المدينة وتستنفد خير الأطعمة . وتستولى على جميع ما تصل إليه من طيبات الرزق ، بينما يحرم من هذا كله أهل المدينة والقاطنون فيها ، فتتلظى نفوسهم غيظا ، وتتميز كدا وحقدا على هؤلاء الدخلاء الذين ينتزعون خير أقواتهم ، وأطيب أرزاقهم ، ويغزوهم فى مساكنهم ، حيث استأثر الإنجليز بأحياء خاصة ، ثم طغى منذ شهور سيلهم الجارف ، وتدفقوا فى منطقة القنال زرافات زرافات ، حتى ضاقت بهم مناطقهم العسكرية فى منطقة القناة ؛ كما ضاقت بهم مدينتهم الكبيرة الجميلة المنسقة ، التى بنتها لهم القيادة العامة على أحدث طراز إنجليزى ، حتى لتتشابه

البيوت إلى حد كبير، والتي تقع في الجنوب الغربي من الإسماعيلية.. أجل ضاقت بهم هذه الأماكن كلها فنزحوا إلى الأحياء الوطنية ، وزحفوا عليها زحف العقارب الشائلة ، والوحوش الضارية ، وسكنوا في عمارها الجديدة النظيفة ، كما نزح إلى هذه الأحياء كثير من الأجانب من اليونانيين والأرمن ، وغير هؤلاء بقصد الربح والكسب، تاركين مساكنهم في الحي الأجنبي للانجليز نظير مبالغ كبيرة من المال ، إما بصفة (خلو رجل) أو عن طريق الإيجار من الباطن ، فيترك الواحد منهم مسكنه النظيف الذي يسكن فيه نظير إيجار شهري قديم لا يزيد عن خمسة جنيهات لشقة متوسطة ، مكونة من ثلاث حجرات مثلا ، بعد أن يؤجرها للجنود الإنجليز نظير ثلاثين جنيها على الأقل بواقع عشرة جنيهات للغرفة الواحدة ، ويؤجر هو في الحي العربي شقة تماثلها بعشرة جنيهات . فيكون ربحه من هذا خمسة عشر جنيها ، دون أن يبذل في ذلك أي جهد ، أو تسعى له قدم .. !!

على هذا المنوال تسير الحياة في الإسماعيلية فتنكمش على الدوام مساكن المصريين الوطنيين ، وتنمو مساكن الإنجليز باستمرار ، حتى في هذه الأيام التي ارتفعت فيها العاطفة الوطنية، والتي استمدت فيها النفوس للثورة القومية ، والجهاد النبيل، والتي كاد يخمده زعماؤنا بتعلقهم بالوعود البريطانية الخلابة ، فلا يزالون يثقون بهؤلاء الخونة الأنذال ، وكأنهم لا يزالون يجربون مع طول التجارب المريرة السابقة ..!!

وليس من الغريب أن ترى أسرة إنجليزية صغيرة تعيش في دكان صغير ليس فيه دورة مياه ، ولم يعد ليكون مسكنا لشخص أو عدة أشخاص . . إي والله لقد رأيت هذا المنظر الغريب العجيب في حي جميل من أحياء الإسماعيلية .. وليس من الغريب كذلك أن ترى الأسر الكثيرة تسكن بيوتا من الطين لا تختلف في قليل أو كثير عن بقية بيوت الفلاحين المصريين التي حولها . . وليس بعجيب أن تمتلئ الفنادق الأفرنجية في المدينة كلها بعائلات الجنود الإنجليز ، فتعيش العائلة في حجرة صغيرة أعدت في الأصل ليكون بها شخص واحد أو شخصان ، كما أن بعض الفنادق المصرية قد اكتظ بهذا النوع من الوجوه الكالحة ، حتى أن من العسير أن يجد المسافر مكانا في فندق يبيت فيه ليلة أو بضع ليال .. !!

أجل ليس من الغريب أن ترى هذه المناظر . ولكن كلمة الحق التي يجب أن نسجلها في هذا المكان ، هي أن النظافة تشيع في كل مكان يقطن فيه هؤلاء ، كما يسوده النظام والهدوء ، حتى في تلك الأماكن المتناثرة في أنحاء الأحياء الوطنية ، بحيث يخيل إلى أن المصريين لو انتقلوا جميعا إلى الأحياء الأجنبية النظيفة ، وانتقل الأجانب إلى الأحياء الوطنية القذرة ، لعمت الفوضى بعد أيام في الأحياء الأولى ، ولساد النظام والنظافة والهدوء والسكينة في الأحياء الأخرى . !

ومهما يكن من شئ فإن كل إسماعيلي يشعر من أعماق نفسه بكراهية عجيبة لهؤلاء الغاصبين . ويرى فيهم العدو اللدود لبلاده ، سواء في ذلك الذين يستفيدون من الإنجليز بالعمل في معسكراتهم ، أو الذين يتعاملون معهم بغير ذلك من أنواع المعاملات . وهي كثيرة في الإسماعيلية ، حيث يوردون لهم اللحوم والخضر والفاكهة والألبان وغير ذلك ، ويبنون لهم المساكن ويشيدون العمائر الضخمة الكبيرة ، التي تضارع في ضخامتها وعظمتها عمائر القاهرة . .

وإن الأمل لكبير في أن تسيطر الوطنية المصرية على هؤلاء الإسماعيليين الذين تربطهم بالإنجليز صلات المادة ، وتتغلب عليهم روح التضحية الخالصة ، فيلبي كل منهم نداء الواجب المقدس ، ويفصم ما بينه وبين هؤلاء من عرى وثيقة، وصلات قوية، مهما بلغت أرباحه المادية

ولكن المخلص تتغلب عليه ناحية التشاؤم حينما يتصل من قريب بهؤلاء الذين يتعاملون مع الإنجليز من غير أبناء الإسماعيلية الخلص ، وأعني بهم أولئك الذين نزحوا من الصعيد لا يملكون شيئا ، فأصبحوا بعد أعوام قلائل أثرياء أغنياء ، لا تعرف كيف وصل إليهم المال ، وأي الطرق سلكوا حتى أصبحوا يشار إليهم بالبنان في كل مكان . . أعني بهم هؤلاء الذين تغص بهم العربات الخاصة (البولمان) في قطر السكك الحديدية ، وتضيق الشوارع

في مدينة الإسماعيلية بسياراتهم الفارهة التي لا تكاد تسمع لها صوتاً حينما تسير . هؤلاء الذين يرتدون في الغالب الجلباب البلدي المصنوع من الصوف الجميل ، و (الطاقية) الوبر الناعمة ، الغالية الثمن، عليها (شال) ناصع البياض، وتتكون منهما عمامة لا أثر للذوق فيها ، ولا تصيب للوقار منها . . ويلفت نظرك خواتم كبيرة ذهبية في أصابع اليدين ، منها الكبير والصغير ، والفصوص الحمر والزرق ، وتعجب لما بين ذلك كله من تنافر ، مع ارتفاع قيمتها ، وغلو ثمنها ، ولكنه المال الزيف الذي يتدفق على هؤلاء من خزائن الإنجليز فيملأ منهم الجيوب ، ويخرب الضمائر ، ويفرغ العقول . !

إن قطع علاقاتنا بالإنجليز يوم أن يتم إلغاء المعاهدة اختبار للبطولة الوطنية ، وامتحان للقومية المصرية ، ويوم ذاك تبارك مصر كل من يفهم كنه هذا القرار ، ويدرك حقيقة ذاك الاتجاه ، وينفض يده من ذلك الوباء الماحق ، والشر المبير ، ويحاول سحق هذه القوة الغاشمة ، والقدرة الصائلة الطاغية ، التي نعدها نحن بمقومات حياتها . . وتبارك هذا النوع من أبنائها ، وتلعن كل من أعرض عن نداء الواجب . ولم يصخ لصوت الضمير ، ونداء الوطنية العادل . .

وإن في إمكاننا وحدنا أن نقطع شرايين الإنجليز ونحبسهم في حيز ضيق لا يستطيعون منه فكاكا ، ونكرههم على الفرار من وادي النيل كله ، وذلك حين نقطع ما بيننا وبينهم من صلات وعلاقات ، فلا نطعمهم ولا نسقيهم ولا نتعاون معهم ولا نسكنهم ولا نشتري بضائعهم ، وننظر إليهم نظرة احتقار وازدراء ، ونعامل من يتعاون معهم معاملة الخائن لوطنه ، ونضيق عليهم الحصار حيث يثقفون . !

ولقد علمتنا الحوادث أن الإنجليز لا يجدي معهم الأخذ والرد ، والجدل والنقاش ، والمباحثات والمعاهدات ، فذلك باب أتقنوه ، وبرعوا في سياسة اللف والدوران ، وسياسة كسب الوقت . . وإنما تغلبهم القوة القاهرة ، ويخضعهم العزم الصارم ، ويذلهم التصميم الحازم ، ولقد عرفت إيران كيف تصفع الإنجليز صفعة هزت كيانها ، وزلزلت بنيانها ، وحطمت أعصابها ، وأكرهتها على الخضوع لرغبات الإيرانيين الأبطال . . فمتى نفهم هذه الحقائق ونعلم أن تحقيق الأمل ، ونيل الأماني، هو بالكفاح والنضال ، وندرك أنه لا قيمة لما يتشدق به الزعماء الآن من أقوال مجلجلة ، وتصريحات جريئة ، وخطب رنانة طنانة ، وهتافات مدوية ، وتصفيق حاد . . فمتى أدركنا ذلك أمكننا أن نقضي على هؤلاء الغاصبين ، وأن نتخلص من شرهم ، وأن تختفي من منطقة القناة هذه الوجوه الكالحة ، كما اختفت من قبل من القاهرة والإسكندرية

عبد الحفيظ أبو السعود

الدكتور لوتس

بمناسبة ذكراه :

١٨٦٧ — ١٩٣١

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

كان الدكتور لوتس عالما من علماء التناسليات في المقام الأول ، فقد كان عالما مجربا في عالم التناسليات والنباتات وانتقال الصفات من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر . وقد نظر الدكتور « لوتس » فرأى بثاقب فكره وبعد نظره ، أن مصر ذات الجو الدافئ والسماء الصافية والشمس المشرقة ، تحقق له ما يصبو إليه من بحث في التناسليات وتتيح له فرصا لا تتوفر له في غيرها من بلاد العالم . ولذلك كثيرا ما أبدى رغبة شديدة في إنشاء منصب أستاذ في كلية العلوم ، لعلم التناسليات ، وأنه يجب أن تلحق بعمل هذا المنصب حدائق للتجارب العملية فقد قال :

« إن إنشاء منصب أستاذ لعلم التناسليات في كلية العلوم لمن أعظم الأعمال في مصر البلد الزراعي ، وذا خطر عظيم في تقدم مصر وتقدم العلم في العالم أجمع »

* * *

ولد جون بول لوتس سنة ١٨٦٧ من أسرة هولندية معروفة ، ولما بلغ مبلغ الصبيان التحق بمدارسها ، وكان في أثناء ذلك يبدي اهتماما زائدا بفصائل النباتات وأنواعها ، ويحاول معرفة كل شئ عنها . فلما أتم دراسته ولى وجهه شطر ألمانيا ليشبع رغبته في دراسة علم النبات ، وهناك في مدينة « ستراسبورج » توجه نحو أعظم أساتذة علماء النبات ، للتتلمذ عليهم وعلى رأسهم العالمان « ولنباخ » و « لدوباري » وبعد دراسات طويلة وأبحاث كثيرة ، رحل إلى جاوة ليتوفر هناك على درس النباتات الكثيرة ؛ وخاصة نباتي « الجنيتوم » والطفيلي المعروف « بالأنوفورا » في الدور الجنيني . حتى إذا انتهى من أبحاثه هناك عاد إلى هولندا ، فعين مدرسا لعلم النبات في جامعة ليدن ، ونظرا لجهوده وأبحاثه عين سكرتيرا عاما لأكاديمية العلوم الهولندية

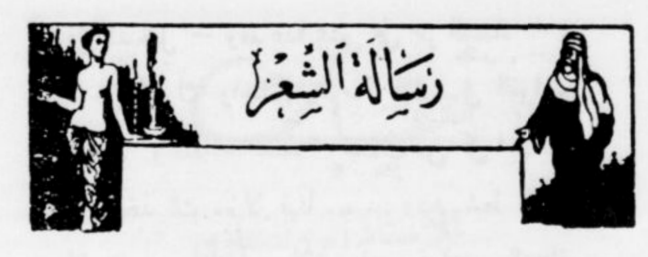
ولكنه في سنة ١٩١١ استقال من منصبه ، وأنشأ في بلدة « قلب » حديقة ومحطة للأبحاث والتجارب في علم تناسل النباتات ، وكان غرضه إتمام أبحاث العالم « مندل » وتحقيقها ، وما زال يواصل الليل بالنهار مجدا مكافحا في البحث والتنقيب حتى بلغ فيه مقاما علميا عاليا ، وقد أنشأ لذلك مجلة سماها « جنتيكا » أي التناسليات

ولم يكتف بذلك بل دفعه حبه البحث والوصول إلى الجديد من الآراء إلى تحمل المشاق وتجشم الأسفار والاغتراب عن وطنه ، فزار إفريقية الجنوبية وزيلندا الجديدة واستراليا ، ليدرس الأحوال التي تنشأ فيها النباتات المهجنة في الطبيعة ، ثم زار إيطاليا في ربيع سنة ١٩٣١ لإتمام بحثه عن نبات « مهجنات البرميولا » وهو من النباتات التي تنبت في الربيع ، وهناك قضى نحو شهرين أتم فيهما عمله الذي بدأه قبل ذلك بسنوات في منطقة البحيرات الإيطالية

* * *

لقد كان الدكتور لوتس وافر النشاط خصب الإنتاج يسعى بجهد متواصل لا يكل ولا يسأم ، لا تثنيه الصعاب ولا تعوقه العقبات في سبيل ما يسعى إليه وتحقيق ما يريد . فإذا تجاوزنا عن مؤلفاته العلمية والفنية وجدنا له مؤلفات أخرى ذات قيمة عظيمة في دراسة تناسل النباتات منها : (النشوء) وهو كتاب دون فيه آراءه الخاصة ، و « تاريخ نشوء المملكة النباتية » وهو مؤلف عظيم اشتمل على دراسة تسلسلية للنباتات وتطورها ، وكتاب « نظريات التسلسل » وقد ضم فيه محاضراته وغيرها . وقد كانت كتبه موضوعا للبحث والمناقشة ؛ وذلك لأن العلماء كانوا يجدون فيها مجالا للبحث والإنتاج لما كان لصاحبها من ملكة نقادة

وقد ظل عدة سنوات يحرر مجلة (سنترابلات) ويبسط فيها آراءه الخاصة ونتائج أبحاثه الكثيرة ، وقد بلغ لوتس مقاما علميا عظيما فكان يدعى إلى كل المؤتمرات النباتية الدولية ، وتهافتت



من صوت الشعراء :

على طلقات المدافع

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

توجه أستاذ فاضل فى العدد (٩٠٩) من الرسالة الغراء بنداء إلى أربعة من الشعراء ذكر أسماءهم، وذكرنى فى عدادهم، وكان نداؤه قويا مجلجلا لأنه ظن — سامحه الله أننا نحن الشعراء نعيش فى المريخ . فقد لا نسمع نداءه ما دمنا لم نسمع أصوات الشهداء فى « القنال »

والحق أن الشعراء قد سمعوا أبناء القناة مجرة محررة .. حتى لقد كاد السأم من العبارات والخطب، والمقالات والكتب يزهدهم فى قيمة الكلام . فنحن اليوم إلى سلاح صوال، أحوج منا إلى لسان قوال . .

إن الشعراء يعيشون بينكم — أيها اللائمون — ويحسون بمثل ما تحسون وبأكثر مما تحسون ... ولكنى أرجو أن تحمد فى أمتنا الأفعال .. لا الأقوال

فى ؟ متى يارب ترى العمل الجدى قد بدأ ؟ ونحن حينئذ نكون فى طليعة الصفوف، وفى وسط الحتوف؟

أيها اللائم أسرفت الملاما ! وتجنيت على الشعر اتهاما !
رب صمت ملأ النفس لظى ساعة الجد، وإذ كانا ضراما
قد شبعنا يا أخى فيكم نداء وشبعتم يا أخى فيكم كلاما ..
وحسبناكم سئمتم خطبا وشبعتم بالعبارات هياما .. !
ما الذى يصنعه الشعر إذا لم يجد رمحا، ولم يلق حساما !
هذه الأقوال لا تحمى شهيدا من ضحايا الحق، أو تشفى أواما
أطلقوا المدفع . . . لا حنجرة وارجموا السيف فى الحق احتكاما

* * *

إننا نقدر أن نتحفكم بالقوافى تملأ الصحف ازدحاما !
إننا نقدر أن نتحفكم بالنشيد الحلو فردا، وتؤاما !
أترى نقدر أن نسمعكم بصليل يملأ الجو اهتزاما ؟
أترى نقدر أن نسمعكم بالذى يقطع أوصالا وهاما ؟
خبرونا اليوم ما موقفنا أحروبا قد أردنا أم سلاما ؟
كل يوم صفحة مخزية فعلام الصبر ياقومى علاما ؟
لا يرد الشر إلا مثله فادفعوا الشر، وردوه كراما

* * *

لا تردوا عنكمو غدر الأعادى بالعبارات نثارا ونظاما ...
الكلام اليوم لا يحمى حقوقا والبيان اليوم لا يرعى ذماما ..
أطلقوا المدفع من معقله واملأوا الجو دخانا وقتاما

على طلبه الجامعات الكبيرة فى مختلف أنحاء البلاد ، فسافر إلى الولايات المتحدة وزيلندا الجديدة واستراليا وجنوب أفريقيا ثم انتهى إلى مصر.. ومن خصائصه أنه كان لغويا بارعا ناضج الفكر، ومحدثا لبقا حاضر البديهة.. يحفظ عددا من النوادر التى جمعها من رحلاته الكثيرة . وكان يروى ما شاهد فى رحلاته بطريقة شائقة جذابة يظهر فيها الظرف والسخرية من الحياة

وأضاف الدكتور لوتس إلى عالم التناسليات مذهبا يقول بأن أنواعا جديدة تنشأ من مناسلة الأشكال المعتمة ، لأنها إذا تناسلت اجتمعت منها مجموعات مختلفة الصفات عن النسل الأول ، وهذه المجموعات لا تلبث أن تنفصل وتبدو فى أشكال جديدة مميزة ، وعلى هذا الأساس تنوعت النباتات وغيرها فى الزمن الماضى وفى الحاضر وستتنوع فى المستقبل

* * *

وفى ١٧ نوفبر سنة ١٩٣١ أذيع نبأ وفاته ، فكان له وقع أليم فى دوائر مصر العلمية .. لأنه كان إلى شهر إبريل من تلك السنة يقوم بعمله فى جامعة فؤاد الأول كأستاذ زائر لعلم التناسليات على أحسن وجه

وقد كان لكرم خلقه أثر كبير فى إحكام أواصر الصداقة بينه وبين كثيرين من أبناء البلاد المهتمين بالتقدم العلمى ؛ ورغم قصر المدة التى قضاها فى مصر فإن اهتمامه بالمسائل النباتية الخاصة بمصر كان ذا أثر عظيم فى هذا الميدان

أسيوط عبد الموجود عبد الحافظ

(القناة) اليوم من روعها بالخطوب السود غدرا وانتقاما ؟
أطلق الغاصب فيها طبعه كوحوش الغاب فرسا واهتضاما
ملأوا بالسلم أشداقهمو ثم راحوا يستفزون السلاما
منطق تفضحه أفعالهم كشف الصدق عن الزور اللثاما

* * *

مهج الأحرار سالت أنهرا وعلى الصحراء قد طافت غماما
شهداء الحق في موكبه والبواكير إلى الله اختصاما
في (القناة) اليوم أجسام تهاوى وعلى الضفة فيها تترامى
صرعتها كف جبار تنامى أمسه المملوء خزيا وانهزاما ...
اسألوا «طبرق» عن أبطالها ! شهدت كثبانها منهم نماما !.

* * *

القناة اليوم صارت صفحة لمخازيكم ، وللشعب وساما
إن صوت الحق قد أفقدكم جانب الإنسان رفقا واحتشاما
قد سمعنا وعدكم سبعين عاما فاسمعوا تصميمنا - ياقوم - عاما

محمد عبد الغني حسن

زكرى ١٣ نوفمبر :

يوم الجهـــاد

للأستاذ على متولى صلاح

في صبحك الضاحي صحا الوسنان من طول السبات
وغرد العاني الأسير على الشكيمة والمصاة
وتأجج الحقد الدفين على القراصنة الغزاة
شبت ضرامات الجها د فألهبت ظهر الطغاة
وتسعرت نار على الشطين تأكل كل عات
وغدت أناشيد الرعاة زئير آساد الفلاة
... فترنح العادي الأثيم وخر مفلول الشباة
بوركت يا يوم الجهاد الر . . . . يا بدء الحياة

* * *

قل للدخيل - وقد غدا يمشي على جمر الغضاة - :
ارحل لدارك واغتنمها فرصة قبل الفوات
اذهب وخلفك لعنة تنصب من كل الجهات
لا تتخذ لك منزلا فينا . . . . ودع شط القناة
لا تلتمس أمناً ولا ترفع قواعد للنجاة
لا ترس آساساً ولا تحلم بهذي الترهات ! !
قسماً نزلزلها . : . وإن تك كالجبال الراسيات . .

على متولى صلاح

الى روح أمي :

الظل المنحسر

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

(الأم هي واهبة الحياة بعد الله ؛ فاذا فقدها أصحاب الشعور أصبحت حياتهم أقباسا من وهج اللوعة ، وفنونا من عبقرية الألم ، وخريفا لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس . . كلمات تجد أصدق التعبير عنها في هذه الأبيات)

ذهب الظل الذي كان هنا نعمة من رحمة الله بنا
ذهب الظل وعمري لم يزل ظاعنا يشكو الصدى والوهنا
طاويا في كل يوم رحلة تنشر الغيب وتطوي الزمنا
الوداع المر أسقاه بها وأنا أقتات منها الحزنا
كم عزيز في ثناياها مضى كان دمعي غسله والكفنا !
الصحارى الصفر حولي قصة أنا أدرى منتهاها المحزنا
مد راويها مداها ، ولقد أرهق النفس وأوهى الأذنا
ملها السمار حتى انتبهوا ونداء الفجر فيهم أعلنا . . .
ما مسيري في طريق عبرت تربه قبلي دهور ودنى !
فنيت من قبل أن تدركه وخبا في ليلها كل سنا
أنظر الأشباح فيه ذرة من هباء في فضاء شحنا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

محنة الأخلاق فى الجامعة :

« بين عينيك دفء عطره أريج الشهوة الفاغم ، فمن لى باسترواحه !

أيامى مطيرة ، والثلج الناصع يجلل الصنوبر ويزحف من القمم إلى مشارف الوادى ، وليس ينمو غير الوحشة من حولى فأين منى الآن تلك الحرارة المشبوبة بين نهديك ؟!

وحنايا عطفيك وردفيك ، بين اختلاج اللمسة الحائرة وانكسار عينك اللعوب ، نفسى الفداء لمن يهنى رنوا إليها واستمتاعا بها !

أتلمس فى الوردة المجللة بأنداء الفجر ، خديك الناعمين يوم الوداع المشئوم ترف عليهما الدموع من نوافذ القطار ، وفى الحسون المستضحى على أفنان الصفصاف الجاف ، بدنى المنهوك وقد ارتمى متناعسا على صدرك العامر متدثرا بشورك الزاهية المسترسلة ، أيتها الشقراء !

وفى الصخرتين الذهبيتين النافرتين النائتين فى صدر اليم ، نهديك المنطلقين بنداء الأنوثة الخالدة فى صمت صارخ . ولقد قيل عن هاتين الصخرتين إنهما تغريان العشق الخائب بالانفلات من طريق الحياة ، وكم أتمنى أنا لو انتحرت بين نهديك !

طعم الحلال تعافه نفسى ، وعلى شاطىء الحرام ألقيت مرسانى !

نعتونى بالحماقة ، وفى الحماقة وجدت عقلى !

وصفونى بالضلال ، وفى الضلال تلمست هداى !

تناول الناس من قربانى ، وأنا عند نفسى دنس الأدناس ، فقدس الأقداس عند الناس هو عندى دنس الأدناس !

أنا موحد ، وفى توحيدى حيوية الوثنية !

لست أجنى من ثراه ثمرا ... غير كد وشجون وضنى !
رحلتى طالت ، وطالت غربتى ... فمتى يا روح ألقى الوطنا ؟!
كان لى ظل إذا اشتد اللظى ... آوت الروح إليه حُننا . . .
كان لى ظل إذا امتد الدجى ... وجد القلب لديه المأمنا
كان لى ظل إذا عاصفة ... زمجرت أسمعنى لحن المنى
كان لى ظل إذا اليأس طغى ... ردني بعد ضلالى مؤمنا
ذهب الظل فلا مأوى هنا ... لغريب ليس يدرى السكنا
الهجير المستبد استعرت ... ناره تشوى وهبت ألسنا
وأنا تلفحنى النار ولا ... أجد الظل الذى كان هنا
حائر الطرف ، أدارى حيرتى ... بالسكون الجهم حتى تسكنا
وأرى موكب ليلى زاحفا ... أسود الجبهة يطوى الحزنا
قاسيا يقصف فى خطوته ... كل عود كان مأمول الجنى
موحشا تزحف فى ظلمته ... أرجل الوهم فلاظا خشنا
عابسا أوشك من سحنته ... أن أراه ناقما مضطغنا
غارت الأنجم إلا خادعا ... حير العقل وأعشى الأعينا
عبد الناس حياة ضلة ... وأنا أجحد هذا الوثنا
حيرة طالت على أصحابها ... كل من فيها ينادى : من أنا ؟
ذهب الآمل فيها يائسا ... وذوى المأمول فيها وانحنى
يهدم اليوم وفى سخرية ... ما أقام الأمس فيها وبنى !
ذهب الظل ولما أسترح ... من عناء السير إلا موهنا
ذهب الظل إلى بارئه ... فقضت أمى وودعت التى
جنتى كانت . . ولكن ذهبت ... من أمامى مثلما يخبو السنا
لم تكن إلا جفونا أغمضت ، ... ورؤى قرت ، وروحا سكنا . .
ثروة كانت .. وما أغبننى ... فى تراب الأرض واريت الغنى !
لم يعد أغلى عندى من ثرى ... دفنت فيه أحبائى هنا ...

حسن كامل الصيرفى

بل أنا وثنى ، وفى وثنيتى صفاء التوحيد !

توحيدى حرية الخالق بإزاء المخلوق ، أما غيرى فتوحيده عبودية المخلوق للخالق ، والخالق والمخلوق سواء !

وثنيتى تقدس اللمس ، وتفزع من طغيان البصر !

وثنيتى تمجد الجسد ، وتهزأ بدعوى الروح !

أجل ، فى كيانى عصارة حياة لن أبتاع بها كوثر الأوهام» !

* * *

هذه الكلمات « النظيفة » يوجهها أستاذ جامعى « فاضل » إلى حبيبته ، أو إلى عشيقته . وأنقلها إليك من آخر كتاب أصدره الأستاذ « الفاضل » الذى يشغل كرسى الأستاذية « الموقر » فى جامعة إبراهيم ، ويشرف بمثل هذه الأخلاق « العالية » على تربية جيل من الشبان والفتيات . . الفتيات اللاتى دفع بهن الآباء إلى الجامعة ، وتركوهن وديعة بين يدى الأستاذ « الجليل » !

إن القلم ليتعثر فى يدى وأنا أنقل إليك مثل تلك الكلمات المخزية المخجلة ، الداعرة الفاجرة ، الهابطة الساقطة ، التى تتمرغ فى الوحل وتستقر فى الحضيض .. وما كنت أحب والله أن ألطخ بمثل تلك الكلمات صفحات الرسالة ولكنه الحرص على سمعة الجامعة ؛ ولهذا نقلت كلمات الأستاذ « الفاضل » لأقدمها مع الأسى والأسف إلى معالى وزير المعارف ، وإلى مدير جامعة إبراهيم ، وإلى عميد كلية الآداب بتلك الجامعة ، وإلى الآباء الذين تركوا فتياتهم كما قلت وديعة بين يدى هذا الأستاذ الذى يصور للناس طبيعة تكوينه الخلقى والنفسى فى صفحات كتاب !

إننى أقرأ مثل تلك الكلمات وما هو أكثر منها هبوطا ومع ذلك لا أعترض ؛ لا أعترض على أصحابها لأنهم ليسوا أساتذة فى الجامعة .. إن الأستاذ الجامعى بحكم منصبه وطبيعة مكانه مسئول عن تقويم الأخلاق وتهذيب المشاعر ، قبل أن يكون مسئولا عن تثقيف العقول وتوجيه الأذهان . وهو بعد ذلك يجب أن يكون مثلا طيبا وقدوة حسنة لجيل يترسم الخطى ويقتفى الأثر وهو على أهبة الخروج إلى الحياة ، خطى المشرفين عليه وأثر الموجهين له من الناحية الخلقية قبل الناحية العقلية !

ماذا يكون شعور جيل من الطلبة والطالبات نحو هذا الأستاذ الجامعى ؟ وماذا تكون نظرته إليه وتأثره به ، إذا كان هذا الأستاذ ينسى واجبه ومسئوليته ، ويتخلى عن حيائه ووقاره ، ويهبط فى تصوير خواطره ومشاعره إلى مستوى السوقة أو مستوى الصبية المراهقين ؟ ! وماذا يقول مدير جامعة إبراهيم وعميد كلية الآداب بتلك الجامعة ، ماذا يقول كل منهما للآباء والقراء عن هذا الأستاذ « المراهق » الذى يريد أن يستمتع بالأعطاف والأرداف ، ويحب أن يستروح أريج الشهوة الفاغم ، ويود أن ينتحر بين النهود ، وتعاف نفسه طعم الحلال وتشتهى طعم الحرام ، ويرى الناس بأن قيمهم المقدسة هى عنده قيم مدنسة ، لأنه يستشعر الدنس فى أعماق ذاته ويعترف به فى غير حياء ، ثم ينتهى إلى أن الخالق والمخلوق فى نظره سواء ؟ !

إننى أود أن يتفضل أحدهم فيقنعنى بأنه لا ضير على الجامعة من أن يكون فيها أساتذة من هذا الطراز ؛ يخرجون كتبا من هذا الطراز ، ويشرفون على توجيه جيل يواجه الحياة بسلاح الخلق قبل أن يواجهها بسلاح العلم ليطمئن إلى المصير ..

أود أن يقنعنى مدير جامعة إبراهيم أو عميد كلية الآداب بأن السمعة الخلقية للجامعة لا يمكن أن ينال منها أستاذ كالدكتور عبد الرحمن بدوى ، وأن السمعة العلمية لا خوف عليها من كتاب ككتابه « الحور والنور » !.. هذا إذا لم تكن هذه السمعة قد اهتزت بعد فضيحة « الإرشارات الإلهية » ! !

شعراء فى الميزان :

لقد ظهر فى عالم الأدب كتابك الأول يحمل بين دفتيه ألوانا من الفن ، وأقباسا من العلم ، وأفانين من الأدب اللباب . ولقد قرأت فاستمتعت ، وفكرت فاقتنعت ، وأحسست فمشت بين النجوم لحظات . أعيدها كلما دفعنى القلب ، وحنت يداى إلى عناق الكتاب ، وطالما سرت معك فى كتابك جنبا إلى جنب ، ويدا فى يد ، وروحا مع روح ، غير أنك فى نهاية الطريق تركتنى لأسير وحدى فى طريق آخر ، وإن كنت ما أزال أراك !

هناك حيث تحدثت عن «وميض الأدب بين غيوم السياسة» لإبراهيم دسوقي أباظه باشا ، وهناك حيث امتد الحديث إلى الشاعر محمود غنيم .. لقد أنكرت شاعرية هذا الشاعر وأسرفت في الإنكار مما دفع بي لأن أقول لك : شيئاً من الرفق ليجمل النقد ، وكثيراً من العدل ليستقيم الميزان ! ترى هل يكون ذلك بعض الشرر من ثورتك المندلعة على « وميض الأدب » ؟ أم هو عدم ارتياحك لشاعر يخالف مذهبك في « الأداء النفسي » ؟ إنني آمل أن تضع الشاعر في مكانه من شعراء العصر ، وأن تضع شعره في مكانه من موازين النقد

مليج منوفية — مصطفى محمود أحمد

أشكر للأديب الفاضل جميل رأيه في الكتاب وحسن ظنه بمؤلفه ، وأشكره مرة أخرى أو أشكر القراء في شخصه لإقبالهم على كتابي الأول هذا الإقبال الذي قلت عنه مرة إنه أخجل القلم في يدي ، القلم الذي ظلمهم يوماً حين نعتهم بأنهم لا يقرأون .. بعد هذا أبادر فأقول له : إن رأيي في الشاعر محمود غنيم ليس بعض الشرر من ثورتي المندلعة على « وميض الأدب » ، لأنه رأي قديم يسبق ظهور هذا الكتاب الذي هيأ له الفرصة لأطلع به على جمهرة القراء ! وإذا كان هذا هو رأيي في شعر الأستاذ غنيم ، فأود أن أؤكد للأديب الفاضل أنني لن أتحول عنه في يوم من الأيام إلا إذا تحول هذا الشاعر عن فهمه لحقيقة الشعر ، واستطاع على هدى هذا الفهم أن يسير في ركب الشعراء المحلقين . . ولقد كفاني الأديب صاحب الرسالة مشقة التفسير والتبرير ، حين أصاب الهدف في الشق الأخير من سؤاله وأشار إلى مذهب الأداء النفسي تلك الإشارة التي تحمل بين طياتها الجواب !

وما دمنا ندور حول هذا الأداء في الشعر وننكر كل ما عداه ، فمن الطبيعي أن نعترف بشعراء من طراز علي محمود طه وإيليا أبي ماضي ومحمود حسن إسماعيل ؛ وألا نقيم وزناً لغيرهم .. لأن ممن يرى أن الشعر كل « كلام » مقفى وموزون !

هذا رأي أقدمه خالصاً لوجه الله والفن ، وإن القراء ليعرفون أنني لا أتحامل على الخصم ولا أجامل الصديق ، بل ما أكثر الأصدقاء الذين أغضبهم رأيي في أدبهم فضنوا على بودهم وانتقلوا إلى معسكر الخصوم . . ومع ذلك فأنا كما قلت غير مرة لا أحب أن أتحكم في أذواق الناس ، لأنه لا يدهشني أن يوجد مثلاً من يفضل محمود غنيم على أمير الشعراء ؛ بعد أن فضل عليه الرصافي فريق من الناس يجيد النكتة كما يجيدها بعض الظرفاء !

أنور المعداوي



مسمار جحا

رد على تعقيب

للاستاذ أنور فتح الله

في العدد الماضي من الرسالة ، تفضل الصديق الكريم الأستاذ على أحمد باكثير بالتعقيب على نقدنا لمسرحيته « مسمار جحا » المنشور في العدد رقم ٩٥٧

ونحن إذ نشكره على اهتمامه بالتعقيب على النقد ، سنتناول التعقيب بالرد ، لنوضح رأينا في القضايا الفنية التي أثارها

... استهل المؤلف تعقيبه بالرد على المأخذ الأول ، الخاص بإذاعة سر مؤامرة جحا وحماد قبل عرض قضية المسمار ؛ فاتفق معنا على أن إخفاء المؤامرة يقوى عنصر التشويق .. وخالفنا في أن كشف المؤامرة قد أضاع الأثر القوى لهذا المشهد ، لأنه يرى أن كيفية تنفيذ المؤامرة وما فيها من جدة وطرافة لا يؤثر معها انكشاف المؤامرة في خطوطها الأولى ...

.. وجوابنا على ذلك أن هذا المنطق يستقيم لو أن المؤامرة أحبطت ولم تنفذ ، إذن لما كان هناك قضاء على عنصر التشويق . أما والمؤامرة قد نفذت من خطوطها الرئيسية ، فإن الكشف عنها قد قضى على التشويق في أهم أحداث المسرحية ، وأضاع الأثر النفسي لهذا الحادث ، ولا تغنى الجدة والطرافة شيئاً في هذه الحالة لأنها ليست بذات أهمية بالنسبة لهذا الحادث الرئيسي .. بل إن في الكشف من هذه المؤامرة قضاء على الرمزية في مشهد قضية المسمار ، فأصبح مباشراً وفقد بذلك مضمونه الرمزي . فبدلا من أن يترك الشاهد يتبين نفسه ، ويلمس قضيته من خلال المشهد الرمزي ، جاء المؤلف بمرآة صريحة وقال له « أنظر في هذه المرآة لترى وجهك » . وكنا نرجو أن يبدو مشهد المؤامرة على المسرح ، في نفس الصورة المطبوعة من المسرحية ، إذ لا فرق في البناء المسرحي بين المسرحية المعروضة والمسرحية المطبوعة ، فعنصر التشويق يجب أن يتوفر في كل منها

وقد رد المؤلف على المأخذ الثاني ، الخاص بدخول امرأة جحا في مشهد القضية فقال .. إن دخولها كان أساسيا .. لأنها طرف ثالث في النزاع ، وأنها لا يعنيها هدف زوجها القومي .. وأن ذلك يجلو جانبا من شخصيتي جحا وامرأته وهو عدم استحيائهما من كشف دخائل بيتهما .. وإن دخول أم الغصن قد تم في خلاله تحول غانم من التشدد إلى التسامح عندما رشاه الحاكم .. وسنحاول الرد على هذه الأسباب الأربعة .

أما السببان الأولان فلا ضرورة لهما لأن المؤلف أغنى الشاهد عن التساؤل عن موقف أم الغصن بعد خروجها من الدار .. وأبرزها في الصورة التي أرادها لها في نهاية المنظر الثالث عندما أرادت طرد حماد من الدار فأجابها بأنه لن يخرج من داره .. وكذلك في أول المنظر السادس عندما جعلها تلعن حمادا لأنه كان السبب في إخراجها من الدار .. أما من حيث جلاء ذلك الجانب من شخصيتي جحا وأم الغصن فكان في مقدور المؤلف إبراز ذلك في غير مشهد القضية .. ومن حيث تحول غانم بعد ما رشاه الحاكم فكان من السهل إبراز ذلك في صورة أوضح ودون حاجة إلى دخول أم الغصن .. وذلك بأن ينتحى الحاكم بغانم في أحد جوانب المسرح ويسر إليه ببضع كلمات .. وإذن ، فلم تكن هناك ضرورة لدخول أم الغصن في مشهد القضية . وليس من شك في أن دخولها لم يحبس الأثر النفسي مؤقتا عن صعوده — كما يقول المؤلف — بل إنه قضى عليه لتحول انتباه الشاهد ونفوره من هذه المرأة الثقيلة الظل

.. أما قول المؤلف بأن العرض على المسرح قد جاء مصدقاً

لوجهة نظره ؛ لجوابنا عليه ، أننا إنما استقينا وجهة نظرنا هذه من العرض على المسرح ، فسجلنا الأثر الذى انطبع فى النفس ؛ وأعتقد أن نظرة النـاقد أكثر تجرداً من نظرة المؤلف ، لأنه إنما ينظر إلى عمله الفنى كقطعة منه ، عزيزة عليه !

... وفيما يختص بالمأخذ الثالث الخاص بمشهد السجن ، وما أخذناه عليـه من طول ، وتحول فى الحوار من الرمزية إلى المباشرة الخ . . فقد قال المؤلف إنه لم يعد للرمزية مكان فيه بعـد ما صار الصراع بين جحا والحاكم صريحا ، وإنه احتفظ بقدر كبير من رمزية التعبير . . ونحب أولا أن نلفت النظر إلى أننـا نقصد الرمزية بين واقع المسرحية ، والواقع الحاضر . . والذى نلاحظه أن المؤلف جعل الواقع المسرحى مطابقا للواقع الذى نعيش فيـه ، وبهذا مزج المشاهد من واقع المسرحية إلى واقعه الحى ولم يعد مندمجا فى الحياة التى يراها على المسرح . . وكان على المؤلف أن يخالف الواقع فى بعض الخطوط ليخدع المشاهد ، ويجتذبه إلى المسرح . . أما القول بأن النغمة الخطابية كانت فى مواضع خاصة لا تصلح فيها غير هذه النغمة لتساوق الحالة النفسية ، فذلك ما نخالف فيه المؤلف ، لأن الصدق فى تصوير الحالة النفسية يؤدى إلى الطبيعة ، أما النغمة الخطابية فتميل إلى المبالغة ، وفى المبالغة افتعال وخروج على الطبيعة

وقد رد المؤلف على المأخذ الرابع ، الخاص بانتهاء المسرحية دراماتيكيا فى نهاية المنظر الخامس ، بأن هناك من يخالفنى فى هذا الرأى الخ . . وإيضاحاً لوجهة نظرنا نقول إنه وإن كان خط الصراع بين جحا وامرأته هو الخط الرئيسى فى بنـاء هيكل المسرحية ، إلا أن هذا الخط يعتبر خادماً لخط الصراع الرئيسى ، ولما كانت وظيفته إبراز هذا الخط ، فيجب أن ينتهى حيث ينتهى الصراع الرئيسى

. . ومن حيث المأخذ الخامس الخاص باقتصار المؤلف فى تصويره لشخصية أم الغصن على إبراز اللون الواحد . . وتعقيب المؤلف على ذلك بأنهـا شخصية محورية ، والشخصية المحورية تـكون دائما مكتملة النضج من بدء الرواية . . نقرر أننـا لا نعارض هذا الرأى ، ولـكننا نعارض ذلك التكرار فى عرض اللون الواحد فى كل منظر ظهرت فيـه أم الغصن ، وكان على المؤلف أن يوزع تصويره لجوانب هذه الشخصية على المناظر التى ظهرت فيها ، لا أن يعرض الجوانب المختلفة لهذه الشخصية فى كل منظر ظهرت فيه ، وذلك دون مساس بموقفها من الصراع الذى تمثل أحد طرفيه

... أما شخصية الغصن ، فقد عقب المؤلف على نقدنا لهـا بأنها تنطوى على سيكلوجية دقيقة ، وأن هذا البله شديد التعقيد ، فهو واسع الخيال جامحه ، وهو يجمع بين التناقضات من ذكاء وبلاهة فى وقت واحد ، والاقتصار على اللون الواحد وهو الاهتمام بديكه أمر ضرورى لبيان مراحل التطور النفسى لهذه الشخصية ، ثم راح المؤلف يسرد علينا قصة التطورات النفسية . .

... وجوابنا على ذلك من ناحيتين . . الناحية السيكلوجية . . والناحية الفنية . . أما عن الأولى . . فنلاحظ التناقض فى تصوير شخصية الغصن لجمعها بين البله والذكاء وسمة الخيال . . فالبله كما هو معروف علميا درجة منخفضة من درجات الضعف العقلى . . ولا يمكن بحـال أن يتصف صاحبه فى نفس الوقت بالذكاء . . لأن الذكاء درجة مرتفعة من القوة العقلية . وسمة الخيـال تستلزم قدرة عقلية تسمو على درجة البله . والشخصية التى تجمع بين البله والذكاء وسمة الخيال غير موجودة أصلا فى الحياة من الوجهة العلمية ، وبهـذا يكون التصوير السيكلوجى لهذه الشخصية متناقضا

... ومن الناحية الفنية ، فإن تصوير هذه الشخصية كان قاصرا على إبراز البله فى دائرة واحدة هى قصة حب عرجون لديكه ، وهذه الدائرة تماد وتـكرر فى لون واحد

وأخيراً . . فنحن نرى أن هـذه الشخصية زائدة ، ولا ارتباط بينها وبين أحداث المسرحية ، ولو حذفناها لما تأثرت الأحداث بذلك

وبعد . . لعلى أكون قد أخلصت فى نقدى لمسرحية المؤلف الصديق ، ليصل بفنه إلى الـكمال الذى أرجوه له

أنور فتح الله



النيـــل

تأليف اميل لودويغ

ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

الآن أنجزت قراءة كتاب ضخم ! إنه كتاب النيل ، وكفى به تعريفاً أن نقول : ألفه أميل لودويغ وترجمه عادل زعيتر !

إنه يقع في (٧٤٥) صفحة ، أنيق الطبع ، صقيل الورق ، شأن ما تطبعه دار المعارف بمصر

هذا الكتاب العظيم ، قضى لودويغ في تأليفه ست سنوات وقام من أجله بثلاث رحلات ، درس في أثنائها جميع النيل الأبيض في أوغندة والسودان والنيل الأزرق في الحبشة حيث بلغ منابعه ، وفي السودان . ومما يذكر أن المغفور له «الملك فؤاد» قد وضع باخرة تحت تصرف المؤلف تيسيراً لمهمته وعرفانا بأهميتها

ولاح النيل للودويغ كعظماء الرجال فاستنبط من طبيعته تسلسل حوادث حياته ، وأبان كيف أن الوليد وهو يتفلت من الغابة البكر ينمو مصارعا ثم تفتر همته ويكاد ينفد ثم يخرج ظافراً ، والنيل في عام رجولته يقاتل الإنسان فيقهر ويروض ويوجب سعادة الناس ولكنه قبل ختام جريته — يسبب من المآسي أكثر مما في شبابه ، فقارئ الكتاب إذن إنما يقرأ وصف حياة ، لا كتاب دليل ، وإنما يقرأ مغامرات النيل لا مغامرات لودويغ

وأول ما يأخذك في الكتاب هذا الوصف الذي امتاز به لودويغ وتلك الملاحظة الدقيقة التي أثرت عنه ، فيبهرك وصفه للطير وللبمير وللفيل ، ويبهرك وصفه للتمساح والحوت والنعامة والزرافة والبقر الماء . ويبهرك كذلك وصفه للشعوب وعاداتها وطبائعها ، وهو ينقلك من أقزام الباكوا إلى الزنوج إلى أكلة لحوم البشر إلى شعب الباهيما في أوغندا ثم إلى الحبشة ليعرفك بقساوستها ويشركك في أعيادهم وطقوسهم ويجمعك بمسلميها ويهودها ثم ينتقل بك إلى النوبيين

هذا الوصاف البارع والملاحظ النبيه لا ينتقل بك في وصفه انتقالا جغرافيا ليطلعك فيه على دقائق شعوب الوادي ونباتاته وحيواناته فقط ، وإنما يطوى بك الزمن القهقرى ليريك بعينيك حياة الفراعنة ، ثم يعرض عليك رقا سينمائيا يريك فيه بسرعة الرق السينمائي ، تتابع الأحداث في مصر ، فترى الفرس والأغارقة ، وترى إنشاء الإسكندرية — وهو أهم حادث في تاريخ مصر — وتجتلي طلعة كليوباترة التي عنى المؤلف بسيرتها (وله فيها كتاب مشهور) ، وترى المسيحية تدخل مصر ، وترى الإسلام ، حتى إذا انتقل بك إلى الفاطميين والمماليك رأيت عجبا ورأيتك في زفة العرس أو في موكب الختان أو في صميم خناقات الأزهريين ، وينتقل بك إلى العهد النابليوني فالعلوي ويجمعك بإسماعيل ويسرد لك قصة قناة السويس وينتهي بك إلى القول الفاصل الذي تردده اليوم في ثورتك الراهنة على الإنكليز ؛ إنه يقول : « والحق أن العالم بأجمعه استفاد من فتح البرزخ وإن مصر وحدها هي التي خسرت به ... وكان إسماعيل راغبا في إنشاء القناة من أجل مصر لا أن تكون مصر خادمة للقناة » ثم يهمس في أذنك : « إن الملك فؤادا قد أخبرني بأن إسماعيل كان عازما على التخلص من متبوعه الضعيف بأن يعلن في افتتاح القناة في خطبة مدوية استقلال مصر وينادي بنفسه ملكا ، ولكن هذا المشروع قدمنى بالإخفاق في الدقيقة الأخيرة لما كان من اعتراض دولة أجنبية »

وإذا ما وصل بك إلى عرابي وحركته أخذ عليه فقدانه حزمه في الساعة الحاسمة ، ولكنه أنصفه ، ونقل إليك قول الجنرال غوردون الاسكتلاندي فيه : « ومهما يصب به عرابي فإنه سيبعث قرونا في ذاكرة الشعب الذي لن يقول ثانية : خادمكم الخاضع » وقد يزدهيك قول لودويغ في الحديث عن ضرب الإسكندرية والغزو البريطاني : « إن الذي لا ريب فيه

هو أن المصريين قاوموا ذلك الغزو الأجنبي في أساليبهم بحمية لم يبدوا مثلها في ألوف السنين، كما أنهم أظهروا من العزم والشعور القومي ما لم يظهروا مثله في تاريخهم الطويل » ويرى لودويغ أن يعرفك بكرومر ويحملك على تقدير روحه العملية ونزاهته وعطله من الزهو وإشعاره الفلاح المصري أنه مساو للباشا أمام الله والقانون، ولكنه يحملك كذلك على استنكار رعاية كرومر للامتيازات الأجنبية، ويثير فيك النقمة من سياسة التعليم في عهده، وأخيرا ينقلك إلى الثورة المصرية ويعرفك بسعد زغلول : « ويسأل مكدونالد رئيس الوزارة البريطانية زغلولا عن المكان الذي يود أن ترد إليه كتائب الإنكليز فيجيبه قائلا : إلى إنكلترا يا سيدي الوزير ... »

أما معاهدة سنة ١٩٣٦ فقد يروقك أن تعلم — وأنت الذي صفقت اليوم لإلغائها — أن لودويغ قال فيها : « إنها اتفاق لا يحقق جميع آمال المصريين لأن الإنكليز سيقضون سنين طويلة لإنشاء بضع ثكن، ولأن الجلاء عن القاهرة لا يؤدي إلى الجلاء عن قناة السويس . ومع ذلك تسير مصر لتستقل هي والسودان، ويتوقف كل شيء في السنوات الآتية القليلة على أحد البلدين الذي يظهر فيه القطب السياسي الأعظم اقتدارا، وسيعرف هذا السياسي كيف ينتفع بالحرب القادمة لحل تلك المسألة »

لقد قدمت للقارئ لودويغ وصافا مبدعا للحيوان والنبات، للشعوب والعادات، للأحداث والأحوال، ولكنني أحب أن أقول إنه وصف السدود — كسد أسوان — وقارن بينها وبين سدود العالم، ووصف الأقنية والري وصفا لا يستطيعه غير مهندس ري قدير ...

وفي أثناء ذلك كله يحرص لودويغ على استيفاء عنصر المقارنة والتشبيه، فيقارن بين محمد علي ونابليون مثلا، ويقارن بين زغلول وعرابي، ويحرص فيما يحرص على عنصر الحكاية الشائقة فيلذ لك أن تقرأ قصة بلقيس وملوك الحبشة، وتروقك حكاية الفرعون أمازيس الذي يعزل القضاة الذين برأوه في فتائه لأنهم صدقوه مثبتا جهلهم ... ويكافئ من حكموا عليه في شبابه لما أبدوه من فطنة ... ويأمر بصب طشت من ذهب كان يغسل فيه رجليه وأن يصنع منه تمثال للرب ... ويبجل الندماء هذا التمثال ويخبرهم أمازيس بأنه صنعه من الطشت الذي كان يبصق فيه ..» وتروقك حكاية النصرانية في مصر ودور القديسين بولس وأنطوان ... وقد يدهشك أن تعلم أن ملك الحبشة عرض الزواج من الملكة فيكتوريا، وأن حربا نشبت على أثر الرفض، وأن تيودور ملك الحبشة لم يلبث حتى انتحر ... وسيأتيك في الكتاب حديث النجاشي منليك في معركة عدوى، وحديث شامبليون الدءوب، وطرائف عن محمد علي في السودان ومقتل ابنه وما كان من أمر محمد المهدي والتعايشي ومقتل غوردون ورحلة كتشنر ومقتل الخليفة ونبش قبر المهدي وقصة مارشان وفاشودة

وتروقك كثيرا وأنت تقرأ الكتاب لفتات للودويغ بارعات وتعليقات طريفات وأحكام تشفي الصدور، فإذا تحدث عن الزنوج قال . « إنهم يجهلون أن الرجل في أوربة لا يحق له أن يتزوج أكثر من امرأة واحدة ولكنه ينال زوج جاره بلا جزاء على حين يمكن الزنجي هنا أن ينكح عدة أزواج ولكن من غير أن يأخذ زوج الجار بلا عقاب »

وحين يكون منبع النيل في بلد آخر وتنافر الفريقان فصرف ساكن المجرى الفوقاني منبع الماء وجهته عن خبث فإن الاشتراع الدولي في أمور الري لا ينفع « إنه اشتراع وهمي ككل حق دولي »

وإذا تحدث عن الحكم الثنائي في السودان قال : « إن هذا النظام يثير حيرة الجميع لتوزيع الحقوق بين الفريقين توزيعا غير متساو يمكن أن يقال إن هذا قران شرقي تقدم به الزوج ما لها وتضع أولادها من غير أن تنال في مقابل ذلك غير حق الحياة، أي ماء النيل، وهي مع ذلك زوجة شرعية عرفي الأحوال المظيمة تحت أقواس نصر، راكبة حصانا بجانب بعلها، مغمورة بالحلي محجبة تماما ... »

ولودويغ إذا ما تحدث عن دخول مصر في الإسلام ووصف ما سبق ذلك من فوضى قال : « ولكن القضاء على تلك الفوضى كان يتطلب أمة جديدة لم يقدر على استعبادها الأشوريون والفرس والمصريون والبطالسة والرومان » ، ولودويغ يتحدث عن هوان

المرأة لدى المسلمين وما رافق ذلك من عادات ، ثم يقول : «ومن المحتمل أن تكون هذه العادات قد عاقت تقدم الإسلام الذى هو أكثر الأديان رجولة ، ومن المحتمل أن يكون هوان المرأة قد أفقده العالم بعد أن كان فى قبضته »

وسوف يعجبك قوله فى محمد على وما يراه من خير للبلد فى ذبح المماليك وأنه قد قام بأول تجربة لاشتراكية حكومية؛ وأن حكمه نظام استبدادى فى صلاح إدارى وأنه أول من ضمن حرية الأديان وسلامة جميع طبقات المجتمع وأموالها

وإذا انتقل بك إلى حديث الحشيش وأطرفك بأنبائه وقارن بينه وبين الغازات السامة قال لك كذلك « إن العدالة التى تحكم على متعاطى المخدرات بالسجن سنوات ولا تقضى بحبس تاجر المخدرات التركى غير بضعة أشهر لعدالة عرجاء »

ولعله من أبرز ما لحظه المؤلف تأثير الإقليم فى الشعب المصرى وقد سمى الشمس والنيل إلهى ذلك الإقليم . والشعب المصرى مدين للشمس بالقناعة ومرح ، الحياة ومدين للنيل بروح النظام والطاعة « وهنا قامت دولة جعلت من فرعون إلاهاً وجعلت من العمل ضرورة ومن الرى فنا ومن العقل والجلى مبدأ . . . وفى هذا البلد يظهر أن الشمس خفضت إرادة التمرد بما فرضه من حساب، ومع ما كان من اختراع هذا الشعب أموراً كبيرة قبل الشعوب الأخرى بألوف السنين ــ حاشا ما تم فى وادى الفرات ــ ومع ما كان من عظمة هذا الشعب بعمله وآثاره التى تنطوى على حسابات بادية حتى فى أقدم التماثيل ، كان هذا الشعب العملى ، المقدام ، عاجزاً عن إيجاده لنفسه عالما علويا، فلم يكن العالم النوع الذى تصوره عما بعد الموت غير صورة من حياتهم فى هذه الدنيا ، فقد جعلهم خوفهم من العنصر ، من النيل ، أتقياء ، اجتماعيين، محافظين»

وظاهرة الكتاب الأولى هذا العطف الذى يثيره فى نفسك على الفلاح المصرى، وذاك الرثاء البليغ لحاله والوصف الأليم لمعايشه وطرز حياته منذ أقدم العصور حتى اليوم ، وتكاد صفحات الكتاب تدعو إلى تحريره وإلى النهوض به

وأما الجهد الذى بذله الأستاذ الجليل عادل زعيتر فى التعريب جبار . وأنت إذا لمست قدرته على إيجاد الأسماء العربية للمئات من النباتات والحيوانات ، وأنت إذا أمعنت النظر فى تعريبه للمصطلحات العلمية وفى اشتقاقاته أنعمت أن جهده الفردى هو جهد مجمع على كامل الأدوات ؛ وأيقنت أنه فى وفرة إنتاجه السنوى وفى صحة لغته وقوة بيانه مؤسسة قائمة بذاتها . وما تقول فى من أتحف العربية بعشرين مجلداً ضخما من نفائس القرائح العالمية فى بيان عربى ناصع وأسلوب متين ؟

وقارئ كتاب النيل وغيره من معربات عادل زعيتر يدرك أنه الرجل الذى أعلى راية اللغة العربية وذلل أمامها كل صعب وأخضع لشوكتها أرق اللغات؛ وبرهن على أن اللغة التى وسعت آى الله ونزل بها كتابه العظيم لن تضيق عن كتاب فى هذه الدنيا ما توفر على التعريب عالم نابغ ، دءوب ، ضليع كعادل زعيتر

هذا وقد تطغى على الأستاذ زعيتر أحيانا الناحية اللغوية فتظن أن الكتاب كتاب لغة ، فتراه يطعم اللغة مقدارا من الكلمات الغير المألوفة، وتراه كثيرا ما يشكل الكلمات وكثيرا ما يؤثر غير الشائع على الشائع ، وقد يكون هذا مأخذاً عليه فى رأى البعض ولا سيما فى كتب تكون فى أصلها غامضة الفكر والتعبير ككتب لودويغ . وقد يكون فى جنوحه إلى ذلك مقدرا فى رأى البعض الآخر من رواد الفوائد اللغوية

ولعل من مبتكرات المعرب الموفقة اجتنابه تكرار النسبة فى الكلمات المعربة خلافا لما اعتمده كتابنا فهو يقول : دبلمى وكلاسى وميكانى وبلجى..بدلا من دبلماسى وكلاسيكى وميكانيكى وبلجيكى.. والمترجم حين يقدم لكتابه يرجو أن يكون قد قدم إلى إخوانه أبناء النيل هدية صغيرة ليعرب لهم بها عن مودته لوادى النيل ، البلد الكريم الذى أحبه كثيرا

وفى الحق أن نقول للأستاذ زعيتر : إنها هدية كبيرة ، ومن الحق أن نعيد القول :

هذا كتاب .. كفى به تعريفا أن يكون من النيل وأن يؤلفه أميل لودويغ وأن يعربه عادل زعيتر

القاهرة مطالع



جمال الدين أباظة بك :

من هذا المكان ياعمى الذى طالما أحببت أن تقرأ لى فيه ، والذى كنت تقرأ فيه ما سمعته قبل أن ينشر ..

من هذا المكان الذى رأيتنى فيه منذ بدأت أكتب حتى اليوم .. من هذا المكان أحب أن أكتب ..

ولكن أترانى أستطيع ؟ أحاول كلما فكرت فى ذلك أن أنفى عنك فكرة الموت ولكنها تلاحقنى فيك فأبعدها .. هى الحقيقة الثابتة . وأنا الجازع منها لا أستطيع أن أصدق . ولا أستطيع أن أكذب ، فماذا أقول لك ؟

أحقا انتهى الأمر ؟ أحقا لم يعد فى استطاعتى أن أذهب إلى الضاحية التى أشرقت بك حينا من الزمان ، والتى بها لاقيت أو لاقينا نحن فيك المصاب ؟ أحقا لن أخاطبك بعد الآن لأسألك رأيك وأطلب مشورتك؟ أحقا لن نلتقى فى تلك الأماكن التى طالما التقينا بها ؟ أحقا لن تراعينى بعد اليوم كما كنت تفعل .. أحقا لن تفرح بى كلما فرحت بنفسى وكلما فرح بى أبواى ؟ وحقا لن تألم لى كلما ألمت لنفسى أو ألم لى أبواى ؟ أحقا لن نذهب بعد اليوم فى كل يوم سبت إلى الندوة المعهودة ؟ أحقا لن تطلب منى أن أنتظرك فى المقصف الملاصق لباب اللوق .. أحقا لن أقرأ عليك هذا الكلام .. أحقا خلت كل هذه الأماكن منك ؟ أو لتخل هذه الأمكنة النادية . ولتقفر المناضد التى جلسنا إليها ولينضب الورد الذى نهلت منه . ولكن مكانك فى النفس لن يخلو .. سأنظر إليه كلما أقدمت على أمر .. سأظل أنظر إليه ألتمس العون وأسأل المشورة . ولن يبخل . وهل بخلت أنت يوما .. وهل بخلت أنت بشئ .. كنت الصفاء فى هذه الحياة المكدرة .. كنا كلما فكرنا فى شخصك تمثلت لنا القمة التى ترتقى إليها الإنسانية . بل تمثلت لنا الملائكة . كنت تثبت لنا بوجودك أن هذه المعانى السامية التى قد نسمع بها ولا نراها موجودة قائمة رائعة . سامية . جليلة .. كانت إياك فى تسامحك حتى لتنزل عن نفسك ، وكانت إياك فى رقتك حتى ليخجل محادثك من ماديته . ثم أنت لا تشمره بارتفاعك .. وكانت إياك فى تواضعك وترفعك .. فى بساطتك وكبريائك .. وكانت إياك فى كل خلقك .. وبعد .. عماه .. ماذا أقول .. أأقول ألما ..؟

ما أهون ! أأقول جزعا .. لا يكفى . أأقول فقدنا فيك إيمانا بالسمو مع التواضع والزهد مع العظمة .. أأقول فقدنا فيك إيمانا بإنسانية الإنسان .. لا .. إن شيئا من هذا لا يجرؤ أن يعبر عما فقدنا . كل ما نستطيع أن نقول إننا فقدنا جمال الدين أباظة بك .. فقدناه لراحته هو فنحن لم نفقده .. وإنما نفتقده ولا نجده ..

كنت هنا فى الأرض تشيع حولك جوا ملائكيا ، ساميا ، طاهرا . رفيعا . وكنت تنعم بما تشيع وينعم به الجالسون إليك؛ ثم ما تلبث هذه الأرض النكدة أن تذكرك أنك ما زلت عليها ليشتبك الحديث فى ماديات أنت أزهد الناس فيها . وإذا انتهت الجلسة وانصرف أصحابها واضطربوا مع الحياة أذلتهم وأذكرتهم بأنهم هنا .. هنا ما زالوا أبناءها وعبادها . وكنت وحدك تترفع عن عبادتها فلا تتجه بوجهك لغير الله . ولا تذكر فى نفسك غير هذه الملائكية الرقيقة التى أنشأتها على الأرض . أما الآن فاهدأ ولنجزع نحن .. اهدأ فقد أصبحت فى المكان الذى طالما عنيت أن تكون فيه ، وها نحن أولاء ما زلنا ننظر إلى مكانك فنرتفع معك بأفكارنا لنهدأ وترتاح جوانبنا أن أصبحت أنت فى أهنأ مقام ثم نهبط بأنفسنا إلى هنا .. إلى حيث نحن الآن ، فتلتاع النفس حسرات وشوقا ، ونريد أن نهرب من هذه الحياة إلى سمائك التى كنت تنشئها على الأرض فإذا هى قد ارتفعت إلى السماء التى أعد الله فيها جنات لك وللمتقين .. وهكذا نهرب من الحياة إلى الحزن عليك ، ثم هى تحاول أن تلهينا ولكن عز فيك التلهى وجل فيك العزاء .

وبعد . فيا عماه .. ماذا أقول ؟ . أينتهى هكذا مجال القول فيك ؟ أقسم أنه ما ضاق إلا لسمته وما عجزنا إلا لمصابنا .. فما أنت بالراحل الذى يكفى فيه البكاء ؟ ولكن من هذا المكان

الذى أحببت أن تقرأ لى أحببت أنا أن أكتب إليك مما كنت تسمع وتقرأ . ولكننى اليوم وامصيبتاه . . لن أستطيع أن أسمعك . . فإذا قرأته فلن أعرف رأيك فيه . . وما أحتاج الرأى اليوم ، فما هى إلا عبرات شاء بهـا القلم أن يجارى تلك العبرات المنهمرة من صاحبه . وكلانا العاجز الذى يعلم عجزه ولا يستطيع أن يواريه . بل هو يرى فى الظهور به بعض التخفيف مما يلاق .. وحسبنا الله ونعم الوكيل

ثروت أباظة

كيف نشأ امام العبر ؟

سؤال طريف وجهه إلينـا الأديب الفاضل الأستـاذ محمد فتحى الجمل بعد أن قرأ مقالنا السالف عن الشـاعر المسكين . وقد لاحظت أن الإجابة عن أكثره تتضح من مقالنا عنه ، فقد ألمت إلى نشأته المضطربة ، وتربيتـه العوجاء ، لأحلل الدوافع النفسية التى أضرمت فى شعره جذوات الأسف والاكتئاب . ولعل الناقد الفاضـل ممن لا يقنعون بالتحليل الأدبى الذى يتخذ من تاريخ الأديب دعامـة يستند إليها فى فهم الدوافع والأسباب ، فهو يريده تاريخا محددا باليوم والشهر والمـكان قبل كل شئ

ومن الإنصاف أن نقول إن سـؤال الأديب عن حياة إمام لتعلمية ، يحتاج إلى إجابة جديدة لا توجد فى المقال ، وقد جاء فى كتاب (تاريخ أدب الشعب) للأستاذين حسين مظلوم رياض ومحمد الصباحى : « أن إماما مكث فى مدرسة ابتدائية مدة قصيرة ، ثم انقطع فجـأة عن التعليم دون أن يتم المرحلة الأولى » ولعله فعل ذلك ليتلق دراسته الواسعـة فى ساحة الحياة ، بين صفحات الـكتب ، وفى الحلقات الأدبية التى كان يعقدها المتأدبون لعهده بالأندية والمقاهى الشعبية ، وفيها تخرج أكثر أدباء المهد الماضى من كتاب وشعراء

وإنى لأشكر الأديب الفاضل شكرا جزيلا ، راجيا أن أكون عند ظنه الـكريم

(الرمل) محمد رجب البيومى

حول كلمة « سائر »

من الاطلاع على كثير من كتابات ومقـالات الـكتاب الذين يوردون كلمة (سـائر) فى كتاباتهم ، رؤى أنهم يضمنون هـذه اللفظة للدلالة على (الـكل والجميع) والحقيقة أنه لا يصح معنى هذه اللفظة إلا بمعنى (البعض أو البقية) فقد جاء فى (القاموس المحيط) فى مادة (السؤر) : وفيه سؤرة ، أى بقية شباب ، وسؤرة من القرآن ، لغة فى سـورة ، والسائر الباق لا الجميع . وضاف أعرابى قوما فأمروا الجارية تطييبه ، فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى . ألخ . انتهى

وجاء أيضـا فى (الشعر والشعراء) لابن قتيبة عند ذكر الشارح لبيت (الشنفرى) من قصيدة :

إذا حملوا رأسى وفى الرأس أكثرى
وغودر عند الملتقى ثم سـائرى

سائرى ، أى باقى جسدى ، وسائر كل شئ باقيه وليس جيعه » ، نبه عليه الحريرى فى درة الغواص

شرق الأردن محمد سعيد الجنيدى العلوى

فى كتاب (المهدى والمهدوية) :

قرأت ما كتبه حضرة المفضال الدكتور أحمد أمين بك فى سلسله « اقرأ » تحت عنوان : (المهدى والمهدوية) ، وهو بلا ريب فى الذروة من الطرافة والفائدة ، كـكل ما يطلع به علينا الأستاذ من مقالات ومؤلفات فى مختلف الموضوعات

وقد استوقف نظرى أثناء المطالعة بيت من الشعر فى أسفل الصفحة الرابعة والستين من الـكتاب المذكور وهو :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن (جسمان) حللنا بدنا

وقد استعصى على ذهنى معنى الشطر الثانى ، إذ الجسم والبدن مؤداها واحد . والذى دعانى إلى كد الذهن فى فهم هذا الشطر أنه من أقوال الصوفية ، وللصوفية فى تفسير الألفاظ مذاهب شتى ملتوية ، وقد وقعت أخيرا على كتاب حديث يبحث فى (الشعر الصوفى) للأستاذ نسيب الاختيار ، فعثرت فى الصفحة التاسعة

والستين منه على هذه الأبيات مروية على هذا النحو :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن (روحان) حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهـذه هي نزعة الحلاج الحلولية والوحدة المطلقة التي يدين بها في حياته واضطهد من أجلها ومات في سبيلها ، وهي تظهر أجلى ما يكون لفهم هذين البيتين على ضوء هذه الأبيات :

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب
حتى لقـد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد استعمل الأستاذ لفظة (كافة) مضافة إلى ما بعدها في الصفحة الثانية بعد المائة من هذا الكتاب وذلك :

« وأن من حق الصوفي أن يتخطى (كافة) النواميس الخلقية وأن يخرج على العرف الاجتماعي » — وإنما لفظة (كافة) كلفظة (قاطبة) تـكون دائماً ملازمة للنصب على الحالية لا تتغير بأي حال ، وقد وردت هذه اللفظة بهذا الاستعمال في عدة مواطن من القرآن الـكريم

هذا : ومن دواعي الغبطة وبواعث السرور أن يتفضل حضرة الدكتور الأستاذ الـكبير أحمد أمين بك بقبول احترامي الفائق مقروناً بأطيب تحية ، وإلى صاحب الرسالة اللامعة أرفع تجلتي الخالصة وتحيتي الباقية —

طرابلس الغرب محمد مهدي أبو حامد



قانصـــوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

الفصل السادس

في بركة الرطلي

للأستاذ محمود رزق سليم

كانت بركة الرطلي إحدى منازه القاهرة ، وكان الخليج المصري يجري حولها . ومنذ أن جرى حولها هذا الخليج ، بنى الناس فيها الدور والقصور ، وامتلأت بالقطان . وزرع بعض نواحيها . فأنبتت نباتاً حسناً . فاكتملت مباهجها بالزرع النضير والمياه والخرير ، وأخذت الزوارق تغدو من حولها وتروح ، تحمل المرتاضين وطلاب السلوة وعشاق السمر . وبخاصة عندما يحل الأصيل أو بقبيل الليل . وعلى حفافيها أضواء منتشرة . ومحال للهو ممدة ، تستقبل الوافدين إليها ببشاشة وترحاب ، وتودع الراحلين عنها على أمل وإياب . .

وعاش في هذه البركة ، وارتادها ، كثير من شياطين العبث وأبالسة الفساد ، وعشاق المنكر ، فالتاثت بذلك سمعتها حيناً . وأتى عليها حين من الدهر آخر ، ابتنى حولها كثير من العلية بيوتهم ، فعجت بالرؤساء منهم والأعيان ، وطاب فيها لهم اللقاء الجميل ، والتأم الشمل في المجلس الحافل . وتلاقى منهم الأحباء والخلصان . ونافست البركة في كل ذلك ؛ الأزبكية وبساتينها . وقبة يشبك وحدائقها

وفي بعض ليالي عام ٩١٩ هـ كنت تشهد هذه البركة ، وقد تحولت إلى قطعة من نور لـكثرة ما أضيء بها من قناديل . فقد نادى محتسب القاهرة « الزيني بركات بن موسى » بين سكانها بأمر من السلطان ، أن يقيموا ضروب الزينة ومعالم الأفراح على جبهات دورهم وصفحات محالهم ، ابتهاجاً بشفاء السلطان مما ألم بعينيه ، وكان السلطان قد أصيب بارتخاء في جفنه ، وحار في علاجه . ثم عـكف عليه أطباؤه وكحالوه — أطباء العيون — حتى من الله عليه بالشفاء ، وكان الناس خلال مرضه قد أرجفوا ، ودبت بينهم الإشاعات عنه دبيبها المسموم ، حتى قال قائلهم : إن السلطان قد عمى ، وأصبح لا يصلح للسلطنة ، وصاروا ما بين متوجع له ، وبرم به ، ولاه عنه ، وقد داخل أمراءه ومماليكه الريب فيه وحدثتهم النفس بالخروج عليه والغدر به ، ابتغاء سلطان جديد يسخو عليهم ويجود ، بدل هذا الشحيح الضـنين ، وقد بلغت أنباؤهم مسامع السلطان فاضطر إلى جمعهم وتوبيخهم حتى أقسموا له يمين الولاء على المصحف العثماني ... ومن ثم أخذ يسترضيهم

بشتى ضروب الاسترضاء .

فلما برئ السلطان من مرضه ، أحب أن يشيع خبر برئه بين الناس حتى يعلم به القاصي والداني ، ويهيئ لهم ، رغم أنفسهم وقتا للهو ، ويفتح بابا للتمتع والابتهاج ، فرحا بشفائه . .

لبى سكان القاهرة نداء محتسبها ، وازدانت بركة الرطلي وبدت في أجمل حلة ، وتوجهت الطيقان بقطع الأقمشة الحريرية الملونة الجميلة ، وعلقت حمائل القناديل وأمشاطها ، واجتمعت كل معدات اللهو ودواعيه ، من طعام شهي ، وشراب طلي ، وغناء جديد ، وألعاب نارية يحرق فيها زيت النفط

وما دنا الليل حتى كان اللهو قد نادى ببوقه ، واستوى على سوقه . وأخذت الزوارق تذهب وتؤوب في الخليج ، مرة ينفرج عنها ظلام الليل البعيد ، كأنها ابتسامات العبيد ، ومرة تنساب عائدة إلى ظلالته ، فيطوى عليها حفافي ملاءته . وهكذا لبثت البركة في تبرجها وزينتها ثلاثة أسابيع متوالية ، وهي مراد اللاهي وروضة الحائر ، ومراح المرتاض ، وموعد العاشق ، حتى قال فيها الشاعر :

إلى بركة الرطلي أني ميمم ... لأبرئ كربي أو أزيل سقامي
ففيها لمعمود الفؤاد لبانة ... يطب برياها من الأسقام
إذا ظمئت نفسي من الوجد والهوى ... ذهبت إليها كي أبل أوامي
وأهفو كما أهوى إليها كريمة ... بغير عتاب عندها وملام
بها الراح تسقى في الكؤوس وتارة ... تدار بلحظ مرة وكلام
بها متع للعين والسمع والنهى ... وليست لعشاق الهوى بحرام

ولم تكن البركة وحدها منفردة بهذا التبرج — حينذاك — بل كانت كذلك ، القلعة والقاهرة وأسواقها ، وهناك كانت مصر العتيقة ، وبولاق وغيرها

وتبارى الأمراء وكبار الموظفين والقضاة والأعيان والخليفة في إظهار سرورهم ، وبالغوا في مشاركة سلطانهم فرحه بهذا الشفاء : فجملوا دورهم بالأعلام والثريات والأقمشة النفيسة ، وكانت أنواع الموسيقا تعزف في مختلف النواحي ، حتى لتحسب القاهرة وضواحيها قد لبست ثياب العيد وحدها دون سائر البلاد

بهرت الزينة الأنظار ، وخلبت الأفئدة ، وجذبت إلى البركة مئات من الرواد ، كان من بينهم شاعرنا « شهاب الدين » فجاس خلالها ، وأشبع نفسه من مباهجها ، وملأ فجاج قلبه من مرائيها ، وغذى عواطفه المهتاجة بالجميل الرائع من مفاتنها

وبينما كان يلج في رياضته إذ التقى عرضا بصديقه الفقيه « ولي الدين » فحياه ، وفي تحيته شيء من الإنكار والعجب . وقال له : « ويحك أيها الصديق ! ألا تزال في نفسك بقية من شباب ؟ ما الذي جذبك إلى بركة الرطلي ؟ »

ولي الدين : ما أحوج الشيب إلى متعتها ! إنها لتجري ماءه ، وتحيي ذماءه ، وتطلق حياءه ...

شهاب الدين : ألا تتركها لنا معشر الشعراء . . . يلهينا انسجامها مع عواطفنا ، واتساقها مع إحساساتنا عن البحث وراء حلالها وحرامها ؟

ولي الدين : معاذ الله أن يقربنا دنسها أو يقربنا نجسها . والله يابني ! إن الحق أن لي ذوق المؤرخ الذي يجب أن يعرف كل شيء ، ويدون في صفحة فكره عن كل واقعة سطورا ، ويرسم في رقعة ذهنه لكل حادثة صورا . لا يعنيه منها غير تسجيلها ، قبل البحث في حرامها وحلالها . ثم هو بعد ذلك لا يصيبه من حلالها قلامة ، ولا يصيبه من حرامها ظلامة

شهاب الدين : أما تزال تتأول أيها الشيخ كعادتك ، وتهيئ لنفسك من كل حرج مخرجا حسنا ؟ أليس خيرا لك من بركة الرطلي ، جزيرة بولاق حيث يقام مولد سيدي إسماعيل الأنبابي ؟ ... أين صديقنا علم الدين الخياط ؟

ولي الدين : هو هنا في عقر حانوت ، ومعه أصدقاؤنا ، وأنا منهم على ميعاد

(يؤمان الحانوت ويقابلان الأصدقاء ، ومنهم علم الدين والتاجر والمتصوف وغيرهم . ويجلسان بين ترحيب حافل وفرح شامل ثم تدار على الجميع طاسات السكر والليمون ، ثم يديرون أكواب الأحاديث)

علم الدين الخياط يوجه الحديث إلى الشاعر شهاب الدين ،

قائلا — وكان لم يره منذ حين — :

حمام الأيك ما هاك عنى ومنذا أبعد الأطيار منى

شهاب الدين :

ذهبت وراء آمالى أغنى وعلمنى الغنا طول التمنى

وما أنا بالغ منها قليلا وإن أك تحت شرفتها أغنى

لقد شغلتنى — أيها الصديق — مباهج القاهرة ومفاتنها . وهى جديرة بأن تلهى وتشغل . وقد قيل:

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقونى لغنت

لقد اعتاد القاهريون الترف ، وأخذوا بأسباب الرفاهة منذ عم بينهم الرخاء وازداد الخير ، ومنذ وجدوا فى سلطانهم وعاداته وتنقلاته وأوامره ما يدعو إلى اللجاج فى الترف والرفاهة ، فلجوا وأترفوا ولو كارهين ... تخضت فى الذى خاضوا... مادمنا نرى فى كل آونة موكبا وحفلا ، وفى كل يوم انتقالا وسفرا ، وفى كل التفاتة حشدا وركبا ...

علم الدين الخياط : هل هذا هو ماشغلك عنا ؟ وما نصيبك أنت من كل هذه البلهنية والنعيم ؟ إذا لم يكن إلا نصيب المتفرج بهما الشاهد لهما فحسب ، لا نصيب المتمتع اللاج فى غمراتهما، فنحن إذن متساوون ..!

للقصة بقية

محمود رزق سليم

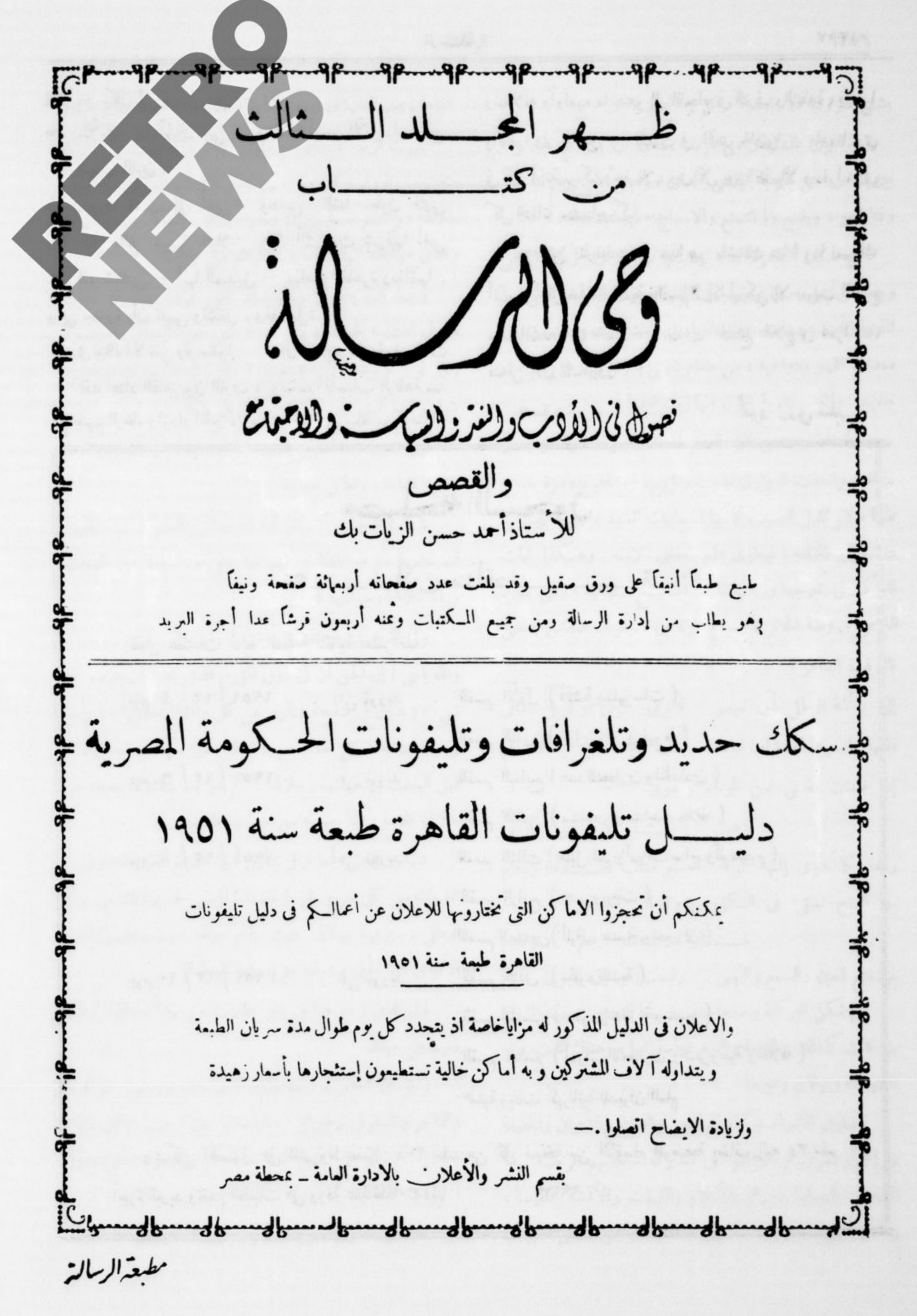
مصلحة السجون

إعـــــلان مناقصـــــــــة

تقبل عطاءات لغاية الساعة الثانية عشر ظهر

يوم ٤ / ١٢ / ١٩٥١	عن توريد	القسم الأول (أقمشة وملبوسات)
		القسم الثانى (زرار وابر وخيوط)
يوم ٦ / ١٢ / ١٩٥١	عن توريد	القسم السابع (عدد للنجارين والحدادين)
		القسم الثامن (مسامير وحدايد وخلافه)
يوم ٨ / ١٢ / ١٩٥١	عن توريد	القسم الثالث (فتيل لغم وأدوات صاج وألومنيوم)
		القسم الرابع (جمع وبويات)
		القسم السادس(ألياف هندية وخيرزان)
يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٥١	عن توريد	القسم الثانى (جلود بلدية)
		القسم الخامس (جلود إنجليزية وسيور)
		القسم التاسع (أدوات للنجارين والسروجية وخلافه)
		عملية زينات كهربائية للديوان العام

ويمكن الحصول على الشروط مقابل ٢٠٠ مليم عن كل نسخة من الأقسام الموضحة يضاف إليه ٣٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما ٩٩٦٣



مطبعة الرسالة



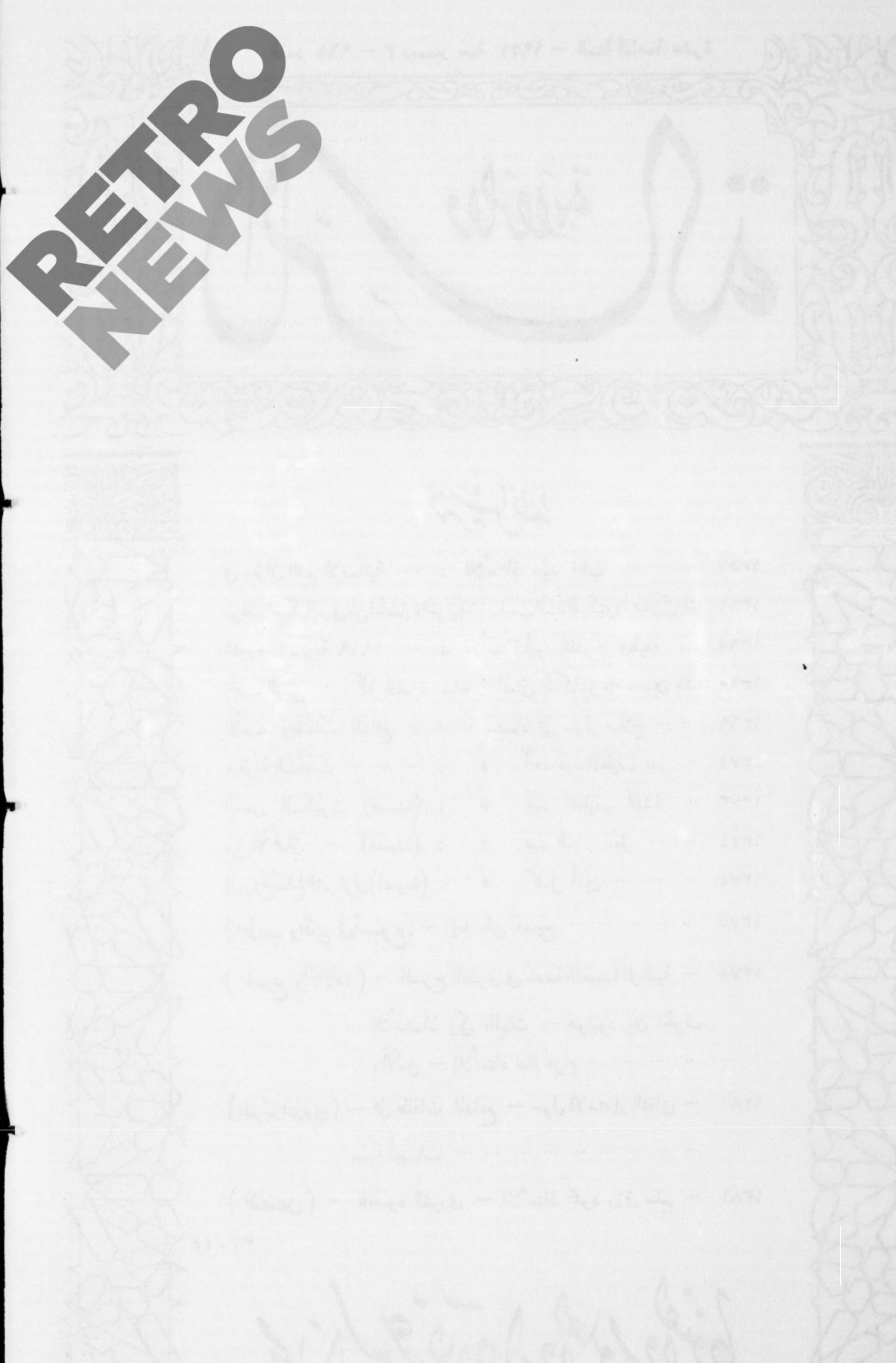
العدد ٩٦١ — ٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

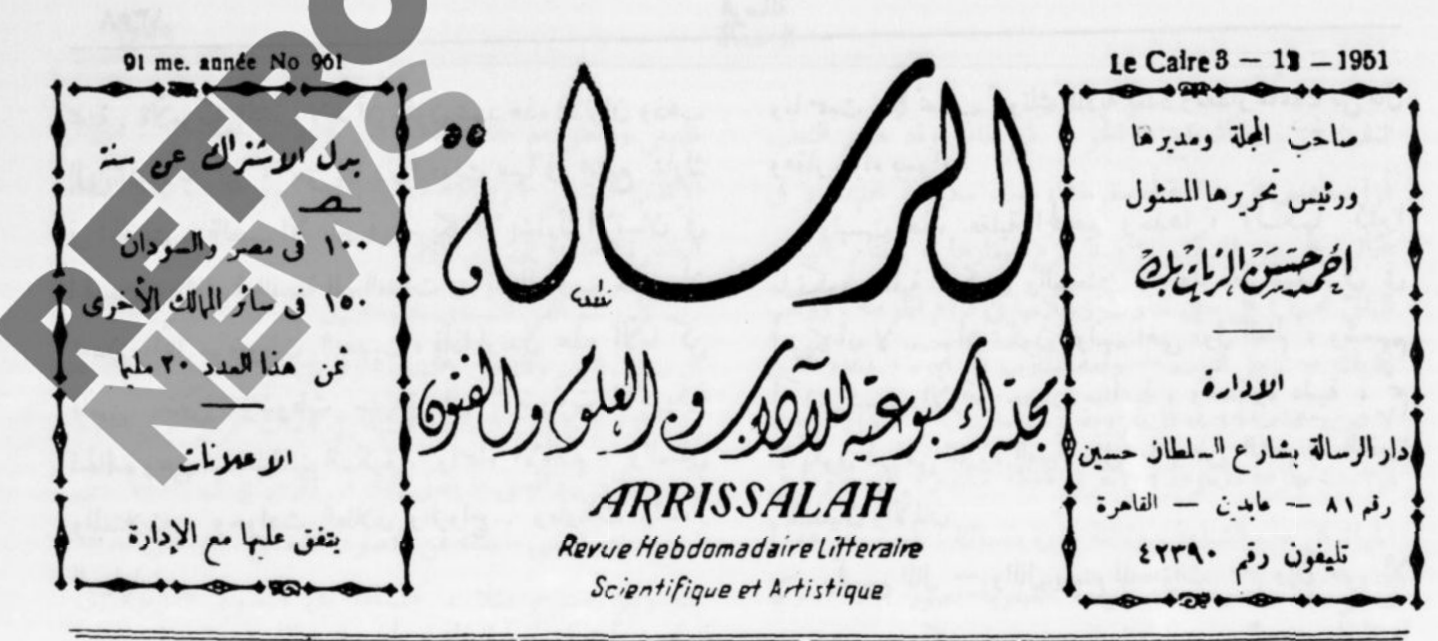


فهرس العدد

٣٧٠٤٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





91 me. année No 961

Le Caire 3 — 12 — 1951

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦١ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

أمريكا التي رأيت :

في ميزان القيم الانسانية

للاستاذ سيد قطب

— ٣ —

الأمريكي بدائي في ذوقه الفني ، سواء في ذلك تذوقه للفن ، أو أعماله الفنية

موسيقى « الجاز » هي موسيقاه المختارة . وهي تلك الموسيقى التي ابتدعها الزنوج لإرضاء ميولهم البدائية، ورغبتهم في الضجيج من ناحية، ولاستثارة النوازع الحيوية من ناحية أخرى. ولا تتم نشوة الأمريكي عامها بموسيقى «الجاز» حتى يصاحبها غناء مثلها صارخ غليظ . وكلما علا ضجيج الآلات والأصوات ، وطن في الآذان إلى درجة لا تطاق . . زاد هياج الجمهور ، وعلت أصوات الاستحسان ، وارتفعت الأكف بالتصفيق الحاد المتواصل ، الذي يكاد يصم الآذان

ولكن الجمهور الأمريكي مع هذا يقبل على الأوبرا ، ويصغي إلى السيمفونيات ، ويتزاحم على « الباليه » ويشاهد الروايات التمثيلية « الكلاسيك » حتى لا تكاد تجد مقعدا خاليا ، ويقع في بعض الأحيان ألا تجد مكانا إذا أنت لم تحجز مقعدك قبلها بأيام ، على غلاء الأسعار في هذه الحفلات

ولقد خدعتني هذه الظاهرة في أول الأمر ، بل لقد فرحت بها في داخل نفسي ، فقد كنت دائم الشعور « باستخسار » هذا الشعب الذي يصنع المعجزات في عالم الصناعة والعلم والبحث، ألا يكون له رصيد من القيم الإنسانية الأخرى ، وأنا شديد الإشفاق على الإنسانية أن تؤول قيادتها إلى هذا الشعب ، وهو فقير من تلك القيم جميعا

فرحت إذن حين شاهدت هذه الظاهرة ، لأن الجمهور الذي يقبل على الفن الراقي غير ميئوس منه مهما تكن عيوبه ، ومتى فتحت هذه النافذة في شعوره فالأمل كبير أن تطل منها أشعة أخرى كثيرة

وقد دفعني الاهتمام بهذه الظاهرة إلى أن أتقصى كل شيء عنها ، في أوساط مختلفة ، وفي مدن متعددة ، ولكن تتبعي لسمات الوجوه ، ومحادثاتي مع الكثيرين والكثيرات من رواد هذه الأماكن — من أعرف ومن لا أعرف قد كشفت لي — مع الأسف — عن أن الشقة ما تزال بعيدة بين روح هذا الفن الإنساني وروح الأمريكان . إن مشاعرهم عنها محجبة إلا في النادر ، وإنهم إنما ينظرون إلى المسألة من زاوية اجتماعية

بحتة . فالأمريكى المثقف لابد أن يكون شهد هذه الألوان وذهب إلى تلك الأماكن ، حتى إذا دار الحديث عنها فى مجتمع شارك فى الحديث . فالعيب الأكبر فى أمريكا ألا يشارك الإنسان فى الحديث، وبخاصة بالنسبة إلى الفتيات ، إذ المطلوب منهن أن يجدن دائما موضوعات للحديث ، فإذا ارتدن هذه الأماكن فإنهن يضفن موضوعات جديدة إلى الموضوعات الأمريكية الخالدة وهى : مسابقات الكرة . وأسماء الأفلام . والممثلين والممثلات . وحوادث الطلاق والزواج . وماركات وأسماء السيارات

وبهذه الروح ذاتها تفد الجموع على المتاحف الفنية ، عابرة عبورا خاطفا بالقاعات وبالمعروضات ، بطريقة لا تدل على تذوق أو ألفة لهذه الأعمال . كما يذهبون أفرادا وجماعات لمشاهدة مناظر الطبيعة خطفا، والمرور بأقصى سرعة السيارات بالأماكن والمناظر لجمع مادة للحديث ، ولتلبية الميل الأمريكى الطبيعى إلى الجمع والإحصاء

ولقد كنت أسمع فى مبدإ وجودى بأمريكا أن أحدهم زار كذا وكذا من المدن والبلاد والمناظر والمشاهد ، وقطع كذا ميلا فى رحلاته السياحية، وهو يعرف كذا عددا من الأصدقاء ، فأعجب بهذه المقدرة على صنع هذا كله ، وأود لو أستطيع منه شيئا ! ثم عرفت فيما بعد كيف تتم هذه المعجزات . . . يركب أحدهم سيارته وحده أو مع أسرته أو أصحابه فى رحلة ، فيعدو بها عدوا على آخر سرعتها ، مخترقا بها المدن والمسافات ، عابرا بالمناظر والمشاهد، وهو يقيد فى مذكرته الأسماء والأميال.. ثم يعود فإذا هو شهد هذا كله وأصبح له الحق فى الحديث عنه ! أما الأصدقاء فيكفى أن يدعى إلى حفلات التعارف ، وهناك يلتقى بالوجوه أول مرة ، والقائم بالدعوة يعرفه بالحاضرين واحدا واحدا وواحدة وواحدة ، وهو يستكتب من شاء منهم اسمه وعنوانه وكذلك هم يفعلون معه . وعلى الزمن تتضخم مذكرته بالأسماء والعنوانات . فإذا هو صاحب أكبر رقم من الأصدقاء والصديقات. وقد يفوز فى مسابقة تقام لهذا الغرض . وما أكثر وما أغرب المسابقات هناك !

وهكذا يقاس علمك وثقافتك أحيانا بقدر ماقرأت وماشهدت وما سمعت . كما تحسب ثروتك المادية بعدد ومقدار ماتملك من مال وعقار سواء بسواء !

وليست هذه عقلية الجماهير وحدها ، ولكنها كثيرا ما تكون عقلية المفكرين والباحثين . فلقد خطر للمفكرين فى أمريكا أنه لا يصح أن تكون دولتهم أغنى دول العالم ، وشعبهم أكثر شعوب الأرض حضارة صناعية ، وحضارة علمية ، ثم لا يكون لهم من الثروة الفنية مثل ما لبعض الشعوب الفقيرة كالطليان والألمان

ولديهم المال — والمال يصنع المعجزات — وإن هى إلا سنوات حتى كان لهم من متاحف الرسم والنحت أفخمها وأضخمها . وجمعت لها القطع الفنية من كل فج، وعمرت بالنادر والثمين من هذه القطع ، التى لم يبخلوا على شرائها بالمال . وكلها قطع أجنبية إلا القليل ؛ لأن القطع الأمريكية بدائية وساذجة إلى حد مضحك بجوار تلك الذخائر العالمية الرائعة

وكذلك كان لهم من الفرق الموسيقية العازفة وفرق «الباليه» الراقصة ، أكثرها مهارة وإتقانا ، ومن مديرى هذه الفرق أعظمهم عبقرية وإبداعا . . وكلهم من الأجانب إلا القليل

ثم خرجت الإحصاءات الدقيقة تعلن عما تملك أمريكا من الثروات الفنية الضخمة ، المشتراة بالمال ، ولكن بقى أمر واحد بسيط : أن يكون للنفس الأمريكية نصيب فى هذه الثروات ؟ بل أن يكون لها مجرد التذوق الفنى لهذا التراث الإنسانى الثمين !

وخطر لى أن أمتحن هذه الأرقام فى متاحف الفن ، كما أمتحنها فى دور الأوبرا وما إليها

ذهبت للمرة العاشرة إلى متحف الفن فى سان فرنسسكو وجعلت مادة امتحانى إحدى قاعات الصور من الفن الفرنسى ، ووزعت اهتمامى على ما فيها من الصور ، ولكننى ركزته على صورة واحدة بارعة اسمها : « ثعلب فى بيت الدجاج » ولا تملك الألفاظ أن تنقل إلى القارئ روعة هذه الصورة العبقرية التى صور فيها الرسام جملة مشاعر عميقة مركبة فى لوحة ليس فيها وجه إنسان يسهل على الرسام أن يصور هذه المشاعر فيه ..

ثعلب فى بيت الدجاج ، والجو دا كن خانق وقد هجم الثعلب أول ما هجم على دجاجة أم مفرخة ، بدت مكروبة مجهدة ، فى مخالب الوحش المكشر ؛ وقد فزع صغارها ، وتناثر البيض الباقى تحتها ؛ على حين تناثرت زميلاتها فى فراغ اللوحة ، ووقف الديك — رجل البيت — وقفة المغلوب على أمره ، الحائر الذى لا يجد مخلصاً لزوجه المكروبة وهو حاميها ! أما الأخريات فواحدة جازعة مأخوذة ، وأخرى قانطة مشمئزة أن يكون فى الحياة كل هذه الشناعة ، وثالثة حائرة متسائلة : كيف وقع هذا ؟ والجو كله والألوان فى اللوحة العبقرية تصور ما لا تدركه الألفاظ

واسترحت إلى مقعد من المقاعد التى جهزت بها القاعات تجهيزاً جميلاً بديعاً ، ليستريح عليها الزائرون عند التعب من المشاهدة والطواف ، ورحت أستعرض الملامح والسمات ، وأنصت إلى الملاحظات والتعليقات

وانقضت على فى جلستى أربع ساعات كاملة ، مرّ بى فى خلالها مائة وتسمة ، فرادى وأزواجاً وجماعات ، معظمهم من الفتيات والفتيان الذين يتواعدون على قضاء بعض الوقت فى حديقة المتحف ، ثم فى المتحف ذاته ، لأنه ينبغى للفتاة الاجتماعية أن تشارك فى الحديث ، وأن تجد موضوعات للحديث

كم من هؤلاء التسعة والمائة بدا عليه أن يحس شيئاً مما رأى؟ واحد فقط تلبث أمام الصورة المنتقاة نحو دقيقتين ، وتلبث فى القاعة كلها نحو خمس دقائق . . ثم طار

وكررت التجربة فى قاعات المتحف الأخرى، ثم كررته فى متاحف أخرى فى عدة مدن ، ثم انتهيت إلى أن قلة نادرة من هذه الكثرة الكثيرة التى تتضمنها إحصاءات الزائرين تدرك شيئاً من هذه الثروة الفنية الهائلة ، التى جمعها الدولار من كل بقاع الأرض ، وبقى أن يخلق الحاسة الفنية ، التى يبدو أنها لا تستجيب لسحر الدولار !

* * *

الفن الوحيد الذى يتقنه الأمريكان — وإن يكن سواهم لا زال يفوقهم فى الناحية الفنية فيه — هو فن السينما . وهذا طبيعى ومنطقى مع تلك الظاهرة التى ينفرد بها الأمريكى : ذروة الإتقان الصناعى ، وبدائية الشعور الفنى . وفى السينما تبدو هذه الظاهرة واضحة إلى حد كبير

لا يرتفع الفن السينمائى بطبيعته إلى آفاق الفنون العليا : الموسيقى والرسم والنحت والشعر ، ولا إلى فن المسرح كذلك ، وإن كانت إمكانيات الصناعة الفنية وإمكانيات الإخراج فى السينما أوسع بكثير . وأقصى ما يصل إليه فن الإخراج فى السينما من إبداع . هو أقصى مايبلغه فن التصوير الشمسى . ثم تظل المسافة بينه وبين المسرح مثلاً ، كالمسافة بين التصوير الفوتوغرافى والتصوير بالريشة . هذا تتجلى فيه عبقرية الشعور ، وذلك تتجلى فيه مهارة الصناعة

والسينما فن الجماهير الشعبى ، فهو فن المهارة والإتقان والتجسيم والتقريب ، وهو بطبيعة اعتماده على المهارة أكثر من اعتماده على الروح الفنية . . يمكن أن تبدع فيه العبقرية الأمريكية . . ومع هذا فما يزال الفلم الإنجليزى والفرنسى والروسى والإيطالى أرقى من الفلم الأمريكى ، وإن كان أقل صناعة ومهارة

والكثرة الغالبة من الأفلام الأمريكية تتجلى فيها بدائية الموضوع ، وبدائية الانفعالات ، وهى فى الغالب أفلام الجريمة البوليسية ، وأفلام رعاة البقر . أما الأفلام العالية البارعة من أمثال : « ذهب مع الريح » و « مرتفعات وذرنج » و « ترتيل برنادوت » وما إليها فهى قليلة بالقياس إلى النتاج الأمريكى . وما يرد من الفيلم الأمريكى إلى مصر أو البلاد العربية لا يمثل هذه النسبة ، لأن الكثير منه من أرقى الأفلام الأمريكية النادرة . والذين يزورون دور العرض فى أمريكا هم الذين يدركون تلك النسبة الضئيلة من الأفلام القيمة

هنالك فن آخر برع فيه الأمريكان ، لأن ما فيه من المهارة فى الصناعة والإنتاج ، أكثر مما فيه من الفن العالى الأصيل . . ذلك هو فن تمثيل المناظر الطبيعية بالألوان ، كأنها فوتوغرافية صادقة دقيقة . ويبدو هذا فى متاحف الأحياء المائية والبرية ، إذ تعرض هذه الأحياء أو أجسادها المحنطة فى مثل مواطنها الطبيعية كأنها حقيقة ، وتبرع ريشة الرسام ، فى تصوير هذه

المواطن ، مشتركا مع التصميم الفنى للمنظر ، وتبلغ حد الإبداع

* * *

ثم ندع تلك الآفاق العليا فى الفن والشعور ، لنهبط إلى ألوان الملابس وإلى مذاق الأطعمة

إن بدائية الذوق لاتتجلى فى شىء كما تتجلى فى تلك الألوان الصارخة الزاهية ، وفى تلك التقاسيم المبرقشة الكبيرة وبخاصة ملابس الرجال .. ذلك السبع أو النمر الواثب على صدر الصدرية .. وذلك الفيل أو الثور الوحشى الجاثم على ظهرها . تلك الفتاة العاربة الممددة على رباط العنق من أعلى إلى أسفل ، أوتلك النخلة الصاعدة فيه من أسفل إلى أعلى ...

لطالما تحدث المتحدثون عندنا عن « فستان العيد » فى الريف ، أو عن ثوب العروس فى القرية ، بألوانه الزاعقة البدائية ، التى لا تربط بينها رابطة ، إلا أنها كلها فاقعة الألوان .. ليت هؤلاء يرون مثى أقمصة الشبان فى أمريكا لا ملابس الفتيات !

ولطالما تحدث المتحدثون عن « الوشم » عند الفجر ، أو فى أواسط إفريقية ، ليتهم يرون أذرع الشبان الأمريكان وصدورهم وظهورهم ، موشمة بالوشم الأخضر : ثعابين وحيات ، وفتيات عاريات ، وأشجارا وغابات ! فى أمريكا المتحضرة . فى الدنيا الجديدة . فى العالم العجيب !

أما الطعوم فشأنها هو الآخر عجيب

إنك تلفت النظر ، وتثير الدهشة ، حين تطلب قطعة أخرى من السكر لكوب الشاى أو القهوة تشربه فى أمريكا . ذلك أن السكر محتفظ به المخلل « والسلاطة » ! كما أن الملح يا سيدى محتفظ به للتفاح والبطيخ !

وفى صحفة طعامك تجتمع قطعة اللحم المملحة ، إلى كية من الذرة المسلوقة ، وكية من البازلاء المسكرة وبعض الربى الحلوة .. وفوق ذلك كله Grafy المؤلف أحيانا من السمن والخل والدقيق ومرقة العجل والتفاح ، والملح والفلفل والسكر .. والماء !

كنا على المائدة فى مطعم ملحق بالجامعة حينما رأيت بعض الأمريكان يضعون الملح على البطيخ ، وكنت قد اعتدت رؤية هذه « التقاليع » واعتدت كذلك أن أتفكه عليهم فى بعض الأحيان . وقلت متجاهلا : أراكم ترشون الملح على البطيخ ؟ قال أحدهم : أجل ! ألا تصنعون ذلك فى مصر ؟ قلت : كلا ! إنما نحن نرش الفلفل ! قالت واحدة فى دهشة واستفسار : أو يكون مستساغا ؟ قلت : يمكنك أن تجربى ! وجربت ، وذاقت . وقالت فى استحسان : كم هو لذيذ ! وكذلك فعل الآخرون

وفى يوم آخر جاء فيه البطيخ ، ومعظم من يأكلون على المائدة هم هم ، قلت : وبعضنا فى مصر يستخدم السكر أحيانا لا الفلفل . وبدا أحدهم ففعل وقال : كم هو لذيذ ! وكذلك الآخرون !

وباختصار فكل ما يحتاج إلى قسط من الذوق فالأمريكانى ليس له فيه حتى الحلاقة ! وما من مرة حلقت شعرى هناك إلا وعدت إلى البيت لأسوى بيدى ما شعث الحلاق ، وأصلح ما أفسده بذوقه الغليظ !

* * *

إن لأمريكا دورها الرئيسى فى هذا العالم ، فى مجال العلم التطبيقى ، وفى مجال البحوث العلمية ، وفى مجال التنظيم والتحسين ، والإنتاج والإدارة .. كل ما يحتاج إلى ذهن وعضل فهنا تبرز العبقرية الأمريكية . وكل ما يحتاج إلى روح وشعور فهنا تبدو البدائية الساذجة

وإن البشرية لتملك أن تنتفع بالعبقرية الأمريكية فى مجالها فتضيف قوة ضخمة إلى قواها . ولكن هذه البشرية تخطئ أشنع الخطأ ، وتعرض رصيدها من القيم الإنسانية للضياع ، إذا هى جعلت المثل الأمريكية مثلها فى الشعور والسلوك . .

إن ذلك لا يعنى أن الأمريكان شعب بلا فضائل ، وإلا لما أمكنه أن يعيش ، ولكنه يعنى أن فضائله هى فضائل الإنتاج والنظام ، لا فضائل القيادة الإنسانية والاجتماعية ؛ فضائل الذهن واليد ، لا فضائل الذوق والشعور

سيد قطب

موقف الفكر العربي
من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

(تابع)

الفكر العربي والديمقراطية :

ثم إلى الديمقراطية، تلك الصفة الثانية من صفات هذه المدنية، ونحن نعنى بالديمقراطية هنا معناها الحرفي الذى يدل عليه لفظها ، وتدل اشتقاقاته ، ذلك حكم الشعب بالشعب . إنها الديمقراطية السياسية

إن العصور الغابرة لم تعرف الديمقراطية إلا حكمة في القول عابرة ، وإلا نصيحة يأخذ بها من يأخذ ويدع من يدع ، وإلا حثا للحكام على الشورى لم يبلغ حد الفرض،ولم يكن له أثر يطول ولقد عدوا أثينية البلد الديمقراطي الأول الذى عرفه التاريخ، وكانت أثينية مع هذا مدينة من مدائن الإغريق أكثر أهلها العبيد . كانت ديمقراطيتهم ديمقراطية للقلة فيها من الأحرار . وكانت ديمقراطية محدودة مشروطة . وهى ديمقراطية ضاقت بالذى قال سقراط، بالذى صرح به من آراء، فقضت عليه بالموت . وهى الديمقراطية التي قام فيها فيلسوفها الثاني أفلاطون يقول فى جمهوريته بحصر الحكم فى فئة من خيار الناس ، هى وحدها الصالحة ، وهى وحدها المسئولة ، وسائر الناس لها تبع

وجاء من بعد الإغريق الرومان فما عرفوا الديمقراطية فى الحكم . كانت الديمقراطية بينهم اسما فى عهود الجمهورية ، ثم زال حتى اسمها فى عهود الأباطرة . ولقد جهد الرواقيون الرومان فى إبراز معنى المساواة بين الناس . سيسرو Ciciro سنكا Seneca جايوس Gaius ، وأضراب لهؤلاء . ولكن لم يكن لهذه الفئة من الخطباء والكتاب من أثر فى أسلوب الحكم ، إنما كان أثرها فى القانون من حيث تخفيفه وترقيقه لا سيما على العبيد الأرقاء

وجاءت المسيحية فحاولت ما حاولته الأديان من قبل ومن بعد ، أن تجعل الناس سواسية . وحاولت أن ترفع حظ الفقير، وأن تجعل الثراء أمانة فى عنق صاحبه يرعى فيه ، وبه ، صوالح الناس . ولكن لم تلبث المسيحية أن صارت دين الرومان ، ولم تلبث الكنيسة أن صار لها وجود ذاتي ، وصار لها استقلال وقوة ، وصار لها ثروة ، وصار حكم ، وصاحب الحكم لا ينزل عن حكمه طوعا ليقسمه بين الناس

وجاء الإسلام فقال بالذى قالت به الأديان وزاد . وجعل الحكم شورى . والرق جعله كفارة لشتى الخطايا ، تفريجا له وتكريها فيه . وقال سلمان منا آل البيت . وقال : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وجعل للفقير حظا فى مال الغنى . وفعل وفعل ... ولكن لم يلبث الإسلام أن صار ملكا عضوضا ، ولم يلبث الخلفاء أن صاروا حكاما مطلقين، يصلح منهم من يصلح ، ويفسد من يفسد ، والناس تتلقف الخير وتتلقف الشر جزافا كما يأتى به الزمان

وجرى الحال على هذا المثال فى الأمم قرونا ، لم يطمئن الناس فيها على ما فى جيوبهم من مال ، ولا على ما فوق أكتافهم من رؤوس. حتى جاء القرن السادس عشر،وبدأت بوادر الديمقراطية بين أمم الأرض فى أوربا . بدأت بانشقاق الكنيسة على نفسها . ودافع المنشقون عن عقائدهم . والنقلة من الدفاع عن الحقوق الدينية إلى الدفاع عن الحقوق المدنية نقلة يسيرة . وجاء القرن السابع عشر فهب الإنجليز يوطدون دعائم السلطة فى الشعب بالدفاع عن برلمانهم . فكانت الثورة . وكان أن طاحت الرأس الذى دار به خمر السلطان المطلق فأساءت حكما

وجاء القرن الثامن عشر فقامت الثورة الفرنسية ، مهد لها الكتاب الذين أسموهم بالفلاسفة ، فلتير Voltaire ، ديدرو Diderot ، مونتسكيو Montesquieu ، روسو

وقبل الثورة الفرنسية بأعوام وقعت حرب استقلال أمريكا، وباستقلالها توطد الحكم الديمقراطي فيها

وانفسح المجال أمام الشعوب بعد ذلك لأن يتخذوا الديمقراطية عقيدة ، وأن يتخذوها أسلوب حكم . وتعددت الأساليب إلى يومنا هذا ، والغاية واحدة

والفكر العربي يقف من الديمقراطية ، من حكم الشعب

بالشعب ، موقف المناصر الشديد المناصرة . وهو يشتد فى مناصرته لها بمقدار ما أعوزه منها وهو يناصرها ويعلم أنها لم تبلغ الغاية مما آمل الناس منها ، ولكنه يناصر لأنها إلى اليوم خير ما ابتدع الإنسان من أسلوب . والفكر العربى يناصرها وهو يعلم أن حكم الشعب يقابله حكم الشعب بالشعب وهو جاهل ، وخيم العواقب ؛ ولكنه يناصر لأن حكم الطغاة ، وهو أوخم عاقبة ، وهو أعون على دوام الجهل ودوام العجز ، ودوام الفقر ودوام الذل والمسكنة ، وكثيرا ما يسول لى الشيطان أن أرى أن الطغيان يأتى من داخلنا أرحم منه الطغيان الذى يأتى من الأعاجم ، لأنه مع طغيان الأعجمى فى هذا العصر المدنى قد يأتى العلم ، وقد تأتى الحضارة ، وقد تأتى نسائم للحرية لا تهب والأبواب مغلقة . والأجنبى الطاغية قد يكون أسهل إقالة ، وأنت أجدر منه ، إن قلت هلم ، أن تستجيب لك القلوب ، أو تستجيب الحناجر ، وإن كنت حسن الظن فقد تستجيب السواعد

العلم والديمقراطية :

فهذا هو العلم وهذه هى الديمقراطية ، أظهر صفات هذه المدنية الحاضرة ، وأضخم صفاتها . وقد جاءا الإنسانية معا . متواقتين كأنما كانا على ميعاد

وإلى جانب هاتين الصفتين صفات أخرى ، اتصفت بها المدنية الغربية ، بعضها تقدم العلم فى الزمن ، وتقدم الديمقراطية ، فكان من خوالفها . وبعضها تأخر فى الزمن عن العلم وعن الديمقراطية ، فكان من مخلوقاتها . وبعضها امتزج بها فلا تدرى أهو خالق أم مخلوق وسأصيب من ذلك طرفا

المدنية وحرية الفكر :

وأول هذه حرية الفكر ، وهى صفة من صفات المدنية الحاضرة أصيلة . بدونها لا يكون علم ممكنا ، وبدونها لا يكون حكم الشعب بالشعب ممكنا ، وعلى بداهة هذا فقد ضاق بالحرية صدر الزمان . والعرب يستطيعون أن يفخروا بأنه جاءت عليهم حقبة من الدهر كانوا فيها من أكثر أهل الأرض رحابة صدر لقد كان من أسبق صنوف الحجر على حرية الرأى فى التى نعرف من التاريخ ، الحجر على الرأى الدينى المخالف أن يشيع . والعرب اختلفت فى أحكام دينها الغالب ، وجملته مذاهب استقرت على أربعة ، يستحكم بينها الخلاف أحيانا إلى حد التناقض ، ومع هذا يجمع بين أهل هذه المذاهب الصلاة وتجمعهم سائر الشعائر ، ولا يخطر على بال أحد أنه ومن على يساره أو على يمينه مختلفان . واتسعت صدور الشرق لمثل هذا فى القرون التى ضاقت فيها صدور الغرب ، فكان الاضطهاد من أجل الرأى فى الدين ، وكان الطرد من الكنيسة ، وكانت محاكم التفتيش ، وذلك فى دين عيسى الذى إن أخذ عليه شئ فى هذا الصدد فهو الزيادة فى الرحابة ، ومقابلة العداوة بالصداقة ، والكراهة بالحب ، والإساءة الزائدة بالإحسان الزائد

ومع هذا فقد أساء العرب إلى حرية الفكر إساءة لا تغتفر أبدا ، ذلك أنهم أغلقوا باب الاجتهاد فى الدين ، ليفرضوا رأى قرن على سائر القرون . فحجروا بذلك على العقول ، وحجروا عليها لما كسبت على الزمان الرجحان ، واتسع أفقها بالعلم ، واجتمع عندها الكثير من الخبرة ومحاصيل الأجيال

على أن الحرية الدينية أصبحت فى أغلب أمم الأرض اليوم عادة تكاد أن تكون شائعة . وما كان ذلك عن رحابة ، ولكن عن قلة خطر الأديان عند من بيدهم سلطان الحظر والإباحة . وقام مقام الحجر على الحرية الدينية الحجر على الحرية السياسية . وأخيرا جاء الحجر على الحرية الاقتصادية ، فهى اليوم أشد أنواع الحريات كراهة إلى ذوى الحكومة والسلطان . ولقد تميز العصر الحديث بقيام دكتاتوريات من صنوف وأنواع ، كان أول شئ خشيته فأهدرته ، حرية الرأى ، يجهر بها الفرد أو تجهر بها الصحافة ، وهى اللسان الذى إذا قال استمعت له ألوف الألوف من الآذان

والرأى العربى يقف من حرية الرأى موقف المظلوم الذى كلما نطق قيل له الخير فى السكوت . ومن أمم العرب اليوم ، أمم لا يستطيع بها الرجل المواطن أن يقول إلا همسا . ومنها أمم أكثر مجالا فى القول ، ولكن بها الساسة أحرص ما يكونون على حرية القول وهم فى معارضة ، فإذا ولوا الحكم فتلوا الحبل الذى يلتف على أعناقهم عندما يعودون فيعارضون

إن حرية الرأى والجهر به ، كسائر الحريات ، لابد لها من تحديد وتنظيم ، وإلا كان منها الجور من الفرد على الفرد . ولكن الجهر بالرأى فيما يمس حقوق الناس عامة حق من حقوق الشعب لا مماراة فيه ولا مهادنة . وبهذا يأخذ الفكر الغربى ، فيعطى أكبر مجال ، ولا يقف بها إلا حيث يختل الأمن وتهدر الأرواح

المدنية والمساواة .

إن المعانى الإنسانية ، مثل الناس ، بينها أواصر وأرحام ، والمعانى التى تتصل بالتحرير يولد بعضها بعضا ، ويأخذ بعضها عند الفكر برقاب بعض . وكذلك المعانى التى تتصل بتقييد الحرية ونفى الإرادات الإنسانية ، يولد بعضها بعضا ، ويأخذ بعضها برقاب بعض

والمساواة معنى نشأ مع الزمرة الصالحة من المعانى . فنشأ مع الديمقراطية ، ونشأ مع الحرية الفكرية ، إذ ما كان يعقل أن يكون حكم الشعب بالشعب ممكنا إلا أن تكون مساواة فى الحقوق السياسية . وما كانت حرية الفكر ممكنة إلا أن تكون مساواة فى الحرية الفكرية ، ومن هذين هدفت فكرة المساواة بين الناس إلى كل شئ من شؤون الحياة

وإذا نحن نظرنا إلى الوراء البعيد والوراء القريب ، وجدنا أمما قام مجتمعها على الطبقات ، أعاليها الأشراف ، وأسافلها الأنجاس أو أشباه الأنجاس ، وأمما أخرى كانت المساواة فيها مساواة عند الله لا عند الناس ، وأمما أخرى كانت المساواة فيها أملا تحقق أقله وأهدر أكثره ، ثم ذهبت الأيام بالبقية الباقية منه . والمدنية الحاضرة لها معان فى المساواة جيلة ؛ إلا أنها لا تزيد جمالا على معانى القدماء ، ولا عن معان جليلة جاءت بها الأديان . ولكن الفرق واسع بين المعنى الجميل يسكن صدرك ، والمعنى الجميل تجعل منه أسلوبا قائما من أساليب العيش

وفضل المدنية الحاضرة على أكثر المدنيات الغابرة أنها فصلت ما كان قد أجمل ، وأنها خلقت وابتكرت لتنفيذ معنى المساواة أساليب . وسأفصل بإيجاز هذا . ولكن لا ضرر من أن أسبق فأقول ، إن المدنية الحاضرة لم تبلغ فى المساواة بين الناس الغاية ، ولا اقتربت منها ، ولكن خطت إليها الكثير الواسع من الخطوات

المساواة أمام القانون .

وأول المساواة المساواة أمام القانون . وهى لا يمكن أن تكون فى أمة والحكم فيها مطلق . ذلك أن الحكم المطلق يقوم به رجل له بطانة تسنده . والبطانة لها ثمن ، والسند له ثمن . وهى بطانة وهو سند أكثر ما يكون للشيطان ، فهو أفدح غنما . والقانون الذى يثغر مرة يثغر مرارا ، ثم يكون كالثوب الذى تهلهل حتى ما تنفع فيه الرقع . والشعوب عانت فى دفاعها عن القانون من نفوذ ذوى الإمرة وذوى المال عناء كبيرا . وقد قضت المدنية ، حيث توجد مزدهرة ، على نفوذ ذوى الإمرة . يقف رجل البوليس السيارة فى الطريق ، وقد اندفعت بما لا يريد لها القانون من سرعة ، فيقضى بغرامة صاحبها . فيحتج هذا بمكانة له أوجاه ، فيبتسم البوليس الصغير الفقير ، وترتفع الغرامة ضعفا أو أضعافا . ولم يستطع القانون بعد أن يقضى على نفوذ المال . ومن بعض أسباب ذلك أن استصراخ القانون نفسه يحتاج إلى المال .

والمساواة فى العدالة تحتاج مع القانون إلى رجال ينفذونه وينقذونه . وهؤلاء أعز مطلبا . من أجل هذا كان الدفاع عن استقلال القضاة بضروب الحمايات ، وكان الحق فى رد القاضى إذا اتصلت به ريبة ، وكان نظام المحلفين زعما بأن الكثرة أعسر أن يتطرق إليها الفساد

وما أحوج أمم الشرق إلى بعض ما وصلت إليه أمم الغرب من مساواة أمام القانون !

البقية فى العدد القادم

أحمد زكي

٦ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

من ٩ — ١٥ نوفمبر ١٩٥١ :

مسجد وكنيسة :

فقد البريطانيون صوابهم وطاشت عقولهم ، فأمعنوا فى الإثم والعدوان . لم يكفهم قتل العزل الأبرياء من الرجال والأطفال والنساء؛ ولم يكفهم الاعتداء على المنازل والحرمات ومصادرة الأملاك والاستيلاء على أقوات الشعب . لم يكفهم هذا كله فأضافوا إثما ليس هناك أفظع منه، وجريمة ليس بعدها إجرام إذ اعتدوا على بيوت الله :

فى ٨ نوفمبر اقتحمت قوة مسلحة بريطانية مسجد نفيشة وجعلوا يطأون بنعالهم فرشه الطاهر المعد للصلاة ثم جمعوه وحملوه إلى قطارهم الحربى بعد ما ارتكبوا من الأعمال المنكرة ما تستنكره أخس النفوس إغراقا فى الإجرام والوحشية

وفى يوم الأحد ١١ نوفمبر قامت قوة بريطانية مسلحة بمهاجمة الكنيسة المسيحية بشارع الإسكندرية أثناء الصلاة واعتدوا على من فيها، ولم يكتفوا بذلك بل تربصوا بالمصلين فلما خرجوا بعد صلاتهم انهالوا عليهم بالضرب وراحوا يطاردونهم فى الشوارع

وهكذا لم تبق هناك جريمة إلا ارتكبها الإنجليز فى منطقة القنال

عزبة فاروق وفابر :

وعزبة فاروق هذه منطقة من مدينة الإسماعيلية وقد طلب الإنجليز إخلاءها من سكانها لأنها مثار قلق نظرا إلى موقعها المواجه للمعسكرات البريطانية والخوف من أن تتخذها كتائب التحرير وكرا تثب منها على القوات البريطانية ، ولكن السلطات المصرية رفضت إرغام الأهالى على إخلاء العزبة فقامت قوة بريطانية فى ١٢ نوفمبر بمحاصرة العزبة وطرد سكانها منها. وهكذا يكون احترام البريطانيين للحريات وللملكيات

وفى فايد قام الإنجليز بهدم أربعة آلاف منزل من منازل العمال المصريين . ولعلهم يحسبون أنهم بقيامهم بهذه الأعمال الإجرامية يطيلون بقاءهم بمصر. ألا فليعلموا أن كل جريمة يرتكبونها إنما هى مسمار فى نعش الإحتلال

كتائب التحرير :

قوات قليلة العدد والمدد ، ليست مزودة بالأسلحة، ولكنها مع هذا تقلق بال الإنجليز وتشغل أذهانهم . يرهبونها إذا أقبل الليل لأنهم إذا ناموا فإن « شياطين الليل » و «الفرق الخفيفة» لا تنام ، وإذا أقبل النهار لم يستطع الاطمئنان أن يصل إلى قلوب الإنجليز المسلحين فإن رجال الكتائب لا يغفلون . إن كتائب التحرير مزودة بسلاح أقوى من جميع الأسلحة ، إنه سلاح الإيمان !

وفى ليلة ١٣ نوفمبر هاجم ثلاثة من الفدائيين بعض المعسكرات المجاورة للسويس ونسفوا وابوراً للمياه فأطلق عليهم الإنجليز نيرانهم وسقط أحدهم شهيدا هو محمد إبراهيم جعفر ، فإلى جنة الخلد :

لبيك يا مصر:

العرب أمة واحدة وجسم واحد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، ومصر قلب العروبة النابض تناضل المثل الأجنبى ، والغاصب البريطانى ، ويلقى أبناؤها من مسلمين ومسيحيين أذى وتعذيبا. وهم فى كفاحهم صابرون، ولما يلقون من عنت مستعذبون ، وقد وقف العرب جميعا بجانب مصر فى محنتها :

ففى سوريا سقطت وزارة حسن الحكيم ، أسقطها الشعب لأن رئيسها كان يريد أن يقبل مشروع الدفاع الذى عرضته عليه إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتركيا ، وقد بلغ من غضب الشعب السورى أن حسن الحكيم اضطر إلى حبس نفسه فى داخل

منزله خوفا على حياته

وأما المملكة العربية السعودية فقد أعلنت أنها لا تستطيع دراسة أى مقترحات للدفاع عن الشرق الأوسط قبل أن تجاب مصر إلى مطالبها كاملة

وأما لبنان فقد أرسلت حكومتها إلى مصر مذكرة تؤيد فيها موقف مصر إزاء بريطانيا ، وقد اتخذ البرلمان اللبنانى كذلك قرارا بتأييد مصر

واليمن أرسلت مذكرات ثلاث إلى القاهرة تؤيد مصر تأييدا مطلقا

وأما العراق فقد أرسل رئيس وزرائها إلى ممثلى حكومات إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتركيا مذكرة هذا نصها :

« إن الحالة الراهنة فى مصر والقلق الذى يسود المصريين وارتقاب العرب فى أقطارهم مايجرى فى البلد الشقيق ومشاركتهم شعور إخوانهم سيؤدى إلى مشاكل فى الشرق الأوسط ليست فى مصلحة شعوبه ولا تحفظ الأمن والسلام الدولى فى هذا الركن من العالم ؛ فلا بد من النظر فى المطالب المصرية وحسم قضيتها بما يضمن حقوق مصر وسيادتها الكاملة؛ إذ سيتعذر فى الجو الذى يسود البلاد العربية الآن البحث فى المقترحات الخاصة بميثاق الدفاع عن الشرق الأوسط ؛ فلا بد من حل الأزمة المصرية البريطانية قبل ذلك . على أن البت فى المقترحات يحتم التشاور مع البلاد العربية !!

وكذلك وقفت الهند والباكستان تؤيدان مصر فأعلنتا بلسان صحافتهما « أن استمرار وجود البريطانيين فى منطقة قناة السويس وفى السودان هو فى نظر المصريين اعتداء وأى اعتداء » وأن « بريطانيا باستخدامها قواها المسلحة قد ارتكبت خطأ فاحشاً قد يكلفها فقدان البقية الباقية من نفوذها المضعضع فى الشرق »

١٣ نوفمبر ١٩٥١ :

احتفلت مصر بعيد الجهاد الوطنى من أقصاها إلى أقصاها : ففى الإسكندرية قامت مظاهرة صامتة اشتركت فيها جميع الهيئات والطبقات، وكان عدد المشتركين يزيدون عن ربع مليون نسمة من رجال وسيدات ، وكان المتظاهرون يحملون لافتات تعبر عن مشاعرهم الوطنية وعزمهم الوطيد على الجهاد والتضحية فى سبيل إخراج المحتلين الناصبين من أرض وادى النيل

وفى القاهرة احتفلت الأحزاب جميعا بعيد الجهاد : فأعلن الوفد المصرى بلسان رعيمه رفعة مصطفى النحاس باشا استمسا كه باستقلال وادى النيل وحريته وجلاء الغاصب عن أرض الوطن بجيشه المحتل ، ووحدة الوادى تحت تاج الفاروق المفدى ، وأن مصر قد أقدمت على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وهى تعلم أن فى وسع الإنجليز أن يعتدوا وأن يرتكبوا ما ارتكبوه من إثم ومناكر ، ولكنا مؤمنون مع هذا بأن للحرية ثمنا يجب أن تدفعه وفدية لا بد من تقديمها « ودعا الشعب إلى الكفاح » فالكفاح الكفاح ، والجلاء الجلاء ، والصبر الصبر ، والمقاومة المقاومة ، فلا تردد بعد اليوم ولا مهالة ، ولكن إقدام دون إحجام ، إلى الأمام إلى الأمام »

واحتفل مكرم عبيد باشا بعيد الثورة فألقى خطابا رائعا اختتمها بقوله « نحن إخوان بلادا، ولكن الأخوة الحقة هى التى تجمعنا اليوم جهادا، وقد تجمعنا غدا استشهادا، وإذا ذكرتم فاذكروا على الدوام الدرس الذى علمتنا إياه الثورة، وهو أن النار التى تحرق، هى النور الذى يشرق، فليزدهم الشيطان نارا وفجورا، ليزيدنا الله فوق نورنا نورا »

واحتفل الأحرار الدستوريون بعيد الجهاد ، وأعلن رئيسهم الدكتور محمد حسين هيكل باشا تأييده للحكومة فى موقفها قائلا : « فلنعاهد الله والوطن على الاستهانة بكل تضحية.. وأن الموقف بعد إلغاء المعاهدة أجل من أن تثار فيه الخلافات.. وأن الوزارة هى المسئولة فيجب أن تنفذ أوامرها جميعا لمصلحة البلاد »

وهكذا تجلت وحدة الشعب المصرى فى وقوفه أمام الغاصب الأجنبى، وأن هذه الوحدة الرائعة ستكون العامل الأكبر فى انتهاء الاحتلال وتحقيق وحدة وادى النيل إن شاء الله

١٤ نوفمبر ١٩٥١ :

إذا كان يوم ١٣ نوفمبر هو عيد الجهاد فإن يوم ١٤ نوفمبر هو عيد الشهداء ، وقد احتفلت به مصر فى هذا العام فكان احتفالها بهأروع احتفال . لقد سجل التاريخ هذا اليوم من أيام مصر فى أبرز صفحاته

أرادت مصر أن تحيى ذكرى شهدائها الأبرار فقررت القيام بمظاهرة صامتة يشترك فيها المواطنون على اختلاف طبقاتهم وهيئاتهم وأحزابهم . ومنذ الصباح الباكر أخذ طوفان من البشر يتجمع فى ميدان الإسماعيلية ليشترك فى هذه المظاهرة ، وقد بلغ عدد من سار فى المظاهرة نحو مليون نسمة ، ومن شهدها نحو مليون آخر ، فكانت أكبر مظاهرة شهدتها مصر

وقد كانت هذه المظاهرة استفتاء صادقا لشعب مصر ؛ وواقعا ملموسا تراه العيون وتبصره وتلمسه وتحسه . وزاد فى روعة المظاهرة اشتراك المصريين جميعا فيها ، إن لم يكن بأجسامهم فبأرواحهم وقلوبهم ، وكذلك اشتراك الزعماء ووقوفهم صفا واحدا : مصطفى النحاس مكرم عبيد . محمد حسين هيكل ، وغيرهم

وكذلك كان سير شيخ الجامع الأزهر بجوار غبطة البطريرك والعلماء ورجال الدين المسلمين والمسيحيين ، دليلا ماديا على وحدة شعب وادى النيل

وقد كانت المظاهرة صامتة ومع هذا فقد كان صمتها أقوى من قصف المدافع ، وكانت اللافتات التى يحملها المتظاهرون تعبر فى صدق عما تجيش به صدور شعب من معان وأمانى ، كان من بين هذه اللافتات ما يقول :

إرادة الشعب تسحق الاستعمار — ماء النيل حرام على الإنجليز — العرب أمة واحدة — الوادى صف واحد ضد الغاصب — النيل سيف على رقاب الإنجليز ، هذا فى مصر ؛ ولكنى أحب أن أثبت أيضا أن الأقطار الشقيقة قد احتفلت بيوم الشهداء احتفالا رائعا أيضا ؛ فعطلت المتاجر وقامت المظاهرات فى دمشق وفى بغداد وفى بيروت وفى سائر البلاد العربية ، وكلها تعلن تأييدها لمصر . إن هذا اليوم لم يكن يوم مصر فقط ؛ ولكنه كان يوم العروبة الصادقة

حيا الله العرب !

٩ مارس ١٩١٩ :

اعتقل سعد وأصحابه فى ٨ مارس فسرى نبأ اعتقالهم فى البلاد سريان البرق فشبت نيران الثورة المصرية ١٩١٩

بدأت الثورة بمظاهرات سلمية قامت فى القاهرة نظمها بعض طلبة المدارس والأزهر الشريف ، فأخذوا يطوفون الأحياء وكانوا يسيرون بكل نظام تتقدمهم الأعلام المصرية منادين بحياة مصر والحرية ، وبسقوط الحماية وطلب إعادة المنفيين

وقد تصدى رجال البوليس للمظاهرة وفرقوا شملها وقبضوا على ٣٠٠ طالب وحبسوهم بالمحافظة ، ونقلوهم ليلا إلى القلعة

كان يوم ٩ مارس إذن بدء الثورة

وفى ١٠ مارس أضرب جميع طلبة المدارس الثانوية والعالية وطلبة الأزهر عن تلقى دروسهم وأعلنوا الإضراب العام وألفوا مظاهرة كبرى وشاركهم فيها أفراد الشعب ، وقد سار الجميع فى روعة ومهابة ينتقلون من شارع إلى شارع ، مارين بدور المعتمدين السياسيين ، هاتفين بحياة مصر وحريتها واستقلالها ومنادين بسقوط الحماية

وقد حدث من بعض المتظاهرين اعتداء على قطر الترام وعلى بعض المحلات المملوكة للأجانب وحطموا بعض مصابيح الشوارع . وقد أدى هذا إلى استياء الطلبة فأذاعوا على مواطنيهم نداء طلبوا منهم فيه الإقلاع عن هذا العدوان ؛ وأبدوا أسفهم لما حدث

وقد سقط فى هذا اليوم أول شهيد فى الثورة .. سقط نتيجة

لطلقات نارية أطلقها الجند الإنجليز على المتظاهرين

وفى ١١ مارس استمر إضراب الطلبة وأضرب عمال الترام وسائقو السيارات بل والحوذية، فتعطلت المواصلات فى سائر أنحاء القاهرة، وأغلق التجار متاجرهم وتجددت المظاهرات وكثرت فى جميع أنحاء المدينة

وأصدر القائد العام للقوات البريطانية قرارا بمنع المظاهرات « وكل شخص يخالف هذا الأمر يحاكم بصفة مستعجلة . »

وتعقب الجند الإنجليز المتظاهرين وأطلقوا عليهم النار، وكان أول اصطدام بين الفريقين فوق جسر شبرا وفى شارع عماد الدين

على أن هذا العدوان لم يزد المتظاهرين إلا ثباتا وحماسا ، وكان أروع ماشوهد فى هذه المصادمات أنه كان إذا سقط حامل العلم فى مقدمة الموكب مضرجا بدمائه برصاص الإنجليز تقدم من خلفه طالب وتسلم العلم من يد القتيل مناديا بأعلى صوته : « ليحى الوطن ! لتحي مصر ! نموت وتحيا مصر ! » فيردد إخوانه هذا النداء ؛ وكان هتافهم يدوى فى عنان السماء فتخر له القلوب سجدا وينهمر الدمع تأثرا

وكان ثبات الطلبة وتضحياتهم فى سبيل الوطن مثلا من أروع الأمثلة ودليلا من أقوى الأدلة على حب المصرى لوطنه واستعذابه للتضحية فى سبيله . كان آخر هتاف للشهداء « نموت وتحيا مصر . » كان الضحايا يسقطون ولكن المظاهرة تستمر فى سيرها ولا تلقى بالا إلى العدو ولا تهتم برصاصه، وهكذا يكون الثبات وتكون التضحية . وقد سقط فى هذا اليوم ستة من الشهداء حسب بلاغ السلطة ، وكان عدد المصابين واحدا وثلاثين منهم ٢٢ إصابة بنيران البنادق

وفى هذا اليوم ١١ مارس أضرب المحامون عن مزاولة أعمالهم بناء على قرار أصدره مجلس نقابتهم

ورغم إنذار السلطة ورغم استخدام القوة الغاشمة ضد المتظاهرين ظلت المظاهرات قائمة : فقامت مظاهرات فى يومى ١٣ و ١٤ مارس فى أنحاء القاهرة المختلفة : فى الحلمية والنورية

وفى يوم الجمعة ١٤ مارس تجددت المظاهرات وتجدد اعتداء الجنود الإنجليز على المتظاهرين، وكان أكبر العدوان فظاعة ما وقع فى حى الحسين ، فبينما كان المصلون خارجين من مسجد الحسين جاءت سيارتان مدرعتان وأطلقتا النيران على المصلين من غير تحقيق أو إنذار ، وبلغ عدد القتلى اثنى عشر قتيلا، وأما الجرحى فبلغ عددهم أربعا وعشرين

ووقعت مظاهرتان أخريان فى شارع الملكة وفى حى السيدة زينب، وقتل فيهما ثلاثة عشر قتيلا وجرح سبعة وعشرون

وهكذا نجد قصة الاحتلال فى مصر . عدوان فى عدوان، وإثم فى إثم، ودماء تسفك دون ذنب

أبو الفتوح عطيفة



المجد العلمي

كلمة حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف في الاحتفال الذي أقيم يوم الخميس ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ بوزارة المعارف، لمنح الدكتوراه الفخرية في القانون لزعيم إيران الدكتور محمد مصدق من جامعة فؤاد الأول

سيدي صاحب الدولة الرئيس

يسعدني أن أستقبلك في هذا المكان باسم جامعة فؤاد الأول ويسعدني أن أستقبلك عضواً في جامعتنا، فقد شرفت جامعتنا بانضمامك إليها. لأنك خليق أن تشرف كل هيئة تنضم إليها لأشياء كثيرة

أولها أنك تمثل الشعب الإيراني العظيم، وللشعب الإيراني العظيم مكانته الممتازة بين الشعوب، فهو من هذه الشعوب القليلة جداً التي استطاعت أن تقهر الزمان وأن تقهر التاريخ. كان لها حظها من تشييد الحضارة حتى بلغت من ذلك أرفع درجات المجد. ثم كان لها حظها من مقاومة الخطوب حتى أصبحت مثلاً يضرب للشعوب الحديثة. اختلفت عليها الخطوب الخطيرة الشديدة، وتعاقبت عليها المحن المهلكة المضنية، ولكنها صبرت وصابرت، وثبتت وقاومت وانتصرت آخر الأمر على كل خطب، وتغلبت آخر الأمر على كل صعوبة، وذللت آخر الأمر كل عقبة، واستردت سيادتها في قوة وعظمة ومجد خليقة بالفخر والإكبار

هذه الشعوب التي قاومت وانتصرت وقهرت التاريخ قليلة؛ أذكر منها شعبك العظيم، وأذكر منها شعبنا هذا المصري الذي تشرفه بزيارتك في وقت من أشد أوقاته خطورة وصعوبة. فلو لم يكن بين شعبك وشعبنا إلا هذه الخصلة خصلة الصبر والاحتمال والمقاومة والظفر والانتصار آخر الأمر، لكنت خليقاً أن تشرفنا بانضمامك إلى أسرتنا. ثم إنك تمثل هذا الشعب الإيراني العظيم الذي شارك بأعظم قسط ممكن في تشييد الحضارة حتى حار المؤرخون أي الشعبين أعظم خطراً في تكوين هذه الحضارة.. أهو الشعب العربي الذي أهدى إلى العالم لغته العربية، وبشر العالم بالدين الإسلامي الحنيف؟ أم هو الشعب الإيراني الذي تلقى هذه الهدية فتقبلها راضياً مسروراً، ووعاها مجاهداً في سبيل تنميتها والدفاع عنها، حتى كان هذان الشعبان العظيمان صاحبي الفضل الأول في تأسيس هذه الحضارة وبناء مجدها. فلو لم يكن لشعبك إلا هذا الفضل؛ فضل المشاركة الخطيرة في تشييد الحضارة الإسلامية وخدمة اللغة العربية ونشر هذه الحضارة واللغة، لكان ممثله خليقاً أن ينضم إلينا في أسرتنا الجامعية فيضيف إلينا شرفاً ومجداً. ثم إن انضمامك إلينا يشرفنا لأن شخصك خليق أن يشرف كل من ينضم إليه، شخصك يمثل الجهاد في أروع صوره وأقوى مظاهره، يمثل الجهاد في سبيل مجد الوطن، وفي سبيل حريته واستكمال سيادته، ويمثل جهاد النفس في سبيل التغلب على المصاعب، وقهر المشقات، وتذليل العقبات، وتيسير ما لم يكن سبيل إلى تيسيره لولا هذه الإرادة القوية التي تستمد من إرادة الشعب الإيراني، والتي لا تعرف قهراً ولا خضوعاً للخطوب. إنك يا سيدي الرئيس قد تعلمت في إيران ثم سافرت إلى أوروبا فدرست في فرنسا، ثم عدت إلى إيران، ثم سافرت إلى أوروبا فتخرجت في سويسرا، ثم عدت إلى إيران، وفي كل هذه الرحلات كنت تقاوم الأعباء والجهد، وكنت تقاوم مصاعب الحياة. ثم إنك لم تطمئن إلى ما حصلت من علم، ولم تقنع بما أدركت من مجد، ولكنك تركت العمل الرسمي لاستئناف الدرس في بعض أوقات الشباب. ثم لم يكفك هذا كله ولكنك أبيت إلا أن تكون صورة ناطقة لشعب حر، فقاومت البغي والطغيان، وأبيت أن تذعن للاستبداد مهما يكن مظهره ومهما تكن صورته. واحتملت في ذلك آلام النفي كما احتملت في ذلك آلام السجن كما احتملت في ذلك العزلة القاسية المضنية. والشعب في أثناء ذلك ينظر إليك، محباً لك عطوفاً عليك، مكبراً لجهادك ومقاومتك. وها أنت هذا الآن وقد ارتقيت إلى أرفع منصب من مناصب وطنك، تنطق باسم الوطن وترفع صوته عالياً يملأ الدنيا بكلمة واحدة هي التي تشرف بها الشعوب الحرة الأبية، وهي التي تفرض على الدنيا احترام هذه الشعوب الحرة الأبية،

الأدب وطلقات المدافع!

« إلى صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن »

للأستاذ على متولى صلاح

من أبعد الأشياء من الصواب أن نفهم الأدب على أنه كلام! وأن نفهمه على أنه موا كب ألفاظ رنانة جميلة، ومعارض بلاغة تأخذ بالسمع وتخلب اللب، ويرقص لها الإنسان كما يرقص الزنوج — مثلا — على دقات الطبول!

ذلك فهم للأدب بعيد عن الصواب أكثر من البعد الذى بين المشرقين! وقد نسمعه من بعض الجاهلين فلا نلتفت إليه، أو نسمعه من غير رجال الأدب فنعده من باب الخطأ فى فهم شئ لم يحذقوه ولم يدرسوه. أما نسمعه من رجال الأدب أنفسهم الذين قضوا فى الأدب حياتهم، والذين نالوا حظا من دراسة الأدب وفهمه، ومارسوه ممارسة عملية طوال حياتهم، فذلك خطر على الأدب شديد، وذلك انحراف بالأدب من منهجه الصحيح القويم، أو هى نكسة بالأدب إلى الوراء يوم كان سداه ولحمته اللفظ ولا شئ سوى اللفظ!

والذى يقرأ ما كتبه صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد الفائت من مجلة « الرسالة » عن المفاضلة بين « السلاح الصوال » وبين « اللسان القوال » لا يحسب مثل هذا الكلام يصدر إلا عن أحد اثنين: إما جاهل بطبيعة الأدب ووظيفته ومدى اتصاله بالحياة، وأنا أعيذ الأستاذ الصديق أن يكون ذلك الرجل. وإما عدو للأدب متحامل عليه ويحرف الكلم فى وصفه عمدا لينال من مكانته، وليس الأستاذ الصديق ذلك الرجل بطابيعة الحال!

يقول الأستاذ «...ولكنى أرجو أن تحمد فى أمتنا الأفعال لا الأقوال » ويقول « فنحن اليوم إلى سلاح صوال، أحوج

وهذه الكلمة هى كلمة « لا » . قلتها للقوة الضخمة التى لم تتعود أن تسمع هذه الكلمة.. قلتها وأصررت عليها واضطرت القوة الضخمة لأن تسمع لها إذعانا. فنصرت شعبك الذى تعود النصر وأضفت إلى صفحاته الخالدة صفحة جديدة. فمن الحق أن نشرف بأن نضمك إلى أسرتنا الجامعية من أجل هذا كله

ولكننا قوم لا نتأثر بالمجد السياسى وحده، نحبه ونكبره ولكنا نحب قبل كل شئ شيئا آخر هو هذا المجد العلمى. وأنت يا سيدى الرئيس عالم قبل أن تكون سياسيا. درست السياسة والفقه الحديث فى أوربا، ودرست العلوم الحديثة المختلفة فى وطنك، ولم تضع عزلتك ولا عملك فى السياسة وحدها؛ ولكنك شاركت فى العلم على اختلافه.. شاركت فى العلم القديم وشاركت فى العلم الحديث. ألست قد ألفت فى اللغة الفرنسية كتابا عن الوصية على مذهب الشيعة؟ فقد ألفت إذن كتابا فى الفقه الإسلامى القديم. ثم إنك قد ألفت فى الفقه الدستورى المقارن؛ قارنت بين الفقه الدستورى الغربى فى أوربا وبين الفقه الدستورى الحديث فى إيران. ثم ألفت فى الفقه المالى فقارنت بين التشريع المالى الحديث فى أوربا وبين التشريع المالى فى إيران، ثم شاركت فى الفقه القانونى عامة فألفت فى تبعات الموظفين أثناء تأدية وظائفهم، وألفت فى الشركات المساهمة، وألفت فى مبدإ تسليم المجرمين السياسيين. فأنت فقيه قديم، وأنت فقيه مدنى، وأنت فقيه سياسى إدارى. فإذا جمع شخص من الأشخاص علم الفقه على اختلاف عصوره ومعانيه ومذاهبه وأنواعه إلى هذا الجهد السياسى الضخم وإلى هذه المقاومة السياسية الهائلة.. كانت جامعة فؤاد الأول التى أنشأها فؤاد العظيم لتضرب أرفع المثل لأبناء مصر فيما يرفع الحضارة ويعلى شأنها، وينشر الأخلاق ويحببها إلى الشعوب، ويحبب إلى الشباب البحث العلمى، كانت هذه الجامعة خليقة أن تشرف بضمك إليها.. سعيدة بأن تمدك اليوم أحد أعضاء أسرتها

طه حسين

منا إلى لسان قوال » ، ويقول :

هذه الأقوال لا تحمى شهيدا من ضحايا الحق، أو تشتق أواما
أطلقوا المدفع . . . لا حنجرة وارجعوا للسيف في الحق احتكاما

ويقول :

لا تردوا عنكمو غدر الأعادى بالعبارات نثارا ونظاما ...
الكلام اليوم لا يحمى حقوقا والبيان اليوم لا يرعى ذماما ..

وهذه دعوى خطيرة جدا على الأدب ، ويزيد خطورتها هنا أنها صادرة عن أديب !

فالأدب ليس كلاما لا طائل وراءه ولا نفع فيه ، لأنه لا يحمى شهيدا ولا يرد غدرا ولا يحمى حقوقا ولا يرعى ذماما ، بل إن الأدب يصنع كل ذلك وأكثر جدا من ذلك. والكلمات كما يقول هازلت : « إنما هى أفعال فإذا تكلمت فقد فعلت ! » والكلمات — كما يقول جان بول سارتر زعيم الوجودية — هى « أسلحة نارية مشحونة بالقذائف، وأن الإنسان إذا تكلم فقد أطلق ! » وليست الكلمات — كما يقول سارتر أيضا — « نوعا من النسيم يتوهمه أصحاب نظرية الأسلوب البحت يجرى على سطح الأشياء فيمسها مسا خفيفا دون أن يغير شيئا فيها » وأنا أسأل الأستاذ لماذا يكتب الكاتب ؟ أيكتب ليسجل خواطره الخاصة لنفسه حتى يمكنه استعادتها كلما عن له ذلك ؟ لو كان الأمر كذلك لكفاه أن يخط بضع ملاحظات سريعة على الورقة يسترجع بها خواطره المستقرة فى أعماق نفسه كلما شاء ! لأنه سيذكر هذه الخواطر فى يسر وسهولة كلما رجع إلى هذه الملاحظات السريعة ، ولكن هذه الملاحظات السريعة ليست من الأدب فى شىء ، فلماذا إذن يكتب الأدباء؟

إن الأدباء يكتبون ليدعوا القراء — والقراء هم الحياة — إلى عمل من الأعمال ؛ وليهيجوا فى نفوسهم عاطفة من العواطف ، وليؤججوا فى قلوبهم الحقد والكراهية — مثلا — للأعداء ، والحب والمودة للأصدقاء ، والحقد والكراهية يؤديان بصاحبهما إلى عمل ، والحب والمودة يؤديان بصاحبهما إلى عمل آخر ! ألم تر إلى العرب الأقدمين كيف كانت القبيلة منهم تقيم الأفراح إذا ظهر فيها شاعر ! لأن الشاعر فى اعتبارهم هو حامى الذمار ، والمدافع عن شرف القبيلة ، والمتصدى بلسانه للأعداء ؟ ألم تر إلى الأوربيين كيف ماتت فيهم اليوم فكرة الفن للفن l'art pour l'art — مع أن الأدب عند أصحاب هذه النظرية ليس كلمات وألفاظا فقط ؛ بل إنه ذلك وأشياء أخرى غير ذلك ! — ماتت هذه الفكرة عند الأوربيين اليوم ، وأصبحت كلمة « الفن للفن » عندهم — وهى ما يطلقون عليها « الفن الخالص » — مرادفة تماما لكلمة « الفن الفارغ » !!

إن الأدب يا سيدى هو كل شىء فى الحياة الآن ، أو على الأصح ، هو أصل كل شىء الآن ، وعلى هذا الأساس يحمل سارتر الأدباء مسئولية ما يوجد فى الحياة من رذيلة وقبح واستعباد وظلم واستغلال وما إلى ذلك ، ويجعلهم أول المسئولين عن جميع هذه المفاسد قبل كل إنسان آخر ؛ لأنهم الموجهون للدولة، والمرشدون للناس ، والكاشفون للسوء ، والدالون على الخير ، والمنبهون إلى الشر ، والفاضحون الأشرار ، والمادحون الأخيار ، والمنشطون عزائم الناس ، والمستحثوهم على الذود عن الوطن ، والمستنفروهم إلى الحرب والضرب والدفاع عن بلادهم ...

يقول برنارد شو : « كان الإنسان فى الأزمان الغابرة سلاحه السيف ، وظل هذا السيف يصغر ويصغر حتى ظهر القلم ! »

أما الدعاية وقوة تأثيرها واعتبار الدول لها الآن فى المحل الأول من الأهمية فى الحرب والسلم على السواء ، فعندى أن الحديث فى ذلك معاد مكرور لأنه لا يخفى على إنسان

إن الكلام يا سيدى ليس بهذا الهوان والضعف الذى وصفته به وأنت الأديب القوال ! إنه شىء أحظى جدا من هذا وأبعد أثرا فى الحياة من هذا !

وحيا الله الأستاذ العقاد حيث يقول هذا البيت الحكيم :—

ما دام فى الكون شىء للحياة يرى
ففى صحائفه للشعر ديوان

على متولى صلاح

شذرات في الحياة :

١ ـ عبقرية الكذب !.

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

أقبل صاحبي وعلى وجهه تجهم الغضبة ، وتكشر الوثبة ؛ فقلت : حسبك ! ، ماذا دهاك ؟

قال : أحسبك تمعن فى التحليل كعادتك ، حتى يكاد التكلف يلحق بتفكيرك

قلت إنى أكلف بالمعرفة . وأبغض التكلف ، ويشفعنى إحالة المظهر إلى المنطق ، فإذا كنت مغيظا ، سأكون دائماً غائظك !

قال : مادمت تحلل نفسية الكاذب ، فلا أجد حبيبا إلى قلبى سوى إغاظتك لى !

قلت : وما الإصر الذى أثقل نفسك حتى جعلك مثقلا بالهموم ؟

قال : إن الكذوب يسخر منى ، ويحسبنى فى غفلة !

قلت : فى مقدورك أن تحيله إلى غفلته ؛ فيكون هو المغفل !

قال : هأنت ذا تعمد إلى الإبهام حتى تغمض عين أسلوبك !

قلت : ليس ثمة غموض ولا إغماض ؛ فالأمر أيسر من أن علا به تفكيرك السليم ؛ فالكذب « تعمية » ، ولا يعمى الأمور سوى الضعيف المتهافت على الخداع ، لأنه يرى فى أعماقه « غموضا » ، ويخشى أن ينكشف هذا الغموض الذى يستقل به إحساسه . فما أشبهه بالتلصص الذى يريد السرقة على ضوء مصباحه ، لأنه يسرق نفسه ، ويغش حسه ، فى حين يعتقد أنه موهم وهو واهم !

قال : أغريزة الكذب ؟ أم خليقة مصنوعة ؟

قلت : لقد قرأت عنه ، لكن لم يرضنى ما قرأت . وليس ذلك غرورا ؛ فإن المنطق أساس المعرفة فى معتقدى ، والكاتبون لم يطلوا إلا من نوافذ نفسية ضيقة محيلين الواقع إلى الافتراض ، والتخيل ، والوهم ، مع أن الحقائق الإنسانية يمكن استقاؤها من أسلوب السلوك ، والكذب مظهر من مظاهره ؛ فلا بد أن يكون هناك ارتباط بين حياة الكاذب وطبيعة إعداده ، وتكوينه ، وتنشئته ، والحياة لم تمنح الأفراد منحها على غرار واحد ؛ فنشأ « الحرمان » الذى يوجد فى النفوس المحرومة ثغرات تتسع كلما تقدمت الأيام بهذه النفوس ؛ والمنطق الطبعى يجعل سلوك المحرومين ذا شذوذ نؤاخذه عليهم فى الوقت الذى نمضى فيه ولا نؤاخذ أنفسنا عليه

قال : أتظن « الكذب » قدرا مشتركا بين الأفراد ؟

قلت : لا أقول مقولى على الإطلاق ، وإنما أسوقه فى مساق التحليل الإنسانى كوحدة مرتبطة الأجزاء فى كل نفس بشرية ؛ فأنت قد تأخذك شهوة الكذب إلى التوريط فى أمر لا تحبه ؛ وقد تخلصك من مأزق تأزمت به نفسك !

قال : لكنى أسائلك عن الكذوب الذى يهوى الكذب لذاته . .

قلت : إن التهافت على الرغبات منذ تحبو الغرائز فى صدر الإنسان لا تجد من يحد من حدتها ، فتقود صاحبها إلى تحقيق هذه الرغبات فى الواقع أو التوهم لإشباع التهافت ، وتحقيق الكيان الوجودى !

وقلت : لا تحسب الكاذب يصطنع الحقائق ، وإنما تصورها « أحلام يقظته » فيريد تحقيقها بحسب ما ترى هذه الأحلام ، وهو يجد لذة عجيبة تعزيه عن الحرمان ، وتدنيه من المتعات المبهمة ..!

قال : كأنك تحبذ الكذب ، وتوجه الكذابين ...

قلت : رويدك ! .. أما تعرف من نطلق عليهم اسم

« الفشارين » . ؟

إنى أتجه بتحليلى إلى هذا الصنف من الناس ؛ فهم ظراف ، لطاف ، بحابيح يرفهون عنا بأكاذيبهم أعباء الحياة ، ويحلقون بأجنحة أخيلتهم حتى يرتفعوا عن دنيا الحقائق المرة إلى الرؤى الحالمة ، والمرئيات الوهمية، فهم يشبعون على مسغبة ، ويبلون الريق على ظمأ ، ويغتنون مع حرمان !

قال : لكنهم يضايقوننا فى اصطناع ما ليس حقيقة

قلت : أسائلك بحقك . ألم تأخذك « البحبحة » فى بعض أمرك ، فتترك نفسك على السجية ، فتدعى أنك أكلت « الديك الرومى » وأمعاؤك تكذبك

وتقول : لقد أغرقتنا فى شراب المدس ؟!

قال : ليس التفكه مقام بحثنا ، فصور لى مدى سخرية الكاذب من سامعيه

قلت : إن الكذب على الأسلوب الذى صورته لك هو القدر المشترك بين سائر الناس ، والكذاب « المبقرى » هو الذى يمكنه قيادة العقول إلى تصديق ما يقول ، ولست محبذا خليقة الكذب على الإطلاق ، لأنها قائدة كل رذيلة من الرذائل ، ومدعاة إلى النفور ، وهدم الثقة ، وشناعة السمعة

لكنى أقول : إن الكاذب « المتعمد » فى كذبه الذى يبغى الإضرار بالناس ، والاستخفاف بهم ، والنيل منهم ، وإلغاء عقولهم ، يجب أن نلطم أكاذيبه بالتسفيه ، والزجر ، والتحقير ، والتزييف ، وقد نعتوا الكذب قديما بأنه لاذاكرة له ، والصدق يتبع الأسلوب المنطق فى صحة نتائجه ومقدماته ، والكذوب مضطرب القول بذكر الشئ ونقيضه فى وقت واحد ، لأن الزمن لا يسع السلب والإيجاب مرة واحدة ، فالواقع أن الكذاب « مغفل كبير » لكنه يغفل كثيرا عما يسوق من حقائق ملفقة ، وأحاديث موهومة ، فيثبت آنا ، وينفى ما أثبته آنا ، وهو فى الحالين مضطرب النفس ، معذب الإحساس ، يود فى قرارته أن يفصح عن الحق ، ولكن تمنعه «رغبته» فى الكذب من الانحياز إلى الوقائع الصحيحة السليمة

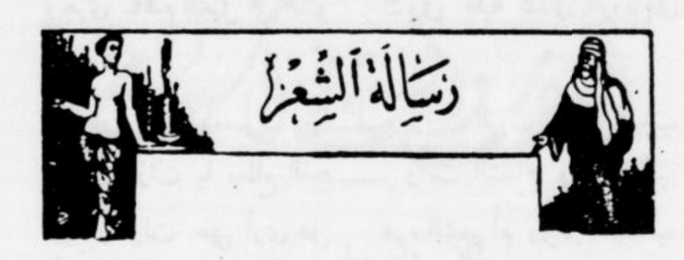
قال صاحبى : وكيف ننسبه إلى التغفيل ؟

قلت : الأمر سهل ! كر على قوله بالزيف ، وذكر ذاكرته الغافلة عما يسوق من تخالف ، وتباين ، وتناف ، فتسخر من سخريته وتريح نفسك ؟

قال : كم أنا مغيظ من الكذاب الأشر !

قلت : هون عليك !... ثم قل لى : أليست حياتنا أكذوبة كبيرة .؟!

بور سعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**



الشعور المكبوت

للأستاذ عبد اللطيف النشار

الشعور المكبوت فى مصر ثارا ... فانفثى يا جوانب الأرض نارا
واقذفى بالطغاة فى كل صوب ... واجعليهم حول اللهيب شرارا
دأب مصر من عهد نشأتها الأولى توالى سكينة وانفجارا
الشياطين والملائك منا ... واختيارا سلوكنا لا اضطرارا
أخرجوا الآن لا اصطبار عليكم ... وابتغوا غير هذه الدار دارا
أخرجوا الآن لا مكان بمصر ... لمغير يسطو جهارا نهارا
مستخفا بكل ما قدس النـاس خسيسا فى فعله استهتارا
أخرجوا الآن مادام الناس ماء ... حسبنا منكمو جنون السكارى
إن عهـدا ما بيننا ختمتموه ... ليس يحمى مخادعين حيارى
استندتم إليه من بعد أن أصبح ظلا وخلتموه جدارا
فهوى الظل والذى اتخـذ الظل وقاء لظهره منهارا
وتحركتمو كأن حيـاة ... بقيت فيكمو تمانى احتضارا
رمق خافت بنفس الذى يقتل طفلا ولا يرى ذاك عارا
قتلت (أم صابر) بيـد أضعف نفسا من أن تواجه ثارا
أو يحمى القناة أمثال هـذا ؟ ... حسبكم ذلة ويكفى صغارا
خطر ما أثرتموه عظيم ... خطر أن تواجهوا الأخطارا
بنفوس تظن فى قتلها المرأة فوزا لجيشها وانتصارا
الجاتم إلى الكنيسة والمسجد خوفا من مثلها وفرارا
أرأيتم مجائزا فى طريق ؟ ... هن أمثالكم تخوضوا الغمارا !
أم تبولون فى المساجد ذعرا ... أم أردنا للأرذلين اعتـذارا
أيها الحر أوجها ستزيدون ... بمـا قد سفكتموه احمرارا
ضرجوا هذه الخدود بأرض ... قد قتلتم صبيانها والعذارى
يا بنى البحر فى السفين نجاة ... لكمو اليوم من رمال الصحارى
وإلى حيث شئتمو من قرار ... فابتغوا غير رمل مصر قرارا
زعموا مصر جنـة قلت كانت ... فانظروا الآن تبصروا مصر نارا
بالحديد المحمى نرمى ونرمى ... أتريدون للحديد انصهارا
سعرته عداوة هجتموها ... وعلى مستثيرها ما استثارا
ما البراكين تغتلى النـار فيها ... كقلوب حرى تحاول ثارا
كان نورا ما أسفرت مصر عنه ... فـكساه مقت الأراذل قارا
حم فوق أرؤس القوم تهوى ... ليس تبقى من العدى ديارا
لعنة فى ضمائر القوم أودت ... بمطيعين يصرمان انتحارا
رأيا مسلك اللصوص عجيبا ... فأثارا من الجوى ما أثارا
أبيا أن يكون قوتهما المسروق ... من مصر قوة واقتدارا
أبيا أن يطوف جيشهما الباسل فى السوق خائفا يتوارى
الهب القائدان رأسيهما يأسا فـكانا عن الطغاة اعتـذارا
ذهب اثنان من ربابنة الأسطول فى أمة تسود البحارا
وتلا الهالـكين منهما ثالث جن فهل رد عقله المستعارا
ليس يخلو من الضمائر شعب ... يشمل الصالحين والفجارا
جيش إنـكلترا بمصر تخير ... أجـلاء إردته أم بدارا
فيكمو الصالحون قد آثروا الموت وفيكم وقاحة لا تبارى
كل باق بمصر منكم فلص ... فليحاسب ضميره كيف صارا
قيل أخلاق لندن قلت مرحى! ... قد رأينا جيشا لهـا جرارا
يسرق الزاد تحت راية ملك ... كان فيما مضى يتيه افتخارا
خادع العـالمين عصرا طويلا ... وأزاح الزمان عنـه الستارا
يا بنى مصر إن فى مسلك الحر ازدراء لشأننا واحتقارا
وبدأنا فلا رجوع فإنا ... قد ملأنا الأسماع والأبصارا
ولفتنا العيون فى الشرق والغرب إلينا فهل نطيق اعتـذارا
ابذلوا المال قبل أن تبذلوا النفس ففى المال فتنة لا تجارى

عبد اللطيف النشار

من الأعماق

للأستاذ عبد العزيز مطر

من الأعماق نبعثها غضابا مدوية نشق بهـا السحابا
عقدنا العزم أن نحيا كراما ولو ذقنا الشدائد والصعابا
ونحيي عهد أجداد أباة لنجدر بالفراعنة انتسابا
ونسطر فى سجل الخلد أنا وثبنا الوثبة الكبرى خبابا
نلبى دعوة الوادى إذا ما أشار إلى الشبيبة أو أهابا
من الأعماق نبعثها تدوى سنتزل بالقراصنة العقابا
ونطعمهم كراهية وبغضا ونسقيهم حميا بل عذابا
ونعطى «للعجوز» الغر درسا فنلزمه الحجة والصوابا
وما للغرب عتب لو فعلنا فإن الحق لا يرضى العتابا
صبرنا صبر «أيوب» عليهم فأحصينا جرائمهـم كتابا
رأينا الصبر لا يجدى فتيلا «ولكن تؤخذ الدنيا غلابا»
فألقى «مصطفى الوادى» صكوكا بها اغتصبت أراضينا اغتصابا
وصفقنا من الأعماق بشرا ونادينـا نداء مستطابا
تحررنا من الأغلال فانهض سليل المجد مرموقا مهابا
فلا حلف نثنـانى أثيم يجر لنا المـذلة والتبابا
ولا حلف رباعى بغيض يعود إلى الوراء بنـا احقابا
ويربطنا بقرصان لصوص ويجعل ما بنينـاه خرابا
هو القتل المقنع قدموه وسموه «مشاركة» كذابا
فهبوا فتية الوادى أسودا وأجلوا عن عرينكم الذئابا
وكونوا حول عرشكم الفدى كماة لا تهابون الحرابا

عبد العزيز مطر

المحرر بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

إلى روح صالح الشرنوبي

للأستاذ كامل أمين

صرت وحدى بغير كأس وساق وخبـوت حانتى وبانت رفاق
أيه يا جار والغبوق على الد ن كأن الطلى دموع الفراق
أرأيت التى هنا كان بالأمـــس يريق الحياة غمر الزقاق
بعد أن كان مل‌ء كأس الندامى أصبح اليوم مل‌ء دمع المآقى
مر بالأرض كالغريب ابرنى رأيه الحر بين أهل النفـاق
وجرى كالدم النبيل على الشو ك وفى قلبه شذى الورد باق

* * *

أى قبر نزلت يا مسرب الخـــير وأنت الرباب وهو اليباب
أى قبر نزلت يا مطلع الفجـــر وأنت الشعاع وهو التراب
أى قبر نزلت حتى أرى هل هزه الشعر أم رواه الشباب
أهنا نترك الأكاليل تذوى؟ ولمن.؟ للذى حواشيه غاب
ينبت الزهر من معانيه ما ينبـــته الخلد لا الربى والشعاب
طالمـا قال لى تجلد وقلبى خلبه الهم غلفته الحراب
وثوى الصابر المصبر، حقا إنمـا هذه الحيـاة سراب

* * *

ثم قريرا فلن ترى بعد هذا الـــيوم نذلا ولن تلاق لئيما
فى التراب الذى نزلت ثوى الخلـــق فضم الحصى وضم النجوما
عادل الموت لا يكرم فى الحـــق خبيثا ولا يذل يتيما
كل شئ به سيبمثه اللـــه كما كان سافلا أو كريما
بين ذكرى تفوح كالمندل الرطب وذكرى تهب ريحا سمـــوما
والذى صارع الخطوب عظيما ستـــواريه فى ثراه عظيما

* * *

رب فجر كشعره ضاحك السـن رطيب الندى صبوح القوافى
لمست إصبع الحياة حواشيـــه فسالت دموعه كالسلاف
تستقى الطير منه وهى النشاوى وتغنى به الشجا وهو خاف
كنت أرجو بأن أريق قريضى لا لبرثيك بل ليوم الزفاف
آه يا من نهضت فى الصخر كالور د ويا من قطفت قبل القطاف
وتفجرت فى الحجارة كالنبع طروب الحيا سخى الطواف
عشت.ما عشت فى العفاف وووريت فووريت فى التقى والعفاف

* * *

طف بعرش الكريم واشك له النـاس وقل ما لقيته فى حياتك
لا تركت الضياع تورثها النفـــل ولا فى يديك حقد عداتك
بل فقير كما ولدت وإن كـــنت غنيا بثروة من صفاتك
تحمل الحب والدموع على الأر ض كما تحمل الحياة لفاتك
أقفرت حولى الحيـاة فما لى لا أرى اليوم غير وجه نماتك
يرسلون الأسى وأقسم (يا صا لح) لم يرسلوا سوى عبراتك
كنت معنى الوجود حتى إذا ما مت مات الوجود يوم مماتك

كامل أمين

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الله لحمه فصيح :

كتبت في العدد الأسبق من الرسالة (١) ردا على الأستاذ أحمد محمد بربري في تخطئته — بصحيفة الأساس — الدكتور طه حسين في قوله بأحد مؤلفاته « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا نشرت على أنها لم تنشر » إذ رأى الأستاذ أن الصواب « فيدخلوا » لا « فيدخلون » متوهما أن الفعل منصوب بعد فاء السببية..وقلت ما مجمله أن الفعل مرفوع لا منصوب

وقد تناول الأستاذ بربري هذا الرد ، برد عليه في « الأساس » (٢١ — ١١ — ١٩٥١) قال بعد أن أورد ما كتبته :

(ولقد علمني « شيخي » أن مسوغات النصب بعد فاء السببية هي : الأمر ، والنهي ، والدعاء بفعل أصيل ، والاستفهام ، والنفي ، والعرض ، والتحضيض ، والتمني ، والرجاء على خلاف ، وغير عند الكوفيين ، والتشبيه الواقع موقع النفي

فما غاب عن شيخي أن النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لا بد له من مسوغ ، وإنما غاب عن الأستاذ عباس خضر كثير من المسوغات ..فإن تعبيره غير جامع ولا مانع ، لأن النفي والطلب — إذا روعيت الدقة — بعض من كل ، في حين أن من يقرأ كلام الأستاذ يفهم أنهما كل شيء في هذا الباب ، كما يفهم أن ثمة تضادا بين فاء العطف وبين فاء السببية . . فالفاء عنده إما أن تكون عاطفة ، وإما أن تكون سببية .. والواقع أنه لا تضاد ، وأن فاء السببية عاطفة في أكثر الصور ، قاطعة في بعضها .. وأن بعض النحاة ليعدها عاطفة دائما حتى إذا انتفت المشاكلة بين الجملتين .. ومع هذا لنعد من هذا الأمر ، فنحن متفقون على أنها في قول الدكتور طه حسين « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا على أنها لم تنشر .. الخ » عاطفة .. وإنما وجه الخلاف في المعطوف عليه .. فالأستاذ عباس خضر يرى أنه « يريدون » وبهذا يسلم قول الدكتور طه حسين من اللحن .. أو يصبح ، على حد عبارة الأستاذ خضر ، لحنا فصيحا . بينا يراه شيخي لحنا قبيحا ، لأن الفاء عاطفة على « يضحكوا » لا على « يريدون » وأن الأستاذ عباس خضر يتحكم .. ونحن نحتكم إلى قواعد العربية . . وأنها لتقرر أن فاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب على خلاف الواو . فأنت ، إذ تقول جئت فسممت فتكلمت . تعنى أن هذه الأفعال وقعت متعاقبة كما رتبتها الفاء فإنها تربط ما قبلها بما بعدها ربطا مباشرا ...

فإذا نظرنا في كلام الدكتور طه حسين مع مراعاة حكم القاعدة ، تعين العطف على « يضحكوا » . .

وأحب أن أقول للأستاذ عباس خضر إن بين النحاة من لم يرضه تعليل الرفع في قول الحطيئة « يريد أن يعربه فيعجمه » لأن انتفاء السببية لم ينف العطف بالفاء . . وهو هنا إنما يكون على أقرب الفعلين كما تقضى قاعدة الترتيب والتعقيب . وما صح كلام الحطيئة إلا لأنهم تجوزوا وتوسعوا في الشعر ، فرفعوا ما حقه أن ينصب ، كما في رجز الحطيئة ، ونصبوا ما حقه أن يرفع كما في قوله :

سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فأستريحا

وإن كان بعضهم يرى جواز النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية دون اعتماد على نفي أو طلب أو غيرهما

ورفعوا ما حقه أن يجزم كما في قوله :

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقد يكون الأستاذ عباس خضر ممن يرون أن كلام الدكتور طه حسين كله شعر . . وأن من حقه في التجوز والتوسع هو حق الشعراء جميعا سواء أقبل النحاة ، أم رفضوا .. وسواء أغضبوا أم رضوا .)

(١) العدد ٩٥٩

أقول مرة ثانية : سبحان الله يا أستاذ .. ويا عجبا لك ولشيخك ! كيف غاب عنكما فى هذه المرة أن « المسوغات » التى ذكرتها ، من الأمر والنهى .. الخ ، هى نفسها أنواع الطلب وليست شيئا مغايرا له .. كما غاب عنكما فى المرة الأولى أن المضارع لا ينصب بعد فاء السببية إلا إذا سبقت الفاء بنفى أو طلب ... ؟ وإذا كنت تعتقد أن هذه « المسوغات » التى غابت عنى أشياء أخرى غير الطلب فما هو الطلب إذن .. ؟ هل أطمع أن تذكر لى مثلا من أمثلته ؟ أو كيف علمك « شيخك » أن هذه الأشياء التى تسبق فاء السببية فينصب الفعل بعدها اسمها « مسوغات » وما هى إلا شروط .. ؟ ولعلك عرفت الآن أنه لا داعى لمراعاة « الدقة » فى التعبير .. إلى آخر ما طاب لك فى هذا المقام ..

وأنا يا سيدى الأستاذ لم أنف السببية من الفاء العاطفة ، فقد قلت إنها فاء العطف وأنا أقصد أنها ليست فاء السببية التى يعدها النحاة من الأدوات التى ينصب المضارع بعدها بأن مضمرة إذا سبقت بطلب أو نفى ، فالذى يهمنا من الفاء فى موضوعنا إنما هو أثرها فى الإعراب

والنمد عن كل ذلك ، على ما فيه .. لنصل إلى محور الموضوع ، وهو نصب الفعل « يدخلون » فى كلام الدكتور طه حسين على ما ترى ، ورفعه على ما أرى . إنك خطأت رفعه فى مقالك الأول لأنه — كما توهمت — واقع بعد « فاء السببية » فلما عرفت أن فاء السببية لا ينصب بعدها الفعل إلا إذا سبقت بنفى أو طلب (بغض النظر عن فهمك للطلب من حيث إنه غير جامع لما ذكرت من الأمر والنهى .. الخ)

لما عرفت ذلك من ردى أو من شيخك بعد أن قرأت هذا الرد .. حورتَ المسألة إلى وضع آخر ، إذ قلت إنك متفق معى على أن الفاء عاطفة وإنما الخلاف فى المعطوف عليه ورجحت العطف على « يضحكوا » .. فأنت إذن قد رجعت عما قلت أولا بعد أن عرفت خطأه وإن كنت لم تعترف بذلك .. ثم حاولت أن تتمادى فى التخطئة على وجه آخر أو على « قفا » شيخك .. واحتكمت إلى أن فاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب وليكن ، أليس إدخال الفصول على الصحف واقعا بعد الإرادة وعقبها ؟ أما إذا جعلنا « يدخلون » معطوفا على « يضحكوا » فإنه لا يتصور

كشكول الأسبوع

▫ كان معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، أمر بتأليف لجنة برياسة صادق جوهر باشا وكيل الوزارة ، كى تضع أنظمة لتطبيق القانون الذى يقضى بتعليم اللغة العربية والثقافة المصرية فى المدارس الأجنبية . وقد انتهت اللجنة من عملها ورفعت تقريرها إلى معالى الوزير . ويتضمن هذا التقرير وجوب تعليم اللغة العربية لتلاميذ تلك المدارس سنة على الأقل فى المرحلة الابتدائية . ويقول التقرير : ولما كان تعليم الدين الإسلامى فى المدارس الأجنبية يلقى كثيرا من الصعوبات فيمكننى بأن يسمح للتلاميذ المسلمين بتلقى هذا التعليم فى أقرب مدرسة أميرية أو يتعهد ولى الأمر بتعليم التلميذ

▫ توفى فى الأسبوع الماضى للمغفور له جمال الدين أباظة بك المستشار السابق ، وقد كان رحمه الله أديبا متمكنا متفقها فى الأدب كما كان متفقها فى القانون . ولا أنسى الجلسات الأدبية التى جمعتنا به فى ندوة الأستاذ كامل كيلانى وما كان يفيض فى الندوة من أحاديثه المستطابة ولفتاته الأدبية البارعة

▫ اقترح الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ، على الحكومة المصرية ، أن تعنى بمشروع معاهدة ثقافية بين مصر والباكستان

▫ « الصحافة العسكرية » عنوان كتاب جديد للاستاذ محمود عيسى ، يتحدث فى أوائله عن تاريخ الصحافة العسكرية مبتدأ بصحيفة الصحفى المصرى « بتاح » منذ خمسة آلاف سنة ، حتى مجلة الجيش المصرى فى عهد الفاروق . ويأتى بعد ذلك القسم الأكبر من الكتاب ويشمل تراجم لحياة طائفة كبيرة من الكتاب والصحفيين فى الجيش المصرى . والكتاب يجلو هذه الهامة فى حياتنا الفكرية ، بحسن فى التنسيق ونفوذ فى الموضوع وجمال فى العرض والأسلوب

▫ إزاء النجاح الذى لقيته فرقة المسرح المصرى الحديث فى مسرحية « مسمار جحا » رأى مديرها الأستاذ زكى طليمات أن يوالى المشاركة الفنية للحركة الوطنية الحالية ، فاعتزم تقديم مسرحية وطنية أخرى اسمها « دنشواى الحمراء » على مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من أول ديسمبر

الترتيب والتعقيب بينهما لأن الإدخال يسبق الضحك لا العكس

ولا أكتم عنك ياسيدي الأستاذ شعوري بأنني أوضح أمورا واضحة ، ولكن ما حيلتي ؟

ونسبت يا سيدي الأستاذ إلى بعض النحاة مالا ينبغي أن ينسب إلى نحاة ، إذ قلت إن هذا « البعض » لم يرضه تعليل الرفع في قول الحطيئة « يريد أن يعربه فيعجمه » لأن العطف يكون على أقرب الفعلين .. كأن هذا البعض يريد أن يعطف « يعجمه » على « يعربه » فيكون المعنى أو « اللا معنى » يريد إعرابه فإعجامه . . أي يريد الضدين معا ! ومن أين أتيت يا سيدي بهذه القاعدة : « العطف يكون على أقرب الفعلين » وماذا تقول في هذا المثال : « يريد الكاتب أن يخطئ غيره فيخطئ هو » هل « يخطئ » معطوف على « يخطئ » فيكون المعنى يريد تخطئة غيره وخطأ نفسه .. أو معطوف على « يريد » مع السلامة التي لا بد لها من التنازل عن قاعدة العطف على أقرب الفعلين ؟

وأراد الأستاذ بربري أن يقحم أشياء أخرى غير ما تعرضت لمناقشته فيه ، فقال :

(وقد أسلم للأستاذ عباس خضر هذا الذي يراه إن كان يراه.. ولكن ما رأيه في أن الدكتور طه حسين قد تجاوز في النثر ما أجيز في الشعر ..؟

فما علمنا شاعرا نفى الفعل المثبت « بقد » فقال « قد لا يكون » كما فعل الدكتور طه حسين، ولا نفى المسوف بسوف فقال « سوف لا يكون » ولا أكد بإضافة المؤكد إلى المؤكد فقال « نفس فلان » بدل « فلان نفسه » ولا استعمل كاد كما يستعملها الدكتور طه حسين حين يقول — مثلا — ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا ، يعني « ما فعلت » أو « ما أن فعلت » .. إلى آخر ما كتبنا ، وغيره مما سنكتب في الأساس

وإذا سلمنا — جدلا — للأستاذ عباس خضر أن لحن الدكتور طه حسين فصيح .. أو أنه لحن ما أفصحه في حكاية الضحك من الصحف ورؤساء التحرير ، أفيراه كذلك لحن ما أفصحه في حكاية النفي بعد قد وغيره مما كتبناه ، أم يسلم لنا أنه لحن ما أقبحه .؟

هذا على أني ما أردت أن أنكر على الدكتور طه حسين مكانه في الأدب عامة ، وفي اللغة العربية وأدبها خاصة ، وهل في وسعي ، لو أردت ، أن أفعل ..؟

ولكن أحد تلاميذ الدكتور طه حسين روى عنه أنه قال : إنه ثالث ثلاثة لا يلحنون أو أنهم معصومون من الخطأ .. فرأيت أن أقيم الدليل على أنه كغيره من العلماء ، قد يلحن .. وقد يخطئ .. وأن الخطأ لا ينقص من قدره ، ولا يذهب بشيء من فضله .. فإن حظ بني آدم أن يخطئوا حينا .. وأن يصيبوا حينا ..

وإذا شاء الأستاذ خضر أن ينكر على الدكتور طه حسين آدميته فما أحسبه يريدني على أن ألتزم معه هذا الإنكار

وبعد ، فإني أعتب على الأستاذ خضر أنه يحسبني أخجل من الخطأ .. فهل ادعيت العصمة فأستحي أن أرد إلى الصواب .؟

كلا .. فأنا على أتم استعداد لتلقي الإرشاد من الأستاذ عباس خضر .. بل لعلي أحق بعونه من الدكتور طه حسين ..

وثمة شيء أخجل — حقا — لو شاء الله أن أقع فيه : ذلك أن أقول غير ما أعتقد في نحو اللغة العربية أو غيره من أنحاء الحياة)

وإني أعتب على الأستاذ الفاضل ، وأحيي فيه روح المجدين للوصول إلى الصواب ، وأقول : إني لم أبذل عونا إلا للحق الذي قصدت أن أنفض عنه ما علق به من غبار ، ولهذا أسأل الأستاذ بربري : لماذا حورت الموضوع من المناقشة في نقطة معينة إلى الكلام حول الدكتور طه حسين وما وهمته من أخطاء له . . ؟ وإني مع ذلك أجيبك إلى هذا الذي نقلتنا إليه

« قد لا يكون » لم لا يكون ؟ نعم قال بعضهم إن « قد » إنما تدخل على الفعل المثبت ، ولكن أي « قد » ؟ إنها تكون للتحقيق ولتقريب الفعل الماضي من الزمن الحالي ، وهذا فيما أرى مرجع التعليل لجعل « قد » للإيجاب ، فإن النفي لا يتفق مع التحقيق والتقريب ، أما « قد » التي تدخل على المضارع للتقليل أو التوقع — كما في « قد لا يكون كذا » فلا تعارض

mع النفى ، وهى فى هذا تجرى مجرى « ربما » وربما تدخل على المنفى والمثبت ، فلا فرق بينهما ؛ وعلى ذلك أسأل : ما المانع من دخول قد التقليلية والتوقعية على المنفى ؟ وما هو تعليل هذا المنع إن قيل به ؟

« سوف لا يكون » أسأل هنا أيضا : ما المانع من هـذا التركيب ؟ وإذا كنا نسوف فى وقوع الفعل فلماذا لا نسوف فى عدم وقوعه ؟ وهل للـكاتب الفاضل أن يأتى بنص صريح يمنع دخول سوف على المنفى ؟

« نفس فلان » ليست « نفس » هنـا للتوكيد المصطلح عليه عند النحويين ، وإنما هى بمعنى « ذات » وإذا كنا نقول ذات فلان فلم لا نقول نفس فلان . ؟

« ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا » فى هذه المسألة رأيان ، فكاد معناها قارب ولم يفعل فهى تفيد النفى ، والمتقدمون يرون أنهـا تفيد الإثبات إذا دخل عليها النفى ، طبقا للقاعدة المعروفة « نفى النفى إثبات » وعلى هذا يكون التعبير « ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا » سليما ، وقد خطأ بعض العلماء — بناء على هذا الرأى — ذا الرمة الشاعر ، فسلم لهم ذو الرمة بذلك . ولـكن بعض المتأخرين ذهب إلى خلاف ذلك الرأى بأن نفى كاد نفى لمقاربة الفعل ، وهذا هو الذى استند إليـه الأستاذ بربرى فى تخطئة التركيب « ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا » ومن العجيب أن ينكر كاتب فى هذا العصر رأيا للمتقدمين ليخطئ تركيبا على رأى المتأخرين يخالفه . !

هذا هو يا سيدى جواب ما قلت إنك كتبته فى « الأساس » من أخطاء « موهومـة » للدكتور طه حسين ولست أدرى ما ستكتبه ، وهل هو من هذا القبيل ؟

إن الدكتور طه حسين كـسـائر البشر ليس معصوما من الخطأ ، ولـكن هات الخطأ ..

عباس خضر



المسرح المصرى

فى خدمة العقيدة الوطنية

للأستاذ زكي طليمات

يختلف شيوخ الأدب وأئمة الفن فى رسالة الأدب والفنون فيما يجب أن تهدف إليه فى جوهرها

فبينما يقرر بعضهم ، أنه واجب أن تكون رسـالة الأدب والفن طليقة حرة غير مقيدة بهدف معين أو غاية مرسومة . أى أن تكون رسالته لمجرد الأدب والفن ، إشراقات تصقل الذوق وتصقل الروح . وتنمى حاسة إدراك الجمال . وسبحات فى آفاق المعانى والخيال الشهي . وإمـاءات ترقى بالنفس إلى أعلى مدارك النور . . .

بينما يقررون هذا ، يهب بعضهم الآخر يدعو إلى أن رسالة الأدب لا بد أن تكون أولا وأخيرا لمعالجة ما يشغل أذهان الناس تبعا لمشكلات حيـاتهم . ولتناول ما يعنيهم فى كفاحهم مع العناصر التى تحيط بهم . ابتغاء تيسير أسباب الحياة الاجتماعية فى ناحيتها الإيجابية ، ومعاونة الشعوب على التقدم والارتقاء

ثم هم يقررون فوق هذا ، أن رسالة الأدب إذا انحرفت عن هذا فما أتفهها رسالة وما أقلها منفعة

ولسنا فى هذا المقام لنصرة فريق على الآخر . فللفريق الأول الذين يعيشون فى (أبراج عاجية) ما يدعم وجهة نظرهم ، باعتبار أن الأديب أو الفنان ، إذا فرضت عليـه القيود فى مباعث إلهامه وفى مواطن وحيه ، خرج نتاجه ضحلا قلقا قريب الغور ، وقلمـا يكتب له البقاء والخلود ، لارتباطه فى جوهره بفكرة قد تتغير مع

الزمن ، أو بحالة ليس لها من البقاء إلا مدى حياة الأزياء المتقلبة والطقوس العابرة

وللفريق الآخر بدوره ما يؤيد ما يذهب إليه ، إذ لا بد ، لكي يكون الأدب حيا ، أن يخاطب ما يمصف بأذهان الناس، وأن يعمل على معاونتهم فى معترك الحياة الواقعية ، وأن يشاركهم فى نضالهم مع ما ينزل بهم من أحداث

وفى نظرنا ، أن الأدب أو الفن ، إنما هو هزة وانفعال بتأثير ما يدخل على النفس ، وأن الأديب الحق والفنان الأصيل ، كلاهما إنما ينفعل ويتأثر بما يحيط به من عناصر بيئته ، وأن الإجادة فى النتاج رهينة بعمق امتلائه مما يهزه ، وبمعالجة هذا معالجة إنسانية طريفة

* * *

إلا أن هناك فترات فى حياة الشعوب نرى لزاما على الأدب والفن أن يكونا خالصين متوفرين ، لخدمة المجتمع فى أهم ما يشغله ، سواء كان هذا الشاغل عرضا إلى زوال ، أو مبدأ قد يغير من جوهره على مر الأيام

وأهم هذه الفترات — ولا شك — تلك الفترة التى يمر بها شعب مرحلة تقرير المصير ، واستخلاص كيانه الذاتى ، وفرض إرادته لمسايرة ركب الحياة فى دنيا الحرية والكرامة

وما أظن أن هناك فترة فى تاريخ مصر أدق وأخطر من تلك التى نعيش فيها الآن ، فهى فترة النضال الحاسم من أجل الحرية ، وساعة الكفاح الأخير فى سبيل العزة والكرامة ، فإن تخلف المسرح — وهو أدب وفن — عن مؤازرة الفكرة العاصفة السائدة ، فكرة الكفاح، إذا لم يسخر المسرح المصرى قواه لتغذية الوعى القومى ، ومساندة عقيدة النضال ، وذلك بتذكير الناس بما يجب أن يذكروه ، وتبصيرهم بما يجب أن يكون ماثلا فى أذهانهم ، إذا لم يؤد المسرح هذا الواجب ، فقد كتب على نفسه وبيده ، أنه عالة على الحياة ، وأنه مختلف عنها ، وأنه غافل لا يحس نبض الواقع ؛ والغافل والمتخلف غير جديرين بالحياة

إن الحياة فى مصر ، والمسرح من عناصرها ، تجرى الآن متدفقة فى مجرى واحد حفره تاريخها المجيد وحاضرها الزاهر ، وكرامتها وعزتها ، فإذا لم تجند جميع عناصر هذه الحياة لهذه الغاية فما أقلنا جدارة بالحياة ، وما أحرانا بأن نبق نتطوح بين العبودية القنمة وبين الذل السافر

من أجل هذا ، نقدم نحورين (مسرحية دنشواى الحمراء) ، دنشواى ، الجرح الدامى فى كرامة مصر منذ عام ١٩٠٦ ، نقدم هذه الصفحة القاتمة من حياة مصر فى ظل الاستعمار ، نقدمها على الوجه الذى يهز القلوب ويثير الحماس ، نقدمها صفحة من جانب المسرح المصرى فى وجه الاستعمار ، ولا نبالى أن يقال عنا إننا تركنا (الأبراج العاجية) إلى أديم الأدب الكافح ، أدب الساعة الراهنة ، مادام ما نقدمه يحمل من السلامة والطرافة ما يحمل

نقبل هذا ، إذا ادعاه المدعى ، فهو أحرى بنا وأكرم من أن نتخلف عن الصف وهو يسير بين السويس ، والإسماعيلية ، وبور سعيد منتثرا بأشلاء مواطنيه الشهداء ، وكل واحد فى الصف قد حمل قلبه على يده ، ونسى يومه وغده

زكى طليمات

هوليود بين الخوف والامل

بدأ التليفزيون يسير بخطى واسعة نحو الانتشار وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح تهديده عظيما للسينما. ولقد لاحظ المراقبون لشؤون الفن أن ثلاثة آلاف دار للسينما قد أغلقت أبوابها نظرا للمنافسة الشديدة للتليفزيون (فى الثمانية عشر شهرا الأخيرة) ويقول هؤلاء المراقبون إن تكاليف الفيلم فى التليفزيون يبلغ عشرين ألف دولار ويستمر عرضه ثلاثين دقيقة أى أن ثلاثة أفلام تتكلف ستين دولارا لمدة ساعة ونصف، وهذا ما يعادل مدة الفلم السينمائى إلا أن تكاليف أرخص الأفلام التى تقدمها إحدى الشركات السبع الكبرى فى أمريكا يبلغ مائة ألف دولار، والفيلم المتوسط بين ستمائة ألف ومليون دولار



على طلقات المدافع :

قرأت القصيدة الجيلة التي نشرها الأستاذ الألمي محمد عبد الغني حسن بالعدد الأخير من مجلة الرسالة تحت عنوان « على طلقات المدافع » وقد أعجبت بإشراقها الناصع، ودفاعها البليغ عن صمت الشعراء، ولما كنت أعهد شاعرنا المبدع ناقدا دقيقا يعني بتصحيح الأوضاع الخاطئة، رأيت أن أوجه إليه هذا التعقيب البريء

لقد لاحظت أن الشاعر لم يلتزم القواعد العروضية في شعره، إذ أنه نوع العروض في السطور الأولى تنويعا مخلا، فجاء بها تارة على وزن « فاعلا » وتارة على وزن « فاعلاتن » ومن المقرر أن العروض تلزم حالة واحدة إلا عند التصريع فتتبع الضرب، ولكن الشاعر لا يسير على هذا الرأي فبينما هو يقول جاعلا العروض على وزن « فاعلا »

أطلقوا المدفع من معقله … واملأوا الجو دخانا وقتاما
القناة اليوم من روعها … بالخطوب السود غدرا وانتقاما
أطلق الغاصب فيها طبعه … كوحوش الغاب فرسا واهتضاما

إذا هو يقول جاعلا العروض على وزن فاعلاتن

قد شبعنا يا أخي فيكم نداء … وشبعنا يا أخي فيكم كلاما
هذه الأقوال لا تحمي شهيدا … من ضحايا الحق أو تشفي أواما
الكلام اليوم لا يحمي حقوقا … والبيان اليوم لا يرعى الذماما

وأمثال هذه الأبيات من النوعين كثير في القصيدة مما يؤدي إلى الانكسار وخروجها عن القواعد الصحيحة

فما رأي الشاعر المبدع والناقد الألمي الدقيق ؟

محمد رجب البيومي

حول الاستعمار الثقافي :

في رأيي أنه لا استعمار في الثقافة كما ينادي بذلك الأستاذ المداوي في حديثه عن (موقفنا من الاستعمار الثقافي) بالعدد (٩٦٠) وكما نادى به الأستاذ عباس خضر في عدد سابق من الرسالة الزهراء، فلسنا في دراستنا للغات ومنها الانجليزيه مقهورين على إرادتنا . ولا أفهم أن نتركها إلى حين ثم نعود إليها بعد (متفضلين) ثم لا أفهم للغة الألمانية أو الروسية أو الفرنسية فضلا على الإنجليزية، وكلها شعوب استعمارية لا خير من ورائها لشعوب الشرق، ٠. هي ولا شك عاطفة وطنية يشكران عليها، ولكنها لا تمنعنا من التسلح ضد المستعمر الغاصب ومن ذلك حنق لغته لتكون مخلبا تزهق به روحه بجوار التسلح المادي والأدبي، ولا علينا من الظروف التي أملت علينا تعلمها . فالوعي قد نضج، واختلطت كراهة الانجليز بدماء الشعب، وهب الجميع يمحون وصمة الاستعمار . . لم يأخذني العجب حين سمعت هذا النداء من تلاميذنا في المدارس الثانوية، فقد صدروا في ذلك عن عقدة نفسية تخلفت عند أكثرهم من رسوبهم في امتحانها، لأنهم لم يكدوا ذهنا ولم يقرحوا جفنا في سبيل

ويقول المدافعون عن صناعة السينما إن السينما تعطي صورة حقيقية لحجم الأشياء وفي ذلك متعة للمتفرجين لا يمكن لهم أن يجدوها في التليفيزيون، كما أن هناك من الأفلام مالا يجوز للنشء رؤيته، وهذا مالا يمكن منعه في حالة التليفيزيون، وخاصة بعد أن أصبح يوجد في كل قهوة في نيويورك والمدن الكبرى في أمريكا آلة للتليفيزيون . ولقد بلغ عدد آلات التليفيزيون خمسمائة ألف آلة، ١٣٧ محطة …

ولقد ظهر سوء انتشار التليفيزيون في تعدد حوادث الإجرام بين النشء حتى أن جماعة الأساتذة والآباء في « لوس إنجلز » قد احتجت على البرامج التي يقدمها التليفيزيون، ذاكرة أن في المدة بين ١ — ٧ مايو سنة ١٩٥١ حوت برامجه :.

٢٢٧ حادثة قتل	٣٥٧ شروع في قتل
٤٦ سرقة	٣٩ حوادث خطف

ورغم هذه الانتقادات فالتليفيزيون آخذ في الانتشار، وإن السنوات القادمة ستبرهن لنا عن مدى صلابة صناعة السينما أمام هذا المنافس الخطير.. بينما تمسك هوليود بقلبها بين الخوف والأمل..

باريس سالم عزام



قانصـــوه الغوري
سلطان مصر الشهيد
الفصل السادس
في بركة الرطلي

للأستاذ محمود رزق سليم

بقية ما نشر فى العدد الماضى

الشاعر : صدقت ! ولكن الشعراء يعيشون بمواطفهم أكثر مما يعيشون بعقولهم ، ويتأثرون بالحوادث أكثر مما يتأثر بهـا سواهم . هم يشاركون المؤرخين حب الاستطلاع ، والوقوف على كنه الحوادث . ولكن المؤرخين يقيدونها فحسب ، أما الشعراء فيتأثرون بها ويثورون لها .. وهذا هو الفارق بيني وبين فقيهنا الهمام مولانا ولى الدين ..

ولى الدين الفقيه : كيف لا يتأثر المؤرخون بالحوادث ، إذا كانت تتصل بهم فى الصميم ؟ ومنذا يرى بلاده يطغى عليها الشر فلا يحزن لها ويكافحه ، أو يعمها الخير فلا يهنأ معها أو يأخذ من خيرها بنصيب ؟

التاجر فرس الدين : إذن ! مولانا الشيخ معجب بمـا فى البركة من زينة وملهى ، ويدعونا إلى أن نقبس من لهوها بقبس .. وقد قيل :

منذا يرى الغيد تهفو برقة ودلال
ولا يميـــل إليها ولا يلين بحال ...

ولى الدين الفقيه : وقانا الله وإيا كم شر المنكرات ، إنمـا أقصد بالخير ما تشهده البلاد الآن من الرخاء . وذلك يدعونا إلى أن نتحدث بنعمة الله ، فقـد قال تعالى : « وأما بنعمة ربك

تحصيلها .. وإني أسائل الأستاذين الفاضلين هل سيبدآن فيمحوانها من صدريهما ! أم أن هـذه حماسة وطنية يشكران عليها ... فقط

محمد محمد الأبشيهى

« نسبة أبيات »

أطلعت فى العدد ٩٦٠ من مجلة الرسـالة الغراء على مقـال الأستاذ كامل السوافيرى تحت عنوان «أدب الثورة والكفاح» نسب فيه الأبيات الآتية إلى الأستاذ مخائيل نعيمه :

أخي ما الصبر أن الصبر كفران وخذلان
أخي ما نحن بالأحرار لكن نحن عبدان
لقد ضاقت بنا الأوطان ما للعبد أوطان
أخي ما السجن هل فى السجن آلام وحرمان
وهل يجدى مع الأحرار قضبان وسجان
سوانا يرهب القضبان أو تثنيه جدران

إذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان

والحق أنها للشاعر الشاب كال الحقوق من قصيدته « أصرار » التى نشرها فى أول عدد يناير من مجلة (أم درمان) سنة ١٩٤٦ أما أبيات مخائيل نعيمه فهى :

أخي أن ضج بعد الحرب غربى بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلى بقلب خاشع دام
لنبكى حظ موتانا الخ

هذه الأبيات تجدها فى ديوانه « همس الجفون » تحت عنوان « أخى » ومعذرة للأستاذ فإن وحدة الموسيقا والثورة فى القصيدتين هى التى أوقعته فى هذه الهفوة وللأستاذ إعجابى وتقديرى

أبوه محمد حسب الله

لحدث » وقال جل شأنه : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » — وها هو ذا النيل يفيض وبقى كعادته ، وها ذى الأرض تبسم لنا من زرعها النضير . وقد قيل :

النيل فاض وفى راحاته ذهب والأرض دون نداه كم تلبينا
هـذا يثر عليها التبر آونة فتنفث التبر زهرا أو رياحينا

وهذا من حسن طالع سلطاننا ، وفأل حسن لعهده . ومن العجيب أن النيل أبطأ مرة عند الوفاء فعجل السلطان إلى مقياس الروضة ، وصلى لله هنا ودعا ، وأمر القضاة الأربعة أن يبيتوا الليلة بالروضة ويقرءوا القرآن ، فتأذن الله للنيل فوفى

الشاعر : لقد كان فى هذا الرخاء إغراء للسلطان ، فأمعن فى نعيمه وملاذه ، وبالغ فى إظهار عظمته ومجده . وشغل الناس بمواكبه وأسفاره . لست أنسى ما حييت من لياليه وأيامه ، ليالى المقياس وأيام الأهرام . . كم من يوم يمم فيه أرض الروضة وزار المقياس وأقام ردحا فى قصره هناك . لكن كل ذلك لا يقاس بيومه فى جمادى الآخرة من العام المنصرم ، يوم انحدر إلى المقياس وطلع إلى قصره ، ودعا إليه أمراء السلطنة على بكرة أبيهم ، مع جم غفير من الجند ، واستقدم قضاة الشرع الأربعة ، وعددا من أعيان الدولة ، وموظفيها ، واجتمع بأمر منه ، عشرات من القراء والوعاظ . فقرءوا ما تيسر لهم . — أما القصر فقد بدا شعلة من ضوء ، انتشرت قناديل الزيت وضيئة مضيئة ، وحمائل الشموع ألاقة براقة ، بين حجراته وردهاته وشرفاته ، ومن حوله . وأوقد مسجد المقياس ومناورته وأرسى « القليون » وعلى صواريه علقت أمشاط القناديل . — هذا فى الروضة ، أما الشاطئان تجاهها ، وما قاربهما من دور ، فقد فاضت فيهما الأنوار ، حتى اتصل الضوء بالضوء ، واختلط الشعاع بالشعاع . وعلى الشاطئ تجاه الجيزة ضربت قبب للأمراء ، وخيام للجند ، وبسط القاضى محمود بن أجا كاتب السر مأدبة حافلة للسلطان وأضيافه ، أنفق فى إعدادها نحو سبعمائة دينار . وهناك فى أرجاء الروضة وعلى مقربة من القصر ، وبعد أن أدى السلطان صلاة العشاء جلس فوق سطح القصر ، وانطلقت أسهم النفط فى الفضاء ، وبدأت ألعابها النارية الرائعة تملأ الجواء ، — وكان النفط قد جئ به من القاهرة مزفوفا . . — كانت الليلة ليلة البدر ، وشعاعه الفضى مشفق على قناديلنا وشموعنا لهذا التحدى . وكل ذلك تنعكس صورته فى مرآة الماء فتتضاعف بهجته وروعته فى العيون . ولا تسل عن الألوف الحاشدة من الجاهير على الضفتين . . . كانوا سطورا سطورا على صفحتيهما ، ونقطا نقطا بين أقواس الزوارق فى رقعة اليم . .

أما أيام الأهرام فقد استطعت خلالها أن أندمج فى عداد حاشية الأمير الكبير « طومان باى » الدوادار ، وأن أصحبه أثناءها فى رحلته مع السلطان ، فشهدت عن كثب نزوله ورحيله . والأمير طومان باى بقية صالحة من خلاصة الأمراء الشجعان الذين شهدت البلاد منهم مواقف نبيلة جليلة . ألا رحم الله ، ازدمر الدوادار ، وقرقماش الأتابكى ، وطراباى رأس نوبة النوب ، وبارك لنا فى طومان باى الدوادار الكبير ، وسودون العجمى أتابكى الوقت .. إنه رجل طيب كريم ..

المستوفى : أجل ! إن سودون رجل طيب القلب كريم . . ولهذا استضعفه السلطان وأنقص من إقطاعه مائتى فدان . وقبل ذلك سلخ منه أراضى يقدر ثمنها بنحو عشرين ألف دينار . وكذلك صنع مع بعض الأمراء ..

الشاعر : ربما . . ! وقد أقمنا طيلة أيام الأهرام كأننا نسبح فى أحلام . . فى أواسط ذى القعدة نزل السلطان من القلعة فى ركب حافل يتقدمه الأمير طوماى باى ، وعدد كبير من الأجناد بخيولهم ذات السروج الذهبية ، وكثير من الأمراء ، منهم أقباى الأمير أخور الثانى ، وكرتباى والى القاهرة الجديد ، وجم غفير من الخاصكية والسلاحدارية . وغطى السلطان رأسه بتخفيفته الصغيرة . ولم يلبس التخفيفة الكبرى ذات القرون . واتجه ركبه إلى اطفياس مارا بالصليبية ، ثم يمم شطر الأهرام فنصب له هناك وطاق فخم . وشمر الطهاة ومدت الموائد الحافلة ، ثم غنى المفنون بأصوات تشيع الطرب فى النفوس البائسة ، ومعهم آلاتهم وأعوادهم ، ومنهم محمد بن عوينة وجلال السنطيرى والبوالقة وابن الليمونى

كان الجو رائعا والسماء صافية ، والهواء جافا معتدلا لايغرى بالتمتع ، وبعد يومين رحل السلطان إلى الفيوم لتفتيشها ولإصلاح جسورها ، وبخاصة جسر اللاهون ، وفرض على المقطعين بها ضرائب للاصلاح ، واختار لمباشرة هذا العمل الأمير أرزمك الناشف ..

أما نحن فقد أقمنا فى سفح الأهرام ريثما يعود السلطان وقد

عاد محملا بهدايا لا تحصى قدمها إليه مشايخ العربان وأعيان البلاد منها آلاف الدنانير ، ومئات من الضأن والخيل والبقر وأقفاص الدجاج والأوز ، ولاقاه الخليفة المتوكل على الله ، بدمشور ، لأنها بلدته ، وقدم إليه كثيرا من عتاق المهار ، وسمين الأغنام والأبقار والأطيار ، وقدورا من العسل وجرارا من اللبن ..

ولما بلغ السلطان وطاقه خف إليه كثير من الأمراء والعلية والقضاه فاحتفوا بمقدمه ، ومن ثم أخذ يعيد عهد الأنس مرة أخرى ..

ثم أذن بالمودة إلى القلعة ، فر ركبه بالمقياس أولا ، ثم نظم هذا الركب نظاما حافلا لم يرزقه ملك سواه . مشى أمامه رءوس النوب ، وجمع حاشد من الخاصكية . وعلى مقربة منهم الأمراء المقدمون وغيرهم ، وأعيان المباشرين . وقاضى قضاة الحنفية عبدالبر بن الشحنة . ركب هؤلاء جميعا جيادا مطهمة مسرجة بالحرير مزدانة بالذهب ، ومعهم بعض الضيوف من أمراء العثمانيين وغيرهم ، وركب اربعة من الأمراء هجنا ، وعلى جانبيهم أفيال كبيرة كانت قد أهديت إلى السلطان وعليها البركستوانات — السروج — المخملة الحمراء ، وسار الركب تصحبه ألوان من الموسيقا ، ناسلا من شاطئ النيل عند مصر العتيقة إلى الصليبة ، حتى بلغ القلعة .. والناس فيما بين هذا وذاك تخب فى بحر من الأنس لا ساحل له ، وتموج فى يم من الفرح لا يعرف مداه ، وهى تضج للسلطان بالدعاء ..

فى تلك الأيام ملأت عينى منه ، وشاهدته بنفسى ، طويل القامة غليظ الجسد ذو كرش كبير .. أبيض اللون مدور الوجه ، مشحم العينين ، ضخم الصوت مستدير اللحية ، مهيب أنيق اللبس يحب الطيب ويؤنس جليسه ... ويقال إنه أهدى إلى أمرائه ومماليكه وأصدقائه أثر وصوله كثير من الهدايا

التاجر : لقد كدت تصبح من حزب السلطان يا شهاب ! لقد أغرتك منه تنقلاته اللاهية وفتنتك أسفاره الماجنة ، ما بالك تقص قصته وأنت بها لهج ، وعليها حدب ، وبحديثها معجب تياه ..؟ ألا إن صلات الأمراء وهبات العظماء لتعمى للوطنى أحيانا عن أن يبصر آلام أمته ..

الشاعر : إن أسفار سلطاننا إلى أطراف مملكته لتفتيشها أو تفقد أحوالها ، وإصلاح مرافقها ، سياسة رشيدة ، ولعل الغورى أراد أن يبدو فى ثوب من العظمة البالغة فى سفره إلى الأهرام والفيوم ، لأنه أول أسفاره ، وذلك أيضا لكى يبهر عيون الرعية ويكبر فى قلوب الأعداء ..

أما أنا فأحب المتعة والأنس ، فلا تستكثرهما مرة على رجل مثلى عاش طول حياته كاتم القلب ، ممعود الفؤاد ..

التاجر : لا تنس يا شهاب الدين أن ذلك المال الذى ينفقه السلطان على ملاذه ، ويفرقه على أمرائه وأصدقائه ، ويغدق منه على مماليكه ، هو عرق الأمة المتصبب ، تجمع تبرا وتجمد ذهبا . وهو نتيجة مصادراته الظالمة لأموال الناس . احتازه أعوانه منهم عنوة .. وتركوهم صادين شاكين باكين ، يكتمون الشكوى فى صدورهم ، ويكبتون البكاء فى مآقيهم . وإن يكن اللهو ضروريا فبمقدار ، وماذا يجدينا نزول السلطان إلى قبة يشبك ، أو مواكبه فى الميدان ، أو سمره بالمقياس ، أو لعبه الكرة على الخيل ، أو تفرجه بصراع الأفيال ونطاح الثيران وسباق الكلاب ونهاش الصقور ، وسماع البلابل ، إذا كان العثمانيون والصفويون واقفين له والمصريين بالمرصاد ..؟

ألا تحفظ قول الشاعر :

ملك يعيش كحالم فى نومه ... لاه بطيب العيش فى أحلامه
والبؤس خيم فى الرعية لا ترى ... فيها مكانا كف من آلامه
وغدا يرى أعداءه من حوله ... فيفيق رعبا بعد طول منامه
لهفان يبحث عن بقية حلمه ... ويد العدو تحول دون مرامه
لهفان يبحث عن ثمالة كأسه ... محطومة كرها على أكمامه
والملك يمحوه النعيم وإنما ... يبقيه هذا العزم من صمصامه

الشاعر : صدقت ! وقد خاطبتنى من الناحية التى تهتاج قلبى؛ غير أنى رأيت لسلطاننا الغورى محاسن أحببت أن تشاركونى فيها وفى تسجيلها ، على طريقة شيخنا ولى الدين

ولى الدين : الغورى سلطان كريم القلب جم المحاسن يميل إلى إحقاق الحق ، حسن الإيمان ، أديب عالم ؛ يناقش العلماء والفقهاء . بر متواضع آمر بالمعروف ناه عن المنكر ، يهش للعظة ألم تسمعوا بنزوله إلى قبر الأشرف قايتباى ، والعادل طومان باى ، وغيرهما ، فقرأ الفاتحة وفرق الصدقات ..؟

علم الدين الخياط : وأين هذا يا مولانا من جلوسه بالميدان ، وقد تفتح ورده الأبيض الجميل ، فطفق يرى كل أمير بوردة ،

فيلثمها ويقبل له الأرض ...؟

ولى الدين الفقيه : هكذا يا أخى تكون حياة السلاطين والعظماء . لا بد فيها من هذا النبل فى المعاملة ، وهذا التعاطف السامى والأدب الرفيع ، وإلا أصبحت هى وحياة السوقة سواء بسواء ، حياة جافة يابسة لا تشرف أمة ولا ترفع شعبا

الخياط : ألا تشعر يا مولانا الشيخ أن مثل هذه الحوادث غفلة عن الزمان وتقلباته ، وبطئا عن الحيطة له ؟

المستوفى : كثير من الناس يظنون فى السلطان الغفلة ، والواقع غير ذلك . فإننا نراه دائما على علم بكل صغيرة وكبيرة ، يقظا لكل ما يدبره الأمراء فى الخفاء ، محتالا على الجنود وفتنهم. ويقال إن له عيونا خفية منبثة فى كل مكان ، تنهى إليه أخبار الحوادث ، ومنهم محمد بن سعيدة الذى حظى عنده وصار يجالسه على مرتبته ويلعب معه الشطرنج

التاجر : لو بذل السلطان جهده فى تهذيب جنوده ، وتوحيد قلوب أمرائه ، وتجديد آلات حربه ، والاستعداد لكل طارئ لحمدنا له بذله ويقظته ، وكنا ألسنة له لا عليه . لقد سمعت أن بعض الأحكام عطل تنفيذه لعدم توقيع السلطان عليها لعكوفه على اللهو واللعب

ولى الدين الفقيه: أنا لا أمقت من أعدائنا إلا هؤلاء الفرنجة. أما الصفويون أو العثمانيون فهما يكن من شئ فهم مسلمون ، وقلوبهم — بغير ريب — أدنى إلى الرحمة والعطف . أما الفرنجة الصليبيون فلا تجمعهم بنا جامعة جنس ولا لغة ولا دين ، فأحرى بالسلطان أن يوجه جهوده ضدهم

الشاعر : يا مولانا الشيخ ! العدو عدو ، ولو كان مسلما مثلك ، ما دام معتديا على وطنك . يا مولانا ! إن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . هذه أحاديث شريفة هجر المسلمون اليوم العمل بتعاليمها ولهذا أصبح بعضهم لبعض عدوا ، فسواء لدى أغزا الصوفى البيرة أم أغار العثمانى على حلب ، أم عبث الفرنج بتجارتنا فى بحر الهند . فكل هؤلاء أعداء الداء ينبغى أن يكافحهم السلطان ، ما داموا يقتلون منا ويثخنون فينا ويطمعون فى ديارنا

المستوفى : لقد أرسل السلطان قريبه (محمد بيك) إلى ناحية (الجون) ليدبر أخشابا لصناعة السفن ليمد بها تجريدة الهند ، ومعه جماعة من الجنود ، فوقعت بينه وبين الفرنجة هناك وقائع حالفه فيها النصر ، رغم ما كان لديهم من السفن . ولكنهم تربصوا به حتى قتلوه وأبادوا جنده وغنموا سفنه ، وكانت ملأى بالذخيرة ــ أما تجريدة الهند فإن السلطان لا يفتأ يبعث إليها المدد تلو المدد ، رغم ما تصاب به من هزائم ، مستحثا ملوك الهند وأمراءها على معونتها . وقد عاد « حسين » أمير الحملة وقص على السلطان أنباء الفرنجة وعبثهم ، وما بناه على سواحل الحجاز وبلاد العرب والهند من قلاع وأبراج لتأمين السفن . وكان فى صحبته قاصد من الملك المظفر شاه ابن الملك محمود شاه صاحب كنباية ، فقدم إلى السلطان هدايا لا تعد ولا تحصى ، وطلب إليه أن يكتب له الخليفة العباسى المتوكل على الله « تقليدا » بولاية سلطانه مكان أبيه ، بعد وفاته

الخياط : واسماعيل الصوفى ؟ ألم يبلغكم شئ من أخباره ؟ لقد توالت قصاد هذا الماكر على بلادنا . ولا إخاله إلا يزداد قوة فوق قوة ، وطمعا بعد طمع

المستوفى : لقد أغار جنده مرارا على البيرة ، وانتصر على « أزبك خان » ملك التتار ، ثم أرسل رأس هذا الملك ، إلى السلطان كأنه يهدده . واستعدى الفرنجة سرا على ممتلكات السلطان . ولما استيقن السلطان من سوء نيته ، أخذ الحيطة لنفسه ، ومنع قاصده مدة من الاختلاط بالناس ، وأخيرا جاءه من لدن قاصد جديد يحمل معه هدايا نفيسة ، فلم يأذن له السلطان ولا سيما أنه قدم إليه رسالة من ملكه بها أحاديث لا توجه إلى السلاطين . وقد أغلظ له السلطان فى الرد ، ولبث يترقب الفرصة من بعد حتى وافته الأخبار بهزيمة . . منكرة ، منى بها الصوفى على يد أعدائه من ملوك التتار

الشاعر : من أعجب ما حدث بمناسبة الحديث عن الصوفى أن أرسل هذا الشاه قاصده إلى السلطان ومعه رأس أزبك فان ومكاتبه فيها هذان البيتان :

السيف والخنجر ريحاننا أف على النرجس والآس
مدامنا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الراس

ففهم السلطان مغزاهما وما ينطوى تحتها من تهديد ووعيد ونشط كثير من شعراء مصر للرد عليه فقال الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق :

العلم والحلم لنا حلة حيث مع القوة والباس

وسنة المختار طرز لها وذكرنا تاج على الراس

وقال على الغزى من أبيات :

نحن أسود الحرب غاباتها رماحنا للطعن والباس

وخيلنا تسرع فى سوقها شدت لحرب المعتدى القاسى

وقال ناصر الدين بن الطمان :

أسد الوغى فرساننا كم سقت كأس المنايا باغيا قاسى

ومن يزغ عن أمرنا طاغيا نذقه مر البأس والكاس

وهكذا تبارى نحو مائتى شاعر فى معارضته بيتى الصوفى ، ويقال إن السلطان لم يعجبه شئ من شعرهم . فرد عليه ببيتين للصفى الحلى ، هما :

ولى فرس للخير بالخير ملجم ولى فرس للشر بالشر مسرج

فمن رام تقويمى فإنى مقوم ومن رام تعويجى فإنى معوج

ولى الدين الفقيه : إن هذا السلطان الجركسى ، غريب فى بابه ، فهو – فضلا عن مميزاته – محب للآداب عربية وتركية وفارسية ، على ما قيل . وينظم الشعر بالعربية ، ومنذ أمد أمر بترجمة الشاهنامة الفارسية شعرا تركيا

التاجر : غير أننا نلاحظ أنه ، حتى اليوم ، لم يخرج فى غزاة .. بخلاف مااعتادته البلاد من سلاطينها السالفين .

الشاعر : وهل – إذا خرج السلطان الغورى فى غزاة – تقدم إليه ما يحتاج إليه جنده من المؤونة ؟

التاجر : إن الرعية اليقظة تقدم لسلطانها فى جهاده أعداء البلاد ما يحتاج إليه من معونة . وينبغى لها أن تؤدى ما يفرض عليها وقت خروجه إلى الجهاد ، وحسبه وحسبها أن الأقدار ألقت إليه زمام الدفاع عنها وعن حياتها ، ومع هذا فلو قيض لى أن أكون جنديا فى صفوف جيشه ، لكان فى ذلك بلوغ الآمال وإدراك المنى . . . وأنا الرجل العامى الذى لم يرزق مهارة الأتراك وفتك العربان .. ما أحبها إلى القلب فرصة وما أشهاها ، تلك التى تتيح لى أن أذود عن حياض بلادى .. أى صديق ! اقرأ التاريخ وقلب صفحاته ، فقد علمت مما تهادى إلى من أخباره أن هذا الشعب المصرى الوديع المتفائل ، ثار وهب ، ووقف وقفات حاسمة مروعة بجانب سلاطينه ...

الشاعر : لا أدرى لماذا يحدثنى قلبى بأننا سنساق فى يوم قريب إلى قتال ، وأنه سيكون لنا بين المقاتلين موقف ..

المستوفى : أخشى ما نخشاه ، هو هؤلاء العثمانيون ، قوم خلقوا من المكر والدهاء ، ورزقوا الحيلة وبعد النظر ، وولى أمرهم منذ أمد قريب سلطانهم سليم ، ويقال إنه أصغر إخوته ، ولكنه عجول إلى الفتك ، طموح إلى توسيع ملكه ، شديد الحيلة محكم التدبير . وقد بدأت الوحشة بينه وبين الصوفى ، ولكنه يصانع سلطاننا بالكثير من الهدايا القيمة . ولقد عاد من لدنه الرئيس حامد المغربى ، وهو قاصد السلطان إليه ، ومعه عدة مكاحل – مدافع – نحاسية ، وكتبات كبيرة من الحديد والخشب والحبال وغيرها لصناعة السفن . فبعث إليه سلطاننا الأمير أقباى الطويل لهنئه بالملك وليدعم بينهما أواصر المودة .. والعاقبة يعلمها الله

الفقيه : وعلى ذكر المكاحل والسفن ، بلغنى أن السلطان عنى بإنشاء جملة منها ، وذهب مرارا إلى مدفن الملك العادل ليجرب هناك مكاحله الجديدة

الشاعر : يعجبنى منك يامولانا ولى الدين ، وأنت رجل فقيه اهتمامك بالشئون العليا ، وهذه الروح الحماسية القوية الوثابة حتى لإخالك فى سن العشرين ..! وكان أحرى بمثلك أن يعنى بمجالس الفقه والحديث ، ويتردد على المساجد ليسمع من شيوخ العلم أو يفيد طلابه أو يجمع أخبار العلماء ، أو يلوذ بأبواب القضاة ...!

ولى الدين : حق يابنى ما تقول . إلا أن امرأ يصحب قوما مثلكم ، لجدير أن يكون على طرازى . ومع هذا ، فلا زلت أحقد أقعد بين طلاب العلم فأفيد وأستفيد . وأعود إلى مجالس العلماء ومحافل القضاة ومن على شا كلتهم ، ولكن أشهى المجالس إلى نفسى مجلسكم ، وأحلى الأحاديث إلى قلبي حديثكم ..

الشاعر : وعلى ذكر القضاة .. هل جاءك نبأ ما حل بقضاتنا الأربعة ، من جراء حادثة « الشالى » وما تم فى هذه الحادثة ؟

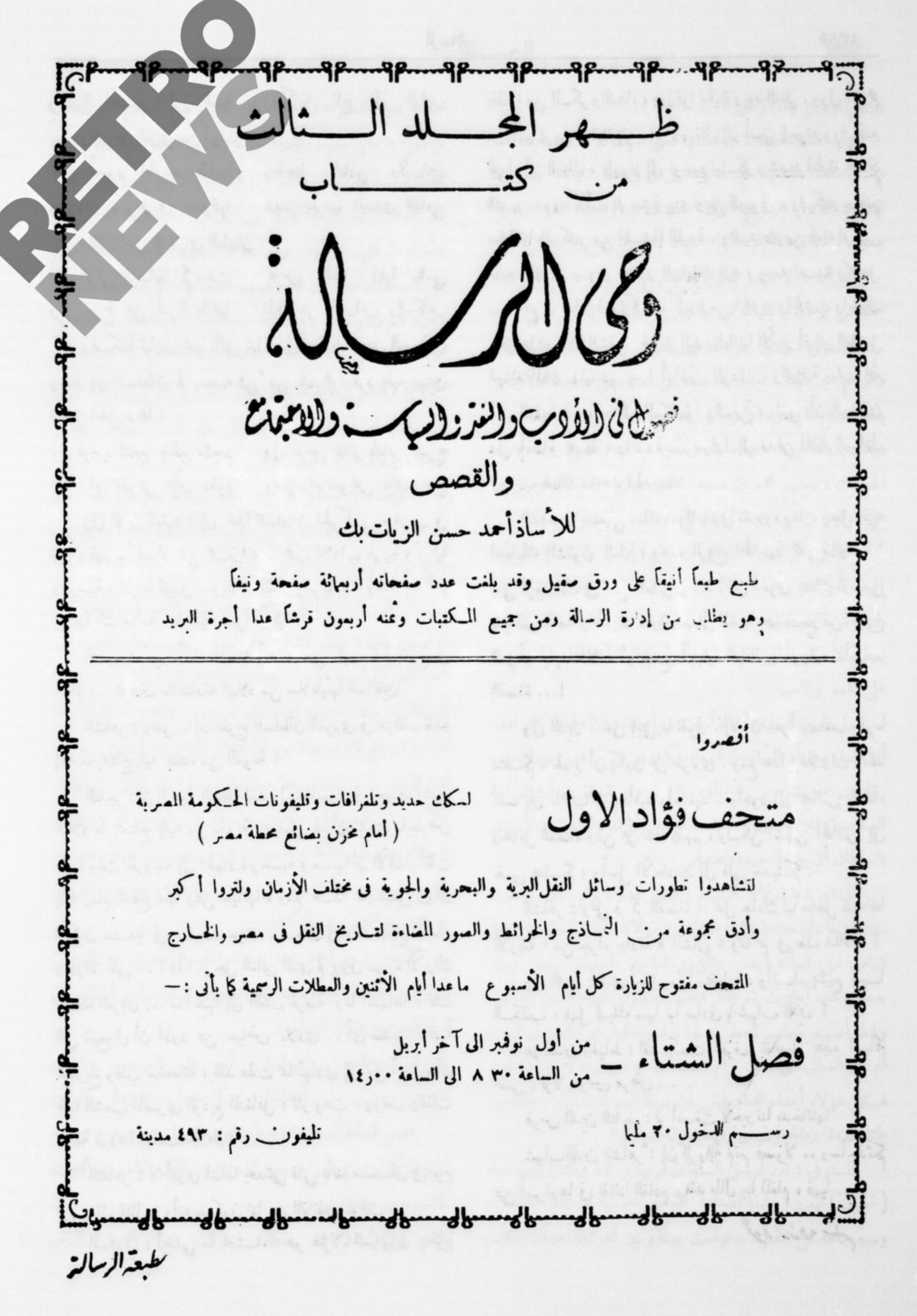
ولى الدين : لدى أخبار منها متقطعة ، وأنباء يشيع فيها الكذب . فهل لديك منها نبأ صادق يا شهاب الدين ؟

علم الدين الخياط : لقد كدت أعرف تفاصيل هذه المسألة أمس . لولا عارض عرض ...

فرس الدين التاجر : لو أنصفت لأخبرتنا بدخائلها

شهاب الدين الشاعر : إن الرواية لم تتم فصولا .. وسأحدثكم عن أسرارها فى لقائنا القادم ، فقد طال بنا المقام ، فهيا ..

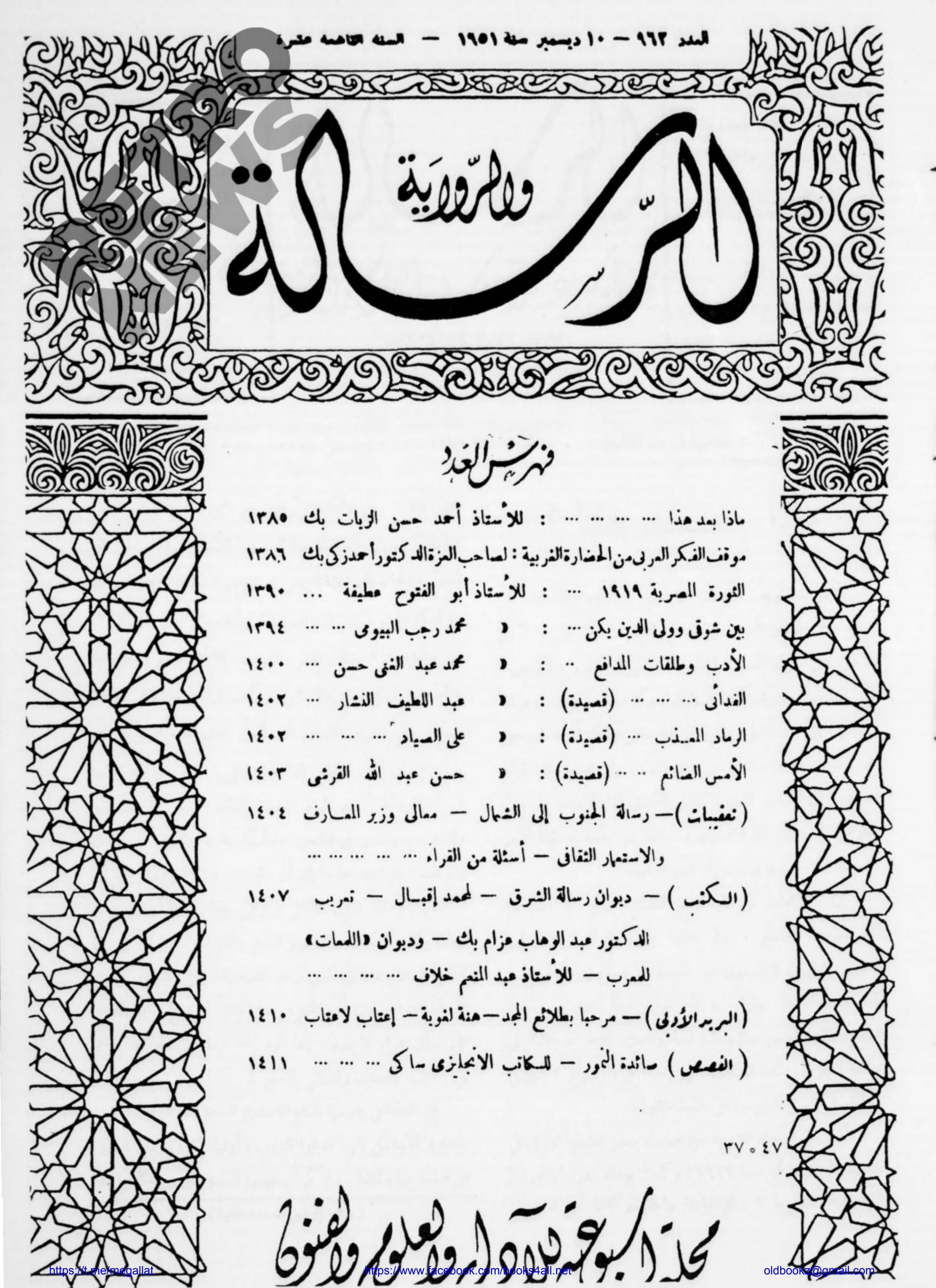
محمود رزق سليم



مطبعة الرسالة



العدد ٩٦٢ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

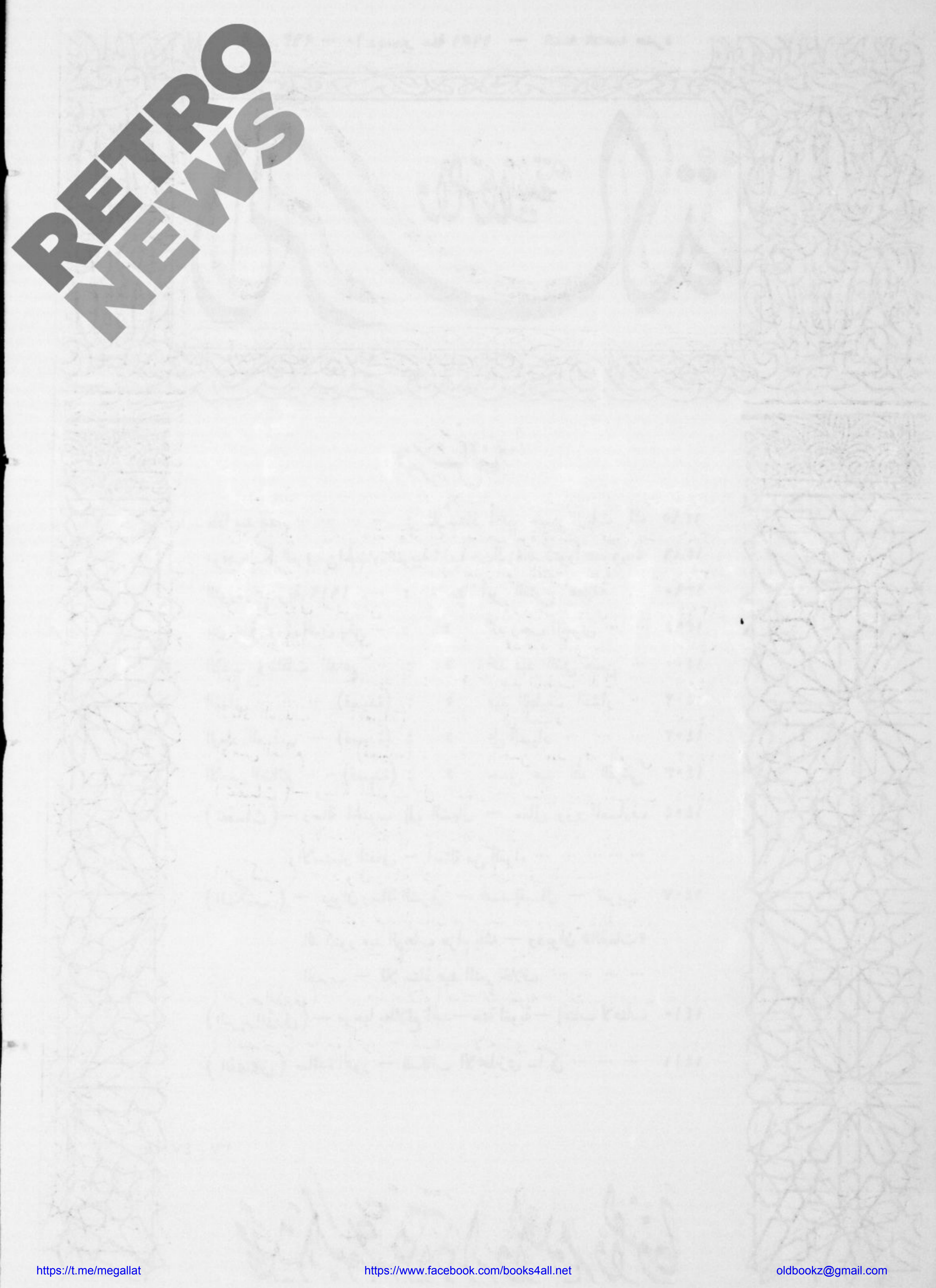


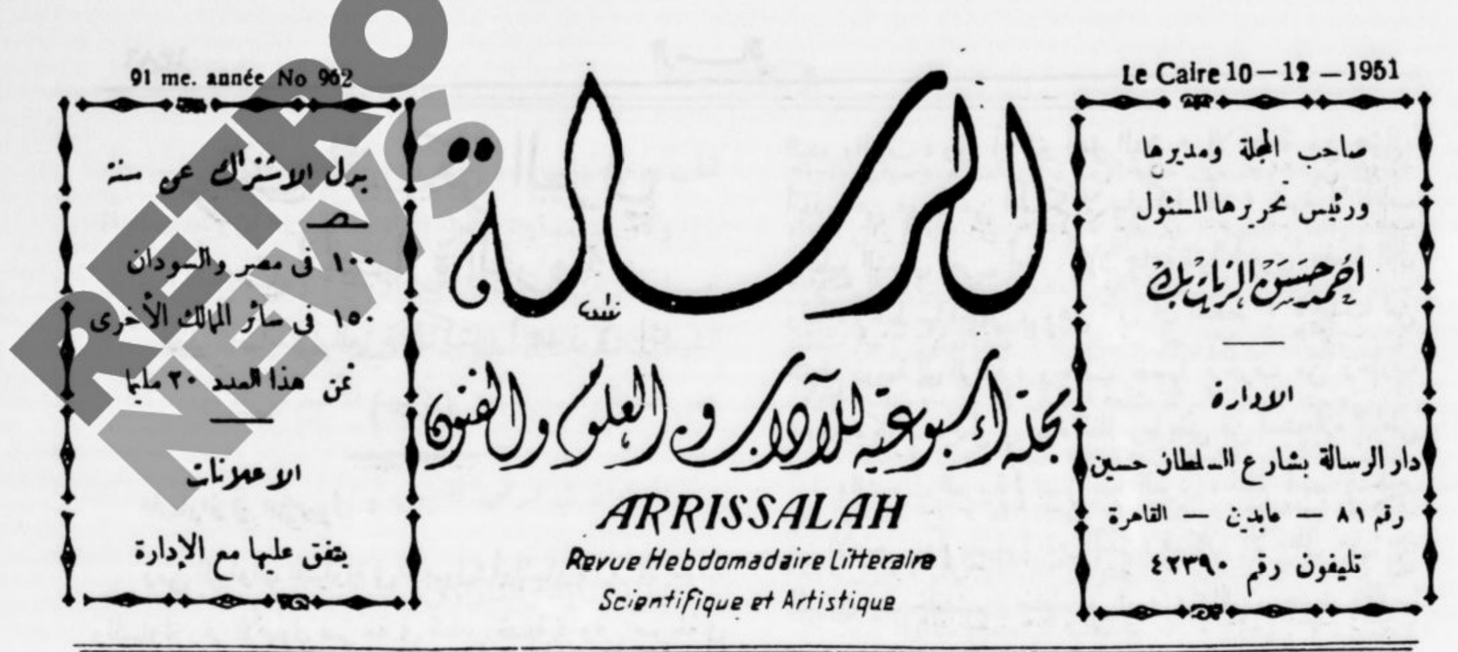
الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٧٠٤٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٩٦٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ماذا بعد هذا ؟

الأمر بيننا وبين الإنجليز يجل عن الكلام والكتابة وما جدوى اللسان العربي في السمع الأعجم ؟ وما غناء القلم الأجوف في الفؤاد المصمت ؟ هذه دماؤنا تهرق ، وأرواحنا تزهق ، وأرزاقنا تنهب ، وشوكتنا تستلان ، وكرامتنا تمتهن ، وعزتنا تستذل ، وأرضنا تحتل ، فهل يدفع عنا بعض أولئك أن نخطب حتى يجف الريق ، وأن نكتب حتى ينفد المداد ، وأن نحتج حتى تنقطع الحجج ؟ إن الشعب الذي لا يقابل التعدي إلا بالاحتجاج ، ولا يعارض التحدي إلا بالشكوى ، ساقط من حساب هيئة الأمم المتحدة ، لا تقيم له وزنا ، ولا تقدر له قيمة

إن الإنجليز في تاريخهم المظلم المجرم لم يصيخوا إلى صوت الضمير ، ولم يحفلوا بشرف الوفاء ؛ إنما هم قوم نفعيون عمليون لا يقدمون غير المنفعة ولا يسلمون إلا بالواقع . فإذا وصفناهم بما ميزهم به الله من نذالة النفس وسفالة الطبع وبلادة الحس ولؤم السياسة وخبث النية ، قالوا في صفاقة الخنزير ودناءة الكلب : ليس هذا في الموضوع ! أجيبوا عن العمل بالعمل ، وردوا على القوة بالقوة !

كنت في غلواء الشبيبة حين غضبت مصر غضبتها الأولى على هؤلاء البرابرة الحمر سنة ١٩١٩ ؛ وكنت يومئذ مدرسا بالمدرسة الإعدادية الثانوية ؛ والإعدادية والحقوق كانتا أول المدارس التي أيقظت وعي الأمة ، وأوقدت نار الثورة ، وقادت كتائب الجهاد ، ومنها تألفت اللجنة التنفيذية للطلبة . وكانت الحال التي أجدّتها الحماية المفروضة تقتضي الكلام والكتابة . كان السلطان والحكم والجيش والشرطة والصحافة في أيدي الإنجليز ، فلم يكن لنا من سبيل بين الضغط والقهر والإرهاب إلا أن نجتمع في المساجد والمعاهد نقول في العلن ما لا ينشر ، ونكتب في السر ما لا يقال . وكان نصيبي من الجهاد المقدس أن أحبر المنشورات السرية لمن يوزع ؛ وأن أحرر الخطب العلنية لمن يلقي . ثم زادني الله نفسا في أجلي فأنا أشهد اليوم غضبتنا الثانية تتسعر في الشباب والشيب ، وتتنمر في الشعب والحكومة ، وتتوغر في المدن والريف ، فلم أجد حاجة إلى أن أقول ، ولا ضرورة إلى أن أكتب . وماذا يقول القائل والوعي يقظان والرأي جميع ؟ وماذا يكتب الكاتب والشعور محتدم والعزم راسخ ؟ كل يد تطلب السلاح ، وكل نفس ترجو التضحية ! حتى أنا وقد نيفت على الستين أصبحت أجد القلم في يدي هناة لا تنفع ، والكلام على لساني هراء لا يفيد . إنما أود — وما تغني الودادة — لو أكتب بالسنان وأتكلم بالمدفع !

إن اللغة التي يفهمها طغام الاستعمار ، جعل الله حروفها من حديد وكلماتها من نار . فدعوا الشعب يا أولياء أمره ، يعبر للعدو عن غضبه بهذه اللغة . وإياكم أن تقيموا السدود في وجه السيل ،

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

موقف الفكر العربي
من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

(تتمة)

المساواة في الأصول :

ومن المساواة، المساواة في الأصول؛ أو المساواة رغم الأصول. والمساواة رغم الأصول صرخة في الناس قديمة ؛ وهي صرخة في الشعوب العربية قديمة معروفة ، بل هي لم تحتج في العرب إلى صراخ ؛ ذلك أن هذه المساواة في طبعهم ، وهي مستمدة من بدوهم ، فالنبي : يا محمد ، والخليفة : يا أبا بكر ويا عمر . لم يكن فيهم صاحب العزة أو صاحب النيافة أو صاحب الفضيلة . كانت العزة فيهم وكانت الفضيلة أصلا ، فهي لا تحتاج إلى تنويه . وكانت مدارسهم مساجد مفتحة الأبواب لكل طالب ، فلم تكن فيهم أكسفورد ولا كيردج . وكان أصل المرء لا يقف به دون أن يصل إلى أسمى المراتب . فالمجوسي بل من كان أبوه مجوسيا يصل إلى أكبر مراكز الدولة ؛ ومن ذلك البرامكة . وبائع الحرير يوجه همه إلى الشريعة فيبلغ بها عند الناس المكان الأرفع، فيحترمونه ويجلونه ويتبعونه ، فذلك أبو حنيفة النعمان . والحياك يلد ولدا لا يجد سبيله إلى العيش إلا من سقي الماء يحمله في جامع عمرو ، فيصله ذلك بالعلماء فيسمع منهم ويحفظ عنهم ، فإذا به الشاعر الكبير الفحل : فذلك أبو تمام . والشعب العربي بأاف كل هذا ولسان حاله يقول : الكل لآدم وآدم من تراب

ويبقى هذا الطبع في الشعوب العربية إلى عصرنا هذا ، في البدو والريف ، وفي أكثر أهل المدن ، إلا جماعة من هؤلاء أخذوا عن عهود من الحكم لا يباركها الله ، نعرة لا تأتلف والطبع الشرقي العربي أبدا . وإلا جماعة قليلة أخرى رفعها المال رفعا ، وحط بها الجهل ، وهي تأبى أن تنحط ؛ فاتخذت من الترفع ذريعة إلى الرفعة ، وحاطت نفسها بزخرف من زخارف الحضارة كاذب ، لعل في بهرة الظاهر ما يغني عن استجلاء الباطن

والشعوب العربية لم تضق بغير العربي ، فنبغ فيهم الكثير من الأعاجم . ولم يضيقوا بغير المسلم ، فكان الأخطل من بين المقربين عند خلفائهم : خلفاء بني أمية ، والدين جديد وقلوب المسلمين يقظة . واليهود وجدوا بين العرب ملجأ لما ضاقت بهم سبل الأرض . والسود ! لم يضق أحد بالسود ولا بالصفر ولا بالحمر، ويلقى الأبيض الأسود إلى يومنا هذا فلا يكاد على اللسان العربي ، أن يلحظ سواده

ففي المساواة بين الناس رغم حقارة الأصل ، وعلى اختلاف المولد من الأرض ، وعلى اختلاف لون الجلد ، ليس في المدنية الحاضرة درس واحد تلقيه على الشرق ، بل إن دروس الشرق للغرب في ذلك كثيرة نافعة

المساواة بين الرجل والمرأة

ونوع آخر من المساواة جاءت به المدنية الحاضرة ، تلك المساواة بين الذكر والأنثى . وتلك مساواة على المجتمع الغربي طارئة . فحظ المرأة في شرق وغرب كان سواء . والرجل كان دائما ، في شرق وغرب قواما على المرأة . والمرأة في المجتمع الغربي إلى اليوم ، تتعهد عند الزواج على يد القس ، بالطاعة لزوجها . ولكن معنى المساواة أخذ يتغلغل إلى كل شيء ، فبلغ فيما بلغ علاقة ما بين الرجل والمرأة . وتعلمت المرأة الغربية فوجدت نفسها كفيئة للرجل فرفضت قيام الرجل على المرأة . ومنهن من رفضنه شكلا وانتهين . ومنهن من رفضنه موضوعا . وخرجت المرأة تعمل كما يعمل الرجل ، وتكسب كما يكسب ، فأغراها استقلالها في الكسب بطلب استقلالها عند الزوج . والحق أن قومة الرجل على المرأة التي فرضتها الأديان، ما كانت ترمي إلى ظلم ولا إجحاف، وما كانت تنم من تعاون وتفاهم . ولكن البغي في الناس قديم. وقد عصم الحب المرأة من بغي الرجل ما دام ، وعصمت القرية

أو تضعوا القيود في رجلي الأسد ، أو تلقوا الماء في فم البركان ، فإن غضب الشعوب كغضب الطبيعة ، إذا هاج لا يُقدع ، وإذا وقع لا يدفع

لقد حملنا حتى فدحنا الحمل ، وصبرنا حتى مللنا الصبر ! والصبر في بعض الأحيان عبادة كصبر أيوب ، ولكنه في بعضها الآخر بلادة كصبر الحمار !

احمد حسن الزيات

الناجمة منها ؟ وعصمت حاجة الأسرة إلى السلام وضيقها بالنزاع الدائم والقلق المتصل . ولكن كان فى الرجال بغاة لم يكن للنساء منهم من عاصم . وإنى ، فى هذا العصر الحاضر ، وعلى الثقافة المنتشرة فى الناس بين رجال ونساء، لا أكاد أتصور رجلا مثقفا، تأتيه زوجته ، وهى امرأة مثقفة ، تقول له بينى وبينك خلاف خطير ، لا أرضى لك أن تكون فيه خصما وحكما ، فأنا أطلب حكم الله فيه على أيدى قضاة من قضاة الله ، فى محكمة من محاكم الله ، لا أستطيع أن أتصور رجلا تأتيه امرأة تقول له هذا ويقول : لا . وذلك أكبر ما تطلبه المرأة من مساواة

وتطلب المرأة المساواة السياسية ، وتطلب أن يكون لها صوت كصوت أكثر نساء الغرب ، فيقال لها إنك لا تفقهين فى السياسة . وينسى القائلون أن السياسة سياسة دولة ، فهى إلى جانب أنها سياسة حكم ، هى سياسة مال ، وسياسة مجتمع ، وسياسة أسرة ، وسياسة ضرائب أكثر من يشقى بها المرأة ، فلابد أن تقول فيها وأن تقول سديدا . ثم كم من الرجال يفهم تلك السياسة التى يريدها القائلون بحرمان المرأة. إن حقوق الناس فيما يتصل بالسياسة على أوسع معانيها يجب أن يكون مناطها ، لا أن هذا ذكر وتلك أنثى ، ولكن إن هذا أو هذه يعقلان أو لا يعقلان ، وكم حظهما من جهل ومن عرفان

وتطلب المرأة المساواة فى العمل . وعمل المرأة لا شك فى البيت . وهكذا هى الكثرة الكبرى من نساء الغرب . إن المرأة لا تستطيع أن تلد وتربى أطفالها وتكسب خبزهم فى وقت واحد إلا أن تضطرها الضرورات . والذى دفع بنساء الغرب أن تعمل كما يعمل الرجل إنما هى الضرورة وقسوة العيش . إن المرأة العانس التى لا رزق لها إنما تأكل من عملها أو تأكل بثديها أو بغير ذلك ؛ وليس من حق أحد أن يقول لها لا تعملى إلا أن يضمن لها رزق الحياة . والقول عندى أن تفتح أبواب العمل للنساء جميعا ، ليأخذ كل من الأعمال ما يصلح له ، وعندئذ تعمل قوانين الحياة عملها فلا يكون منها إلا الخير . إن الذى يغرى النساء بدق الأبواب ، ودقها عنيفا، أن الأبواب مغلقة. وللنساء فى جبلتهن ما يكفى لرد الكثرة الكبرى منهن إلى وظائفهن الأولى التى تخصصن لها فى الحياة ، تلك إيجاد الحياة فى ظل الحب ورعرعتها من بعد إيجاد ، وإسكان هذه الأرض

وكان من مساواة الرجل بالمرأة فى الغرب ، أن وجدت المرأة نفسها تهدر من الحرمات ما أهدر الرجل ، وهى مساواة فى سبيل الشيطان لا يرضاها إنسان، ولكن رضيها الغرب لشدة إحساسه بمعنى العدالة والمساواة حتى فى القبيح الأقبح من الأمور؟

المساواة فى فرص العيش

ومن المساواة: المساواة فى فرص العيش وطلب الأرزاق، وقد نسمى هذه الدعقراطية بالاقتصادية. وللمدنية الحاضرة فيها أساليب عدة. منها الرأسمالية ومنها الاشتراكية وهى صنوف. ومنها الشيوعية. أما الشيوعية فلسنا ندريها، ومن أجل هذا ننحيها. وأما الرأسمالية فشر إذا ما تركت فى أيدى فئات من رجال لا يحركهم بحكم الطبع إلا الأثرة وإلا الهوى . وإلا الرغبة فى زيادة المال أضعافا . وزيادة ما يأتى به من جبروت . ويصنع منهم موقفهم من مناهضة الشعب عصابة تقوم فيه، تبيع حقوقه وتشترى وهى بعيدة عن ريبة الشعب لأنها بعضه ، وهى ترضى دائما أن تختفى وراء الحاكمين ، ما بقيت فى أيديها مقاليد الأمور . وهؤلاء إن كانوا شرا على أممهم ، فشرهم على علاقات ما بين الأمم أكبر

ولكن الرأسمالية غير ذلك إذا كانت رأسمالية شعوب ، وكان لكل فرد من أفراد الأمة فيها نصيب. يعملون جميعا للانتاج، ويقفون جميعا صفا واحدا عند التقسيم . فهذه هى الاشتراكية وإليها يجب أن يتجه الفكر العربى، وأن يتمسك بها مبدأ . أما إنفاذها فدونه الجهاد المر الطويل

المساواة فى التعليم وفرصه

ومن المساواة التى ابتدعتها المدنية الحاضرة ، المساواة فى التعليم وفرصه . بل هى جعلت التعليم إجبارا لبضع سنين . وسمته إلزاميا ، وسمته أوليا . والتعليم على الإجبار لا يكون إلا مجانا ، فجملته مجانا

وكان التعليم قبل ذلك فى سائر الأمم ، وفى سائر المدنيات وعلى القرون ، مقصورا على فئة قليلة من الناس . ثم أراد الله

بهذه الفكرة الجديدة ؛ فكرة نشر التعليم وتعميمه ، أراد لها أن تنبت في الغرب من أوربا، عند انشقاق الكنيسة . رأى المنشقون — البروتستانت — أن خلاص الشعب الديني لا يكون إلا بالوصل المباشر بينهم وبين الله عن طريق إنجيله . وإذن لابد من القراءة . وإذن لابد من التعلم ، فأخذوا ينشرون التعليم وعن طريقه يبشرون . وقام الكاثوليك يعارضون نشرا بنشر وتبشيرا بتبشير ، وفتح مدارس بفتح مدارس . وتألف اليسوعيون جماعات كان لها في هذا الميدان بأس شديد . وجاءت الديمقراطية فرأت أن تنشر التعليم، كما رأت الكنيسة بشقيها ، ولكن لغير تلك الأسباب . رأت الكنيسة نشر التعليم بين الشعوب ليكون سبيلهم إلى السماء أهدى ؛ ورأت الديمقراطية نشر التعليم لتكون الهداية على هذه الأرض . وتنازع الطرفان أمر التعليم . تنازعته الكنيسة والدولة . وغلبت الدولة آخر الأمر .

وجاء القرن التاسع عشر ، واكتمل ، فإذا التعليم قد عم في أكثر الأمم الناهضة

ولا أظن أن أحدا يريد أن يسألني ما موقف الفكر العربي من هذا الكسب الجديد من مكاسب المدنية الحاضرة

إنه ليس دليل على حاجة الشرق العربي إلى التعليم ، يكون إلزاميا ، ويكون عاما ، كمحاربة المستعمرين له في كل أمة يستعمرونها . ودليل آخر ، محاربة الرجعيين له ، والمستحوذين على السلطان من كل نوع ، في الأمة الواحدة . إن ذوي السلطان إذا لم يعصمهم الله يخشون الشعوب ، ويخشونها متعلمة . وهم يحاربون التعليم علانية ، إن استطاعوا ، ولكن أكثرهم يحاربونه خفية . وأنظر لبعض الأمم العربية لأرى كم بها من تعليم فلا أكاد أجد شيئا . وأنظر لبعضها الآخر لأرى من أي وقت في التعليم بدأت ، وإلى أي شئ قد انتهت ، فأقف وأعجب . إن التعليم قد يتخذ في تخذيله أحسن الدعوات ، ومن هذه الدعوة إلى الروية ، فإلى البطء ، لأن بنيرهما لا يكون إحسان . إن شر ما يخشاه الرجعيون ، وأهل السلطان ، من التعليم ، أن المتعلم يأبى الجوع ، ويأبى العرى ، ويأبى العمل إلا مأجورا حسن الأجر ، وتتفتح عينه بالذي يصيبها من نور وتتفتح نفسه للطيبات

إن التعليم عندي مفتاح كل مغلق من مغالق الحياة ، في شرقنا هذا العربي . ولو أني خيرت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ، ما اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال، وإنما أختار التعليم يشمل ويعم ، فهو الوسيلة إلى المال ، وهو الوسيلة إلى الاستقلال ، وهو الوسيلة إلى فتح كل باب مغلق يتدفق منه الخير كثيرا وفيرا

المدنية وشئون من الحياة أخرى :

بقيت أشياء أخرى من أشياء هذه المدنية الحاضرة ، تتعلق بأسلوب العيش : أسلوب الغذاء ، وأسلوب الكساء ، وما شاكل ذلك . فهذه أشياء لا تقدم كثيرا ، ولا تؤخر كثيرا ، وللعربي أن يأخذ منها أو يدع . وأشياء أخرى تتعلق بالطباع والعادات وهذه ما لا تستطيع المدنية أن تفعل فيه شيئا

معارضة المدنية الحاضرة :

هذه هي المدنية الحاضرة ، وهذه أصولها . هذه هي المدنية التي أكره أن أسميها غربية ؛ لأنها مدنية إنسانية ، هدفت ، لا إلى إسعاد غرب دون شرق ، ولكن إلى إسعاد الإنسان أينما كان . وهدفت إلى تعريف حقوق الفرد والجماعات ، وإلى تعيين الحقوق والواجبات ، في أي قوم وبأي أرض . وهي مدنية ، رغم بدء نشأتها في الغرب ، لم تصطبغ كثيرا بصبغة دينها الغالب . وأكثر مفكريها ، السابقون فيها واللاحقون ، وقفوا بعيدا عن الدين ، تعمدا وقصدا ، وهم يفكرون

والمدنية الحاضرة ، ككل المدنيات ، لها محاسن ومقابح . وقد تركزت على محاسنها ، وتركت القبيح . لأن القبيح قبيح في كل فكر وكل عصر ، وقد تتسم المدنيه بقبيح لا ترضاه ، ولكنه

تملق بأذيالها فحملته منها فيما تحمل من طبائع الناس

ومن أهل الشرق من يتصلب عوده تعصبا كلما سمع بالمدنية الغربية . وحق له أن يتعصب ؛ لأن الشرق شقى بالغرب أكبر شقاء ولا يزال يشقى . وسوف يشقى

ولكن الشرق إن شقى بأهل الغرب ، فهو لم يشق بمدنيتهم إنه شقى بالذى فى طبائع أبناء آدم من أثرة ومن ظلم ومن إجحاف وأحيانا من سفه وغباء . وهو قد شقى بمثل هذه الطبائع فى عقر داره ، ومن أهله وعشيرته وأهل السلطان فيه ، فكيف بالغرباء .

والشرق ينسى أن هذه المدنية تجربة يمتحن بها أهلها كما يمتحن مقتبسوها ، وأن أهل الغرب فى محنة منها ؛ بالذى تأتى به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ؛ لأنها مدنية لم تبلغ بعد الغاية منها ، وبعض أهدافها قد تحقق ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق

ومن أهل الشرق من تبلغ به كراهة الغرب إلى حد أن يرى أن يقاوم الغرب ، لا ظلمه وإجحافه ، واستبداده واستعباده ، ولكن أن يقاومه كذلك فكرة ومدنية . وهيهات . إن المدنيات القديمة أخذ بعضها من بعض ، إذا تعادلا قوة ، وقام بعضها على أنقاض بعض . ولم يكن فى تلك الأزمان من تقارب الناس واتصالهم كما بين أهل الأرض اليوم من قرب اتصال . إن الطائرة وهى تطوف حول الأرض اليوم ، تكاد تجارى الشمس سرعة التفاف حول الأرض فكيف يقاوم الشرق العربى ، على ضعفه ، مدنية عارمة واقعة تحت عينيه وعند سمعه ، وأخبارها أسرع إليه من بعض أخبار قومه

وما لى أقول فى هذا ، والواقع يقول عنى فيغنى ؟

أليست المدنية قد وصلت إلى أبعد ما خال المرء أن تصل ، إلى الصحراء . ألا يوجد فى صحارى العرب اليوم بقاع تحلها ، فتحسب أنك حللت بحلولها من المدنية فى الصميم ؟ وفى المدن ، فى بعضها ، ألست تلقى المرأة محجبة من قمة رأسها إلى قدمها ، تنظر إلى الدنيا من ثقوب ، فإذا خلعت ذاك الحجاب تجلت لك من تحته آخر أزياء باريس ؟ وفى مدن الشرق العامة ، هل تركت هذه المدن شيئا من المدنية لم تأخذه عنها ، من أسلوب بناء ، إلى نظام مصارف ، إلى برامج مدارس ، إلى قوانين حكم ؟

إن المدنية الحاضرة فيض غمر لا يقف فى سبيله شىء إلا اقتلعه ولست أقول هذا عن تخاذل ، ولا أقوله عن تسليم ، ولكن أقوله لأننى أرى أن أية مقاومة مجهود ضائع ، لا يكون منه إلا تأخير اليوم الذى ينتفع فيه الشرق بما أنتج الغرب ، لا من مدنية غربية ، ولكن من مدنية إنسانية عالية أساسها تحرر الفكر الإنسانى من قيوده ، وغايتها رفاهية الإنسان وإسعاده . وليس بها مالا يمكن تأليفه ومطالب الشرق ودينه وعاداته . والمقاومة يكون بديلا منها المساهمة . المساهمة فى تخطيط طرق الحياة لأجيال من الناس مقبلة

احمد زكى

---

٧ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دماء ودماء :

اتسم طابع الاحتلال البريطاني منذ دخول الانجليز مصر بميل البريطانيين إلى سفك دماء المصريين

فني دنشواى ١٩٠٦ أعدم المصريون شنقا فى وسط قريتهم دنشواى

وفى ١٩١٩ جرت دماء المصريين أنهارا . لماذا ؟ لأن المصريين طالبوا بالغاء الحماية وإعلان استقلالهم

وفى ١٧ ، ١٨ نوفمبر الحالى سفك البريطانيون دماء المصريين فى مجزرة الاسماعيلية ، وإليك البيان :

من ١٥ - ٢٢ نوفمبر ١٩٥١ :

فى ١٥ نوفمبر افتتح جلالة الملك فاروق ملك مصر والسودان الدورة الثالثة للهيئة النيابية العاشرة ، وألقى رفعة مصطفى النحاس باشا خطاب العرش الذى جاء فيه أن مصر قد ألغت معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ بعد أن ضاقت ذرعا بالمفاوضات مع بريطانيا، وأن انجلترا بدلا من أن تسلم بالأمر الواقع « آثرت العنف والالتجاء إلى القوة الغاشمة . وقد صمدت الحكومة والشعب لهذا العدوان ولن تتراجع حكومتى عن خطتها ... ولن تلين لها قناة تحت أى ضغط أو إكراه . »

وقد تفضل جلالة الملك فوجه إلى أعضاء لجنة الاستقبال البرلمانية عند تشرفهم بالمقابلة الملكية النطق الملكى الكريم :

« إن البلاد تمر الآن بمرحلة شبيهة بمرحلة ١٩١٩ ، إن لم تكن أشد منها وأكبر ، وسنجتازها بأذن الله وتوفيقه بسلام وإنى لأهنئكم بهذا النضال ، واعلموا أنه بالنضال وحده تنضج الأمم وتصل إلى المستوى اللائق بها

وإنى أوصيكم بضم الصفوف ، وتوحيد الجهود ، وأضع يدى فى يدكم أفرادا وجماعات ، رأويد كل من يعمل لمصلحة الوطن . إننا نقف صفا واحدا فى بيوت الله فلا ممنى لإن نتفرق خارجها

وفقكم الله لما فيه الخير ، وأسبغ من رحمته على من استشهد من أبناء الوطن فى هذا الكفاح ، والجنة للمستشهدين . »

وهكذا وقفت مصر ملكا وشعبا تناضل فى سبيل حريتها وهى لا بد بالغة ما تريد إن شاء الله

وفى يوم الجمعة ١٦ نوفمبر وقف معالى الوطنى العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا يتحدث فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ففضح سياسة الانجليز فى وادى النيل و كشف مناوراتهم الخبيثة لإطالة احتلالهم لمصر وفصل السودان عن مصر وندد بالوحشية والفظائع التى ارتكبها الانجليز فى منطقة القنال ووصفها قائلا إنها « عدوان همجى مخجل من المملكة المتحدة، وخرق صارخ للسلم العالمى والأمن الدولى ، وامتهان بالغ لمبادئ الميثاق وأهدافه السامية . »

وانتقل إلى الحديث عن السودان وتحدى الانجليز أن يخرج المصريون والانجليز من السودان ثم يجرى فيه استفتاء حر على يد هيئة الأمم المتحدة وأشار إلى مندوبهم كن يقول « اقبلوا هذا التحدى إن كنتم مخلصين . »

وأسقط فى يد الانجليز فحاولوا منعه من الكلام فلم يستطيعوا كما لم يستطيعوا على بيانه تعقيبا

وفى يوم السبت ١٧ نوفمبر جاء الرد الانجليزى على مصر ووزير خارجيتها : ففى الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم انتشرت فجأة عدة دوريات مسلحة فى مختلف أرجاء مدينة الاسماعيلية ثم بدأت تطلق نيرانها فى وقت واحد فقلبت أمن المدينة جحيما مستمر النيران؛ ولم يميز الانجليز فى هذا بين المدنيين وبين رجال البوليس فسقط من الشهداء كثيرون

وفى يوم الأحد ١٨ نوفمبر عاود الأنجليز هجومهم الوحشى على المدينة وبالغوا فى إجرامهم إلى أبعد مدى يستطيع العقل البشرى أن يتصور فظاعته ، فقد ظلوا يطلقون النيران على المدينة من الساعة الثالثة مساء حتى الساعة العاشرة

وفى هذه المجزرة استشهد عشر مواطنين : خمس من المدنيين وخمس من الجنود وجرح سبعة وعشرون

وقد فقد الانجليز ضابطين وسبعة جنود وجرح أكثر من ثلاثين جنديا . ولكن أكثر من هذا : لقد اشتركت مدمرة بريطانية فى ضرب الاسماعيلية وشاء ربك أن تسقط القنابل فى معسكر انجليزى وتفتك بجنوده. ويتكتم الانجليز أنباء عدد القتلى منهم ولكن فى كل يوم يعثر على جثث طافية لهم فى ترعة الاسماعيلية وفى بحيرة التمساح

وفى مساء الاثنين ١٩ نوفمبر وقف إيدن وزير خارجية بريطانيا يتحدث فى مجلس العموم البريطانى فقال « إن القومية العدوانية أو التعصب الدينى أو الاثنين مما حاولا إثارة الحقد والكراهية والبغضاء بين فريقين كان ينبغى أن يكونا صديقين. نعم ينبغى أن تكون مصر صديقة لبريطانيا لأن بريطانيا تقتل كل يوم من المصريين من تستطيع وتهتك أعراض المصريين وتسلب أموالهم وحرياتهم وتعتدى على استقلالهم ووحدتهم . هذا هو منطق الانجليز !! وقال « إن بريطانيا على استعداد الآن لإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ والاستعاضة عنها باتفاق مع الدول الأخرى لحماية قناة السويس. وكأنه يريد أن يقول إن سبع سنوات من المفاوضات لم تكن كافية لتعديل معاهدة ٣٦ البائدة ويزيد فيريد أن يفرض حماية دولية على قناة السويس مع أن مصر قد ضاقت ذرعا بانجلترا وحدها

وقال « إذا أريد نجاح أية محادثات بين مصر وبريطانيا يجب الكف عن النشاط الإرهابى الموجه ضدنا فى منطقة القناة . فالوقف هناك لا شك خطير . » وكأنى به يريد أن يقول إن تبعة مجزرة الاسماعيلية تقع على عاتق المصريين إذ هى رد على اعتداءات الفدائيين. لا يامستر إيدن! إنها رد على صلاح الدين . ولكن اعلم أن مصر قد وقفت تناضل عن حريتها، ولن تضعف مهما ارتكبتم من إثم أو اقترفتم من جرم . إننا لا نريد احتلالا فاخرجوا من ديارنا وكفى

ووقف مستر موريسون وزير خارجية انجلترا السابق يؤيد إيدن ، انجليزى يؤيد انجليزيا ! أمر معروف ولن نعبأ بايدن أو بموريسيون

ويختتم إيدن حديثه طالبا أن تعود ألمانيا وإيطاليا من جديد وأن تصبحا عضوين فى هيئة الأمم . هذا هو جزاء الانجليز للاعداء . أما مصر الصديقة فيقتل أبناؤها جزاء لها على صداقتها !

وإنى أحب أن أبعث بالتحية إلى الفدائيين من إخواننا فقد أقلقوا مضاجع الانجليز بأعمالهم الجريئة ، وبشجاعتهم وحسن حيلهم من استخدام القطط المشتعلة إلى إطلاق الثمابين والإفاعى

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٥١ قدم الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران وبطل تحريرها إلى مصر فاستقبلته مصر استقبالا حماسيا رائعا . ولا عجب فمصر شقيقة إيران وكلتاهما تناضل العدو المشترك بريطانيا

مارس ١٩١٩ :

رأينا كيف بدأت الثورة المصرية ثورة سلمية هدفها إلغاء الحماية وإعلان الاستقلال ، ولكن الإنجليز أبوا على المصريين حقهم المشروع فى الحرية والاستقلال وانطلقت قواتهم الغاشمة تعتدى على العزل الأبرياء وتسفك دماء الشهداء ، دون ذنب إلا إخلاصهم لوطنهم . وبلغ الجنون بالإنجليز أقصاه فانطلقوا يطلقون الرصاص على المصلين وهم خارجون من المشهد الحسينى بعد قضاء صلاة يوم الجمعة ١٤ مارس . وقد حسبوا أن تجمع المصلين مظاهرة ، ولكنهم فى عدوانهم هذا لم يميزوا أيضا بين رجل وامرأة فقتلوا بعض النساء

اضراب المحامين :

فى ١١ مارس أضرب المحامون عن العمل احتجاجا على

موقف انجلترا من مصر ومنعها للوفد من السفر والتجائها إلى سياسة الإرهاب والشدة إزاء المصريين وقبضها على زعماء مصر وطلبوا نقل أسمائهم إلى جدول غير المشتغلين

وقد وافق مجلس نقابة المحامين على قرار الإضراب ونفذ المحامون القرار في ١١ مارس ، وكان لهـذا القرار أثر كبير في نجاح الثورة « فقـد كان بمثابة دعوة عمليه إلى طوائف الشعب للاضراب العام . »

وفى ١٥ مارس انضم المحامون الشرعيون إلى زملائهم وقرروا الإضراب أيضا. وقداقتحم المتظاهرون المحكمة الشرعية العليا وطلبوا إلى رئيسها أن يسير على رأس مظاهرتهم فقبل . وركب عربة جاء بها المتظاهرون، ولكن البوليس هاجم المتظاهرين وأصيب منهم اثنا عشر غلاما فى أرجلهم

وفى هـذا اليوم أيضا أضرب عمال عنابر السكة الحديد ببولاق ، وألفوا مظاهرة تأييدا للطلبة فوقفت حركة السكة الحديدية

وقد اضطرت الحكومة إزاء هـذه الإضرابات أن تنشر جنودها في جميع أحيـاء القاهرة واضطرت إلى احتلال محطة القاهرة والمنابر والورش بحى السبتية

محاكم عسكرية :

أنشأت السلطة محاكم عسكرية فى القاهرة أولا ثم فى الأقاليم لسرعة البت فى قضايا المظاهرات والمتظاهرين . وقد قضت هـذه المحاكم بأحكام مختلفة على كثير من المتظاهرين وكان من بين أحكامها : الحكم على حسن عبد الباقى الترجى بجنيه غرامة أو السجن أحد عشر يوما لأنه مزق منشورا للسلطة العسكرية !

مظاهرة السيدات :

أبت المرأة المصرية أن تترك الرجل المصرى ينفرد بشرف الجهاد ، ولهذا الغرض اجتمع عدد كبير من فضليات السيدات والآنسات فى يوم الأحد ١٦ مارس وخرجن فى مظاهرة كبرى سارت فى شوارع العاصمة تنادى بالحرية والاستقلال لمصر ، وبسقوط الحماية والظلم والاستبداد ، والاحتجاج على ما أصاب الأبرياء من القتل والتعذيب

وقد أخذت المتظاهرات يطفن فى حشمة ووقار بدور معتمدى الدول الأجانب ويقدمن إليهم منشورا :

« جناب المعتمد :

يرفع هـذا لجنابكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية المطامع البريطانية ، يحتججن على الأعمال الوحشية التى قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة لا لذنب ارتكبته سوى المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقا للمبادئ التى فاه بهـا الدكتور ولسن وقبلتها جميع الدول محاربة كانت أو محايدة

نقدم لجنابكم هذا ونرجو أن ترفعوه لدولتكم المبجلة لأنهـا أخذت على عاتقها تنفيذ المبادئ المذكورة والعمل عليها؛ ونرجو كم إبلاغها ما رأيتموه وما شاهده رعاياكم المحترمون من أعمال الوحشية وإطلاق الرصاص على الأبنـاء والأطفال والأولاد والرجال العزل من السلاح لمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج لعرض قضيتهم على مؤتمر السلام أسوة بباقى الأمم وتنفيذا للمبادئ التى اتخذت أساسا للصلح العام ، ولأنهم يحتجون أيضا على اعتقال بعض رجالهم وتسفيرهم إلى جزيرة مالطة

لنا الأمل يا جناب المعتمد أن يحل طلبنا هذا نحن السيدات المصريات محل القبول ولا زلتم عونا لنصرة الحق مؤيدين لمبادئ الحرية والسلام . »

وقد أثار منظر السيدات والآنسات فى المظاهرة الحماسية فى النفوس ووقفت الناس على جوانب الطرق يحيون المتظاهرات وشاركتهن زميلاتهن بالزغاريد من داخل المنازل فأحفظ ذلك الإنجليز وأخذوا يتعرضون لهؤلاء السيدات. وحينما وصل الموكب

إلى شارع سعد زغلول ووجهته « بيت الأمة » ضرب الإنجليز نطاقا حول المتظاهرات ومنعوهن من مواصلة السير وصوبوا بنادقهم نحو صدورهن ، ومع هـذا فإن المتظاهرات لم يرهبن التهديد وتقدمت إحداهن وقالت لجنـدي شهر عليها بندقيته : « نحن لا نهاب الموت ، أطلق بندقيتك في صدري لتجعلوا في مصر مس كافل (١) ثانية . »

قالت هذه العبارة بالفرنسية ففهمها الضابط فخجل وتنحى لهن عن الطريق بعـد أن وقفن في حرارة الشمس أكثر من ساعتين

وقد كتب المتظاهرات احتجاجا ثانيا على هـذه المعاملة ورفعوه مع الاحتجاج الأول إلى معتمدي الدول الأجنبية . ولقد كان منظر الجند المدججين بالسلاح وهم يتمرضون للسيدات الكرام مدعاة إلى احتقارهم

وقد حيا شاعر النيل حافظ بك ابرهيم مظاهرة السيدات في قصيدة رائعة :

خرج الغواني يحتججـــن ورحت أرقب جمعهنه
فإذا بهن تخذن من سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثـل كواكب يسطعن في وسط الدجنه
وأخذن يجتزن الطريق ودار سعـد قصدهنه
يمشين في كنف الوقا ر وقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبـل والخيـل مطلقة الأعنه
وإذا الجنود سيوفها قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنـا دق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد ضربت نطاقا حولهنه
والورد والريحان في ذاك النهـار سلاحهنه
فتطاحن الجيشان سا عات تشيب لهـا الأجنه
فتضعضع النسوان والنسوان ليس لهن منه
ثم انهزمن مشتتات الشمـــل نحو قصورهنه

* * *

فليهنأ الجيش الفخو ر بنصره وبكسرهنه
فكأنما الألمان قد لبسوا البراقع بينهنه
وأتوا بهندنبرج مختـــفيا بمصر يقودهنه
فلذاك خافوا بأسهن وأشفقوا من كيدهنه

ابو الفتوح عطيفة

(١) ممرضة انجليزية أسرها الألمان وأعدموها وكان لقتلها ضجة كبيرة في العالم

موازنة وتحليل :

بين شوقي وولى الدين يكن

سقوط عبد الحميد

للأستاذ محمد رجب البيومي

بين شوق وولى الدين مشابه كثيرة ، فكلا الرجلين زكى الأصل ، وكلاهما نشأ فى ظلال الترف والنعمة ، وذللت دونه طرق المجد والجاه ، فاتصل بالأسرة الحاكمة ، وتقلب فى المناصب المرموقة. وكلاهما شاعرمبدع يصوغ القلائد الساحرة ، ويصرف أعنة البيان حيث يريد . وكلاهما يتنقل به هواه فوق ضفاف البسفور ، وعلى شواطئ النيل ، فأنت تسمع لهما الروائع المبدعة فى وصف الآستانة ، كما تقرأ لهما الحنين الدائب إلى مطارح النيل ، حيث قدر لهما أن ينزحا عن القاهرة مغتربين ، ذاك إلى الأندلس، وهذا إلى سيواس ، وفى غياهب النفى السحيق تتأجج العاطفة ، ويجيش الخاطر بالروعة والإبداع

ورغم هذه المشابه العديدة فقد افترق الشاعران فى وجهة نظريهما إلى السلطان عبد الحميد افتراقا شاسعا ، وقد وجد كلاهما من ظروف حياته ، وطبيعة شخصيته ، ما يدفع به إلى التمسك برأيه والدفاع عنه بما يملك من بيان . وقد كان لعبد الحميد فى كثير من الأذهان صور متناقضة متضاربة ، فهو — من ناحية — أمير المؤمنين الرسمى ، وقائد الإسلام الرمزى ، وظل الله فى أرضه ، وخليفته فى تنفيذ أوامره وتحريم نواهيه ! وهو — من ناحية ثانيه — طاغية مستبد ، يعذب الأبرياء ، ويغتال النصحاء ، وينصب الدسائس والشباك ، ويجمع الحور والقانيات فى قصوره المترفة الناعمة ، ويصل إلى أهوائه الجامحة فى طريق من الأشلاء والدماء ! وتلك أمور تدعو إلى الثورة وتدفع إلى العصيان ، فانطلقت الألسنة بالعراق والشام ومصر تندد ببغيه وعدوانه ، وقام الزهاوى والرصافى وولى الدين بتجريحه وهجوه ، فأظهروا للملأ فضائحه ومثالبه . ومن المدهش الغريب أن يقوم إلى جانب هؤلاء الثائرين شعراء مبدعون يكيلون المدح كيلا للسلطان الجائر ، ويرسلون القصائد الرنانة تلهج بالثناء عليه ، وتحيل ظلماته الدامسة إلى نهار ضاح ! وأنت تسأل عن سبب ذلك فتجد هؤلاء المادحين يهيمون بالوحدة الإسلامية ، ويخافون أن تتصدع الخلافة بمهاجمة السلطان ، فتتفرق كلمة المسلمين ، ويصبحون طعاما سائغا المتربصين من الأعداء . وخير عندهم أن يتغاضوا عن أفعال هذا الطاغية ، من أن تدور الدوائر على الكلمة الجامعة والشمل المتماسك ، فتنحدر الخلافة إلى المهوى السحيق ! هذا ما كان يعتقده محرم والكاشف والرافعى وحافظ والقاياتى وغيرهم ممن أحالوا الباطل حقا بمدائحهم المموهة ، ووقفوا من ولى الدين وشيعته على طرفى نقيض !

وقد كان أمير الشعراء مدفوعا إلى مدح السلطان الجائر بهذا الدافع من ناحية ، وبدافع أقوى منه من ناحية أخرى ، فهو شاعر القصر ، وترجمان البلاط الخديوى ، يأتمر بأمره ، وينطق بلسانه . وكان النفور القائم بين الاحتلال الإنجليزى ، والخديوى الشاب يدفع الباب العالى بالآستانة إلى العطف على عباس وتحبيذه ، كما يدفع الأمير الغيور إلى الاعتزاز بالسلطان والتطلع إليه . وطبيعى أن يعبر شوقى عن ذلك بمدائحه المسهبة فى كل مناسبة تحين ، وتمضى هذه القصائد إلى أسماع عبد الحميد فتأخذ مكانها من نفسه ، وتميل به إلى الشاعر المادح ، فإذا زار شوقى الآستانة نزل ضيفا على السلطان ، ونال من الحفاوة والتجلة ما يضاعف حبه وينمى إخلاصه ، فيشدو بعظمة عبد الحميد ، ويطلق لخياله العنان فى تهنئته ومديحه ! مع أن فظائعه الدامية لا تطاق بحال !

هذا الوضع السياسى الذى جذب شوقيا إلى ساحة عبد الحميد ، قد قابله وضع مضاد لولى الدين ، حيث أتيح للشاعر أن يمكث مدة غير قصيرة بالآستانة . فرأى بعينه ما يسمعه الناس

من فظائع السلطان ، وشاهد الظلم والدسيسة والخيانة فى أبشع صورها ، فلم يطق صبرا على ما شاهد بعينه ولمس بيده ، فرجع إلى القاهرة وأنشأ جريدة الاستقامة ، وأعلن الثورة على السلطان فى جبروته ، ورسم بقلمه المؤثر صورا حزينة للضحايا الأبرياء الذين تجرعوا الغصص القاتلة بالأستانة ، فأصبح من أعلام المعارضين للسياسة العثمانية . وقد حوربت جريدته محاربة شديدة ، وتصدى لها الحكام والولاة تصديا ماحقا ، حتى لم تعد تصل إلى قرائها فى مختلف الأمصار . ورأى الشاعر من الحزم أن يقطع صدورها ، ولكنه لم يغمد قلمه بل شهره فى الصحف اليومية التى تميل إلى رأيه ، وجعل من جريدتى المقطم والمشير منبرا يذيع حملاته من فوقه . وشاءت السياسة العثمانية أن ترشوه كغيره من المعارضين ، فمين عضوا بمجلس المعارف الأعلى فى الاستانة . وكان الظن به أن يقنع بمنصبه الساحر ، ولكن واصل الهجوم العنيف دون مبالاة ، فصدر الأمر بنفيه إلى سيواس ! وقضى سبع سنوات فى مكان موحش مقفر ، لا يرى غير الغيوم والصخور والأمطار والهضاب . وكلما اشتعل الغيظ فى صدره أرسل قريضه مندوا هاجيا ، ولم يذق طعم الراحة حتى صدر الدستور العثمانى ثم عزل السلطان بعد ذلك فهوى إلى الحضيض !

هذه عجالة تاريخية توضح لنا البواعث التى حدت بشوقى وصاحبه إلى موقفهما المختلف من السياسة العثمانية . والباحث المنصف يعجب كل الإعجاب ببسالة ولى الدين وشجاعته ، فهو لم يشأ أن يذعن للباطل فى أمر مهما قبض الثمن غاليا ، وكان يغيظه من شوقي أن يبالغ فى مدائحه مبالغة تدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فهو يعلم علم العلم ما يجرى بالاستانة من محن ونكبات ، ولكنه لا يقتصر على الثناء الرسمى والدعاء بالتوفيق والهداية كما يفعل مادحو السلطان ، بل يزعم أنه أعاد سيرة الفاروق ، وأنه كفل البائسين والأيتام بتاج من عطفه وإخلاصه ، وأن الخصب والنماء والفهام هبات تتناثر من كفه ، بل إن البيت العتيق ليشكر ربه من أجله ، وعرفات يسمى هاتفا به ، وأن الرسول يهنأ فى قبره بحياته ، فهى حياة الدين واليتامى والمساكين ! إلى غير ذلك مما يراجعه القارئ فى الشوقيات !

وبعد جهاد متواصل كادح من الشعب والجيش كان ما لا بد أن يكون ، فقد حاق المكر السئ بأهله ؛ ودارت على الباغى الدوائر ، وتقدمت الجيوش زاحفة إلى « يلدز » فسقط السلطان من عليائه ، ونزل الجبار عن عرشه . وطار الخبر إلى ولى الدين فصفق شعره فى خاطره ، ونظم قصيدة شامتة يذكر فيها السعادة الذاهبة ، والمجد البائد ، ويتصور الأسير المهيض وقد كبل بالأغلال وتجرع غصص الحرمان متيقظا ، فإذا أغفت عينه نغصته الأحلام بأطياف خاطفة للملك الزائل ، وبدره الآفل ! إنه ليقول فى تشف ساخر وتهكم مرير :

عزاء أيها النافى الرعايا ... ولا تجزع فخالقهم نفاكا
حرمت كراك أعواما طوالا ... وليتك بعد ذا تلق كراكا
تفارقك السعادة لا تعود ... وقد عاشت خطاها فى خطاكا
فدع صرحا أقمت به زمانا ... وقل يا قصر لست لمن بناكا
نعم عبد الحميد اندب زمانا ... تولى ليس يحمده سواكا
تولى بين أبكار حسان ... تملق فى غدائرها نهاكا
جملت فداءها الدنيا جميعا ... ولو ملكتها جعلت فداكا
وطال سراك فى ليل التصابى ... وقد أصبحت لم تحمد سراكا
ستحيا فى سلانيك زمانا ... ستحمد فيه عن بعد أخاكا
وتعلم أن ملكا ترتضيه ... ولمت به ، ولكن ما ارتضاكا
فإن زار الكرى عينيك ليلا ... وعادك تحت طيته أساكا
تمثل فى المنام لديك ناس ... تخبر عن دمائهمو يداكا
ربما هم بالأفول دجاك لما ... تبدوا كالكواكب فى دجاكا

ومضى القصيدة إلى قراء العربية ومعها أخوات قالها الأحرار من الشعراء فى شتى بقاع العالم الإسلامى ، فتعبر عن السرور الدافق وتنطق بما تكن المشاعر الساخطة على الأسير المعزول . ويجرف التيار بطوفانه الجائش جميع الشعراء ، فيستقبلون الخليفة الجديد مهنئين ويشيعون الراحل المستبد لاعنين معيرين ، ولكن شوقيا وحده يظهر الأسف على سقوط السلطان واندحاره ، ويفيض خاطره الحزين بقصيدته الشهيرة

« سل يلدزا ذات القصور » غير مستطيع أن يكبت عواطفه الملتاعة ، بل ينسى الشعور العام فى العالم الإسلامى ويقول عن عبد الحميد :

خطب الإمام على النظيم يعز شرحا والنثير
شيخ الملوك وإن تضعضع فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى له ! والله يعفو عن كثير
ونراه عند مصابه أولى ببالك أو عذير
ونصونه ونجله بين الشماتة والنكير

ولكن ولى الدين لا يرضيه هذا الإغضاء الخاطئ ، ويخاف أن يجد قصيدة شوقى مكانها فى النفوس ، فتميل ببعض العواطف نحو السلطان الذاهب ، وتطفئ ما سطع من بريق الفرحة والابتهاج ، فيلجأ الشاعر إلى مناقضتها مناقضة حارة فى قصيدته التى مطلعها :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور

وقد وقف بها أمام شوقى وجها لوجه ، فدحض حججه ، وناقض أدلته ، وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل ، وكانتا القصيدتين بعد ذلك تعلن شعور قائلها واتجاهه ، وتصور تفكيره وأسلوبه ، وهأنذا أفصح عنهما بعض الإفصاح

* * *

بدأ أمير الشعراء قصيدته كما يبتدئ قصائد الرثاء والتأبين ، فهو يسأل يلدز عن نيراتها الثواقب ، ويعلن عجزها عن الإجابة المقنعة ، فقد أناخ عليها الدهر كما أناخ — فى البعيد الغابر — على قصور النعمان بالحيرة ، فأصبح الخورنق والسدير أطلالا دارسة ، وكما أناخ — فى القريب الماثل — على الجزيرة وقصر إسماعيل فغاب عنهما الأنس والبهاء ! وروح الشاعر فى مطلع قصيدته هامسة كئيبة تعلن عن ذاتها إذ تقول :

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور
لو تستطيع إجابة لبكتك بالدمع الغزير
أخنى عليها ما أناخ على الخورنق والسدير
ودها الجزيرة بعد إسماعيل والقصر الكبير
ذهب الجميع فلا القصور ترى ولا أهل القصور
فلك يدور سعوده ونحوسه بيد المدير !!

أما ولى الدين فيعجب لشوقى كيف تهيجه القصور الخالية من الأنيس ، وتشجيه البدور الآفلة بعد السطوع ، وكيف يذكر أصحاب الترف والنعيم ، وينسى المقابر المليئة بالضحايا ، الآهلة بالأبرياء ، وكيف يسكب الدمع الغزير على طاغية طالما أثار المدامع وأبكى القلوب ، ونهب الأموال، وبدد الضياع ! ويعلن أن دثور يلدز غنيمة كبرى للشعب الجريح ، فستأهل بعدها الدور الموحشة ، وستغنى المنازل الخربة ، ويحيا المعذبون أعزة سعداء ! والقارئ يلمس صدق العاطفة ، وسلامة المنطق إذ يسمع وليا يقول :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزير لباعث الدمع الغزير
ولواهب المال الكثير وناهب المال الكثير
إن كان أخلى يلدزا تخلى الخورنق والسدير
فلتأهلن من بعدها آلاف أطلال ودور
بعض النجوم ثواقب والبعض داعة المسير

وكما بدأ البحترى قصيدته فى رثاء المتوكل بوصف قصره المنيف ، وما منى به من ذلة بعد عزة ، ثم انتقل إلى أوانس القصر وظبائه ، ومقاصره وستائره ، فكذلك ابتدأ شوقى قصيدته يتحدث عن القصور فى يلدز ثم ينتقل إلى غانياتها الساحرات ، ولشوقى سلاسة وعذوبة حين يتحدث عن هؤلاء المترعات من النعيم العاثرات من الدلال ، الناهيات الآمرات على الولاة ، الطيبات الأريج ، الذاهلات عن الزمان بما هن فيه من خفض ونعيم ، المشرفات على الممالك ، بين المشارف والرفارف والزخارف ! الآمنات فى مسكن فوق السماك بين المعاقل والخيول والرماح وفوق غارات المغير ، أجل ! إن لشوقى براعة فى رسم هذه الصور الفاتنة الخلابة ، وإنها لتتجلى لعينيك حين

تسميه يقول :

أين الأوانس فى ذراها من ملائكة وحور
الترعات من النعيم الراويات من السرور
العاثرات من الدلا ل الناهضات من الغرور
الآمرات على الولا ة الناهيات على «الصدور»
الناعمات الطيبات العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزما ن بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انتقلن على الممالك والبحور
أمضى نفوذاً من «زبيدة» فى الإمارة والأمير
بين الزفارف والمشارف والزخارف والحرير
والدر مؤتلق السنا والمسك فواح العبير
فى مسكن فوق السماك وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا والخيل والجم الغفير

وهؤلاء الآمرات الناهيات لا يقام لهن وزن فى منطق ولى الدين ، بل إنهن السبب فى نكبة السلطان ومحنته ، فقد صرفنه عن التعقل والتدبير ، واستلبن أموال الدولة فيما يطلبن من لآلى وعقود وحلى ! فعكف على أسرابهن الفاتنات يعتصر الخدود ، ويهتصر الخصور ، مستمدا من فتور عيونهن فتوراً فى همته وانكسارا فى عزيمته . . . كل ذلك وجيش الدولة ساغب جائع لا يجد ما يقيم أوده من العيش ، فأجناده صفر الوجوه ، خمص البطون ، يشكون المتربة والفاقة ، رغم مايجهد للحسان من أسباب الترف والنعيم ، فأى مغنم عاد على الدولة من هؤلاء الفاترات الناعسات ؟ وأى مترية جلبنها على الرعية بما يستنزفن من أموال وثروات ! إن ولى الدين ليعكس صورتهن الخلابة فى مرآة شوقى ، فتنقلب فى مرآته دميمة مقيتة ويصور جنايتهن الكبيرة إذ يقول

ضاعت عقود الملك ما بين الترائب والنحور
والشيخ بات فؤاده فى أسر ولدان وحور
ما زال معتصر الخدود هوى ومهتصر الخصور
وإذا انقضت ليلاته وصلت بليلات الشهور
أهدى الفتور لقلبه مابا للواحظ من فتور
واستنفرته من الرعا يا كل آنسة نفور
تختال من حلل الصبابة فى الدمقس وفى الحرير
والجند عارية مناكبها مقصمة الظهور
خمص البطون من الطوى دقت فمادت كالسيور
أن الزمان يغر ثم يذيق عاقبة الغرور

ثم ينتقل شوقى إلى مناجاة السلطان الأسير ، فيغمره بفيض من عطفه ومعذرته ، وكأنه ينظر إلى أفضاله عليه ، فيأبى أن يخصه بلوم أو تقريع ، فهو أرفع من أن يشمت فيه شامت ، وأولى أن تراق الدموع حزنا على سقوطه !! وإذا كان قد أسلف بعض الجرائر فالله يعفو عن كثير ، فلا داعى أن نطيل حسابه فى محنته المسيرة . وما كان عبد الحميد — فى رأى شوقى — إلا خليفة كالمنصور أو الرشيد فى سالف العصر ، وهما قد حفظا جلال الملك ، وأبهة الخلافة ، وإن استبدا مثله بالأمر ، ولم يخضعا لدستور أو مشورة ، ثم لايقتصر شوقى على ذلك بل يصف السلطان بالروية والأناة وحكمة العاقل الخبير ،! وأى حكمة تلك التى تبطش بالناس ، وتصب الدسائس وتستلب الأموال ! ويمعن أمير الشعراء فى وصف العظمة الغابرة ، والسلطان السالف ، كأنه يتعزى بذكراها عما أصاب سيده من سقوط ؛ فهو يقول

عبد الحميد حساب مثلك فى يد الله القدير
سدت الثلاثين الطوال ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا لك فى الصغير وفى الكبير
لا تستشيروا فى الحمى عدد الكواكب من مشير
كم سبحوا لك فى الروا ح وألهوك لدى البكور
خفضوا الرءوس ووتروا بالذل أقواس الظهور
ماذا دهاك من الأمو ر وأنت داهية الأمور
أين الروية والأنا ة وحكمة الشيخ الخبير
دخلوا السرير عليك يحتكمون فى رب السرير

أسد هصور أنشب الأظفار فى أسد هصور
قالوا اعتزل قلت اعتزلت الحكم لله القدير
ضنوا بضائع حقهم وضننت بالدنيا الغرور

وهذا منطق لا يعجب ولى الدين فى شئ، فهو يرى السلطان أهلا للوم والتقريع ويجب أن ينال جزاء ما أسلف للناس من محن وأرزاء، بل أنه ليذكره بالمجد البائد تهكما وتشفيا. ويعجب لغفلته وبلاهته، وكيف صم أذنيه عن النصيحة، وسدر فى غوايته مع أن الشيب قد وخط لحيته ورأسه وقضى من الزمن ما يتيح له العبرة والعظة، لو رزق قليلا من الحكمة والروية .. ويصف المعركة الدامية التى انتهت بسقوطه وأسره، ويضحك منه إذ ضرع أمام الجند ذليلا باكيا وأخذ يستجير بمن أعرض عنه، حتى ذاق عاقبة ختوره وغدره، فسقط من عليائه داى القيد، منحنى الظهر، إلى حيث يقضى أيامه الأخيرة فى محبسه الذليل !! وللقارئ أن يلمس هذا كله من قول ولى الدين

وعظتك واعظة القتير ورأيت منقلب الدهور
وربيت فى مجد الأمير ولم تمت موت الأمير
لما سلبت الحكم قلت الحكم لله القدير
ورآك جندك ضارعا لهمو ضراعات الأسير
لقد استجرت بمعشر ما كنت فيهم بالمجير
هى غارة لكنها دارت على رأس المغير
من ذا استثرت لها ولم تك فى الحياة بمستشير
لقد استطرت بشر يومك كل شر مستطير
وخترت يا عبد الحميد وما استحيت من الختور
من عاش يستحلى الشرور يموت من تلك الشرور
إن الثلاثين التى مرت بنا مر العصور
وهبتك تجربة الأمور فعشت فى جهل الأمور
من كان يدعوك الخبير فلست عندى بالخبير

وقد كان مجال القول ضيقا أمام شوقى فترك عبد الحميد فى منتصف القصيدة، ولجأ إلى تهنئة الخليفة الجديد باسم الاسلام ومصر، وأسهب فى مديح الجيش الذى أسقط السلطان منوها بأبطاله وكماته، وقد يحس القارئ شيئا من التناقض بين الناحيتين، وذلك هين مقبول من شاعر مجامل يودع راحلا أسيرا ببعض ما يجب فى رأيه من الإغضاء والتسامح !! والمجاملة فى بعض أحوالها توقع فى الحيرة والتناقض دون معابة أو مؤاخذة. على أن ولى الدين يؤاخذ شوقيا مؤاخذه عنيفة، فهو — فى رأيه — يتحسر على المال المبذول، والخير الدرير. إذ يتحسر على عبد الحميد، وكان عليه أن يقدر فرحة العالم الإسلامي بسقوط الخليفة دون نظر إلى عواطفه الذاتية ! وكأنى بشوقى وقد حز فى نفسه أن يعرض به ولى الدين أعنف تعريض إذ يقول

لما أديل عن السرير بكاه عباد السرير
نذروا النذور لعوده هيهات يرجع بالنذور
أسفوا عليه وإنما أسفوا على المال الدرير
والبعض كان جريره فسهابتيه على جرير (١)
طلبوا له عفو الغفور وشذ عن عفو الغفور

وقد سكت شوقي عن هذا التعريض المرير. إذ كان يلزم الصمت إزاء ما يوجه له دائما من تجريح، وقد يكون السكوت من ذهب فى بعض الأحوال .. وأظنه كذلك الآن

ونحن بعدما تقدم من العرض السريع نستطيع أن نحكم على القصيدتين مما بسلاسة الأسلوب، وغزارة المعانى، وتنوع الأغراض، واستقامة التعبير؛ إلا أننا نلمس بين القصيدتين فوارق متعددة من عدة نواح

١ — فقصيدة شوقى أشبه ما تكون بخطبة رسمية تلقى فى حفل عام، فقد اعتذر فيها أولا عن الخليفة السابق، ومدح الجيش المنتصر ثانيا ثم هنأ السلطان الجديد بالخلافة ثالثا، وأعلن اغتباط مصر والعالم الإسلامى به رابعا !! وليس ذلك بمستقرب

---

١ — أثارة لقول شوقى : أنا إن عجزت فان فى بردى أشعر من جرير

من شاعر يعبر عن روح القصر الخديوى، ويتلقى وحيه الشاعرى من الحاشية والبلاط. أما قصيدة ولى الدين فهى عرجة أمنية لمواطفه، وتصوير شامل لابتهاج المخلصين، بزوال العهد القاتم، دون أن يتقيد قبها بوجهة نظر خاصة، والشاعر الطليق يجد من اتساع المجال مالا يجده المرهق بالقيود والأثقال ...

٢ — كان شوقى يسير على القتاد فى قصيدته فهو يدعو إلى التسامح والإغضاء عن مستبد جارم لا يعقل أن يتسامح معه الناس ويتلمس الأعذار لطاغية سقطت أعذاره، وشاعت فى الملأ مثالبه ومخازيه. وطبيعى ألا يجد من الحجج ما يسعفه ويقوى دفاعه، وعلى النقيض منه كان ولى الدين ممتلئ اليدين بأدلته وبراهينه، هذا غير شعوره المبهج بانتصار آرائه، وتحقيق آماله وأشواقه

٣ — بلغ شوقى القمة حين تكلم عن الغانيات فى قصر الخليفة، وما كان لهن من عظمة ودلال، وما أسدل فوقهن من بهجة وبهاء، ورسم ألواحا بديعة للسرور الزائل والنعيم السالف، بينما بلغ ولى الدين القمة فى ناحية مضادة، إذ استسلم لخواطره الحزينة فأسمعنا ألحانا مشجية تدمع على الضحايا الأبرياء، والصرعى الشهداء، وطاف بخياله على الأجساد الثاوية بين الجنادل والصخور، والزهور المضرجة بدماء شبيبتها الزاهرة، واليتامى البائسين من الصبية والأرامل. وإنه ليستنزل الدموع الحبيسة من المآقى الشحيحة إذ يقول

لله أجساد ثوت بين الجنادل والصخور
كانت زهور شبيبة لهفى على تلك الزهور
سقيت مياه دمائها والروض رقراق الغدير
كم خلفها من صبية يتمت ومن شيخ كبير
يترقبون مآبها إن المآب إلى النشور
ومنعمات فى الخدو ر تموت حزنا فى الخدور
ترجو زيارة حبها نبت الزيارة بالمزور
لم يجدها نصح القبيل ولا تسلت بالعشير
أودى الردى بنصيرها فغدت تعيش بلا نصير
لا بالمشى تضيق من بث ولا عند البكور

وأنا أجد لهذه الأبيات وأشباهها فى قصيدة ولى الدين وقعا مريرا، ولذعا داميا، وجودة الشعر تتوقف على ما يثيره فى النفس من كوامن الأحاسيس، وما يهيجه من حرق الوجدان

(أما بعد) فلقد كان لهاتين القصيدتين الخالدتين دوى ورنين، عند نشرهما لأول مرة فى الصحف السيارة، إذ قوبلتا بكثير من الاهتمام والاحتفال، وتطلقت إليهما عقول المثقفين من الأدباء. وقد رأيت أن ألفت إليهما الأنظار من جديد، فجلوت هذه الصفحة من تاريخ غير بعيد، ولله شوقى إذ يقول:

وإذا فاتك التفات إلى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

محمد رجب البيومى

المدرس بأبى تيج الثانوية

الأدب وطلقات المدافع

« إلى الصديق الأستاذ على متولى صلاح »

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ما كنت أحسب أن شهوة الكلام تبلغ عندصديق الأديب الرقيق الأستاذ علىمتولىصلاح حدا يحرف به الكلم عن مواضعه ويؤول قصيدتى « على طلقات المدافع » تأويلا يبعد بها عن المعنى الذى أريدت له وقصدت به

وأنا أشكر الأخ على هذا الدرس الذى ألقاه على فى عدد الرسالة الفائت ليدلنى على قيمة « الأدب » وخطره ورسالته فى هذا الوجود العجيب الذى نشهد فيه بأعيننا ونسمع نأبصارنا على مدى قريب صوت القوة العارمة وهى تكتسح الحق فى طريقها اكتساحا ... ثم لا نزال بعد ذلك نتعلل بالألفاظ الفارغة ، ونستند إلى العبارات الجوف ، واهمين أو متوهمين أن ذلك هو طريق الكفاح لبلوغ الأهداف ، وبلوغ المطاف

وأشكر الأخ مرةأخرى لأنه نقل إلى فى كلمته الحماسية كلمات « هازلت » فى وصف الكلمات بأنها « أفعال ، فإذا تكلمت فقد فعلت» . ونقل إلى كمات «سارتر» بأنها —أى الكلمات— أسلحة نارية مشحونة بالقذائف ، وأن الإنسان إذا تكلم فقد أطلق .. ونقل إلى — فوق ذلك — كلاما لبرنارد شو ، ولغير برنارد شو فى الموازنة بين السيف والقلم ...

وهى موازنة أخشى أن تكون موضوعا إنشائيا جيلا لطلاب المدارس ، تصول فيه أقلامهم النحيلة الهزيلة ، وتجول حين يحلق الخيال بعيدا بعيدا ، مستسلما إلى لذائذ الأحلام ، الموشاة بتفويف الكلام ...

وهى موازنة — فوق سحر الخيال فيها — قد قال فيها أنصار منطق القوة كلمتهم حين نادى أبو تمام — منذ أكثر من ألف عام — برأيه المشهور :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

ولا يعنينى هنا أن تكون الكتب هنا من تأليف الكرام الكاتبين ، أو من وضع السادة المنجمين ...

على أن أبا تمام لم يغفل شأن « القلم » الذى جاءنا الأستاذ على متولى صلاح بنصوص منقولة عن « هازلت » و « سارتر » و « برنارد شو » ليدلنا على خطره وفتكه وشحنه بالقذائف . أو القنابل الصاروخية ، أو القنابل الذرية أو الهيدروجينية أو غير ذلك من آلات الدمار والهلاك ..

نعم ! لم يغفل الشاعر أبو تمام ، خطر القلم والكلام حين قال :

لك القلم الأعلى الذى بشباته   تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه   وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وأنا — شهد الله — لا أنكر خطر « الكلمة » وفعلها فى النفوس ، وأثرها فى العواطف ، وخطرها فى إثارة الانفعال ، بل فى زلزلة الجبال ..

أليست «الكلمة» هى من روح الله التى تجلت للجبل أمام موسى الكليم فجعلته دكا ، وخر موسى صعقا ؟

أليست « الكلمة » هى التى أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا ، فتأ كل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟

فمن قال للصديق الكريم أننى هونت من شأن الكلام ، أو أصغرت من قدر الأدب والبيان حين ضننت بالأدب أن يبتذل بالاستجلاب ، أو يمتهن بالدعاء المجاب أو غير المجاب ؟

إن الشعراء الصادقين — أيها الصديق — قد استجابوا لأصوات الشهداء فى معركة « القنال » بالقدر الذى لا يخرج بشعورهم الغالى إلى رخص التمثيل ، وهوان التدجيل .. فقد نشر بعضهم فى الصحف ، وأذاع بعضهم فى الإذاعة المصرية ، ولم يشاءوا أن يجعلوا من « معركة التحرير » مناجاة حامية ترتفع فيها الأصوات الحارة بطلب السلاح ، وبالرغبة الخالصة فى الكفاح ، فيقال لهم : انتظروا حتى يتم الإشراف على الكتائب المحررة . . وما أشق الانتظار ، على المجاهدين الأحرار !

ولعلك ايها الصديق قد أدركت مدى الظروف التى أحاطت

بى وأنا أنظم قصيدتى «على طلقات الدافع» ؟ فهى ليست كفرا بالأدب ، ولا جحودا برسالته ، ولا تهوينا من شأنه ، ولا إغفالا لخطره ، ولا سوء فهم لوظيفته ، ولا خروجا به عن طبيعته ... وإذا كنت قد فهمت من قصيدتى ومن مقدمتها هذا الفهم، وعبت منها هذا القول الصحيح، فأنا أجل أدبك وفهمك أن تكون الآفة فيهما .. ولكنك انسقت يا أخى وراء خلابة اللفظ ، وشهوة الكلام فأحببت أن تتكلم ، وأحببت أن تقيم دعاية عريضة « لرصف الألفاظ ، وحشد العبارات » . ونسيت أننى — وأنا طرف لك فى هذه الخصومة الأدبية — أكره الكلام فى غير جدوى ، وأمقت الألفاظ فى غير طائل ، وأضع الكلام موضعه حين أريد أن أتكلم ، كما يضع الخبير الهناء مواضع النقب . .

لا يا سيدى ! لم تكن القصيدة التى نظمتها كفرا بالأدب ولكنها فى الحق كفر «بالخطب» ، وكفر بالمقالات والكتب.. فى وقت تمنت فيه سواعد الشباب والشيوخ لو أتيح لهـا أن تشمر ، ولكن (رئى) أن تعطل السواعد ، وأن تدبج بدلا منها الخطب والقصائد !

ألست معى بأن نفوس الشعراء أو نفوس بعض الشعراء كان يغشها ضباب هذه العوامل النفسية الخفية ، فوقفوا يتفرجون فى صمت ، أو ينظرون فى عجب ، حتى يزاح الستار عن الأسرار . . وإلا فبربك لماذا سكت أنت عن أحداث القناة وما عهدتك إلا ناطقا ؟ ولماذا لم تشترك فى معركة « قتال السويس » بقلمك وأدبك فى لحظة كانت أرواح الشهداء ودماء الأبرياء تتطلع إلى مثل « عباراتك » من وراء الغيب ، وتهفو إلى صرير قلمك من خلف الفراديس ؟

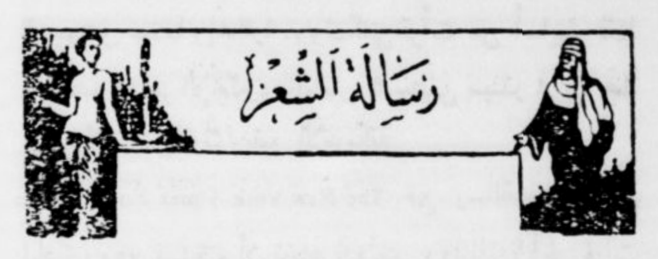
والآن وقد انجلى غبار معركة القتال عن بعض الشهداء الأعزاء أراك قد أمسكت « القلم » وامتطى فى يدك الخمس اللطاف .. وأفرغت عليه شباب فكرك لكى تذكرنى بما قاله « هازلت » و « سارتر » و « جورج برنارد شو » فى القلم وقوته ، والبيان وسطوته

لا ، لا يا أخى ! لقد قرأت من زمان طويل ما قاله «هازلت» فنازلا ، و « سارتر » فصاعدا .. ولعلك خبير بتسلسل هذه المصور فى فرنسا وإنجلترا .. ولكننى قرأت من أسابيع فقط ما كتبه الشاعر الإنجليزى المعاصر « ستيفن سبندر » فى مجلة نيويورك تيمس بوك ريفيو الأمريكية The New York Times Book Revieu عن رسالة الشعراء فى الحياة ، وهل نستطيع أن نعيش بدونهم .. ولعلك يا أخى قرأت خلاصة لهذا المقال فى عدد نوفبر سنة ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» الشهرية التى تصدرها دار المعارف بمصر . . ولعله قد لا يعنيك أن تعرف مترجم هذا المقال الذى يستحى أن يتحدث عن نفسه ولكننى أؤكد لك أن قصيدتى « على طلقات الدافع » لم تكن صرخة يأس ولا صيحة قنوط .. ولكنها كانت نذيرا ، ونذيرا قويا لقوم يجهلون قيمة « الدافع » ، فى عالم ملئ بالشهوات والمطامع

وسلام عليك أيها الصديق القديم ، والخل الكريم

محمد عبد الغنى حسن





الفدائى

للأستاذ عبد اللطيف النشار

... وعلى الله فاتكل يا فدائى فهو أعلى يداً من الأعداء
اشترى الله أنفسا نحن منها فهو أولى بها من الأولياء
إن حيينا فللكرامة والعزة ، والموت غاية الأحياء
أو قضينا فللذى مرجع الكل إليه مستأثرا بالبقاء
والمنايا على اختلاف صواها كلها دون مصرع الشهداء
فى سبيل الإله نطرد من مصر عدوا مجاهرا بالعداء
لم يدع حرمة يقدسها العالم إلا أصابها باعتداء
وصفيق دعواه فى كل جرم أنه لم يزل من الحلفاء
آية الود عندهم ما جنوه والخيانات آية للوفاء
ليس فى عالم الجرائم ذنب ما جنوه هنا على الأبرياء
احتلال لموطن فيه أهلو ه وقتل لصبية ونساء
والمحاريب دنسوا وأهانوا حرمة العدل فى رجال القضاء
واستباحوا الأموال نهبا وسلبا فى ضياء النهار أو فى المساء
بجنود مسلحين وقطا ع طريق وطغمة جبناء
هؤلاء الأنذال خانوا المواثيق فماذا نرجوه من هؤلاء
بارك الله أيديا عالجتهم وسقتهم ذنوبهم فى الدواء
أقحموا فى مواطن العرب الغر دخيلا من أنجس الدخلاء
فى فلسطين صورة لسواها إن تراخى أعداؤنا فى الجلاء
صاحب الدار شردوا ليحلوا غيره فى محله بالكراء
الجلاء الجلاء يا أخبث الناس ضميرا وأسفه السفهاء
يا فدائى مرحبا بالفدائى أتؤدى فى مصر فرض السماء
فيد الله فوق أيدى رماة أنقذونا من شر هذا البلاء
ورمى الله إذ رمى مرسل السهم إلى قلب جاحد النعماء
القناة التى يقولون أنا غيرأهل لحفظها شبر ماء
وهمو العاجزون عن صونها منا ونفدى مكانها بالدماء
كقناة الحسين كل مكان مستظل بالراية الخضراء
يا قناة السويس يا زمزم الو ادى ورمز الأخوة السمحاء
قد حفرناك كى تكونى أداة لرجاء أكرم به من رجاء
صلة من أخوة الناس تزداد اتساعا فى رقة وصفاء
للمودات لا المداوة والبغى وصلنا بالدمع ماء بماء
ومرجنا البحرين تقريب بعد بين دان من البلاد ونائى
زعموها لنصرهم . أو حقا ؟ وعلينا ... ؟ يا أمة السفهاء
لو أردنا وماؤها الملح يحلو كل شئ يحلو ازاء العداء
لشربنا القناة فى بعض يوم وأكلنا أكبادكم فى العشاء
لو أردنا فإنها حفرة تصلح قبرا لمعشر أشقياء
أو يحمى القناة من يخطف الأطفال منه السلاح دون عناء
ما رأينا ولا رأى الناس من قبل جيوشا مصفوعة الأقفاء
جيش مصر أعز من حرب هذا فليؤدبه بالعصى الفدائى

عبد اللطيف النشار

الرماد المعذب

« مهداة إلى صديقى الناقد الأستاذ أنور المعداوى »

للأستاذ على الصياد

فى عالم مكفن الضمير بعثت لا أعلم ما مصيرى
معذب فى زحمة الشرور وكل ذنبى رقة الشعور
مكحل بليله الضرير وغيرى نوره من نورى
أسقيته الحلال من عصيرى ولم أجد منه سوى المسير
مشى بروضى مشية الأمير يقطف من وردى ومن زهورى
وينهل السلسال من غديرى وينهب الألحان من طيورى
وفى ربا فردوسى النضير تعلم النطق من خريرى
ومن عجيب لج فى تدميرى وقد روى إحساسه عبيرى

تخدعه السندسى فى القصور   وتخدعى الشوك على الصخور
ويزدهى فى الصوف والحرير   وهيكلى ممزق الستور
سألته عن ماله الوفير   من أين قال من دمى (المهدور)
سألته عن أصله الحقير   أصدقنى القول بلا تزوير
سألته عن ملكه الكبير   أخاله قال إلى الثبور
سألته عن علمه الخطير   قال كحفنة من القشور
سألته عن دمعة الفقير   قال كنجوى راهب فى (الدير)
سألته حتى عن الحبور   قال سراب خاطف العبور
فاله يختال فى غرور   وأصله من الثرى الحقير

***

إنى هنا فى ليلى المنشور   مبعثر المنى على الوعور
شيعت فيه مأتم السرور   بين جلال الوحشة المثير
وصرت فى ظلامه الضفور   محترق الأنفاس والزفير
أبحث بالعينين عن سمير   فلم أجد فيه سوى النسور
حاملة فى بطشها المغير   رسالة القهار للمقهور
يا توأمى فى البدء والنشور   رفقا بروح شاعر مصهور
جدان فى غياهب الديجور   بفجره المفضض المثير
يغربل الأنام بالتفكير   وكلهم نفاية القدور
أنا كتاب حالك السطور   محجب البيان والتصوير
مزقه الناس بلا شعور   فى معبد من الأسى مهجور
وكفنوه فى دجى التحقير   وهو نتاج المبدع القدير
غدا يشع كالسنا الطهور   مذهب الأسرار والتفسير
وسوف يبقى عبقرى النور   فى ظلمة الأجيال والعصور

علي الصياد

الامس الضائع

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

أفلت الأمس من يدى   لم يهدهده موعدى
وغفا حاضرى فـوا   لهف نفسى على غـدى

. . .

كنت أشتاق للدمى   والمساء المعربد
فأمانى صبوة   لحبيب مفرد
وحيانى مشارق   اصباح منضد
وإذا القلب يجتوى   فجأة كل فرقد
شاكه اليأس فانطوى   رهن ماض مبدد

. . .

كنت أرتاح للقصيد   كحاث ممبدد
يتصبانى القريض   بوحى مجدد
فأناجيه حالما   ببيان مخلد
وأجاريه لا أنى   كمحب مسهد
وإذا بى أعافه   بعد ما كان مقصدى

. . .

كنت أستقبل الصديق   كشاد مردد
مفرقا فى تلطفى   ممعنا فى توددى
أغزل الود من فؤا   دى وأسقيه موردى
ثم إذ غالنى الأسى   والأسى خير مرشد
عدت والبين غالبى   قانعا بالتوحد

. . .

كنت للمجد عاشقا   كلفا بالتوحد
أتحرى طلابه   رائحا ثم مغتدى
فيه مجلى سعادتى   فيه ربى وسؤددى
ثم إذ شمته بريـقا   لجان محمد !
لم أعد بعد راضيا   بالذى كنت أجتدى

. . .

أفلت الأمس من يدى   لم يهدهده موعدى
وغفا حاضرى فـوا   لهف نفسى على غدى !

مكة   .   حسن عبد الله القرشي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

رسالة الجنوب الى الشمال :

يا أخى فى الشمال ، يا أخى فى الله والدين والوطن .. باسم كل أخ لك فى الجنوب ؛ باسم كل سودانى كريم على نفسه وكريم على وطنه ، يطيب لى أن أوجه إليك الحديث كما وجهته إلينا على صفحات الرسالة ، حافلا بصدق الوطنية ، زاخرا بعمق الأخوة ، ملتهبا بحرارة الإيمان !

حقا يا أخى إننا فى « ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة » .. ولله ما كان أصدقك وأنت ترسل صرختك الدوية التى أيقظت كل ضمير وهزت كل شعور : « إن الشمل لن يتفرق ، وإن البناء لن يتصدع ، ما دامت هذه القطرات الأبية من الدم المسفوك على ضفاف القناة وفوق ثرى الخرطوم ، قد ألقت على الطغاة أروع الدروس فى التضحية والبذل والفداء ، وأقلقت منهم المضاجع وهى سارية فى العروق وهى جارية على الأرض ، وهى فى حركة الحياة الطليقة وهى فى سكون العدم » !

أجل يا أخى ورددها إذا شئت ، فقد رددناها معك باللسان وحفظناها فى قرارة الوجدان ، واتخذناها شعارا للأخوة المقدسة التى « استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد » .. إننى لا أجد خيرا من كلماتك لأعيدها إليك ، مضمخة بعطر الجنوب مدثرة بوشاح هواه ، لأن « أنشودة الجهاد التى بدأتموها فى شمال الوادى قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه ؛ وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان . ولكن أنغامنا وهى أنغامكم ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولكن نارنا وهى ناركم ستظل إلى الأبد تنير الطريق للحائرين ، ولكن ذكرانا وهى ذكرا كم ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطرا يفوح » !

إن معاول الاستعمار التى تحاول أن تهدم صرح الوحدة ، وإن قوى الشر التى تحلم بأن تهيل عليها التراب ، ستمنى آخر الأمر بالخيبة وتبوء بالخذلان ، لأن ما بنته يد الله لا يمكن أن تنال منه يد الشيطان .. إن هذه الوحدة الطبيعية يا أخى ، هذه الأرض التى تجمعنا ، هى إرادة العمل الرزين والتحرير الدائم . إننا هنا لتطربنا أصواتكم ، أصوات المؤمنين بحق الشمال والجنوب فى حياة حرة كريمة ، قوامها الوفاء الخالص وعمادها الإباء الخالد . أما أصواتنا فهى تعانقكم فى كل أفق ، وتصافحكم فى كل طريق ، وتناجيكم على أوراق الصحف وأمواج الأثير .. ولن ننسى صوتك وصوت شاعركم الخالد وهو يقدم إلينا لوعة الشعر فى محنة الشعور :

فكيف تلاحينى والحاك إننى شهيدك فى هذا وأنت شهيدى
حياتك فى الوادى حياتى فإنما وجودك فى هذى الحياة وجودى !

مرة أخرى يطيب لى أن أستعير من كلماتك ما أوجهه إلى كل أخ فى الشمال : « ولا علينا يا أخى من تلك القيود ، إن معدنها الرخيص سيذوب يوما تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع .. وسنمضى اليوم وغدا جنبا إلى جنب ، وقلبا إلى قلب ، وعيوننا أبدا إلى الأفق البعيد » !

أخوك فى الجنوب

« درديب — السودان » حسب الله الحاج يوسف

هذه الرسالة الكريمة لم تكن الوحيدة التى تلقيتها من أبناء الجنوب ، وإنما تلقيت من أمثالها الكثير .. وأكتفى اليوم بنشرها لأنها نفحة شعور تعبر عن نفحات ، وخفقة قلب تنوب عن خفقات ، حين تغنى الدلالة الموحية فى مثل هذا المقام عن كل سرد وإحصاء !

إننا نعلم حق العلم أن أصواتنا تملأ أرجاء الجنوب وتتردد فى حنايا الصدور ، رغم الضجيج المنبعث من أبواق المرجفين .. إن صوت الحق لا بد أن يرتفع فوق صوت الباطل ، وإن منطق العدل الحبيب لابد أن يطغى على منطق الظلم البغيض ، وإن نداء الحرية لابد أن يبلغ الأسماع وإن حالت بينه وبينها السدود والقيود !

إننا حين نتوجه بدعوتنا المخلصة إلى أبناء السودان ، ندرك كل الإدراك ما تكنه لنا الكثرة الغالبة من إخاء يسمو على الترغيب ووفاء يعز على الترهيب ؛ لأننا نعيش على ضفاف النيل ولا نعيش على ضفاف التاميز ، وننطق بلغة القرآن ولا ننطق بلغة الطغيان ، ونفخر بالوجوه السمر حين يفخر غيرنا بالوجوه الحمر .. الوجوه الصفيقة التي لم تعرف في تاريخها الطويل حمرة الخجل من ضيعة الضمير وانحطاط الشعور بالإنسانية !!

إنهم ، أصحاب الوجوه التي تصطبغ بكل حمرة غير حمرة الخجل ، يؤكدون أن سر بقائهم اليوم في السودان هو حمايته من الاستعمار المصري .. وهم ، هم أنفسهم ، أصحاب المنطق الذي يتحدث بكل لغة غير لغة الحياء ، يؤكدون أيضاً أن سر بقائهم في مصر هو حمايتها من الاستعمار الروسي ! وفي سبيل درء الخطر عنا ، نحن « أصدقاءهم » في الجنوب و « حلفاءهم » في الشمال ، دوى الرصاص يمزق الأجسام على ضفاف القنال ويلهب الرءوس فوق ثرى الخرطوم .. ولم يكن الرصاص الذي أصاب السودانيين مصرياً أو الرصاص الذي أصاب المصريين روسياً على التحقيق ، وإنما كان رصاصاً بريطانياً « صديقاً » وقفت من ورائه الوجوه « الحليفة » ؛ الوجوه الحمر التي اكتسبت لونها على مر الزمن من دم الأحرار في كل مكان !

لقد وقف أندريه فيشنسكي فوق منبر الأمم المتحدة ليندد بصور الوحشية البريطانية في شمال الوادي ، ووقف من قبله محمد صلاح الدين ليمدد مظاهر الهمجية البريطانية في جنوبه ؛ والأول إذا لم تكن تعلم هو وزير خارجية روسيا الذي يتهمه الإنجليز بأنه يتطلع إلى احتلال مصر ، والثاني إذا لم تكن تفهم هو وزير خارجية مصر الذي يتهمه الإنجليز بأنه يهدف إلى احتلال السودان .. ولا تعجب لمثل هذا الاتهام حين يصدر من منطق اللصوص ؛ اللصوص الذين يعيدون إلى الذهن منطق ذلك اللص الخالد في جرأته الخالدة ، حين سمع وقع أقدام تقترب فرفع من صوته « الأبي » وكشف عن وجهه « الحيي » ، ليقول لرجل البوليس في غير تلعثم ولا اضطراب : « مين اللي ماشي هناك » ؟!

ماذا تقول لهذا المنطق ؟ منطق قطاع الطرق حين يستخدمون لغة المحافظين على الأمن والساهرين على النظام ؟! لقد تحديناهم من فوق منبر الأمم المتحدة على لسان صلاح الدين ، تحديناهم أن يعرضوا على السودانيين استفتاء حراً بعيداً عن قوة البطش وسطوة الإرهاب ، ليسمع العالم صوت الجنوب منبعثاً من أعماق القلوب .. تحديناهم فصمتوا صمت القبور ، لأنهم يعلمون إذا قبلوا التحدي ماذا ينتظر حكمهم « العادل » من مصير ! صمتوا ونطقت شركات الأنباء حين نقلت إلى صحف العالم قصة الأيدي المصفقة لصلاح الدين ؛ أيدي الأعضاء الذين هزهم صوت الحق فحيوه وهم وقوف .. ومع ذلك فلم يحرك صوت الأيدي المصفقة صمت الوجوه الصفيقة ، لأنها لا ترهب غير صوت الحديد والنار !!

هذه العبارات الأخيرة هي التي نود أن يفهمها طلاب الحرية في الشمال والجنوب .. لقد فهمها الأمريكيون بالأمس البعيد فاستخلصوا من الذل كرامة ، وفهمها الأيرلنديون بالأمس القريب فخلقوا من العدم حياة ، وفهمها اليهود آخر الأمر فأقاموا من الوهم دولة ! ولقد كانت اللغة الوحيدة التي خوطب بها البريطانيون هنا وهناك ، كانت كما قلنا لغة النار والحديد .. وإنها في منطق الحرية لأشرف اللغات ، في كل حاضر وآت !!

معالي وزير المعارف والاستعمار الثقافي :

في العدد الأسبق من « الرسالة » كتبت مقالاً عن موقفنا من الاستعمار الثقافي بدأته بهذه الكلمات : « ما هو موقفنا اليوم من الاستعمار الثقافي ؟ سؤال يتردد في الأذهان ومن حقه أن يتردد ، ويستقر على كل لسان ومن حقه أن يستقر ، ويوجه إلى معالي وزير المعارف ورجاء السائلين فيه أن يجيب » !

قلت هذا ثم أبديت رأيي فيما يجب أن يكون عليه موقفنا من اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية ، بعد أن لقي المصريون من نذالة الإنجليز ما نطقت به الأقلام والأجسام ، هذه بدمائها وتلك بمدادها في معرض الثورة على مظاهر الظلم والغدر والطغيان .. أبديت رأيي ملخصاً في هذه السطور : « هذه اللغة وتلك الثقافة كلتاهما تحتل مكانها المقدس في المدارس والجامعات ، فلم لا نستبدل بها لغة الألمان وثقافة الألمان ، أو لغة الروس

وثقافة الروس، أو لغة الفرنسيين وثقافة الفرنسيين؟ لم لا نغفل والمعنى البعيد كامن وراء هذه الكلمات؟ المعنى البعيد الذى يتمثل فى كرامتنا حين نكون «أحرارا» فى اختيار لغة أخرى غير لغة الخصوم، وتفضيل ثقافة أخرى على ثقافة الأعداء»؟!

كتبت هذه الكلمات كما سبق أن قلت، فى عدد «الرسالة» الذى ظهر فى اليوم السادس والعشرين من نوفمبر.. وفى اليوم الثالث من ديسمبر، أى بعد ذلك بأسبوع واحد، طلعت جريدة «الأهرام» على القراء بهذا النبأ: «قرر معالى وزير المعارف أن تكون اللغات الأوربية التى تدرس فى المدارس الثانوية طبقا لقانون التعليم الثانوى الجديد هى: الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية، على أن تكون إحدى اللغتين الأوليين أصلية، وإحدى اللغتين الأخريين إضافية، وأن يبدأ تنفيذ هذا القرار بمدارس القاهرة والإسكندرية هذا العام، ثم يتم تعميمه تدريجا.. وطلب معاليه إلى الهيئات الثقافية فى السفارة الإيطالية والمفوضية السويسرية ترشيح مدرسين للغتين الإيطالية والألمانية»!

هذ هو النبأ الذى نقلته «الأهرام» إلى الجمهور القارئ منذ أيام.. ولقد كنت أود وقد تفضل معالى الوزير فحقق بعض الأمل الذى تطلع إليه هذا القلم فى رغبته؛ كنت أفضل ألا يكون للغة الإنجليزية مثل هذا المقام «الأول» أو المكان «المحترم» بين غيرها من اللغات، وأن تجد اللغة الروسية مكانا إلى جانب اللغتين الجديدتين وأعنى بها الألمانية والإيطالية! إننى لا أستطيع أن أنكر هذه الخطوة الموفقة لمعالى وزير المعارف، لأنها تحمل فى أحشائها جنين تلك الفكرة التى جعلت منها المحور الأصيل لما كتبت، وأعنى بها فسح المجال للغات أجنبية أخرى تشعرنا بأننا «أحرار» فى الاختيار، ولسنا مرغمين على قبول لغة بعينها خضوعا لرغبة مستعمر عقدنا العزم على التخلص من آثاره وأوزاره!

إن هذه الخطوة «تحمل» فى أحشائها «جنين» تلك الفكرة؛ ولكننى كنت أرجو أن «تضع» لنا «مولودا» مكتمل الخلقة واضح القسمات.. مهما يكن من شئ فإن لمعالى وزير المعارف وجهة نظره التى أملت عليه مثل هذا القرار؛ ولكننى مازلت أطالب بألا يكون للغة الإنجليزية مثل تلك «الأولوية» التى اكتسبتها فى رحاب هذا الوضع الجديد! وأود أن أقترح — مادام معاليه يريد الإبقاء على تلك اللغة — منح الحرية للطلاب فى اختيار لغتين من تلك اللغات الأربع، ولا بأس من أن تكون إحداهما أصلية والأخرى إضافية؛ أعنى ألا يكون هناك «إرغام» على أن تكون لغة بالذات فى المقام الأول.. ولعل الهدف الذى أرمى إليه واضح لا يحتاج إلى تفسير، حين ألخصه فى كلمة واحدة هى «الحرية».. الحرية فى اختيار اللغات والثقافات!

أما اللغة الروسية والثقافة الروسية فلنا إليهما عودة فى المقال المقبل، حين نعرض لموقفنا من الاتحاد السوفيتى كدولة لا كنظام من نظم الحكم، تبعا لموقفه منا فى هذه الأيام!

أسئلة مع القراء:

سألنى بعض القراء عن المعنى الذى رميت إليه من وراء هذا التعبير: «أشهد أن تلك اللغة ليست أشرف اللغات»، حين كنت أتحدث عن اللغة الإنجليزية وأطالب بإلغائها فى المدارس والجامعات.. ثم انتقل بعضهم من هذا السؤال إلى سؤال آخر: ما هى ضوابط اللغة الشريفة فى رأيكم؟!

وردا على حضراتهم أقول: إننى ما عمدت إلى هذا التعبير إلا وأنا أرمى من ورائه إلى السخرية أو «التريقة».. ولعل المفتاح كامن هناك، فى ذلك التعبير الآخر الذى يسبق هذا التعبير حين قلت: إن اللغة الإنجليزية تحتل مكانها «المقدس» فى المدارس والجامعات.. ومن هنا يكون هدف السخرية المقصودة هو لماذا تقدس هذه اللغة تقديس القيم الشريفة، وهى ليست من هذا المعنى الأخير فى شئ؟!

أما بقية الأسئلة وهى لحضرات الأدباء: منير آل ياسين ببغداد حول «الشعر المرسل أو الشعر المنثور»، ومحمد رفعت الدوياتى بالقاهرة حول «مسرحية دنشواى الحمراء»، ومحمود سلطان البدراوى بأسيوط حول «الأساليب الأدبية». والبيانى أحمد السكرى بكفر الشيخ حول «الاستعمار الثقافى».. فإن موعدى مع الإجابة عنها فى المقال المقبل إن شاء الله

أنور المعداوى



« ديوان رسالة المشرق »

لمحمد اقبال

تعريب الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وديوانه « اللمعات » للدكتور المعرب

للاستاذ عبد المنعم خلاف

منذ أن عرفنا كفايات (الدكتور عبد الوهاب عزام) الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد والعالم الباحث الأديب، ومن بينها كفايته الممتازة فى حذق الفارسية والتركية والأوردية، وأنا أسائل نفسى والناس : لماذا لا تنتفع الدولة والهيئات الاسلامية والجمعيات الأدبية بجهد هذا الرجل وفضله فى توثيق عرى الأخوة والصداقة بين شعوب هذه اللغات وبين مصر خاصة والعرب عامة ! فإن ما يفعله مثل هذا العالم الأديب المدرك فى توطد العلاقات بين هذه الأمم والشعوب أعظم وأفعل بكثير مما تفعله تلك العلاقات التقليدية الرسمية المحدودة القائمة على الدبلوماسية المصرية التى لا تجد مثل هذه الكفاية فى أغلب الحالات، وإن وجدتها فأخلق بها أن تضيعها فيما تضيع من مواهب ومصالح ومعان ...

حقا كان هذا السؤال يشغلنى منذ عشرين سنة، وما كنت أظن أن ما أرجوه وأسأل عنه سيتحقق ؛ لما كنت أراه من انصراف مصر الرسمية، إلى ما قبيل هذا العهد، عن التوجه للشرق الاسلامى وشعوبه وعلاقاته، واتجاها صوب الغرب لتكون منه ولو فى موضع الذيل .. وكان هذا وحده يشرفها فى نظر تلك الطبقة الممسوخة التى ضيعت كل شىء حتى نفسها.

ثم تداركنا الله بلطفه فأظلنا ذلك العهد الذى ابتدأنا نتحرر منه من نظرات الممسوخين المصروفين عن الخير الكامن فى الشرق الاسلامى، وتدرك بعض الحقائق من أنفسنا وعلاقاتها الأصلية بالأمم الاسلامية والشرقية، وكان الانتفاع بمواهب الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى توطيد تلك العلاقات من مفاتيح هذا الاتجاه.

وأى انتفاع فى السفارة بين الأمم أعظم من القيام بجانب السفارة الدبلوماسية بالسفارة الفكرية وتعريف كل من الطرفين بعقل الآخر وروحه ومزج العقلين والروحين عن طريق الترجمة والنقل للآثار الأدبية الموجهة للحياة ؟ !

. . .

لقد عرب الدكتور عبد الوهاب بك ديوان « پيام مشرق » أو رسالة الشرق للشاعر الفيلسوف محمد إقبال، الذى كان قيام دولة الباكستان لمحة من لمحات خاطره وشاعريته، أوحى بها إلى مسلمى الهند فى خفقة من خفقات الالهام الذى يخلق الأحداث الجسام ويغير وجه التاريخ، فما لبثت أن تلقفها منه (رابطة مسلمى الهند) على يد البطل الحديدى رجل الكفاح والصبر (محمد على جنه) الذى نفخ فى عزم بنى دينه حتى خلقت باكستان فى لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة المسمدة . .

ولقد عرفت روح الدكتور المترجم روح الشاعر الملهم من قبل أن نتعرف إلى أرضه ودياره ودولة أحلامه التى تحققت بعد وفاته بوقت قليل .

ولست بصدد تقديم الدكتور عزام بك بوصفه مترجما أديبا عالما أصيل الديباجة العربية عميق الإدراك مشرق الروح أمين الآراء فذلك منى جرأة لا تحمد، بعد أن عرفته العربية علما من اعلام الفكر والقلم واللسان .. ولست كذلك بصدد عرض ديوانى رسالة المشرق واللمعات ونقدهما النقد اللائق بهما .. وإنما أنا الآن بصدد التنويه بظهور هذين الأثرين الفكريين فى ثوب من الشعر العربى المبين .

. . .

فى (رسالة المشرق) تحليق فكر ورفرفة روح ؛ فان إقبالا من الشعراء الفلاسفة الصوفيين الذين تزدوج فى نتاجهم المشق الصوفى بالعلم ازدواجا ينتج تلك « الحلقة المفقودة » من الآداب

الرفيعة التي يتمثل فيها جلال الانسانية وسموها ووقوفها في نصابها الأعلى .. وفيه كثير من الومضات التي يمتاز بها الشعر الصوفي ، قد تظهر صورا واضحة أو رموزا مبهمة أو ضبابا .

وفيه توجيهات عقلية ودينية في صور من الأمثال المضروبة على ألسنة الحيوان والنبات والجماد . وفيه تلك الخواطر الوجدانية المشتعلة ذات الجذوة الحمراء والمبتردة ذات الجذوة البيضاء ...

وحسبي أن أذكر المذهب الذي سلكه إقبال وهو يتضح في تلك المحاورة التي أجراها بين العشق والعلم .

العلم :

أنا سر الكواكب والجهات ... وفي قيدي ثوى ماض وآت
وعيني حدقت فيما أمامي ... وما نظري وراء السابحات ؟
وكم نغمت في عودي وبوق ... وأسراري عرضت بكل سوق

العشق :

بسحرك سجرت هذي البحار ... وملء الجو سمك والشرار
وكنت لي الصديق فكنت نورا ... ونورك مذ هجرت هاي نار
ولدت الأمس في حرم الرحيم ... وصرت اليوم في قيد الرجيم
هلم فرد روضا ذا اليبابا ... ورد مشيب دنيانا شبابا
هلم بذرة من نار قلبي ... أقم في الأرض فردوسا عجابا
كلانا الدهر خل لا يجور ... للحن واحد بم وزير . . .

ألست ترى في هذه الأبيات أمل الانسانية المفقود الذي ما فتئت نفوس المخلصين تتطلع إليه وهو قيام حياة يعرف فيها للعلم مكانه؛ ولمنطق القلب وشفافيته ورحمته وعشقه للمجهول فكأنه ؟ وألست ترى مشكلة العلم تتلخص في أنه لا يزال يولد في نبضة من نبضات رحمة الله الرحيم بالانسانية فما يلبث أن يتلقفه الشيطان الرجيم فيدمر به العامر، ويمدب به من يتطلع إلى الرحمات المرسلة ؟

ثم ألست تراه يضع العلم والعشق حيث يجب أن يوضعا معا في خلة صادقة لا تجور ولا تطغى ، كأنهما وتران في قيثارة يجب أن يتوازن التوقيع عليهما حتى ينغما نغما فيه ذلك (الهرموني) والانسجام الموسيقي الذي يثير في النفس أطرابها وأشواقها ؟!

وإقبال بهذا الاتجاه الصحيح المزدوج رائد من رواد الفكر الاسلامي الحديث، أنقذ به مسلمي الهند من آثار السلبية والانطلاق الشعري الصوفي اللذين يغلبان على فلسفات الهنود، ويشل قوى العقل والعمل ويحرم الانسان من الانتفاع بالقوى المادية ، وانقذ بذلك عددا كبيرا من المسلمين الهنود الماديين المحدثين الذين لا يؤمنون بغير العقل المادي على الأسلوب الغربي الحديث الذي لا يؤمن بما وراء المادة فردهم إلى حظيرة الاسلام بعد أن علموا نظرته المزدوجة إلى الوجود .

وهو كغيره من الصوفية لا يعول على العقل وحده وإنما يكبره حينما يصحب العشق ويفنى فيه . والعقل عند الصوفية عاجز جبان لا يدرك الحقائق الكبرى ولكن يتصرف في الجزئيات .

يقول إقبال :

العقل يحرق عالما في جلوة منه تغير
لكنه بالعشق يعرف كيف في الدنيا يسير
العشق في الأرواح يخلق كل لون أو يثير
بالعشق ترتاح القلوب وإنه فيها سمير
أنصت لقلبك ساعة فلعلما يدنو المسير

. . .

لقد قدم المترجم للديوان ولمؤلفه مقدمة وافية بالتعريف بالشاعر وفلسفته وعرائس شعره ومصادر ثقافته؛ وبين طريقته في الترجمة بما جعل هذه المقدمة من نماذج الدراسة الأدبية التي تدور حول الشاعر وعصره وعناصر تكوينه .

. . .

ألحق بديوان (بيام مشرق) « اللمعات » وهو خلاصة فلسفة الدكتور واتجاهاته وتوجيهاته وصدى لالتقاء هذين الروحين الكبيرين اللذين جمعت بينهما الأذواق والأشواق الصوفية والدراسات العميقة لآثار شعراء التصوف من الفرس والترك . والاتصال الوثيق بالدراسات الاوربية . والحضارة الغربية والفهم العميق للاسلام وروحه وعقائده

وقد أهدى المترجم هذه اللمعات إلى إقبال اعترافا بفضله إذ شرع في نظمها عقب قراءته لمنظومتي إقبال (أسرار خودى) أي أسرار الذاتية و (رموز بي خودى)

« واللمسات » لطيف الحجم ولكنه ملىء بالتأمل والهيام الصوفى وقضايا من العقل الواعى، وخلوص النفس من الشوائب والقيود، استنهاض القوى الذاتية ودفعها نحو الكمال والقوة والحرية وأشراف الأمور، والأحكام الصادقة على الاخلاق والأعمال، والتوجيهات الموفقة للشباب.

وحسبى أن أسرد عليك أبياتا من بعض قصائده لترى الآفاق التى رادها: لقد افتتح الديوان بمطولة بدون عنوان سار فيها على درب الصوفية وحشد فيها كثيرا من الخواطر والصور والتوجيهات منها:

كنت سطرا لم يفسره أحد ... خطه فى غيبه الله الصمد
فى ضميرى كل معنى مبهم ... حرت فى الاعراب عنه بالكلم (١)
قد ثوى العالم فى قلبى وما ... خط شىء فيه إلا الحرف ما

فهو هنا صوفى رمزى أصيل تدفعه قوى العشق والاستغراق فى التأمل

ثم يسير على درب القوم وكأنك تسمع إلى الشهرزورى فى قصيدته الرائعة:

لمت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادى وحار الدليل

إذ يقول:

ياليلى أوقدى، طال المدى ... أوقدى عل على النار هدى
أوقدى ياليلى قد حار الدليل ... أوقدى النار لأبناء السبيل
ارفعى النار وأذكى جمرها ... عل هذا الركب يمشو شطرها
شردى هذا الظلام الجاثما ... أرشدى هذا الفراش الحائما

ثم يأخذه الهيام بنشوته فيصور انطلاقة من انطلاقات نفسه

رن فى آفاقنا هذا النداء ... فأممنا البيت يحدونا الرجاء
قد غنينا عن مبيت ومقيل ... وعن الأمواه والظل الظليل
وعن الرغبة والخوف سوى ... خلع النعلان فى وادى طوى

. . .

كل حر ضاق عنه الوطن ... وانطوى دون مناه الزمن
كل طيار على متن الفكر ... وعلى متن هيام لا يقر

ثم يعود بعد هيامه فى عالم الرموز إلى عالم الصور الكبيرة للذاتية الإنسانية الكاملة فى الإسلام

حبذا الصوت فمن هذا البشير ... ومن الهاتف بالقلب الكبير
ومن المسعد فى هذى الهموم ... ومن البارق فى هذى الغيوم
ومن الهابط فى نور السما ... هاويا فى الأرض جيلا مظلما
ومن الهادى إلى أرض الحبيب ... يعرف النهج وقد حار اللبيب
ومن السائق شطر الحرم ... وإلى الأصنام سير الأمم
ومن القارئ فى بيت الصنم ... سورة الإخلاص فى هذا النغم
ومن الحر الذى قد حطما ... من قيود الأسر هذا الأدهما
ومن الباعث فى ميت الأمم ... ثوره العزة من هذى الهمم

ثم يمضى الدكتور الشاعر على هذا النهج الواضح المشرق فى قصائد الديوان التوجيهية تحت أمثال العنوانات الآتية: (صغار الهمم) (العالم معبد) (لارهبانية فى الإسلام) (معنى التوكل) (الأمل) وفى هذه القصيدة الأخيرة معان ووصايا يجدر أن توضع دائما أمام عيون قادة البعث الإسلامى لتجدد من عزمهم وتشحذ من هممهم ليواصلوا كفاحهم فى ظل من روح الله الذى يطرد اليأس آفة الآفات لجهاد حياة الظلام

لا ترانا فى جهاد نيأس ... ليس من أمتنا من يئسوا
أشعل الإيمان فى كل دجى ... واقدح العزم إذا الهول دجا
وصل القلب بخلاق الرجاء ... واخلقن فى كل حين ما تشاء
إنما الإنسان فكر وعمل ... يصدع الظلماء فى نور الأمل
أمل الإنسان فى القلب ضياء ... وهو فى الكف جهاد ومضاء
وقضاء الله عون الآملين ... وهو فى عون الأباة العاملين

. . .

هذه عجالة من الديوانين، الخالصين للحق والقوة والجمال، الزاخرين بجواهر المعانى الإسلامية يقدمها الشاعران نماذج لما فى القلب الإسلامى من مدخرات للانسانية الضالة الخابطة المعذبة.

يجدر بوزارات المعارف فى ديار الإسلام أن تضعهما أمام عيون النشء كما تكثر من وضع آداب « الترف » المقلى وتعليق الغرائز، والتصوير المكشوف للآفاق المنحطة من حياة القطيع.

وقد نشر الديوانين (جماعة إقبال) فى (كراتشى) بالباكستان فى مجلد أنيق على ورق فاخر كأنه ورق الورد رونقا وبهاء.

عبد المنعم خلاف

(١) لم يكن العالم فى قلبه إلا نغيا

البريد الأدبي

مرحبا بطلائع المجد

أزعجت المستعمرين هذه اليقظة الشاملة التي انتظمت الشعوب الأسلامية جميعا ، وهالهم أن يروا هزة الحياة تنطلق في ربوعها الممتدة مابين قرني الدنيا ، فتهب من رقادها كما تهب الأسود ، لترحض عنها عار الذل ، وتستعيد حياة العزة والكرامة .

وإن الشعوب الاسلامية حين تندفع في هذا السبيل المجيد لتستجيب في ذلك لنداء دينها المنبعث من أعماقها ؛ ذلك الدين الذي جعل الإيمان والعزة حليفين لايفترقان ، وأضاء للمسلمين بنور تعاليمه فجاج الحياة ليتخذوا طريقهم إلى بعيد الغايات في ثقة وأمن وسلام . وإن جذوة الحياة لتكمن في أعماقهم .وإن طالمك منهم الجحود . إنها الروح التي تصرح بها الآية الكريمة(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ماالكتاب ولاالإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) فظاهر الحياة الجديدة التي تبدو في الربوع الاسلامية اليوم تتصل أسلاكها بهذا المصدر القوي الذي يمدها بالقوة ، ويرفدها بالحرارة ، ويمنحها الدوام والخلود .

هذه المبادىء الخالدة ، وتلك التعاليم السامية ، وهذه التشريعات الحكيمة الرحيمة هي روح الحياة في المسلمين،وعنصر بقائهم ، وسر قوتهم وتماسكهم ، تصلهم بأمدادها ، وتهديهم بإشراقها ، وتدفعهم بتيارها ، ولن يتوقف موكبهم عن السير إلى غايته ما دام يستند إلى هذه القوة الروحية الخالدة ، ويندفع بتلك الطاقة السماوية الجبارة . شهد بذلك التاريخ الماضي ،ويشهدبذلك التاريخ المعاصر : فهذه باكستان وأندونسياوإيران وهذه مصر... وسترى ماسيفعله العراق وشرق الأردن والشمال الأفريقي .

أيها الأمم الساعية لمجدها المنطلقة لغايتها ... لاتلتفتوا إلى الوراء ، ولا تتوانوا في السير ، ولاتقفوا دون الغاية ، ولا تخشوا سوءا ، مادمتم تسيرون على هدى الله .

فرشوط — عبد الفتاح محمد حماد

هنة لغوية :

قرأت في العدد ـ٩٥٨ـ من مجلة الرسالة المجيدة قصيدة بعنوان (تذكرى) للاستاذ الشاعر ابراهيم محمد نجا استعمل في أحد أبياتها (ظل وريف) كما يأتي :

وإن عمري في هواك انطوى كما انطوى في القيظ ظل وريف

واستعمال (ظل وريف) استعمال شائع خطأ ، والصواب ظل وارف. هذا ما أردت التنبيه اليه وعلى الاستاذ الشاعر الفاتحية وسلام .

كلية الحقوق — بغداد — عبد الحميد الرشودي

إعتاب لا عتاب :

جاء في الأدب والفن في الأسبوع الماضي مايلي : «وإني أعتب على الأستاذ الفاضل » بصدد مناقشة الأستاذ أحمد محمد بربري . والجملة في الأصل الذي كتبته هكذا : « وإني أعتب الأستاذ الفاضل » ويظهر أن جامع الحروف بمطبعة الرسالة ظن أني تركت «على» سهوا ، فأثبتها هو مشكورا على حسن نيته .

والغرض من الجملة هو الإقرار بالحق في العتاب الذي وجهه إلى الأستاذ فيما يختص بالخجل من الخطأ ، فقد جاء ذلك مخالفا لما أجتهد أن أجري عليه من الاهتمام بموضوع المناقشة وتجنب مايمس مناظري .

قرأت بعد كتابة ماتقدم ردا للاستاذ محمد فار في الاساس (٤ ـ ١٢ ـ ٥١) لم أجد فيه مايستدعي معاودة الكتابة ، فإذا كان لدى الأستاذ البربري نفسه شيء في هذا الموضوع فانا في انتظاره . وله تحيتي واحترامي .

عباس خضر



صائدة النمور

للكاتب الانجليزي ساكي

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز باكاتيد ومن أشهى أمانيها أن تصطاد نمرا ، لا لأن شهوة القتل قد استولت فجأة على نفسها ، ولا لأنها شعرت بأنها تترك الهند — عند مغادرتها إياها — آمن وأهنأ مقاما مما وجدتها عند قدومها إليها إذ هي أنقصت من عدد وحوشها الضارية بنسبة جزء من من وحش إلى مليون من السكان ؛ إنما نشأت هذه الرغبة المفاجئة الملحة في اقتفاء خطوات ذلك الوحش النمرود على أثر ما سمعته عن لونا بمبرتون التي ركبت منذ عهد قريب طيارة مع أحد الطيارين الجزائريين قطعت بها في الجو أحد عشر ميلا ؛ ولم يكن للونا من حديث غير حديث هذه الرحلة الجوية الجريئة . وهذا حادث لم يكن لمسز باكاتيد بد من أن تكسفه بحادث من جانبها أشد منه جرأة وأدعى إلى الاعجاب بأن تصطاد نمرا تحمل جلده معها عند عودتها ، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها الفوتوغرافية لمناسبة هذا الحديث العظيم

ورسمت مسز باكاتيد في رأسها بالفعل صورة لمأدبة غداء تأدبها في بيتها بشارع كرزون استريت لغاية ظاهرها تكريم لونا بمبرتون ، وباطنها أن يرى المدعوون جلد النمر الذي اصطادته يغطي القسم الأكبر من أرض الغرفة ، وأن يستغرق حديث هذا الصيد كل الوقت الذي يقضيه الضيوف في هذه الوليمة . كذلك رسمت في رأسها صورة المشبك المصنوع من مخلب النمر الذي تقدمه هدية للونا بمبرتون في عيد ميلادها المقبل . وكانت مسز باكاتيد امرأة شاذة في عالم مفروض فيه أنه واقع تحت تأثير الجوع والحب، فكانت تتأثر — إلى مدى بعيد — في أغراضها وحركاتها بكرهها للونا بمبرتون

وساعدت الظروف مسز باكاتيد ، فقد عرضت أن تدفع ألف روبية لمن يهيئ لها فرصة اصطياد نمر دون التعرض لخطر جدي ودون بذل مجهود شاق . وقد اتفق أن إحدى القرى المجاورة كان في مقدورها أن تفخر بأنها الملتقى المحبب إلى وحش محترم الأصل اضطره ضعف الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته بافتراس حيوانات الغاب ، وأن يعود معدته القناعة بالحيوانات الصغيرة الأليفة . فحركت الألف روبية الموعود بها غريزة القرويين الرياضية التجارية ، فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للغابة المحلية ليبقوا النمر داخل هذه الحدود ويحولوا بينه وبين الخروج منها سعياً وراء ميدان جديد للصيد . وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من الغنم مهملة عن عمد في دائرة تجوله ليقنع بالبقاء في حدود هذه الدائرة . وكان أخوف ما يخافونه أن يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قبل حلول الأجل الذي حددته مسز باكاتيد لاصطياده . وكانت النسوة وهن عائدات من أعمالهن في الحقول يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غناءهن إذا مررن بالغابة حتى لا يقطع على سارق الغنم المحترم نومه الهادئ المريح

وأقبلت الليلة التي جعلت أجلا للصيد . وكانت ليلة مقمرة صافية ، وكان القرويون قد أعدوا مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة في نقطة تناسب عملية الصيد ، وعلى هذه المصطبة قبعت مسز باكاتيد ورفيقتها المأجورة مس ميبن، وكان القرويون قد عقلوا في المكان المناسب شاة وهبتها الطبيعة القدرة على الثغاء الذي لا ينقطع حتى لو أن نمراً كان نصف أصم لسمعها دون شك في الليلة الهادئة . وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام مجئ الصيد المشتهى ، وكانت مزودة ببندقية مجهزة أدق تجهيز لإصابة المرمى ، كما كانت تحمل معها رزمة من ورق اللعب لقطع الوقت في غير ملل

وقالت مس ميبن :

« أحسبنا معرضتين لشىء من الخطر ؟ »

ولم تكن مس ميبن فى الواقع قلقة من ناحية الوحش المفترس ، ولكنها كانت ذات طبيعة تأبى أن تؤدى ذرة من العمل فوق القدر الذى أجرت على أدائه

وقد أجابتها مسز باكتيد :

« كلام فارغ ! فهذا النمر عجوز جدا ولن يستطيع أن يقب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك »

فقالت صاحبتها :

إن كان نمرا عجوزا فمن رأيى أن تحصلى عليه بأرخص من هذا الثمن ، فان الألف روبية مبلغ كبير »

وكانت مس لويزا ميبن متطبعة بطابع أخت لها كبرى شديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على العموم دون نظر إلى الجنسية والدين . وكان تدخلها المستمر سببا فى اقتصاد عدد كبير من الروبيات فلا تبدد « بقشيشاً » فى بعض فنادق موسكو كما كانت الفرنكات والسنتيمات تلتصق بأيديها التصاقا طبيعيا فى ظروف من شأنها أن تنتزعها دون تعب من أيد أقل من أيديها شفقة . وقطع عليها ملاحظتها على الثمن الذى تشترى به جثة النمر ووجوب تخفيض هذا الثمن ظهور النمر نفسه على المسرح ... على أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكد يقع نظره على الشاة المتقلة حتى انبطح على الأرض هادئا ، لا رغبة فى أن يحتاط على إخفاء نفسه عن نظرها ، حتى لا تهرب منه ، ولكن حرصا على أن يرتاح قليلا قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته .

فقالت لويزا ميبن فى صوت عال باللغة الهندوستانية لتسمع رئيس القرية الذى كان مختبئا على شجرة مجاورة :

« إنى أعتقد أنه مريض »

فقالت مسز باكتيد :

« صه ! »

وفى اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطرا إلى فريسته

فقالت مس ميبن فى شىء من اللهفة :

« إذا كان النمر لا يمس الشاة فليس ما يدعونا إلى أن ندفع ثمنها . »

وكان لهذه الشاة المدة طعما للنمر ثمن خاص . وهنا دوى فى الجو صوت الطلق النارى مسبوقا بوميض خاطف للأبصار ، فوثب الوحش الكبير مائلا على أحد جنبيه ورقد ساكنا سكون الموت . فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد كبير من الأهالى المتلهفين ، ولم يلبث صياحهم أن حمل الخبر السار إلى القرية ، فدقت الطبول دقة النصر . وكان لتهليل النصر وأغانى الابتهاج صداها الجميل فى قلب مسز باكتيد . وبدا لها فى الحال أن وليمه الغداء فى شارع كرزون استريت ستكون أقرب مما قدرت

وكانت لويزا ميبن هى التى لفتت الأنظار إلى أن الشاة المسكينة تعانى آلام الموت من أثر إصابتها بطلق نارى بينما لا يوجد فى جسم النمر أى أثر للرصاصة التى أطلقت من بندقية الصيادة الماهرة . فكان من الواضح أن الطلق النارى قد أصاب الحيوان غير المقصود ، وأن الوحش الضارى قد مات بهبوط القلب من أثر صوت الطلق المفاجىء ، وقد ساعد على ذلك انحلال الشيخوخة . وقد ارتاعت مسز باكتيد ارتياعا ظاهرا من كشف هذه الحقيقة ولكنها على كل حال قد أصبحت مالكة نمرا ميتا ، أما القرويون الذين كان لعابهم يسيل على الألف روبية فلم يروا بأسا فى أن يتغاضوا عن خرافة اصطياد الوحش . وأما مس ميبن فكانت رفيقة مأجورة . وعلى ذلك واجهت مسز باكتيد آلات التصوير طروبة القلب ، وطار صيتها من صفحات جريدة « تكساس وسكلى اسنابشت » إلى ملحق يوم الاثنين المصور لجريدة « نوفوى فريميا »

أما فيما يتصل بلونا بمبرتون فقد بقيت عدة أسابيع آبية النظر إلى أية صحيفة مصورة . وكان الخطاب الذى بعثت به إلى مسز باكتيد تشكر لها فيه إهداءها مشبكا من مخلب النمر مثالا للانفعالات المكتومة ، وقد رفضت فى الوقت نفسه حضور وليمة الغداء ، فان هناك حدودا إذا تخطتها الانفعالات المكتومة

كان ذلك هو الخطر المحقق

وانتقل جلد النمر من شارع كرزون استريت إلى «مانورهاوس» حيث فحصه رجال البلدية فحصاً قانونونيا وأعجبوا به إعجابا شديدا . ولقد كان من عوامل الزهو فى نفس مسز باكلتيد ذهابها إلى حفلة تنكرية فى مرقص البلدية فى لباس ديانا إلهة الصيد . ولقد أبت مع ذلك أن تميل إلى اقتراح كلوفيس المثرى عندما اقترح إقامة مرقص على طراز القصور القديمة يلبس فيها الراقصون جلود الحيوانات التى اصطادوها حديثا . ولقد قال كلوفيس عندئذ :

« وسأكون فى هذه الحال كالطفل الرضيع لا أجد ما ألبسه غير جلد أرنب أو أرنبين »

ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة خبيثة :

« وإن قوامى ليشبه قوام ذلك الطفل الروسى الراقص »

وبعد أيام قليلة من ليلة المرقص قالت لويزا ميبن تخاطب مسز باكلتيد :

« ما أبلغها فكاهة أن يعرف الجميع حقيقة ما حدث ! »

فسألتها مسز باكلتيد مسرعة :

« ماذا تقصدين بذلك ؟ »

فأجابت مسز ميبن وهى تبتسم ابتسامتها المعضة :

«أقصد أنهم لو عرفوا كيف أصبت الشاة خطأ وأمت النمر خوفا»

فقالت مسز باكلتيد ، وقد تقلبت الألوان على وجهها فى سرعة مدهشة :

« لن يصدق إنسان ذلك القول »

فقالت مسز ميبن :

« ولكن لونا بيبرتون تصدقه فى غير تردد »

فاخضر وجه مسز باكلتيد اخضرارا غريبا وقالت :

« أظننى على يقين أنك لن تخونينى ؟ »

فأجابت مسز ميبن فى لهجة ذات معنى :

« لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً خلوية لقضاء نهاية الأسبوع وإنى لأحب أن أبتاعها ، ولكنهم يطلبون ثمنا خالصا لها ستمائة وثمانين جنيها وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكنى لا أملكه »

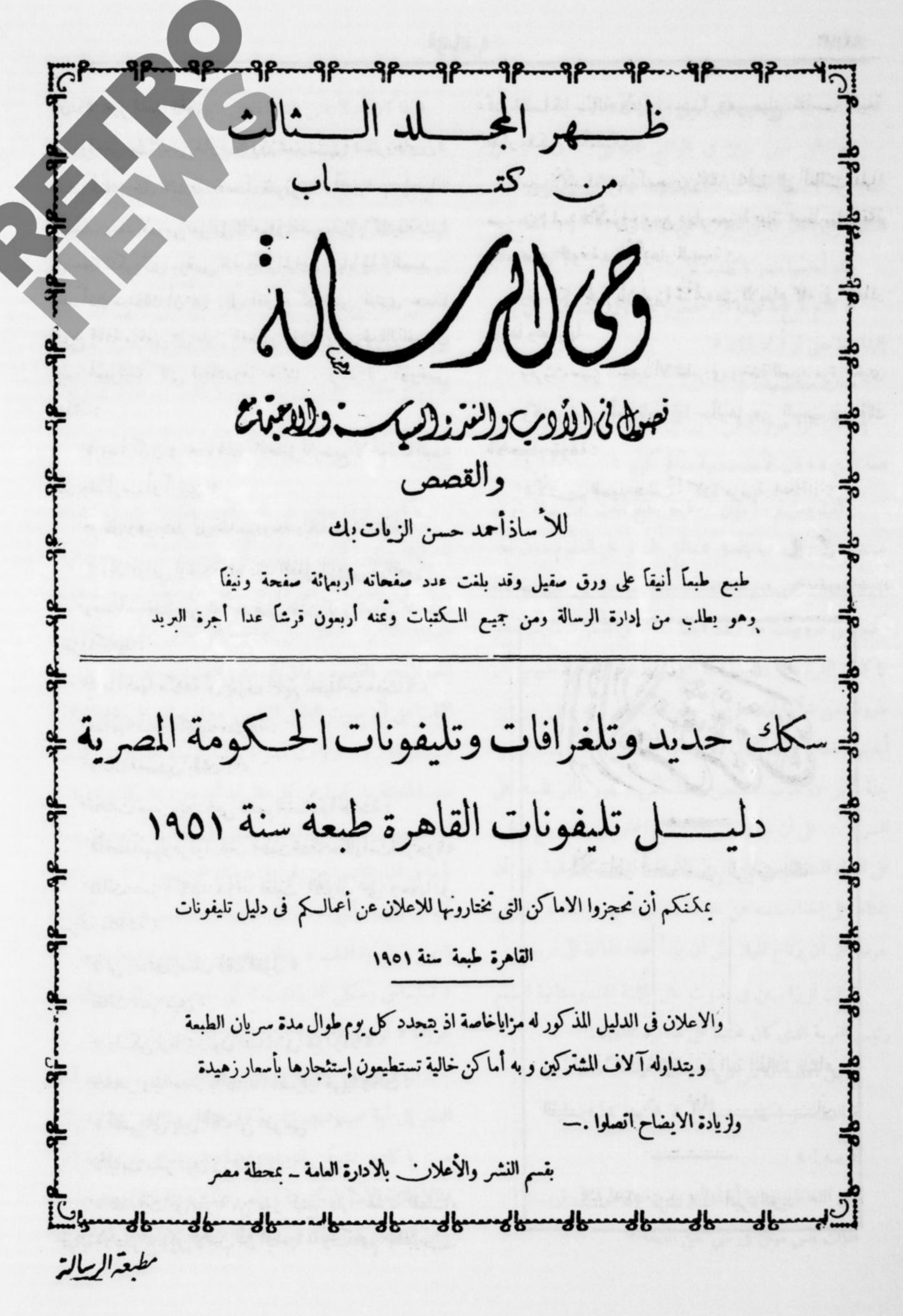
وأصبح الأصدقاء جيماً معجبين بالدار الجيلة التى أطلقت عليها مسز ميبن اسم «الأمواج» وهى دار صيفية جيلة تحيط بها حديقة غناء تحوى مجموعة من الأزهار البديعة .

وقد حكم الجميع بأن لويزا قد أبدعت الابداع كله فى إعداد دارها وتجميلها .

وقررت مسز باكلتيد ألا تغامر فى رياضة الصيد مرة أخرى وكانت تجيب أصدقاءها إذا سألوها عن السبب فى ذلك الاحجام بقولها :

« لأن الصيد يتطلب أكلافا عرضية باهظة ! »

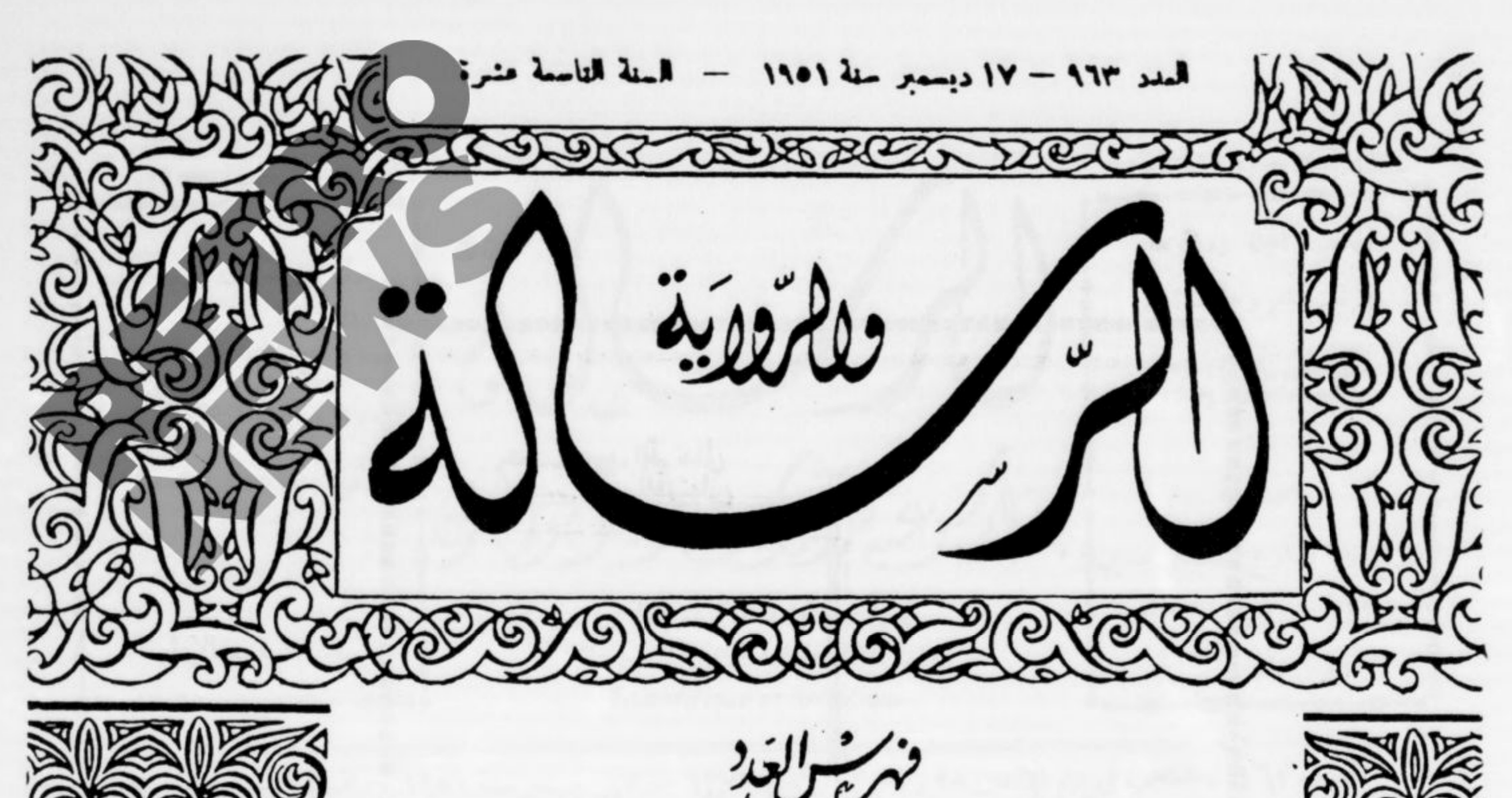
ع . ح



مطبعة الرسالة



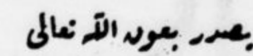
العدد ٩٦٣ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٠٤٩

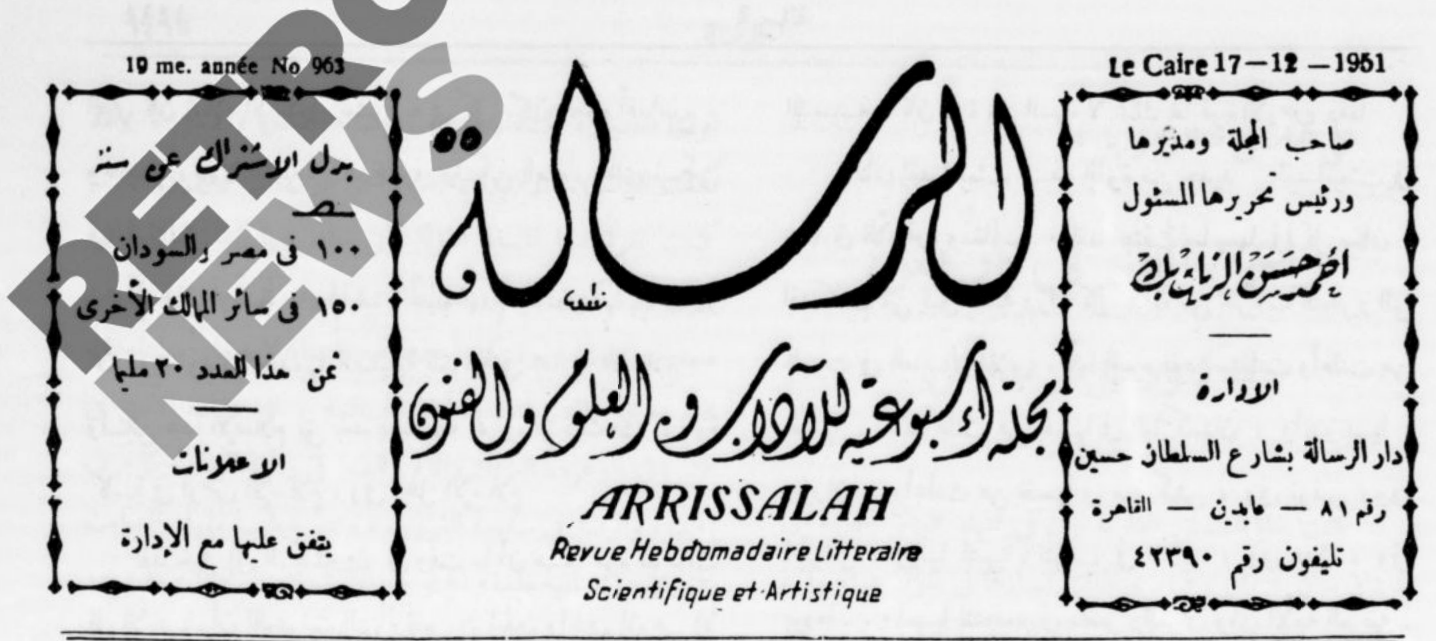
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



فى اليوم السابع من شهر يناير

عدد الرسالة الممتــــاز

حافلا كعادته باروع ما يكتب فى موضوعه
لصفوة من أقطاب البيان فى مصر
والعالم العربى



19 me. année No 963 — Le Caire 17-12-1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

مع وحى مولد الرسول :

القوة الكامنة فى الاسلام

للأستاذ سيد قطب

حينما وقف جلادستون فى مجلس العموم البريطانى ، وبيده المصحف ؛ وقال قولته المشهورة : « ما دام هذا الكتاب فى أيدى المسلمين فإنكم لن تسيطروا عليهم ، ولن يلين لكم قيادهم » ... كان أعرف بقوة الإسلام الكامنة من الكثيرين ممن يسمون أنفسهم مسلمين . لقد كان يدرك أن فى هذا الدين من روح الاستعلاء ، ومن قوة المقاومة ، ومن عناصر الوحدة ، ما يقف للرجل الأبيض بالمرصاد ، وما يقاوم أسلحته ودسائسه وحضارته كلها جميعا

ولكن المسلمين ، أو من يقولون عن أنفسهم إنهم مسلمون ، لم يدركوا ما أدركه ذلك الإنجليزى المستعمر ؛ فراحوا يمترون فى سفه هذا الرصيد المكنون ، ويستهينون فى بلاهة بتلك القوة الكامنة ، ويحسبون الدين رجعية ، والعقيدة جهالة ، والإيمان سذاجة ، وأنهم لا يكونون مثقفين ، ولا يكونون متحضرين ، ولا يكونون قطعة من أوربا ، حتى يتعروا من مقدساتهم ، ويتخلوا عن عقيدتهم ، ويتندروا بمن يحدثهم عن الإسلام كما لو كان يحدثهم عن الخرافات والأساطير

ومن هذا الطريق تغلغل الاستعمار . ومن هذا الطريق طوقهم المستعمرون . ومن هذا الطريق ذابت دولهم وشخصياتهم ومقوماتهم واستقلالهم . ومن هذا الطريق طردوا إلى ذيل القافلة ، وقد كانوا من قبل عند مأخذ الزمام

ومكر الاستعمار ، ومكر أذناب الاستعمار ، بكل أثر للعقيدة ، وبكل محاولة لاستنبات بذورها فى الأرواح والضمائر . . فى عالم القانون والقضاء نبذت شريعة الله ، واستبدلت بها قوانين نابليون . . وفى عالم الوظائف والدواوين ، نبذ أصحاب الثقافة الدينية ، وأصبحت مراكز الحكم ، ومراكز التوجيه كلها فى الأيدى التى آمنت بالحضارة الغربية وكفرت بالدين .. وفى برامج التعليم ونظمه ، أصبح الدين درسا إضافيا ميتا خارج الجدول ، وحتى حين أدخل فى الجدول ، أدخل ميتا عقيما ، والتاريخ الإسلامى انزوى فى صفحات مشوهة ممزقة خبيثة

فى كل ميدان ، وفى كل حقل حورب هذا الإسلام . حورب فى المجتمع ، وحورب فى الدولة ، وحورب فى المدرسة ، وحورب فى الضمير . . حورب حربا لئيمة متصلة واعية تملك كل وسائل التأثير والتدمير . . حورب بقوة السلاح ، حين حاولت أوربا الصليبية أن تحطم دول الإسلام فى ميادين القتال . وحورب بقوة العلم ، فى عالم التأليف ، وفى دنيا التعليم . وحورب بقوة الفساد

الذى كان عملاء الاستعمار ينشرونه فى كل مكان تطؤه أقدامهم ، ويحطمون به لا العقيدة وحدها ، ولكن الضمير الذى تسكن فيه العقيدة

لم تبق وسيلة ، ولم تبق حيلة ، لم يستخدمها الاستعمار الأوربى ، ولم تستخدمها الصليبية الغربية فى محاربة الإسلام ... ولكن هذا الإسلام بقى بعد ذلك كله ، ورغم ذلك كله ، قوة كامنة فى أرض الإسلام ، وفى أهل الإسلام

لقد خيل إلى الكثيرين فى وقت ما أن هذه القوة قد ماتت إلى الأبد ، وأن الدعوات التى ترتفع بين الحين والحين إن هى إلا سكرات الموت ، أو هذيان الحمى فى اللحظات الأخيرة.. ولكن هذا الإسلام قد أخذ يبدد هذه الظنون . إنه قوة حية . إنها انتفاضة الحياة لا سكرة الموت . إنه هتاف الحياة لا هذيان الحمى . إنها الحقيقة الواقعة الملموسة التى تجبر المستعمرين أنفسهم أن يتحدثوا عن « العالم الإسلامى » !

ذكرت كل هذه المعانى وأنا أحضر حفلا لجمعية العلماء فى الجزائر ، وأنا ألقى الزعيم الجزائرى « مصالى الحاج » . . . لقد كانت الجزائر هى آخر أرض إسلامية يتخيل متخيل أن تثب فيها روح الإسلام ، بعد كل ما قاسته من كبت وخنق ، ومن عذاب ونكال، تحت ضغط الحكم الفرنسى أشنع أنواع الاستعمار الصليبى المتعصب . وبعد كل هذه الجهود المتصلة خلال أجيال كثيرة . جهود المستعمرين ، وجهود المبشرين ، التى لم تكف عنها فرنسا لحظة واحدة فى هذه الحقبة الطويلة

الجزائر التى حرم فيها تدريس اللغة العربية والدين بالمدارس . والتى صبت الويلات على علمائها ورجال الدين فيها ، والتى انتهكت حرماتها وأعراضها لإفساد الدم العربى ، وتضييع النخوة العربية ، وخلط الأنساب والدماء بالقوة كى تضيع معالم العروبة والإسلام ، لا فى الأفكار والضمائر فحسب ، بل فى الدماء والأجسام

ولكن الإسلام كان أقوى من ذلك كله . كان قوة كامنة عميقة لا تجتث جذورها قوة السلاح ، ولا قوة العلم ، ولا قوة الدسيسة : كان قوة من السماء لا تملك لها قوة الأرض دفعا

والآن لقد انبعثت هذه القوة من جديد . لقد انبعثت فى مشارق الأرض ومغاربها . لقد انبثقت ينابيعها فى كل مكان . لقد كانت من قبل كامنة وراء كل حركة من حركات التحرير التى ظهرت فى العالم الإسلامى . أما اليوم فقد استعلنت وأعلنت عن نفسها . لقد أعلنت عن نفسها فى الباكستان ، وأندونيسيا ، وإيران . وأعلنت عن نفسها فى مراكش ، وفى تونس ، وفى الجزائر . وإنها لتتهيأ وتتوثب فى الملايو ، وفى عدن ، وفى بورما . . وإنها لتتجمع فى مصر والعراق وباقى الأمة العربية . وإنها لتتنادى فى مشارق الأرض ومغاربها إلى « كتلة ثالثة » .. إلى « عالم إسلامى » وإن الغرب المستعمر ليسمع هذا التنادى ، ويرى هذا البعث ، ويشهد هذه المعجزة تتم من جديد . وإنه ليحاول أن يستميل إليه هذه القوة الناهضة بعد أن يئس أو كاد من محاولة القضاء عليها

لقد أدرك الغرب — وهو أسرع إدراكا للحقائق الواقعة — أن العالم الإسلامى لو كان مقدرا له أن يموت لمات . وإذا كان كل هذا السم لم يقتله ، فإنه إذن سيزيده قوة ، كما تنطق بذلك حكمة أحد شعرائهم « جيته » الألمانى !

ولم يبق كافرا بهذا العالم الإسلامى ، شاكا فى وجوده وفى قوته ، إلا ذلك الفتات الآدمى الذى خلفه الاستعمار الغربى ، ممن يسمونهم (المثقفين) . ذلك الحطام الذى استعمر الغرب ضميره وروحه وتفكيره . تلك المخلوقات المضحكة التى لا تؤمن بشىء لم يكتب عليه : Made in Europe (صنع فى أوربا) !

عما قليل سيرد لهذه المخلوقات المضحكة شىء (صنع فى أوربا) يقول لهم : إن العالم الإسلامى حقيقة (مادية) واقعة . . عندئذ سيؤمنون بوجود العالم الإسلامى . وعندئذ سيتحمسون لإقناع الآخرين بهذه الحقيقة (المادية) الواقعة .. ومن يدرى . فلعلهم يومئذ سيحاولون إقناعنا نحن أيضا بهذه الحقيقة !

سيد قطب

على هامش « الوجودية »

راعى الغنم فى باريس

للدكتور على شرف الدين

كانت بقايا الشمس الغاربة ترف فى جباه المآثر القائمة فى ميدان سان جرمان ، فيجرى ذائب نضارها فى سواد عرانيها ، كما يجرى الحلم الشاحب الحزن فى لمة طافت بها الذكريات . وكان الليل قد أخذ ينشر ذوائبه الغبش على جبين النهار ، ويغزو بسكونه الرهيب ضجة الحضارة الصاخبة . بينما كان راعى الغنم قد انتحى جانباً مستنداً إلى جذع شجرة هناك ، ومن حوله أسرته الخالدة يؤلفها عنزاته الأربع ، وكلبه القروى : أسرة هى رمز الوفاء فى كتاب الأيام

كانت صفارته ترسل أنغاماً واهنة لا تكاد تصل إلى السمع إلا بشىء من عمل النفس ، ولكنها على هوادتها كانت تصعد فى السماء رائعة لتستحيل إلى دعوات ضارعة فى عالم اللانهاية والخلود

كانت ألحانه لا تحتاج إلى خيال شاعر ، ليرددها إلى عالم آخر غير عالمنا الذى نعيش فيه ، ولقد ذكرت عندها قول أندريه جيد فى السيمفونى باستورال ، وهو يجرى آراءه فى الحياة والفن على لسان الباستير ، انه يرى « أن الموسيق لا تصور العالم كما كان ، ولكنها تصوره كما يمكن أن يكون لو خلا من الشرور والخطايا »

كان لألحان الراعى روعة فى النفس يزيد منها إقبال الليل فى سكونه ، حتى لكأنها دعوة السماء إلى القلب ، فانعطفت قبالته وأحسست كأنما أنظر فى باريس إلى أثر مقدس ، ينيف عن التقدم إليه جلال الزمن . وروعة الماضى . كان هو الراعى فى كل شىء غير سراويلات لم يشهدها الشرق فى رعاته ، أوربى تنمره الحضارة المادية ، وتأخذ حياته من أقطارها ولكنه كان منها بعيداً ، وفيها زاهداً لقد ورث عن أبيه « الراعى الخالد » هذا الوجه الهادئ ، الذى لفحته حرارة الصحراء ، فتركت فيه هذا الرضا العميق ، يكشف عن نفس يمورها اليقين والأمل . ولقد كنت تقرأ فى أسارير وجهه شيئاً آخر أقوى من اليقين والثقة ، كنت تقرأ فيها فلسفة العزلة التى تظهر فيها النفس الانسانية أقوى ما تكون فهماً وإشراقاً . فيلسوف لم يأخذ فلسفته عن منهج ديكارت ، ولكنه أخذها عن أستاذ لا يضل أبداً : عن الطبيعة التى لقنت أجداده أبلغ الحكمة . لقد عرف الأمل فى الشروق ، وعرف العراك والألم والصبر فى رائعة النهار ، كما عرف الهدوء والرضا فى صفحة الغروب ، وسمع خطيب الليل الصامت يلقى على الإنسانية فلسفة الجنوح والاستسلام إلى قوة غالبة ، يجد فى جوارها السلم والعافية ، واستقام له من كل ما قرأ فى كتاب الوجود فلسفة راسخة قوية ، لا يغريها الأمل ، ولا يوهنها اليأس ، لأنها أقوى من إغراء الأمل ، وأسمى من تخاذل اليأس . إنها فلسفة الرضا المقرون بإشراق الحقيقة ، يطل منها على هذه الحضارة الصاخبة المجنونة

لم تكن أنغاما تتألف من مقاطع ، ولكنها صلوات القلب فى محراب الطبيعة ، تتألف من ضراعات الرهبان ، ونسك العابدين ، لست أدرى أهى حفيف ذكريات الزمن البعيد ، أم أنها الترانيم الهامسة منذ الأزل فى فضاء الوجود . انها رسول السلام والأمن أقبل من السماء إلى الأرض ليغفر ما جرحت أيدى الحضارة وليبارك الضعاف الأقوياء الذين شرعوا أقوم المثل فى الصبر والرضا ، حتى إذا أقبل الليل وجدوا فيه متنفساً لآلامهم ودموعهم . .

قال لى الراعى فى صفارته : « إن أمانينا ستظل رسول العذاب إلى قلوبنا ، وستظل سبب شقوتنا فى الحياة ، حتى نغير النظرة بأخرى ، وحتى نستبدل مقياس السعادة بآخر يمت إلى النفس بصلة ، وحتى ننصرف طوعا وترفعاً عن روعة لو اختبرناها لظهر زيفها وباطلها . . . »

« إن فلسفتى هى أقوم ما انتهت اليه الفلسفة المتحضرة : حياة ساذجة لا صنعة فيها ، وعزوف عن الظاهر البراق لا زهداً ولا يأساً ، ولا حتى تدينا ، ولكن إيثاراً للحقيقة ، وإدراكا لجمالها ، وتلبية لنداء النفس المطبوعة التى لا تخطىء فى الدعاء . . »

« إن فلسفتى لاتعنى بغير نشيد الكون فى جملته ، وما بحثت

قطر عن مم يتألف النشيد ، ولا حاولت أن تعرف مقاطع نغمه ، وضروب إيقاعه . وإذا جهلت أنا شيئاً من هذا فان ذلك لا يحرمني السرور بجمال الأنشودة فى جلتها ، وإن عناصر الكون الحافلة بالأسرار لتتجمع كلها فى لحن واحد ، ما أيسر أن تحس النفس جماله ، وتنعم بإدراكه ، فعلام إذاً أشقى فى تحليل المقاطع ، ومناقشة العناصر . . »

« إن الوجود فى فلسفتنا معشر الرعاة رنيمة تنفح بعبير السماء ، تذيعها الطبيعة فى لحنها صباح مساء . إنه النهر الجارى تصفق فى جوانبه الجداول ، وتنغم الطير على شاطئيه ، ما سألت قط عن منبعه ولا مصبه ، ولكنى أسير مع التيار شاديا مفردا ، أسبح بهذا النعيم ، وأشيد بجمال الحقيقة . . »

« وماذا يعنينى أن أبحث كما يبحث هذا الرجل المعذب (بالوجودية) ، انه يشقى ويشقى الناس معه ، ليثبت ان الوجود يسبق الجوهر ، وان الإنسانية لهذا محكوم عليها بالألم الشقاء . إنه لا يفهم الإنسانية إلا على هذا النحو الأسود القاتم ، ولا يراها غير فريسة للآلام ، فراح يلتمس لنا فى فلسفته ، وقصصه ؛ ومسرحياته كل جرح دام من جراح الإنسانية المعذبة ، وسارت باريس فى ركابه تحمل المناظر السوداء ، لترى من خلالها هذا الوجود ، حتى فترت صبوات القلوب العامرة باليقين والأمل ..»

« وإذا كان « عميد الوجودية » قد زحم مؤلفاته بالمآسى الإنسانية التى يدعم بها مذهبه فإنه نسى الكثير من مسرات الإنسانية . وما الخير فى فلسفة لا تقوم إلا على تذكر الشرور والآلام ، وتغفل عن مباهج الإنسانية الروحية؟ فقطعت عليه لحنه: « أتنكر الألم فى الوجود أيها الراعى ؟ »

قال : « أفتنكر أنت أن أكثر من النصف فى الوجود خير وبركة وجمال ؟ رويدك فإن « الوجودية » تنكر المستقبل المسطور فى السماء ، وتلقى به بين يدى الإنسان ليصنعه بنفسه (١)

قلت : فإنه يسرف فى التعبير ، ويستخدم من الألفاظ كفيلسوف ما يؤيد به مذهبه ، وإنه ليريد أن ينسب (الاختيار) إلى الإنسان ، وأن يعقد أمله بالأعمال فإن لها عنده قيمتها وأثرها . قال : فسنعود إذاً إلى حديث الاختيار أو الجبر ، وما أعرف أن الفلسفة العربية قد قصرت فى مناقشتها ، ففيم إذاً هذه الضجة ؟

لقد كتب ابن سينا عن الجوهر والوجود ، يعاونه فى ذلك عقل الفيلسوف وخبرة الطبيب . كان فيلسوفا وطبيبا يدرك النفس ، كما يدرك المنزل الذى تسكن فيه ، فآخى بين الروح والمادة ، وزاوج بين المجهول والمعروف ، واستقام له من ذلك منهج قويم.. سكت الراعى قليلا ثم أقبل فى الحديث وقد جرى شعاع من النور فى أسارير وجهه : « إن للشرق طريقة حسنة فى فهم الوجود . ولقد حل المشكلة هذا الهندى المبارك ، وضرب تاغور على الحياة بسرادق من الخير والجمال ، وأنكر وجود الشر فيها ، وإذا كان له وجود فإنه عدم فى عالم الحقيقة ، إنه كالخطأ فى عملية حسابية له وجود على الأوراق ، ولا وجود له فى الحقيقة . إنه كمن يحضر حفلا خاصا ، ولا يحمل معه بطاقة الدعوة ممن أقام الحفل . إنه موجود بين المدعوين ولكنه وجود لا تعتبره الحقيقة . . ثم نظر إلى قائلا : « أترى ما قال تاغور هو الشعر ، وهبه شعرا ! ولكنه حسن جميل .. »

« لا يا سيدى إن لى زوجة جميلة تنتظرنى ، وإنها من مباهج الحياة عندى ، فلم أنقب وأحصى ما لقيت من ألم فى النهار ، وأنا أعرف أن سرورى بها يعدل أضعاف ما لقيت من ألم فى النهار ! وإن لى أصدقاء من الرعاة نسمر معا ، ونتحدث عن مملكتنا المسحورة ذات المروج والجداول والطير .. »

« إن الرومانتسم فى أدبنا الفرنسى لم تطبع بهذا الطابع الشاحب ذى المزاج الحزين إلا بعد أن أطلق الشعراء تأملهم العميق فى الوجود ، وغالوا فى التحليق بنفوسهم وهم يتحدثون إلى الطبيعة ، حتى عبروا منطقة الجمال إلى مجاهل الفلسفة ، وانتهوا فى تأملهم إلى السؤال : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ فلما عجزت عقولهم طوى العجز نفوسهم على ذواتها ، فتألموا ، واختلطت أغانى الجمال فى شعرهم بنبرات من الحزن ، تكشف عن نفس معذبة قبل أن تكشف عن نفس متأثرة حساسة

سكت قليلا بينما كانت تخفق فى جبينه طيوف من الحلم والذكريات ، ومسمعته يردد فى صوت خافت عبارة جينز :

---

(١) الوجودية بول سارتر ص ٣٨ ، ٦٢

٨ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

كتلة إسلامية :

ما إن وضعت الحرب العالميـة الثانية أوزارها ١٩٤٥ حتى انقسم العالم إلى كتلتين : إحداهما شرقية وتتزعمها روسيا، والثانية غربية وتتزعمها أمريكا وانجلترا . وقد ثار نضال وجدل : إلى أى الكتلتين تنضم مصر ؟ أتنضم إلى الكتلة الشرقية أم تنضم إلى الكتلة الغربية أم تقف على الحياد ؟ وقد رد على هذه الأسئلة ردا صريحا واضحا فضيلة المرحوم الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين قائلا : إن مصر لن تنضم إلى الكتلة الغربية ولا إلى الكتلة الشرقية وإنما يجب أن تقدم كتلة ثالثة هى الكتلة الإسلامية وتضم الباكستان وإيران وأفغانستان والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والمملكة العربية السعودية واليمن ومصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش

وقد شهد يوم ٢٣ نوفبر ١٩٥١ مولد هذه الكتلة ، فقد زار دولة الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء إيران مصر . وفى يوم الخميس ٢٢ نوفبر ١٩٥١ أقام معالى الدكتور طه حسين باشا حفلة أهدت فيها جامعة فؤاد الدكتوراه الفخرية للزائر العظيم ، وقد حياه قائلا : « إن شخص الدكتور مصدق يمثل الجهاد فى أروع صوره » وذكر جهوده فى تحصيل العلم بفرنسا وسويسرا وجهاده فى سبيل تحرير وطنه وتقدير هذا الوطن له وإكباره لجهاده مما يشرف أسرة جامعة فؤاد الأول أن ينضم إليها ، ثم ذكر الدكتور طه باشا أن الدكتور مصدق يجمع إلى جانب المجد السياسى المجد العلمى ونوه بآثار مصدق العلمية

وقد تحدث الدكتور مصدق فى نهاية الحفل إلى المحتفلين به فقال : « أسأل الله سبحانه وتعالى أن يدعم الرابطة والأخوة بين مصر العزيزة وإيران أبدا . نحن مصممون على أن نحارب الاستعمار فى السودان وفى عبدان مشتركين . إن الداء الذى تشكو منه إيران تشكو منه مصر والبلاد الإسلامية، داء واحد ودواء مشترك

فنحن نعرف العلة الأساسية لهذا المرض ونعرف أن الدواء لهذا المرض هو الكفاح المشترك الذى يجب أن تقوم به البلاد الإسلامية جمعاء . »

وهكذا بدأ قيام الكتلة الإسلامية وفى نفس اليوم أعلن بيان مشترك وقعه رئيسا الوزارة المصرية والوزارة الإيرانية جاء فيه أن الرئيسين قد استقر رأيهما على ما يأتى

أولا : الدخول فى أقرب وقت فى مفاوضات لتوسيع نطاق معاهدة الصداقة والإقامة المعقودة بين إيران ومصر والموقعة فى طهران فى ٢٨ نوفبر ١٩٢٨

ثانيا : إبرام معاهدات بين البلدين فى الشئون الاقتصادية والثقافية وشئون التجارة والملاحة وكذلك معاهدة للتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية . ومن المفهوم أن هذه المعاهدات سوف تكون أساسا لاتفاقات متعددة الأطراف على مدى أشمل بحيث تسمح بانضمام البلاد العربية وبلاد الشرقين الأدنى والأوسط التى تربطها بإيران وبمصر فى الوقت الحاضر علاقات ودية . »

« لم يعد عند العلم قول يلقيه . . . وربما كان من الخير أن تقول إن العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال ، لأن نهر المعرفة قد انعطف فى سيره مرات كثيرة بحيث لم يعد فى مقدرتنا أن نحكم بالناحية التى فيها مصب النهر » قلت : فما بالك أيها الراعى تخلط بين العلوم الطبيعية وبين فلسفة الوجود ، وأين هذا مما نحن فيه ؟ قال : فهى إذاً كما قال تاغور : « الحياة حق ، وحب ، وخير وجمال » . ثم نهض الراعى يتبعه كلبه وعنزاته ، قلت : فإنى أريد أن أراك مرة أخرى . قال : فوعدنا قهوة الفلور ، فقد يكون لنا حديث . قلت : ولم قهوة الفلور ؟ فأشار إليها بصفارته قائلا : أما تراه يجلس فى شرفتها المطلة على الخارج ؟ فنظرت . . . فاذا جان بول سارتر

باريس

علي شرف الدين
دكتور من جامعة باريس

هذا فى مصر . أما فى باريس فقد كان وزراء الدول العربية يواصلون اجتماعاتهم للبحث فى مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط وفى القضية المصرية وقد أجمعوا على تأييد القرارات التى اتخذتها الحكومة المصرية من إلغاء المعاهدة إلى رفض المقترحات الرباعية للدفاع عن الشرق الأوسط

من ٢٣ - ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ :

ما تزال الحالة حرجة فى منطقة القنال وما يزال الانجليز يمعنون فى إجرامهم . صحيح إن عدوانهم لم يبلغ ما وصل إليه فى مجزرة الاسماعيلية فى ١٧ ، ١٨ نوفمبر ولكنه عدوان وحشى لا يستطيع إنسان أن يبرره . إنظر إلى الجرائم التالية وتبين مدى وحشيتها :

١ : كان الشيخ محمد بركات وهو فى السبعين من عمره يؤدى الصلاة فى منزله بعزبة أبو عمر فى الصباح الباكر عندما اقتحمت المنزل قوة بريطانية مسلحة فتصدى لها نجله عبد الله مستفسرا عن سبب دخولها فزعم الجنود أنهم يبحثون عن الأسلحة

وكان الشيخ قد ختم صلاته فجلس ممسكا بسبحته وراح يتلو الدعوات فاقترب منه الجنود وأمروه بالوقوف فلوح بسبحته للابتعاد عنه وهو يقول « الله أكبر ... الله أكبر » ، واشتد حنق الانجليز فأطلق أحدهم عليه رصاصة وطعنه الآخر بسونكى بندقيته فى صدره وبده طعنة أطاحت بأحد أصابعه . وما لبثت روحه أن فاضت إلى بارئها تلعن الانجليز وتضرع إلى الله أن ينقذ البلاد والعالم منهم !!

٢ : فى يوم الثلاثاء ٢٧ منه قام الانجليز بمظاهرة عسكرية فى مدينة السويس وألقت إحدى سياراتهم قنبلة يدوية شديدة الانفجار أصيب بشظاياها أربعة من الأهلين

٣ : فى يوم الأربعاء ٢٨ منه قام البريطانيون بحملة إرهابية واسعة فى منطقة الاسماعيلية وكان الأهلون هدفا لعدوانهم الوحشى فقد أطلقت قوة بريطانية النيران على أربعة من أهالى القصاصين وهم يسيرون فى طريق المعاهدة فاستشهد ثلاثة منهم . وأما الرابع فقد ألقى بنفسه فى ترعة الاسماعيلية ونجا

وكان خمسة من العمال عائدين إلى منازلهم فى الاسماعيلية فأطلق الانجليز عليهم نيرانهم فسقطوا مضرجين بدمائهم

أيها الانجليز : إن دماءنا لن تذهب عبثا واعلموا أنكم لن تثبتوا أقدامكم بآثامكم

أما الفدائيون المصريون فقد وصلوا نشاطهم مشكورين مأجورين ولكن الذى يؤلم هو هذا الموقف الصامت الذى اتخذته حكومة مصر فإنها لم تحرك ساكنا ولم تهج طائرا !!

وفى يوم الاثنين ٢٦ نوفمبر وصل وزير الحربية البريطانية إلى القنال واجتمع بالقواد الانجليز وبالسفير البريطانى ثلاث ساعات متوالية لبحث الموقف

وفى خلال هذه الفترة رحلت كثير من العائلات البريطانية من الاسماعيلية ، وكان الانجليز قد أعلنوا أنهم سيجلون عنها بمجرد جلاء العائلات الانجليزية ولكنهم عادوا يتلكأون فى تنفيذ وعدهم

ثورة مصر بأثرها :

بدأت الثورة المصرية فى ٩ مارس ١٩١٩ فى مدينة القاهرة وانتشر نبأها فى سائر أنحاء مصر فهبت مصر بأجمعها من الاسكندرية إلى أسوان مدنا وقرى تستجيب لنداء الثورة :

ففى يوم الأربعاء ١٢ مارس ثارت الاسكندرية وقامت فيها مظاهرات كبيرة تضم طلبة المدارس والمعاهد الدينية وسارت من مسجد أبى العباس إلى دار المحافظة القديمة بشارع رأس التين ، وقد حاول رجال الشرطة وعلى رأسهم الحكمدار جارفس بك تشتيت المتظاهرين ولكنه لم يستطع . وكان المتظاهرون يهتفون بالحرية والاستقلال

وتجددت المظاهرات فى الأيام التالية وفى ١٧ مارس سلط الانجليز نيران مدافعهم على المتظاهرين فسقط منهم ستة عشر قتيلا، وأربعة وعشرون جريحا

وفى ٢١ مارس ثارت بور سعيد وقتل الانجليز سبعة شهداء

وثارت دمنهور فى ١٧ مارس وأهان ابراهيم حليم باشا مدير الإقليم المتظاهرين إذ تحداهم أن يكون بينهم رجل فضربوه

بالنمال . وقد شتت الجند المتظاهرين وقتلوا منهم ١٢ شخصا

وفى طنطا قامت مظاهرة كبيرة فى ١٢ مارس وسار المتظاهرون فى أنحاء المدينة حتى إذا وصلوا محطة السكة الحديدية ، انهال عليهم الجند البريطانيون بنيران مدافعهم فسقط ستة عشر قتيلا

وفى ١٦ مارس قتل أحد المارة بسبع طلقات من مدفع رشاش بريطانى وقتل الإنجليز غلاما ضربا بالسنج . وما أشبه الليلة بالبارحة !

وثارت شبين الكوم وكفر الشيخ وزفتى وسمنود والمحلة والمنصورة وميت غمر والزقازيق. وعلى الجملة انتشرت الثورة فى سائر أنحاء الوجه البحرى مدنه وقراه

ولم يكن الوجه القبلى أقل استجابة لنداء الوطن من الوجه البحرى بل كانت الثورة فيه أشد منها فى الوجه القبلى؛ فقد قامت المظاهرات فى الفيوم والمنيا وأسيوط وقنا وأسوان وجرجا ، وكان طابع الثورة العنف، وسقط فى هذه المظاهرات كثير من الشهداء الأبرار . وقد بلغ عدد شهداء مصر حتى ١٥ مايو ١٩١٩ ألفا ، وقد ذكر هذا الإحصاء المستر هارمسورث وكيل وزارة الخارجية البريطانية وعلق عليه قائلا « إن هذا شىء فظيع هائل ! »

ومع هذا لم تضعف مصر بل ظلت تقاوم وتبذل دماء أبنائها كريمة فى سبيل حريتها واستقلالها

قطع المواصلات :

كان أول ما اتجه إليه تفكير المتظاهرين الثائرين هو قطع طرق المواصلات حتى لا تستطيع القيادة البريطانية أن تبعث بقواتها إلى سائر أنحاء القطر للتنكيل بالأبرياء

وكانت أول حادثة من هذا النوع هى قطع الطريق الحديدى بين تلا وطنطا وكان ذلك فى ١٢ مارس وما لبثت الفكرة أن انتقلت إلى سائر أنحاء القطر فقطعت الخطوط الحديدية الرئيسية التى تربط القاهرة بالوجه القبلى وبالاسكندرية وبورسعيد . ولم يقتصر التخريب على السكك الحديدية ولكنه امتد إلى أسلاك البرق والتليفون . وفى ١٤ مارس أصدرت القيادة البريطانية الأمر التالى :

« جناب القائد العام للقوات فى القطر المصرى يحذر الجمهور أن كل من يتلف مواصلات سكك الحديد أو التلغراف أو التليفون أو يلحق بها أى عطل أو يعبث بها بأى وجه من الوجوه أو يحاول عمل أى شىء من هذه الأعمال يعرض نفسه للاعدام رميا بالرصاص بمقتضى الأحكام العرفية »

وكانت السلطة تعتقد أن مثل هذا الإنذار كفيل بقمع الفكرة وبالقضاء على الثورة ولكن المصريين كانوا قد أصبحوا لا تؤثر فيهم الإنذارات ولا التهديدات فانطلقوا يدمرون طرق المواصلات حتى يشلوا حركة المغتصب الأجنبى

ففى ١٤ مارس وصل قطار الصعيد إلى الرقة بمديرية الجيزة ولم يستطع مواصلة السفر لقطع الخط فى أكثر من موضع واضطر أن يعود إلى القاهرة وقد حطمت أكثر عرباته . وهكذا عزل الموظفون الإنجليز فى الصعيد

وفى قليوب خرب الثوار محطة السكة الحديدية وقطعوا الخط الحديدى وبذلك انقطعت مواصلات الوجه البحرى

وهكذا ثارت مصر بأسرها ريفا ومدنا وثغورا وموانئ رجالا وسيدات شيبا وشبانا وأصبحت مصر بأسرها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب قطرا ثائرا لحريته واستقلاله يبذل فى سبيل ذلك دمه وماله

زفتى تعلن الاستقلال :

ثارت زفتى كما ثارت باقى مدن مصر وقراها وتألفت بها لجنة للثورة كان رئيسها المرحوم الأستاذ يوسف الجندى ولم تلبث أن أعلنت اللجنة الاستقلال . وكان مأمور زفتى إذ ذاك المرحوم اسماعيل بك حمد وكان رجلا وطنيا فتعاون مع اللجنة ، ولكن السلطة العسكرية أرسلت قوة من الاستراليين لقمع الثورة فقام الأهالى وحفروا الخنادق حول المدينة وخلعوا قضبان السكك الحديدية فاستعدت القوة لمهاجمة المدينة وصوبت إليها المدافع ولكن اسماعيل بك توسط بين الأهلين وبين القوة

ونصح الأهالي بالكف عن المقاومة إبقاء على المدينة فقبلوا نصيحته ودخل الجند المدينة وحاول الإنجليز معرفة أعضاء اللجنة ولكنهم لم يستطيعوا لأنهم لم يجدوا مرشدا ولا دليلا

مذبحة ميت القرشي :

في ٢٣ مارس قامت مظاهرة سلمية في ميت القرشي . وبينما كان المتظاهرون يسيرون في طريقهم وصل قطار حربي فوقف القطار ونزل منه الجند وتعقبوا المتظاهرين وفرقوا شملهم وتعقبوهم وقتلوا منهم أكثر من مائة شهيد !

مظاهرة القاهرة الكبرى :

في ١٧ مارس ١٩١٩ وبتصريح من السلطة العسكرية قامت هذه المظاهرة وبدأت سيرها من الأزهر وانتظم فيها ألوف من المصريين على اختلاف هيئاتهم فسار فيها العلماء والقضاة والمعلمون والمحامون والتجار وأرباب الأعمال والطلبة والعمال وسارت في أكمل نظام تهتف بالحرية والاستقلال وانفضت في سلام بعد طواف دام ثماني ساعات

ولكن يبدو أن هذا لم يرض الإنجليز فعمدوا — وهذا طبعهم — إلى استخدام القوة وسقط كثير من الضحايا في القاهرة وفي الأقاليم برصاصهم

وفي ١٩ مارس قابل على شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي (بك) قائد القوات البريطانية واحتجا على استخدام القوة الغاشمة في قمع المظاهرات السلمية ، فلم يلق إلى احتجاجهم أذنا واعية ، واستمر الجند في عدوانهم ، واستمر المصريون في كفاحهم ، وقد اضطر القائد العام في ٢٠ مارس إلى إصدار إنذار عام بلغ فيه التعسف غايته

انذار عام :

« كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية والمهمات الحديدية يعاقب عليه بإحراق القرية التي هي أقرب من سواها من مكان التدمير . وهذا آخر إنذار . »

وفي نفس اليوم جمع القائد العام الوزراء والكبراء والأعيان وطلب إليهم أن « يعملوا كل ما في وسعهم لتسكين الأهالي ومنعهم من إحداث القلاقل وإلا فإني منفذ خطتي » (حرق القرى وتدمير القصور والعمائر وإهراق الدماء البريئة)

وأخذ القائد العام يرسل قواته إلى جهات القطر المختلفة بالطائرات وبالسفن فارتكبت في مصر أشنع الآثم واقترفت أفظع الجرائم

وجدير بالذكر أن نقول إن المصريين مسلمين وأقباطا سالت دماؤهم مما فتآخى الجميع في الدم واتخذوا علما في وسطه هلال أبدلت نجومه بصلبان ، وكان القسيس يخطب فوق منبر المسجد والشيخ يخطب أمام مذبح الكنيسة : وكنت ترى في مقدمة المظاهرات شيخا وبيده قسيس ، وقسيسا يعانق شيخا . وهكذا قضى على الفتنة التي حاول الإنجليز إثارتها ووقفت مصر يدا واحدة تطلب استقلالها وتؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع

ابو الفتوح عطيفة

المستقبل وأسرار الوجود

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

المستقبل هو أمل من لا أمل له، وعزاء من لا عزاء له؛ هو رجاء اليائسين، ورخاء البائسين، واللقمة التي يعيش عليها الفاشلون والمحرومون. هو الحبل الذي يتشبث به الغرق في بحار الحياة ويرونه سبباً للنجاة بينما هم في اللجة يغوصون، وإلى الهلاك يسرعون، فكل من لم ينل من الحياة مراده ولا رغائبه، واحتاطه اليأس وكفنه بالحزن والألم ليشيعه إلى القبر، كان شريان الحياة الذي ينبض فيه ويمزق له أكفانه: هو المستقبل. فيندفع إلى الحياة ليعيش على الأمل والتملات، وينتظر استعادة ما فات، واستحضار ما ستدبر. فالمستقبل هو خيط الحياة الذي بانقطاعه تنقطع الحياة؛ فلو أن هذا الذي فاته ما يريد ويأمل، وهذا الذي صدمته الحياة في نفسه وماله وولده، لو أن هذا أو ذاك: تاه عنهما وجود المستقبل وغفلا عنه لبخع كلاهما نفسه، وقضى على حياته بيديه، وداف بنفسه إلى القبر يحفره. ولكنه يرى يتملل بالمستقبل، يحقق له أمله الضائع، ويشفي له مرضه المستعصي، ويعوضه عن ماله الذي فقد وولده الذي احتسب. ويتضح لك هذا إذا صورت لنفسك ما ستكون عليه حالة هذا الذي فقد الأمل في المستقبل لأن الأسباب قد تقطعت به، لاشك أنك ستراه بمنظارك أول الأمر حائراً يبحث متلهفاً عن بصيص ينظر منه سبباً وإن تفه يرجوه، وفرجة وإن ضيقة يطل منها على المستقبل، فإذا لم يقع على بغيته، فلا إخالك إلا ملقياً بمنظارك لتجرى نحوه لتوقفه عن قتل نفسه

المستقبل هو الوجود كله، والزمان كله. وليس هناك من شيء غير المستقبل. أليس الوجود امتداداً لا يعرف منتهاه ولا أوله، وما هو هذا الامتداد؟ إنه لا يخرج عن المستقبل فليس هناك شيء اسمه الماضي، ولا شيء اسمه الحاضر، بل هناك شيء واحد اسمه المستقبل، المستقبل فقط. وإذن، فما هو الوجود.؟ أليس إلا مستقبلاً قد نسج، ومستقبلاً ينسج، ومستقبلاً ينتظر النسج؟ أما المستقبل الذي نسج فهو ما نسميه الماضي، والمستقبل الذي ينسج فهو ما نسميه الحاضر. فالأمر لا يعدو قسمة لا حقيقة لها لهذا التيار الساري، تيار الوجود الذي يتركز في المستقبل. فتيار الزمان هو المستقبل وهو النهر الذي يسبح فيه الوجود والكائنات. فالنقطة التي تسبح فيها هذه اللحظة، تسميها الحاضر، والنقطة التي تعدتها تسميها الماضي، والنقطة التي تنتظرها تسميها المستقبل. ويا لحق هذه الكائنات التي تتناسى أن النقطة التي تسميها الماضي هي نفسها التي كانت تسميها المستقبل قبل أن تصل إليها، فليس الأمر سوى خداع أسماء، وكم لخداع الأسماء من ضحايا!

بين الماضي والمستقبل:

لننظر معي رعاك الله إلى هذا الوجود، وتأمل فيه: متى وجد.؟... وأين كان قبل أن يوجد؟... خذ أي شيء وتأمله، وقف بالله عليك قبل أن تلتهم هذا العنقود من العنب، وفكر «من أين جيء به؟»... «من كرمته»... «حسناً، ومتى جيء به؟»... «حسناً، وأين كان قبل هذا الموسم؟» أين... أين... في العدم؟»...

ولكن يا صاحبي كيف يأتي شيء من لا شيء؟ إنه كان لا شك في ضمير الغيب، أي قبل هذا الموسم بشهور مثلاً: كان في المستقبل. ولكن.. هل كان وجوده مشخصاً حقيقياً في هذا الغيب؟

مثل هذه المشكلة حلها «أرسطو» بمفتاحه السحري: مفتاح «القوة والفعل» أو «الإمكان والواقع» فالشيء قبل أن يكون، لم يكن معدوماً بل كان موجوداً بالقوة، أي كان وجوده ممكناً وليس واقعاً متحققاً ظاهراً مشخصاً، فأي شيء هو بالقوة قبل أن يوجد ويخرج من القوة إلى الفعل بتأثير مؤثر، فمثلاً: البذرة الآن بذرة بالفعل وشجرة بالقوة، لأنها سوف تكون شجرة. والطفل الآن طفل بالفعل وفي الواقع ولكنه سيكون رجلاً في المستقبل، فهو رجل بالقوة

وقد قلنا إن الوجود هو مستقبل قد نسج وهو الماضي، ومستقبل ينسج وهو الحاضر، ومستقبل سينسج وهو الذي

عرف وحده بالمستقبل ، فكأن المستقبل هو الوجود بالقوة والماضي هو الوجود بالفعل . فالفرق بين الماضي والمستقبل : هو الفرق بين الإمكان والواقع . وليس الفرق بين الإمكان والواقع واسع الشقة مهول المسافة ، بل لا يبدو ذلك إلا لذوى النظر الضيق ، أما أصحاب النظر السليم فإنهم لا يرون كبير فرق بين الإمكان والفعل ، لأن لهم من قوة بصرهم ما يريهم المستقبل حاضرا ، والإمكان وقعا

* * *

إن الزمان عبارة عن الحركة ، أو أن الحركة هي جوهر الزمان ، فمثلا : تصور أن الأرض ثابتة ، وأن الشمس طالعة أبدا ، وأنك وحدك على الأرض ثابت لا تريم . . هل تشعر بشيء ؟ لا يمكن أن تشعر بشيء مطلقا ، إذا لم يكن هناك حركة ولو أقلها تقرن نفسك بهما ، وتشعر بوجودك بالنسبة إليها ، فأنت إذا كنت ترى صخرة أو شجرة مثلا ، ولم يكن في طوقك الحركة حتى تبلغها ، ولا في طوقها الحركة حتى تبلغك ؛ فلن تشعر بوجودها ، وقد لا تشعر بوجودك أيضا . أما الذي يجعلك تشعر بوجودك ووجودها فهو الحركة ، فالشجرة مثلا بعيدة الآن ، وهأنذا تقترب منها ، فأنت تشعر بوجودك ووجود السكون بناء على التغير أو النقلة ، فشيء غير موجود الآن يجعله التغير والانتقال موجودا . فالشيء الذي يشعر الإنسان بذاته ووجوده هو المستقبل ؛ لأن النقلة والتغير تصير إليه ، ولو لم يكن هناك مستقبل لما كان هناك وجود ولا زمان ولا شعور للانسان بذاته وبالسكون . والنزوع إلى تحقيق ما هو غير محقق الآن ، هو أدل شيء على شعور الإنسان بالوجود وبذاته ، فالإرادة والشوق والأمل ، هي علائم الوجود وشواهده التي لا تكذب ، فيها يشعر الإنسان بأنه موجود حقا ولا يخالجه أدنى ريبة في وجود ذاته . وحينما تتعلق القدرة بالإرادة ، ويستطيع الإنسان تحقيق رغبته في العالم الخارجي ، فحينئذ يتأكد له وجودذاته ووجود العالم الخارجي

والمستقبل هو الذي يمنح الوجود الحياة ويبعد عنه الثبات الذي هو الموت ، ويكسبه التجدد والتغير ، فليس شيء في الوجود ثابتا مطلقا . فلو فرضنا أن هناك موجودا جامدا أو حيا ، وليكن هذا الشيء « ا » فإن « م » الآن غير « ا » بعد دقيقة مثلا ؛ لأنها ستكون « ا » زائدا دقيقة » ولاشك أن « ا » فقط لا تساوى « ا زائد دقيقة » . وهكذا ، فإن كل شيء في الوجود في تغير أو حركة نتيجة لإضافة المستقبل إليه . فالمستقبل هو الذي يجعل الوجود حيا . ولولاه لما كان وجود ولا حياة . وهنا نرى أننا قد وصلنا إلى شيء جديد هو أن كل ما في الوجود لا يمكن فهمه إلا باندماج الزمان فيه واندماجه في الزمان — وحينما نقول الزمان فإنما نعني الصورة ذات الأوجه الثلاثة التي يبدو فيها المستقبل (من مستقبل « ماض » ومستقبل « حاضر » ومستقبل « مستقبل ») — فكأن هناك حدا لا نفهم الموجودات إلا بنسبتها إليه وقياسها عليه وهو الزمان أو المستقبل حقيقة . وهذا وصول إلى ما يشبه الحد الرابع الذي تقول به النسبية (١) ولكن من طريق آخر غير طريق النسبية ، بل من طريق وجودى مستقبلى تحليلى ، لا يعتمد إلا على تحليل الوجود ومحاولة فهم العناصر التي تكونه ، وليس استخراجا لهذا الحد من قوانين الحركة الحديثة التي تقول باستحالة استخراج الحركة المطلقة للمتحرك ، وبناء عليه باستحالة التواقت المطلق والزمن المطلق ، وتقرر أن الزمن نسبي والتواقت نسبي بناء عليه بالنسبة للمتحرك ، وهي تبنى نتائجها وتجرى تجاربها على الحركة وقوانينها . أما نحن ، فإنا ندمج الزمان بالمكان بناء على الوجود المستقبلى والشعور بسريانه ، فالشعور بسريان الاندماج أصل ، والقول بالحركة فرع

ونقول إن هناك صورتين من الزمان : الزمان المفهوم من الحركة ، وهو « الزمان الخارجي » الذي نفهم الأشياء الخارجية به ؛ والزمان الذي نشعر به في أعماق وعينا ، وهو « الزمان الحقيق » وبمقدار شعورنا بالزمان يكون وعينا ، فكلما كان وعينا قويا كان شعورنا بالزمان قويا كذلك ؛ فهناك تناسب طردى بين الوعي وبالتالي نصيبنا من الوجود ، وبين الشعور بالزمن . وقد قلنا إن الذي يجعل الزمن زمنا هو « المستقبل » بل إن المستقبل هو الذي يميز بين هذين النوعين

(١) سوف نعرض لنظرية النسبية في فرصة قريبة

من الزمان : الزمان الشعورى والزمان الحركي . فالزمان الشعوى يمثل المستقبل فيه أكثر من شئ واحد ، يمثل الشعور بسريان الاندماج الزمانى والكونى ، والأمل ، والإحساس بالحياة ، والرجاء ، والوجل ، والخوف ، والاطمئنان ، والانتظار ، والترقب ، وكذلك « التغير والتبدل » — والحرية أو الجبرية فى هذا التغير — . أما الزمان الحركى فهو لا يشمل ولا يمثل إلا « التغير والتبدل » واحتمالها فقط . وهـذا هو الفرق بين الوجود الحى والوجود الميت . والفرق بين الوجود الأول والوجود الثانى هو الفرق بين الوجود الفعال والوجود الخامد المنفعل

ولـكن هل تسير الأمور بقوانين ثابتة لا تتحول ، وبمقتضى سنن موضوعة لا تتبدل ؟ بمعنى أن ما حدث فى الماضى عن العلة « ا » لا بد أن يتبعه المعلول « ب » ، ولو علمنا هذه القوانين فهل فى مقدورنا أن نتنبأ بما سيحدث فى المستقبل ؟ هـذا موضوع آخر : موضوع السببية والمستقبل . . وسنقدم بعرضنا لمشكلة السببية إن شاء الله فى مقال تال

للكلام صلة عبد الجليل السيد حسن

بين العروض وطلقات المدافع

تحقيق فى بحر الرمل

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قرأت — مع السرور والشكر — ملاحظة عروضية للأديب البارع الأستاذ محمد رجب البيومى تدور حول قصيدتى « على طلقات المدافع » التى نشرت بالرسالة الغراء فى العدد (٩٦٠) . وإذا كان الأستاذ الفاضل قد أعجب (باشراق القصيدة الناصع ودفاعها البليغ عن صمت الشعراء) أمام الحوادث المروعة فى قناة السويس فانه مشكور أجزل الشكر على هـذه التحية الـكريمة التى تمد أجل عزاء عما نشره صديقنا الـكريم الأستاذ على متولى صلاح فى العدد (٩٦١) من الرسالة الغراء ناسبا إلى أننى هونت من شأن الأدب وأضعفت من قدر الـكلام حينما حملت على الإسراف فى (القول) فى ساعة تحمد فيهـا (الأفعال) . . .

وقد تكون القضية التى يثيرها الأستاذ على متولى صلاح مثارا للدفاع فى غير هذا المقام ، لأنها اتهام لا يصح السكوت عليه ، مثل اتهام الأستاذ رجب بيومي إياى بأننى (لم ألتزم القواعد العروضية فى شعرى) ، وهى تهمة أعيذ الأديب الناقد أن يلقيها من غير برهان ، أو يرميهـا من غير إحاطة أو شاهد أو بيان . .

فمن قال إن العروض فى بحر الرمل تلتزم ؟ وإن العلة العروضية المعروفة وهى (الحذف) تلتزم فى عروض هـذا البحر إلا عند التصريع ؟

لقد شرط علماء العروض فى لزوم العلة أن تراد العلة لذاتها ، فإذا لم ترد فلا لزوم هناك . ويقول العلامة الشيخ حسين المرصفى صاحب (الوسيلة الأدبية) فى هذا المقام : (والعلة إذا أريدت لزمت فى جميع الأبيات) ص ١٧٠ . وفرق بين هذا القول وبين ما قاله المرحوم الأستاذ محمود مصطفى من أن العلة (إذا عرضت لزمت فلا يباح للشاعر أن يتخلى عنها فى بقية القصيدة) فنحن أمام قولين وقف الشعراء أمامهما بالخيار منذ أن نطق بالعربية لسان ، وهفا بالشعر العربى وجدان . وخاصة أن عدم لزوم العلة فى هذا المقام لا يخل بقواعد العلماء ، ولا يخدش الآذان باضطراب الأوزان

وإذا كان الشاعر المرحوم أحمد شوقى بك قد ألزم العلة فى عروض بحر الرمل فيما نظمه من قصائده ، مثل قصيدة الـكتاب التى مطلعها :

أنا من بدل بالـكتب الصحابا لم أجد لى وافيا إلا الـكتابا

وفى قصيدته «الطيارون الفرنسيون» التى مطلعها :

قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما

وفى مرثيته لسعد زغلول التى مطلعها :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها

إذا كان شوقى قد فعل ذلك فى زماننا هذا فان شاعرا كبيرا من شعراء القرن الرابع وأوائل الخامس — هو مهيار الديلمى — قد فعل ما قرره العروضيون من عدم لزوم العلة فى عروض بحر الرمل ، ولم يقل أحد من الناس إنه لم يلتزم القواعد العروضية فى شعره ، ولم تشك آذان النقاد من فقدان الموسيقى فى شعره العربى الرصين

ألم يقل مهيار فى قصيدته إلى الوزير أبى المعالى :

أنذرتنى أم سعد أن سعدا دونها يهـدِ لى بالشر نهـدا
غيرة أن تسمع الشرب تغنى باسمها فى السمر والاظعان تحدى
قلت : يا للحب من ظبى رخيم صدته فاهتجت ذؤبانا وأسدا
ما على قومك أن صار لهم أحد الأحرار من أجلك عبدا

فالمطلع مصرع وعروضة تامة غير محذوفة . والبيت الثانى كذلك ، والثالث كذلك ، والرابع عروضه تامة محذوفة . أى أن عروض الأول والثانى والثالث « فاعلاتن » : وعروض الرابع « فاعلن » . وهكذا يمضى الشاعر العباسى الفحل فى القصيدة كلها غير ملتزم لعلة « الحذف »

لا عداك الغيث يا دار الوصال كل مهل العرى واهي العزالى

تختلف عليها علة « الحذف » وجودا وعدما فى أبياتها التى تزيد على سبعين بيتا . فبينا نراه يقول فى (حذف) :

حكمت فى الحسن حتى ختمت سمة الرق على عنق الجمال

إذا به يقول بعد هذا مباشرة فى (غير حذف) :

غفلة للدهر كانت تحت ستر من سواد الشعر مسدول مذال

وقصيدته الميمية التى مدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن والتى مطلعها :

بكر العارض تحدوه النعامى فسقاك الرى يا دار «أماما»

تختلف أبياتها كذلك بين وجود علة « الحذف » وعدمها فى مواضع كثيرة من القصيدة يسهل الرجوع إليها فى صفحة ٣٢٨ من ديوانه (الأسطر ١٢ ، ١٦ ، ٢ ، ٣ ، ١٣)

ولم يكن مهيار فى الحق — حين فعل هذا كثيرا فى شعره العربى المتين — لاجئا إلى ضرورة ، ولا واقعا فى عيب قبيح ، ولا متكلفا النبوة فى الأذن ، ولا جاهلا بقواعد العروض التى تبيح هذا إباحة واسعة فى غير التجاء إلى مماحكة فى أضعف الأقوال وأوهن الآراء

ومن الحق أن نقول هنا ، ونحن بسبيل تحقيق حول وزن الرمل — إن أغلب الشعر الذى روى فى الجاهلية وصدر الإسلام من هذا البحر كان من الضرب الثانى من أضرب العروض الأولى — أعنى أن ضربه على وزن « فاعلن » لا « فاعلاتن » وبهذا كان العروض والضرب فى أغلب هذا الشعر محذوفين ، لأنه لما التزم « الحذف » فى الضرب التزم فى العروض طبعا . وذلك كما فى القصائد الآتية :

قصيدة المرار بن منقذ التى يقول فى مطلعها :

عجب خولة إذ تنكرنى أم رأت خولة شيخا قد كبر

وقصيدة سويد بن أبى كاهل اليشكرى التى يقول فى مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وقصيدة المثقب العبدى التى يقول فى مطلعها وفق رواية الأنبارى :

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تتم الوعد فى شئ : نعم

وقصيدة جليلة بنت مرة أخت جساس ، التى تقول فيها :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا تعجلى باللوم حتى تسألى

وقصيدة طرفة بن العبد التى يقول فيها واصفا حاله فى سفره :

وبلاد زعل ظلمانها كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر

أما قصيدة الشاعر الجاهلى عدى زيد العبادى التى وعظ بها النعمان والتى يقول فيها :

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذلك الدهر حالا بعد حال

هذه القصيدة من الضرب الأول من أضرب العروض التامة المحذوفة من بحر الرمل . والضرب هنا « غير محذوف » أى أن وزنه « فاعلاتن » كما ذهب إلى ذلك محقق الجزء الثانى من « الأغانى » فى طبعة دار الكتب المصرية ، على حين أن صاحب كتاب « أهدى سبيل إلى علمى الخليل » رحمه الله قد عدها من الضرب الثالث (المقصور) الذى تصير فيه « فاعلاتن » إلى

« فاعلات » وتحول إلى « فاعلان »

وعجيب أمر هذه الظاهرة فى بحر الرمل من حيث استعمال العرب له . فانهم أكثروا من استعماله فى العروض والضرب المحذوفين — أى اللذين — دخلهما « الحذف » فصارا على وزن « فاعلن » . على حين أن « مهيار الديلمى » و « أحمد شوق » أكثرا من استعماله فى الضرب التام الصحيح والعروض التامة المحذوفة ، مع الفرق الذى أشرنا إليه قبلا : وهو أن مهيارا لم يلتزم العلة فى العروض بينما التزمها شوق

أما الشعراء الهذليون — وقد جمع ديوان شعرهم الضخم بعناية دار الكتب المصرية — فلم ينظموا من بحر الرمل ولم يلجأوا إلى وزنه الموسيق الجميل للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم ؛ ولعلهم تركوا (التزام العلة) فى هذا البحر واختلاف الأذن فيها طلبا للعافية وإيثارا للسلامة ! ولكننى — وقد نظمت قصيدتى على طلقات المدافع من هذا البحر غير ملتزم علة الحذف — فإننى أرجو أن أكون قد بلغت من رضا الرحوم الرصفى فى رأيه ، ومن ثقة الشاعر الكبير مهيار فى شعره ما أحسب الأستاذ الأديب النابه محمد رجب البيومى يرضى به ، لأنه حينئذ يرضى بالحق الذى ننشده وينشده كل منصف لنفسه ولغيره

محمد عبد الغنى حسن

تعفن المذهب المادى

للأستاذ محمد فرحات عمر

دعانى إلى الكتابة فى هذا الموضوع كثرة الكلام عن الإلحاد وضروبه وشيوعه بين الشباب ومدى أخذهم به واعتناقهم له . لذلك أزمعت الكتابة فيه؛ على أن تناولى أياه إنما سيكون من جهته الفلسفية الخالصة إلى جانب مناقشته تحت ضوء العلم الحديث .

وروح المذهب المادى الذى هو دعامة الالحاد تتخلص فى اعتبار المادة أساسا للموجود من حيث هو موجود ، واعتبار قوانينها أساسا لأعراض الوجود ؛ فإن سئل أصحاب هذا المذهب بأى اعتبار كانت قوانين المادة أساسا لأعراض الوجود؟ أجابوا.. باعتبار الإتفاق والضرورة معا . . الاتفاق فى تصادم هذه القوانين، والضرورة فى تفاعلها وصيرورتها؛ ومن ثم ظهور الوجود فى حالة جديدة مغايرة للحالة الأولى من حيث الشكل

ويلزم عن هذا كله أن يكون الوجود ميكانيكيا صرفا باعتبار نتيجة حتمية عن أسبابها ، خالية من شوائب الشذوذ

هذه هى روح المذهب المادى بمنتهى الإيجاز والتركيز ، ولم يبق أمامنا الآن الا أن نشاهد روح هذا المذهب تحت أشعة النقد

أولا .. إننى فى حدود معرفتى لا أملك المادة فى ذاتها وإنما أملك صورة المادة سواء أكلية كانت صورة جزئية أم صورة، وعلى ذلك فاقامة مذهب مادى محض باعتبار المادة فى ذاتها على أساس تصورى هو من باب التناقض وهو خلف . فإن أرادوا تفادى هذا التناقض بالمطابقة بين الصورة والأصل معتمدين فى هذا على مذهبهم التجريبى فأنهم فى هذه الحالة سيطابقون بين صورة المادة وصورة المادة، وهذا تحصيل حاصل وفشل فاضح فى الوصول إلى نتيجة حاسمة

ثانيا .. المنهج الحسى هو أداة المعرفة عند المادية . ومماهو ذو مغزى أن المادية بهذا الوضع فى حالة لا تحسد عليها . فالمعرفة الحسية أدنى مراتب اليقين إن لم تكن خارج حدود اليقين على الاطلاق .. ثم إننى الآن أمام مكتبى وهأنذا أكتب هذا المقال وليس عندى أى شك فى وجود مكتبى أمامى ووجود قلمى بين أصابعى، ولكن مع هذا فالمجنون أيضا يجزم لك أنه قابل النبى عليه السلام منذهنيهة، وأنه الآن بجانب حبيبته. وعبثا تحاول أن ترده عن مثل هذه الترهات فانه على يقين من ادعائه أنه يرى حبيبته الآن بجانبه .. ما العمل ؟ ايكذب نظره .. هيهات ثم هيهات !

ثم ما رأى حضرات الحسيين الأفاضل فى قطرة الدم التى أراها بعينى المجردة حمراء اللون فاذا رأيتها تحت المجهر لاحت لى فى كرات بيضاء وكرات حمراء؟ إن الحواس لتتناقض فى غاية السرعة لمجرد مضاعفتها . ومن يأمنها بعد ذلك ؟ أليس يجوز فى العقل أننا لو وصلنا إلى مضاعفة قوة هذا المجهر لظهرت لنا كرات

بيضاء وكرات حمراء وثالثة صفراء ورابعة خضراء .. ابعد هذا تكون الحواس طريقاً قويماً إلى معرفة يقينية ؟

ثالثا .. إذا سلمنا جدلا بأن المادة فى ذاتها مبدأ وجودى فأننا لا نستطيع أن نعتبرها المبدأ الوجودى الوحيد، وذلك أننا إذا تأملنا الفرد الإنسانى وجدنا تركيبه الكيماوى وقوامه البيلوجى فى سن الطفولة غيره فى الشيخوخة . وبرغم هذا نراه محتفظا بذاتيته من حيث هى مما يدل على أن الذاتية جوهر مغاير لجوهر المادة وأنه شئ له كيانه الوجودى غير المترتب دائما على الظروف المادية البحتة

رابعا : لا يمكننا بأى حال من الأحوال قبول الميكانيكية ناموسا للكون، لأننا نجد فى الإنسان من حيث هو إنسان شيئا يتعالى على الميكانيكية .. نعم .. الإنسان من حيث هو، ثم من حيث أنه عنصر من عناصر هذا الوجود لا نجده يندرج تحت الميكانيكية ألبتة . ويكفى للتدليل على دعوانا ما قرره فريق من علماء النفس أن الإرادة عنصر جوهرى من عناصر النفس الإنسانية. ويجمل بالقارئ العزيز أن يدرك جيدا ما أقصده بمعنى الإرادة هنا ؛ فإننى أعنى بها الإرادة السيكلوجية الخالصة التى يدركها كل منا بإحساسه العميق بها. إذ أنها تفرض نفسها فرضا، ومن ثم وجب عدم الخلط بين الإرادة فى ذاتها ومدى أثرها فى حيز الواقع العملى

خامسا .. النظرية المادية القائلة بالصدفة نظرية واضحة البطلان من جهة أنها لاتقوم على أساس سليم. ولكى يتضح لنا هذا يجب أولا أن نوضح ماهية الصدفة وعلاقتها بالفعل الذى يخرج عنها . فالصدفة اتفاق أسباب ما للوصول إلى نتيجة ما بدون سابق قصد أو عمد أو إصرار . والقصد هو اتفاق أسباب ما للوصول إلى نتيجة ما مع سابق القصد والعمد والإصرار . فالفرق بين الصدفة والقصد إنما يتركز حول مبدأ الأسباب المعينة التى أدت إلى هذه النتيجة المعينة التى هى واحدة فى كلتا الحالتين . وعلى ذلك لا يصح أن تستغل كدليل على حالة دون أخرى. لذلك يخطئ الماديون من حيث أرادوا أن يتخذوا من العالم وهو بطبيعة الحال نتيجة لأسباب مجهولة دليلا ليؤولوا به مبدأ الصدفة . ومثل من حاول هذه المحاولات كمثل رجل وجد فى طريقه حافظة نقود فأراد أن يعلل وجودها .. هل كان هذا عن قصد من صاحبها أم هو مجرد اتفاق . والحقيقة أن أى جواب عن هذه المسألة سيكون من باب الترجيح لا من باب التوكيد الذى هو أساس العلم الثابت وفضلا عن هذا فإن الجواب عن هذه المسألة يمتاز بقياس الشاهد على الغائب على عكس موضوعنا الأصيل . فالعالم من حيث هو نتيجة لا يصح إلا أن يكون وسيلة لتفسير أسبابه من حيث هى أسباب فى ذاتها ومعلق هويها. أما أن يتخذ مصباحا للكشف عن مبدأ أسبابه فهذا فساد دونه أى فساد . فان قال الماديون إذا سلمنا أن هذا العالم وجد من قصد فان العالم يضم بين دفتيه من الخلل مايتنافى مع كمال القاصد . وعلى ذلك لم يعد هناك مبرر لعدم التسليم بأن العالم جاء عن اتفاق

قلنا إن هذا القول عليه اعتراضات يطول شرحها؛ لذلك نركز أهمها فى ثلاث نقط :

أولا ـ هذا القول ان صح أنه دليل على الصدفة فهو دليل سلبى

ثانيا ـ البحث فى صفات القاصد الكامل هو خروج عن حدود طاقة العقل البشرى، فلا يجدر بأى باحث أن يتناول فكرة القاصد وهو الله على أساس البحث فى صفاته ، بل يجب تناول الموضوع على أساس آخر هو مبدأ الوجود ذاته ومدى قبول العقل له . من هذا يتضح أن نظرية الصدفة القائمة على نفى القاصد بالحط من شأنه نظرية غير قائمة على أساس منهجى سليم . فضلا عن هذا فان اعتراضهم على القاصد لا يؤدى بنا إلى نفى وجوده البتة، وإنما يؤدى إلى حد كماله. ومع ذلك فهو ليس بغريب على المتألهة المحدثين وخصوصا السير جون استيوارت مل.

ثالثا ـ ان اقرارهم بأن العالم يحوى خللا بين دفتيه . . تناقض واضح مع قولهم بالميكانيكية الصرفة التى تمتاز بخلوها عن شوائب الشذوذ. ثم من جهة أخرى نرى هذا القول على العكس يأتى فى صف القائلين بالقاصد لأنه ان دل فانما يدل على أن ثمت قاصد صاحب إرادة حرة يفعل وراء هذا الكون مايشاء وهو قاصد ذلك

والآن بعد أن تناولنا أهم دعائم هذا المذهب بالنقد ووضحنا مركز هذا المذهب فى نظر الفلسفة حان الوقت لأن نتعرف على الصلة المزعومة بين هذا المذهب والعلم الحديث

يدعى الطبيعيون أنهم اعتمدوا على النظريات العلمية الحديثة فيما ذهبوا إليه، ومع هذا فاننا نجد العلم الحديث يتخلى عنهم فى أخطر المواقف وأدقها

(ا) المذهب المادى يدعى أن كل معرفة انسانية إنما ترجع إلى حيز المحسوس، بينما علم الفسيولوجيا يقرر بأن اختصاص الجهاز العصبى لا يتعدى المعرفة المباشرة الميكانيكية ؛ أما المعانى المجردة والمعانى الكلية فيترك أمرها معلقا فى الهواء . وإذن فالقول بأن المعانى المجردة والمعانى الكلية ترجع أيضا إلى الحس هو قول من باب الترجيح بدون مرجحات؛ وقد أحالت ذلك بداهة العقل

(ب) العلم الحديث لم يصل بعد إلى ماهية الكون، فهو يقرر بأن الكون مكون من أجسام وكل جسم يتألف من ذرات وكل ذرة من هذه الذرات تتألف من النواة والكهارب السالبة والكهارب الموجبة، ثم هذا كله إنما ينتهى إلى الاشعاع.. وما هو الاشعاع ؟ هو تموجات.. ثم ما هى التموجات ؟ هى ذبذبات، ثم يقف بك العلم الحديث عند هذا فلا يفسر لك ماهية الضوء تفسيرا مجديا اللهم إلا تفسيرات شكلية . وهكذا يعترف لك العلم الحديث أنه لا يدرى من هذا الأمر شيئا

(ج) يدعى أصحاب هذا المذهب التداعي وهم فى ادعائهم هذا قد صاروا من التهافت بمكان ، وأصبحوا عرضة هم ومذهبهم فى مهب الريح.. ريح النقد العاتية؛ أقول يدعى أصحابنا الطبيعيون أن نظرية التطور والارتقاء إنما هى دعامة أساسية من دعائم مذهبهم المحبوب المدلل .. وردنا عليهم فى غاية السهولة نوجزه فيما يلى

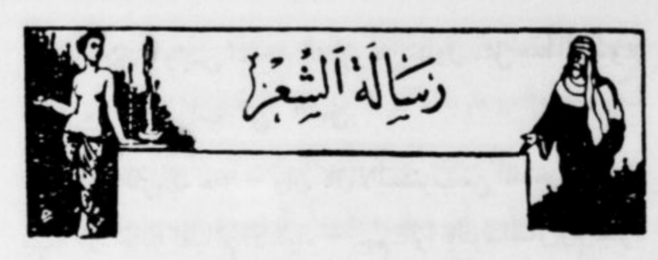
١ — نظرية التطور والارتقاء لا تبحث إلا فيما بعد أصل الحياة من نشوء بعض الأحياء من بعض على مر الزمان وتحت ظروف طبيعية معينة؛ أما البحث فى أصل الحياة والقول بالتولد الذاتى وهو بيت القصيد عند المادية فليس من اختصاص التطور على الاطلاق وليس احجام التطور عن تناول مثل هذا الموضوع ضربا من الاضراب عن العمل

٢ — الغريب حقا — وان كان لا يستغرب من الماديين أى عمل مهما كان مخالفا لطبائع الأشياء — أنهم قالوا بالتولد الذاتى ولم يثبتوه بتجربة اللهم إلا فروضا ما أنزل الله بها من سلطان، بل لو وصل المادية فيما بعد إلى إثبات التولد الذاتى بالتجربة فان هذا لا يزعزع مبدأ الملة الأولى عندنا (خلق الإنسان من صلصال كالفخار)

٣ — ان نظرية التطور لا نخالها فى جانب الطبيعيين بتاتا . وخير دليل على ذلك ما نراه من إلحاح الكائنات فى التطور والارتقاء وكأنه غاية يعقلونها، أو أن محركهم إلى التطور يعقلها تمام التعقل، ثم تناسق أعضاء الحى الواحد تناسقا إعجازيا يقوم برهانا واضحا على المنظم البصير بأعماله . وفضلا عن ذلك تمقد بعض الحلقات تمقدا لا يجعلنا نسلم بأن الظروف الطبيعية وحدها علة ذلك كله، أو أن كل هذا كان محض اتفاق واعتباط . هذه هى الصلة بين المذهب الطبيعى والعلم الحديث وما أضعفها من صلة وما أوهنها ! ولكن هيهات أن يعترف بهذا أصحاب هذا المذهب الكسيح . لكن هناك نقطة هامة يجمل بنا إجمالها قبل أن ننهى هذا المقال، وهى تدور حول نظرية النسبية للعلامة ألبرت إينشتين ؛ تلك النظرية التى أرجعت هذا الكون بما حمل إلى مجرد نسب زمانية ومكانية خالصة؛ وأثبت هذا على أسس رياضية سلم بها جميع الخاصة من أصحاب الرياضة . أقولها صراحة إن ظهور هذه النظرية كانت بمثابة لطمة صمق من جرائها المذهب المادى وخر صريعا وسط الميدان

هذه خلاصة موجزة لأهم الاعتراضات التى تقوم على هذا المذهب المتعفن . ولا يظن القارئ الفاضل أننا هنا قد وفينا هذا الموضوع بل لو كان فى نيتنا أن نوفيه حقه للزم ذلك المجلدات الضخام ولكننا هنا آثرنا أن نعرض أهم الاعتراضات العامة التى تنصب على قلب هذا المذهب المنهار فتكون كفيلة بالقضاء على بقاياه

محمد فرحات عمر



السـودان

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أو تدرى ما المثنى المفرد ؟ — مصر والسودان شيء أحد
هى كف ركبت فى ساعد — تجمع الشطرين فى الجسم يد
جفن عين دونه مقلتها — عم الأبيض منها الأسود
وجرى النيل حياة فيهما — مصدر الروح به والمورد
تقسم الأرض : إذا اليوم أبى — أن يرى كالأمس واليوم غد
أو يحد الأرض حد بارز — ليت شعرى أى حد وجدوا
هبة النيل التى لم ينفرد — بسمات منذ أهدى – بلد
وحد الكل على منهجه — منذ أن كان – وطال الأمد
وجرى الدهر على عادته : — ما ارتضى الأقوام شيئاً وطدوا
ارتضى الوادى لسانا واحدا — معبد الكثرة فيه المسجد
أمل الشقين فيه أن يرى — أجنبى عن حماه يبعد
وعدو الكل من يظلمهم ، — شرط أهل الود لا يعتدوا
عدد الإجرام مستعمرهم — ما لقطر حل فيه رغد
فى فلسطين رأينا يده — خربت عامره تلك اليد
لو بأمريكا استمروا لغدت — اتعس البلدان حتى يطردوا
جورج واشنطون فيهم قالها — قولة رد صداها الأبد
« سرطان بتره أولى به » — أهل طاغيهم عليه شهدوا
كل أرض غادروها صلحت — كل قطر دخلوه أفسدوا
شعلة النار التى أوقدها — بغضهم فى الهند ليست تخمد
دولة الخانات فى الهند سمت — وبنو القرصان لما يولدوا
ثم كان الأمر فى الهند لهم — فإذا الأمجاد فيها تفقد
وهوت فى أفقه أنجمهم — فعلا فى الهند نجم أسعد
سيرى الوادى بشطريه متى — ذهب المحتل مالا يعهد
جنت الهند وأمريكا التى — عندما ازاح العدو المبعد
وسنجنى نحن أضعاف التى — عندما يذهب هذا النكد
وحدة التاج ويجلو جندهم — وغد يحلو لنا ، نعم الغد

النيـل

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

(فى الشرفة المطلة على النيل ، وفى ليلة من ليالى القاهرة الساحرة ، كنت أتحدث إلى الناقد الكبير الأستاذ العداوى وكان يتحدث إلى فأرادنى أن أشارك بأشعارى فى معركة التحرير . وكان النيل ينساب فى ضوء القمر جيلا فاتنا ، فأوحى إلى بهذه القصيدة التى أهديها إلى أخى العزيز ، مع مودتي واعجابى)

نجا

...

من عالم فى الخيال — فى موكب من جمال
وعزة وجلال — يروى حديث المعالى
أقبلت يا ابن الليالى

...

غنت لك الشطآن — وذهرها الظمآن
والطير والأغصان — حنت ليوم الوصال
يانيل يا ابن الليالى

...

لما طلعت عليها — آتى الربيع إليها
وأينعت فى يديها — أزاهر الآمال
يا نيل يا ابن الليالى

...

يا منبتا فى الصحارى — نضارة وازدهارا
وفتنة لا تبارى — منسوجة من رمال !
يا نيل يا ابن الليالى

...

ويا ربيع الزمان — فى كل وقت وآن
تسرى بتلك المغانى — كالنور أو كالظلام
يا نيل يا ابن الليالى

...

ويا ربيب الغيوم من عهد فتق السديم
ويا عشيق النجوم من العصور الأوالى
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

أنت الهوى والأغانى وأنت لحن التدانى
وأنت نبع الحنان يسرى كذوب اللآلى
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

وأنت سر الحياة وأنت روح النبات
ومنشئ الجنات على الضفاف الخوالى
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

وأنت رمز الجهاد على مدى الآباد
وأنت روح البلاد جنوبها والشمال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

شهدت فجر الوجود مع الزمان البعيد
وكنت سر الخلود من أول الآزال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

وعشت دهرا ودهرا وأنت تنساب حرا
ومن تحداك . . . مرا وراح مثل الخيال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

والآن يبغى الأعادى على أولى الأمجاد
فلا عدتنا العوادى إن لم نطر للنضال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

وهل ترانا صبرنا على المدى وانتظرنا ؟
إنا غضبنا وثرنا على جنود الضلال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

فكن حمى ونارا وسابق الإعصارا
وحطم الأسوارا هناك عند القتال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

إنا سنحمى حمانا وسوف نفنى عدانا
ونستذل الزمانا سيوفنا والعوالى
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

ونحن نسل العظام من كل نجد همام
ونحن يوم الصدام نطيح بالأبطال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

آباؤنا علمونا ألا نخاف المنونا
وأن ندك الحصونا على رءوس الرجال
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

يا نيل دمت أمينا ودام خيرك فينا
وعشت تطوى السنينا إلى الذرا والأعالى
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

لأجل شعب كريم ممجد من قديم
والمليك العظيم المنتمى للمعالى
يا نيل يا ابن الليالى

• • •

سلمت فى خير حال من الردى والزوال
والأسر والأغلال على مدى الأجيال
يا نيل يا ابن الليالى

إبراهيم محمد نجا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أصبح الشعب حراً في اختيار اللغة الأجنبية الأولى :

كتبت بعدد « الرسالة » الصادر في ٥ نوفمبر الماضي تحت عنوان « اللغة الأجنبية الأولى » أنه لم يعد يليق بنا أن نظل خاضعين لحكم الاستعمار في فرض لغته علينا — دون غيرها — لغة أجنبية أولى

وقد ردد هذه الدعوة بعض الزملاء ، وارتفع صوت أحد النواب في البرلمان يقول : لماذا تبقى اللغة الإنجليزية لغة أجنبية أولى في بلادنا ؟

وفي الأسبوع الماضي نشرت الصحف قرار معالي وزير معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، الذي يقضي بأن تدرس في المدارس اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية ، على أن تكون إحدى اللغتين الأوليين أصلية وإحدى اللغات الأخرى إضافية . ومعنى هذا القرار أن يختار الطالب اللغة الأجنبية الأصلية التي يريد أن يدرسها من بين اثنتين : الفرنسية والانجليزية ، ثم تبقى واحدة منهما تضم إلى الإيطالية والألمانية على أن يختار الطالب واحدة من الثلاث لغة إضافة . والغرض من هذا أن يكون الشعب حرا في اختيار اللغة التي يتعلمها أصلية أو إضافية ، فإذا أجمع على اختيار الفرنسية دون الانجليزية لغة أصلية فقد حرر نفسه من ربقة الاستعمار اللغوي ، وقد يجمع أيضا على نبذ الانجليزية لغة إضافية ، والمهم — على أي حال — هي أن تجلى لغة أعدائنا الذين يسفكون دماءنا عن المكانة التي احتلتها في مصر باحتلالهم إياها

وقد تسأل : لماذا لم يصدر الوزير قرارا يقضي نصه بإلغاء تعليم الانجليزية كلغة أصلية ؟ خطر لي هذا السؤال أولا ، ثم تأملت القرار الذي صدر وقارنت بينه وبين ما يرمي إليه السؤال ، فألفيت القرار يؤدي إلى النتيجة المطلوبة ، ويمتاز بأنه يتيح الفرصة للشعب نفسه أن يكون حرا في اختيار ما يريد ، وخاصة أن هناك من يجادلون في هذا الموضوع ، فليكن الأمر إذن للشعب ، يتعلم اللغة التي يريدها

وأنا أتوكل على الله وأحرض على تجنب لغة المجرمين السفاكين الأدنياء

مسرحية « دنشواى الحمراء »

قدمت فرقة المسرح المصري الحديث هذه المسرحية الوطنية الجديدة على مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من أول ديسمبر الحالي . وهي من تأليف الأستاذ خليل الرحيمي وإخراج الأستاذ زكي طليمات

تخيل كاتب المسرحية أسرة تعيش اليوم في الاسماعيلية وقد عاشت حيث نشأت بدنشواي منذ خمس وأربعين سنة حين ارتكب الانجليز جريمتهم المنكرة سنة ١٩٠٦

تظهر الأسرة على المسرح في المنظر الأول بمدينة الاسماعيلية ، الأب الموتور في دنشواي يشجع ابنه الفدائي بالاسماعيلية ، والأم تجزع من مخاطرات ابنها وتلوم زوجها على تشجيعه ، فيذكرها الزوج بما جرى لهما في دنشواي ومن فقداه من أهلهما تحت مشانق الانجليز هناك . وتعود بنا المناظر التالية إلى دنشواي فتعرض الحادث الذي يلعن به التاريخ طغاة الانجليز ، وتنتهي هذه المناظر بفرار الشاب عبد الرازق (الذي هو الآن أب في الاسماعيلية) من وجه « العدالة » البريطانية التي كانت تنصب المشانق في القرية قبل صدور الحكم في القضية ! وتهرب معه رزقة (الأم) ثم يتزوجان في الاسماعيلية ويقيمان فيها . وتعود بنا المسرحية إلى « دنشواي الجديدة » حيث نرى شباب الوعي الجديد ينتقم لأسلافه في دنشواي القديمة بنسف معسكرات الانجليز والنيل منهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا

والقصة خيالها طريف ، وهي ترمي إلى عرض الفظائع الانجليزية في مصر وتصوير الروح المصريه إزاءها وإبراز الجهود الوطنية والإيحاء بكل ذلك إلى مواصلة الجهاد لتحرير البلاد . وقد نجحت في كل ذلك نجاحا أعتقد أن أكثر الفضل فيه يرجع

إلى الإخراج ، فقد تجلى الذهب الإيحائى الذى يجرى عليه الأستاذ زكى طليمات ، وقد بدا ذلك فى تنسيق التمثيل وفى المناظر وخاصة منظر المشنقة ولون حبلها الدموى وحلوكة قوائمها والجو المحيط بها

وقد برع فى التمثيل نعيمة وصفى التى مثلت دور الأم (رزقة) وبلغت القمة فى موقفها على الباب الذى اختبأ بداخله عبد الرازق هربا من رجال الادارة ، وهى تحمل فأسا تريد أن تنقض به . . كانت تمثل الجزع والشجاعة فى آن واحد !

وكانت زهرة العلا موفقة كل التوفيق في تمثيل خطيبة الشاب الفدائى بل فى تمثيل الفتاة الفدائية

أما عبد الغنى قمر فكان كعهدنا به فى تصوير شخصيات معينة وإبراز سماتها فى خفة وظرف ، فقد مثل فقيها ضريرا فى دنشواى فكان صورة حية لهذا الطراز فى القرى

ومثل عبد الرحيم الزرقانى عمدة دنشواى ، وأشعر أن كلمة « مثل » هنا غير دقيقة فقد كان هو العمدة نفسه . وألاحظ أن للاستاذ الزرقانى قوة عجيبة فى الاندماج بدوره

وأجاد عدلى كاسب فى تمثيل

كشكول الأسبوع

▫ ينعقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم ٢٤ ديسمبر الحالى ، وقد قدم إلى القاهرة بعض الاعضاء الأجانب لحضور هذا المؤتمر . ومما يذكر أن بالمجمع ثلاثة أعضاء مستشرقين هم الأستاذ ماسينيون الفرنسى وقد وصل أخيرا إلى القاهرة ، والأستاذ ليتمان الألمانى وقد اعتذر عن حضور هذه الدورة وختم اعتذاره بعبارة « فلتحى مصر » والأستاذ جب الانجليزى وينتظر ألا يحضر خجلا من أعمال مواطنيه فى مصر ..

▫ ذهب وفد من اتحاد المؤلفين والملحنين إلى وزارة المعارف فى الأسبوع الماضى ، وقابلوا معالى الدكتور طه حسين باشا ، وتحدثوا إليه فى مشروع قانون حماية الملكية الأدبية والفنية المعروض على البرلمان راجين أن يصل فضله فى هذا المشروع بالسعى لانجازه فقال لهم أنه مهتم به وسيتتبعه بنفسه حتى يصدر قريبا

▫ غنت أم كلثوم فى الأسبوع الماضى قصيدة « مصر تتحدث عن نفسها » لحافظ ابراهيم ، وهى حلقة جديدة فى سلسلة مختاراتها من شعر الماضين وقد سألها أحد الشعراء أن تغنى له قصيدة ، فقالت له : لما تموت !

▫ يؤخذ من أنباء المجر أن الحكومة المجرية قررت خفض سعر الكتب ٢٥ فى المائة ، وذلك لرفع المستوى الثقافى للشعب

▫ ومن تلك الأنباء أن « أندريه آدى » وهو أكبر شاعر مجرى ، أنشأ قصيدة يقول بها فى مخاطبة عمال المجر : « إن الذى يدفعكم هو مجاعة الخبز ومجاعة الكلام ومجاعة الجمال »

صدرت الأوامر فى ألمانيا الشرقية بتحريم تدريس اللغة الانجليزية في المدارس

المستشار الانجليزى المحقق فى دنشواى ، فكان مثالا للغطرسة والبرود السكسونى البغيض

وكان نبيل الألفى فى دور الشاب الفدائى يحتاج إلى قوة تعبيرية أكثر مما بدا منه ، وكذلك محمود عزمى فى دور (عبد الرازق) ، مع أنهما بطلا الكفاح فى المسرحية . وفى رأيى أن دور الشاب أليق بصلاح سرحان الذى عرفناه بالاجادة فى أدوار الحماسة والحب

الشعر الغنائى

على أثر ما كتبته منذ أسابيع تحت عنوان « الفن للفن » (١) فى مناقشة الصديق الكريم الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى ، تلقيت منه رسالة ضافية عاود النقاش بها فيما تناولت هذه الكلمة . وتشتمل هذه الرسالة على موضوعين أعرض أحدهما فى هذا العدد ، وهو الغناء فى الشعر العربى ، والموضوع الثانى خاص بالشعبية فى الأدب . وقد أثار فيما أثاره « أدب المناسبات » وأرانى مضطرا لارجائه إلى فرصة مقبلة لطول الكلام عليه ، كما يعبر مؤلفو الكتب الأزهرية القديمة

(١) العدد (٩٥٤) من الرسالة

يقول الأستاذ الناصرى بعد التحية والاعراب عن عدم ضيقه بما كتبت والارتياح إلى تهيئة الفرصة للمناقشة « وها أنا أهتبل هـذه الفرصة لأقدم لك الدليل على أننى لم أكن المجتنى ولـكنك تسرعت فـكتبت دون أن تفهم مرادى ، وهاك ما أنا أبغيه : قلت فى معرض الحديث عن الشعر العربى إنه لم يجد شاعر غنائيا منذ زمان امرىء القيس حتى الآن إلا المرحوم على محمود طه ، فأجبتنى بقولك : ماذا أبقيت إذن للشعر العربى ؟ هل أنا فى حاجة إلى أن أقول لك إن الشعر العربى فى مجموعه غنائى من امرىء القيس إلى الناصرى ماذا أقول لك ياسيدى ؟ أتظن أن ما حواه كتاب الأغانى من الشعر الغنى يصلح للغناء ؟ إذن لماذا لا يستطيع المغنون المبدعون الآن الشدو بما قاله الأولون ؟ أليس هذا دليلا على أن أوزان الشعر الماضية لم تكن تصلح مادة للغناء حاليا ؟ ولو أن شعراء الأندلس كانوا يعرفون أن الأوزان القديمة تصلح للغناء فى زمانهم لما استنبطوا الموشحات ، وأنت أدرى بلا شك بما وصل إليه شعراء الأندلس من التفنن فى الأوزان والخروج عن قواعد العروض . فهل بعد هذا يجوز قولك أن الشعر العربى من امرىء القيس إلى الناصرى غنائى ؟ أنا أعيذك ياسيدى من هذه الطرقة .. مع العلم بأن الشعر العربى عرف كل ألوان الشعر إلا شعر الملاحم والمسرحيات ، غير أنه وقف حائرا أمام الغناء حتى جاء على محمود طه »

وأقول للأستاذ الصديق : إننى لم أفهم غير مراده ، ولو أننى لم « أتسرع » ومكثت أتأمل كلامه إلى الآن لما خرجت منه إلا بأن الشعر العربى لم يعثر على شاعر عربى غنائى بعد امرىء القيس إلا على محمود طه .. فاذا كان هذا غير المراد فما هو المراد إذن ..؟

وأراد الأستاذ الناصرى أن يدلل على ما قال ، فتساءل عما حواه كتاب الأغانى من شعر مغنى : هل يصلح للغناء ! وأقول نعم قد صلح فعلا وإلا ما غنى . وهل ينفى صلاحه للغناء أن المغنين الحاليين لا يغنونه ؟ ! وهل هم لا يغنونه ؟ ألم يسمع الأستاذ الأغانى المختارة من الشعر العربى — الذى عاش أصحابه بين امرىء القيس وعلى طه — يغنيها عبد الوهاب وأم كلثوم وغيرهما ومن هذه الأغانى قصائد شوقى التى قيلت فيما بين امرىء القيس وعلى طه..

ولست أدرى لماذا اختار الأستاذ امرأ القيس دون سائر الشعراء فى عصره وما بعده ! وماذا يجعل شعر امرىء القيس غنائيا وشعر عمر بن أبى ربيعة مثلا غير غنائى ..؟

ويقول إن الأوزان الماضية لا تصلح للغناء الآن . وأنا أسأله: ألست تنظم على هذه الأوزان ؟ وأنت باعترافك الشاعر الغنائى الثالث فى الشعر العربى بعد امرىء القيس وعلى طه ، بل « أنتم الثلاثة » شعركم على هذه الأوزان، فـكيف تطيع الغناء فى شعركم وتستعصى عليه فى شعر غيركم ..؟

وكيف علمت أن شعراء الأندلس استحدثوا الموشحات لعدم مطاوعة الأوزان القديمة للغناء ؟ أو لم يغن الأندلسيون شعرا على تلك الأوزان ؟

ثم تقول — يا صديق — ان الشعر العربى عرف كل ألوان الشعر إلا شعر الملاحم والمسرحيات وإلا الشعر الغنائى . . . فقل لى بالله : ما هى الألوان التى تعنى أن الشعر العربى عرفها إذا كانت كل هـذه مستثنيات منها . . ؟ نعم إنه لم يعرف الملاحم والمسرحيات، أما الشعر الغنائى فإن شعراء العرب لم يعرفوا غيره. وقد جاريتك فيما سبق على اعتبار أن الشعر الغنائى هو ما غنى فعلا أو ما يصلح للتلحين والتطريب ، والآن حان لنا أن ننتقل إلى ما قرره علماء الأدب المحدثون ، وهو أن الشعر إما قصصى أو تمثيلى أو غنائى ، ويقصد بالنوع الثالث مايقول الشعراء تعبيرا عن خوالج النفوس كأنهم يتغنون بها ، والشعر العربى كله من هذا القبيل وعلى هذا المعنى سمى الأستاذ محمود حسن اسماعيل أحد دواوينه « هكذا أغنى » والله أعلم . .

قد لا يكونه

تلقيت رسالة من الأديب الفطن أحمد مختار عمر الطالب بمعهد القاهرة الدينى ، عقب فيها على ما كتبته فى العدد الأسبق من الرسالة بعنوان « إنه لحن فصيح » فأعرب عن ارتياحه إليه ، ثم أبدى الملاحظتين الآتيتين :

١ — ويعترض الأستاذ بربرى على الدكتور طه حسين



أناشيد المهزلة العربية

تأليف الأستاذ محمود الحوت

للأستاذ نجاتي صدقي

أصدر الشاعر الفلسطيني الموهوب الأستاذ محمود الحوت قصيدة مطولة نقع ، في ستة وعشرين نشيدا . أطلق عليها اسم (المهزلة العربية — أناشيد عربي من فلسطين ضل في الآفاق) فقدمها :

إلى القائد الذي سيسترد أول شبر

إلى الكتيبة التي ستغرس أول بند في تربة الفردوس المغتصب

إلى اكل من سيلبي النفير العام

إلى الشعب العربي الأكبر

وقد عمد الشاعر في أناشيده هـذه إلى استعراض النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني وما رافقها من أخطاء ، فجاءت الأناشيد سياسية تتسم باتجاه مجازي ، أي أن الشاعر لا يقصد في نقده للسياسة التي اتبعتها الدول العربية في فلسطين الاعراب من وجهة نظر سياسية معينة ، فلما يقول :

لو لم يقولوا احتضناها لما وقمت ... ولا تنافر عنها الأسد كالغنم

فلا يعني أنه لا يريد تدخل الدول العربيـة في القضية الفلسطينية ، ولـكنه ساخط على النتائج

وحين يقول :

ليت العروبة في إبان وثبتها ... لم تشهر السيف بتارا ولم تثب

ليت العروبة ما زالت تهددهم

من خلف عسكرها المستأسد اللجب

إذن لـكان لها في قلبهم هلع ... وكان بعض الذي نبغيه من أرب

فهو هنا أيضا يعرب عن ألمه لعدم تمكن القوات العربية من إحراز الانتصار ، وحثها في الوقت ذاته على الأخذ بالثأر ، ويتضح لنا ذلك من كلمة الإهداء

وهكذا يسير الشاعر في أناشيده من نقد إلى نقد ، وهو يشنها حربا شعواء على من وعد ونـكث وأقبل وأدبر .

وأكرر القول بأن الأستاذ الحوت لا يبغي من « هجومه » السياسي هذا إلا استثارة العواطف ، وشحذ الهمم ، وهو على حق فيما رمى إليـه . لأنه يخشى أن تمتد يد السوء إلى الأقطار الشقيقة المجاورة وعندها تنتقل المسألة من نـكبة صغرى إلى طامة كبرى

لقد برهن شاعرنا في ملحمته هذه على أنه فنان قدير ، يتقن اختيار الكلم ، وحسن الوصف والتصور فيقول في نشيده الأول:

بئس الحياة التي هان الزمان بها ... فلم تمد غير خفق صامت بدم

أي أن الحياة هـذه هي خفقان القلب لا أكثر . . وهـذا لعمري أقصى ما يمكن أن يقال في التشاؤم

لإتيانه بـ « لا » بعد «قد» . ومع أن ذلك المنع عام في «قد» تحقيقية كانت أم تقريبية أم تقليلية فإني لا أجد وجها لهذا المنع مع « قد » التقليلية بعد قول ابن مالك :

ولاضطرار أو تناسب صرف

ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

وبعد قول ابن هشام في كتابه المغني : « يتعين مرادفة هل لقد إذا دخلت عليها الهمزة ولا تتعين لذلك إذا لم تدخل عليها بل قد تأتي لذلك . . وقد لا تأتي له

٢ — وأما إنكاره على الدكتور طه حسين قوله « سوف لا يكون » فالذي أفهمه أن الاعتراض — إن وجد — إنما يكون على الفصل بين سوف وفعلها لا على نفي المسوف بهـا ، وحتى هذا لا أرى ما يبرره ، كيف وقد فصل الشاعر بينها وبين فعلها في قوله :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

عباس خضر

ويقول أيضا :

سلب العقيدة ما لانت عزائمه — كأنه فى صراع المشركين نبى

تشبيه جميل للشعب العربى الفلسطينى بأنه رسول حتى يحارب الوثنية الاستعمارية

ثم يصف وصفا أليما خروج أهل يافا هائمين على أمواج البحر فيقول :

لئن نسينا فلن ننساه ذا شره
جهم الضمير ، عبوس الوجه مصطفقا
غضبان ، يهدر فيه الغمر، مائجة — جباله ، زاحفات بالردى غرقا
والناس فى عرضه حيرى زوارقهم — كالريش فى عصفات الريح منطلقا
مدوا على الأزرق العاتى بساطهم — كى لا يروا حرم الأبطال مخترقا

وهو يرى فى تشتيت عرب فلسطين « طريقة » سهلة للقضاء على الشعوب المستضعفة فيقول :

من شاء إفناء جيل فليكن حذرا — من قتلهم بالسيوف البيض والنار
يكفى فناء بطيئا فرط عقدهم — ونثرهم غرباء الحى والدار

وأجمل ما قيل فى الكونت برنادوت وفى نهايته العجيبة :

شيخ وإن قيل قد طابت ظواهره — فنحن لم ندر ما ضمت سرائره
رمت به فى فم الجلى منظمة — رعناء فاستلم القربان ناحره
ما مزق المجرمون الكونت بل نحروا
ومزقوا أمما كانت تظاهره ! . .

وكفر الشاعر بالزعامات ، ويأبى الاجتماع بها حتى فى جنات النعيم فيقول :

فهل تخلد أصناما ترقصها — شمطاء ما روضت إلا تعابينا
لو أن جنة خلد تحتنا فرشت — وأنتم جيرة — وردا ونسرينا
لعفتها بعد أن أمسيت مرتحلا
فى الكون قد ضل لادنيا ولا دينا

ونقم الشاعر على الشعب الذى لا تحركه النكبات ، فيقول له هذا البيت البديع :

حتى الوفاة لها يا قوم يقظتها
قبل الرحيل إلى الفردوس أو سقرا ..

ومستهل نشيده التاسع عشر بهذه الصرخة المدوية :

فما نسينا دماء ها هنا وهنا
غصت بها الأرض من حاب ومنطرح
إن لا نعىّ قوى التاريخ أعنفها
والحاضر الجهم والمستقبل السمح
ونتحد أمة تفنى بها أمم — وتنفض النوم عنها صيحة الجرح
فلا فلسطين تبقى بارفاق لنا
ولا الشقيقات (من أدر) إلى (رفح)

هذه صرخة كل فلسطينى شردته العدالة الديمقراطية فى نهاية النصف الأول من القرن العشرين .. بل ولا تزال تمعن فى تشتيته وتشريده غير عابئة بأبسط حق من حقوقه العامة ليعيش فى بيته ووطنه ، وغير مكترثة بحق الملكيات الفردية التى تدافع عنها بإيمان وحرارة

وما أن يذكر الشاعر المسكين مسقط رأسه يافا ، البلد الذى نشأ فيه وترعرع ، والذى بنى فيه مستقبله ومستقبل أولاده ، حتى استحال إلى مجموعة من الأسى والألم ، فوكل أمره إلى الله بعد أن يئس من عبيده وعبدانه ، وقال :

يافا ، لقد جف دمعى فانتحبت دما
متى أراك ، وهل فى العمر من أمد
أمسى ، وأصبح والذكرى مجددة
محمولة فى طوايا النفس للأبد
كيف الشقيقات ، يا شوقى لها مدنا
كأنها قطع من جنة الخلد
ما حالها اليوم يا يافا وهل نعمت
من بعد أن سلمت أمسا يدا بيد
وكيف من قد تبقى فى مرابعها
وقد تركناه فيها ترك ملتحد
ما بال قلبى إذا ما سرت من بلد
يصيح من وجده فى الصدر : وابلدى
مهما استقام به من عيشة رغد
وجدته هازئا بالعيشة الرغد



المسرح المصري

في خدمة العقيدة الوطنية

للأستاذ علي متولي صلاح

كتب الأستاذ زكي طليمات في العدد الفائت من « الرسالة » فصلا عقده على الموازنة بين نظريتين من النظريات التي توضح أهداف الأدب والفن وما ينبغي أن يتجها إليها ، وموقف المسرح المصري الآن من هاتين النظريتين والأحداث تغمر البلاد ، والنفوس تغلي بالثورة والغضبة الكبرى ؛ إذ المسرح — كما يخفى — جماع الأدب والفن معا

أما النظرية الأولى فهي أن يكون الأدب والفن « لمجرد الأدب والفن ، إشراقات تصفي الذوق وتصقل الروح وتنمي حاسة إدراك الجمال . وسبحات في آفاق المعاني والخيال المشتهى ولمسات ترق بالنفس إلى أعلى مدارك النور . » كما يقول الأستاذ

وأما النظرية الثانية فهي أن الأدب والفن لابد أن يكون كل منهما « أولا وأخيراً لمعالجة ما يشغل أذهان الناس تبعا لمشكلات حياتهم ، ولتناول ما يعنيهم في كفاحهم مع العناصر التي تحيط بهم ؛ ابتغاء تيسير أسباب الحياة الاجتماعية في ناحيتها الإيجابية ومعاونة الشعوب على التقدم والارتقاء . »

أي أن الأستاذ وازن بين النظريتين المعروفتين من نظريات الأدب وهما : — نظرية « الفن للفن » التي ظهرت في القرن الماضي ، والنظرية « الوجودية » التي ظهرت خلال هذا القرن بل خلال أيامنا هذه ، والتي أخذت براعمها تتفتح هذه الأيام وأخذت فكرتها تنتشر هنا وهناك وتلقى القبول عند الكثير من الناس في مختلف البلاد ويوشك المستقبل أن يكون لها دون سواها من نظريات الأدب الأخرى

ثم خلص الأستاذ بعد ذلك إلى ترجيح النظرية الثانية ولكن في فترات من حياة الشعوب يكون لزاما فيها على الأدب والفن أن يكونا « خالصين متوفرين لخدمة المجتمع في أهم ما يشغله سواء كان هذا الشاغل عرضا إلى زوال ، أو مبدأ قد يغير من جوهره على مر الأيام »

وكان هذا منه تمهيدا للمسرحية التي يقدمها للناس في هذه الأيام باسم « دنشواي الحمراء » والتي يقدمها كما يقول « صفعة من جانب المسرح المصري في وجه الاستعمار »

أما المقارنة والموازنة التي أقامها الأستاذ بين هاتين النظريتين فعندي أنه لم يبق محل لها وقد ماتت نهائيا نظرية « الفن للفن » وأصبح هذا الفن الخالص — كما قلنا في كلمة سابقة — مرادفا للفن الفارغ ! وأصبحت هذه الأبراج العاجية التي يقولون عنها بمثابة رفوف أو دواليب أو متاحف أو معارض للزينة والفرجة ! وليس من الأدب في شيء مالا يعالج قضايا الحياة التي يحياها

تعبت لكنني ما زلت في تعبي
أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد

لقد اختار الشاعر اسم (المهزلة العربية) عنوانا لأناشيده ، وهو اسم عنيف ، مبالغ فيه ، ومن الانصاف أن نذكر أن عددا لا يستهان به من أخواننا العراقيين ، والأردنيين ، والمصريين ، والسوريين ، قد لاقوا حتفهم في فلسطين .. أما فشلهم في التغلب على الخصم فله أسباب عديدة لا مجال لبحثها في هذا المقال

(المهزلة العربية) اسم مشتق من (المهزلة الإلهية) لدانتي ، فالشاعر الإيطالي يسخر من أناس خطاة يتقلبون بين طبقات الجحيم . وشاعرنا يحمل على أناس أكثر من خطاة وجلهم في نعيم الدنيا مقيم

(المهزلة العربية) وثيقة اتهام شعرية ، ورسالة أدانة عاطفية ، طبعت في بغداد ، وضمت إلى (مكتبة القضية الفلسطينية) في دمشق ، ونرجو مع الشاعر ألا نضم إلى المكتبة الاندلسية

نجاتي صدقي

الناس ، لا فى فترة من الفترات كما يقول الأستاذ بل فى جميع الفترات على السواء ، ولا فى العظيم الجليل من أمور الحياة بل فى الصغير الضئيل من أمورها ، فليس الأدب وليس الفن حلية وزينة وزخرفا وبراقش تأخذ بالأبصار وتبهر العيون ، ثم تخبو فلا أثر لها ، وتذهب فلا صدى وراءها اللهم إلا نشوة ساعة !

هذه دولة قامت للأدب يوما ثم دالت ولا نحسبها تعود يوما ، فالأدب الآن أشد الأشياء التصاقا بالحياة ، والأدباء الآن مثلنا تماما يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، بل إن من أهم واجباتهم أن يمشوا فى هذه الأسواق !

فلننظر ماذا كان عليه موقف المسرح المصرى — والمسرح كما قلنا قبل هو جماع الأدب والفن — وهل استطاع حقا أن ينهض « بتغذية الوعى القومى ومساندة عقيدة النضال بتذكير الناس بما يجب أن يذكروه وبتبصيرهم بما يجب أن يكون ماثلا فى أذهانهم » ؟؟

لقد اختارت فرقة المسرح المصرى الحديث من أجل هذه الأغراض الوطنية روايتى « مسمار جحا » التى افتتحت بها الفرقة موسمها بدار الأوبرا الملكية واستمر تمثيلها بها طول موسمها بهذه الدار ، ورواية « دنشواى الحمراء » التى تقوم هذه الفرقة بتمثيلها الآن على مسرح حديقة الأزبكية . فهل استطاعت هاتان الروايتان أن تحققا هذه الأغراض التى ينوه بذكرها مدير الفرقة ؟ أشهد أن الحق — وهو فوق كل اعتبار — يقتضينى أن أقول «لا» . فلو أريد بقضية « مسمار جحا » هو « قنال السويس » فى قضية وطننا كما يذهب إلى ذلك الأستاذ زكى طليمات فيما يكتب وفيما يقول ، . . لو أريد بها ذلك لكان إضعافا للقضية الوطنية وتهوينا من شأنها وتوهينا لقوتها وعدالتها ووضوح حجتها ! فالدار كانت ملكا حلالا لصاحبها فباعها بالثمن المقبوض وبالعقد الشرعى واشترط بقاء المسمار ليجعل منه ذريعة لغشيان الدار فى إلحاح وإثقال ، فهل كانت مصر ملكا حلالا للانجليز فباعونا إياها بالثمن المقبوض وبالعقد الشرعى واشترطوا بقاء قناة السويس ليجعلوا منها ذريعة لاحتلال مصر ؟ والغريب أن الأستاذ المؤلف لم يذهب هذا المذهب الذى ذهب إليه الأستاذ المخرج ولم يعقد هذا القياس بين القضيتين !

. . . أما مسرحية « دنشواى الحمراء » فالأمر فيها أدهى وأمر ، فما دنشواى — فى نظر الحق والصدق — إلا صفحة مخزية للخيانة الوطنية من كبار المصريين !! وهيهات أن يتجه الذهن عند ذكر دنشواى إلا إلى هذه الخيانات العظمى التى ارتكبها فريق من المصريين والتى كانت البذر لما ارتكبه الإنجليز من فظائع وويلات اقترحها عليهم المصريون بل قضى بها المصريون قضاء له صورة الحق وإطار العدالة !!

على أن المسرحية امتدت إلى تصوير ما يجرى الآن من حوادث فى القنال على أنه « دنشواى الحديثة » فقصرت تقصيرا شديدا فى إبراز جوانب الوطنية المصرية المتأججة فى الصدور هذه الأيام ، وليس أدل على ذلك من إنها أغفلت أهم مظهر وطنى بل أهم حدث وطنى رائع جليل وأعنى به موقف العمال المصريين هناك !! هؤلاء العمال الذين كانوا أول مسمار فى نعش الإنجليز ؛ هؤلاء الذين طووا بطونهم على الجوع وتركوا موارد أرزاقهم وأبوا أن يكونوا مع الغاصبين والبلاد جميعها تنادى بنبذهم وطردهم !!

وأغفلت كذلك موقف الجنود المصريين وقد انقلبوا بين عشية وضحاها إلى صفوف الشعب وفى كتائب الشعب يرمون أعداءه ويحمون أبناءه ، وقد كانوا من قبل سواعد الإنجليز فيما ينزلون بأبناء البلاد من عسف واضطهاد ..

وأغفلت كذلك موقف « الحكومة » وقد صارت إليها قيادة الثورة فى البلاد ! حتى أصبح الوزراء يقومون وهم فى دست الحكم بما لم يكونوا يقومون به إلا يوم يعتزلون هذا الحكم ويمشون فى ركاب الشعب كالجبان الذى إذا ما خلا بأرض طلب الطعن وحده والنزالا !

إن هذه المسرحية لم تستطع أن تصور هذه الظواهر الجديدة الهامة ، ولا أفهم أن تذكر حوادث القنال دون أن تذكر هذه الأشياء

والذى يبدو ، أنها كتبت على عجل ، وأنه أريد لها أن تسبق إلى الظهور قبل أن تمتد إلى موضوعها يد أخرى ! وما بمثل هذا يكون الفن ، فالفن أناة ومهل وتأمل . والفن ليس سباقا فى ميدان ينال فيه الفائز الأول الجائزة الكبرى !

علي متولي صلاح



إلى صاحب الرسالة :

للرسالة تاريخ مجيد . تاريخ نهضة أدبية موفقة ، كنت أنت يا صاحب الرسالة لها مشعلا ، وكان أقرانك الآخرون حماة . وكنت أنا — رعاك الله — أحد المعجبين بها ولا أزال ، لأنها حلقة « اتصال » .. بين المدرسة المخضرمة والمدرسة الحديثة

كنت أقرأ لك المقالات البليغة فيسحرنى رفيع معنى ودقة تعبير وسامى بيان . وأعيش الساعات بين صفحات « وحيك » فأنعم بخير أنيس .. وخير أنيس فى الزمان كتاب

والآن . . والشرق يجتاز أحرج الفترات فى تاريخ نضاله ضد البربرية والهمجية . والشعوب المستعمرة تنفجر فيها براكين الثورة على غاصبى الحق ، وسافكى الدماء ، ولصوص البشرية . على البرابرة الذين نعتهم المداوى « بأنهم مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضيعة الضمير والخلق ، وانحطاط الشعور والإنسانية ، وانتفاء العدل والإنصاف ، وتلك هى العناوين الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة حين يعرض للحكم البريطانى فى كل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان ! »

نعم ! فى هذه الفترة القاتمة . وبين دخان البارود المتكاثف فى سماء القناة وميادين الخرطوم لا أسمع لصوتك نبأة ولا أرى لقلمك خطا !

أليس بكاف أن تكون أنت صاحب « رسالة » ! وهل رسالة الأديب سوى قيادة الجماهير إلى حياة حرة كريمة ومجتمع راق سعيد ؟

ياصاحب الرسالة هذا صوت ينحدر إليك من أقاصى الجنوب ، صوت كله ألم وحرارة ، صوت يطلب منك أن تنزل من برجك العاجى إلى الشعب فى معركته .. معركة الحرية والشرف والكرامة فهل أنت لندائى مجيب ؟

وفى الختام أقدم إليك وأنت فى الشمال تحية إخوان لك فى الجنوب « إخوان لك فى الله والدين والوطن » . إليك ياصاحب الرسالة تحية كفاح صلب وإيمان عميق

حسين بازرعة

بور سودان

(الرسالة) : أشكر للأخ الفاضل جميل رأيه وحسن ظنه ، ولعل فى افتتاحية العدد الماضى من الرسالة جوابا عن سؤاله

حول اللحن الفصيح :

رعى الله الأديب اللامع الأستاذ « عباس خضر » حين أطلق هذه التسمية على مقول العالم الجليل معالى الدكتور طه حسين باشا : « يريدون أن يضحكوا من رؤساء التحرير والصحف (فيدخلون) عليها فصولا نشرت على أنها لم تنشر » تقول : حياه الله ، فقد أبدع فى التسمية ، ووفق فى تحقيق المقام ، ودل على سعة الأفق فى الفهم ، وكنت أعددت ردا على الأستاذ « بريرى » ، لكنى آثرت المهلة لأرى محجة الأستاذ الأريب « خضر » حتى طالعت إلمامته الشاملة الجامعة بالعدد (٦٩١) من الرسالة الزهراء . .

لكن بقى فى النفس شئ ، أود تحقيقه توكيداً لفصاحة اللحن المزعوم ، فإن العبارة « يريدون أن يضحكوا فيدخلون » برفع الفعل المعطوف سليمة من كل عيب ، نابضة بالعروبة الأصيلة بحسب الذوق والتقعيد

إن العلم يقول : (المفعول به قيد فى الجملة) ، والمصدر المؤول من أن والفعل فى (أن يضحكوا) واقع موقع المفعول به ، وتقدير الكلام : (يريدون الضحك) فالفعل المنصوب فى واقع الأمر يؤدى مؤدى إكمال (يريدون) ؛ أما (فيدخلون) فأمر آخر ، إذ يراد النص على وقوع حدثين (الإرادة والإدخال) ، ومقتضى هذا أن يكون العطف المرتب لهما مستدعيا رفع الفعل المضارع المغلوط رفعه فى الوهم ! ذلك ما نراه ويراه — فى اعتقادنا — العلم الصحيح ، وتكون الدعوى المهولة من الأستاذ بريرى لها مكان البطلان !

لقد سقنا هذا التحقيق من دون ارتجال ، فالعلم المرتجل مصيره الزوال ، لكنا اعتمدنا على قول ابن هشام فى التوضيح : (وقيدنا الفاء بالسببية ليخرج ما كان منها للعطف على الفعل ، أو للاستئناف نحو : ولا يؤذن لهم فيعتذرون)

وبعد ، فما أجل تسمية الأديب المبدع الأستاذ (خضر) ! وما أجل العلم إذا بعد عن شهوة النفس ، وتشهى الأغلوطة فيما هو أبلغ من الفصيح !

بور سعيد أحمد عبد اللطيف بدر

« وارف » و « وريف » :

كتب الأديب عبد الحميد الرشودى كلة بالعدد (٩٦٢) من الرسالة أنكر فيها على الأستاذ الشاعر إبراهيم محمد نجا قوله : « كما انطوى فى القيظ ظل وريف » . وذكر أن الصواب « .. ظل وارف » ، وأن هذا الاستعمال خطأ شائع

وقد أخطأ الأستاذ الرشودى فى ذلك ، فكلا التعبيرين صحيح لا شئ فيه ؛ وذلك لأن « وريف » مصدر « ورف » ، بفتح الفاء والعين ، يقال : ورف الظل وريفا إذا اتسع وامتد . وقد ورد عن العرب كثيرا وصفهم بالمصدر فقالوا : هذا رجل عدل ، ورضا ، وزور ، بفتح الفاء وسكون العين ؛ وفطر ، بكسر الفاء وسكون العين ، وإلى ذلك يشير ابن مالك بقوله :

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكيرا

وذلك إما على التأويل بالمشتق أى عادل ، ومرضى ، وزائر ، ومفطر ، وهذا هو رأى الكوفيين ، وإما على تقدير مضاف أى ذو عدل ، ورضا .. الخ ، وهذا رأى البصريين ، وإما على إرادة المبالغة بجعل الموصوف هو نفس العدل ، ونفس الرضا .. الخ . وكل هذا يقال هنا . ويكون المعنى حينئذ إما على تقدير مضاف أى ظل ذو وريف أى اتساع وانتشار ، وإما على تأويله بالمشتق ، وإما على إرادة المبالغة

وإذن : فالتعبير صحيح لا غبار عليه . ولعل الشاعر تعمده ليؤدى ما يريده من المبالغة والتكثير

أحمد مختار عمر
بالجامعة الأزهرية

(١) خطأ عروضى :

فى قصيدة (الشعور المكبوت) بالعدد (٩٦١) من الرسالة الأثيرة وقفت عند هذا البيت :

(وتلالها لكين منها ثالث جن فهل رد عقله المستعارا)

فهو من بحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) مرتين .. وقد تعثر وزنه فانكسر . . فهل للشاعر الأستاذ النشار أن يصلحه ليستقيم ميزانه . وتسلم القصيدة الفريدة فى معناها ومبناها !

(٢) مهيب لا مهاب :

لعل الأستاذ مطر حين قال فى قصيدته (من الأعماق) بالعدد المذكور :

(تحررنا من الأغلال فانهض سليل المجد مرموقا مهابا)

لعله قصد من كلة (مهابا) إلى ما تؤديه كلة (مهيب) من معنى التوقير والتقدير ، فهى اسم مفعول من « هاب » يهاب فهو مهيب ومهوب ، أما مهاب التى وردت فى البيت فهى من « أهاب » به يهيب به إذا زجره عن الشئ فهو مهاب أى مزجور . فهى على المعنى المراد للشاعر فى البيت خطأ صوابه (مهيب) بفتح الميم كما أوضحت الآن

محمد محمد الأبشيهى
المدرس بنبروه الثانوية

جلول الدماء فى القنال :

إن لهذه الدماء المصرية التى أريقت بغيا وظلما فى ساحة القنال جلالا ، يجب أن تقدره مصر حق قدره ، ويجب أن



من قيد إلى قيد

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور

« سرقة من خزانه الملك ! »

ذهبت هذه الصيحة تطوى المدينة طيا . لابد أن يقبض على السارق حتى لا يصيب قائد الحرس أذى

وكان فاجارسن قد هبط إلى الثغر غريبا عن أهله ليبيع جياداً في المدينة ؛ فسقط عليه عصبة من اللصوص سلبته كل ما كسب، وألجأته إلى أطلال معبد خارج أسوار البلدة . فألقوا عليه التهمة ، واقتادوه مغللا إلى السجن مجتازين به شوارع المدينة

وكانت « شياما » المتجبرة ذات الجمال الفتان جالسة في شرفتها تطل في تراخ على الجمع المار . فإذا هي ترتعد فجأة وتصيح بوصيفتها : « وا أسفا ! من ذلك الشاب ذو الوجه النبيل والجمال النوراني ؟ ذلك الذي يرسف في الأغلال كأنه لص ؟ سلى رئيس الجند باسمي يأت به إلى »

وجاء رئيس الحراس بالسجين وقال لشياما :

ليس في الوقت متسع لإجابتك ياسيـــدتي إلى ما ترغبين ؛ فعلي أن أهرع إلى الملك إطاعة لأمره »

ورفع « فاجارسن » ـ سريعا ـ رأسه ، وصاح :

« من أغراك يا امرأة بأن تأتي بي من الطريق لتسخـري مني بفضولك المجيب ؟

فقالت شياما :

« أسخر منك ! إنه لحبيب إلى أن أنزع حلى فأضع مكانها أغلالك ! »

ثم التفتت إلى رئيس الجند وقالت :

« إليك كل ما ملـكت يميني وأطلقه حرا »

فانحنى الرجل وقال :

« ليس الأمر في وسعي . لابد من ضحية نطفئ بها غضب الملك »

فتوسلت إليه شياما قائلة :

« إنني لا أطلب للسجين غير مهلة يومين »

فابتسم رئيس الجند ووافق

وفي نهـاية الليلة الثانية من اعتقال فاجارسن رتل السجين صلواته ، وجلس في اللحظة الأخيرة يكتب وإذا بالباب يفتح وبالمرأة تدخل حاملة في يدها مصباحاً . ثم أشارت لحل الحارس وثاق السجين ، فقال الشاب :

« لقد جئت إلى بهـذا المصباح — أيتها المرأة الرحيمة —

لا يغيب عن مصرى واحد ، إن هـذه الدماء عزيزة على نفسه عزة دمائه عليه ، وأنه لن يستريح له بال ولن يهدأ له خاطر حتى يثأر لها من أعدى أعداء الإنسانية والمروءة والرحمة من قراصنة العـالم ، ومجرمي الحروب ، وقطاع الطرق . . . أحفاد بريطانيا

وكأني بالقاهرة المدللة النشوى لم تستيقظ بعد ، ولم يطن في أسماعها التي أصمها اللهو والصخب دوى الرصاص على قنال السويس، فهي لا تزل سادرة في عبثها ولهوها ، ومجونها وصخبها ، وكأن شيئا لم يحدث في بقعة من أعز بقاع مصر . . هي هي كما كانت من قبل ملاهيها وحاناتها وسهراتها ، حتى الإذاعة المصرية (النابهة) لا تزال تفرض على الشعب المنكوب الأغاني الساقطة والموضوعات التافهة ، والتمثيليات الهزيلة ، والفكاهات المنكرة

ألم تكن هذه الفترة الخطيرة المتأججة كفيلة بأن تحمل القاهرة على الحد من شرورها ؟ والملاهي والمسارح والحانات والسهرات على الحد من غلوائها ؟ والأذاعة البلهاء على الحد من سفسافها ومهازلها ، إجلالا لهذه الدماء المصرية التي أهرقت في سبيل مصر ؟

بهجة المنشاوي

سكرتيرة جماعة السيدات المسلمات بالقاهرة

كما يطلع الفجر بنجمة الصبح بعد ليلة حمى وهذيان »

وصاحت شياما :

« رحيمة حقا ! » وانفجرت ضاحكة حتى سالت من عينيها الدموع ، وصرخت قائلة :

« ليس بين أحجار هذا السجن ما هو أصلب من قلب هذه المرأة وأقسى . » وأمسكت بيد السجين فاقتادته خارج الأبواب

* * *

أشرقت الشمس على ضفاف الفارونا ، وكان زورق على المرسى ، قالت شياما :

« تعال معى فى هذا الزورق أيها الشاب النازح ، وحسبك أن تعلم أنى قطعت كل أغلالك ، وأنى معك فى هذا القارب »

وانزلق القارب فى هينة ولين ، وغردت الطيور فى مرح وحبور ، وقال فاجارسن

« خبرينى يا غرامى ! بأى ثروة اشتريت حريتى ؟ » فقالت شياما :

« هيه ! ... ليس الآن ... »

* * *

تكبدت الشمس السماء . وعادت نساء القرية إلى دورهن وثيابهن تنز بعد الاستحمام ، وجرارهن ممتلئة بالماء، وانفضت السوق فالتمع فى الشمس طريق القرية الخالى ...

وهبت نفحات الظهر الدافئة فأزاحت النصيف عن وجه شياما ، فهمس فاجارسن فى أذنيها :

لقد أخرجتنى من غل يزول إلى غل يدوم مدى الحياة . ذرينى أعرف كيف فعلت ؟

فأسبلت المرأة النصيف على وجهها وقالت : ليس الآن يا حبيبى ...

* * *

وأغطش الليل ، وراح النسيم الوانى ، والتمع الهلال العليل على حواشى الماء ذى السواد الحديدى

وجلست شياما فى الظلام ، وأراحت يدها على كتف الشاب ، ونام شعرها بين ذراعيه وهمست فى خفوت :

لقد أتيت من أجلك أيها الحبيب أمرا إدا ؟ يبد أن إخبارك به أشد وأقسى . لأكشفنه لك فى كلمات قصار : لقد حل عنك أغلالك بوتيجا ، وهو فتى شفه الحب وأضناه الهوى ؛ وادعى الجريمة وأهدى إلى حياته .... فى سبيل حبك اقترفت ما اجترمت يا أعز حبيب !

كانت تتكلم والهلال الشاحب يضوى ويزول ، والطيور تأوى إلى أوكارها فتسلم الغابة لسكون عميق

وانسل ذراع الشاب فى هدوء من حول خصر المرأة وتصلد الصمت من حولها واستحجر فى الآذان . .

وجثت المرأة خجلة عند أقدامه ، وتعلقت بركبتيه صائحة :

غفرانك أيها الحبيب غفرانك ! . دع العقاب لله ؛ هو يجزينى على ما قدمت يداى !

وانتزع فاجارسن ساقيه بعيدا ، وصاح فى صوت أبح :

تشترين حياتى بثمن الخطيئة ! لعنة الله على كل نفس من أنفاس حياتى !

وهب واقفا ؛ وقفز إلى الشط من القارب ، وغاص فى ظلام الغابة ، وظل يسير ويسير حتى انقطع به الطريق ، واستوقفته الأدغال المتكاثفة والأشجار الملتفة

وجلس على الأرض متعبا .. ولكن من هذا الذى تبعه فى صمت طوال الطريق المظلم ، والذى يقف الآن كالشبح وراءه !

وصاح فاجارسن : « هلا تركتنى ! »

وهوت عليه المرأة فى لحظة ، وأغرقته بدلها ، وغطته بشعرها المتهدل ، وأثوابها الجرارة ، وأنفاسها المترددة ، وصاحت فى صوت خنقته العبرات المحتبسة :

لا . لا . لقد اجترمت لأجلك فاقتلنى إذا شئت ؛ دعنى أموت بيديك !

ولا يتمشى ظلام الغابة الراسخ لحظة ؛ وسرى الرعب فى جذور

الأشجار المتغلغلة فى جوف الأرض وارتفعت تحت جناح الليل آهة مكتومة ، وأنفاس مضطربة ، وسقط على الأوراق الذاوية جسد

***

توهجت شمس الصباح على مسلة المعبد البعيد ، وبرز فاجارسن من الغاب ، وظل النهار بطوله يهيم بجوار النهر صاليا بحرارة الشمس لا يفتر لحظة

وفى الليل ارتد إلى القارب على غير هدى ، فوجد على الفراش سوارا ، فقبض عليه وضمه إلى قلبه حتى أدماه ، وانبطح على الوشاح الأزرق المتكوم فى الزاوية فأخفى وجهه بين طياته وأراد أن يجتر من نعومة جريره ، وشذا عبيره ذكرى جسد حى حبيب ...

وترنح الليل فى صمت ثقيل راجف ، واختفى القمر وراء الأشجار ، ووقف فاجارسن مادا ذراعيه إلى الغاب مناديا :

« تعالى إلى يا غرامى ! تعالى إلى ! »

وانبعث من الظلام فجأة شبح وقف على شفير الماء « تعالى إلى يا غرامى ! تعالى إلى ! »

« لقد جئت يا حبيبى ، ولم تستطع يداك المزيزتان إزهاق روحى ، قدر على أن اعيش »

وجاءت شياما ... ووقفت بازاء الشاب فنظر فى وجهها ، وتقدم خطوة ليضمها بين ذراعيه ، ثم قذفها بكلتا يديه وصاح

« لماذا ؟ آه ! لماذا عدت ؟ »

واغمض عينيه ، وأشاح بوجهه ، وقال

« اذهبى ... اذهبى ... دعينى »

ووقفت المرأة لحظة ، ثم ركعت عند قدميه وانحنت كثيراً . وهبت ويممت نحو الشط وغابت فى ظلام الغاب كحلم انبعث من نوم . وجلس فاجارسن فى القارب صامتاً وحده ، وقلبه يدمى

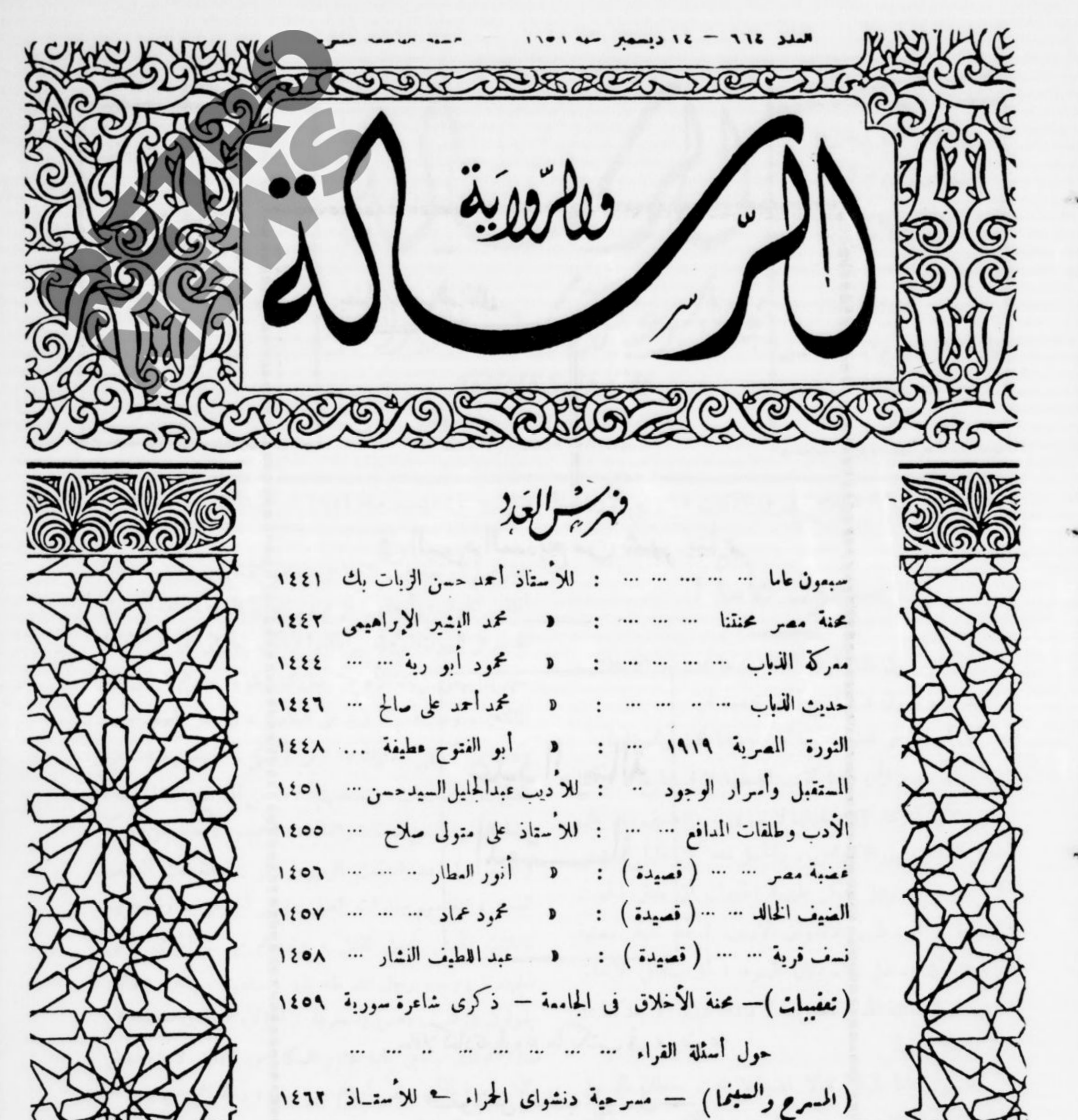
ش . ع



مطبعة الرسالة



العدد ٩٦٤ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥١

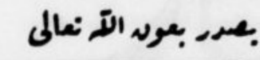


فهرس العدد

٣٧٥٥١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

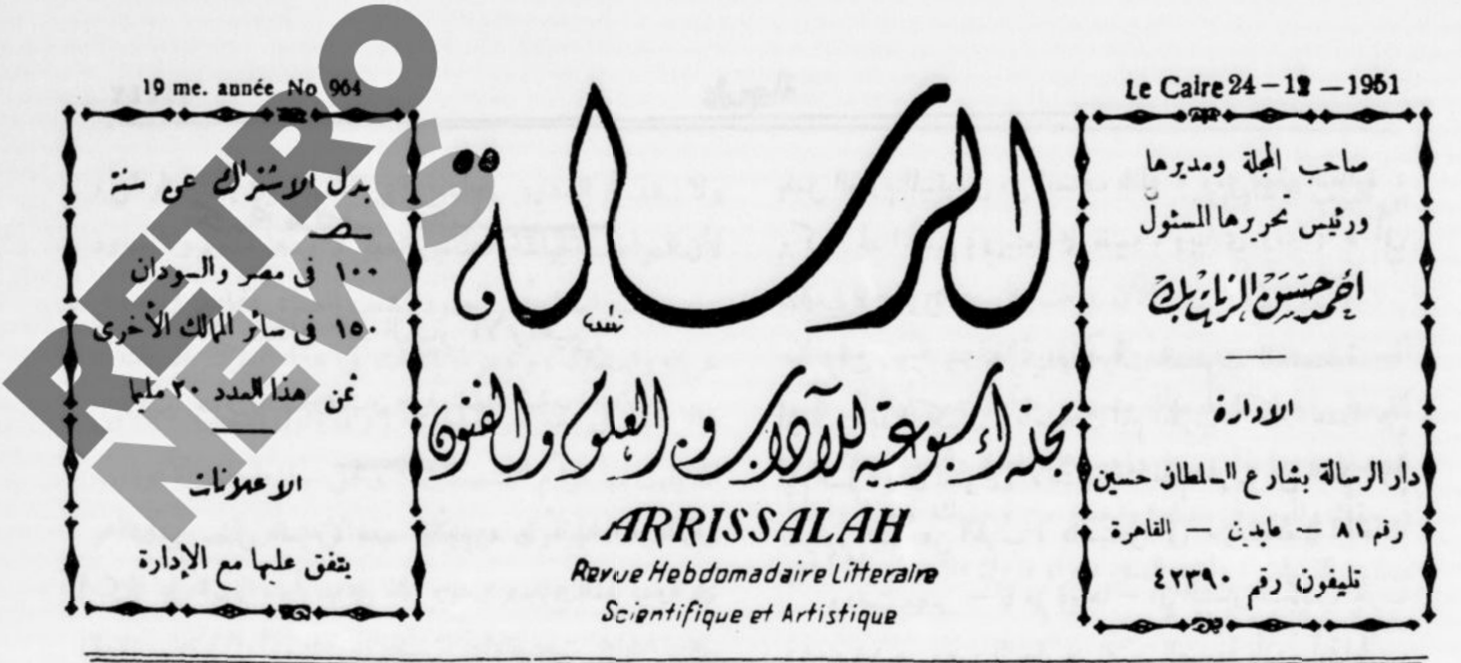
يصدر بعون الله تعالى



في اليوم السابع من شهر يناير

عدد الرسالة الممتـــاز

حافلا كعادته باروع ما يكتب فى موضوعه
لصفوة من أقطاب البيان فى مصر
والعالم العربى



العدد ٩٦٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة»

سبعون عاما !

نعم ، سبعون عاما طوالا ثقالا لبثناها تحت نير الاحتلال ، نحرث وهو يسوق ، ونزرع وهو يحصد !

ما كان أصبرنا على النار ! وما كان أرضانا بالذل والصغار !

كنا نصبر لأن قلتنا كانت لضعفها لا تستطيع . وكنا نرضى لأن كثرتنا كانت لجهلها لا تدرى . والضعف منذ كان سبيل المستأسد إلى الافتراس . والجهل منذ كان دليل المستعمر إلى الفريسة . وهل تنكر طبيعة الحيوان أن يلتقم الحوت الشبوط ، أو يلتهم الأفعوان الأرنب ؟ أم تنكر مدنية الإنسان أن يستذل الأمريكان السود ، أو يستغل الإنجليز الهنود ؟ تلك سنة الله فى الخلق ، لا يبدلها دين ولا يمدّها علم ولا يبطلها مدنية

سبعون عاما طوالا ثقالا قضيناها تحت سلطان الدخيل الباغى ! نعمل ولا نريد ، وننتج ولا نستفيد ! وكان مصدر سلطانه الطاغى أن له ظلا كثيفا يحجب النور ، وزفَرا خبيثا يضعف الشعور ، وإشعاعا وبيئا يسمم الحياة . فلما أراد الله لظله الثقيل أن يخف ، ولزفره الوبيل أن يقل ، ولإشعاعه المميت أن يتراجع ، نفذ إلينا ضوء العلم فرأينا ، ورف علينا روح الأمل فتقوينا ، وأصبحنا نحن أبناء العرب الذين فتحوا الأرض وحفدة الفراعين الذين مدنوا الناس ، وجها لوجه أمام أبناء القراصين الذين لم يروعوا إلا التجار ، وحفدة الصيادين الذين لم يغزوا إلا الأسماك ، نقارعهم بالحجة فى مجالس الرأى فنقرعهم ، ونصارعهم بالقوة على ضفاف القنال فنصرعهم . فإذا أقلقهم الخوف ، وأرهقهم الجزع ، وتخطفهم الموت ، سلطوا آلات الدمار على البيوت الآهلة ، وأطلقوا قذائف النار على الجموع الغافلة ؛ حتى إذا نهض لإغاثة الأهلين رجال الشرطة ، وعددهم لا يربى على المائتين ، وسلاحهم لا يزيد على البنادق ، زحف عليهم عشرة آلاف من آكلى البفتيك وشاربى الوسكى ، تتقدمهم مئات من الدبابات والمصفحات ، وتصحبهم آلاف من المدافع والرشاشات ، وتعلوهم أسراب من النفاثات والقاذفات ؛ ثم يعود الأبطال من المعركة (الشمواء) وقد امتقعت الوجوه الحمر ، وانقطعت القلوب السود ، تتقدمهم سيارات الصليب تنقل الجرحى ، وتصحبهم ناقلات الجيش تحمل القتلى ، وتعلوهم غبرات الخزى تغشى الجباه ! ويرجع رجال الشرطة إلى أقسامهم متهللين مختالين يقولون فى عجب ودهش وسخرية : أهؤلاء هم الذين جثموا على صدر الوادى سبعين عاما جثوم الكابوس المهلك لا يتحلحل ولا يريم ؟ الآن وقد رأيناهم عن عيان ، وعلمناهم عن يقين ، ندرك الحكمة فى أنهم منعوا جيشنا السلاح والتدريب ، وحرموا شعبنا العلم والتهذيب ، فإنهم لا يسودون إلا فى الجهل ، ولا يستفيدون إلا من الضعف . فإذا ابتلاهم الله بأمة مؤمنة صابرة قوية مستعدة ، تكشف سترهم ، وتفضح سرهم ، حاولوا عداوتها بالمعارضة ، ثم حاولوا صداقتها بالمفاوضة ، ثم هجموا عليها بالدهاء والرجاء والمصانعة ؛ فإذا لم يغن عنهم كل أولئك سلموا لها بالأمر الواقع . فترضى العجوز الشوهاء أن تأكل من فضلات باكستان ، وأن تريق ماء وجهها الدامى فى سبيل حصة من زيت إيران !

احمد حسن الزيات

محنة مصر محنتنا

للأستاذ محمد البشير الابراهيمي

رئيس تحرير (البصائر) لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تعانى مصر العزيزة هذه الأيام ، ما يعانيه الحر الأبى أكره على الضيم ، وأريد على مالا يريد ، وجرع السم مدوفا فى الحنظل ، وقطعت أوصاله وهو يشعر ، واستبيحت محارمه وهو يسمع ويبصر حتى إذا استيأس من الإنصاف ونفد صبره خطا الخطوة الفاصلة ، وأقدم على تحطيم القيد بنفسه ، وعلى تمزيق الصحيفة التى أملتها القوة على الضعف فقبلها مكرها كمختار ؛ وكانت أهون الشرين ، فأصبحت — بحكم الزمان — أثقل الخطبين

. . .

صممت مصر على حل العقدة التى عقدها السيف يوم التل الكبير ، وأحكم المكر عقدها بعد ذلك فى سلسلة من الأعوام بلغت السبعين ، صاحبتها سلاسل من الأحداث والأسباب المصطنعة زادت العقدة تأربا واستحكاما ، وسلاسل من الوعود المنومة تكررت فألفت وفقدت التأثير ؛ وفتحت مصر عينيها على أفظع ماتفتح عليه العيون : تفرم ليغنم الإنجليز ، وتجوع ليشبع الإنجليز ، وتموت ليحيا الإنجليز ، ويتهدم مجدها ليبنى بأنقاضه مجد الإمبراطورية الإنجليزية ، ويفرض عليها أن تعيش غريبة فى وطنها ، وأن تعارن على طمس حضارتها ومسخ عقليتها ، والانسلاخ من شرقيتها ، والنسيان لماضيها ، وأن تنتبذ من أهلها مكانا غربيا ... وأن يجفف ماء النيل لتفهق به مشارع التاميز . . .

صممت مصر على إحدى الخطتين ، فكانت التى فيها الشرف والكرامة ، بعد أن استنفدت التجارب ، واستفرغت الجهود ، وبعد أن استعرضت الماضى بعبره وشواهده ، فرأت أن ساعة من العمل خير من ألف شهر فى الكلام ، وأنها تمارس خصما إن استنجزته الوعد طاول ، وإن تقاصرت أمامه تطاول ؛ فخطت هذه الخطوة واتقة مستبصرة ، وتركت للأقدار ما وراءها ، كما يفعل المظلوم المستيئس من إنصاف ظالمه ، ومن أصر النظارة : يركب الحد الخشن ، ويعتمد على نفسه ، وينادى ربه : « أنى مغلوب فانتصر »

رأت مصر — كما رأينا وكما رأت الشعوب المستضعفة — أن السنة قد انعكست ، فأصبحت أيام الحرب أكثر عددا من أيام السلم ، وأن لصوص الاستعمار تشغلهم الحرب عن السلم ، ولم تشغلهم السلم عن الحرب ، فأصبحوا فى حرب متصلة الحلقات

وعلمت مصر — كما علم غيرها — أن الشعار الكاذب لحرب ١٤ — ١٨ هو وعود المتحاربين للأمم الضعيفة بأن نهاية الحرب هى بداية تحريرهم فليسكتوا إلى حين ، لأن السلاح خطيب يجب الإنصات له ، ويحرم الكلام معه ، فلما انتهت تلك الحرب أمعن اللصوص المنتصرون فى استعباد المستضعفين ، وصمت آذانهم عن سماع أصواتهم . وجاءت حرب ٣٩ فتجددت تلك الوعود بألفاظها ، وزيدت عليها نون التوكيد المشددة ، وسيقت تلك الشعوب الموعودة على نفقاتها إلى جهنم بأوزار غيرها ، ولمنافع غيرها . فلما خفتت المطامع ، وسكتت المدافع ، عادت طبيعة الكذب والاخلاف إلى مستقرها من نفوس اللصوص ، وعادت الحالة إلى أشنع مما كانت عليه من تحكم واستعباد . وما انتهت تلك الحرب حتى ظهرت عليها أعراض الحمل بحرب أخرى ثالثة ، وأصبح العالم كله استعدادا لها ، وأوجد الطغاة المالون فى الأرض بذلك مرخصا لطغيانهم ولإسكات الأصوات المطالبة بالتحرر ، وعادت نوبة المماطلة والتسويف والوعود الكاذبة والتعلل بأن الحرب على الأبواب ، فلنحتفظ بهذه الأبواب ، وبأن الديمقراطية فى خطر ، فلنتعاون على إنقاذها مجتمعين قبل كل شئ ثم نتناصف. وهم لا يريدون من الديمقراطية إلا سيادتهم واستعلاءهم وتحكمهم فى الشعوب والأوطان واستئثارهم بقواتها وخيراتها ، فقالت مصر : إذا كانت الحرب لم تنصفنى مع احتراق بنارها ، وكانت السلم لا تنصفنى مع اضطلاعي بوسائلها وتمهيدى لأسبابها ، فلأنتصف لنفسى ، ولآخذ حق بيدى .. فأقدمت ، وجاءت بها غراء مشهورة الأعلام ، وسنتها سنة حسنة لها أجرها وأجر من عمل بها ، ممن ضاقت به الحيل ، واشتبهت عليه السبل. ولعمرى لئن سبقها إلى هذه النقبة رجال من فارس ، ليلحقنها فيها رجال

من العرب الأشاوش ...

. . .

الآن . . يا مصر . الآن وقفت على مفتاح القضية ، وقد أقدمت فصممي ، واحذري النكول والتراجع فانهما مضيعان للفرصة . اجعلي من أرضك صعيدا واحدا واجمعي أبناءك كلهم فيه صفا واحدا بقلب رجل واحد، على الحفاظ والنجدة والاستماتة فى حقك والموت فى سبيله ؛ واجعلي من وجهيك وجها واحدا مستبين القسمات ، واضح السنن ، يراه عدوك فلا يرى إلا الحق مشرقا ، والنضبة بارزة العنوان

إن بين السبق والتخلف خطا دقيقا يتجاوزه الحر الأصيل فاذا هو مستول على القصب . وإن بين النصر والهزيمة خطوة ضيقة يخطوها الشهم الشمرى فاذا هو حائز للغلب . وإن المعالى شد حيزوم ، وشحذ عزمة ، وتلقيح رأى سديد برأى أسد ، وتطعيم عقل رشيد بعقل أرشد ؛ ثم استجماع للقوة الداخلية كما يستجمع الأسد للوثبة

ليت شعرى .. لو لم تصنع مصر ما صنعت ، فماذا كانت تصنع ؟ أ كانت تستخذى للغاصب فتبقى مقيدة به ، يمادى فتمادى بلا سبب ، ويحارب فتحارب بلا أجر ولا غنيمة ، ويرضى فترضى بلا موجب ، ويواصل فتواصل على مضض ؟

وكنا نظن أن الإنجليز راجعوا بصائرهم ، وأخذوا من تأديب الزمان بنصيب ، ومحوا سيئة الاستعمار بحسنة التحرير ، وسنوا للمستعمرين الجائمين سنة التعفف — يوم حرروا الهند وباكستان — على ما فى ذلك التحرير من شوائب — ويوم أعانوا سوريا ولبنان على التخلص من البلاء المبين . كنا نعتقد أن تلك البوادر من إنجلترا — لو تمادت عليها — أصلح لهـــا وأبقى على شرفها ؛ لأن من ثمراتها أن يصير خصومها أصدقاء وأعوانا ، ولكن معاملتها لمصر هذه المعاملة القاسية التى انتهت بالأزمة الحالية — كذبت ظنوننا ، وسفهت اعتقادنا ، وأقرت أعين المستعمرين أعداء التحرير

. . .

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المعبرة عن إحساس الشعب الجزائرى كله ، تعلن تأييدها للشعب المصرى وتضامنها معه فى موقفه الحازم ؛ ولا تصدها عن أداء واجبات الأخوة هذه الحدود الوهمية التي خطها الاستعمار بين أجزاء الوطن الواحد، ولا هذه الحدود الواهية التى أقامها بين أبناء الوطن ، لأن العواطف الجياشة كمثانين السيل لا تردها حدود ولا سدود

وجمعية العلماء تحيى جهود الشعب المصرى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله ، وتدعو له بالثبات فى هذا المعترك الضنك ، وبالانتصار فى هذه المعركة الحاسمة ؛ وأن يكون انتصاره آية من الله يثبت بها عزائم المستضعفين ، ويحل بها ما عقد الأقوياء .

وإن الشعب الجزائرى حين يظهر بهذا الإحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصرى — إنما يقدم جهد المقل من قلوب ملؤها الحب لمصر ، والاعتزاز بأخوة مصر ، والاعجاب بمـا صنعت مصر . وإنه يعتقد أن كل مصرى يخرج عن إجماع مصر فهو مدخول العقيدة ، مغموز النسب ، وأن كل عربى لا يؤيد مصر ، فهو عاق للعروبة ، نا كث لعهدها؛ وأن كل مسلم لا يعين مصر بما علك فهو مارق من الأخوة الاسلامية الشاملة

البصائر — محمد البشير الابراهيمي

معركة الذباب !

للأستاذ محمود أبو ربة

قامت فى الشهور الأخيرة معركة حامية بين مجلتى لواء الإسلام والدكتور حول حديث الذباب[1] فالأولى تتمسك بهذا الحديث وتصر على إثباته ليأخذ الناس به ويصدقوا بمدلوله مرتكنة على أن كتب الحديث قد أوردته ومنها البخارى . وأما الثانية فتدفع هذا الحديث وتستبعد صدوره عن النبى الذى لاينطق عن الهوى؛ وحجتها ما أثبته العلم وحققته التجربة من ضرر الذباب وأنه ناقل للعدوى فى أمراض كثيرة

وإن المرأ ليأسى أن يقوم إنسان فى هذا العصر الذى زخرت فيه بحار العلم وأخرجت من درر المخترعات والمستكشفات ما يدهش العقول ، وتسابق أهلوه فى مضمار العلم ما استطاعوا للانتفاع بما خلق الله لهم وسخره لعلومهم فى السموات والأرض متخذين فى ذلك كل سبب من أسباب العلم والتجربة — فيشغل الناس بهذه الأبحاث العقيمة التى لا تنفع ولا تفيد بل هى إلى إساءة الدين أدنى وإلى ضرر الناس أقرب

ولقد كان جديرا بمجلة لواء الإسلام التى نرى بين محرريها علماء فضلاء أمثال الأستاذين عبد الوهاب خلاف بك وعبد الوهاب حموده بك أن تسود صفحاتها بسطور فى مثل هذا البحث العقيم الذى يفتح ولاريب على الدين شبهة يستغلها أعداؤه ويتوارى منها أولياؤه . وأن تدع الأمر فى مثل هذا الحديث إلى العلم وما وصل إليه بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لا يمكن نقضها ولا يرد حكمها !

وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم ما يخالف حديثا من الأحاديث التى جاءت من طريق الآحاد ، وبخاصة إذا كان هذا الحديث فى أمر من أمور الدنيا التى ترك النبى صلوات الله عليه أمرها إلى علم الناس . وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان ! وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقادا جازما !

إن الأخذ بكل ما جاء فى كتب الحديث أخذ تسليم وإذعان إفراط فى الثقة لم يأمر به العلم ومخالف لما وضعه العلماء من قواعد لعلم الحديث . ذلك بأن الذى يجب التصديق به واعتقاده إنما هو الخبر (المتواتر) فحسب؛ وليس عندنا كتاب يجب اعتقاد كل ما جاء به اعتقادا جازما يبعث اليقين إلى القلب غير القرآن الكريم الذى جاء من طريق (التواتر) والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

أما الأخبار التى جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطى اليقين وإنما تعطى (الظن) والظن لا يغنى من الحق شيأ. وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك فى صدره شئ منها . وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار) من الحشوية الذين لا يقام لهم وزن

وإذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فانا نجده من أحاديث الآحاد وهى التى تفيد الظن — وإذا لم يسعنا ذلك فى رده بعد أن أثبت العلم بطلانه فليسعنا ما وضعه العلماء من قواعد عامة — ومن هذه القواعد (أنه ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحا ، ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح — بل قالوا — إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحا فى الواقع ، وأن صحيح السند قد يكون موضوعا فى الواقع . ومن القواعد المشهورة : أن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات

وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخارى وهو لا يروى إلا ما كان صحيحا ، فإنا نرد على ذلك بأن البخارى قد روى فى

(١) نص هذا الحديث : إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء . رواه البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة ، وفى رواية بزيادة (فانه يتقى بجناحه الذى فيه الداء . وفى رواية ثالثة . إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فلينقله منه فان فى أحد جناحيه سما وفى الآخر شفاء وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء. وفى رواية رابعة إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله أو ليطرحه فان فى أحد جناحيه شفاء وفى الآخر داء . وفى رواية خامسة فانه يتقى بجناحه الذى فيه الداء فليغمسه كله !

كتابه ما اعتبره هو صحيحا عملا بظاهر الإسناد لا ما ثبت في الواقع أنه صحيح. ومن أجل ذلك لا يلزم غيره بما اعتبره هو. وإذا قالوا حديث (متفق عليه) فليس معنى ذلك أن الأمة كلها قد اتفقت على صحته، وإنما معنى ذلك أن البخارى ومسلم قد اتفقا على روايته

قال الزين العراق في شرح ألفيته « وحيث قال أهل الحديث: هذا حديث صحيح فرادهم فيما ظهر لنا عملا بظاهر الإسناد لا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر لجواز الخطأ والنسيان على الثقة. هذا هو الصحيح عند أهل العلم المحققين

ولهذه القواعد وغيرها مما عرف من تاريخ الحديث قال عبد الرحمن بن مهدى « لا يكون إماما في الحديث من تتبع شواذ الحديث أو حدث بكل ما يسمع أو حدث عن كل أحد »

وقال ابن أبي ليلى « لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع »

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده « لا أومن بحديث تعرض لى شبهة في صحته. وليست الشبهة في النبي وقوله، ولكنها فيمن روى عن النبي. ولذلك قال الإمام أبو حنيفة في سبب رده لبعض الأحاديث « ردى على كل رجل يحدث عن النبي بخلاف القرآن ليس ردا على النبي ولا تكذيبا له ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل، والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله. وكل شيء تكلم به النبي فعلى الرأس والعين قد آمنا به وشهدنا أنه كما قال .. »

على أننا إذا سلمنا كما قلنا بأن النبي صلوات الله عليه قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس في الرجوع عنه وعدم الأخذ به لأنه من أمور الدنيا. ولنا في ذلك أسوة حسنة بما فعل النبي صلوات الله عليه حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بأن لا يؤبروه. ولما ثبت بعد ذلك ضرر عدم التأبير وخرج التمر شيصا قال لهم النبي حديثه المشهور « إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن؛ ولكن إذا حدثتكم عن الله شيأ فخذوا به. وفي رواية « إذا أمرتكم بشيء في دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » ثم ختم حديثه بهذه القاعدة الجليلة العامة التي يصح أن تكون دستورا للمسلمين على مر العصور كلها، والتي تثبت بحق أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان وأنه صديق العلم وعدو الجهل وهذه القاعدة هي « أنتم أعلم بأمر دنياكم »

أما راوى هذا الحديث وهو أبو هريرة فقد ردوا له أحاديث كثيرة في حياته وبعد مماته حتى من التي صرح بأنه سمعها بأذنه من النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رواه عنه مسلم في صحيحه فقد قال البخاري وغيره إن أبا هريرة قد تلقاه من كعب الأحبار اليهودي

وإنا نكتفي بهذه الكلمة الصغيرة اليوم ونشكر لحضرة النطاسي البارع الدكتور سالم محمد الذي أثار هنا البحث النافع وندعوه وسائر زملائه الأطباء ثم رجال العلم جميعا من مهندسين وفلكيين وجغرافيين وغيرهم أن يستمروا في أبحاثهم العلمية النافعة بوسائلهم الصحيحة التي دعا إليها الإسلام ولا يخشوا أحدا في ذلك « فأنتم أعلم بأمر دنياكم »

المنصورة — محمود أبو ربة

حديث الذباب

للأستاذ محمد أحمد على صالح

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سقط الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن فى أحد جناحيه شفاء وفى الآخر داء » أجاب بعض الأطباء بمجلة « الدكتور » عدد فبراير سنة ١٩٤٩ « بأن هـذا الحديث مكذوب وكلام لا يصح أن ينسب إلى النبى مهما كانت قيمة راويه ، ولا الكتاب الذى وجد فيه » ومن هذا التاريخ واليت البحث للحصول على مايؤيد هـذا الحديث من الناحية الطبية ، حتى أصدرت مجلة « لواء الإسلام » عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠ فتوى بأن هذا الحديث صحيح من ناحية السند ، وذكرت الطرق التى ورد بها هذا الحديث ، وبهذه المناسبة نشرت بمجلة لواء الإسلام عدد أكتوبر سنة ١٩٥١ ذلك البحث الطبى نقلا عن « المجلة التجارية الطبية الإنجليزية » عدد ١٠٣٧ سنة ١٩٤٧ ما نص ترجمته : « أطعم الذباب من زرع ميكروب بعض الأمراض ، وبعد حين من الزمن ، ماتت تلك الجراثيم ، واختفى أثرها ، وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى « بكتريوفاج » ولو عملت خلاصة من الذباب فى محلول ملحى لاحتوت على « البكتريوفاج » التى يمكنها إبادة أربعة أنواع من الجراثيم الوالدة للأمراض ، ولاحتوت تلك الخلاصة أيضا على مادة خلاف البكتريوفاج نافعة ، ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم — وقد برهن على ذلك الأستاذ الدكتور « دريل » مندوب الصحة البحرية والكورنتينات المصرية فى الهند للبحث عن ظهور الكوليرا بها ، وأنجح الطرق لمقاومتها ، وقدم تقريرا مفصلا فى ديسمبر سنة ١٩٢٧ عما أجراه مع زملائه من الأبحاث الفنية والتجارب العلمية ، فقد ذكر فى تقريره أن « البكتريوفاج » أجسام حية صغيرة جدا أمكن تكوينها ورؤيتها بترسيب ذرات الفضة عليها ، وأنه حصل على البكتريوفاج وتمكن من زرعه وتنميته وإذابته فى الماء ، وأعطى محلوله المرضى بنسب مخصوصة . وبزيادة الجرعات وتنظيم تناولها كان المريض ينال الشفاء فى يومين أو ثلاثة ، وأثبت أن الذباب يؤدى عملية أخرى عظيمة من نوع ما تقدم ، ولكن لا أرى من المناسب ذكرها الآن — وأجريت مثل تجارب الأستاذ « دريل » فى البرازيل عن الدوسنتاريا الحادة ، واستعمل البكتريوفاج فى إيطاليا فى علاج الحمى التيفودية ، وكذلك ضد جراثيم الاسنا فيلوكدك فاقار) وبناء على ذلك قلت : إن هـذا الحديث معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أثبته الطب الحديث بعد أربعة عشر قرنا — وقلت : إن من كتب بتكذيب الحديث يجهل الناحية الطبية — وأثبت فى هـذا المقال درجة أبى هريرة راوى هـذا الحديث عن رسول الله ، وحرص الإمام البخارى صاحب « كتاب البخارى » الذى ذكر فيـه هذا الحديث على الأحاديث النبوية . وقد علق على هذا البحث الطبى الدكتور « نجيب بك قناوى » بعدد نوفمبر سنة ١٩٥١ من مجلة « لواء الإسلام » مثبتا لوجود « البكتريوفاج » فى الذباب حيث قال بالحرف الواحد : (إنما أود أن أبين باختصار جدا أن مادة « البكتريوفاج » هـذه ليست قاصرة على الذباب فحسب ، بل يمكن استخلاصها من كل مكان وحيوان ، فهى موجودة بكثرة فى براز الفراخ وبعض الطيور والحيوانات الأخرى ، ومنها الإنسان وحتى الماء والهواء) ثم ذكر مسائل دينية يطلب الإجابة عليها من العلماء الشرعيين ، وأورد عبارة عن « المنار » تتعلق بحديث الذباب؛ ثم ختم عزته تعليقه بشكرى على هـذا البحث فى تمحيص حديث الذباب ، خصوصا من الوجهة الطبية : (فإنه قرب إلينا نحن الأطباء بحث مادة « البكتريوفاج » فى الذباب ، ولذا فإنى شرعت من اليوم مع بعض زملائى البكتريولوجيين فى

إجراء بحوث علمية مختلفة على الذباب والبكتريوفاج أى ملتهم الجراثيم سأنشرها عند ظهور نتيجتها ، لعلها تبين بطريق أوضح سر معنى حديث الذباب . ومهما قمنا من أعمال وبحوث فما زلنا عند قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ») . وقد رددت على أسئلته الدينية فلم تنشرها لواء الإسلام — ثم عاد طبيبنا الأول فكتب فى مجلة الدكتور عدد أكتوبر سنة ١٩٥١ ضد هذا الحديث — كما عاود الكتابة فى عدد نوفمبر سنة ٩٥١ من هذه المجلة أيضا وأيده فى ذلك ثمانية من الأطباء المحترمين فى هذا العدد بالذات — ونظرا لما ورد فى مقالات الطبيب الأول وفى بعض المقالات الثانية حينما أرادوا معالجة « حديث الذباب » أوقعوا أنفسهم فى مضاعفات دينية اتسع عليهم فيها الجرح ، فذكروا أحاديث مكذوبة نسبوها إلى رسول الله ، وفسر بعضهم آيات قرآنية على غير ما أريد منها ، وتقولوا على فقهاء الدين وبعض العلماء الأجلاء ما لم يقولوه ورددت على هؤلاء الأطباء التسعة ، وطلبت من مجلة الدكتور نشره فى المكان الذى نشرت فيه مقالات الأطباء الثمانية ليطلع القراء الكرام عليه كما اطلعوا على هذه المقالات المذكورة ، تمشيا مع حرية النشر ، وبسط الآراء لجمهور القراء ، ووقوفهم على الحقيقة ، وتصحيحا للأخطاء الدينية التى وردت فى مقالاتهم خشية أن يعتقد بصحتها من لا دراية له بهذه المسائل . وبكل أسف لم تنشر هذه المجلة الرد بحجة « أننى تهجمت على الأطباء ، وأن الرأيين نشرا على الجمهور : رأى المؤيدين للحديث ، ورأى الأطباء المخالفين . فعلى كل إنسان أن يختار بين أبى هريرة ، وبين شتى الأمراض التى ينقلها الذباب »

قلت لعل الأمر انتهى إلى هذا الحد وأقفل باب الكتابة فى هذا الحديث ، ولكن عاود طبيبنا الأول الكتابة فى هذا الموضوع للمرة الثالثة غير الأولى وأباحت له المجلة ذاتها النشر بعد ما منعت ردنا على الأطباء الثمانية فقال فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥١ : « فالبخارى رحمه الله مظلوم ، ولا ذنب عليه ، ولم يعز فراسته ما خفى بين طياته « أى الحديث » من شر وعبث بالصحة ، وبهذا الدين الحنيف ، ولا لوم على البخارى فقد وثق بإنسان فدس عليه هذا الحديث — ولو كان البخارى فى زمانه يعلم مضار الذباب التى أثبتها العلم والطب ، لاستحى من تدوين هذا الحديث المزعوم مهما كان مركز راويه » ثم تكلم على حديث الآحاد ، وحمل حديث تلقيح النخل على غير ما يراد منه

فهل تسمح لنا « مجلة الرسالة الغراء » وتسعفنا ببسط ردودنا على هذه المقالات على صفحاتها وهى المنبر الحر الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، وأنها عودتنا والقراء أن نقرأ لها البحوث الدينية والعلمية والأدبية والآراء الحرة حتى نخلص البخارى من هذا الوصف الذى لا يتناسب مع مركزه ؟

يتبع

محمد أحمد على صالح
من علماء الأزهر

٩ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

وحشية الانجليز :

فقد الانجليز كل معنى من معاني الإنسانية وانقلبوا وحوشا آدمية يسفكون الدماء بغير مبرر ويهاجمون العزل الأبرياء لغير ما سبب . وليس هذا بجديد عليهم فتاريخهم الطويل يشهد بأنهم أمة من السفاحين والقراصنة . وإني أحدثك أيها الأخ الكريم اليوم عن فظائع الانجليز في مصر قديما وحديثا

من ٢٩ نوفمبر — ٦ ديسمبر ١٩٥١ :

استيقظ سكان بور سعيد في الساعة السادسة صباحا من يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ على أزيز الرصاص يتجاوب في أنحاء مدينتهم فقد انطلقت سيارتان بريطانيتان خرجتا من باب الجرك دراجتا تطلقان النار على كل من تصادفه في الطريق . ومرت السيارتان بمبنى قسم أول وأخذ جنودهما يطلقون الرصاص على القسم وجنود البوليس واستشهد جنديان ومات بعض المدنيين . وكان طبيعيا أن يرد البوليس المصري العدوان بمثله . حدث هذا في الوقت الذي كان يسعى فيه المسئولون المصريون والانجليز في الاسماعيلية وبور سعيد والسويس إلى العمل على وقف حوادث العدوان المتبادل بين المصريين والانجليز ، والذي ذكر فيه أن الجنرال أرسكين قائد القوات البريطانية في منطقة القنال قد أصدر أوامره باعتبار « بور سعيد والاسماعيلية والسويس » من المناطق المحرمة على الجنود البريطانيين

وقد اتفق المسئولون المصريون والانجليز في هذا التاريخ على جلاء الجنود البريطانيين عن المدن الثلاث وترك شئون الأمن فيها لرجال البوليس المصري فهدأت الحالة نوعا في الاسماعيلية .

ولكن متى كان للانجليز وعد ؟ لقد حنثوا بوعدهم في نفس اليوم وبلغ بهم التجرد من الإنسانية أن انتهكوا حرمة الموتى وعبثوا بجثة ميت كانت منقولة من القاهرة إلى السويس وراحت قواتهم تجوب السويس بصورة استفزازية

وفي يوم الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥١ روعت السويس بحرب إجرامية بشعة شنها عليها الانجليز السفاكون استشهد فيها عشرون من المواطنين الأبرياء وبلغ عدد جرحاها ثمانية وستين جريحا ، وقضت السويس يومها من الحادية عشرة صباحا إلى التاسعة مساء وكأنها ميدان حرب لا تسمع فيه إلا طلقات المدافع والبنادق وأزيز الطائرات !

وفي يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر أصبحت السويس المجاهدة وفي أرجائها صمت رهيب يتوج جلال حدادها على شهدائها الأبرار ، بتشييع جنازات الشهداء في أربعة مواكب وطنية رائعة سارت فيها جميع طبقات الشعب ومختلف الهيئات وقد قدر عدد المشيعين بنحو ١٥ ألفا

ولكن الانجليز ارتكبوا أشنع العدوان في هذا اليوم أيضا ، فلم يكفهم ما أراقوا من دماء في اليوم السابق بل زادوا إثمهم إثما وعدوانهم وحشية وفظاعة : فقد خرج الأهلون يشيعون جنازة أحد الشهداء قبل نقلها إلى الزقازيق وكانت بعض الطائرات الاستكشافية البريطانية تحلق في السماء فأبلغت القيادة البريطانية الأمر على أنه زحف شعبي على المعسكرات فخرجت قوة من ثلاث دبابات وأربع مصفحات وبضع سيارات مسلحة أخرى وأخذ جنودها يطلقون النار على المشيعين والأهلين ورجال البوليس والدور القريبة . وسقط في هذه المجزرة ١٤ شهيدا وجرح ثلاثون . وقد ثبت أن الانجليز يستخدمون رصاصا من طراز « الدمدم » الشديد الفتك

وفي يوم الأربعاء شيعت السويس شهداء المجزرة الثانية واشتركت جميع هيئات الشعب في الجنازة وكان يتقدمها محافظ

المدينة

وقد رفضت السلطات البريطانيـة الترخيص بنقـل جثث الشهداء من غير أبناء السويس إلى بلادهم

وبرغم هذا لم يكف المعتدون عن عدوانهم فأطلقوا فى الجو أسرابا من الطائرات الاستكشافية والنفاثة ذات الأزيز المفزع وسيروا قافلة كبيرة من الدبابات والمدرعات واللوريات لمحاصرة المدينة

وقد دفع جمود الحكومة المصرية إزاء هذه الحوادث المحزنة الطلاب إلى القيام بمظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والجيزة احتجاجا على هـذا العدوان الغاشم . وقد قررت الوزارة تعطيل الدراسة بتلك المدارس . ونحن نحب أن يخلد الطلاب إلى الهدوء حتى تتمكن الحكومة من مواجهة الموقف ولـكنا نقول لرجال الحكومة : تحركوا وإلا فسينفجر غضب الشعب . إن المصريين لا يطيقون صبرا أن يروا دماء مواطنيهم تسفك دون أن يحركوا ساكنا

ويعزينا بعض العزاء أن أبطالنا من المقيمين بمـدن القنال والفدائيين قد أخذوا بثأر قتلانا فقتلوا من الأعـداء ٤٢ اثنين وأربعين قتيلا وجرحوا ٦٧ ، وأن شهـداءنا فى الجنة وقتلاهم فى النـار

أيها الانجليز :

أعلموا أن مصر أقوى منكم وأن قواتكم مهما بلغت عـددا ومهما جلبتم لها من عدة وعتاد لن تقهر مصر لإن مصر مؤمنة بحقها فى الحيـاة الـكريمة الحرة ، ولن تخضع لقوتكم وجبروتكم ومهما بغيتم فمصر صامدة وهى منتصرة بإذن الله

فظائع ١٩١٩ :

فى ٨ مارس ١٩١٩ بدأت ثورة مصر باعتقال زعمائها ونفيهم خارجها فهبت مصر من أقصاها إلى أقصاها تطالب بحريتها واستقلالها وعودة زعمائها، وقامت المظاهرات فى كل قرية ومدينة ثم خرب الشعب طرق المواصلات فقطع خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون

ومنذ البداية لجأ الانجليز إلى القوة الغاشمة وإلى سفك دم الأبرياء المطالبين بحريتهم

وفى ٢١ مارس ١٩١٩ عـين المـارشال اللنبى قائد عام الجيوش البريطانيـة فى مصر إذ ذاك مندوبا ساميا فوق العـادة ومنح السلطة العليا فى جميع الأمور المدنية والعسكرية، وفى اتخاذ ما يراه من الاجراءات لإعادة النظام والأمن إلى البـلاد مع مع تثبيت الحماية

ولما وصل اللنبى إلى القاهرة جمع الأعيان والوزراء وأوضح لهم مهمته وهى تنحصر على حد قوله فى وضع نهاية للاضطرابات القائمة وإزالة أسباب الشكوى وطالبهم بمـساعدته على أداء مهمته

وطبقا لهذه الخطة أذاع العلمـاء والوزراء والأعيان نداء إلى الأمة المصرية فى ٢٤ مارس دعوا فيه الشعب إلى التزام الهدوء والإخلاد إلى السكينة ، ولـكن المصريين لم يخدعهم ما قاله اللنبى ولم يؤثر فيهم النداء واستمروا فى كفاحهم

وحدث أن ألقى اللورد كرزون وزير خارجيـة بريطانيا إذ ذاك أجوبة عن أسئلة وجهت إليه فى مجلس العموم بشأن الحالة فى مصر فقال إن الحالة أقل خطورة من ذى قبل، وأطرى موظفى الحـكومة المصرية ورجال البوليس والجيش لإخلادهم إلى السكينة وحسن سلوكهم . واستنتج من سلوكهم أن صفوة المتعلمين والعقلاء فى مصر ليسوا فى صف الحركة الوطنية

وإزاء هـذا التصريح أحرج الموظفون واضطروا وقد طعنوا فى وطنيتهم إلى تقديم احتجاج على تصريحـات كرزون وقرروا الإضراب عن عملهم ثلاثة أيام وقدموا عرائض الاحتجاج إلى السلطان وإلى معتمدى الدول الأجنبية ونفذوا قرارهم

وقد ظلت الاضطرابات قائمة ، وحاولت السلطـة العسكرية إصلاح الخطوط الحديدية . ولما أصلح الخط الحديدى الرئيسى بين

القاهرة والاسكندرية وقنال السويس حرم السفر إلا بترخيص من السلطة العسكرية

وقد نزل الجنود البريطانيون فى مختلف أنحاء القطر سواء لإصلاح الخطوط الحديدية، أو للقضاء على الاضطرابات، أو للمحافظة على النظام، فارتكبوا فظائع تقشعر منها الأبدان وتنبو عنها النفوس

العزيزية والبدرشين :

قريتان من قرى مديرية الجيزة كانتا تنعمان بالراحة والسكون. وفى الهزيع الأخير من ليل ٢٥ مارس أو حوالى الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم انقض نحو مائتى جندى انجليزى على القريتين وأحاطوا بهما وقصدت شرزمتان صغيرتان منهم منزلى كل من عمدتى القريتين شاهرين أسلحتهم وطلبوا من العمدتين تسليم مالديهما من سلاح ؛ فسلم أحدهما مسدسا كان عنده، وأما الثانى فلم يكن لديه سلاح . ومع هذا انقض العساكر داخل المنازلين واقتحموا غرف النساء غير مبالين بما فى هذا العمل من خروج على الآداب والأخلاق، واضطر النساء إلى الاختفاء تحت الأسرة . ولم ينس القراصنة الاستيلاء على ماوجد من مال وحلى، بل إنهم زادوا فجذبوا النساء من شعورهن وانتزعوا حليهن. وبلغت بهم القسوة أن أحدهم مزق أذن سيدة وهو يسلب قرطها

وبعد تفتيش دارى العمدتين انتقل الجنود إلى دور مشايخ البلدتين وقاموا بالتفتيش وبالسلب والنهب المعتادين ، ثم أعلن الضباط بعد ذلك أنهم سيضرمون النار فى البلدتين « وأنه مسموح لكل امرئ أن يأخذ ما فى داره من مال وحلى قبل مغادرته » وبعد قليل أشعلوا النار فى القريتين وساعد على اشتعال النار ماكان على سطوح المنازل من قش وحطب ، وخرج الأهالى المروعون من قريتهم الآمنة لتتلقاهم قوات القراصنة « الأشراف » ولتسلبهم ما حلوا من مال وحلى . ولم يأخذهم حياء فى تفتيش ملابس النساء وأجسامهن !

وكان نصيب من حاول إخماد الحريق أن يصاب برصاصة تردبه قتيلا ، وقد احترقت المواشى حية فى مرابطها

وعند الصباح انصرف الجند عن القريتين وقد أصبحتا قاعا صفصفا، وقبض على العمدتين وسيقا إلى الحوامدية؛ وكانت التهمة التى وجهت إلى العمدتين وقريتيهما الاعتداء على أحد الضباط البريطانيين وإتلاف محطتى الحوامدية والبدرشين . ورغم براءة العمدتين والقريتين فقد عوقبت القريتان بتخريبهما وحوكم العمدتان

وقد أحرق الجنود فى نفس اليوم وبنفس الطريقة قرية الشبانات مركز الزقازيق بعد نهبها

نزلة الشوبك :

فى ٣٠ مارس ١٩١٩ أرسل مركز العياط إشارة إلى عمدة نزلة الشوبك بإحضار العمال اللازمين لإصلاح الخط الحديدى. وفى الساعة الرابعة بعد الظهر وصل قطار حربى ووقف قرب القرية المذكورة ونزل منه الجنود وأرادوا دخول القرية فنصحهم العمدة بالعودة وأخبرهم أنه جلب العمال اللازمين ولكنهم لم يستمعوا لنصحه ودخلوا القرية وأخذوا ينهبون ما يصل إلى أيديهم من مال وذهب بل وطير ودواجن ولم يتعرض لهم أحد

ورأوا إحدى نساء القرية فأسرعوا إليها وراودوها عن نفسها ، فاستغاثت بزوجها الذى أسرع إلى نجدتها، ونزلت هراوته على رأس الجندى الذى كان ممسكا بزوجته فصرعه؛ ولكن رصاصة جندى آخر أردته قتيلا . وقامت معركة بين قوم عزل يدافعون عن أعراضهم وبين قوم نسوا كافة الفضائل وتجردوا من صفات الإنسانية . انطلق الجند يهاجمون القرية ويقتلون من يصادفهم بلا تمييز وينهبون ما يجدون ثم يشعلون النار فى المنازل

وكان القطار الحربى بعيدا عن القرية فرجع القهقرى حتى حازاها وصب عليها وابلا من رصاص مدافعه الرشاشة ، واستمر إطلاق النيران طول الليل ، واختبأ العمدة فى داره ولكن الإنجليز أخرجوه فى صباح اليوم التالى ونهبوا داره وأحرقوها

وساقوه إلى السجن

وقد ارتكب الإنجليز فظاعة وإنما لا يتصوره عقل، فعلاوة على ما سبق قبضوا على أحد مشايخ القرية ومعه أربعة من الأهالى ودفنوهم حتى أنصاف أجسامهم، ثم شوهوا وجوههم بوخزات الحراب، وبعد ذلك أطلقوا عليهم الرصاص فأراحوهم من هـذا العذاب

أرأيت وحشية وفظاعة أكثر من هذا؟ إن أحط أنواع البشر لا يمكن أن يصل فى وحشيته إلى هذا الدرك، وإن مجازر الإسماعيلية وبورسعيد والسويس لسلسلة متممة لحوادث العزيزية والبدرشين وزلة الشوبك؛ ولكن مهلا وصبرا فإن نهاية هؤلاء الطغاة قريبة إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

٢ - المستقبل وأسرار الوجود

بين السببية والمستقبلية

للأديب عبد الجليل السيد حسن

عرض لمشكلة السببية:

حينما نلقى بقطعة من القطن فى النار فلا نشك فى احتراقها، وحينما يأكل الجوعان فلا نشك فى شبعه، وحينما تضرب الطفل فلا شك أنه سيبكى. وحينما ترى الغادة الهيفاء والوردة الناضرة فلا شك فى إعجابك بجمالها إذا كنت ممن يقدر الجمال فى المرأة والزهرة

ولنسأل معنا الآن: ما الذى أحرق القطن، وأشبع الجائع وأبكى الطفل، وأثار فيك مشاعر الجمال؟ ولا أشك فى أنك ستجيب على الفور: إن السبب فى ذلك هو النار والأكل والضرب والجمال الكامن فى المرأة والوردة. ولكن ياصاحبى لا تكن سريع الحكم، وانظر فى الأمر وتدبره؛ هل النار حقيقة هى سبب الاحراق؟

ما هـذا؟ أتريد أن تخدعنى عما أحس وأرى وتقول لى: إن علة الإحراق شىء غير النار؟

— لتعلم أننى لست أريد بك خداعا أو تغريرا، ولكنى أريدك أن تكون دقيقا أمينا فيما تشاهد وتدرك، وأن تأخذ الأمور كما ترد إليك لا تزيد فيها ولا تنقص. فما العلة اللازمة والسبب القاهر الذى يجعلك تسند الإحراق إلى النار؟ أليس هو أنك شاهدت احتراق قطعة القطن عقب إلقائها فى النار، ولم تر عينك شيئا أكثر من ذلك؟ إذن ما الذى دفع بك إلى أن تجزم بأن النار هى علة الإحراق؟ لا شىء غير مشاهدة حدوث هذا مع ذاك أو مقارنا له. فكأنه ليس هناك شىء يمكن أن يعد سببا لشىء أو علة له؛ بل هناك تعاقب أو اقتران بين الحوادث، ولا شىء غير هذا؛ فقطع الرقبة ليس سببا فى القتل، وكسر الرجل ليس سببا فى الألم، ولقاء الحبيب ليس سببا فى النشوة التى تصاحبه، وإضاءة المصباح ليست سببا فى الضوء الذى يعقبه، وإعطاء المريض دواء ليس هو السبب فى شفائه.. وغير ذلك من الأفعال؛ بل كل ذلك ما هو إلا حوادث تعقب حوادث وأشياء تقترن بأشياء؛ أما أن نقول إن هـذا سبب ذلك، فهذا مالا يقره العقل

وهـذا هو الوضع الصحيح البسيط لمشكلة السببية بين المثبتين الذين يقولون أن لا شىء يحدث بدون سبب؛ وبين المنكرين الذين يقولون أن ليس هناك شىء يمكن أن يعد سببا على سبيل التعميم

ونستطيع أن نخرج من كل ما تقدم بشىء واحد؛ وهو أن الذين أنكروا السببية أنكروها لشىء هو وقوفهم عند ما يشاهدون ويحسون فقط. وأما الذين أثبتوا القول بالسببية فهو وقوفهم عندما يحسون ويشاهدون أيضا. ولكن الفرق بين المنكرين والمثبتين: أن المنكرين قالوا «إن المشاهدة تدل على الحصول عنده، ولا تدل على الحصول به»، وأما المثبتون فقالوا «إن العادة اقتضت أن يتبع هذا ذاك، فلا بد أن يكون هذا هو علة ذاك، وإلا فما الداعى لحدوث هـذا التعاقب؟» وقد آمن المثبتون بهذه المادة، وبنوا حياتهم وقوانينهم عليها، وقالوا

إن لكل ظاهرة من الظواهر علة أحدثتها ، ثم خصصوا فقالوا : إن هذه الظاهرة « ب » مثلا ، علتها الظاهرة « ا » ودليلهم على ذلك العادة التي أرتهم أن « ا » تتبعها « ب » دائما . وبينما يؤمن المثبتون بهذا ، يقول المنكرون : إنه لا علة للجزم بأن « ا » لابد أن يتبعها « ب » بل قد يتبعها « حـ » أو « د » من الظواهر ؛ فما العلم سوى قوانين ، وهذه القوانين لم تستخلص إلا نتيجة للتجارب والشواهد التي فرضنا أن لها عللا معينة ؛ وما دام ليس هناك من سند للقول بالعلية والسببية ، فإذن من المحال أن يكون هناك علم ، أو لو أردنا الدقة لقلنا إن صحة علمنا موقوفة على صحة ما نسميه عللا ومعلومات ، وبذلك نتفادى القول باستحالة العلم إلى القول باحتمال صحته ، ولا ضير بعد ذلك ، فالعلم ما هو إلا تسجيل للواقع المشاهد

ولنترك الآن عرض السببية عرضا تاريخيا في الشرق عند كل من الغزالي وابن رشد ، وفي الغرب عند كل من « هيوم وكانت» . ولنترك أيضا المقارنة بين هؤلاء جميعا إلى فرصة أخرى ونخلص إلى السببية والمستقبل

. . .

السببية والمذهب المستقبلي :

إذا شاهدنا ظاهرتين متلازمتين في الماضي ، مثل الإحراق ولقاء النار ، أو طلوع الشمس ووجود النور ، فهل يستمر هذا التلازم أيضا في المستقبل أم لا ؟ وإذا كان هذا التلازم والارتباط بين الظواهر ثابتا مستمرا ، فإنه يمكننا بذلك أن نتنبأ بالأشياء التي لم تحدث بالفعل ، وسوف تحدث في المستقبل . وحياتك لا شك مبنية على هذا التنبؤ . فأنت واثق من وجود النور غدا لأنك على يقين من طلوع الشمس فيه حاملة النور إلى الكون . ولكن .. هل خطر بذهنك أن الشمس قد تطلع غدا ولا تنير أو قد لا تطلع البتة ؟ وأنت تنظم حياتك على أن هذه الظواهر المتلازمة في الماضي ، لا بد وأن تستمر في المستقبل ؛ فأنت على يقين أنك لو ألقيت بهذه النقود الورقية إلى النار لا حترقت ، أو لو وضعت يدك في النار لاحترقت ، فأنت لا ترمي بنقودك إلى النار ، ولا تضع يدك فيها . وكلنا يشرب الدواء طمعا في الشفاء ، ونتجنب الميكروب خوف المرض . والعالم الطبيعي أو الكيمائي حينما يعيد إجراء تجربة ، فهو متأكد أنه سيحصل على نفس الظواهر التي حدثت في الماضي

فنحن في حياتنا العملية نتغاضى عن إنكار السببية ، ونتناسى أن الأمر قد يكون مجرد ارتباط فقط لا علية فيه . ونحن نعلم تمام العلم أن معرفتنا بالأسباب تجعلنا قادرين على أن نتنبأ بما سوف يحدث في المستقبل ، وبمقدار إحاطة علمنا بالأسباب يكون صحة تنبئنا بالمستقبل . ولكن ذلك لا يغرينا بتكوين رأي ومذهب في الحياة على تجاهل أن الأسباب قد تكون مجرد تلازم ومقارنة لا غير ، وما نعده سببا ما هو إلا لحكم العادة والمشاهدة فقط ؛ فقد يثبت ثبوتا قطعيا أن ليس هناك من شيء يمكن أن يعد سببا ، وخصوصا بعد نظرية الكم « الكوانتم » والميكانيكا الموجبة (١)

بيد أن كل ذلك لا يمنعنا من أن ننظر في الأمر نظرة مستقبلية نبني عليها مذهبا في الحياة ورأيا في الوجود

. . .

كلما حدث شيء في الوجود ، أو تغير أمر في الظواهر الطبيعية ، فلا بد أن هناك قوة أحدثت هذا التغير ، ونقلت من ثم شيئا كان موجودا بالقوة إلى الوجود بالفعل ، أو حققت في الوقائع شيئا كان ممكن التحقيق ، وليس هناك كائن من كان يستطيع أن ينكر هذه القوة وهذا التغير

ولن تجد اثنين يختلفان في أن حدوث هذا التغير قد حدث بقوة أو بسبب من الأسباب . ولكن ستجد من يختلف في : هل هاتان الظاهرتان اللتان يتبع بعضهما الآخر . . هل الأولى

(١) الكوانتم : أي المقدار وجمعها كونتات (مقادير) : هي نظرية قال بها ماكس بلانك الألماني وتتعلق بتفسير الطاقة ، فالطاقة مكونة من كونتات ، ومن نتائج هذه النظرية أن قضت على الجبرية العلمية ، فالصلة بين الطاقة والإشعاع لا يمكن تعيينها بدقة ، وكان كذلك من نتيجة الميكانيكا الموجبة أن ثبت أن حركات الأجسام لا تعرف بالضبط ، لأنها لا تسير على قوانين ثابتة

سبب للثانية ، أم أن الأمر مجرد عادة ومشاهدة .؟ وبعبارة أخرى ستجد من يختلف فى أن الاطراد والتلازم والمقارنة فى الوقوع ، هو علة التغير والحدوث

وهذا الاختلاف الذى هو جوهر مشكلة السببية لا يعنينا أمره كثيرا ، وقد كان يعنينا أمره لو كنا مهتمين بمعرفة مايحدث فى المستقبل بناء على خبرتنا وتجاربنا فى الماضى . ولكن الأمر الذى يهمنا أكثر ، من وجهة النظر المستقبلية ؛ هو إثباتنا الحدوث والتغير ، وشعورنا بوجودنا ؛ بناء على هذا الانتقال المستقبلى ، ونظرتنا إلى الوجود هذه النظرة المستقبلية ؛ لأن كل ما نريد أن نصل إليه هو فهمنا لهذه الحيـــاة كما هى ، وهذا الوجود على حقيقته ، ثم الإفادة من هذا الفهم ، ورسم خطة نسير عليها فى هذه الحياة

فنحن حين نبنى شعورنا بالوجود على النظرة المستقبلية ، وعلى الانتقال المستقبلى الذى يجعلنا نحس بوجودنا (نذكر مثال الرجل الموجود فى الشمس الطالعة والعالم الساكن فى المقال السابق) ؛ وحين نثبت أن وراء الحدوث والتغير قوة سببية حققت الانتقال المستقبلى . أى الانتقال من القوة إلى الفعل ومن الإمكان إلى الواقع ؛ إنمـا نرسم لأنفسنا خطة عملية سليمة ، ونهجا نراه قويما ، ومذهبا مستقبليا فى هذه الحياة وهذا الوجود . فنحن نقدس العمل لأنه وسيلتنا فى الانتقال المستقبلى ، وندعو إلى القوة لأنها سبيلنا إلى جعل الممكن واقعا ، ونرى أنه بمقدار سرعة انتقالنا المستقبلى يكون حظنا من الوجود ، وشعورنا به ، وليست العبرة عندنا بطول الوقت الذى يعمره الإنسان ؛ بل بمقدار انتقاله المستقبلى ، وتحقيقه لإمكانياته ، أى بمقدار ما بذل من مجهود ، واستنفد من قوة ، وما استطاع أن يحصل عليه من جراب المستقبل

وإن الشعور بالوجود ، والإحساس بالحياة ، ليتفاوت لدى الإنسان بالنسبة إلى الفعل والعمل الذى يؤديه ، والقوة التى يبذلها ؛ أو يتفاوت بالنسبة إلى ما يناله من الانتقال المستقبلى ، والتغير الذى يعانيه ؛ فألف سنة مثلا قد لا تساوى لحظة أو ساعة ، ألف سنة خاملة ساكنة ميتة نائمة ، لا تساوى ساعة حية نشيطة فعالة ، يبذلها الكائن فى استنفاد إمكانيات وجوده

وأرجو أن نطيل التأمل وننعم النظر ، ونقف طويلا معى عند أهل الكهف الذين أمضوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، كانت عندهم بمثابة يوم أو بعض يوم ! ولننعم النظر أيضا ونطل التأمل فى هذه الثلاثمائة عام نفسها التى عاشتها الأجيال المتتالية من الأحياء ، ولننظر كيف تغير الوجود ، وتبدلت الأشياء بالنسبة إليها ؟ وكيف عاش هؤلاء الناس واستنفدوا بما أتوا من عمل وبذلوا من قوة إمكانيات وجودهم

فوجودنا لا يتوقف خصبه وغناه على طول مدته ، كما لا يتوقف فقره وإمحاله على قصره وسرعته ؛ بل على قدر حظنا من الانتقال المستقبلى وشعورنا بالوجود

* * *

السببية وغريزة الحياة :

لو فرض أننا عرفنا الأسباب كلها بكل دقة وكل تحديد ، وكنا على دراية تامة بها ، على رغم تشابكها وتعقدها وعظم مقدارها ، واستحالة عقل واحد أن يستوعبها ، نقول لو أننا كنا على علم تام بهذه الأسباب على النحو الذى أسلفنا ، تلك الأسباب التى يحدث نتيجة لها كل ما فى هذا الكون . . فماذا يكون حالنا ؟ وماذا يكون موقفنا من هذا الوجود ؟

نريد أن نرى أولا نتيجة علمنا الكامل الدقيق الثابت بالأسباب ومسبباتها ، وبالقوانين والسنن التى يسير عليها هـذا الكون .. حينئذ سنرى المستقبل والحاضر والماضى أمامنا ، ونعلم ما حدث وما يحدث فى كل من هذه الأجزاء ، لأن إحاطتنا الكاملة بقوانين الوجود ستريننا : كيف يسير الوجود فنرى كيف سار . وكيف يسير ، وكيف سيسير وسترينا الوجود واحدا ، فنعلم الغيب ونعرف الماضى السحيق ، ويتحقق ما عناه « لابلاس » الفلكى الفرنسى المشهور من معرفة قوانين الطبيعة ، حتى يستطيع العقل الإنسانى أن يرى الماضى والحاضر والمستقبل . ونستطيع أن نشبه الأمر بمرآة ، إذا نظر فيها الإنسان رأى ما مضى وما هو آت ، أو نشبهه بشريط سينمائى يديره

الإنسان فيمر عليه ما نسج من الوجود (الماضي) وما ينسج منه (الحاضر) وما ينتظر النسج (المستقبل)

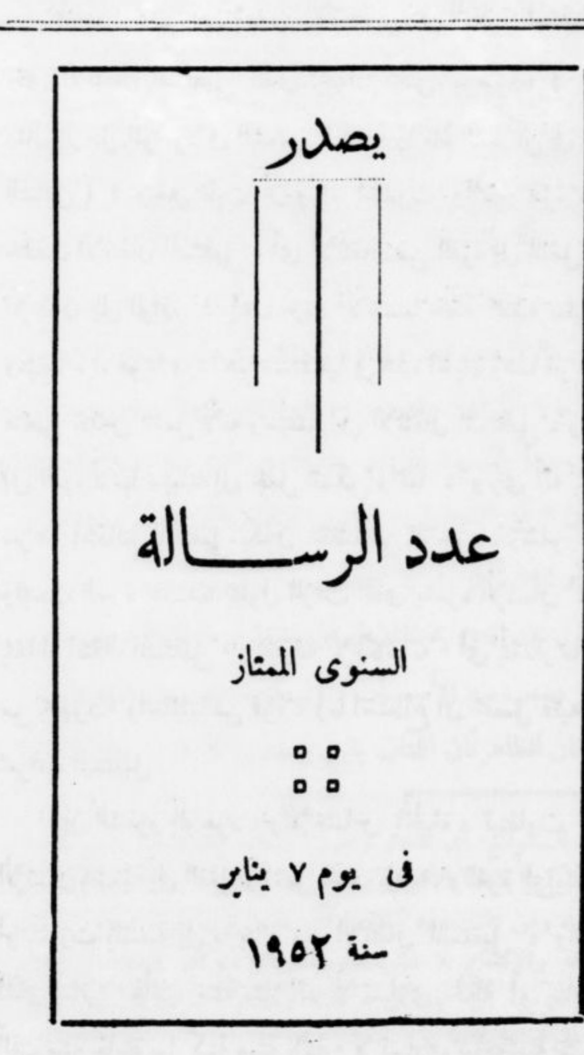
ونريد أن نرى ثانيا: حالنا وموقفنا من هذا الوجود، بعد أن يكون الوجود مجرد مرآة أو شريط

سيكون نتيجة ذلك أمراواحدا، وهوانعدام الحياة والوجود! فإن الإنسان إذا تيقن مما سيحدث وراءه، أو إذا عرف ما سينتقل إليه معرفة كالرؤية — مع ملاحظة أن انتقاله المفروض حينئذ لا يشبه على أي نحو من الأنحاء الانتقال المستقبلي الذي هو علة الحياة — فماذا سيعمل إذن؟ ولماذا يجهد لتحقيق شيء قد رآه؟ إن الوجود سيفقد لذته لديه، وسيفقد بالتالي ذلك السر سر الحياة، وسر الوجود، وهو الانتقال المستقبلي الذي يشعر الانسان بالحياة وبالوجود، والذي يشمل الأمل والعزاء والرغبة والرجاء، والذي يدفعه إلى أن يعمل ليحقق إمكانياته

ولكن .. قد يعمل الانسان لمجرد لذة تحقيق الفعل . أفلا يعمل ذلك الانسان الذي يرى الوجود كشريط أو مرآة، لمجرد لذة التحقيق؟

نحب أن نقول إن ذلك الانسان لن يعمل لمجرد لذة التحقيق، كالذي يشاهد من إنسان لا يرى الوجود كشريط سينمائي أو مرآة، حين يعمل عملا وجد فيه لذة ما، فهو يعود ليحقق نفس العمل الذي يعرف نتيجته مقدما، ثم يعود ليحققه .. ومع ذلك لا يمله ولا يتركه . لن يكون أمر هذا الانسان الذي يرى الوجود، كأمر ذلك الآخر الذي لم يعرف من الوجود إلا جزئيه، لأن ذلك الأخير يتمتع بغريزة الحيــاة؛ أما الأول فبرؤيته الوجود في مرآة أو شريط، بناء على معرفته بالأسباب والمسببات سيفقد «غريزة الحياة» وإن لم يفقد الطاقة على العمل . فوجودنا يشمل أمرين: الأول «غريزة الحياة» — وهي هذا الدافع الذي يدفعنا إلى الحياة الناتج عن الانتقال المستقبلي، لأن الانتقال المستقبلي يولد في الإنسان أشياء منها التوتر والقلق، والرغبة في تحقيق الفعل، والغموض، وعدم التعين الذي يدفع بالإنسان إلى الانتقال للمستقبل ليرى سره، والتعزي عما مضى بما هو آت، والتطلع الدائم إلى ما يضمه المستقبل بين جنبيه، وحالة عدم السكون الناشئة عن الرغبة في تحقيق الفعل؛ وكل هذه الأمور تكون ما نسميه «غريزة الحياة» أو الدفعة التي تدفع الناس إلى الحياة . وأما الأمر الثاني: فهو «الطاقة» التي يعمل بها الإنسان ليحقق الفعل؛ ولا يكون ثمة طاقة، إذا لم يكن هناك «غريزة الحياة»، ولكن قد توجد غريزة الحياة دون طاقة، ولكنها تكون حياة ساكنة لا تحقق إمكانيات، حياة عدمها خير من وجودها . وقد رأينا أن معرفتنا التامة للأسباب ستفقدنا «غريزة الحياة» الناشئة عن هذا اللاتحدد في الانتقال المستقبلي، ففناء وجودنا، وانعدام حياتنا .. سيكون حين يكون وجودنا مجرد مرآة أو شريط

للكلام بقية — عبد الجليل السيد حسن



تعقيب :

الأدب وطلقات المدافع

للأستاذ علي متولي صلاح

ربما كان من أحب التهم إلى نفس الأديب تهمة « شهوة الكلام » التي تفضل الصديق الكريم الأستاذ محمد عبد الغني حسن فرماني بها ! فإن امتلاء النفس بشهوة الكلام وجيشان المعاني في صدر الإنسان واحتدام رغبته في أن يكتب ويعبر . . . هي الدلالة الصادقة على أنه الأديب حقا ، فما بالك إذا كان ذلك منه للرغبة الخالصة في الدفاع عن الكتابة والأدب ؟ وما بالك إذا كانت شهوته هذه لم تواته في المواسم والأعياد وحفلات الوداع والاستقبال وما إلى ذلك ! وإنما واتته لدفع تهمة خطيرة عن الأدب وقيمته وأثره في حياتنا الراهنة ؟ وعلم الله ما أردت تجريح الصديق الكريم ولا الزراية به ، فله عندي حرمة الصديق القديم . ولكن هالني أن يكيل الأستاذ التهم للأدب كأنه له العدو المبين ! هالني أن يرى الأدب عملا « غير جدي » كما يقول، وهالني أن يحمد الأستاذ في أمته « الأفعال لا الأقوال » كما يقول أيضا ، وهالني أن يكون رأيه في الأقوال هكذا :

هذه الأقوال لا تحمي شهيدا ... من ضحايا الحق أو تشفي أواما
أطلقوا المدفع . . لا حنجرة ... وارجعوا للسيف في الحق احتكاما

وهالني أن ينادي — وهو الكاتب — في الناس بهذه الأقوال :

لا تردوا عنكمو غدر الأعادي ... بالعبارات نثارا ونظاما
الكلام اليوم لا يحمي حقوقا ... والبيان اليوم لا يرعى ذماما

وكانت الطامة الكبرى عندي أن يقول « . . فنحن اليوم إلى سلاح صوال ، أحوج منا إلى لسان قوال » !

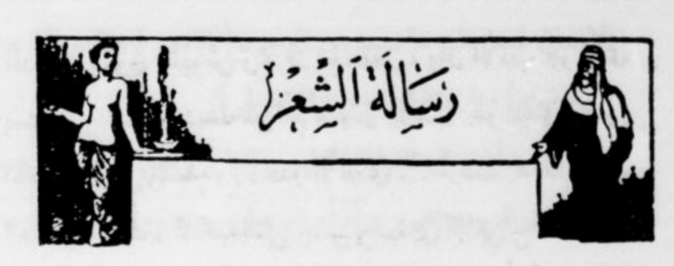
هالني ذلك وخشيت أن يتأثر به بعض ذوي العقول الساذجة من الناس ، فلكتني « شهوة الكلام » لأصحح هذا الوهم ولأدفع هذا الظن ، ولأبين للناس أن الأدب هو الذي يطلق المدافع ويسوق الجيوش ويحرك الجحافل ، وأن الأدب هو الذي يستنهض الهمم ويشحذ العزائم ، وأن الأدب هو الذي يحمي الحقوق ويرعى الذمام ويرد غدر الأعادي . أردت هذا فانبرى الصديق الأستاذ محمد عبد الغني حسن يعقب على كلامي بسلسلة متصلة من التهكم اللطيف لا تمس هذا الموضوع من قريب أو من بعيد !

ولكنني — رغم هذا — حمدت للأستاذ الصديق رجوعه إلى الحق واعترافه بأنه « لا ينكر خطر « الكلمة » وفعلها في النفوس وأثرها في العواطف » ولكنني رأيت الأستاذ يستشهد على خطر هذه « الكلمة » فيقول « أليست الكلمة هي من روح الله التي تجلت للجبل أمام موسى الكليم فجعلته دكا وخر موسى صعقا ؟ أليست الكلمة هي التي أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا فتأكل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟ » فلم أستطع — والحق يقال — أن أتبين علاقة هذين الأمرين بما نحن بصدده من بيان خطر الأدب والكتابة وأثرهما في الحياة ! أما الأولى فهي أن موسى عليه السلام طلب أن يرى الله وقال (رب أرني أنظر إليك. قال لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) فلا أدب هنا ولا أدباء ولكن الله تعالى أراد أن يعلم موسى أنه طلب أمرا عظيما حين طلب رؤيته فدك الجبل به وعن طلب الرؤية لهم معه وخر موسى صعقا (فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) . وأما الثانية فهي هداية من الله للنحل وإلهام لها بقوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فلا أدب هنا ولا أدباء أيضا ، ولكنه وحي وإلهام من الله وآية على قدرته ، فما إقحام هذين الأمرين في موضوع تأثير الأدب في الحياة ومدى فعله فيها ؟

واستشهد الأستاذ على تفاهة قدر القلم بالبيت الشهير الذي يحفظه التلاميذ جميعا وهو :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

ولا أدري كيف غاب عن الأستاذ الصديق أن أبا تمام لم يكن



غضبة مصر

للاستاذ أنور العطار

« ... إن غضب الشعب كغضب الطبيعة ، إن هاج لا يقدع ، وإذا وقع لا يدفع » :

« الزيات »

— الرسالة العدد ٩٦٢ —

حمى العرب فى مصر من روعه؟ ومن عاث فيـه ومن زعزعه
تفشى الشجون نهاراته وتسهد ليـلاته المفزعه
تضرج آفاقه بالدماء وبالهول والنكبة المفظعه
وبالقلق المر يفشى الحمى ويدممه حسرة موجعه
ويبتعث الفتية القـاحمين أولى البأس والغضبة المشرعه
تنادى الكرام على خطبه ولبوه بالمهج الطيعه
ورووا أباطحه بالدماء وندوا بمخضوبه أربعه
وكانوا الأضاحي يوم الفداء فكانوا المطاش على مشرعه
تهـاووا على الموت فى لهفة فر بهم سنـة مسرعه
فذاقوه أعـذب ما يشتهي فيالك من ميتة مطمعه
فياطيفهم أنت ملء الضلوع عزيز على القلب أن ينزعه
يعيش بذكراهم دائبا فتسهر ذكراهم مضجعه
وتغمره بالأسى والحنين فإن شمته شمته أدمعه
كأنهم بسمات الربيع نجود بهـا روضة مونعه
كأنهم نفحات الخلود فلله عطرك ما أضوعه

* * *

حمى العرب فى مصر من روعه ومن عاث فيـه ومن زعزعه
ومن أنت يا خزى هذا الأنام ومن أنت يا ناشدا مصرعه

فى هذا البيت يكتب موضوعا إنشائيا جيلا لطلاب المدارس (على حد تعبير الأستاذ الفاضل) يوازن فيه بين السيف والـكتاب ، ولـكنه كان يفند أقوال المنجمين الذين أشاروا على الخليفة « المتوكل » ألا يخرج للحرب فى يوم من الأيام لتطهيرهم منه وتوقعهم له الهزيمة والفشل فى ذلك اليوم ، فلم يستجب الخليفة لتنجيمهم ومضى إلى الحرب فكان الفائز المنتصر ! فابتدره أبو تمام بقوله : « السيف أصدق أنباء من الـكتب) أى من المنجمين ! ويعترف صديقنا بأن قصيدته لم تكن (كفرا بالأدب ولـكنها فى الحق كفر بالخطب و كفر بالمقالات والـكتب) كما يقول ، ولا أدرى أيريد الأستاذ بذلك أن يقول إن الخطب والمقالات والـكتب ليست من الأدب فى شىء ؟ إن كان الأمر كذلك فتلك هى الآفة الـكبرى التى أجل أدب الأستاذ وفهمه عنها ! فإن الخطب والمقالات والـكتب هى أشياء من صميم الأدب وبخاصة فى مقام الاستحثاث والاستنهاض الذى نحن بصدده !

ولا أدرى يا صدقى كيف وأنت تزعم قراءة عصور الأدب الفرنسى والإنجليزى جميعها إذ تقول (لقد قرأت من زمان طويل ما قاله (هازلت) فنازلا و (سارتر) فصاعدا .. ولعلك خبير بتسلسل هذه العصور فى فرنسا وإنجلترا) لا أدرى يا صديقى أى شىء يكون (صاعدا) بعد سارتر ؟ والذى أعلمه علم يقين أن ليس بعده شىء ! وأنه حى يرزق ! وأنه لا يزيد عمره على عمرك المبارك إلا قليلا ، وأن مذهبه — وأعنى به الوجودية — هو آخر المذاهب الأدبية التى اعتورت الأدب من عصوره اليونانية القديمة إلى يومنا هذا ! وهو مذهب تتفتح أبوابا كثيرة ولم يعم انتشاره بعـد !

يا أخى : إن الأدب — رضيت أو لم ترض — هو الحركة الأولى لـكل شىء فى الحياة . وكل ثورة حربية إنما سبقتها ثورة أدبية مهدت لها وأدت إليها ، والـكلام فى هذا يطول والشواهد عليه لا تحصى ، فإما أن تقول كلاما فى الموضوع وإما أن تتقبل تحيتى وسلامى !

علي متولي صلاح

ومن أنت يا بدعة الظالمين أما آن للحق أن يقممه
أتنحو على الروض نضرا جناه تقصف فى حنق أفرعه
وتطوى مباهج سفر الوجود وما ضم من صور ممتعه
وتقذف بالرعب فى الآمنين وتلتهم الطفل والمرضعه
تزلزل بالناس سكناهم كأن ديارهم بلقعه
وتأتي على بلد صابر مجيب لمكرك ما أفظعه
بوجه تلفع بالموبقات تعف الخساسة أن تصفعه
وقلب تخلع من رعبه تشبث بالكهف والصومعه
تسلح بالغدر يوم الصدام فكان على الغدر أن يصرعه
فما ضره لو أماط اللثام وخلى لأربابه برقعه
وعقل من الطيش مستنبط قضى دهره كله إمعه
إذا أزمع الناس يوم الزماع تلجلج مستأنيا مزمعه
وإن نهضوا للعلى والرشاد مشى للخنا سالكا مهيعه
ولو كان أمعن فى عقله لكان من الخير أن يرقعه
أضاع الرشاد غداة الهياج ولا يعرف الرشد من ضيعه
فيالك مدعيا باغيا ولله بغيك ما أشنعه
ويالك من مورد آسن يمج ضروب الأذى والضعه

* * *

بنى النيل هبوا بيوم الفخار فلا خير فى العيشة المضرعه
بناء من الظلم جدرانه فلن نرجع الدهر أو نصدعه
ولا تهنوا فى مجال الكفاح ولا ترهبوا جاحم المعمعه
ألستم بنى العربى الأبى ومن عاش للمعتفى مفزعه
ومن مر بالأرض مثل الغمام وطوقها رحمة ممرعه
إذا هجته هجت ليث الشرى فهاجت على إثره مسبعه
وإن رمت تقبس من هديه أراك السنا سابرا منبعه
إذا كتب القوم تاريخهم فتاريخنا الخير والمنفعه
وتاريخنا حافل بالعلاء وتاريخهم ملؤه الجمجمه
سأنشر ما عشت أمجادنا وأبعث ماضينا أسطعه
بنينا على الحمد هذا الوجود وصغناه أنشودة مبدعه
فلا بد للحق أن يستفيض ولا بد للبطل أن ندفعه

* * *

هو الرزء يجمع أشتاتنا فأعلوا بحبكم مجمعه
تساق الأخلاء أمواهه وطافوا بأكوابه المترعه
تلاقوا كما تتلاقى الدموع وتشتبك الدوحة المفرعه
وصانوا العلى والإخاء القديم وصانوا التراث ومستودعه
ومن عاق هذا الهوى والوئام فإنا عليه ولسنا معه
ومن يزرع الريح فى أرضنا فلا بد أن يحصد الزوبعه

دمشق أنور العطار

الضيف الخالد

للأستاذ محمود عماد

ما أنا منك ، لا ولا أنت منى أيها النازل الحمى فامض عنى
إن تكن ضيفنا فسبعون عاما يلمن الضيف بعدها أى امن !
أو تكن جئتنا لتحمى فردا فهو والله مات من نصف قرن
وهو والله لم يحط عرشه الخو ف لدن جئته تجود بأمن
هو عرش فى كل عهد محوط من رضا شعبه بأمنع حصن
ولنهبها مروءة لك فاضت فلقد جاوزت حدود التمنى !
وهى منا لما تفز بشكور فلتفز منك يا جواد بضن
هى صنف من المروءات لا يلـ ق لدى البذل غير حقد وضغن
هى صنف من المروءات يسدى بأكف من كثرة السلب حجن
ووجوه صفيقة الجلد لو شد ت نعالا لما اعتراها تثنى !

* * *

يا ذئابا فى صورة الناس تبدو فن تمثيلكم لهم أى فن ؟
قد وصلتم بمخلب كل ظفر وبناب وصلتمو كل سن
أى شر خشيتموه علينا ومننتم بدفعه كل من ؟
أى خصم أقمتمو لتصدو ه بضرب عن أرضنا وبطعن ؟
أنتم الشر والخصوم جميعا فدعونا نفز بأمن ويمن
إن تخالفكم الفداة فمن ذا نتقيه من بين إنس وجن ؟
أين ما قد أذيع فى مجلس الأ من ، أو الخوف ، من أغانى المغنى ؟
أين ما قد زعمتمو من حقوق قد سننتم قانونها خير سن ؟
أين حق الانسان أو أين حق الـ شعب فى حطم كل قيد وسجن ؟

وهو إنساننا الذي صنع الله ... وترعونه بحق التبني ؟
أم تراه الذي صنعتم نحاسا ... لتقودوه دون عقل وذهن ؟

* * *

يا بني النيل، من تحدر من قحـ ... طان في أصله ومن فرعون
إنني في عروقكم سامع صو ... تين قد دويا بوحي دمين
أن هلموا، فاليوم - أو مستحيل - ... يرجع النيل عزة الضفتين
لا تخافوا جنديهم فهو لا جنـ ... دي، بل أعطي اسمه حسن ظن!
إنه مشجب لحمل سلاح ... فانزعوه يكن لكم شبه قن
اضربوه بسيفه إن تنقضا ... م، وإلا في ضربه النمل تغني
لم يكن راحما، فحرمت الرحـ ... ـمة منكم عليه، دينا بدين

محمود عمار

نسف قرية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

ديار الآمنين نسفن نسفا ... فبات على الثرى منا الألوف
وما اقترفوا ولا هموا بذنب ... ولكن هكذا شاء الحليف
أيظهر بطشه ويخيف شعبا ... يرى أن المنية لا تخيف
ألا يا أمة هرمت وشاخت ... ثقيل عداوة وأذى طفيف
ستبلعكم مقابركم لدينا ... وتغنينا عن الدور الكهوف
سلاحكمو - وإن غدا قريب - ... بأيدينا فوزنكمو خفيف
وفي أجنادكم ما ليس يخفى ... على أحد وإن كره العفيف
يبيع سلاحه منكم ظريف ... بعيد عن مقاصدكم عزوف
لطيف الدل ذو صوت رخيم ... ويجني من محاسنه القطوف
ويملكه الحيـاء ويتقينا ... بكفيه إذا سقط النصيف
بكأس يشتري منه سلاح ... ويخلب لبه القول اللطيف
عساكركم دمى صيغت بفن ... وأولى أن تضيق بها الرفوف
وإن نسفوا منازلنـا فقدما ... يجني عنـد فرصته الضعيف
لقد فقدت كرامتها جيوش ... يبيع سلاحها منهم ألوف
وقد كرهوا الحروب فإن فيهم ... شيوعيين دينهمو الرغيف
وقد فقدوا رجولتهم فهم ... غريق في ملذته مؤوف
جنودكمو الألى دللتموهم ... رخيم أو بهير أو زيف
تخذتم أكثر الدنيا عبيدا ... تحارب دونكم جيش عنيف
وحرركم وغلبهم عليكم ... زمان رأيه فيكم حصيف
تولى المترفون الأمر فيكم ... دروعهمو الغلائل والشفوف
أرى متنعمين وهت قواهم ... فظل العيش عندهمو وريف
وحق عليكمو ما حق قدما ... على من سادهم أبواء جوف
نسفتم دورنا فلتذكروها ... فهلا قلعة من عهد خوفو
بنـاء يبتنيه أهل مصر ... يحطمه بمدفعه الحليف
فيالك ضحكة دوى صداها ... يجاوبها من الجن الزفيف
ألا إن الألى شردتموهم ... سيصلح أمرهم رب رؤوف
ستمسي في أكفهمو حراب ... وتصبح بين أيديهم سيوف
فيا للثأر يا ابن منـا ورمسو ... ولا يزعجك جمهمو الكثيف
وما يكتال بالثأرات آب ... دم بدم ونحسو أو نسوف

عبد اللطيف النشار

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

محنة الأخلاق فى الجامعة

هذه الكلمات التى أنقلها هنا ، كما وردت بنصها فى رسالة من أحد « تلاميذ » الدكتور عبد الرحمن بدوى ، أود أن أقدمها مرة أخرى إلى معالى وزير المعارف ، وإلى مدير جامعة ابراهيم ، وإلى عميد كلية الآداب بتلك الجامعة .. أود أن أقدمها إلى هؤلاء الذين بيدهم الأمر ، ولهم سلطة الإشراف ، وعليهم فى النهاية تقع المسئولية !

قال التلميذ « الفاضل » وهو من ناشئة الجيل الذى أشرف على « تربيته » الأستاذ « الفاضل » : (قرأت تعقيبكم على فقرات من كتاب « الحور والنور » للدكتور عبد الرحمن بدوى ، فرأيت أن أرد على ما جاء به من اتهام مجحف بما يأتى :

(١) إن العلاقة الجنسية عملية « بيولوجية » لاستمرار الحياة .. فالتحدث عنها وعما يستلزمها من استمتاع بالأعطاف والأرداف ليس فيه مايخجل ! !

(٢) ماهى قيم الناس المقدسة ؟ إن هى إلا أضحوكة صاغها العرف ودعمها من يسميهم الناس أنبياء .. فله الحق « يقصد الدكتور بدوى » فى رفضها أو قبولها ! !

(٣) إن عبد الرحمن بدوى لاينال بمثل هذه الكلمات من سمعة الجامعة العلمية أو الخلقية .. بل إن الجامعة لتفخر به » ! !

إلى هنا وتنتهى رسالة التلميذ « الفاضل » ، وهو كما قلت من ناشئة الجيل الذى يشرف على « تربيته » الأستاذ « الفاضل » .. إن هذه الرسالة هى الدليل المادى الذى لا يدفع ، على أن هذا الأستاذ قد استطاع أن يطبع تلاميذه بطابعه ، وأن يخلق منهم « رجالا » يواجهون معركة الحياة الطويلة بسلاح الخلق .. الخلق الذى يطالعك معدنه « النفيس » من وراء تلك الكلمات !

هذا هو ما كنت أنتظره وأخشاه ، وهذا هو ما دفعنى إلى إثارة المشكلة من قبل أمام المسئولين ، مشكلة التدهور الخلقى الذى يخشى منه على طلاب الجامعة . هذه التيارات الفكرية التى تعصف بالقيم وتحتقر المثل وتهزأ بالتقاليد ، من الذى نثر بذورها الآثمة ورعى ثمارها المجرمة فى رؤوس أصحاب الغد ، رؤوس هذا الجيل المرتقب من شباب الجامعة ؟ ترى هل يحتاج السؤال إلى جواب ؟ وإذا كان محتاجا فمن يجيب ؟ هل أجيب أنا أم يجيب مدير جامعة ابراهيم ، أم يجيب عميد كلية الآداب بتلك الجامعة ؟ !

إن مثل هذا الطالب الذى يدافع عن العلاقة الجنسية بأنها عملية بيولوجية ، ويؤكد أن الاستمتاع بالأعطاف والأرداف ليس فيه ما يخجل ، وأن القيم المقدسة إن هى إلا أضحوكة من صنع العرف أو من صنع من « يسميهم » الناس أنبياء .. مثل هذا الطالب ـ وهو نموذج مادى صارخ لغيره من الطلاب ـ لا ذنب له فى رأى الحق ولا لوم عليه ؛ لأن هناك « الأستاذ » الذى أقنعه بأن هذه هى القيم ، وبأن هذه هى المثل ، وبأن هذا هو الطريق .. هناك الأستاذ الذى أقنعه بهذا كله فى قاعات الدرس وهو يحاضر ، وبين صفحات الكتب وهو يؤلف ، ولا بأس فى منطق « الدين الجديد » من أن تفخر الجامعة بداعى الدعاة ! !

أرأيت كيف يفخر التلميذ « الفاضل » بكلمات أستاذه « الفاضل » ؟! لقد علمه فأحسن التعليم ، وأدبه فأحسن التأديب ، ووجهه فأحسن التوجيه ، وبلغ من ذلك كله الأوج وأشرف على الغاية .. إن هذا الطالب وأمثاله شهداء ؛ وإذا كان الشىء يذكرنا بنقيضه ، فإنى لأذكر فى هذا المجال شهداء آخرين ، وما أبعد الفارق فى حساب الشعور بين شهداء « الوطنية المحمومة » وشهداء « الأفكار المسمومة » .. إن « أبناء القنال » مثلا يفخرون بحديث الجهاد والبذل ، وبمعنى الفداء والتضحية ، ثم بشرف الانتحار بين يدى العدو اللدود ؛ أما « أبناء الجامعة » فيفخرون بحديث الأعطاف والأرداف ، وبمعنى المساواة بين الخالق والمخلوق ، ثم بشرف الانتحار بين النهود .. أليست هذه الألفاظ هى ألفاظ « أستاذ الجيل » كما ازدان بها كتاب « الحور والنور » ؟!

حديث وحديث ، وممنى وممنى، وشرف وشرف ، وهى فى جوهرها دروس ودروس .. دروس فى « الاستقلال » يتلقاها فريق من شباب مصر ، ودروس فى « الانحلال » يتلقاها فريق آخر من هؤلاء الشباب ، وابحث عن الدوافع النفسية لهذه الظواهر الخلقية ، ابحث عنها فى « القادة » الموجهين هنا وهناك !!

لقد بقى شىء كنت أود أن أذكره ، وهو اسم هـذا الطالب الجامعى لعله يخجل .. كنت والله أود أن أفعل ولـكننى تذكرت تذكرت أن أسـتاذه « الفاضل » قد علمه وعلم أمثاله أن الهبوط والسقوط ، ليس فيهما ما يبعث على الخجل أومايدعو إلى الحياء!!

ذكرى شاعرة سورية :

هل تذكرون تلك الفتاة الأنيقة الرشيقة .. « الآنسة » هجران شوق ؟ وهل تذكرون ذلك اليوم الذى رفعت فيه القناع عن الوجه المزيف والحديث الـكاذب والشعور المصنوع ؟ ! لقد استطاع ذلك الشاعر السورى « المعروف » أن يلقانى بوجه امرأة ، وأن يتحدث إلى بصوت امرأة ، ولـكنه نسى شيئاواحدا لم يفطن اليه .. وهو أن يتزود بدهاء النسـاء ، نسى مع الأسف الشديد هذا السلاح الخالد من أسلحة حواء.. ومن هنا انكشف أمره وانتهت المعركة !

أقسم أننى كنت أعرفه ، أعنى « الأستاذ » هجران..وأننى ذكرت اسمه لـكثير من أهل الأدب حين سئلت عنه ، بعد تلك الـكلمة التى وجهتها اليه على صفحات « الرسالة » ورجوته فيها أن يفصح عن اسمه وإلا أفصحت عنه ! .. رجوته فخيب الرجاء ولج فى الهجر ، وامعن فى الدلال ، شـأن ربات الحجال ! ومن هنا خاننى الصبر فبحت باسم الأستاذ الشاعر فى مجالس الأدب فصدق أناس وتردد فى التصديق آخرون . ترددوا على الرغم من الأدلة المادية المقنعة التى تقوم على المقـارنة بين شعره وشعر « الآنسة »، وبين النماذج الخطية لـكتابتها و كتابته وهى موجودة بدار « الرسالة » ؛ فضلا عن السبب الاصيل الذى من أجله بدل من قسمات الوجه وغـير من نبرات الصوت .. وهو دفاعه الصادق الخالص عن شاعر بعينه فى مسابقة شعرية أقامتها مجلة « العصبة » المهجرية ! !

تلك الفئة المترددة فى التصديق كانت قليلة على كل حال ، وعذرها فى ذلك مقبـول حين نضع نصب أعيننا هذه الحقيقة ، وهى أن الشاعر الذى وضع على وجهه نقاب امرأة شاعر معروف تعرفه صفحات « الرسالة » منذ خمسة عشر عاما على وجه التقريب وتبعا لهذا « الشرف » يعرفه القراء فى مصر والبلاد العربية .. ومن هنـا عز على بعض المقول أن تصدق تلك « الفعلة » التى لايقدم عليها غير الأدباء الناشئين أو غير الصبية المراهقين !!

وأترك تلك الفئة المترددة وأخاطب القراء ، مقـــدما إلى أذواقهم هذه الابيات التى أقتطفها من قصيدة ألقاها الشاعر الذى أعنيه ، فى حفلة تكريم أقيمت للشـاعر المهجرى جورج صيدح بدمشق ، ونشرتها مجلة « الأديب » اللبنانية فى عدد ديسمبر عام ١٩٥١ .. قال الأستاذ الشاعر وهو يتحدث عن نكبة فلسطين بصوت « لرجال » محييا الشـاعر المهجرى الذى نذرلها ديوانه « النوافل » هبة شمر وشمور ، قال حفظ له الله وجهه الحقيق بغير نقاب :

عليك سلام العرب يندى مواجما ... ويشرب دمع العين قربا إلى قرب
ولم زحت لاتلوين إلا على النوى ... أمن أمل رحب إلى أمل نهب ؟
ديار الهوى لازلت مخضرة المنى ... ترف على مغناك فينانة المشب !
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ... وبى منك مايفرى الحب وما يصبى
وما غبت من طرف وإن بعد المدى ... ولـكننا فى الحب جنبا إلى جنب
وما ذكرتك النفس إلا تولهت ... وهيمها روح فباتت بلالب !

يهيج جواها الشوق والشوق عاصف
كأن على أنفاسه زفرة النحب !
دهتك من الدنيا كوارث جمـة
وألقت بك الويلات فى مسلك صعب
فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا
وتزدهر الأعواد فى المهمه الجدب !

إذا دهمته الداهمات تلجلجت ... به النفس وانهارت تقول له حسبى
وطوف رباع الخلد تطواف عاشق
حسير الأمانى وابك بالمدمع السكب
إليك أؤدى بعض ما تستحقه ... رفيفا من التحنان والنغم العذب
وأنت جدير بالدرارى فليتنى
أصوغ بيانى من سنا الأنجم الشهب !

هـذه هي الأبيات، ومعذرة لضياع الوحدة النفسية فيها وكذلك الوحدة الفنية، لأن هنـاك بيتا مقتطفا من هنا وبيتا مقتطفا من هناك، تبعا لحرصى على جمع « الإكليشيهات اللفظية » التي سأترك لك المقارنة بينها وبين « إكليشيهات أخرى » مماثلة، هناك في قصيدة قديمـة وجهتها « الآنسة » هجران شوق إلى الشاعر عزيز أباظة، في العـدد (٩٠١) من الرسـالة .. وهو العدد الصادر في ٩ أكتوبر عام ١٩٥٠ ! قالت « الآنسـة » الشاعرة التي نسيت أنني أقرأ مجـلة « الأديب » وما زلت أذكر شعرها الحبيب :

وأنت سمـــاوى القصيد قبسته
من اللاعج المشبوب والمـدمع السكب

ولمـا زل سؤل النفوس وقصدها
وشغل الليالى الزهر والأنجم الشهب

فيـالك من شعر رقيق منغم — يرف رفيف الطل في ناضر العشب
رقرق بالشكوى وضمخ بالأسى — فجاد بما يغرى وجاش بما يصبى
وأشربته نجوى تذوب رهافة — وتخضل بالتذكار والأمل النهب
تخلده الأحقاب في الطيرشاديا — فإما شدا بات المحب بلا لب
وفى الغائب النائى الذى لفه الردى
ففاض حنانا وهو في زفرة النحب

غريب حريب لا يقر قراره — إلى أن نرى في الخلد جنبا إلى جنب
فما الشعر إلا ابن المدامع والأسى — تجود به الأجفان غربا إلى غرب
إذا خاطب الأرواح رفت بشاشة — وو أنها في وحشة المهمه الجدب
يظل حداء الركب ترى به النوى — فينسيه ما يلقاه من مسلك صعب
نشاوى وما ملوا غناء ولا مرى — ولا تعبوا أو قال قائلهم حسبى !
فيالك صداحا ويالك شاعرا — تفرد بالتحنان والنغم العذب

أرأيت إلى هذه « الإكليشيهات اللفظية » المكررة في هذه القصيدة وفى القصيـدة السابقة ؟! .. إنها « إكليشيهات » تطالعك كثيرا في شعر هـــذا الشاعر، وهى من « لوازم » التعبيـر التي تكشف لك عن شخصيـة الأديب أو الشاعر ولو حجبت تلك الشخصية وراء الأستار ! .. « المدمع السكب »، والدمع الذى تجود به الأجفان « غربا إلى غرب »، و « الأنجـم الشهب »، و « المسلك الصعب »، و « والمهمه الجدب »، و « زفرة النحب »، و « بات بلا لب »، و « الأمل النهب »، وفى الحب أو في الخلد « جنبا إلى جنب »، وتلك أو الذى « يقول له حسبى »، وذلك « التحنان والنغم العذب » .. إلى آخر تلك « الإكليشيهـات » المحفوظة على طريقة تلاميذ المدارس، والتي يمكنك أن تجـد الـكثير منها بلحمه ودمه في قصيدة أخرى نشرت « للآنسـة » هجران على صفحات الرسالة، وهى القصيدة التي رثت بها « أختها » الشاعرة المصرية الراحلة، الآنسة ناهد طه رحمها الله !!

عيب الأستاذ الشـاعر أنه ضعيف الذاكرة، ولو لم يكن ضعيف الذاكرة لما نسى أن وظيفتى الفنية هى النقد، وأن النقد من عادته أن يرفع الستر عن الأشياء الدفينة .. لقد سطا الأستاذ في جرأة بالغة على شعر الآنسة هجران، ولم يتحرج من أن يحيى الشاعر جورج صيدح بهذا الشعر المسروق !

ليصدقنى القراء أنى لم أكن أنتظر أن يسطو هـذا الشاعر المعروف على شعر هذه الشاعرة الناشئة .. قد يدافع هو عن نفسه فيقول لنا بصوته الطبيعى الذى لا تشوبه رقة الغانيات : هـذا اتهام جائر لأن الشعر شعرى هنا وهناك، سواء نظمته من وراء الأستار أم نظمته في وضح النهار .. عندئذ لا يسعنا إلا أن نعتذر للأستاذ أنور شوق أو للآنسة هجران العطار !!

حول أسئلة القراء :

يؤسفنى جد الأسف أن تشغلنى محنة الأخلاق في الجامعة وذكرى الشاعرة السورية، عن التفرغ للأسئلة التي تلقيتها من بعض القراء وأشرت إليها في العدد الأسبق من « الرسالة » . ولقد تلقيت فيضا آخر من الرسائل في الأيام الأخيـرة، وأرجو ألا تشغلنى عن التعقيب محن أخرى وذكريات !

بقى أن أوجه أنظار القراء إلى هذه الحقيقة، وهى أن وقتى لا يتسع لـكتابة الرسائل الخـاصة حول المشكلات الخـاصة؛ المشكلات النفسية التي تمتلئ بها نفوس الشباب في هـذا الجيل. إننى أقدر هـذه المشكلات كل التقدير وأعطف على أصحابها كل العطف، ولـكننى أعتذر لهم بضيق الوقت وبشئ آخر، وهو أن كثيرا من المشكلات لا يمكن علاجه بكلمة أو كلمات !

أنور المعداوى



مسرحية ...

دنشواى الحمراء...

للأستاذ أنور فتح الله

تأليف : الأستاذ خليل الرحيمى
إخراج : الأستاذ زكى طليمات
تمثيل : فرقة المسرح الحديث

.. دنشواى .. قرية صغيرة من قرى الريف المصرى ، كانت تعيش هادئة آمنة إلى أن شاء القدر أن تبرز هذه القرية فى صفحات التاريخ . فتهز مأساتها الضمير الإنسانى ، وتلطخ بالعار تاريخ الإمبراطورية العجوز .. ومنذ سنة ١٩٠٦ ، أصبح اسم دنشواى يقترن بأبشع صور الظلم الإنسانى ..

ولقد أراد المؤلف خدمة القضية الوطنية بتصوير الحاضر وإثارة الشعور ببعث الماضى الذى مثل فيه الإنجليز بنا أشنع تمثيل ، فاتخذ من حادث دنشواى صورة الماضى . . . ورمزا للحاضر . .

ولما كانت هذه المسرحية ، هى المسرحية الأولى التى يساهم المسرح المصرى بها فى خدمة القضية الوطنية مساهمة مباشرة . . فقد رأينا أن نتجه فى نقدنا لها اتجاها « تحليليا » ، متتبعين خطوطها الفنيه ، ومسجلين الأثر الذى تركته فى نفوسنا ؛ لنعطى للقارىء صورة صادقة لها

. . تبدأ أحداث المسرحية فى الاسماعيلية ، حيث نرى أسرة مكونة من أب ، وأم ، وابن ، وخطيبته

.. أما الابن « عادل » فإنه يساهم فى خدمة وطنه بالاشتراك فى كتائب التحرير التى أعلنت حرب العصابات على المستعمر . . ولقد علمت الأم « رزقة » بما اعتزمه ولدها ، فحاولت منعه لتدرأ عنه الخطر المحدق به ، ولكنه يصر على الثأر للوطن من الغاصب المستبد . فتستعين بالأب « عبد الرازق » ، وإذا به يأذن لولده بالخروج ليؤدى واجبه ، فتصرخ الأم باكية ، فيذكرها بماضيها فى دنشواى . .

وفى دنشواى ، نرى حادث قتل أم محمد ، شقيقة عبد الرازق برصاصة أحد جنود الجيش البريطانى ، ونرى مستر متشل المستشار الإنجليزى لوزارة العدل يجرى التحقيق فى منزل العمدة ، وقد اتهم فى الحادث حسن محفوظ والد رزقة ، وعبد الرازق خطيبها . . وينفذ حكم الإعدام فى حسن محفوظ وزميليه .. ويفر عبد الرازق ورزقة إلى الاسماعيلية . .

وتنتهى حوادث المسرحية فى الاسماعيلية ، حيث ينقذ عبد الرازق ولده عادل وخطيبته سلوى ورزقة ، ويقف وحده ليواجه جنود الجيش البريطانى الذين جاءوا للقبض على ولده ، وينسف المنزل على نفسه وعلى أعدائه . .

.. ومن هذا العرض السريع للمسرحية ، يتضح لنا أن المسرحية تصور الحاضر ، والماضى . ولقد ربط المؤلف بين الماضى والحاضر بشخصيتى الأب والأم . ولجأ إلى الرمز فى تصويره للحاضر ، فاختار أحداثه من المخيلة ليرمز للواقع واتجه فى تصويره للحقائق التاريخية إلى التركيز ، فأخذ قمم الأحداث واستعان بالخيال فى تصوير الدوافع النفسية التى تحرك أشخاص التاريخ ، وبهذا بعث فيهم الحياة ، وأبرز الماضى فى صورة تثير الفكر والعاطفة

.. والجو العام لهذه المسرحية مزيج من الدراما والكوميديا .. الدراما التى تمثل مآسى الظلم .. والكوميديا التى تصور السخرية الثائرة على الأوضاع المقلوبة فى الحياة . . ولقد بدت مشاهد الكوميديا موزعة فى المسرحية لتمهد لضربات المأساة . وكانت شخصية الأسطى عطيه تمثل الخط الكوميدى فى الجزء الذى يصور الحاضر ، وشخصية الشيخ محمد تصور امتداد هذا الخط فى الجزء الذى يصور الماضى . ولقد كان الضحك فى هذا الخط نتيجة للمفارقات الطبيعية المتصلة بالأحداث ، كوقف الشيخ محمد عند التحامه بمستر متشل ، ومحاولته تضليل ضابط البوليس حتى لا يقبض على عبد الرازق

والزمن فى المسرحية يبدأ بالحاضر ، ثم يعود إلى الماضى ، ثم يرجع إلى الحاضر . وهذه الحركة تسمى فى السينما flash back

وهى نادرة الحدوث فى المسرح . ولقد استخدمها المؤلف فى هذه المسرحية لتحقيق غرضين .. الأول رمزى .. فهو يرد شعورنا بكراهية الانجليز اليوم إلى الألم الكامن فى اللاشعور المصرى نتيجة لكبت الظلم فى الماضى . • أما الغرض الثانى فهو فن .. قصد به التخلص من التسلسل التاريخى الذى يجنح بالمسرحية إلى العرض .. وأريد به المقابلة بين أحداث الحاضر وأحداث الماضى ، وهذه المقابلة تزيد من قوة الحادث المسرحى .. ومن ناحية أخرى فإن هذه الرجعية الزمنية تساير حركة الفكر عندما يعود إلى تذكر الماضى

.. والحادث المسرحى يصور حياة أسرة مصرية فى الماضى والحاضر ، وحياة هذه الأسرة تمثل حياة مصر فى الماضى وفى الحاضر .. والصراع بين هذه الأسرة وبين البريطانيين نتيجة لما حل بها من ألم وظلم يمثل الصراع بين مصر وبينهم .. والرابطة بين ماضى الأسرة فى المسرحية وحاضرها هى رابطة الدم التى تصل عبد الرازق بولده .. وهى تمثل نفس الرابطة التى تصل أبناء اليوم بآباء الأمس الذين حل بهم الظلم فى دنشواى وغيرها من من مآسى الاستعمار .. وبهذا قابل المؤلف بين حياة تلك الأسرة الصغيرة التى ظهرت على المسرح .. وحياة الأسرة الكبرى التى يرمز إليها .. واستطاع بهذا أن ينقل التجربة التى تلقاها من الحياة ويطبقها فى عمله الفنى

ومن حيث تصوير الأشخاص .. اتجه المؤلف فى تصويرهم اتجاها رمزيا .. فعبد الرازق يرمز للماضى المستمر فى الحاضر .. وعادل يرمز للحاضر المستمر فى المستقبل .. والشيخ محمد والأسطى عطية يرمزان لروح الشعب المصرى فى الماضى والحاضر ، وسلوى تمثل الفتاة المصرية التى تساهم بنصيبها فى الجهاد .. ومستر متشل يمثل روح الاستعمار البريطانى . وسنتناول بالتحليل شخصيتين : الأولى خلقها المؤلف من المخيلة .. والثانية استمد اسمها ودورها من التاريخ ، أما بقية الصور فمن خلقه ..

.. فقد أبرز الشيخ محمد مؤمنا بالله ، صادقا بفطرته ، طيب القلب ساخطا على الظلم ، يعبر عن سخطه المكبوت بسخريته اللاذعة ، وإذا جرح شعوره الدينى فأنه يثور ثورة عابثة ولا يبالى بالحياه .. ولقد حرص المؤلف على أن يجعل الأحداث التى يشترك فيها تبرز هذه الخطوط ، فى نطاق الواقع النفسى والفكرى للشخصية المصرية

ولقد أبرز المستر متشل متظاهرا بالعدل وهو ظالم ، يتهم بالقتل وهو قاتل ، ويغضب من الحق ، ويؤمن بالباطل ، وبهذه الخطوط لخص المؤلف روح الاستعمار فى شخصية متشل ، وعبر بأفعالها وأقوالها عن المنطق الاستعمارى أبلغ تعبير .. ولقد سار المؤلف على ذلك فى رسم الشخوص الأخرى .. كالعمدة ؛ وجندى البوليس ، وشيخ البلد ، وشيخ الخفر . أما شخصية عبد الرازق وعادل فإنهما ترمزان لجيلين ؛ ولهذا كان المؤلف ملتزما فى تصويره لهما . ولقد قيد هذا الالتزام حريته فى التصوير فغلبت عليهما النموذجية ، وذلك حتى لا تبعد الصورة عن الرمز . وكان الجانب الإنسانى بارزا فى تصوير الأم لتأرجحها بين العاطفة والواجب .. والطابع العام فى رسم الأشخاص هو الصدق فى التصوير والتعبير ، والتفكير

... والبناء فى مثل هذه المسرحية « الملتزمة » يعد من أصعب الأمور على المؤلف المسرحى ، لأنه عامل أساسى فى التأثير على المشاهد ، ونقل التجربة النفسية إليه وإذا اهتز البناء فى يد المؤلف ، فالمسرحية إما أن تصبح عرضا مسرحيا ، أو تميل إلى الخطب المنبرية . وسنحاول هنا أن نستعرض بناء المسرحية لنرى إلى أى حد وفق المؤلف فيه ..

.. فالمنظر الأول يمثل حياة الأسرة فى الإسماعيلية .. ولقد بدأه المؤلف بداية مثيرة ليغمر المشاهد فى الجو العام للمسرحية .. فأبرز عادل وأعوانه يتآمرون فى الظلام على جنود الاستعمار .. واستخدم التعارض بين موقف الأم والأب بالنسبة لابنهما فى جذب انتباه المشاهد ، وتسليط الأضواء على السر الذى يطويه عبد الرازق .. وفى نهاية المنظر جمل عبد الرازق يفصح عن السر فى تشجيعه لابنه على محاربة الإنجليز .. فبدأ انتباه المشاهد يتجه إلى التفكير فى العلاقة التى بين عبد الرازق وبين دنشواى .. وأصبح مشوقا إلى معرفتها ..

وفى المنظر الثانى يتغير الجو .. والزمن .. والأحداث .. ويرى المشاهد أشخاصا غير الأشخاص الذين رآهم فى المنظر الأول .. وقرب منتصف المنظر يبدو عبد الرازق فى ثوبه الريفى ..

فيسترعى النظر لاختلاف حالته فى الاسماعيلية عن حالته فى دنشواى . ويصور المؤلف بدء العلاقة بين عبد الرازق وزرقة .. وقرب ارتباطهما بالزواج . . ثم يمهد المؤلف للمأساة حتى لا يفاجئ بها الجمهور .. فيذكر على لسان أحد الأشخاص أن فرقة انجليزية عسكرت بالقرية . . ثم يأتى جندى البوليس فيخبرنا بأن الجنود يصطادون الحمام .. ثم يشب الحريق فى أحد الأجران . . ثم يضرب المؤلف ضربته الأخيرة فيمرض أحد الجنود وهو يصطاد الحمام فيخطئ الهدف ويصيب أم محمد . . وفى هذا المنظر كان المؤلف موفقا فى مسرحة الحادث التاريخى ، فجاء مشوقا كامل البناء ..

.. أما منظر التحقيق الذى أجراه المفتش الإنجليزى فيصور فيه الصراع فى المأساة بين أهل القرية وممثل الاستعمار . . ولقد اعتمد المؤلف فى تجسيم هذا الصراع على تصوير التعارض بين الصورة الحقيقية للحادث التى رآها الشاهد فى المنظر السابق ، وبين الصورة الباطلة التى يصورها ممثل الاستعمار . . وتصل المأساة إلى الأوج عندما نعلم أن المشانق قد أعدت قبل المحاكمة .. وفى هذا المنظر يبرز المؤلف العلاقة بين عبد الرازق والزوجة وبين الحادث .. فالأول أحد المتهمين الذين فروا .. والثانية ابنة أحد المتهمين الذين أعدموا .. ومن هذه الزاوية ربط المؤلف بين الحاضر والماضى ، برباط طبيعى ...

... وفى المنظر الخامس .. يجسم المؤلف أثر المأساة فى نفوس أبطال المسرحية . . فعبد الرازق يختفى عن أعين الاستعمار . . وزرقة تبكى أباها الذى أعدم .. ويستغل المؤلف مطاردة البوليس لعبد الرازق فى تحريك قلب المشاهد ، وينتهى هذا المنظر بنجاة عبد الرازق بعد أن غلب الضابط وطنيته على واجبه . وهذا المنظر يكاد يتكامل فى بنائه لولا أن المؤلف أدخل عبد الرازق من أول المنظر ، وبهذا قضى على التشويق فى المشهد الذى جاء فيه شيخ الخفر ليخبر الأسرة بأنه علم أنه قد قبض على عبد الرازق . . وكنا نفضل ألا يدخل عبد الرازق إلا بعد خروج شيخ الخفر .. لينتقل الشعور بالقلق الذى أحس به أشخاص الرواية إلى المشاهد . .

... والمنظر السادس يصور الجانب الانسانى فى حياة عادل والجانب الوطنى فى حياة فتاة اليوم التى تمثلها سلوى .. وجو هذا المنظر خفيف بالنسبة لجو المأساة المكفهر فى دنشواى . . وهو تمهيد للمأساة التى ستنتهى لها المسرحية . . وقد اتخذ المؤلف من زيارة عادل لخطيبته ، والطلق النارى الذى سمع بعد خروجه مادته لتحريك الشاهد وجذب انتباهه ... إلا أننا نرى فى اخبار عطية لسلوى بزيارة عادل قضاء على عنصر التشويق فى هذه الزيارة . وكان من الخير أن يدخل عادل دون هذا التمهيد .. كذلك نلاحظ التكرار فى سرد قصة نجاة عادل . . فقد ذكرها والد سلوى .. وذكرها عبد الرازق وكان الأفضل أن يذكرها عبد الرازق فقط . . وكان تتبع عبد الرازق لابنه غامضاً . . فقد قال عبد الرازق فى ذلك . . أنه برى بقلبه . . ويسير وراء ابنه خطوة خطوة .. وكان من السهل على المؤلف تبرير ذلك بأن يذكر عبد الرازق أن عطية أخبره بزيارة ولده لسلوى . . وبهذا يستقيم بناء هذا المنظر .

... والمنظر الأخير فى المسرحية يصور قصة اختفاء عادل أثناء هجومه على المعسكر البريطانى . ولقد لعب المؤلف فيه بقلب المشاهد وجعله حائراً بين الأمل فى عودة عادل ، واليأس من هذه العودة ، وكنا نفضل أن تنتهى المسرحية بعودة عادل . وذلك لأن نسف عبد الرازق للمنزل على نفسه وعلى أعدائه كان سريعاً وبعيداً عن الطبيعة .. فكان فى مقدوره أن يشعل فتيل الديناميت ويفر مع الذين فروا وبهذا يثأر لنفسه ، وينتصر على أعدائه .

... ومن هذا العرض يمكننا أن نخرج بنتيجة عامة . . هى أن المسرحية تكاد تكون كاملة من حيث البناء لولا بعض الهنات التى بيناها فى مواضعها .. وبهذا وفق المؤلف فى التأثير على المشاهد بهذه الصورة الحية الصادقة التى تمثل حياتنا العامة بما فيها من آلام وآمال .

ولقد كان المؤلف موفقاً فى تصوير الأجواء المختلفة للمسرحية؛ فهو فى الاسماعيلية يصور ذلك الجو الرهيب الذى يعيش فيه أهلها .. وفى الريف يجسم فى صدق النفسية الريفية بما فطرت عليه من بساطة وبراءة وطهر . .

أما حوار هذه المسرحية فواقعى ، يساير فى واقعيته البيئات المختلفة للاشخاص . . وكان الحوار مساوقاً للحركة المسرحية ، وبهذا خلت هذه المسرحية من النغمة الخطابية التى تغلب على المسرحيات التى تعالج موضوعاً قومياً .

وبعد .. فهذه مسرحية جريئة فى موضوعها وبنائها ، حاولنا أن نبرز للقارىء خطوطها الفنية .. ومؤثراتها النفسية ، ونرجو



الرغب تجمع على رغاب

فى العدد ٩٣٧ نشرت مجلة الرسالة الزاهرة قصيدة للأستاذ محمود فتحى المحروق بعنوان « فى لجة الصمت » وفى العدد ٩٤٤ تصدى الأستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصرى إلى كلمة « الرغاب » فى القصيدة الآنفة الذكر من البيت التالى :

ليس لى فى الحياة أى « آمال »

« فواخيبة » المنى والرغاب

قال الأستاذ الناصرى : فى هـذا البيت خطأ فى الوزن . « والخطأ موجود بالفعل » وفى فقه اللغة وأقصد كلمة رغاب. فقد أوردها الشاعر مرادفة لكلمة منى ، وهى جمع وهـذا الجمع خطأ محض .

واستشهد الأستاذ الناصرى « بلسان العرب » الذى جاء فيه أن رغبة بمعنى الأمنية والمطلوب ، وجمعها رغائب ورغبات.

وقد صدق اللسان عند ما جمع رغبة على رغبات أما رغائب ومعنـاها المطايا والأموال فهى جمع رغيبة ومعناها العطية من أموال وغيرها .

قال عروة بن الورد العبسى وهو شاعر جاهلى وحجة أيضاً :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقتراً ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ... ومبلغ نفسى عذرها مثل منجح

أما الأمثلة عن الرغائب التى هى جمع رغيبة فأكثر من أن تحصى :

قال المتنبى :

فتى علمته نفسه وجدوده ... قراع الموالى وابتذال الرغائب

أى ابتذال الأموال والمطايا

وقال الأرجانى :

فأجزل قراه من سرور وبهجة ... وأثقل قراه باللهى والرغائب

أى وبالمطايا . قرى الأولى بكسر القـاف (الضيافة) وقرا الثانية بفتح القاف « الظهر » .

أن نكون قد وفينا مؤلف هذا العمل الضخم حقه ، ليتابع خطواته الفنية الناجحة .· ولقد أخرج هذه المسرحية الأستاذ زكى طليمات ولقد حقق بالمناظر الاطار المـادى المسرحية فى بيئاتها المختلفة .. مستخدما فى ذلك الرمزية فى بعض المناظر .. والواقعية المجسمة فى البعض الآخر .. ويجدر بنا أن نسجل للمخرج بروزه فى منظر الجرن .. حيث بدت المنـازل الريفية فى بساطتها .. والأفق من ورائهـا .. وكذلك منظر المشنقة .. الذى يمثل طغيان الظـالم وتجبره بهذه المشنقة الضخمة .. ولقد استغل الأضواء فى إحياء الأجواء النفسية .. وحرك المجموعات فى مشهد المؤامرة ، ومشهد الجرن ، والحاكة فى براعة فبدت حركاتها طبيعية .

ولقد برز فى مشاهد الريف من الممثلين عبد الرحيم الزرقانى فى دور العمدة ، ومحمد السبع فى دور حسن محفوظ ، فقد استطاعا تجسيم الثورة على الظلم من العبـارة المحدودة التى أملاها الموقف المسرحى . أما عبد الغنى محمد قمر ممثـل دور الشيخ محمد فقيه القرية فقد بلغ حد الاجادة فى أداء دوره لولا حرصه على جذب المشاهد اليه ولو كان ذلك على حساب الجو العام للمشهد المسرحى

ولقد أجاد عدلى كاسب الذى قام بدور المستر متشل فقد أدى إتقانه لدوره إثارة سخط الجماهير عليه لأنه يمثل السلطة الغاشمة .

أما مشاهد الاسماعيلية فقد برز من ممثليها حمدى غيث الذى قام بدور عبد الرازق ، فقد جسم بثورته النفسيه المتأججة الثورة العارمة على الظلم ، وجاوبته فى هذا النجاح والتوفيق السيدة نعيمة وصفى التى قامت بدور الأم . ولعلها وصلت إلى القمة فى مشهد اخفاء عبد الرازق فى دنشواى .

أما ممثل الدور الأول فى المسرحية ، نبيل الألفى ، الذى قام بدور عادل ، فمع أن عمله الدراماتيكى كما حـدده المؤلف كان خارج المسرح ، إلا أنه ركز مقـدرته الفنية وموهبته فى المشاهد التى ظهر فيها على المسرح فكان فيها موفقا خير التوفيق

وأخـيراً . . . فنحن نرى أنه قد تجلت فى هـذه المسرحية وحدة المدرسة الفنية .. فقد تعـاون أبناء المدرسة الحديثة وعلى رأسهم الأستاذ زكى طليمات على تحقيق التـكامل الفنى فى المسرحية

أنور فتح الله

وقال فى قصيدة أخرى :

إذا ما أتاه الراغبون أمادهم ... وملء أكف الراغبين الرغائب

وقال أبو فراس الحمدانى :

وما أنا من كل المطاعم طاعم ... ولا أنا من كل المشارب شارب

ولا السيد القمقام عندى بسيد ... إذا استنزلته عن علاه الرغائب

أعود إلى فعل رغب يرغب رغْبا بفتح الغين وسكونها والجمع رغائب .

من أخبار « زيد الخيل » بكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى أنه جمع طيئاً وأخلاطاً لهم وغزا بنى عامر وحلفاءهم . وفى هذه الغزوة أسر زيد الخيل الحطيئة الشاعر فجز ناصيته وأطلقه ثم أن . غنيا تجمعت مع بنى عامر وغزت طيئاً فى أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم .

فأشاد بذلك الشاعر « طفيل الغنوى » منتصراً لقومه على طىء مجيباً لزيد الخيل الذى كان ثلبهم من قبل بانتصاره عليهم قائلا :

سمونا بالجياد إلى أعاد ... مغاورة بجد واعتصاب

نؤمهم على رعب وشحط ... بقود يطلعن من النقاب

وقتلنا سراتهم جهاراً ... وجئنا بالسبايا والنهاب

سبايا طىء : أبرزن قسراً ... وأبدلن القصور من الشعاب

سبايا طىء : من كل حى ... بمن فى الفرع منها والنصاب

ثم قال :

وما كانت بناتهم سبياً ... ولا رغباً يعد من الرغاب

جاء فى كتاب الحماسة لأبى تمام عن طفيل الشاعر أنه ابن عوف ينتهى نسبه إلى « غنى » بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو شاعر جاهلى من الفحول المعدودين يقال أنه أقدم شعراء قيس وهو والنابغة الجعدى وأبو دؤاد الأيادى من أوصف العرب للخيل .

والرغبة بالتاء لتأنيث المصدر وجمعها رغبات مثل سجدة وسجدات ورجل رغيب على وزن شريف وكريم أى ذو رغبة فى كثرة الأكل (ذو نهم) وشاهد ذلك كما جاء فى العدد ٩٤٤ من الرسالة من كلمة للأستاذ الكبير الزيات بك عن الملك عبد الله قال فيها : وظل فيها (أى الملك عبد الله) كما يظل الأسد فى القفص متململا من الحصر ، متبرماً بالضيق ، يتطلع من خلال القضبان إلى سواحل فلسطين ، ثم تمتد عينه الرغيبة إلى سهول سوريا ، ثم يشرق بفكره وقلبه إلى أرياف العراق ..

وشاهدى عينه الرغيبة ، أى النهمة .

وإذا أريد المبالغة من كلمة رغيب كسر وثقل فيقال رغبب .

هذا ويضاف إلى ما تفضل به الأستاذ الناصرى من أن كلمة رغيب معناها واسع ورحيب وأرجو أن تؤخذ كلمتى هذه على أنها خدمة للعلم .. وفقنا الله جميعاً إلى طريق الصواب .

صبحى محمود سعيد

١ — فسح لا أفسح :

نبا قلم الصديق الأستاذ البيومى بالعدد (٩٦٢) من الرسالة فى مقاله (بين شوق وولى الدين يكن) حيث قال : « وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل ، وصوابها - فيما أعلم - وفسح لنا ، ففى التنزيل . « إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم »

٢ — فى العدد :

وفى مقال الأستاذ عطيفة بالعدد نفسه يقول : (استشهد عشر مواطنين ، خمس من المدنيين ، وخمس من الجنود) وبالرجوع إلى قانون العدد فى اللغة نرى أن الصواب « عشرة مواطنين ، وخمسة من المدنيين ، وخمسة من الجنود »

... وقد صح تعبير الأستاذ بعد ذلك فى السطر نفسه إذ يقول : « وجرح سبعة وعشرون ، وقد فقد الإنجليز ضابطين وسبعة جنود » فإن كان قد ألقى الحديث على عواهنه ، فقد علم القاعدة منذ اليوم

محمد محمد الأبشيهى

خطأ عروضى :

أشكر لأخى الأديب الأستاذ محمد محمد الأبشيهى تنبيهى إلى أن البيت

وتلا الهالكين منهما ... الخ

من قصيدتى (الشمور المكبوت) ينطوى على خطأ عروضى



بقية حية

للكاتب الروسي تورجنيف

كان تورجنيف خلال صيد يفتش عن ملجأ من المطر في مزرعة لأمه . فهبط كوخا مهجورا ووجد خصا في زاوية من زواياه سرير خشبي يرقد عليه شكل إنسانى صغير ؛ قال تورجنيف : دنوت ولكن الدهشة سمرتني في مكاني . إن إزائي كائنا حيا ، ولكن ما هو هذا الكائن ؟

وجه غاض منه ماء الحياة ، وغشيه لون برنزي كأنما يرى فيه الناظر صورة قديمة قديمة ، وأنف دق مارنه حتى أشبه حد المدية ، وشفتان دقيقتان نحيفتان لا تكادان تحسان ، وعينان لا معتان ، وأسنان بيضاء ، وبعض غدائر شقراء ناست تحت النقاب ، وفي أطواء الفضاء تتحرك ببطء أصابع بدين ووجه لا يسمه القبح ، وإنما هو جميل ، ولكنه غريب مؤثر ، وكان أشد ما أثر في نفسي ما لمحته على الخدين المتصلبين من صورة ابتسامة تجهد نفسها عبثا لتظهر

— ألا تعرفني ياسيدى ؟

تردد ذلك الصوت الذي راح يردده هذا الكائن كنفخة ، تحركت به شفتان بعناء

— إنى (لوكريا) هل تذكرنى ؟ أنا التى كنت أرسل الأغاني وأثير الضحك عند أمك !

— أأنت « لوكريا » أنت ؟ هذا مستحيل

— أنا هي بذاتها

وما كان لي إلا القول والنظر كالمجذوب في هذا الوجه الأربد ، وفي هاتين العينين اللامعتين الشاخصتين بدون حياة .

أهذه المومياء هي (لوكريا) أجمل وأبهى إمائنا ، من كانت بضة الأهاب وردية اللون ، ترقص وتضحك وتمرح وتغنى ؟ لوكريا ... الرقيقة التي فتنت رفاقها ، ومن كنت أبسم لها خفية حينما كنت في السادسة عشرة ؟

آه يا لوكريا ماذا أصابك ؟

— حادثة مروعة ، ولكن لا تخش يا سيدى ، ولا تمرك السآمة من حالى . اجلس منى قريبا على هذه الخابية لأنك لا تستطيع الإصغاء إلى بعيدا . أي صوت لي الآن ؟ إنى جد مسرورة برؤيتك ...

(وهنا تقص عليه لوكريا قصتها ، وأنها في ساعة عرسها

وصحة البيت لولا التحريف في النسخ وتلا هالكيها الخ

وإني لأشد اغتباطا بتصحيحه الخطأ مني بالثناء على سائر القصيدة . وإنى على مقصديه لشاكر

عبد اللطيف النشار

مهيب لا مهاب :

خطأ زميلنا الاستاذ محمد محمد الأبشيهى ، الأستاذ مطر في قوله من قصيدته (من الأعماق)

تحررنا من الأغلال فانهض
سليل المجد مرموقا مهابا

ذاهبا إلى أن الصواب (مهيب) لا (مهاب) لأن (مهاب) — كما زعم — (من أهاب به يهيب به . إذا زجره عن الشيء فهو مهاب أي مزجور ... الخ

وأقول للزميل الأبشيهى إن (مهاب) بفتح الميم تؤدى المعنى الذي عناه الشاعر ، وما على الأستاذ الأبشيهى إلا أن يرجع لأي مرجع من مراجع اللغة ، وحسبه (مختار الصحاح) فإنه منه على طرف الثمام ...

وتحيتى للشاعر مطر ، وللأستاذ الأبشيهى ...

محمد الغزالي حرب

سقطت عن السلم فأصابها هذا الشلل الذى عطل حركتها . وقد جربوا عبثا أن يجدوا لها الدواء . وأخيرا قادوها إلى هـــذه المزرعة عند بعض الأقارب)

— وهل تظلين مضطجعة هكذا دائما ؟

— نعم ! وقد مر على سبعة أعوام ، فى الصيف أمكث فى هذا الخص الصغير ، وفى الشتاء يحملونى إلى مدخل هناك

— ومن يعنى بك ويقوم بحاجاتك ؟

— إن هنـــا رجالا كرماء لا يتركونى ولكن فى الغالب لا أحتاج إلى شئ . كدت أستغنى عن الطعام والشراب ، وترانى أكثر الأوقات مطروحة جانب هـذا الينبوع البارد ، وأستطيع أن أبلغ مقرى وحدى ، إذ لا تزال إحدى يدى سليمة . وهناك فتاة صغيرة يتيمة ترافقنى كثيرا فليجزها الله عنى ! كانت هنا قبل لحظة ، ألم تلاقها فى طريقك ؟ إنهـا غادة شقراء تحمل إلى أزهارا أحبها . كان عندنا من الروضة أزهار ولـكنها ذوت . أما أزهار الحقول فهى جميلة أيضا وشذاها أضوع ! ماذا تريد أحسن من ذلك ؟

— ولـكن الحياة، ألا تجدينها كئيبة ثقيلة عليك يا لوكريا البائسة ؟

— ما العمل ؟ لا أقدر أن أكذب . كانت أيام مصابى الأولى أياما ثقيلة قاسية ، ثم ما لبثت أن تعودت ، وللانسان من دهره ما تعود ، وصبرت وذكرت أن آخرين — هنالك — قد يكونون أحق بالشكوى منى . .

— وكيف ذلك ؟

— من لا مأوى لهم مثلا ، والعميان والصم ! أما أنا فشكرا لله — أبصر وأرى ، وأسمع ما خفت من الأصوات . اذا شق خلد منفذا فى الأرض فإنى أسمعه ، وأروح كل المطور حتى الضئيل منها . لا تزهر شجرة فى الحقول أو زيزفونة فى البستان دون أن أخبر بذلك ، فإذا مرت عليها الريح أكون أول كائن يحس ما تنطوى عليه هذه الريح ! لا لا . . ولماذا أمن حظى ؟ هنالك آخرون حظهم أقسى ، وكذلك الأشخاص المافون تدفع بهم ميولهم كثيرا إلى عمل الشر . أما أنا فالخطيئة تركتنى

— وهل أنت وحيدة دائما يا لوكريا ؟ كيف تعملين لتطردى الأفكار عن نفسك ؟ وعلى الأقل ألا تنامين كل الوقت ؟

— لا ياسيدى ! لا أستطيع أن أنام . حينا أريد وبدون أن أحس الآلام الـكبيرة أجد فى أعماق نفسى آلاما صماء تفتش فى عظامى ، وهذا ما يحرمنى النوم . لا أظل على حالة واحدة هادئة دون تفكير . أحس أننى أحيا . إننى أتنفس ، وهذه كل حياتى ، إننى أنظر وأسمع . تدوى أسراب النحل وتسقط حمامة على السقف وعشى ، ودجاجة تقاسم فراخها فتاتا أو عصفورة أو فراشة تحوم . هذا كله يدخل السرور فى نفسى ، ومن عامين طرق السنونو هـذا المكان ، وبنى — هنـــا — عشا ، ما أجمل هذا !

وفى بعض خطراتى أردد صلوات ، ولـكنى لا أعرف منها كثيرا ، ولمـــاذا أضجر الإله الصالح منى ؟ وماذا أطلب إليه ؟ إنه يعلم حاجتى أكثر منى . إنه أرسل إلى صليبه وهذه علامة محبته لى . أعرف صلاة (يا أبانا) وصلاة (السلام عليك يا مريم) ثم أرانى أحـلم فى شئ . . . وهكـذا الزمن يمضى

(وهنا يعرض عليها (تورجنيف) أن يقتادها إلى مستشفى فى المدينة ولـكنها ترجوه ألا يفعل)

— إننى أعرف يا سيدى أن فيما تعمله خيرا لى ، ولـكن هل فى الإمكان مساعدة الآخرين ؟ هل يمكن قراءة ما فى النفوس ؟ إنما يجب على الإنسان أن يجد مساعدة فى نفسه . إنك لا تؤمن به . فى بعض خطراتى وأنا مضطجعة وحدى أحس أن لا أحد على الأرض غيرى ، وأن لا أحد لى سواى ، وأشعر بأن بركة تتنزل على ... تساورنى أفكار تبعث على الدهشة

— وأية أفكار تساورك يا لوكريا ؟

— يستحيل الإفضاء بهـا يا سيدى ! لأنها مما لا يمكن التعبير عنه . ثم أنساها . ثم يعرض لى ذلك كسحابة عن فوق . وعندها أحس نداوة تغمرنى . ما هذا ! لا أعلم عنـه شيئا . ولـكنى أقول : لو كان واحد معى لما وجد له مكانا . لا أحس شيئا إلا رزيتى

وهنـا تنهدت لوكريا تنهدا شديدا ولـكن صدرها لم يسعفها على التنهد أكثر من بقية أمضائها

— سيدى ! إننى هجت فيك حس الشفقة كثيرا ، فلا تأسف . أصغ إلى ما سأقوله لك .. إنك تعلم ، أو تذكر أننى كنت طلابة المرح كثيرا فى عهدى الأول . وتعلم كم كنت أغنى !

وأنت تغنين أيضا !

— نعم : أردد أغانى القديمة ، أنواعا كثيرة من الأغانى ، أعرف منها كثيرا ولم أنسها . ولـكن ألحان الرقص أصبحت لا أرددها لأن حالتى لا تساعدنى

— إنك تغنينها لنفسك بدون شك ؟

— لنفسى ... وأرددها عاليا ، قد لا أقدر أن أغنى عاليا جدا ، ولـكن سامعها يفهمها . إننى حدثتك الآن عن غادة صغيرة تعودنى . لقد علمتها إياها وأصبحت تعرف منها أربعا ، وعما قليل ترى

تنفست (لوكريا) وهذه الفكرة التى بدأت ترددها هـذه الغادة الفانية قد أيقظت فى نفسى هولا لا قبل لى به . ولـكنى قبل أن أنبس بكلمة تصاعدت رنة تتعالى بصعوبة ولـكنها صافية مستقيمة ملأت أذنى ، ثم رنة أخرى تلتها ثم أخرى ... ولوكريا لا تزال تردد :

« فى هـذه المروج ، هذه المروج ، فى هذه المروج الجميـلة الخضراء » كانت تشدو دون أن تتبـدل ملامح وجهها وعيناها لا تتحولان . ولـكنها كانت ترسل صوتهـا يرن مؤثرا ، هـذا الصوت الضعيف الذى كان يجهد نفسه متصـاعدا كأنه خيط دخان ، متدفقا من كل نفسها . أصبحت لا أحس ذلك الرعب بل حل محله شفقة عنيفة تضغط قلبى

أنت فجأة وقالت :

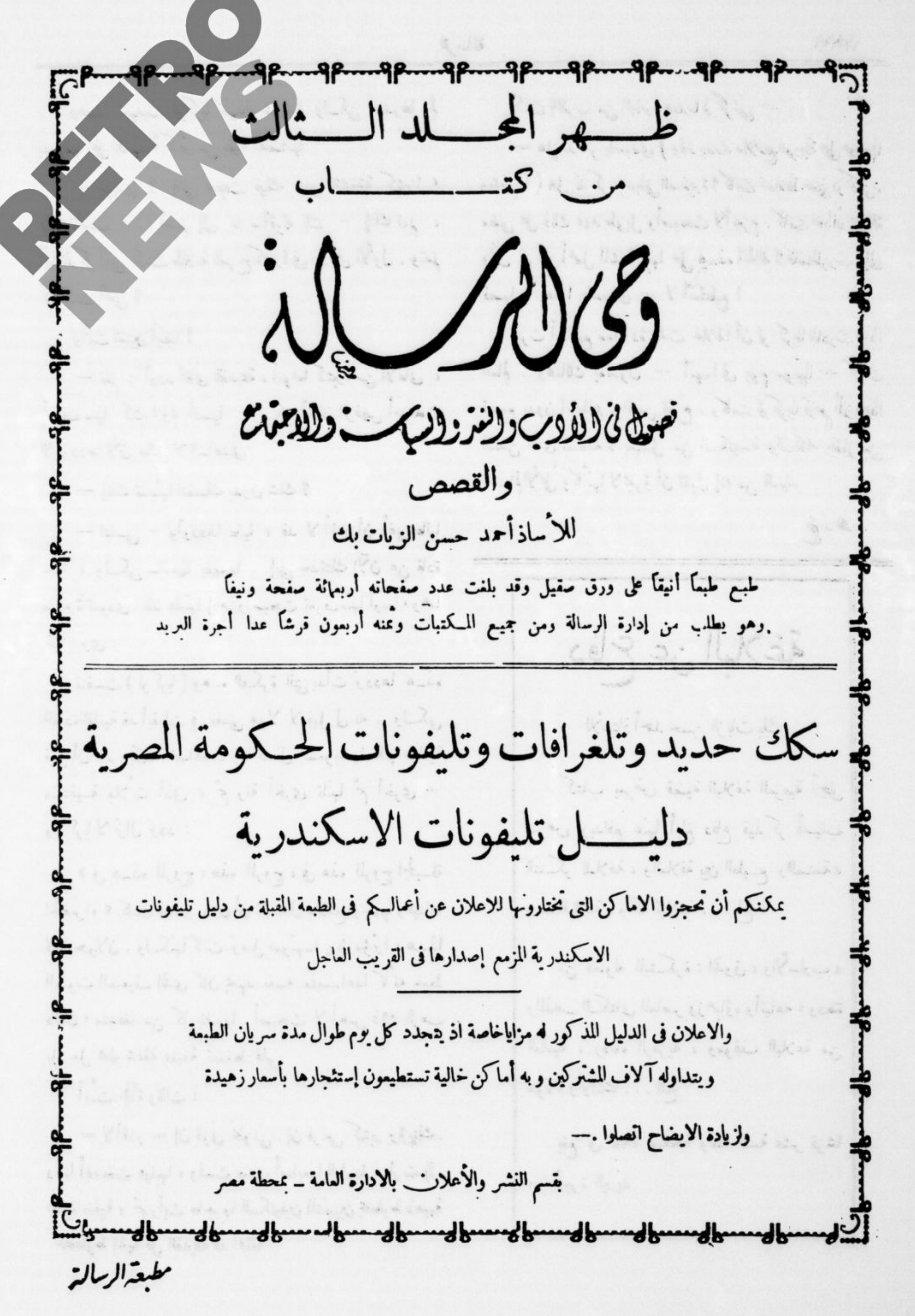
— لا أقدر ... إن قوتى تخوننى . إن فرحى كثير برؤيتك. وهنا أغمضت عينيها ، ولمست بيدى أصابعها الباردة فنظرت إلى نظرة خفية ، ثم رأيت حاجبيها الـكثيفين المنتهيين بخطوط ذهبية كخطوط الميا كل القديمة قد أغلقا

كنت بالقرب من الباب عندما ذكرتنى ...

— هل تذكر ياسيدى (وقد بدت ملامح غريبة على عينيها وشفتيها) هل تذكر جديلتى الصغيرة ؟ كانت تسقط حتى ركبتى. مضى على ذلك عهد طويل وأصبحت لا أجزم . كانت غدائر جميلة وأنى لى أن أعمل المشط فيها على هـذه الحالة ؟ فاضطررت إلى قصها ... عفوا ياسيدى ... لا أستطيع !

مرت أسابيع معدودة علمت خلالها أن لوكريا غادرت هذا العالم . وهنالك يقصون — أنهـا فى يوم موتها — كانت تسمع بدون انقطاع نواقيس تقرع . وكانت لوكريا تزعم أن هذا اللحن الذى تسمعه لا يقبـل من الـكنيسة ولـكنه يقبل من العـالم الأعلى وكأنها لاتجرؤ أن تقول إنه من السماء

خ . د



مطبعة الرسالة



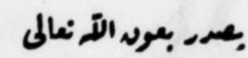
العدد ٩٦٥ — ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

٣٧٥٥٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



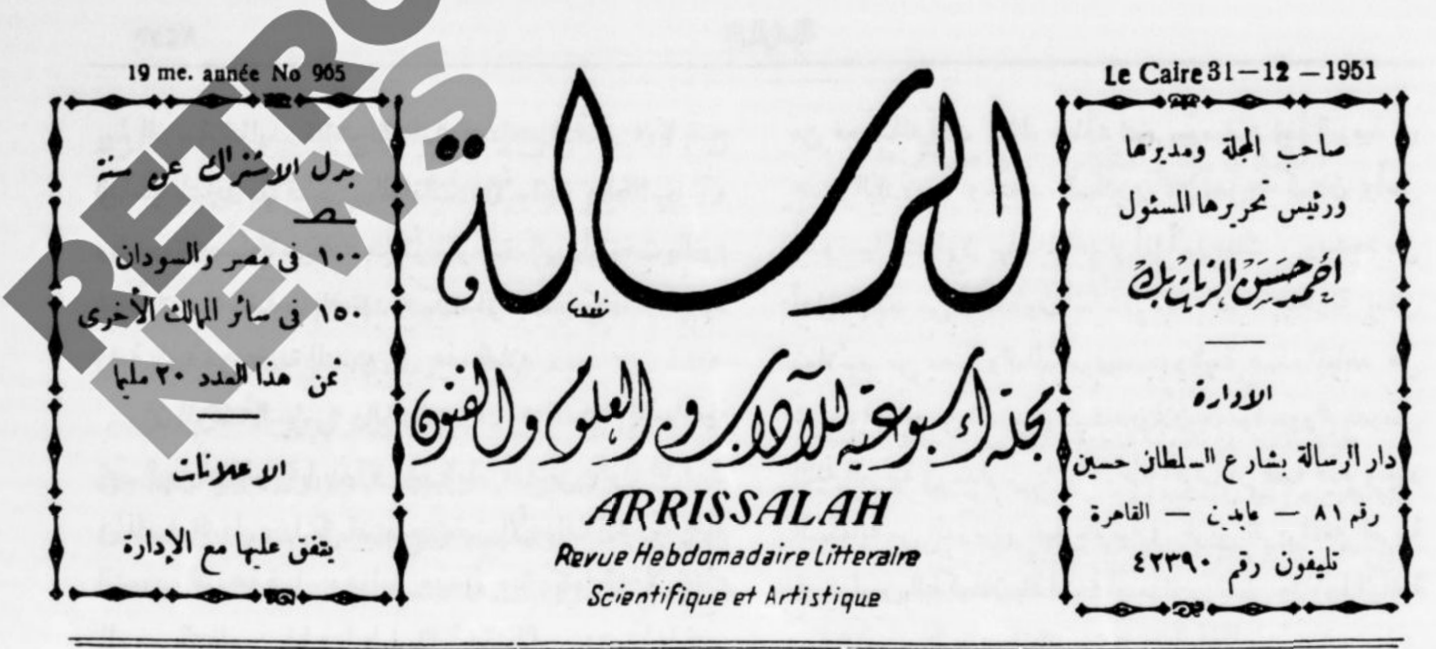
في اليوم السابع من شهر يناير

عدد الرسالة الممتـــاز

حافلا كعادته باروع ما يكتب فى موضوعه

لصفوة من أقطاب البيان فى مصر

والعـالم العربى



العدد ٩٦٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١» — السنة التاسعة عشرة

اللغة العربية فى العالم الاسلامي

مهداة إلى وزارة المعارف المصرية

للأستاذ سيد قطب

فرحت لذلك القرار الذى اتخذه المؤتمر الإسلامى فى كراتشى بأن تكون اللغة العربية لغة دولية فى العالم الإسلامى ، تتفاهم بها الدول الإسلامية فى مكاتباتها الرسمية ، ويتفاهم بها المسلمون حيثما التقوا فى مكان ...

إن هذا القرار خطوة قيمة فى سبيل الوحدة الإسلامية التى أصبحت اليوم حقيقة واقعة ، لا ينقصها إلا التنظيم العملى . وهذا القرار هو خطوة فى سبيل هذا التنظيم العملى

ولقد قلت لسعادة سفير الباكستان فى مصر الحاج عبد الستار سيت فى لقاء لنا فى العام الماضى : إن باكستان لن تؤدى دورها الضخم الذى عليها أداءه للعالم الإسلامى إلا يوم أن توجد وحدة لغوية بينها وبين الأمة العربية المسلمة . وليس من الضرورى فى هذه المرحلة أن تتخذ باكستان اللغة العربية لغة رسمية لها ؛ فإنه يكفى أن يعم تعليم اللغة العربية كلغة ثانية ؛ وبذلك يمكن التفاهم بهذه اللغة بين الحكومات والشعوب والأفراد . ويمكن لأهل باكستان أن يقرأوا الصحف والكتب العربية ، كما يمكن للعرب أن يقرأوا شيئاً مما يصدر فى باكستان باللغة العربية

ومثل هذا يقال عن أندونسيا ، وعن إيران ، وعن تركيا (ومعذرة عن ذكر تركيا فى سياق الحديث عن العالم الإسلامى .. فأنا أعنى الشعب التركى وهو برىء من جرائر حكومته وآثامها !)

وإنه ليسرنى أن أعرف أن معهداً لتعليم اللغة العربية قد افتتح فى باكستان ، وإن كانت معلوماتى عنه لا تزال ناقصة . وأنا بسبيل استكمالها ، وتقديم كل ما يمكننى تقديمه من الجهد فى هذا السبيل .. وإن كنت أعرف مع الأسف أن وزارة المعارف المصرية لم تساهم إلى اليوم أية مساهمة فى هذا الموضوع الخطير

إن تعميم دراسة اللغة العربية فى مدارس باكستان وأندونسيا كلغة ثانية تأخذ وضع اللغة الإنجليزية فى مدارسنا المصرية .. هو حدث تاريخى هام فى تاريخ الشرق ، وتاريخ العالم الإسلامى . بل ربما كان أخطر حدث فى تاريخ الإسلام الحديث ؛ لأن نتائجه فى أوضاع الشرق ، بل فى أوضاع العالم ستتجاوز بعد فترة وجيزة نتائج أى حدث عالمى فى تاريخ العالم الحديث

إن معناه إضافة مقوم قوى إلى مقومات الوحدة فى العالم الإسلامى ، مقوم وحدة اللغة والتفاهم إلى مقومات الوحدة الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والدينية .. وهذا المقوم الجديد هو الذى

يتيح الفرصة لتقارب مناهج التعليم، ومناهج التفكير، كما يتيح الفرصة لتبادل الأفكار والمؤلفات والأساتذة والطلاب .. وبتعبير مختصر لاستكمال عناصر الوحدة التي أصبحت اليوم ضرورة حياة بالقياس إلى تلك الكتلة الإسلامية كلها، لا مجرد رغبة نابعة من عقيدة المتدينين في هذه البلاد

إن الموقف السياسي والعسكري لهذه الكتلة الإسلامية يحتم اليوم أن تقوم فيما بينها وحدة كاملة، لكي يكون لها وزن في المضمار الدولي، ولكي تستطيع تحقيق الأهداف المشتركة لجميع الشعوب المندمجة فيها . وعوامل هذه الوحدة كلها قائمة لا تحتاج إلى غير التنظيم، فيما عدا عامل اللغة والتفاهم . وهذا ما يجب توفيره عن هذا الطريق الذي اقترحته على سعادة سفير الباكستان في العام الماضي

وما من شك أن وزارة المعارف المصرية تملك الشيء الكثير في هذا المضمار . وما من شك أن تحقيق مثل هذا الهدف الضخم أكبر قيمة بما لا يقاس من إنشاء تلك المعاهد الثقافية في لندن ومدريد وطنجة والجزائر أيضاً .. فأنا أعرف أن معهدنا الثقافي في لندن مثلا ما يزيد على أن يعلم اللغة العربية لبضعة عشر يهوديا معظمهم قد اشتغلوا فيما بعد جواسيس على العرب في حرب فلسطين، وبضعة عشر إنجليزيا ممن يعدون أنفسهم لخدمة الاستعمار الإنجليزي في الشرق العربي! وهذه المهمة تستغرق جهود رجل مصري مثقف كالدكتور عبد العزيز عتيق . كم كانت إحدى كليات الجامعات المصرية في حاجة إليه هنا لاستكمال أساتذتها!

ولو أنشئ معهد ثقافي مصري في باكستان ومثله في أندونسيا لاستطاع من غير شك أن يؤدي للثقافة الإسلامية، وللعالم الإسلامي من الخدمات أضعاف ما يؤدي معهد في لندن أو في مدريد، أو حتى في طنجة والجزائر؛ لأن انضمام كتلتين ضخمتين إلى نهر الثقافة العربية، واستكمال أسباب الوحدة بين العالم العربي وبقية العالم الإسلامي .. يساويان بلا شك شيئاً كثيراً، لليوم والغد، وللسياسة والاقتصاد، وللأهداف القومية العليا في المستقبل القريب والمستقبل البعيد

على أن إنشاء المعاهد الثقافية ليس إلا مثلا لما تملك وزارة المعارف المصرية النهوض به في باكستان وأندونسيا؛ فإنها من غير شك تملك إنشاء معاهد لتخريج معلمين للغة العربية في هذين البلدين . وستجد الكثيرين من أهل باكستان وأهل أندونسيا يلتحقون بهذه المعاهد لو أنشأتها هناك . وستجد من أهل البلاد من يصلحون أساتذة لهذه المعاهد بمعاونة بعض زملائهم من مصر والعالم العربي .. ووظيفة هذه المعاهد هي تخريج أفواج من المدرسين المستعدين لأن يقوموا بدورهم بتدريس اللغة العربية في مدارس بلادهم . فأنا أعرف أن عقبة عدم وجود الكفاية من المدرسين عقبة حقيقية في طريق تقرير اللغة العربية في مدارس الباكستان بالذات، أو مدارس بعض ولاياتها الراغبة منذ اليوم في تقرير اللغة العربية

نعم إنني أعرف أن لمعالي الدكتور طه حسين باشا آراء قديمة تضمنها كتابه : «مستقبل الثقافة في مصر» من شأنها أن تجعل اهتمامه بربط مصر بأمم البحر الأبيض أشد من ربطها بالبلاد الشرقية كباكستان وأندونسيا؛ لأن الصلة التي تربطها بعقلية البحر الأبيض — على الرغم من اختلاف الأديان والمصالح القومية — أقوى من الصلة التي تربطها بعقلية هذا الشرق ولو اتحد الدين

ولكن هذه الآراء قد كتبت منذ خمسة عشر عاما . وإني لأحسب أن أشياء كثيرة قد جدت في الأفق، وأن هذه الأشياء كفيلة بأن تبرز حقائق جديدة، وعناصر في الموقف جديدة، وأن هذا كله كفيل بتغيير رأي الدكتور طه باشا؛ لأن الحاجة الماسة إلى قيام كتلة إسلامية، وإلى وحدة العالم الإسلامي، ذات أثر حاسم في تقريب ما بين أجزائه، وفي استكمال أسباب الوحدة العقلية التي كان يرى أنها غير متحققة إلا في دول البحر الأبيض

إن دول البحر الأبيض اليوم تنقسم إلى معسكرين متعاديين متباغضين : معسكر المستعمرين، ومعسكر الشعوب التي تطالب بحرياتها . وسيظل كلاهما ينكر الآخر . وستظل العداوة والبغضاء قائمة بينهما أبداً؛ لأن مصالحهما متناقضة متعارضة

وعلى الضد من ذلك موقف شعوب العالم الإسلامي كله . تلك الشعوب التي تجمعها المصلحة القومية، وتجمعها روابط أخرى قوية : روابط تاريخية وجغرافية واقتصادية ودينية . ولا

يبقى سوى رابط اللغة الذى يوحد بين شطرى العالم الإسلامى التوحيد النهائى الأخير

وعلى أية حال ، فإن إنشاء معهد لتعليم اللغة العربية لجماعة من المسلمين فى باكستان أو فى أندونسيا لن يكون أقل ثمرة من إنشاء معهد يعلم اللغة لبضعة عشر نفرا من اليهود أو من المستعمرين الإنجليز !

إننى أهيب بوزارة المعارف المصرية أن تمنح هذه المسألة من العناية ما تستحقه ؛ وإن كنت أحسب أنها مسألة تستحق عناية الدولة كلها . عناية جهازها الدبلوماسى فى الخارجية ، وجهازها العلمى فى وزارة المعارف ، وجهازها المالى فى وزارة المالية . . كما أن أجهزتها الاقتصادية فى وزارة التجارة ووزارة التموين ووزارة الاقتصاد الوطنى ستجد حقولا خصبة وحقولا ضخمة لو شاءت أن تؤدى عملا ذا قيمة غير محدودة ، عملا ذا أثر عميق فى موقف العالم الدولى كله . وفى موقف قضايا الحرية فى كل مكان

إن قيام الكتلة الإسلامية على أصولها الصحيحة هو الضمانة الأخيرة الباقية للعالم اليوم ، لوقايته من حرب ثالثة مدمرة . أو هو على الأقل الضمانة الوثيقة لتحرير شعوب العالم الإسلامى من الاستعمار الغاشم الظالم

وهكذا تدرك وزارة المعارف أنها حين تنهض بهذه المهمة فإنها لا تؤدى عملا ثقافيا مجردا ، إنما هى كذلك تؤدى واجبا ضخما فى عالم السياسة القومية والدولية ، وفى عالم الحرية ، وفى عالم التاريخ ...

سيد قطب

القوة فى نظر الإسلام

للأستاذ كامل السوافيرى

طوى الزمن من حياة الرسول بمكة بعد الرسالة ثلاثة عشر عاما كانت صراعا دائما بين الحق والباطل وبين الاسلام والوثنية وبين محمد يظاهره القرآن وقريش تؤيدها الفرسان

ونزلت الآيات القرآنية الكريمة تخاطب من القوم عقولهم وتزجى الحجج ، وتسوق الأدلة فيصمون آذانهم عن سماع الحق ويغلقون قلوبهم من دونه . ولما أعجزهم المنطق، وغلبهم لاذوا إلى أسلحة البطش والعدوان يحاربون بها محمدا ويذيقونه منها ألوانا مختلفة . ولا يكتفون بحربه وحده بل يصبون غضبهم على المستضعفين من الموالى المسلمين ، ليردوهم عن الأسلام . ويصبر الرسول على أذى قومه ، ويتجلد المسلمون فى سبيل دينهم حتى يأذن الله للنمة أن تنقشع ، وللأسلام أن ينتشر ، ولرسوله أن ينجو من المؤامرة فيأذن له بالهجرة إلى يثرب

وتفيأ المسلمون ظلال الأمن فى يثرب فأمنوا من بعد خوف ، واشتدوا من بعد ضعف، وكثروا من بعد قلة ، وسكنوا من بعد اضطراب. وأخذ النور الآلهى يسرى فى القلوب فيجذبها إليه ، ويستهوى النفوس فيدفعها نحوه، واخذت دعائم الإسلام تتوطد وأركانه تستقر ، وشوكته تقوى ، والمسلمون يزيد عددهم كل يوم يصبحون آلافا مؤلفة يقودهم محمد فيدخلون مكة عام الفتح ، ويطهرون كعبة الله من ربقة الوثنية، ويعلن الرسول فى تواضع عفوه عمن سقوه الأذى ، وجرعوه العذاب؛ ويثوب الضالون إلى الرشد ويدخل الناس فى دين الله أفواجا وتنضوى قريش تحت راية الإسلام

ما أشد حاجة كل حق فى هذه الدنيا إلى قوة تثبت أركانه وترفع سلطانه إذا عارضه المعارضون وتأباه المكابرون ؟

لم يكن الإسلام قبل الهجرة باطلا فأصبح بعدها حقا ، ولم يكن محمد كاذبا حين أنذر عشيرته برسالته فى مكة فغدا صادقا فى يثرب ، وما عهدت قريش عليه كذبا ولا خيانة حتى قبل أن يصطفيه ربه لرسالته فهو الموسوم فى طفولته بالصادق الأمين الذى حفظه الله من دنس الجاهلية ، وطهره من أوزارها . ولكن الإسلام فى مكة كان حقا ضعيفا لا يستند إلى قوة تحميه ، وتحافل تدافع عنه فأصبح فى المدينة مؤيدا بالأسنة والرماح. دشتان بين الحق يؤيده الفكر والبرهان، والحق يظاهره السيف والسنان

من أجل هذا كان للقوة فى نظر الإسلام الأهمية البالغة ، والمكانة السامية. ومن أجل هذا فرض الله على المسلمين الجهاد إعلاء لكلمته، وتنفيذا لأحكامه وكتب عليهم القتال وهو كره لهم

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون .) وأمرهم أن يكونوا أقوياء بإيمانهم وعقائدهم ، وأجسامهم وجوارحهم ، اشداء على الأعداء رحماء بينهم . غلاظا على الخصوم لينين مع إخوانهم (محمد والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (وليجدوا فيكم غلظة)

وللقوة فى كل زمان مظهر يتفق معه ، ويتلاءم مع تطوره؛ فهى فى فجر الإسلام رمح وسنان . وأبطال وهو الشجاعة والبطولة يرخصون نفوسهم فى سبيل الله ، ويجاهدون لاعلاء كلمته ؛ ولكنها اليوم وفى القرن العشرين بندقية ومدفع ودبابات ومصفحات ، وطائرات وقاذفات . وغواصات وكاسحات وفرق مدربة فى البر والبحر والهواء

وقد طالب الإسلام أتباعه بأن يعتمدوا على أنفسهم بعد الله . وبعد تنفيذ دستوره والعمل بأحكامه ، وألا يأمنوا أعداءهم بل يحذروهم. وحتم الإسلام على اتباعه أن يكونوا دائما على استعداد لمنازلة الأعداء وأن يعدوا لهم كل ما يستطيعون من وسائل القوة ليرهبوهم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) والاستطاعة أيضا تتطور بتطور الزمن وتسير مع روح العصر الذى يعيش فيه المسلمون اليوم

دعا الإسلام المسلمين للقوة ، ونشأهم على العزة ، ووعدهم بأن يستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وحارب الضعف والوهن (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) وقاوم الجمود الجسمى وحطم الإسار العقلى ليعلو سلطانه، وتنتشر تعاليمه وليتم الله نوره ولو كره الكافرون

ولم يدع الإسلام المسلمين للقوة ليتخذوا منها ذريعة للبطش بالضعفاء ، أو مهاجمة الشيوخ والأطفال والنساء . أو الاعتداء على المسالمين والأبرياء أو الإفساد فى الأرض والتمرد على النظام بل ليفرضوا سلطان الحق على النفوس المتمردة ، والقلوب المتبلدة وقد علم الله — جل شأنه — أن فى عباده سباعا ضارية تلبس مسوح الرهبان، ووحوشا مفترسة على شكل الإنسان، ولا سبيل إلى إذعانها للحق ، وردها للنظام إلا بلكمة فى الصدر ، أو ضربة فى الرأس ، أو طعنة بالسيف. وبعد فلا إخالنى بحاجة للقول بأن من أهم أسباب تأخر المسلمين اليوم ضعفهم. والضعيف دائما فريسة سهلة للقوى فى دنيا تسودها شريعة الغاب، وعالم يدين بأن الحق والعدل والضمير من أساطير الأولين. وضعف المسلمين اليوم معنوى ومادى ؛ فالأول واضح فى انقسام الرؤساء واختلاف الأحزاب ، وتخاذل الحكام ، وتفرق الكلمة؛ والثانى ظاهر فى احتياج الجيوش الإسلامية للذخيرة والعتاد ، وحاجة الأقطار الإسلامية والعربية لإنشاء مصانع للأسلحة المختلفة . والاتحاد قوة، وقد دعا الإسلام إليه: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا؛ والسلاح قوة وقد أمر الله به : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . وقد رأينا باطلا يعلو لأنه مؤيد بالجيوش والأساطيل، وحقا ينهار لأنه ليس وراءه جنود ولا أساطيل على مرأى ومسمع من الصفوة المختارة من دول العالم المتمدن التى اجتمعت والتقت فيما يسمونه بمنظمة الأمم المتحدة فى النصف الثانى من القرن العشرين

ففرض علينا نحن المسلمين التدريب العسكرى ، والتربية الحربية التى تجعل من كل مسلم منا جنديا يعرف مكانه إذا هتف به الدين ، ودعاه الوطن

وحرب على الإسلام من يعارض إنشاء مصانع الذخيرة والأسلحة فى أى قطر إسلامى أو بلد عربي . وخائن لوطنه من يعتمد فى حماية الوطن على الأجنبى الغاصب الجاثم فوق الصدور استنادا إلى معاهدات أثيمة لا تساوى المداد الذى كتبت به . لقد بلغ من ضعفنا أن أصبحت الدول الاستعمارية تتصرف فى شؤوننا ، وتقضى فى أمورنا بما تريد دون أن تعنى باستطلاع آرائنا وكأن الشاعر العربى كان يعنينا حين قال

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم شهود

فعلينا — أقطار العروبة والإسلام — أن نبنى أنفسنا من جديد ، وأن نستلهم روح العصر الذى نعيش فيه، وأن نغير من نظم التربية والتعليم لنجعلها أكثر ملاءمة لتطور العلم . وأن ننفض عنا غبار الخمول . ونسد نقصنا ونستكمل أسباب قوتنا

المادية ونصنع الأسلحة اللازمة لجيوشنا ، أو نحصل عليها بأى طريق ليمكن أن نتفاهم مع الاستعمار الذى لا يفهم غير لغة القوة، ونؤدى رسالتنا الإنسانية السامية فى تحقيق الحرية لكل شعب مقيد ، ورفع الظلم عن كل مظلوم ، والمحافظة على الأمن والسلام العالمى المهدد دائما بمطامع الدول القوية

إن العزة من صفات المسلم وخلال العربى ، ولن نتحقق العزة اليوم للعرب والمسلمين إلا بالطائرات المحلقة فى السماء ، والجوارى السابحات فى الماء ، والجحافل المدربة على الأرض ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

كامل السوافيرى

الصلبة

فصل من كتاب (عرب الصحراء) لديكسون

ولد هـ . ر . ب . ديكسون الإنجليزى فى بيروت سنة ١٨٨١ ونشأ فى دمشق . ثم التحق بالسلك السياسى ، فأصبح فى الحرب العالمية الأولى ضابطا سياسيا فى جنوب العراق ، ثم عين معتمدا سياسيا فى البحرين ثم نقل إلى الكويت . وكتابه هذا فى ٦٨٤ صفحة وقد أثار ضجة فى معظم البلاد العربية

الصلبة كلمة تدل على جنس من الناس المفرد منهم صلبى ؛ والجمع صليب بسكون الصاد

ولقد طالما تناولت أقلام الكتاب بالحديث هذه القبيلة المنحطة ، أو الجماعة بتعبير أدق ، التى تسكن فى القسم الشمالى من الصحراء العربية ، فى رقعة تقع على التقريب بين خطين يمتد أحدهما من الغرب إلى الشرق ، ماراً بالمدينة فالرياض جنوبا ، والآخر من حلب إلى الموصل شمالا

إن معاملة الناس لهم فى الجنوب أكثر احتقارا ، ونظرتهم لهم أشد ازدراء منها لهم فى الشمال ، كما أن مقتنياتهم الدنيوية فى الجنوب أقل منها فى الشمال

إن كل قبيلة تسكن فى المنطقة التى مر تحديدها ، تضم فى الواقع بينها جماعة من الصلبة تعيش بينها ، وذلك لما لهؤلاء القوم من المنفعة الملموسة فى اصلاح الأوانى المنزلية وأدوات الطبخ ، ولمهارتهم فى الصيد والقيافة

إن من أبرز خصائص الصلبة معرفتهم العجيبة ؛ بمواقع الآبار الخفية فى المناطق التى يسكنون فيها . ومن ثم فأنهم يتمتعون بتقدير القبائل التى تتولى حمايتهم لما لهذه المعرفة الكبرى فى الحروب والمنفعة العظمى فى الغزوات البعيدة المدى من أثر . ولهذا السبب فإن الغزاة يصطحبون معهم بصورة تكاد تكون مستمرة بعض الصلبة فى غزواتهم

وكذلك حاشية الشيخ لا تكاد تخلو من أحد الصيادين الصلبة ، لتفوقه عادة على غيره فى معرفة مراتع الغزلان والنعام

يقال إن الصلبة مسلمون ، إلا أن من يؤدى فريضة الصلاة منهم كما يجب قليل جدا . ولعلنا لا نجانب الحق إذا قلنا إنهم لا دين لهم ، اللهم إلا حين تقتضيهم المصلحة السياسية أن يتظاهروا بالتدين كما هى حالهم فى نجد والكويت

والرجال منهم على وجه العموم تعساء متملقون ، يصطنعون فى الخطاب أساليب العرب فى تصغير الأسماء للتعزيز مع ضعة فى الأخلاق

وجمال وجوههم ، رجالا ونساء ، فوق المتوسط ، ولاسيما نساؤهم اللواتى كثيرا ما نجد بينهن بعض الصبايا الرائعات الجمال ، إلا أن مظاهر المسغبة المألوفة فيهم تثير الاشمئزاز ، وتؤيد مزاعم العرب القائلة بأن الصلبة يأكلون الفضلات وجيف الحيوانات التى يقمون عليها

ويبدو من هيئة تقاطيع وجوههم أنهم غير عرب قطعاً ، وليست لهم ما لهؤلاء من الخصائص السامية الثابتة

وفى بعض المناطق التى تكون لهم فيها أحياء دائمة خارج أسوار المدينة كما هو الحال فى الكويت والزبير ، يظنهم الأوربيون بدواً ، وهو خطأ فاحش يؤدى فى بعض الأحيان إلى مواقف مربكة

والعربى لا يستطيع أن يتخذ له زوجة من الصلبة؛ لأن أهله يقتلونه ويقتلونها معه إذا تزوجها؛ ومع ذلك فقد سمعت أن الأمير فواز أمير الرولة لم يتورع عن اصطحاب إحدى الصلبيات إلى الصحراء وابقائها خليلة له . ولذلك أصبح اسمه لعنة على ألسنة الطيبين من البدو

إن لأغلب الأحياء الصلبية رؤساء ، ولكن عددهم عندما

يكون كبيرا بين القبائل الكبرى فى الجزيرة يكون لهم من أنفسهم شيوخ ، ويملك بعض هؤلاء الشيوخ قطعانا كبيرة من الإبل ، ويتمتعون باحترام عظيم : مثال ذلك أن

الشيخ حمد بن شنوط هو شيخ صلبة المطير؛ والشيخ مطلج الصافى هو شيخ صلبة شمر؛ والشيخ محمد بن جلاد هو شيخ صلبة العهارات ؛ والشيخ معيثف هو شيخ صلبة الروله

والصلبيات لا يتحجبن ، وينـدر بينهن من يغطين الجزء الأسفل من وجوههن باللفع ، وبهـذا تسهل معرفتهن فى نجد لأول وهلة والصلبـة شديدو الولع بالرقص ، ولذلك فأول ما يبادرون إلى القيام به أيام الأعياد والأعراس هو اعداد حفلات الرقص التى يشترك فيها الرجال والنساء يرقصون معا (وهو أمر مهين جدا ومعيب عند العرب) حيث يقبل الرجال النسـاء فى أفواههن ما بين حين وحين أمام الشاهدين

وللصلبة فى الأعياد والحفـلات وما أشبه تقليد غريب هو نصب صليب مؤلف من قطعتى خشب مربوطتين معـا على هيئة شعار المسيحيين . ويمكن اعتباره شعارهم أو لواءهم القبلى

يقول العارفون من العرب أمثال الشيخ عبد الله الســالم الصباح (حاكم الـكويت)، ابن عم (المرحوم) شيخ الـكويت ، وهم واثقون تمام الثقة بأن الصلبة من أحفـاد ذلك العدد العظيم من اتباع المعسكرات الصليبيـة الذين أسروا أثنـاء الحرب بين الصليبيين والعرب . فقد زج بأعداد ضخمة من هؤلاء الأتباع فى المعارك الـكبرى التى دارت الدائرة فيها على الصليبيين ، فاسترقهم عرب الصحراء . وإن الصلبة المعاصرين هم حفدة أولئك الصليبيين. ويورد الشيخ عبد الله الأدلة التالية تأييدا لرأيه :

١ ــ كون الصليب هو شعار الصلبة

٢ ــ أن صيغة الجمع من اسمهم هي « صليب » وهى فى غاية الوضوح نفس الاسم العربى للصليب المسيحى ، وكلمة « صليب » ليست سوى تصغير للصليب ليس إلا

ولعل هناك ما يؤيد هذه النظرية ، ولـكن قد يكون من الخطأ تكوين رأى حاسم قبل الحصول على الحقائق اللازمة عن هؤلاء الناس الذين يثيرون اهتمام الباحثين ، وخاصة قبل الحصول على مقاييسهم الجسدية بصورة واسعة

وتتهـــم الصلبيات بالقـدرة على الإصابة بالعين ؛ وبمعرفة خاصه بتحضير السموم ، واعداد جرعات الحب «سقوة» لمن يريدها ؛ وفوق ذلك كله بالمهارة فى السحر

ولعل التهمة الأولى راجعة لـكون كثير من شباب البدو قد فقدوا عقولهم فى سبيل الحسان الصلبيات ، فاضطروا إلى الهرب من قبائلهم . أما التهمتان الثانية والثالثة فلعل لها نصيب من الصحة ؛ فمن الثابت أن الصلبيات يدعين القدرة على إيقاع الإنسان فى الحب ، كما يدعين الـكهانة . ومن ناحيـة أخرى فانهن أهداف سهلة للعامة من الناس ، فإذا أصيب أحد المشهورين بمكروه « فلا بد أن تكون صابية قد أصابته بسحرها ! »

يجب التفريق بين الـكواولة أو الغجر الذين يجدهم المرء فى جميع أنحاء العراق وعلى حدوده ، والذين هم ، كما أرى دون شك ، من الغجر الرومانيين فى أوربا وانجلترا . إنهم يشبهون البدو فى ملابسهم ، ويعيشون فى خيام صغيرة سوداء ، ويتنقلون هنـا وهناك على ظهور الحمير التى ليس لديهم سواها كما يبدو . و كواولة العراق لصوص ، أشرار ، عرافون ، مهرة فى قراءة الـكف ، وأخيرا وليس آخرا ، كثرة الطلب عليهم للقيام بعملية ختان الفتيات ، تلك العـادة الشائعة فى جنوب العراق ، وبين قبائل المنتفك فى الفرات وقبائل بنى لام

رقص الصلبة :

أقيم الاحتفال فى مخيم الصلبـة على مقربة من قصر نايف خارج بوابة نايف مباشرة ، ابتهاجا بختان أحد الأطفال . واستمر ثلاثة أيام ، مر اليومان الأولان منها وهـذا هو الثالث ، وهو أحسنها وأعظمها

كان الصليب المألوف فى مكانه فوق خيمة الفرح يتدلى من فوقه نصف ثوب نسائى ، إشعارا للناس بالحفلة

ودخل رئيس الراقصين ومدير الحفلات أيضا — وهو رجل كبير السن كان قد ختن طفله منذ أيام قليلة — حلقة الرقص المؤلفة من الصلبة ، رجالا ونساء ، ومن بعض الشـــاهدين

الآخرين، يلوح بالسيف فوق رأسه، ويدعو فتيات الصلبة وفتيانها الأشداء لمصاحبته. وبعد أن دار حول الحلقة البشرية عدة مرات، حدثت حركة في إحدى الخيام المجاورة ثم اندفعت منها إحدى الحسان، وقد ارتدت ثياب العيد (زعفرانية اللون أو بنفسجيته يغطيها ثوب من الشاش) إلى حلقة الرقص، حاسرة الرأس، سافرة الوجه، محلولة الشعر، يتلاعب النسيم بشعرها. لقد كان منظرا في الحق رائعا. فقد كان شعرها طويلا غزيرا، ووجهها جميلا، وعلى ذقنها ورقبتها أشكال جميلة من الوشم. كان ظهور الفتاة دعوة لأخيها أو زوجها بالاسراع إلى الحلقة، ليحتضنها ويقبلها بلطف على شفتيها (تشجيعا ولا ريب). ثم أعطيت الفتاة خيزرانة، وابتدأ الرجل يرقص أمامها وهو « يتنحى » مقتربا منها حينا، مبتعدا عنها حينا آخر، ولكنه ظل بواجهها في جميع الحالات. ولما ابتدأ الرقص، ابتدأ فريق المغنيات المؤلف من اثنتي عشرة صلبية في الإنشاد بصوت متقطع حاد وهن يصفقن بأيديهن

واستمر الرقص، وانضم إلى الحلقة شبان وفتيات آخرون رقصوا على الصورة السالفة الذكر. وكان يحدث أحيانا أن تضم الحلقة عددا من الراقصين والراقصات، يرقصون معا في وقت واحد. لم يكن في سلوك الراقصين ما يجانب الحشمة اللهم إلا ما بدا من شيخهم حينما أخذ يرقص بالسيف خلف صاحبته بصورة مثيرة، مرة أو مرتين، كان هذا العمل منه هو المخالفة الوحيدة في الحفلة للحشمة

كان بين الحسان الثمان أو التسع اللواتي رقصن من تميزن بالجمال، ولاسيما اثنتان منهن كان لهما شعر أحمر ذهبي، يشع في ضوء الشمس بصورة تلفت الأنظار، لطول ما عولج بالحناء. وكان رئيس الحفلة الفظ يهتف بين الراقصات قائلا: ياعويل! ياعويل! (تعالوا وارقصوا) ويلوح أن الفتاة كانت ترقص على المنوال التالي: كانت تتبع فتاها مواجهة له محاولة إغراءه بالاقتراب منها، فإذا استجاب لسحرها في النهاية، وانقلب من تراجعه الأول في القيام بدور المحب الخجول، إلى التقدم نحوها والتعبير عن إعجابه بجمالها في كل حركة من حركاته، بدأت في التراجع، بعد أن حققت غرضها. فإذا اقترب منها أكثر مما يجب، أو حاول مسها، ضربته بخيزرانتها بلطف، واضطرته إلى التراجع

وكان صاحب السيف يرقص أحيانا على هذه الرجل وأحيانا على تلك، ثم يأخذ فجأة في الرقص على القدمين معا بصورة مطاطة. وكانت الفتاة ترقص كما ترقص البدويات على باطن قدميها وتنش (تقفز) ثم تعود إلى حالها الأول بأرجل قوية. وتتقدم وتتأخر أمام فتاها. وكانت تقلع (تهز رقبتها) بخفة على وقع أقدامها تجاه رفيقها. ولكنها كانت تغير حركتها بتلويح ضفائرها حول رأسها بحركة جانبية أو مستديرة من رأسها. لم تبتسم خلال الرقص مطلقا، بل أبقت شفتيها مطبقتين تماما. وكانت تضع يدها أحيانا على فمها أو أنفها. فإذا اقترب رفيقها منها بصورة « فاضحة » كما حدث ذلك فعلا عدة مرات، ضربته بلطف بخيزرانتها كأنما تصده عن نفسها. وكانت ميزاتها الخاصة هي أنها صبغت شفتيها بالحمرة، وعلا مفرقها خط زعفراني عرضه نصف بوصة. وكان لجميع الفتيات مثل هذا الخط الذي كان يبدو كدهان من الزعفران (ولعله محلول قوي من الحناء). وقد انتهى الرقص حينما أسرع أخو الفتاة إلى الحلقة فغطى وجهها ورأسها بجزء من ثوبها الشاش ثم ذهب بها ...

(صوت البحرين) ع . ث



٣ – المستقبل وأسرار الوجود

للأديب عبد الجليل السيد حسن

(تتمة)

نحن والمستقبل :

قلنا إن الوجود مستقبل نسج وهو الماضي ، ومستقبل ينسج وهو الحاضر ، ومستقبل سينسج وهو « المستقبل » ونريد الآن أن ننظر في هذا التيار المتصل من الوجود : (١) هل هو منفصل بعضه عن بعض ، بمعنى أن الذي سبق منه لا تأثير له فيما يليه ؟ (٢) وإلى أي حد يتأثر وجودنا وتتلون نظرتنا للحياة بمقدار هذه الأوجه الثلاثة للوجود !

أولا : مشكلة تأثير السابق في اللاحق تشمل الحديث عن — : السبب والمسبب . وعن : تأثير الماضي في الحاضر . أما عن الأمر الأول فقد تحدثنا عنه . وأما عن الأمر الثاني : فنحن نعرف أن تكويننا الجسمي والعقلي لم يتكون ولم يتم إلا في الماضي — أو المستقبل الذي نسج — بمعنى أن الماضي يدخل في بناء شخصيتنا ، أو أن شخصيتنا بناء على تجارب الماضي قد صيغت . وهذه الشخصية هي التي تملي علينا اتجاهاتنا الحاضرة ، وهي التي تلزمنا أن نتجه هذا الاتجاه دون سواه ، ونتخذ هذه الخطة ونرفض تلك ، ونختار ما يلائم شخصيتنا ويناسب مزاجنا الذي خلقته التجارب الماضية . فالماضي غير منقطع الصلة بالحاضر ، وهو لا يؤثر فيه فقط ، بل هو الذي يصوغه ويشكله ويوجهه . ويمين الماضي على ذلك ، اللاشعور بأنواعه ، من اللاشعور الجنسي أو الجمعي الذي هو عبارة عن خصائص الجماعة الإنسانية ومميزات الجنس البشري ومجموعة التجارب والخبرات التي اكتسبها أسلافنا والتي ورثناها عن أجدادنا الأولين ، فهناك صفات عامة يشترك فيها النوع الإنساني ، كالاستعداد للتثقيف والتعليم والتهذيب ، تنتقل من جيل إلى جيل — وكل جيل يضيف إليها قليلا من التطور — كامنة في أعماق اللاشعور . وليس هذا تأثير الماضي القريب في الحاضر ، بل تأثير الماضي السحيق الذي يمد بآلاف السنين في هذا الحاضر . وهناك اللاشعور الفردي الذي يختص بفرد دون آخر ، ويلون حياته بلون خاص . وأيضا فالذاكرة هي التي تجعلنا واعين لتجارب الماضي ، مستفيدين منها في الحاضر . وهذا إجمال لهذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل كبير ، فالماضي مستقبل نسج وعلى غراره ينسج الحاضر

أما تأثرنا أفرادا وجماعات بأوجه الوجود الثلاثة ، فهذا أمر من الوضوح بمكان كبير . فالمشاهد أن كل الناس يسيطر على تفكيرهم شيء معين فيوجههم وجهات مخصوصة ، ويجعلهم ينتحون نواحي خاصة . فبعض الناس يغلب على طبعهم حب المغامرة والمخاطرة ، فترى حياتهم مصبوغة بهذه الصبغة ؛ وبعضهم يميلون إلى الحذر والانكماش على أنفسهم . فتصطبغ حياتهم بلون من الكسل والجمود والجبن . والسبب الذي فرق بين اتجاهات الناس وجعلهم يسلكون ما يسلكون هو انطباع شخصياتهم بطابع من أوجه الزمن الثلاثة ، فنجد بعض الناس يحنون دائما إلى الماضي ويعيشون عليه ، وبعضهم لا يهتم إلا بالحاضر ولا ينظر إلى ما دونه . وبعضهم ينظر إلى المستقبل ويرى سعادته في طياته . وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الناس إلى ثلاثة أنماط مختلفة ، لكل منها خصائصه ومميزاته . وهذا تخطيط أولي لهذه الأنماط :

١ — منظورون :

وهم الذين يوجهون اهتمامهم وانتباههم نحو الماضي ، يرقمون مهلهله ، ويزخرفون سيئه ، ويبالغون في حسناته ، ويكبرون من أمره ، ويلهجون بذكره ، مقرونا بالثناء والإجلال . وطابعهم الحسرة على ما فات ، وإفراده وحده بالتعظيم ، والانتقاص من الحاضر ورميه بالقصور والضعف و « قلة الخير » أما الخير كل الخير والبركة كل البركة . ففي أيام « زمان » أيام العز والبلهنية ، أيام كانت الدنيا دنيا والناس ناسا . وهذا الطابع هو طابع الشرق الذي لا تجديده إلا قيثارته ؛ وسبب هذا الاتجاه الذي تمثله الحركات الرجعية والنظم المحافظة — ونحن نعلم ما لهذه النظم من خطر في شئون

الحياة السياسية والدينية والفكرة — أمور منها :

ا — حب الحياة الذى يدفع بالناس إلى الكسل والجمود ، وينأى بهم عن المخاطرة والمجازفة ؛ والطبيعة التى تجعل الناس يتشبثون بالحياة على أية صورة كانت من عذاب مهين وبؤس مرير ، فالناس لا يحبون أن يتخلصوا من الحياة بسهولة ، حتى ولو كانت مملوءة بالقبل ، فهذا الحب للحياة على أية صورة ، هو الذى يدفع بالناس إلى مقت التغيير خوفا على حياتهم الراهنة ، وهذا يؤدى إلى الحنين إلى الماضى

ب — الرغبة المستترة فى أعماق النفوس التى تدفع الإنسان إلى الفخر ، والبحث عن التقدير والإحساس بالاعتبار وأن له أهمية فى هذا الوجود . فالإنسان إذا فقد التقدير الذى يريده فى الحاضر فلا ضير عليه أن ينسبه إلى نفسه أو إلى أجداده فى الماضى . والماضى قد مضى واندثر ، فمن السهل إدخال الزيادة والنقصان عليه ، ولفه فى إطار جميل معجب

ج — سنة الحياة التى تتدرج بالإنسان من طفولة لاهية مرحة ، إلى شيخوخة عاجزة عابثة ، فالحياة تتدرج من سهل لين خال من المسئولية ، إلى جهم مثقل بها . فالإنسان يحب أن ينطوى على نفسه ليجتر الأيام الخالية اللاهية

د — طبيعة الخيال الإنسانى الذى يفتن ضمن ما يفتن فى رسم صور الماضى زاهية يعكس عليها رغبات الإنسان وآماله التى تنقصه فى عالم الحقيقة . والخيال من طبيعته التكبير والتهويل ، فالرجل الطيب قديس ، والملك العادل ابن الله ، والفارس الشجاع بطل مغوار ومحارب قهار . يفتح المدن وحده والديار . وهكذا . . وأمامك من ذلك آلاف الأمثلة ؛ فمن هو عنترة بن شداد وأبو زيد الهلالى ؟ ألم يكونا بطلين شجاعين عاديين ؟ ولكن انظر ماذا جملت منهما الأساطير فى أذهان المتطوين . وما حقيقة الأولياء والقديسين ؟ ألم يكونوا إلا بشرا مثلنا ؟ ولكنهم بالغوا فى التقوى ، وأتوا قوة مهما تبدو خارقة معجزة . فهى لا تؤهلهم بحق للمكانة التى يحتلونها فى صدور مقدسيهم الذين ينسبون إليهم من الأعمال كل جليل . حتى أنهم قد يؤلهونهم ! وما هى حقيقة أكثر الآلهة القديمة ؟ ألم تكن إلا أرواح الأسلاف والأجداد عبدها أبناؤهم فى صورة آلهة ، كما يقرر أكثر علماء الاجتماع

٢ — *انتهازيوں* :

وهؤلاء انكبوا على الحاضر وحده ، فلم يلتفتوا إلى الوراء ، ولم ينظروا إلى الأمام، بل هم أبناء وقتهم . وشعارهم ما مضى فات والمغيب أمر ، ولك الساعة التى أنت فيها فإطفاء نار شهواتهم مقصدهم ، وأخذهم من اللذة ولو على أى نحو وبأى سبيل أو فى نصيب ومن الألم أقل قدر غايتهم وأمنيتهم . وضيق الأفق وبلادة الحس وعدم تقدير الوجود صفاتهم

٣ — *متفتحوں* :

وهم هؤلاء الذين يسيطر عليهم الشعور بالمستقبل ، فهم يملقون عليه آمالهم ، ويطيلون النظر إليه كأن فيه خلاصهم ونجاتهم ؛ أو على الأقل ينظرون إليه كعزاء لهم. وهؤلاء يحسون بأن الحياة فى التغير والحركة ، والموت فى الثبات والجمود ؛ فهم يحبون المغامرة والمخاطرة ويميلون إلى المقامرة ، وهؤلاء هم الطامحون أصحاب المثل العليا وذوو القلوب الكبيرة والآمال العريضة والهمم العالية ، منهم العلماء والرواد والمخترعون والمكتشفون والمصلحون وأصحاب المبادئ والمذاهب الذين ينظرون دوما إلى الأمام ، ويرون فى المستقبل الخلاص والنجاة . وهذا الاهتمام بالمستقبل ، والتعلق بالمثل العليا هو علة التقدم والدافع الوحيد إلى الرقى . فلو لم يكن لكل إنسان أمل يجهد لتحقيقه ، وغاية ما يسعى إليها ، وهدف من الحياة يقصده ويلذ له العذاب فى سبيله ، لما وجدت الدنيا ، ولا وجد الناس فى الحياة طعما ، ولا من سبب يقهرهم على أن يعيشوا . ولو وجدوا الحياة مترعة بالآلام ، وإلا فلماذا إذن يعيشون ؟ ولماذا لا يتخلصون من هذه الحياة المزعجة القاسية المؤلمة بأنفسهم ؟ شئ واحد هو الذى يحملهم لا يقدمون على ذلك : إنه الأمل على شتى ألوانه من أدناها إلى أسماها ؛ فبعضهم همه لقمة سائغة ووجه مليح وملبس جميل . وبعضهم همه هم الإنسانية يريد سعادتها . وبعضهم همه الذى يؤرقه أن يتشبث بمركبة الخلود إن لم يستطع أن يقفز فى قلبها . فالأمل وإن كان سرابا ، والأمانى وإن كانت خداعا ، تفيد الإنسانية وتدفع الناس إلى التضحية واستعذاب الموت ،

فالجندى يستشهد راضيا فى سبيل وهم إسعاد وطنه ، والمؤمن فى سبيل إرضاء ربه . وعلى قدر الآمال والعمل على نيلها يكون حظ الأمة من الحياة والرقى

وهذا الصنف المستقبلى غير مقطوع الصلة بالماضى ، فانه كثيرا ما ينعم النظر فى الماضى والحاضر وهذا التلفت الدائم إلى الماضى هو الذى يجعله يضع أمله فى المستقبل ويتطلع إليه على أنه طريق الخلاص . فالرجل الذى يشعر بالخطيئة الماضية يظل ندمان أسفا ، ولكنه يرجو النجاة والخلاص فى المستقبل . والإنسان الذى مسه الضر ولحقه الفشل يأمل الفلاح والتوفيق فى المستقبل ، وتكاد تكون فكرة التأرجح بين الماضى البعيد والقريب ، والمستقبل البعيد والقريب كذلك ، هى التى أوجدت الأديان عامة وخلقتها وجعلت لها مكانا فى الوجود ، أو على الأقل هى العمد الأولى التى ترتكز عليها الأديان . ولولاها لما كان هناك شئ اسمه الدين ؛ فنحن إذا أخذنا ننظر فى نشأة المسيحية مثلا : وجدنا السبب فى وجودها وقت توتر ، جعل أنظار الناس تتطلع إلى المستقبل وهى يائسة حائرة متلهفة مترقبة تبحث عن مخلص يخرج من بينهم ، فيفتح لهم باب الرحمة فى السماء ، وباب النعمة فى الأرض

... يفتح باب الرحمة بأن يطهرهم من أدناسهم وأرجاسهم برسالته النبوية . ويفتح باب النعمة بأن ينشر الأمن فى ربوع أرض يهوذا ، ويعلى ألوية بنى إسرائيل ، ويخلصهم من هذا العذاب الرومانى المتلاحق . وحين مولد المسيح عليه السلام كانت القلوب قد بلغت الحناجر ، ولم يعد فى القوس منزع . وترقب اليهود ظهور المخلص على أحر من الجمر ، واعتقدوا أنهم لن يموتوا حتى يروه يخلصهم وينشر الأمن على أرض يهوذا . وكثرت النبوءات عن ظهوره ، وبشر به الشيخ المهيب الذى يعمد الناس فى نهر الأردن وهو يوحنا المعمدان . وما أن ظهر عيسى حتى تلقت به الأنظار وكان ما كان من أمره . وكذلك وجدت فكرة المخلص فى الإسلام ، ولعبت دورها ما فى التاريخ والتفكير الإسلامى . وقد ظهرت تحت اسم المهدى والإمام القائم الذى يعلمه جبريل عليه السلام ، وإذا مات بدل غيره والذى لا بد أن يحكم يوما ما ويملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا

وفكرة الخلاص والمخلص ظهرت فى حقب مختلفة تحت أسماء مختلفة من اسماعيلية وقرامطة وسنوسية ووهابية ، وحديثا البابية والبهائية ومهدى السودان

ونجد كذلك أن الناس لا يقف تأثير المستقبل فيهم عند الحد الذى يجعلهم ينتظرون الخلاص فيه فى الدنيا ، بل تمداها إلى الآخرة . فالمستقبل هو الذى جعل الفقراء يتعزون عن البؤس الذى هم فيه باليوم الآخر حيث يجزون على النصب والشقاء فى هذه الدنيا جنة عدن ونهر عند مليك مقتدر ، إذ أن الله بعدله لن يذيق الإنسان الشقاء مرتين : شقاء فى الدنيا ، وشقاء فى الآخرة ، ولا النعيم مرتين : نعيما فى الدنيا ونعيما فى الآخرة . وهكذا نرى خطر هذا التأثير فى الدين وبالتالى فى المجتمع

وقد رأينا كيف تتشكل حياة الناس أفراد وجماعات بأوجه الزمن الثلاثة . وقد كنا نود أن نحدثك عن هذا التشكيل للحياة فى الدول الكبرى وكيف تسير سياستها على هذا الأساس ؛ فأمريكا مثلا تسيرها سياسة الاهتمام بالحاضر والمستقبل ، وبريطانيا يسيطر على سياستها التوازن بين الماضى (حزب المحافظين) والمستقبل (الأحرار) فأما نحن فأرجو أن نكون قد بدأنا نتجرد من تفاخر العاجز وتعزى الناقص بماضيه الوضاء ولكن نترك ذلك إلى فرصة أخرى

عبد الجليل السيد حسن

من هروب التحرير :

تحرير سرقوسة

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(إلى تلك السيدة الجليلة التي تقدمت تريد التطوع في صفوف المجاهدين وقدمت أبناءها الأربعة لتزود عن حياض مصر ، وإلى كل امرأة مجاهدة في سبيل مصر ، أقدم هذه الصفحة الخالدة .) ع . ع

عندما بلغ (نابليون) أوج عظمته ، وارتفع إلى مصاف الأباطرة ووصلت فرنسا إلى ذروة المجد ، كان قد وصل (شارل الرابع) ملك اسبانيا إلى درجة كبيرة من الضعف والتخاذل ، ولم يكن ابنه (فرديناند) أحسن منه حالا ، فقد كان متسما بالضعف والتخاذل وقلة الحيلة . فأراد نابليون أن يولى على اسبانيا أخاه (جوزيف) وكان الفرنسيون يحتلون اسبانيا في ذلك الوقت ، فخلع (شـــارل) وأجلس أخاه مكانه بغير رغبة أهل البلاد وتحت ضغط السيطرة والقوة

ولكن الاسبانيين الذين كان يغلى مرجل الغضب في نفوسهم على الغاصب المحتل ولا يجدون من يرفع الغطاء لينفجر المرجل في وجوه المستعمرين ، فكان خلع (شارل) وتولية (جوزيف) بمثابة رفع الصمام ، فهب الشعب الاسباني يذود عن كرامته ، وهب معه النبلاء والأمراء ، برغم معارضتهم لسياسة (شارل) ، وصمم الجميع على الدفاع عن بلادهم والموت في سبيل استقلالهم ، غير عابئين بما للعدو من عدة وعدد ، فثار ثائر الفرنسيين وأرادوا سحق هذا الشعب الذي تجرأ على عصيان نابليون المظيم

• • •

وتجمع في مدينة (سرقوسة) بعض الضباط والجنود من ابناء المدينة وصمموا على ملاقاة العدو والدفاع عن كل شبر من اسبانيا مادام فيهم دم يجرى . ومع أن مدينة (سرقوسة) ليست من المناعة بحيث تستطيع الوقوف في وجه جيوش نابليون التي حطمت كل ما صادفها من حصون ومعاقل ، فإن أهلها أخذوا يمدونها للمقاومة والصمود في وجه العدو بهمة لا تعرف الكلل

كانت المدينة ذات ابنية عادية ضيقة الشوارع ملتوية الطرقات ليس بها إلا بعض الميادين الواسعة نسبيا ، وكان يحيط بها سور من الحجر لا يزيد ارتفاعه على ثلاثة أمتار ، فكان من السهل أن يقتحمه الجنود بأقل جهد

وحاصر الفرنسيون المدينة وظنوا أن دخولها لا يتطلب جهدا ولا مشقة وأنهم يعتبرون أنفسهم في نزهة . وفي يوم ١٤ يونيو سنه ١٨٠٨ م اندفعت فرقة من الفرق الفرنسية نحو المدينة وانقضوا عليها انقضاض الصواعق ، ولكن المدافعين عن المدينة تصدوا لهم وأصلوهم نارا حامية واجبروهم على التقهقر

ورجع الفرنسيون يأكل صدورهم الحقد ويكاد يقتلهم الغيظ فقضوا الوقت كله في التأهب والاستعداد ، حتى إذا كان اليوم التالي هاجموا المدينة بقوة وحنق ، سالكين بابا من أبواب السور المسمى بباب بورتيلو ، وأخذوا يلقون بأنفسهم في المعركة ، ولكن المعركة انجلت عن هزيمة الفرنسيين وفوز السرقوسيين مما ضاعف حماسهم وقوى روحهم وبعث فيهم الثقة بأنفسهم فصمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى آخر واحد منهم

وخرج الرهبان من أديرتهم والقسس من بيعهم ولبسوا ملابس الجندية ليشاركوا أبناء وطنهم الجهاد وقسم النساء أنفسهن أقساما كل منها يقوم بعمل خاص ، من حمل الجرحى ونقل المؤن والذخائر للجنود . ولم تتخلف واحدة منهن عن القيام بواجبها وأصبح كل فرد في سرقوسة جنديا يحمل السلاح

وفي ليلة ٢٨ يونيو بينما كان كل مواطن آخذا مكانه المعد له إذا بانفجار شديد يدوى وسط المدينة ، فهب الناس مذعورين لهذا الحدث المروع الذي أخذهم على غرة ، فقد استطاع الفرنسيون أن يتسلل جواسيسهم داخل المدينة فيفجروا مخزنا للذخيرة ، وهي العلامة المتفق عليها لبدء الهجوم

وهب الجنود مسرعين إلى سلاحهم واضطر المواطنون أن يسارعوا إلى نجدتهم وأن يتركوا جثث الضحايا تحت الأنقاض والمجروحين بغير إسعاف

واشتد الهجوم وحمى وطيس القتال ، وبلغ الهول منتهاه

وتساقط المدافعون واحدا إثر واحد عند أحد الأبواب ، وعند ما سقط آخر جندى وأصبح المكان خاليا وعرضة لأن يندفع منه المهاجون ، كانت هناك امرأة تسعى إلى هذه المنطقة الخطرة غير آبهة بما حولها ، لتقوم بواجبها ، وإذا بها ترى المدافع بغير جنود وهناك فى مكان قريب جماعة يستعدون للفرار ، ورأت العدو يقبل كالسيل المنهمر ، فأسرعت إلى أكبر المدافع وانتزعت أدوات الإشعال من الجندى القتيل خلف المدفع وأشعلته وآلت على نفسها ألا تترك مكانها حتى الموت واستمرت فى إطلاق النار . ولما رأى الجنود الآخرون ما فعلته هذه المرأة ، عادوا إلى أماكنهم وأخذوا يطلقون النار على العدو وانضم إليهم بعض الضباط

* * *

كان القتال شديدا جدا والمقاتلون يتساقطون من الفريقين من حول هذه المرأة (أوجستينا) وهى صامدة فى مكانها توالى إطلاق النار وتحث الجنود على الثبات وتبعث فى نفوسهم القوة والعزيمة ، وهكذا ظلت تمثل أعظم أنواع البطولة النسوية ، حتى تراجع المهاجون خائبين .

وبعد أيام من هذه المعركة وكان كثير من النساء قد احتللن أماكن الجنود الذين قتلوا ، وكن أشد تحمسا من الرجال ، هب الفرنسيون يملأهم الغيظ والحنق ، وعلى غرة اقتحموا أحد أبواب المدينة وكانوا كلما وقع فى أيديهم شئ أحرقوه فأحرقوا مستشفى وديرا مليئا بالجرحى . وأرسل قائد الحملة الفرنسية إلى حاكم سرقوسة كتابا يطلب منه التسليم أو إحراق المدينة كلها ، فلما شاور الحاكم المواطنين هبت أوجستينا حانقة وهى تقول : (لا ، لن نسلم للعدو حتى نهلك جميعا) وأمن الجميع على قولها

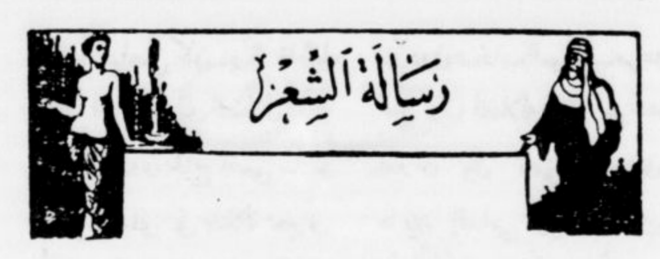
فكتب الحاكم إلى قائد الفرنسيين يقول له : (ستظل الحرب بيننا حتى تصير بالمدى) . فاهتاج الفرنسيون وأخذ القتال شكلا وحشيا مروعا ، فقد كان ينتقل من طريق إلى طريق ومن بيت إلى بيت بل ومن غرفة إلى غرفة ، واشتد الأمر وتكاثر القتلى ، ولكن كل ذلك لم يفت فى عضد المواطنين الذين صمدوا للعدو صمود الأبطال

وأخيرا وصلت إلى سرقوسة نجدات قوية ، أنزلت الرعب والفزع فى قلوب الفرنسيين فاضطروا إلى الانسحاب بعد قتال دام أربعة أيام وبعد حصار دام خمسين يوما

أما أوجستينا فقد انتشرت أنباء بطولتها بين الناس فتوافدوا يكللون جبينها بأكاليل المجد والشرف ، وخلدها الشعراء وعلى رأسهم الشاعر الإنجليزى العظيم (لورد بيرن) بأبيات فى غاية الروعة ستظل أنشودة المجد إلى الأبد

هذه هى أوجستينا التى بلغت قمة المجد رغم أنها من طبقة فقيرة . وكم من النساء خلدهن التاريخ لمواقفهن الوطنية الرائعة؛ ونساء مصر لسن أقل من غيرهن شجاعة وقوة ، وها هى بوادر هذه الوطنية تظهر فى صورة هذه المرأة الخالدة

عبد الموجود عبد الحافظ



على أطلال الكفر المنقضى :

إلى الغزاة الهاربين

للأستاذ محمود غنيم

يا أمة النش يهنى جيشك الظفر
أبطال « دنكرك » فى مصر قد انتصروا
أبطال « دنكرك » خاضوا الحرب طاحنة
فى « كفر أحمد » لا جبن ولا خور
سلوا السلاح على من لا سلاح له ... وحاصروا بلدا لم يأوه بشر
ودمروه فخرت - وهى ممولة - ... عروشه وتداعت خلفها الجدر
كادت تضج بأيديهم معاولهم ... وكاد يلعنهم إذ يسقط الحجر
فيم المدافع كالأبراج جاثية ... يطير كالبرق من أفواهها الشرر؟
فيم القذائف فوق الحى هامية ... من حالق الجولا تبقى ولا تذر؟
فيم الحديد وفيم النار حامية ... كأنما فتحت أبوابها سقر؟
ما جرد الخصم غير الحق فى يده
والحق يمضى وينبو الصارم الذكر
لم تحجبوا الشمس بالأسراب طائرة
لكن من الخزى وجه الشمس يستتر
ما كال الناس يوم النصر هامكمو ... بالنار لكنهم من نصركم سخروا

* * *

لهفى على بلد تاهت معالمه ... أطفاله كالدبى فى البيد تنتشر
باتت حيارى بلا مأوى حرائره ... لا سقف إلا الرياح الهوج والمطر
من كل هيفاء كان الخدر يحجبها ... إن أسفر النجم فى الظلماء والقمر
بع تساوى بسطح الأرض شاهقه ... قد صوح النبت فيه واختفى الشجر
كأنما القوم لم يغشوا مغانيه ... يوما ولا حرثوا فيه ولا بذروا
كأنه ما رأى وجه النهار ولا ... أحيا لياليه أنس ولا سمر
ولا أوت دوره أهلا ولا عمرت ... يوما مساجده الآيات والسور

* * *

إن الألى فى حروب « الريخ » ما كسبوا
حربا بمصر استردوا بعض ما خسروا
شعب يسوق شعوب الأرض قاطبة ... إلى الوغى وهو خلف الباب ينتظر
نخز عساكره فى الحرب إن نشبت ... حتى إذا قسمت أسلابها ظهروا
أقسمت ما كسبوا فى « كفر أحمد » من
نصر ولا العزل من سكانه اندحروا
لكنهم حفروا قبرا لدولتهم
فى مصر فليسكنوا القبر الذى حفروا
لم يهدموا قرية عزلاء، بل هدموا ... ركن السلام بأيديهم وما شعروا

* * *

سل الحماة حماة الأمن هل سمعوا ... بمصر أو عندهم عن أهلها خبر؟
الأمن شاك جريح سائل دمه ... ومجلس الأمن لا سمع ولا بصر
ياقوم طال « بلك سكسس » نومكمو ... وبالكنانة نار الحرب تستعر
صونوا الحضارة من أيد تعيث بها ... وأدركوا الأمن إن الأمن يحتضر
لا تلزموا الصمت والذؤبان عابثة ... بالشاء فالصمت فيه يكمن الخطر
عاش ابن آدم عيش الغاب تحكمه ... شريعة قاضياها الناب والظفر

محمود غنيم

من الشعر الواقعى :

ليــــلة

للأستاذ عثمان حلمى

لا يومها يومى ولا غدها غدى ... ما منته سم الحياة كمبتدى
وعجبت من قلبى ومن نزواته ... ومتى يتوب عن الضلال ويهتدى
أفبعد هذا العمر لوعة وامق ... وولوع مشتاق وجفن مسهد
وصبابة تمي الجليد فكيف إن ... أخذت بلب الدنف المتجلد

ماذا أود من الحياة إذا انتهى   شوط الشباب وما الشباب بسرمد
أولى بمن آوته ´قة جيله   نسك كنسك الزاهد المتعبد
من فاته ركب الزمان تخلفت   معه مرارة تمسه التجدد
فلم التصابى والتجمل بعدما   خمد الشباب وليته لم يخمد
والحب إن مالت بعمرك شمسه   شطط فأفرط فى هواك أواقصد
لا بد من حال ينالك بأسها   فيــه ويوم للندامة أربد
سخر الزمان أقل ما عنى به   تبلوه فى ضحك الغوانى الخرد
أما بدت تحت الخضاب حقيقة   بيضاء تسطع تحت زور أسود
أونورت فى جنح رأسك جدبة   كالجرح إن ضمدتها لم تضمد
ودعتك عما كل غانية إذا   قرأت سطور جبينك المتجعد
ولقد خلا قلبى وظللنى الهدى   زمنا وسلمت الهداية مقودى
حيث انتهت فتن الشباب فأصبحت   ذكرى تروح مع الزمان وتغتدى
وبرأت إلا من براءة نظرة   وخواطر شتى الرغائب شرد
حتى تعرض لى الهوى فى غادة   مجلوة فى فتنة لم تعهد
خمرية هدباء تبعث روحها   روح المحبة فى الأصم الجلمد
تحكى نضارتها وغض شبابها   للمعجبين نضارة الزهر الندى
وتموج رقة حسنها فى مقلتى   موجان عذب الماء فى عين الصدى
وينم حلو حديثها عن ظرفها   أو عن صفاء ذكائها المتوقد
طبعت على الإغراء فى حركاتها   أو فى تهادى جسمها المتأود
لم ألقها إلا تبسم ثغرها   عن بهجة أو عن رضى متعمد
فكأنما هى فى حياتى فرحة   جاد الزمان بها وإن لم يقصد
ووفى أوان الحسن كل عجيبة   فيها فجاءت كالمثال المفرد
ولكل حسن فى الحياة أوانه   هو والهوى يتلاقيان لموعد
نظرت إلى فأيقظت نظراتها   قلبى وأحيت ميتا لم يلحد
فأفقت مما كنت فيه من الهدى   ووضعت قلبى فى الغرام على يدى
فإذا بنفسى طفلة ممراحة   تعصى الوقار كأنها لم ترشد
ثارت على سنن الهدى وجلاله   وتمردت فى الغى أى تمرد
ورأت غرام القلب لا زمن له   فزمانه فى العمر غير محـدد
فتلمست عذر المسئ لنفسه   وتلمس الأعذار طبع المعتدى
والحب يسخر بالقيود فإن خطا   بالنفس حطم غل كل مقيد
والحب مثل الطفل أعجب ما به   طبع العنيد وسيمة المتمرد
فإذا رأى فبمين أعمى ما يرى   وإذا سرى فبمهمه لا يهتدى
وإذا تغنى أطربت نغماته   أذن السماء بغير حاد منشد
وإذا بكى أبكى القلوب نواحه   شجوا وأسهد عين من لم يسهد

وإذا تهامس كان برقا خاطفا   من دون صخاب العواطف مرعد
وإذا استحال إلى الضلال فما له   هاد ولا لضلاله من مرشد
وظللت دون لجاج نفسى ساهما   حيران بين تلهفى وتنهدى
تمضى الليالى فى ضلالة حيرتى   ما بين إقدامى وبين ترددى
ألطيع قلبى فى جديد هيامه   وأعود من حيث انتهيت فأبتدى
والحب ينميه اللجاج فإن طغى   ما إن يصيخ لناقد ومفند
ولبثت أرقب من أضلنى الهوى   فيها ولم يوه الزمان تجلدى
حتى أحست من حديثى لهفة   وتبينت ولهى وصدق توددى
عجبت وما عجب إذا ما ساءلت   يوما غرور شبابها عن مقصدى
ماذا دهى الشيخ الوقور فإنه   خلع الشباب وكنت لما أولد
ولمست ما تخفيه فى ضحكاتها   ولبثت أطرق باب قلب موصد
حتى ملكت قيادها فى ساعة   مهدتها بالصبر كل ممهد
واعدتها سرا فلم تحفل ولم   ترفض ولم تخلف أوان الموعد
وأتت كأن بها الذى بى من جوى   تختال كالطاووس فيما ترتدى
فى ليلة قمراء أسرف بدرها   فى النور إسراف الكريم الجيد
وسرى على هام النجوم فطأطأت   من بعد عزتها لهـذا السيد
يجرى وما تدرى النهى المقصد   يجرى وما هو كنه هذا المقصد
فإذا تداركه الونى فى سعيه   ركب السحاب ركوب مضنى مجهد
وكأنما تحدوه لهفة عاشق   للقاء مشتاق له مترصد
فمضت به قطع السحاب بموكب   متهدج فى مقلة المتفقد
حتى إذا بلغت به أقصى المدى   وانجاب عنه ركامها المتلبد
ألفيته يمدو كمن فقـد الهدى   أو من تفلت من غريم ممعتد
والليل مصغ للكواكب إذ صغت   فى ضوئها المتضائل المتبدد
والبحر يحلم حيث لا أمواجه   غضبى ولا هو بالجهوم المزبد
يتأرجح الموج الضعيف بشطه   كتأرجح التقوى بنفس الملحد
صقل انبثاق النور صفحة وجهه   وأنارها للساهرين السهـــد
وكأنما أنا كنت فى حلم لما   أبصرته من حسن هذا المشهد
ويجانبى أنى سميت غريرة   يدها وقد سرنا الهوينى فى يدى
أنثى كما اكتملت لأنثى فتنة   دعة اليمامة فى غرور الهدهد
ما غرنى إقبالها فتجاربى   فى العمر من أمثالها لم تحمد
وطويت من ليلات عمرى ليلة   خلدت على الذكرى وإن لم تخلد

الاسكندرية

عثمان حلمى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

موقفنا من الاتحاد السوفيتى

فى الحرب العالمية الأخيرة ، جاء يوم وقفت فيه بريطانيا وحيدة بلا حليف ، وحيدة بلا صديق ، وحيدة بلا قوة .. حليفتها فرنسا — تلك التى تستأسد اليوم فى مراكش — كانت فى ذلك الوقت قد ركعت على قدميها أمام جحافل الألمان . أما الفترة التى استغرقتها الدولة « العظيمة » لتركع ، فكانت طويلة جداً فى حساب الزمن وحساب التاريخ .. كانت سبعة عشر يوماً كما « يزعم » المؤرخون ! وصديقتها أميركا — تلك التى تناصر الحرية اليوم فى كوريا — كانت فى ذلك الوقت قد التزمت خطة الحياد الزيف ، عملا بموقفها « الخالد » من حرية الشعوب ! والقوة التى كانت تعتز بها بريطانيا وتفخر ، تلك التى كم أخمدت أصوات الكرام وأخضعت رءوس السادة ، كانت هى الأخرى قد تبعثرت أشلاؤها تحت مخالب النسر الألمانى فى كل مكان ! !

فى ذلك اليوم الذى خسرت فيه بريطانيا كل حليف وفقدت كل صديق ، وسلبت كل قوة .. راح ونستون تشرشل — كلب الإمبراطورية العجوز — راح يتطلع فى حيرة اليائس إلى كل أفق يمكن أن تشع منه ومضة أمل تفئ فى نفسه مسارب الرجاء .. ولم يطل يأسه ولم تطل حيرته ، فقد أقبلت الفرصة المنتظرة التى أتاحت للكلب أن يسترد أنفاسه اللاهثة ، وأن يلعق جراحه النازفة ، وأن يرفع رأسه من الأرض ليثبت من جديد أنه قادر على النباح ! !

أقبلت الفرصة المنتظرة حين أقدمت روسيا على خوض غمار الحرب .. وانتهزها الكلب العجوز لا ليعترف بالجميل ولا ليذكر الفضل ، بل ليطالع العالم بوجهه الصفيق ويقول : فى سبيل القضاء على العدو المشترك ، أرى لزاماً على أن أضع يدى فى يد الشيطان .. لقد كان الشيطان الذى يعنيه هو روسيا السوفيتية ، وبفضل هذا الشيطان وحده استطاع أن يتجنب الهزيمة ، وأن يقود أمة اللصوص نحو النصر ! !

أليس موقفنا اليوم شبيهاً بموقف بريطانيا بالأمس ؟ إنه يشبهه من كل الوجوه .. إننا نقف وحدنا بلا حليف ، وحدنا بلا صديق ، وحدنا بلا قوة ، اللهم إلا قوة الإيمان بحقنا فى الحياة ! إننا — نحن أبناء الشمال والجنوب — قد قدر لنا أن نواجه العدو المشترك ، وفى سبيل القضاء عليه ، لماذا لا نضع أيدينا فى يد الشيطان ؟ الحقيقة المرة هى أننا لا نزال نتحرج ، ولا نزال نتردد ، وأننا لا نثق كثيراً بمنطق التاريخ .. التاريخ الذى ينحنى لنا فى أسف ، ويقول لنا فى صدق ، وعلى شفتيه ابتسامة رثاء : مسا كين .. إن « شيطنة » روسيا ما هى إلا أسطورة ضخمة من صنع المخيلة البريطانية .. أسطورة صدقتموها لأنكم أمة تعيش على الأساطير ! !

لو كنا نثق بمنطق التاريخ لما خدعنا منطق اللصوص .. لما تحرجنا من مصالحة الشيطان وقد صالحوه ، لما ترددنا فى محالفة الشيطان وقد حالفوه ، لما وقفنا وحدنا نتطلع إلى الصديق ولا صديق ! إن هذا الشيطان إذا لم تخن الذاكرة ، قد ناصرنا مرة حين لجأ النقراشى إلى مجلس الأمن ، وناصرنا مرة أخرى حين لجأ صلاح الدين إلى هيئة الأمم ، وناصرنا مرة ثالثة حين لجأت الوفود العربية إلى تلك الهيئة لتعرض عليها قضية مراكش ؛ ومع هذا كله فنحن لا نزال متحرجين ومترددين : نعرض عن المودة الروسية والصداقة الروسية ، لأنها فى رأى عشاق الأساطير من رجس الشياطين ! !

يا حضرات القادة ، يا حضرات الزعماء ، يا من بيدكم مقاليد الأمور فى هذا البلد : فكروا مرة ، مرة واحدة فى محالفة الشيطان ! أقسم لكم أن الشيطان لم يحتل بلادنا ، ولم يسرق أقواتنا ، ولم يسفك دماءنا ، ولم يهدم بيوتنا ، وإنما الذى احتل وسرق وسفك وهدم .. هم « الملائكة » ! !

الشعر المرسل أو الشعر المنثور

شاع فى هذه الآونة لون جديد من ألوان الأدب ، أخذت

تقدمه لنا الصحف والمجلات الأدبية باسم « الشعر المنثور » تارة وباسم « الشعر المرسل » تارة أخرى !

ولست أدرى والله ما معنى هذين التعبيرين ، وماهو المقصود بهما ! وأية متعة فنية أو أدبية يجنيها الإنسان من قراءة كلمات متناثرة هنا وهناك ، تفصل بينها النقاط الكثيرة ، وعلامات التعجب والاستفهام، دون أن يربط بينهما رابط من اللفظ والمعنى فما هي إلا أفكار مشوشة مضطربة ، وخواطر غريبة متنافرة لا تجمع بينها وحدة الفكر ، ولا وحدة القافية !

أنا لا أستطيع أن أفهم أن هناك «شعرا منثورا» بل الذى أفهمه أن هناك شعرا له أصوله وقواعده وقيوده ، وأن هناك نثرا له مقاييسه الخاصة به ، وله صفاته التى تميزه عن الشعر . . فما هذا الخلط ؟ وما هذه الفوضى الأدبية ؟

لقد غفرنا لأولئك الأدباء الذين ينقلون إلى العربية روائع الأدب العالمى تحررهم من تلك القيود التى يخضع لها الشعر العربى، بغية المحافظة على روحية الشاعر ووحدة فكرته التى يهدف إلى عرضها للقارئ بأسلوب فنى ووفق نظام بديع . ولكن ما الذى يدعونا إلى التماس المغفرة لهؤلاء الأدباء أو «المتأدبين» الذين جاءوا بهذه «البدعة» الأدبية الجديدة ، التى إن دلت على شئ فإنما تدل على عجز عن الإبداع الفنى ، وقصور عن إدراك ذروة الجمال فى التعبير الشعرى الذى يجب أن يخضع للأسلوب الفنى المنظم !

أرجو من الأستاذ الناقد إفادتى برأيه فى هذا الموضوع مع بيان تأثير هذه البدعة على الشعر العربى الحديث

« بغداد » منير آل ياسين

أنا مع الأديب العراقى الفاضل فى هذه الآراء التى يبديها حول الشعر المرسل أو الشعر المنثور ، ذلك لأننى لست من أنصار «الشعوذة» الفكرية و « البدع » الأدبية التى يسميها الفاشلون فنا والفن منها براء . . ولو رجع الأديب العراقى إلى كتاب « نماذج فنية » لوجدنى أؤيده كل التأييد فيما ذهب إليه ، حين ينعت التحرر من بعض القيود فى الفن بأنه « الفوضى » الناجمة عن عوامل العجز والقصور ! هذا حق لاشك فيه ، وأية متعة فنية أو أدبية يجنيها الإنسان كما يقول ، من قراءة كلمات متناثرة هنا وهناك ، تفصل بينها النقاط الكثيرة وعلامات التعجب والاستفهام ، دون أن يربط بينها رابط من اللفظ والمعنى ؟

إنه سؤال يوجهه إلى الأديب العراقى ، وأعود إلى بعض ما قلته بالأمس حول مشكلة القيود فى الفن لأقدم إليه هذا الجواب : « إن تحرير الفن من كل قيد معناه الحرية المطلقة وإن الحرية المطلقة ليست هى الجمال الذى نتطلع إليه .. إننا حين نفرض القيود على الفن فإنما نفرضها بغية أن نبث فيه روح النظام وما هو الجمال فى الفن إذا لم يكن هو الجمال على التحقيق ؟ وحين نرفض الحرية المطلقة فإنما نرفضها خشية أن نبث فيه روح الفوضى، وما هو القبح فى الفن إذا لم يكن هو الفوضى بلاجدال ؟ لابد إذن من قواعد وأصول حين نحتاج فى « تنظيم » الفن إلى تلك القواعد والأصول ، ولابد إذن من القيود التى تقررها المقاييس النقدية لتحديد القيم الجمالية ! . . إن الفن فى كل صورة من صوره يجب أن يعتمد أول ما يعتمد على تلك الملكة التى نسميها « ملكة التنظيم » ، وكل فن يخلو من عمل هذه الملكة التى تربط بين الظواهر ، وتوفق بين الخواطر ، وتنسق المشاهد ذلك التنسيق الذى يضع كل شئ فى مكانه ، كل فن يخلو من عمل هذه الملكة لا يعد فنا ، بل هو «فوضى فكرية» أساسها وجدان مضطرب ، وذهن مهوش ، ومقاييس معقدة أو مزلزلة .. إننا ننشد النظام ، وإذا ما أوجدنا النظام فقد خلقنا الجمال ، وإذا ما خلقنا الجمال فقد أقمنا بناء الفن !

هذه الكلمات الموجزة يستطيع الأديب العراقى أن يخرج منها بما يؤيد وجهة نظره حين يقول « إن الشعر المنثور ما هو إلا أفكار مشوشة مضطربة ، وخواطر غريبة متنافرة ، لا تجمع بينها وحدة الفكر ولا وحدة القافية .. أنا لا أستطيع أن أفهم أن هناك شعرا منثورا ، بل إن الذى أفهمه أن هناك شعرا له أصوله وقواعده وقيوده ، وأن هناك نثرا له مقاييسه الخاصة به، وله صفاته التى تميزه عن الشعر ، فما هذا الخلط ، وما هذه الفوضى الأدبية » ؟

هذا رأى جميل ، وإنه ليذكرنى بذلك الرأى الذى عقبت

به يوما على سؤال لأحد الأدباء المراقبين ، حين نعرض لقيود القافية فى فن الشعر ذاهبا إلى أنها تحد من حرية الشاعر ، لأنها كثيرا ما تسوقه مرغما إلى كلام لم يقصد إليه ولم يهدف إلى معناه .. لقد قلت يومئذ وأنا فى معرض الجواب حيث يغنى الإيجاز عن كل إطناب : « بقى أن أقول للمحامى الأديب فى مجال الرد على ما أورده حول قيود القافية فى فن الشعر ، إن هذه القيود كما عرض لها حق لا شك فيه ؛ من ناحية أنها تفرض على الشاعر لونا من التعبير قد لا يرتضيه . ولكن الأستاذ قد نسى أن تلك القيود لازمة من لوازم الشعر ليكون شعرا ، له ذلك القالب الفنى الذى يميزه من قالب النثر ، ويشير إلى ما بين القالبين من فروق » !

بعد هذا أنتقل إلى السؤال الأخير فى هذه الرسالة المتزنة الواعية لأقول : لاخطر فى رأيى من هذه البدعة على الشعر العربى الحديث ، لأن أصحابها لا وزن لهم عند من يفهمون رسالة الفن على وجهها الصحيح ، ويحددون لها الغاية ويرسمون الطريق ويقررون المصير .. لاوزن لهم مهما شجعتهم على مثل هذه « الشموذة » صحف تزعم أنها تحمل مشعل التجديد ، وهى فى الواقع تظلم التجديد كل الظلم حين تنظر إليه فى ضوء هذا الفهم السقيم !!

حول مسرحية « دنشواى الحمراء » :

أريد أن أعرض عليك مشكلة لست أدرى ماذا يكون صداها لديك ، ولدى القائمين بشئون المسرح العربى ! .. كنت ضمن النظارة الذين شاهدوا المسرحية الوطنية الكبرى « دنشواى الحمراء » ، فلاحظت أن الستار يسدل عقب انتهاء كل منظر من مناظر المسرحية المديدة والأنفاس معلقة .. ثم لا يلبث أن يرفع مرة أخرى فإذا بالممثلين قد أحنوا قاماتهم لجمهور النظارة الذى ألهب أكفه بالتصفيق إعجابا بفنهم الرفيع

هذا أمر طبيعى ، لأن الممثل يجد لنفسه صدى يتمثل عنده فى تصفيق الجمهور وإعجابه ومشاركته له مشاركة تامة فى كل ما يحس من عواطف وانفعالات .. ولكن هنا المشكلة ! إن أفكار النظارة الفردية تتحطم فى المسرح وتستحيل إلى أفكار جماعية ، فالانفعالات والإحساسات تسرى فى الجميع ويصير « الكل فى واحد » كما يقول « نشيد الموتى » .. ولكن رفع الستار مرة أخرى بعد إسداله عقب انتهاء كل منظر ، يؤدى إلى « اللانفعالية » المفاجئة لدى النظارة ، مما يحول بينهم وبين التعاطف والاندماج فى اللحظة التى أوشك أن يتم فيها التعاطف والاندماج ، فإذا بالجمهور لم ينظر إلى ماعرض على خشبة المسرح نظرة الجد بل أخذ يضحك بشكل أزعجنى ! إن الجمهور فى ذلك معذور يا سيدى ، لأن رفع الستار قد قضى على طاقته العاطفية أثناء التمثيل وأحالها فجأة إلى حالة طفيلية ذات وجود مستقل ، وبهذا يفقد المسرح فى رأيى عنصره الأصيل وهو التأثير المباشر ! أليس كذلك ، أم أنا مغال فيما أقول ؟

إننى فى انتظار رأيك ، وتقبل إعجابى واحترامى

«القاهرة» **محمد رفعت الدويلى**

كلام الأديب المصرى الفاضل صحيح لا غبار عليه ، ولقد شهدت هذه المسرحية وغيرها من المسرحيات ورأيت بعينى هذا الذى يقع على خشبة المسرح ويقدم عليه الممثلون . . إنها « تقليعة » لا أستطيع أن أرضى عنها ولو رضى عنها ذلك الرجل الذى أقدره دون أن أعرفه ، وأعنى به الأستاذ زكى طليمات !

لقد كان الجمهور مثلا فى حالة شعورية ساخطة على ذلك الممثل الذى قام بدور المستشار الإنجليزى المحقق فى قضية دنشواى ، ولكن تلك الحالة الشعورية قد انقلبت إلى النقيض حين رفعت الستارة بعد انتهاء المشهد لينحنى المستشار « الإنجليزى » تحية لجمهور النظارة من « المصريين » . . ولقد كان الجمهور مثلا فى حالة شعورية حزينة على « أم محمد » التى خرت صريعة رصاص الجنود الإنجليز ، ولكن تلك الحالة الشعورية قد انقلبت هى الأخرى إلى النقيض حين رفعت الستارة بعد انتهاء المشهد وظهرت « الشهيدة » فى أحسن صحة وأكمل عافية ، لتحيى « الباكين » عليها « والمحزونين » . . ولقد كان الجمهور مثلا فى حالة شعورية تتدفق إعجابا وحماسة وهو يرى « عبد الرازق » وقد نسف البيت مضحيا بحياته ، مادام هذا النسف سيودى بحياة عدد من جنود الاحتلال ، ولكن تلك الحالة الشعورية قد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

افتتاح مؤتمر المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بافتتاح مؤتمره السنوى يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر الحالى ، فاستهل الجلسة معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا رئيس المجمع بكلمة أعلن فيها افتتاح المؤتمر وحيا الأعضاء ورحب بهم

ثم وقف الدكتور منصور فهمى باشا كاتب سر المجمع فألقى

انقلبت المرة الثالثة إلى النقيض حين رفعت الستارة بعد انتهاء المشهد ، وبدا الفدائى « الصريع » واقفا على قدميه ليقدم شكره الخالص لحضرات « الفجوعين » .. وهكذا كنت أرى تلك « التقليمة » المضحكة وهى تتكرر على خشبة المسرح وتقضى على كل عنصر من عناصر الإثارة النفسية !

إن مثل تلك الحركات البهلوانية كفيلة بهدم ذلك التجاوب الشعورى بين الممثل والمشاهد ، وبالقضاء على الواقعية الفنية فى العمل المسرحى حين نخرجه فى الإطار المادى الذى نهدف من ورائه إلى التأثير فى الجماهير .. إن وظيفة المسرح هى أن ينقلنا من عالم الخيال إلى عالم الواقع ، هى أن يخدر مشاعرنا ذلك التخدير الذى نحس معه أن هذه الساحة الضيقة التى يتحرك فوقها الممثلون ، قد استحالت إلى تلك الساحة الرحيبة الأخرى غير المحدودة ، وأعنى بها ساحة الحياة . . ترى هل يحتمل منطق تلك الساحة الأخيرة أن ينحنى الإنجليز للمصريين ، وأن يستيقظ الموتى من رقدة العدم دون أن يحدد الله موعد البعث والنشور ؟

إن الجواب متروك للرجل الذى أقدره وأقدر جهوده فى خدمة المسرح .. زكى طليمات !

أنور المعداوى

كلمته ، وقد تحدث عن الذوق اللغوى وموقف المجمع مما يقرره من ألفاظ ومصطلحات من حيث فرض السلطة أو ترك الحرية لمن يأخذ بها . ثم أجمل أعمال المجمع فى الدورة الماضية . وقد جنح فى كثير من العبارات إلى الظرف والفكاهة

قال الدكتور منصور باشا : إن المجمع بحكم اختيار أعضائه ممن يتذوقون اللغة العربية تكون له ذوق خاص فى اللغة ، وقد أخذ يرنو إلى أن يشيم فى الناس هذا الذوق . وقد قال فى مستهل كلمته أنه لن يحول الحديث إلى فلسفة ، فللفلسفة مجالها ولها وزن ثقيل تترنح له الدار ويرتج الجدار، ويلوذ أكثر الزوار بالفرار ... ولما وصل إلى الكلام على « الذوق السليم » شبهه « بتيار إلهى يجرى فى وادى الظروف والزمن » وما كدت أسمع هذا التشبيه حتى أشفقت على الدار ونظرت خائفا إلى الجدار وتطلعت أرقب الزوار . .

وقد بدأ مسألة السلطة والحرية فى اللغة متسائلا : هل آن لما تطلع إليه المجمع وطلبه على لسان بعض أعضائه أن يتحقق فيطوع السلطة التنفيذية لخدمة اللغة وسلامتها ؟ ثم تحدث عن رأى معالى الأستاذ رئيس المجمع فى ذلك وهو رعاية الحرية وإيثارها على التسلط ، وقال : إننى أستبيح لنفسى التجانف عن هذا السبيل الحنبلى فى تقديس الحرية لأكون من أنصار أبى حنيفة ومن إليه ممن يتجوزون فى أشربة من الخمر فى بعض الظروف . . فقد يكون للسلطان فى بعض الأحايين نفع كبير ، ولقد أرى أن بين السيطرة المستنيرة وبين بعض صنوف الخمر المستجادة وجها من وجوه الشبه !

قال الدكتور منصور فهمى ذلك ولم يبين لنا كيف السبيل إلى فرض السيطرة على أذواق الناس فى اللغة . ولست أدرى ماذا يقصد بإجازة أبى حنيفة أشربة من الخمر فى بعض الظروف ! هل يقصد تحليل أبى حنيفة النبيذ ؟ وهل يحسب نبيذ أبى حنيفة من الخمر ؟ وما موقع « صنوف الخمر المستجادة » مما قال به أبو حنيفة ؟

وبعد ذلك ألقى الدكتور أحمد عمار محاضرة قيمة موضوعها « المصلحات الطبية ونهضة العربية بصوغها فى القرن الحاضر » بدأها بقوله : اللغات كائنات حية نامية متجددة ، ما تجددت

عاشت ، فإن جمدت ماتت . ولقد تمتورها من آفات الإفراط والتفريط أدواء لا منجاة منها إلا أن تكون بين ذلك قواما وتلزم بينهما قصد السبيل .

ثم قال : ولقد وسعت لغتنا فى ريعانها من مطالب الحضارة أعلاها مرتقى وأصعبها شمايا ، ومن بينها الطب ، إذ بلغ شأوها فيه أن تلقاه عليها الغرب وتدارسه فى كتبها حقبا طوالا . وما كان ذلك إلا لأن أسلافنا لم يبتلوا بذلك الداء الدولى وهو فرط الحذر ، لم يخشوا فى النقل عمن سبقهم من الأمم لومة لائم ، بل أقبلوا عليه إقبالا لعلهم كانوا فيه إلى العجلة والاندفاع أقرب منهم إلى التؤدة والأناة ، فما أضر بهم ولا بلغتهم قليل الاندفاع . ولو أنهم أسرفوا فى الحذر لما خلد لهم فى التاريخ ذكر ولا بقى لهم فى العلم أثر . ثم تحدث الدكتور عمار عن العناية بالمصطلحات الطبية فى مطلع النهضة المصرية الحديثة ، بعد العصور التى تخلفت فيها اللغة ، حتى بلغ الحديث مجمع فؤاد الأول فأشار إلى حيرته التى طالت سبعة عشر عاما بين إشفاق على القديم ووجل من الجديد ، وأهاب به قائلا : ما عدة النهضات إلا الإقدام ، وقال إننا نشفق منَ الجمود أكثر مما نشفق من الاندفاع ، فلنتوسط بينهما السداد ما استطعنا إليه سبيلا . ثم فصل رأيه فى ذلك بأمثلة فى وضع المصطلحات الطبية سأعود إلى عرضها فى عدد قادم إن شاء الله لاستكمال الفائدة من هذه

كشكول الأسبوع

▫ منعت السلطات الفرنسية مدير معهد فاروق الأول للدراسات العربية من السفر إلى هناك لتولى عمله الجديد ، ويعتبر ذلك من العقبات التى تصنعها فرنسا فى سبيل افتتاح المعهد ، فاتصل معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف بهذه السلطات وأنذرها بوقف أعمال الهيئات العلمية الفرنسية فى مصر إن لم ترجع عن موقفها من معهد الجزائر . وأخيرا اضطر معاليه إلى تنفيذ ذلك الإنذار بالنسبة للمعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة وبعثاته التى تبحث عن الآثار وبعثات فرنسية أخرى تقوم بأعمال الحفر فى مصر

▫ افتتحت يوم ١٩ ديسمبر الحالى أعمال « كرسى الملك فاروق » للآداب العربية فى كلية الآداب بجامعة أثينا ، فألقى الدكتور فؤاد حسنين الأستاذ بجامعة فؤاد الأول محاضرة موضوعها « المقارنة بين الآداب العربية واليزانطية »

▫ من أنباء بغداد أن الشاعر العراقى الحر محمد مهدى الجواهرى كان بين الذين اعتقلهم البوليس فى الأسبوع الماضى

▫ أنشأ الأستاذ كامل الشناوى بك قصيدة وطنية جديدة يشتغل الآن بتلحينها الأستاذ محمد عبد الوهاب . ولعل عبد الوهاب يوفق هذه المرة فى أداء الشعر الوطنى فيترجم إلى اللحن والغناء المعانى القوية التى اشتملت عليها قصيدة الشناوى

▫ ترد إلى محرر هذا الباب أحيانا رسائل من بعض القراء تتعلق بما ينشر فى الرسالة لغيره من الكتاب والشعراء ، والذى ينبغى فى مثل هذا أن يوجه الى الكاتب أو الشاعر نفسه ، أو يرسل باسم رئيس التحرير لينشر فى البريد الأدبى ، ويرسل كذلك الى رئيس التحرير كل ما يراد نشره فى الرسالة

▫ غيرت « بلدية الاسكندرية » أسماء بعض شوارع الثغر ، فأطلقت اسم احمد شوقى بك واسم حافظ ابراهيم بك على شارعين كانا يحملان أسماء انجليزية

المحاضرة الدسمة الشهية . . . وقد دل الدكتور أحمد عمار بجزالة لغته وإمتاع أسلوبه وعمق فكرته على أدب وفضل يحمد المجمع على إتاحة الفرصة لظهورها

ثم تحدث الأستاذ عبد الحميد العبادى بك عن « كتب الحسبة وأثرها فى المعجم اللغوى الكبير » فشرح هذا النظام فى المجتمع الإسلامى وذكر ما ألف فى الحرف وشئون الأسواق وما تضمنته هذه المؤلفات من نقد المجتمع وساق طائفة من ألفاظ الحرف والآلات ومصطلحاتها مما لم تضمنه المعجمات داعيا إلى تضمينها المعجم الوسيط والمعجم الكبير

وتكلم الأستاذ ماسينيون فقال إنه قدم من باريس يحمل إلى المجمع مع التحية مطلبا خاصا بلجنة تخريج أساتذة اللغة العربية فى فرنسا ، وهو أن يمدها بالمنهج الذى وضعه لإحصاء القواعد اللغوية والكلمات العلمية التى قررها المجمع

وختم الاحتفال بكلمة وجيزة للأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب باشا أبلغ فيها تحيات المغرب الشقيق منوها بما تواردت به البشارات من فتح المعاهد العلمية التى شاءت مصر أن تنشأ فى المغرب لربط الأواصر وجمع الشتات

قالت العرب :

كان الأستاذ أحمد محمد بريرى قد عاد إلى المناقشة فيما جرى بيننا من

خلاف على كلمات وردت في مؤلفات الدكتور طه حسين ، إذ خطأ رفع « يدخلون » في قوله « يريدون أن يضحكوا من أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها فيدخلون عليهم فصولا تنشرت على أنها لم تنشر » وأنكر عليه استعمال نحو « قد لا يفعل ، وسوف لا يفعل ، ونفس الشيء ، وما كاد يفعل كذا حتى حدث كذا » وقد بينت في هـذا كله وجه الصواب الذي استديره ..

فلما عاد إلى المناقشة في صحيفة الأساس (٧ ديسمبر الحالي) ألفيته قد تعلق بأمور جدلية لا تؤدي مجاراته فيها إلى طائل ، ولحظت أنه يحاول أن يخرج بهذه الجدليات عما واجهته به في الموضوع ، فرأيت أن أمسك عن مجاراته في ذلك ضنا بالوقت والجهد أن يذهبا سدى

ثم تناولت « الأساس » في موعد حديث الأستاذ التالي (يوم الجمعة ١٤ ديسمبر) فوجدته يتعرض لعبارات أخرى في كتابات الدكتور طه حسين ، وقلت لعله أصاب شيئا ، ولكن وجدته لا يزال على طريقته في توهم الأخطاء

ونرجع إلى موضوع الخلاف الأول لأن جزءا منه يرتبط بما طرقه في المقال الثاني ، وأغض الطرف عن الهوامش قاصدا إلى الصميم ، فأجمل رده فيما يلي : قال فيما يختص بإعراب « يدخلون » : إن لكل منا رأيه ، ثم مضى إلى سائر العبارات فأعاد ما كان قد قاله في « كاد » ؛ أما البقية فقد طالب فيها بما قالت العرب قائلا : (. . . فلقد قلنا لم تقل العرب « قد لا ولا سوف لا . . الخ » فكيف يطالبنا بالإثبات ؟ نحن ندعى العـدم .. وقد قضى الله ألا نتكلف إثباته . . وإنما على من يناقضنا أن يقول : قالت العرب .. ويأتي بهذا النص الذي نقول إنه منعدم »

أما الموضوع الذي طرقه بعـد ذلك فهو استعمال الفعل « يلفت » على الوجه الذي جاء عليه بمقدمة كتاب « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين في العبارة التالية : « إذا استطاع هذا الكتاب أن يلقى في نفوس الشباب حب الحياة العربية الأولى ويلفتهم إلى أن في سذاجتها ويسرها جمالا ، ليس أقل روعة ولا نفاذا إلى القلوب من هذا الجمال الذي يجدونه في الحياة الحديثة المعقدة فأنا سعيد موفق إلى بعض ما أريد »

أنكر استعمال ذلك الفعل بمعنى التنبيه والتوجيه ، لأن لفت معناه لوى وصرف

حقا إن لفت معناها صرف ، ولكن هل هما مقصوران على معنى الانثناء عن الأمر والإعراض عنه ؟ إنك تقول صرفت همي إلى كذا ، ويقال هو مصروف إلى كذا ، وانصرف إلى الشيء ، والمقصود الإقبال والاهتمام ، كما يقال صرفه عن كذا : لواه عنه . فالذي يعين المعنى حرف الجر كما في « رغب » مثلا . وعلى ذلك « لفت » على سبيل التضمين . على أنني ألمح في التعبير دقة بلاغية سببها « إيجاز بالحذف » وتقدير الكلام : ويلفتهم عما يحالونه في الحياة العربية من خشونة وجفاف إلى ما في سذاجتها ويسرها من جمال

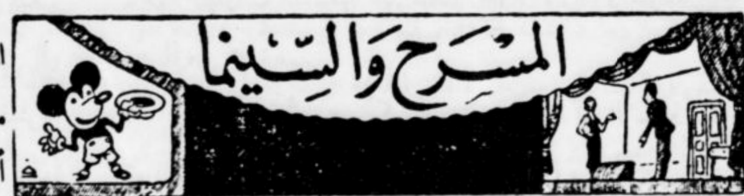
وسيقول لي الأستاذ بربري : إيت بما قاله العرب . هذه هي المسألة التي أعود إلى مساجلة الأستاذ من أجلها

أليس بد مما قالت العرب نصا ؟ أولا يجوز لنا أن نقول على نسقهم كلاما جديدا ؟ وهل وقفت العصور المتتابعة عند ما نطق العرب الأولون دون تطور في المعاني والتعبيرات ؟

لقد لمحت في مقالك هذا كلمة « الذوق » إذ قلت في مخاطبة شيخك « مهلا يا سيدي الشيخ ، فتلك كلمات غلاظ وأسئلة خشنة لا يحتملها الذوق . . الخ » فهل استعملت العرب هـذه الكلمة في هـذا المعنى الحديث ؟ ولمحت في مقالك الأول كلمة « تطور » إذ قلت فيه « أو ترون أنا سلكنا جادة الصواب أم أخطأنا تطور الأطوار » فهل قالت العرب « تطور » ؟ إنني لا أؤاخذك على هذا إلا إذا أردت أن أحاسبك بمنطقك ، وهو منطق لا يتفق مع التطور اللغوي وما يبتدعه الكتاب من تعبيرات جديدة ، لا تخرج من النهج العربي ، تضاف إلى ثروة اللغة وتطوعها للحياة المتجددة

ثم أسألك يا سيدي الأستاذ : هل تمنع إطلاق « سيارة » على (الأتومبيل) لأن العرب لم تفعل ؟ وهل تمنع إطلاق « قنبلة » على القذيفة المتفجرة لأن العرب لم تفعل ؟

لقد رأيتك تفوض المجمع اللغوي في أمر « كاد » معربا عن قبولك للتركيب إذا أقره ، فإذا كان المجمع عندك حكما مرضيا فإني أحيلك إلى ما قرره في أمر تسع وثلاثين كلمة أقر استعمال المحدثين لها على خلاف ما سمع عن العرب الأولين في الصيغة أو



المسرح المصرى

في خدمة العقيدة الوطنية

للأستاذ زكي طليمات

في العدد الفائت من الرسالة ، عقب الأستاذ على متولى صلاح ، على فصل لى نشرته هذه المجلة تحت هذا العنوان ، وهو بحث أقمت فيه موازنة عابرة بين مذهبين دوارين من مذاهب الأدب والفن « هما مذهبا الأدب والفن ، للأدب والفن » أو الفن والأدب ، فى برجيهما العاجى ، ثم الأدب والفن وقد عالجا ما يستبد بتفكير الناس فى فترة عصيبة من فترات الزمن

أتيت هذا لأخلص إلى تسجيل وجهة نظرى فى هذه القضية التى ما زال رحابها يتسع المتناقض من الأحكام والمتعارض من وجهات النظر، ابتغاء أن أمهد لأخراجى مسرحية (دنشواى الحمراء) التى قدمتها (فرقة المسرح المصرى الحديث) وهى مسرحية من صميم (الأدب الملتزم) الذى يستأثر بنفوس الجمهور فى هذه الآونة

وقد حرصت الا أتعرض لمناقشة ما يسوقه كل فريق فى المنافحة عن كل من هذين المذهبين، إرادة أن أنفذ إلى ما أردت من ذلك الفصل، وبغية أن أقول، ولكن بطريق غير مباشر، أن ليس هناك أدب للأدب، وأدب لغير الأدب، وإنما هناك أدب رفيع وفن رفيع ، وأدب رخيص وفن تافه ، وذلك باعتبار أن الأدب أو الفن إنما هو هزة وانفعال . ومأتى التجويد فيهما والابتداع إنما يرجع إلى امتلاء الأديب أو الفنان بما هزه فى أصلابه وامتلأت به أوصاله ، ثم إلى قدرته على معالجة هذا معالجة إنسانية سليمة وطريفة فى وسائل أدائها

وقد جاء تعقيب الأستاذ صلاح على ما ذكرت ذا شعبتين ، ويكاد ينقسم إلى قسمين : القسم الأول يدور حول هذه القضية. والقسم الآخر يعالج موضوعا جديدا إذ يدور حول موقف المسرح المصرى من هذين المذهبين

وحرصا على أن يفيد القارىء ، ودفعا للبس وتقويما للانحراف أعقب بدورى على ما كتبه الأستاذ صلاح ، ولكن فى إيجاز

(١) الموازنة التى أقمتها حول الأدب والفن فى مذهبيهما المتعارضين ما زالت قائمة . وليست من فضول القول كما يزعم الأستاذ صلاح ، لأنها تعالج أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره ، وذلك من حيث الباعث والحافز . ولم تكتب فيه الغلبة لأحدهما حتى الآن ، بدليل أنه ما برح هناك كتاب يمالجون الآداب (من أبراجهم العالية) ويأتون بالجيد والطريف مما يقرأه الناس ويتأثرون به . وموقف النقاد من هذه القضية كموقفهم من (الشعر) بعد أن استشرت النزعة المادية فى مرافق الحياة الاجتماعية ، وطغت هذه النزعة على المعنويات والروحانيات فمنهم من يزعم أن (الشعر) أصبح لونا من الترف والفضول ، ومنهم من يرى غير هذا ، ويؤكد أن الشعر لن يموت بحكم أنه تعبير إنسانى يزاوج بين موسيقى المعانى وموسيقى الألفاظ ، والكائن الإنسانى يستهويه الإيقاع بفطرته وسليقته

وتباين وجهات النظر إلى الشعر ، كما هو الحال فى تباين وجهات النظر إلى الأدب والفن فى قضيتهما هذه ، كل هذا كما يلوح لى ، مرجعه إلى التقدم الآلى والصناعى ، وإلى إعلاء الماديات على المعنويات ، ثم إلى عامل السرعة ، وكل هذا من

فى الدلالة ، منها « سامر » بمعنى شارك وقاسم ، و « قهوة » المكان الذى تشرب فيه . . الخ . وذلك بناء على ما ارتآه الأستاذ أحمد حسن الزيات بك من حق المحدثين فى الوضع اللغوى . فإذا كنت مصرا على المطالبة بنص ما قالته العرب فإنى ألفتك إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وهو — كما قلت — الذى فوضنا إليه أمر اللغة العربية

عباس خضر

خصائص القرن الحاضر ، ومن عوامل الزمن الذى نعيش فيه . ولكن هذه العوامل لم تستطيع بعد أن تحول الأدب والفن إلى نظريات اقتصادية ومقايسات ميكانيكية أو صور بدائية مبتسرة

ولو أردنا أن نسوق مايقرره أنصار مذهب (الأدب للأدب) تحبيذا لمذهبهم وانتقاصا للمذهب الذى يكافح عنه الأستاذ صلاح لراجع نفسه كثيرا قبل أن يحاول دفع حججهم بالتى هى أحسن وأفخم ، وخلص معى إلى أن الأدب أو الفن فى نتاجه ، لايمكن أن نقسمه إلا من حيث الجودة والرداءة ، ومن حيث السمو والإسفاف ، ومن حيث الزوال والخلود

٢ — (مذهب الوجودية) Existantualisme الذى أقحمه الأستاذ صلاح فى دفاعه عن (الأدب الملتزم) ليس مما يصح اتخاذه برهانا على أن نظرية الأدب للأدب قد ماتت وعفت آثارها بانقضاء القرن الماضى ، لأن هذه (الوجودية إنما هى أسلوب فى التفكير ، وليست حافزا أو باعثا من البواعث على الابتداع الأدبى أو الفنى ، ولا مصدرا من مصادر الاستلهام التى تدافع الأديب أو الفنان إلى الخلق . ومعلوم أن الباعث يأتى قبل التفكير ؛ وإن شئت فقل إنه الشرارة التى يضطرم معها الذهن ويضئ ليعمل ، ونحن فى قضيتنا هذه قضية الأدب للأدب والالتزام ، إنما نعالج الباعث والحافز ومصدر الالهام ولا نعالج أساليب الفكر

وفوق هذا فإن هذه (الوجودية) تمتد أطرافها إلى نظريات فلسفية قاتمة ، ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ ، لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسي نزل بالواعية الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الماضية وما زالت تفتقر إلى الأرض الصلبة التى تقف عليها . وقد تزول هذه (الوجودية) إذا زالت أسباب قيامها ، باعتبار أن الحياة ليست كلها شقاء وجحيما وألما ، وأن الوجود يتجدد ويقيم شرعة التوازن بين طرفيه : السعادة والشقاء ، والفرح والحزن . وقد تزول هذه (الوجودية) كما زالت قبلها (الدادية) و (السريالية) وكلها من أساليب حياة الفكر ..

قد يزول كل هذا ، ويبقى النضال قائما بين مذهبى (الأدب للأدب) و (الأدب الملتزم) لأنه نضال يعالج الأدب فى جوهره من حيث بواعثه واستلهاماته ، وليس يعالج الأدب من ناحية التيارات الفلسفية التى تنجم نجوم الأزياء وتسوده حقبة من الزمن ثم تمضى

ويتضح مما أجملت ذكره عن الوجودية ، أن الأستاذ صلاح قد التبس عليه الأمر إذ جعل (الوجودية) من دعائم (الأدب الملتزم) إذ لو صح هذا لقضى على الأدب إلا يكتب إلا فى الناحية القاتمة من الحياة ، ولا يسجل إلا التشاؤم وفقدان الأمل ، وألا يوحى إلا بما يشعر الكائن الإنسانى بزيادة تبعاته أمام نفسه ، وبتعدد التزاماته أمام المجتمع

وقد يكون هذا عند (بول سارتر) صاحب هذا المذهب ومن نهج نهجه بعد أن أقر فى أذهانهم ، بتأثير الظروف التى تحيط بهم ، وبسحر المنظار الذى ركب عيونهم ، أن الحياة إنما هى سلسلة من التبعات الثقال ، وأن الكائن الإنسانى ، وهو العنصر الأولى فى الوجود ، لابد أن يناضل عن كيانه وأن ينازل هذه التبعات فى حرب سافرة . ولا بأس أن ينكر المستقبل ، ولا بأس أن يأخذ بمذهب (القدرية) إلى أبعد حدوده ، باعتبار أن الإنسان مسئول عما يفعله وليس (للجبر) دخل فى سلوكه

هذه وجهة نظره ، ولكنها ليست وجهة نظر (الأدب الملتزم) فى كل ما يعالجه من شؤون الحياة

* * *

أما القسم الآخر من تعقيب الأستاذ صلاح فينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ، ويهدف باطنه إلى النيل من (فرقة المسرح المصرى الحديث) وكأن هذه الفرقة الحديثة العهد بالحياة مسئولة عن المسرح المصرى فى حياته السابقة وفى انحراف رسالة الفرق المختلفة العاملة عما يجب أن تكون عليه فى معالجة ما يشغل أذهان الناس ! !

وهذا القسم كسابقه يتسنم بالجور والإقساط كما يعوزه التقصى والاستقراء ، لأن المسرح المصرى — كما هو معلوم لكل متتبع مراحل تطوره إلا الأستاذ صلاح بالطبع — كان فى أكثر مسرحياته الحالية يتناول مشاكل حياة الاجتماع فى مصر ، وفى القليل من مسرحياته لتنبيه الوعى القومى ، وذلك فى نطاق ما بين يديه من وسائل ، وفى حدود الحرية التى يجيزها الرقيب

الحكومى ، وما دبجته الأقلام المصرية فى هذا ، بين ما هو مقتبس ومؤلف بل ومترجم ، يقيم الحجة على ما نقرره

وإذا صح ما يزعمه الأستاذ صلاح من أن المسرح المصرى قد قصر عن إدراك هذا الشأو ، فاللوم لا يقع على أصحاب الفرق والممثلين ، وإنما ينصب بكليته على من يكتبون للمسرح رواية وتوجيها ونقدا. وأسأل نفسى أين كان الأستاذ المعقب (والتعقيب كالنقد سهل وميسور ، والانشاء صعب وعسير) أين كان ... وهذه أول مرة نطالع له كلاما عن المسرح ؟؟

ثم يأتى نصيب (فرقة المسرح المصرى الحديث) من لوم الأستاذ المعقب ومن تقريعه ، فإذا هو يؤكد ما قررته من أن الأستاذ ركب من التجنى ومن الإقساط ما ركب ..

وآية هذا أنه ما أن هبت مصر هبتها القائمة حتى قطعت الفرقة الحديثة ما بينها وبين ما كانت تقدمه فى عامها الأول من المسرحيات العالمية المترجمة ، وقدمت مسرحيتى (مسمار جحا) و (دنشواى الحمراء) وهما من وضع أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذى يدق فى قلب كل مصرى فجاءت كل مسرحية منهما تمكس فى مشاهدها صورا ورؤى مما يعمر رؤوسنا فى هذه الفترة العصيبة من حياة مصر

قدمت الفرقة الحديثة هاتين المسرحيتين وقد استجابت إلى ما يصح أن يطالعه الجمهور فوق المسرح ، ولما يمض على حياتها أكثر من عام وربع عام . هذا فى حين أن فرقة مصرية أخرى تحظى بإعانة وزارة الشئون الاجتماعية ورعايتها ، لم تقدم شيئا من هذا ، بل قدمت قديما من مترجمات ومقتبسات مما خفت مؤنته الفنية والأدبية من الأدب الفرنسى والإنجليزى ، ومما لا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور فى كثير أو قليل ، وذلك بين مسرحي الأوبرا الملكية وحديقة الأزبكية !

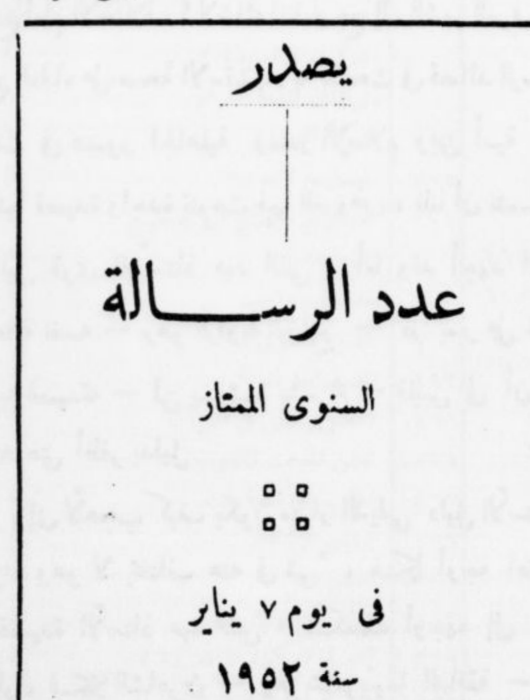
وقع هذا وأمره معلوم ، ولكن الأستاذ المعقب الحاسب لم يتعرض له فى شئ . وأترك للقارئ أن يرد على الأستاذ المعقب بما يراه . وأعود إلى مسرحيتى (مسمار جحا) و (دنشواى الحمراء) فأقول إن هاتين المسرحيتين لم تروقا للأستاذ المعقب ، لا وضعا ولا معنى ، ويزعم أنهما لا تحققان الأغراض القومية التى نوهنا بذكرها فى مختلف المناسبات ، ثم يحلو له بعد هذا أن يتهكم . ولماذا ؟ وفيم التهكم ؟

يزن الأستاذ المعقب كلاما إن دل على شئ فعلى أنه لم يحسن تفقه هاتين المسرحيتين . وهذا مما يؤسف له ! أو هو علم وتفقه ولكنه يعتسف النقد اعتسافا ليطلع برأى يخالف آراء من شاهدوا هاتين المسرحيتين الطريفتين ، وتفضلوا بالكتابة عنهما فى مختلف الصحف ، وهذه محنة ! أو هو هذا وذاك . ويزيد أن اطلاعه فى الأدب المسرحى الغربى ليس على الوجه الكامل ، بدليل أنه ينتقص قدر مؤلف مسرحية (دنشواى الحمراء) لأنها لم تجمع بين دفتيها فوق ما جمعت من مواطن النضال والفداء ، مواقف العمال والجنود والحكومة ومن إليهم . . وكأن المسرحية فى نظره ملحمة من الملاحم ، يجب أن تحيط بكل كبيرة وصغيرة وشاردة وواردة ، مما يصح أن يجرى فى محيطها

وفى هذا نمسك عن الكلام ولا نتهكم ولا نسخر ، وأدع تفنيد مزاعمه تفنيدا مسهبا لمؤلفى هاتين المسرحيتين . .

وأكتفى بأن أقول للأستاذ صلاح ما قاله غيرى فى مثل ما نحن فيه (شيئا من الرفق ليجمل النقد ، وكثيرا من العدل ليستقيم الميزان)

زكى طليمات





تعقيب في بحر الرمل

أقرر مسرورا أني سعدت بقراءة البحث الممتع الذي كتبه الناقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن عن بحر الرمل. وقد وجدتني مضطرا للتعقيب عليه أمام القراء، ولهم بعد ذلك أن يقتنعوا برأى الشاعر الكبير أو يتمسكوا بدعواى

لقد ذكر الأستاذ المرصفي – كما نقل عنه الأستاذ عبد الغني – أن العلة إذا أريدت لزمت في جميع الأبيات. وذكر الأستاذ محمود مصطفى أن العلة إذا عرضت لزمت أيضا. ومعنى اللزوم عند الرجلين أنه لا يجوز لأحد الشعراء أن ينوع في قصيدته فيلزم العلة تارة ويتركها أخرى كما فعل الشاعر الكبير، في قصيدته العصماء، إذ لا مناص من اللزوم حذفا أو تماما

ولو سلمنا جدلا أن المرصفي وغيره من المؤلفين قد اختلفوا في هذه المسألة بين اللزوم وعدمه في القصيدة الواحدة، فماذا نصنع أمام الاختلاف؟ لاشك أننا نرجع إلى الشعر العربي الذي أجمع العلماء على صحة الاستشهاد به فنبحث في قصائد الرمل التي نظمت في عصور الجاهلية وصدر الإسلام وبني أمية، فإذا وجدنا قصيدة واحدة تنوعت فيها العروض، قلنا أن نتمسك بها كدليل قوى للأستاذ عبد الغني. أما وقد أجهد الأستاذ البحاثة نفسه – وهو الراوية الضليع – فلم يعثر على قصيدة تشابه قصيدته – لمن يستشهد بشعرهم – فليس لي أن آخذ برأيه حتى أظفر بدليل

وإني لأعجب كيف يكون مهيار الديلمي دليل الأستاذ في دعواه وهو لا يختلف عنه في شئ، فكما أوجه اعتراضي إلى قصيدة الأستاذ عبد الغني، فكذلك أوجهه إلى قصائد مهيار، فكلا الشاعرين – رغم شاعريتهما الدافقة – يتبع قواعد مقررة، نقول لمن خالفها لقد خالفت وأبعدت، وليس لما قلت نظير فيما ورد من الشعر العربي الصحيح!

وإنه ليسرني جدا أن يكون الحق في جانب أديبنا الكبير الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن، ولكن متى أجد الدليل الذي يقنعني بذلك فأستريح

محمد رجب البيومي

جمع نهار

في العدد ٩٦٤ نشرت مجلة الرسالة الزاهرة قصيدة الأستاذ أنور العطار بعنوان «غضبة»، وفي البيت الثاني منها يقول الشاعر:

تفنى الشجون نهاراته وتسهد ليلاته فأفزعه

فجمع نهارا على نهارات والصواب أنهر ونهر كما جاء في مختار الصحاح:

«النهار ضد الليل ولا يجمع كما لا يجمع العذاب والسراب، وإن جمعته قلت في القليل (أنهر) وفي الكثير نهر بضمتين كسحاب وسحب»

وكما جاء أيضا في القاموس المحيط:

«النهار يجمع على أنهر ونهر أو لا يجمع كالعذاب والسراب»

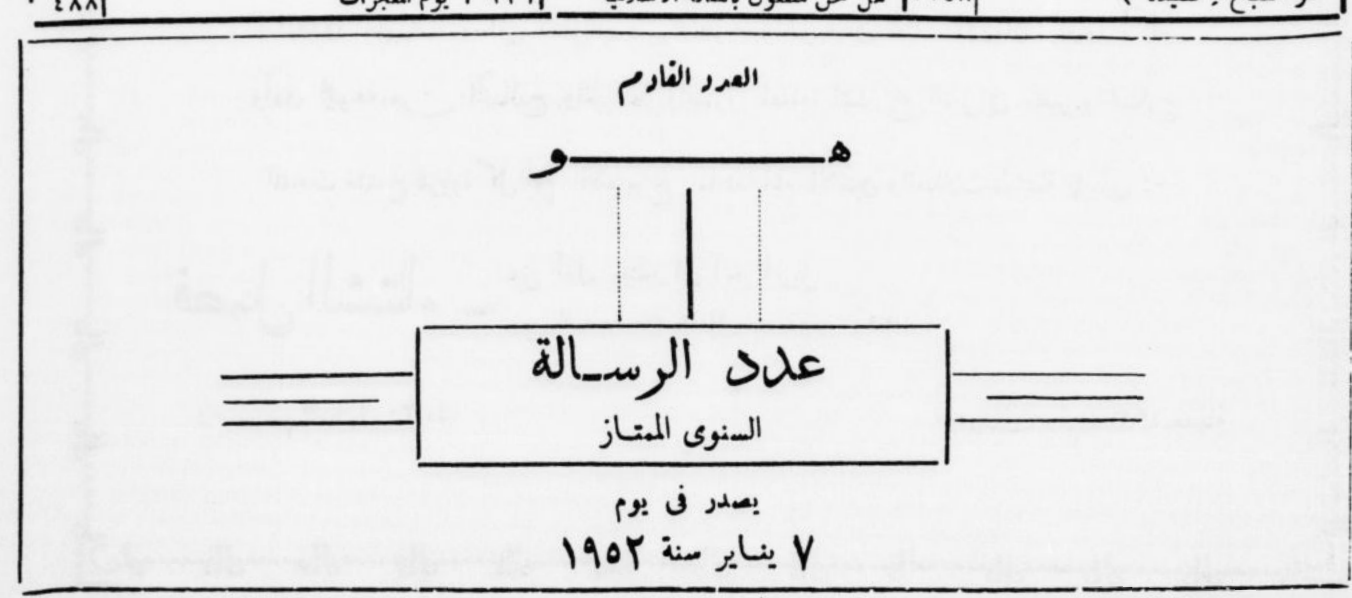
حامد الصبر عطا

طه حسين

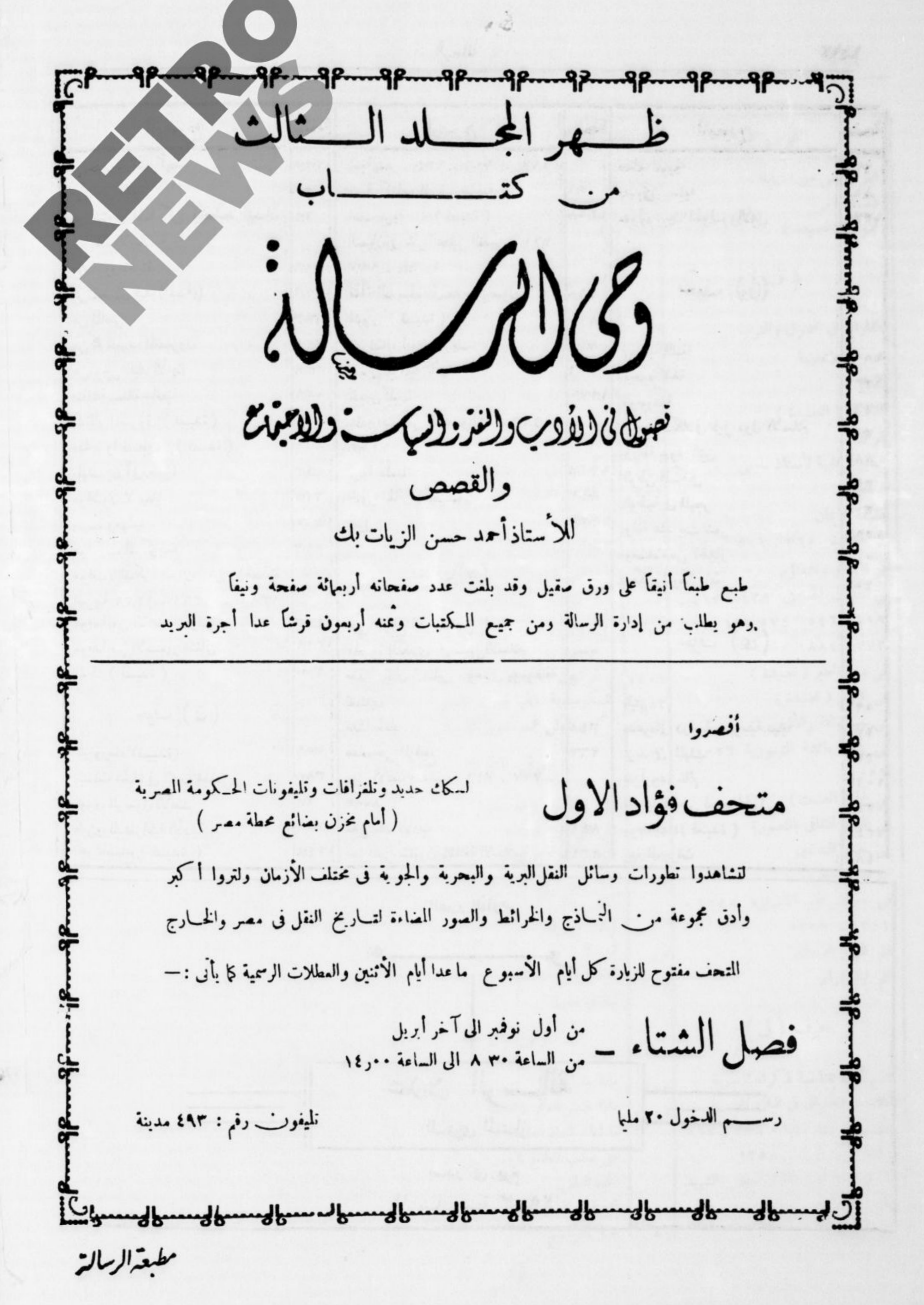
هذا الاسم عبر الأجواء من القاهرة إلى الجزيرة بسورية، فتردد على الألسنة وارتاد مطاوى الأفئدة؛ ففي شمال الجزيرة بلدة جميلة يطلق عليها اسم «عامودة» يعجب أهلوها بهذا الرجل ويجلونه، فأطلقوا اسمه الكريم على شارع يخترق البلدة دليلا على ما يكنونه له من إعجاب وتجلة وتقدير

عامودة **حنيف الحسيني**

فهرس الموضوعات للسنة التاسعة عشرة من الرسالة



العدد القادم
هـــــو
عدد الرسالة
السنوى الممتاز
يصدر فى يوم
٧ يناير سنة ١٩٥٢


ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
أقصدوا
متحف فؤاد الأول
لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)
لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية في مختلف الأزمان ولتروا أكبر
وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل في مصر والخارج
المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الأثنين والعطلات الرسمية كما يأتي :—
فصل الشتاء —
من أول نوفمبر الى آخر أبريل
من الساعة ٨٫٣٠ الى الساعة ١٤٫٠٠
رسم الدخول ٢٠ مليما
تليفون رقم : ٤٩٣ مدينة
مطبعة الرسالة